

رواية

# المركان

(مستوحاة من الواقع)

بقلم / منال محمد سالم

2017

رواية

# الدكان

بقلم / منال محمد سالم

٢٠١٧

# جميع حقوق النشر محفوظة

## لموقع

(قصص وروايات بقلم منال سالم)

<https://www.facebook.com/LoveStories.by./ManalSalem>



نوع العمل : رواية

اسم العمل : الدكان

اسم المؤلف : منال محمد سالم

الطبعة الأولى ( إلكترونية ) ٢٠١٨

الناشر : موقع قصص وروايات بقلم منال سالم

التدقيق اللغوي : منال محمد سالم

تصميم الغلاف : منال محمد سالم

التصميم الداخلي : منال محمد سالم

جميع حقوق النشر الإلكترونية محفوظة لموقع قصص وروايات بقلم منال سالم

<https://www.facebook.com/LoveStories.by.ManalSale>

[/m](#)



## إهداء

إلى جدائي ( إبراهيم، عبد الرازق ) رحمهما الله، واللذين كانا يطلقان على اسم  
محالهما التجارية لقب " دُكان " فلم أنطق سواه حتى وقت قريب.  
إلى زوجي وعائلي والقراء الأفاضل، وإلى أولئك الذين ينشدون من يتحدث  
بلسان حالهم

منال سالم

لم يكن الأمر هيئاً على الإطلاق، لكنه كان مضطراً إلى فعل هذا، فهي فلذة كبده، ولم ينجب سواها، أراد أن يضمن لها مستقبلها، فكتب لها جزءاً من ميراثه الغير معلوم. لكنه حقها الضائع، وحقه المسلوب.

احتفظ "رياض" بذلك في وصية غير معروفة، ولم يخبر بها أحداً حتى زوجته، فإن نفذ أمره ووجبت ساعته، استراح قلبه لوجود ما يعينها على متاعب الحياة.

\*\*\*\*\*

في الوقت الحالي، جثت على ركبتيها أمام فراشه، فقدميها لم تقوَ على حملها بعد ما أصابه وخارت قواه وأصبح عاجزاً. لمعت عيناها البنيتين بالعبرات، ظلت تشهق محاولة السيطرة على تهديج أنفاسها. شحب وجهها القمحي اللون من رؤيته هكذا.

مسحت أنفها بطرف سبابتها، وأبعدت خصلات شعرها المموجة - والملتصقة بجبينها المتعرق - للخلف، ثم أمسكت بكف والدها المرتعش بين راحتيها، وألصقت صدغها به. وبصوت منتحب همست:

ماتسبناش يا بابا، لينا مين غيرك

رد عليها بصوت خفيض متعب للغاية:

-ربنا موجود يا " أسيف "!

رفعت أعينها الباكية لتتطلع إلى وجهه الحاني، رأت ما رفضت تصديقه في نظراته الخاوية، هو على مشارف الموت، انقبض قلبها بشدة، وتوترت أعصابها أكثر، نهج صدرها علواً وهبوطاً وهتفت متوسلة صوت متلعثم:

-أنا محتاجك جمبي، وماما.. م... ماما....

قاطعها قائلاً بهدوء رزين:

-متخافيش يا بنتي، ربنا ماينساش حد، وأنا عملت اللي أقدر عليه عشانك اتني وأمك!

انتفضت في مكانها فزعت حينما شعرت بيدٍ توضع على كتفها، فاستدارت برأسها للخلف لتجد ابن خالة والدتها " الحاج فتحي " يقف ورائها ويردد بجدية:

-سليه يرتاح يا أسيف وروحي شوفي أمك

نهضت عن مكانها، وأرخت أحد كفيها عن أيها، ثم مسحت باليد الأخرى عبراتها، وردت عليه معترضة:

-بس أنا عاوزة أفضل جمبه!

هتف الحاج فتحي قائلاً بصرامة:

-الدكتور قال خلوه يرتاح، واتني بكده بتتعبيه!روحي عند أمك دلوقتي، وأنا هافضل جمبه



التفتت ناحية أبيها مجدداً، ورمقته بنظرات حزينة، ثم ردت باستسلام:

شوية ورجعالك يا بابا!

ظلت أنظارها معلقة به وهي تتحرك بخطوات بطيئة إلى خارج الغرفة.

راقبها الحاج فتحي حتى ابتعد تماماً، فسحب المقعد وجلس إلى جوار "

رياض " ونظر له مطولاً قبل أن يستطرد حديثه قائلاً بجديّة:

حاج رياض، أنا مش عارف أقولك ايه، بس محصول السنادي....

قاطعهُ رياض قائلاً بصوت منهك وهو يشير بكفه المجدد:

من غير ما تكمل، أنا عارف وحاسس!

تابع الحاج فتحي قائلاً بهدوء جاد:

أنا عملت اللي عليا، وحاولت أعالجه بس زي ما انت عارف يا رياض يا

خويا مافيش أنفاز كفاية يشتغلوا في الأرض، والموجود مش بيسد!

تهد رياض مردداً بصوت مرهق للغاية:

الحمدلله على كل حال

مال عليه بجسده ليضيف بصوت خافت يحمل الأسف:

أنا مقدرتش أقول الكلام ده قصاد بنتك!

هز رأسه بخفة مجيباً عليه:

خير ما عملت، هي مش ناقصة، كفاية اللي هي فيه!  
 سعل بعدها بشدة، فقد أجمده كثرة الحديث والتفكير. هب الحاج فتحي  
 واقفاً، والتقط كوب الماء الزجاجي الموضوع على الكومود المجاور للفراش،  
 وناوله إياه قائلاً بقلق:

خد اشرب يا حاج رياض، وبالاها الكلام دلوقتي!  
 أمسك الكوب بأصابع مرتجفة، وتناول منه بضعة رشقات، ثم أراح ظهره  
 للخلف..

أعاد الحاج فتحي وضع الكوب في مكانه، وأردف قائلاً:  
 هاسييك ترتاح ياخويا، وهاعدي عليك تاني، وإن شاء الله ربنا يسمعنا  
 أخبار كويسة  
 رد عليه ممتناً:

متشكر يا حاج فتحي!  
 عاتبه قائلاً بابتسامة باهتة:  
 هو في شكر بينا يا حاج؟ ده احنا عيلة واحدة!  
 -كثر خيرك، ده العشم بردك!

\*\*\*\*\*

تربصت أنظارهم الحادة بتلك البوابة الحديدية الخاصة بمدرسة البنات، هم قد جاءوا لتنفيذ مهمة محددة، ولن يتراجعوا عنها، فالمشاجرات بينهما قد بلغت أوجها، والمضاربات العنيفة قد وصلت إلى ذروتها، ولم يبق إلا إذلالهم عمداً عن طريق مدلتهم الصغيرة.

تبادل أحدهم نظرات ذات مغزى مع رفيقه، في حين لكز الثاني ذلك الجالس في مقعد السائق في كتفه، وهتف قائلاً من بين أسنانه:

-البت هاتخرج، خليك جاهز

رد عليه السائق بجمود:

ماشى، أنا دايس على البنزين!

حدق ثلاثتهم في البوابة التي فتحت على مصراعها لتنتقل منها الفتيات الصغيرات الملتحقات بالمدرسة الابتدائية للخارج..

صاح الرجل الأول فجأة:

-الباب اتفتح!

رد عليه زميله الثاني بحدة أمره:

-انزل، هاتها بسرعة!

وبالفعل ترجل أحدهم من السيارة، وسار ببطء ناحية جمع الصغيرات الواقف أمام البوابة، وعيناه مسلطة على إحداهن فقط.

تلك الصغيرة ذات البشرة البيضاء والجدائل السوداء التي تزين رأسها.

أروى

صاح باسمها سائقها الذي اعتاد إيصالها لمدرستها يومياً قبل بدء يومها به وبعد مواعيد الانصراف، فالتفت للجانب لتلوح له بيدها وعلى ثغرها ابتسامة عريضة.

تحركت نحوه بخطوات رشيقة، وقبل أن تصل إليه شعرت بأن قدميها لا تلامسان الأرضية الصلبة، وذراعاً غليظة تطوقها من خصرها. نعم حملها أحدهم وركض بها مسرعاً في الاتجاه العكسي..

استغرقها الأمر لحظات لتستوعب ما يدور، وفجأة صرخت بهلع كبير مستغيثة بمن حولها:

ماما، ماما!!

انتبه سائقها لما حدث لها، وترجل مذعوراً من السيارة، وحاول الركض خلف خاطفها للحاق بها.

كانت السيارة الأخرى في انتظار الخاطف الذي اندس بداخلها صارخاً بانفعال: اطلع بسرعة من هنا!

واصلت الصغيرة " أروى " صراخها المهتاج قائلة بفرع:

بابا.. بابا! ماما، الحقوني!

كم الخاطف فمها قائلاً بتجهم وقد تحولت نظراته للشراسة:

بس يا بت! وأنت انجز وطير من هنا!

رد عليه السائق بجدية محاولاً الفرار من المكان:

-أديني بأذوغ من ابن ال..... ده قبل ما يمسكنا!!!

ونجح بالفعل في هذا.. وتمكن من التلمص من السائق قبل أن يمسك بهم.

فقد عجز الأخير عن الوصول إليها نتيجة تعثر قدميه والتفاف ساقه حول

الأخرى، فانكب على وجهه، وارتطمت رأسه بالأسفلت الصلب.

آه لو علم الحاج " طه حرب " بما صار مع مدلتته الصغيرة لأقام الدنيا

وأقعدها حتى يأتي بقطعة فؤاده الغالية إلى أحضانه، وماذا عن أخويها

الكبيرين؟

كلاهما لن يصمتا إن عرفا بخطف أختها الوحيدة، بل الأحرى أن نقول أن

حرباً ضروراً ستندلع فوراً بمجرد إخبارهما بتلك الكارثة .....

!!!

.....

## الفصل الأول:

هب وافقًا من خلف طاولة مكتبه الخشبي العتيق - الموجودة في وكالته الخاصة ببيع الأدوات الصحية - بعد أن اتسعت مقلتيه على أشدهما حينما أبلغه السائق هاتفياً باختطاف صغيرته.

اكتسى وجهه بجمرة مخيفة، وزاد بروز عروقه التي تغلي بالدماء. انفجر فيه صائحاً بزجرة مخيفة:

انت بتقول إيه

صمت ليستمع لصوت السائق المرتعد وهو يعيد على مسامعه باختصار تلك الفاجعة، فتابع صارخاً باهتياج:

-كنت فين يا .....؟! محصلتهومش ليه؟

رد عليه السائق بخوف:

ملحقتهومش يا حاج طه، ولاد الهرمة كانوا مظبطينها و....

قاطع طه هادراً بتهديد صريح:

-وعزة جلال الله لو جرالها حاجة مش هايكفيني فيك رقبتك ولا رقبة عيالك!

أنهى معه المكالمة دافعًا مقعده بعنف فسقط على الأرضية محدثًا دويًا عاليًا، ثم  
عبث بأزرار هاتفه ليهااتف ابنه البكري "منذر" الذي أجابه بصوت هاديء  
وشبه ناعس:

-ايوه يا حاج

هدر فيه أباه بعصية جمّة:

قوم فوق وشوف النصيبة اللي حصلت!

انتبه منذر لصوت والده المنفعل، وسأله متوجسًا:

خير يا أبأ؟ في ايه؟

رد عليه بكلمات مقتضبة لكنها غامضة:

-ولاد أبو النجا!

سأله منذر بريئة:

ماهم؟!؟

أجابه باندفاع يحمل الغضب الشرس:

خطفوا أختك أروى!

صاح منذر فور سماعه لإجابته بانفعال كبير لاعنًا لإياهم:

-ولاد ال.....، ازاي يتجرأوا علينا، مش هاسيهم، وغلاوة أروى

عنك ها.....

قاطعه طه قائلاً بعنف:

هات أخوك وأنا هالم الرجالة و....

رد عليه منذر مقاطعاً إياه بنبرة عدائية:

-الليلة دي عندي يا حاج، مش هايدن عليهم المغرب إلا وأنا مقطع من لحمهم  
نسايل، وأروى هاتكون في حضننا!

هتف طه بصوت محدد وقد استشاطت نظراته:

-أنا مش عاوز رغي كثير، اتصرف يالا!

في نفس التوقيت ولج شاب في مقتبل العمر عريض المنكبين، ذو صدر  
عريض وبشرة سمراء وشعر حليق إلى داخل الوكالة فاركاً ذقنه النابتة بكفه  
ومتسائلاً يا استغراب من صوت أبيه المهتاج:

-في ايه يا بابا؟

التفت طه إلى ابنه الأوسط "دياب" ونظر له شزرًا قبل أن يجيبه بجدة:

-ماهو إنت مش دريان بالي حاصل لأختك!

أثارت كلماته الحادة ريبته، فتساءل بتوجس قليل:

-أروى؟ مالها؟

رد عليه بجدة تحمل التهم:



خطفوا أختك يا بيه!

ارتفع حاجباه للأعلى في صدمة كبيرة، وصاح غير مصدق:

نعم!

تابع أباه قائلاً بنبرة مشحونة بالحنق والغل الشديدين:

ولاد أبو النجا بيلوا دراعنا وآ.....

وقبل أن يكمل عبارته للنهاية مفسراً ما حدث كان دياب قد اندفع للخارج

وقد انتوى شراً أن يفتك بمن اختطف أخته الصغرى.

.....

شردت بأعينها الدامعة في الحقول الخضراء أمامها تتذكر كيف كانت تلهو وهي صغيرة في أحضان والدها الذي لم يدخر وسعه لإسعادها هي وأمها غير مهتمة بالمياه المنهمة على الصحون المترصة في حوض الغسيل بمطبخ منزلهم القديم.

كانت كالصنم الخالي من الحياة، أنظارها متعلقة بتلك الشجرة الشامخة على جانب الحقل.

لم تذق طعم السعادة والأمان إلا معه والدها الغالي. وكان هو نعم الأب لها والزوج المحب الوفي لأمها.

ذبل وجهها كثيراً، كما تشكلت الهالات السوداء حول جفניה منذ أن تدهورت حالته الصحية وساءت كثيراً.

حدث كل شيء في زمن قياسي، أعقبه انهيار حياتهم المستقرة، وتحولهم من دائنين لمدينين من أجل الاتفاق على علاجه، كل شيء يهون في سبيل عودته واقفاً على قدميه، يكفيها ما أصاب والدتها من عجز دائم ليلحق بها أباهما الحبيب، انهمرت العبرات من مقلتيها دون أن تدري.

هي وحيدتهما، جوهرتهما الثمينة.. وهما العالم كله

لم تمتلك جمالاً خارقاً، ولا مقومات أنثوية مميزة، فقط ما اكتسبته من صفات جينية من أباها؛ بشرة قمحية، أعين بنية تحاوطها أهداب غير كثيفة، وشعر عادي مموج، طول متوسط، وجسد غير ممتليء

ربما انحناءات جسدها تعطيها مظهرًا رشيقًا، لكنها تخفيه ببراعة أسفل ثيابها الواسعة فتبدو بداخلهم نحيفة للغاية.

انتبهت لصوت والدتها يناديها:

أسيف!

ذلك الاسم الذي انتقاه والدها لها.. رقيقة القلب كثيرة البكاء..

أحبته كثيرًا لأنه مختلف ومميز، وأخبرها سابقاً عن سبب تسميتها به.

هي لم تتوقف عن البكاء منذ لحظة ميلادها، كما كانت هشة للغاية حينما حملها لأول مرة بين ذراعيه، فدار بخلده أن يسميها بذلك الاسم الغريب الذي قرأ عن معناه في إحدى المجلات الثقافية.

أسيف!

تكرر النداء على مسامعها، فكففت عبارتها بيدها المبتلة، وركضت مسرعة  
خارج المطبخ مجيبة إياها بصوت شبه متحشرح:  
أيوه يا ماما

أدارت والدتها عجتي المقعد المتحرك ليتحرك نحوها متسائلة بصوت هاديء:  
خلصتي غسيل الأطباق ولا أجي أساعدك  
ردت عليها أسيف بابتسامة ودودة:

خلاص يا ماما، ناقص بس أنصف البوتجاز ويبقى كله تمام  
نظرت لها حنان يامتنان، وهتفت بصوت شبه حزين:  
معلش يا بنتي تعبكي في شغل البيت!

ثم صمت للحظة محاولة السيطرة على نبرتها قبل أن تختنق أكثر، وأخفضت  
نظراتها لتحقق في مقعدها المتحرك الذي يشير إلى عجزها.  
خرج صوتها مهترًا وهي تتابع بمرارة:  
لو أقدر كنت...

قاطعتها أسيف قبل أن تكمل جملتها قائلة بتنهيده:  
متكلميش يا ماما، أنا ماشتكش من حاجة

ثم ارتمت في أحضان والدتها لتضمها إلى صدرها، فطوقت الأخيرة ذراعها حولها، وهمست لها بصوت دافئ:

-ربنا يجازيكي عنا خير يا بنتي! اتتي أحسن نعمة ربنا رزقنا بيها بكت متأثرة وهي تستند بوجهها على كتفها قائلة:

-ويخليكي ليا اتتي وبابا!

.....

اندفع كالثور الهائج ناحية سلسلة مطاعم الوجبات الجاهزة والمتواجدة على مقربة من وكالة عائلته، لم يدع الهاتف من يده طوال ركضه المجنون نحوهم، واستدعى من رفاقه الأقرب في الوصول إليه دون إبداء السبب، لكنهم يعلمون أن طلبه العاجل هذا يقف وراءه خطب جلل.

لذا لم يتأخروا عنه، وتجمعوا بعد لحظات في بقعة تم الاتفاق عليها.

حملوا العصي وبعض الأسلحة البيضاء في أيديهم، ثم انطلقوا بخطوات مخيفة نحو تلك المطاعم.

رأهم المارة، فافسحوا لهم المجال دون اعتراض طريقتهم. يكفي التحديق في أوجهم لمعرفة أن كارثة ما على وشك الحدوث.

صرخ دياب بصوت جهوري محتاج ومخيف وهو يحفر بعصاه الغليظة الأرضية الإسفلتية:

مازن يا أبو النجا! اطلعلي يا.....!!!!

نهض رواد المطعم فورًا من على طاولاتهم الأمامية، وفروا هاربين قبل أن يسقطوا ضحايا في شيء لا دخل لهم به.

انتفض مازن - الابن الأصغر للحاج مهدي أبو النجا - من على مقعد مكتبه الداخلي، وتساءل بجدة من الداخل:

-في ايه اللي بيحصل برا؟

أجابه أحد رجاله بتوتر رهيب:

ده.... ده دياب ابن....

قاطع مازن قبل أن يكمل حديثه قائلاً بتوعد:

جه لحد عندي!

فتح درج مكتبه، والتقط منه سلاحه الناري المرخص، ثم سار بخطوات متعجلة نحو الخارج وهو يدسه في ظهره.

في نفس التوقيت هاتف أحد العمال الحاج مهدي - صاحب السلسلة - ليلغيه بالمصيبة الدائرة في مطعمهم، فذعر الأخير، وأمره قائلاً بصرامة:

-امنعوا أي حد يدخل المطعم لحد ما أجي! ما فيش حد يقرب لابن طه، أنا مش ناقص، سامع، محدش يتعرضله حتى لو كان ابني مازن!

لكن لا يمنع حذر من قدر، فقد سمع دوي تهشم زجاج قوي، حيث قذف دياب الواجحة الزجاجية بقلب طوب غليظ فخطمه على الفور، وبدأ بعدها التراشق بالعصي والحجارة وتكسير بعض الطاولات، وتحول المدخل لكومة من الزجاج والأخشاب المحطمة.

تراص الرجال على الجانبين متأهبين للاشتباك بين لحظة وأخرى مع عمال المطعم فقد توقفا للحظات عن العراك حينما خرج مازن من الداخل وعيناه تطلقان شرراً مخيفاً. هدر هو قائلاً بعنف:

جاي هنا ليه يا ابن حرب؟

رد عليه دياب بعصبية شديدة وهو يتحرك صوبه ومهدداً بعصاه القوية:

فين أروى؟

نظر له مازن بازدراء، وأجابه بعدم أكثرات ليثير من حنقه ويستفزه أكثر: معرفش!

اشتعلت عيناه حنقاً، وهتف بصوت محتد ومتشنج:

محدث ليه دخل يخطفها إلا انت!!!!

تقوس فم مازن بابتسامة غير مبالية، ورد عليه بفتور وهو يتعمد النظر إليه باحتقار:

-وهو أنا بتاع شغل العيال ده؟!!!

هدر فيه دياب بصوت متشنج وقد احتدت نظراته

-ايوه بتردهالي عشان المحروسة؟

هز مازن رأسه للجانبين برود مستنكراً ما قاله، وهتف بسخرية متهمكة:

-لالالا.. عيب، دي مهما كان..... المدام سابقًا، وأم الحفيد الغالي!

صرخ فيه دياب بهياج وقد تحولت عيناه للشراسة وبات قاب قوسين أو أدنى من الفتك به:

-ما تجبش سيرة ابني على لسانك، وهاتنطق وتقولي على مكان أروى وإلا قسماً بالله هاشتك نصين وآ....

قاطعهُ قائلاً بإستخاف وهو يرمقه بنظرات دونية:

-اهدى على نفسك، بلاش حلفنات إنت مش أدها

رفع دياب عصاه الغليظة للأعلى ليضرب بها خصمه، وقبل أن يهوى بها على رأسه سمع صراخاً هادراً - ومألوفاً -يناديه:

دياب!

تجمد في مكانه للحظة، واستدار برأسه للخلف ليجد أخيه الأكبر " منذر " محققاً به بنظرات جاحظة تحمل العداة والشراسة.

تحرك منذر - ذو الطول الفاره، الجسد الضخم، والبشرة السمراء - نحو  
الاثنين، ولم يبعد نظراته المخيفة من عينيه العسليتين عن مازن.  
لم يتحرك الأخير قيد أنملة. فبالرغم من عداوته وكرهيته اللامحدودة لذياب إلا  
أنه لا يستطيع التجراً على أخيه الأكبر.

ساد صمت رهيب في المكان، وتعلقت الأنظار كلها بمنذر - ذو الهيبة  
والسلطة المفرطة - ومن لا يخشاه أو يكن له الاحترام وهو يعد من أقوى  
رجال تلك المنطقة الشعبية.

وقف منذر قبالة، ورمقه بنظرات نارية، ثم بصوت هاديء يحمل القوة  
استطرد حديثه متسائلاً:

فين أروى؟

ابتلع مازن ريقه بتوتر قليل من حضوره المخيف، وقبل أن يجيبه سمع الجميع  
صوت الحاج مهدي يصيح عاليًا:

في الحفظ والصون، اطمن عليها يا منذر يا بني

اشتعلت عينا مازن غيظاً من أبيه، وقبل أن يفتح فمه لينطق حرفاً، تابع  
أباه قائلاً بابتسامة مصطنعة:

هي أداة مع الحاجة أم بسمة شوية، وزماتها في طريقها لعندكم!



ضغط مازن على شفثيه بقسوة، فقد أفسد أباه خطته في إذلال خصمه، وظل  
يحدجه بنظرات مشتعلة دون أن ينبس بكلمة واحدة.

صاح منذر قائلاً بصوت مخيف وهو مسلط أنظاره على مهدي:

-واتو من امتي بتخطفوا عيالنا لما تحبوا تشوفوهم؟!!!!

رد عليه الأخير بهدوء حذر:

غلطة يا بني، مش مقصودة

التوى فم منذر ليردد بهكم ساخط:

-أها، قولتلي بقى غلطة

صاح دياب مهدداً وقد التمت عيناه بشدة

-يبقى حسابنا مع اللي غلط!

ثم تحركت أنظاره نحو مازن الذي لم يتوقع عن رمقه بحنق.

مضبوط، حسابنا مع الغلطان

هتف بتلك العبارة الحاج طه بصوت مرتفع وهو يتحرك من الخلف نحوهم

أيقن مهدي أن الوضع قد تأزم للغاية، ويحتاج لاستخدام الحكمة والترث

لتداركه قبل أن يتفاقم أكثر من هذا.

رسم ابتسامة زائفة على ثغره، ولوح بيده في الهواء قائلاً بنبرة ترحيبية:

-أهلا يا حاج طه، نورت حتنا!

رد عليه طه بغضب:

-لا أهلاً ولا سهلاً، الكلام بينا خلص خلاص!

هدر دياب بصوت محدد وقد أوشك على التصرف بجنون:

-انت لسه هتكلم معاهم يا أبا، سييني...

وضع طه كف يده على صدر ابنه مانعاً إياه من الحركة وقائلاً بقسوة:

-دياب!

أراد مهدي التخفيف من حدة الأجواء، ورد بجذر:

-حقك عليا يا حاج طه، أنا محقوقك!

نظر له طه بغل، وهتف بامتعاض:

-كويس إنك عارف ده، لأن أنا ولا ولادي بنسيب حقنا!!!

تفهم مهدي تهديده الضمني، وحافظ على ابتسامته الهادئة قائلاً:

-الكلام أخذ وعطا، تعالى نتكلم جوا

لوح طه بيده في الهواء قائلاً بضيق:

-لا برا ولا جوا، بنتي ترجع الأول!!!

رد عليه مهدي بجدية دون أن تطرف عيناه:

-زمانتها عند الست جليلة، اطمن، دي كلمة شرف مني!!!

وبالفعل رن هاتف الحاج طه، فأجاب عليه بعد أن حذق في اسم المتصل..

بدا حديثه غامضاً وهو يردد:

-وصلت؟ طب اخصيها كويس وشوفيلي....

قاطع مهدي قائلاً بعتاب خفيف مستنكراً ظنونه السيئة به:

عيب عليك يا حاج طه، دي زي بنتي بردك! هو أنا هأذيها!!

نظر له بتأفف، ثم تتم بعبوس:

طب اقفلي دلوقتي يا جلييلة!

أشار مهدي بذراعه قائلاً بود:

-اتفضلوا يا جماعة جوا!

اعترض منذر قائلاً بغلظة:

-لا، لحد كده واستوب

بينما أضاف والده بصرامة:

شوف يا حاج مهدي، باللي تعمل ده يبقنا عندكم حق عرب!

توتر مهدي قليلاً من كلماته المقتضبة والتي يعي جيداً أنها بمثابة ميثاق شرف إن لم ينفذه فليتحمل العواقب.

وزع أنظاره على عائلة حرب، ثم ردد قائلاً بتلعثم:

-اه طبعاً.. هو.. هو أنا بردك يرضيني حد يزعل مني ولا من عيالي!

ثم زاد من ابتسامته المجاملة قائلاً:

-اتفضلوا اشربوا حاجة

رد عليه طه بجمود:

-وقت الأعدة بينا!!!

ثم استدار برأسه ناحية ابنه البكري منذر، وهتف فيه:

-ياللا يا بني من هنا، خلينا نشوف مصالحنا

-ماشي كلامك يا حاج!

قالها منذر بامتعاض كبير وهو يرمق كلاً من مهدي ومازن بنظرات ساخطة للغاية..

في حين لم يتوقف كلاً من مازن ودياب عن رمق بعضها بنظرات نارية عدائية. فالكراهية بينهما ممتدة منذ فترة طويلة، لم تخمد إلا لفترات محدودة لكنها تعاود الاشتعال بقوة من آن لآخر لأسباب كثيرة ومتشعبة.

مال مازن برأسه على عدوه، وهمس له بتوعد:

-الحساب بينا مخلصش يا ابن حرب

رد عليه دياب بصوت خفيض مهدد:

-الحساب لسه في أوله، وفاتورتك تقلت أوي معايا!

لاحقًا، بداخل المكتب الخاص بإدارة سلسلة المطاعم، حذج مهدي ابنه  
بنظرات مغلولة، وعنقه قائلاً:

شايغ غباءك وصلنا لفين؟

رد عليه مازن بحنق:

يا بابا ما انت كتمتني، كنت عاوز أعلم على ال..... دياب!!!

نظر له مهدي بغيظ، وهتف بنبرة مغلولة:

وانت كده علمت عليه ولا لبستنا في حيطه معاهم؟

ثم صمت للحظة قبل أن يضيف بإنزعاج:

عارف أعدة العرب اللي هاتتعمل هاتكلفنا أد ايه؟

هتف مازن محتجًا بغضب:

هو احنا ليه لازم نطايطي ليهم؟ ما تسيننا....

قاطعته والده بصوت صارم:

بس! انت مش فاهم حاجة، أنا مش محتاج أعادي ولاد حرب دلوقتي

خالص!

اغتاظ مازن من تراخي والده واستسلامه لعائلة حرب مما يجعله يشعر  
بضعفهم أمامهم، فصاح بنزق:

-والله لو مجد كان هنا مكانش خلصه اللي اتعمل!

اتسعت مقلتي مهدي لتبرزا من محجريهما، فهو أدري الأشخاص بطيش ابنه  
البكري، وتهوره الغير محسوب العواقب.

حاول السيطرة على انفعالاته قائلاً بصعوبة:

مجد أخوك في السجن بسبب مخه الناشف، وضيع نفسه بعنده، فبلاش  
أخسرك انت الثاني! أنا محتاجك جمبي!!!

لم يقتنع مازن بما رده والده على مسامعه، فالبغض بينه وبين دياب لم ولن  
ينتهي..

فجائل الكراهية ستظل موصلة بينهما حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

.....

على الجانب الآخر، أجلس طه ابنته الصغرى على حجره، وداعبها من وجتها  
متسائلاً باهتمام:

حد عملك حاجة؟

هزت رأسها نافية وهي تجيبه مبتسمة:

لا يا بابا، أنا أعدت عند طنط عواطف شوية وبعد كده نزلت معايا وجابتنني  
في العربية هنا!

حرك رأسه بإيماءة خفيفة متمما بنبرة مقتضبة:

ماشني

ثم ابتسم لها بالفة:

طب يا حبيبتني، روجي أوضتك ذاكري!

ماشني يا بابا

قالتها ومن ثم قبلته من صدغه، ونهضت مبتعدة عنه لتذهب إلى غرفتها..

اقتربت زوجته السيدة جليلة منه، وأسندت صينية أقداح الشاي الساخنة  
على الطاولة المجاورة له. وقبل أن تجلس على الأريكة سألتها بغموض:

البت بخير؟

أجابته بثقة وهي تعطيه قدحه:

اطمن أنا فنتشت في جسمها

تناوله منها، ورد بارتياح:

الحمد لله!

خرج منذر من المرحاض مرتديًا فانلته التحتية – السوداء – على بنطاله  
الجينز البالي اللون وهو عابس الوجه، نظراته منزعة شبه متوترة.

التقطت أذنيه جزءًا من الحوار الدائر بين والديه، فتدخل فيه قائلاً بصوت  
قاتم وهو يحفف وجهه بالمنشفة القطنية:

أروى ماتطلعش من المدرسة إلا ومعاها حد فايق، مش هنديهم فرصة  
يكرروها ثاني!

رد عليه أباه قائلاً بجدية:

أه، ما أنا هاعمل كده

مط منذر فمه للأمام ولم يعقب، بينما تلفت طه حوله ليسأله باهتمام بعد أن  
لاحظ تغيب ابنه:

أومال فين دياب؟

رد عليه منذر وهو يلف المنشفة حول عنقه:

مش باين من ساعة الخناقة!

انتصب هو في وقفته، وضبط قلادته الفضية التي تطوق عنقه، وتحرك  
ليجلس على مقربة من والده.

تهدد طه بإحباط، ورد بصوت ممتعض:



أخوك جايني ورا بعمايله!

حدق منذر في وجه أيه بجمود، ورد عليه بقسوة:

-بلاش نفتح في الماضي يا حاج، أنا وانت عارفين إنه اتاخذ غدر!

كز طه على أسنانه بشراسة ليضيف قائلاً:

-بنت الأبلسة لعبتها صح عليه، ولولا يحيي كنت شارب من دمها!

هتفت جليلة بتوجس بعد أن لاحظت نظرات الشر متجلية في أعين زوجها:

كله بالعقل يا حاج، وحقنا هناخده منها!

نظر ناحيتها، وسألها بحدة:

-أومال يحيي فين؟

ازدردت ريقها وهي تجيبه بحذر:

معاه!

زفر بصوت مسموع منزجاً من إجابتها، وسألها بتهكم:

-استغفر الله العظيم، والمحروسة هاتجيبه امتي؟

أجابته بهدوء:

آخر النهار إن شاء الله!

صاح بصوت محدد متذكراً فعلتها النكراء قائلاً:

-رنا ياخذها ويخلصنا منها!

لم يرغب منذر في فتح ذلك الموضوع الشائك مجددًا لما فيه من أمور مزعجة ومؤلمة للجميع، فهتف بتأفف:

- فضنا من الحوارات دي يا حاج طه، عاوزين نشوف مصالحنا!

.....

امتلات الغرفة عن آخرها بسحب كثيفة من الدخان المنبعث من الأرجيلة التي لم يتوقف هو عن تدخينها.

نظر له رفيقه عماد بتوجس من تلك الكميات التي تناولها، وتشدق قائلاً بحذر:

مش كفاية يا دياب! إنت.. إنت بقالك كام ساعة بتشرب!

رد عليه بصوت مختنق يحمل الغضب بين طياته:

محروق ياخي، إنت مش حاسس بالنار اللي جوايا

حذره رفيقه قائلاً:

عشان صدرك بس، كترها مش حلو

رد عليه دياب بمرارة وقسوة:

يا ريتني أقدر أطفي البركان اللي قايد فيا، بس مش قادر، مش قادر يا عماد!

تنفس عماد بهدوء، وردد قائلاً:

الموضوع إياه!

تحول وجهه للتجهم الشديد، وضافت نظراته، ثم أجاهه بنبرة عامضة تحمل  
القتامة:

هو في غيره، لعبتها صح أوي، ولبستني العمه، وأنا زي الدغوف شربتها على  
الأخر!

رد عليه عماد محاولاً التهوين عليه قليلاً:

هيجي يوم وتاخذ حقك منها!

تابع دياب بشراسة وهو يضغط على أسنانه بقسوة:

لولا ابني يحيي وأبويا كنت دابجها!

أضاف عماد بصوت رخيم:

أنا عارف، بس ماتستهلش انك تعمل في نفسك كده!

هتف دياب بقوة بعد أن استنشأ نظراته للغاية وبرزت عروقه من عنقه:

الي حرقني أوي ابن أبو النجا، عملهم عليا وأنا مشيت وراه من غير ما أديله

خوانة!

رد عليه عماد بهدوء:

ليه يومه بردك يا كبير!

حدق دياب في الفراغ أمامه بنظرات تحمل الكثير، وهتف من بين فمه بتوعد:

ايوه، وكله بحسابه!!!

.....

بعد مرور أسبوعين، لم تقوَ قدمها على حملها، وتكفلت سيدتان بإسنادها وهي تسير في الخلفية مودعة أباهما للمرة الأخيرة إلى مثواه الأخير.

تلقت خبر وفاته كالصاعقة، فأظلمت الدنيا في عينيها.

عجزت والدتها القعيدة عن الحضور، فصاحبها أليم وأشد فجأ، هي خسرت حبيبها وزوجها وحاميا، وكل شيء في حياتها، شهقت أسيف بصعوبة غير قادرة على التنفس، إنه يوارى الثرى أمام ناظريها، يدفن مع من سبقه من الأموات. تركها بمفردها وحيدة ضعيفة في مواجهة الكثير من الأحداث.

انهارت باكية، وتعالّت صراختها وعويلها رغم تحذيرات الجميع لها.

هو والدها الغالي، سندها في تلك الحياة، تركها ورحل بلا وداع.

صرخت ياهتياج:

سببتي ليه يا بابا، هنعيش لمين بعدك؟ انت وعدتني تفضل معايا

نهرتها سيدة ما ممسكة بها:

حرام عليك يا بنتي، الله بتعمله ده مايرضيش ربنا

صرخت بجنون أكبر غير عابئة بن حولها:

ماتسبناش يا بابا، ماتسبناش

-لا حول ولا قوة إلا بالله!

قالتها سيدة أخرى وهي تنظر لها بإشفاق

صاح الحاج فتحي قائلاً بصرامة بعدما أزججه تصرفاتها الغير واعية:

خذوها من هنا ورجعوها دارها! كفاية فضايح

احتجت قائلة بصراخ عنيف بعد أن جذبتها السيدات بعيداً عن القبور:

-لألاً.. مش هامشي من هنا، سيبوني معاه

صاح مجدداً بغلظة أشد وهو يشير بعينين قاسيتين:

يالا من هنا!

وبالفعل اقتادتها اثنتان من النساء بعيداً عن الحشد المتجهم حول قبر العائلة،

وجرراها على الأرضية الترابية وهما تحاولان تهديتها، لكن دون جدوى.

اعتصر قلبها آلاماً، وزاد تهدج أنفاسها حتى باتت عاجزة عن التنفس بسهولة.

هاهو الكفن الذي يضم أيها بين جوانبه يرفع عاليًا عن المحفة ليوضع في مكانه

الأخير.

تشكلت سحباً ضبابية حول عينيها وهي تسحب من ذراعها بعيداً عن أعلى

الأشخاص في حياتها.

ودعته بقلها قبل أن تميد بها الأرض وتسقط في ظلام

حزين.....

.....

## الفصل الثاني:

مسحت بمنشفتها القطنية عيناها الباكيتان لتحقق في ابن خالتها الذي حضر  
خصيصًا اليوم للحديث معها في أمر هام..

انتجت بصوت خفيض وهي تحاول السيطرة على نفسها أمامه. فقد مر أكثر من عشرة أيام على فراق شريك حياتها، بدا الوقت كالدهر، فمن سيملاً الفراغ من بعده؟

أما ابنتها فهي في وضع بائس، حاضرة معها بجسدها لكن روحها وعقلها غائبين..

منذ دفنه تحت الثرى وهي تذهب يومياً إلى تلك البقعة التي اعتادت الجلوس فيها معه في أرضه الزراعية، تقضي بها ساعات مختلطة بنفسها شاردة في ذكرياتها معه.

فالفقيد لا يعوض، وهو كان الحياة بالنسبة لها.

عزاها الحاج فتحي قائلاً بنبرة مواسية:

شيدي حيلك يا بنت خالتي! المرحوم كان غالي علينا كلنا!

ردت عليه بصوت باكي:

الشدة على الله

أخذ نفساً عميقاً، وزفره على مهل، ثم تابع بهدوء مريب:

-أنا عارف إن الوقت مش مناسب للي جاي أقوله النهاردة، بس.. س لازم  
أفتحك فيه!

انتبهت حواسها بالكامل له، وسألته متوجسة:  
خير يا حاج فتحي؟

صمت لبرهة قبل أن يجيبها بكلمة واحدة موجزة:  
-الأرض!

انقبض قلبها نوعًا ما، فذكر تلك المسألة المؤجلة الآن يندرها بوجود خطب ما..  
ابتلعت ريقها وسألته بتوتر قليل:  
-مالها؟

حدق فيها بنظرات جامدة، ثم أجابها بصوت جاف:  
-انتي عارفة كويس إن رياض الله يرحمه كان شريك معايا في حته الأرض  
القبيلة!



أومات رأسها بالإيجاب قائلة:

-ايوه!

أضاف قائلاً بنبرة جادة:

-وكان عارفة إن الحريم هنا ما بيتملكوش أراضي!

أزعجها للغاية جملته الأخيرة، فهي تفهم المغزى من ورائها، أن النساء لا تورث ما له علاقة بـ " الطين " وبالطبع امتلاك الأراضي الزراعية على رأس القائمة..

ورغم ذلك اعترضت على جملته قائلة بثبات وهي ترفع رأسها للأعلى في كبرياء:

-ها.. ده العرف عندكم، بس شرع ربنا يقول....

قاطعها قائلاً بعدم اكتراث:

شرع ربنا مش هانتعرض عليه وحقك انت وبنتك محفوظ!

تشنجت قسماً وجهها، كما ضاقت نظراتها المنزعجة منه، وسألته بجدة خفيفة:

تقصدايه بالظبط يا حاج فتحي؟ أنا مش فهالك!!!

نظر لها بجمود شديد، وأردف قائلاً وهو يشير بكف يده:  
شوفي يا بنت خالتي، أنا مقدر ظروفك وفاهم الحال عامل ازاي معاكم،  
وصعب اتتي أو بنتك تقفوا وسط الأنفار والرجالة وتديروا الأرض بنفسكم!

تمكن هو بكلماته المنتقاة بعناية من اللعب على الوتر الحساس، فهو بالطبع لا  
يحتاج للإشارة إلى عجزها الجسدي، ولا إلى صغر سن ابنتها التي انتهت من  
تعليمها الجامعي قبل فترة قصيرة، لكن يكفيه أن يلمح لكونها امرأتان ضعيفتان،  
بل هشتان على الأرجح، بلا رجل معيل يحميها.

أدرك أنه كان مصيباً في حديثه، فتشجع لإكماله، وتابع متحفزاً:  
المرحوم كان قايم بالليلة كلها، ومش مقصر في حاجة، بس الوضع اتغير  
دلوقتي، وماينفعش اللي كان بيحصل زمان يتعمل عادي!

ردت عليه بصعوبة محاولة التمالك أمامه واظهار قوتها:  
وضحلي غرضك يا حاج فتحي؟

أجابها بنبرة عازمة وهو ينظر مباشرة في عينيها بقوة:

-أنا هاشتري نصيبكم في الأرض بما يرضي الله، وهراضيكم على الآخر!

وجدت أن الأمر شبه محسوماً من قبل ابن خالتها، بالطبع الأمر معتاد هنا ومرتب له خاصة إن كانتا بمفردهما، ولذا هي ليست بحاجة لتخمين النتائج.. حاولت فقط أن تثنيه عن رأيه وتعطي ابنتها فرصة لتقرير مصيرها، فهتفت قائلة بصوت متردد:

-انت عارف ان أسيف متعلقة بحتة الأرض دي وفيها ذكرياتها مع أبوها، ومن يوم ما المرحوم فارقنا وهي.. وهي دايمًا بتروح تقعد عند....

قاطعها قائلاً بقسوة جامدة:

-ودي الحاجة الثانية اللي كنت هاكلمك فيها، إحنا عوايدنا غير، ومايصحش اللي هي بتعمله، لولا اتتي مقدر الظروف وعارف إن العيبة ماتطلعش من بنت الحاج رياض خورشيد كنت اتصرفت معاها تصرف تاني!

شعرت بتلميح ضمني يحمل التهديد بين طيات كلماته، فانقبض قلبها أكثر، وخشيت على ابنتها من التعرض للأذى، وبعاطفة أمومية صادقة هتفت مدافعة عنها:

-أنا بنتي متريية كويس، والعيبة....

لم يدعها تكمل عبارتها للنهاية، وقاطعها مكملاً بقسوة:  
عارف ده يا ست حنان، بس الناس ليها الظاهر!

ردت عليه بجدة وقد بدا وجهها منزعجاً للغاية:  
-الناس مابتسبش حد في حالها أبدًا، عاوزين ايه مننا، ده احنا قافلين علينا  
بابنا و....

هتف مقاطعًا بجدية مفرطة:

-المثل يقول الباب اللي يجيلك منه الريح سده واستريح، وأنا عرضت عليك  
عرضي وهاسيبك كام يوم تفكري، ويا ريت تحسبها صح وتدوري على  
مصلحة بنتك!!!

حدقت فيه بصدمة واضحة. فقساوة الحياة لم تتركها ينعمان بالهدوء لبرهة.. وها  
قد بدأت دوامتها.

لم يصف المزيد، ونهض واقفًا من مقعده، وابتسم لها بود مصطنع قائلاً:  
-هاستنى منك رد قريب، سلام يا مرات المرحوم الغالي!

تصلبت في مكانها ولم تتمكن من تحريك حتى عجلتي مقعدها لتودعه.  
أيقنت أنها لن تستطيع مجابهة كل شيء بمفردها، شعرت بقلة حيلتها، أخفضت  
نظراتها نحو ساقها العاجزين ولم تمنع نفسها من الانخراط في البكاء حسرة على  
حالتها وحياتها القادمة.

.....

انتهت جلسة المصالحة العرفية بين عائلي حرب وأبو النجا على دفع مبلغ مالي  
ضخم كتعويض عن تصرف سليل عائلة أبو النجا الأهوج، ولضمان عدم تكراره  
لتلك الفعلة الطائشة.

هي مصالحة ودية في ظاهرها، لكنها جلسة تأديبية في باطنها.  
طراً وبال كبير عائلة أبو النجا أن يستغل الفرصة لصالحه، ويضع حداً للنزاعات  
القائمة بين الأبناء، فاقترح بلا تردد أن تتشارك العائلتين في عمل يجمعهما  
سويًا، وهتف مُصرًا على تنفيذه:

دي فرصة نكون إيد واحدة وننسى اللي فات!!!

لم يلقَ الاقتراح ترحيباً إلا من الحاج طه، فهو أعلم الناس بما يدور في خلد  
ولديه خاصة " دياب "، كذلك لا يريد الزح بهما في مغبة المشاجرات  
والمشاحنات العنيفة التي كادت تودي بحياتهما.  
فكر هو ملياً لبعض الوقت قبل أن ينطق بجديّة:  
-وليه لأ؟

تهللت أسارير مهدي، وبرقت عيناه لتصرّحه الجدي، ثم هتف بحماس:  
-يعني انت موافق يا حاج طه على الشراكة دي؟

ظل صامتاً للحظة قبل أن يرد بصرامة وكأنه أمر واجب النفاذ:  
طبعا، المفروض كان يتعمل من زمان!!!

ثم وجه أنظاره إلى ابنيه اللذين بديا على تعابيرهما المفاجأة والذهول.

تساءل طه بتوجس قليل وهو يتفرس في أوجه الشباب المتقد أمامه:  
-وأنتو يا ولاد رأيكم ايه؟

حدق طه في ابنيه، وهتف بصلاية:

ها؟ مش سامعلكم حس

تجمدت نظرات مندر على وجه أبيه، ورد بإيجاز مقتضب:

اللي تشوفه يا حاج!

في حين لم يجد دياب بنظراته الشرسة عن مازن، وهتف من بين أسنانه  
بهدهوء:

اعمل الصالح يا أبا!

تساءل طه على عجالة وهو يسلط أنظاره على ابنه مازن قائلاً:

وانت يا مازن؟ رأيك ايه؟

أجابه الأخير بابتسامة لثيمة:

مافيش بعد قولك كلام يا كبيرنا!!

ثم غمز لدياب بطرف عينه متعمداً إغاضته، وقد نجح في هذا، وجاهد هو للحفاظ على ثباته حتى لا ينفجر فيه.

زادت حماسة الحاج مهدي لتلك الشراكة القادمة، وهتف متحفزاً:  
على بركة الله، وأنا عندي فكرة المشروع!

تم الاتفاق بينهما على فتح أكبر مطعم مأكولات بحرية بالمنطقة القاطنين بها في البناية القديمة المتواجدة في مدخل حارتهم والمملوك أكثر من نصفها لعائلة حرب.

كما سيتولى " منذر " الإدارة كاملة، وستؤول ثلاثة أرباع الأرباح الخاصة بالسنة الأولى لعائلته، والربع الأخير المتبقي لعائلة أبو النجا على أن يتم تقاسم الأرباح مناصفة من العام الثاني.

بامتعاض كبير وافق دياب على هذا الاتفاق، وبسخط جلي قبل مازن بشروطه المجحفة من وجهة نظره، فعائلته لن تستفيد شيئاً إلا بعد فترة طويلة. هذا هو الظاهر للعيان " المصالحة السلمية " .. لكن ستظل الكراهية والعداوة قائمة بين قطبي العائلتين بسبب روااسب الماضي.

النظرات العدائية بين الجميع لم تتوقف للحظة رغم الصمت المشحون بالحدق والرغبة في الانتقام.....



تجمدت نظرات منذر على تجاعيد وجه أبيه، ومر بباله شريط ذكرياته  
المليء بالكثير.

هو تزوج زواجاً تقليدياً بناءً على أمر والده، ورضخ لطلبه دون مناقشة آن  
ذاك.

لكن تعذر عليه هو وزوجته " راضية " الإنجاب.. رغم عدم وجود أي موانع  
تحول دون حدوثه، لكن لكثرة الخلافات بينهما وعدم استقرار الأوضاع  
انعكست بالسلب عليهما.

لم ينس تلك المشاجرة المحتدة التي اندلعت بينهما، وصراخه فيها:  
ده انتي تجنني العاقل، قرفت منك ومن خناقك كل يوم

استشاطت نظرات راضية، وهدرت فيه بصوتها المتشنج مشيرة بكفها في  
وجهه:

إنت اللي مش عاوز تخلف مني!

لوح بذراعه عاليًا وردد بغضب:  
-وأنا يا يدي ايه، ماهو كله بأمر الله!

كزت على أسنانها لتضيف بمرارة:  
-انت عمرك ما حبتني، اتجوزتني مصلحة والسلام!

هي كانت مصيبة في هذا، فهو لم يكن لها أي مشاعر من قبل، وحاول جاهداً أن يجعلها سكناه، لكنها كانت بطريقتها العصبية تثور فيه وتهدم أي محاولة للإصلاح.

وقبل أن يرد عليها تابعت بصراخ:  
-لأ وكل ما أجيبك سيرة الخلفة تهب فيا كده!

نفخ بنفاذ صبر، ونظر لها شزرًا، ثم تتم بتأفف:  
-أعودو بالله منك، أنا كرهت الأعدة معاكي يا شيخة!

أولها ظهره، وتحرك مبتعداً عنها، فركضت خلفه، وأمسكت به من ذراعه  
ساعة إياه:

-استنى رايح فين؟

أبعد قبضتها عنه، ورد عليها بانفعال:

-رايح في داهية، أوعي!!!

رمقته بنظرات مغلولة، وظلت تغمغم بكلمات متعصبة تعمدت فيها الإساءة  
إليه بعد رحيله...

ومن وقتها انغمس منذر في عمله أكثر ليبتعد عن شجارها المحتد معه، وانشغلت  
هي في البحث عن الحلول الطبية العاجلة لتمكن من الإنجاب.

.....

ابتسم الحاج مهدي ابتسامة متكلفة وهو يتفرس في وجه دياب الجالس  
قبالته، وجاب بخطره تلك المحادثة التهديدية التي دارت مع السيدة " شادية  
" في منزله.

حرق فيها بنظرات نارية يحذرنا بغلظة:  
-انتي كده بتلعي بالنار يا شادية، وهتجرينا معاك ليها

ردت عليه بقسوة:

-النار دي كلنا فيها من زمان، والمصالح بتحكم!

تأفف من أسلوبها الغير مكترث، ورد بعدم اهتمام:

-وأنا مش عاوز وجع قلب!

صاحت فيه بقوة مهددة إياه:

-ابنك اللي دخل بنتي ولاء في السكة دي، يبقى لازم تتصرف وإلا.....

هو مدرك أن شادية متهورة، بل ربما ترتكب الجرائم لمطامعها الخاصة، وابنتها  
ما هي إلا نسخة مصغرة منها، لذا قاطعها متسائلاً بقلق قليل:

-والا إيه؟

أجابته بجمود مخيف:

-والا هايعرف أعمامها باللي مازن خططلاه، وساعتها هما اللي هايصرفوا، وانت  
عارف دمهم حامي ازاي ومش هيسيدوا حد ينهش في لحمهم ويسكتوا! ففكر  
كويس يا حاج مهدي!!

نظر لها متوجسًا بعد أن صمت ليفكر بتعقل في تهديدها الصريح لاعناً تلك  
القراة التي جمعتهما معًا..

.....

عاد دياب بذكرته إلى تلك السنة النهائية بكليته، حيث كان يقضي أغلب  
أوقاته برفقة مازن ورفاقه.

احتل وقتها الصدارة في كل شيء، وكانت سمعة وسيرة عائلته تسبقه إلى أي  
مكان يلج إليه فتفتح له الأبواب المغلقة على مصرعيها. بينما كان مازن موضعاً  
على الهامش، ودائماً يقارن معه، هو مصدر الضيق والمتاعب لعائلته، بينما  
دياب مصدر الفخر والرجولة لهم.

أثار هذا حنقه ضده، وضمير في صدره مشاعر مغلوطة نحوه.

وقرر أن يكيد له ليديم سمعته، ويلطخها بالوحل.

و ذات يوم تعمدت إحدى الصديقات المشتركة بين مازن ودياب الدفع برفقتها المقربة لتتعرف عليهما، ومن هنا فتحت أبواب الجحيم على دياب..

ولاء.. تلك الشابة المغترة بنفسها، والواثقة في قدراتها على الإيقاع بالرجل المناسب. تمكنت بحرفية تامة من استدراج دياب وإيقاعه في شباك غرامها. استغرقتها الأمر وقتاً، لكنها حازت على ما تريد في نهاية المطاف.

وهو رغم خبرته في عالم النساء العابثات ونصائحه الدائمة لرفاقه بتوخي الحذر من مكرهن، إلا أنه لم يتخذ حذره معها واطمأن لها بعد تحريه عنها ومعرفته بكونها قريبة عائلة أبو النجا، كما كان رفيقه مازن دائم الشكر فيها وفي سيرتها الطيبة، وبالتالي لم يرتاب من الأمر.

لم يهتم بها في البداية، لكن رويداً رويداً اتجه لمتابعتها، وبدأ يحسب الأمر من زاوية مختلفة حينما لفت مازن أنظاره إليها.

اتخذ هو المسألة كتحدٍ حينما وضع في المقارنة مع غريمه الذي أوهمه بأنه سينالها في النهاية.

تكالب الاثنان عليها.. وتسابقا في إرضائها، لكن ما لم يكن دياب على علم به أن الأمر مرتب له، وموضوع برهان مسبق لإذلاله وكسر هيئته الزائفة أمام الجميع، والإيقاع به في المحذور لتدميره والتخلص منه.

سقط كفريسة سائغة أمام سحرها المفتن، وأوهمتها أنها تعشقه حتى النخاع،  
متيمة بكل ما يخصه، فأشعرتة برجولته وتفوقه على الجميع.

أراد أبويه وقتها تزويجه بمن تناسبه عقب تخرجه خاصة بعد زواج أخيه الأكبر  
منذر، وهو لم يكن راغباً في الارتباط بمن لا يعرفها، أو يكرر تجربة أخيه،  
ففكر في أن يقترن بها، وبالطبع لن يواجه رفضاً من قبل عائلته إن تقدم  
لخطبتها، والأكيد هي سمعتها الطيبة، لكن كل ذلك مجرد قناع زائف لأمر  
أخطر من هذا.

هي في الأخير شابة مادية بحتة، باحثة عن مصلحتها أولاً، بغض النظر عن  
توابع ما تفعله غيرها، المهم نفسها فقط وأبداً طالما ستجني الاستفادة القصوى  
من وراء ذلك..

أسلمت له نفسها، وانغمسا في المحرمات سوياً، لكن تطور الأمر لاكتشاف  
علاقتها المحرمة سوياً وافتضاح أمره أمام أفراد عائلته..  
انقلبت الطاولة على رأسه، وأصبح هو الجاني المجرم - صاحب السمعة  
السيئة - في نظر الجميع الذي أوقعها في حباله.

وسريعاً تحولت المسألة لتهديدات علنية بالقتل من أجل الشرف، فاضطر أباه  
أن يلتمس شتات الأمور قبل أن تتفاقم أكثر ويخسر حياة ولده في المقابل، لذلك  
أجبره على إكمال الزيجة حفاظاً على حياته، ومنعاً للفضائح التي ستدمر سمعة  
العائلة للأبد...

.....

اكتشف حقيقة أمرها بعد عقد قرانه بها في جلسة شبابية بأحد المقاهي حينما  
أبلغه أحد رفاقه قائلاً:

أنا مش عاوزك تهور لما تسمع اللي عرفته

تجمدت تعابير وجه دياب، وضافت نظراته نحوه، ثم هدر فيه بعصبية خفيفة:  
ما تنطق وتقول في ايه

ابتلع رقيقه ريقه بصعوبة، وأجابه بجزر جاد:

هي.. هي حاجة تخص ولاء!

اشتعلت نظرات دياب غضباً، وهدر فيه بعنف:



-اتلم، انت هاتجيب سيرة مراتي و....

قاطعہ رفيقہ بتوجس:

-... مقصدش، بس..... بس في حاجة عرفتها كده، ولازم انت كمان تعرفها

تحولت عيناه للإظلام، وسأله بجدة:

حاجة ايه؟ انطق

رد عليه بارتباك:

هي.. هي كانت بتشتغلك!

أكتسى وجهه بجمرة غاضبة، وأمسك به من تلايبه قائلاً بغل:

-نعم، انت اتجننت!!!

حاول رفيقه تخلص ياقته من قبضته القوية، ودافع عن نفسه قائلاً بفرع قليل:

-والله أبداً، بس ده اللي عرفته من مازن، هو كان عامل دماغ ومش في

وعيه وخطر بالكلام عنك!

أدرك دياب أن المكان غير مناسب للجدال، فقد كانت الأنظار محدقة بهما،  
لذا نهض عن مقعده، وجذبه من ذراعه قائلاً بصرامة:  
تعالى معايا

وبالفعل ابتعد الاثنان عن المقهى، واتخذوا زاوية نائية بعيدة عن أعين  
المتطفلين، ثم سأله بصوت قائم:  
احكي لي بالراحة

اضطربت نظرات رفيقه، ورد عليه بجذر متوجساً من ردة فعله العنيفة:  
-الي فهمته منه إنه كان متفق معاها توقعك عشان تحط راسك وراس  
عيلتك في الوحلة!

أمسك به مجدداً من عنقه، وكان على وشك الفتك به.  
صاح به بصوت غاضب من بين أسنانه:  
-خرس!

ارتجف هو من عصبته الزائدة، ورد بتلثم:

مش كلاي، هو.. هو اللي قال كده!

جاهد دياب لضبط أعصابه ليفهم المسألة برمتها، وعرف طبيعة الخدعة التي سقط في فخها بسذاجة من سرده المقتضب.

.....

لاحقًا عاد إلى منزله ليحاسب زوجته ولاء على خداعها له مجددًا إياها بانفعال:

-بقي اتني تستغفليني؟

ردت عليه ببرود متعمدة النظر إليه بازدياء:

أنا مضحككش عليك، إنت اللي جريت من الأول ورايا وكنت طمعان فيا!

هدر فيها لاعنًا إياها بسباب لاذع:

-بقي واحدة زيك..... تتفق عليا مع الكلب ده؟

نظرت له شزراً وأجابته بعدم أكثرات لتشير حنقه أكثر متعمدة استفزازه:

-كله كان برضاك، أنا مغصبتكش!

رفع كف يده عاليًا في الهواء، وهوى به على وجهها ليصفعها قائلاً بغضب جم:

اه يا بنت ال.....

باغتها بصفعته، فصرخت متأهوه من الألم ووضعت يدها على وجتها  
تتحسسها بصدمة.

نظر لها باحتقار شديد، وأمسك بها من ذراعيها ليهزها بعنف ومهدداً بصوت  
عدائي:

لولا إنك حامل كنت قطعت جتتك نسائل ورميتها للكلاب ينهشوا فيها!!!

ردت عليها تتحداه بصوت مختنق:

مش هاتقدر عملي حاجة، عيلتي مش هاتسيبك!

صرخ فيها بعصبية جامحة غير مكترث بما قالته ومشيراً بسبابته:

هادفك اتتي وهما التمن!!!

.....

ومن وقتها تحول الأمر إلى عدا شرس بينهما، فلم يدخر دياب وسعه في تدمير كل ما له علاقة بمازن من قريب أو بعيد. ولاحقه في عمله، وأفسده عليه. ولم يتوقف الأخير عن الرد عليه بجنون.

حاول طه منع ابنه من جموحه المتهور حتى لا يودي بحياته بعد أن وصل الأمر في إحدى المرات لذروته، حيث تم تدبير حادث سير له أرقده الفراش لأسابيع طويلة، وتسبب في وفاة زوجة أخيه الأكبر التي كانت عائدة معه من زيارتها لطبيب النساء.

وقتها ساءت أحوال منذر كثيرًا، فقد خسر زوجته، وتعهد بالانتقام الشرس من جميع أفراد عائلة أبو النجا، وإذاقتهم من حجمه اللا محدود.

بدأ بابنهم البكري مجد.. فزح به في السجن عن طريق توريطه في قضية تهريب ورشوة جعلته يتلقى عقوبة تتجاوز العشر سنوات. واتجه لملاحقة الثاني بضراوة.

توسل حينها مهدي لطه بأن يوقف تلك الحرب الغير معلنة بين العائلتين مقابل أي شيء وإلا ستتحول المسألة لسلسال دم سيخسر فيها الاثنان جميع أولادهما للأبد.

فكر الأخير في المسألة من منظور جاد للغاية، فخصمه على حق، وأصبحت الأمور معقدة بصورة مخيفة ووصلت للقتل والفتك، لذا لا داعي لفقدان أي غالي من أجل حقيرة مخادعة.

.....

كما تدخلت النساء من الجانبين للضغط على رجال العائلتين واقناعهما بما فيه الصالح للجميع.

استعطفت جليلة زوجها طه قائلة:

-ولادي يا حاج! مش عاوزاها يموتوا كده قصاد عينينا!

رد عليها بجدة:

-شيفاني راضي باللي بيحصل

هتفت مستجدية إياه بصوت مختنق:

-امنعم، اتصرف، انت أبوهم وليك كلمة عليهم

رد عليها بضيق:

هاشوف! وربك يدبرها من عنده!

.....

في النهاية تدخل كبار العائلتين لحسم المعارك - حتى وإن ظلت توابعها قائمة  
حاليًا لكنهم منعوا الكثير- وتوقفت تلك الحرب بعد جلسة مصالحة كبيرة  
وضعت فيها عدة شروط حازمة لتضمن عدم تعرض الطرفين لأحدهما الآخر.

في تلك الأثناء أنجبت ولاء طفلاً، الحفيد الأول لعائلة حرب، فأسماه جده  
يحيى.

بالطبع كان بالنسبة لها ورقة اليانصيب الراجعة للضغط على العائلة للحصول  
على كل شيء ولضمان حمايتها من بطشهم.  
لكنه كان يمثل لأبيه الذكرى الدائمة لغيبائه وحاقيقته.

.....

أفاق دياب من شروده الموجه على صوت والده الصارم:

دياب، كلم المحامي عشان يجهز الأوراق والعقود!

التفت نحوه، ورد بصوت شبه هاديء:

حاضر!

بعدها انصرف الجميع و على وجوههم تعابير مختلفة لكن ما بالقلب يظل باقياً فيه.

.....

اختلى منذر بأبيه في الوكالة الخاصة بهم، واستطرد حديثه قائلاً بجدية:

في حاجة مهمة يا حاج انت مش واخذ بالك منها

رد عليه طه متسائلاً بفضول:

ايه هي؟

أجابه منذر بنبرة ثابتة:

في العمارة القديمة معانا شركا!

لم يفهم طه مقصده، فسأله مستفهياً:



-ودي فيها ايه؟

رد عليه ابنه بنبرة عقلانية:

يا حاج مش هانعرف نفتح المحلات على بعض، انت ناسي الدكان القديم  
المقفول!

قطب جبينه قليلاً، ثم وضع كفه على طرف ذقنه ليفركه قليلاً، وهتف  
متسائلاً:

-بتاع عواطف؟

أوما منذر برأسه بالإيجاب مردداً:

-ايوه، موجود في الوسط، وعشان ندي وسع للمكان لازم نضم الدكان بتاعها  
لينا!

جاب طه أرجاء الوكالة بخطوات مترتبة مضيئاً بهدوء:

-ها، يبقى محتاجين نعمل زيارة ليها

أضف منذر بحسم وهو مسلط أنظاره على ظهر أبيه:

-الأهم نفعها تبعنا نصيبها

التفت طه ناحيته، ورد مبتسماً بثقة:

دي أمرها سهل!

.....

اضطرت أسيف أن توقع إلى جوار والدتها ببيع نصيبها في ورثها في الأرض  
الزراعية المملوكة لأبيها، وسلمها الحاج فتحي المبلغ المتفق عليه قائلاً بابتسامة  
عريضة:

مبروك عليكم البيعة!

نظرت له أسيف شزراً، فلولا حالة والدتها الصحية - والتي تعد ميئوساً منها  
- وتدهورها مؤخراً، بالإضافة إلى حاجتها إلى سيولة مادية للإنفاق عليها  
ورعايتها لما وافقت أبداً عن التخلي عن أرضها.

عدي فلوسك يا ست حنان وإتاكدي منها!

هتف بتلك العبارة ليخرجها من تحديقها المغلول به، بينما ردت عليه والدتها  
بصوت محبط:

-ما فيش داعي!

زادت ابتسامته اتساعاً وهو يضيف:

-ربنا يباركلنا جميعاً، وأهو كله رزق من المولى!

لم تقنع أسيف بقناع الورع الزائف الذي يضعه على وجهه، ونهضت من أمامه  
مرددة بوقاحة:

-شرفتنا يا خال!

نظر لها بحدة، بعد أن تبدلت تعابير وجهه للتجهم بسبب أسلوبها الفظ معه،  
وقطم حديثه قائلاً:

خوتكوا بالعافية!

عابتها والدتها قائلة بصوت منهك:

ليه كده يا بنتي؟

ردت عليها بنبرة مغتظة وهي تشير بيدها:  
-كفاية كذب وفاق يا ماما، أنا مش قادرة أستحمل!

طأطأت حنان رأسها للأسفل مرددة بجزن:  
-معلش، ربنا موجود، ومش بينسى عبيده!  
-ونعم بالله

صمتت هي للحظة متأملة حال والدتها، ثم هتفت فجأة بجدية شديدة:  
-ماما!

انتبهت لها حنان، ورفعت أنظارها نحوها قائلة بتنهيده:  
-ايوه

اقتربت من والدتها، وجثت على ركبتيها أمامها، ثم هتفت بجدية:  
-احنا بالفلوس دي هنشوف علاج كويس ليكي!

تهدل كتفي حنان، وردت بنبرة فاترة:  
يا بنتي مالوش لازمة، أنا راضية بنصبي وبقضاء ربنا!

وضعت أسيف كفيها على ساقى والدتها، وألحت قائلة بنبرة عازمة:  
بس ربنا قال اسعوا وخذوا بالأسباب، وأنا مش هاتفرح عليكى لحد... لحد  
ما....

تعذر عليها إكمال جملتها، فهي تخشى خسارة نبع الأمومة والحنان كأيها..  
ابتسمت لها والدتها بود، ومسحت على وجتها برفق قائلة بهدوء حزين:  
ماتكليس، ده مقدر ومكتوب!

ابتلعت أسيف غصة مريرة في حلقها، وأخذت نفسًا عميقًا لتضبط به إنفعالاتها  
وتخفي ضعفها قبل أن تنهار بأكية فتزيد من الأمر سوءاً، ثم أخرجته ببطء،  
وهتفت بابتسامة متحمسة:

أنا هادور على مستشفى كويسة جايز يكون في أمل!

ردت عليها والدتها بإحباط:

ماتتعبيش نفسك، وتضيعي الفلوس دي على الفاضي، سببها تنفك في  
جوازك!

هزت رأسها مستنكرة تفكير والدتها المنحصر في أمور تقليدية، وأصرت على  
موقفها قائلة:

مافيش أغلى عندي منك يا ماما، إن شاء الله كل حاجة تروح بس أشوفك  
قدامي كويسة وبخير!

ضمت والدتها وجه ابنتها بكفيها، ورمقتها بنظرات حانية، ثم همست لها:  
-ربنا يباركلي فيكي يا بنتي، ويعوضك خير!

.....

كانت تتحرك بخطوات شبه متعجلة بعد أن أنهت عملها في تلك المدرسة  
الحكومية التي تعج بعشرات الطلاب المزعجين.

بالطبع اليوم كان مرهقاً لها، ومليئاً بالمشاحنات والمضايقات لذلك لم تنتبه هي  
إلى صاحب محل الجزارة الذي كان يقذف بالمياه على الرصيف الخاص به،

فابتل طرف ثوبها، فتحولت نظراتها للعدائية، والتفتت إليه لتشتبك معه قائلة  
بشراسة:

-ماتفتح يا أخي، هو أنت اتعميت في نظرك!

تقوس فم الجزار بابتسامة متشفية وهو يجيها غير مكترث يأتساخ ثوبها  
ليستفزها أكثر:

-لا مؤاخذه يا ست الأبله

ردت عليه بجدة وقد برزت مقلتها الحمراء:

-اسمي مس بسمة، مش أبله!

التوى ثغره بابتسامة ساخرة، ورد عليها بتهكم:

-يعني غلطت في البخاري!

تجهم وجهها أكثر، واصطبغت بشرتها البيضاء بحمرة غاضبة، ثم هدرت فيه  
بصوت مرتفع ومتشنج:

-لأ بقی، إنت كده بتقل أدبك عليا، وأنا ممكن أركبك جناية وأنا واقفة هنا!

بدأ المارة في التجمع على إثر صوتها العالي، وتابعوا بفضول ما يدور من مشاجرات شبه يومية بين ابنة السيدة عواطف، وذلك الجزار السمج.

رد هو عليها بحنق:

حطب وليه الأذية دي من الأول!

صاحت فيه بغیظ وقد ارتفع حاجباها للأعلى:

ما هو انت اللي اتغايت عليا، وأنا لو الجنونة ركبتي ها...

في تلك اللحظة هتفت والدتها بصوت شبه أمر وهي تطل من شرفة منزلها:

بسمّة، اطلعي!

لوح الجزار بيده في الهواء مرحباً بثقل:

مساءك فل يا ست عواطف!



رمقته بسمة بنظرات نارية مستنكرة أسلوبه الاستفزازي، وردت على والدتها  
بانفعال:

-استني يا ماما، أما أربي الأشكال الضالة دي الأول

أغاضه ردها الوح، وتمم مصدومًا:  
-الله! الله!

هدرت والدتها بنفاذ صبر:  
يا بنتي هو كل يوم خناقة مع الناس؟!!!

ردت عليها بسمة بجدة:  
هو أنا اللي بأجر شكلكم من الباب للطاق؟!!!

أشارت لها بيدها قائلة بقوة:  
طب اطلعي ربنا يهديكي

حدجت بسمة الجزار بنظرات احتقارية قبل أن تضيف بسخط:

ناس عاوزة الحرق، اتفووو!

ثم تعمدت تصنع البصق أمامه كتعبير عن نفورها منه واشمئزازها من شخصه،  
فاستشاط غضباً أكثر، وكبح بصعوبة التناول عليها، وغمغم مع نفسه بحنق:

يا ساتر يا رب، بت الله أكبر عليها، عاوزة حش

وسطها.....!!!!

.....

## الفصل الثالث:

وقفت السيدة عواطف على عتبة باب منزلها تترقب صعود ابنتها الصغرى  
بضيق كبير.

تهدت يانزعاج من أسلوبها الحاد واللادع مع أغلب الجيران، وشجارها الغير متناهي مع من يفكر في اعتراض طريقها حتى باتت معروفة بالمعلمة المشاغبة والذي يتناقض مع طبيعتها الهادئة.

صعدت بسمة الدرج وهي تهج بصوت شبه مسموع متممة بكلمات غاضبة. حركت عواطف رأسها مستنكرة ما تسمعه، وردت قائلة:  
خلاص يا بسمة، كفاية كده

وصلت هي إلى الطابق المتواجد به المنزل، وردت عليها بسخط:  
والله الناس دي ما ينفع معاهم إلا قلة الأدب وطولة اللسان، غير كده هيركبونا ويدلوا

ردت عليها عواطف بضجر مفسحة لها المجال لتمر للداخل:  
طول عمري في حالي يا بنتي، لازمتها إيه الفضايح دي كل شوية!

ولجت بسمة إلى داخل المنزل، وأوصدت الباب خلفها.  
نزعت عنها حجاب رأسها ليظهر من أسفله شعرها العجري الأسود، فنفضته بحركة لا إرداية، وهتفت ممتعضة:

ما أنا كنت كيوت يا ماما لحد ثانوي!

ردت عليها والدتها متسائلة بتأفف:

-وايه اللي شقبت حالك كده؟

تجمدت نظرات بسمة لوهلة، وتحرك بؤبؤي عينها البنيتين بحركة عصبية متذكّرة ما حدث مسبقاً معها من شجار عنيف مع زميلاتها في المرحلة الثانوية وتلك المهانة التي تلقّتها آنذاك.

ابتلعت غصة مريرة في حلقها، وصاحت بتشنج:

-نسيّتي العلقة والبهدة اللي خدتها من البنات في المدرسة، وعملوني مسخرتهم، من بعدها حلفت ما هاكون ضعيفة تاني، ومش هاسكت لحد!

استنكرت والدتها تفكيرها المحدود، وعاتبها قائلة بتردد:

-الناس هتاخذ فكرة إنك.....

قاطعها بسمة قبل أن تكمل جملتها للنهاية قائلة بسخط:

ما تقوليها يا ماما، شلق (باحثة عن المتاعب)!

وضعت عواطف يدها على كتف ابنتها، وضغطت عليه قليلاً قائلة بتنهيذة متعبة:

-أنا.. أنا مش عاوزة حالك يقف وربنا يعدلهاك!

حركت بسمة حاجبها وهي ترد بثقة:

-إن شاء الله هاتعدل، بس بعيد عن المكان الـ..... ده!!

زفرت عواطف مستاءة من تصرفاتها، ورددت بضيق:

-لا حول ولا قوة إلا بالله، خفي الشتائم شوية!

حلت بسمة أزرار كزبتها قائلة بعدم اكتراث:

-سيك اتي منهم وقوليلي طابخة ايه على الغدا؟

أجابتها والدتها بهدوء:

عاملة نابت

التوى ثغرها بتأفف ظاهر عليه، وردت بقرف:  
-بييه! ما فيش طبيخ ولا فراخ ولا حتى خضار أورد يحي يقويني، ده أنا  
بأشقى يا ناس!

أوضحت عواطف سبب عدم طهيها اليوم معللة:  
-الأنوبة فضيت، فملحتش غيرها!

تهدل كتفي بسمة للأسفل، ورددت مستسلمة:  
ماشي، هاعمل ايه، أمري لله!

ابتسمت لها والدتها بود وهي تضيف:  
طيب خشي اتشطفي وغيري هدومك وأنا هاجمز السفرة  
طيب!

تحركت بسمة في اتجاه المرحاض لتبدل ثيابها وتغتسل بعد عناء هذا اليوم  
المجهد، وسارت عواطف نحو المطبخ لتعد الطاولة، لكنها تسمرت في مكانها  
حينما سمعت قرعًا على الباب.

التفتت برأسها نحوه، وتحركت بخطوات متمهلة في اتجاهه لتفتحه.

تفاجأت بوجود الحاج طه وابنه البكري منذر على عتبته.

تنحت للجانب قليلاً مرحة بهما بألفة:

يا أهلاً وسهلاً يا حاج!

هتف طه قائلاً بجدية وهو منخفض أنظاره:

سلامو عليكم يا عواطف!

ردت عليه بإبتسامتها الطيبة:

وعليكم السلام يا حاج طه، اتفضل

ثم تحركت للداخل لتفسح لهما المجال للولوج إلى صالة منزلها القديم.

رد عليها طه بدون تكلف وهو يضرب الأرضية الخشبية بعكازه:

تشكري!

ثم أضاف بجدية وهو يلوح بذراعه:

معلش اعزينا جينالك من غير ميعاد!

هتفت معابة إياه بجزر:

عيب تقول كده يا حاج، ده البيت بيتك، تجي في أي وقت!

ابتسم قائلاً باختصار:

تسلمي!

التفت طه برأسه نحو ابنه ليأمره بصوت خافت:

تعالى يا منذر

لحق هو بأبيه متنحنحاً بصوت قوي:

احم.. يا رب يا ساتر!

هتفت عواطف قائلة بصوت مرتفع نسبياً وهي تسبقها في خطواتها:

اتفضلوا في أوضة المسافرين!



فتحت هي باب غرفة استقبال الضيوف على مصراعها، وأضاءت الإنارة بها.  
استدارت بجسدها نحوها، وأشارت لهما بالجلوس على الآرائك القديمة هاتفة  
بجماس:

ثانية واحدة هعلق على الشاي وآ....

قاطعها طه بجدية وقد تصلبت تعابير وجهه:  
-لأ مالوش لازمة، احنا جاينين في كلمتين على السريع!

نظرت له متوجسة، وارتعدت قليلاً من الجدية الظاهرة في نبرته، وتساءلت  
بتوتر:

خير يا حاج قلقنتي؟

رد عليها بهدوء حذر وقد استند بمرفقيه على رأس عكازه:

اطمني يا عواطف ما فيش حاجة!

جلست على طرف الأريكة في مقابلتها، وتفرست في ملاحظتها بقلق..

انتبهت هي إلى صوت مندر وهو يستطرد حديثه قائلاً بصوت خشن:  
شوفي يا خالتي، من غير ما نضيع وقت، احنا عاوزين الدكان بتاعك!

عقدت ما بين حاجبها مرددة بإستغراب:  
-الدكان؟!

مال مندر بجسده للأمام نحوه، وهدق مباشرة في عينيها بنظرات ثابتة،  
وهتف بصوت جاد:

-ايوه، لازمنا وعاوزين نشتره!

ازدردت ريقها بحيرة، وشردت تفكر للحظة في صك ملكية ذلك المحل القديم  
الذي بحوزتها.

راقب طه وابنه صمتها المريب بتعجب.

هتفت هي فجأة معترضة

بس أصل الحكاية....

رفع منذر كف يده في وجهها قائلاً بجدية مجبراً إياها على التوقف عن اتمام  
جملتها :

-اطمني، هاندفعلك فيه عربون كويس أوي!

حركت رأسها معترضة على حصر مسألة بيع المحل في كونها مادية، وردت  
قائلة:

-مش كده يا سي منذر، بس هو....

تدخل طه في الحوار، وهتف بصرامة:  
-بصيلي يا عواطف!

وجهت أنظارها نحوه، وأصفت لحديثه القائل:  
أنا هاحاسبك بسعر اليومين دول، وهاديكي خلو رجل مناسب يعيشك إتني  
وبناتك مستورين!

تهتت يارهاق، وردت عليه بصوت شبه مضطرب:  
يا حاج طه الموضوع مش فلوس والله، بس الدكان ده مش بتاعي لوحدي!

تفاجيء الاثنان من ردها، وتبادلا نظرات شبه مصدومة.

ردد منذر بتعجب وقد عبست ملامحه:

-نعم، قصدك ايه بالضبط؟

عاودت النظر في اتجاهه، وأوضحت قائلة:

-أنا.. أنا أخويا رياض شريك فيه!

وكان تلك الكلمة جديدة على مسامعه، فهتف مستغرباً:

-أخوكي

هزت رأسها بالإيجاب قائلة:

-ايوه، شقيقي من أبويا! ليه نصيب فيه!

تساءل منذر مستفهماً:

-أها، طب وأخوكي ده أراضيه فين؟

ردت بصوت خفيض وهي ترمش بعينيها:

-أنا أخباره عني مقطوعة يجيلها زمن!

سألها يالحاح وقد بدأت تتشجع عروقه:

طب ما فيش طريقة تعرفي توصيله بيها؟

حكمت مقدمة رأسها بإصبعيها، وعدلت من وضعية حجابها القماشي القديم،  
وأجابته قائلة:

هو.. هو باين كان سايلي رقم تلافون كده!

هتف بتعجل مشيراً بعينه:

طيب كلميه وشوفي نظامه ايه!

ضغطت على شفيتها قائلة بارتباك:

هو.. هو احنا شبه مقاطعين بعض!

زفر منذر بنفاز صبر قائلاً:

-أنا ماليش في الحوارات دي كلها

أضاف أباه طه قائلاً بجدية بعد أن رأى العصبية ظاهره على تعابير ابنه:  
-شوفي يا عواطف، أنا مايمنيش الرغي ده كله، من الآخر كده أنا لازمني  
الدكان!

هزت رأسها متفهمة وهي ترد:

حاضر يا حاج طه، أنا هاتصرف

ابتسم قائلاً بثقة:

-متفقين، ووقت ما توصلي لحاجة كلميني!

ردت عليه بصوت خفيض:

-بأمر الله

نهض الحاج طه من مقعده قائلاً بحزم:

يا لا يا منذر

هب ابنه من مكانه منفذاً لأمره ومردداً بصوت رخيم:

حاضر يا حاج

وقفت عواطف هي الأخرى على ساقها، ورددت مجاملة:

ما لسه بدري، ده أنا ملحقتش أعمل معاكو الواجب

أشار لها بعكازه قائلاً باقتضاب:

وقت تاني، سلامو عليكم!

تحركت هي خلفها وهي تودعها بابتسامة أليفة:

وعليكم السلام، في رعاية الله!

أغلقت الباب بعد انصرافها، واستدارت عائدة إلى المطبخ.

خرجت بسمة من المرحاض متسائلة بفضول:

خير يا ماما، في ايه؟

ردت عليها أمها بفتور:

ده الحاج طه وابنه مندر!

لحقت هي بوالدتها داخل المطبخ، وجابت بأنظارها المكان بنظرات سريعة  
وشمولية باحثة عن الطعام ومتسائلة باهتمام:

مالهم، جاينن ليه؟

أجابتها بضيق خفي:

عاوزين يشتروا الدكان القديم

هتفت بسمة بحماس وهي تقطم قطعة من ثمرة الخيار بفمها:

يا ريت، ده حتى وجوده زي عدمه، وأدينا نطلع منه بقرشين نستفيد بيهم!

ربنا يبسر

قالتها عواطف وهي ترص الصحون الفارغة فوق الطاولة



أحت بسمة عليها مشجعة إياها على المضي قدماً في عملية البيع تلك:

-واقفي يا ماما، بدل ما احنا واقعين على الآخر!

التفتت عواطف نحو ابنتها لتضيف:

هو أنا ممانعة، الرك بس على أخويا رياض!

ضيقت بسمة نظراتها باهتمام، وهتفت متعجبة:

-عمي رياض، ياه بقالي زمن ماسمعتش اسمه!

ثم تقوس فمها للتابع بتهكم:

هو احنا نعرفله مطرح أصلاً، ده أنا لا عمري شوفته ولا أعرف عنه حاجة

غير من كلامك القليل عنه!

أوضحت لها عواطف سبب تلك القطيعة الطويلة قائلة بأسف:

- حبال الود بينا مكاتش أد كده!

حكّت بسمة فروة رأسها متسائلة باهتمام:

أها، يعني كان في مشاكل بينكم؟

ردت عليها أمها بتنهيده مطولة:

-تراكات يا بنتي! بسبب أمي وعميلها و.....

قاطعتها بسمة غير مكترثة بجديتها القديم عن الخلافات الأسرية في عائلتها  
مرددة:

-بصي أنا مش فارق معايا ده كله، المهم إنك تبقي الخرابة دي وخلص!

ردت عليها عواطف بجدية:

-ما أهو أنا عشان أعرف أبيع لازم يوافق رياض

نفخت بسمة قاتلة بضيق:

-يووه يا ماما، أنا دماغني مش مركزة معاك، اعلمي اللي اتني عاوزاه، بس

هاتلي أكل الأول

.....

خطى منذر نحو الوكالة بخطوات متمهلة إلى جوار أبيه متسائلاً بقلق:

-تفتكر البيعة هاتكمل؟ باين فيها عوا ( متاعب )!!

رد عليه طه بنبرة رزينة:

-عواطف من يومها هبلة وعبطة ومضيعة حقها!

التفت منذر برأسه للجانب مضيفاً يأندهاش:

-بس أول مرة أعرف ان ليها أخ!

مط طه فمه للأمام، ورد عليه بهدوء:

-أنا عارف من زمان، تقريباً من وقت ما أمها دريت يان جوزها خورشيد

-متجوز عليها واحدة ثانية!

-ها

تابع مكملاً بتأفف:

-وطبعاً الدنيا قامت ومقعدتش، وشغل النسوان والكيد شعللها أكثر!

تساءل منذر بجدية وهو يشير بيده:  
طب خلاصة الليلة دي كلها ايه يا حاج طه؟

أجابه بصوت حازم:  
هي هتتصرف، احنا مالناش فيه!  
-ماشي

ثم أشار لابنه بسبابته محذراً:  
-وانت نبه على أخوك يهدى كده وبلاش شغل اللبش مع ابن أبو النجا

لوى فمه للجانب قائلاً بإيجاز:  
-ربنا يسهل!

.....

جلست أسيف على مقعد أبيها الوثير الموجود في مكتبه بالمنزل متأملة الغرفة  
بعد رحيله.

حافظت هي على نظافتها وترتيب كل شيء بها كأنه سيعود لاستخدامها في يوم ما..

مدت أناملها لتلمس قلمه الحبري وأوراقه بجذر شديد.

تسابت عبراتها في النزول متأثرة من ذلك الفراغ الكبير الذي أحدثه في حياتها.

تحركت أنظارها تدريجياً للأمام حتى وقعت على صورته، فتأملها في صمت وقلبا يعتصر آلاماً عليه.

مسحت دموعها بمنشفتها الورقية المهترئة، وهمست بصوت مبجوح:

-وحشتني أوي يا بابا!

أمسكت بالإطار الخشبي الذي يحتضن صورته الفوتغرافية، وضمته إلى صدرها بكفيها، وأجهشت بالبكاء الحزين.

راقبتها والدتها من على بعض وقلبا مفطور على حالها، وتهدت محدثة نفسها بأسى:

-ربنا يهون عليكى وعليا!

أخرجت تأوهة حارقة من صدرها وهي تستدير بمقعدها المتحرك للخلف  
لتركها منفردة بنفسها.

.....

أسند النادل كوب المثلجات البارد على الطاولة أمام ذلك الصغير الذي صفق  
بجماس لرؤيته إياه.

ابتسم دياب لابنه، وهتف قائلاً:

كل يا يحيى!

تناول الصغير ملعقته، وغرسها في الكوب مردداً ببراءة:

حاضر

مسد دياب على شعر رأسه برقة مبتسماً له بجنية.

ورغم شعوره بالبغض والحق نحو أمه إلا أنه أخرج ابنه من حساباته معها،

فذلك الصغير لا ذنب له فيما حدث.

وعلى عكس صفات والدته الدينئة إلا أن يحيى يحمل قلباً طيباً وأخلاقاً كيسية

بالرغم من صغر سنه الذي لا يتجاوز الست سنوات.

رن هاتفه برقمها البغيض، فأشاح بوجهه الممتعض للجانب، وأطلق سبة خفية  
مهيئاً إياها بشدة.

التفت نحو ابنه مجدداً، وهمس له:

خلص يا حبيبي عشان أمك جاية

ماشي

قالها الصغير وهو يلوك قطعة المثلجات في فمه.

ابتلعها بصعوبة بسبب برودتها، وأضاف متحمساً:

بابا، أنا هاروح تمرين السباحة، هاتيحي تشوفني؟

رد عليه بتكلف:

إن شاء الله

أضاف الصغير يحيي بسعادة:

ماما جابتلي مايوه جامد أوي

ظهر النفور المزوج بالازدراء على دياب، وتمم من بين أسنانه بسخط  
خافت:

-تقولش جابته من أبعدية أبوها، ماهو من فلوسي!

تساءل يحيى بصوت مرتفع:

-بتقول ايه يا بابا؟

ابتسم قائلاً بتصنع:

-ولا حاجة، خلص أكل انت بس

حاضر

بعد عدة دقائق حضرت ولاء إلى المطعم وهي متأنقة كعادتها، مع فارق أنها  
ترتدي ثياباً فاضحة للغاية تكشف أكثر مما تستر، وتضع مساحيق التجميل  
بكميات زائدة.

نظر لها دياب باحتقار، ووضع نظارته الشمسية على وجهه ليخفي نظراته  
الساخطة نحوها.



شعور رهيب بالحنق والغضب بدأ في التسلسل داخل خلاياه بشراسة وهو يراها مقبلة عليه.

تعمدت هي التغنج بجسدها أمامه لتثير استفزازه أكثر، ولكنه تجاهلها بإشاحة وجهه للجانب..

وقفت قبالتة وهتفت بدلال:

هاي دياب! ازيك؟

رد عليها بنبرة متأففة ليشعرها بدونيتها:

خدي يحيي وامشي

جلست على المقعد الشاغر، ووضعت ساقاً فوق الأخرى مبتلعة إهانتة لها، وهتفت ببرود:

أنا كنت عاوزة اكلمك في مصاريف يحيي الأخيرة و...

قاطعها قائلاً باقتضاب وهو ينتفض من مقعده واقفاً:

انتي مش بيوصلك اللي اتفقنا عليه، مالكيش زيادة عن كده!

أنزلت ساقها لتقف هي الأخرى في مواجهته هاتفة بضيق:  
أنا مقولتش حاجة، بس الولد محتاج لبس جديد، كل القديم بتاعه صغر عليه  
وأنا....

قاطعها مشيراً بكف يده لتصمت وهو محقق في الفراغ متجنباً النظر إليها:  
هابعتك كام طقم جديد معاه المرة الجاية!

هزت رأسها بإيماءة خفيفة، وابتسمت قائلة بنعومة:  
اوكي، بس انت هاتعرف مقاسه و....

لم يهتم بمتابعة جملتها، بل دس يده في جيبه ليخرج بعض الأموال منها، وقذف  
المبلغ الخاص بثمن المثلجات وفنجان قهوته على الطاولة.

حدقت فيه بنظرات مشتعلة لتجاهله لها، وزاد من غيظها أكثر انصرافه  
مبتعداً دون إضافة المزيد وكأنها نكرة غير موجودة على الإطلاق...

ضغطت على شفيتها قائلة بحقد دون أن تحيد بنظراته المحتدة عنه:

ماشى يا دياب، بتسبني وتمشي، ماشى، مسيرك هاترجعلي تانى!

.....

بحثت عواطف في أوراقها القديمة الموضوعة بداخل الكومود الموجود بغرفة نومها عن أي شيء يخص أخيها رياض.

لم تجد شيئاً مفيداً بعد بعثرتها لهم على فراشها، فعظمها أوراق غير مهمة.

يئست هي من كثرة البحث، فجمعتهم سوياً لتضعهم في مكانهم، لكن لفت انتباهها تلك الورقة المطوية التي سقطت منها سهواً على الأرضية.

انحنت لتلتقطها، ثم فتحتها وهي تعتدل في جلستها.

حدقت فيها بنظرات متأنية، وتهللت أساريرها قليلاً حينما قرأت ما دون بها.

تنفست عواطف الصعداء، وهتفت لنفسها:

الحمد لله، لاقيت رقم تلافون أخويا!

تركت ما في يدها، ونهضت عن الفراش وهي ممسكة بالورقة الصفراء الصغيرة.

خرجت من الغرفة متجهة نحو الهاتف الأرضي وهي تتلهف شوقاً لمهاتفه أخيها.

ربما قد حانت الفرصة للتصافي معه والتقارب مجددًا بعد تلك القطيعة الطويلة.

وسيكون ( الدَّكَّان ) هو حجتها لهذا.

وضعت السّاعة على أذنها، وضغطت على الأزرار منتظرة بترقب إجابته عليها.  
ابتلعت ريقها بتوتر، وتسارعت أنفاسها نسيبًا، ثم بصوت مرتبك هتفت متلهفة  
حينما سمعت تلك الأنفاس الهادئة عبر الطرف الآخر:

ألو، رياض.....!!!

.....

## الفصل الرابع:

استمعت حنان إلى ذلك الصوت النسائي حينما رفعت السّاعة لتجيب على  
رنين الهاتف الأرضي المتواصل، فردت بهدوء على المتصلة:

أيوه

ارتبكت عواطف من النبرة الأنثوية التي أجابت عليها، وتلعثمت متسائلة  
بتوتر:

هو.. هو مش ده..... رقم الأستاذ رياض خورشيد؟

تهدت حنان بعمق وهي تجيبها بنبرة حزينة:  
اه هو!

ابتلعت عواطف ريقها ساءلة إياها بجزر:  
طب.. ممكن تدهوني أكلمه؟

أخفضت حنان نظراتها حزناً، وردت عليها بصوت شبه مختنق:  
للأسف مش هاينفع!

توجست عواطف من إنهاء المكالمة دون أن تحقق غرضها، فهتفت بصوت  
متلهف وقلق:

ليه؟ أنا.. أنا أخته على فكرة، أخته عواطف!

انتبهت حنان إلى اسمها الذي استدعى إلى ذاكرتها الكثير، فرددت بنبرة شبه

مصدومة:

عواطف!

تابعت عواطف قائلة في محاولة يائسة منها لإبقائها على الخط:

-أنا عاوزة رياض أخويا في مسألة كده

ابتلعت حنان غصة مريرة في جوفها، وردت بصعوبة:

- مش هاينفع!

زاد قلق عواطف من أسلوبها الجامد في الحديث، وهتفت متسائلة:

ليه بس، إتي.. إتي حنان مراته صح؟

أجابتها حنان بهدوء مشحون بالكثير من المشاعر الأليمة:

-ايوه يا عواطف، أنا مراته!

هتفت عواطف قائلة بإصرار:

خليني أكلمه، الموضوع والله ضروري و....

قاطعتها حنان بنبرة ملتاعة:

-رياض أخوكي تعيشي اتتي!

شهقت عواطف مصدومة حينما وقع على مسامعها تلك الكلمات الموجزة.

خفق قلبها بشدة، وصرخت بلا وعي:

-ايبييه، رياض مات!!

انتحبت حنان متأثرة وهي تجيبها:

-ايوه

تساءلت عواطف بنبرة مجذوعة وهي تحاول استيعاب الأمر:

-امتي؟ وازاي؟

وضعت حنان سبابتها على طرف أنفها، وهمست بصوت مختنق بعد أن

سابت عبراتها الحزينة:

أعذريني! مش هاقدر أكمل المكالمة، سلامو عليكم!

وضعت السماعة في مكانها ويدها ترتعش بشدة، وأصدرت أئيناً مكلوماً رائية زوجها الفقيد.

وقفت أسيف قبالتها، وحدقت فيها يا استغراب متأمة حالتها.  
كانت قبضتها لاتزال موضوعة على سماعة الهاتف، ورأسها منكس للأسفل.  
تساءلت أسيف بصوت قلق:

مين يا ماما؟

رفعت حنان أعينها الدامعة لتنظر لها مطولاً، ثم أسندت كفي يدها على  
عجلتي مقعدها المتحرك، وسارت مبتعدة عنها.

تفاجأت ابنتها بما تفعله، ولحقت بها متسائلة بتخوف:

ماما، في ايه؟ انتي مش بتري عليا ليه؟

تجاهلتها حنان وأكملت بكائها الصامت دون أن تضيف أي كلمة مما أثار رية  
أسيف، فألحت عليها متسائلة بخوف أكبر:



ماما، هو ايه اللي حصل؟

.....

على الجانب الآخر، أجهشت عواطف بالبكاء وتعالت شهقاتها المصدومة بعد أن تلقت تلك المفاجأة الموحجة عن وفاة شقيقها الأكبر رياض. أظلمت عيناها، وترنخ جسدها من أثر الصدمة، وبحثت عن أقرب مقعد لتلقي بثقل جسدها المنهك عليه.

هتفت لنفسها غير مصدقة:

-ياها يا رياض، تموت وأنا معرفش عنك حاجة، تروح كده وأنا.. وأنا حتى ماقفش أخذ عزاك!

تعالت شهقاتها أكثر وهي تلتحب بتالم:

منهم لله كرهونا في بعض وفرقونا، آه يا خويا، ربنا يرحمك، كنت طيب زي أبويا، آه!

حضرت ابنتها بسمة على صوت عويلها، وحدقت فيها متعجبة من بكائها  
الغريب، وسألته بفضول:

خير يا ماما؟ بتعطي كده ليه؟

تقطع صوت عواطف وهي تجيبها بنبرة حزينة للغاية:

أخويا رياض .. مات!

حكّت بسمة مؤخرة رأسها باستغراب، لم يبدُ عليها أي تأثر بما قالته، وردت  
عليها بفتور:

مات، امتي؟

أجابته عواطف بنبرة متشنجة:

مش عارفة.. أنا لسه عارفة إنه مات!

مصمست بسمة شفيتها بتهم، ثم أضافت بنبرة ساخطة وهي تهز حاجبها:

حوش يعني الود والمحبة كانوا مقطعين بعضهم! ده احنا منعرفش عنه إلا اسمه

يا ماما

لظمت عواطف على صدرها، وكذلك فخذها وهي تضيف بنواح:  
آه يا خويا، اتظلمت وانت حي، ومعرفتش أخذ عزاك وانت ميت!

زفرت بسمة مستاءة من حزن والنتها الغير مقنع بالنسبة لها، فالعلاقة بينهما  
كانت شبه منعدمة، وبالتالي كل ذلك العويل والحزن لن يحدث فارقاً معها،  
لذلك صاحت بنزق:

-يووه، سيبك من جو نذب الحظ ده يا ماما!

نظرت عواطف لها شزراً، وتمتت بكلمات مبهمة، فضغطت بسمة على شفيتها  
مانعة نفسها من قول المزيد من الحماقات.

دنت هي من أمها، ومسحت برفق على ظهرها قائلة بجمود:

- الله يرحمه، أهوو ارتاح من قرف الدنيا، خلينا احنا في اللي جاي!

أزاحت والنتها يدها عنها، ونهضت من على المقعد قائلة بعصية:

-سبيني لحالي، أه يا خويا، آه!

تابعتها بسمة وهي تتحرك في اتجاه غرفتها بنظرات متعجبة للغاية، ثم وضعت  
إصبعها أسفل ذقنها لتضيف ساخرة:

دي مالها دي، آل يعني كان دايس البيت زيارات!!!!

.....

إنتاب أسيف الفضول لمعرفة هوية المتصل بوالدتها والذي سبب لها تلك  
الحالة الكئيبة.

وقفت أمام الهاتف الأرضي تطالعه بنظرات متفرسة.

عضت على شفتها السفلى في حيرة، وفركت رأسها بقلق.

وضعت سبابتها بين شفتيها متسائلة مع نفسها بتردد:

أكيد اللي اتصل بيها ضايقها، وهي مش هتحكي لي حاجة، وأنا مش هرتاح إلا  
لما أعرف بالضبط ايه اللي حصل

زفرت بإستياء، وتابعت حديث نفسها:

حطب أطلب الرقم اللي اتصل واسأله!

تجهمت ملامح وجهها أكثر بامتعاض وهي تقول:

بس كده هاتكون حركة بايخة مني!

تهدت بعمق، وأضفت متسائلة وقد عجزت عن التفكير بوضوح:  
طب مثلاً أقول إن الرقم ده كلمنا قبل شوية، وأعرف مين بالظبط!

هزت رأسها نافية بشدة، وتمت بصوت خفيض:  
مافيش داعي، أنا أحاول أعرف من ماما مين اللي اتصل!

وبالفعل عقدت العزم على استدراج والدتها في الحديث لمعرفة هويته دون  
الحاجة للجوء لوسائل غير مضمونة.

.....

سمعت بسمة صوت دقات متتالية على باب منزلها، فسحبت حجاب رأسها  
القماشي من على المقعد، ولفته على عجانة، ثم اتجهت نحو الباب لتفتحه.

مطت فمها في تأفف، وضافت نظراتها نحو تلك الطفلة الصغيرة التي تقف على  
عتبتها، وأردفت قائلة بجدة قليلة معنفة إياها:

-أتأخرتي على الدرس يا حلوة!

ردت الطفلة قائلة بعبوس:

-والله ما أنا يا ميس، دي ماما اللي أخرجتني

نظرت لها بسمة شزرًا، وتنحنت للجانب قائلة بتجهم:

طب خشي يالا، مافيش وقت نضيعه، عندنا مذاكرة أد كده

هزت الطفلة رأسها بالإيجاب مرددة:

حاضر يا ميس

انتظرتها بسمة حتى ولجت إلى داخل الصالة، ثم أغلقت الباب خلفها متممة مع

نفسها بتهم:

هناخد ايه من دروس الحتة الفقر دي!!!

ثم تحركت خلفها لتبدأ في إعطاء الطفلة درسها الخصوصي الذي تتقاضى ثمناً

زهيداً مقابل الاستذكار معها.

جلست أسيف إلى جوار والدتها على الفراش، ومسدت على رأسها بنعومة،  
ثم انحنت عليها لتقبلها من جبينها، وهمست لها بصوت خفيض:  
مالك يا ماما؟ لو بس تقولي ايه الي ضايكك كده

ظلت أنظار حنان معلقة بالفراغ أمامها، شاردة في سنوات عمرها الماضية،  
حينما كانت فتاة صغيرة مقبلة على الحياة قبل أن تُصاب بالعجز.  
انهمرت عبراتها في صمت، واستمر سيل الذكريات الحزين في التدفق لعقلها  
بغزارة ليزيد من شقائها.

أخرجها من دوامتها اللا متناهية صوت أسيف الرقيق:  
عشان خاطري يا ماما، أنا مستعدة أعمل أي حاجة عشان ترجعي تضحكي  
تاني!

نظرت نحوها بنحو، ومدت يدها لتضعها على وجنتها، وهمست بصوت  
مبحوح:

أنا كويسة يا بنتي، اطمني

ابتسمت لها أسيف، وهمست متسائلة بحذر بعد أن قتلها الفضول لمعرفة  
هوية المتصل:

-ممكن بس تقولي مين اللي ضايكك على التليفون؟

أجابها حنان بتنهيدة متعبة:

-دي.. عمك!

قطبت أسيف جبينها متعجبة مما تفوهت به توأ، وحدثت في والدتها  
باستغراب وهي تردد:

-عمتي!

هزت حنان رأسها بإيماءة خفيفة وهي تجيبها بخفوت:

-أيوه، عمك عواطف!

رمشت هي بعينها عدة مرات غير مصدقة أن أيها لديه أخت لا تعرف عنها  
شيئاً، هو لم يخبرها عنها مسبقاً.



تساءلت ياندهاش لم يخلو من نبرتها:

هو.. هو أنا عندي عمة؟

ردت عليها حنان بنبرة تحمل المرارة:

اه، بس للأسف كان في بينا مشاكل زمان، ف..... فالعلاقات مكاتتش أد كده!

انتهت أسيف لعبارة والدتها الأخيرة بكل حواسها، وتساءلت مهتمة لمعرفة التفاصيل:

مشاكل ايه دي؟

تهدت حنان يانهاك.. ثم ضغطت على شفيتها مجيبة إياها باقتضاب:

مش وقته!

أدركت هي أن أمها لا تملك الرغبة للحديث عن تلك المشاكل الآن، فلم تلح عليها في تلك المسألة، ولكن عقلها - دائم التفكير - لم يدعها لحالها، فهتفت متسائلة بفضول:

طب ليه مجاش عزا بابا؟

أجابها هي بإيجاز:

مكاشش تعرف

عضت أسيف على شفتها السفلى تفكر فيما قالته أمها، إذن فالقضية كانت  
دائمة بين الشقيقتين، وإلا لكانت أت عمته إلى عزاء الراحل.  
لم يمنعها ذلك من الاستمرار في التساؤل لجمع معلومات أكثر.  
مالت أسيف على رأس والدتها، وهمست متسائلة بجزر:  
هي ساكنة قريب مننا؟

ردت عليها حنان بهدوء:

لا، في حنة تانية!

اعتدلت هي في نومتها، ونظرت أمامها بشرود تفكر في الأمر، لديها عمة لا  
تعرف عنها إلا القليل، ولا تقطن بجوارهم، بالإضافة لوجود مشاكل قديمة..

لاحظت والدتها شرودها وصمتها المفاجيء، فهمست بصوت متحشرح:

أسيف

انتبهت ابنتها لها، ورسمت ابتسامة مصطنعة على وجهها مرددة بنعومة:

نعم يا ماما!

وضعت حنان يدها على كف ابنتها، وضغطت عليه بأصابعها قائلة بجدية:

-أنا مش عاوزاكي تغلطي غلطة ابوكي وتقاطعي قرابيك، سمعاني؟ مش

عاوزاكي تكوني لوحك لو جرافي حاجة

هتفت أسيف بتوجس

-بعد الشر عنك يا ماما، بس إتي قصدك ايه بالكلام ده؟

ردت حنان بفتور وهي تنزلق بجسدها للأسفل لتغفو:

-بعدين، سيبي أرتاح دلوقتي

حركت أسيف رأسها بالإيجاب وهي ترد مبتسمة:

حاضر يا ماما

.....

أعدت جليلة طاولة الطعام بالمأكولات الشهية، ونظرت إلى ما وضعته  
بإعجاب، فهي دومًا تبرع فيما تطهوه.

أطلقت تهيدة متفاخرة من صدرها، وغمغمت مع نفسها قائلة:  
-والله ما في زي نفسي في الأكل! بس اللي يقدر!

وجمت أنظارها للجانب، وهتفت بصوت مرتفع:  
-الغدا جاهز، يالا يا حاج طه!

استندت بمرققها على حافة المقعد الخشبي، وتابعت نداءها العالي:  
يا مندر، دياب، تعالوا يا ولاد الغدا سخن!

أخذت نفسًا عميقًا، ثم أكملت بنفس الصوت الحاد:  
-بت يا أروى، سيبي مذاكرتي وهاتي يحيي في ايدك وتعال!

انتظرت هي للحظات قبل أن يأتي قاطني المنزل إليها.  
شمر الحاج طه عن ساعديه، وصدق في صحون الطعام بنظرات إعجاب  
مردداً:

ماشاء الله يا جليلة

ردت مبتسمة بتفاخر:

سفرة دائمة إن شاء الله!

سحب منذر مقعده، وجلس عليه دون أن ينبس بكلمة، بينما أقبل دياب على  
الطاولة وهو ينفخ بضيق بادي عليه.  
نظرت له والدته بإستغراب متسائلة:  
مالك يا دياب؟ وشك مقلوب كده ليه؟

نظر لها من طرف عينه بإنزعاج، ولم يجب على سؤالها، وقبل أن تضيف  
المزيد استمعت هي إلى صوت ابنتها الصغرى هاتفاً:

يحيي مش جه يا ماما؟

التفتت سريعاً برأسها نحو دياب، وهتفت متسائلة بتخوف قليل:

الله! الواد راح فين يا دياب؟ هو انت مجبتوش معاك؟

أجابها باقتضاب وقد اكتست ملامح وجهه بالتجهم:

-لأ!!!

زاد قلقها لعدم وجود حفيدها ضمن أفراد العائلة، فتساءلت بتوتر:

ليه؟ انت سبته فين؟

رد عليها بامتعاض:

المحروسة خدته معاها، عاوزاه يقضي اليوم

زفرت جليلة بإستياء، وردت عليه قائلة:

معلش يا بني، ماهي أمه بردك ومن حقها تقعد معاها

الديكوان... سنال محمد سالم

تمت دياب من بين أسنانه بسخط:

هي دي أم أصلاً، دي شيطان!

صاح طه بصرامة وهو يدس ملعقته في صحن الأرز:  
فضونا من السيرة دي وخلونا ناكل على رواقه

قامت جليلة بتوزيع الطعام على صحنون أبنائها بعد أن قدمت لزوجها حصته  
أولاً.

تساءل دياب بجديّة بعد أن ابتلع ما في جوفه:  
-عملتوا ايه في موضوع الدكان؟

أجابه منذر بهدوء:

لسه، في شوية قلق كده!

قطب دياب جبينه متعجبًا، وتساءل مهتمًا:

قلق ايه ده؟ هي عواطف ناوية تنمرد علينا ولا ايه

رد عليه أباه قائلاً:

-لأ يا دياب، الحكاية وما فيها إن أخوها شريك في الدكان، وهي مش هاتعرف  
تتصرف فيه لوحدها

انتبهت جلييلة لعبارة زوجها الأخيرة، وهتفت مرددة بنزق:

-رياض! ياه، بقالنا كتير ماسمعناش عنه حاجة!

تساءل دياب بإستغراب:

-مين رياض ده؟

أجابته والدته قائلة بتهيدة مطولة:

ده أخو عواطف، جدع طيب والله، بس بخته قليل!

تقوس فم دياب بعدم اقتناع مردداً:

هي ليها أخوات أصلاً؟

أجاب طه عليه بنبرة هادئة:



اه يا بني، ده شقيقها من أبوها، بس أديله زمن غايب، وأخباره مقطوعة عن الكل

أضفت جليلة مرددة بإستنكار:

ده من أيام الفضيحة اياها!

اهتم دياب بالحديث كثيرًا خاصة أنه لا يعي عنه شيئاً، فتساءل بفضول أكبر:  
فضيحة ايه دي؟

ردت عليه جليلة بأريحية تامة:

أم عواطف الست عزيزة الله يرحمها، مكاتتش تعرف إن جوزها الحاج خورشيد الكبير متجوز من قبلها، ولما دريت بده وقت ما مراته الأولى دي ماتت على اللي عملته فيه، وقلبت الدنيا ومقعدتش، وكانت فضايح في الحتة، شتمته وبهدلته وقلت أدبها عليه وعلى ابنه، والكل اتفرح عليهم!!!

عقد مندر ما بين حاجبيه متعجبًا من جرأة تلك السيدة، وأسلوبها الغير أخلاقي مع زوجها مرددًا بضيق:

يا ساتر!

تابعت جليلة قائلة بتحمس:

هو حاول يراضيها ويعوضها عن انه خبي عليها إكمن كان بينهم مصالح كثير،  
وكتب لها جزء من أملاكه، بس مرتاحتش، كل همها ازاي كان متجوز  
ومخلف واد من وراها، لأ وكان جدع وقتها يعني هيشاركها في كل حاجة!

ارتشف دياب صحن الشوربة الساخن بالكامل دفعة واحدة، وأسنده  
أمامه، ثم تساءل باهتمام:

-وبعدين!

أكلت جليلة بعد أن مصصت أصابعها المملخة بأجزاء من الطعام:  
مخلصهاش تسببه كده، قالت لقرايها، وكانوا شداد الصراحة، حلفوا ما يسيبوا  
عمك خورشيد إلا لما يربوه على كدبه عليهم!

رفع طه حاجبه للأعلى مرددًا بحزم:

خلاص يا جليلة، بلاها السيرة التكد دي على الأكل!

اعترض دياب على جملة أبيه قائلاً بفضول:  
-استنى يا حاج أما أعرف التفاصيل

لوى طه فه هاتفاً بتهكم وهو يسلط أنظاره عليه:  
-يعني هتسمع الأملة؟!!

ضحك منذر قائلاً باستهزاء:  
-عادي يا حاج طه، ابنك غاوي حكايات!

لم يعقب عليها دياب، واكتفى برمقها بنظرات حادة، ثم التفت ناحية أمه،  
وسألها مهتماً:

-ها يا أمي، ايه اللي حصل؟

ابتلعت ما في جوفها، وأجابته بصوت جاد:

-بعنت قرايبه لحد البلد عنده، والظاهر كانوا عاوزين يقتلوه!

اندهش دياب من تفكير زوجة ذلك الرجل الإجرامي، واسترعى الأمر  
فضوله بشدة..

أخفضت جليلة نبرتها لتضيف برثاء مصطنع:

بس يا عيني اللي راح في الموضوع ده بت غلبانة باين، فدت الحاج خورشيد  
وابنه!

هتف دياب بشكل حماسي مفاجيء:

شكل عزيزة دي كانت جبارة!

ردت عليه جليلة بامتعاض وقد عبست تعابير وجهها:

أجارك الله، دي كانت فظيعة!

أضاف منذر بجدية وهو يتفرس وجه والدته:

بس عواطف مش طلعالها

ردت عليه أمه بتنهيذة:

عواطف زي أبوها، طيبة وفي حالها!

تساءل دياب بنبرة جادة وهو يعاود النظر إلى أبيه:  
-المهم دلوقتي، الدكان ده هنعرف ناخده، ولا البيعة واقفة؟

أجابه طه قائلاً بنبرة متريثة:  
عواطف قالت هتتصرف، وأدينا مستنيين!

هز دياب رأسه بإيماءة خفيفة مضيئاً:  
-اللي فيه الخير يقدمه ربنا!

حدق منذر في وجه أبيه، وهتف بخشونة وقد بدت الصرامة ظاهرة على  
محياء:

-يومين كده ونسألها عملت ايه!

حرك والده رأسه بإهتزازة جادة موافقاً إياه:  
-وماله يا منذر!

.....

لاحقًا، وبعد مرور عدة أيام، أجرت أسيف بحثاً مكثفاً على المواقع الطبية المختلفة باحثة عن طبيب مناسب يمكنه متابعة حالة والدتها وعلاجها إن اقتضى الأمر.

فهي تخشى تدهور صحتها، وربما خسارتها إن أهملت في نفسها.

لذلك أجبرت نفسها على التحري في سرية لتصل إلى شيء مفيد. لذلك جلست في مكتب والدها لتفعل هذا.

ونوعًا ما جمعت عدة معلومات عن عدة أماكن - باهظة الثمن - يمكنها أن تقدم لوالدتها فرصة جيدة في الفحص والتشخيص.

دونت الأسماء في إحدى صفحات مفكرتها الزهرية الصغيرة.

زفرت بتعب بعد ذلك المجهود الذي أخذ من وقتها ساعات كثيرة.

أرجعت ظهرها للوراء، وحركت عنقها للجانبين وهي تفركه بكفي يدها.

استرخت على المقعد قليلاً، وأغمضت عينها لتريحها.

رددت لنفسها بتفاؤل وهي تتشاءب:

إن شاء الله يجي تعبي ده بفايدة، المستشفيات دي الأغلب يشكر فيها!

تمطعت بذراعها وهي تكمل حديث نفسها المتحمس:  
-أقع بس ماما نروح لواحدة فيهم، وأهوو فلوس بيع الأرض موجودة عشان  
مايقلهاش حجة!

قطع تفكيرها صوت رنين الهاتف الأرضي، ففتحت عينها سريعاً، ونهضت  
عن المقعد لتجيب عليه.

وضعت أسيف السماعة على أذنها قائلة بصوت خافت:  
-ألوو!

استمعت هي إلى صوت أنثوي يردد بحزن:  
حنان!

تجمدت تعابير وجهها نوعاً ما متعجبة من وجود من يهاتف والدتها التي كانت  
نادراً ما تحدث أحد في الهاتف، وصححت لها قائلة بركة:  
-لا، أنا أسيف، بنتها!

-بنت رياض!

ردت عواطف مصدومة بتلك العبارة وقد بدا في نبرتها الدهول التام من وجود  
ابنة أخ لا تعلم عنها شيئاً.....!!!

## الفصل الخامس:

استغربت أسيف من ترديد تلك السيدة الغامضة لتلك العبارة يأندهاش  
كبير، وسريعاً استطاعت أن تخمن هويتها، وتأكدت ظنونها حينما تابعت  
عواطف قائلة بصوت شبه مرتبك:

-أعذريني يا بنتي، أنا.. أنا أبقى عمك عواطف!

همست أسيف بنبرة خفيضة وقد تشكلت علامات الدهول على محياها:  
-عمتي!

تابعت عواطف موضحة بنبرة متربثة:

-ايوه شقيقة أبوكي الله يرحمه!



ابتسمت أسيف قائلة بهدوء:

-أهلا يا عمتي!

تنفست عواطف الصعداء لإسترسال ابنة أخيها في الحديث الودي معها، ولم

تكن كوالدتها حذرة في ردودها..

أكملت تعارفها متسائلة بفضول:

-أهلا بيكي يا بنتي، قوليلي اتني عندك اخوات تانيين؟

أجابتها أسيف بنبرة رقيقة:

-لا، ما فيش إلا أنا

هتفت عواطف مرددة:

-ربنا يحفظك، وبياركلك في عمرك

شكراً

سألته مجدداً باهتمام:

وازي أمك حنان؟

ردت أسيف قائلة بصوت هاديء:

الحمد لله بخير

تساءلت عواطف بفضول بائن في نبرتها:

هي لسه حالتها زي ما هي؟

استغربت أسيف من سؤالها هذا، فقد بدا مريباً نوعاً ما بالنسبة لها، وردت

عليها بتوجس قليل:

حضرتك تقصدي ايه؟

ارتبكت عواطف من زلة لسانها، وردت بتلعثم ظاهر:

هه..... ولا حاجة! أنا بس بأطمئن عليها!

أجابتها أسيف بحرص:

الحمد لله في نعمة!

أضفت عواطف قائلة بأسف:

-أنا.. أنا يا بنتي معرفتش بالي حصل وموت المرحوم إلا لما....

هتفت أسيف قائلة بتفهم:

-أها.. ماما قالتلي!

تابعت عواطف مضيئة بنبرة مواسية:

-ربنا يرحمه ويغفرله ويصبركم على فراقه

ابتلعت أسيف غصة مريرة في جوفها، فقد كانت تشتاق لأبيها كثيرًا، وتهدت

بعمق و بصوت مسموع وهي تردد بحزن:

يا رب أمين!

أكملت عواطف قائلة:

حقيقي كان زي أبونا راجل طيب وفي حاله

-أها

حاولت هي على قدر الإمكان الإطالة في الحديث معها حتى لا تنهي المكلمة في أي لحظة، وبررت موقفها في عدم القيام بواجباتها نحو أخيها الراحل معللة:  
-والله لو كنت عرفت من بدري يعني كنت جيت عزيت وأخذت بخاطركم!

ردت عليها أسيف مجاملة:

-شكرا، سعيكم مشكور!

هتفت عمته قائلة بحماس قليل:

-أنا نفسي أشوف شكلك، وأتعرف على بنت رياض الغالي وأوصل صلة الرحم مع لحمه!

ابتسمت أسيف بخجل وهي تجيبها:

-أكيد إن شاء الله

أضافت عمته بإصرار أكبر:

مش كلام والله يا بنتي، القطيعة اللي حصلت زمان مكانتش بخطري ولا  
بخطره، بس في ايدنا دلوقتي نصلح اللي فات ونرجع جبال الود بينا!  
-رينا ييسر

صمتت عواطف للحظات تفكر في أمر ما، فهي بحاجة للتمهيد لمسألة بيع  
الدكان القديم، ولكنها لا تعرف كيف تبدأ بالحديث عنه.. لذلك جاب بيالها أن  
تسألها:

-ما بتفكروش... تنزلوا من البلد و.... وتيجوا مرة عندنا؟

ردت أسيف بنبرة دبلوماسية:

-يمكن نيحي قريب!

استشفت عواطف من نبرتها نيتها للقدوم، فهتفت بإلحاح لتؤكد على ترحيبها  
بها:

لو عرفتوا، تعالوا عندي، العنوان سهل مايتوهش!

شعرت أسيف أنها ربما تورطت في أمر ما دون الرجوع إلى والدتها، فحاولت  
إصلاح ما قالته سريعًا مرددة:

-رنا يسهل، بس أشوف ماما رأيها إيه الأول لأن حركتها قليلة وصحتها على  
أدها!

وافقتها عمها الرأي قائلة:

-اه يا حبيتي، وماله، وصدقيني يمكن كمان تلاقي دكاترة كويسين هنا!

عضت ابنة أخيها على شفها السفلى متممة:

-هانشوف إن شاء الله!

تساءلت عواطف باهتمام:

طيب أمك صاحبة أكلها؟

ردت أسيف نافية:

مش عارفة، لحظة اشوفها لك

خدي راحتك!

وبالفعل تركت أسيف سماع الهاتف، وتحركت في اتجاه غرفة والدتها.  
 تسللت بخفوت إليها، وإشرأبت بعنقها للأعلى لتتفقدتها.  
 كانت أمها غافية، فرفضت إيقاظها قبل أن تحصل على قسطاً من الراحة، لذا  
 عاودت أدراجها مجدداً لغرفة المكتب، وأمسكت بالسماعة لترد قائلة بجدية  
 قليلة:

-للأسف ماما نائمة، وأنا مش هاينفع أصحيا!

ردت عليها عواطف بتفهم واضح:  
 خليها، ابقى بس سلميلي عليها أما تصحى  
 -الله يسلمك!

أرادت عواطف ألا تنهي المكالمة دون التلميح إلى مسألة بيع الدكان، أو على  
 القليل الإشارة إلى وجوده، فهدت إليه قائلة بجدية:  
 -اه قبل ما أنسى بلغيا إن حقها وحقك في دكان المرحوم محفوظ!

استغربت أسيف من تلك العبارة، وغمغمت بتعجب بعد أن زاد انعقاد  
حاجبيها:  
دكان!

أضافت عواطف قائمة بغموض:  
-ايوه، هي عارفاه، دكان جدك الله يرحمه

أثارت تلك الكلمات المقتضبة ريبتها، وأشعلت روح الفضول فيها لمعرفة المزيد  
عن ذلك الدكان القديم..  
ومع ذلك لم تجرؤ على سؤالها دون العودة لوالدتها قبل أي شيء..  
ولهذا ردت بإيجاز:  
-تمام، هاوصلها رسالتك!

شكرتها عواطف على أسلوبها الرقيق في التعامل قائلة:  
تسلمي يا بنتي، أشوفك على خير إن شاء الله!

تشكلت بسملة لطيفة على ثغرها وهي ترد:



مع السلامة يا عمتي!

وضعت أسيف السماعة في مكانها، وفركت طرف ذقنها بكفها وهي تفكر  
بتعمق فيما يكمن وراء ذلك الدكان...

.....

على الجانب الآخر، تنفست عواطف يارتياح وهي تعيد إسناد سماعة  
الهاتف.. وتمت مع نفسها بكلمات شاكرة للمولى..

انتبهت هي لصوت بسمة وهي تسألها بفضول:

-مين دي اللي بتزغي معاها من الصبح؟

التفتت عواطف نحوها، وأجابتها بنبرة عادية:

-بنت خالك!

رفعت بسمة حاجبها الأيسر للأعلى، وردت بتهكم:

-بنت خالي، نكتة دي؟

هزت عواطف رأسها نافية، وهتفت مدافعة بعبوس:  
-لا، خالك رياض الله يرحمه طلع مخلف وعنده بنت!

لوت بسمة ثغرها للجانب مرددة بسخط:  
-ها، قولتلي خالي اللي طلع من البخت عنده عيال، طيب!

نهرتها والدتها على أسلوبها الساخر في الحديث قائلة بجدة:  
-يا بت بطلي نارزة على خلق الله!

حدقت بسمة في أمها بضيق قليل، واحتجت بتذمر:  
هو أنا عملت حاجة!

ثم انتهت كلماتها لصوت دقات عنيفة متتالية على باب المنزل، فصاحت  
عواطف بصوت أمر:

-شوفي مين بيرزع الباب كده!!

تحركت بسمة نحو باب المنزل مبررة بعدم أكثرات:

من غير ما أشوف، هو في غيرها، ست نيرمين!!!

أمسكت بالمقبض وأدارته لتجد أختها الكبرى تقف أمامها ووجهها منتفخ  
للغاية، وعينيها حمراوتان بدرجة ملحوظة، وبالطبع رضيعتها تصرخ ببياء حاد  
على كتفها..

تنحت للجانب قائلة بتبرم:

-مش بأقولك يا ماما!

دفعتها نيرمين من كتفها وهي تترق للداخل قائلة بصوت متشنج وهي تقاوم  
بشراسة رغبتها في البكاء:

-اوعي من سكتي يا بسمة السعادي، أنا عفاريت الدنيا بتتنطط قدام وشي  
ومش طايقة حد!

تابعت بسمة قائلة بسخط وهي تضع يدها على منتصف خصرها:

-بنتك جاية بزعايبها!

توجست عواطف خيفة من هيئة ابنتها المزرية، فقد كانت ثيابها غير مهندمة،  
وأعينها متورمة، بالإضافة إلى عصبيتها الزائدة.

حدقت في حقبة السفر التي تحملها في يدها الأخرى، وسألتها بخوف وهي  
تتفرسها:

مالك يا نيرمين؟ ايه اللي حصل؟!

ألقت نيرمين بجسدها على الأريكة بعد أن تركت حقبتها، وأسندت الرضيفة  
إلى جوارها، ثم حلت حجاب رأسها عنها ليبرز شعرها الهاجج من أسفله، وألقت  
به دون اهتمام على المسند، ثم نفخت بصوت مكظوم مجيبة إياها:

اه، ابن ال..... طلقني ورماني في الشارع!

لطمت عواطف على صدرها بهلع، وشهقت مرددة بصدمة كبيرة:

يا نصيبي

تابعت نيرمين قائلة بصراخ مهدد بعد أن اصطبغ وجهها كليًا بجمرة منفعة:

وربنا ما سيباه، وحياة ولادي لهدفحه التمن هو وأهله!

لم تستطع عواطف تحمل هول ذلك الخبر الكارثي، فجلست على الأريكة  
المجاورة لها، ثم هزت جسدها للجانبين مستنكرة ما حدث.  
ضربت فخذيها بكفي يدها وهي تردد بتحسر بائن عليها:  
-لا حول ولا قوة إلا بالله، دي الثالثة يا بنتي!

استشاطت نظرات نيرمين للغاية، فقد كانت والدتها محقة في تلك المسألة،  
فهي بالفعل قد تطلقت للمرة الثالثة، وأصبح محرم عليها شرعاً الرجوع إلى  
زوجها.

برزت عروقها الغاضبة من عنقها، وكزت على أسنانها قائلة بغل:  
-أهوو اللي حصل، كأنه مصدق يعملها!

حدقت عواطف في ابنتها بنظرات نارية متسائلة:  
-طب ايه خلاه يرمي عليك اليمين؟!

أجابتها نيرمين بنبرة تحمل الحقد والضغينة:  
-هو في غيرها! العقربة أمه!!!!

أضفت بسمة قائلة بازدراء:

-أعوذو بالله منها، ولية استغفر الله العظيم، اتى الكسبانة والله!

صاحت نيرمين بنبرة عدائية وهي تشيح بيدها في الهواء:

-بس ورب الكعبة ما سيياه، هاطلع عينه هو وأهله، وهاخذ حقوقي كاملة منه، مش هو طلقني، يشرب بقى!

سألته عواطف بنزق:

طب وهدومك وعفشك و....؟؟؟

قاطعتها نيرمين قائلة بحنق:

-أنا جبت الذهب بس، وهدومي اللي عرفت ألمه وجيت!

ضربت عواطف فخذيها مرددة بعويل:

-أنا مش عارفة هلاحق من مين ولا من مين!!!

تمت نيرمين بسبات لاذعة وهي تنزع عنها كزبتها.. بينما ظلت الرضيعة تصرخ  
بصورة هيسترية وأمها تتجاهلها إلى أن يئست من صمتها، فحملتها مجبرة على  
كتفها، وظلت تهددها بانفعال.

نظرت لها عواطف بأسف، وصاحت فيها بحدة:

قومي خشي على أوضتك وسكتي البت اللي على كتفك

ردت عليها نيرمين بتذمر:

هي على صريخة من صباحية ربنا

مصمست عواطف شفيتها مرددة بإستياء:

اه يا كبدي، مفطورة من العياط من اللي حصلها، قومي اتتي، وسيننا  
نشوف هانعمل ايه في النصيبة دي!

طيب

قالتها نيرمين وهي تهض بتثاقل من على الأريكة حاملة رضيعتها على كتفها،  
وظلت أنظار أمها معلقة بها وهي تفكر بشرود في الكوارث المتتالية التي حلت  
بإبنتها البكرية.

.....

ولجت جليلة إلى غرفة ابنها دياب لتطمئن على أحواله بعد أن لاحظت عبوسه على مدار الأيام الفائتة.

بحثت عنه سريعاً بعينها فلم تجده، دقت النظر في الشرفة، فلمحت أدخنة متصاعدة، فتأكدت من وجوده بها.

تحركت بخطوات متمهلة نحو باب الشرفة، ثم وقفت على عتبتها، وابتسمت متسائلة:

قاعد لوحدك ليه؟

كان دياب جالساً بإسترخاء على المقعد، ومسنداً لساقيه على حافة السور، فأنزلها برفق، واعتدل في جلسته مردداً بصوت شبه متحشرج:

تعالى يا ست الكل!

ولجت للداخل، وجلست على المقعد الجانبي، ثم حدقت فيه بنظرات متأملة لوجهه.

تعجب هو من نظراتها المسلطة عليه، وسألها بإستغراب:

-بتبصلي كده ليه؟



أجابته بضيق:

مش عاجبني أحوالك يا ضنايا

رد عليها بفتور:

ما أنا زي الفل أهوو!

تابعت مرددة بضجر:

-أومال مسهم كده ليه، وأديك كام يوم مش زي عوايدك!

رد عليها بنبرة غير مبالية:

عادي!

تساءلت بفضول قليل لعلها تسبر أغوار عقل ابنها وتعرف فيما يفكر:

هو.. حد قالك حاجة ضايقتك؟

حدجها بنظرات قوية متسائلاً بجمود:

حد مين ؟ مش فاهم!

ابتلعت ريقها وهي تجيبه بحدز:

أقصد يعني.. ولاء!!!!

تجهمت قسامت وجهه، وتحولت نظراته للعدائية وهو يجيبها باقتضاب:

لأ-

سألته مجددًا بإلحاح:

حطب في ايه مالك؟

تهد بصوت مرتفع وهو يرد:

عادي يا أمي، ماتشغليش بالك!

ترددت هي في اخباره بإتصال طليقته السابقة لأكثر من مرة، ولكن لا مفر

من إبلاغه، لذا بحرص شديد همست متلعثمة:

طب.. طب هي كانت اتصلت تقولي عن....

احتدت نظراته للغاية، وقاطعها مرددًا بامتعاض:

فلوس، صح؟

أوضحت له قائلة بترث:

ايوه، بتقولي محتاجة تجيب كام حاجة ليحيي و....

لم يرغب هو في استمرار والدته في الحديث عنها، فمزال القلب يضم لها كل الكراهية، لذلك قاطعها بتجهم:

خلاص يا أمي، قفلي على سيرتها الله يكرمك!

ردت عليه جليلة مبررة حديثها بعد أن رأت بوادر العصبية في ابنها:

أنا مابطقهاش أصلاً، وانت عارف ده كويس، بس هانعمل ايه، ماهو كله

عشان ابنك وخاطره!

تقوس فمه بتأفف وهو يضيف:

حبيب خلاص! هابقي اسيلك فلوس تبعتيها معا

ابتسم والدته له قائلة بود:

ماشى يا حبيبي، ربنا يكرمك ويراضيك عشانه

إن شاء الله!

تنحنت جليلة بصوت خفيض، ثم همست بتردد:

وفي حاجة تانية كمان!

زفر دياب مرددًا بنفاذ صبر:

خير؟

أجابته بهدوء مرتبك:

-بتقول إن .. إن مذاكرة الواد صعبة ومحتاجة تديله درس!

حدج دياب والدته بنظرات قوية، وهتف مستنكرًا بانفعال ظاهر:

نعم! درس، في السن ده، هي بتستهيل ولا ايه، تكونش عاوزة تسوق فيها  
معايا!

هزت رأسها نافية وهي تجيبه:

لا يا بني، ده هي بتشتكي من مستواه الضعيف، و دروسه مش عارفة  
تشرحا لانها بالانجليزي، والواد ممكن يسقط في الامتحان !

أضاف دياب قائلاً بسخط وهو يشير بيده في الهواء:

اها، وهي بقى هتاخدها حلوانة في سلوانة، وتجر فلوس على حس الدروس  
والهجص ده!!

نكست جليلة رأسها قائلة بتوجس:

والله ما عارفة أقولك ايه

ضرب دياب بقبضة يده على حافة سور الشرفة بعد أن هب واقفاً من  
مقعده، وأكمل بغلظة:

-أنا مايكلش معايا كلامها من أوله لأخره، ولو هي عاوزة تدي للواد درس  
يبقى بمعرفتنا احنا، مش عن طريقها!

رفعت هي أنظارها نحوه، ووافقته الرأي هاتفة:

-وماله يا بني، اللي تشوفه!

تابع دياب قائلاً بصوت آمر:

-انتي دوري على مدرسة كده تكون بتفهم، تشرحه كله هنا عندنا، وبلاها  
خوتة دماغ!

أومات برأسها بالإيجاب متممة:

حاضر!

دس دياب ولاعته في جيبه، وكذلك علبة سجائره - ثم تحرك إلى خارج  
الشرفة. لاحقته والدته بأنظارها متسائلة بقلق:

-الله! رايح فين؟

التفت برأسه نحوها ليجيها بصوت جاد:

نازل أشوف الشغل الي ورايا!

هتفت قائلة باهتمام:

طيب استنى أعملك شاي ولا....

رفع كفه أمام وجهها مقاطعًا بصلافة:

ها بقي أشرب في الوكالة!

ضغطت جليلة على شفيتها لتضيف بهدوء:

براحتك يا بني

.....

انتظرت أسيف استيقاظ والدتها من نومها حتى تبلغها بإتصال عمته عواطف.

تعجبت الأخيرة من تلك المكلمة الغريبة، وعابت على ابنتها عدم إفاقتها. وبدا

الإنزعاج ظاهرًا على تعابير وجهها.

بررت لها أسيف ما فعلته قائلة بابتسامة مهدبة:

-كنتي حضرتك نايمة لما اتصلت!

ردت عليها حنان بضيق قليل:

برضوه كنتي صحيني

هتفت أسيف مرددة بهدوء:

مرضتش أزجك والله يا ماما

تهدت حنان بعمق لتسيطر على عصبيتها الغير مبررة، وصمتت للحظة، فابنتها إلى حد كبير لما تخطيء في تصرفها، فقد كان منطقياً وطبيعياً لذلك لا حاجة بها لكل هذا الانفعال.

سألتها هي بهدوء مصطنع وهي مسلطة أنظارها عليها:

قالتك حاجة مهمة؟

هزت أسيف رأسها نافية وهي تجيبها:

-لا، بتسأل علينا وبس!



ضغطت حنان على شفيتها بتقول على مريض:  
حبيب!

ثم حركت جسدها ببطء على جانب الفراش، ومدت يدها لتجذب مقعدها المتحرك نحوها، وألقت بجسدها المتعب عليه كما إعتادت أن تفعل منذ سنوات.

نهضت ابنتها من جوارها لتعيد ترتيب الفراش، ولم يخلُ وجهها من تلك الابتسامة الرقيقة، ولكنها توقفت عما تفعل لتضيف بنزق:  
- اه، بالحق كانت قالتلي أبلغك رسالة كده!

أدارت حنان رأسها في اتجاهها، وتجمدت أنظارها عليها، ورددت بغرابة شديدة:

-رسالة!!!!

حركت أسيف رأسها بالإيجاب قائلة:

-ايوه، بتقول إن حقنا محفوظ في دكان بابا

اتسعت حدقتي حنان في إندهاش عجيب، وانفرح فمها قائلاً:

هاه!!!

تساءلت أسيف بفضول وهي تعدل من وضعية الوسائد:

ايه حكاية الدكان ده؟

صمتت حنان ولم تجبها، وشردت لوهلة في ذكرى ماضية تخص ذلك المكان القديم. تساءلت أسيف باهتمام أكبر بعد أن لاحظت وجوم أمها:

هو بابا أصلاً عنده دكان!!!؟

انتبهت والدتها لها، وردت بحذر:

ده كان محل قديم بتاع جدك خورشيد الله يرحمه

أضافت أسيف بفضول:

هاه، وبابا ورثه منه يعني؟

أجابتها حنان بحرص:

-ايوه، التفاصيل كلها اللي تخص الدكان ده كانت مع رياض الله يرحمه!

همست أسيف بصوت حزين:

-الله يرحمه!

ثم أضافت متسائلة بجديّة قليلة وهي تدنو من والدتها:

طب واحنا هنعمل ايه؟

أولتها حنان ظهرها وهي تتحرك بالمقعد إلى خارج غرفتها، وردت عليها  
باقتضاب:

-ولا حاجة، هاشوف الورق بتاعه الأول متعان فين، وبعد كده تفكر في اللي  
جاي !

لحقت بها أسيف قائلة:

ماشى يا ماما!

.....

كانت بسمة في طريقها لعملها الإضافي والخاص بإعطاء دروس خصوصية لمجموعة من الصغار في منزل أحدهم يقطن على مقربة منها.

سارت بخطوات متهادية وهي تمر بجوار محل الجزارة الموجود بمنطقتها السكنية.

وبالطبع تربصت بها زوجة صاحبه، فقد كانت تتحایل عليه للحصول على فرصة للاشتباك مع تلك الوقحة كطريقة لإذلالها بعد أن تطاولت على زوجها، ولبي هو غرضها، وأعطائها الفرصة، وهي لم تفوتها.

حدجتها السيدة البدينة بنظرات مستشاشة وهي تصيح بازدياء:

مش ملاحقة يا أبله على الرجل اللي طالعة ولا اللي نازلة من عندك، والعة على الآخر!

التفتت بسمة برأسها نحوها، وحدقت فيها بنظرات دونية بعد أن عرفت هويتها، وردت عليها بتعالٍ وهي تشير بسبابتها:

نعم! انتي بتكلميني أنا؟

نهضت السيدة ببطء من على المقعد الخشبي الموضوع عند مقدمة الرصيف، وضربت على فخذيها بقوة قائلة بسخط:

ايوه انتي!

استشعرت بسمة وجود خطب ما فيها، وخاصة حينما وقعت أنظارها على زوجها الذي كان يمسح صدره بتشفيف. حافظت على ثابته رغم شعورها بالتوجس من النية الشرسة المبيتة أمامها، وهتفت بنبرة تحمل الكبرياء وهي ترمق السيدة بنظرات احتقارية:

-بقي اتني شايلة التكليف وبتكلميني عادي كده!

اقتربت منها السيدة البدينة، وكزت على أسنانها قائلة بصوت قاتم:  
-اه يا حلوة، ولا ماكونش أد المقام لا سمح الله

صاحت بها بسمة بجدة:

-اتني ازاى أصلاً تفكري تكلميني من الأساس، تكوينيش مفكرة نفسك من مستوايا ولا حاجة

وقفت السيدة قبالتها، واحتدت نظراتها أكثر بعد عباراتها المسيئة إليها، وهتفت بسخرية مهينة إياها:

ليه يا ختي؟ على رجلك نقش الحنة، ولا بنت بارم ديله؟!!!

احمرت وجنتي بسمة بشدة، وضافت نظراتها للغاية، وأصبحت ملاحظها منذرة  
بوجود عراقك وشيك.

لم تهتم هي بفارق الحجم مع تلك السيدة، وصاحت مهددة إياها بقوة:  
احترمي نفسك أحسنك بدل ما أجيبك من شعرك!

تجمهر المارة حولها، وتشكلت دائرة ما لتتابع الموقف عن كثب.

صرخت السيدة بعنف وهي تضرب بكفيها في الهواء:  
مين دي اللي تجيبها من شعرها، لأ بقى، ده أنا أجيب كرشك وأنا واقفة!

ألقت بسمة بحقية يدها من على كتفها، وكذلك دفتها الخاص، على الأرضية  
الإسفلتية، وشرمت عن ساعديها لتهتف بشجاعة عجيبة:

-ايوه، اتني وجوزك عاملين الحركات دي عليا، وماله! أريكم اتتو الجوز،  
تعاليلي بقى!

ثم انقضت على تلك السيدة، وسددت في وجهها لكمة مباغته، وأعقبها  
بأخرى في صدرها، وركلتها بقسوة في ركبها. فصرخت الأخيرة متأوهة من الألم  
الشديد:

يالهوي

تابعت بسمة ضربها بكل ما أوتيت من قوة وهي تصرخ فيها لاعنة إياها:  
خدي يا بنت ال...!!!

صاحت فيها السيدة البدينة مهددة:  
-وربنا ما سيياكي إلا لما أخذ حقي منك!

علت الصيحات والتهليلات في المنطقة، والكل يتابع عن كثب تطورات  
الموقف الهجومي بين الاثنتين.  
في تلك اللحظة تدخل زوجها ليدافع عنها بعد أن خاف من تمكن بسمة منها،  
وأمسك بقبضتها دافعاً إياها بقوة كبيرة للخلف قائلاً بشراسة:  
-بعدي عنها!!!!

كادت هي أن تفقد توازنها من إثر الدفعة، ولكنها تماكنت نفسها.

تحولت نظراتها للشراسة بسبب تطاوله عليها، وصرخت فيه بعدائية:

شيل ايدك! ولم مراتك أحسنك بدل ما أبهدلك وأمرمطها!!!

حدجها بنظرات مشتعلة للغاية، وصاح فيها بجدة وهو يعاون زوجته على الجلوس:

-تمرطني مين يا بت انتي!!

ردت عليه بنزق غير مهتمة بتهديداته الصريحة:

اه، وأمسخ بيها الأسفلت!

احتقت نظراته أكثر وهو يصرخ بعنف:

ده أنا أجيبك تحت رجلي قبل ما تعملي فيها كده يا بنت عواطف!

هتفت فيه بصوت مرتفع محذرة إياه وهي تشير بإصبعها:

-لم لسانك الزفر ده!

تحولت مقلتيه لجمرتين من النيران، وكز على أسنانه قائلاً بتهديد خطير:



-اتي هتشرحي النهاردة!!!!-

ابتلعت بسمة ريقها بخوف شديد، وتسارعت دقات قلبها بفرع، فبرغم كل شيء هي مازالت فتاة شابة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تتقاتل مع الرجال خاصة إن كانوا من نوعية ذلك الهمجي.

سحب صاحب محل الجزارة ( ساطوره ) الحاد من على خشبة تقطيع اللحم، ورفع في الهواء مهدداً بنحر عنقها.

اتسعت عيني بسمة بهلع كبير، وتجمدت أنظارها على نصله الملطخ ببقايا الدماء وقطع اللحم الصغيرة.

تسمرت في مكانها مذهولة عاجزة عن الحركة، وقبل أن يقدم هو على حركة تودي بحياتها كان دياب يقف أمامها حائلاً بجسده ومانعاً الرجل من الإقتراب منها.

قبض هو على معصمه، فارتجف صاحب الجزارة من وجوده المهيب، وفشل في تحريره يده.

حدق دياب فيه بنظرات نارية للغاية منذرة بوجود شر مستطير، ثم هتف من بين أسنانه بشراسة مخيفة دبت في قلبه الرعب:

عندك، كده انت غلطت، وتعديت حدود الأدب

!!!!!!.....

.....

## الفصل السادس:

ازدرد صاحب محل الجزارة ريقه بتوجس شديد بعد أن وقف دياب في  
مواجهته متحدياً إياه تحدياً سافراً. فقد تجرأ الأخير بحماقة جليلة على إحدى  
النساء، وهذا يعد جرماً في نطاق منطقهم الشعبية.

ظلت نظرات الجزار مرتبكة للغاية وهو يحاول سبر أغوار عقل خصمه القوي.  
هو يعلم جيداً أن مواجهة ضارية كتلك مع أشهر رجال المنطقة لن تكون في  
صالحه مطلقاً، بل ربما تودي بحياته أو على أقل تقدير تدمر محله، لك بادر  
بتلطيف الأجواء وتلمس الأعذار عله ينجو ببدنه من بطشه، لذلك أرخى  
قبضته الحاملة للساطور للأسفل، وهتف صائحاً بجدة:

يا سي دياب هي اللي قلت أديها عليا وعلى حرمننا!

تجمدت نظرات دياب الشرسة عليه، ولم يعقب، فتابع الجزار مضيفاً بانفعال:  
وأنا وحياة الغالي ييجي كافي خيري شري عنها، فده يرضيك يا سيد الناس؟

اغتاظت بسمة من إدعائه الباطل عليها، فتحركت للجانب لترمقه بنظرات  
نارية، وصرخت فيه ياهتياج ملوحة بذراعها في الهواء:  
ليه إن شاء الله؟ ماشية أخانق دبان وشي، ولا انت ومراتك اللي  
بتتعرضولي في الراحة والجاية؟!!!!

التفت دياب برأسه التفاتة خاطفة نحو بسمة، ورمقها بنظرات جادة للغاية،  
بدا وجهها مألوفاً بالنسبة إليه، لكنه لم يستطع تخمين هويتها تحديداً أو أين  
راها من قبل، ثم عاود النظر في اتجاه الجزار ليهتف بصلاية:  
لو هي غلظت حرمنك ياخدوا حقهم منها، لكن تيجي انت تعمل دكر على  
حرمة، لأ عندك، أقفلك أنا فيها!

ابتلع الجزار ريقه بخوف، كما تجمعت حبات العرق الباردة أعلى جبينه،  
وارتجف جسده قليلاً من إثر تهديده الصريح.

بينما احتدت نظرات بسمه، واصطبغ وجهها بحمرة غاضبة وهي تصيح بصراخ:  
-هو أنا عدت صحتي عشان أجيب اللي ياخدني حقي، ده أنا أده وأد  
عشرة زيه!

انزعج دياب من استهانتها بقواه وشخصيته المهيمنة، فهدر بغلظة آمراً إياها:  
-اسكتي شوية!

ردت عليه بعصبية وهي تشير بإصبعها:  
-لأ مش هاسكت ومش هالم لساني، بقي واحد زي ده يهددني ويرفع عليا  
الساطور!

ثم سلطت أنظارها على الجزار ورمقته بكرهية صارخة بتهديد خطير:  
-وربنا ماسيباك وهاعملك محضر في القسم! ده إن ماقلعتش كمان جزمتي  
ونسلتها على دماغك!

اشتعلت مقلتي الجزار من إهانتها له، وصاح متذمراً بغضب:  
-شايف يا سي دياب طريقته معايا، وتقولي ماجبش دماغها على الأورمة!

حدجه دياب بنظرات محذرة، وهتف فيه بصوت قاتم يحمل القوة:  
-اهدى!

استشاطت بسمة غضباً من تطاول الجزار السمج باللفظ والفعل عليها حتى  
بات يهددها علناً بالإطاحة برأسها كالبهايم دون أكثرات لها، فعمدت إلى  
استفزازه بشراسة لتشعله أكثر:

-أورمة!! ده تمامك، اللي يرحم الرجالة، ماتوا في الحرب، وسابولنا النسوان  
اللي زيك يخطر فوا بكلام مش أده!

وبالفعل حقت مرادها ونالت منه، فانفجر فيها الجزار صائحاً بصوت جهوري  
منفعل للغاية وهو يتحرك بجسده نحوها:  
-رجالة مين اللي ماتوا يا آ.....

منعه دياب عن التقدم خطوة نحوها بجسده الصلب وهادراً فيه بنبرة قاسية  
ومقاطعاً إياه:

-اخرس! في ايه!!!!

تراجع الجزار للخلف خطوة مرددًا بعصبية:

-اعذرنى يا سى دياب، هي عمالة تغلط وطايحة في الكل وهي بنت مين أصلاً  
عشان تكلم كده

كادت بسمة أن تهينه بشراسة أقوى ولكن منعها عن الحديث صياح دياب  
الصارخ بعدائية:

جى ايه؟ مش عاجبك وقفتي؟!

أدرك الجزار تهوره الغير محسوب، وردد بامتعاض شديد:

-مقصدش، على راسي وجودك والله!

أكملت بسمة إهانتها قائلة بصوت محتاج:

-اغلط في أهلي كمان عشان بدل المحضر يبقوا اتنين، وهاعرفك بنت عواطف  
ممكن تعمل ايه؟

انتبه دياب للإسم جيداً، وتمتم هامساً لنفسه بجدية:

عواطف!

استعاد زمام الأمور سريعاً قبل أن يشرذم بتفكيره في عائلة تلك الشابة الجامحة التي تتشاجر مع من يفوقها حجماً وقوة بلا خوف، وصاح بصوت خشن لكنه صارم:

خش جوا محلك ولم الليلة، بدل الزعلة ما تقلب معايا أنا!

ثم مال بجسده نحوه ليضيف نبذة مهددة لكن بصوت خفيض لم تتمكن هي من سماعه:

-وبأحذرك كلمة تانية معاها، مش هايجصلك طيب! وانت عارفي أنا مش بأهدد، أنا بأنفذ على طول!

هز الجزار رأسه بإيماءة إيجابية وهو يردد بارتباك:

آ... أوامرك يا سي دياب!

حدجت بسمة ذلك الفظ بازدراء كبير، وهمست بغل:

ماشى، والله لأوريه بتاع الحمير ده!

ثم انحنت لتجمع أشياءها المبعثرة على الأرضية الإسفلتية، وتحركت مبتعدة  
بخطوات غاضبة

تأكد دياب من دخول الجزار لمحله، ثم التفت برأسه للخلف ليبحث عن تلك  
المشاغبة لكنه لم يجدها، فبحث سريعاً بعينه عنها فأراها تسير بخطى متعجلة،  
فركض خلفها مردداً بصوت مرتفع:  
- انتي يا أستاذة!

توقفت عن السير لتلتفت نحوه، وردت عليه بإنزعاج:  
عاوز ايه؟

رمقها بنظرات حادة قبل أن يعاتبها بسخط:  
دي شكرا بتاعتك بعد ما منعتك عنك

زمت شفيتها للجانب ليزداد عبوس وجهها، ثم ردت عليه بامتعاض:  
أها، قولتلي، متشكرين، كتر خيرك!



دقق دياب النظر في قسماآ ووجهها، وأردف قائلاً بدون سابق إنذار:  
-شكلك مش غريب عليا!

ظلت بسمة متجهمة الوجه وهي تجيبه بضيق:  
-ما هو انت متعرفنيش، بس أنا عرفاك كويس يا ابن الحاج طه!

أثار ردها الغامض فضوله أكثر لمعرفة هويتها تحديداً، خاصة أنه بات متأكداً  
من وجود صلة قرابة بينهما، فتساءل بجديفة:  
-الجزار قال إنك بنت عواطف، عواطف بنت خالة أبويا، صح؟

ردت عليه بنبرة متأففة وحاجبها مرتفعان للأعلى:  
-اه هي بعينها، أنا بنتها بسمة!

ابتسم لنفسه بغرور بعد أن أصاب في تخمينه لها، وردد بثقة:  
-اها، افكرتك!

رمقته هي بنظرات قوية قبل أن تتركه وتتحرك مبتعدة عنه متجاهلة إياه عن عمد.

أزعجه تصرفها الفظ معه، فسار إلى جوارها أولاً، ثم سبقها بخطوة ليسد عليها الطريق متسائلاً بقوة:

-رايحة فين؟

أجابته بتهمك وهي تفر في وجهه بنفاذ صبر من اعتراضه لطريقها:

هاعمل محضر للزفت ده وأشوف شغلي، عندك مانع؟

حدجها دياب بنظرات قوية مردداً بصوت جاد:

-استني، الليلة خلاص اتلمت، وأنا خدت منه كلمة إنه مايتعرضلكيش،

فمايش داعي....

قاطعته قائلة بإصرار وقد ظهرت العصبية في نبرتها:

أنا مش هاسيب حقي من الحيوان ده!

رد عليها دياب قائلاً:

هو اللي عملتيه قليل، ده أتى بعترتي بكرامته الأرض!

هتفت بعصبية وهي تنفخ بغضب:

مش كفاية!

أيقن دياب أنه يتعامل مع شابة عنيدة متمسكة برأيها، فأثناها عنه قائلاً بجدية:

طب ويصح تمشي وهدومك مقطعة كده؟

ثم أشار بعينه نحو كتفها الأيسر الذي ظهر جزءاً منه من أسفل كزبتها التي تمزقت بفعل التشاجر مع زوجة الجزار.

شهقت مصدومة حينما رأت ما يشير إليه:

هاه!

حاولت هي تغطية ذلك الجزء المتعري من كتفها بيدها، فتابع هو قائلاً بصوت

أمر:

اطلعي يا بنت عواطف عند أمك!

ردت عليه بتذمر وهي تحاول تعديل هندامها ليخفي البارز من جسدها:

-اسمي بسمة مش بنت عواطف

رفع كفيه أمام وجهها ليردد بجمود:

تمام.. وصلت! اتوكلي على الله وارجمي بيتك!

زفرت بجدة أكبر، واستدارت عائدة للخلف وهي تضع يدها على كتفها،  
وتمت بكلمات غاضبة لكنها وصلت إلى مسامع دياب الذي دس كفيه في

جيبي بنطاله:

هو يوم باين من أوله! محبب على دماغني ودماغ أهلي!

تقوس فمه بابتسامة باهتة وهو يراقبها تنصرف من أمامه، ثم أخرج زفيراً عميقاً  
من صدره، وتحرك بخطوات واثقة نحو وكالة أبيه وهاتفًا بصوت جهوري:

ياللا، الكل على مصالحه، المولد اتفض!

لمح دياب أخيه منذر وهو يسير بخطوات أكبر للركض نحوه صائحاً بنبرة مشحونة:

-في ايه يا دياب؟ العمال بلغوني إنك بتتخايق هنا، و....

قاطع دياب بهدوء وهو يقف قبالة:

-اطمن يا منذر، حاجة هبلة كده وعدت!

ثم جاب بأنظاره سريعاً على رجال أبيه الذين تجمعوا سريعاً وهم يحملون في أيديهم العصي الغليظة وبعض الأدوات الحادة.

سأله منذر بنبرة قاتمة وقد تحولت نظراته للإِظلام:

-يعني ما فيش عوا ولا....؟

نفى أخيه الأصغر الأمر قائلاً بتأكيد:

-لالالا.. أنا حلت المشكل!

هز منذر رأسه بتفهم، وأشار بإصبعيه لرجاله الواقفين خلفه ليعاودوا أدراجهم،

وهتف بصوت خشن:

ماشى، يالا على الوكالة، أبوك مستنينا هناك!

رد عليه دياب بنبرة عادية وهو يربت على ظهر أخيه:  
طيب، بينا!

.....

خرجت ولاء من المرحاض وهي تجفف شعرها المبتل بمنشفة قطنية، ثم  
جلست على المقعد الصغير الموضوع أمام ( التسريحة ) لتبدأ في تمشيطة  
برفق.

أدار مازن جسده للجانب ليراقبها بنظرات راغبة أكثر فيها، ثم نفث دخان  
سيجارتته في الهواء دون أن ينبس بكلمة.

رأت هي انعكاس صورته المتطلعة لها بشهوانية في المرآة، فابتسمت لنفسها  
بغرور وثقة.

التفتت نحوه برأسها، وهتفت متسائلة:

مش ناوي تتجوزني رسمي بدل ما احنا بنتقابل في الدرى كده زي الحرامية  
ولا اللي عاملين عاملة!؟

أجابها بفتور دون أن تتبدل ملامحه أو يجيد بنظراته عنها:  
-والله أنا عاوز، بس الرك عليكي إتني!!

أثار رده حفيظتها، فنهضت من مكانها، ووقفت قبالتها لترمقه بنظرات حادة  
وهي توجه سؤالها الجاد إليه قائلة:  
-قصدك ايه؟!

اعتدل في نومته، وسحب بيده الوسادة ليضعها خلف ظهره، ثم نظر لها  
بنظرات ذات مغزى، وأجابها بنبرة غامضة:  
-أنا لو قولت، ما فيش ضرر عليا!

ضاقت نظراتها نحوه، وكفتت ساعديها أمام صدرها، وكانت على وشك الرد  
عليه لكنه بادر بقول:

-بس انتي هتتحرمي من حاجات كثير، وأولهم ابنك يحيى!

فهمت مقصده، فتبدلت تعابير للإنزعاج، وأرخت ساعديها بضيق كبير.

جلست على طرف الفراش إلى جواره، وزفرت بغيظ وهي تهتف من بين  
شفتيها:

أوف، يادي يحيي اللي معجزني ومكتف ايدي!

نفخ في وجهها دخان سيجارته، ورد بنبرة متحدية وقد تجمدت نظراته عليها:  
أحب ما على قلبي يا ولاء إني أقف في وش طليقتك وأقوله إني اتجوزتك  
وبقيتي مراتي!

نظرت له بجدية، بينما تابع هو بجذر:  
بس أنا عارفه مجنون، هايخسرك كل حاجة وهيدفعك الدين القديم والجديد،  
ومش بعيد يموتك!

تملكتها العصبية، وصاحت بنبرة أقرب للصراخ:  
مازن، خلاص قفل على سترته بتعصبي!

رد عليها بنبرة عقلانية - من وجهة نظره وهو يظنيء العقب الأخير في  
سيجارته:



ماهو كل مرة بنتكلم فيها عن اعلان جوازنا بنوصل لنفس الطريق المسدود  
ده، فخلينا كده أحسن لحد ما أخلص منه خالص!

نهضت من على الفراش، واتجهت نحو خزانة الملابس لتنتقي لنفسها ثوباً  
ملائماً، ولكنها التفتت فجأة للخلف لتضيف بغموض:  
-صحيح الكلام اللي سمعته؟

انتبه لجملتها، وسألها باهتمام وقد انعقد ما بين حاجبيه:  
-انهو كلام؟

أجابته بنبرة جادة ونظراتها القوية مسلطة عليها:  
-انت هتدخل معاه شريك؟

لوى ثغره للجانب، ونفخ بصوت مسموع، ثم أجابها بتهنيدة محتقنة:  
على عيني والله، بس أبويا اللي عاوز كده!

هزت رأسها متفهمة، وسألته بفضول:

أها، ولازمتها ايه الشراكة دي؟

أجابها بصوت قاتم وقد حدق في الفراغ أمامه:

-مفكر إنه بكده بيهدي اللعب بينا، ميعرفش إنها والعة وعلى آخرها!

مطت فمها للجانب، وأضافت قائلة بضجر:

-مممم.. وانت طبعا مضطر تكون معاهم!؟

هز رأسه بإيماءة هادئة وهو يجيها بنبرة غامضة وغير مريحة على الإطلاق:

-ايوه، يمكن تكون دي السكة اللي أحط فيها ايدي على كل حاجة، وأخذ

بحق مجد أخويا المسجون!

.....

وقفت عواطف أمام حوض الغسيل لتكمل تنظيف الصحون المتسخة،

وهتفت بإحباط:

يا مراري اللي ماينتهيش!

هددت ابنتها نيرمين رضيعتها التي تحملها بين ذراعيها لتغفو، وردت عليها  
بحنق:

-كفاية بقي يا ماما، أنا مش ناقصة تنكيت، فيا اللي مكفيني!

تابعت عواطف عويلها قائلة بحزن:

آه ياني، اتخرب البيت، واحنا لا حول لنا ولا قوة

ردت عليها نيرمين بعصبية وقد استنشأت نظراتها:

هو وأهله كانوا عاوزين يخربوه من الأول، وماسكتشوا إلا لما عملوا ده!

أضافت والدتها قائلة بجدية وهي تحاول التفكير بعقلانية:

-احنا عاوزين نشوفلنا صرفة في حاجتك، مش هانسديهاهم، ولازم نربيه!

ردت عليها نيرمين بحزم:

هايحصل، أنا كلمت واحدة صاحبتني تشوفلي محامي شاطر، وربنا يسهل!

سألتها عواطف بجدية وهي تغلق الصنبور:

-القائمة موجودة معاكى صح؟

أومات برأسها إيجاباً مرددة بثقة:

-ايوه، خدتها

تابعت والدتها قائلة بنبرة عازمة:

-كويس، نديها للمحامي ويصطفل مع العالم دول!

ثم تهتت بعمق لتضيف بتضرع:

-كلها بالستر معانا يا رب !

استمعت كلتاهما إلى صوت غلق باب المنزل، فخرجتا سوياً من المطبخ ليريا من بالصالة.

تفاجأت الاثنتان بوجود بسمه وهي في حالة غير مهنمة.

تساءلت عواطف بتوجس قليل وهي تدقق النظر في ابنتها:

-ايه اللي رجعتك يا بسمه؟

أجابتها الأخيرة بصوت مغتاض وهي تلقي بحقيبتها على الأريكة القريبة:  
-كنت بتخافك تحت مع الزيت الجزار!

لطمت عواطف على صدرها شاهقة بفرع:  
يا نصيبي تاني! ايه اللي حصل؟

أجابتها بصوت محدد وهي تغطي كتفها:  
-اتعرضلي وكان عاوز يجيب رقبتى بالساطور

اتسعت حدقتي والدتها في إرتعاد أكبر، وشهقت مذهولة:  
يا لهوي!!!!

تابعت بسمة حديثها قائلة بامتعاض:  
بس ابن الحاج طه اتدخل ومنعه!

تهددت عواطف بإرتياح لوجود أحدهما في المنطقة وقت حدوث المشاجرة  
وتدخله لإيقاظها قبل أن يتطور الوضع للأسوأ..

وبالطبع الفضول تملك نيرمين لمعرفة هويته تحديداً، فتساءلت باهتمام:

مين فيهم؟ مندر ولا دياب؟

التفتت بسمة نحوها، وأجابتها بفتور:

هتفرق يعني معاكي يا نيرمين!

ردت عليها بنبرة مستاءة تحمل السخط:

-لا، بس الواحد لما يبشوف الرجالة اللي زهم بتصعب عليه نفسه!

هتفت والديتها بنبرة شاكرة:

-الف حمد وشكر ليك يا رب، دايماً ساترنا!

هتفت بسمة بنبرة عدائية وهي تشير بيدها:

-والله لو كان سابني عليه كنت دبجته!

نهرتها والديتها على تصرفاتها المتهورة قائلة بتبرم:

-كفاية خناقات الله يهديكي، كل يوم فضايح وقلة قيمة

نفخت بسمة بصوت مسموع، ولم تعقب عليها، فهي تعلم أن الحديث معها لن يجدي بأي حال..

نظرت نيرمين لأختها شزرًا، وتمتمت قائلة بفتور:

-الكلام مع بنتك مش هياثر، هي بتعمل اللي في دماغها وبس

رمقتها بسمة بنظرات ساخطة، ثم هتفت من بين أسنانها بتأفف:

-أنا داخلة أغير هدومي خلوني ألحق أروح الدرس بدل ما اليوم يضيع هدر!

رفعت عواطف بصرها للسماء، وهمست متضرعة:

-استرها مع بناتي يا رب!

.....

أسند طه أريجلته على الجانب بعد أن فرغ منها، ثم حدق في الأوراق الموضوعه أمامه على سطح المكتب ليحصر الطلبات الأخيرة الخاصة بالعملاء، ولكنه رفع بصره للأعلى حينما سمع صوتاً مألوفاً يناديه بود:

سلامو عليكم!

ابتسم طه ابتسامة عريضة وهتف مرحباً وهو ينهض لمصافحة مهدي:  
يا مرحب بالحاج مهدي، الوكالة نورت !

بادله الأخير المصافحة، ثم جلس على المقعد المقابل لمكتبه، وردد قائلاً بعتاب زائف:

أهلاً بيك يا حاج طه، قوت أعدي واسأل بدل ما أنتو مقللين الزيارات عندي

أجابه طه بنبرة مرهقة:

مشغوليات يا مهدي، أديك شايف السوق وطلباته اللي مابتخلصش!

هز مهدي رأسه متفهماً وهو يقول:

الله يكون في العون!

سأله طه بجدية وهو يشير بيده لأحد عماله:



تشرب ايه؟

رفع مهدي كفه للأعلى قائلاً ياعترض:

مالوش لزوم

احتج طه على رفضه للقيام بواجب الضيافة معه مبرراً:  
ودي تيجي بردك، ده انت ضيفي، أنا هاطلب أكل وشاي نحسب بعدها

أصر مهدي على رأيه قائلاً:

-والله ما له أي لازمة، أنا واكل وكله تمام والحمدلله

في نفس التوقيت ولج منذر إلى داخل الوكالة متحدثاً في هاتفه المحمول  
بكلمات مقتضبة وغامضة:

خلاص تمام، على قديمه، ولو في حاجة اطلب عليا! سلام!

أنهى المكالمة مع المتصل ثم اقترب من الحاج مهدي ليصافحه قائلاً بصوت  
جاد:

سلامو عليكم، ازيك يا حاج مهدي، منورنا!

رد عليه مهدي بابتسامة مصطنعة:

-وعليكم السلام يا مندر يا بني

التفت مندر ناحية أبيه، وهتف بجدية وهو يوميء بعينه:

-بأقولك يا حاج، دياب راح المخازن يحمل بضاعة ويسلمها وهيرجع على الفجر  
كده!

رد عليه طه بهدوء:

-ها، ربنا معاه ويعينه

ثم استدار ناحية مهدي وجلس في مواجهته، وباشر حديثه مرددًا:

-شرفتنا يا حاج مهدي، الوكالة بتاعتك، انت مش غريب فاعذرني لو مشغول  
عنك شوية!

رد عليه مهدي بتفهم:  
-الله يكرمك، ابن أصول!

هتف الحاج طه متسائلاً بنبرة عادية:  
-ها قولي ايه الأخبار معاك؟

سلط مهدي أنظاره عليه، ورد عليه بنبرة غامضة:  
-ده أنا اللي جاي استفسر عن الجديد عندكم يا حاج طه

تبادل طه مع ابنه البكري نظرات حائرة، فأكمل مهدي موضحاً بجدية:  
-قصدي عن المطعم!

رد عليه طه بهدوء وهو ممتعض الوجه بسبب استنشاره لوجود شكوك ما في  
نفسه:

-احنا شغالين فيه!

أكفهرت تعابير وجه منذر بعد أن لاحظ الضيق الظاهر على وجه أبيه،  
 واستطرد حديثه قائلاً بنبرة شبه حادة ومشيراً بكفه:  
 -عذرني يا حاج لو هاقطعك!

رد عليه أباه قائلاً بتهيدة متعبة وهو يضرب بعكازه الأرضية:  
 -خد راحتك يا منذر!

سلط منذر أنظاره القوية على ضيفه، وهتف قائلاً بجمود:  
 -شوف يا حاج مهدي، احنا عند اتفقنا وبدأنا في التوضيب والتوسعات، بس  
 في كام حاجة معطلة الموضوع شوية ومأخراه!

ضاقت نظرات مهدي، وسأله بتوجس قليل:  
 -مش فاهم، ده معناته ايه؟

مد طه يده ليرت برفق على فخذ مهدي قائلاً بابتسامة باهتة:  
 -كل خير، اطمن!

أوضح منذر حديثه المقتضب هاتقًا بضيق قليل:  
الحكاية باختصار إن في دكان في نص المحلات اللي بنفتحها على بعض مش  
بتعنا، احنا هنشتريه من أصحابه ومستنين يوقعوا ورق البيع ونبتدي على  
طول!

حرك مهدي رأسه متفهمًا:  
تمام، إن كان كده يبقى على بركة الله!

رد عليه طه بزفير عميق:  
-ربنا كريم!

هب مهدي واقفًا من مقعده بعد أن اطمأن على سير الأمور وفق ما يريد،  
وتشددق قائلًا:

طيب هستأذن أنا!

نهض طه هو الآخر من على المقعد مرددًا بعتاب مجامل:  
ما بدري، هو انت لحقت تاخذ قهوتك ولا.....

قاطع مهي بصوت هاديء:

-وقت ثاني، أنا قولت أعراف الجديد عنكم، والحمد لله اطمنت!

أوما طه برأسه متفهماً وهو يقول:

ماشبي

ودعها مهي قائلاً بابتسامة ودودة:

فوتكوا بعافية، سلامو عليكم!

رد عليه منذر بصوت قاتم وهو يتابعه بنظرات حادة للغاية:

-وعليكم السلام!

ثم التفت برأسه نحو أبيه لتزداد نظراته عمقاً، وتابع بنبرة مرتابة:

-زيارته دي مش مريحاني!

رد عليه طه بهدوء هو يعاود الجلوس على مقعده:

عاوز يطمئن يا بني، ما انت عارف!

انزعج منذر من أسلوبه المشكك، وصاح بضيق واضح:

هو كان كلام عيال!

رد عليه أباه بهدوء محاولاً امتصاص نوبة غضبه قبل أن تندلع:

لأ، بس ابنه مش راجل في كلامه!

هتف منذر قائلاً بنبرة متوقدة وقد ضاقت نظراته بصورة مخيفة:

والله اللي حايشني عنه هو انت يا حاج!

ربت والده على كتفه قائلاً بنبرة متريثة:

ده مش من قيمتك يا بني، ركز انت بس في شغلك

www.egyptian.com

ضغط منذر على شفتيه ليردد بصعوبة:

ماشى! هارکز!!!!!!

.....

أوصدت حنان الخزنة المعدنية القديمة الموجودة بالرف السفلي بخزانة ثيابها الخشبية بعد أن وضعت عدة ملفات وأوراق على حجرها. تراجعت بمقعدها المتحرك للخلف، ثم أغلقت ضلفتي الخزانة، واستدارت نحو فراشها.

بدأت هي في مطالعة محتوى الملفات أولاً باحثة عن شيء محدد ألا وهو ( صك ملكية الدكان ).

لم تجده وسطهم، فتهدت بإستياء، واكتسى وجهها بعلامات الضجر. ولكن استرعى انتباهها ذلك المغلف القديم الموضوع وسط الأوراق. أمسكته بأطراف أناملها، وتأملته وهي تديره بأصابعها للجانبين محاولة اكتشاف مابه. ولكنه كان خالياً من أي معلومات تشير إلى محتواه. وبخدر شديد قامت بفتحه لتخرج ورقة مطوية بعناية.

حدقت فيها بإستغراب، ثم قامت بفردتها لتقرأ بصوت شبه مسموع ما دون أعلاها:

عقد بيع



خفق قلبها إلى حد ما، وابتلعت ريقها بتوتر، ثم تابعت قراءة ما كتب فيها بتأني شديد.

اتسعت حدقتها مع كل كلمة تقع عينها عليها، وارتسمت علامات الدهول المزوجة بالصدمة على قسماط وجهها المرهق.

تسارعت أنفاسها وهي تردد بنبرة مصدومة متلعثمة:

-أتنازل عن حصتي المملوكة في ميراث أبي بدكان عطارته لابنتي أسيف بيعاً وشراءً

انفرجت شفقتها بصدمة أكبر، وتراخت يدها الممسكة بالعقد.

حدقت أمامها بنظرات فارغة، وبدت لوهلة عاجزة عن استيعاب الأمر.

هزت حنان رأسها مستنكرة ما فعله زوجها، ورددت بقلق كبير:

ليه عملت كده يا رياض ليه.....!!؟

.....

## الفصل السابع:

ارتجف جسد حنان بعد أن قرأت ذلك العقد القديم الذي تنازل فيه زوجها  
الراحل عن نصيبه في إرث أبيه لابنتها الوحيدة.

احتارت كثيراً في سبب إقدامه على فعل هذا دون إبلاغها بالأمر أو حتى  
التلميح عنه.

ربما هو أراد حمايتها بتلك الطريقة، وإعطائها ما تستحق دون الدخول في  
مشاحنات أو ما شابه، لكنها باتت تخاف أكثر من تحول الأمر للعكس.

ضغطت على شفيتها بقوة، وهزت رأسها مستنكرة قراره النافذ.

لم تكن تريد لصغيرتها أن تخوض تجربة الصراع والكره مع أقارب والدها الأصدقاء، فهي على دراية تامة بشراسة طباعهم ونواياهم الدنيئة، وقد كانت هي إحدى ضحاياهم قديماً، حينما افتدت الحاج خورشيد وتلقت طلقة نارية طائشة كادت تودي بحياته، فأصابها في مقتل، وسببت لها العجز.

وكل هذا بسبب تخصيصه لجزء من أملاكه لابنه رياض مع شقيقته عواطف. كان الهدف من محاولة الاعتداء هي قتل ابنه لضمان عدم حصوله على شيء، لكنها ظهرت في المكان الغير مناسب لتلقاها هي.

وقتها قرر رياض الزواج منها، وتحسرت حنان على حالها، فقد اعتقدت أنه زواجاً لمجرد الشفقة والتعويض، لكنه أثبت لها على مدار السنون أنه زواجاً قائماً على الحب والمودة والعشرة الطيبة.

طأطأت رأسها بجزن، وأخرجت زفيراً عميقاً من صدرها، ثم تمت مع نفسها بنبرة خائفة:

عدي اللي جاي على خير يا رب!

.....

مط الحاج طه فمه للأمام وهو يطالع باهتمام بعض التجديدات التي طرأت في  
المحال المملوكة له أسفل البناية موضع الاتفاق وهو يقف على مسافة جيدة  
لتمكنه من الرؤية بوضوح.

بالطبع كان الدكان العتيق يفصل بين تلك المحال، ويحول دون توسعها بالشكل  
المطلوب.

نفخ بضيق من وجوده في وسطهم مانعاً من إتمام الإتفاق المبرم سابقاً. نفخ  
مجدداً، وصاح عالياً بنبرة شبه محتدة:  
-شبطوا المحارة خلينا نشوف هنعمل ايه

خرج أحد العاملين بالداخل ليرد بجديّة:  
-كله تمام يا حاج، المونة تنشف، ويبدأ الكهربائي شغله ويرمي مواسير الكهربيا

ضرب بعكازه الخشبي الصلب الأرضية من أسفله، وهتف فيه بصرامة:  
-ماشى، مش عاوز تأخير!

أشار العامل بيده للأمام قائلاً بجديّة:  
هي العطلة بس من الدكان ده! واقف في النص و....

قاطعته طه قائلاً بغلظة قبل أن يتم الأخير عبارته:  
خلصوا شغل في اللي معاكو وربنا يسهل في الزيت ده!

هز العامل رأسه إيجاباً وهو يردد بجنوح:  
-أوامرك يا حاج!

ثم دس الحاج طه يده في جيب جلبابه الرمادي ليخرج هاتفه المحمول منه،  
ووضعه على أذنه بعد أن ضغط على زر الاتصال بابنه البكري.  
انتظر للحظات قبل أن يسمع صوته على الطرف الآخر، فهتف عاليًا:  
-ايوه يا مندر، انت فين؟

أجابه مندر بصوت جاد:  
-بأخلص كام مصلحة يا حاج

هتف فيه أباه بصلاية:

حطب يا بني، أما تفضي عدي عليا، عاوزين نروح لعواطف النهاردة

رد عليه منذر بصوت خشن:  
حاضر، اديني ساعة زمن!

أخذ الحاج طه نفسًا عميقًا، وزفره دفعه واحدة ليجيبه بإنزعاج ملحوظ:  
ماشى يا بني، الله يعينك  
سلام يا حاج

أنهى طه المكالمة مع ابنه ثم أعاد وضع هاتفه في جيبه، وظل محددًا بالدكان العتيق بنظرات مطولة لا تنتوي أي خير على الإطلاق.

.....

حدجت جليلة ابنتها الصغرى أروى بنظرات حادة وهي تصيح فيها بصوت  
أمر بعد أن ضجرت من تكاسلها عن استذكار دروسها:  
يا بت اعلمي الواجب بتاعك!

نفخت الصغيرة بعبوس ظاهر على محياها وهي تردد:  
مش فاهمة فيه حاجة، خليني أخذ درس!

هتفت فيها بصوت ممتعض وهي ترفع حاجبها للأعلى:  
أبوكي قايل مافيش طلوع من البيت، عاوزة تتهدلي تاني!

زفرت أروى مجددًا قائلة بإستياء وهي تستند بوجهها على كفيها:  
-يووه، أنا زهقت مش فاهمة حاجة خالص، والواجب كثير وصعب أوي.

أضافت والدتها قائلة بنبرة حاسمة:  
-أما يحي أبوكي هاكلمه في الموضوع ده، وبالمره يشوف أبله تذاكر للواد يحي  
هو كمان!

تهللت أساريرها نسبيًا بعد اقتراح والدتها، وهتفت متسائلة بتفاعل:  
طيب والواجب؟

أجابتها بقلة حيلة وهي تغلق الكتب المفتوحة:

استني أما يرجع حد من أخواتك الكبار ويساعدوكي فيه، أنا مش فاهمة منه  
كلمة

اتسعت ابتسامة الصغيرة على أشدها حتى برزت نواجذها لعدم اضطرابها  
للاستذكار، ثم تساءلت بحماس:

ماشني يا ماما، ينفع اتفرج على التلفزيون؟

ردت عليها جليلة بعدم مبالاة وهي تهز فمها للجانبين:

قومي، ماهي مش جاينة همها!

نهضت أروى سريعًا من مقعدها وهي تدندن بسعادة، فنظرت لها والدتها  
يأندهاش من تصرفاتها الطفولية، ثم نهضت هي الأخرى عن الطاولة وقامت  
بجمع مذكرات وكتب صغيرتها ورصتهم فوق بعضهم البعض.

انتبهت هي إلى صوت رنين الهاتف الأرضي، فتحركت بتهمل نحوه لتجيب  
عليه.

رفعت السماعة ووضعتها على أذنها، وردت بصوت أمومي:

ألو، مين؟



استمعت للصوت الأثوي الذي أتاها على الطرف الآخر فعرفت هويتها فورًا.  
تبدلت ملامح وجهها للعبوس، وتحولت نظراتها للإنزعاج، ثم تابعت قائلة  
بامتعاض جلي:

-ايوه يا ولاء، خير؟

ظلت جليلة صامته لبرهة مصغية لما تقوله طليقة ابنها، وردت عليها باقتضاب:  
يحيي نايم، يا حبيبي جاي تعبان من مدرسته

سكتت عن الحديث لتستمع لها، وأضافت بإيجاز:  
-ماشي، أما يصحى هخليه يكلمك، سلام

نفخت بإشمئزاز، ووضعت الساعة بضيق كبير، ثم هتفت بنبرة تحمل البغض  
والغل:

-ربنا يريحنا منك، لولا الواد كنت آ.... استغفر الله العظيم، دايماً تفور دي  
كده!

.....

على الجانب الآخر، طلبت حنان من ابنتها أن تنهي أعمال المطبخ سريعاً  
لتجلس معها لتحدث الاثنتان في أمر هام.  
ظل بال أسيف مشغولاً وهي تجفف الصحون محاولة تخمين ذلك الموضوع  
الطارئ الذي تريد والدتها مفاحتها فيه.  
جففت يديها، وتوجهت إلى غرفة مكتب أبيها حيث تتواجد أمها، ثم جلست  
على الأريكة بجوار مقعدها المتحرك.  
ابتسمت برقة وهي تتساءل بصوت خفيض لا يخلو من القلق:  
خير يا ماما!

حدقت فيها حنان بنظرات عميقة قبل أن تجيبها بحذر:  
أسيف، كنت محتاجة أحكي معاك في حاجة!

استشعرت هي وجود خطب ما، فوالدتها منذ باكر تبدو على غير طبيعتها.  
يوجد شيء ما يشغل عقلها وبشدة حتى بات تأثيره ظاهراً على ملامحها  
البسيطة، فبدت أكثر إرهاقاً وذبولاً.

ردت أسيف عليها بنبرة متوترة وقد اضطربت نظراتها نوعًا ما:  
قلقتيني، انتي كويسة، بتشتكي من حاجة في جسمك، صحتك تمام؟

ابتسمت والدتها ابتسامة هادئة، وأجابتها بصوت خفيض وهي توميء برأسها  
بإيماءة خفيفة:

اطمني يا بنتي!

ربت على فخذها برفق وهي تتابع بتنهيدة خافتة:

أنا الحمد لله في أحسن حال

تنفست أسيف الصعداء وهي تجيبها:

يا رب دائماً

ترددت حنان نوعًا ما في كيفية البدء في الحديث الجدي، ولكن لا بديل عن  
فعل هذا.

ابتلعت ريقها، وأردفت قائلة:

الموضوع بخصوص أبوكي الله يرحمه!

هوى قلبها في قدمها عقب تلك العبارة الأخيرة، واضطربت أنفاسها نسيباً.  
سيطر عليها التوتر، وتساءلت بتلهف:  
خير؟

ترددت والبتها في إبلاغها بصراحة.  
صمت للحظات، ثم استطردت حديثها قائلة بتلثم ملحوظ:  
- كنا اتكلمنا قبل كده عن... عن عمك عواطف والقطيعة اللي بينا!

هزت أسيف رأسها بإيماءة قوية مرددة بنزق:  
- إيوه، بس حضرتك مش حكيتي أي تفاصيل

أخفضت حنان نظراتها قليلاً، وردت بجذر:  
سيك من التفاصيل دي، المهم عندي تعرفي بموضوع الدكان

هتفت أسيف متسائلة بجديّة:

ورث بابا من جدي خورشيد؟

أجابها حنان بهدوء وهي تسلط أنظارها عليها:  
-ايوه!

ساد صمت قليل بينهما ولكنه مليء بالكثير من خلال نظراتهما العميقة.  
قطعت والدتها مضيفة بتنهيدة مطولة:  
-عمتك قالت إن حقنا في الدكان محفوظ!

استعادت هي سريعاً في ذاكرتها ما دار في المكلمة الأخيرة مع عمته. لذا حركت  
رأسها إيجاباً مرددة:

اه، الرسالة اللي قالتلي أوصلها لك

تابعت والدتها قائلة بغموض:

مضبوط، ورياض الله يرحمه عمل ده، وحفظك حقك!

عقدت أسيف ما بين حاجبها متعجبة، ثم رددت بحيرة وهي تحاول تخمين  
المغزى من عبارة أمها الأخيرة:

-مش فاهمة!!!!

حدقت فيها حنان بنظرات ثابتة، ولم تطرف عينها لثوانٍ وكأنها تستمد قوتها  
لتقول بنبرة متريثة:

-أبوكي اتنازل عن نصيبه بالكامل ليكي!

اتسعت مقلتي أسيف بإندهاش كبير، ولم تصدق ما سمعته توأ.

انفرجت شفيتها مرددة بصدمة:

-ايه؟

استأنفت حنان حديثها بهدوء مريب للغاية:

-وده العقد بتاعه!

ثم مدت يدها بورقة قديمة مطوية نحوها.

تناولتها أسيف منها، وألقت نظرة عامة سريعة وشمولية على فخواها، ثم رفعت رأسها للأعلى لتتساءل بحيرة بادية على محياها:  
 طب بابا عمل كده ليه؟

هزت والدتها كتفها نافية وهي تجيبها بصوت هاديء:  
 مش عارفة، جايز كان يفكر يحافظلك على حقوقك، يمنع الغريب يشاركك،  
 مش فاهمة دماغه كانت فيها ايه بالضبط!!!!

رمشت أسيف بعينها متسائلة بنبرة قلقة:  
 طب واتتي يا ماما كنتي عارفة بده؟

حركت رأسها بالنفي وهي ترد:  
 -لا للأسف، أنا اتفاجأت باللي عمله!

أعادت أسيف التطلع للعقد مجدداً لتقرأه بتمعن.  
 بدت الحيرة واضحة في ردة فعلها وفي نظرات عينها.  
 ضغطت على شفيتها متسائلة بخوف:

طب.. طب وهانصرف ازاي؟ يعني عمتي عارفة؟

أجابتها والبتها بهدوء:

-يتبيالي لأ-

صمت الاثنتان مجدداً ليفكرا في الأمر بروية.

نظرت أسيف للموضوع من زاوية مختلفة نسيباً عن السابق، فحفت حدة  
توترها نوعاً ما، وبدأت في حساب الأمور من منظور آخر.

ابتسمت برقة وهي تهمس:

ماما

حدقت فيها حنان قائلة:

-ايوه يا حبييتي

مالت هي للأمام بجسدها، وجمدت نظراتها عليها قائلة بحماس عجيب:

مش جازي يكون الدكان ده بداية خير لينا



استغربت حنان من تبدل حال ابنتها، وسألتها بنزق:

بمعنى؟

بررت أسيف ما عقدت العزم عليه قائلة بنبرة عقلانية:

-يعني أنا فكرت قبل ما أعرف بالعقد ده إننا نروح عند عمتي!

ضاحت نظرات حنان، وقطبت جبينها بضيق بائن، ثم هتفت غير مصدقة ما

قالته:

ايه؟ نروح عندها؟!!!!

شعرت أسيف بإستنكار والدتها لتفكيرها في هذا الأمر، وتابعت معللة بهدوء

محاولة الحفاظ على ثبات ردة فعلها المتحفزة:

-اللي اقصده ان احنا كنا هنروح لدكتور كويس عشان حضرتك، فلو أمكن

نستغل الفرصة ونزور عمتي وأشوف الدكان بالمرّة!

ردت عليها أمها بامتعاض:

مش وقته يا أسيف!

ألت هي قائلة بإصرار أشد وهي تمد يدها لتمسك بكفها:  
 صدقيني يا ماما ما فيش أحسن من دي فرصة، احنا معدتش لينا حاجة هنا  
 تربطنا بالمكان غير البيت ده، وبصراحة أنا مش هاتحمل إني أشوفك بتتوجعي  
 قصادي وأفضل ساكتة

سحبت حنان يدها من كفها، وردت بجدية صارمة:  
 -رنا يخليكي ليا يا بنتي، أنا مش محتاجة حاجة!

رقت أسيف من نبرتها، ونظرت لأمها بنظرات عاشمة مرددة بإصرار:  
 عشان خاطري يا ماما، الموضوع مش هياخد غير كام يوم وخلص!

لم تتوقف أسيف عن التثبيت برأيها، ولم تعدل عنه. اعتبرت المسألة فرصتها  
 الذهبية لترك تلك القرية الريفية والخروج إلى الحضر.  
 وبالطبع لم تستطع حنان الصمود أمام عنادها الشديد. فقد كانت أسبابها  
 منطقية للغاية ومقنعة.

وهي لم تحاول إظهار خوفها عليها من ذلك المستقبل الغامض.

وفي الأخير تخلت عن رفضها، و تهتد قائلة باستسلام:

ماشى، بس هانروح نقعد فين؟

أجابها أسيف بتلهف:

أي لوكاندة على أدنا، وإن شاء الله مش هانطول!

ردت عليها أمها بهدوء:

طيب

اتسعت ابتسامة أسيف أكثر، وهلت بسعادة واضحة بعد أن استجابت

لطلبها:

حببتي يا ماما، ربنا ما يجرمني منك أبدًا

.....

علقت جليلة جلاب زوجها في المكان المخصص له، ثم التفتت ناحيته قائلة

بعبوس:

اتأخرت يا حاج

أجابها يارهاق وهو ينزع حذائه عن قدميه:  
-مشاغل يا جلييلة!

هتفت هي قائلة بتضرع معتاد:  
-ربنا يكرمك يا حاج طه ويوسع رزقك!

نظر لها دون أن يعقب، فتابعت قائلة بتوجس:  
-أنا بس خايفة عليك لتتعب بزيادة

رد عليها بصوت منهك:  
-ربك المعين

ثم استدار برأسه ناحية باب الغرفة متسائلاً باهتمام:  
-أومال فين أروى والواد يجيي؟

أجابته بنبرة عادية وهي تشير بيدها للخلف:

أعدين يلعبوا جوا في اوضتهم

أضاف هو قائلاً بجدية:

طيب، جهزلي لقمة أكلها لأحسن على لحم بطني من الصبح

ردت عليه بحماس:

ثواني والأكل يكون عندك يا حاج

وبالفعل خرجت من الغرفة لتتجه نحو المطبخ فرأت ابنا منذر مقبلاً عليها

ومودعاً إياها في نفس الوقت مردداً:

ست الكل!

نظرت له بغرابة وهي تتساءل:

رايح فين يا منذر؟

أجابها بتنهيدة متعبة:

-رايح المطعم أشوف التوضييات وأتكلم مع المهندس المسئول!

هتفت قائلة بإصرار وهي تضع قبضتها على ذراعه لتمسك به:

طب استنى هاجمك لكمة تأكلها على السريع

أزاح يدها برفق عنه قائلاً باقتضاب وقد ظهر الانهك واضحاً على تعابير وجهه:

-لأ مش عاوز!

-منذر!

هتف بإسمة أباه بصوت مسموع وجاد للغاية، فالتفت برأسه نحوه وردد ممتثلاً:

-ايوه يا حاج

تابع طه قائلاً بلهجة شبه أمرة:

-أما تخلص عدي على عواطف وشوف عملت ايه لأن انت اتأخرت عليا وأنا

زهقت من الأعدة في الوكالة!

هز رأسه متفهماً وهو يقول:

ماشى، سلامو عليكم!

ردت عليه والدته التحية قائلة بصوت أمومي حاني متابعة إياه بنظراتها الدافئة:

-وعليكم السلام، في حفظ الله يا ضنايا، وربنا يكفيك شر الناس!

.....

أوماً دياب رأسه بإعجاب وهو يجوب بأنظاره المطعم متأملاً التجديدات التي طرأت عليه، وأردف قائلاً بتحمس وهو يربت على كتف مهندس الديكور:

عال الشغل ١٠٠ ١٠٠ يا رجالة!

رد عليه الأخير قائلاً بسعادة:

-انت تؤمر بس يا ريس دياب

أضاف دياب قائلاً بجدية وهو يشير بذراعه موضحاً ما يرغب في القيام به من تعديلات لائقة من وجهة نظره:

أنا عاوزك توسع المدخل من هنا، وتعمل جيسون بورد في الحتة دي،  
وتشيل الجزئية دي مالهاش لازمة!

هز المهندس رأسه بتفهم مرددًا:

تمام، أنا هاكتب الملاحظات المطلوبة كلها وأظبطها، وبعد كده أعرضها عليك  
قبل ما أبدأ التنفيذ دي!

متفقين

في نفس التوقيت ولج منذر إلى داخل المطعم ليجد أخاه واقفًا إلى جوار  
مهندس الديكور، فهتف بصوت مرتفع يحمل المفاجأة:  
الله، انت هنا؟!

التفت دياب برأسه نصف التفاتة نحوه، ورد عليه بجدية:

منذر! حبيبي

وضع منذر ذراعه حول كتف أخيه الأصغر، وربت عليه برفق ثم سأله  
ياستغراب:



ايه اللي جابك؟ مش كان لسه عندك تسليم؟

أجابه الأخير بعبوس:

-أتأجلت الطلبة، الزيتون فلسع (توفى)!!

تعجب مندر مما قاله، وردد بضيق قليل:

يا ساتر يا رب!

ثم انتقل للسؤال التالي مردداً باهتمام:

ها اتكلمت مع المهندس؟

أجابه دياب بثقة:

أه، هايظبط كل حاجة زي ما احنا عاوزين

زم مندر فمه للأمام قائلاً بإعجاب:

عظيم!

وسريعًا تحولت ملامحه للإنزعاج وهو يضيف على مضمض:  
ناقصنا بس نشوف البلوى اللي في النص دي!

فهم دياب المغزى من عبارته الغامضة، فأردف موضحًا دون تردد:  
-تقصد الدكان!

رد عليه منذر وهو ينفخ بضيق:  
هو في غيره يا دياب

واقفه أخيه الرأي قائلًا:  
عندك حق، معطلنا كثير

أضاف منذر قائلًا بنبرة عازمة وقد ضاقت نظراته للغاية:  
أنا رايح عند عواطف أتكلم معاها أشوفها وصلت لايه

رد عليه دياب بجدية:

طب خدني معاك في سكتك

استغرب مندر من رغبته في الذهاب معه لتلك الزيارة الثقيلة على قلبه  
متسائلاً بتعجب:

هتطلع معايا عندها؟

هز رأسه بالإيجاب معللاً:

اه، وأهوو بالمرّة لأغيا بلغة السوق إن كانت معصلجة!

زفر مندر بصوت مزعوج، ثم دس يديه في جيبي بنطاله الجينز مضيفاً بتأفف:  
-المشكلة مش فيها هي، دي في أخوها!

رد عليه دياب بعدم أكثر:

-أهوو نشوفله سكة إن كان معاند في البيع

أخرج مندر يداً واحدة من جيبيه، ولكز بها أخيه في كتفه قائلاً بحزم:

طيب، تعالى

وبالفعل تحرك الاثنان إلى خارج المطعم متجهين إلى البناية التي تقطن بها  
عواطف عاقدين العزم على الوصول إلى حل حاسم و نهائي بشأن  
الدكان.....

## الفصل الثامن:

اتجهت نيرمين وهي تحمل رضيعتها الغافية على كتفها نحو باب منزلهم لتفتحه  
بعد استماعها لقرع الجرس الخاص به، وقفت أمام العتبة تتأمل المتواجدين  
باستغراب قليل.

أردف منذر قائلاً بنبرة خشنة:

سلامو عليكم

سريعاً تداركت الموقف وتنحنت بخفوت قائلة بترحيب:

-وعليكم السلام، يا أهلاً وسهلاً!

تابع هو متسائلاً بجدية ونظراته تحولت للجمود:

الست عواطف موجودة؟

حدقت فيه بقلق ظاهر، ووزعت أنظارها بينه وبين أخيه الواقف خلفه مجيبة إياه:

اه موجودة!

ابتلعت ريقها بتوجس وتساءلت بتلثم:

هو..... هو في حاجة؟

رد عليها بغموض:

أنا عاوز أتكلم معاها

أضف دياب قائلاً بعتاب:

هو احنا هنفضل واقفين كثير على الباب؟!

أيقنت شرودها عن التصرف بلباقة مع الضيوف، فهددت رضيعتها برفق،

وتنحت للجانب قائلة بجرح:

لا مؤاخذة، اتفضلوا، ده بيتكم!

صاح منذر عاليًا لينبه من بالداخل لوجوده:

يا رب يا ساتر

بينما تنحج دياب بخشونة مرددًا:

احم.. سلامو عليكم!

اتجه الاثنان نحو غرفة الصالون حيث المكان المعتاد لاستقبال الزائرين، بينما  
أسرعت نزمين في خطاها لتبلغ والدتها بوجودهما بالخارج، لفت عواطف  
حجاب رأسها سريعاً دون عناية بمظهره النهائي، وسارت بخطوات شبه سريعة  
نحوها.

ابتسمت قائلة بود مرحبة بهما:

يا مرحاب بالغالين!

نهض الاثنان من على الأريكة العريضة ليصافحها، ثم عاودا الجلوس مرة  
أخرى، لم يرغب منذر في إضاعة الوقت هباءً، لذلك استطرد حديثه قائلاً  
بعجالة وبجدية شديدة:

شوفي يا ست عواطف، أنا جاي النهاردة عشان أحط النقط على الحروف  
في موضوع الدكان

حدقت فيه بارتباك كبير، فقد بدا في نبرته وفي نظراته المسلطة عليها الحزم  
والشدة، ازدردت ريقها قائلة بحذر:

ما أنا... مش ساكتة يا سي منذر بس....

انزع منذر نوعاً ما بسبب استشعاره لتقاعصها عن إتمام تلك المسألة الحيوية،  
وقبل أن تكمل جملتها للنهاية قاطعها قائلاً بعصبية قليلة:

مش وقت بسبسة يا ست عواطف، دي مصالح وارتباطات مع ناس كثير،

مش فاضين للأعذار والحجج

دافعت عواطف عن موقفها قائلة بتلهف:

-والله ما حجج!

ثم أخفضت نبرتها نسيبًا لتتابع بحزن واضح:

-أنا بس أخويا رياض مات من قريب وماكوتتش أعرف

حلت الصدمة على وجهي كلاً من منذر ودياب، وتبادلا نظرات مزعوجة

ومزوجة بالحيرة، فلم يتوقع أحدهما وفاة الشريك الأخر لعواطف، وبالتالي

تشكلت عقبة أخرى أمام إكمال مسالة البيع.

ردد منذر بنبرة واجبة:

-البقاء لله

ردت عليه بصوت مختنق:

-الدوام لله وحده

بينما أضاف دياب مواسيًا:

-الله يرحمه، البركة فيكي اتني!

ردت عليه بتفهم:

-اللهم امين، تعيش يا بني!

ساد صمت حذر لعدة لحظات قبل أن تستأنف عواطف حديثها قائلة  
بصوت مضطرب:

-أنا كنت هافتحه في بيع الدكان، بس.. بس اتفاجئت باللي حصله، ده حتى  
معرفتش أقوم بالواجب ولا....

تلك المرة قاطعها دياب قائلاً بجمود متخيلاً عن هدوئه:

-شوفي يا ست عواطف المثل بيقول الحي أبقى من الميت، وبصراحة كده  
احنا بنسابق الزمن عشان ننجز  
ردت عليه بقلة حيلة:

-وأنا متأخرتش عنكم يا دياب يا بني!

ضجر منذر من فتور ردودها، فصاح محذراً إياها من المماطلة بانفعال ظاهر:  
-احنا مش بنهزر ولا ده لعب عيال!  
بينما أضاف دياب بتهديد ضمنى:

-خليكي فاكرة يا ست عواطف إن الدكان اتفقنا هنشتريه وبسعر كويس  
فبلاش ملاوعة من أولها، لأن ده مش في مصلحتك!  
نفت سريعاً إتهامه لها قائلاً بخوف:

-والله ما ملاوعة، دي.. دي ظروف حصلت!  
رد عليها غير مكترث:



ماليش فيه ده كله!

هزت رأسها بإيماءات متتالية قائلة:

حاضر، أنا هاتصل بمراته، وأفاتها في بيعه!

نهض منذر فجأة من مكانه، وتابع قائلاً بصوت قاتم:

-عملي اللي تعمله يا ست عواطف، المهم يخلص في أسرع وقت!

ماشى

أكمل دياب مهدداً بعد أن هب واقفاً هو الآخر:

-كمان أنا لحد دلوقتي مصدر الوش الحلو، فبلاش أضطر استخدم الوش

التاني، وإتي مش محتاجة تعرفيه

-اطمنوا، اللي اتتو عاوزينه هايحصل!

ثم هتفت بنبرة عالية:

يا نيرمين، الشاي أوام للضيوف

رد منذر معترضاً بجمود:

-مالوش لازمة، احنا ماشيين على طول

ألحت قائلة بإصرار كبير:

-والله ما يحصل أبداً، ده اتتو كده بتشتموني

نظر منذر لأخيه، وأشار له بعينه قائلاً بهدوء:

خلاص اقعد يا دياب، خمساية وتوكل على الله!

رد عليه أخاه على مضض:

طيب

.....

في نفس التوقيت عادت بسمة من الخارج وعلى وجهها علامات سخط جلية.

كانت منزجة للغاية من تصرفات أولياء الأمور المستفزة في بعض الأحيان والدافعة لحنقها المستمر، لم تشعر بوجود غرباء في منزلها، فأخذت راحتها في التذمر من وضعها المأساوي في الدروس الخاصة التي تقوم بإعطائها مرددة بصوت مرتفع وهي توصل باب المنزل:

-امتي يتوب علينا ربنا من الهمة ده، بجد ناس معندهاش لارحة ولا أدب من الأساس!

أسرعت نيرمين ناحيتها قائلة بصوت خفيض وهي ترمقها بنظرات حادة للغاية: -بسمة، وطبي صوتك في.....

لم تمهلها الفرصة لإكمال ما تريد قوله، حيث هتفت بتبرم:

-الواحد بيتقى قاعد في الدرس كافي خيره شره ومركز في اللي بيديه للليل من دول ويلاقى الأم بتظبطني ياختي مع أخوها

فغرت نيرمين شفيتها مصدومة مما تردده أختها بلا وعي، وحاولت تحذيرها لتكف عن الحديث، لكن كانت الأخيرة كالصاروخ في اندفاعها بعباراتها الناقمة على وضعها.

تابعت غير مهتمة بإيماءات وإشارات أختها الغامضة والغير مفهومة بالنسبة لها:  
خال الواد عمال يظبط زوايا معايا من صباحية ربنا عشان أخذ باله منه ومبجلاً فيا بعينه على وسعهم!

هزت نيرمين شفيتها للجانبين مستنكرة تلك الفضائح التي تنفوه بها، في حين تابعت بسمة ياشمزاز بادي على وجهها ونبرتها:

لأ وطول الوقت شغال منادية تقوليش واقف في السوق ولا أعدين على المصطبة، ركز يا واد مع الأبله، اسمع للأبله الحلوة، هي صغيرة بس دماغها جامدة! رجالة آخر زمن سايبين اللي وراها ويبعاكسوني عيني عينك كده!!!  
تحركت دون أكثرات للأمام فرأت باب غرفة الصالون (مواربًا) فدقق النظر فيه فلمحت طيف رجلين بالداخل.

شهقت مصدومة والتفتت نحو أختها متسائلة بمرح كبير:  
هو احنا عندنا حد؟

ردت عليها نيرمين بتأفف وهي خافضة لصوتها:

اه يا فالحة، ماهو ده اللي بأحاول أقولها لك من بدري!

أشارت بكف يدها نادبة سوء تصرفها، ومرددة بندم:

أوبا، ده أنا عكيت الدنيا على الآخر!

ردت عليها نيرمين بتمني:

-ربنا يستر ومايكونوش خدوا بالهم من الهالومة اللي عملتها

تساءلت بسمة بفضول وقد التمت عيناها نوعًا ما:

-هما مين أصلاً؟

أجابتها نيرمين بعبوس:

-ولاد الحاج طه حرب!

ضغطت بسمة على شفيتها مرددة بإستياء:

-كملت!

لكنتها أختها الكبرى قائلة بجدية وهي تدفعها للأمام:

حطب خشبي الأوضة بدل ما تهزأي من أمك!

وافقتها بسمة الرأي مرددة بامتعاض:

-ايوه، مش ناقصة قلة قيمة أكثر من كده!

.....

الزوجة التي...

استمع دياب إلى معظم ما قيل بالخارج بسبب حدة الصوت، واستنكر بضيق

شديد ما يحدث في منازل أولياء الأمور من تجاوزات أخلاقية.

ورغم هذا ابتسم لنفسه بتهمك، فقد تذكر حديث طليقته عن رغبتها في إعطاء ابنها درساً خاصاً لمساعدته على استذكار وفهم دروسه، فربما تكون هي المرشحة المناسبة لذلك الأمر وبالتالي لن يكون بحاجة للبحث عن واحدة أخرى.

لكنه لم يرد مفاتحة السيدة عواطف في تلك المسألة مباشرة دون الرجوع لوالدته أولاً والتفكير فيها بروية.

شعرت عواطف بالحرج من تصرفات ابنتها الغير محسوبة والتي تضعها دومًا في مواقف حرجة مع الآخرين، وحاولت قدر الإمكان إلهاء ضيفها كي لا ينتبها للحديث الدائر خارج الغرفة.

لم يعبأ منذر بما سمعه، وركز تفكيره فقط على كيفية اتمام بيع الدكان العتيق والبدء في مشروع المطعم في أقرب وقت.

ارتشف هو مقداراً كبيراً من محتويات قدحه، ثم أسنده على الصينية أمامه، وأوماً بعينه لأخيه بإشارة ذات مغزى، ثم ضرب على فخذه برفق قائلاً بجدية:

متشكرين يا ست عواطف على الشاي، هانستأذن احنا!

نهض الاثنان بعدهما من مكانهما، ووقفت عواطف هي الأخرى مودعة كليهما بود:

هنياً، ما لسه بدري

رد عليها باقتضاب:

عندنا شغل وحاجات كثير

ردت عليه بتفهم وهي تشير بيدها:

-الله يكون في العون، شرفتونا!

وبالفعل قامت باصطحابها إلى الخارج مودعة إياها بكل ود وألفة.

أسرعت نيرمين بالذهاب إليها متسائلة بفضول:

خير يا ماما، كانوا جاينن ليه؟

ردت عليها بتنهيدة مستاءة:

هو في غيره، موضوع الدكان اياه!

.....

أسندت جليلة صحن الفاكهة العريض على الطاولة أمام عائلتها لينتقوا ما

يريدون من الثمار لتناولها، تابع منذر حديثه قائلاً بجدية:

-أنا مرضتس أشد عليها أكثر من كده، بس فهمتها عيني عينك إن الموضوع

مش هزار.

قطع والده ثمرة التفاح مردداً وهو يتلها:

-كده صح!

ثم التفت منذر برأسه ناحية دياب ليضيف بامتعاض:

-بس ابنك كان عاوز يشعلها على طول

احتدت نظرات دياب نوعًا ما، وهتف غير مبالي:

-أنا زهقت من كتر اللف والدوران، عاوزين ننجز يا حاج

برر الحاج طه موقفها قائلاً بنبرة عقلانية:

هي بردك معذورة، اللي مات مش حد غريب، ده أخوها!

تساءلت جليلة بفضول وهي تمصص شفيتها:

على كده راحت لمرات أخوها و....

قاطعها دياب بتجهم قليل:

-واحنا مالنا بالحوارات دي، هتفرق معانا يعني

أوضحت مقصدها قائلة:

-أصل أنا افكر إن علاقتها بعيلة أخوها مش أد كده يعني!

رد عليها دياب بجديّة:

سيك اتني من الكلام ده، أنا عاوز أخذ رأيك في حاجة كده!

اتبناها الفضول لمعرفة ما يرغب ابنها في معرفته، فسألته بتلهف:

حاجة ايه دي؟

أجابها بصوت جاد للغاية وهو محقق فيها بثبات:

-أنا سمعت ان بنت عواطف شغالة مُدرسة

هزت رأسها بالإيجاب لتضيف وهي تشير بكف يدها:

-أها.. بنتها الصغيرة باين، أبله كده في مدرسة حكومي باين

استأنف قائلاً بنبرة عازمة:

-المهم شوفي إن كان تنفع تدي ليحيي الدرس ولا لا!

فكرت جليلة فيما قاله باهتمام كبير، فهي بالفعل تبحث عن معلمة جيدة لابنتها

أروى، بالإضافة إلى حاجة يحيي لمعلمة تعاونه في استذكار دروسه..

أكمل دياب قائلاً بهدوء جاد:

-يعني، هي أحسن من الغريب، بردك احنا مش عاوزين أي واحدة تفوت

عندنا والسلام!

ثم استدار برأسه ناحية أبيه، ووجه حديثه متسائلاً بجدية:

-ولا انت ايه رأيك يا حاج؟

رد عليه طه بفتور:

-اعملوا اللي تعملوه، المهم العيال تذاكر وتنجح في الامتحان!

حركت جليلة رأسها بإيماءة جادة، وقد بدأت تفكر في تلك المسألة بالفعل

وتضعها في حساباتها.



نجحت أسيف في إقناع والدتها بالسفر وترك قريتهم مؤقتاً، وبالفعل بدأت في إعداد العدة لتلك السفيرة القصيرة، قامت بتجهيز حقائبها بكل ما ستحتاجان إليه من متعلقات ضرورية، بالإضافة إلى تجهيز ملف خاص بالأشعة والتقارير الطبية الخاصة بحالة والدتها الصحية، كذلك لم تنس الأدوية التي تتناولها ووضعتها في حقيبة صغيرة مستقلة لإستخدامها وقت اللزوم.

أصر ابن خالة والدتها الحاج فتحي على إيصالها للمحطة القريبة رغم رفض أسيف لأي مساعدة منه، ولكنها اضطرت في الأخير أن ترضخ لطلب أمها بتقبل عرضه لتجنب افتعال المشكلات معه، وقف هو إلى جوارهما قائلاً بابتسامة فاترة على رصيف المحطة:

متغيوش علينا

ردت عليه حنان بهدوء:

إن شاء الله

تساءل هو باهتمام محاولاً سبر أغوار تفكيرها الغامض الذي دفعها للسفر في هذا التوقيت تحديداً:

-وهاتعدوا فين كده؟

أجابته أسيف بنزق لكي لا تترك الفرصة لأمها للبوخ عما ينتويان فعله فهي ترفض تدخلها السافر في شئون حياتها الخاصة:

-في لوكاندة كده قريية من المستشفى!

مط فمه قائلاً بصوت آجش:

حبيب، طمنوني عليكم أول ما توصلوا، وإن عوزتوا حاجة ولا ناقصكم شيء  
عرفوني!

ردت عليه أسيف باقتضاب وقد بدا وجهها متجهماً نسيئاً:

مستورة والحمدلله!

في حين أسرع حنان بالرد عليه بابتسامة مهذبة لتتلافى توبيخه لابنتها إن  
ظن أنها تعامله بجفاء:

حاضر، احنا منستغناش عنك يا حاج فتحي

لوح لهما بيده قائلاً:

في حفظ الله!

هتفت أسيف بهدوء وهي تحاول الابتسام له:

-اتوكل على الله يا خالي وشوف مصالحك، وربنا هيكرمنا

بالطبع كان يطمع أن يتركها ويرحل، ولكن لكي لا يعاتبه أحد على ذهابه،

فرغب في التمسك بالأصول لأخر لحظة، وتساءل بنبرة مجاملة:

-يعني مش عاوزين حاجة مني؟

ردت أسيف مؤكدة:

-لا كله تمام

بينما أضافت حنان بنبرة ممتنة:

-شكراً يا حاج فتحي، ربنا يخليك لينا!

هتف بنبرة عالية وهو يلوح بذراعه في الهواء مودعاً كلتاها:

طيب فوتكم بعافية!

تابعته الاثنتان بنظرات منوعة ما بين الإنزعاج والخوف.

التفتت أسيف ناحية والدتها، وهمست بصوت متبرم:

معنتش بأقبل وجوده يا ماما

ردت عليها أمها مدافعة عنها:

-كثر خيره برضوه، عارف الأصول!

استنكرت دفاعها عنه، وهتفت بتذمر معاتبة إياها:

هو في واحد عارف في الأصول بيعنا ورثنا غضب!

تهدت والدتها باستياء قائلة:

مالوش لازمة نحكي في اللي فات

رأت أسيف علامات الضيق متشكلة على وجهها، فتوقفت عن إلقاء التهم واللوم حتى لا تزج والدتها أكثر، فشاغلها الآن هو الانتقال للحضر والخوض في مغامرة جديدة لمعرفة المزيد عن عائلة أبيها وذلك الإرث الغامض..

ابتسمت لها بود، وردت بإيجاز وهي تنحي لتقبل رأسها:  
ماشي!

استمعت بعدها كلتها إلى صوت صافرة القطار، فتملكها الحماس للمضي قدماً،  
وصاحت بتلهف:

يا لا يا ماما!

حركت والدتها مقعدها المتحرك بكفيها، في حين رفعت أسيف حقائق السفر  
بيديها، واتجهت الاثنتان نحو القطار، دنت أسيف من أحد عمال السكة  
الحديدية وطلبت منه العون في إدخال والدتها إلى داخل عربة القطار قائلة  
برجاء قليل:

-ممكن مساعدة يا حضرت

التفت العامل نحوها، ونظر إلى حيث تشير، ثم رد عليها بنبرة رسمية:  
حاضر يا ست!

بعد برهة كانت كلتها بداخل العربة، جلست أسيف على مقربة من النافذة،  
وحدقت بحماس في المنظر الطبيعي بالخارج، تسارعت دقات قلبها نوعاً ما  
بسبب حماسها الزائدة، وتشكل على ثغرها ابتسامة متفائلة ومتطلعة لغد  
أفضل، عاودت النظر إلى والدتها فوجدتها ممسكة بمصحفها تقرأ فيه بعض  
آيات القرآن.

تهدت بعمق، واستدارت برأسها مرة أخرى نحو النافذة داعية الله في نفسها  
أن ييسر لهما كل عسير.

.....

انتهى أغلب العمال من تحميل الشاحنات الكبيرة بألواح الرخام والسيراميك  
وكذلك أنواع الأرضيات المختلفة عليهم، وتم إفراغ معظم المخازن مما بها من  
بضائع، لوح منذر لسائقي الشاحنات التابعة له قائلاً بنبرة مرتفعة تحمل  
الصرامة:

-أتأكدوا إن كل حاجة متربطة كويس، مش ناقصين يحصل زي المرة اللي فاتت  
والبضاعة تريح!

رد عليه أحد العمال بثقة:

-اطمن يا ريس منذر!

التفت منذر ناحيته، وأردف قائلاً بحدة وقد احتدت نظراته:

-مش هاطمن إلا لما أتأكد بنفسي!

صاح العامل بصوت مرتفع:

-ياللا يا رجالة، شدوا حيلكم!

راقبهم منذر بنظرات ثابتة للغاية، ففي المرة السابقة تعرضت إحدى شاحناته  
لموقف متأزم حينما مالت الحمولة للجانب، وكادت تفقد الشاحنة توازنها على  
الطريق السريع مما اضطر السائق للتوقف إجبارياً على أقصى جانب الطريق

مستنجدًا به ليرسل له من يعاونه على إنقاذ الشاحنة قبل سقوط الحمولة بأكملها وبالتالي تكبدهم خسائر فادحة إن لم يكن تعرضه هو وآخرين لحادث سير مفاجع.

لذا وقف بنفسه تلك المرة وسط عماله ليتأكد من اتباعهم لتعليماته بحزافيرها. دنا منه رئيس المخازن قائلاً بنبرة رخيمة:

البضاعة تحمل يا باشا، ودي الفواتير والأوراق

تناولها منذر منه، وتطلع فيها بنظرات خاطفة وشمولية، ثم رد عليه باقتضاب: تمام!

سار هو بخطوات سريعة نحو إحدى الشاحنات ليركب في المقدمة بجوار السائق ليشرف بنفسه على وصول بضاعتهم بأمان.

.....

وصل القطار إلى محطته الأخيرة، فترجلت منه أسيف، ومن بعدها والدتها بمعاونة عاملين المحطة، جرجرت حقائبها خلفها، وتلفتت حولها بنظرات حائرة، هي لم تعرف إلى أين تذهب تحديداً، فقد كانت تلك هي المرة الأولى التي تبتعد فيها تماماً عن قريتهم البسيطة وتنتقل إلى مكان أوسع، وأكبر، وأكثر إزدحاماً.

ارتفعت الحماسة بها، لكنها كانت ممزوجة بالقلق والتوتر.

انتبهت لصوت والدتها يناديها بتحذير:

بالراحة يا أسيف، خلينا نشوف هانعمل ايه الأول

حاضر يا ماما

قاتها أسيف مبتسمة بركة، تباطأت في خطواتها، واتبعت إرشادات اللوحات المعدنية لتصل إلى خارج المحطة، بعد عدة دقائق كانت كلتاها على مسافة قريبة من منطقة سيارات الأجرة.

أسندت أسيف الحقائب إلى جوارها، وأخرجت الورقة التي تحمل عنوان عمته لتقرأها، أخذت نفسًا عميقًا حبسته لثوانٍ في صدرها، ثم أخرجته دفعة واحدة، ونظرت إلى والدتها بجنو مرددة:

جاهزة يا ماما؟

بادلتها حنان نظرات شبه متوترة، وردت بخفوت:

-ايوه، ربنا يكملها معانا بالستر!

بحثت هي بعينها سريعًا عن إحدى السيارات لتقلهم إلى العنوان المذكور، وبالفعل حظت بواحدة بعد معاناة مع السائقين المتذمرين، فالمسافة لم تكن هينة، قام السائق بوضع الحقائب في صندوق سيارته، ثم تعاون مع أسيف في إسناد حنان وإجلاسها في المقعد الأمامي.

جلست هي في الخلف، وتطلعت بتلهف من النافذة لرؤية عمته الوحيدة، على النقيض كانت حنان تخشى ما هما مقبلتان عليه، هي عهدت تلك الفترة

المظلمة من حياة زوجها الراحل رياض، وتعرف مدى شراسة وغلظة طباع ذلك الجانب من العائلة، ربما لم تحدث ابنتها عنهم مسبقاً بسبب عدم اختلاطهم بهم، لكنها باتت نادمة لذلك.

انطلق السائق في وجهته متخذاً الطريق السريع ليتجنب زحام السير، ولكن حدث ما لم يتوقعه. تعطلت سيارته في منتصف المسافة، واضطر أسفاً أن يصفها على الجانب ليكتشف العطل محاولاً إصلاحه.

كانوا محظوظين إلى حد ما لوجودهم بالقرب من محطة لتمويل السيارات بالوقود، فإن تعذر على السائق إصلاح العطل سيكون من السهل اللجوء لمساعدة من بالمحطة، دقت أسيف النظر في المنطقة حولها، ولمحت وجود استراحة على مقربة منهم - على الجانب الآخر من الطريق - مخصصة لبيع السلع الغذائية، فابتسمت بسعادة، وهتفت قائلة:

ماما، أنا هانزل أجيب حاجة سخنة نشرها

ردت عليها أمها بعبوس فقد تملك الإرهاق منها بسبب عناء السفر المتواصل:

مش عاوزة، خليكي أداة جوا العربية وخلاص

أصرت أسيف على طلبها قائلة يالحاح وهي تشير بيدها نحوها:

شوية شاي بس ياماما، من الاستراحة اللي هناك دي!

استمع السائق لحوارهما، فتدخل قائلاً بضجر:

لو عاوزين تقعدوا هناك شوية براحتكم، العربية هتاخذ وقت في التصليح!



رفضت حنان الترجل من السيارة قائلة بجدية:  
 مالوش لازمة، خليني في مكاني!  
 ثم همست بصوت خفيض يحمل المرارة:  
 مش حابة اتهدل وأتعب اللي حواليا  
 تفهمت أسيف موقفها، وسألتها وهي تبتمس لها بابتسامة خفيفة:  
 طب أجيبك مياه من هناك، أو أكل جاهز، سندوتشات أو...  
 اعترضت حنان مقاطعة بنبرة تحمل الإرهاق:  
 لا يا بنتي مش عاوزة!  
 هتفت أسيف مرددة بإصرار قليل:  
 طب أجيب عصير بس، هينفعنا، لسه قدمنا شوية، ماشي يا ماما؟  
 ردت عليها مستسلمة:  
 ماشي!

ترجلت أسيف من السيارة وهي تحمل في يدها حافظة نقودها، ثم التفتت  
 نحو والدتها حينما سمعتها تحذرها:  
 خدي بالك واتي بتعدي الشارع، العربيات هنا مش زي عندنا  
 أومات برأسها إيجاباً مرددة:

حاضر

وبالفعل اتخذت حذرهما وهي تعبر الطريق للجانب الآخر لكي تصل إلى الاستراحة، مكثت هي بداخلها لبضعة دقائق متفقدة ما تحتويه من مأكولات سريعة ومشروبات باردة وساخنة، أثرت أن تحضر لوالدها مشروباً بارداً بجانب المياه وبعض الحلوى لتعطيتها الطاقة.. فهي تعلم رفض أمها القاطع لتناول أي شيء خارج المنزل، فلم تجازف بشراء طعام جاهز لها.

دفعت أسيف الحساب، ثم خرجت من الاستراحة لتعاود أدراجها حيث تتواجد سيارة الأجرة، لم تضع باقي النقود في حافظتها، وطوتهم بداخل راحة يدها، أسرع في خطاها لتجتاز الطريق السريع دون أخذ الحذر الكافي من السيارات المسرعة القادمة أمامها.

.....

في نفس التوقيت اقتربت الشاحنة المتواجدها منذر من الاستراحة، لمح هو شبح شيء ما يحاول المرور ظاهراً فجأة أمامه من العدم، فمد يده بحركة لا إرادية سريعة نحو عجلة القيادة ليديرها في الاتجاه الآخر ليتجنب دهسها أسفل عجلاتها، فأنحرفت الشاحنة نسيباً عن مسارها، وصدر عنها صوتاً مزعجاً للغاية نتيجة الضغط على المكابح بقوة، وبحركة احترافية لسائق ماهر تمكن بمهارة من إيقاف السيارة ومنع حادثة مروعة من الوقوع.

تسمرت أسيف في مكانها مذهولة مما حدث، وتجمدت نظراتها على تلك الشاحنة التي تجاوزتها بمعجزة حقيقية، ارتخت أصابعها عن النقود المطوية في قبضتها، وتركتها تسقط منها لتطير بفعل الهواء في اتجاه الشاحنة.

نعم لقد كانت قاب قوسين أو أدنى من الموت المحقق، هوى قلبها في قدميها من فرط الرعب، ودب في جسدها إرتعاشة رهيبية من هول الموقف، كما تلاحقت أنفاسها بصورة سريعة.

انتاب منذر حالة من الغضب الشديد بسبب حماقة تلك الطائشة، فترجل من الشاحنة وعلى تعابيره نذيراً بالخطر المهلك.

تداركت أسيف نفسها ورأت ذلك المتجهم الغاضب المتجه نحوها، كانت ملامحه مخيفة للغاية، ونظراته موحية بشر مستطر، ارتعدت أوصالها أكثر، واضطربت أنفاسها بفرع ظناً منها أنه سيتشاجر معها وربما يتناول باليد عليها لانماً إياها على خطئها الغير محسوب العواقب.

كان هذا هو الموقف الأكثر خطورة الذي تتعرض له في حياتها كلها، لم يسبق لها أن مرت بتجربة مثيرة - ومهلكة في آن واحد - كتلك، أفاقت من جمودها المرتعد لترفض بخوف شديد ناحية سيارة الأجرة التي تنتظرها على الجانب الأخر متجنباً التصادم مع ذلك الغريب الشرس.

سلط منذر أنظاره على تلك الشابة التي تهول بلا تريث، فاستشاط غضباً أكثر منها لتجاهلها المتعمد له وكأنها لم ترتكب شيئاً أحقاً، وحدجها بنظرات

نارية مغلولة، انفلت أعصابه بسبب غبائها، وصاح بصوت جهوري لاعناً  
إياها بألفاظ بشعة مستنكراً جملها وتهورها المميت.

استمعت هي إلى سبابه اللاذع في حقها دون أن تجرؤ على الالتفات إليه  
مجدداً، بكت بحرقة بسبب تلك الإهانة الشديدة والألفاظ البذيئة التي طالتها.  
ووضعت يدها على فمها لتكتم شهقاتها المتصاعدة، يكفيها نظراته المظلمة  
والمهددة التي كادت أن تمزقها دون حتى أن يمسه.

جاهدت لتتلاشى من أمام أنظاره قبل أن يصل إليها فيفتك بها لفلعتها تلك،  
وحمدت الله في نفسها وجود بضعة سيارات مصطفة على مقربة من محطة  
الوقود لتتمكن من الاختباء والتواري جيداً.

ترجل سائق الشاحنة هو الآخر منها، واقترب من منذر مردداً بصوت لاهث:  
الحمد لله يا ريس منذر، قدر ولطف، كان ممكن البت دي تتفرم تحت  
العجلات، ونروح في داهية بسببها، و....

قاطع منذر مشيراً بكف يده وهاتفاً بصوت قائم مغتاض يحمل الوعيد:  
حظها إنها جرت، كنت عرفتها إن الله حق، ودفعتها تن غبائها ده!  
رد عليه السائق بامتعاض:

هي اللي سمعته منك قليل يا ريسنا، حريم مجانين منهم طاقق!

ظلت قسما ت وجه مندر متصلبة للغاية، ونظراته منزجعة على الأخير بسبب  
ما دار، اصطفت الشاحنات الأخرى خلف شاحتها الواقعة، وبدأ معظم  
المتواجدين بهم في الترجل منها.

رأى السائق النقود المتطايرة في اتجاهها، فانحنى ليجمعها سريعاً مردداً  
بسخرية:

-البت الظاهر وقعت فلوسها

التفت مندر ناحية السائق ونظر فيما يحمله من نقود، وأمره بجمود:  
هاتهم!

ناوله إياه، فقد كان المبلغ المتبقي زهيداً ولا يستحق العناء من أجله، لذا لم  
يهتم السائق به.

طواه مندر في قبضته وكأنه يعتصره، وسلط أنظاره على تلك المحطة التي  
اختفت بداخلها مفكراً في أمر ما و.....

.....

## الفصل التاسع:

وقف سائق الشاحنة إلى جوار رب عمله منذر يتابع ردة فعله الغامضة  
بفضول، فقد لاحظ تبدل تعابيرهِ الجامدة إلى الغلظة والتجهم، وهو يعرف  
تلك التعبيرات جيداً..

سأله بجذر وهو يحك مؤخرة رأسه:

تؤمر بإيه يا ريسنا

أوما منذر بعينه المحتدتين مجيباً إياه بصوت خشن للغاية:

هاشوفها هناك!

فرك السائق طرف ذقنه متسائلاً بغرابة:

-ودي ايه اللي هيوديا عند البنزينة؟

صمت منذر للحظة قبل أن يجيبه بنبرة محتقنة:

-واحدة زيهما ممكن تكون متفقة مع اصحاب البنزينة تعمل الشويتين دول، تقوم

العريبات تخبط في بعض وتعمل حوادث وبلاوي سودة هنا، وهما يسترزقوا

من تصليحها!

فغر السائق فمه مشدوهاً مما قاله، وهتف غير مصدق:

يا بنت ال.....، ايوه، ده فيهم ورشة تصليح، ومشحمة، إزاي مجاش في  
بالي!!

تقوس فم مندر قائلًا بتهكم:

عشان انت مغل

هتف السائق مرددًا بحماس:

الله عليك يا ريسنا، محدش فينا بيعرف يجيب ربع مخك!

تسلطت أنظار مندر على محطة الوقود، وهمس بغلظة بنبرة عدائية:

وعزة جلال الله ما سيها إلا لما أمسح بيها الأسفلت!

.....

ركضت أسيف مسرعة نحو محطة الوقود المرابط إلى جوارها سيارة الأجرة  
التي تقلها هي وأمها القعيدة، فرت الدماء من عروقها، وجف حلقها للغاية، كما  
شحب لون وجهها بسبب ذلك الموقف المرعب الذي تعرضت له قبل لحظات،  
حاولت أن تلملم شتات نفسها قبل أن ترى والديها كي لا تلاحظ ما مرت به،  
هي لا تريد إرعاها، وأيضًا التعرض للوم والتوبيخ.

أبطأت في خطواتها، وتنفست لعدة مرات بعمق لتسيطر على حالها وتستعيد  
ثباتها.

اقتربت من سيارة الأجرة، وهمست بنبرة مرتجفة وهيتمد يدها بالكيس  
البلاستيكي نحو النافذة الملاصقة لأمتها:

-تفضلي يا ماما

تناولت منها الكيس، ضيقت عينها وهي تنظر في وجهها متفرسة تعابيرها  
الغريبة، قطبت جبينها أكثر، وسألتها مستفهمة بتوجس قليل:

مالك يا أسيف؟

ارتبكت أسيف نوعًا ما من سؤالها العادي، وأجابتها بتلعثم:

ما.. مافيش!

زاد قلق والدتها من ردها الغير مقنع، فسألتها بجديّة:

-أومال لونك مخطوف كده ليه؟

ابتلعت ريقها على عجالة، ورسمت على ثغرها ابتسامة مزيفة مجيبة إياها بتصنع:

تلاقي تعب السفر باين على وشي!

رفعت رأسها للأعلى فجأة، فلمحت طيف ذلك الرجل الغريب ذو الطباع

الحادة والانفعالات الغير محمودة العواقب الذي أمطرها بوابل من السباب

العنيف قبل دقائق، فحفق قلبها رعباً، واتسعت مقلتيها هلعاً من رؤية طيفه

مقبلاً في اتجاهها.

زاد شحوب وجهها، وتسارعت دقات قلبها أكثر.



لاحظت والدتها التوتر الرهيب الذي حل فجأة عليها، فحدقت فيه بتوجس متسائلة:

في ايه يا أسيف؟

برودة قارصة حلت عليها، أعادت حنان تكرار السؤال على مسامعها رافعة لنبرة صوتها بعد أن تأكدت من شرود ابنتها في أمر ما، انتهت لها أسيف، وفكرت سريعاً في كذبة سريعة لتجيبها بها.

تلفتت حولها بذعر، فوقعت عينها على لافتة ما مدون عليها (مراحيض) أضاء عقلها بفكرة ما، وأخفضت نظراتها نحو أمها.

ارتجفت شفيتها، وخرج صوتها مهزوزاً وهي تجيبها قائلة:

أنا.. أنا أصلي تعبانة شوية، ه.... هاروح الحمام بسرعة ورجعالك

ردت عليها حنان بهدوء:

طيب متأخرش

لم تترك لنفسها الفرصة للوقوف أمام والدتها أكثر من هذا، فكل لحظة تبقى فيها إلى جوارها تعرضها لتهديد أكبر، هي لا تعرف لماذا ذلك الشعور الطاغي بالفزع والخوف من شخص مجهول، ولكن لأنه أساء إليها بطريقة لم تعتادها في حياتها من قبل، فجزعت منه بشدة، وخافت أن يسبب لها الحرج والفضيحة أمام أنظار أمها العاجزة فتسوء حالتها، ويتطور الوضع للأسوأ، لذلك أسرع في خطواتها، واتجهت نحو المراحيض العمومية لتختبئ بها.

.....

وصل منذر إلى محطة الوقود، وتفقد بنظرات مدققة جميع السيارات المتواجدة بها وعلى مقربة منها، ظل قابضاً على باقي النقود في راحته، لكن علامات الوجوم والغضب مازالت متمكنة منه، وقعت أنظاره المتفرسة على إحدى السيارات، فرأى رب أسرة يقدم الطعام لأسرته وصغاره الذين يتراقصون بالمقعد الخلفية.

جاء بعينه سيارة أخرى يجلس بها كهل كبير يرتشف قهوته.

التفت برأسه الناحية العكسية فلفت انتباهه ذلك المقعد المتحرك المطوي والموضوع أعلى سقفية سيارة الأجرة، أمعن النظر في الجالسة بالمقعد الأمامي، فرأى امرأة كبيرة بالسن ملامحها تبدو هادئة وحزينة.

دنا منها بخطوات سريعة فسمع صوتها تتساءل باهتمام وهي تطل برأسها من النافذة المجاورة لها:

ها يا بني أخبار العربية ايه؟

أجابها السائق بامتعاض وهو يبرز رأسه من خلف غطاء السيارة الأمامي:

هانت، قربت أصلحها، اطمني!

ظن منذر أن تلك السيدة هي والدة هذا الشاب المنحني على مقدمة سيارته، فتركها وانصرف باحثاً بجديّة عن الشابة الطائشة في بقية السيارات المتواجدة.

توعدها وهو يجز على أسنانه قائلاً:

بس لو أشوفك!

.....

اختبأت أسيف بداخل المرحاض النسائي، وأشرأبت بعنقها للأعلى لترى من النافذة الخلفية للمرحاض ما يحدث بالخارج، لم تستطع أن تتبين أي شيء، فقد كان هناك سياجاً حديدياً بالخلف يحول دون الرؤية بوضوح، توترت كثيراً، وترددت في الخروج من مخبأها المؤقت.

مرت عدة دقائق وهي باقية بالداخل تفكر بخوف في سيناريوهات سيئة. إلتابها القلق على والديتها، فقد طال انتظارها، فركت كفيها معاً، وهمست لنفسها بحيرة:

حطب أعمل؟ هافضل هنا محبوسة شوية كمان ولا.. ولا أخرج؟

ترنح جسدها للحظة، فاستندت بيدها على طرف الحوض، ثم استدارت للخلف لتنظر إلى انعكاس وجهها الشاحب في المرآة الغير نظيفة، فتحت الصنبور، وملأت راحتها بالمياه، ثم نثرتها على وجهها لتفريق نفسها قبل أن تنهوى من فرط الخوف الغير مبرر.

تنفست بعمق لتستعيد هدوئها، ثم رفعت رأسها للأعلى قائلة بنبرة عازمة:

مش لازم أخاف، أنا معملتش حاجة، هو.. هو ميقدرش يأذيني!

ابتلعت ريقها، وارتشفت بضعة قطرات من مياه الصنبور المنهمرة، ثم أغلقتة.

أخذت نفساً مطولاً حبسته في صدرها، وأغمضت عينيها لثوانٍ، ثم فتحتها مجدداً، وزفرته دفعة واحدة.

تحركت ببطء ناحية باب المرحاض، ومدت يدها لتمسك بالمقبض وفتحه. أدارته بهدوء لكن تجمدت قبضتها عليه بفرع حينما سمعت صوته قريباً منها وهو يحدث أحد ما قائلاً بغلظة:

مالهاش أثر، فص ملح وداب  
سأله السائق المصاحب له:

حطب يا ريس، هاتعمل ايه؟  
رد عليه بجمود:

مش عارف، بس أنا محتار، هاتكون اختفت فين؟

تسارعت دقات قلبها حتى كادت تصم أذنيها من حدتها، وجاهدت ألا تصدر صوتاً حتى لا ينتبه أحدهما لوجودها، وضعت يدها على فمها لتكتم صوتها، وتابعت ما يدور بينهما من حديث بجذر شديد.

أردف السائق قائلاً بجدية:

جائز تكون دخلت هناك!

تساءل منذر بعدم اقتناع:

-ايه اللي هيوديا المشحمة؟

رد عليه السائق بنبرة شبه متأكدة:

جايز تكون بنت حد من اللي شغالين فيها، أو تبع حد فيهم

رد عليه منذر باقتضاب:

-احتمال!

ساد صمت مؤقت بينها لثانية قبل أن يهتف منذر بجدية شديدة:

تعالى ناخذ بصة هناك وتأكد!

-اللي تشوفه يا ريسنا

-ماهو البت دي لازم تعرف إن الحركات ال..... ماينفعش تتعمل معايا أنا

بالذات

أغمضت أسيف عينيها بقوة وهي تكاد تموت هلعًا في مكانها، انتظرت لبرهة قبل أن تفتح الباب ببطء شديد، تنفست الصعداء لرحيلها بعد أن اختلست النظرات نحو الخارج.

ركضت عائدة إلى سيارة الأجرة، فعاتبها والدتها لتأخيرها قائلة باستغراب:

كل ده يا أسيف؟

تلفتت هي حولها بتوتر شديد للتأكد من عدم وجوده حولها مرددة بنبرة مرتبكة:

م... معلى، كنت تعبانة شوية!

أشارت لها بكفها قائلة بصوت مرهق:

طب اركبي

ح... حاضر

قالتها أسيف وهي تهز رأسها بخوف واضح، ثم ركبت سريعاً في المقعد الخلفي. كان السائق قد انتهى تقريباً من إصلاح عطل سيارته، فزفر بصوت مسموع هاتفاً:

أخيراً، اليوم كان باين من أوله

أغلق الغطاء الأمامي، ثم صاح بنبرة عالية مبرراً سبب تأخيره:

لامؤاخذة عطلتكم معايا، بس هاعمل ايه أديكو شايفين العربية واللي جرى

ردت عليه حنان بابتسامة ودودة:

اتوكل على الله يا بني، حصل خير!

وبالفعل استقل السائق سيارته، وبدأ في إدارة محركها ليتحرك بها نحو وجهته متعمداً الإبطاء من سرعتها كي يتأكد من كفاءة عمل المحرك، استعادت أسيف هدوئها وبدأت تتنفس بانتظام حينما شعرت بحركة السيارة.

كورت أصابع كفها بحركة متوترة، ثم مالت بجسدها للجانب نحو نافذتها، حانت منها التفاتة سريعة للخلف وهي تطل برأسها منها لتتأكد من ابتعادهم عن ذلك الغاضب المتذمر، في نفس التوقيت، كان منذر واقفاً على مقربة من منطقة غسل السيارات، راقب للحظات حديث السائق مع أحد العاملين بها، ضجر من وجوده بالمكان، ومن ذلك الوقت الذي ضاع هباءً بلا أي جدوى.

أخرج هاتفه من جيبه ليعرف التوقيت فزفر منزجماً لتأخره عن وقته المحدد بكثير، أعاد وضع هاتفه في جيبه، ونفخ بغيظ مردداً من بين أسنانه:

-تعطلت على الفاضي!

التفت برأسه للخلف عفويًا للجانب ليحديق في السيارات السائرة، فوقعت عيناه الثابتين مصادفة على سيارة الأجرة التي مرت على مسافة قريبة منه، بالطبع كانت السيارة مميزة لكونها تحمل مقعدًا متحركًا على سقفيتها، علقت أنظاره بالنافذة الخلفية حينما لمح فتاة ما تجلس بالخلف، أمعن النظر أكثر فيها، فارتفع حاجباه للأعلى في صدمة واضحة.

تمكن من رؤيتها كمرأى العيان وهي تترق بجواره ناظرةً إليه من نافذتها، ارتسمت علامات الاندهاش الممزوجة بالتجهم على محياه، تجمدت أنظار أسيف عليه، وانفجرت شفتاها بذهول مخيف، لقد رآها بالفعل، وتأكد منها. بدت كمن أصيب بالشلل المؤقت فعجزت عن التحرك أو الابتعاد، تركت له الفرصة للتدقيق في ملامح وجهها أكثر، وبالطبع لم تخلو نظراته نحوها من الشراسة والغضب.

شعر منذر بالحماقة والغباء الشديدين، فقد تمكنت تلك الطائشة من خداعه  
 لوهلة ل يبدو كالأبله أمام نفسه وأمام الآخرين وهو يبحث عنها بلا جدوى،  
 وها هي الآن تمر من جواره دون أن يتمكن من الوصول إليها.  
 سيطر عليه احساس بالفشل وخيبة الأمل.

قبض كف يده بعصبية شديدة، وبرزت عروقه الغاضبة من عنقه.  
 زادت سرعة السيارة واختفى شبهه المرعب من أمامها لكن بقيت نظراته  
 المحتدة عالقة في ذاكرتها، تراجعت بجسدها للداخل، وانكشفت على نفسها  
 أكثر.

اضطربت أنفاسها، وزادت دقات قلبها من خوفها.  
 راقبها السائق من مرآته الأمامية وسألها مستفهماً بفضول بعد أن لاحظ تبدل  
 حالتها:

- في حاجة يا آنسة؟

التفتت حنان برأسها للخلف لتنظر إلى ابنتها بقلق بعد سؤاله الغريب هذا،  
 وسألتها هي الأخرى بتوجس:

- مالك يا أسيف؟ في حاجة فيكي؟

وزعت أنظارها الزائغة بينهما، وأجابت بصوت خافت وشبه متحشرح:

-... مخص تاغبني شوية

-أكيد من أكل الشارع!



قاتها والدتها بحسن نية ظناً منها أن ابنتها ربما أصيبت بتلبيك معوي بسبب تناولها الطعام الفاسد.

أضف السائق بجمود:

ألف سلامة، لو قابلنا صيدلية في طريقنا ممكن أقف وتنزلي تجيبي دوا منها ابتلعت أسيف ريقها وهي تجيبه ممتنة:

متشكرة، شوية وهايروح

عابتها والدتها قائلة بضجر:

قولتلك من الأول ماتكليس من برا، محدش عارف الأكل بيعملوه إزاي ويحطوا فيه إيه

هزت رأسها بإيماءات خفيفة ومنتالية وهي تضيف بحذر:

هابقى أخذ بالي بعد كده يا ماما

تابع السائق قيادته للسيارة حيث العنوان المطلوب، بينما ظل بال أسيف مشغولاً بشبح ذلك الخيف الذي أضيف إلى قائمة أسوأ كوايبس يقظتها.

.....

أسندت عواطف صينية المشروبات الباردة وأطباق الحلوى على المائدة التي  
تتوسط غرفة الصالون هاتفة بنبرة مرحبة لضيفتها السيدة جليلة وابنتها  
الصغرى أروى:

-شرفتونا! البيت نور بوجودكم فيه

ردت عليها جليلة مجاملة:

-منور بأصحابه يا عواطف

تابعت عواطف قائلة بنبرة ودودة وقد اتسعت ابتسامتها المشرقة:

-تفضلوا، دي حاجة بسيطة، صحيح مش من مقامك بس....

قاطعها جليلة مرددة تهذيب:

-متقوليش كده، دايماً عامر يا رب!

ابتسمت عواطف أكثر وهي تقول:

بحسكم يا غالية!

ولجت نيرمين إلى داخل الغرفة لترحب بالضييفة التي تعد في مثابة خالتها.

هتفت قائلة بحماسة:

سلامو عليكم، ازيك يا خالتي

نهضت جليلة من مقعدها لترحب بها قائلة:

-وعليكم السلام، ازيك يا نيرمين، عاملة ايه يا حبيتي  
احتضنتها بذراعيها، ثم قبلتها من وجنتها عدة مرات مرددة:  
-الحمد لله!

سألها جليلة باهتمام وهي تعاود الجلوس على الأريكة:  
-إخبارك ايه وازي جوزك؟

أكفهرت ملامح وجه نيرمين، وحل العبوس عليها وهي تجيبها متجهمه:  
-متشوفيش وحش يا خالتي، إحنا اتطلقنا وخلص معدتش في راجعة بينا!  
اتسع ثغر جليلة بشهقة عالية، وردت بصدمة واضحة وهي محدقة بها:  
-يا ساتر يا رب، اتطلقتوا تاني؟!  
صححت لها نيرمين عبارتها قائلة بنبرة مزدرية:  
-قولي تالت!

هزت جليلة فمها للجانبين مستنكرة حدوث الانفصال بينهما، ثم تساءلت  
بفضول:

حطب ليه يا نيرمين؟

أجابتها بتنهيده منزعجة وهي تشير بعينها نحو الصغيرة الجالسة وسطهن:

-موال كبير هابقي أحيكهولك بعدين يا خالتي!

تفهمت جليلة رغبتها في عدم الحديث خاصة أن أروى تصغي إلى حوارهن  
بانتباه كبير.

هزت رأسها إيجاباً وهي تردد مواسية:

-ربنا يعوض صبرك خيراً!

أضافت نيرمين قائلة بسخط وقد انعقد ما بين حاجبيها ليزيد من حالة الوجوم  
المسيطرة عليها:

-الحمد لله على كل حال، هو ما يتبكيك عليه الصراحة!

اختنقت نبرتها قليلاً، وحاولت أن تحافظ على جمودها أمام ضيقتها.

أرادت جليلة أن تلتف الأجزاء قليلاً، فهتفت بنبرة متفائلة وهي تشير بيدها:

-ما فيش واحدة بتتعد، بكرة ربنا يرزقك بالأحسن

ابتسمت نيرمين لها قائلة بتصنع:

-ربنا موجود، أخذ حقوقي بس وبعد كده أشوف هاعمل ايه!

هتفت أروى قائلة تهذيب وهي تبسم لنيرمين:

-ينفع ألعب مع النونة يا أبله؟

مسحت نيرمين على رأسها برفق مجيبة إياها بلطف:

اه يا حبيتي، خشي الأوضة شوفيا، لو صحت العبي معاها!

هبت أروى واقفة في مكانها مرددة بحماس:

حاضر!

ثم ركضت إلى خارج الغرفة وهي تقفز بسعادة..

صاحت عواطف قائلة يا عجب وهي تتابعها بأنظارها:

ما شاء الله أروى كبرت وبقت عروسة أهي

ردت عليها جليلة بتبرم:

أه، بس مدوخاني في مذاكرتها!

هزت عواطف رأسها بتفهم وهي تقول:

كل العيال كده!

تحركت جليلة على الأريكة قليلاً لتدنو منها، ومالت بجسدها نحوها، ثم هتفت

بغموض وهي مسلطة بصرها عليها:

ما هو ده الموضوع اللي جياالك فيه

توجست عواطف من اقترابها المثير للريبة، وسألته بقلق ظاهر:

خير يا ست جليلة؟

أشارت جليلة بيدها في الهواء وهي تجيبها بهدوء

بصي يا ستي أنا ابني دياب عاوز مدرسة تكون شاطرة وبتفهم تدي الواد

ابنه يحيي!

لم تفهم عواطف مقصدها بوضوح، بدت نوعًا ما مشتتة التفكير، فسألتها  
مستفسرة:

أها، بس ده ايه علاقته بينا؟

تابعت جليلة قائلة بابتسامة متحمسة:

ما أنا جيلالك في الكلام أهوو

طيب

ارتشفت جليلة القليل من المشروب، ثم استأنفت حديثها قائلة بجدية:

-احنا كلنا عارفين إن بسمة شغالة مُدرسة في أبصر مدرسة كده، فبصراحة

ملاقتش أحسن منها تديه الدرس وتذاكره!

نظرت عواطف إلى ابنتها نيرمين مندهشة. فلم يسبق لعائلة حرب أن تطلب

منها شيئاً كهذا خاصة وأنهم يعلمون أن بسمة معلمة منذ فترة.

بدت نيرمين متحمسة للفكرة، ولما لا؟ فالعائد المادي هنا سيكون مجزيًا

ومختلفًا تمامًا عن الطبقة الفقيرة والمتوسطة التي تدرس لهم أختها الصغرى.

أضافت جليلة قائلة بمكر وهي تغمز بعينها:

-وبالمرة تدي أروى معاه، الحاج طه كان علوز يديها درس، واطمني هنعاسبها

كويس، احنا كرما!

ردت عليها عواطف بنبرة مجاملة:

-يدوم العز يا رب، دي تديهم ببلاش، من فضلت خيركم علينا!

ابتسمت لها جليلة بلطف وهي تقول:

-الله يكرمك!

ثم تلاشت ابتسامتها نوعًا ما وهي تسألها بجدية:

ها المهم ايه رأيك اتتي؟

ارتبكت عواطف قليلاً، فهي لا تعرف رد ابنتها عن تلك المسألة المفاجئة، لا

تنكر أنها خشيت أن تعتبر الموضوع متعلقًا بكرامتها إن أعطتها وعدًا لا

تستطيع الإفاء به، وهي متوجسة خيفة من ردة فعل عائلة حرب إن أخلف

أحدهم اتفاقهم المبرم معهم، لذلك حاولت أن تبدو دبلوماسية في ردها عليها،

وأجابتها بحذر:

مش عارفة الصراحة أقولك ايه، الحكاية دي تخص بسمه وهي اللي تقول

رأيها لأن اتتي عارفة هي مشغولة يا حبة عيني لأخر اليوم!

ردت عليها جليلة بصوت ثابت:

خليها تشوف مواعيدها كده، وأهوو البيت قريب من البيت، لا في

مشاوير، ولا بهدلة في المواصلات!

ثم تعمدت أن تشير إلى الناحية المادية مجددًا حتى تتمكن من إغرائها بالموافقة،

فأكدت قائلة بجدية وهي تنتصب في جلستها:

-وزي ما قولتك دياب ابني والحاج طه هيراضوها كويس!

لاحظت عواطف تحول اسلوبها للجدية والصرامة، فهتفت بنزق:  
 -اتي توامرنا، أنا هاكلمها وأخليا تشوف نفسها وتفضيلهم ميعاد مخصوص، هي  
 هاتيحي لأعز منكم!

ابتسمت جليلة لنفسها بغرور بعد أن وصلت لمبتغاها دون عناء، وهزت  
 رأسها هاتفة بثقة:

تسلمي يا حبيتي، ده العشم بردك!  
 انتبه ثلاثهن إلى صوت دق عفيف على باب المنزل، فاستداروا برؤوسهن  
 نحو باب الغرفة.

تساءلت عواطف بامتعاض وهي تهض من مكانها:  
 ياختي مين اللي بيخبط على الباب كده؟

هزت نيرمين كتفها نافية وهي تجهيها:  
 -مش عارفة!!!

أشارت لها أمها بيدها لتسبقها في سيرها قائلة بنبرة أمرة:

-روحي يا نيرمين افتحي!  
 ردت عليها باقتضاب:

حاضر



أسرعت نيرمين في خطواتها متجهة نحو باب المنزل لتفتحه، عبست بوجهها  
حينما رأت شرطياً يقف على عتبه.

سألته بتوجس وهي تتفرس فيه وفيما يحمله من أوراق في يده:  
-ايوه!

حدق فيها الشرطي بنظرات دقيقة متسائلاً بجمود:

-ده بيت نيرمين سيد؟

خفق قلبها نوعاً ما من سؤاله المباغت، وردت عليه بتلهف:

-اه هو، خير يا شاويش؟

رفع ورقة ما أمام وجهها مجيباً إياها بجفاء:

-ده إخطار من القسم

مجرد ترديد كلمة ( مخفر الشرطة ) في جملة ما تثير خوف واضطراب أي  
شخص، لذا لطمت نيرمين على صدرها مصدومة وهي تشهق متسائلة بفرع:

قسم، يا نصيبي، ليه؟

أجابها بنبرة رسمية:

-البية المأمور عاوزك تستلمي عفشك!

ارتفع حاجباها للأعلى بذهول أغرب، وهتفت غير مصدقة ما سمعته:

عفشي

أوضح الشرطي باقي عبارته قائلاً بعدم مبالاة:

حليقتك سلمه عند القسم وباعتلك تاخديه، امضي على الاخطار ده يا ست

كزت نيرمين على أسنانها قائلة بغل وبصوت خفيض لاعنة زوجها السابق:

ابن ال.....!!

وقفت والدتها إلى جوارها، وسألتهما بخوف وهي محدقة في الشرطي:

في ايه يا نيرمين؟

أجابتها الأخيرة بتجهم كبير:

المنحوس الفقري شايقة عامل ايه فيا؟

زادت دقات أمها بقلق أكبر، واضطربت أنفاسها نوعاً ما.

وضعت هي يدها على ذراع ابنتها، وضغطت عليه قليلاً متسائلة بتلهف وهي

تدقق النظر في وجهها:

ماله؟

أجابتها بنبرة محتقنة للغاية:

باعتلي عفشي على القسم

شهقت أمها مصدومة وهي تلطم على صدرها بقوة:

يا لهوي

صاحت نيرمين بنبرة مغتظة وهي تلج لداخل صالة منزلها:  
منه لله، حسبي الله ونعم الوكيل فيه، أنا هالبس العباية وأروح أشوف  
النصيبة دي!

ردت عليها عواطف بإصرار:

استني أنا جاية معاك، مش هاتروحي لوحك  
تابعت جليلة ما يحدث من موقف محرج في الخلفية، واستشعرت عدم ملائمة  
الظروف لبقائها أكثر من هذا في المنزل، وأنه من الأفضل إنهاء تلك الزيارة  
الودية على الفور، لذلك هتفت بهدوء نسبي:

حط يا عواطف هاسيكم تشوفوا حالكم وهاتكلم تاني!  
شعرت عواطف بالخجل الشديد من تعرض ابنتها لهذا الموقف المشين أمامها،  
فأخفضت نظراتها حرجاً وهي تردد:

اعذريني يا ست جليلة، أدكي شايقة الحال عامل ازاي  
ربنت جليلة على كتفها متفهمة موقفها، وأردفت قائلة:

عذراكي يا حبيبتي، الله يكون في العون!

ثم التفت برأسها للخلف، وهتفت بنبرة مرتفعة:

بت يا أروى يالا عشان ماشيين

ركضت الصغيرة نحو الصلاة، وعبست بوجهها وهي تحرق في والدتها بضيق،  
وضعت هي يديها على منتصف خصرها، وركلت الأرضية بقدمها قائلة بتذمر:  
ملحقتش يا ماما ألعب مع النونة!  
أمسكت بها جليلة من ذراعها قائلة بحدة:  
مرة ثانية، يالا، سلامو عليكم!  
أوصلتها عواطف لخارج منزلها مرددة يا اضطراب:  
وعليكم السلام!  
أغلقت الباب بهدوء، وتمتت بحسرة مع نفسها:  
يا دي الجرس والفضايح اللي مالهاش ميعاد!  
خرجت نيرمين من الغرفة وهي تلف حجابها حول رأسها، وتلقي برضيعتها  
الغافية على كتفها مرددة بحدة:  
البي بسرعة يا ماما خليني أشوف ابن ال... عمل ايه في عفشني!  
أجابتها أمها بصوت شبه لاهث وهي تركض ناحية غرفتها لتبديل ثيابها المنزلية:  
على طول أهوو..!

.....

ارتعشت يدها بشدة وهي تنظر مرة أخرى في جهاز كشف الحمل المنزلي  
للتأكد من النتيجة التي برزت بوضوح عليه، هتفت مستنكرة حدوثه رغم  
الإجراءات الوقائية التي تتبعها في علاقتها مع زوجها وغير مصدقة ما تراه وهي  
تزيح خصلات شعرها للخلف:

ده شرطتين، طب إزاي!!!!!!

رفعت وجهها لتنظر في المرآة بشرود محاولة استيعاب تلك الكارثة التي حلت  
بها، فلا أحد يعلم بزواجها السري من مازن إلا والدتها شادية فقط.  
تجمدت أنظارها على إنعكاس صورتها الباردة لبرهة، ابتلعت ولاء ريقها بخوف  
شديد، وغمغمت من بين شفثيها بهلع:

ده أنا كده وقعت في مصيبة لو الحمل ده اتعرف!!

ضغطت على شفثيها بتوتر شديد، ثم هتفت بنبرة عازمة:

-وأنا مش هاشيل البلوى دي لوحدي، لازم مازن يتصرف معايا

قبضت على الجهاز الصغير بكفها، وجمعت بقايا العلبة الكرتونية وألقت بها في  
سلة المهملات، ثم خرجت من المرحاض باحثة عن هاتفها المحمول، بدت  
متعصبة للغاية وهي تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً منتظرة إجابة مازن على اتصالها  
العاجل به، وقبل أن ينقطع الخط سمعت صوته يقول بنبرة شبه ناعسة:

خير!

صاحت فيه بصوت متعصب:

مش خير خالص، أنا عاوزاك تجيلي دلوقتي يا مازن!

سألها بفتور:

ليه؟

صرخت فيه بتشنج وقد استشاطت نظراتها:

انت لسه هاتسأل في مصيبة هاتحصل لو مجاتش!

رد عليها بصوت متحشرح غير مهم:

طيب.. اديني ساعة كده أفوق وألبس واجي عندك!

هتفت فيه بنفاذ صبر وبصوت مرتفع:

-بسرعة يا مازن! أنا مستنياك!!

ألقت بعدها بالهاتف على الفراش وهي تنفخ بغضب شرس، ثم غرزت أصابع

يديها في فروة رأسها المشتعلة من كثرة التفكير محاولة السيطرة على انفعالها

الزائدة لكي تفكر بوضوح في حل لتلك الكارثة الغير

متوقعة.....!!!!

.....

## الفصل العاشر:

أرجعت أسيف ظهرها للخلف، وانكشيت في مقعد السيارة وهي ترتجف رغم ابتعادها عن محطة الوقود بمسافة كبيرة، لكن لا يزال شبح ذلك الغريب الغاضب يطاردها في خيالها، ودت لو لم تطل من النافذة فتراه صدفة وتعطيه الفرصة لرؤية وجهها بوضوح رغم اختباء معظمه خلف غطاء رأسها، لكنها شعرت بأنها مكشوفة كليًا تحت أنظاره.

ابتلعت ريقها محاولة بل حلقها الجاف، تنفست بعمق، ثم أعادت ضبط حجاب رأسها الذي بدا متهدلاً عليها بيد مرتعشة، حمدت الله في نفسها أن والدتها لا تجلس إلى جوارها وإلا كانت شكت في تصرفاتها المريرة. وهي لن تستطع إخفاء ذعرها الغير مبرر.

أجبرت نفسها على عدم التفكير فيه مرة أخرى، هي حادثة عرضية شاءت الأقدار أن تمر بها، طمأنت نفسها أنها لن تلتقي به مجدداً، وسيتحول مع الوقت لمجرد وهم ستتناساه بفعل الزمن ومشاغل الحياة.

.....

شهقت نيرمين مصدومة حينما وقفت أمام المخفر الشرطي التابع للحي القاطنة به ورأت أثارها ملقى بجواره فوق بعضه البعض بطريقة بدت أكثر على كونها كومة من الـ (روبايكيا) كما هو دارج بالمصطلح العامي، لطمت على صدرها عدة مرات وهي تسب وتسخط في طليقتها الذي أفسد أشياءها الثمينة وجعلها لا تساوي ربع قيمتها الفعلية.

صرخت رضيعتها ببكاء مرتفع، فلم تفعل لها أي شيء، وظلت تهتف بعويل صارخ:

يا نصيبي، الراجل الناقص الدون رمالي حاجة في الشارع، والله ما سيباه!  
أخرجت خصلة من شعرها عنوة، ورفعتها في الهواء لتكمل تهديدها المتوعد:



-وحياة مقاصصي دول لأدفعه تمن كل حاجة الطاق عشرة!

تجمع المارة حولها، وتفقدوا بفضول ما يحدث هناك..

تحسرت عواطف هي الأخرى على مُصاب ابنتها الجلل، وتمتت بخزي:

مكانش يومك يا بنتي، تتهدلي وعفشك نلمه من على الأرصفة قصاد الأقسام!

رفعت بصرها للسماء وتابعت بصوت مختنق وقد أدمعت عيناها بشدة:

حسبي الله ونعم الوكيل فيك، منك لله يا شيخ، حسبي الله ونعم الوكيل!

خرج أحد ضباط الشرطة من داخل المخفر على إثر الصوت المرتفع صائماً بغلظة:

في ايه اللي بيحصل هنا

ردت عليه عواطف بصوت شبه باكي وهي توضح له السبب:

-بنتي مري عفشها قصادكم أهوو و....

نظر لها شزرًا متأملاً هيئتها الشعبية، وقاطعها قائلاً باستخفاف:

هو انتو بتوع العفش بقي؟

أجابته عواطف بصوت حزين وهي تمسح عبراتها:

-ايوه

أشار لها بإصبعيه لتتبعه قائلاً بنبرة غير مبالية:  
 طب تعالوا جوا عشان توقعوا على الاستلام وشوفولكم عربية تيجي تشيله،  
 مش هايفضل متكوم هنا قصادنا!  
 ردت عليه بصوت مختنق للغاية:  
 -ح.. حاضر يا بيه!

تحرك الضابط نحو الداخل، بينما ظلت عواطف باقية في مكانها تهز رأسها  
 مستنكرة ما آلت إليه الأمور.  
 ثم تتمت مع نفسها بصوت متآلم:  
 -ربنا على الظالم والمفتري!  
 توعدت نيرمين لطليقها قائلة بنبرة منفعة:  
 -وربنا ما سيباه، هدفعه التمن غالي وهاهدله في المحاكم!

.....

توقف سائق سيارة الأجرة أمام أحد الفنادق الزهيدة في سعرها، والذي يقع  
 على مقربة من المنطقة الشعبية التي تسكن بها عمتها، فترجلت منها أسيف  
 أولاً، جابت بأنظارها المكان بنظرة عامة شمولية محاولة اكتشاف معالم تلك  
 المنطقة المزدهمة.

ترجل السائق هو الآخر من السيارة قائلاً بجمود:  
 حمدلله على السلامة، ده أقرب فندق للحتة اللي انتو عاوزينها  
 ردت عليه حنان بصوت هاديء:  
 -كتر خيرك

رفع ذراعيه للأعلى ليحل وثاق الرباط الممسك بالمقعد المتحرك، ومدت  
 أسيف يديها للأعلى محاولة سحبه معه.  
 هتف هو قائلاً بضيق:

-سبيه يا آنسة، أنا هاجيبه لوحدي  
 شعرت بالحرج منه، وابتسمت بود مرددة:  
 طيب!

أنزل السائق المقعد المتحرك، ووضع أمام الباب الأمامي لسيارته، وتعاونت  
 أسيف معه في وضع والدتها عليه، شكرتها حنان ممتنة، وتحركت به نحو ردهة  
 الفندق، أخرج السائق الحقائب من صندوق سيارته وناولها لأسيف التي  
 أعطته أجرته كاملة، وتوجهت خلف أمها لتلحق بها.

كان الفندق بسيطاً للغاية لكنه ذو مظهر منمق ومرتب، و يفني بالغرض،  
 مدخله تم تزيينه بالأرضيات الحديثة اللامعة، ووضع مكتباً فخماً على الجانب،  
 وكذلك مزهريات فخارية كبيرة بجوار بوابته الزجاجية.

رحبت موظفة الاستقبال بضيفتها قائلة:

أهلاً وسهلاً بيكم في فندق الباشا!

ابتسمت لها أسيف، وتساءلت بنجل وهي تعدل من وضعية حجاب رأسها  
بتوتر:

لو.. لو سمحتي ممكن نحجز أوضة هنا لينا احنا الاتنين  
ردت عليها الموظفة بهدوء:  
أكيد! البطايق بعد اذنكم

تساءلت حنان باهتمام وهي تشرأب بعنقها للأعلى:  
هو ممكن أعرف سعر الليلة كام؟

ابتسمت لها الموظفة بتصنع، وأخرجت ورقة صغيرة مغلقة بغطاء بلاستيكي  
مدون عليها أسعار الغرف، ومدت يدها بها نحوها قائلة:  
-تفضلي دي قائمة بالأسعار للغرف الفردية والمزدوجة شاملة الوجبات وبدونها!  
رفعت حنان يدها للأعلى لتمسك بالورقة، وشكرتها قائلة بهدوء:

شكراً، هانشوفها وهانقولك عاوزين ايه!  
ردت عليها الموظفة قائلة بنبرة عملية:

خذوا راحتكم

ثم عاودت الموظفة لمطالعة باقي الأوراق الموجودة أمامها، تراجعت حنان  
للخلف بمقعدها بعد أن أسندت الورقة على حجرها.

اتخذت الاثنتان زاوية بعيدة نسبيًا للمناقشة حول ما يتناسب مع مقدرتهما  
المادية الحالية، ظلت حنان صامته لبرهة تراجع الخيارات المتاحة أمامها بتأني.

نظرت أسيف معها إلى الأسعار، وتساءلت بصوت خافت:

-ايه رأيك يا ماما؟

ردت عليها أمها بنبرة عقلانية:

-مافيش داعي نطلب أكل، خلينا نقتصد في الفلوس شوية!

هزت أسيف برأسها متفهمة:

طيب

تابعت والدتها قائلة بهدوء:

-واحجزى لمدة اسبوع، وبعدها نشوف

ضغطت أسيف على شفيتها قائلة بإيجاز:

ماشى

ثم تناولت الورقة مجددًا من أمها، وتوجهت نحو الموظفة لتقول لها بلطافة:

خلاص احنا اتفقنا!

بادلتها الموظفة ابتسامة منمقة وهي ترد:

-تمام يا فندم، هستأذنك تملوا البيانات دي!

أومأت أسيف برأسها مرددة:

ماشى

.....

أفرغ العاملون معظم ما حملته الشاحنات بداخل المستودع المملوك لعائلة حرب، ظل منذر يتابعهم بنظرات ثابتة مراقبة لكل شيء.  
ورغم الضيق البادي على ملامح وجهه منذ ذلك الموقف إلا أنه جاهد لتجاهله كي لا يؤثر على عمله.

لكنه انتبه لحديث السائق المرافق له وهو يسرد للبقية الواقفين إلى جواره بسجية تامة ما فعلته تلك الشابة الحمقاء مضيئاً باستنكار:  
-ولاد الإيه ليهم أساليهم والواحد زي المغفل يشرب الليلة ويبقى على عماه  
سأله سائق آخر بفضول:

مش فاهمك

أوضح السائق الأول مقصده بعد أن إرتشف مقدراً كبيراً من كوب الشاي الخمسيني الساخن الذي يمسك به:  
-البت زي الجنية طلعت قصادنا وكنا هنلبس لولا ستر ربنا والريس منذر!  
هتف سائق ثالث صائحاً بهمكم:  
-انت هاتقولي على الأشكال دي، دول أغنى منا كلنا!

بينما أضاف رابع بجدية:

-أنا قرّيت مرة إنهم طبوا على خرابة لاقوا فيها شحات مخبي نص مليون جنية

شهق السائق الأول مصدومًا:

يا دين النبي، كل الفلوس دي!

رد عليه الآخر قائلاً بازدرأء:

-وأكثر من كده وحياتك!

تقوس فم السائق الأول للجانب مرددًا بسخط كبير:

-واكلينها والعة!

تلون وجه منذر بحمرة محتقنة أثناء متابعته لذلك الحديث الدائر بين سائقيه،

واحتدت نظراته وباتت مظلمة مما سمعه، استعاد سريعًا في ذاكرته ذلك

المشهد الذي رأى فيه سيارة الأجرة، والمقعد المتحرك المربوط على سقفها

وتلك السيدة الكبيرة الجالسة في المقعد الأمامي بها، قبض يده بعنف، وبدا

كمن ينفث دخاناً من أنفه وأذنيه من شدة الغضب.

ما أغاظه حقًا هو غبائه واعتقاده أنها امرأة عاجزة متواجدة مع ابنها، وليست

متسولة، ولما لا؟ فهي تحاول استجداء عطف وشفقة الآخرين من خلال

إدعائها للعجز، وابنتها المتهورة تدفع الناس لإرتكاب الحوادث بإلقائها لنفسها

أمام سياراتهم فتنال كلتاها الأجر مقابل ذلك.

منظومة محكمة تديرها عصابة ما لسرقة الأشخاص تحت قناع العوز والفقير،  
 أي عمل مشين هذا الذي يتضمن الكذب والخداع للحصول على الأموال.  
 لم يتحمل سماع المزيد فصاح بصوت جهوري آجش:  
 هنتقضيها رغي طول الوقت، الكل على شغله  
 رد عليه السائق بتوجس بعد أن رأى نذير الغضب واضمأ على محياه:  
 تمام يا ريسنا!

وانصرف بعدها البقية لمزاولة أعمالهم.  
 ضرب منذر بقبضته الحائط بعنف، وأخرج زفيراً مغلولاً من صدره وهو  
 يتجه لداخل مستودعه.

.....

هب مازن واقفاً من مكانه حينما أبلغته ولاء بمسألة حملها منها، نظر لها  
 مصدوماً، وهتف غير مصدق ما سردته:  
 ازاي ده حصل؟ اتني مش كنتي عاملة احتياطاتك؟!  
 أجابته بعصبية وهي تضغط على رأسها بكف يدها:  
 معرفش!

سألها بجدية وهو ينظر نحوها:



طب هتعملي ايه؟

صرخت فيه بانفعال كبير ملوحة بذراعيها في الهواء:

-انت بتسألني، اتصرف معايا، أنا مش هاشيل الليلة لوحدي، إنت جوزي!!!

رد عليها بهدوء حذر وقد زاد عبوس وجهه:

ما أنا عارف إن أنا جوزك!

زفرت بتشنج وهي تدور حول نفسها في الصلاة مرددة بنبرة غاضبة:

-كنت ناقصة القرف ده! أوف!!!

راقب حركتها بفتور مردداً بصوت رخيم

-احنا محتاجين تفكر بالعقل قبل ما نعمل أي حاجة

التفتت برأسها نحوه، ورمقته بنظرات حادة مشتتلة، ثم صاحت بصوت مرتفع يحمل العصبية:

-ماشي، ها.. فكر وقولي يا مازن!

صمت للحظات محاولاً الوصول لحل سريع لتلك المشكلة العويصة، فطراً بباله فكرة ما، ربما لن تتقبلها، لكنها تعد كحل مؤقت للأزمة الراهنة، تحرك ليقف قبالتها، ووضع قبضتيه على ذراعيها ليثبتها في مكانها.

توقفت هي الدوران، وتابع قائلاً بجدية:

-بصي أنا مش عاوزك تتعصبى، بس ده الحل الأسلم!

عمقت نظراتها الغاضبة فيه متسائلة بنفاد صبر:

-ايه هو؟

تردد للحظة في إخبارها بما فكر فيه، ولكن حسم أمره قائلاً بارتباك:

-مافيش قدامنا غير إنك..... تنزليه!

انفجرت شفتها للأسفل بإستغراب عجيب، ورددت بنبرة مصدومة:

-نعم؟ قصدك أعمل إجهاض؟!

هز رأسه بالإيجاب قائلاً:

-ايوه!

صرخت فيه بإهتياج وهي تزيح قبضتيه عنها:

-انت بتستعبط؟ ده ممكن يكون فيه خطر عليا، عاوزني أموت ولا ايه؟!

رد عليها بجمود قليل:

-هو اتتي هاتعمليه من غير تحاليل يعني، أكيد هانظمن الأول إن مافيش قلق!

صاحت فيه بعصبية:

-وان مانعش؟ هانعمل ايه ساعتها؟

رد عليها بجفاء:

ساعتها يبقى يجلها الحلال، لكن إتي لو مش عاوزة براحتك، ده راجعلك!  
تجمدت تعابير وجهه نوعًا ما، وبدت نبرته غامضة تحمل التهديد وهو يضيف  
مخدرًا:

بس يا ريت ساعتها تفكري كويس في ردة فعل أبو يحيى، حبيب القلب  
الأولاني دياب، ماهيصدق يشم خبر زي ده وهايحرمك من ابنك، وماسورة  
الخير اللي مغرقاكي هتقطع!

توترت أعصابها من مجرد التفكير في عواقب معرفة طليقها السابق بمسألة  
زواجها العرفي والغير معلن، وهتفت مستنكرة:

كله إلا هو! أنا مش عاوزاه يعرف حاجة!

تابع مازن قائلاً بنخبث وهو يوميء بحاجبه الأيمن:

وعشان كده لازم تفكر في اللي قدامنا دلوقتي

دنا منها أكثر، وأحاط وجهها بكفيه، ثم حدق مباشرة في عينيها ساءلاً إياها  
بهدهوء مريب:

ها يا ولاء، متفقين؟

ردت عليه بنبرة متوترة وجسدها يرتجف نوعًا ما:

طيب!

التوى ثغره بابتسامة عابثة وهو يرخي يديه عنها، ثم أحتضنها بذراعيه، وضمها إلى صدره، زادت ابتسامته زهواً وغروراً بسبب تمكنه من السيطرة عليها والتحكم بتفكيرها وفق أهوائه دون أي مجهود يذكر.

أرادت ولاء أن تشعر بالأمان وبوجود من يحتويها أثناء نوبات غضبها، وزوجها الثاني بارع في هذا، يعرف مفاتيحها جيداً، وبسهولة يستطيع أن يمتص إنفعالاتها المتشنجة لتسكن سريعاً في أحضانه.

همس هو لها في أذنها مردداً بنبرة كالسحر:

-اطمني! طول ما أنا جمبك ماتشليش هم، كل حاجة هتتحل!

لا حاجة بها الآن للعصبية، فمسألة حملها المفاجيء لن تحل بالصراخ والغضب، ووجوده معها سيساعدها في التخلص من ذلك العبء، لذلك استجابت لصوته واستكانت في أحضانه...

.....

أنهت بسمة عملها، وسارت في طريقها عائدة إلى منزلها وهي تجفف بمنشفة ورقية ذلك العرق المتجمع على جانبي وجهها، وكالعادة كان الجزار المغتاض منها يترص بها، ويتصيد لها الفرص لإزعاجها وربما إذلالها، تلك المرة أطلق عليها خرافه الهوجاء لترعجها في سيرها، صرخت مفزوعة حينما رأت قطع الغنم يتحرك صوبها ركضاً، هرولت كالخرقاء مبتعدة عنها وصائحة بحدة:

-والله لأوريك يا جزار البهايم، مش هاسييك ترمطني في الراحة والجاية!  
لم تتمكن من الوصول إلى مدخل بنائها بسبب وضعه أيضًا لبقرات سمان وعدة  
عجول..

شهمت مصدومة حينما رأتهم أمامها، وعجزت عن التحرك من مكانها، عبس  
وجها بشدة، ونظرت إليهم بتقزز، فقد كانوا متسخين للغاية ناهيك عن الرائحة  
الكرهية و الفوضى والروث المنتشر حولهم.

التفتت برأسها نحو محله لتنظر لها بشرر متطاير من مقلتيها..

تعالت ضحكاته الساخرة منها مرددًا بإستهزاء وهو يصفق بكفي يده:

-اوعى تترفس يا حلو! هاو! اللي يقع عندنا مالوش إلا السلخ!

بصقت عليه ياشمئزاز مرددة بصوت عالي :

-اتفوو على أمثالك!!!

ثم استدارت عائدة من حيث أتت وهي تنتوي ألا تمر الأمر مرور الكرام  
حتى وإن تطلبها الاستعانة برجال الشرطة لتصعد إلى منزلها ....

.....

أوقف دياب سيارته على مقربة من وكالته، ولاحظ حالة من الهرج سائدة في  
المنطقة، وتجمعات بشرية متفرقة على الجانبين وكأنها تتابع شيء ما، لم يكثر

للأمر في البداية وبحث عن ولاعته وعلبة سجائره، ثم دسهما في جيبه مع هاتفه المحمول.

ترجل من سيارته متأملاً المكان بنظرة عامة فاحصة، ووقف مستنداً إلى جوار بابها لعدة لحظات قبل أن يقرر غلقه والتحرك.

اتجه نحو مدخل وكالته متسائلاً بفضول وهو يشير بكفه للخلف: هو في ايه برا؟

أجابه أحد العاملين بالمكان بنبرة عادية:

ده الجزار جايب كام عجل على كام خروف وسايبهم في الطل جمب محله، الظاهر عنده موسم دبح!

تجهم وجه دياب نوعاً ما، وبدا غير مقتنعاً بإجابته العجيبة مردداً بتأفف: موسم دبح! غريبة يعني!

جلس هو خلف مكتب والده، ومسح طرف أنفه بإصبعه متابعاً بصوت أمر:

روح اطلبلي قهوة سادة، عاوز أظبط دماغي!

رد عليه العامل بحماس وهو مسرع في خطواته:

أوامرك يا ريسنا!

جلس دياب بإسترخاء على المقعد مستنداً بوجهه على مرفقه شارداً فيما لديه من أعمال مؤجلة خاصة تلك المتعلقة بالدكان.

استعانت نيرمين بأحد معارفها لكي يؤجر لها شاحنة نقل مغلقة تنقل ما تبقى  
من كومة أثاثها الملقى أمام المخفر إلى منزل أمها وكذلك بعض الرجال لحملة،  
بكت هي بتحسر على حطام أشياءها الثمينة، واحتقنت عينها المتورمتين أكثر  
وهي ترى ثياب نومها الجديدة ممزقة ومدهوسة بالأقدام.

كتمت غيظها ونيرانها المستعرة في صدرها، فلا داعي للعويل أو الصراخ على  
ما لا يمكن أن يعود يوماً إلى ما كان عليه، نظرت لها واليتها ياشفاق ممزوج  
بالأسف، فابنتها لم تكن تستحق هذا، لكن هذه مشيئة المولى.

أرادت أن تهون عليها قليلاً، فاحتضنتها من كتفها لتضمها إلى صدرها الحنون  
مواسية إياها بنبرة مخزية:

-معلش يا بنتي، ربنا هايغوض عليك!

هتفت نيرمين من بين أسنانها بصوت مكتوم يحمل المرارة والشعور بالظلم:

-نار في قلبي يا ماما!

ربت عواطف على كتفها بحنو كبير، فإزداد إحساس نيرمين بالقهر والعجز،

هتفت فجأة بنبرة عدائية محاولة التنفيس عما بداخلها من غضب مشتعل:

-هولع فيه، هاموته على اللي عمله فيا وفي بنتي!

توجست عواطف خيفة من تهور ابنتها وهي في تلك الحالة العصبية، فتوسلتها  
قائلة برجاء:

-اجدي عشان بنتك، ده كلب وراح مايستهلش دمعة منك ولا إنك تضيعي  
نفسك عشانه!

ردت عليها ابنتها بنبرة محتدة:

-أنا مش زعلانة عليه، أنا زعلانة على حالي وندماتة إني ضيعت عمري مع  
واحد زيه..... مالوش أمان!

شدت أمها من قبضتيها عليها قائلة بهدوء حذر:

-اصبري يا بنتي، اصبري، ربنا مع المظلوم!

انتحبت نيرمين بصوت خافت لبرهة، وظلت تتابع في صمت مفعج جمع بقايا  
أثاثها، كفكفت عبارتها بعد ذلك، وهتفت قائلة بصوت مبحوح:

-معدلهاش لازمة الوقفة هنا! بينا يا ماما

وافقتها عواطف الرأي قائلة بنبرة عازمة:

-ايوه، وأنا هاخلي الرجالة يطلعوا الغفش على السطح لحد ما أظبطله مكان  
في البيت عندي!

نظرت لها نيرمين بأعين مظلمة، وهتفت بصوت متشنج:

-ارميه! كسريه! ولعي حتى فيه، معدتش تفرق معايا!



قاومت عواطف رغبة عارمة بالبكاء مرددة بصوت مختنق للغاية:

-لا حول ولا قوة إلا بالله! اصبري واحتسي!

مسحت على ظهرها برفق، وسارت معها بخطوات بطيئة - وهما تخرجان  
أذيال الخيبة والحسرة - نحو إحدى سيارات الأجرة لتعودا إلى المنزل.

.....

لاحقًا، بعد أن وضبت أسيف أشياءها هي ووالدتها بداخل الخزانة في غرفتهما  
المتواضعة بالفندق تملكها الفضول للخروج والتجول بالمنطقة حولها لكي  
تستكشفها، وخاصة أنها تقع على مسافة قريبة من عنوان عمته.. بالإضافة إلى  
رغبتها في نسيان تلك التجربة المخيفة التي مرت بها باكراً.  
وقبل أن تشرع في تنفيذ مخططها، اقتربت من أمها الجالسة بالشرفة ساءلة  
إياها بنبرة مهذبة:

-ممكن أنزل أتمشي تحت شوية يا ماما؟ أنا مش هتأخر!

رفعت حنان رأسها نحوها، ورمقتها بنظرات جدية وهي ترد على طلبها  
متسائلة بإستنكار مريب:

-رايحة فين هنا؟ هو احنا نعرف حد لسه؟!!

ارتبكت أسيف قليلاً، وضغطت على شفيتها وهي تجيها بجذر:

-أنا ب.. بس عاوزة أشوف المكان عامل ازاي!

ردت عليها أمها بجدية مبالغة وقد انعقد ما بين حاجبيها بشدة:  
 تشوفيه؟ ولوحدك في حنة منعرش فيها حد ولا نعرف عنها حاجة؟!!!!  
 ابتلعت ريقها بتوتر أكبر، وحاولت أن تبرر رغبتها في الخروج قائلة بتلعثم:  
 أنا.. أنا كنت....

باغتتها حنان بسؤال مفاجئ:

-انتي عاوزة تروحي عند عمك لوحدك؟

اصطبغ وجهها بحمرة حرجة، فلم تتوقع أن تقرأ والدتها أفكارها بسهولة وكأنها  
 كتاب مفتوح، ولما لا وهي قد ترعرعت في كنفها تعرف أدنى رداات فعلها عن  
 صغائر الأمور.

بدت أسيف أكثر خجلاً عن ذي قبل، وتحاشت النظر نحوها، فأسبلت  
 عينها للأسفل.

أدرت حنان أن حدسها كان صادقاً من خلال تعابير ابنتها الفاضحة لأمرها،  
 ورغم هذا لم تحاول الانفعال عليها دون داعي.. هي متأكدة من صدق نواياها  
 وسجيته الطيبة، هي فقط ترغب في رؤية عمته التي لم تعرف بوجودها من  
 قبل والتودد إليها لعلها تتقبلها، لكن لن يحدث هذا دون ترتيب مسبق كي لا  
 يتطور الأمر إلى ما لا يحمد عقباه أو تتعرض ابنتها لموقف مخزي يشعرها بالعار  
 والإحتقار، يكفيها ما مرت به من معاناة في الماضي ليجعلها تتجنب التعامل مع  
 الجانب المضاد من عائلة الراحل زوجها.

زاد اضطراب أسيف أماما بعد أن طال صمتها، وخشيت أن تنزع والدتها  
منها أكثر بسبب خطتها الفاشلة، فركت كفيها بتوتر، وظلت تفكر بروية باحثة  
عن وسيلة لبدء الحديث من جديد بعد أن هربت الكلمات من على شفيتها.  
راقبتها حنان بنظرات مطولة هادئة مدققة في كل إيماءة بريئة تصدر عنها، ثم  
أخذت نفسًا عميقًا، وزفرته على مهل، رسمت على ثغرها ابتسامة لطيفة،  
واستطردت حديثها قائلة:

أسيف، احنا اتفقنا مش هانروح من غير ما نكون جاهزين لده، فبلاش  
تستعجلي الأمور، خلي كل حاجة في وقتها، اتفقنا؟

عضت ابنتها على شفيتها السفلى قائلة بصوت خافت ومستسلم:  
حاضر!

زادت ابتسامة والدتها إشرافًا لطاعتها لها، وهتفت ممتنة:

تسلميلي يا بنتي، دايمًا مش مخيبة ظني فيكي!

بادلتها أسيف ابتسامة ودودة ولم تنبس بكلمة أخرى..

مالت على أمها، وقبلتها من أعلى جبينها، ثم ربت برفق شديد على كتفها،  
وولجت إلى داخل الغرفة وهي محبطة من عدم إقداها على مغامرة أخرى في  
حياتها.

.....

توجهت بسمة إلى مخفر الشرطة لتحرر محضراً ضد صاحب محل الجزارة تهمه فيه بمحاولة التعدي عليها والترصص بها على الدوام من أجل إلحاق الأذى بها، وبالطبع استعانت بإحدى معارفها من أولياء الأمور ذات الوظيفة المرموقة لتتوسط في تلك المسألة الحساسة ليتم التعامل معها باهتمام، وحصل ما تمنته..

أخذ الضابط الأمر بجدية بالغة، وسجل أقوالها في المحضر وأضاف عليه بما راه ملائماً ليبدو متكاملًا، ثم هتف مرددًا بصرامة:

-اطمني يا آنسة، حقك محفوظ وهانجيها، ده اتني من طرف جبايننا!  
التوت شفتيها بابتسامة راضية وهي تردد:

-الله يكرمك يا باشا!

تابع قائلاً بجدية وهو يشير بيده:

-اتفضلي حضرتك، وفي قوة هتحصلك هتصرف معاه!

هزت بسمة رأسها بإيماءة خفيفة قائلة بإيجاز:

-ماشي، وشكراً ليك

ثم انصرفت بعدها من المخفر وهي في قمة سعادتها لقيامها بتلك الخطوة الجريئة، وتوقت بتلهف وحماسة كبيرة لنيل غرضها من ذلك الدنيء المترصص دومًا بها، وها قد حانت اللحظة لتراه ذليلاً أمامها بقوة القانون الجبرية.....!!!

## الفصل الحادي عشر (الجزء الأول):

ترقبت على أحر من الجمر وصولهم، فهي كانت تنتظر تلك اللحظة منذ وقت كبير للإحتفال بانتصارها الثمين عليه وإذلاله مثلما فعل معها.

ظلت بسمة تطالع الطريق المؤدي لمدخل منطقتها بتلهف كبير، وفجأة ظهر على محياها ابتسامة عريضة وزاد لمعان بريق عينيها بشدة حينما دوت صافرة سيارات الشرطة وهي تلج إلى المنطقة الشعبية.

راقبتهم عن كثب، ثم سارت على مهل وبجذر لتلحق بهم.

تجمع أغلب المارة على إثر الصوت الصاح ليروا سبب تواجد تلك السيارات هنا، فوجود أفراد وضباط الشرطة بالمكان يعد خطباً جلاًاً..

ترجل الضابط من السيارة صائحاً بصوت جهوري غليظ وصارم:  
شوفولي صاحب البهايم السايبة دي ولوها!

هب صاحب محل الجزارة واقفاً من على مقعده مُلقياً لأرجيلته التي كانت  
يستنشقتها بشراهة على الأرضية وراكضاً بفرع نحو الضابط ليعرف السبب  
خاصة حينما رأى بصحبته رجلاً يرتدي معطفاً طيباً، ولجنة من مباحث  
التموين.

ردد متسائلاً بنبرة متوترة:

خير يا باشا؟

أجابه الضابط بصوت قائم يحمل السخط وهو يشير بيده:

-انت اللي عامل الزرية دي؟

اعترض على جملته قائلاً بتوتر رهيب:

-زرية ايه بس يا باشا، دول كام خروف كده لزوم مصلحة لزبون عندي  
وآ....

قاطع الضابط قائلاً بغلظة:

تبقى صاحبها!

ثم حدجه بنظرات أكثر إزدراءً، وتابع بصوت آمر:

هاتوه في البوكس!

ارتسمت تعابير الإندهاش الممزوجة بالقلق على قسبات وجهه، وهتف

مستنكراً ما سمعه:

-الله! الله! ليه بس يا باشا؟ هو أنا عملت حاجة؟ ده أنا حتى ماشي جنب

الحيط و....

قاطع الضابط قائلاً بجفاء وهو ينظر له شزرًا:

-انت متقدم فيك بلاغ، ومتوصي عليك جامد!

فغر الجزار فمه مدهوشاً:

-ايه بلاغ!

ثم كز على أسنانه متسائلاً بغیظ:  
-ومین اللي اتجراً وعمل ده فیا؟ ده... ده أنا حتی فی حالی ومالیش دعوة بجد  
وكافی خیری شری؟!!!

حدجه الضابط بنظرات مستخفة، وصاح به بجدة:  
-انت هاتعرفنی شغلی، هاتوه!!!

ابتلع الجزار ريقه وحاول الدفاع عن نفسه وتبرير موقفه قائلاً:  
-یا باشا بس أفهم، مین عمل كده فیا؟

في تلك اللحظة تحديداً ظهرت بسمه أمامه، والتوى ثغرها بابتسامة مغتره  
وهي ترد عليه بثقة بالغة متعمدة النظر إليه باحتقار:  
-أنا یا جزار البهايم!

اتسعت مقلتيه مصدوماً من رؤيتها، فلم يتوقع على الإطلاق أن تحرر ضده  
محضراً، بل ويتم التعامل معه فوراً وبغلظة واضحة..



صاح غير مصدق:

-ايه اتتي؟

وضعت بسمة يدها على منتصف خصرها، وزادت نظراتها المزدرية نحوه  
تشفياً، وردت عليه بغيرسة:

-ايوه، ووريني دلوقتي هاتعمل ايه مع الحكومة! يا بتاع البهايم!

استشاط غضباً من ردها المستفز له، وقيم من بين شفثيه بنبرة مغلولة:

-بقي يا باشا تمسكني عشان واحدة زي دي!

رد عليه الضابط بصرامة مهدداً إياه لاستشعاره إهانة ضمنية في جملته الأخيرة  
نحو صاحبة البلاغ الموصي عليها:

-اتكلم عدل بدل ما أعرفك شغلك وأنفخك كويس!

ازدرد ريقه قائلاً بحنق:

-مقصدش، بس أنا مالي بيها أصلاً؟

رد عليه الضابط بصرامة أشد:

انت مش هاتعرفني شغلي، هاتوه!

حاوطه عدد من أفراد الشرطة ليكبلوه ويقيدوا حركته، فاحتج معترضاً:

يا باشا بس آ....

هتف الضابط متجاهلاً إياه بصوت أمر:

خلوا لجنة الطب البيطري تشوف البهايم السايية دي، ومباحث التموين

تفتش في محلاته كلها، من الآخر عاوزه يتروق!

قام أفراد الشرطة بسحبه نحو إحدى سياراتهم، فحاول مقاومتهم رافضاً

الإنصياع لأمره مردداً بتوسل:

يا باشا بس اتفاهم معاك وآ....

تجاهله الضابط عمداً، وترك رجاله يقتادوه نحو السيارة..

سلطت بسمة أنظارها الشامته عليه، وتقوس فيها بابتسامة منتصرة وهي تراه

مهاناً أمامها، ثم هتفت بتشفي:

تستاهل، ومش كل طير اللي يتاكل لحمه!!!!!!

.....

ارتفع صوت الهرج بالخارج، فأثار الأمر فضول دياب للسؤال عما يحدث خاصة أنه إشرأب بعنقه ليرى المارة في حالة مرج مريية .. هتف بصوت مرتفع وهو يدون بعض الملحوظات في الأوراق الموضوعة على المكتب:

في ايه اللي بيحصل برا؟

أجابه أحد عماله المتواجدين معه بحماس:

-يقولوا بنت عواطف جابت البوليس للجزار!

توقف عما يفعل، وتجمد جسده إلى حد كبير عقب سماعه لتلك الجملة الأخيرة.

اعتدل في وقفته، والتفت برأسه نحوه، ثم سأله بصوت شبه حاد:

ايه؟ مين فيهم؟

أجابه العامل بجدية وهو يشير بكف يده للخلف:

-الأبلة اللي الجزار مدبها ( مستقصدها ) في الراحة والحماية!

احتدت نظرات دياب بعد معرفة هويتها، وتجهم وجهه بدرجة ملحوظة، ثم تابع  
متسائلاً بحنق:

هو عمل فيها ايه تاني؟

أجابه العامل بتوجس قليل بعد أن لاحظ تبدل حاله:

-الناس بتقول ساب الخرفان والبقر عليها فهدلوها

كانت مجرد كلمات بسيطة، لكنها أحدث انفجاراً مدوياً بداخل كيانه، لا يعرف  
لماذا افعلت دمائه فجأة، ووصلت إلى ذروة غليانها..

فجأة هدر دياب بصوت شبه مهتاج وقد استنشأت نظراته:

-تخبيل في عقله ده! ولا اتجنن، هو مش عارف إنها و أمها تبعنا!

لم يظل قابلاً في مكانه أكثر من هذا حيث اندفع للخارج كالطلقة ليتصرف  
فوراً مع ذلك الفظ الغليظ.

حاول العامل اللحاق به مردداً بخوف قليل:

سي دياب!

استدار دياب برأسه للخلف، وأشار بإصبعه نحوه وهو يرمقه بنظرات نارية،  
ثم هتف بصوت آمر يحمل الصرامة:  
خليك هنا لحد ما أربي الحيوان ده!

هز العامل رأسه بإيماءة قوية مرددًا بخنوع:  
-أوامرك يا سي دياب!

.....

أسرع دياب في خطواته متجهًا نحو محل الجزارة الذي لم يكن على مسافة  
بعيدة منه..

وبالفعل رأى سيارات الشرطة وبعض الضباط والعساكر متواجدين حوله..

اقترب هو من الضابط المسئول مرددًا بجدية شديدة:

خير يا بشوات، اتفضلوا عندي في الوكالة!

نظر له الضابط شزرًا، ورد عليه مستهزئًا منه:

وانت مين بقى؟

اغتاظ دياب من استخفاف الضابط به، لكنه تحامل على نفسه، وسيطر  
على غضبه المتأجج.. ورغم هذا بدا وجهه مشدوداً..  
أخذ نفساً عميقاً، وزفره دفعة واحدة مجيئاً إياه بامتعاض:  
دياب طه حرب!

لوى الضابط فمه قائلاً بتهكم:

-ها، ابن الحاج طه

رد عليه دياب بصعوبة وهو يكتم غضبه:

-ايوه يا باشا!

رمقه الضابط بنظرات أكثر استخفافاً، وردد قائلاً بسخط:

تشرفنا يا سيدي

ضغط دياب على شفثيه بقوة، وتساءل بصوت شبه مكتوم:

هو ايه اللي حصل بالضبط؟

أجابه الضابط باقتضاب وهو يوليه ظهره:

-بلاغ وبنشوفه

اغتاظ هو من تجاهله له، وتحرك خطوة للأمام ليكون قبالة، ثم أضاف قائلاً:

حط ليه تعبتوا نفسكم، كنتوا بلغونا واحنا نتصرف

التفت الضابط برأسه نحوه، ورد عليه بجدة تحمل الاستهزاء:

ليه؟ هو ما فيش قانون، ولا عينوك في الداخلية واحنا مش عارفين؟!!!!

برر دياب رده قائلاً على مضض وهو يبذل قصارى جهده كي لا ينفجر ثائراً

في وجهه بسبب أسلوبه التهكمي المستفز:

-لا يا باشا، بس معروف عندنا إن مشاكلنا بنحلها على طريقتنا و.....

قاطع الضابط قائلاً بصرامة:

ده لما يكون الموضوع ودي، وبينكم وبين بعض وقادرين تحلوه، لكن طالما جه  
عندنا، يبقى احنا نتصرف بأسلوبنا وبالقانون، وصلت!!!

هز دياب رأسه بإيماءة خفيفة رداً عليه باقتضاب:  
تمام!

وضع الضابط يده على كنف دياب، وربت عليه بقوة متابعًا بسخرية:  
عن اذنك بقى يا.. يا كبير المنطقة!

قبض دياب أصابع يده بقوة كاتماً غيظه، وظل يحدجه بنظرات متأججة من  
مقلتيه..

انصرف الضابط من أمامه، فتمتم هامساً بشراسة متوعداً صاحب المحل من  
بين أسنانه:

ماشى يا جزار ال.....، الليلة بقت عندي أنا!

ثم رفع أنظاره للأعلى ليحدق في البناية القاطنة فيها بسمة بنظرات حادة  
للغاية.. وأضاف بصوت محتقن:



بس الأول كلامي مع الجماعة اللي فوق!!!

.....

سردت جليلة على زوجها طه ما رأته في منزل عواطف، وتعرض ابنتها  
الكبرى نيرمين لموقف محرج أمامها، وتصرفها المنطقي في الأمر..  
أصغى لها باهتمام قليل، فأكملت بثقة بعد فعلتها العقلانية:  
ساعتها مكذبتش خبر، خدت بعضي والبت ومشينا، مالهش لازمة الأعدة!

رد عليها بضيق من أفعال طليقتها الغير مسئولة:  
-رجالة ناقصة، ما يعرفوش يعني ايه جواز وحرمة يصرفوا عليها!

تهدت قائلة بأسف:

-البت صعبانة عليا، اتهدلت ومعها حته لحمه حمرا على كتفها

رد عليها زوجها بصوت خشن:

-الله يعوضها خير!

تبدلت نبرتها للحماسة وهي تكمل:

-المهم عواطف هترد عليا بعد ما تفوق من اللبخة اللي هي فيها في موضوع بنتها  
الأبلة!

هز رأسه متفهماً، وأشار لها محذراً بجديّة:

طيب، وراضيا كويس يا جلييلة، العيال متعيين في مذاكرتهم!

ابتسمت قائلة بود:

-اطمن يا حاج طه، هو أنا يفوتني الأصول برضوه!

.....

قصت ولاء على والدتها مسألة حملها الغير متوقعة من زوجها مازن..

بالطبع كانت شادية تعلم بأمر تلك الزيجة السرية، لكنها لم تتخيل أن تحاول  
ابنتها التخلص بما تحمله في أحشائها بعد تأكد حملها.. لذا صرخت فيها بجنون:

-اتي اتجننتي في عقلك؟

ردت عليها ولاء بنفاز صبر:

خلاص يا ماما، مش هاتقطي فيا!

استنكر شادية عدم اهتمامها بتوابع تفكيرها الأهوج، وعنفتها قائلة باستنكار:  
-ازاي مخديش احتياطاتك معاه، مش كفاية إني وافقت على الجوازة الزفت  
دي!!!!!!

لوحث ولاء بيديها مرددة إحباط:  
-وأنا هاعمل ايه، أهوو اللي حصل

رمقتها أمها بنظرات حادة، وسألته بضيق وهي تعقد ساعديها أمام صدرها:  
-والبيه هيتصرف ازاي؟

أجابته بعد تهيدة مطولة:  
-أنا.. انا اتفقت أشوف إن كان ينفع يعمل اجهاض!

اصطبغ وجه شادية بحمرة مغتظة من تلك الكارثة التي توشك ابنتها على  
فعلتها، وصاحت بها معنفة إياها بحدة:

-والله! ده بدل ما يعلن جوازكم؟!

ردت عليها ولاء بصوت مختنق:

ماهو لو الناس عرفت دياب كمان هايعرف وهيحرمني من يحيى و....

قاطعها قائلة بصوت منفعل:

ده اللي همك؟ ومش فارق معاكي الفضايح وكلام الناس!

دفنت ولاء وجهها بين راحتي يدها محاولة السيطرة على نوبة بكاء توشك على الإنخراط فيها..

رأتها أمها على تلك الحالة فأشفقت عليها، نفخت بصوت خافت، ثم دنت منها، وأبعدت كفيها عنوة عنها لتنظر لها.

رمقتها شادية بنظرات حانية لكنها تحمل العتاب أيضًا، واستطردت حديثها  
قائلة:

يا ولاء أنا أمك ومحدث هيخاف عليكي أدي!

ترقرت العبرات في مقلي ابنتها، واختنق صوتها نوعاً ما وهي ترد عليها  
بتوسل:

-الله يخليكي يا ماما، أنا محتاجكي تقفي معايا مش تهديني! أنا لوحدي ومش  
عارفة أتصرف!

تحولت نظرات شادية للجدية حينما رأت حالة الضعف المسيطرة على ابنتها،  
فهتفت قائلة غير مكترثة بها:

عشان اتى غبية، ركبتي دماغك وعملي اللي عاوزاه!

أجهشت ولاء بالبكاء عليها تستعطف أمها، لكن على العكس تفاجأت بها أكثر  
قسوة وشدة معها وهي تكمل بنبرة عازمة:

بس أنا مش هاسيبك تتصرفي بغباء ثاني!

استشعرت ولاء تهديداً ضمنياً في نبرتها، فسألتها بتوجس:

ناوية على ايه يا ماما؟

ردت شادية بجمود:

على الصبح! اللي كان لازم يتعمل من الأول!

ثم أولتها ظهرها، واتجهت نحو باب المنزل..

ركضت ولاء ناحيتها، وأمسكت بها من ذراعها سائلة اياها بهلع:  
-استني بس رايحة فين؟

أجابتها شادية بصوت جاف وقاسي:

على أبوه، إن كان هو مش راجل ومنفض دماغه، فمهدي أبوه لازم يتصرف!

ارتعدت نظراتها نوعًا ما، وهتفت قائلة بتوسل

-لأ يا ماما، كده اتتي هتبوظي الدنيا وهاتخري عليا

رمقتها أمها بنظرات متهكمة، وصاحت فيها مغتازلة من ضعفها الغريب :

-اجمدي يا ولاء، ماتبقيش كده!

توسلتها ابنتها برجاء أكثر:

عشان خاطري بس، استني أشوف هاعمل ايه مع مازن وبعد كده اتصرفي  
براحتك

صمتت شادية للحظة تفكر في رجاء ابنتها، فاستغلت الأخيرة الفرصة  
لتضيف بعشم:

ها ماشي؟ عشان خاطر بنتك بلاش تهوري، أنا اللي هاخسر!

ردت عليها أمها بجدية:

طيب يا ولاء، بس اعرفي إني مش هاصبر كثير!

أومأت ولاء برأسها عدة مرات بحركات متتالية ومتكررة مرددة بصوت  
منتحب:

ماشي.. ماشي!

.....

عادت بسمة إلى منزلها وهي سعيدة بانتصارها الساحق الذي ظفرت به على ذلك السمج المزجج..

كانت قد لمحت أثناء صعودها على الدرج وجود بعض الخشب المشابه في هيئته العامة لأثاث أختها الموضوع في المدخل.. لكنها لم تكثرث للأمر، وأكملت طريقها للأعلى..

وبعد أن ولجت إلى منزلها، وعرفت من والدتها ما حدث باختصار، شهقت مصدومة، وصاحت بانفعال:

كل ده حصل؟ طب وأنا كنت فين؟ ومحدش اتصل بيا ليه؟

ردت عليها والدتها بقلة حيلة:

-احنا كنا في ايه ولا ايه بس!

أشارت بسمة بيدها مرددة بعصبية:

-جوزها ده عاوز يتربي، يا ريتته كان وقع معايا!

صححت لها عواطف جملتها الأخيرة قائلة بإستياء:

-معدتش جوزها، خلاص كل واحد راح في حاله!



تابعت بسمة حديثها بنبرة مغلولة:

-بس نيرمين غلطانة، كانت رفضت تستسلم الحاجة وعملتله محضر تبديد  
عفش وجرجرته على قفاه هناك!

استنكرت عواطف تفكير ابنتها الغير محسوب العواقب، وردت بيأس:

هو احنا بتوع بهدلة في الأقسام!!!

اغتاظت بسمة من أسلوبها الخائف المستهين بقوة القانون، وبشخصيتها  
المتخاذلة التي دوماً تخاف من المخاطرة والدفاع بإستماتة عن حقوقهم المسلوبة..  
فصاحت بجدة:

يا ماما ده حقها، هي عبيطة ضيعته بتسرعها! بطلوا تخافوا بقى!

نهرتها عواطف قائلة بامتعاض:

خلاص بقى بلاش تبكيت، سبها في اللي هي فيه!

نفخت بسمة بصوت مسموع، فوالدها دومًا تحببها حينما تفكر بصورة عقلانية..

ورغم ذلك أبدت اهتمامها بمصير أشياءها التي تكلفت الكثير.. وسألتها بعبوس:  
أموال حاجتها عملتوا فيها ايه؟

أشارت عواطف بعينها مجيبة إياها:

حطينا شوية خشب تحت في المدخل والباقي في الأوضة الفاضية اللي في  
السطح!

تقوس فم بسمة بابتسامة متهمكة، وتساءلت بسخط:  
أها الكومة اللي تحت دي، طب مش خايفين تتسرق؟

ردت عليها أمها بتنهيذة مطولة تحمل الآسى:  
هياخذ الحرامي ايه يا حسرة؟ دي شوية خشب على كام مولة بايظة!

استنكرت بسمة ردها المتخاذل، وهتفت معاتبة بقوة:

-وأما هما كده وافقت ليه تمضي على القايمه دي من الأول ورضيت بعفش  
بايظ زي ده؟

استاءت عواطف من أسئلة ابنتها المتكررة التي لا تكف عن لومها فيها،  
فصاحت بنفاذ صبر:  
-تاني هانعيده يا بسمة!

رمقت هي أمها بنظرات منزعة، وردت غير مكترثة:  
-انتو أحرار، اصطفلوا مع بعض!

ثم تحركت في اتجاه غرفتها، والتفت برأسها للخلف لتتابع بصوت جاد ونظرات  
قوية:

-أنا لو حد بس فكر يدوسلي على طرف هابده زي جزار الزرايب!

بدا الاهتمام واضحاً على تعابير وجه عواطف بعد الجملة الأخيرة، ورددت بريية:  
-اه صحيح، أنا سامعة الناس بتحكي عن البوليس اللي جه وخده وبهدلته و....

قاطعتها بسمة قائلة بتفاخر:  
ماهو أنا اللي عملت فيه كده!

شهقت عواطف في البداية بصدمة واضحة، ولطمت على صدرها هاتفة  
بإستنكار:

يا نصيني، جبتيله البوليس؟

ردت عليها بسمة بتحد سافر وقد قست نظراتها:

ولو طولت أجييله عشاوي كنت عملت!

عاتبتها والدتها لتهورها مرددة:

ليه كده يا بنتي، هو اتني ناقصة عداوة معاه؟!

أجابتها بسمة غير مهتمة:

هو خد اللي يستحقه، ولو زود هابده أكثر!

ثم تركتها لتلج إلى غرفتها، وأوصدت الباب خلفها..

هزت عواطف رأسها بخوف متممة لنفسها:  
سترك يا رب من اللي جاي، هو أنا هلاحق على ايه ولا ايه؟! .....

بعد برهة،،،

سمعت عواطف دقات قوية على باب منزلها، فهتفت صائحة وهي متواجدة  
بالمطبخ تطهو الطعام:  
شوفي مين بيخبط يا بسمة!

أنا صوت ابنتها قائلاً بعدم اهتمام:  
افتحي اتتي يا ماما، أنا داخلة أستحمي!

جفت عواطف كفيها في جانبي قيصها المنزلي، وهتفت يارهاق وهي تخرج  
من مطبخها:

هو كل حاجة عليا، اليوم شكله ما بيخلصش!

سارت بتناقل نحوه، ثم فتحته لتتفاجيء بوجود ابن الحاج طه واقفاً على عتبته..

رسمت سريعاً على محياها ابتسامة ودودة وهي تهتف قائلة:  
سي دياب! يا أهلاً وسهلاً!

كانت تعابيره متجهمة للغاية، ونظراته قائمة إلى حد كبير..  
لم يرد على تحيتها المرحة به، وتشدق قائلاً بعبوس:  
هما كلمتين على السريع وخلص!

تنحت للجانب قليلاً لتفسح له المجال ليدخل قائلة بإصرار مجامل:  
-لا مايصحش، اتفضل جوا!

أشار لها بكفه مردداً بصوت جاف:  
-كده كويس!

ظنت عواطف أنه قد جاء للحديث عن موضوع ( الدكان )، خاصة أنه كان منزجاً وبشدة في الزيارة الماضية، لذا بلا تفكير هتفت بنزق:

-أنا.. أنا والله كنت هاكلم مرات أخويا الله يرحمه على الدكان بس اتلبخنا في  
حاجة بنتي و....

قاطعها قائلاً بصوت جاد:

-بصي يا ست عواطف، احنا كلنا بنعتبرك من العيلة، صح ولا أنا غلطان؟

بدا حديثه غامضاً بالنسبة لها، وردت بتوجس:

-ايوه، ده صحيح!

تابع هو قائلاً بصوت متصلب وقد برزت عروقه المتشنجة من جانب عنقه:

-يبقى لما يكون ليكي حق عند حق تجيلنا، واحنا نتصرف، غير كده اتني  
بتكسبي عدوتنا!

لم تستطع أن تعي بوضوح المغزى من وراء تلك العبارات الغامضة، فارتبكت  
وهي تسأله بحذر:

-مش فهماك يا سي دياب، هو.. هو صدر مني حاجة تزعل؟

أجابها بصوت محدد نسيبًا لكنه هاديء:

مش منك، من بنتك، لما تعتبر إن كبار المكان مالهومش لازمة، وتتصرف من  
دماغها ساعتها آ....

بالطبع استطاعت أن تخمن سبب غضبه المبرر، فموضوع ابنتها وما فعلته  
بصاحب محل الجزارة لن يخفى عليه، ولن يمر مرور الكرام لتجاوزها الأعراف  
المعهود بها هنا..

حاولت أن تدافع عنها وتبرر موقفها قائلة بخوف:  
والله ما كنت أعرف، أنا لسه مبهلاها على الحكاية دي!

رد عليها بقسوة مهددًا إياها بصراحة:

-اتي حرة معاها، بس خلي بالك، لأن المرة الجاية الزعلة معنا احنا! ومش  
هاكرر تحذيري مرتين!

تفهمت تحذيره بخوف، ورددت ممثلة له:

حاضر يا سي دياب، اللي تشوفه!



رمقها بنظرات أخيرة ثم استدار عائداً من حيث أتى قائلاً باقتضاب:  
سلامو عليكم!

تابعته عواطف بأنظارها وهو يتجه على الدرج مرددة بخفوت:  
وعليكم السلام!

ثم استدارت للداخل، وأوصدت باب منزلها.  
سلطت عينها على غرفة ابنتها وهي تنهد يأنهاك وضاعطة على شفيتها بضيق  
كبير..  
ربما طبيعة شخصيتها تختلف عنها، فهي لا تهتم بما يظنه الآخرين فيها، وتفعل ما  
يمليه عقلها عليها حتى لو كان خاطئاً..  
هي صورة مصغرة من والدتها الراحلة في قوتها وعنفها وشراستها المخيفة التي لا  
تعباً برده فعل غيرها..  
دوماً تنظر لها فترى انعكاساً جلياً فيها لشخص أمها في نظراتها وحركاتها،  
وحتى تصرفاتها المتهورة والغير مدروسة..  
تخشى أن تزج بنفسها في الهلاك بسبب ذلك..  
تهددت مجدداً بأسف، ثم غمغمت مع نفسها بتحسر:

منك لله يا بسمة، جيبالي الكلام مع كل الناس، هو فاضل مين مش  
بيشتكي منك.....!!

.....

## الفصل الحادي عشر (الجزء الثاني):

انتهى مندر من تسليم عدد من الطلبات المؤجلة بعد أن امتلأ المستودع  
بالوارد الجديد من البضاعة الخاصة بوكالتهم.

تمكن الإرهاق منه، فقرر العودة إلى منزله ليرتاح قليلاً ومن ثم يستأنف  
البقية..

رأته والدته وهو يلج إلى غرفته، فهتفت متسائلة باهتمام:

-اجيبك تاكل يا بني؟

هز رأسه نافياً وهو يجيها بصوت منك:

-لأ، أنا جعان نوم خالص!

ابتسمت له بعاطفة أمومية حانية وهي ترد عليه:  
طب يا مندر لما تصحى براحتك هاسخنلك الأكل!

أوما برأسه بخفة مردداً بتثاؤب:  
ماشى، وأنا ساعة كده وهاصحى وأنزل الوكالة، عندي شغل متل كثير!

ظلت جليلة محتفظة بإبتسامتها الطيبة وهي تتابع حديثها:  
ماشى يا حبيبي! ربنا معاك!

أغلق مندر الباب خلفه، وبقيت أنظار والدته معلقة على بابه..  
تهدت بأسف مشفقة على وحدته التي طالت، ثم تمت بصوت خفيض:  
ياما نفسي أشوفك فرحان ومتهني وعيالك بيجروا حواليك ومالين عليك  
البيت!

صمت للحظات متذكرة كيف كانت حياته السابقة، ثم أضاء عقلها فجأة  
 بشيء ما جعل بريق عينيها يلمع بوهج عجيب..  
 مطت فمها للأمام متابعة حديث نفسها:  
 -ممم.. طب وليه لأ؟

هزت حاجبيها للأعلى مرددة بحماس غريب:  
 -ربنا يسهل بعدين أبقى اتكلم معاه في الحكاية دي، وأشوف دماغه!

اتسعت ابتسامتها وباتت أكثر اشراقاً وهي تتنجه نحو غرفتها لتفكر ملياً في  
 تلك المسألة الحيوية.....

.....

عنفت عواطف ابنتها بسمة على فعلتها الحمقاء مع صاحب محل الجزارة وما  
 تبعها من توبيخ وتهديد صريح من دياب..  
 اغتاظت بسمة من أسلوبه الوقح المتعدي على حرمتها الشخصية والتدخل في  
 شئونها، وهتفت مستنكرة بسخط:

هو بيتنطط على ايه؟ مفكر نفسه فتوة الحارة؟!!!!

ردت عليها عواطف بتبرم من تصرفاتها:

يا بنتي بلاش تعادي الناس، ارحمي نفسك!

هزت رأسه محتجة، ودافعت عما تقوم به قائلة بإستماتة:

-لالالا.. كده كثير، هو كل واحد هايعمل راجل عليا، هي سايبية!

ضربت أمها كفاً بالأخر مرددة بضجر:

-لا حول ولا قوة إلا بالله، شوف أنا بتكلم في ايه واتي بتقولي ايه؟

صاحت بسمة بنفاذ صبر وقد تشنج وجهها للغاية:

ماهو بصراحة الموضوع بقي أوفر، وأنا اتخنقت!!!

ثم زفرت بصوت مسموع لتظهر استيائها مما يحدث من تدخلات الغير في  
أمورها الخاصة..

لم توفق عواطف في انتقاء الوقت المناسب لمفاتيح ابنتها في مسألة الدرس  
الخصوصي المتعلق بجفيد عائلة حرب وابنتها الصغرى.. فهتفت بنزق وبلا  
تفكير:

طب هاتعملي ايه في موضوع درس ابنه وأخته؟

انعدد حاجي بسمة ياندهاش عجيب، وسألته بصوت متعصب وهي تسلط  
أظارها المحتدة على والدتها:  
نعم؟ ده ايه ده كمان؟

أجابته عواطف بحسن نية:  
ما هو الحاجة جليلة جت عندنا تكلمني انك تدي درس لحفيدها يحيى وبنيتها  
أروى!

ردت عليها بسمة بنبرة متشنجة فاقدة للصبر:  
وهو اتتي شيفاني يا ماما فاضية أصلاً، ما هو على يدك أنا بأطلع من هنا  
لهنا والحكاية مش جاوية همها على الآخر

رمقتها عواطف بنظرات ذات مغزى وهي تحاول اقناعها بقبول عرض الدرس  
السخي:

ماهو عشان كده بأقولك إديهم، وأهوو درس أبرك من عشرة!

سئمت بسمه من طريقة أمها الساذجة في تقرير شأنها دون الرجوع إليها،  
وإعطاء الآخرين وعوداً على حساب شخصها.. لذلك اعترضت بشراسة على  
القبول مرددة:

بس مش الجماعة دول!

استغربت عواطف من رفض ابنتها القاطع، وضيقت عينها قائلة يالحاح:  
يا بت هو مش يا مكتره، لأ يا محسنه، جري حصة ولا اتنين عندهم وبعد  
كده قرري

تجهم وجهه بسمه أكثر، وأصرت على اعتراضها قائلة وهي تكثف ساعديها أمام  
صدرها:

حطب وأروح ليه من الأول، أنا مش عاوزة!

بدت بسمة متشبثة برأيها حتى الرmq الأخير، نعم هي تماثل جدتها الراحلة  
عزيزة في عنادها الصلب..

يئست أمها من اقناعها بسهولة.. لذا لجأت إلى ذلك الأسلوب الذي تجيده  
وهو استعطافها لعل قلبها يرق نحوها..

دنت منها، ووضعت قبضتها على ذراعها قائلة بصوت شبه منكسر:  
-الله يكرمك يا بسمة بلاش تخرجيني مع الجماعة أكثر من كده!

استشاطت بسمة من طريقتها في الحديث، وصاحت بانفعال وهي تنظر لها  
بغضب:

هما ماسكين عليكى ذلة؟

استشعرت الغضب في نبرة ابنتها، فعمدت إلى تجميد تعابير وجهها مرددة  
بجدية قليلة:

-لا، بس بينا مصالح وقرابة وحاجات كثير، وأنا مش عاوزة أعادي حد!

نفخت بسمة متمدرة، ثم أشاحت بوجهها للجانب وهي تقول:

-ربنا يسهل!



سألها عواطف بصراحة وهي مسلطة أنظارها عليها:  
-يعني أرد على الست جليلة أقولها ايه؟

ردت عليها بضيق:  
قولتلك ربنا يسهل!

أصرت عواطف على الحصول على إجابة نهائية منها حتى لا تتعرض للإحراج  
معها لاحقًا، لذلك سألتها مجددًا بإلحاح شديد:  
ما تريخني وتديني كلام واضح! هاتروحي ولا لا؟

أرخت بسمة ساعديها مستسلمة لذلك الاستجداء المتواصل، وخطت ببطء  
عدة خطوات مبتعدة عن أمها وهي ترد بفتور:  
هاشوف وقتي وبعد كده أقولك على ميعاد فاضية فيه!

ثم شددت من نبرتها وهي تضيف:  
بس لو معجبنيش الوضع مش هاكمل، ماشي؟

ابتسمت عواطف لموافقة ابنتها مرددة بحماس:  
حبيب يا بسمة!

تحركت بعدها ابنتها نحو غرفتها، فلاحقتها والدتها بعينها متممة بصوت خفيض:  
-ربنا يهديكي يا بنتي ويصلح حالك!

وقعت أنظارها على الهاتف الأرضي، فتذكرت أنها لم تهاتف زوجة أخيها  
الراحل لتحدث معها بشأن بيع حصتها بالدكان كي تنتهي من تلك المسألة  
العالقة، لذلك حدثت نفسها بجدية وهي تتجه نحوه:  
-أما أكلم بالمرّة حنان، بدل ما أتلبخ في مصيبة ثانية وأنسى موضوعها، كفاية  
القلق اللي عملهولي بسمة

أمسكت بالساعة ووضعتها على أذنها، ثم بدأت في طلب الرقم الخاص بعائلة  
أخيها..

سمعت صوت رنين الهاتف على الطرف الآخر، لكن للأسف لم يأتيها أي رد،  
فانتابها القلق وهي تتساءل مع نفسها بحيرة:

-راحوا فين دول؟!!

وضعت السماعة في مكانها بعد تكرارها للاتصال لعدة مرات قائلة يا استغراب:  
محدث بيرد! يكونش الخط بايظ!

زمت شفتها وهي تضيف:  
خلاص هأطلبهم وقت ثاني، وأنا ورايا ايه غير كده!

.....

بعد مرور يومين،،،

توجهت أسيف بصحبة والدتها إلى أحد المراكز الطبية الحديثة المتخصصة في  
حالتها لتوقيع الكشف الطبي المبدئي عليها بعد أن حجزت لها موعداً مسبقاً  
فيه.

انتظرت بالخارج ريثما ينتهي الطبيب من فحصه لها..

كانت أعصابها على أشدها، فمن بالداخل هي أغلى ما في حياتها.

مر الوقت بطيئاً عليها وهي تراقب الوافدين والخارجين بنظرات شاردة..

لمحت إحدى الممرضات تتحرك على مقربة منها، فهبت واقفة من مكانها لتسألها  
بتلهف:

لو سمحتي! هو الدكتور قدامه كثير؟

أجابتها الممرضة بنبرة عملية:

لسه شوية، اقعدى ولما هايخلص هناديلك

هزت رأسها متفهمة وهي ترد بصوت حرج:

او كي، شكراً

عاودت الجلوس على مقعدها المعدني بإسترخاء، وتابعت المرضى وذويهم  
بنظرات فاترة، فتفكيرها بالكامل منصب على ما يحدث بالداخل لأهمها...

بعد وقت ولجت الممرضة مرة أخرى للخارج، وتلك المرة اتجهت نحوها.

انتفضت أسيف واقفة من مقعدها المعدني متسائلة بقلق:

ماما خلصت؟

أجابتها الممرضة بهدوء:

أيوه، الدكتور هيقابلك في مكتبه!

ثم أشارت لها بيدها لتتبعها قائلة بجدية:

تعالى ورايا من فضلك!

طيب

تحركت الاثنتان في اتجاه غرفة الطبيب القابعة في نهاية الرواق الجانبي..

دقت الممرضة بخفة على الباب قبل أن تفتحه وتتنحى للجانب لتفسح المجال  
لأسيف لتمر أمامها..

ابتلعت الأخيرة ريقها بتوتر، وحدثت في الطبيب بنظرات خجلة..

انتهت لصوته يقول بجدية:

تعالى يا آنسة!

رفعت انظارها نحو والدتها التي كانت تدفعها ممرضة أخرى من مقعدها لتقترب  
من مكتب الطبيب..

هتفت أسيف بتلهف وهي تركض ناحيتها:

عاملة ايه يا ماما؟

ثم انحنت عليها لتقبلها من أعلى رأسها.  
وضعت حنان يدها على وجه ابنتها، ومسحت عليه برفق مجيبة إياها بخفوت:  
بخير يا بنتي!

أشار الطبيب بيده لأسيف لتجلس قبالة قائلاً بصرامة قليلة:  
-تفضلي يا آنسة!

أومأت برأسها إيجاباً، وجلست على المقعد المواجه لمكتبه، ثم وزعت أنظارها  
بينه وبين أمها وهي تتساءل باهتمام:  
خير؟ ماما حالتها كويسة؟ و... وهل ينفع يتعملها عملية ترجع تمشي على  
رجلها تاني؟

صمت الطبيب للحظة قبل أن يجيبها بهدوء مريب وهو يسلط أنظاره على  
السيدة المسنة الجالسة قبالة:

بالنسبة لسنها ووضعها الحالي، فأنا شايف إن الحالة تعتبر إلى حد كبير  
مستقرة، لكن أكيد محتاجة علاج عشان تتحسن!

لم تفهم أسيف المراد من كلامه المنمق، فسألته مباشرة:  
-يعني ماما هاتقدر تمشي زي زمان؟

ضغط على شفثيه قائلاً بجزر:  
مخبيش عليكى ده صعب فى حالتها لكن....

قاططته حنان قائلة بنبرة محبطة:  
أنا عارفة من الأول إنه زي قِلتَه، وقولت ما فيش داعي للسفر والبهدة، كله  
محصل بعضه!

حلت الصدمة على قسامات وجه أسيف، لم تتخيل صعوبة الحالة بتلك  
الدرجة..

عجزت لوهلة عن التفكير فقد كانت معلقة لآمال كثيرة على علاجها ومن ثم  
تمائلها للشفاء، والآن بات كل هذا شبه مستحيل..

تدارك الطبيب الموقف متفهماً أسلوب مريضته المحبط، وهتف قائلاً بجديّة:

يا حاجة ما فيش حاجة مستحيلة، الفكرة بس إن الموضوع هيجتاج وقت  
وصبر، وما ينعش إننا ممكن نوصل مرحلة متقدمة وآ....

لم تدعه حنان يكمل جملته للنهاية حيث قاطعته مرة أخرى قائلة بحسب وقد  
تجهم وجهها للغاية:

مالوش لازمة يا بني، كتر خيرك!

ثم وضعت يديها على عجلتي مقعدها المتحرك لتدفعه مرددة بصوت آمر لكنه  
مخنتق:

يا لا يا أسيف!

أفاقت أسيف من ذهولها المصدوم على صوتها الأمر، واستدارت برأسها  
نحوها لتجدها تتحرك مبتعدة، فنهضت سريعاً من مكانها قائلة برجاء ومحاوله  
إخفاء تأثرها:

يا ماما استني!

لم تلتفت لها أمها، وأكمل تحركها مرددة بصرامة:



يا لالا يا بنتي!

أدارت أسيف رأسها في اتجاه الطيب قائلة بجرح بائن:  
أنا اسفة يا دكتور، عن اذنك!

لحقت هي بوالدتها في الخارج، وقبل أن تفتح شفيتها لتتلق بجملة ما،  
صاحت حنان بغلظة محذرة إياها:  
أسيف ولا كلمة دلوقتي!

احتجت أسيف على عنادها مرددة:  
بس....

هتفت حنان مقاطعة إياها بحزم:  
خلاص، مش عاوزة أحكي في حاجة دلوقتي، خلىنا نرجع اللوكاندة!

نكست أسيف رأسها بحزن، وبدا الإحباط الممزوج باليأس واضحاً عليها..  
تهدت بعمق قائلة لنفسها بأسف:

ليه بس كده يا ماما، ليه تفقدي الأمل واحنا لسه في أول مشوارنا؟!!

سارت بتريث خلف والدتها وظلت أنظارها اللامعة التي تعكس حالتها المستاءة متجمدة على مقعدها المتحرك.. وقاومت بجهد كبير ذرف عبراتها وهي بصحبتها، فلا داعي لأن تبدو بكل تلك الهشاشة وهي تحاول بث القوة إليها..

.....

تمكنت زوجة صاحب محل الجزارة من إخراج زوجها من محبسه بكفالة مالية، وأوصاه المحامي الخاص به بضرورة التصالح مع المدعية عليه وإجبارها على التنازل قبل أن يتطور الوضع ويتفاقم..

رفض الجزار الإنصات له، وصاح بجدة متوعداً إياها:

يا مين يلايني على رقبتها، ده أنا أدبجها بساطور تلم!

ردت عليه زوجته بضيق محاولة إثناءه عن تهوره:

-وده وقته! جاي تكلم قصاد القسم

رد عليها بحنق كبير:

ده أنا شوفت بهدلة جوا!

أردف المحامي الخاص به قائلاً بهدوء:

انت محتاج تراضي البت دي عشان القضية ماتكبرش

احتج الجزار مردداً بغلظة عنيدة:

مش هايحصل، يا أنا يا هي

انزعجت زوجته من عناده المهلك قائلة بصوت مرتفع:

أوف، ما تفضنا من سيرة البت دي، أنا مصدقت أعرف أخرجك من

الخروب ده، هاتحطها في دماغك وتسجن واحنا نتبهدل من بعدك!

رد عليها بنبرة عدائية وقد أظلمت نظراته:

هو أنا هارتاح إلا لما أرميها الرامية السوداء اللي كنت فيها!

أصرت هي على موقفها قائلة:

سيبك منها، وركز في مصالحك!

تمم الجزار بغيظ من بين أسنانه وهو يحك مؤخرة رأسه:  
دي قدرة وفاجرة!

ربتت زوجته على ظهره عدة مرات هاتفة بصوت جاد:  
طب بينا على البيت تروح تستحمي وتغسل جتتك من البراغيت

حك عنقه، ومقدمة صدره بكفه الخشن قائلاً يإنهاك:  
اه والله، ده غير ضهري اللي اتقطم من نومة البورش!

ثم استدار بجسده ناحية المحامي ليضيف بجمود:  
لا مؤاخذة يا أستاذنا، انت شايف حالي عاملة ازاي، تتكلم في المحل آخر  
النهار

رد عليه المحامي بإيجاز وهو يهز رأسه:  
تمام!

.....

لاحقًا،

عادت كلاً من حنان وأسيف إلى الفندق المتواضع، وجلست الاثنتان سوياً  
بالغرفة رافضتان تناول الطعام..

حدقت أسيف في صحنها المليء بالطعام بنظرات حزينة شاردة، فشاعلها  
الأكبر هو حالها أمها الصحية.. وبعنادها هذا هي تمنع أي فرصة للسعي وراء  
العلاج وطلب الشفاء..

رأت حنان العبوس واضحاً على ابنتها، فاستطردت حديثها قائلة بجديّة:  
شوفي يا أسيف، أنا سمعت كلامك وجيت هنا وأنا متأكدة إن ما فيش  
علاج لحالتي، كل ده قضا!

انتبهت ابنتها لها، وردت عليها بصوت مختنق نوعاً ما:  
الطب اتقدم يا ماما، وحاجات كتير اتغيرت عن زمان، فليه تستسلمي على  
طول؟

أجابتها أمها بهدوء زرين:

-أبوكي الله يرحمه عمل اللي عليه وقتها معايا، وسافر بين هنا وهناك وفي كل  
حتة، والنتيجة كانت واحدة..!

ثم صمت لثوانٍ قبل أن تتابع بنبرة أكثر هدوءاً:  
-وأنا الحمد لله راضية بنصيبي واتعودت على كده!

اقتربت أسيف من أمها، وجثت على ركبتيها أمامها لتكون في مستوى نظراتها  
المنخفضة، ثم همست لها ببراءة:

عشان خاطري يا ماما خرينا نحاول تاني، في أكثر من مركز كويس، احنا  
لسه في البداية!

ثم مدت يديها لتمسك بكفيها، وضغطت عليها بأصابعها وهي تتابع يالحاح:  
-أنا قريرت أنه مش لازم ناخذ برأي أول دكتور و....

قاطعتها حنان قائلة بعدم أكثرات لحديتها:

-المهم دلوقتي، هانروح لعمتك امتي؟

اتسعت حدقتي أسيف في صدمة، وارتفع حاجبها للأعلى، فقد كانت عبارتها  
الأخيرة مباغته بدرجة كبيرة..

تملكها الإرتباك وتوترت نظراتها وهي محدقة بها.  
بدت متلعثمة وهي ترد:  
هو...

أكلت حنان قائلة بنبرة متريشة تحمل الجدية:  
مش ده السبب الأساسي اننا سيننا بيتنا وجينا هنا؟

رمشت أسيف بعينها في توتر أكبر.. فأعما دوماً تمتاز بالصراحة والوضوح في  
حديثها.. وبالتالي تعجز هي عن مجابتهها أو إخفاء أي شيء عنها..  
اضطربت دقات قلبها، وارتفعت نسبة الأدرينالين في دماؤها.. وباتت أكثر  
حاسة عن ذي قبل..

راقبت حنان تبدل حالها بكثب، ثم أضافت قائلة بجدية وهي تسحب كفيها  
من يدي ابنتها:

اعملي حسابك بكرة هانروح عندها

أومأت الأخيرة برأسها بحركة خفيفة قائلة بصوت خفيض:

ماشى يا ماما!

ثم استدارت بمقعدها المتحرك مبتعدة عنها وهي تغمغم بصوت منزعج لكنه خافت للغاية:

عدي اللي جاي على خير يا رب!

عضت أسيف على شفتها السفلى بارتباك، ونهضت لتقف على قدميها.. ثم تهتت بعمق محاولة ضبط انفعالها المتحمسة لذلك اللقاء المثير.....!!!!

.....

الجزء الثاني عشر

الفصل الثاني عشر (الجزء الأول):



أرادت ألا تضيع الفرصة وتفتح ابنها مجددًا في موضوع الارتباط والزواج، هي وضعت عينها على إحداهن، وترى فيها الزوجة المناسبة له، والأهم من هذا كله أنها تستطيع الانجاب لتضمن حصولها على أحفاد أصحاء في أقرب وقت..

-ممكن أدخل يا منذر؟

قالتها جليلة وهي تقف على عتبة باب غرفة ابنها البكري ومستندة بيدها على الحائط..

التفت منذر ناحيتها وهو يمشط شعره قائلاً بتعجب من طلبها للإذن:

-اه طبعًا يا أمي، هو انتي محتاجة تستأذني؟

ابتسمت له ابتسامة عريضة، ودخلت إلى غرفته لتتأمله بفخر، كان قد انتهى هو تقريبًا من إرتداء ثيابه.. ولم يبقَ لديه إلا وضع حذائه في قدميه..

جلست على طرف الفراش، وأمسكت بملابسه المنزلية تطويها، ثم رددت قائلة بجذر:

-كنت عاوزاك في موضوع كده!

رد عليها بهدوء وهو يربط حذائه:

خير يا أمي!

تهدت مطولاً وهي تقول بعتاب خفي:

مش ناوي تفرخني بيك وتتجوز تاني!

اعتدل في وقفته، وضحك عاليًا وهو يردد ياندهاش:

-انتي عندك عروسة ليا؟

انتابها الفضول لمعرفة ما يفكر به خاصة بعد أن رأت ردة فعله العادية، فهتفت بحماس:

-بص هو يعني في كام حد، بس انت مش في دماغك واحدة معينة، صح؟

رد عليها بجمود وهو يضع مفاتيحه في جيبه:

-والله يا أمي آخر همي الموضوع ده!

نهضت من على الفراش لتقف قبالة، ثم ربتت على كتفه مرعدة بحنو:

-العمر بيجري يا حبيبي!

ثم أخفضت نبرتها قليلاً لتظهر حزنها وهي تضيف:

-وأنا نفسي أفرح بعوضك وبعيالك!

زفر بضجر من تلميحتها، وهتف قائلاً بجديّة:

-ومين هترضى بواحد زي؟

شهقت مذعورة من جملته الأخيرة لاطمة على صدرها، وتبدلت تعابيرها  
للإنزعاج الكبير، ثم هتفت مستنكرة:  
-الله أكبر، هو انت فيك حاجة تتعيب، ده انت سيد الرجالة كلهم ومتعلم  
ومعاك شهادة تجارة!

التوى فمه بابتسامة ساخرة وهو يرد عليها:  
-ياه يا أمي، بقالي زمن ماسمعتش الكلام ده!  
هتفت جليلة مرددة بحماس وقد لمعت عيناها:  
-وافق انت بس وأنا أدورك على واحدة تتجوزها  
رد عليها بفتور:

-ريك يسهلها!  
ثم دنا برأسه عليها ليسألها بمكر:  
-بس قوليلي اتني بتفكري في مين؟ شكك عندك واحدة ليا، ها مضبوط؟

ضحكت بسعادة، ثم وضعت إصبعها على طرف ذقنها لتقول بسجية:  
هو أنا باينة أوي كده  
غمز لها منذر قائلاً بتسلية:  
ده أنا عارفك يا أمي

أخذت نفساً عميقاً، وأخرجته دفعة واحدة من رئتيها، ثم هتفت فجأة دون أي مقدمات:

عارف نيرمين؟

بدا الاسم مألوفاً نوعاً ما لديه، لكنه لم يستطع أن يخمن هوية صاحبه بوضوح، فتساءل مهتماً:

مين دي؟

ردت بثقة:

-بنت عواطف، البت الكبيرة!

تذكرها منذر، وأردف قائلاً بإستغراب وقد انعقد ما بين حاجبيه بشدة:

-بس أفكر إنها متجوزة!

صححت له معلومته قائلة بتلهف:

-لا، هي اطلقت من جوزها من كام يوم

ضاقت نظراته إلى حد كبير، وتجمدت تعابير وجهه، ثم هتف مستنكراً تفكير والدته في تلك الزيجة:

-وأنا أعمل بيها ايه؟ أروح أصالحهم مثلاً؟!

ردت عليه بحماس وهي تشير بعينيها:

-لا خلاص معدتش ينفع ترجعه، هو طلقها للمرة الثالثة!

فهم منذر سبب إشارة والدته لها تحديداً، ورد بتهم وهو يلوح بذراعه:

-ها قولتيلي، واتي عاوزاني أكون لا مؤاخذة إريال، و....

قاطعته قائلة فوراً قبل أن يسيء فهمها:

-لالالا، مش كده خالص!

سألها باقتضاب وقد بدا متأففاً:

-أومال؟

أجابته بحذر:

-البت كويسة وحلوة ولهلوبة وفوق ده كله مخلفة، بطنها شغالة يعني.. فاهم

قصدي!

أرجع رأسه للخلف، ورد عليها بصوت آجش:

-بقي الموضوع كده! مخلفة عيال!

بالطبع لما لا تلجأ والدته إليها لتتأكد من وجود من تصلح للإنجاب خاصة أنها

تعرف معاناته السابقة مع زوجته الراحلة..

هزت جليلة رأسها بإيماءة قوية وهي تضيف:

-بصراحة أه، وكفاية إننا عارفينها ومضمونة ومترية وسطنا! يعني لا في يوم

هاقل أدبها ولا....

قاطعها منذر متسائلاً بجمود:

-وتفتكري هي هترضى تتجوز تاني؟

أجابته مستنكرة تفكيره في احتمالية رفضها له:

-وهي تستجري ترفض، هي هتلاقي أحسن منك فين؟

أيقن منذر أن والدته قد وضعت تلك المطلقة ضمن مخططاتها للزواج، وهو ليس به الرغبة للحديث في هذا الشأن حاليًا، فعلى عاتقه الكثير من الالتزامات والمسئوليات، لذا رد عليه بحزم:

-بصي يا أمي، مش وقته الكلام في الموضوع ده، إتي بتقولي مطلقة من كام يوم، يعني لسه في موال عدة ومشاكل وبلاوي مع طلقها، وأنا مش عاوز وجع دماغ!

بررت له سبب تمسكها بها قائلة:

-ماهي مش هاتفضل على طول في القرف ده، وافق انت بس وأنا هاتصرف بعدها!

رد عليها بنبرة حاسمة وهو يتحرك صوب باب الغرفة:

-أما يجي وقته!

ابتسمت قائلة بود:

طب يا حبيبي، على راحتك!

ثم خرجت خلفه وهي تتابعه بنظرات متربثة، لكنها كانت متحمسة لكون  
الفكرة قد لاقت استحساناً لديه، وما عليها فقط إلا التريث والانتظار ريثما  
تنتهي عدة نيرمين لتفتاحها في الزواج من ابنها...

.....

أغلقت شادية باب المنزل خلفها، واتجهت صوب الصلاة لتجلس على أقرب  
أريكة وعلى وجهها علامات جادة للغاية، علقت أنظارها بابنتها ولاء التي كانت  
تبحث عن هاتفها المحمول في حقيبة يدها، وما إن وجدته حتى هاتفت زوجها  
مازن فبعد أن عادت من زيارة عيادة الطبيب النسائي كان حتماً عليها  
الاتصال به لتبلغه برأيه النهائي في مسألة التخلص من الجنين الذي ينمو في  
أحشائها..

سألها مازن مهتماً بعد أن رد على اتصالها:

ها عملي ايه؟

أجابته بصوت قاتم:

-الدكتور قالي صعب أعمل اجهاض

رد مستنكراً صعوبة تنفيذ تلك العملية:

ليه يعني؟ ما فيش كام برشامة تاخديها وينزل مع نفسه؟

اغتاظت من استهوانه بالأمر، وصاحت بصوت محتد:

هي بالبساطة دي عندك ؟  
 لاحظ ارتفاع وتشنج نبرتها الصوتية، فرد عليها بهدوء محاولاً السيطرة على نوبة  
 عصبيتها قبل أن تنفجر فيه:

-أنا مفكر يعني الموضوع سهل!

هتفت قائلة بجدة:

-لأ مش سهل خالص!

ثم صمتت لتلتقط أنفاسها قبل أن تتابع بصوت متردد:

-وأنا..... أنا مش عاوزة أجهض!

توقع مازن أن تتفوه بهذا، فحديثها السابق ما هو إلا مقدمات لنية مبيتة على  
 التمسك بالجنين..

لذلك رد عليها بفتور:

-براحتك، شوفي اللي عاوزاه واعمليه!

ثم زاد من قوة نبرته ليضيف محذراً:

-بس افتكري كلامي لما....

قاطعته قبل أن يتم عبارته قائلة بصوت متشنج:

-مازن، أنا لو عملت اجهاض ممكن مخالفش تاني

تعجب من كلامها، وسألها مستغرباً:



نعم، ليه إن شاء الله؟

أجابته بصوت محتد:

-الدكتور قالي إنه فيه خطورة عليا، وأنا مش مستعدة أخسر حياتي عشان حاجة زي دي!

صمت مازن ولم يضيف المزيد، فهي بحدثها هذا تظن أنها وضعتة في خانة اليك لتضغط عليه، لكنه على العكس تماماً لم يكن مكترثاً بما تفعله، ففي النهاية هو في تحدٍ مع غريمه دياب، ولن يعبأ إلا بما يكدره ويعكر صفو حياته حتى لو كان للأمر علاقة بولاء..

لاحظت هي صمته الذي طال، فسألته بضيق:

سكت ليه؟

رد عليها بصوت جاف:

-اللي اتني عاوزاه اعمله يا ولاء!

سألته بتوجس وهي تستشعر الخطر:

طب ودياب؟

رد عليها بتساؤل موجز يحمل الضيق:

ماله؟

هتفت متسائلة بتوتر:

هانتصرف معاه ازاي؟

صمت للحظات تاركا إياها تظن أنه يفكر في حل للمشكلة، ولكنه صدمها بعد ذلك بالرد بجمود بارد:

-بصي يا ولاء، أنا عندي شغل دلوقتي، هاكلمك بعدين نتفاهم!

اغتاظت من رده الغير شافي، وتمتم بصوت محتقن:

ماشبي، براحتك!

ثم أنهت المكالمة معه، وألقت بهاتفها على أقرب أريكة..

نفخت بجنق وهي تدور بحيرة في أرجاء الغرفة مرددة من بين شفيتها بشراسة:

مش هتعرف تهرب مني يا مازن! احنا سوا في الليلة دي لحد الآخر!

هزت شادية ساقها الموضوعه على الأخرى بحركة ثابتة وهي تتابع المكالمه الدائره

بين ابنتها وزوجها فقد أصرت على أن تجربها أمامها لتعرف بنفسها ردة فعل

زوجها..

وصدق حدسها..

رمقت هي ابنتها بنظرات مزدريه قبل أن تقطع صمتها الإجابري قائلة بتويخ:

جالك كلامي؟ مش قولتلك من الأول إنه ندل!

زفرت ولاء يا حباط، ودست أصابعها في فروة شعرها المتناثر لتنفضه بعصبية  
وهي تتساءل:

-اتصرف ازاى دلوقتي؟

توقفت شادية عن تحريك ساقها، ثم أخفضتها لتتمكن من النهوض..  
أصبح وجهها خالياً من التعابير، لكن نظراتها كانت مليئة بالوعيد..  
ردت على ابنتها بثقة جادة:

مش اتى اللي هاتعملي حاجة، ده دوري!

سألته ولاء بتوجس وهي تضم ذراعيها معاً أمام صدرها:

خاوية على ايه يا ماما؟

أجابته شادية بغموض:

على الصبح يا ولاء!

.....

لفت حنان الشال الحريري المغزول يدويًا حول عنقها ليعطيها بعض الدفء  
رغم اعتدال حرارة الجو، لكنها كانت تشعر ببرودة خفيفة تضرب في جسدها  
المرهق، ربما نتيجة السفر وتغير الجو فأصيبت بأعراض البرد، لم ترغب في

إثارة قلق ابنتها، فعمدت إلى الوسائل القديمة والدائية في التدفئة من أجل التعرق وإخراج الحرارة الزائدة من الجسد..

أكملت بعد ذلك وضع حجابها على رأسها، وأمسكت بحقيبتها لتتفقد ما بها من أموال، ثم أسندتها على حجرها، وقعت عيناها على حافظة نقودها الجلدية، فمدت يدها لتسحبها للخارج لتنظر بها.

كانت تضع في داخلها عدة صور مختلفة، أخرجتهم بحذر لتأملهم بنظرات مشتاقة، جمعتها الصورة الأولى مع زوجها الراحل وابنتها أسيف وهي في عمر مبكر..

ابتسمت بعفوية وهي ترى صغيرتها متشبثة بها بيد وجاذبة لياقة أيها بقبضتها الأخرى، ضحكها كانت بريئة صافية تسلب الألباب وتأسر القلوب، تهتدت بعمق، وأزاحت الصورة لتشاهد التالية الموجودة خلفها، كانت لأسيف وهي في المرحلة الثانوية بعد أن تحجبت.

لازل وجهها يحتفظ بملامحها الصغيرة رغم بلوغها..

ابتسمت لها، وأملت تطلعها في الصورة الثالثة والتي التقطتها في استديو التصوير أثناء تقديم أوراقها للإلتحاق بكلية الزراعة..

تذكرت رغبتها آنذاك في الانضمام لتلك الكلية خصيصاً لتعاون أيها في أعماله بأرضه على أسس علمية، وبالطبع فرح رياض بتفكيرها وحماسها، وساعدها في شرح بعض المواد التي كانت تتعذر عليها دراستها، وبعد تخرجها رفض أن تشاركه ذلك العبء، وأثر أن تظل إلى جوار والدتها..

أخرجت حنان تهيدة حارة من صدرها وهي تتذكر شكل أسيف حينما منعت عن ممارسة ما تعلمته على أرض الواقع، لكن والدها كان محققاً من وجهة نظره، هو لم يرغب في إرهابها وتحميلها مسؤوليات ستؤرق ليلاً وتكدر صفو نهارها.. بل ستقلب حياتها حجياً..

نعم هو أكثر الناس دراية بطبيعة شخصية ابنته الهشة و الرقيقة، والحياة تسحق بضراوة الغير قادر على مجابتهها، لذا رفض بعناد أن يلبي رغبتها في العمل، وبقيت في المنزل ترعى والدتها، لم يمر الكثير على ذلك الأمر حتى مرض رياض، وساءت حالته، وتطور الوضع سريعاً ليلقى ربه في نهاية المطاف، ترققت العبرات في عينيها حزناً عليه، وقاومت بشدة رغبتها في البكاء، مدت أناملها لتمسح دمعاتها قبل أن تراها صغيرتها، وتنفست بعمق لتضبط حالتها النفسية..

خرجت أسيف من المرحاض الملحق بالغرفة لتسأل والدتها باهتمام:

جاهزة يا ماما؟ أنا خلصت لبس!

عمدت حنان إلى رسم ابتسامة صغيرة على ثغرها، ثم رفعت أنظارها اللامعة في اتجاه ابنتها..

تأملتها بنظرات ممعنة لتتأكد من ملائمة ثيابها وحشمتها..

لم تكن أسيف بحاجة إلى هذا، فهي دائماً تجذب إرتداء الثياب الفضفاضة التي لا تبرز معالمها الأنثوية، كان ثوبها بسيطاً مزركشاً بألوان مبهجة تسر الناظرين، وحجابها من اللون الأزرق الباهت يتماشى مع إحدى درجات ثوبها..

ابتسمت لها قائلة بنبرة لطيفة:

اه يا بنتي، يالا بينا!

هتفت أسيف بمرح وقد بدت نظراتها متفائلة:

أنا نفسي أشوف شكل عمي دي أوي، يا ترى شبه بابا ولا لأ؟

تلاشت ابتسامة حنان، وحل الوجوم على وجهها.. نعم فهي تتذكر عواطف الصغيرة الواقعة إلى جوار أمها عزيزة ذات الوجه الصارم والنظرات الشرسة، تلك السيدة الجبارة المتسلطة التي لا تعرف للرحمة أي معنى في حياتها..

تمت بخفوت حزين وهي تنفض عن عقلها صورتها المخيفة:

يا ريت تكون زيه مش زي أمها!

لم تسمع أسيف جيداً ما رددته والدتها، فسألته باهتمام:

-بتقولي ايه يا ماما؟

حاولت حنان أن تتصنع الابتسام وهي تجيبها:

ما فيش حاجة! يالا يا بنتي

حركت أسيف رأسها بإيماءة موافقة، ثم اتجهت نحو والدتها لتقف خلفها، وتملكها الحماس وهي تدفعها من مقعدها قائلة بابتسامة سعيدة:

إن شاء الله هاتكون زيارة حلوة!

لم تعقب عليها حنان.. فما مرت به مع عائلة زوجها لا يجعلها تستبشر خيراً  
مطلقاً...

.....

استقبل الحاج مهدي السيدة شادية بداخل مكتبه الملحق بالمطعم..  
وطلب لها مشروباً بارداً لتتناوله، لكنها رفضت أخذ أي شيء قبل أن تتطرق  
إلى موضوعها الخطير..

سألها هو باهتمام وقد ظهر القلق على محياها:

-خير يا شادية، زيارتك دي وراها ايه؟

أجابته بغموض وهي تنظر له بتأفف:

-ابنك مازن!

تقوس فم مهدي للجانب مردداً على مضض:

-ماله المحروس!

أجابته بصوت قاتم ونظراتها إليه لم تتغير:

-ابنك متجوز بنتي، وعرفي!

اتسعت حدقتي الحاج مهدي بصدمة جليلة، وفغر فمه مشدوهاً منها، ثم صاح  
مستنكراً:

-ايبيه؟!!!!

ردت عليه بهدوء مريب:

-الي سمعته يا مهدي!

نهض واقفاً من مقعده، وانحنى للأمام ليستند بمرفقيه على مكتبه ليحدق بها  
بنظرات مشتعلة.

صاح متسائلاً بصوت غاضب وهو يضرب بكفيه على السطح الزجاجي:

-انتي جبتي الكلام ده منين وازاي؟

نظرت له شادية شزرًا، وبدت أكثر بروداً وهي تجيبه بصوت قوي:

-في ايه يا مهدي، ولاء بنتي ومش بتخبي عني حاجة!

زاد ذهوله من حديثها المشين، وكان الزواج السري أمر عادي، فهتف

مستنكراً برودها:

-يعني انتي عارفة إنها متجوزاه في السر؟

أجابته بثقة وهي تتعمد الحفاظ على ثبات انفعالاتها:



اه، من أول ما فكر في ده

ضرب مجدداً بعنف على السطح الزجاجي للمكتب هاتفاً بغضب:  
ووافقتي على المصيبة دي يا شادية؟ طب ليه؟

أجابته بهدوء مستفز:

-كانوا عاوزين بعض

بدا الأمر وكأنه قد تم الترتيب له بالكامل.. وبالطبع كان هو آخر العالمين به..  
تهدل كتفيه للأسفل، وارتخى جسده وهو يجلس مصدوماً على مقعده:  
-ازاي يعمل كده ومايقوليش؟

انتصبت شادية في جلستها، وأصبحت أكثر تحفزاً وهي تضيف:  
مش مشكلتي إن ابنك مخبي عليك موضوع زي ده، مشكلتي معاه انه عاوز  
يجهزها!

انفجرت شفتاه بصدمة أغرب مما يسمع.. وتمم مذهولاً:

-ايه؟ كمان!

تابعت هي قائلة بجدية مهددة إياه:

-ومن الآخر كده أنا مش هاسمح لبنتي تضر نفسها وابنك قاعد ولا على باله!

ضرب الحاج مهدي كفاً على الآخر مستنكراً أفعال ابنه الغير موزونة، وهتف بصوت متحشج:

يخربيتك يا مازن، إنت عملت ايه يا متخلف!

كان مهدي يعلم جيداً أن فعلة كهذه إن وصلت إلى مسامع دياب فسوف تتسبب في إندلاع المشاجرات العنيفة من جديد بين العائلتين.

كز على أسنانه بجدة حتى كاد يحطمهم من فرط غضبه..

وحاول التفكير بتعقل في حل لتلك الكارثة الفجائية التي ربما -كما يقال في الدارج - تحطم المعبد على من به مدمرة كل شيء في طريقها..

لم تعباً شادية بحالة مهدي المصدومة، واستأنفت حديثها قائلة بنبرة عدائية:

شوف لحد دلوقتي أنا هادية وبأتكلم بالعقل، فبلاش تختبر صبري يا مهدي،  
بنتي عملت كل اللي ابنك عاوزه، وخسرت ابن حرب الجلد والسقط، لكن  
هي تخسر ولا تتأذى شعرة منها مش هاسكت، وانت عارفي كويس!

ثم نهضت من مقعدها لترمقه بنظرات شرسة وهي تتابع بتهديد:  
-وأنا مش هاسيدها لوحدها!

هب هو الآخر واقفًا ليرد بجذر:  
طب اقعدي نتفاهم!

ردت عليه بصرامة:  
-اللي عندي قوله، ابنك يعلن جوازه من ولاء قصاد الناس وإلا أعمامها  
هيدخلوا فورًا!

هو يفهم جيدًا طبيعة عائلة شادية، والتي لا تحبذ اللجوء إليهم إلا في الشدائد  
لعنف طبائع الشرسة..  
ابتلع ريقه قائلاً بتوجس:

ماشى ماشى، اهدي بس و....

قاطعته قاتلة بحزم:

ده آخر ما عندي يا حاج مهدي، سلام!

ثم أولته ظهرها دون أن تضيف المزيد..

علقت أنظاره بسراها الذي تلاشى سريعاً، وحاول أن يعي الموقف ويفكر بصورة عقلانية متريثة فيه.. لكنه إلى الآن لم يكن ملماً بكافة التفاصيل.. لذا عليه استدعاء ابنه المشاغب ليعرف منه كيف ارتكب أمراً كهذا دون استشارته..

فلو علم مسبقاً بنيته في الزواج من طليقة دياب لكان منعه على الفور.. لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن..

أخرج هاتفه المحمول من جيب جلابه ليهاتف ابنه، وانتظر بفارغ الصبر رده عليه..

وما إن سمع صوته حتى صاح به بغلظة مهيناً إياه:

إنت يا زفت يا.....!!!

صدم مازن من سباب والده له، وسأله منزجاً:  
- في ايه يا حاج؟

رد عليه بجدة:

- اتنيل تعالى عندي تشوف الكارثة اللي عملتها!

بدا كلامه غامضاً للغاية، فسألها بعدم فهم:  
- كارثة ايه دي؟

أجابه أييه بصوت شرس:

- يعني مش عارف إنت محبب إيه؟ ولا بخ الدنيا وموقعني مع ولية شر؟!!!

سأله مازن مستفسراً:

قصدك ايه؟

صاح به مهدي بصوت هادر:

-انجز وتعالى دلوقتي!

رد عليه مازن بامتعاض:

-ماشي بس هاخلص مصلحة في ايدي و....

قاطعها الحاج مهدي بصرامة:

-انت تسيب أي هباب وتجيلي على طول، سامع!

زفر مازن مرددًا باستسلام:

طيب!

أغلق مهدي الخط في وجهه، وغمغم بصوت محتقن متأفف وهو يجلس على

مقعده:

-يعني ضاقت بيك الدنيا وملاقتش إلا البت دي وتتجوزها! خلاص الحريم

خلصوا!!!

نفخ بصوت مرتفع مرددًا بضجر:

-استغفر الله العظيم! استرها يا رب على عبيدك.....!!!!

.....

## الفصل الثاني عشر (الجزء الثاني):

وافقت بسمة على مضمض بقبول ذلك العرض السخي وإعطاء حفيد وابنة  
عائلة حرب درساً خصوصياً..

كان هذا من الناحية الظاهرية، لكنها في قرارة نفسها أرادت أن توصل رسالة  
شديدة اللهجة لدياب لكي لا يتدخل مجدداً في أمور حياتها.. هي ليست  
ضعيفة لتستعين بالغير للدفاع عنها أو حمايتها واستعادة حقها المسلوب، فهي  
كفيلة بفعل هذا بمفردها وبكفاءة..

استعدت للذهاب إلى منزلهم القريب من بناية عائلتها، وعمدت إلى إرتداء  
أبهى ما تمتلكه لتبدو أنيقة غير عابئة بالمال أو غيره..

رأتها والدتها قبل أن تخرج فهتفت بسعادة:  
 -ربنا يكرمك يا بسمة ويصلح حالك ويجب فيكي خلقه!  
 التفتت برأسها نصف التفاتة لترد بجمود:  
 متشكرين على الدعوة!  
 أضافت عواطف مشجعة إياها على بذل الجهد:  
 -ارفعي رأسنا يا حبيبتي، شرفينا عند الجماعة!  
 ضاقت نظرات بسمة، وصارتا أكثر حدة، ثم هتفت مستنكرة توصيتها تلك:  
 هي أول مرة أدي درس، جرى ايه؟!  
 رفعت والدتها كفها أمام وجهها قائلة بجزر:  
 -خلاص، مش هانشد على بعض، اتوكلي على الله وشوفي حالك  
 تمتت بسمة بخفوت وهي تلج للخارج:  
 -يكون أحسن بردك!

تهتدت عواطف بعدها بعنق، واتجهت للمطبخ لتحضر أدوات التنظيف  
 لترتيب المنزل وتنظفه..

.....



في نفس الوقت بالداخل،  
 وضعت يرمين يدها على جبهة رضيعتها ( رنا ) فوجدتها ملتبهة للغاية.  
 جذع قلبها خوفاً عليها، وتحسست باقي جسدها الصغير لتتأكد من ظنونها..  
 كانت الحرارة تبعثت منها بطريقة مقلقة للغاية، فأسرعت بلفها بالغطاء الخاص  
 بها، وحملتها بين ذراعيها، ثم هتفت بنبرة خائفة:  
 ماما، الحقيني!

ركضت إلى خارج الغرفة ضامة إياها إلى صدرها ومحنية عليها برأسها تقبلها  
 بتلهف..

أقبلت عليها عواطف متسائلة بتوجس:

في ايه يا نيرمين؟

أجابتها نيرمين بفرع:

البت سخنة أوي، وأنا مش عارفة أعمل ايه

هتفت عواطف بتلهف وهي تدنو منها:

وريني كده

ثم وضعت يدها على جبينها لتتحسسها، واتسعت حدقتها مصدومة حينما  
 شعرت بتلك السخونية المنبعثة منها، فهتفت بهلع هي الأخرى:

يا نصيبي، دي مولعة على الآخر!  
 فزعت نيرمين أكثر، وتساءلت بخوف:  
 طب والعمل؟ أنا اديتها مخفض بس مش جايب نتيجة معاها  
 رددت والدتها بجدية وهي تشير بيدها:  
 احنا نطلع بيها دلوقتي على الوحدة!  
 وافقتها نيرمين الرأي قائلة:  
 أنا بأقول كده بردك، الدكاترة يشوفوها ويكشفوا عليها، ويعرفوا مالها!  
 حركت عواطف رأسها بإيماءة قوية وهي تضيف بصوت آمر:  
 ايوه، البسي عبايتك بسرعة وأنا هادخل أحط العباية والطرحة عليا  
 وأحصلك!  
 استدارت نيرمين بظهرها مرددة بتلهف:  
 ماشي

.....

لم تصدق ولاء أذنيها حينما أخبرتها أمها بما فعلته مع الحاج مهدي وما أجبرته على  
 فعله من أي مصلحة ابنتها..

ارتفع حاجبها للأعلى في حماس كبير، وهتفت مندهشة وقد تهلتت أساريرها:

بجد يا ماما؟ قولتي لأبوه مهدي؟!

أجابتها شادية بثقة وهي تبتسم لها بغطرسة:

طبعا، هو أنا رايحة أهنر معاه!

سألتهما ولاء بتلهف وقد تمكن الفضول منها:

-وهو قالك ايه؟

تهدت شادية ببطء، ونظرت إلى طلاء أظافرهما بتفاخر، ثم أجابتها بترث:

هايجيب ابنه وهاي عمل الصح!

زادت ابتسامتها إشراقاً، فقد أوشكت على تحقيق خطوة هامة في حياتها، لكن

سريعاً ما تلاشت تلك البسمة وحل بدلاً عنها القلق والوجوم وهي تردد

بتلعثم:

بس .. بس دياب....

تجمدت تعابير وجه شادية للغاية، وانعقد ما بين حاجبها بوضوح، ثم قاطعتها

قائلة بجدية متحدية:

دياب أخره معاكي يرفع قضية ضم لابنه لو عرف بجوازك، ومش هايعرف  
ياخده أصلاً، لأنني هاقف قصاده، وفي الآخر الحضانة هاتروح ليا، يعني  
القانون في صفنا يا ولاء!

نظرت ولاء لأمها ياندهاش، فلم تتوقع أن تحسب الأمور من منظور قانوني  
مختلف كان غائباً عنها..

عابت نفسها على تفكيرها محدود الأفق مرددة:

إزاي مافكرتش في الحكاية دي

رمقتها والدتها بنظرات مستخفة وهي تجيبها بإهانة:

عشانك عبيطة، باصة تحت رجلك وبس

زمت ابنتها شفتيها، وزفرت بضيق، فرغم كل شيء أمها محقة، هي دوماً تنظر  
للأمور من الناحية المادية فقد، ولا تضع مخططات بعيدة المدى بما يخدمها في  
المستقبل..

أضاف شادية قائلة بمكر:

لازم تفكري كويس وتحسبها صح وتستفيدي من الكل!

أها..

ثم تابعت بنخب لئيم وقد برقت عيناها بوميض شيطاني:

طول ما يحيي معانا اتني هاتقدري تاخدي اللي عاوزاه من دياب، وفي نفس  
الوقت هاتضمني فلوس وأملاك مازن في جيبك وخصوصاً لما تجيبي عيل منه!  
كزت ولاء على أسنانها مرددة بغيظ:

ده أنا كنت غبية أوي، خوفي من دياب عاميني عن حاجات كثير!  
لوت شادية ثغرها بابتسامة عابثة وهي تضيف:

طبعا، اللي برا الحكاية غير اللي جواها!

احتضنت ولاء أمها بقوة، وشكرتها ممتنة لذكائها ودهائها:

-ربنا يخليكي ليا يا ماما، دايمًا في ضهري ومسداني!

ربت شادية على ظهرتها ابنتها برفق مرددة بجدية:

-المهم اتني تركزي الأيام الجاية وتثبتي!

ثم أبعدها عنها لتحقق مباشرة في عينيها، وأضافت محذرة:

-اوعي تباني ضعيفة أو مهزوزة قصادهم! فاهمة!

هزت رأسها بالإيجاب وهي تقول:

-حاضر، هاعمل كل اللي تقوليلي عليه بالحرف!

الذكريات .. من قال محمد سالم

.....

استقبلت الحاجة جليلة بسمة التي حضرت إليها بترحاب كبير..

مسحت على ظهرها بنعومة مرودة بنبرة سعيدة ومهللة:

يا مرحب بالأبلة، نورتي بيتنا يا حبيبتي

ابتسمت لها بسمة بتصنع، وولجت إلى الداخل وهي تجوب المكان من حولها  
بنظرات سريعة وعامة..

مجيئها إلى هذا المنزل كان تحت ضغط كبير، لكنها مضطرة لهذا لغرض في  
نفسها..

ربت جليلة على ظهرها وهي تتابع بحماس:

تعالى يا بنتى أوضة المذاكرة من هناك، هما غاوين يذاكروا في السفارة على  
التريزة، واحنا بنسيدهالم

ردت عليها بسمة بجدية:

اوكي، بس أنا هادي كل واحد لوحده، المنهج مختلف عن بعض!

اتسعت ابتسامة جليلة، ورحبت بالأمر قائلة:

أه وماله، الصبح اعلميه، وأنا معاك في!

تساءلت بسمة باهتمام:

شكرا، بس السفارة مقفولة ولا لأ...؟!

أجابتها جليلة بنبرة عادية وهي تشير بذراعها:

هو محدش يقعد فيها إلا ساعة الغدا، ولو في ضيوف ممكن تقعد في أوضة  
من أوض العيال  
طيب

وفجأة صاحت جليلة عاليًا وهي محدقة أمامها:

بت يا أروى، تعالي الأبله بتاعتك جت، ونادي يحيى خليه يحيى يسلم عليها!  
ثم التفتت برأسها نحو بسمه التي كانت مصدومة من تصرفاتها، وتابعت قائلة  
بأريحية:

إن شاء الله هاتتبسطي معانا، ده زي بيتك!

مطت بسمه فمها لترد باقتضاب:

إن شاء الله

سألها جليلة وهي تبتمس لها ابتسامه عريضة:

ها تحبي تشربي ايه؟ ولا أقولك نجيب أكل الأول؟

هزت بسمه كلاً من يدها ورأسها نافية وهي تهتف معترضة بشدة على ما  
قالته:

-لالالا.. أنا جاية أشغل وبس، مش عاوزة حاجة!

استغربت جليلة من ردة فعلها المبالغة قائلة بعتاب خفيف:

عيب عليكي، ده احنا بيت كرم، ولا عاوزاني أزعل!

ردت عليها بسمة بإصرار:

-لا، شكراً، أنا واكله وشاربه كويس!

يئست جليلة من إقناعها بتناول الطعام قبل الشروع في درسها، وهتفت متسائلة بحذر:

طيب، أعملك شوية شاي حلوين؟ ها ايه رأيك؟

ردت عليها على مضض مستسلمة لعروضها الملحة:

-ماشى!

حافظت جليلة على ابتسامتها المرحة وتابعت مشجعة إياها على التحرك:

طيب يا حبيبتى، اتفضلي.. اتفضلي

لم تتمكن بسمة من رؤية دياب رغم محاولتها اختلاس النظرات، فظنت أنه ربما يكون غير متواجد بالمنزل.

نقضت مؤقتاً فكرة البحث عنه، واتجهت نحو غرفة الطعام لتبدأ مهمتها في الاستذكار مع أبناء عائلة حرب...

.....

وبخ الحاج مهدي ابنه مازن بشدة لخروجه عن المألوف والمتبع وزواجه بطليقة دياب سرّاً، وظل يكيل له بالكلمات اللاذعة والإهانات الموجهة..



اغتاظ مازن من تحامل والده عليه، وهتف محتجاً وقد أكفهرت قسماته:

جری ايه يا حاج مهدي، هو أنا أذنبت يعني؟ انا راجل وقادر أتجوز

صاح به مهدي بغضب:

-ايوه بس في النور مش من وراانا كلنا

رد عليه غير مكترث:

-الي حصل بقى!

استشاط مهدي غضباً من برود ابنه المستفز، وعدم اهتمامه بتبعات أفعاله

التي دوماً تزج به في المصائب.

هدر به بصوت محتقن:

-تصدق انت معندكش دم!

رد عليه مازن بنبرة جامدة:

-انت مكبر الموضوع ليه يا حاج، عادي يعني، واحدة زي أي واحدة!

انفجر فيه مهدي بصوت جهوري متشنج:

-لأ مش زبهم، ده كفاية أمها الفقر!

نفخ مازن مردداً بنفاذ صبر وهو يشيح بذراعه في الهواء:

-يووه!!!

أضاف والده قائلاً بصرامة:

لازم تتصرف وتصلح الموضوع ده على طول، ومن غير فضايح

ضيق مازن نظراته نحوه، ورد عليه بفتور:

مش فاهم يعني!

أوضح له مقصده بجدية:

ها تجوزها رسمي، وما فيش حد ها يخذ خبر بده!

تقوس فم مازن بسخرية قائلاً بعدم مبالاة:

قصدك المحروس دياب

رد عليه مهدي بصوت متصلب وقد اشتعلت نظراته:

أه هو، أنا مش عاوز عداوة معاه ولا مع عيلته، أنا مصدقت إننا خدنا هدنة

واتصلحنا

انزعج مازن من أسلوب والده المكبر للأمر، فأردف قائلاً ببرود متعمداً

الإساءة إليهم:

يا حاج انت عاملهم قيمة، وهما ما يجوش جزم في رجلنا!

لكزه أباه في كتفه بقسوة محذراً:

خليك إنت كده بتفكر بمخك التخين ده لحد ما تخرب، يا أهبل بص لقدام،

مصالحنا كلها معاهم!

رد عليه غير مكترث وقد حل الوجوم عليه:

-بناقص منها إن كانت من وشهم!

ثم تابع قائلاً بشراسة:

ده بدل ما ناخذ بتار مجد أخويا المحبوس ده!

رد عليه والده بضيق:

بكرة اخوك يخرج من حبسه، فمش لازم تحصله إنت كمان!

صمت مازن وظل محققاً أمامه في الفراغ بنظرات غامضة يفكر في شيء ما..

راقبه والده عن كثب، ثم دار حوله ليقف قبالته، وسأله بجدية:

ها، هاتعمل ايه؟

رد بامتعاض:

هاشوف

صاح به أباه بجدية وهو يشير بسبابته محذراً إياه من التهاون في المسألة:

-انجز في الليلة دي، مش عاوز رططة كلام فيها! سامعني!

ضغط مازن على شفتيه قائلاً على مضض:

طيب!

.....

حمدت أسيف الله في نفسها أن المسافة من الفندق للمنطقة الشعبية لم تكن بعيدة.. وبالتالي لم تحتاج كليهما لإستئجار سيارة خاصة لتوصلهما إليها.. استمرت هي في دفع مقعد والدتها عبر الطرقات الجانبية حتى وصلت إلى المكان المنشود..

ومع أول خطوات وطأتها بداخله تسارعت دقات قلبها، وزادت الحماسة بداخلها..

حاولت قدر المستطاع أن تختطف نظرات شمولية عن المكان من حولها لتحفرها في ذاكرتها، فرمما لن تتكرر الزيارة مرة أخرى.. زادت حماسها، وتشجعت لسؤال والدتها بتلهف:

هو ده المكان صح يا ماما؟

على عكسها تماما كانت حنان تعيش في أجواء قلقة ممزوجة بالتوتر.

خفق قلبها برهبة وهي تجوب بأنظارها المكان لترى انعكاس الماضي على جدران تلك البنايات القديمة، واضطربت أنفاسها بدرجة ملحوظة مقاومة تدفق سيل الذكريات القاسية..

نعم فقد عانت الأمرين مع زوجها في صراعها ضد زوجة الحاج خورشيد، تلك السيدة التي كانت تعتبر التجسيد الحقيقي لمصطلح ( جبروت امرأة )

أعدت أسيف تكرر سؤالها حينما تجاهلت أمها الرد عليها قائلة:

سمعاني يا ماما، ده المكان اللي عايشة فيه عمتي؟

أجابتها حنان بجذر وهي تبتلع ريقها:

-ايوه!

ابتسمت عفويًا، واستمتعت باهتمام بالأجواء من حولها..

تساءلت مجددًا وهي تسلط أنظارها على المحال الشعبية المتجاورة:

-أومال هي ساكنة فين؟

احتارت حنان في تحديد البناية التي كانت تقطن بها عزيزة زوجة الحاج

خورشيد، فقد مر زمن منذ أن حضرت إلى هنا..

بدت جميع البنايات متشابهة بدرجة كبيرة، فزادت حيرتها أكثر وتخبّطت

أفكارها.

هزت كتفيها قائلة باستياء بعد أن عجزت عن تحديد وجهتها:

مش فاكرة يا بنتي

تفهمت أسيف صعوبة الأمر على والدتها، وأردفت قائلة بركة:

مش مشكلة يا ماما، اللي يسأل مايتوهش، هي اسمها عواطف خورشيد،

أكد في حد هايعرفها هنا، صح؟

ردت عليها حنان بفتور:

جايز!

وقعت عيناى أسيف على محل الجزارة، فظنت أنه ربما يتمكن من مساعدتها  
في الوصول إليها، فعلى الأغلب هو يعرف معظم القاطنين بالمكان بسبب  
تعاملهم معه وشراءهم للحم من عنده..

أشارت بعينها نحوه بعد أن مالت على والدتها مرددة بجدية:  
أنا هاروح أسأل الجزار اللي هناك ده، ممكن يكون عارف بيتها  
هتفت حنان قائلة بتأكد:

-احتمال كبير!

أكملت أسيف دفعها لمقعد والدتها المتحرك حتى وقفت بها عند الرصيف، ثم  
تركها واتجهت نحو ذلك الرجل الجالس أمام محله..

أشاحت بيدها ذلك الذباب المتطاير أمام وجهها، وابتسمت بود وهي تسأله  
بنبرة حرجة:

لو سمحت!

انتبه لها الجزار الذي كان ينفث دخان أرجيلته بشراهة، ورمقها بنظرات  
مطولة جريئة أشعرتها بالحرج منه.

تابع تأمله لها وهو يرد بصوت متحشرح:

خير يا أبله؟

ضغطت على شفيتها لتقول بارتباك قليل وبأدب واضح:

حضرتك متعرفش بيت الست عواطف خورشيد؟  
تجهمت تعابير وجهه بدرجة ملحوظة، وأخفض أرجلته للأسفل ليسندها إلى  
جواره..

ثم نفخ بضجر، وبدا النفور واضحاً على نظراته وفي نبرته وهو يجيبها بخشونة:  
أعودو بالله من العيلة الفقر دي!

انزعجت من أسلوبه الفظ والوخ في الإساءة إلى عمته، وعفويًا كورت قبضة  
يدها وهي تهتف بامتعاض:

أنا بسالك عن بيت عمتي، عارف ولا لأ؟

رد عليها بتهمك آثار سخطها للغاية:

هي عمتك، اتم المتعوس على خايب الرجا!

اصطبغ وجهها بجمرة قوية من إهاتته الوقحة، وضغطت على شفيتها محاولة كتم  
غيظها منه..

هي لم ترغب في إثارة القلق، خاصة في وجود والدتها، حتى لا تفسد الزيارة  
وتلتغى قبل أن تبدأ.

عمدت إلى الحفاظ على هدوء أعصابها وهي تعيد سؤاله بقوة زائفة:

عارف بيتها ولا لأ؟

أجابها بتأفف وهو يشير بإصبعيه نحو بناية ما:

-البيت الكحيان اللي هناك ده، هتلاقيهم ساكنين فيه!  
التفتت أسيف إلى حيث أشار فتجمدت نظراتها على تلك البناية القديمة  
للحظات.  
خفق قلبها بتوتر رهيب، وإنتابتها أحاسيس كثيرة متحرقة فيها شوقاً لمقابلة فرد  
جديد اكتشفت وجوده مؤخراً من عائلتها..  
أفاقت من جمودها المؤقت، وعاودت النظر إلى الجزار بإشمئزاز، ثم تركته  
وانصرفت دون حتى أن تشكره على تقديمه للعون..  
رمقها هو بنظرات مستخفة، وأمسك بأرجلته ليدخنها بإنزعاج من تجاهلها  
له، وتمتم بغيظ من بين أسنانه لاعناً إياها:  
هي هاتجيبه من برا يعني، كلهم عيلة.... في قلب بعض!!!  
رجعت أسيف عند والدتها وهي ترسم ابتسامة مصطنعة على وجهها، ثم  
استطردت حديثها مرددة بهدوء:  
خلاص يا ماما عرفت مكان البيت، هو اللي هناك ده!  
حركت حنان مقعدها للأمام، وتبعته أسيف بخطوات متمهلة لكن روحها كانت  
في حالة حماسة رهيبية..

.....

بعد عدة لحظات كانت كلتاها تقف أمام مدخل البناية.



بالطبع لم يخلو المكان من هؤلاء الصغار الذين يترشقون الكرة وهم يلعبون  
بعنف وصراخ لعل أحدهم يحقق الفوز في مباراتهم الحيوية الهامة..  
ابتسمت لهم أسيف بود، ثم استدارت بأنظارها في اتجاه المدخل.  
حدقت فيه بنظرات مطولة مدققة في تفاصيل المكان، فكل شيء كان يشير  
إلى قدمه ؛ الطلاء الباهت، الألوان المطفية، الدرج الخشبي العتيق،  
والكرايب المتراسة على الجانبين..

نعم تكاد تشم رائحة عبق الزمن وأن تطأ بقدمين المكان.  
اختلف إحساس حنان كليًا عن ابنتها، هي زارت تلك البناية من قبل، منذ  
سنوات طويلة مضت..

مرت الأيام وتكرر المشهد من جديد

فقد كانت جالسة على مقعدها المتحرك عند هذا المدخل، وتركها زوجها  
رياض بمفردها هنا ليصعد إلى زوجة أبيه.. تلك القاسية الجاحدة التي لا  
تعرف أي شفقة..

انتاب قلبها الرعب حينما سمعت صراخها المحتد، وفزعت نظراتها وهي تراه  
مقبلاً عليها حاسماً أمره بعدم العودة إلى هنا مرة أخرى..

ازدردت ريقها بخوف، وتمنت في قرارة نفسها ألا يتكرر الأمر مجددًا مع ابنتها،  
فهي لا تزال قعيدة عاجزة حتى عن الدفاع عن نفسها، فماذا عن ابنتها؟

أخضت أسيف نظراتها لتحقق في والدتها الشاردة، وظنت أنها تفكر في  
طريقة للصعود للأعلى بمقعدها هذا، والاثنتان بمفردهما، وبالتالي لن تتحمل هي  
عبء دفعها..

عضت على شفيتها بجرح، وتهدت بعمق، ثم مالت على أمها لتهمس لها:  
أنا هاطلع أسأل حد من الجيران عن بيتهم، وأعرف هما ساكنين في أنهو دور  
وأنزلك يا ماما

هزت حنان رأسها إيجاباً وهي تقول بجزر:

طيب، بس خلي بالك من نفسك

حاضر

قالتها أسيف وهي تتجه نحو الدرايزون لتصعد بتريث عليه.

تعلقت أنظار حنان بإبنتها، وخفق قلبها بدقات متتالية..

دعت الله في نفسها بتيسير الأمور عليها..

.....

وصلت هي بعد لحظات إلى الطابق الأول، وسلطت أنظارها على أول باب

وقعت عينها عليه..

ابتلعت ريقها بتوتر بادي عليها، واستجمعت شجاعته لتقرع الجرس..

عاودت النظر للأسفل لتطمئن على والدتها القابعة عند المدخل..  
فتحت إحدى الجارات الباب، وتفرست في أسيف بنظرات حادة مدققة،  
وسألتها بجمود:

-ايوه؟ عاوزة مين يا شابة؟

استدارت أسيف برأسها نحوها، ورسمت ابتسامة مهذبة على شفيتها ساعة  
إياها بجرح:

-أومال الست عواطف خورشيد ساكنة في أنهو دور؟

أجابتها الجارة بجدية وهي تشير بعينها للأعلى:

فوقينا بدورين، الباب اللي زي ده

ضغطت أسيف على شفيتها - مع احتفاظها بإبتسامتها الرقيقة - مرددة

يامتنان:

شكرا

نزلت مسرعة على الدرج لتعود إلى والدتها، ثم وقفت قبالتها، وهتفت بصوت  
شبه لاهث ومتحمس:

خلاص عرفت البيت يا ماما، أنا طالعة عندها، وهاعرفها إنك تحت!

مدت حنان يدها إلى ابنتها، وأمسكت بكفها، ثم رمقتها بنظرات جادة قبل

أن تنطق محذرة:

ممتأخريش فوق، انزلي على طول، ماشي يا أسيف

أومأت ابنتها برأسها مرددة بطاعة:

حاضر يا ماما، اطمني!

أولتها ظهرها، واتجهت للدرج لتصعد إلى عمته والحماس الممزوج بالتهلف  
والفضول يقتادها للأعلى..

ضمت حنان كفي يدها معًا، وضغطت عليهما بقلق واضح رغم تعابير وجهها  
الجامدة..

هي تخشى ألا تصير المقابلة على ما يرام.. وتصدم ابنتها في عمته الوحيدة.

عابت نفسها على تركها بمفردها لتقوم بهذا الأمر دون وجودها لدعمها.

أخذت تدعو الله في نفسها أن يمر اللقاء على الخير وتقابل بحفاوة وترحيب..

.....

أسرعت أسيف في خطواتها لتصل إلى الطابق المنشود..

كانت متوترة بصورة بائنة، ولما لا؟ فتلك هي المرة الأولى التي سترى فيها عمته  
الوحيدة..

قبضت بأصابعها على الدرايزون وهي تكمل صعودها..

شعرت أن حلقها قد جف من فرط التوتر أو الحماس، لا تعرف أيهما تحديداً  
هو المتحكم بها الآن.. لكنها متشوقة لرؤيتها..

وقفت أمام باب منزلها، وتلاحقت أنفاسها بصورة سريعة..  
 سحبت نفسًا عميقًا وجبسته لثانية داخل صدرها لتضبط انفعالاتها..  
 تمت لنفسها بتشجيع:

-اهدي يا أسيف، واضربي الجرس، إن شاء الله خير  
 وبالفعل مدت يدها لتقرع الجرس، وانتظرت بترقب فتح الباب لها..  
 كورت قبضتي يدها ورمشت بعينها عدة مرات..  
 لا جديد يحدث، الوضع كما هو.. الصمت هو سيد الموقف..  
 حدثت نفسها مبررة:

-يمكن ماسمعتش الجرس!

قرعت الجرس مجددًا، وانتظرت بشغف أن تفتح عمتها الباب وتستقبلها..  
 طال انتظارها أمامه..

تملكها الإحباط سريعًا، وتشكلت علامات اليأس على محياها..

خبا بريق عينيها، وتهدل كتفيها بضيق..

عللت لنفسها عدم الرد عليها:

جائز.. جائز محدش موجود!

زفرت بعمق، واستدارت لتعود من حيث أتت ولكن بخطوات متخاذلة  
وبطيئة نسبيًا وهي تتجه للدرج..

.....

في نفس التوقيت، وصلت عواطف ومعها ابنتها نيرمين ورضيعتها إلى مدخل  
المنطقة الشعبية بعد أن فحصها الطبيب وأعطاه الدواء المناسب لحالتها..

تهادت عواطف في خطواتها متممة بتعب:

-كويس إنها جت على أد كده، إحمدي ربنا

ردت عليها بتهنيدة مطولة:

-الحمد لله، البت لسه بتسنن وزورها مقفول!

أضافت عواطف قائلة بصوت هاديء:

خدي من ده كثير، شوية تسخن وشوية حركتها تتقل، يعني من هنا لحد ما

سنانها كلها تطلع

ردت عليها نيرمين بجدية:

-ربنا يسهل، أنا هاديها الدوا في مواعيده

أكدت عليها عواطف أهمية ذلك الأمر محذرة:

اه لازم، وربنا الشافي

يا رب

ثم اكملتا سيرهما نحو البناية القريبة..

.....

في نفس ذات الآن، بقيت أنظار حنان المتوجسة معلقة بالدرج، وشفتهاها  
تتمنان بكلمات خافتة للغاية ومبهمة.

الفضول يقتلها لمعرفة نتائج المقابلة الأولى..

وجأة التفتت برأسها للخلف على صوت صراخ أحد الصغار بجدة:

شوط يا عم، مستني إيه!

تجمدت عيناها على تلك الكرة التي قذفها الآخر بكل ما أوتي من قوة  
فتحولت لقذيفة موجهة ارتطمت بعنف بألواح الخشب وركايب الأثاث  
المتواجدة على مقربة منها..

اختل توازن تلك الأشياء بفعل الضربة القوية، وبدأت في التهاوي، ولكن  
عليها..

شخصت أبصارها بهلع كبير حينما رأت تلك الكومة الهائلة تتساقط عليها،  
 فرفعت كفيها أمام وجهها لتحميه، وصدرت عنها - عفويًا - صرخة هائلة  
 ومخيفة...

.....

قفز قلب أسيف برعب جلي في قدميها على إثر ذلك الصوت المألوف الذي  
 تعرفه جيدًا.

تجمدت في مكانها لوهلة محاولة إستيعاب تلك الصدمة المباغته.  
 كما اتسعت حدقتها بفزع وهي تستمع إلى صوت ارتطام متتالي ومدوي..  
 صاحت لا إراديًا بفزع:

ماما!

أفاق من حالة الشلل المؤقتة التي أصابها، وهبطت مسرعة على الدرجة  
 محاولة الوصول إلى والدتها..

.....

رأى الصغار ما حدث نتيجة لعيم الطائش، وصاحوا بخوف كبير بعد سقوط  
 الألواح الخشبية والأثاث على تلك القعدة محدثين فوضى بالمكان..



تحول المدخل إلى حالة من الهرج والمرج، وواصل الصغار صياحهم المذعور..  
تجمع بعض الجيران والمارة عند المدخل لتفقد الأمر..

.....

وصلت أسيف إلى مقدمة الدرج فرأت تلك الكومة الهائلة تغطي أمها.  
وضعت يديها على فمها لتكتم شهقة على وشك الخروج منها.  
وجحظت عينها أكثر وهي تلمح جزء من مقعد أمها المتحرك أسفل  
الأخشاب..

زاد خفقان قلبها، وتلاحقت أنفاسها بصورة مخيفة، ثم أخرجت صرخة هائلة  
من صدرها :  
ماما.. ماما!

ركضت نحوها محاولة لإزاحة تلك الأثقال عنها، لكنها فشلت بمفردها، وبقيت  
عالقة في مكانها، عاجزة عن الوصول إليها..  
وكانها أصيب بحالة هستيرية فواصلت صراخها الهلع والمرعب ليزداد على إثره  
تجمع الجيران وأهالي المنطقة..

.....

لمحت عواطف من على بعد تلك الحشود التي تقف على مقربة من بنايتهم  
وتسد المدخل، فتساءلت بإستغراب:

هو الناس ملمومة هناك كده ليه؟

ردت عليها نيرمين بحيرة وهي تهدد صغيرتها:

مش عارفة!

ركض أحدهم في اتجاهها، فسألته عواطف بسجية:

في ايه اللي بيحصل؟

أجابها الرجل بصوت لاهث وقلق:

-يقولوا العفش اللي كان في حوش العمارة وقع على واحدة ست!

ارتعد قلب نيرمين، وشهقت مصدومة:

يا ساتر يا رب!

بينما غمغت عواطف بفرع وقد اضطربت نبضات قلبها:

-ألطف بينا يا كريم!

.....

وقف منذر على عتبة باب وكالته يوقع على أحد أوراق توصيل إحدى  
الطلبات العاجلة لأحد العملاء. ثم أعطى الإيصال إلى عامل لديه، ووجه  
حديث للسائق الواقف قبالة مردداً بصوت آمر:

توصلهم عند المعرض على طول، هما مستنين، مش عاوز تأخير، وخذ بالك،  
البضاعة فرز أول!

هز السائق رأسه بالإيجاب:

تمام يا ريسنا!

تابع منذر أوامره مردداً بصوت آجش:

-وتاخذ منهم إيصال الاستلام، مفهوم!

-اطمن يا ريس!

هتف بتلك العبارة السائق ثم اتجه لشاحنته لينطلق بها..

لاحظ منذر حالة التوتر والإرتباك الحادثة في المنطقة، فنظر بغرابة في أوجه  
الجميع الذين بدوا وكأنهم يسيرون نحو وجهة معينة..

تحرك عدة خطوات للأمام، ودقق النظر أمامه، ثم وضع كفي يده على  
منتصف خصره، وتساءل بفضول مع نفسه:

هو في ايه؟

انتبه لصوت صراخ متتابع، وصياحات عالية، فزاد فضوله أكثر لمعرفة السبب..

ركض ناحيته أحد العمال التابعين للوكالة، وهلل قائلاً بخوف:

-ريس مندر، يا ريس مندر

سلط مندر أنظاره عليه، وسأله بجمود وقد قست تعابير وجهه:

-في ايه؟

أجابه العامل بصوت لاهث ومتقطع وهو يجاهد لإلتقاط أنفاسه:

عاوزين نطلب يا باشا الاسعاف ولا البوليس يجوا يفتونا!

ضاقت نظرات مندر أكثر، وسأله بجديّة:

-ليه؟ في ايه؟

انحنى العامل للأمام ليلتقط أنفاسه، وأجابه بصعوبة مشيراً بيده:

-بيقولوا في عفش وقع على ولية كبيرة عند بيت خورشيد!

تبدلت تعابير وجه مندر للقلق، وردد يأندهاش وقد إرتخى أحد كفيه عن

خصره:

عفش! وحصل للست ايه؟

رد عليه العامل بصوت مرتبك:

مش عارفين إن كانت عايشة ولا ميتة، الجدعان هناك بيثيلوا الخشب من  
عليها!

أشار منذر بإصبعه للخلف مرددًا بجديّة:

طب خش اطلبهم من جوا، وأنا هاروح أشوف بنفسي!

حرك العامل رأسه بالإيجاب قائلاً:

ماشي يا ريسنا

مرر منذر يده على رأسه، وهتف لنفسه بصوت جاد لكنه منزع:

-ربنا يعديها على خير!

ثم سار بخطوات متمهلة نحو البناية ليتابع هو الآخر ما يدور..

.....

تسابق الرجال في حمل الكتل الخشبية لإيقاد تلك السيدة..

وبالطبع صراخ أسيف جعل جميع الجيران يلتفون حولها - وخاصة الجارات

- لمواستها والوقوف إلى جوارها، ومنعها من التحرك..

هتفت إحداهن بتفاؤل:

إن شاء الله هيلحقوها

وأضافت أخرى بضجر محملة اللوم على أصحاب الأثاث:

غلطائين انهم ساين العفش كده من غير ما يربطوه، ولا....

قاطعتها ثالثة مرددة بجدية:

مش وقته، خلونا في المصيبة دي!

عاد إلى ذاكرة أسيف تلك اللحظات الموجعة و الحزينة - والتي لم تكن بعيدة

عنها - حينما فقدت والدها الحبيب..

نفس الحشد، نفس الأصوات الموسمية، نفس الوجوه العابسة، مع اختلاف

المشهد.. فمن تعاني الآن هي أعلى ما تبقى لديها، هي والدتها ونبض فؤادها...

تراقصت العبرات في عينيها، وتعالق شهقاتها مع تذكرها لمشهد وداع أبيها..

حاولت الافلات منهن للوصول إلى أمها والمساعدة في انقاذها، لكنها لم تنجح،

فأياديهن كانت محكمة حولها.

واصلت صراخها مرددة ببكاء حارق:

ماما، سمعاني، سيبوني، عاوزة أنقذها، ماما، أنا هنا!

أشفق الجميع على حالها، فحياة أمها على المحك، والكل يتسابق على انقاذها..

وصل منذر إلى المدخل، وبدأ في إختراق الجمع المرابط أمامه ليرى بوضوح

ما يحدث..

أثار حواسه الصراخ المفجوع الصادر من الداخل، وبحث بعينين مترقبتين عن صاحبه.

تمكن من بلوغ المقدمة، وأصبح قاب قوسين وأدنى من رؤية السيدة الملاقة أسفل الأخشاب..

مال بجسده للجانب ليتفادى قطعة أثاث يتناقلها الرجال فيما بينهم ليخرجوها فيفسحوا المجال للمرور..

سقطت أنظاره تلقائياً على ساق مكشوفة ترتعش بحركات عصبية متتالية، فانتفض قلبه بخوف..

صرخة أخرى مكلومة أخرجتها أسيف من صدرها صائحة بهلع أكبر وجسد أمها المتهاك يتكشف من أسفل الحطام:

ماما، ماما!

رفع منذر عيناه نحو صاحبة الصراخ، فتجمدت نظراته عليها، واتسعت حدقتيه في ذهول عجيب. كما انفرجت شفتاه بصدمة أكبر..

لقد كانت هي.. نعم لم يكن لينسى ذلك الوجه البائس للحظة..

و.....!!

.....

## الفصل الثالث عشر:

حاولت عواطف وابنتها المرور بين جموع الأفراد المرابطين أمام مدخل البناية لرؤية الحادث، لكن تعذر عليهم هذا بسبب الحشد الغفير الذي يسد المدخل، فبقيت كلتاها بالخلفية..

وصل إلى مسامعها تفاصيل مختلفة عن ملابسات الحادث، ولكن العامل الأساسي المشترك في كافة الروايات التي قيلت أن أثاث نيرمين الموجود بالمدخل كان السبب الرئيسي في إصابة تلك المسكينة تعيسة الحظ..  
تأسفت عواطف على ما حدث لها، ومصصت شفيتها مرددة بحزن مصطنع:  
قدرها الغلبانة دي، ربنا ما يورينا مكروه في عيالنا  
تساءلت نيرمين بتوجس:

حطب يا ترى مين اللي حصلها كده؟

ثم زاد توترها، وضافت نظراتها أكثر وهي تضيف بخوف:  
-لأحسن نكون هانروح في داهية، ده.. ده العفش بتاعي!



ردت عليها عواطف بقلق عقب جملتها تلك:

-ريك يسترها، واحنا ذنبنا ايه، ده نصيبها، مكتوبلها تشوف ده!

هتفت نيرمين بصوت خفيض وهي توميء بعينها:

-لازم نتصرف، الموضوع ممكن يقلب بناية وبوليس!

صمتت عواطف لتفكر للحظة في شيء ما..

دار بخلدها حديث دياب السابق عن كون عائلة حرب من كبار عائلات المنطقة، وأنهم المتكفلون دومًا بكل أي مشكلات تواجه قاطنيها، لذا رددت بلا تأخير:

-مافيش غيره، هو الحاج طه، وعلى رأي المثل اللي مالوش كبير بيشتريه كبير!

تعجبت نيرمين من تلك الحالة التي أصابت والدتها وجعلتها تحدث نفسها بكلمات ليست واضحة، وما زاد من غرابتها أكثر هو هرولتها مبتعدة عن المدخل، فلحقت بها هاتفة بتساؤل:

-رايحة فين؟

أجابتها بغموض أثار ريبتها:

هاروح على كبيرنا!

.....

خفقان قوي شعرت به في قلبها حينما بدأ جسد والدتها في الظهور من أسفل  
تلك الحطام..

وخزات حادة طعنت صدرها بقساوة بالغة وهي تقف مكتوفة الأيدي عاجزة  
حتى عن إنقاذها..

استشعرت بجواسها كاملة أينها المكتوم رغم صمتها أمامها..

صرخت بوجع أكبر مستغيثة بمن حولها لعلهم يلبون نداءها المفجوع:

ساعدها، هاتمت، ماما، سيبوني أنقذها

لا إرادياً تحرك منذر نحو تلك الممددة بلا وعي محاولاً التدخل وإنقاذها..

جثى على ركبتيه، وأزاح بكل قوته ما علق فوقها من أثقال خشبية.

تكالب الرجال فوقه وجذبوا البقية بسرعة ودقة..

ظهرت بقعة من الدماء كانت كافية لتزيد من صراخ أسيف الفزع عليها، ولما

لا تفعل، فالمنظر مروع بكافة تفاصيله الحاضرة..

أزرها الجميع في ردة فعلها الطبيعية،

نعم فالمشهد مؤسف ومؤلم في ذات الآن..

كُشف أيضاً عن مقعدها المتحرك، والذي تلقى صدمة كبيرة فطوي عنوة

وانكسرت أجزائه..

تمكنت أسيف بصعوبة من التحرر من الأيادي المحيطة بها، فهولت نحو  
والدتها، وألقت بجسدها على الأرضية لتجثو هي الأخرى أمام جسدها الذي  
برز بالكامل من أسفل الحطام..

حدق فيها منذر بنظرات مصدومة، ولكن تلك المرة عن قرب شديد.. فقد  
كانت جاثية إلى جواره

هي نفس التعابير المذعورة، نفس النظرات المرتعدة، ونفس شحوب الموتى  
الخفيف البادي على وجهها..

تشكلت خيوط الدماء الغزيرة حول وجه حنان فاصبغ كلياً بجمرة مقلقة.  
احتضنت أسيف جسد أمها، ورفعته إلى صدرها صارخة بكاء مختنق:

ماما، ردي عليا، ماما!

ضمتها إليها أكثر، وأزاحت بكفها المرتعش الدماء عن عينيها المغمضتين متابعة  
بصوت أكثر إنتحاباً:

أنا هنا يا ماما!

انحنت على رأسها لتقبلها وهي تكمل بأئين يقطع نياط القلوب:

ماتسبنيش يا ماما، ماليش حد إلا اتني!

مسحت على وجنتها برفق، وهمست بإستعطاف مختنق:

ماما، سمعاني! ردي عليا وقولي لي إنك كويسة، ماما!

راقبها منذر بصمت إجباري، لم يكن ليتخيل أن يلتقي بها مجدداً في ظرف مؤلم كهذا..

تناسى سريعاً غضبه المبرر منها، فحياة إحداهن على المحك، وأي عتاب أو لوم في هذا التوقيت لن يكون لائقاً على الإطلاق..

أفاق من جموده الإجباري، وانتبه أكثر لمن توشك على خسارة حياتها.

استدار برأسه للخلف وهدر بصوت صارم:

اطلبوا الاسعاف بسرعة، وفضوا السكة!

رد عليه أحدهم من الخلف:

طلبناه من بدري يا ريس وقالوا جاين

أضاف أحد آخر مردداً بتهمك:

هو في اسعاف بيجي في وقته أصلاً؟!

برزت عروق منذر المتشنجة نوعاً ما من عنقه، وتصلب وجهه أكثر بعد

تلك العبارة الأخيرة، وحسم أمره قائلاً بصوت هادر:

وسعولي المكان، أنا هاوديهيا بنفسي

وبالفعل اندفع بجسده للأمام نحو أسيف وأمها، حدقت هي فيه بنظرات  
 زائغة، فالعبرات قد شكلت غشاوة على عينيها فلم تتعرف إلى وجهه بوضوح..  
 دفعها عنوة للخلف محاولاً تخليص قبضتها عن والدتها ليتمكن من حملها..  
 رفضت أسيف التخلي عن أمها، وعلق بذهنها ما فعلوه بها حينما كان يوارى  
 أيها الراحل الثرى، فصرخت وهي تتشبث بها أكثر:  
 مش هاسيبكم تاخدوها مني زي ما عملتوا مع بابا، دي هي اللي فضلاي!  
 وضمتها أكثر إلى صدرها دافعة بقبضتها المرتعشة يد منذر الممتدة نحوها..  
 حرق هو فيها بذهول كبير متعجباً من عنادها القوي، ومن طريقة تمسكها  
 بأمها..

تجهم وجهه بدرجة واضحة، وصاح بها بصوت خشن وصارم:

سديها! خليني أعرف الحقها

وكأنها لم تكن ترى أو تسمع سوى صوت نفسها.

سيطر على عقلها ذكرى صدى صوت نواح النساء فكاد يصم أذنيها..

أغمضت عيناها بقوة، وواصلت صراخها المختنق ببيكائها:

-انتو كدايين، ابعدوا عننا بقي!

مالت عليها برأسها، وألصقت ذقنها بجبين أمها المملطخ بالدماء مضيئة بأنين  
متوسل و موجه:

ماما فوقي وقوليلهم انك كويسة!

ضاق منذر ذرعاً من تصرفاتها الهيسترية، وحدثها بنظرات حادة للغاية. وقبل  
أن ينفذ صبره حاول قدر المستطاع ضبط أعصابه للسيطرة على نفسه في  
تلك المواقف، لذا حسم أمره قائلاً بغلظة:  
-كده مش هانخلص النهاردة! اوعي شوية!

مد قبضتيه ليمسك برسغيها، ثم أزاح بإصرار يديها عن أمها، فإهتاجت  
أسيف أكثر، وصرخت بجنون:  
-لا!

تلوت بمعصمها محاولة تحريرهما من قبضتيه المحكمتين حولهما، وحدثت فيه  
بنظرات مظلمة:

-ابعد عني، سييني!

تجاهلها عمداً، ووجه أنظاره للخلف ليصيح بصرامة:

-انتو هتفرجوا علينا، حد ياخذها ويبيدها، يالا!

تحرك على إثر أمره عدداً من الجيران ليمسكوا بها، وتمكنوا بالفعل من إبعادها عن والدتها.

فزاد صراخها الهيستري، وتحركت بجسدها ياهتياج في كل الاتجاهات محاولة التخلص منهم....

استطاع منذر أن يحمل حنان بين ذراعيه، وعاونه اثنين من الرجال في رفع جسدها وتثبيتته..

انتبه الجميع لصوت صافرة سيارة الإسعاف التي حضرت إلى المنطقة، فأفسحوا لها المجال، وتسابق البعض في إرشاد المسعفين ليصلوا إلى مدخل البناية...

كان منذر قد سبقهم بالخروج بالسيدة حنان، فاقتربوا هم منه ومعهم الناقلة الطبية..

وبحذر شديد حملوها عنه، وأسندوها عليها..

هتف أحدهم بنبرة جادة:

من فضلكم وسعوا خلونا نشوف شغلنا

رد عليه منذر بصوت غاضب:

-وهو احنا كنا بنلعب جوا؟!!

هتف المسعف معللاً ببرود:

أي حركة غلط على المصابة ممكن تعرض حياتها للخطر

هدر به منذر بعصبية وقد برزت شراسة نظراته:

هو اتتو هترغوا، ماتشوفوا شغلکم!

رد عليه المسعف بسخط:

-أومال احنا جاين هنا ليه؟

كان منذر على وشك الاشتباك مع ذلك المسعف بسبب أسلوبه المستفز،

لكنه تغاضى عن الأمر عمداً حينما انتبه لصوتها المهتاج، فاستدار برأسه

ناحيتها، ورأى تلك البائسة وهي تركض صارخة بهياج نحو سيارة الإسعاف

مرددة:

ماما.. أنا هنا يا ماما، اتتي رايجة فين؟

حاول أحدهم منعها من الصعود قائلاً:

يا آنسة ماينفعش!



احتجت عليه قائلة بانفعال باكي وعبراتها تنهمر بغزارة:

مش هاسيها، أنا هاركب معاها!

أضاف أحد المسعفين قائلاً بجدية:

خلوها معاها، محتاجين نعرف بيانات المصابة!

نظر لها المسعف الآخر شزرًا، ثم أشار لها بيده لتصعد مرددًا باقتضاب:

اطلعي

وبالفعل صعدت على متن السيارة، وجلست ملتصقة بالناقلة الطبية.

ضمت كفي والذتها بين راحتي يدها، ومالت برأسها عليه لتقبله وهي تبكي

بحرقة شديدة..

راقبها منذر باهتمام، لا يدري إن كان مخطئاً في سوء ظنه بها، أم أن الموقف

برمته أجبرها أن تظهر بتلك الطريقة الهوجاء..

لكن ما شغل باله حقًا هي تلك الصدفة الغريبة التي جمعتها بها مرة أخرى،

وما أثار فضوله هو سبب مجيئها إلى منطقته..

ظل في مكانه متسمراً للحظات معلقاً أنظاره على الاثنتين بشرود.

قطع تأمله نحوها صوت أحد عماله قائلاً بصوت لاهث:

-العربية يا ريس!

التفت برأسه نحوه، وحدق فيه بنظرات غامضة، فتعجب الرجل من نظراته إليه، وأعاد جملة مردداً باستغراب:

مش انت يا ريس طلبتها؟

أخفض منذر نظراته ليحدق في سلسلة المفاتيح الخاصة به، ثم رفع رأسه ليحدق في سيارة الاسعاف التي بدأت بالتحرك..

تردد للحظات في تقرير ما يريد فعله الآن.. وفي الأخير حسم أمره باللحاق بتلك البائسة ليعرف الإجابات الملحة التي تدور في عقله.

جذب منه المفاتيح، واتجه إلى سيارته، ثم أدارها، وانطلق مسرعاً خلف أثرهم.

.....

وصلت عواطف إلى الوكالة، وولجت إلى الداخل وهي تجاهد لإلتقاط أنفاسها. جابت بعينها المكان باحثة عن صاحبه، وتساءلت بصوت لاهث وهي تقترب من أحد العمال:

الحاج طه فين؟

أجابها العامل بهدوء:

في الحمام!

تنفست بعمق وتابعت قائلة:

حطب الله يكرمك بلغه إني عاوزة أكله ضروري

رد عليها العامل وهو يومئ برأسه:

حاضر، أول ما يخرج هاقوله

ثم أشار بيده لتجلس على المقعد قائلاً:

-اقعدي يا ست

-متشكرة

قالتها عواطف بصوت متقطع وهي تجلس على أقرب مقعد..

ولجت نيرمين هي الأخرى خلف والدتها، وسألتها بصوت متقطع:

ها يا ماما؟ عملتي ايه؟

أجابتها عواطف بإستنكار وهي ترمقها بنظرات حادة:

هو أنا لحقت، ما أنا داخلة قدامك، لسه أما أشوف الحاج طه وأتكم معاه!

هزت رأسها قائلة بخفوت:

حبيب

ضرب الحاج طه بعكازه الغليظ على الأرضية قائلاً بصوت خشن:

سلامو عليكم!

انتهت لصوته كلماتهما، بينما أكمل متسائلاً مستغرباً تواجد الاثنتين في وكالته:

خير يا عواطف؟ في حاجة؟

هبت واقفة من مكانها مرددة بصوت فزع ومشيرة بكفي يدها:

الحقنا يا حاج طه، احنا واقعين في عرضك!

نظر لها بغرابة أكبر، وتحرك في اتجاهها متسائلاً بهدوء رزين:

يا ساتر يا رب، في ايه اللي حصل؟

أجابته بصوت منزعج وقد بدت ملاحظها متوترة للغاية:

مصيبة، وربنا المعبود ما لينا يد فيها!!!

انعد ما بين حاجبيه مهمماً، وسألها مستفسراً:

مصيبة ايه دي؟

.....

لم تترك أسيف يد والدتها طوال الطريق، وبقيت تبكيها حسرة وحنناً.

مسحت بيدها على وجهها مزيجاً تلك الدماء المملوطة له، تهدج صدرها علواً

وهبوطاً وهي تتوسلها بصوت مبجوح:

خليكي معايا، اوعي تبعدني زي بابا، معدتش عندي حد إلا انتي وبس!

مالت عليها مجدداً لتسند بيمينها على كفها، وأجهشت ببكاء أشد..

وصلت سيارة الإسعاف إلى أقرب مشفى حكومي، والذي يبعد مسافة عشر دقائق بالسيارة، ثم ترجل المسعفون منها، واندفعوا على عجلة لينزلوا الناقله الطبية للأسفل..

انتفضت في مكانها مذعورة حينما رأتهم يبعدها عنوة ليجذبوا ناقله أمها..  
أفسحت لهم المجال ليقوموا بعملهم، ونزلت خلفهم وجسدها يرتعش بشدة..  
كانت كالتائهة لا تعرف ماذا تفعل بمفردها في تجربة أخرى قاسية من تجارب الحياة.

تلوث ثوبها ببقع الدماء لكنها لم تهتم سوى باللحاق بغاليتها..

.....

راقب منذر الطريق بنظرات فارغة وهو يسير خلف سيارة الإسعاف..  
حدق في كفي يده القابضين على مقود السيارة ياندهاش..  
أخذ يقلبها متعجبًا، كيف لم ينتبه لما بهما..

كانت آثار الدماء متجمدة على أصابعه، توتر لوهلة وهو يستعيد صورة ذلك المشهد الدامي حينما رفعت الأتقاض الخشبية عن تلك المسنة القعيدة..  
مازال أثر صراخ البائسة يتردد في اذنيه، نفخ بضيق وهو يضغط بعنف على المقود مرددًا من بين أسنانه:

لو مكانش الظرف كده، كنت اتصرفت معاكي!  
أكل القيادة بصعوبة حتى وصل إلى المشفى، فبحث عن مكان شاغر ليصف  
سيارته به..

.....

أنهت بسمة درسها مع الطفلين، وأعطت لكل منهما مهمة للاستذكار يؤديها  
على حسب عمره، واستأذنت بالإنصراف، لكن اعترضت جليلة قائلة بعد أن  
رأت أطباق الحلوى وكوب المشروب البارد كما هو بالإضافة إلى قرح الشاي..

هي لم تمس أي منهم :

-ايه ده؟ دي الحاجة زي ما هي!؟

ردت عليها بسمة بعزة نفس:

-شكرا، أنا مش عاوزة حاجة

تعجبت جليلة من فعلتها، وظنت أنها ربما تكون متقززة من تناول الطعام  
لديها، لذا هتفت منزعة:

-اوعي تكوني قرفانة ولا حاجة؟ ده أنا نضيفة، وأكلنا زي الفل و....

قاطعتها بسمة بجدية أكبر مبررة سبب رفضها:

-لالا مش كده والله، أنا ماليش نفس ومش متعودة أخذ حاجة عند حد  
 ردت عليها جليلة بعتاب وهي تحد من نظراتها:  
 هو احنا أي حد، لالا، اتتي كده هتزعيني منك  
 ابتسمت بسمة بتكلف، وتابعت بهدوء:  
 معلش، مرة ثانية!

مصمست جليلة شفيتها مضيضة بضجر وهي تضرب كفها بالأخر:  
 لا حول ولا قوة إلا بالله، يا بنتي ده أنا محطتش حاجة!  
 حافظت بسمة على ثبات ابتسامتها المصطنعة، وردت بهدوء عقلائي:  
 شكرا، عن اذنك عشان اتأخرت!  
 ثم بدأت بالتحرك صوب الخارج، فتبعها جليلة مرددة بيأس:  
 ماشي براحتك، أمري لله!

ثم رفعت من نبرتها قليلاً لتقول بحزم وهي تشير بسبابتها:  
 بس المرة الجاية مش هتنزلي إلا لما تاكلي وتشربي  
 أدارت بسمة مقبض الباب هاتفة بتهذيب:  
 رينا ييسر، سلامو عليكم

ودعتها جليلة وأغلقت الباب من خلفها، فتابعت بسمه هبوطها على الدرج  
مرددة بتبرم ساخط:

هو أنا جاية مطعم أكل وأشرب!

لاحظت هي رباط حذاءها الغير معقود، فزفرت في ضيق متممة:

-استغفر الله العظيم، الرباط اللي عمال يتفك ده، محتاجة أجيب كوتشي بدل  
ده!

استدارت بجسدها، ورفعت ساقها على الدرجة العلوية وأسندت إلى جوارها  
متعلقاتها الخاصة، ثم انحنت للأسفل لتعقد الرباط بدقة..

لم تنتبه إلى ذلك الصاعد بتريث منك إلى نفس الطابق..

فرك دياب مؤخرة رأسه يارهاق، وأكمل اعتلائه لدرجات السلم ليصل إلى  
منزله..

تفاجيء برؤية شابة منحنية أمامه تسد عليه الطريق.

أدار وجهه للجانب متحرجاً من وضعيتها تلك، وضغط على شفثيه بضيق..

سمع صوتها تردد بتبرم:

دروس ايه دي اللي الواحد جاي يتخن فيها!

التفت برأسه عفويًا نحوها ليصدق فيها ياندهاش كبير بعد أن خمن تقريبًا هويتها.



لقد عرفها على الفور، ونسى دون قصد سبب تواجدها بمنزلهم، هي تلك  
المشاغبة المتذمرة الناقمة على كل شيء..

تناولت بسمة أشياءها، ثم اعتدلت في وقتها، واستدارت لتنزل الدرج لكنها  
تسمرت مصدومة في مكانها حينما رآته أمامها محققاً بها بغرابة..

حل الوجوم والتجهم على تعابيرها المشدودة، ورمقته بنظرات نارية مغلظة.

اتخذت هي وضعية التأهب، وباتت متحفزة للرد بقساوة عليه بعد أن أزعتها  
نظراته نحوها.

هتفت موجبة إياه وهي تشيح بيدها أمامه:

جری ايه يا حضرت، مش تعملك صوت ولا حس

ضاق نظرات دياب نحوها، وحدثها بجدة وهو يرد بصوت غليظ:

نعم؟ اتی بتكلميني أنا؟

هتفت غير مكترثة به متعمدة التقليل من شأنه:

اه انت، ولا على راسك ريشة!

اشتعل أكثر من ردها الومح الذي يتنافى مع كونها معلمة - ومربية أجيال -

تعلم الأدب والتهديب..

كز على أسنانه بغيظ، وصعد درجتين ليدنو منها.

ظلت هي ثابتة في مكانها، ولكن تشبثت أكثر بدفاترها وحقبتها، وتجمدت نظراتها عليه..

اقترب دياب منها أكثر حتى صار قابلتها، ورمقها بنظرات مخيفة جعلت جسدها يجفل للحظة، لكنها استجمعت شجاعته قبل أن تهتز أمامه، وأكملت ببرود متحدية إياه:

مش معنى إني لوحدي مش هاعرف أخذ حقي من أي حد يتعرضلي لثانية،  
لأ أنت مش عارفي!

قبض أصابعه بقوة، ورد عليها بصوت متشنج من بين أسنانه وقد ضاقت نظراته للغاية:

أنا جاي ومخنوق وعلى أخري، ومش ناقص واحدة زيك تقرفني على آخر  
اليوم، كفاية نصايك اللي فاتت!

ثم ضرب بقبضته المتكورة بعنف على الحائط.

انفضت لضربته المباغته، وابتلعت ريقها قائلة بصدمة قليلة:

افندم؟

ثم استعادت رباطة جأشها، وصاحت به بجدة متعمدة الهجوم عليه:

هو انا دوستك على طرف ولا انت بتقول شكل للبيع! عجائب والله!

هتف قائلاً بضيق ومحدراً وهو يضغط على شفثيه:

لسانك ده هيوديكي في داهية!

ردت عليه بجمود:

-يعني غلطان وبتكلم، ده بدل ما تتنحج كده وتقول يا رب يا ساتر،  
دستور! تعملك حس ولا حركة بدل ما تخضني!

قست نظراته نحوها، وهتف متهمًا:

-لا والله

تابعت قائلة بسخط وقد حل العبوس على وجهها:

-اه، هو أنا اللي هاعلمك الأصول!

احتدت نظراته أكثر، وقبل أن يفتح فمه لينطق هتفت مضيفة بتأفف:

-وحاسب خليني أشوف اللي ورايا، أنا مش فاضية!

ثم تحركت للجانب لتتمكن من النزول..

تسمر دياب في مكانه مشدوهاً من تصرفاتها الفظة، وهتف بصوت مرتفع عليها  
تدرك خطئها:

يا ساتر يا رب! أعوذو بالله!

التفتت بسمة برأسها نصف التفاتة، ورمقته بنظرات مزدرية قبل أن تكمل  
بجمود:

-اه وابقى قول لابنك يذاكر أكثر بدل ما يطلع زيك كده!

أوقدت بكلماتها نيرانه الداخلية، فهتف بصعوبة محاولاً السيطرة على نفسه:

إتتي.....

قاطعته ببرود وهي تسرع في خطواتها لتتهبط عن الدرج:

سلام يا معلم دياب!

ضرب بكفه الدرايزون مردداً بذهول:

يا ربي، دي ايه دي، مش ممكن!

أعاد تكوير قبضة يده متابعاً بتوعد خفي:

طيب! ماشي، هانروح من بعض فين يا بنت عواطف!!

.....

تعلقت أنظار أسيف بياب غرفة الطواريء الذي اختفت من خلفه والدتها.

وضعت يدها على فمها لتكتم شهقاتها المذعورة، وظلت تأن بنواح متقطع.

لمحت إحدى الممرضات وهي تلج للداخل فأسرعت خلفها، ثم أمسكت بها من

ذراعها وقبضت عليه مرددة بتوسل:

الله يخليكي طمني عليا

أزاحت الممرضة يدها عنوة من عليها مرددة بإحتجاج:

ماينفعلش اللي بتعمله ده!  
 استعطفها أكثر قائلة برجاء وبنبرة مرتعشة بعد أن سحبت يدها:  
 أنا أسفة، بس.. بس... طمني عليا الله يكرمك، أنا.. أنا معنديش إلا هي!  
 نظرت لها المريضة بإشفاق، وردت مستسلمة لبكائها:  
 حاضر، هاشوفها واطمنك  
 انتحبت أسيف وهي تقول ممتنة:  
 متشكرة ليكي أوي، ربنا يباركلك!  
 تحركت المريضة للداخل وتبعها عين أسيف وقلبا وكل ذرة في كيانها..  
 ضمت كفيها معًا وقربتها من فمها، وتمتت بتضرع:  
 يا رب نجها، يا رب احفظها لي يا رب!

.....

وصل منذر إلى الاستقبال، وتهادى في خطواته وهو يبحث بتأني عن مكان  
 البائسة وأمها..

حرك رأسه في كل الاتجاهات محققًا بتفرس في أوجه المتواجدين.  
 تَبَّتْ أنظاره على طيفها البعيد، وتجمدت عيناه على أثرها الغير واضح.  
 تحرك للأمام بجذر، وضيق نظراته أكثر ليتأملها بتفحص وهو يدنو منها..

كانت تقف ملتصقة بالحائط تبكي وترتجف وضامة ساعديها إلى صدرها،  
منكسة رأسها بذل للأسفل.

نفخ بضيق، واتجه نحوها بنخلى أسرع نسيبًا.

ظلت أسيف تبكي غير واعية لما يحدث من حولها، يدور في رأسها فقط عدة  
سيناريوهات مخيفة إن حدث الأسوأ لوالدتها.

تعالى صوت شهقاتها، فلم تستطع كتمانها.

وقف منذر قبالتها فاستمع بوضوح لنشيجها الحزين..

أغمض عيناه لثانية، ثم أخذ نفسًا عميقًا وزفره على مهل.

أعاد فتح جفنيه، ورمقها بنظرات جامدة قبل أن يقول بصوت خشن وهو  
يقلص المسافات بينهما:

لولا الظروف الحاصلة كان هايقالي كلام تاني معاك!

رفعت رأسها ببطء لتحقق في ذلك الظل الذي غطاها، فرأته أمامها بوضوح..

اتسعت حدقتها في رعب.. وارتفع حاجبها للأعلى بصدمة مفزعة.

لقد عرفته، وجهه لم يكن بالغريب عنها. تلك الملامح المتجهمة الشرسة تذكرها  
جيدًا.

ومع كلماته القاسية المتوقعة زاد يقينها بحجم التهديد الذي باتت فيه.

جفل جسدها منه، وزادت رجفتها.

هربت الكلمات من على شفيتها، وشعرت بجفاف غريب في حلقها.  
 تابع هو حديثه الجاف مردداً بتساؤل يحمل التهم والإساءة:  
 -وكنتم جاينين تشحتوا من مين المرادي؟ ولا جاينين تحصدوا الغلة، بس مجتش  
 الليلة على هواكم؟

حدقت فيه بغرابة، وتراقصت العبرات في عينيها.  
 هي لم تفهم مغزاه من تلك العبارة الغامضة، لكنها أدركت أنه يظن بها السوء.  
 حاولت استنباط مقصده، لكنها لم تكن في حالة ذهنية تمكنها من التفكير  
 بصفاء، ووظف على هذا انعدام شجاعته - مؤقتاً - لكي تجابهه أو حتى تردعه  
 عنها.

حاولت الفرار من أمامه، لكنه كان يسد عليها الطريق بجسده ونظراته القاسية  
 والخالية من الرأفة نحوها.  
 أضاق منذر مردداً بقسوة:

حظك حلو إني بأفهم في الأصول وعارف الواجب كويس، غير كده  
 هنتحاسب على اللي فات، ماهو مش منذر حرب اللي يضحك عليه!  
 ارتعاشة قوية دبت في أوصالها خوفاً منه..

نظرت له بحيرة محاولة تفسير غرضه رغم إرتعادها منه،  
 لماذا تلك التهديدات الغير مفهومة لشخصها وهي لم ترتكب في حقه أي جرم

رفع منذر ذراعه للأعلى ليسنده على الحائط الملتصقة به مكملاً بغلظة:

-وحسائي مع اللي مسرحك إتني وأمك!

انتفضت خوفاً منه، وانكشيت على نفسها أكثر

انقذها من حصاره الوهمي صوت المرضة وهي تصيح بنبرة عملية:

عاوزينك في الاستقبال تلمي بيانات الست المصابة؟ مش اتني معاها؟

تراجع منذر خطوة للخلف مبعداً ذراعه، فتمكنت أسيف من الفرار منه،

وأسرعت بأرجل مرتجفة نحوها مرددة بصوت خائف لتنجو بنفسها:

-أنا.. أنا جاية معاك!

سألها المرضة بجدية:

- نكتب الاسم ايه؟

ظنت أسيف أنها تستفسر عن اسمها هي، فأجابتها بسجية بصوت مبحوح

متوتر:

-أسيف رياض خورشيد!

انتبه منذر لذلك الاسم جيداً الذي اخترق أذنيه بوضوح، فتحركت عيناه

بجمود على صاحبه..

تشكل محياه بتعابير مصدومة إلى حد ما..

فهو يعرف لقب ( خورشيد ) والذي يرتبط بالدكان العتيق موضع الخلاف..



وعلى حسب علمه فهو مملوك لعواطف وشقيقتها الذي توفي مؤخراً..

فمن تكون تلك؟

تساءلت المريضة مؤكدة:

ده اسم المصابة؟

هزت أسيف رأسها نافية وهي تصح قائلة:

-لا ده اسمي أنا، ماما اسمها حنان.....

زاد ذهول منذر أكثر حينما عرف الهوية الحقيقية لتلك البائسة..

ورغم ابتعادها عنه، واختفائها من أمام أنظاره إلا أنه ظل مثبتاً عيناه على ما تبقى من أثرها..

لقد تغير كل شيء الآن بظهور ابنة الوريث الأخر للدكان على

الساحة.....!!!

.....

الفصل الرابع عشر:

أسرعت أسيف في خطواتها لتسير إلى جوار الممرضة لكن قبل أن تنحرف  
للرواق الجانبي سمعت صوت إنزلاق الأبواب، فأدارت رأسها في اتجاه  
مصدره، رأت طبيب الطوارئ وهو يلج من الغرفة، فتوترت أنفاسها،  
وتوقفت عن السير.

لا إرادياً اندفعت نحوه متسائلة بتلهف:

طمني يا دكتور! ماما عاملة ايه؟

ضغط الطبيب على شفثيه قائلاً بجدية:

خير.. هي الحالة مش سهلة، بس ادعيها

كتمت شهقتها المرتعدة قبل أن تخرج من فمها بكفي يدها، وحدقت فيه بهلع.

تابع الطبيب مردداً بنبرة عقلانية:

إحنا بنعمل اللي علينا، والباقي على ربنا! ادعيها!

لم يضيف المزيد، وابتعد عنها تاركاً إياها في حالة صدمة.

شعرت أسيف بالضيق والخطر.

هي بمفردها في بلد غريب عنها، في مشفى بارد، حوائطه الكئيبة تكاد تطبق

على أنفاسها، ووالدتها الغالية توشك على ترك تلك الحياة الفانية للأبد.

ترنخت بجسدها بخوف، وعجزت عن الوقوف بثبات، فاستندت على أقرب

حائط بكف يدها لتبكي بمرارة وأسى.

حاول منذر اللحاق بها، فأها تتحدث إلى الطبيب، فتوقف في مكانه، وراقبها  
منذر بنظرات مشدوّهة..

ظل باقياً في مكانه محافظاً على مسافة معقولة بينهما..

هو يحاول أن يستوعب كم الصدمات الغير منطقية التي تحدث أمامه خاصة ما  
يتعلق بتلك الطائشة البائسة، لا يعرف لماذا علق بذهنه وصفها بكونها بائسة،

هل لأنه هو انعكاساً لها، فلم يصدق أن يراها سوى بالشحوب والحزن  
والأسف، ما أصابه بالرؤية والحيرة هو تلك الحالة المنكسرة المسيطرة كلياً  
عليها، فإن كانت لا تخشى فقد أو الخسارة ومعتادة على مواجهة الموت يومياً  
بالأعيى التي تتقنها فكيف إذن تخاف من حادثة كهذه وترتجف من رأسها  
لأخص قدميها وكأنها ترى لأول مرة الدماء والموت نصب عينيها.

مزيج خليط من أفكار غير مرتبة عصفت بعقله جعلته متخبطاً في إصدار حكم  
صائب عليها.

لكن الأعجب والمثير حقاً لفضوله هو كنيته "ابنة عائلة خورشيد"، وتلك  
معلومة هامة عليه أن يتأكد من صحتها.

أخرج هاتفه المحمول من جيبه، وسارع بمهاتفة أبيه.

.....

في نفس الأثناء، سردت عواطف للحاج طه ملابسات الحادث المؤسف  
الذي وقع في مدخل بنايتها وتسبب في إيذاء إحدى السيدات.

بالطبع كانت تهاب من المساءلة القانونية والتعرض لمشكلات هي في غنى عنها،  
لذا لجأت إليه لمساعدته، حمدت الله في نفسها وجود منذر الابن البكري له  
ليشهد بنفسه على كونها غير مسؤولة عن وقوع تلك الكارثة، وأنها كانت قضاءً  
وقدرًا..

طمأنها الحاج طه قائلاً بهدوء عقلائي:

متقلقيش، احنا معاكي يا عواطف، ودي حاجة عادية ويا ماما بتحصل  
ردت عليه بتوتر رهيب وقد زاغت أنظارها:

أنا خايفة يجرونا على الأقسام وتبهدل، وربنا المعبود الغفش كنا حاطينه  
موقتًا بس لحد ما نفضيله مكان!

أردف قائلاً بثبات:

قضا ربنا، أنا هاتصرف، وهاتكلم مع منذر ولو في آ....

لم يكمل جملته للأخير حيث قاطعه صوت رنين هاتفه المحمول، فدس يده في  
جيب جلبابه ليخرجه، ثم حدق في شاشته، وردد بحماس:

أهوو.. ابن حلال يتصل بيا

تهدت عواطف يارتياح، وهتفت بعدها بتلهف:

الله يكرمك وصيه عليا، وقوله....

قاطعها طه مشيرًا بكفه:

-استني بس أرد عليه الأول  
هزت رأسها بإيماءة طائعة مرددة بخفوت:  
-اتفضل يا حاج!

وضع طه الهاتف على أذنه متسائلاً بتريث:  
-أيوه يا منذر، إنت فين؟ لسه في المشتشفا (مستشفى) مع الست إياها  
ولا عملت ايه؟

أجابه الأخير بصوت قاتم:  
-أيوه أنا معاها في المستشفى!  
سأله طه باهتمام وهو ينظر في اتجاه عواطف:  
-أخبارها ايه؟

رد عليه منذر بجدية:  
-حالتها متسرش، بس لسه عايشة  
تهد طه بعمق قائلاً:

-الحمدلله، ربنا يسترها معاها، المهم أنا كنت عاوزك....  
لم يدعه منذر يكمل عبارته للأخير حيث هاتف بصوت جاد للغاية:  
-معلش يا حاج لو هاقطعك، بس في حاجة عرفتها ولازم أبلغك فيها

اشتدت ملامح وجه طه، وتأهبت حواسه وهو يسأله بجذر:

حاجة ايه دي؟

انقبض قلب عواطف وهي تتابع باهتمام تفاصيل تلك المكلمة الغامضة.. وأثار

ريبتها وزاد من قلقها تبدل ملامح ونبرة الحاج طه..

ابتلعت ريقها بتوجس، وتمتت مع نفسها قائلة بخوف:

استرها يا رب علينا، ده احنا ولايا ومالناش غيرك!

مالت عليها نيرمين وهمست لها بصوت خفيض:

شكل الموضوع مش هايعدي على خير

لكزتها عواطف بجذر في جانبها مرددة بخفوت:

اسكتي دلوقتي وخلينا نفهم في ايه!

تابع الحاج طه مكلمته مع ابنه متسائلاً باهتمام:

في ايه يا مندر؟

أجابه الأخير بجذر:

أنا عرفت تقريباً معلومات عن الست المرمية هنا في المستشفى!

ضاقت نظرات طه وسأله مستفسراً:

طيب ودي فيها ايه؟

أجابه مندر بغموض أثار حفيظته:

فيها كثير يا حاج!

سأله أباه مجددًا باهتمام أكبر وهو يضرب بعكازه الأرضية:

حد قريبننا يعني؟

رد عليه منذر بهدوء مريب:

-الي عرفته إن الست اسمها حنان، وبنتها تبقى بنت رياض خورشيد

كرر طه بلا وعي اسم الرجل الذي أثار اسمه انتباه جميع حواسه:

-رياض خورشيد!

اخترق الاسم مسامع عواطف وابنتها، ونظرت كلاً منها للأخرى بنظرات

مصدومة ومذهولة..

عاودت عواطف التحديق في الحاج طه بخوف بائن على وجهها، وهتفت بلا

وعي وهي تحاول السيطرة على انفعالاتها واستيعاب الصدمة:

-هاه، ر.. رياض، قصدك أخويا؟

سأله طه مجددًا محاولاً التأكد من صحة تلك المعلومات التي أخبره بها بعد أن

رأى تأثير عباراته على عواطف:

-انت متأكد يا منذر؟!

أجابه ابنه وهو ينفخ في ضيق:

ده اللي سمعته منها!

دنت عواطف من الحاج طه، ورمشت بعينها متسائلة بهلع:

مين يا حاج طه؟ قولي؟

هز رأسه بإيماء واضحة مردداً بجدية:

-استنى شوية يا منذر أما أعرف من عواطف، هي واقفة قصادي

أناه صوت ابنه قائلاً بإيجاز عبر الطرف الآخر:

طيب!

أبعد طه الهاتف عن أذنه، ثم حلق في عواطف بنظرات عميقة متسائلاً

بثبات:

-انتي تعرفي واحدة اسمها حنان؟

خفق قلبها بقوة فور سماعها للاسم، شكوكها باتت مؤكدة الآن، وهتفت متممة

بارتباك كبير:

-حنان!

تابع طه متسائلاً باهتمام:

- أخوكي رياض عنده بنات؟

هزت رأسها بحركة قوية مرددة بلهفة:

-ايوه، بنته أسيف، ومراته اسمها حنان



وضع طه الهاتف على أذنه مجدداً، وهتف بنبرة جادة وأنظاره مثبتة على عواطف المدعورة:

طلعت عارفاهم يا منذر! اخوها عنده بت اسمها أسيف، ودي مراته!  
تيقن منذر من صدق حدسه عقب تلك الجملة التأكيدية، واستمع إلى صوت نواح وعويل عواطف المتواصل..

رد على أيه متسائلاً بصوت جاد:

-والمطلوب مني ايه؟

أجابه طه بصرامة:

أوعى تسديهم، تقف جمهم وتتصرف لو في أي حاجة!

لطمت عواطف على صدرها مرددة بصدمة مفزوعة وهي تلتفت حول نفسها:

يا نصيبي؟ هي.. هي اللي في المستشفى تبقى.... تبقى مرات المرحوم، يا لهوي، يا واقعة منيلة، يا خرابي المستعجل! أنا عاوزة أروح لهم دلوقتي، وديني عندهم يا حاج

أضاف طه قائلاً بنبرة شبه آمرة محذراً ابنه:

-سامع يا منذر خليك معاهم لحد ما نجيلك، واحنا مسافة السكة وهنكون عندك!

رد عليه منذر باقتضاب:

ماشى يا حاج!

تابعت عواطف نواحها مرددة بتحسر:

يا لهوى، ييقوا كانوا جاين عشاني وعشان الدكان، جت حنان لقضاها هنا! أه  
لو كنت أعرف، آآه!

حذرها طه قائلاً:

اهدي شوية يا عواطف، مش كده!

أكلت هي عويلها بأسى:

- لا إله إلا الله! لطفك بينا يا رب، نجيبها من عندك يا رب!

انزعج طه من حالة التهويل الزائدة التي سيطرت عليها، وهتف بجدة قليلة:

جرى ايه يا عواطف، ماقولنا بلاش نواح، خرينا نروح الأول المشتشفا  
ونشوف في ايه!

حركت رأسها بالإيجاب مرددة بصوت مختنق أسف:

اه يا حاج، وديني عندها، حسرة قلبي عليها!

هتفت نيرمين هي الأخرى وهي تهدد صغيرتها برفق:

أنا جاية معاكو

رد عليها طه بإيجاز وهو يشير بعكازه لها:

تعالى!

اتجهت بسمة إلى منزلها وهي تبرطم مع نفسها بكلمات متدمرة.

لم يعبأ ببالها حالة الهرج الموجودة بالمنطقة، فقد كانت تفكر فيما دار بينها وبين دياب من مشادة أخرى كلامية، ابتسمت لنفسها بزهو لتمكنها من الرد عليه بجرأة فتمكنت من رد اعتبارها واستعادت كرامتها حينما جاء ليهددها في عقر دارها، تباطأت خطواتها حينما رأت سيارات الشرطة وأفرادها يحاصرون البناية، فحدقت فيه ياندهاش.

تساءلت مع نفسها متعجبة:

هما يعملوا ايه عندنا؟

شهقت بقلق متممة لنفسها بعد ان طراً ببالها اعتقاد ما:

-لأحسن يكون البيت جاله إزالة ويخلوه، مش هايحصل، مش هانسيب بيتنا!

ولكن استبعدت تلك الفكرة تماماً عن اعتقادها حينما هدر الجزار عاليًا بشماتة:

-اللهم احفظنا، عمارة سكانها فقر، مصاحبين عزرائيل، الداخل عندهم مفقود!

التفتت نحوه وحدجته بنظرات مميتة، ثم صاحت به بشراسة مهددة بذراعها:

جري ايه يا جدع انت! مش هاتلم نفسك ولا استحلطت نومة البورش!

نهض عن مقعده قائلاً بفضاظة:

-النومة دي هاتطولها قريب لما ياخدوكي كلا بوش يا ست الأبهة مع أمك  
وأختك!

ردت عليه بجدة قوية وهي ترمقه بنظرات نارية:

قطع لسانك الزفر ده!

نظر لها شزرًا، وتابع ببرود مستفزاً إياها أكثر:

-هو أنا جايه من عندي، صحيح تقتلوا القليل وتمشوا في جنازته!

حدجته بنظرات احتقارية، وهمست لنفسها بضيق:

-بيخطر الف راجل ده ولا باينه اتجنن ومخه اتلحس من الحبس!

صاحت فيه بقوة متعمدة إهائته:

-أنا غلطانة اني بأعبر واحد زيك وبأتكلم معاه! ده انت تشبهني بشكلك!

اشتعل وجهه من ردها الغليظ، وكور قبضته بغل، وقبل أن ينبس بكلمة

زائدة كانت هي قد انصرفت من أمامه..

تابعت سيرها حتى وصلت إلى تلك الحواجز الحديدية التي تسد الطريق

المؤدي لمدخل البناية..

رأت عدداً من أفراد الشرطة يطوقون المكان، ويمنعون كل من يقترب منهم..

وقفت قبالة أحدهم، وسألته بجدية وهي تجوب بأنظارها المنطقة:

في ايه يا شاويش، انت قافل السكة ليه؟

أشار لها العسكري بيده مرددًا بحسم:

-ممنوع يا ست!

هتفت معترضة عن منعه إياها من المرور قائلة بإستغراب:

-أنا داخلة بيتنا

صاح بصرامة وهو جامد التعابير:

-ممنوع، أما البيه وكيل النيابة يؤمر!

سألته مندهشة:

-الله! ليه بس؟

أجابها بنبرة رسمية:

في حادثة حصلت جوا، وبيعانوا المكان كله!

قطبت جبينها مندهشة مما سمعت، ورددت متسائلة بغرابة:

حادثة ايه دي؟

.....

ولجت أسيف إلى داخل إحدى الغرف الجانبية خلف الممرضة التي أعطتها

ورقة خاوية طالبة منها بجدية:

-املي البيانات دي يا آنسة، وشوية وهايحي الظابط ياخذ أقوالك!

حركت رأسها بإيماءة خفيفة مجيبة إياها بنبرة مرتعشة ومبحوحة:

ح.. حاضر

تابعت المريضة مضيئة بجمود:

-وبعدها تروحي الحسابات، هاتحطي دفعة تحت حساب لحد ما نشوف

هيحصل ايه بعد كده!

ابتلعت أسيف ريقها بتوتر بعد جملتها الأخيرة، فقد كانت لا تحمل من الأموال

ما يكفي تغطية مصروفات المشفى، فهي لم تتوقع وقوع هذا الحادث المأساوي

لأمها.

تهدت بعمق وهمست بارتباك:

ماشى، بس أطمئن على ماما الأول!

ردت عليها المريضة بجفاء قليل غير مكترثة بمشاعرها الحالية:

ده مالوش علاقة، لازم تدفعي، النظام هنا كده

توسلتها أسيف بصوت خفيض:

طب ماينفعش نأجله شوية، أنا معايا فلوس، بس مش دلوقتي، يعني في

اللوكاندة و...

قاطعتها المريضة بتأفف وهي عابسة الوجه:

يا آنسة لو عليا هاسيها هنا وبلاش، بس أنا بأوعيكي مدير المستشفى مش هاسيب أمك من غير ما تدفع دفعة تحت حساب!  
استنكرت أسيف تلك الإجراءات التعسفية المتبعة في هذا المشفى، وعدم رأفة مديرها بالمرضى المتواجدين هنا وأصحاب الحالات الحرجة، فهتفت معترضة:

ده انتو مستشفى حكومي؟ مش خاص ولا آ...

قاطعها المريضة مصححة وهي تشير بسبابتها:

اه حكومي، بس نضيف شوية وعندنا خدمة مميزة، مش مجاني زي برا!  
حاولت قدر الإمكان إقناع المريضة بتأجيل مسألة دفع النقود ريثما تتمكن من تدبير أمورها، لكن أبت الأخيرة الانصياع لها، فهي ملزمة بقوانين المكان الذي تعمل به.. في النهاية هتفت باستسلام محبط:

ماشى، هاتصرف

ملأت البيانات بعقل شارد، هي تفكر في وسيلة لإحضار المال، ولكنها في نفس الوقت لا تستطيع ترك والدتها بمفردها دون أن تكون إلى جوارها في أصعب لحظاتها..

تابعها المريضة بنظرات غير مبالية بجالتها، فهي ترى يوماً عشرات الحالات من أمثالها، فإعتادت ألا تشفق على أحد.. وتعلمت أن الحياة بطبيعتها قاسية، لا ترحم أحداً.. هي فقط تؤدي عملها..

-استني!

صاح بتلك الكلمة الآمرة منذر وهو يقف على عتبة مدخل الغرفة.  
استدارت أسيف في اتجاهه لتتظر نحو صاحب الصوت بعينين دامعتين فلم  
تلبث أن اكتسيتا بالدهشة..

انفجرت شفيتها الجافتين بتعجب من رؤيته بقسوته وغلظته يقترب منها...

تجاهل منذر أسيف، وسلط أنظاره على المريضة متابعًا بجمود جاد:

-الكلام معايا أنا!

ارتعدت قليلاً من حضوره القوي، وهمست بصوت هامس شبه خائف:

-انت!

تساءل منذر بصلاية وهو يبحث بجدية عن الأوراق الخاصة بالمصابة:

فين الحسابات بتاعتكو هنا؟

ثم ركز عيناه الحادثين على أسيف ليكمل بحزم:

-أنا هادفع لأمها!

أجابته المريضة بابتسامة متكلفة:

أول طريقة على شمالك يا حضرت، الأوضة في الآخر



صدمت أسيف مما قاله، هي لم تتوقع أن يأتي ذلك الشخص تحديداً ويقدم لها العون في هذا الوقت العصيب.. نظرت له مذهولة، وطالعتة بغرابة عجيبة، رمقها منذر بغموض، وتأمل تعبيراتها المصدومة بجمود أغرب..

كانت على وشك الحديث رافضة لعرضه لكنها تفاجأت به يتجاهلها ويوليها ظهره وكأنها نكرة، هي لا تحتاج للإحسان أو الشفقة من أحد، وهو يعتمد معاملتها بتلك الطريقة الدونية كما لو كانت تتسول منه.

استدار عائداً من حيث أتى، فسارت بخطى سريعة خلفه مرددة بارتباك:  
لو سمحت..

أكمل سيره غير عابئ بها فتحوّلت طبيعتها المسالمة تدريجياً إلى الضيق.  
كانت تخطو بخطوات أقرب إلى الركض لتكون إلى جواره، وأكملت قائلة بصوت متحشرج:

-أنا بأكلمك يا أستاذ، أنا مش بأشحت منك ولا عاوزه صدقة من حد!  
توقف عن السير فجأة، والتفت نحوها ليحدجها بنظرات قائمة، أتدعي عدم التسول وهي محترفة في تلك المهنة ( أو هكذا ظن ).

تجمدت في مكانها، وابتلعت ريقها بصعوبة متابعة بنبرة مدافعة عن نفسها:  
-الحمد لله مستورة معانا، وأنا.....

رفع منذر كفه أمام وجهها ليجبرها على الصمت، ثم هتف قائلاً بغلظة:  
-الي بأعمله شيء يرجعلي، أنا بس اللي أقرر....

قاطعه قائلة يا صرار:

-لا يا حضرت! ده موضوع يخصني

حدث نفسه بامتعاظ وهو يرمقها بنظرات احتقارية:

-اعتبري اللي بيعمل خير بيكمله للأخر

نظرت له بإنزعاج من طريقة نظراته المهينة لشخصها

وتساءلت مع نفسها بحيرة دون أن تنطق:

-أنا مش فهناك بصراحة، إنت ايه بالطبط؟

حدقت فيه بنظرات مطولة متعجبة، فهو يجمع بين النقيضين.. القسوة

والرحمة، الشدة والعطف، التهديد والأمان..

ولكن سريعاً ما تلاشى تحديقها المستغرب لتتبدل نظراتها للحدة والحنق حينما

أردف قائلاً بشراسة:

-بس اللي مستغربه إن واحدة من عيلة خورشيد تقبل تشتغل كده

سألته بنبرة شبه غاضبة:

-قصدك ايه؟

أجابها بجفاء وقد زاد عبوس وجهه:

-ماتعمليش عبيطة اتى فاهمة كويس!!

ثم تركها وتابع سيره دون إضافة المزيد..

لحقت به مرددة بتذمر من طريقته الفجة في الحديث:

استنى لو سمحت إنت بتكلم عن ايه؟

وفجأة ارتفع ضجيج شجار ما من على مسافة قريبة منها.

توقف الاثنان عن الحديث والتفتا نحو مصدره، وقف أحد الأشخاص في بداية الرواق ممسكاً بعصا غليظة في يد، وسلاح حاد ( ما يشبه الساطور ) في اليد الأخرى، وتجمع من خلفه عدد من مؤيديه.

تفرس منذر في وجه ذلك البلطجي بقلق واضح، فهو يعرف تلك النوعية من الأفراد حادي الطباع حينما يأتون للمشفيات، بالطبع يكون السبب وفاة أحدهم واعتقادهم أنه لم يتلق الرعاية الطبية المناسبة.

تسمرت أسيف في مكانها مصدومة مما تراه، فقد كانت سابقتها الأولى والتي ترى فيها على أرض الواقع شجار فعلي عنيف.

صاح الشخص قائلاً بصوت جهوري:

هاتولي الضاكتور اللي هنا، مش سايبه قبل ما أخلص عليه!

لم يجرؤ أحد على إعتراض طريقه منذ إقتحامه وهو أفراد جماعته للمشفى..

فقد باغتوا الجميع بهجومهم الشرس على العاملين به، وكالوا لهم بالضرب والركل والتدمير ما جعلهم يتراجعون فوراً ويفرون من أمامهم.

حاول أفراد الأمن التدخل لكنهم لم يتمكنوا من صدمهم، فقد فاقوهم عدداً..

أكمل الشخص الغاضب صراخه المنفعل:

مش هامشي من هنا غير لما أخذ روحه، بقى ابني يموت في ال..... دي  
وتقولولي قضا ربنا! أو مال أمه ولدته هنا ليه؟ وحاطتوه في حضانة ليه؟  
انتبه منذر لصوت ممرضة مرتجفة تقف على بعد خطوتين منها مرددة لزميلتها  
بخوف:

مش ده الراجل اياه، اللي ابنه مات في الحضانة امبارح!  
أجابتها بصوت مرتعد:

اه هو.. حلفان ليموت الدكتور ومدير المستشفى وكل واحد كان ليه علاقة  
بالموضوع!

تابعت الممرضة الأولى قائلة بجدية:

بس ده نصيبه، الولد أصلاً مولود قبل ميعاده بكثير، وكان عنده مشاكل  
صحية كثير وحالته حرجة، يعني كده كان هيموت!

ارتعاشة قوية دبت في أوصل أسيف وهي تتابع ذلك المشهد العنيف بخوف  
أكبر، لم يطل البلطجي في صياحه المهدد، بل إندفع كالثور الهائج - وبلا وجهة  
محددة - لينقض على من تطاله يده ويعتدي عليه بشراسة.

تبعه أفراد جماعته وأكملوا اعتدائهم الوحشي محطمين في طريقهم محتويات  
المشفى من مقاعد وأدوات وسلات مهملات.

استدار منذر برأسه نحو أسيف ليحرق بها بقلق كبير، هو يعلم أن هجوم كهذا  
لن يمر على خير وسيخلف ورائه مصابين وجرحى و.....!!



الفصل الخامس عشر:

أنهت ولاء مكالمة هاتفية موجزة مع مازن أخبرها فيها بأنه سيعقد قرانه عليها رسمياً الليلة ليتزوجا فعلياً وليس بعقد عرفي.

قفز قلبها من السعادة، وركضت ناحية والدتها مرددة بفرح:  
حصل يا ماما، حصل خلاص!

سألتها شادية بإستغراب وهي عاقدة ما بين حاجبيها:  
هو ايه؟

أجابتها بتلهف وهي تضم قبضتي يدها إلى صدرها:  
مازن هيتجوزني رسمي النهاردة

ابتسمت أمها بزهو، ورددت بتفاخر:  
مش قولتلك!

لوحت ولاء بكف يدها في الهواء مرددة بحماس:  
محتاجة أحضر حاجات كتير وآ....

قاطعتها والدتها بجمود جاد:

مالهاش لازمة، أهم حاجة يبقى معاكي ورقة رسمي تضمن حقوقك!  
تساءلت ولاء بقلق خفيف:

حطب ويحيي؟

أجابتها شادية بهدوء وثقة:

من بكرة هاكلم المحامي وأخليه يشوف ايه المطلوب من اجراءات لنقل  
الحضانة ليا، وأهو نبقي مأمنين نفسنا!

اتسعت ابتسامتها السعيدة هاتفة:

-كده صح يا ماما

ثم ضاقت نظراتها، واشتدت تعابير وجهها نوعًا ما. قالت هي من بين أسنانها  
بغيط قليل:

-ياما نفسي أشوف شكل دياب لما يعرف ده

حذرتها والدتها قائلة بنبرة عقلانية:

-اهدي وماتستعجليش، استني لما نعمل كل حاجة في الدرى، وبعدها يعرف  
براحته

أومأت برأسها إيجابًا وهي تردد:

-تمام، هاصبر واستنى!

.....

تأججت الصدمات العنيفة بين العاملين بالمشفى الحكومي والبلطجي  
الغاضب، لم يرتدع أفراد جماعته من التهديدات المحذرة بالقبض والحبس بل  
استمروا في التخريب.

تلفت منذر حوله بنظرات سريعة محاولاً البحث عن مكان لتخبئة تعيسة  
 الحظ قبل أن يتفاهم الوضع ويتجهوا للإشتباك معهم، فهم لا يفرقون بين أحد..  
 تفاجأت أسيف بذلك الغريب يقبض على ذراعها بيده القوية، فحدجته  
 بنظرات حادة للغاية مستنكرة فعلته، وقبل أن تنفرج شفيتها لتخرج كلماتها  
 الغاضبة الراضة لحركته الجريئة وجدته يجذبها خلفه مردداً بصوت صارم للغاية:  
 تعالي معايا

قاومته مرددة بصوت متحشرج مصدوم:

إنت.. لو سمحت!

وقعت عيناه مصادفة على إحدى اللافتات، فقرأ لافتة ( غرفة الممرضات )  
 معلقة على حائط حجرة قريبة، فطراً بباله الاختباء بها واصطحاب ابنة  
 خورشيد معه للحمايتها.

تساءلت أسيف مجدداً بخوف وهي تحاول تخليص ذراعها من قبضته الغليظة:  
 إنت واخديني على فين؟

دفعها بقوة للأمام نحو باب الغرفة، ثم أجابها بغموض أمر:

خشي جوا!

ما كان منها إلا إتباع أمره رغم اعتراضها لكنها كانت ترى الوضع المتأزم  
 بالخارج، مشادات كلامية حادة، واشتباكات بالأسلحة البيضاء والعصي،



إذن الأسلم لها الابتعاد تَوًا، تناست - رغماً عنها - مؤقتاً قلقها المفزوع على  
صحة والدتها نتيجة للصدمة المفاجأة المهددة بإهدار حياتها.

ولج منذر للداخل خلف أسيف، وأغلق الباب، فاعترضت الممرضات  
المختبئات بالغرفة على تواجد الاثنيين معها.

هتفت إحداهن قائلة بعصبية رغم خوفها:

-ممنوع تيجوا هنا! اتفضلوا برا!

رد عليها منذر بانفعال وهو يشيح بيده:

-انتي مش شايفة اللي بيحصل برا؟!!

هتفت قائلة بنبرة مرتفعة:

-دي أوضة التمريض، للعاملين بس هنا، مش لـ....

قاطعها منذر مردداً بصرامة:

-ششش! اسكتي، احنا هنفضل هنا غصب عنكم

ثم سلط أنظاره على أسيف وتابع بحسم غير قابل للنقاش:

-وخصوصاً هي!

توترت بشدة عقب جملته الأخيرة، ونظرت له مدهوشة من صرامته الغريبة

نحوها وكأنه يمتلك زمام أمرها.

لم تفق أسيف بعد من اندهاشها الصادم إلا على صوت دفعة قوية للباب الذي ضرب ظهر منذر بقسوة فإندفع نحوها كردة فعل طبيعية ليرتطم بها دون قصد.. ضرب صدره جسدها فشهقت مذعورة، وتلون وجهها بحمرة كبيرة، اضطربت بصدمة مما حدث، وحدثت فيه بتوتر رهيب..

تمالك منذر نفسه سريعاً وتراجع مبتعداً عنها للخلف شاعراً بالخرج منها. هو يعلم أن الأمر غير مقصود، لكنه لا يجذب أن يكون في مثل تلك الأوضاع الحرجة.

لم تتخيل أسيف نفسها أن تكون في موقف كهذا أبداً، بل لم تجرؤ على التفكير في حدوث ذلك في أحلامها الوردية.

ابتعدت بنجل شديد عنه لتدنو من الممرضات لكنها باتت مكشوفة لأحد البلطجية الذين اقتحموا الغرفة وأعينه تطلق شرراً مستطراً  
اختفى ذلك الإحساس المنزعج من اقترابه الغير مقصود منها فوراً ليحل بدلاً عنه شعوراً بالغضب والشراسة حينما رأى البلطجي يصيح بنبرة مهددة:  
هاجيب رقابتكم!

تجمدت أنظار البلطجي على أسيف، خاصة وأن ثيابها كانت ملطخة بالدماء، فظن أنها واحدة من طاقم التمريض التابع للمشفى. وبالتالي الإعتداء عليها سيكون كأخذ للثأر ونيل رضا رب عمله الذي أتى به إلى هنا.

قرأت أسيف في عينيه الشرستين توعدت عدائية مهلكة، فقفز قلبها في  
قدميها هلعاً منه، وانكشيت على نفسها أكثر، تراجعت ببطء للخلف، ورغم  
ذلك لم تبعد عيناها المذعورتين عنه.

تحرك البلطجي للداخل بوجه قائم مكفهر للغاية، استدار منذر ليواجهه،  
وسد بجسده الطريق عليه مانعاً إياه من المضي قدماً، وهاتفاً بتحدٍ سافر وهو  
يحدجه بنظرات مظلمة مخيفة:

خطوة واحدة كمان لجوا، ورقبتك هاتكون تحت رجلي!

رد عليه البلطجي ساخرًا منه:

ومين المحروس اللي بيتكلم؟

رد عليه منذر بوعيد صريح وهو يشمر عن ساعديه:

-المحروس ده هايعرفك بنفسه هو مين!

.....

في نفس التوقيت، وصل الحاج طه وبصحبته عواطف وابنتها والرضيعة إلى  
المشفى، تفاجأ هو بحالة الهرج السائدة بالخارج والصراخ الصادر من أروقة  
المبنى، فتساءل متعجبًا وهو يتلفت حوله:

هو ايه اللي بيحصل هنا؟ في ايه يا ناس؟

أجابه أحدهم بصوت لاهث:

-بلطجية هجموا على المستشفى!

شهمت عواطف بفرع وهي تلطم على صدرها:

ايه، يا لهوي بالي! عشان تبقى كملت!

حفظ الحاج طه بعينه مرتعداً على ابنه المحبوس بالداخل، خشي من حدوث

الأسوأ له. وبلا تردد في التفكير أسرع بإخراج هاتفه المحمول من جيب

جلبابه، وهاتف ابنه دياب قائلاً بصياح:

انت فين يا دياب؟

أتاه صوته على الطرف الآخر مردداً بهدوء:

في البيت يا أبا، خير في حاجة؟

أجابه طه بصوت حاد ومزعوج:

لم الرجالة وتعالى بسرعة على مشتشفا ((...))، أخوك بيضارب هناك!

صاح دياب مذهولاً وبجزم:

منذر، جايلك طوالي أنا والرجالة!

وبالفعل لم يكذب دياب خيراً حيث بدل ثيابه المنزلية بأخرى وهو يركض

بلهفة نحو الخارج وهاتفاً أحد رجال وكالتهم ليأمره بجمع أكبر قدر من رجاله عند

المشفى الحكومي.

.....

صرخت الممرضات بفزع كبير حينما رأين ذلك البلطجي يقتحم الغرفة مهدداً  
بقتلهن، تصدى له منذر، وجابهه قائلاً بصوت محتد:

وربنا لأندمك على كلامك!

رد عليه البلطجي بنبرة عنيفة:

ده أنا هاشقك نصين!

ثم رفع سلاحه الأبيض عاليًا مهدداً بضربه به، لكن كان منذر الأسرع في  
الإمساك برسغه ليثبته قبل أن يتهاوى به عليه.

صاحت أسيف والممرضات عاليًا بصراخ مرعوب حينما رأين ذلك العنف  
المفرط نصب أعينهن.

لكز البلطجي منذر في جانبه بركبته القوية بعنف رهيب، فتأوه الأخير متألمًا  
بشدة من إثر الضربة وانحنى للأمام بجذعه لكنه لم يفلت يده عن معصمه،  
وظل قابضًا عليها بكل قوته.

وضعت أسيف يدها على فمها لتكتم صوت شهقاتها المرتعدة، وتراجعت مع  
البقية لأقصى زاوية بالغرفة راهبة ذلك المشهد المخيف.

جاهد البلطجي لإفلات يده المسكة بالسلاح الأبيض لكنه عجز عن هذا فقد  
كانت مشبثة بإحكام، ومع هذا التوى ثغره بابتسامة متشفية وهو يرى أثر  
ضربه على ذلك الجريء الغامض، وتابع اعتدائه على منذر، لكن الأخير  
استغل فرصة اقترابه الشديد منه، وسدد له برأسه ضربة قوية مباغطة في

مقدمة جبينه جعلت توازنه يختل ويترنح، عاود تكرار الضربة بشراسة أكبر وكأنه استجمع كل قواه الغاضبة وركزها في تلك التسديدة العنيفة. وأعقبها بلكمة عنيفة من يده نحو فكه، زاد ترنح البلطجي وتراخى ذراعه، وبدأ في حالة غير متزنة.

جذب منذر إحدى المزهريات المعدنية القريبة منه، وانهاled بها أولاً على رأسه، ثم على كتفه، وجانبه، وذراعه الأخر بضربات متلاحقة ومنتالية ليفقده قواه بالكامل..

في أقل من ثوانٍ معدودة كان مسيطراً كلياً عليه.

تنفست المرضات الصعداء لوجوده معهن، فقد تمكن من حمايتهن قبل أن تطالهن أيدي ذلك البربري المتوحش.

لوى منذر ذراع البلطجي خلف ظهره، وأسقطه عنوة على الأرضية ممدداً جسده عليها، وجثى فوقه مثبتاً إياه بركبته القوية، ضربه بعنف شرس في ظهره قائلاً بعصبية:

هاعرفك منذر حرب هايعمل ايه؟

صرخ البلطجي بصعوبة من بين شفثيه الملتصقتين بالأرضية:

أنا ماليش دعوة، أنا جاي مع سيدنا ناخذ بتار ابنه!

رد عليه منذر بصوت متوعد وهو يضغط أكثر على فقرات ظهره مسبباً له الألم الموجه:

غلطت لما جيت تاخده مني ومن اللي يخصني!

( يخصني ) أثارت تلك الكلمة حفيظة أسيف، هي ليست تابعة له، ولا علاقة لها به من قريب أو بعيد ليردد هذا بثقة. لذا من أين اكتسب هذا اليقين؟ مجرد صدف متتالية جمعتهما سوياً، ومواقف عصبية فُرضت عليهما ليكونا معاً، فكيف يجزم أمراً كهذا وكأنه يعرفها منذ زمن وهناك روابط وصلات عميقة بينهما.

.....

على الجانب الآخر، وقفت عواطف إلى جوار ابنتها في الخلفية لاعتنة الحظ العثر الذي يلحق بعائلتها، والنحس الملازم لها، فلم تكد تخرج من مصيبة حتى تلحق بها الأخرى.

هتفت نيرمين بجزع:

شكلها هتولع على الآخر لو ابن الحاج طه جواله حاجة جوا

ردت عليها بتذمر:

-كنا ناقصين ده كمان، مش كفاية مرات المرحوم وبنته اللي مش عارفين عنهم  
حاجة!

حركت نيرمين فمها للجانبين قائلة بتخوف:

-ربنا يسترها معاهم كلهم

يا رب أمين !

كذلك تجمع العشرات من رجال الحاج طه ومحبيه حول المشفى محملين  
بالعصي الغليظة والجنازير والأسلحة البيضاء - وعلى رأسهم دياب - من أجل  
التدخل والاشتباك مع عصابة ذلك البلطجي.

صاح دياب بصوت جهوري في رجاله:

لو شعرة واحدة اتمست من أخويا هتتحاسبوا انتو!  
رد عليه أحدهم بجدية:

اطمن يا سي دياب، الرئيس مندر هيطلع منها بخير  
وأضاف آخر بصوت مرتفع ومتحمس:

-وراك رجالة يا حاج طه

استنفر الجميع، وتأهبوا للهجوم فورًا على المشفى..

وقبل أن ينطلقوا نحو مدخل المشفى كانت سيارات الشرطة تطوق المكان.

ترجل أحد الضباط من إحدى السيارات صائحًا بصوت آمر:

-ايه اللي بيحصل هنا؟ هي مش فوضى!

رد عليه دياب بغلظة:

-أنا مش هاستنى لما ألاقى أخويا مقتول جوا وأنا واقف برا بتفرج عليه

نهره الضابط مرددًا بجزم صارم:



- احنا هنتصرف بالقانون، اتفضل خد رجالتك وابعد وإلا هاقبض عليكم كلكم!  
 هنا تدخل الحاج طه مانعاً ابنه من التهور قائلاً بجذر:  
 -استنى يا دياب نشوف البيه هايعمل ايه  
 اعترض دياب قائلاً بصوت محتاج:  
 يا أبا....

حدجه بنظرات حادة للغاية تحمل الصرامة وهو يردد مقاطعاً إياه بإيجاز حاسم:  
 دياب! هي كلمة!

على مضض كبير، وبصعوبة بالغة اضطر دياب أن يرضخ لأمر أبيه، وتراجع  
 عدة خطوات للخلف ليبقى إلى جوار رجاله.

واصلت عواطف دعواتها الخفية لعل الله يستجيب لها ولا يحدث الأسوأ.

.....

تهدت الممرضات يارتياح وتنفسن الصعداء لتمكن منذر من تقييد حركة ذلك  
 المعتدي وفرض سيطرته الكاملة عليه.

وبالطبع لم يتوقف هو عن ركله ولكزه وإيلامه كنوع من التعنيف القاسي  
 لتجراه على شخصه.

هتفت إحداهن ممتنة:

-كثر خيرك على اللي عملته، امسكه كويس بس!

بينما أضافت أخرى بتوتر وهي تشير بيدها:

اه، احنا هنبليغ الأمن

وعلقت ثالثة بصوت متلهف شبه خائف:

-يوه، بسرعة يالا!

وزع منذر أنظاره عليهم مردداً بثقة مغترية:

ماشي نادوا أي حد لو برا، أنا مكتفه كويس!

ثم سلط أنظاره متعمداً على أسيف ليضيف بتباهي:

-المفروض متخافوش، إنتو معاكو منذر حرب!

رمقته أسيف بنظرات غامضة، ولم تعلق مثل الأخريات عليه، فقد

استشعرت غروره الواضح وتفاخره الزائد أمامها، واكتفت بالتنحي في أقصى الزاوية بالغرفة.

لمحت هي بطرف عينها وجود باب جانبي موارب قليلاً يطل على غرفة ما،

فأشرأبت بعنقها لترى ما بداخله بجذر. اكتشفت أنه المرحاض، فأسرعت

نحوه لتختبئ به، وأوصدت الباب خلفها.

كان ملاذها الوحيد لتبقى آمنة من أي خطر خارجي أو داخلي يهددها،

هكذا ظنت في نفسها.

وقفت أمام المرأة تطالع هيتها المزرية، فأخرجت من صدرها زفيراً منهاً.  
لم تتوقع أن تمر بكل تلك الظروف العصبية في وقت قصير.

أن تكون والدتها بين الحياة والموت، وأن تصبح هي على شفا حفرة من الموت، بكت عفويًا متأثرة بكل شيء.

هي "أسيف" مثلما أطلق عليها أبيها (رقية القلب سريعة البكاء)، مدت يدها لتفتح الصنبور ونثرت المياه على وجهها، ثم سحبت بعض المناشف الورقية لتجففه به، حاولت أن تضبط أعصابها لتفكر بروية في فيما ستفعله.

رتبت أفكارها بتأنٍ؛ هي عليها أن تخرج من محبسها لتطمئن على حال أمها، وبعدها تحضر الأموال المطلوبة لسداد قيمة فاتورة المشفى من الفندق، ثم تبقى إلى جوار والدتها حتى تتماثل للشفاء.

.....

رتب ضباط وأفراد الشرطة خطة سريعة وعاجلة لإقتحام المشفى وانقاذ من به.. وبالفعل بدأوا التنفيذ.. ودخلت مجموعات منظمة للإستقبال، وتدريبياً سيطروا على الوضع الراهن وأمسكوا بمن تطاله أيديهم.

فلم تكن تلك العصابة بمحترفي الإجرام، وإنما مجموعة متنوعة ما بين الخارجين عن القانون أو المجاملين للبلطجي الغاضب. فاستطاعوا بحرفية إلقاء القبض على عدد كبير منهم.

وفي الأخير استسلم قائده يائساً بعد تنفيسه عن غضبه المشتعل، وتم تكبيله بالقيود المعدنية واقتياده للخارج.

.....

طال تفكير أسيف بداخل المرحاض حتى لم تعد شاعرة بالوقت، لكنها انتفضت فزعة في مكانها حينما سمعت تلك الدقات القوية على الباب مصحوبة بصوت حاد وآجش:

مش هاتفضلي حابسة نفسك جوا كثير، اطلعي، معدتش في حاجة تخوف!

انزعجت من ظنه أنها تهابه، لن تنكر أنها شعرت بهذا في البداية، لكن مع الصدمات التي يمر بها الإنسان يتعود تدريجياً أن يكون أقوى، ويتعلم كيفية البقاء وسط غابة الأشراس.

دق بعنف أكبر على الباب مردداً بصوت صارم:

يا لا يا بنت خورشيد!

أغضبتها طريقته المستفزة، فاتجهت نحو باب المرحاض لتفتحه بجدة.

وجدته واقفاً أمامها يحدجها بنظرات قائمة، فهتف فيها بضجر وهو عابس الوجه:

المولد اتفض!

دقت النظر بعينها للخارج فلم تر أي أحد بالغرفة. فتساءلت باستغراب

متقطع:

-أومال... اللي كان....

أجابه بنفاذ صبر:

-زمانت البوليس بيروق عليه!

تذكرت حال والدتها فجأة، وأنها تناستها أكثر من اللازم، فأتسعت عيناها بشدة، ووضعت يدها على فمها كاتمة شهقتها ومرددة بصوت غير واضح:

ماما!

اندفعت للخارج دافعة منذر من كتفه بأقصى قوتها فخدجها بنظرات غريبة متعجبة من تبدل حالها في ثوانٍ معدودة.

هرولت في الرواق باحثة عن أمها وهي تلوم وتوبخ نفسها بشدة لتقاعصها عن متابعتها، شعرت أنها خذلتها لمجرد تفكيرها في نفسها، نزلت إلى الاستقبال تفتش عن يرشدها عنها.

تفاجأت بوجود حشد من رجال الشرطة بالمبنى.

وقعت عيناها على المريضة التي أبلغتها بمليء الأوراق، فركضت نحوها، واقتربت منها، ثم هتفت بصوت لاهث:

لو سمحتي!

التفتت المريضة نحوها، ووقفت قبالتها متأمة إياها بنظرات منزعجة.

سألها أسيف بتلهف:

ماما، متعريفش حصلها ايه، الحاجة حنان اللي كانت في الطواريء و....

تذكرتها الممرضة على الفور فردت عليها باقتضاب:

-ايوه عارفها

سألته أسيف مجدداً بتخوف:

هي عاملة ايه طمنييني الله يكرمك، انا اتلبخت في الراجل اللي هجم علينا

و....

ردت عليها الممرضة مقاطعة بجمود:

-اه فاهمة، هي عموماً اتنقلت العناية المركزة، وممنوعة من الزيارة بأوامر الدكتور

تنفست أسيف الصعداء لعدم تدهور حالة والدتها، وسألته باستعطاف:

حطب مش هاعرف أشوفها؟ عاوزة أطمئن عليها الله يكرمك!

ردت عليها الممرضة بجفاء:

ده اللي أعرفه عنها!

ثم أشارت بذراعيها في الهواء متابعة بضجر:

-وأكد إتي شايقة الوضع دلوقتي عامل ازاي، كلنا بنحاول نشوف الأضرار

اللي عملها البلطجي ده!

هزت رأسها بتفهم، وقبل أن تنطق مجدداً تركتها الممرضة وانصرفت.

وقفت أسيف في مكانها عاجزة عن التفكير بذهن صافي. فبالها أصبح مشغول  
كلياً برؤية أمها.

هي اطمأنت على حالها إلى حد ما، لكنها تتوق إلى رؤيتها بعينها ليهدأ قلبها  
الملتاع عليها.

تبعها منذر بخطوات متريثة لكنه لم يبعد عيناه الثابتين عنها، أوقفه أحد  
أفراد الشرطة ليستجوبه بعد أن دلت عليه إحدى الممرضات المحتجرات  
بالداخل وأبلغتهم بأنه ساعدهم في منع مجرم ما من الإعتداء عليها وعلى زميلاتها.

.....

لم يمض الكثير حتى ولج دياب وباقي رجاله للداخل لتفقد حال منذر بعد أن  
نقد صبره.

لحق به والده وعواطف وابنتها كل يبحث عن يخصه.

صاح دياب بصوت متحشرج:

حصلك حاجة يا منذر؟ قولي!

ثم دقق النظر فيه متفرساً تفاصيله ليتأكد من عدم إصابته بمكروه متابعاً بجدة  
عصبية:

انت كويس؟ فيك حاجة؟ حد اتعرضك؟ وربنا أعمل معاه الصح وادفنه هنا

رمقه الضابط بازدرء قائلاً بتحذير:

هي مش فتونة يا اسمك ايه انت!

رد عليه دياب غير مكترث به:

-لا يا باشا، ده أخويا، يعني لمحي ودي!

هتف منذر بصوت هاديء عقلائي:

خلاص يا دياب، متفردش دراعاتك على الحكومة، الموضوع مش مستاهل!

ضغط دياب عى شفثيه بقوة، وحجج الضابط بنظرات محتقنة للغاية ولم

ينطق بالمزيد.

بحثت عواطف عن ابنة أخيها وسط الحضور، تلك الصغيرة التي لم ترها من

قبل، ظلت تتخيل شكلها، ومن تشبهه، لكنها لم تتوقع أن تلقاها في ظرف

كهذا.

اقتربت من منذر وسألته بصوت متلهف وعيناها تدوران بحيرة وخوف في

أرجاء المكان:

فين بنت أخويا؟ هي.. هي مش كانت معاك؟

التفت هو نحوها، ونظر لها بوجه خالٍ من التعابير مجيباً إياها باقتضاب

ومشيراً بعينين جامدتين:

-أعدة هناك!

استدارت بجسدها إلى حيث أشار، فاضطربت أنفاسها، وتوترت دقات

قلبيها أكثر وهي تمنع النظر في تلك الجالسة على المقعد المعدني المنزوي.



توقفت نيرمين في مكانها مترددة فيما تفعله وفضلت أن تتابع المشهد من بعيد،  
 وألا تتدخل فيه، وراقبت بفضول ردة فعل والدتها مع ابنة خالتها.  
 شعرت عواطف بالارتباك والخوف وهي تقترب منها رويدًا رويدًا..  
 حاولت أن تتفرس في وجهها لترى ملامحها بوضوح.  
 رأت تلك اللمحات الحزينة الطافية على قسماات وجهها المجهد، وذلك العبوس  
 الجلي المعبر عن حالها.

ظلت تدنو منها يتمهل دارسة لكل شيء فيها.  
 تمت لو كانت تجمع سماء أبيها الراحل فتعوض عن غيابه بوجودها حية معها  
 وفي وسطهم، وقفت قبالتها، وعمقت نظراتها إليها، هتفت بلا وعي وبصوت  
 يمزج بين الفرح والبكاء:  
 آ.. أسيف!

كانت الأخيرة شاردة في عالم آخر خاص بها، لم تستطع الانصراف دون  
 رؤية والدتها أولاً، فأثرت البقاء حتى تطمئن عليها بنفسها.  
 لم تشعر بنفسها وهي تبكي في صمت متحسرة عليها.  
 ظلت تدعو الله بتضرع بقلها لعله يهون عليها وينجيها مما هي فيه.  
 انتبهت إلى صوت تلك السيدة المنادية باسمها، رفعت رأسها في اتجاهها،  
 ونظرت نحوها بغرابة بأعينها الدامعة.  
 أكملت عواطف قائلة بصوت خفيض وحاني وهي تطالعها بنظراتها الدافئة:

أنا عمك عواطف يا بنت أخويا الغالي .....!!

.....

## الفصل السادس عشر:

ضجرت بسمة من الانتظار أمام الحاجز المعدني، وتلفتت حولها بإستياء  
محاولة التفكير في وسيلة تمكنها من الصعود لمنزلها.

كان الأمر شبه مستحيل بسبب الحصار الأمني حول البناية بسبب حادث  
إصابة تلك السيدة مجهولة الهوية، في الأخير اضطرت أن تذهب إلى حديقة  
قرية من منطقتهم الشعبية لتمكث بها.

وطوال تلك المدة حاولت مهاينة أمها وأختها، ولكن دون جدوى، رنين  
متواصل، ولا إجابة على الإطلاق.

زفرت لأكثر من مرة مرددة بئس لنفسها:

عيلة مامنهاش أمل خالص، كل ما أعوز حد فيهم يختفوا، هافضل أنا كده  
مقضاياها في الشارع!

نفخت بصوت مسموع متابعة حديث نفسها وهي تدور بعينها ببطء على ما  
حولها:

-استغفر الله العظيم، كله بسبب أر الجزار الفقرد ده! عينه مش رحمانى!  
 -لحت أحد الباعة الجائلين المتخصصين فى بيع الحلوى منزلية الصنع، فهضت  
 من مقعدها، وهتفت فيه بصوت مرتفع:  
 -انت يا عم! استنى!

توجهت نحوه، وتفقدت بنظرات ثابتة متفحصة ما معه لتشتري المناسب لها  
 لتسد جوع معدتها الخاوية.  
 عاودت الجلوس على مقعدها، وقضت قطعة كبيرة من الحلوى متناولة إياها  
 بشراهة، ولم تتوقف عن محاولة الاتصال بعائلتها.

.....

وصلت أخبار الحادثة الغريبة إلى مسامع الحاج مهدي وابنه، لكن لم يهتم  
 الأخير كثيرًا بمعرفة التفاصيل.  
 مجرد أحاديث عابرة من المارة ورواد المطعم جذبت انتباهه فردد مستنكرًا:  
 -آل يعني المشرحة ناقصة قتلى عشان الشرطة تيجي وتعملها حكاية  
 رد عليه أيه بتذمر من أسلوبه الغير مكترث:  
 -خليك فى نصيبتك انت!  
 نظر مازن نحوه بطرف عينه قائلاً:

مش خلاص هنعلمها

أسند مهدي كفيه على سطح مكتبه مردداً بتوجس:

-ربك بس يسترها ومنعلقش مع دياب!

رد عليه مازن غير مبالٍ بتبعات ما سيحدث:

-ولو علقنا، ايه يعني؟!

نظر له والده شزراً، وهتف متبرماً من استخفافه بالأمر:

-هاتفصل طول عمرك متسرع ومتخلف وباصص تحت رجلك!

نفخ مازن قائلاً بنفاذ صبر:

-ما كفاية تهزيق يا حاج

رد عليه مهدي معللاً:

-ماهو أنا مبؤوء ( مزعوج ) منك ومن عمايلك!

نهض مازن من على مقعده قائلاً باقتضاب وهو عابس الوجه:

-أنا ماشي

رد عليه والده بازدراء:

-يكون أحسن، وماتتأخرش عن مشوار بالليل

لم يعلق عليه مازن، بل اكتفى بالتحديق المنزعج نحوه، ثم انصرف من أمامه

وهو يبرطم بكلمات غير مفهومة.

.....

بعد برهة كانت بسمة قد ملت من جلستها الغير مفيدة تلك، فقررت العودة إلى منزلها، وبالفعل وجدت أفراد الشرطة يجمعون أشياءهم، فهتفت بإرتياح:

أخيراً هاطلع بيتنا، كانت شورة محبة إني أفضل كده!  
انتظرتهم حتى أفسحوا الطريق للجيران للولوج والخروج، فخطت إلى داخل بنايتها.

قابلتها أثناء صعودها على الدرج إحدى الجارات متسائلة باهتمام:  
أخبار قريبتكم ايه؟

نظرت لها بسمة بغرابة قاطبة جبينها، ومرددة بعدم فهم:  
قرية مين دي؟

وضعت الجارة إصبعها على طرف ذقنها قائلة بإستنكار:

هو اتني مش دريانة باللي حصل ولا ايه؟

هزت رأسها نافية وأجابتها ببلاهة قليلة:

لا، ليه، هو أنا عايشة في كوكب تاني ولا حاجة؟!!

أمسكت بها الجارة من ذراعها جاذبة إياها لداخل منزلها مرددة بجديّة:

حطب تعالي جوا أما أقولك بدل وقفنا على السلم!

حطّيب

قالتها بسمة وهي تلج معها لصالة منزلها، فالفضول يدفعها لمعرفة تفاصيل الأمر كله.

.....

ضاقّت نظرات ذلك الشخص ذو ملامح الوجه السمراء والحادة للغاية -  
والذي لم تتضح أغلب تفاصيل وجهه بسبب قلة الضوء في تلك الحجرة المظلمة  
- وهمس متسائلاً بجديّة:

انت متأكد من الكلام ده؟

رد عليه الشخص الآخر مؤكداً بثقة:

-ايوه، الصول لسه مبلغني، فيه عفو لشوية مننا، ده قرار من وزير الداخلية،  
ناقص بس يتصدق عليه!

تحرك مجد قليلاً نحو شعاع الضوء المنبعث من القضبان المعدنية ليردد بتمني:

يا سلام لو اسمي يكون ضمن المفروج عنهم!

تهد زميله السجين بعمق ليضيف بمكر:

يا مسهل، أنا هاغمز الصول، ولو عرف حاجة هاخليه يبلغنا على طول!

التفت مجد نحوه، وتابع متمنياً وقد ارتخت تعابير وجهه نوعاً ما:

يا ريت، ويقاله الحلاوة!

تساءل زميله بخبث وهو محقق به:

هو بس؟!

ربت مجد على كتفه بقوة قائلاً بابتسامة باهتة:

إنت قبله، هخليك تتروق على الآخر!

ثم زادت نظراته ضيقاً، وتابع بصوت واثق متغطرس:

خدها مني كلمة، مجد أبو النجا لما بيوعد بيوفي

هتف المسجون صائحاً بحماس:

الله عليك يا عمنا!

.....

هانعمل ايه؟

قالتها إحدى الممرضات متسائلة بتوجس وهي تنظر إلى زميلتها المتواجدة

معها بغرفة العناية المركزة

ردت عليها الأخرى بصوت خفيض:

مالناش دعوة، احنا ماشوفناش حاجة، اللي حصل حصل، ده قضا ربنا،  
عمرها وخلص!

همست لها المريضة بنبرة مرتعدة:

بس دي غلطة الدكتور....

قاطعتها الأخرى محذرة بجديّة صارمة:

ششش.. كلي عيش، زها زي أي حد جه ومات، عندها نزيف في المخ،  
سامعة!

ابتلعت المريضة ريقها بتوجس، بينما أكملت زميلتها بيؤس:

احنا غلابة ومش حمل رقد ولا بهدلة ولا حتى نقل لمستشفى في آخر الدنيا،  
وكده كده مكاتش هتطول كثير!

اضطرت الأخيرة أن ترضخ لتحذيراتها المهددة، فهما بالطبع أفقر من تحمل  
تبعات فضح مسألة ذلك الخطأ الطبي المتعمد من قبل الطبيب، لذلك رددت  
مستسلمة:

طيب!

تحركت ممرضة ثالثة في اتجاه الطبيب الذي كان يدون تاريخ الوفاة متسائلة بنبرة  
رسمية:

ايه المطلوب منا يا دكتور؟

نظر في اتجاهها متسائلاً بجمود:



في حد جه مع المصابة؟ حد من أهلها يعني؟!!

أومأت برأسها إيجاباً مرددة:

-ايوه، تقريباً!

تابع مكملاً بهدوء بارد اعتاد عليه:

طيب اعرفيلي هما فين، وأنا بنفسني هانزل أبلغهم!

حركت رأسها بإيماءة خفيفة متممة:

حاضر

.....

حدقت عواطف في ابنة أخيها بنظرات حانية للغاية، وهتفت من بين شفيتها بصوت شبه باكي:

-أنا عمك يا ضنايا؟ ايه مش عرفاني!

رمقتها أسيف بنظرات مصدومة نوعاً ما..

لم تتوقع أن تقابلها في المشفى، بل لم يخطر ببالها أن تعرف مكانها وتحضر إليها.

أفاقت من ذهولها المؤقت عليها وهي تميل عليها لتحضنها بعاطفة جياشة

مرددة بتلهف:

حمدلله على سلامتك يا بنتي، أنا مش عارفة أقولك ايه!

تراجعت للخلف لترى وجهها عن كذب، وأكملت حديثها بصوتها المتأثر:  
والله لو أعرف إنكم جاينن مكوئنش نزلت من البيت خالص! لولا بس تعب  
البت رنا كنا....

تجمدت نظرات أسيف فجأة، ونظرت لها شزرًا، ثم هتفت بقسوة مشحونة  
مقاطعة إياها:

ماما في حالة خطرة بسببكم!

جزعت عواطف من هجومها الغير متوقع عليها واتهامها الصريح لها بالتسبب في  
حادثة أمها، وحدثت فيها بذهول تام....

أضافت أسيف قائلة بمرارة:

-احنا لو مكوئناش سيننا البلد وجينا هنا كانت ماما فضلت زي ما هي!

صدمت عمتها مما تفوهت به، وعجزت عن الرد عليها.

ارتفعت نبرة صوت أسيف أكثر وهي تكمل بقسوة غريبة لا تعرف من أين  
جاءتها وهي تشير بسبابتها:  
إنتي السبب! ايوه إنتي السبب!

انتبه الجميع إلى صوت صياحها الذي تحول إلى صراخ حاد وهي تستأنف  
اتهاماتها القاسية:

لو ماما جرالها حاجة أنا مش هاسامحك أبدًا، مش هاسامحك!

استغرب منذر من الصدام الدائر بين الاثنتين. فقد خالف الأمر توقعاته  
تماماً، وتابع باهتمام كبير ما يحدث.

بالطبع كان يعتقد أنها بائسة متسولة ألقاها القدر في طريقه، وأجزم أن مهنتها  
التي تؤديها بحرفية هي استجداء عطف الأخير والتسبب في صنع الحوادث،  
لكن بدأت شكوكه تتزعزع حينما عرف هويتها ورغم إنكاره لذلك ورفضه  
تصديقه في البداية إلا أنه تيقن من خطأ إعتقاده وسوء ظنه بها حينما تابعت  
بجدة عنيفة:

أول مرة أنا وماما ننزل عندكم بعد سنين، اتهدلنا واتهنأنا واترمطنا واحنا  
معملناش حاجة، كل ده بس عشان قولتلها عاوزة أشوف عمتي، زي ما

يكون قلبها كان حاسس، مكاتش عاوزاني أختلط بيكم، كانت عارفة إنه  
هيجرالها حاجة، وأنا صممت، صممت أجيها لقدرها!

ابتلعت عواطف غصة عالقة في حلقها، وحاولت امتصاص غضبها مرددة  
برجاء:

اهدي يا ضنايا، ده.. ده نصيها، ومحدش يمنع القدر، إدعي ربنا، وآ... وإن  
شاء الله هاتبقى كويسة!

ثم مدت يدها لترت على كتفها محاولة التهوين عليها.

أزاحت أسيف بعنف، ثم رددت بعصبية:

بس متحطيش ايدك عليا!

استشاطت نيرمين غضباً من حركتها تلك، واستنكرت بشدة أسلوبها الحاد مع  
والدتها، لذا تحركت نحوها بعصبية بائنة، وهتفت قائلة بنبرة مغلولة:

-انتي بتتكلمي كده ليه، دي أمي يا بت اتتي؟ في ايه مالك؟ هو حد داسلك  
على طرف!!!!

تدخل الحاج طه في الحوار محاولاً تلطيف حدة الأجواء قائلاً بترث:  
صلوا على النبي يا جماعة، ما يصحش كده!

صرخت فيهم أسيف بصوت جهوري منفعل وهي تمر نظراتها بينهم:  
محدث ليه دعوة بيا، امشوا كلكم من هنا! دي أي وحالتها تخصني أنا وبس!

رد عليها طه بنبرة هادئة وهو يشير بعكازه:  
احنا جاين نطمن عليها، نعمل الواجب بحكم.....

قاطعته قائلة بتشنج هادر:  
مش عاوزة حاجة منكم، ابعدوا عننا!

إغتاظ دياب هو الآخر من أسلوبها العنيف في الحديث، فاقترب منها مهدداً  
بالهجوم عليها.

هتف صائحاً بصوت خشن وملوحاً بذراعه في وجهها:  
ما تحترمي نفسك، مش عاجبك الراجل الكبير اللي واقف قصادك، ده....

وضع طه قبضة يده على ذراع ابنه ليمنعه من التهور الطائش، وشدد عليه  
قائلاً بصرامة:

بس يا دياب، اسكت انت دلوقتي!

التفت دياب نحوه برأسه، ورد عليه بغلظة متعمداً رمق أسيف بنظرات  
احتقارية:

يا أبا مش شايف طريقته!

حذره أباه مجدداً قائلاً بصلافة:

شششش.. ملكش دعوة!

ظل منذر صامتاً متابعاً نوبتها الغاضبة بأعصاب فولاذية، لكنه كان يغلي من  
داخله، بركان غضبه على وشك أن يثور في وجهها، لكنه برع تلك المرة في  
التحكم في أعصابه منتظراً بترقب نهاية ما تقوم به.

التفتت هي نحوه لترمقه بنظرات فارغة، وهدرت فيه بصوت متشنج يحمل  
الكبرياء:

واللي انت دفعته يا حضرت، أنا هاجيبهولك، أنا مش شحاتة ولا بأقبل

صدقة من حد!

سلط أنظاره المحتقنة عليها، ولم يعقب، تحركت نحوه حتى باتت على مسافة قريبة جداً منه، لا تتجاوز الخطوتين، ثم أكملت بنبرة مترفعة محاولة رد جزء قليل من كرامتها المهدورة:

أنا بنت المرحوم رياض خورشيد، الراجل اللي انت متعرفوش أصلاً، واللي مات وهو رافع راسه لفوق، لا كان مديون، ولا عمره كان هيطاطي لحد!

ضغطت على شفيتها أكثر لتردد بعزة نفس وهي تبتلع غصة مريرة عالقة بجلقها:  
-ومكانش هايقبل إنه أو بنته تتذل وتمد إيدها لحد تطلب منه الإحسان!

مال دياب على أباه سألأ إياه بفضول متعجب:  
هو ايه اللي حصل؟ هي بتكلم عن ايه؟

أجابه طه بعدم فهم وهو يتابع حوارهما باهتمام:  
مش عارف يا دياب

تساءلت نيرمين بغرابة وهي تسأل أمها:

-البت دي بتقول ايه؟

هزت عواطف كتفيها نافية و مرددة بحيرة:

-وأنا هاعرف منين؟ ما أنا زيك لسه شيفاها دلوقتي!

قست نظرات منذر أكثر نحوها، ورغم هذا لم تهابه، كان غضبها وثورتها  
تفوق بكثير احساسها بالرعب والخوف.

كور هو قبضة يده، وضغط على أصابعه بشدة حتى استشعر أبيه أنه  
سيقدم على فعلة حمقاء.

لذا هتف فجأة بنبرة صارمة محذرة:

منذر!

تجمد الأخير في مكانه، لم يصدر عنه أي إشارة أو حركة، لكن تعابير وجهه،  
عروقه المشدودة، احتقان عيناه، تشنجات تصرفاته توحى بقرب انفجاره.



وقبل أن تضيف أسيف كلمة أخرى انتبه الجميع لصوت مرتفع لمرضة ما وهي  
تقول ومشيرة نحوها:  
هي دي يا دكتور!

التفتت أسيف نحو صاحبة الصوت، وبالطبع عرفتھا، فقد كانت تسألھا عن  
أحوال والنتھا طوال الوقت.

انتفضت حواسھا بالكامل حينما رأتها بصحبة الطبيب الذي تساءل بنبرة جافة  
وهو يجوب بأنظاره أوجه الحاضرين:

-انتو أهل المصابة؟

ردت عليه أسيف بتلهف وهي تتجه نحوه:

-أنا بس بنتھا!

أطرق الطبيب رأسه للأسفل، واستطرد حديثه قائلاً بحذر:

للأسف المصابة لما جاتلنا كانت في وضعية حرجة، واحنا حاولنا نعمل اللي  
علينا، لكن الحالة ساءت، ونزيف المخ كان صعب السيطرة عليه وآ.....

هربت الدماء من وجه أسيف، وأصبحت أكثر شعوباً وهي تتابع بفرع كلماته  
الغامضة.

قلها ينبؤها بالأسوأ، لكن عقلها يرفض إلى الآن التصديق.

اضطربت دقات قلبها، وشعرت بوخزات مؤلمة في صدرها، ومع ذلك حافظت  
على صلابتها حتى ينتهي من تفسير ما يريد قوله.

أضاف الطبيب موضعاً بنبرة متأسفة اعتاد اللجوء إليها حينما يبلغ أحدهم بخبر  
مفجع:

بس دي مشيئة ربنا، فادعيها بالرحمة

لم تستوعب بعد مقصده، فسألته بصدمة واضحة:

-يعني انت تقصد انها مش هاتمشي تاني خالص!؟

بدا على وجه الطبيب الاستغراب، فهي تتحدث في شأن آخر، لذا ردد  
بوضوح جاد:

-البقاء لله، المصابة توفت!

شهقت عواطف بهلع كبير، وشخصت أبصارها مصدومة وهاتفة بأنين لاطمة  
على صدرها:

يا لهوي، حنان ماتت!

ضمت نيرمين رضيعتها إلى صدرها أكثر محاولة كتم صدمتها هي الأخرى.

تبادل دياب وطه نظرات غريبة تحمل الصدمة أيضًا ولا تقل في تأثيرها عن  
عواطف وابنتها.

هتف طه مواسياً وهو يضرب بكفيه على رأس عكازه:

إنا لله وإنا إليه راجعون!

تحركت أنظار منذر تلقائياً على أسيف وتجمدت عليها.

لا يعرف لماذا شعر بوخزة عميقة في صدره نحوها، ربما إحساسه بالشفقة  
والأسف لفقدانها أمها في تلك الظروف القاسية أجبرته على التأثر بجالها.

بدت كالمغبية وهي محدقة في الطبيب بنظرات خاوية من الحياة.

كأن عقلها رفض تصديق كلماته الصريحة، فصاحت فيه بصوت هادر  
مستنكر:

-انت كداب!

نظر لها الطبيب بغرابة، وهتف منزجاً:

-أفندم؟

توجس الجميع خيفة مما هو مقبل، فقد تبدلت أسيف كثيراً وتحولت لشخص  
آخر غاضب بضراوة.

مدت كلتا يديها نحو الطبيب لتقبض على ياقته، وصرخت فيه ياهتياج  
مفاجيء:

-انت كداب، سامعني كداب!

شدت من أصابعها عليه، وواصلت صياحها المختنق مستنكرة وفاة أمها:  
-ماما كويسة؟ انت ليه بتقول كده؟ حرام عليك، عاوز تحرمني منها ليه؟

حاول الطبيب تخليص قبضتها منه قائلاً بضيق:

-ماينفمش اللي بتعمليه ده!

تمسكت أكثر بتلابيه، وهزته بعنف مكلمة صراخها المجنون:  
-أنا مش هاسيكم تاخدها مني، ماما عايشة ومش هاتموت!

قاوم الطبيب إفتلات أعصابها مرددًا بضجر:  
-ده قضاء ربنا!

تلقائياً تحرك منذر نحوها ووقف حائلاً بينهما محاولاً التفريق بينهما.  
قام بجذب قبضتها من على الطبيب وتخليصه منها، لكنها كانت في فورة قوتها  
الغاضبة.. تلك القوة المستنكرة الغاضبة والتي تحرك جسدها كلياً بانفعال غير  
مسبوق.

ظلت متشبثة بالطبيب صارخة فيه بجنون:  
-فين ماما؟ مش هاسيكم تاخدها مني!

وضع الطبيب يديه على راسها مبعداً إياها عنه، وقائلاً يانزعاج أكبر مما  
يحدث منها:

-اهدي يا أستاذة، ماينفعش كده!

لف منذر ذراعيه حول أسيف، واستغل فارق القوة في تحرير الطيب من  
برائتها الشرسة. وقبض على معصمها معاً وضمها إلى صدرها ليتمكن من  
تكتيفها.

بكت عواطف متأثرة للموقف برمته، وهتفت قائلة بصوت مختنق:  
يا عيني يا ضنايا، كبدي عليكي!

دفع طه ابنه الأصغر دياب من كتفه قائلاً بجزن:  
لا حول ولا قوة إلا بالله، خش مع أخوك يا دياب، بلاش فضايح!

هز الأخير رأسه موافقاً وهو يتحرك نحوها:  
طيب!

قيد منذر حركتها، ومال على رأسها قائلاً من بين شفثيه المضغوطتين بقسوة:  
-اهدي شوية!

تلوت بنفسها كلياً محاولة التحرر من ذلك القيد الإجباري المفروض عليها  
صارخة ياهتياج أكبر:

-اتو كدايين، ماما عايشة، سامعيني! ماما مامتش!

تعالى صراخها المزوج بشهقاتها المستنكرة لما حدث، فضمها منذر أكثر إليه،  
وهتف من بين أسنانه بصعوبة:

شششششش!

لم يجد دياب ما يفعله معها، فقد كان أخاه مسيطراً على زمامها بالكامل. لذا  
وقف مجاوراً لهما، ومتأهباً للتحرك في أي لحظة إن استدعى الأمر لهذا.

واصلت أسيف صراخها المهتاج مرددة بنبرة متشنجة وباكية:

-ما تسبنيش يا ماما، لالألأ!

ارتفع نداء عواطف المتوسل بعد أن رأت ما آلت إليه حالة ابنة أخيها قائلة  
برجاء:

حوشها يا بني بدل ما تأذي نفسها!

هتف الطبيب في مرضته مرددًا بحدة:

ناديلي حد من فوق!

ردت عليه بجدية:

حاضر يا دكتور!

بدأت قواها تخور تدريجياً بفعل تأثير الصدمة، وانخفض صوت شهقاتها المنهارة لفراقها الأليم.

أشفق منذر عليها كثيراً، وظل ممسكاً بها ومحاطها بذراعيه مانعاً إياها من السقوط وهامساً لها بصوت عميق محاولاً طمأنتها:

ششش، اهدي!

أغمضت عينها قهراً، وبكت بحرقة كبيرة وهي تنادي والدتها بمرارة شديدة بصوت شبه متقطع:

ما..... ماما!

تكرر المشهد من جديد، وزادت خسارتها لفقدان عزيز أخير.



نعم هي عاشت تلك المعاناة القاسية حتى النخاع ولكن بصورة أشد آلاماً  
ووجعاً.

استشعر منذر وهو يحاوطها رغمًا عنها ضعفها الإجباري نتيجة تأثير الصدمة.  
فتمسك بها أكثر.

استسلمت هي لذلك الخدر القهري الذي تسرب إلى خلايا كيانها. فرضخت  
بلا وعي لبقائها الحتمي في أحضانه لتغيب بدون إرادتها عن واقع آخر مومج  
سيترك انعكاسه على حياتها القادمة.....!!!

.....

الفصل السابع عشر:

وخزات حادة أصابتها في معدتها وهي تجلس إلى جوار جاريتها.  
قاومت على قدر المستطاع ذلك الوجع، لكنها لم تتحمل أكثر من هذا شدة  
الألم، فتأوهت بسمة بأعين صادر من بين شفثيها المضغوطتين:  
مش قادرة، آآه!

تساءلت الجارة بتوجس وهي محدقة بها:  
مالك يا بسمة؟ فيكي حاجة؟

ردت عليها بصعوبة وهي تتأوه من وجع معدتها:  
آلم رهيب في بطني، مش عارفة من ايه!

سألها مجددًا مستفهمة:  
من ايه طيب؟

صرخت متألّمة وهي تجيبها بصوت مكتوم:  
آآه، باينه من حاجة البياع الزفت!

قطبت الجارة جبينها، واقتربت منها لتضع يدها على كتفها متسائلة باهتمام أكبر:  
-بياع ايه ده

لم تستطع بسمة تحمل الألم أكثر من هذا، فتكورت على نفسها صارخة بجدة:  
-لالالا! هاموت!

فزعت الجارة لرؤيتها على تلك الحالة المقلقة فرددت بخوف:  
-بسمة!!

واصلت بسمة صراخها الموجه مرددة بصوت مختنق:  
-آآآه، اطلبيلي الإسعاف، آآآه، بسرعة... هاموت!

ثم انهارت على الأرضية وهي تكمل صراخها الفزع، فانتفضت الجارة من مكانها  
مدعورة هاتفة بهلع أكبر:  
-يا لهوي!

.....

انزوعت نيرمين إلى جوار والدتها في أحد أركان المشفى بعيداً عن غرف  
المرضي، ثم مالت عليها متسائلة بحيرة وهي متعمدة خفض نبرة صوتها:  
هانتصرف دلوقتي ازاي؟

أجابتها عواطف بقلة حيلة وهي منكسة لرأسها:  
مش عارفة يا بنتي، أنا دماغي مشلولة، هو اللي حصل قليل!

ثم تمنت متحسرة ماسحة لعبراتها العالقة في أهدابها:  
المصايب مابتجيش لوحدها أبداً!

بدت نيرمين غير متأثرة بما يحدث مع ابنة خالها على الإطلاق، ربما لأنها لا  
تعرفها، وليس بينهما أي علاقة وطيدة أو صلوات ودية فكانت جامدة عن  
والدتها التي كانت حزينة للغاية.

دفعها فضولها فقط للسؤال عن أحوالها مرددة بهدوء:  
هو الدكتور قال عندها ايه؟

أخرجت عواطف تهيدة مطولة من صدرها تحمل الكثير من الآسى والضيق،  
وأجابتها بصوت منتحب:

-أسألي سي منذر هو اللي كان واقف معاه وبيكلمه

تابعت نيرمين قائلة بتبرم:

-والله لولا موت أمها كنت رديت على وقاحتها وقلة أديها

حدجتها عواطف بنظرات قوية منزعة، وهتفت فيها بحدة:

-اسكتي يا نيرمين، هي مش في وعيها، أمها ماتت واتي جاية تقولي ....

قاطعها نيرمين متدمرة وهي تشير بكف يدها:

خلاص يا ماما، يعني ما اتفكش معاكي بكلمتين!

ردت عليها عواطف بصوت جاف وغليظ:

-سيبني لحالي، مش عاوزة أسمع حاجة تترفزي!

ثم شردت بأنظارها للأمام، وتابعت بصوت نادم:

خليني أشوف الغلبانة اليتيمة دي هاتعمل ايه في اللي جاي!!!

ثم ساد الصمت بينهما لبعض الوقت قبل أن تقطعه نيرمين هاتفه بصورة  
فجائية:

ماما احنا نسينا بسمة خالص

شعرت عواطف بالقلق بعد تلك العبارة، فهي بالفعل لم تهاتف ابنتها طوال  
اليوم، ولم تعرف عنها أي شيء، وبالطبع الأخيرة ليس لديها أي علم  
بالمستجدات الطارئة على الساحة.

لذلك رددت بنزق:

يا لهو بالي! اتلبخنا في المصايب اللي نازلة تهف على دماغنا!

ثم بحثت في حافظة نقودها العريضة عن هاتفها النقال، لكنها للأسف لم تجده  
بالداخل، فارتسمت تعابير الضيق على وجهها، وهتفت بعبوس:

شوفتي الحظ الفقر أنا نسيت موبايلي!

أضافت نيرمين هي الأخرى قائلة بامتعاض:

-وأنا كمان، كان في الشاحن!

لوت عواطف ثغرها متسائلة بجيرة بائنة وهي تضع إصبعها على طرف ذقتها:  
 طب والعمل؟ ده زمانتها هتهبل؟

مطت شفتها بضيق أكبر، ونفخت بصوت مسموع مرددة بضجر:  
 أوصلها ازاي؟

طراً ببال نيرمين فكرة ما حينما وقعت عينها على الحاج طه وابنه.. فبرقت  
 حدقتها، وهتفت مقترحة:

ما تطلبي من الحاج طه موبايله نتصل عليها منه؟

انتبهت لها والدتها وبدت مهممة بإقتراحها، فتابعت ابنتها مشجعة إياها على  
 تنفيذه:

هو راجل طيب ومش هيرفض لو طلبتي ده منه!

تساءلت عواطف بتوجس خفيف:

اه والله، بس تفكري هيرضى؟

ردت عليها نيرمين بتذمر:

دي دقيقة مش حاجة يعني، ولو حكمت ندفعله

استنكرت عواطف تفكير ابنتها قائلة:

مش للدرجادي، اتتي كده هتركيني العيب!

طيب، قومي اطلبي منه، وشوفي هايقول ايه

همست بها نيرمين يالحاح عليها، فاستجابت الأخيرة لها، ونهضت بتثاقل من مكانها لتتجه إليه..

جاب دياب بأنظاره المكان من حوله، وغمغم متسائلاً بضجر:

-وبعدين يا أبا؟ هانسب الولية كده في المشرحة ولا هندفنها؟

رد عليه طه بصوت متحشرح:

-ادينا مستنين نشوف ايه الإجراءات ونعملها!



تساءل دياب بامتعاظ وهو يوميء بعينه:

طب وبنتها؟

أجابه أباه بإنزعاج:

ماهو على يدك، البت غايبة عن الدنيا ومش مالكة نفسها

سأله دياب بجدية وهو يمسح طرف أنفه بإصبعه:

هي مالهاش قرايب؟

رد عليه طه نافياً:

-ولا أعرف، المفروض عواطف تكون أدري مننا بده، ممكن تسألها!

هتف دياب مستنكراً اقتراحه الغير مُجدي:

يا أبا دي مقطعاهم من زمن، يعني شكلها متعرفش

واقفه طه الرأي مردداً:

على رأيك، دي معرفتش بموت أخوها إلا صدفة

هز دياب رأسه بالإيجاب مضيفاً:

بالظبط، يعني زي قلتها!

ثم أخرج زفيراً عميقاً من صدره وهو يتابع:

-عموما يا أبا أنا هسأل عن المطلوب وأخلص كل الإجراءات والتصاريح  
بنفسي!

ربت أباه على كتفه قائلاً يامتنان:

-ربنا يباركك، هي بردك ولية لوحدها

-ايوه!

ترددت عواطف في مقاطعة حديثها، لكن لم يكن أمامها وسيلة أخرى سوى  
استخدام الهاتف النقال الخاص بالحاج طه للإطمئنان على ابنتها.

وبارتباك واضح وحزن يكسو تعابير وجهها المرهقة هتفت بصوت مبحوح:

-معلش يا حاج طه إن مكانش فيها إساءة أدب ممكن طلب!

التفت الاثنان نحوها، ورد عليها طه قائلاً بجدية:  
-أؤمري يا عواطف

ابتلعت ريقها وهي تجيبه بمرح قليل:  
-... أنا نسيت التلافون بتاعي في البيت، وزمانت بنتي بسمة رجعت وتلاقيا  
يا حبة عيني مخها وأكلها ومش عارفة حاجة عننا ولا إحنا فين ولا حتى  
بالمصيبة اللي حصلت!

هز الحاج طه رأسه متفهماً، فأكلت متشجعة:  
فإن مكانش فيها مانع أخذ تلافونك أكلها!

رد عليها بجدية وهو يدس يده في جيب جلبابه:  
-أه وماله

أشار دياب لأبيه بكف يده قائلاً بجمود:  
-استنى يا أبا، أنا معايا رصيد كفاية!

وجهت عواطف أنظارها إليه، وابتسمت قائلة بجرح شديد:  
- ما فيش داعي تتعب نفسك يا دياب يا بني، الموضوع مش مستاهل!

أخرج طه يده من جيبه - خالية الوفاض - تاركاً هاتفه به، واستند بها على  
كفه الآخر الموضوع على رأس عكازه، بينما تابع دياب بجدية وهو يضغط على  
أزرار هاتفه:

- ولا تعب ولا حاجة، مليني الرقم وكلميها!

هتفت عواطف ممتنة:

- كتر خيرك يا بني

ثم اقتربت أكثر منه لتضيف بهدوء:

-رقمها هو ((.....))

هز رأسه بإيماءة خفيفة قائلاً:

- ماشي!

ثم ضغط على الأزرار طالباً إياها، ومن ثم أعطى الهاتف لأمها لتحدثها.  
انتظرت الأخيرة للحظات منتظرة أن يأتيها رد ابنتها عليها، لكن لم يحدث.

حدقت في دياب قائلة بريئة:

-البت مش بترد!

رد عليها دياب بجمود:

-حاولي تاني، جايز ماسمعتش!

-ماشي!

.....

على الجانب الآخر، في إحدى غرف المرضى المشتركة، وقف منذر إلى  
جوار الطبيب يتحدث معه عن الحالة الصحية لأسيف والتي ساءت كثيراً  
بعد تلقيها خبر وفاة والدتها.

كان يوزع أنظاره بينه وبين تلك الفاقدة للوعي.

بدت أكثر ضعفاً عن ذي قبل، بل تحتاج إلى الإشفاق والدعم لتجاوز تلك  
المرحلة العصبية من حياتها.

استمر الطبيب في وصف حالة أسيف طيباً، لكن كانت عباراته غامضة لمنذر.. استصعب فهمها بسهولة، لذلك سأله بإنزعاج وهو يحك مؤخرة رأسه: مش فاهم! ده خطر يعني؟

أجابه الطبيب بجدية موضحاً: أكيد، هي عندها انهيار عصبي ونصيحتي تفضل تحت الملاحظة على الأقل لـ ٣ أيام!

ضاقت نظرات منذر مردداً باستغراب: للدرجادي؟!!!!

رد عليه الطبيب مستنكراً جملة بتقدير وضعها الصحي والنفسي: انت مكوتش شايف حالتها عاملة ازاي؟

أضاف منذر قائلاً بوجه عابس: لأ شوفت، بس متوقعتش إنها خطيرة!

رد عليه الطبيب بإستياء:

يا حضرت النوعية دي من الحالات محتاجة اهتمام أكبر، كمان لازم يكون في  
آ.....

وقبل أن يكمل جملته للنهاية قاطعتها ممرضة ما هاتفة بنبرة رسمية:

-بعد اذنك، انت من قراب المرحومة حنان؟

التفت منذر نحوها، واحترار للحظة في الإجابة على سؤالها، فهو لا يعد من  
أقاربها المباشرين بالمعنى التقليدي، ولكن بحكم ما استنبطه مما حدث فليس  
لأسيف أو أمها الراحلة أقارب هنا، وبالتالي إن لم يتدخل فرما تضيع أشياءها،  
وحالتها كما استشف من الطبيب ليست بخير.

نظر لها بجدة، ثم رد بجذر:

-يعني، حاجة زي كده!

أكلت الممرضة قائلة بنبرة جافة:

عاوزين حد يمضي إنه استلم متعلقاتها الشخصية، هي في الأمانات!

تفاجئ منذر بما قالته، ومع ذلك حافظ على جمود تعابير وجهه، ورد باقتضاب:  
طبيب

تابعت الممرضة قائلة بإلحاح محاولة إخلاء مسؤوليتها:  
يا ريت ضروري، إن أمكن دلوقتي!

استغل الطبيب الفرصة لإنهاء الحديث الممل مع منذر الذي حاصره بأسئلة  
كثيرة مزعجة عن حالة تلك المريضة، فهتف بنزق:  
هستأذنك عندي حالات عاوز أتابعها!

استدار الأخير نحوه مرددًا بتجهم:

ماشى يا دكتور، متشكرين

ثم تابعه للحظة وهو ينصرف من أمامه، ولم ينتبه للممرضة التي بدأت تتحرك.

تدارك الموقف سريعًا، وأسرع في أثرها قائلاً بصوت شبه مرتفع:

استني يا ست الحكيمة، أنا جاي معاك!



نظرت له من طرف عينها قائلة:

-اتفضل!

.....

رافقت الجارة بسمة في سيارة الإسعاف وظلت ملازمة لها حتى بعد أن نقلها إلى مشفى قريب. فلم يكن معها أي أحد، ورفضت هي أن تتركها بمفردها في ذلك الوضع العصيب.

تم الكشف عليها وتأكد إصابتها بتسمم غذائي، فأسرع الأطباء بإجراء غسيل معدة لها لتنظيفها مما بها من ملوثات غذائية.

انتظرتها الجارة بالإستقبال حتى وضعت في غرفة طبية. فولجت إليها هاتفة بتلهف:

-الف سلامة يا ست بسمة، الحمد لله إنها جت على أد كده!

ردت عليها بسمة بصوت متآلم ومرهق وقد بدا التعب واضحاً عليها:

-الله يسلمك!

أضفت الجارة قائلة يانزعاج:

لو اعرف بس أوصل لأمك ولا أختك كنت بلغتهم!

ردت عليها بسمة بصعوبة:

أها.. ماها مش بيردوا على موبايلاتهم من بدري!

بررت لها الجارة سبب انشغالها قائلة:

تلاقيهم ملبوخين مع قريبتكم! الله يكون في العون، انتو يا عيني اتنشتوا عين

واقفتها بسمة الرأي مرددة بصوت خفيض:

أها، أنا عارفة عين مين!

شعرت الجارة بإهتزازة ما في تلك الحقيبة التي تحملها في يدها، فنظرت لها باهتمام.

هي كانت ممسكة بحقيبة بسمة وأخذتها معها، فهتفت قائلة:

ده تليفونك بيرن!

أشارت لها بسمة بسببها مرددة بخفوت:  
-شوفي مين!

فتحت الجارة الحقيية على عجلة لتعبث بمحتوياتها، وبحثت عن الهاتف النقال بداخلها.

أمسكت به بيدها مرددة بإندهاش وهي تحقق في شاشته:  
-رقم غريب، أرد عليه يا ست بسمة؟

لم تتمكن الأخيرة من الإجابة عليها بسبب اقتحام الغرفة للطبيب وممرضته، فهتف بجدة:

-بعد اذنك شوية، عاوزين نفحص المريضة تاني

تراجعت خطوة للخلف قائلة بامتعاض:

حاضر

التفت الطبيب ناحية مريضته وسألها باهتمام:

أخبارك ايه دلوقتي ؟

أجابته بصعوبة:

أحسن شوية الحمد لله

هتفت الممرضة بنبرة صارمة للجارة وهي تشير بعينيها:  
من فضلك، الدكتور عاوز يشوف شغله، استني برا شوية!

ردت عليه بضجر محدجة إياها بنظرات منزعجة:

طيب.. طيب!

ثم ولجت إلى خارج الغرفة وهي تتمم بكلمات غير واضحة..

.....

جلست عواطف على المقعد المعدني بجوار ابنتها، وهمست بقلق:

البت مش بترد! قلبي واكلمي عليها!

علت لها نيرمين عدم ردها قائلة:  
تلاقيا نائمة ولا يمكن بتستحي، ما اتى عارفة بنتك!

بدا وجه عواطف غريباً وهي تعترض بخوف:  
-لأ.. قلبي متوغوش

انزعجت نيرمين من قلقها الزائد، فنهرتها بحذر:  
-خلاص يا ماما، ما فيش داعي تقلقينا على الفاضي، خرينا في المهم اللي احنا  
فيه

وافقتها عواطف الرأي قائلة:  
-اه والله، هم من كل حته، مش ملاحقين!

حدق دياب في شاشة هاتفه مرة أخرى، وقرر معاودة الإتصال بسمه قبل  
أن يعطيه لأمها.

سار عدة خطوات مبتعداً عن أبيه ليكون على راحته أكثر، وترقب سماع صوتها.

استند بظهره على الحائط، وتابع حركة المرضين بنظرات شاردة. فتفكيره منصب على هدف واحد حالياً.

.....

بقيت الجارة خارج غرفة بسمة متابعة بفضول ما يفعله الطبيب بها. شعرت ياهتزاز الهاتف مجدداً في الحقيبة، فالتقطته مرددة لنفسها بحيرة: أعمل ايه في اللي بيتصل ثاني ده؟

في الأخير حسمت أمرها بالإجابة عليه. وضعت الهاتف على أذنها، وصاحت متسائلة بحذر: ألو، مين معايا

استمعت إلى صوت ذكوري عبر الطرف الآخر متسائلاً بجمود: بسمة؟

ردت عليه نافية والفضول يدفعها لمعرفة هوية المتصل الغامض:

لأ، بس ده تليفونها، مين عاوزها؟

رد عليها دياب متسائلًا:

-انتى مين؟

أجابته دون تريث:

أنا جارتها، هي أصلها في المستشفى عندها تسمم وبيعالجوها دلوقتي

تفاجيء دياب بما قالته، وصاح مصدومًا:

-بيبيه، تسمم! ازاي؟

تابعت الجارة موضحة بتحسر:

-اه، يا نضري ماستحملتش الأكل البايظ، بس أنا نقلتها وواقفة معاها لحد ما

تقوم بالسلامة، ألا انت مين صحيح؟

رد على تساؤلها بسؤال حازم:

-انتو في مستشفى ايه؟

أجابته بتأني:

في ((.....))، بس مقولتليش مين انت و....

قطمت عبارتها جبراً لأن المكالمة انتهت فجأة، فهتفت بنزق وهي تبعد الهاتف  
عن اذنها لتنظر في شاشته بإندهاش:

-ألو.. الوو.. هو الخط فصل ولا ايه؟! .....

وقع منذر على عدة أوراق رسمية استلم فيها جميع المتعلقات الشخصية  
بالحالة المتوفية، ودونت الموظفة المسئولة بياناته الموجودة في بطاقة هويته.

بعدها أعطته أشياءها الخاصة وهي تعزیه قائلة:

-ربنا يصبركم!

رد عليها بإقتصاب:

متشكر!



اتجه نحو الخارج وهو ممسك بكيس بلاستيكي وضعت فيه متعلقات الفقيدة من حقيبة يد، وحلي مصنعة وذهبية، وساعة يد جلدية، وكذلك أوراق الهوية.

لم يتوقف عقله عن التفكير في الخطوة القادمة المطلوب عملها. هو تحمل مسؤولية لا تخصه، وعليه أن يتمها دون نقص.

تفاجيء بأخيه دياب يسلمه تقرير الطبيب الشرعي للحصول على تصريح الدفن مرددًا بتلهف:

معلش يا منذر كل انت اللي ناقص لأن عندي مشوار مهم

سأله منذر مستغرباً:

مشوار ايه ده؟

أجابه أخيه على عجلة وهو يضغط على شفتيه:

-بص، هو باختصار بنت عواطف الثانية محجوزة في المستشفى!

ارتفع حاجباه للأعلى في استنكار مرددًا بذهول:

-ايه؟

حذره دياب قائلاً بضيق:

-أمها متعرفش، وأنا رايح أشوف في ايه

سأله منذر بجدية بعد أن ارتخت ملامح وجهه المشدودة نسيبًا:

عرفت عندها ايه؟

رد عليه دياب بتوجس:

تسم، شكلها رمرت حاجة من الشارع

أشار منذر بحاجبه متسائلًا بتأكيد:

-يعني مش هاتقول لأمها؟

هز رأسه نافيًا وهو يرد:

مش دلوقتي، هاشوف الدنيا ماشية ازاي هناك والوضع عامل ايه وبعد كده  
أعرفها، كفاية أوي البلاوي اللي هنا

حرك مندر رأسه متفهماً، فالحال هنا ليس بالجيد مطلقاً، فهناك عدة مسائل لم  
تحل بعد.

رد عليه بتنهيذة متعبة:

أها، عندك حق، عندنا كوارث وكلها متخصصناش!

أضاف دياب بعفوية:

قدرنا نشبك مع العيلة دي!

ابتسم مندر بتهكم وهو يرد:

باين كده

ضرب دياب ذراع أخيه بكفه متابعا بنبرة عازمة:

هاتوكل أنا، وعلى تليفون !

رد أخاه عليه قائلاً بإيجاز:

طيب!

لم يعرف أحدهما بالخطأ الطبي الذي حدث أثناء محاولة إسعاف المريضة.  
وبالتالي لم يشك أي منهما في صحة ذلك التقرير، وبقي فقط اكمال باقي  
الإجراءات...

تساءل طه باهتمام وهو يرى ابنه البكري حائراً في مكانه:  
سأله دياب؟

أجابه منذر بغموض موجز:

موضوع كده بيخلصه

سأله والده مستفهماً وهو يرمقه بنظرات ذات مغزى:

طب وانت؟ دماغك فيها ايه؟

رد عليه ابنه بتذمر:

المصيبة اللي اتوحدنا فيها

مد طه يده ليربت على ذراعه قائلاً بتشجيع:

معلش، هما ولايا ومعهمش حد!

ايوه

دق طه النظر في ذلك الكيس البلاستيكي الذي يحملة في يده، وسأله  
بجدية:

دي حاجة المرحومة؟

حدق منذر فيما معه، وارتفع بأنظاره نحو أبيه ليجيبه:

أه هي، أنا استلمتها

أضاف والده قائلاً باهتمام وهو يشير بعينه نحو أشياءها:

طب ما تشوف كده إن كان فيها حاجة تفيدنا، ليهم قرايب ولا معارف، أي

حد مانكوش عارفينه

ماشى

قالها منذر وهو يفتح الكيس البلاستيكي لينظر بدقة في محتوياته.

استمعت لصوت دقات خافتة على باب غرفتها، فهمست بصوت مجروح:  
-ايوه، خش!

فتح الباب بحرص، ثم أطل برأسه أولاً ليتفقدتها قبل أن يدفعه للأمام ليلج  
كلياً للداخل.

استدارت ببطء في اتجاه الطارق، واتسعت عيناها مصدومة حينما رآته  
بشحمه أمامها.

رمشت بعينها غير مصدقة أنه متواجد معها بالغرفة.

هتفت بنزق مصدوم وقد ارتسم على وجهها علامات الضيق:  
-انت!

مرر دياب أنظاره على وجهها ثم رسغها المغروز به إبرة طبية، وجسدها المغطى  
بالملاءة مجيئاً إياها بهدوء بارد:

لوشتي ايه بالظبط؟

حاولت النهوض من رقدتها لترد عليه بجدة رغم تعبها:

-ايه اللي جابك هنا؟ وعرفت منين؟

أجابها بجمود وهو يعمق نظراته نحوها:

-اللي جابني رجلي! أما عرفت منين فدي مش صعبة يعني!

تأوهت بصوت خفيض لضغطها على كفها الموصول بالآيرة الطبية، ثم ارتخت

مجددًا على الوسادة هاتفة بإنهاك وضجرت:

حطب اتفضل من غير مطرود، أنا....

وضع دياب يده على طرف ذقنه ليفركه بحركة ثابتة مقاطعًا إياها بصرامة:

-انتي تسكتي خالص، وتسمعي كلامي للأخر

احتدت نظراتها نحوه، وكانت على وشك الانفجار فيه، لكنه بادر قائلاً:

-الموضوع مش مستاهل خناقات وأفورة، في مصايب أكبر من اللي اتني فيه

صاحت فيه بصوت متحشرح منفعل وهي مسلطة أنظارها عليه:

-وانت ايش دخلك فيا، أنا مش فاهمة أصلاً انت جاي هنا ليه!

سكتت للحظة لتلتقط أنفاسها، ومن ثم واصلت صراخها مرودة:  
- وبعدين حد طلب مساعدتك ولا....

قاطعها قائلاً بصوت متصلب وهو يدنو من فراشها:  
-مش محتاج أطلب، انتي ملزمة مني لحد ما أمك تعرف!

ضاقت نظراتها أكثر، وردت عليه مستنكرة محاولته فرض نفسه عليها  
بالإجبار:

-بصفة ايه ان شاء الله؟

أجابها بجمود متحدياً عنادها:

من غير صفة، هو كده قوة وإقتدار..!

.....



فتش مندر في معظم محتويات الكيس البلاستيكي باحثاً عن أي شيء يمكن أن يفيد.

تساءل طه باهتمام وهو يجوب ببصره عليهم:  
-لاقت حاجة يا بني؟

أجابه ابنه بضجر وهو يلقي بعدم مبالاة بالأشياء:  
-موبايل قديم، وكارت لوكاندة، ومحفظة، وحاجات مالهاش لازمة!

تناول الحاج طه البطاقة الخاصة بالفندق، وأمعن النظر فيها جيداً ليعرف اسمه وعنوانه. ثم هتف قائلاً:

-أدينا عرفنا المكان اللي كانوا أعدين فيه!

هز مندر رأسه دون أن ينبس بكلمة، بينما تابع والده مكملاً بنبرة مهتمة وهو يشير بإصبعه:

-شوفلنا في الموبايل ده رقم حد من قرايبها!

حدق مندر في وجه أبيه مردداً بغرابة من طلبه:

-وأنا هاعرفهم ازاي؟

رد عليه أيه بجدية:

-أكد هيبان يعني يا مندر، مش محتاجة فقاقة!

ضغط ابنه على شفتيه قائلاً باقتضاب:

طيب!

زفر بصوت مسموع، وتابع البحث في قائمة الأسماء الموجودة بالهاتف والذي لم يكن على درجة من الصعوبة للتعامل معه.

لم يجد به الكثير من الأسماء، فقط قلة قليلة.

لفت أنظاره اسم "الحاج فتحي"، وظن أنه ربما يكون على صلة قريبة بالعائلة، فقرر أن يهاتفه أولاً، ثم يحاول مع شخص آخر.

وبالفعل ضغط على زر الاتصال به، وانتظر بترقب رده

عليه.....!!!

.....

## الفصل الثامن عشر:

لوح بعصاه الخشبية في الهواء آمراً رجاله بإكمال عملهم في أرضه الزراعية، فقد اقترب موسم الحصاد، وهو يحتاج للتأكد من جودة المحصول وخلوه من الآفات.

رن هاتفه لعدة مرات لكنه لم ينتبه لرنينه المتواصل بسبب صوت الضجيج من حوله.

لاحظ هو تقاعص البعض منهم، فهتف بصوت مرتفع محمّساً إياهم:

لو خلصتوا على قبل العصرية هتاخدوا يومية زيادة!

اجتهد الرجال أكثر بعد تحفيزهم مادياً..

دنا منه أحد الفلاحين مردداً بنبرة خشنة:

يا حاج فتحي، الواد خَلَف بتاع المواشي بيقولك يودي الجاموسة عند الحاج اسماعيل!

استدار ناحيته ورمقه بنظرات جادة قائلاً بإستنكار:

هو لسه مودهاش؟ انت عاوز الحاج يزعل مننا؟

رد عليه الرجل معللاً:

-لا بس مكنش في مواصلة وآ....

قاطع الحاج فتحي بغلظة وهو يضرب الأرض بعصاه بعصبية:

تتصرف على طول، هو كل حاجة لازم أعملها بنفسي؟!!

أوماً الرجل برأسة قائلاً بارتباك:  
حاضر يا حاج، اعتبرها راحت عنده

لكزه الحاج فتحي في كتفه بقوة قائلاً:  
مش بالكلام يا فالخ!  
ماشى يا حاج!

قالها الرجل وركض عائداً لينهي مهمته الناقصة.

اتجه الحاج فتحي بعدها ناحية الشجرة الموضوع أسفلها ذلك الشرفف  
النظيف ليجلس بإسترخاء عليه.

تأوه بإنهاك وهو يمدد ساقيه للأمام. وتتم مع نفسه مردداً بازدياء:  
شغال مع بهائم، محدش فيهم يفكر خالص!

استشعر تلك الإهتزازة الخفيفة المنبعثة في جانبه، فمد يده ليخرج هاتفه  
المحمول.

ضيق نظراته ليرى اسم المتصل لكنه لم يتبينه جيداً، فقد حجب الضوء الرؤية  
في الشاشة بوضوح.

غطا جزءاً منه بكف يده فبرز اسم حنان عليه.

لوى فمه للجانب محدثاً نفسه بامتعاض:

-ودي عاوزة ايه؟

أجاب على اتصالها قائلاً بصوت آجش:

-سلامو عليكم! أيوه يا حنان! ايه الأخبار؟

رد عليه صوت ذكوري غريب على مسامعه:

-انت الحاج فتحي؟

انتصب الأخير في جلسته متسائلاً بجمود:

-أيوه، مين معايا؟ مش ده تلافون حنان، هو وصلك إزاي، وآ.....

رد عليه منذر بهدوء حذر مانعاً إياه من الاسترسال في أسئلته:

-بالراحة عليا كده يا حاج فتحي في الأسئلة! اصبر وأنا هاجوبك

انفعل عليه الأخير قائلاً بنفاذ صبر:  
-إنت مين؟ ما تكلم؟!

أجابه منذر بجذر:  
-أنا هافهمك، بس الأول لازم تعرف إن صاحبة التليفون ده....

صمت لثانية قبل أن يتابع موضحاً بجمود:  
-ماتت!

بحظت عيني فتحني بذهول كبير، وصاح مصدوماً:  
-بتقول ايه؟ حنان ماتت!!!!!!

.....

استشأطت نظرات بسة للغةة نةةةة أسلوب دياب الجاف والمتسلط عليها.  
حاولت ردهه وايقافه عند حده لكنها كانت منهكة بدرجة كبيرة، كذلك  
استنفذت قواها في تكرار الكشف عليها للتأكد من عدم تطور الأمر معها.

سأل دياب الطبيب بجدية وهو يسحبه خارج الغرفة:  
هي هتبقى كويسة؟

هز الطبيب رأسه بالإيجاب قائلاً:  
أه، بالكثير على بكرة هاتكون في بيتها

ابتسم دياب بإرتياح:  
تمام، طمنتني!

ثم سكت للحظات ليتساءل بعدها بفضول وهو يرى إحدى الممرضات  
تحسب عينه أخرى من دمائها:  
حطب ليه الكشوفات الكثير دي و....

أجابه الطبيب بإنزعاج قليل:  
أصلها مش أول حالة تسمم تجيلنا



ارتفع حاجباه للأعلى في اندهاش، وهتف متعجبًا:

نعم؟ هو في غيرها؟

رد عليه الطبيب بنبرة جادة:

أيوه، كذا حالة جت، وتقريبًا كلهم من نفس المكان، فبنجمع عينات عشان  
التقرير!

فرك دياب صدغيه بحركة ثابتة، وأردف قائلاً بتبرم:

أها، طيب!

كان الطبيب على وشك الانصراف، فاعترض دياب طريقه قائلاً بنبرة متلهفة:

استنى يا دكتور

توقف الأخير عن الحركة مرددًا بإيجاز:

خير

تنحنح دياب بمرح قليل:

-احم، أنا كنت بس عاوز أشكرك على تعبك، و... ومش هوصيك عليها!

ابتسم له الطبيب بتكلف وهو يضيف:

-اطمن، كلنا بنراعي المرضى هنا!

رد عليه دياب بنبرة جادة:

-أنا عارف، بس دي اهتم بيها شوية زيادة، سامع، خد بالك منها!

بادله الطبيب ابتسامة سخيفة مصطنعة وهو يقول:

-ماشي، وربنا يخليالك!

نظر له دياب شزرًا، وتمتم ساخرًا:

-بأقوله اهتم بيها شوية، مش مراتي يعني عشان يقولي ربنا يخليالك!

.....

الجزء الثاني من القصة

بعد مرور يوم،،،،،

استقل الحاج فتحي القطار ليصل إلى وجهته مجبراً، فبعد أن تلقى خبر وفاة حنان من منذر، اضطر أن يوقف جميع أعماله، و أصبح لازماً عليه الحضور للوقوف إلى جوار ابنتها وتولي شؤونها ريثما تستعيد عافيتها خاصة بعد أن عرف بعلتها.

فهو يعد نفسه بمثابة خالها، وقريبها الوحيد المعروف لدى أهل قريتهم. وعلى مريض كبير سافر إليها لاعتناً طوال الطريق تلك الظروف التي أجبرته على تعطيل أعماله نتيجة وفاتها. تلقى التعازي من أغلب رجال القرية، وكذلك التوصيات على تلك اليتيمة حتى لا يتركها بلا ظهر أو سند.

لكن هذا لا يقارن بخسارته المادية لتوقف العمل. حدث نفسه بإستياء كبير وهو يطالع الطريق الزراعي من نافذته المجاورة: هي ناقصة خسارة! كل ما ألمها من حنة تفرك من الحنة الثانية!

زفر بضجر متابعاً حديث نفسه:

ولسه موال البت أسيف، مش معقول هاسيها لوحدها كده في بلد غريبة!

هز رأسه بحركة ثابتة وهو يردد لنفسه بنبرة عازمة:  
هي هترجع معايا وبعد كده أشوفلها حد معرفة يتجوزها وأسترها وأرتاح من  
همها! جوزها يشيل عني! أنا مش ناقص!

.....

حمدلله على سلامتك يا ضنايا  
قاتلتها عواطف وهي تلف ذراعها حول خصر ابنتها لتسندها أثناء خروجها من  
باب المشفى الأممي

لم تعقب عليها بسمة، وواصلت سيرها بتهمل شديد وهي منكسة لرأسها  
للأسفل.

مسحت عواطف بيدها الأخرى على وجه ابنتها قائلة بتلهف خائف:  
وربنا كان هيجرالي حاجة لما عرفت من دياب إنك هنا!

اشتدت تعابير وجهها بعد سماعها لإسمه، وتحولت نظراتها للإنزعاج

أكلت أمها قائلة يامتنان:

-كثر خيره جدع ابن أصول قام بالواجب وزيادة!

ردت عليها بسمة بصعوبة بنفاذ صبر:

-كفاية بقي يا ماما، دماغى صدعت من سيرته، هو اعمل ايه يعنى؟

ها ايه الأخبار؟

هتف بها دياب متسائلاً وهو يقف قبالة بسمة مسلطاً أنظاره عليها.

رفعت وجهها فجأة للأعلى لتحقق فيه بصدمة مزعوجة.

هللت عواطف قائلة بسعادة:

سي دياب، لسه كنت بأشكر فيك و....

التفتت بسمة إلى والدتها ناظرة نحوها بضيق كبير، وهتفت مقاطعة من بين

شفتيها على مضض:

-خلاص يا ماما بقي!

نظر لها دياب بقوة وهو يقول بابتسامة باهتة:

-واضح كده إن الأبله لسه تعبانة!

ردت عليه بسمة بجدة:  
-لا، أنا بقيت كويسة!

همست لها عواطف محذرة من أسلوبها الفظ:  
-كثر خيرك يا بني، هي بفضل الله بقت أحسن وهناخد تاكسي من هنا

اعترضت على ما قالته مرددًا بإصرار:  
-ليه تاكسي؟ ما العربية معايا، تعالوا أوصلكم في سكتي

احتجت بسمة مرددة بضيق:  
-لا، مش عاوزين

كزت عواطف على أسنانها قائلة بصوت خفيض وهي تميل برأسها على ابنتها:  
يا بت خليكي كويسة مع الناس، دي شكرا بتاعتك، هو أنا اللي هافهمك  
بردك!

اعترضت بسمة على تخاذل والدتها الغير مبرر أمام تلك العائلة مرددة:  
الله!

تابع دياب قائلاً بجدية وهو يشير بكفي يده:  
ياللا يا أبله، المرور واقف، كده هناخذ مخالفة!

هتفت عواطف بنبرة متشجعة:

حاضر يا بني، احنا جاين أهوو!

تحرك ثلاثتهم بخطى بطيئة نحو سيارته المصفوفة بجوار الرصيف.

مدت عواطف يدها لتفتح الباب الخلفي لتجلس ابنتها بأريحية على المقعد  
بمفردها دون مضايقة من أي شخص. ثم انحنت لتعدل من وضعية حذاءها الذي  
انتزع من قدمها.

انتبهت لصوت ممرضة ما تصيب عاليًا:

يا حاجة، يا مدام!

تساءلت عواطف بإستغراب وقد تشكل على ثغرها علامات القلق:

-ايوه يا بنتي ؟ في حاجة؟

أجابتها المريضة بصوت لاهث:

-اه، انتوا خرجتوا من غير ما توقعوا على اذن الخروج

ضربت عواطف بكف يدها مقدمة رأسها مرددة بإعتذار:

-معلش يا بنتي، اتلبخنا بقي، هاتي أما أمضيلك على الاذن ده!

ناولتها إياه المريضة وهي تقول:

-اتفضلي

ركب دياب سيارته سريعًا، وضبط وضعية المراة ليظهر انعكاس وجه بسمه به.

تعمد النظر إليها وهو يقول بمزاح:

تعرفني حتى ابني يحيي سألني عليكي، وزعل أوي لما عرف إنك في

المستشفى، ده صدمني لما سألني هي الأبله ماتت ولا لسه!



اتسعت حدقتها بغيظ كبير لكنه تابع بجدية زائفة:

-بس أنا زعقلته وهدلته، قولته دي مش طريقة تتكلم بيها مع الأبله بتاعتك،  
صح ولا أنا غلطان؟!!

رمقته بنظرات نارية مستشاشة، ونفخت بصوت مسموع وهي تشيح بوجهها  
للجانب مكثفية بتجاهله حتى لا تعطيه أكبر من حجمه.

ظل هو محققاً بها، وعلى ثغره ابتسامة متسعة، ثم لوح بهاتف ما محمول بيده  
متابعاً ببرود:

-صحيح، موبايلك معايا، مش ناوية تاخديه؟

التفتت سريعاً نحوه بوجهها العابس، وحدجته بنظرات محتدة للغاية، ثم مدت  
يدها لتلتقط منه هاتفها، لكنه قبض عليه وأبعده قائلاً بتسلية:

-يعني لولا البتاع ده مكونتيش عبرتيني؟

ردت عليه بسمة بفضاظة:

يا ريت تبطل سخافة لأن دمك ثقيل، وأنا جبت أخري!

تجمدت نظراته عليها، واشتدت ملامحه نوعاً ما، ثم هتف بقساوة غريبة وهو  
يقذف بالهاتف خلف ظهره:

بجد! خدي

انزعجت من تصرفه الودع معه، ولكنها ردت عليه غير مكترثة به قائلة باقتضاب  
متجهم:

هات!

استقلت عواطف هي الأخرى السيارة هاتفة بابتسامة عريضة:

ربنا يباركك يا رب ويكفيك شر المستخبي! الواحد بصراحة مش عارف  
يقولك ايه على كرم أخلاقك

رد عليها بجفاء:

عادي، مش حاجة يعني!

لاحظت هي تبدل تعابيرها، فظنت أنها ربما تكون هي وابنتها عبئاً ثقيلاً عليه،  
فأثرت الصمت في الوقت الراهن.

قاد دياب السيارة عائداً بهما إلى منطقتهم الشعبية ليكمل بعدها طريقه إلى  
الوكالة.

.....

هز رأسه للجانبين مستنكراً إلماح والده بضرورة البقاء مع تلك اليتيمة وعدم  
تركها بمفردها في المشفى.

انزعج من إصراره الغير مبررا محتجاً بضجر:

يا حاج ورانا شغل، مش هانعطل مصالحنا يعني عشان واحدة زهنا!

أضاف طه قائلاً بنبرة عقلانية محاولاً اقناعه:

ده انت دايما بتسعى للخير!

رد عليه منذر بجدة وهو يضرب بقبضتيه على سطح المكتب:

-وعملت اللي عليا وزيادة، مطلوب مني ايه تاني؟

علل والده سبب إصراره مردداً:

ما هي مالهاش حد....

قاطع مندر بصوت غليظ وقد ضاقت نظراته:  
- اومال عواطف دي تبقى ايه؟ خيال مائة مثلاً؟!

بر طه قائلاً بصوت رزين:

- ولية زهيا بتغرق في شبر مياه، انت كمان ناسي مشكلة بنتها ورقدهتها في  
المستشفا، يعني هتلاحق على ايه ولا ايه؟

رد عليه مندر بتبرم ملوحاً بذراعه:

- ودياب عمل اللي عليه معاهم، يعني مقصرناش!

تابع طه قائلاً محاولاً اثناءه عن تشبته برأيه الراض:  
- أنا عارف بس....

نهض مندر عن مقعده، ودفعه للخلف بقدمه، ثم دار حول مكتبه مقاطعاً إياه  
بصوت جاد للغاية:

-بص يا حاج، احنا عندنا طلبات وأوردت عاوزة تسلم، وكل ده بيقف  
علينا بخسارة، ودياب مش فاضي، وإنت يا حاج وراك شغل هنا بتنجزه،  
مين بقى اللي هيودي طلبات العملاء؟ ده حتى المال السايب بيعلم السرقة!

حرك طه رأسه مستنكراً عنده، وضرب بكفيه على رأس عكازه الخشبي:  
مش عارف أقولك ايه!

استأنف منذر حديثه الجامد قائلاً بتهكم:  
-وبعدين يعني هي مش في الشارع، هي في مستشفى ومعها ممرضات ودكاترة  
بيتابعوها!

جلس منذر قبالة والده، وسلط أنظاره الحادة عليه وهو يميل بجذعه نحوه، ثم  
تابع بصوت أجش صارم:  
-احنا مهمتنا خلصت لحد ما خلصنا الإجراءات وكلمنا قرييها، وهو بقى  
يتصرف معاها!

رمقه طه بنظرات معاتبة هاتفاً:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، ده أنا بأقول عليك قلبك طيب!

زفر منذر بعمق وهو يعيد ظهره للخلف، وأشاح بوجهه بعيداً مضيفاً بنفاذ  
صبر:

يا حاج ماتحسنيش بالذنب!

مال طه عليه قائللاً برجاء خفي:

-روح بس بص عليها، وشوف إن كان ناقصها حاجة، دي يتيمة يا بني!

صاح به منذر بتذمر ساخط:

هو أنا خلقتها ونسيتها!

حدجه أباه بنظرات منزعجة، ونهض فجأة عن مقعده مردداً بامتعاض ضارباً  
بعكازه الأرضية الصلبة:

خلاص يا منذر، هاروح أنا طالما مش عاوز!

هب ابنه البكري هو الآخر واقفاً من مكانه، ولحق به قائللاً بضجر:

-استنى يا حاج!

أشار له طه بيده هاتفاً بصرامة وإصرار:

-لا مش هاستنى، أنا متعودتش أسيب ولية لوحدها من غير راجل! وإن  
مكوتتش فاضي تروح لها، فأنا لسه معدمتش صحي

وقع منذر يده ومررها على رأسه عدة مرات بحركات سريعة متتالية تشير إلى  
عصبته، ثم أردف قائلاً بحذر:

-استغفر الله العظيم، خلاص يا حاج، اقعد انت وأنا رايح أشوفها

التفت طه ناحيته نصف التفاته، ورمقه بطرف عينه يانزعاج وهو يقول  
بعبوس:

-لا خليك في الطلبات و....

قاطعته منذر بصوت شبه نادم:

-خلاص يا حاج بقى، خليك في الوكالة وأنا رايح مكانك

ثم انحنى على كتفه ليقبله بجنو قائلاً يا عتذار:  
حقك عليا يا حاج!

ريت طه على ذراع ابنه هاتقاً بهدوء:  
ماشي يا مندر، ماشي!

ثم اتجه بعدها للمكتب ليسحب سلسلة مفاتيحه من على سطحه، وتمتم مع  
نفسه قائلاً بتبرم متهكم:  
آل كنت ناقصها هي كمان!

سار بعدها بخطى متعجلة نحو الخارج وهو يسب ويسخط بإنزعاج أكبر  
بسبب ذلك المشوار الثقيل.

.....

تمكن الحاج فتحي من الوصول إلى المشفى الحكومي المتواجد به جثمان  
الراحلة حنان، وكذلك أسيف.

ولج إلى داخل الاستقبال وهو يصيح بصوت جهوري منفعل:



هي فين بنت المرحوم؟

نظر له الجميع بغرابة، فأكل صياحه الهادر:

فين عرضي وشرفي؟

اقتربت منه إحدى المرضات معنفة إياه على أسلوبه الهمجي في الصراخ في مكان كهذا قاتلة:

جری یا بلديتنا انت داخل وكالة من غير بواب

نظر لها شزراً، ورد عليها بعصية:

أنا جاي أسأل على بنت أخويا وعلى أمها اللي ماتت هنا، هما فين؟

سألته المرضة مستفهمة:

تقصد مين بالضبط؟

أجابها بنبرة مكفهرة:

أسيف رياض خورشيد وأمها حنان!

أشارت له بكفها قائلة بنبرة رسمية:  
-ما فيش داعي للشوشرة، حضرتك اسأل في الاستعلامات وهيدلوك على  
اللي انت عاوزهم!

صاح متبرماً:

-اتوهتدوخوني وراكم

ردت عليه برقة مهنية وهي تحاول الحفاظ على ثباتها الاتفعالي أمامه:  
-معلش، ده النظام هنا يا حاج، اتفضل معايا!

هتف من بين أسنانه بصعوبة:

حبرنا يا رب على الهم ده

وبالفعل تبعها مجبراً ليتجه نحو الاستقبال ليستفسر أكثر عما يخص أسيف  
وأما المتوفية.

.....

[[ ناولتها قطعة من الخبز الذي أعدته لها، فابتسمت لها بإشراق وهي تقطم  
قطعة كبيرة منه.

التمتها على عجالة، فحذرتها حنان قائلة:  
بالراحة يا أسيف، كده غلط

كررت ضاحكة وهي تقفز بمرح على الأرضية الزراعية، فانزعجت والدتها قليلاً  
من عبثها الطفولي. وخشيت أن تتصرف برعونة فتؤذي نفسها؟  
رد عليها زوجها رياض بنبرة حانية:  
سيبيها يا حنان تعمل اللي هي عاوزاه!

التفت ناحيته قائلة بقلق:

-أنا خايفة عليها يا رياض!

ابتسم قائلاً بثقة وهو يمد يده ليمسك بكفها ويحتضنه بين راحتيه:

-لا اطمني، بنتك قوية!

نظرت إليهما صغيرتهما بسعادة كبيرة وهي تهتف بتلهف:  
أنا بأحبكم أوي، عاوزة أفضل على طول معاكم! مش عاوزة أكبر خالص!

ردت عليها والدتها بابتسامة ودودة:  
-يعني مش عاوزة تكوني عروسة ويقتالك بيت و...-

هزت رأسها نافية وهي تقول بإصرار:  
-لأ، أنا عاوزة أفضل صغونة كده وألعب هنا في الأرض وأكل من إيدك يا  
ماما، لأ، أنا هاتعلم أطبخ زيك عشان أبقى شطورة أوي، وكمان هاذكر كثير  
وأبقى ذكية زي بابا وأزرع الأرض، وألم المحصول و....-

قاطعها أباهما قائلاً بضحكة مرحة:  
كل ده! واحدة واحدة يا أسيف

اتجهت ناحية والدها، وجذبتته من كف يده قائلة بحماس:  
طب تعالى نلعب شوية يا بابا، ايه رأيك في الاستغماية؟

رد عليها مبتسماً:

ماشى، بس قبلها نظير طيارتك الورق!

أشرفت عينها بحماس أكبر، فسألها مهتماً:

ها إتي جبتها ولا....؟

صفقت بيدها قائلة بتأكيد:

هـ-

نهض ببطء من رقدته المسترخية على الأرضية الزراعية قائلاً بعزم:

حطب بينا يالا!

أمسكت هي بطايرتها الورقية، وبدأت تركض بأقصى سرعتها في اتجاه تلك البقعة الواسعة في أرضهم الزراعية. ثم أطلقتها في الهواء لتتحلق عاليًا بفعل النسبات القوية.

حاول أباهما اللحاق بها قائلاً بصوت شبه لاهث:

استني يا أسيف، متجريش!

لم تستطع التحكم في رباط طائرتها ففلتت من قبضتها الصغيرة، وبدأت في التحليق عاليًا، فزادت من سرعتها محاولة الإمساك بها وهي ترد بقلق:  
عاززة أمسك الطيارة قبل ما تضيع مننا!

هتف والدها بصوت قد بدأ يخبو نسيًا:  
-استنينا يا بنتي!

لم تستدر نحوه، وردت عليه بصعوبة وهي تقفز للأعلى محاولة إمساك رباط الطائرة:  
أنا قربت أمسكها

نجحت بعد عدة محاولات في استعادتها، فابتسمت بانتصار، ثم التفت للخلف باحثة بأعينها عن والديها.

كان المكان خاويًا من أثرهما، فانقبض قلبها خوفًا..

تلقت حولها بهلع واضح وصاحت متسائلة بتوجس كبير:  
بابا! ماما! انتو روحتوا فين؟

ركضت عائدة في نفس الإتجاه الذي جاءت منه لكن لم يكن لهم أي أثر،  
فأكلت صراخها المذعور:  
بابا! ماما! انتو فين؟؟

تسارعت دقات قلبها، وزاد خوفها وهي تصيح بفرع:  
خلاص مش هابعد عنكم تاني، انتو مستخبين فين؟

اختفت من يدها تلك الطائرة الورقية التي كانت ممسكة بها، وأصبحت فجأة  
في مكان مظلم بمفردها، لا يحيطها أي شيء سوى فضاء شاسع.  
زادت رجفتها، واختنق صوتها وهي تتوسلها قائلة:  
ماتسبونيش لوحدي!

وجدت نفسها تبكي بلا توقف، عبراتها تنهمر بغزارة مغرقة وجهها بالكامل.  
استشعرت بعدها تلك الحقيقة المريرة، وهي فقدان عائلتها وخسارتها للأبد.  
تهدج صدرها، وزاد عويلها ونحيبها المتألم.

أطلقت بعدها صرخة موجعة من أعمق المناطق بفؤادها متأثرة لرحيلها وتركها  
تقاسي وتعاني بلا شفقة أو رحمة من الآخرين [[

أفاقت أسيف من كابوسها المؤلم مرددة بصوت مختنق دون أن تفتح عينيها:  
-آآه.. بابا، ليه سبتني وخذت ماما معاك؟

لاحظت الممرضة المتواجدة معها بالغرفة استعادتها لوعيها، فاقتربت منها  
لتطمئن عليها أكثر وتفهم ما تقوله.

.....

في نفس التوقيت، صعد الحاج فتحي إلى الطابق المتواجد به غرفة أسيف  
المشتركة.

جاب بأنظاره أرقام الغرف حتى يصل إلى رقم غرفتها الصحيح، وما إن وجده  
حتى نفخ بضيق مردداً:

دوختيني وراكي!

www.almawakeel.com



لم يتردد كثيراً، حيث اقتحم الغرفة، وسلط أنظاره على تلك الراقدة قائلاً بنفاذ صبر:

-الحمد لله، أديني وصلتك!

انتفضت الممرضة فزعة من طريقته في اقتحام الغرفة دون أي مراعاة لخصوصية المرضى، فصاحت به بجدة:  
-رايح فين يا حضرت؟

أجابها بقساوة وهو يحدجها بنظرات غير مبالية:  
-داخل أخذ بنتي!

اعترضت طريقه قائلة بجدية:  
-ماينفمش كده!

دفعها من ذراعها للجانب صائحاً بضيق:  
-هو ايه اللي ماينفمش، عاوزاني أسيب لحمي وعرضي كده لوحدها، قالولكم عني مش راجل!

ردت عليه موضحة بنبرة شبه صارمة:  
يا حاج، يا حضرت، دي مستشفى محترم و....

قاطعها قائلاً بعدم اهتمام وهو مُصر على إصطحابها معه عنوة:  
-بلاهة الكلام الفارغ ده، احنا لحننا مش بنسيبوه!

دنا الحاج فتحي من فراشها الطبي، وأزاح عنها الملاءة التي تغطي جسدها، ثم  
انتزع جبراً تلك الإبرة الطبية الموصولة برسغها فسببت لها الألم.  
تأوهت بأنين خفيض وهي غير واعية بالقدر الكافي لتستوعب ما يدور حولها.

هتفت الممرضة قائلة بتوجس وهي تحاول منعه:  
يا حاج ما يصحش كده، المريضة مش في حالتها

نظر فتحي للممرضة بسخط، ولم يعبأ بصياحها المتواصل.  
وضع قبضته على أسيف، وأجرها على النهوض من رقدتها قائلاً بجمود:

تعالى يا بنت الغالين!

ترنح جسد أسيف بسبب انعدام اتزانها، وكادت تسقط على وجهها،  
فأسرعت المريضة بإسنادها قائلة بتوجس كبير:  
لو سمحت حالتها ماتسمحش، دي عندها انهيار عصبي ولازم تفضل هنا!

دفع الحاج فتحي المريضة من كتفها بقبضته، وأمسك بأسيف باليد الأخرى  
مردداً بتجهم غاضب:  
-انتو هتخافوا عليها أكثر مني!

لم تترك المريضة تفلت من يدها، وأصررت على اعتراضه ومنعه من أخذها بالقوة  
وهي تقول:  
-لا، بس دي أوامر الدكتور!

جذبها بعنف ناحيته، وضمها بذراعه إلى صدره هاتفاً بازدياء:  
-أنا أدري منكم، ومش هاسيها هنا

ردت عليه المريضة محذرة وهي تشير بسبابتها:

انت كده بتعرضها للخطر

أفاق عقل أسيف نوعًا ما بسبب تلك الحركات الإهتزازية العنيفة، واستعادت جزءًا مما حدث، وربطته مع حلمها المومج الذي ظل عالقًا بذاكرتها القريبة. كم ودت أن تظل باقية في حلمها الذي جمعها بالأقرب و الأعلى إلى قلبها، لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه.

همست بأنين منتحب وقد تراقصت العبرات في عينيها شبه المفتوحتين:  
ماما.. ماتسبنيش!

نظر لها فتحي بقسوة ونهرها قائلاً بغلظة:  
اسكتي يا بت، وتعالى معايا!

حاولت بضعف الابتعاد عنه، لكنها لم تقو، فقاومت على قدر استطاعتها قائلة  
بنبرة محتنقة:  
لا.. أنا عاوزة ماما!

زدات مقاومتها تدريجياً وهي تقول بإصرار:

-ودوني عندها، ماتخدوهاش مني!

شدد فتحي من قبضته على ذراعها، وضمها أكثر إلى صدره قائلاً بجدة:

-اخرسي وبلاش فضايح!

دفعته أسيف من صدره بكف يدها المرتعش محاولة التخلص منه وهي تصرخ  
ببكاء:

ماما، ليه بتحرموني منها؟

ردت عليها المريضة بتوجس بعد أن رأت تردي حالتها النفسية:

-اهدي لو سمحتي!

كان الحاج فتحي على وشك صب جم غضبه عليها بسبب تصرفاتها الهوجاء،  
والتي تعد من وجهة نظرة خارجة عن قواعد الأصول والتربية السليمة، ففز  
على أسنانه قائلاً بتوعد شرس:

-باين أمك مربتكيش، بس أما نرجع البلد لينا كلام تاني!

تابعت صراخها المروع مرودة:

آآآآه، ماما!

فاض به الكيل، فوضع يده على فمه ليكتم صراخاتها قائلاً بتهديد صريح:  
-اتلمي واكتمي حسك ده بدل ما أقطع نفسك

ثم بيده الأخرى ضغط على رأسها بقوة لينكسها للأسفل بطريقة مهينة.

شهقت المريضة مصدومة من فعلته، واحتجت قائلة:

يا حاج ماينفعلش كده!

حاولت التدخل لأكثر من مرة ومنعه من التصرف بعنف معها، لكنه كان  
يدفعها بقوة بعيداً عنهما.

قبض هو على رسغي أسيف بيده، وظل مكماً لشفتيها مانعاً إياها من الصراخ  
والاستغاثة.

في تلك اللحظة تحديداً وصل منذر إلى الرواق المؤدي إلى غرفتها، وسمع صوت الصراخات المنبعثة منها، فأسرع في خطواته نحوها. وقف على عتبة الغرفة، وشهد بأعينه ما يحدث فصاح مستنكراً بصوت قائم: في ايه اللي بيحصل هنا؟

ظل الحاج فتحي مقيداً أسيف، والتفت نحوها متسائلاً بنفاد صبر: انت مين؟

دنا منه منذر، ونظر له بشراسة وهو يرى مدى عجز تلك الضعيفة وهي واقعة في أسر ذلك الرجل الغليظ، وصاح به بصوت متشنج ونظراته تكاد تفتك به:

-أنا اللي بسالك إنت مين؟

وزع الحاج فتحي نظراته بين ذلك الغريب والمرضة قائلاً بتحدٍ غير عابيء بهما:

-بأقولكم ايه، أنا مش هاسيب بنت أخويا هنا!

تلوت أسيف بجسدها محاولة التحرر من حصار ابن خالة أمها، كما حاولت  
الحديث لكنها وجدت صعوبة في هذا بسبب تكميه لفمها..  
انزعج منذر أكثر لرؤيتها على تلك الحالة، وهتف بسخط وهو يقف قبالة:  
-انت الحاج فتحي بقي!

رد عليه الأخير باقتضاب:  
-ايوه!

هتف منذر قائلاً بعبوس كبير وقد أظلمت نظراته:  
طب سيديها عشان نتفاهم!

رد عليه فتحي بغلظة:  
-وانت مالك أصلاً؟

استشاطت نظرات منذر، وأصبحت مهددة بخطر وشيك.  
فاستشعر الحاج فتحي ذلك. وقبل أن ينطق بجرف كان هو واضعاً يده على  
كفه الممسك بمعصمها مخلصاً أسيف منه.



ثم هتف قائلاً بصوت مخيف:  
-لأ مالي ونص، لأن أنا اللي مكلمك!

تملكه الضيق بسبب تلك الحركة المباغثة من ذلك الغريب، ورد عليه بصوت  
متشنج وهو يحاول عدم إفلات أعصابه:  
قولتلي، بقي انت الجدع اياه!

أنزل منذر قبضة الحاج فتحي إلى جانبه، وتابع هاتقاً بنبرة حذرة:  
-اه أنا!

ثم نزع الأخرى عن فم أسيف لتسعل هي من اختناقها المؤقت.  
تراجعت للخلف لتجلس على طرف الفراش، وعاونتها المريضة في ضبط  
أنفاسها اللاهثة.  
قدمت لها كوباً من الماء لترتشف منه القليل، وظلت تمسح على ظهرها برفق  
محاولة تهدئتها ومساعدتها على التغلب على صدمتها.  
نظر لها منذر بإشفاق، وبصعوبة بالغة جاهد ليحافظ على هدوءه.

ثم ضيق من نظراته لتصبح أكثر إحتداداً، وتساءل مستنكراً وموجهاً حديثه  
للحاج فتحي:

-ايه اللي انت بتعمله ده؟ معلش كده أفهم!

رد عليه الأخير بجمود مستفز:

-زي ما أنت شايف، هاخذ بنت المرحوم معايا!

رفعت أسيف عيناها الدامعتين نحوه، وهزت رأسها نافية وهي تهمس بصوت  
مبحوح ومتحشرح:

-لا،... أنا....مش هاسيب ماما!

استدار الحاج فتحي بجسده للخلف ليرمقها بنظرات متوعدة، ثم تحرك نحوها،  
وجذبها من ذراعها قائلاً بشراسة امرأة:

قومي يا بت، اقفي على حيلك وتعال معايا!

تحرك منذر في إثره، ونزع قبضته عنها قائلاً بجدة وهو يكدجه بنظرات مهددة:

-انت مش شايف شكلها!

وضع الحاج فتحي يده على كتفه ليضربه بحركات قوية نسيبًا محذرًا إياه ببرود:  
ملكش فيه، لحمي مش هاسييه هنا!

قست نظرات مندر، وأصبحت نبرته أكثر قتامة وهو يقول:  
لحمك! فهمني انت مين بالضبط؟

رد عليه الأخير بتأفف وهو يرمق مندر بازدراء:  
أنا ابقى ابن خالة أمها، وفي مقام خالها، وأظنهم بيقلوا إن الخال والد!

أرجع مندر رأسه للخلف مرددًا بتهكم صريح:  
أه، ده لما تبقى خالها بحق وحقيق!

اغتاظ الحاج فتحه من رده المستفز، وانتفخ صدره غضبًا، فرمقه بنظرات  
نارية مستنكرة، وصاح بصوت جهوري منفعل:  
أنا واقف بأتكلم معاك أصلاً ليه!

التفت ناحية أسيف، ثم غرز أظافره في ذراعها ليؤلمها أكثر مردداً بعنف:

قومي يا بت!

صرخت متأللة وهي تبكي بحرقة:

-آه...!

اعترض منذر طريقه نازعاً قبضته عنها قائلاً بتحدٍ سافر:

-لا مش هاتقوم ولا هتمشي من هنا!

استشاط الحاج فتحي غضباً، وهدر بجموح ملوحاً بذراعه:

-بأقولك ايه يا جدع، انت مش عارفتي لسه، أنا مش هارمي لحمي كده للديابة

ياكلوه، أنا المسئول عنها هنا وكلمتي هاتمشي لو فيها قطع رقاب و....

قاطع منذر قائلاً باندفاع:

-لا إنت اللي مش عارفتي يا حاج، عاوز تاخذ قريبتك على عيني وعلى راسي،

وبالأصول! بس مش بالهمجية دي!

ثم زاد من قوة نبرته وهو يضيف:

ثانياً بقي وده الأهم، مين قالك إن انت بس المسئول عنها؟

اتسعت حدقتي الحاج فتحي بغيظ، وضغط على شفتيه قائلاً بغل بعد أن  
شعر بالتقليل من شأنه وتحقير دوره العائلي:

-اه أنا، مالهاش حد غيري!

التوى ثغر منذر بتهكم وهو يقول بثقة:

-لأ غلطان، عمته عواطف موجودة!

انفجرت شفتي الحاج فتحي قائلاً بإستنكار:

-نعم!

تابع منذر بجمود مثير للأعصاب:

عواطف خورشيد أخت أبوها المرحوم رياض، ولا دي كمان مش عارفها

تقوس فم الحاج فتحي ليرد عليه بسخط:

دلوقتي ظهرت، كانت فين أصلاً من زمان!

هتف منذر ساخراً منه وهو يرمقه بنظرات مزدريّة:

موجودة، بس واضح انك مش عايش في الدنيا!

كور الحاج فتحي قبضته بضيق وضغط على أصابعه بشدة.

أمال منذر رأسه عليه ليهمس له محذراً:

وخد بقى التقيلة، عواطف دي قريبة عيلة الحاج طه حرب، ونصيحتي ليك

ماتعدناش وخصوصاً أنا!

صاحت أسيف فجأة بصوت مهتاج:

أنا عاوزة ماما، ودوني عندها

استدار كلاً من منذر والحاج فتحي ناحيتها ونظرا إليها بنظرات متنوعة ما بين

التوعد والإشفاق.

ردت عليها الممرضة بهدوء محاولة السيطرة على غضبها وامتصاص انفعالها  
الغير محسوبة العواقب:  
حاضر، اهدي بس!

كان الحاج فتحي على وشك الصراخ بها وتعنيفها لكن أجمه صوت منذر القائل  
بصرامة:

من الآخر كده يا حاج، البت دي مش هاتمشي من هنا!

التفت الأخير نحوه مغتاضاً من عنجهيته، وتحديه إياه بجرأة.  
حدجه بأعين أقرب للجمرات من شدة احتقانها، وهتف مستنكراً:  
-انت بتتحداني؟

رد عليه منذر ببرود:

حاشا لله، بس لو عاوز الأمور تمشي، يبقى بالأصول يا حاج!

صر الأخير على أسنانه بشدة، وهتف بغلظة وقد تجهم وجهه كثيراً:  
-ماشي! طب الأصول بتقول إكرام الميت دفنه!

رد عليه منذر بهدوء:

عداك العيب، واحنا ملزمين بدفنه!

صرخت فيها أسيف يا هتياج مستنكرة وفاة والدتها:

ماما مامتتش، ماما لسه عايشة، انتو كدايين، كدايين!

فلتت زمام الأمور لدى الحاج فتحي بعد عبارتها الأخيرة، وشعر فيها بالمهانة  
وقلة القيمة، فأراد رد اعتباره، واستعادة مكانته كقريبها الصارم، لذا رفع يده في  
الهواء ليباغتها بصفعة قوية جابراً إياها على الصمت قائلاً بنفاذ صبر:

خوقي يا بت رياض، كفاية فضايح وقلة أدب!

نظرت له أسيف بفرع، وارتجف جسدها بشدة.

وضعت يدها على وجنتها عفويًا مذهولة من ضربه لها. وتجمدت العبرات  
المتراقصة في مقلتيها.



ضدم منذر مما فعله معها، واتسعت حدقتيه على أشدهما عقب تلك  
الصفعة المفاجئة واستقوائه عليها، وهدر بصراخ مخيف وقد انتفضت كافة  
حواسه وتأهبت للإنقضاض عليه:

حاج فتحي.....!!!!!!!

.....

## الفصل التاسع عشر:

فتحت عينها الناعستين بثناقل، ثم قامت بفركها بإصبعها بحركة خفيفة ثابتة  
متشابهة بصوت خفيض.

تمطت بذراعها لتزيح عنها ذلك التيبس، ومن ثم استدارت برأسها نحوه.  
التوى ثغره بابتسامة عابثة وهي تراه ممدداً إلى جوارها. فقد ظفرت بما أرادت،  
وعقد قرانها عليه رسمياً وأصبحت زوجته.

مدت يدها لتمسح على صدره العاري برفق ودلال، ثم ارتفعت بجسدها عن  
الفراش قليلاً لتتأمل وجهه بنظرات مطولة قبل أن تهمس له بدلال:

حبيبي، مش هاتصحي بقي، احنا بقينا العصر

أولاها ظهره وهو يستدير للجانب قائلاً بصوت متثاقل ومتحشرح:  
-وايه يعني؟

سألته متهمة وهي تعبت بخصلات شعره القصيرة:  
-مش هاتنزل شغلك النهاردة؟

أزاح يدها بعيداً عنه ورد قائلاً بتأفف ودون أن يفتح جفنيه:  
-لا، عاوز أناام!

عبس وجهها وهي تضيف بضيق:  
-اوكي يا حبيبي براحتك، أنا هاقوم أجهزلك الغدا و...

قاطعها قائلاً على مضض:  
-مش عاوز أكل، أنا هنام وپس!

ضغطت على شفيتها مرددة:

ماشي

ثم نهضت من جواره ساحبة رובהا الحريري لترتديه على قميص نومها الشفاف،  
والتفتت لتنظر له بعمق محدثة نفسها بضجر:

براحتك يا مازن، اتقل عليا، المهم إن حصل اللي كان نفسي فيه وخلص!

سارت إلى خارج الغرفة ومعها هاتفها المحمول. وأغلقت الباب ورائها لتضمن  
عدم استماعه لمكالمتها مع والدتها.

ألقت بثقل جسدها على الأريكة لتتمدد بإسترخاء، ولفت حول إصبعها  
خصلات شعرها.

أجابت أمها عليها قائلة بمزاح:

ناموسيتك كحلي يا عروسة

ردت عليها ولاء بسخط:

يا ماما أنا عدت المرحلة دي من زمان!

هتفت شادية قائلة بتفاخر:

لأ عروسة ونص، وكله بالورق الرسمي!

تقوس فمها بابتسامة باهتة وهي تضيف:

أها، طمني بس عملي ايه؟

أجابتها والتمها بثقة:

أنا لسه راجعة من عند المحامي، وخلص هانظبط قضية نقل الحضانة ليا!  
اطمني

سألتها بتوجس وهي تعتدل في جلستها:

-ودياب؟

أجابتها بهدوء مترث:

أكيد مش هايعرف دلوقتي! أما يوصله الإعلام!

حدقت ولاء في أظافرها متابعة بتوتر قليل:

-ربنا يستر بقي

صاحت بها شادية بجدية:

-انسيه وركزي مع اللي في ايدك، مش عاوزين غلطات

ردت عليها ابنتها على مضض:

-ماشى!

ثم تابعت الاثنتان ثرثرتهما المعتادة حول بعض الأمور الغير هامة.

.....

خرجت الممرضة من الغرفة لتستدعي أفراد الأمن للتدخل قبل تأزم الوضع في  
غرفة المريضة.

تحفز منذر للغاية وتشنجت عروقه بوضوح وبدا على وشك قتل أحدهم  
بعد تفاجئه بالصفعة العنيفة من قبل الحاج فتحي على تلك المكلومة الضعيفة.

ما أثار غيظه حقًا هو أنها لم تخطيء هي مازالت في حالة صدمة. لم تستفق  
بعد من غيوبتها المؤقتة وتستوعب تلك الفاجعة المتمثلة في خسارة والدتها.  
أظلمت نظراته للغاية، وهدر بصوت خشن مخيف يحمل الغل:

حاج فتحي!

لم يهتم به الأخير، وظلت أنظاره المحتدة مسلطة على أسيف التي هتفت  
بصوت باكي متخاذل وهي تذرف العبرات المريرة بغزارة:  
بابا لو كان عايش كان.....

قاطعها الحاج فتحي صائحاً بنبرة عدائية وهو يشير بإصبعه مهدداً:  
لو بؤك اتفتح تاني ه... آ....

قبض منذر على إصبعه المهدد شادداً قبضته عليه متعمداً إيلامه.  
ثم مقاطعه بنبرة قائمة وقد بلغ ذروة غضبه:  
انت بتستقوى على حرمة؟ لأ وقصادي كمان!

غاب عقل الحاج فتحي تماماً، وهدر فيه بنبرة متهورة:

دي شرفي، أعمل معاها اللي عاوزه، يعني لو غلظت أكرها ضلوعها كلها!  
وأدبجها كمان!

شكل منذر بجسده حاجزاً منيعاً أمامه ليسد عليه أي فرصة للإقتراب منها  
والتهديد بإيذائها، ورد عليه بصوت قوي محذر:  
ده لو أنا مش موجود!

فوجيء الحاج فتحي بما يفعله، وردد مستنكراً:  
افندم

تابع منذر قائلاً بشراسة وهو يتعمد تسليط أنظاره القائمة عليه:  
مش هاسمحك تمد ايدك عليها تاني!

ثم تحرك بجسده للأمام نحوه جابراً إياه على التراجع للخلف وهو يضيف  
بازدراء مهدد:

ولولا العيبة إنه يتقال مديت ايدي على راجل كبير زيك كنت خدت حقها  
وقتي منك!

صاح الحاج فتحي بعصية شديد وقد تشنجت عروق عنقه:  
-انت اتجننت، تهددني كده عيني عينك؟

كز منذر على أسنانه بقوة ليرد بجموح:  
-منذر حرب ما يهددش، أنا بأخد حتي بدراعي على طول!

دفعه الحاج فتحي من كتفه بأقصى طاقته ليفسح المجال أمامه للمرور قائلاً:  
-بانفعال:

-بعد عن طريقي!

جمد الأخير من جسده، وثبت أقدامه في الأرض لبدو كالصخرة الثقيلة  
الصعب إزاحتها من مكانها، فلم يستطع هو تحريكه إلا مسافة لا تتجاوز  
السنتمرات.

تابع الحاج فتحي صياحه الغاضب قائلاً:



-أنا ماليش اتكلم مع واحد زيك مالوش صلة بينا، أنا هاخذ البت وأمشي من هنا!

ظل منذر معترضاً طريقه وهو يرد بشراسة:

-مش هايجصل، مش هاسيديالك تستفرد بيها!

صاح به الأخير بعد أن شعر بإنكسار هيئته أمامه:

-إنت هاتمنعني؟

هز منذر رأسه بالإيجاب مردداً بثقة:

-اه، بالقوة! بالعافية! أو بقلة الأدب! شوف إنت و اختار اللي عاوزاه، بس

هي مش هاتمشي معاك!

كور الحاج فتحي قبضة يده، ولكمه في صدره بعنف بعد عبارته الأخيرة وهتف مغتاظاً:

-لأ بقى! انت كده اتخطيت حدودك معايا، وأنا مش هاسكتك

أمسك منذر بقبضته وضغط عليها بعنف أكبر مسبباً الألم له، وهتف مردداً  
بنبرة عدائية:

أعلى ما في خيلك اركبه، واللي عندك أعمله وزود عليه كمان!

اضطر الحاج فتحي أن يسحب كفه منه رغماً عنه، وحده بنظرات نارية.  
أدرك هو فارق القوى الجسمانية بينهما، لكنه لم يكن ليتركه ينتصر عليه.  
فكر سريعاً في طريقة للتخلص منه، وأوهمه أنه سيتراجع للخلف، لكنه كان  
يبحث عن ثغرة تمكنه من المرور والوصول إلى أسيف.

استدار منذر عفويًا ليحدق فيها بضيق.

كانت تبكي متحسرة، مازالت واضعة يدها على وجتها.

صدرها يعلو ويهبط من فرط الخوف.

شعر بوخز في قلبه نحوها. فالموقف أكبر منها.

وزفر يانزعاج كبير.

لم ينتبه هو للحاج فتحي الذي دار من حوله ليمسك بأسيف

هاتفًا بغضب:

قومي يا بت!

أفاق من تحديقه سريعاً مردداً بغضب:

انت بتعلم ايه؟

صرخت أسيف بفرع على إثر قبضته، وقاومته رغم ضعفها قائلة:

آآآه، أنا مش هامش....

هزها بعنف وهو يسحبها قسراً ليوبخها بقسوة متوعدة:

لينا كلام تاني يا بنت حنان!

آآآه

تأوهت بآلم شديد وهي تحاول الخلاص منه.

تدخل منذر ليعده عنها صائحاً بعصبية:

مش قولتلك مش هتاخذها

دفعه الحاج فتحي من كتفه بقبضته الأخرى مردداً بصوت متحشرج:  
-بعد يا ض انت!

رمقه مندر بنظرات محتقنة للغاية مردداً بجدة:  
-ياض!!!!

كان الحاج فتحي على وشك صفع أسيف مجدداً وهو يقول:  
-عاجبك الفضايح دي!

وقبل أن تطال كفه وجنتها كان مندر قابضاً على رصغه ضاغطاً عليه بقوة  
رهيبة، وهدر فيه بنبرة مخيفة:  
-بعد ايدك عنها

اشتعلت نظرات الحاج فتحي، وهدر متشنجاً:  
-سيب دراعي بدل ما آ....

قاطعهُ منذر قائلاً بنفاذ صبر، وقد أوشك على الانفجار فيه:  
شوف أنا فاض بيا منك، وهي كلمة، إنت مش هتاخدها، وده آخر ما  
عندي!

استجمع بعدها قوته ليدفع الحاج فتحي بعصبية للخلف بيد واحدة، وباليد  
الأخرى قبض على رسغ أسيف وجذبها منه قائلاً بصوت آمر:  
تعال!

كاد الأخير أن يفقد إترانه على إثر الدفعة، ولكنه استند بمرفقه على طرف  
الفراش.

لم تبد أسيف أي مقاومة معه، فقد استنفذت قواها بالكامل. وسارت  
مستسلمة معه فقط لتنجو من بدنها من شراسة الأقرب إليها.

اعتدل الحاج فتحي سريعاً في وقفته، وعدل من هيئته التي لم تعد مهندمة، ثم  
حاول اللحاق بمنذر وأسيف مردداً بصوت متحشرج:  
واخذ البت على فين؟

لم يلتفت نحوه منذر بل إستمر في جر أسيف خلفه، ورد عليه بصوت حاسم  
وبقتامة نافذة في نفس الوقت:

على بيت عمته، وهناك بقى تتكلم معاها ومع كبار حتنا!

أسرع الحاج فتحي في خطاه، وقبض على ذراع أسيف فصرخت متأوهة من  
أظافره المغروزة فيها.

توقف منذر عن السير، واستدار ناحيته ووجهه يعكس الكثير عما بداخله  
من نيران مستعرة.

شد أسيف ناحيته أكثر، ووضع قبضته على يد الحاج فتحي ليزيجمها عن  
ذراعها.

حدج الأخير منذر بنظرات ساخطة، وهتف فيه بتوعد:

فكرك إنت هاتعرف تهرب مني، لأ أنت مش عارف مين الحاج فتحي، ولا  
قرايب الحاج فتحي! إنت وقعت معايا، وأنا هاخذها غصبن عنك!

تمكن منذر من تخليصها منه، ورد عليه بجموح مخيف:

وماله، والعنوان أهو عندك، مايتوهش!

ثم لف ذراعه حول كتفي أسيف ليحاوطها وانطلق بها مبتعداً عنه.  
 تابعه الحاج فتحي بنظرات مميتة، ورفع من نبرة صوته قائلاً وهو يلوح بيده:  
 ماشي يا ابن ال.....! مش الحاج فتحي اللي يتهزأ على كبر ومايخدش بتاره!

أخفض رأسه ليبحث بلا تركيز عن هاتفه المحمول في جيبي جلبابه، ثم أخرجه  
 ليهاتف أحد الأشخاص.

ظل يذرع الرواق ذهاباً وإياباً وهو يقول بنبرة محتدة:  
 أيوه يا حاج اسماعيل، عاوزك في موضوع مهم جداً، لأ، مايستناش! اسمعني  
 للأخر!

.....

ابتعد منذر بأسيف عن الطابق المتواجد به قريها الشرس.  
 كانت هي مزعوجة من محاطته لها، فتملصت بضيق من ذراعه.  
 أرخى هو يده عنها، وحاول طمأنتها قائلاً بهدوء متريث:  
 متخافيش محدش هايعمل حاجة!

فركت ذراعها المتآم بكف يدها مرددة بإصرار:

أنا عاوزه ماما، وديني عندها!

نظر إليها ولم يعقب. وضغط على شفثيه بقوة محاولاً التفكير في طريقة لإقناعها أن والدتها قد قضت نحبها.

بادلته نظرات متعجبة من صمته المؤقت، فزفر بضيق من تلك النظرات.

زاد حنقه حينما وجد آثار تلك الأصابع محفورة على وجتها.

أبعد عيناه عنها، ووضع إصبعيه على طرف ذقنه ليفرجه بحيرة.

يئست من مساعدته لها، فتحركت مبتعدة عنه سائرة بلا وجهة محددة لتبحث عنها.

لحق بها منذر وأمسك بها من معصمها ليجبرها على التوقف.

التفتت ناحيته، ورمقته بنظرات حادة مرددة بصوت مبحوح:

أنا مش عاوزه مساعدة منك، أنا هادور عليها بنفسني

ثم دفعت بقسوة يده عنها.

رأى في نظراتها إصراراً عجيباً يتنافى تماماً مع ذلك الضعف الذي كان أمامه قبل لحظات.



لم يجد بدأ من مصارحتها بالحقيقة، لذا أمسك بذراعيها بكفيه، ووقف قبالتها  
صائحاً بصوت آمر:

عاوزك تسمعيني كويس وتفهمي الكلام!

انتفضت من لمسه لها، وجاهدت لتبعدهما عنها.

لم يهتم بما تصدره من مقاومة، وتابع قائلاً بقسوة وقد أظلمت نظراته:

أمك معدتش عايشة وسطنا، راحت مع اللي راحوا!

اضطربت أنفاسها، وبرقت عيناها بشدة وهي تهتف محتجة ومستنكرة حديثه:

لا، ماما مامتتش، إنتو ليه مصممين.....

قاطعها قائلاً بصوت قاتم وهو يهزها بعنف:

مش وقت جنان، أمك ماتت فعلاً، والمفروض هتدفن وده متأجل عشان

خاطرك!

نهج صدرها، وتهدجت أنفاسها بصورة ملحوظة.

تقطع صوتها واختنق بصورة كبيرة وهي تهز رأسها نافية:

-لألاً، كذب.. كله كذب، هي تعبانة بس شوية!

شدد من قبضتيه عليها ليضيف محذراً بجمود:

-شوفي أنا لو سبتك للراجل المفتري اللي جواد ده مش هايرحمك!

لم تتمكن من منع عبارتها، فآلم صفعته مازالت أثاره باقية في نفسها، لذا ردت بصياح باكي:

-هو جاي ليه أصلاً؟ ما خد الأرض مننا، عاوز ايه تاني، مش هاسيبه ياخذ أمي!

أغمض منذر عينيه للحظة يائساً من محاولة إقناعها بالعكس.

ثم تنفس بعمق، وعاود فتح جفنيه ليقول بهدوء مصطنع:

-ركزي معايا، أمك ماتت

تصلبت تعابير وجهها، واصطبغ بجمرة غاضبة، وهتفت مستنكرة بعناد أكبر رغم اختناق حروف كلماتها:

-لأ، ماما لسه عايشة!

وصل منذر إلى قمة يأسه معها، فهتف بنزق:  
-مابدهاش بقي، تعالي معايا!

أرخی قبضته عن ذراعها الأيمن، وشدت من الأخرى على الأيسر ليجذبها  
خلفه.

حاولت التحرر منه وهي تسأله بصوت متحشرج:  
-واخذني على فين؟

أجابها بنبرة جافة للغاية وقد قست نظراته:  
-هخليكي تصدقي!

ابتلعت ريقها بخوف شديد، وزاد خفقان قلبها وهي تتبعه رغماً عنها.  
لم يكن أمام منذر أي وسيلة أخرى لإقناعها سوى اللجوء لتلك الطريقة  
القاسية والخالية من العطف.  
إن لم تستفق من غيبوبتها وتدرک ما يحدث حولها بطريقة عقلانية ستتيح  
الفرصة للطامعين بها لإستغلالها والإساءة إليها.

أحياناً تجربنا بعض المواقف على تجاوز ما هو معقول للوصول لغرض ما.  
وهذا ما فعله.

اتجه بها نحو المشرحة، ذلك المكان البارد الخالي من الحياة.  
لم تعرف وجهتها بالضبط، لكن استشعر قلبها من تلك الرائحة الغريبة التي  
تغلف المكان أنها مقبلة على أمر سيء.

ولج الإثنان إلى ممر ما جانبي نائي عن باقي المشفى.  
كان طويلاً نسيباً وشبه مظلم، وتضم جدرانه برودة قارصة رغم اعتدال الجو  
بالخارج.

جف حلقها بدرجة كبيرة، ودبت إرتجافة قوية في أوصالها وهي تطلأ أرضيته  
القائمة.

نعم شعور قوي بالرغبة سيطر عليها.

كانت تحاول قراءة ما دون على اللافتات الجانبية، لكن نظراتها كانت مشوشة،  
فعجزت عن القراءة بوضوح.

وقعت عيناى مندر على أحد الأشخاص الجالسين قرب نهاية الممر، فاتجه بها نحوه.

هب الرجل واقفاً من مكانه متسائلاً بخشونة:

-رايح فين يا أخ؟

أرعى مندر قبضته عن أسيف، وتحرك نحو الرجل ليجذبه معه بعيداً عنها هامساً:

-ممکن كلمتين على جنب كده؟

وزع الرجل أنظاره بينهما، وهتف بجفاء:

-كلمتين ايه دول؟ ممنوع أصلاً تيجوا هنا

بناءً على عهده بالعاملين بذلك القسم الخيف بالمشفى، هو يعلم بتقبل أغلبه للرشاوى وتقاضي الأموال مقابل القيام ببعض الأمور المخالفة، طالما أنها لا تسبب له الأذى أو المشاكل، وبالتالي تعامل مع الموقف بحرفية معتادة.

لذا دس يده في جيبه، وأخر حفنة من النقود، وطواها في راحته، ثم قربها  
بجذر من كف الرجل، وأعطاه ما بها عنوة وهو يرد بخفوت:  
معلش!

أخفض الرجل نظراته نحو كفه، وادعى عدم إهتمامه بما يفعله قائلاً بإعتراض:  
مش مسموح يا حضرت تبقوا....

قاطع منذر بنبرة ذات مغزى وهو يغمز له:  
احنا عاوزين نشوف أمها قبل ما تدفن، و...

أصر الرجل على رفضه مقاطعاً بتأفف:  
لالالا، كده أنا هاقع في مشكلة يا حضرت!

تابعتها أسيف بنظرات حائرة، هي لم تفهم بعد ما الذي تفعله هنا في ذلك  
المكان البارد. وجابت بعينها حوائطه بنظرات سريعة خاطفة.

التقط منذر كف الرجل بأصابعه، ودس فيهم النقود قائلاً بلؤم:

-كل مشكلة وليها حل!

قبض الرجل على النقود، وخبأها في جيب معطفه المتهدل قائلاً يا احتجاج  
زائف:

بس.....

غمز لها منذر بنظرات ذات مغزى وهو يهمس بالحاح:

ده معروف، هتاخذ فيها ثواب!

ابتلع الرجل ريقه قائلاً بتوجس:

طب بسرعة الله يكرمك، أنا مش ناقص مشاكل!

التوى ثغر منذر بابتسامة عابثة وهو يقول:

على طول، دقيقتين!

عاد منذر إلى أسيف، ودفعها للأمام دون أن ينبس بكلمة.

سألته برجفة واضحة في نبرتها:

هو.. هو انت واخدي علي فين؟

أجابها بغموض:

مش عاوزة تشوفي أمك؟

سألته بتوجس وقد تسارعت دقات قلبها:

هي بتعمل ايه هنا؟

وقف أمام اللافتة، وأشار بعينه الحادثين نحوها قائلاً بجمود:

أمك موجودة هنا، بالمشرحة!

شحب وجهها بشدة، واتسعت عيناها مصدومة وهي تهتف بصراخ:

لا!

عفويًا وضع مندر قبضته على فم أسيف ليكتم صراختها، ولف يده الأخرى  
خلف رأسها.



توجس الرجل خيفة من افتضاح أمره، واكتشاف سماحه لبعض الغرباء  
بالولوج إلى داخل المشرحة دون تصريح رسمي، فهتف مستنكراً:  
-شششش، ايه يا جدع، انت كده هتفضحننا؟

ظل منذر مكماً لغم أسيف ولم يتركها، والتفت فقط برأسه نحو الرجل قائلاً  
بامتعاض خافت:  
-لا مؤاخذة!

حاولت أسيف ابعاد قبضته عن فمها لكنه فشلت، وتحركت مجبرة معه نحو  
الداخل.

أغلق الرجل الباب خلفها وبقي بالخارج ليراقب الطريق.

تنفست أسيف بصعوبة، وتعلقت أبصارها المرعوبة بوجه منذر.  
أردف هو قائلاً بتحذير:

-هاشيل ايدي ومش هاتصوتي، سامعة؟

هزت رأسها بالإيجاب ممثلة لأمره، فأزاح يده ببطء عنها.

هتفت فيه فجأة بصوت منفعل وهي تتراجع للخلف مبتعدة عنه:

انت كذاب!!!

رد عليها بجمود وهو يتحرك صوبها بخطى ثابتة:

ماشى، أنا كذاب، تعالي وصدقي بعينيكي!

جذبها من ذراعها نحو أحد الأسيرة ليقراً ما دون على طرفها من أسماء تخص  
جثامين المتوفين.

كانت ترتجف بشدة، ورغم ذلك صمدت واستجمعت شجاعته حتى تصل  
للحقيقة.

كانت على يقين تام أنه كاذب، وأن والدتها بخير وستمثل للشفاء.

لكن تلاشى كل شيء فجأة حينما أوقفها أمام الفراش المنزوي.

حدقت بأعين متجمدة في تلك الورقة البيضاء المكتوب عليها بالقلم الحبري "  
المرحومة حنان "

اهتزت نظراتها، وقفز قلبها في قدميها من أثر الصدمة.

أوشكت على الإنهيار، لكن ما مرت به لا يقارن بتلك اللحظة القاسية التي  
كشف فيها منذر عن وجه أمها المتوفية.

هتف بنبرة خالية من الحياة وهو يشير إليها:

هي دي أمك؟

خفق قلبها بقوة أكبر، وتجمدت أنظارها على وجهها الأزرق.  
شخصت أبصارها هلعاً، وارتفع حاجباها للأعلى برعب كبير.  
جف حلقها تماماً، وتجمدت الكلمات على شفثتها فعجزت عن النطق.  
إنها حقاً والدتها، لكنها في وضع غريب ومريب.  
جررت ساقها لتقترب أكثر منها.

رأى منذر في نظراتها وتعابير وجهها المخيف أثر الحقيقة المريرة عليها.  
هو ندم على تلك الخطوة الجريئة، لكنها كانت بالنسبة له الخط الفاصل بين  
الواقع والجنون.

مدت أسيف كفها المرتعش نحو جسد والدتها المسجي على الفراش لتتلمسه،  
وترقرقت العبرات بمقلتيها وهي تهمس لها بصوت هامس متقطع مصدوم:  
-م..ماما!

لم تجبها، ولم تتحرك على إثر لمساتها الرقيقة المعتادة.  
كانت باردة للغاية، صامتة، خالية من الحياة.

زاد نهجان صدرها. وتسابقت نبضات قلبها حتى كادت تصم أذنيها من فرط  
سرعتها.

بكت بغزارة غير مسبوقة، وهزت رأسها للجانبين بإيماءات متتالية مستنكرة  
قساوة الحياة معها.

اضطربت أنفاسها بجموح وهي تحاول إخراج تلك الشهقة الصارخة بآلم والتي  
تحمل الكثير من أعماق فؤادها المفجوع:

-لا، ماما.....!!!

## الفصل العشرون:

أطفأت عواطف الإنارة بغرفة ابنتها بسمة بعد أن غفت على فراشها. رمتها بنظرات أخيرة قبل أن تلج للخارج وتغلق الباب خلفها بهدوء حذر.

سألها نيرمين بنبرة عادية وهي تجمع صحون الطعام المتسخة:  
نامت؟

أجابتها عواطف بإيماءة واضحة من رأسها:  
اه يا حبة عيني، زي ما تكون بقالها سنة ماشاقتش طعم النوم

أضافت نيرمين قائلة بجدية:  
ده أحسنها عشان جسمها يفوق من ثاني

وافقتها عواطف الرأي وتابعت قائلة بصوت جاد:

-بدي أروح أشوف بنت أخويا هي كمان وأطمئن عليها!

رمقتها نيرمين بنظرات شبه حادة، وردت بامتعاض:  
ما هي في المستشفى وحواليها دكاترة أد كده ها يكون ناقصها ايه!

انزعجت عواطف من ردها القاسي، واحتجت قائلة بعتاب:  
ما يصحش يا نيرمين، أنا مقصرة جامد في حقها، وحتى دفنة أمها مش عارفين  
هاتعمل فيها ايه لحد دلوقتي!

تقوس فم نيرمين للجانب لتضيف بتهكم:  
يا ماما عادي، هي مش أول واحدة يموتلها حد! وبعدين احنا منعرفهاش أد  
كده

أغاظها ذلك الجحود البادي عليها، فصاحت معنفة إياها:  
-انت عاوزة تركبنا الغلط، يعني ايه منعرفهاش، دي بنت أخويا الله يرحمه

حاولت نيرمين أن تتدارك الموقف قبل أن تثور عليها والدتها، فقد أخطأت في  
عبارتها الأخيرة، وهتفت مصححة:

مقصدش، بس احنا برضوه عندنا مشاكلنا وزيادة!

ثم دنت منها لتضيف بنبرة ذات مغزى:

ده غير انها مش في وعيها، يعني مروحتك ليها لا هتقدم ولا هتأخر!

نكست عواطف رأسها قائلة بخزي:

قلبي مش جايني أسبها لوحدها!

وضعت نيرمين يديها على كتفي أمها، وضغطت عليها قليلاً وهي تقول بمكر:

هي مش لوحدها، ما أنا قولتلك من شوية هي معاها دكاترة وممرضين، وناس  
فاهمة شغلها كويس، ده غير انها أعدة في مستشفى، وفي مواعيد للزيارة، يعني  
ممكن ميرضوش يخلوكي تشوفيا!

ارتفع حاجب عواطف للأعلى في استغراب واضح، وهتفت متعجبة:

هما ممكن يعملوا كده؟

حركت نيرمين رأسها بالإيجاب بتضيف بثقة:

اه طبعا

أخرجت عواطف من صدرها تهيدة مزعوجة وهي تقول:

-لا حول ولا قوة إلا بالله!

ابتسمت نيرمين لنفسها بغرور لنجاحها بدون أي مجهود في إثناء والدتها عن

القيام بتلك الزيارة الغير مجدية، وتابعت بحذر:

شوفي اتتي بس بنتك العيانة دلوقتي، واحنا آخر النهار هنعدي نبص عليها!

ردت عليها مستسلمة بيأس:

أمري لله

.....

هاتف الحاج فتحي أغلب كبار قريرتهم ليتأكد من حضورهم إليه في أقرب وقت

لمساندته واستعادة ابنه الغالي كما يدعي.



عاود الاتصال به الحاج اسماعيل ليعرف التطورات منه، فأبلغه الأخير قائلاً  
بعناد :

أنا خلاص كبرت في دماغي، ويانا يا الواد ده! البت هترجع معايا غصبن  
عنهم كلهم

رد عليه الحاج اسماعيل بنبرة متريثة هادئة:  
عندك حق يا حاج فتحي، واحنا كلنا معاك!

تابع الحاج فتحي مردداً بنبرة مكفهرة:  
أنا هاحجز في لوكاندة قرية، وهابلغك بمكانها عشان تيجولي على هناك، بس  
بلاش تتأخروا عليا، عاوز أنهي الليلة دي النهاردة

رد عليه بجدية:  
أني ضبطت الماكروباصات وشوية وهتحمل بالرجالة وهتلاقينا عندك  
على بركة الله، ماتحرمش!

قالها الحاج فتحي بنبرة قائمة توشي بشر مستطر منهاياً مكالمته معه.

.....

استمعت الحاجة جليلة إلى دقات عنيفة على باب منزلها حتى شعرت أنها  
ستخلعه.

انفضت في مكانها، وتركت ما بيدها لتسرع في خطواتها تجاهه لتفتحه وهي  
تصيح بقلق:

-أيوه يا اللي بتخبط! هي الدنيا اتهدت!

أدارت المقبض، وأطلت برأسها لترى الطارق فشهقت مصدومة وهي تضع  
يدها على فمها.

صاح بها منذر بصوت منزعج وهو يشير برأسها:

-افتحي الباب يا حاجة جليلة، وإديني سكة

زادت صدمتها المتفاجئة حينما دقت النظر فيه، ورائته حاملاً فتاة ما غريبة  
غائبة عن الوعي بين ذراعيه.

أفاقت من ذهولها على صوته الأمر:

-ياللا يا أماء، مش هافضل واقف كده كثير

هزت رأسها بتوتر وهي تجيبه:  
حاضر يا بني!

فتحت الباب على مصرعيه، وأفسحت له المجال ليربها للداخل.  
ظلت أنظارها متعلقة به، وقد اقتحم عقلها عشرات من الأسئلة.

سارت خلفه متسائلة باندفاع وهي تضع يدها على طرف ذقنها:  
مين دي يا مندر؟ وحصلها ايه؟ وجاي بيها هنا ليه أصلاً؟

لم يستدر نحوها، ورد عليها بصيغة أمرة:  
طلعي أروى من أوضتها!

انزعجت من تجاهله لها قائلة بحدة قليلة:  
ما ترد عليا يا بني، دي مين؟

التفت كليًا نحوها، ورد عليها بعبوس:

هاقولك بس أنيها جوا!

مررت أنظارها سريعًا على الفتاة فوجدت حالتها مزرية للغاية، ثوبها ملطخ  
بآثار الدماء الجافة، وجهها شبه شاحب وفاقد لحيويته، تكاد تكون في وضع  
غير مبشر على الإطلاق.

كان منذر على وشك فقد صبره بسبب ببطء استجابة والدته له، فهدر قائلاً  
بعصبية:

ياللا يا حاجة!

حركت رأسها بإيماءات متتالية، والتفتت تركض وهي تصيح بصوت متعصب:

بت يا أروى، إنتي يا بت! سيبي أوضتك وتعالى

جاءها صوت ابنتها الصغرى من الداخل قائلة:

أيوه يا ماما!

سدت عليها جليلة الطريق بجسدها لكي لا ترى تلك الفتاة الفاقدة لوعيمها،  
ودفعت باقوة من كتفها لتستدير عنوة في الإبتجاه العكسي قائلة بجمود:  
روحي عند يحيى!

لمحت أروى بطرف عينها الشابة، فتساءلت بفضول وهي تختلس النظرات  
إليها:

مين دي؟ هي تعبانة يا ماما؟

نهرتها أمها لتدخلها في شئون لا تخصها صائحة بغلظة:  
مالكيش دعوة، روعي يالا عند يحيى!

عبست أروى بوجهها قائلة بضيق:  
طيب، أوف!

تأكدت جليلة من ابتعاد ابنتها ودخلها إلى غرفة يحيى فاستدارت عائدة إلى  
ابنها قائلة بصوت مزعوج:

ما تفهمني يا مندر مين البت دي ؟ وجايها مسوراة ( فاقدة للوعي ) ليه هنا  
عندنا ؟

رد عليها بغموض مقتضب:

مش وقته يا أمي!

شدد هو من قبضتيه على أسيف ليضمها إليه، واتجه حاملاً إياها نحو غرفة  
أخته الصغرى.

تبعته جليلة إلى الغرفة، وأزاحت الغطاء ليتمكن هو من إسنادها برفق عليه.  
عاوته جليلة في تغطية جسدها، ووضع الوسادة خلف رأسها.

أمعن مندر النظر إليها مطولاً، ورفع يده على رأسه ليمررها في خصلات  
شعره، ثم حكها بحيرة وأخذ ينفخ بصوت مسموع.

رمقته والدته بنظرات ذات مغزى، ثم سحبتة من ذراعه قائلة بخفوت:

تعالى نتكلم برا!

رد عليها بتجهم:

خليكي جنبها دلوقتي يا ماما وهنتكلم بعيد!

هتفت معترضة بإصرار وقد تشنجت تعابير وجهها:  
-لأ دلوقتي، سامع يا منذر!

وزادت من صرامة نبرتها وهي تضيف:  
-أنا مش هاعمل حاجة إلا لما أفهم بالضبط مين دي وايه اللي حصل!!!

تهد يارهاق وهو يجيبها مستسلماً:  
-ماشي هاقولك كل حاجة!

.....

قبل وقت قليل،،،،  
شحوب ممزوج بالهلع سيطر عليها حينما رأت جثمان والدتها أمامها.  
ظنت في البداية أن الأمر مجرد وهم وأكذوبة يحاولون تلفيقها، لكنها أفاقت  
على تلك الحقيقة المرة.

هي خسرتها وللأبد، ورحلت عنها مثلما رحل أباهما من قبل.  
كتمت بصعوبة شهقاتها الموجوعة لفراقها.

انحنت على رأسها لتقبلها ببيكاء حارق قائلة:

-لا، ماما ماتوتيش وتسبيني!

اغرقت عبراتها الساخنة جبين والدتها المتوفاة وهي تهز برفق قائلة يا ختناق:

ليه عملي كده فيا؟ أنا ماليش غيرك!

عجز منذر عن مساعدتها، فهو يعلم أن الصدمة أقوى من الإحتمال، لكنه كان مضطراً لفعل هذا لتدرك الواقع وتفقد من تلك الأوهام.

أشاح بوجهه للجانب وهو ينفخ بصوت مسموع لعدة مرات.

واصلت أسيف عويلها عليها، وأجهشت ببيكاء أشد تدمع له القلوب.

إنهارت قدمها، وصرخت بألم كبير وهي تجثو على ركبتيها.

التفت منذر ناحيتها، وانحنى للأسفل نحوها هاتفاً بقلق:

-ادعيها بالرحمة، هي محتاجة لده!

لم يعد لديها الرغبة في الحياة، فأقدمت على ضرب رأسها بالحامل المعدني

للفراش بعنف كبير بطريقة هسترية.



توجس منذر خيفة أن تؤذي نفسها، فثبت رأسها بأحد قبضتيه بالإجبار،  
 ووضع الأخرى أمام جبينها لتشكّل حائلاً إن كررت المحاولة، ثم عنفها بضجر:  
 -اللي بتعمليه ده غلط، اتتي بتضري نفسك!

صرخت فيه ياهتياج وهي تحاول تكرار الأمر:  
 محدش ليه دعوة بيه، سيبوني أموت وأحصلها، سيبوني!

تعالت شهقاتها الصارخة أكثر وهي تتابع بأسى:  
 مش هاسبيك يا ماما!

اضطر منذر أن يخفض ذراعه نحو عنقها ليطوقها من كنفها، ثم لف الأخر  
 حول ذراعها ليتمكن من سحبها بعيداً عن الفراش متسخدماً قوته.

ركلت الأرضية الباردة بقدميها وهي تقاومه، وواصلت صراخها المكثوم، فلم  
 يكن أمامه أي وسيلة أخرى سوى كتم صراخاتها العالية بتكيمٍ فيها براحة يده  
 حتى لا يفتضح أمرها.

تلوت بجسدها بشراة محاولة الخلاص منه، لكنه كان مسيطراً كلياً عليها.  
 شعرت بضعفها، بوحدتها، ببيتها، بتلك الغربة الموحشة التي أصبحت بمفردها  
 فيها.  
 ارتجف كيانها من ذلك التفكير القاسي، وتلفتت بعينها حولها بذعر،  
 فاضطربت أنفاسها أكثر، ووجدت صعوبة في التنفس لذا وضعت قبضتها على  
 يد منذر محاولة انتزاعها عنها.  
 ظن هو أنها ترغب في تحرير نفسها لمواصلة صراخها، ولم يطرأ بباله أنها تختنق.  
 انزعج مما تفعله، فأحكم قبضته عليها، ثم تشدق قائلاً بصرامة:  
 -اهدي، مش هارينفع كده!

تحرك جسدها بصورة هستيرية متشنجة أربكته، فأرخی قبضته عنها ليمدها  
 على الأرضية. فتفاجيء أنها تشهق محاولة التنفس.  
 التف حولها، وجثى أمامها، ثم رفع وجهها وأسنده على ذراعه قائلاً بتخوف مما  
 يحدث لها:  
 -خدي نفسك!

بدت كمن يلهث وحدت في الفراغ بنظرات خاوية مخيفة.

رمقها بنظرات مرتعدة، وضرب برفق على وجنتيها محاولاً إفاقتها:  
-ركزي معايا، فوقى واسمعيني!

لم تنظر نحوه، بل شعرت بالظلام يغلف عيناها وأن الأرض تميد بها، وتدرجياً  
خبي عنف حركتها وتشنجات جسدها حتى سكنت تماماً.  
حدق فيها منذر بذهول حينما تراخى جسدها أمامه، وأيقن أنها فقدت  
الوعي.

ضغط على شفثيه قائلاً بضجر:  
عشان تبقى كملت!

أخفض ذراعه ليف خصرها به، ثم مرر الآخر أسفل ركبتيها ليحملها وهو يتمتم  
بكلمات مهمة لكنها تشير إلى ضيقه.

خرج من المشرحة حاملاً إياها فحدق فيه الرجل المنتظر بالخارج بأعين  
متسعة، وهتف بخوف:  
مالها؟

رد عليه منذر باقتضاب وهو ينظر له بحدة:

خرفرت، ماستحملتش المنظر!

لوى الرجل فمه قائلاً بارتباك وهو يحك فروة رأسه:

هي ناقصة!

حدجه منذر بنظرات قاسية فقد كان في وضع يحسد عليه، وربما يتعرض

لمشكلة ما إن عُرف ما فعله واختراقه للقوانين، فصاح بجمود:

قولي أتصرف ازاي!

توجس الرجل خيفة أن يراها غيره على تلك الحالة فيتعرض للمشاكل

والمساءلة القانونية. لذا هتف بنزق وهو يشير بيده:

حطب اطلع بيها من الطرقة اللي هناك دي، هتوديك على سلم جانبي بتاع

الطواريء، انزل منه لتحت ماشي، هتلاقي نفسك في الشارع بس من ورا!

واتصرف بقى انت من هناك!

رد عليه منذر بإيجاز:

متشكر

بسرة بس الله يكرمك، مش عاوز حد يشوفك هنا

حاضر

اتجه بعدها منذر بخطى سريعة نحو الرواق لينفذ ما قاله الأخير.

.....

بعد لحظات كان منذر خارج المشفى من بوابتها الخلفية.

راقب الطريق جيدًا ليتأكد من خلوه من المارة، ثم هرول بأسيف نحو سيارته التي كانت مصفوفة على الجانب.

حمد الله في نفسه أنه ركنها في المكان المناسب حتى لا يثير الشبهات حوله، فهو في غنى عن أي مشاكل حالية.

ثم تلفت حوله بنظرات خاطفة وشمولية فتأكد من هدوء الأجواء.

وبحرص متأنى أنزل أسيف لتقف على قدميها دون أن يرخي ذراعه عنها وضمها إليه بقوة حتى لا تفلت منه.

مالت هي برأسها على صدره، وشدده هو من قبضته عليها حتى يتمكن من فتح باب السيارة باليد الأخرى.

تحرك خطوة للخلف، ثم فتح الباب على أشده، ووضعها برفق على المقعد  
 الأمامي. انحنى للأسفل ليضم ساقها معاً بداخلها.  
 أخرج زفيراً قوياً من صدره وهو يعتدل في وقفته، وصفق الباب بقوة متمماً مع  
 نفسه بتبرم:  
 -كلها معانا بالستر!

دار سريعاً حول السيارة ليركب إلى جوارها، وقبل أن ينطلق بها بحث عن  
 نظارته الشمسية ليضعها على وجهها حتى إذا توقف في إشارة مرورية ما لا  
 يرى أحد ما بها.

.....  
 ولج دياب إلى الوكالة وهو ينهي مكالمة هاتفية مع أحد العملاء.  
 نظر في اتجاه والده، ولوح له قائلاً بابتسامة باهتة:

سلامو عليكم يا حاج

رد عليه أباه بعبوس:

-وعليكم السلام

تفرس دياب في ملامحه، وسأله بفضول مريب:  
- في ايه يا حاج؟ في حاجة مضيقاك؟

أجابه طه بتجهم:  
- مستني أشوف أخوك منذر عمل ايه مع قرية عواطف!

هز رأسه قائلاً بعدم أكثرات:  
- أه، طيب

تابع والده مردداً بتوجس ملحوظ:  
- اتأخر ومكالمينيش لحد دلوقتي!

جلس دياب على المقعد، وأشعل سيجارته لينفث دخانها في الهواء ثم رد  
عليه ببرود:  
- طب ما تطلبه!

ضغط طه على شفثيه متمماً بمضض:  
مش عاوز أزهقه، هو رايح عندها بالعافية!

تابع دياب حديثه بنبرة فاترة، وهو ينفض بقايا السيجارة المشتعلة بسبابته:  
اسأله يا أبا، عادي يعني!  
شوية كده، وهاكلمه

ثم انتبه لرنين هاتفه المحمول المسنود على سطح المكتب، فالتقطه سريعاً ليهتف  
بجماس وهو يدقق النظر في اسم المتصل الظاهر على الشاشة:  
الحمد لله هو بيتصل!

ابتسم له دياب، وأوماً بعينه ليجيب عليه.  
لم يتردد والده في الرد، فهتف متسائلاً باهتمام:

-ايوه يا منذر انت فين؟

رد عليه ابنه بصوت متحشرح:



في مصيبة حصلت يا حاج

انتصب طه في جلسته، وتساءل بقلق:  
يا ساتر يا رب، البت جرالها حاجة؟

أجابه منذر بتجهم:

لا، بس كان هيجرالها لولا وجودي

هتف فيه أباه بقلق وقد تجمدت أنظاره:

لا احكي لي بالراحة حصل ايه!

تابع دياب الحوار الدائر بينهما باهتمام رغم عدم فهمه لمعظمه، خاصة أنه لاحظ  
تبدل تعابير وجهه المجهد إلى الشدة والضيق.

أضاف منذر بضجر:

المشكلة دلوقتي انها معايا في العربية و.... وغميانة!

هتف أباه بنزق وقد هب واقفًا:

معك؟ وغميت ليه؟

أجابه منذر بتجهم:

هاوضحك بالتفصيل، بس أنا محتاج أبعد بيها عن المستشفى، لو فضلت فيها  
قريبهم المجنون هياخذها!

رد عليه طه بحيرة وقد ضاقت نظراته:

أنا مش فاهم حاجة، تعالى على الوكالة!

صاح به منذر بنفاذ صبر:

-باقولك يا حاج هي معايا ومش في وعيها!

رد عليه طه بعجالة:

حطب اطلع على بيت عمته

اعترض منذر قائلاً بجدية:

بمنظرها ده مش هاينفع!!

صمت والده ليفكر سريعاً في حل مناسب للتعامل مع ذلك الموقف.

طراً بباله شيء ما، فهتف فجأة دون تردد:

-أقولك، اطلع على أمك، وأنا هاجيبك هناك!

ماشى

قالها مندر وأنهى معه المكالمة فقد بدا مقتنعاً بذلك الاقتراح المؤقت.

تساءل دياب بنبرة مهتمة:

في ايه يا أبا؟

أجابه طه بغموض وهو يللم أشياءه:

باين مشكلة كبيرة مع أخوك وأنا رايح أشوفها!

رد عليه دياب بجدية:

حطب طمني!

أشار له والده بعكازه قائلاً بصرامة:  
ماشى، خليك بس فى الوكالة

رد عليه دياب بفتور:  
أنا قاعد، هاروح فىن يعنى!

اندفع بعدها الحاج طه إلى خارج الوكالة وهو يفكر فيما أبلغه به ابنه ليتعامل  
مع المسألة بحكمة وروية.

.....

عودة للوقت الحالى،،،،

لطمت جليلة على صدرها بعد أن سمعت ما سرده ابنها منذ وصوله للمشفى  
حتى اللحظة الحالية.

اتسعت مقلتيها، وهتفت مصدومة وهي ترمقه بنظرات غير مريحة:

يا نصيبتى! وهو احنا ناقصين بلاوى يا ابنى!

نظر نحوها هاتفاً بقلة حيلة:

-يعني كنت هاعمل ايه؟

صاحت فيه متوجسة:

عاوز الناس تقول عننا ايه يا مندر وهما شايفينك داخل البيت بواحدة غريبة

ومش دريانة بالدنيا؟!!

رد عليها بجدة غير عايبء بأقاويل الآخرين وهو يلوح بيده:

-الي يقول يقول، ميهمنيش حد!

استنكرت عدم اكترائه، واستدارت بجسدها لاطمة برفق على صدغيها  
ومغمغة بقلق:

يا خوفي من كلام الناس، دول ما هيصدقوا، اه هيفضلوا يجيبوا في سيرتنا  
ويوظوا سمعتنا و....

قاطعها مندر هادراً فيها بانفعال بعد جملتها الأخيرة التي استفزته:

هو أنا جايها شقة مفروشة! ده بيت عيلة، في ايه يا أماه؟!!

ضغطت جليلة على شفيتها قائلة بازدرء خافت:  
هو يفهموا كده! الناس مالهش إلا الظاهر!

تحرك منذر مبتعداً عنها فقد اكتفى بما مر به خلال ذلك اليوم العصيب.  
سلطت هي أنظارها عليه، وهتفت متضرعة وهي ترفع كفيها للسماء:  
استرها يا رب معانا وعديها على خير، واكفينا شر  
المستخبي.....!!

.....

الفصل الحادي والعشرون:

الديكوان .. سنال محمد سالم

اتجهت عاملة نظافة الغرف الملتحقة بالعمل في ذلك الفندق إلى موظفة الاستقبال لتحصل منها على إذن رسمي يسمح لها بالدخول إلى الغرف الغير مشغولة لتنظيفها كما هو معتاد، وخصوصاً غرفة ما بعينها.

أشارت لها الموظفة بعينها متسائلة بنبرة عملية:  
-اتي متأكدة؟

أجابتها العاملة مؤكدة:  
-ايوه حضرتك، هما بقالهم يومين مش موجودين، والأوضة محتاجة تتروق،  
والملايات تتغير، و...

قاطعتها الموظفة بجدية:  
-اوكي اعلمي شغلك وروقيها، وأنا هاشوف مع المدير هانتصرف معاهم ازاي

أومأت العاملة برأسها مرددة بهدوء:

-ماشي، عن اذنك

-اتفضلي

انصرفت بعدها العاملة لتسحب عربة التنظيف الخاصة بها، واتجهت نحو  
المصعد لتواصل عملها في تنظيف الغرف بالطوابق العليا.  
بعد برهة، وصلت إلى الغرفة المنشودة.  
فتحتها باستخدام النسخة الإلكترونية الاحتياطية التي بحوزتها، وولجت إلى  
الداخل.

كان كل شيء كما تُرك منذ أكثر من يومين، فبدأت هي في تنظيم وترتيب  
الشراشف، ثم غيرت المناشف القطنية بأخرى جديدة.  
لفت أنظارها الحقائب المفتوحة، فعمدت إلى إلقاء نظرة سريعة على محتوياتهم  
قبل أن تغلقهم. ولكن وقعت أنظارها على كيس بلاستيكي داكن.  
دفعها فضولها لإختلاس النظر إلى ما به. وبالفعل فتحتة بحذر شديد.  
اتسعت حدقتها في إندهاش عجيب، وسيطر على حواسها رغبة طامعة، لقد  
كان الكيس يحتوي على أموال كثيرة.

ازدردت العاملة ريقها بتوتر كبير، وحدثت نفسها قائلة:  
-كل الفلوس دي معاهم!! تيجي ازاي وهما شكلهم كُحيتي!

عضت على شفتها السفلى، وبرقت عيناها بوميض غريب. سريعًا ما اتسعت  
ابتسامتها الخبيثة لتحدث نفسها بطمع:



مش هيجرى حاجة لو أنا خدت الفلوس دي، ولا من شاف ولا من  
دري!!!!

هزت رأسها نافية محاولة إقناع عقلها بالعكس:

-لالالا، أنا ممكن أتمسك وأروح في داهية لو اتعرف إنى أخذتهم!

لعب شيطان رأسها بها، ووسوس لها أن تأخذ ما لا تستحقه.

بدا الطمع جلياً على نظراتها إلى تلك النقود، وفي الأخير استسلمت لإغرائه،  
وسحبت كيس النقود بالكامل، وأفرغت ما به، ثم دسته في عربة التنظيف  
بعد أن لفت الأموال بملاءة متسخة حتى لا تلفت الأنظار إليها.

أسرعت بإتمام عملها وهي تتصبب عرقاً من فرط التفكير في طريقة تمكنها من  
إخراج النقود من الفندق دون أن تثير الشبهات أو الريبة حولها.

تعمدت ترك الحقائق كما هي حتى لا يظن أي شخص أنه تم التلاعب بها،  
ووضعت بالكيس البلاستيكي إحدى قطع الثياب المتسخة ليبدو حجمها  
طبيعياً.

تنفست العاملة بعمق لتضبط إنفعالاتها قبل أن تخرج من الغرفة ويفتضح أمرها. ثم أسرعت بمواصلة تنظيف بقية الغرف وهي تمني نفسها بتحقيق أحلامها بأموال غيرها.

.....

بقي منذر بالصلاة جالساً ياسترخاء على الأريكة مترقباً وصول أبيه للحديث معه.

بالطبع لم يسلم من غمزات ولمزات والدته المنزعجة من تهوره بإحضار تلك الغريبة إلى منزلهم محطماً كل القواعد والتقاليد والأصول التي تربوا عليها. طلب منها بهدوء وهو يطالعها بنظرات حادة:  
طلي عليها يا أماه

ردت عليه يأكفهرار بائن:

عاوزني اعملها ايه؟

مال للأمام بجسده، وتجمدت أنظاره عليها، ثم أجابها وهو يضغط على شفثيه بضيق:

-أكسي فيها ثواب، دي غلبانة وقيمة!

لوت فمها للجانبين بحركة مستنكرة وهي تضيف بضجر:

-لا حول ولا قوة إلا بالله، أمري لله! أما نشوف هترسى على ايه في الآخر!

لم يقل المزيد، وأعاد ظهره للخلف وهو يحدث نفسه بحيرة:

محدث عارف ايه اللي جاي!

.....

كان يتناول الطعام بفتور غير مهتم بما يدور حوله من ثرات فارغة، فقد كان باله مشغولاً بالتأكد من ذلك الخبر الخطير.

جاءته البشرى من أحد جواسيسه الذين جلسوا إلى جواره، وانحنى عليه برأسه ليهمس له:

طلع الكلام صح يا كبير

توقف مجد عن ابتلاع الطعام، والتفت ناحيته بوجهه الصارم ليسأله باقتضاب:

-اتاكدت؟

هز المسجون رأسه بالإيجاب قائلاً بحماس خفي وهو يجاهد لإخفاض نبرة  
صوته:

-ايوه، اسمك طلع في الكشوفات، وقريب أوي هتخرج من هنا يا معلمنا

انفجرت شفتي مجد لتبرز أسنانه الصفراء من خلفها، وربت على كتف  
جاسوسه بإعجاب، ثم استدار عائداً برأسه ليحديق أمامه بنظرات مظلمة.  
أردف قائلاً بغموض مخيف:

-وأنا مستني اليوم ده من زمان أوي عشان أصفي حساباتي القديمة كلها!

.....

تحركت جليلة بخطى ثقيلة نحو غرفة ابنتها أروى لتتفقد أحوال تلك الغريبة  
النائمة على سريرها.

اقتربت من الفراش وهي تتفرس في شحوبها الحزين، وسكونها المقلق. دقت  
أكثر النظر في ملامحها البسيطة، فلاحظت جمالها البسيط، وضعت إصبعها  
على طرف ذقنها، وتمتت مع نفسها بامتعاض وهي تمصص شفيتها:  
-صحيح شكلك حلو بس حظك وحش!

جلست على طرف الفراش إلى جوارها، ومدت يدها لتمسح على وجنتها  
الباردة برفق.

رأت تلك العبرات العالقة بأهدابها فأشفقت عليها نوعاً ما.. فهي لا تزال شابة  
صغيرة، ملامحها تشير إلى ضعفها، وخذلان الحياة معها، ربما هي لم تكن سوى  
تعيسة حظ عاندها المقادير وألقته في أصعب الطرق وأقساها.

أزاحت الغطاء عنها قليلاً لتجد ثوبها مهدلاً شبه ممزق، ومتسخ. فتبدلت  
تعايرها للضييق والتأفف.

همست لنفسها بعزم:

انا هاشوفلك جلاية عندي كده ولا قميص بيت طويل بدل الهدوم دي،  
مش هاتفضلي نايمة بيهم!

وبالفعل اتجهت إلى غرفتها لتسحب من خزانة ملابسها إحدى عباءاتها المنزلية  
لتعيرها لتلك اليتيمة.

انتقت عباءة ملائمة لها، ثم أغلقت الضلفة.

توقفت في مكانها تفكر في شيء آخر، وهمست بحسم:

ايوه، أما أعمل كده، هي بردك محتاجة شوية نضافة!

راقب منذر والدته وهي تتحرك بغموض في أرجاء المنزل تحضر بعض الأشياء دون أن تصرح بأي شيء.

أراد أن يستفسر منها عما تفعله ولكنه خشي أن يزعجها أو يثنيها عما تفعل خاصة حينما رأها تلج لغرفة أروى أكثر من مرة.

عادت جليلة للغرفة ومعها صحن مليء بالمياه الساخنة ومنشفة قطنية صغيرة لتستخدمها في تنظيف وجه أسيف وكفيها.

عمدت أولاً إلى نزع ثوبها عنها، فرأت ما بذراعها من خدوش وأثار جروح سطحية، فعبس وجهها، وهزت رأسها هاتفة بإستنكار:

ده مين المفترى اللي عمل فيكي كده! معندوش قلب ولا رحمة!

نظفت جروحها بلطف، وأزاحت حجاب رأسها عنها.

وبرفق شديد ألبستها عباءتها المنزلية ولفت حول رأسها ما يشبه عصاة الرأس.

راعت جليلة أن تكون الألوان داكنة مراعاة لشعورها الحزين بفقدان أمها.

وما إن انتهت حتى أعادت تغطيتها، ثم خرجت من الغرفة وهي تنفخ يانهاك.

أقبل عليها منذر متسائلاً بفضول:

ايه اللي أخرك جوا يامه؟

أجابته بنبرة متعبة:

مش عقبال ما غيرتلها ونضفتلها وشها وايديها وجسمها

هز رأسه بجرح، وأخفضت نظراته نوعاً ما وهو يفرك رأسه بكفه، بينما تابعت  
هي بسجيتها:

البت يا نضري مافياش نفس تتحرك أصلاً، ده غير ما شكلها هفتان  
وسوفيفة ولا فيها شحم ولا....

قاطعها قائلاً بصوت شبه متحشرح:

مافيش داعي يامه للتفاصيل دي!

هتفت والبتها قائلة بإشفاق:

أنا بأفكر أعملها شوربة خضار ولا فراخ حاجة تنقوت بيها كده

ابتسم منذر لتبدل حال والدته من الضيق إلى الرفق واللين، وهتف مشجعاً  
إياها:

-وماله، اللي يطلع من ذمتك أنا راضي بيه!

تعجبت هي من ابتسامته الغريبة، وهتفت مستنكرة عفويته:  
ليك نفس تضحك!؟

تجمدت تعابير وجهه، ورد عليها متذمراً:  
هو أنا عملت حاجة!

نظرت إليه بقلق وهي تجيبه معللة:  
-الخوف من اللي جاي يا بني، محدش يبسيب حد في حاله!

أخذ نفساً عميقاً، وزفره دفعة واحدة ليجيها بتبرم:  
-أنا عارف ده كويس، وإن شاء الله خير  
يا رب



في نفس الأثناء فتح الحاج طه باب منزله ليلاج سريعاً للداخل وهو يتساءل  
باهتمام:

ها يا بني؟ عملتوا ايه؟

ردت عليه جليلة بعتاب جاد وهي تتحرك صوبه:

مش تقول الأول سلامو عليكم يا حاج

أشار لها طه بعكازه قائلاً بصوت شبه لاهث:

معلش يا جليلة عقلي مش فيا دلوقتي!

نظرت إليه وإلى ابنها البكري بنظرات ذات مغزى وهي ترد بغموض مريب:

ايوه، ماهو باين عليك انت وابنك!

لم يفهم أحدهما المقصود من نظراتها تلك لذلك لم يعطيها أي اهتمام.

تساءل طه مجدداً بجديّة:

البت جوا؟

أجابه مندر بصوت آجش محرکاً رأسه بالإيجاب:

اه يا حاج، وأمي عملت معاها الواجب!

أشار له والده محذراً بسبابته:

مش لازم تفضل هنا كثير، كده غلط

رد عليه مندر بتفهم:

ما أنا عارف يا حاج الأصول كويس!

ثم قست نبرته وهو يكمل:

بس كنت هاتصرف إزاي وقربيها الحيوان ده مستقوي عليها و....

قاطعها أباه قائلاً بتوجس:

ده موال لوحده، احنا محتاجين تفكر هنتعامل معاها ازاي، اللي زي الناس

دي مش سهل يسيدوا حقهم

عندك حق

استأنف طه حديثه بصرامة أشد وهو يشير بعينه:  
 قبلة ( الأول ) بس كلم عمته تيجي هنا، لازم تعرف ان بنت أخوها عندنا!

هز رأسه قائلاً بإيجاز:  
 ماشي!

فتح دياب باب المنزل قائلاً بصوت مرتفع:  
 سلامو عليكم!

استدار الاثنان نحوه متعجبين من وجوده في ذلك التوقيت.  
 تساءل طه بنزق:  
 دياب!! خير يا ابني؟ رجعت بدري ليه؟ في حاجة حصلت؟

أجابه ابنه بفتور وهو يهز كتفيه:  
 عادي يعني، أنا قولت أريح شوية وأشوف الواد يجي، هو في حاجة؟

أجابه طه بتجهم كبير:

اه في!

قطب دياب جبينه متسائلاً باهتمام قليل:

خير

.....

جلس على القهوة الشعبية المقابلة لذلك الفندق المتواضع ووجهه ينذر بما لا  
يحمد عقباه.

فقد تمت إهائته والتحقير من شأنه وكأنه نكرة بسبب ذلك الغريب الذي انتزع  
أسيف من بين يديه كما لو كانت صيداً سهلاً. أخذ الأمر على عاتقه واعتبرها  
مسألة كرامة ورد اعتبار.

أسند العامل بالقهوة قده الشاي الساخن، وإلى جواره الأرجيلة، ثم اعتدل  
في وقفته متسائلاً بنبرة عملية:

تؤمر بحاجة ثانية يا شيخنا؟

نظر له الحاج فتحي شزراً وهو يجيبه بازدراء:  
-لا!

هز العامل رأسه بإيماء واضحة وهو يتحرك مبتعداً صائحاً بنبرة مرتفعة:  
-ايوه جاي!

تأمل الحاج فتحي أوجه المارة بنظرات فاترة، فتفكيره منصب حالياً على أمر واحد وهام. ولن يحذ عنه أبداً مهما كلفه الأمر.

أخرج من جيبه ورقة صغيرة مطوية، وحقق فيها بنظرات مطولة، فقد دَوَّن فيها عنوان المنطقة الشعبية القاطنة بها عمه أسيف المزعومة، والذي استطاع الحصول عليه من استعلامات المشفى التي أعطته بيانات الجهة التي وفدت منها سيارة الإسعاف.

لمعت أسنانه بشراسة وهو يسب قائلاً:

-كلها شوية وهتعرف قيمتك يا.....!!

.....

www.almawakeel.com

كلف الحاج طه ابنه دياب بالذهاب فوراً إلى منزل عواطف ليبلغها بوجود ابنة أخيها بمنزلهم ويحضرها معه.

قبل الأخير بالمهمة على مضض، ولكن ليس أمامه خيار آخر، فأخاه منذر تولى مهمة استدعاء طبيب العائلة للكشف على أسيف لتفقد صحتها، كما وجب عليه البقاء بالمنزل تحسباً لوقوع أي طارئ فيتصرف على الفور.

تحرك دياب بسيارته في اتجاه البناية القاطنة بها عواطف، وصف السيارة بالأسفل، ثم اتجه صاعداً للأعلى.

لم ينكر أنه فكر للحظات في بسمه، والسؤال عن أحوالها، لكنه رفض الفكرة سريعاً عن رأسه واكتفى بتنفيذ أمر والده.

.....

حاضر، جاية أهوو

هتفت بها عواطف بصوت مرتفع وهي تسحب حجاب رأسها المنزلي لتلقيه على رأسها لتتجه بعدها إلى باب منزلها.

فتحته فوجدت دياب واقفاً على عتبه، أمسكت طرفي حجابها بيد واحدة، وابتسمت بتكلف وهي تقول:

أهلاً بيك يا سي دياب! اتفضل!

أشار لها بكفه قائلاً بجدية:

متشكر، بس أنا عاوزك في موضوع مهم

استنكرت وقوفه على عتبتها قائلة بعتاب:

من على الباب كده، ما يصحش أبداً

رد عليها باقتضاب:

معلش

ثم شدد من نبرته وهو يقول:

من غير ما أضيع وقت، الموضوع يخص بنت أخوكي!

شهقت قائلة بخوف وهي تضرب على صدرها:

مين؟ أسيف!

أوما برأسه قائلاً بثبات:

-ايوه، فيا ريت تلبسي وتيجي معايا!

هتفت متسائلة بتوجس وهي تبتلع ريقها:

-البت حصلها حاجة؟

هز رأسه نافياً مجيباً إياها بغموض:

-لا، بس هي عندنا!

خفق قلبها من عبارته، واتسعت حدقتها في ذهول، ثم رددت بنزق:

عندكم فين؟!!!

أجابها بهدوء حذر بعد أن لاحظ تبدل تعابير وجهها للخوف:

هافهمك في السكة!



هزت رأسها بإيماءات متتالية وهي تردد بتخوف:

حاضر يا ابني، اديني بس ٥ دقائق ألبس فيهم

ماشبي، وأنا هستناكي تحت!

قال تلك العبارة وانصرف بعدها تاركاً إياها في حالة تخبط وحيرة.

تساءلت مع نفسها بعدم فهم وهي مسرعة في خطواتها:

-ايه اللي ودا بنت أخويا عندهم؟ سترك يا رب

ارتطمت دون وعي بإبنتها التي تعجبت من حالة الصدمة البادية عليها، وسألتها  
بفضول:

خير يا ماما؟ في حاجة؟

دفعتها من كتفها لتمرق لداخل غرفتها قائلة بإرتياب:

-رايحة أشوف المصيبة اللي حلت علينا

زاد فضول نيرمين لمعرفة التفاصيل عقب تلك العبارة الغامضة، وتبعته والدتها  
مرددة بتساؤل:

مصيبة ايه دي؟

فتحت ضلفة الخزانة لتجذب أقرب عباءة طالتها يدها، وأجابتها بجدة:  
-معرفش، محدش يكلمني السعادي!!

تقوس فم نيرمين بضجر بسبب رد والدتها الفظ، وهتفت قائلة:  
-الله! مش أفهم طيب في ايه

دفعتها أمها مجددًا من كتفها قائلة بتبرم:  
-وسعي يا نيرمين!

ظلت أنظار ابنتها معلقة بها والفضول يأكلها لتفهم طبيعة الأمر.  
التفتت عواطف برأسها نحوها لتأمرها بجدية وهي تشير بسبابتها:  
خدي بالك من أختك لحد ما أرجع تاني! سامعة

لحقت بها نيرمين متسائلة باستغراب:  
طب أفهم اتني لابسة كده ليه ورايحة فين بالضبط؟

لوحث لها بذراعها وهي تقول:

-بعدين .. بعدين!

هرولت عواطف في اتجاه الباب وصفقته خلفها بقوة، بينما توقفت نيرمين في

الصالة مرددة بسخط:

-جرالها ايه؟!!!

.....

أبلغ الطبيب الحاج طه بالحالة النفسية السيئة لأسيف، ونصحه بضرورة  
المتابعة مع طبيب متخصص خلال الأيام التالية ريثما يكتمل شفاؤها على خير.

شكره الأخير، وأعطاه أجره قائلاً باقتضاب:

-ربنا يسهل

ثم التفت لابنه منذر وتابع بصوت آمر:

-وصله يا ابني

رد عليه منذر بعبوس:

حاضر!

تأكدت جليلة من انصراف الطبيب لتخرج إلى زوجها من غرفتها متسائلة بنبرة مهتمة:

قال ايه الضاكتور؟

أجابها بتجهم:

البت حالتها ماتسرش!

ردت عليه قائلة يا شفاق:

ماهو باين عليها!

ثم أخفضت نبرتها لتتساءل بجدية أكبر:

-وهنعمل ايه معاها؟ مايصحش تفضل هنا والبيت في عزاب و....

قاطعها طه قائلاً بتجهم وقد قست تعابير وجهه:

عارف يا جليلة من غير ماتقولي، وأديني بأصرف بالأصول

أشارت بحاجبها قائلة يارتياح:

-وماله يا حاج، الأصول ما تزعلش حد!

.....

لاحقاً،،،

سرد منذر من جانبه ما دار بالمشفى وما تبعه من تطور للأحداث ومشادات  
كلامية حادة وبوادر اعتداءات عنيفة من قبل من يدعى الحاج فتحي على  
ابنه أخيها، فتفهمت عواطف الدوافع التي دعتة للتصرف بتلك الطريقة الجادة  
معها.

بكت متأثرة لعجزها عن فعل أي شيء لها، وهتفت قائلة بصوت مختنق:

-كثر خيرك يا سي منذر

ثم جابت بأنظارها وجوههم متابعة:

-والله أنا ما عارفة من غيركم كان ممكن يحصلها ايه

رد عليها طه بجديّة وهو يرمقها بنظرات صارمة:

مش وقت شكرانية والكلام ده، احنا عندنا مشكلة مع قرييها، وواضح كده  
إن مخه جزمة!

أضافت عواطف قائلة بنبرة بأسة:  
أنا معروفش الصراحة!

رد عليها منذر بتهكم:  
هي معرفة ماتسرش!

أسندت جليلة صينية المشروبات الباردة مرحة بالضيقة وهي تقول بود:  
مدي ايدك يا عواطف وبلي ريقك

ردت عليها وهي تلتحب بصوت متحشرج:  
هو الواحد ليه نفس حاجة بعد اللي سمعته!

ربت جليلة على كتفها مواسية إياها:

معلش ياختي، ربنا يصبرك ويعينك، إنتي بردك عمتهما وفي مقام أمها، وبنتك  
في الحفظ والصون عندنا!

هزت رأسها لتضيف مجاملة:

أكيد، ما هو ده بيتها!

لم تعلق جليلة بالمزيد واكتفت بما قالته.

تساءل منذر بصوت قاتم وقد ضاقت نظراته:

المهم هانعمل ايه في دفنة أمها؟

نظرت إليه بحيرة مرددة:

أمها

علل دياب قائلاً بهدوء:

ياعتبرك المسئولة دلوقتي عنها!

صمت لتفكر فيما صرح به الاثنين من حقائق غير قابلة للشك.  
هي بالفعل عمها الوحيدة، وتعد بدرجة كبيرة من لها الحق في التصرف في  
الأمر العالقة وتقرير مصير ابنة أخيها الغير واعية.

تبادل الجميع نظرات حائرة، فسكوت عواطف لا يبشر بخير على الإطلاق.  
وفجأة هتفت عواطف بنزق وهي تجفف عبراتها بكف يدها:  
-هتدفن هنا، في التربة بتاعتنا!

ضيق طه عينيه ليردد ياندهاش:  
-تربتكم!

هزت رأسها بالإيجاب مؤكدة:  
-ايوه، وإكرام الميت دفنه!

ضغط طه على شفثيه قائلاً بجذر:  
-صح، ده المفروض يتم! بس....



قاطعه قائلة بجزن:

-أنا فاهمة اللي انت عاوز تقوله يا حاج طه، بس محدش ليه ملك في روحه،  
كله عند اللي خلقه دلوقتي!

استصعب الجميع مسألة دفن حنان في المقابر التابعة لعائلة عواطف، وخاصة  
أنها تتحدث بالتحديد عن مقبرة والدتها عزيزة، تلك التي كانت بينها وبين  
زوجها خورشيد وابنه رياض عداوات ثأرية وصلت للقتل.

استشعرت عواطف حرجهم من اقتراحها، لكنه الأمن بل الأسلم حاليًا لتضمن  
سلامة أسيف في الوقت الراهن.

هتفت هي قائلة بإصرار:

ده اللي هaimشي، وأنا مسئولة عن كده

رد عليها منذر بجسم:

طالما انتي شايقة كده فاعتبريه حصل!

أضاف طه مدعماً لإياها:

ماشى يا عواطف، اتى عمته وليكى كلمتك بردك!

تدخل دياب فى الحوار قائلاً بعزم:

-وأنا هاتفق مع الفراشة وهخليهم ينصبوا الصوان عند بيتك!

تشكل على ثغرها ابتسامة باهتة بعد موقفهم الرجولى معها، وشكرتهم ممتنة:

-ربنا يباركلكم يا رب ويجازيكم خير، وما يوريكم حاجة وحشة أبدًا

ردت عليها جليلة مجاملة:

هو احنا عملنا حاجة يا حبيبتى، ده كلنا أخوات ولازمأ نقف جنب بعض!

ردت عليها عواطف بىكاء خفيف:

-الناس الجدة مش بتبان غير وقت الشدة، وأنتو ولاد أصول والجدة

والشهامة فى دمكم

وافقتها جليلة فى رأيها وهى تنظر إلى زوجها وابنيها بتفاخر:

اه والله، تسلمي يا عواطف!

ترددت عواطف للحظة في طرح سؤالها، ثم استعادت ثباتها الزائف لتقول  
بارتباك ملحوظ:

هو.. هو أنا ممكن أشوف بنت أخويا؟

ردت عليها جليلة بتلهف:

اه طبعًا، هو اتني محتاجة تستأذني!

أضاف طه قائلاً بترحاب:

-تفضلي يا عواطف، ده بيتك

ابتلعت ريقها وهي تقول:

متشكرة، بس..... عاوزة أخذها معايا البيت

وافقها طه في رأيها قائلاً بجدية وهو يوميء بعينه:

حقك، اتني عمته، والصح تفضل في بيتك اتني

لم يعقب أي أحد على كلمته الأخيرة، فقد كان صائباً في رأيه من وجهة نظرهم،  
والأفضل أن يتم الالتزام بما هو معروف ومتبع.

.....

توقفت حافتي أجرة من الحجم المتوسط أمام القهوة الشعبية ليترجل منها عدد  
من الرجال ذوي الأعمار السنوية المختلفة، لكن أغلبهم من كبار السن.  
ابتسم الحاج طه لنفسه بتفاخر، ثم أخفى بسمته ليحل بدلاً عنها التجهم،  
وصاح مهلاً:  
حمدلله على السلامة!

دنا منه أحدهم ليرد بنبرة شديدة الجدية:

الله يسلمك يا حاج فتحي!

صاحه الأخير بود كبير، استطرد الحاج اسماعيل حديثه قائلاً بصرامة وهو  
يرمقه بنظرات لا تبشر بخير:

قولنا فين مكانها يا حاج فتحي!

رد عليه الأخير بعبوس:

-أنا معايا العنوان، جبتة من استعلامات المستشفى

ضيق الحاج اسماعيل من نظراته لتصبح أكثر شراسة، وهتف قائلاً بإصرار  
مخيف:

-كويس، واحنا مش ماشيين إلا وبنت رياض  
معانا.....!!!!!!

.....

الفصل الثاني والعشرون ( الجزء الأول ):

تحركت حافلتي الأجرة في إتجاه العنوان المنشود لبدء المواجهة الحامية مع من  
تجراً على أحد كبار قريتهم الحاج فتحي.  
بالطبع لم يكن لتركوا ثاره - والذي اعتبروه أمراً يخصهم هم كذلك - دون الأخذ  
به، واسترداد ما سُلِب منه بالإجبار والقوة.

شعر الحاج فتحي بالإنتشاء لوجود عزوته حوله، وحدث نفسه مهدداً وهو  
يكور قبضة يده بعنف:

هادفك مطرح ما انت واقف!

.....

مدت يدها لتمسك بكفها المسنود إلى جانب جسدها النائم، واحتضنته  
براحتها ثم ربت عليه برفق كبير.  
أدمعت عيناها متأثرة، وأخذت نفساً عميقاً لتسيطر على نوبة بكائها المهددة  
بالبدء في أي لحظة.  
نهج صدرها علواً وهبوطاً، ورمقتها بنظرات مطولة أسفة مشفقة على حالها.  
مالت نحوها لتمسح على وجهها بنعومة هامسة لها باعتذار:  
ساحيني يا بنتي، حقك تشيليني الذنب، بس والله ما كنت أعرف!

بقيت معها جليلة لبعض الوقت، ثم انسحبت بهدوء لتترك لعواطف مساحة  
من الحرية لتتحدث مع ابنة أخيها دون شعور بالحرج.

تساءل طه باهتمام وهو يراها تغلق الباب:

-ايه الأخبار يا جليلة؟

دنت منه لتجيبه بصوت خفيض:

-أنا سبتهم مع بعض، بس شكل عواطف مش هاتسيب البت تمشي، وشها  
يقول كده

أضاف باقتضاب:

يا مسهل!

سألته جليلة بصوت خافت وهي توميء بعينيها:

تحب أخش عندهم و....

قاطعها قائلاً بجديّة:

-لالالا.. خليم على راحتهم، وروحي انتي شوفي أروى ويحي!

هزت رأسها بالإيجاب مرددة:

حاضر يا حاج!

ثم أولته ظهرها، ولكنها استدارت برأسها سريعاً لتسأله باهتمام:  
تحب أعملك حاجة سخنة ولا أغرفك تاكل يا حاج

لوح بعكازه نافياً:

ماليش نفس!

لم تعقب عليه وأكملت سيرها.

اقترب طه من ابنه منذر، وأردف قائلاً بصوت صارم:

خلص كل حاجة لزوم الدفنة والعزا!

رد عليه منذر بثبات:

اطمن يا حاج، أنا كلمت معارفنا وخلصوها، وشوية وهنروح نستلم الجثة

ونطلع على التراب!

سأله والده باقتضاب:



-وتصریح الدفن؟

أجابه مؤكداً:

طلع خلاص!

ربت طه على كتفه وهو يرمقه بنظرات متفاخرة، ثم تابع قائلاً:

-تمام يا بني!

أبعد يده عنه، وضمها على كفه الأخر ليستند على رأس عكازه مردداً:

-ربنا يرحمها ويثبتها عند السؤال

يا رب!

ثم استأنف حديثه بصرامة وقد ضاقت نظراته

إدي أجازة للرجالة في الوكالة، احنا مش هانكون فايقين للشغل، و....

اشتد غموض عيني منذر وهو يقاطعه بنبرة مخيفة نوعاً ما:

-اعتبره حصل، أنا أصلاً محتاجهم معايا الليلة

فهم الحاج طه سريعاً المقصود من تلك الجملة الجادة، ورد عليه معللاً:

-أها.. عشان الراجل قريب البت المجنون؟

قست نظرات منذر وهو يرد مؤكداً

-بالظبط كده يا حاج!

زم طه شففيه متمماً بتوجس:

-ريك يسترها معانا

-يا رب، هستأذنك يا حاج، هاروح أتابع بنفسي اللي بيحصل

-ماشى يا بنى، وربنا يعينك

تحرك بعدها منذر في اتجاه باب منزله ليكمل ما لديه من أعمال معلقة.

بينما عاد الحاج طه إلى غرفته ليبدل جلبابه بأخر.

.....

على الجانب الآخر، جلس دياب بغرفة ابنه يحيى ليقضي معه بعض الوقت.  
 تمدد على المقعد الموجود بالشرفة، واستند بساقيه على حافة السور.  
 تساءلت أخته الصغرى أروى بفضول وهي محدقة به:  
 -ودي مين يا أبيه دياب؟

أجابها دياب بضجر قليل:  
 -واحدة قرية طنطك عواطف

تساءلت أروى باهتمام أكبر وهي تكثف ساعديها:  
 -بس هي عيانة ليه؟

نفخ من ثرثرتها المتكررة مرددًا بإيجاز:  
 -معرفش!

تدخل الصغير يحيى في الحوار قائلاً ببراءة طفولية:

-ممكن أدوها حقنة في الكي جي وسخت!

ردت عليه أروى بجدية بعد أن استدارت نحوه:

-الميس بتقول مناكلش سمك ولا بيض لما ناخذ حقن!

نظر دياب إلى كليهما ياندهاش عجيب، ورفع حاجبه للأعلى مستغرباً طريقتهما في الحوار،

التوى ثغره للجانب، و تتم مع نفسه بابتسامة متهمكة:

-وربنا اتو دماغو فاضية!

انتبه لصوت رنين هاتفه، فأنزل ساقيه ليعتدل في جلسته، ثم التقطه من على الطاولة وحقق في شاشته.

زفر بتأفف كبير بعد أن قرأ اسم طليقته السابقة، وهو يقول يا شمئزاز:

-ودي عايزة ايه!؟

ألقى بالهاتف على الطاولة، وشبك كفيه خلف رأسه مردداً بضجر أكبر:

-استغفر الله العظيم، واحدة تفور الدم!!!

تكرر اتصالها به، فنفخ مجدداً، واضطر مجبراً أن يجيب عليها.  
أردف قائلاً بازدراء وهو يقضم أطراف أظافره:  
خير!

ردت عليه بنعومة مصطنعة:

ما فيش إزيك يا ولاء؟

بصق تلك البقايا العالقة بين شفثيه، وأجابها بنفور وقد زاد عبوس وجهه:  
-لاً! في حاجة؟

هتفت قائلة بنبرة هادئة نسيباً:

-ايوه، كنت عاوزة أخذ يجي يقضي الويك إند معايا لأني احتمال أسافر  
السخنة!

رد عليها بتهمك ساخر:

-والله! الويك إيند والسخنة! وده من امتي ان شاء الله؟

ثم أبعد الهاتف عن أذنه ليسبها بكلمات لاذعة:  
نسيت نفسها بنت ال.....!!

لم تسمع جيدًا ما قاله، فصاحت متسائلة:  
-بتقول ايه يا دياب؟

أجابها متجهماً:

-الواد عنده مدرسة ومش هاينفع!

هتفت معترضة بإصرار:

-أنا متفقين يجيلي أيام الأجازات، أنا مقولتش هاخده أيام الدراسة مع إن ده  
من حقي!!!!

هب واقفاً من على مقعده، فقد أغاظته جملتها الأخيرة وجاهد ليتمسك بعقله  
ويضبط انفعالاته قبل أن يثور بها.

قبض بأصابعه على حافة السور، وضغط بشراسة عليها مردداً بحنق:

حقك؟!!!!

ردت عليه برود متعمدة استفزازه:

-ايوه، أنا أمه مش مرات أبوه، وحضائته معايا

صاح بها بصوت جمهوري محتد:

-دلوقتي افكرتي انك أمه!

هتفت قائلة بنبرة محذرة:

-دياب بلاش نفتح في القديم، خلي يجي ابننا بعيد عن أي خلافات بينا،  
عاوزين نفسية الولد تكون كويسة

ضرب بعنف حافة السور بقبضة يده المتكورة، وصاح بها بنفاذ صبر:

لخصي!

استمع إلى صوت زفيرها وهي تصيح بجدة:

ما أنا قولتك عاوزاه يقضي الأجازة معايا، أنا مسافرة يومين بس ومحتاجاه  
يغير جو معايا ويشوف مناظر جديدة، مافهاش حاجة يعني!

تجهمت نبرته أكثر وهو يضيف بسخط:

أها، هابقي أشوف

سألته بهدوء:

طيب أعدي أخده امتي؟

أجابها بفضاظة متعمداً إهانتها:

لأ متعديش، محدش طايقك هنا!

اغتاظت من رده المستفز، وضبطت نبرتها وهي تقول بصعوبة:

ميرسي لنوئك

تابع قائلاً بازدرء مهين:

دي الحقيقة!



سألته بصوت حاد بعد أن فاض بها الكيل من استهزائه بها:  
حطب هاخده إزاي؟ ممكن تقولي!

أجابها بجمود:

هابعتهولك مع واحد من السواقين

ردت عليه قائلة:

-اوكي!

ثم رقت من نبرتها لتكمل بنعومة:

-وعلى فكرة إنت ممكن تجيبه وتيجي عادي عندي، احنا ممكن نعتبر نفسنا  
أصحاب و.....

قاطعها قائلاً بنبرة فجأة:

-لأ مش عاوز أشوف خلقتك، بتقولي اليوم كله!

شهمت مصدومة من وقاحتها اللامتناهية مرددة بنبرة مغلولة:

نعم!

تابع قائلاً باحتقار مسيء لشخصها:

سلام بقي عشان مش فايق لقرفك! كفاية كده!

.....

اتسعت حدقتي ولاء بغيظ كبير بعد أن أنهى دياب المكاملة معها تاركاً إياها

تغلي من أسلوبه الفج المستفز لها.

نفخت قائلة بحنق وقد اشتعلت نظراتها:

وَقْ وقليل النوق!

كزت على أسنانها متابعة بتوعد شرس:

بكرة تيجيلي زاحف يا دياب عشان خاطر ابنك، وساعتها هردلك القديم

والجديد!

ابتلعت شادية قطعة الحلوى التي كانت بيدها وهي تتساءل بهدوء:

ايه اللي حصل؟ متفرزة كده ليه؟

أجابتها بنبرة حادة:

-الزفت دياب ييطول لسانه عليا!

أخذت شادية تلوك بقايا قطعة الحلوى في فمها حتى ابتلعها تماماً، وردت عليها  
ببرود وهي تقف قبالتها:

-ده أخره معاكي، مايعرفش يعمل أكثر من كده، سييك منه

هتفت ولاء متوعدة بنبرة عدائية بعد أن فلتت أعصابها:

-أنا هاوريه! مش ه....

قاطعتها أمها بلؤم شيطاني وقد برقت عيناها بوميض مغتر:

-هاتي بس يحيي منه الأول وبعد كده هنعرفه إن الله حق!

صرت ولاء على أسنانها قائلة بنبرة محتدة:

-ماشي يا ماما!

.....

بدأت أسيف تستعيد وعيها تدريجياً، شعرت بثقل كبير في رأسها، فتأهت  
 بأنين خفيض وهي تجاهد لفتح عيناها.  
 انتهت لها عواطف، وكففت عبارتها لتهمس بتلهف:  
 -بنت أخويا الغالي، أنا جمبك يا ضنايا!

ركزت أسيف في ذلك الصوت المألوف الذي اخترق أذنيها رغم همسه،  
 والتفتت برأسها ببطء نحو صاحبه.  
 نظرت إليها بحزن عميق، ثم تمت بصوت خفيض موجوع وعيناها تبكيان:  
 -سابوني وراحوا!

ردت عليها عواطف قائلة بحنو صادق رغم عدم فهمها لما قالته:  
 -متخافيش أنا معاكي ومش هاسيبك، وإن شاء الله ربنا يقدرني وأعوضك عن  
 اللي فات!!

إستندت أسيف برفقيها محاولة النهوض من نومتها، فانتفضت عمتها واقفة  
لتعاونها، ومدت يدها لتمسك بها من ذراعها وهي تقول بتلهف:  
- بشويش يا بنتي!

أغمضت عينها الدامعتين للحظة، ثم عاودت فتحها وهي تسند ظهرها على  
الوسادة.  
انتحبت أكثر، ووضعت إصبعها على طرف أنفها كاتمة لشهقاتها.

مسحت عواطف على ظهرها برفق مواسية إياها:  
- شدي حيلك يا ضنايا!

رفعت أسيف رأسها للأعلى لتحقق فيها بنظرات خاوية.  
ثم تلفتت حولها بإستغراب شديد متسائلة بصوت مختنق:  
- أنا فين هنا؟

أجابتها عواطف بنبرة مطمئنة وهي تحاول الابتسام لها:

انتي عند جماعة قرايبي، ودلوقتي هاخذ وتروحي معايا بيتي، عند عمك  
حبيبتك يا غالية!

هزت أسيف رأسها معترضة قائلة بصوت مبحوح:  
أنا عاوزة أروح لماما، هي لوحدها!

ضغطت عواطف على شفيتها مانعة نفسها بصعوبة من البكاء، وهتفت بتفهم:  
هانروحلها، وهتدفيها وتاخدي عزاها بنفسك

أجهشت أسيف بالبكاء المرير مرة أخرى، وأخرجت من صدرها شهقة متأللة  
صارخة بجرقة:

آآآآ، سابتني وراحت مع بابا

احتضنتها عواطف بذراعها، وضمتهما إلى صدرها قائلة بتأثر:  
عيطي يا بنتي، طلعي كل اللي جواكي!

هتفت أسيف بنشيج مخنوق:

ليه كده يا ربي، ليه أتحم من أغلى الناس؟

اعترضت عواطف على عدم تقبلها لمشيئة المولى قائلة بعتاب خفيف:  
متقوليش كده يا بنتي، ده قضاء ربنا، وإن شاء الله هيعوضك خير! اصبري  
واحتسي عند الله!

أغمضت هي عينها قهراً، وواصلت صراخها المروع:

—————

ضمته عواطف أكثر، وحاولت احتواء حزنها العصيب بكل ما استطاعت من  
عاطفة وحنو.

ظلت تمسح على كتفها وظهرها، وانحنت لتقبلها بعمق في جبينها لعلها تسكن  
الأمها الملتهبة.

هي اعتبرتها بمثابة ابنة أخرى لها، ولن تتخلى عنها أبداً..

.....

اختلست جليلة النظرات بحذر شديد وهي تراقب كلتاها دون أن تصدر أي صوت، ثم استمعت لجزء من حوارهما، وأسرعت بمواربة الباب قبل أن تلتفت الأنظار إليها.

مصصت شفيتها مستنكرة حالة الهذيان المسيطرة على تلك الفتاة، وضربت كفاً بالأخر.

تساءل الحاج طه باهتمام:

ها فافتك؟

أجابته بإيماء واضحة منها:

اه يا حاج!

تساءل بجدية أكبر وهو يعقد ما بين حاجبيه:

تفتكري هتبقى كويسة لو خدناها معانا التُّرب؟

حركت كتفها بحيرة وهي تجيبه:

مش عارفة، بس شكلها مايطمنش يا حاج، دي مقطعة نفسها من العياط!



تابع الحاج طه قائلاً:

-أنا رأيي بلاش، بدل ما يحصل زي ما حصل في المستشفى!

وضعت جليلة يدها على طرف ذقتها مرددة بإعتراض:

-بس دي أمها والمفروض تحضر دفتها و....

قاطعها قائلاً بضيق:

-عارف، بس اتتي شايفة بنفسك!

وافقته الرأي هانفة بتوجس:

-اه يا حاج، البت مش مستحيلة، ده الواحد خايف تروح فيها

صمت ليفكر في أمر ما قليلاً، ثم أشار لها بكفه قائلاً بصوت جاد:

خليها معاكي، واحنا بعد الدفنة هناخدنا على بيت عواطف!

هزت رأسها موافقة وهي تقول بابتسامة باهتة:

ماشبي يا حاج، اللي تؤمر بيه!

.....

وصلت الحافلتين قبل وقت قليل للمنطقة الشعبية، وترجل منها الحاج فتحي لبيحث عن العنوان المطلوب.

وقعت عيناه على ذلك السرادق الذي يتم نصبه، فتجهم وجهه وعرف تحديداً أين سيتواجه.

استدار برأسه ناحية الحاج اسماعيل مردداً:

شكل ده البيت

استطرد الحاج اسماعيل حديثه قائلاً بصوت متصلب عدائي:

أؤمر يا حاج فتحي واحنا نجيب عليه واطيه، الرجالة جاهزين!

إشرأب الحاج فتحي بعنقه محاولاً البحث عن غريمه المنشود، لكنه لم يره وسط

المتواجدين بالسرادق وخارجه، فرد عليه قائلاً بصوت مزعوج:

مش وقته، احنا هنستنى شوية لحد ما يجي البأف إياه!

تساءل الحاج اسماعيل بجدية:  
هو مش معاهم؟

هز رأسه نافياً وهو يجيبه:  
-لا، شكله لسه مجاش!

مط فمه ليضيف بعزم:  
حبيب، احنا معاك للأخر، وماورناش حاجة إلا هو!

ربت الحاج فتحي على كتفه ممتناً، وهتف صائحاً وهو يمرر أنظاره على بقية  
الرجال المتأهبين للمشاجرة:

-بيننا يا رجاله هنقعد على القهوة اللي على الناصية دي شوية

.....

في وقت لاحق،،،،

وُريت حنان الثرى، ودُفنت في مقابر عائلة عواطف، وتحديدأ في قبر والدتها المتسلطة، بحضور قلة قليلة من على صلة بها، تولى رجال عائلة حرب إنهاء كل شيء حسب العُرف المتبع.

بعدها عادت عواطف إلى منزل الحاج طه لتصطحب ابنة أخيها إلى منزلها حيث سرادق العزاء الذي تم إقامته بجوار البناية.

تم نصب آخر صغير على مقربة منه، لكنه مغلق وخاص بالنساء، وأشرفت على خدمة من به بعض العاملات المؤجرات للقيام بمثل تلك المهام.

ارتفع صوت ترتيل آيات القرآن الكريم بالأرجاء، وبدأ قاطني المنطقة في الحضور لتقديم واجب العزاء.

ترأس قائمة متلقي العزاء الحاج طه، ووقف إلى جواره ابنه دياب.

.....

هاتروح العزا يا مازن؟

تساءل مهدي بتلك العبارة موجهاً حديثه إلى ابنه الذي رد عليه بفتور:

هي كانت قريبتنا لا سمح الله، دي واحدة ولا نعرفها من الأساس، فجأة عزا وصوان ومقرئين وكلام فارغ

انزعج أباه من رده المستفز، ونهره قائلاً:

انت مابتعملش خير أبدًا

رد عليه غير مكثرث:

لأ، لو كان من ناحيتهم مش عاوز

هتف والده بعبوس:

أنا رايح أقوم بالواجب، ماهو مش هيبقى احنا الاتنين

رفع مازن عينيه قليلاً ليقول بيروود:

براحتك يا حاج

تمم الحاج مهدي من بين شفتيه بسباب حاد وهو ينظر لابنه بازدرء:

-تريية..... مافيش فيك بركة!

.....

الذکران... سنال محمد سالم

أحضر منذر سيارته، وأوقفها أمام مدخل بنايته منتظراً بترقب نزول أسيف مع عمته.

بدلت الأخيرة ثيابها بعباءة سوداء أعارتها لها الحاجة جليلة.  
 بدت فيها نحيلة للغاية، ومتهدلة على جسدها، لكنها كانت الملائمة لمثل تلك  
 الظروف الحزينة.

تجمدت أنظاره عليها، ولم يستطع إبعاد عيناه عنها.  
 علامات الإنكسار والضعف المزوج بالحزن كانت مسيطرة عليها كلياً.  
 كانت تسير بلا عقل، تفكيرها شارد فيمن رحل عنها، في مستقبلها المجهول،  
 مصيرها المقلق.  
 هي باتت بمفردها لا عائل لها، تحملت مسئولية أكبر بكثير مما كانت تتوقعه.  
 تأبطت بذراعها عمها الوحيدة ساحبة إياها نحو السيارة.  
 فتحت باب السيارة الخلفي، ودفعتها بلا مقاومة للبقاء بالخلف، وجلست هي  
 إلى جوارها.

تساءل منذر بصوت آجش:

نتوكل على الله؟

أجابته عواطف بصوت هاديء ناظرة في إتجاه أسيف:

اه يا سي منذر، وكتر خيرك على كل اللي بتعمله!

تحرك بالسيارة في اتجاه منزل عواطف والذي كان قريباً من بنايتهم. لمح بطرف عينه وهو يلج للمنطقة الشعبية حفنة من الرجال الغرباء المنتشرين على أغلب مقاعد المقهى.

دقق النظر فيهم باهتمام، وتفرس في ملامح وجوههم الغير مبشرة بقلق كبير. بدا وكأنهم مجتمعين للقيام بأمر مريب، كما كانت ثيابهم تشير لكونهم من بلدة ريفية.

طراً بباله شيء ما، واستطاع نوعاً ما تخمين هويتهم خاصة عندما التقطت عيناه أحدهم تحديداً، والذي عرف هويته على التو فتجمدت تعابير وجهه، وقست نظراته للغاية.

بجذر شديد سحب هاتفه المحمول من جيبه، وطلب أخاه قائلاً بصوت قاتم يحمل الغموض:

-جهاز الرجالة يا دياب، في عوا هيحصل!

هتف دياب متسائلاً:

قصدك قريب البت ال....

قاطع منذر بصوت يوحي بالشراسة:

أه هو، ومش جاي لوحده

رد عليه دياب بثقة:

-واحنا جاهزينله

ماشى

قالها منذر وهو ينهى معه المكلمة على عجلة، لكن عيناه لم تحيدان أبدًا عن  
الحاج فتحي الذي تشنجت قسامته حينما وقعت أنظاره مصادفة عليه.

عرفه فورًا، وتحفزت كافة حواسه للهجوم عليه.

هب واقفًا من مقعده صائحًا بغلظة:

-ياللا يا رجالة، الدغوف جه برجليه هنا!

هتف الحاج اسماعيل بتوعد هو الآخر:

-وقعته سودة، مش هايطلع عليه نهار، بينا يا

رجالة.....!!!

.....



## الفصل الثاني والعشرون ( الجزء الثاني ):

نهض دياب من على المقعد، وانسحب بحذر شديد من سرادق العزاء متبادلاً مع رجاله نظرات غامضة ولكنها كانت مفهومة بالنسبة لهم.

إنتاب والده الريبة، فقبض على معصمه متسائلاً بخفوت:

خير يا دياب؟ حصل حاجة

توقف ابنه عن السير، والتفت ناحيته، ثم أجابه باقتضاب وهو يشير بعينه:

مش خير خالص

انقبض قلب الأخير بخوف شديد بعد أن فهم إلى ماذا يرمي ابنه، وتجمدت نظراته عليه.

ثم أردف محدراً بصوت خافت لكنه صارم:

خلي بالك من نفسك انت وأخوك!

اطمن!

قالها دياب مشيراً بحاجبيه بحركة واثقة قبل أن ينصرف هو الآخر ليلحق برجاله.

.....

في نفس التوقيت سلط منذر عينيه على إنعكاس صورة هؤلاء الرجال الماكثين  
بالمقهى الشعبي من خلال مرآته الأمامية. زادت نظراته اتساعاً و حدة حينما  
لمح ذلك القالب الطوي المقذوف ناحية سيارته من الخلف.  
ضغط على المكابح محاولاً تفاديه بحرفية قائد ماهر، فأصاب فقط مصباحه  
الخلفي.

صرخت عواطف بهلع، واستدارت برأسها لترى هؤلاء الرجال الغاضبين وهم  
يحاولون الفتك بهم.  
صاحت بلا وعي:

يا نصيبي، مين دول؟ الحقنا يا سي منذر!!!!

متخافوش

قالها منذر باقتضاب وهو مسلط كل تركيزه على حماية من معه من التعرض  
لأي أذى.

ولكنه أوقف السيارة مجبراً ليتجنب صدم أحد الأشخاص الذين ظهروا أمامه  
فجأة، لكنه تفاجيء به يهوى على زجاج السيارة الأمامي بعضاً معدنية غليظة  
متعمداً تحطيمها.

جفلت أسيف من ذلك المشهد المفزع، وشخصت أبصارها بخوف حقيقي.  
احتضنت عواطف ابنة أخيها لتحميها، وتمسكت بها جيداً وهي تصيح بصراخ:  
يا لهوي! ايه اللي بيحصلنا ده؟ هما عاوزين منا إيه؟

ارتجف جسد أسيف تلقائياً من هول الموقف، ونظرت بأعين زائغة نحو ما  
يدور حولها من صدمات مهددة، خاصة وأن أغلب الوجوه كانت مألوفة  
بالنسبة لها.

شكل رجال الحاج فتحي حصاراً سريعاً حول سيارة منذر محولين النيل منه،  
وأخذ أسيف بالقوة.

أدار هو سريعاً المحر،، وبقوة أعصاب فائقة، ومهارة بارعة، وإصرار شديد تمكن  
من الإستدارة والالتفاف بعيداً عنهم متفادياً أي محاولة للإقتراب من معه.

قُذفت السيارة بقلب طوب آخر بعنف أكبر، وأصاب تلك المرة الزجاج  
الخلفي، فتهشم سريعاً، وارتطم برأس عواطف التي صرخت متألّمة.  
وضعت يدها تتحسس موضع الوجد، وأكملت بأنين وهي تميل برأسها للأمام:

آآه، دماغى!

التفتت أسيف نحوها، ودققت النظر في جرحها الخلفى، وشهقت مفزوعة  
حينما رأت خيوط الدماء تتسرب من رأسها.  
وضعت يدها عليه محاولة منع النزيف مرددة برجفة:  
دماغك بتنزف!

حدق فيهما مندر من خلال انعكاس صورتها بالمرآة. وتجهم وجهه للغاية، كما  
أظلمت نظراته بصورة موحية بشر مستطر.

هتف الحاج فتحي بنبرة عالية مهيناً مندر:  
هتترى النهاردة يا ابن ال.....!!

حركت أسيف وجهها نحو مصدر الصوت، ورأت وجهه المظلم الذي يتوعدها.  
خفق قلبها برعب كبير، واضطربت أنفاسها.

حدج مندر الحاج فتحي بنظرات نارية، وكز على أسنانه كاظماً غضبه حتى  
يتمكن من التصرف بحكمة وانقاذ من معه.

لم يطل الأمر كثيراً، ولم يبقَ في ذلك الحصار المباحث لوقت طويل فقد حضر  
أخاه ومعه أغلب عمال الوكالة للإشتباك الفوري مع هؤلاء الغرباء.  
التحمت الأجساد الغاضبة معاً، وزادت حدة الإشتباكات العنيفة بين الفريقين.  
استغل مندر الفرصة، وتمكن من الإفلات منهم بسيارته، وتوجه سريعاً نحو  
وكالته.

.....

كان دياب ممسكاً بعصا غليظة في يد، وجنيزر معدني سميك في اليد الأخرى،  
وبدل بين كليهما في ضرب كل من تطاله يدها بشراسة. وكذلك كان الحال مع  
أغلب رجاله.

حاول أحدهم النيل منه وإصابته في رأسه من الخلف، لكن اقتداه أحد العمال،  
وتلقى الضربة العنيفة عنه.

استدار دياب نحوه، وهجم عليه بضراوة لينهال عليه باللكمات والركلات قبل  
أن يكمل ضربه الوحشي بجنزيره المعدني لاعناً إياه بألفاظ بشعة:

مش سايبك يا .....، هاطلع.....!!

.....

أوقف منذر السيارة عند الوكالة، ثم ترجل منها ليساعد عواطف في الخروج.  
كانت لا تزال واضعة ليدها على رأسها، ومستندة بيدها الأخرى على أسيف.  
صاح بهما بصوت أمر غير قابل للنقاش:  
خشوا جوا الوكالة، محدش يطلع منها!

نظرت إليه أسيف بنظرات غريبة، كانت مرتعدة للغاية، تفكيرها مشلول،  
خائفة مما قد يحدث لها، فقد رأت الشراسة والوعيد في أعين قريب والدتها  
الراحلة.

انفضت فزعة في مكانها على صوت منذر الجمهوري ؛ والذي أخرجها من  
شرودها المذعور، لتجده يحدث أحد صبيانه:  
باب الوكالة يتقفل عليهم، لو جرى لواحدة فيهم حاجة رقبتك هاتطير، سامع!

رد عليه الصبي بخنوع تام لأمره:

ماشى يا ريس!!!

ثم دفع عواطف بيده نحو الوكالة، وبالطبع تحركت معها أسيف، ليلج ثلاثتهم للداخل.

لحق به الصبي، وأضاء المصابيح لينير المكان، ثم التقط أقرب مقعد وحمله لتجلس عليه عواطف.

انحنى منذر عليها قائلاً بصوت متشنج:

-ماتت حركيش من هنا يا ست عواطف

هزت رأسها قائلة بصوت ضعيف:

هو أنا فيا نفس أعمل حاجة! آآه يا دماغى!

ثم رفع رأسه نحو أسيف ليضيف بقوة:

-واتتى محدش هياخدك من هنا غصب عنك!

ابتلعت ريقها ولم تعقب عليه.

وما إن تأكد من سلامتهما وبقائهما بأمان حتى ركض خارج وكرالته، وأوصد

الباب المعدني من الخارج ليضمن حمايتهما.

بقي الصبي معها وهتف قائلاً بقلق:  
ست عواطف، إتي متعورة ولا ايه؟

أجابته بأنين:

اه يا بني، شوفي حاجة أكم بيها دي اللي اتصفي

رد عليها بصوت متلهف:

في عندنا علبة اسعافات أولية، هاشوف هي فين وأجيبهاك

تابعت قائلة بصوت متقطع:

أوام يا بني!

لم تتوقف يد أسيف عن الإرتعاش. وبدت أنفاسها لاهثة وهي تحاول ضبطها.

رغبت عواطف في طمأنة تلك المذعورة أمامها، فرددت بابتسامة باهتة:

متخافيش يا بنتي، محدش هيقدر يعملنا حاجة، احنا معانا ربنا، و... وسي

منذر!



نظرت لها أسيف بغموض، ورغم نبرتها المطمئنة إلا أن شعورها بالخوف  
والرهبة مازال مسيطراً عليها.

.....

وقف مازن على باب مطعمه يراقب الإشتباك الدائر بنظرات متشفية، ثم  
ولج عائداً إلى مكتبه.  
تساءل أباه بقلق:

عرفت اللي بيحصل؟ وليه ولاد حرب بيتخانقوا مع الناس دول؟

أجابه مازن بفتور:

-لأ لسه!

ثم تحولت نبرته للقتامة والغل وهو يضيف:

خلوهم يربوهم شوية، نفسي أشوفهم مكسورين ومحطوط عليهم!

نظر له مهدي شزراً، ورد عليه مستنكراً:

-وانت كده هترتاح؟

أجابه مازن بضيق:

-اه هترتاح، مفكرين نفسهم أسياد الحتة وهما مايجوش حشرات أفصها تحت رجلي!

ضغط مهدي على شفثيه مرددًا بصعوبة:

-لا حول ولا قوة إلا بالله، اوعى كده خليني أشوف في ايه!

أشار له مازن بكف يده قائلاً بعدم أكثرأث:

-اتفضل يا حاج

ثم تابعه بنظراته حتى اختفى من أمامه وتمم مع نفسه بوعيد:

-مسيره يجي اليوم اللي هاحط دماغهم تحت جزمتي وأدوسهم!!!!

.....

ركب منذر سيارته، وعاد بها إلى موقع الاشتباك عند المقهى، فهو لم يكن

ليترك أخيه بمفرده دون مد يد العون، خاصة في تلك النوعية من المعارك.

كان فارق القوة والمهارة لصالح فريق دياب، فهم متمرسون على الاقتتال بشراسة خلال تلك الشجارات العنيفة، ولم تكن المرة الأولى لهم.

ضغط منذر على المكابح بعنف لتتوقف سيارته في منتصف الطريق ثم ترجل منها دون أن يوقف محركها، وانقض على أقرب رجل منه يضربه بعنف شرس. تلقى عدة لكمات وضربات في أنحاء مختلفة من جسده لعدم وجود أي وسائل حماية أو دفاع عن النفس، لكن هذا لم يمنعه من رد الصاع صاعين.

لا يعرف أي قوة كانت تحركه للهجوم والاعتداء بأيدي عارية على من يقترب منه، لكن شيء ما بداخله كان يدفعه ويحفزه للقتال، وتلقين ذلك القريب الساخط درساً قاسياً.

.....

قامت أسيف بتضميد جراح عمتها، وأوقفت نزيف جرحها السطحي.

حمدت الله أنه لم يكن غائراً، وأن إصابتها لم تكن بالخطيرة.

شكرتها قائلة يا متنان:

تسلم ايدك يا بنتي، الحمد لله إنها جت على أد كده!

اكتفت أسيف باظهار ابتسامه خفيفة مجاملة على ثغرها.

هتف الصبي قائلاً بحماس:

-زمانت الريس منذر واكلهم علقه موت، ده ماشاء الله عليه، مافيش مرة  
دخل فيها عاركة ولا مضاربة إلا وطحن اللي قدامه

استدارت أسيف نحوه برأسها، ونظرت له بغموض.

ردت عليه عواطف بتنهيده متعبة:

-ربنا يحميه لشبابه، ده لولاه كنت سمحت في دي، وكانت الغلبانة دي راحت  
فيها!

عادت أسيف تنظر إلى عمته بنظرات مطولة.

هي كانت مُصيبة في قولها، فدفاع منذر المستميت عنها وجرأته الشديدة  
أنجتها من خطر وشيك.

استأنف الصبي حديثه مقلداً حركات المصارعين:

عليه شوية لوكميات وروسيات تجيب أجل الواحد، أفكر مرة زنق واد كان  
 شارب ودماغه ضاربة في الركنة هنا، وطلعهم على جتته لحد ما فاق وحلف ما  
 يرجع يضرب ثاني!

أومات عواطف برأسها بإيماءة خفيفة وهي ترد عليه:  
 فاكراها الحكاية دي، الواد كان محشش باين، وقارف الناس في الرايحة والجاية  
 وهو.....

لم تصغ أسيف إلى بقية الحوار، وتراجعت للخلف لتجلس على أقرب مقعد،  
 وأنزوت مع نفسها ترثي والدتها الراحلة. فبالرغم من الموقف العصيب الذي  
 مرت به إلا أن شعورها باليتم والوحدة كانا أكبر من أي شيء آخر.  
 فالحقيقة القاسية أنها بالفعل بمفردها في تلك الحياة، وستعرض بالتأكيد لمواقف  
 مماثلة ربما تكون أكثر عنفاً وشراسة.

.....

وصلت الأخبار -كما تنتشر النار في الهشيم - إلى أغلب المتواجدين بسرادق  
 الغزاء عن وجود مشجرة حامية وتناثرت الأقاويل حول قرية عواطف التي  
 تسببت في ذلك النزاع.

اضطر الفقي للتوقف عن تلاوة القرآن الكريم، وختم الجزء المخصص للتلاوة سريعاً، فاتجه بعدها أغلب المعزين إلى المقهى لمتابعة ما يحدث بفضول كبير.

بالطبع تمكن منذر وأخيه الأصغر دياب من السيطرة على الوضع، ومالت كفة الميزان لصالحهم.

شكل أغلب رجال عائلة حرب دائرة حول ضحاياهم الذين جثوا على أرجلهم في حركة مستسلمة.

وقف الحاج اسماعيل عاجزاً في مكانه، ونظر بأسف إلى رجال قريته الذين تم تقييدهم بصورة محرجة أمام الجميع وكأنهم شاه تُقاد إلى الذبح.

كانت أعين فتحي كالجمرات، تطلق شرراً بائناً، فهو لم يتوقع تلك الهزيمة، وظن أنه أتى بأفضل الرجال، لكنه نسي أنه دخل في شيء غير محسوب العواقب.

ورغم موقفه المتأزم إلا أنه هدر بصوت مكابر وهو يركز على أسنانه بشراسة: مش هاسيب لحمي تهشوا فيه حتى لو كان آخر يوم في عمري!

اغتاظ منذر من تلميحاته الصريحة والتي تسيء إليه، فرد عليه بعصبية:

لحم ايه يا ده يا حاج، عيب على شيبتك دي!

هتف فيه الحاج فتحي بانفعال كبير مهيناً إياه:

مابقاش إلا واحد..... زيك يتكلم!!

اتسعت حدقتي الأخير عقب سماعه لذلك السباب المهين، واصطبغ وجهه  
بجمرة مغلولة.

قبض على أصابع كف يده بشراسة، وأوشك على ضربه مهدداً إياه بنبرة  
عدائية:

-لأ أنت محتاج....

وقبل أن ينقض عليه تجمد في مكانه على إثر صوت أبيه الصارم المنادي  
باسمه:

منذر!!!

اشتعلت عيناه أكثر، وبرزت عروقه النابضة بدمائه المحترقة من عنقه وأعلى  
جبينه.

تابع والده قائلاً بنبرة حازمة:  
طلما أبوك واقف هنا هو اللي هایتكم!

ضغط على أسنانه بقسوة ليرد بصوت شبه متشنج:  
-اتفضل يا حاج!

استدار الحاج فتحي ناحية طه، ورمقه بنظرات مزدرية متعمداً التقليل من شأنه، وأردف قائلاً بسخط:  
-ومين انت كمان؟

وقف طه قبالته بشموخ وترفع، ونظر إليه بثبات لكن الأخير لم يعبأ به،  
وتابع باستخفاف:

-تلاقيه جايبك محامي ليه!!!

استشاط دياب غضباً من أسلوبه المستفز والذي يتسبب في جعل الدماء  
تفور من الغيظ، فهدر فجأة:

-يا أبا الغلط ده ما يتسكتش عليه!



أشار له أبيه بعينين حادتين مردداً بغلظة صارمة:  
-اسكت يا دياب، أنا قادر أوقفه عند حده!

استشعر الحاج فتحى لوهلة أنه في موقف قوة، وأنه بإستطاعته قلب الكفة لصالحه، فصاح متسائلاً بصوت جهوري وهو يدير رأسه في كافة الاتجاهات:  
فين بنت رياض؟ فين عرضي اللي خدتوه؟ اشهدوا يا ناس، جاي أجيب بنتي من عندهم يضربوني أنا وقرابيها ويهددوننا، هي دي المرجلة، هي دي ال  
آ.....

قاطع الحاج طه بصوت مرتفع:  
-بنت رياض أعدة معززة مكرمة مع عمته!

التفت الحاج اسماعيل ناحية الحاج فتحى متسائلاً يأندهاش:  
-عمته!! هي ليها عمة أصلاً؟!!!

لم يجبه الأخير، فصاح به مكرراً بضجر:

-الكلام ده صحيح يا حاج فتحي؟

ابتلع هو ريقه بتوتر خفي ولم يجبه.

أكل منذر مردداً بهكم وهو يرمق الحاج فتحي بنظرات ساخطة:  
هو الحاج مقالكوش ده؟ تؤ تؤ تؤ، غلطان بصراحة!

ثم زاد من قوة نبرته الغاضبة وهو يكمل:

أه ليها عمة، اخت أبوها، الحاجة عواطف اللي كنتوا هتموتوها وكانت معايا في  
العربية

حاول الحاج فتحي الدفاع عن موقفه بعد أن وجد نفسه في وضع حرج،  
وهتف بصوت مستنكر محجاً إياه بنظرات نارية مستشاشة:  
ويصح بردك تاخذ حرمة من ورا أهلها و....

قاطع منذر قائلاً بجدة وقد قست نظراته للغاية:

خذتها لما لاقيت الراجل الكوبارة هيومتها في ايده، مش مقدر الظرف اللي هي فيه وحالتها رغم اللي قاله الدكتور، ونزل ضرب فيها!

استغرب الحاج اسماعيل مما سمعه، وحقق في رفيقه بذهول.  
انفجح فمه مردداً بتساؤل:  
هه، طب ليه؟

تعمد الحاج فتحي تجاهله، وجاهد ليحافظ على ثباته أمام الجميع.  
أشار بإصبعه هاتفاً بازدياء واضح في نبرته:  
فين عمته دي؟ ماهو يمكن تكون كدبة من تأليفك، فيلم وبتعمله علينا،  
رياض الله يرحمه مكانش ليه اخوات!!!

رد عليه دياب مستنكراً وقاحته المستفزة:  
يا شيخ؟ طب انت ازاي قريب أمها وعارف كل حاجة عن عيلتها وفاتتك  
معلومة زي دي؟! لا بجد عيب عليك!!!

وضع منذر قبضته على ذراع أخيه ضاغطاً عليه، ثم رد ببرود مهيب:

-وماله، مش هو طلبها، احنا هناكده، وهانجيب الحق عليه!

ضاقت نظراته أكثر، وتحولت نبرته للوعيد وهو يضيف:

-واللي غلط يتحمل نتيجة غلطه.....!!!!

.....

## الفصل الثالث والعشرون:

أخرجت من صدرها تهديدات عميقة تعكس ما بداخل نفسها الملتاعة.

لم تمنع عبارتها من الإهمار، فهي تشتاقها حقًا رغم عدم مضي الكثير من الوقت لإدراكها حقيقة فقدها.

إحساسها بالوحدة والخوف يقيد تفكيرها بذهن صافي عن تقرير مصيرها. ظلت على تلك الحالة الواجمة لبعض الوقت، ولم ترغب عواطف في إزعاجها. أرادت أن تترك لها مساحة من الخصوصية للإختلاء بنفسها.

سمع الصبي دقات قوية على باب الوكالة، فانتفضت أسيف في جلستها وأفاقت من شرودها لتتجمد أنظارها المرتجفة عليه.

حدقت عواطف هي الأخرى فيه مرددة بخوف وهي تتلغ ريقها:

هما.. هما هيهجموا علينا ولا ايه؟

رد الصبي بصوت خفيض:

ششش، أنا هاروح أشوف مين! خليكوا هنا!

تحرك الصبي بخفة، واقترب من الباب، ثم مال بجسده عليه ليلصق أذنه به، وتساءل بصوت شبه مرتعش:

مين؟

صاح به صوت قوي صارم ومألوف لديه:

الريس منذر باعتني يا ض!

رد عليه الصبي بإرتياح بعد أن ارتخت تعابير وجهه:

هو قافل علينا من برا، والمفتاح معاه!

استمع إلى الصوت الرجل مردداً:

طب استنى، هاجيبه منه!

ماشي

قالها الصبي وهو يتحرك عائداً إلى عواطف وابنة أخيها.

سألته هي بتوتر كبير:

مين يا بني؟

أجابها بنبرة مطمئنة مشيراً بيده وموزعاً أنظاره بينهما:

متقلقوش، ده الريس منذر باعتلنا الرجالة بتوعنا! تلاقيه بيطن علينا

تهدت عواطف يارتياح وهي ترد:

طب الحمد لله، طمنتني!

جلست أسيف بإسترخاء على المقعد بعد ذلك التوتر المشحون، وظلت

تتنفس بعمق لتضبط انفعالاتها المضطربة.

مسحت بأناملها عبراتها المبللة لوجنتيها، وكذلك تلك العالقة بين أهدابها.

بعد دقائق استمع ثلاثتهم إلى صوت فتح الباب المعدني الخارجي. فتأهبت  
حواسهم بالكامل لما هو قادم.

.....

تحفز الحاج فتحي لتلك المواجهة الضارية مع غريمه منذر. ذاك الذي ظهر  
له من العدم ليهدم مخططاته.

هو مختبئ خلف قناع القرابة والشرف و رابط الدم رغم بغضه للموقف برمته.  
لا يريد لأحد أن يلتقي باللوم عليه أو يعاتبه لكونه مقصراً مع قريبته الوحيدة،  
لكن الحقيقة كانت غير هذا.

فهو فكر في تزويج أسيف لشخص ما ليتخلص من عبئها لأنه لن يتكبد تحمل  
مشقة وجودها معه أو حتى نفقاتها، وبعدها كان سيحاول - بالحيلة والخداع -  
الاستيلاء على منزلها وبيعه والاستفادة من عائد الأموال التي سيحصل عليها  
من تلك الصفقة، ولكن مع الأسف ظهر ما هدد بإفساد كل شيء.

حده منذر بنظرات متوعدة، ولم يبعد عيناه الشرستين عنه.

لم يقترب منه، ولم يتناول باليد عليه رغم رغبته الملحة التي تحته على فعل هذا، لكنه امتثل للعرف المتبع، ألا يمس كبار السن أو يعتدي عليهم. فنجا ذلك البغيض من قبضته المهلكة.

ارتفع رأسه للأعلى حينما لمح تلك الأطياف القادمة من بعيد.  
دقق النظر في القادمين نحو الجمع الغفير. وتقوس ثغره بابتسامة ملتوية.  
هتف بصوت متحشرح غليظ مشيراً بذراعيه في الهواء:  
-وأهوو دلوقتي بس هنحط النقط على الحروف قصاد الناس دي كلها!

حاوطت عواطف ابنة أخيها من خصرها بذراعها حينما اقتربت من جمع الرجال، وقربتها إليها لتشعرها بالأمان والدعم.  
هي أرادت أن تبث في روحها المضطربة إحساساً بالثقة وعدم الخوف بوجودها إلى جوارها.

كانت تشعر برجفتها وخوفها، ونظرت لها بإشفاق كبير.  
أدركت مسئوليتها نحوها، ولن تتخلى عنها.  
تعلقت أنظار أسيف بذلك الرجل الذي تعرفه عن ظهر قلب.  
ورغم أنه كان مولياً ظهره إلا أنها استشعرت بكل قوة إحساسه الآن نحوها، هي متأكدة من كراهيته لها، ومن وعيده الشرس إن طالت يده



لم تحبه يوماً، لكنها كانت تعامله بإحترام لقربته من والدتها الراحلة، وهو كان  
دوماً يشعرها بقلّة نفعها وعدم أهميتها.

تجمدت أنظارها الخائفة على وجه منذر الصائح بثقة:

-تفضلي يا ست عواطف، قولي للناس اتّي تقربي ايه لبنت رياض!

اتجهت الأنظار نحوها، وشعرت أسيف كما لو كانت تقف بمفردها على خشبة  
المسرح والإنارة مسلطة عليها هي فقط.

تلون وجهها بجمرة بائنة، وزادت هيبتها من المواجهة.

هتفت عواطف بصوت مرتبك وهي تشدد من قبضتها على خصر أسيف:

-أنا.. أنا الحاجة عواطف خورشيد أخت المرحوم رياض خورشيد، ودي

تبقى بنت أخويا الغالي.. كانت جاية هي وأمها حنان الله يرحمها عندي

يزورني، بس.. بس الحق أخذ أمانته و...

قاطعها الحاج فتحي قائلاً بازدراء وهو يرمق أسيف بنظرات احتقارية مقللة

من شأنها:

-وايه اللي يثبت انك عمته؟

ثم دار حول نفسه موجهاً أنظاره لكافة المحيطين به متابعًا بنبرة تحمل الإتهام:  
مش يمكن تكوني واحدة محفظينها كلمتين تقولهم قصادنا و.....

فغرت أسيف فها مدهوشة من إتهامه سيء الظن. لم يطراً ببالها أن يفكر ابن  
خالة والدتها بتلك الطريقة.

استشاطت عواطف من طريقته التهمية المسيئة إليها بوقاحة والطاعة في  
نسبها وأصلها، فصرخت فيه بصوت غاضب مانعة إياه من إكمال جملته:  
احترم نفسك، كل الناس هنا عارفة أنا مين بالطبط، تقدر تسأل أصغر عيل  
لأكبر واحد هنا مين الست عواطف وهو هيرد عليك!

لم يختلف ردة فعل طه عنها كثيرًا، بل على العكس شعر بنيران متأججة  
بداخله تستعر مع سماعه لتلك الإتهامات الصريحة لقريبته، فصاح بلا تردد  
بنبرة متشنجة:

هتتاسب عن كلامك ده!

دُهِشَ منذر مما يردده ذلك القريب الكريه، هو لا يعبأ بتبعات تصريحاته  
المتهورة. لكن يكفيه رؤيته لوجه تلك اليتيمة الذي تحول من الوداعة للقسوة  
وهي تصرخ فيه بنبرة هائجة:

-نصبت نفسك خالي وبتقول شرقي وعرضي، والمفروض إنت تكون عارف أنا  
مين وبنت مين وأبوي الله يرحمه كان مين ومريني إزاي؟!!

ثم التفتت بأظفارها نحو الحاج اسماعيل لتوجه حديثها إليه، وتابعت قائلة  
بصوت مختنق وعبراتها تتراقص في مقلتيها:

-انا.. انا اتولدت على ايدك يا حاج اسماعيل! واتربيت وسطكم، تفتكروا أنا  
ممكن أعمل كده؟ أتحمي في حد مش من دمي؟

أشار لها بكفه قائلاً بثبات وهو يرمقها بنظرات جادة:

-الحق يتقال أبوكي الله يرحمه عارف الأصول كويس، وسمعتة زي البريلانت!

اختنق صوتها أكثر وهي تكلم بمرارة:

بجد أنا مش مصدقة، الراجل اللي فتحنا له بيتنا، اللي عارف عننا كل حاجة  
هو أول واحد يتهمني في شرفي، هان عليك بابا اللي كان معتبرك اخوه  
ومشاركك في كل حاجة ووقف جمبك في شغلك؟

تحركت نحوه بخطوات متمهلة وهي تعنفه بنبرة لاذعة:

طب هانت عليك ماما، وهي بنت خالتك، الست الغلبانة العاجزة اللي  
ماكنتش العيبة بتطلع منها، ودايماً كانت فاتحة بيتها في أي وقت لكل الناس،  
تهم بنتها بإنها موالسة مع ناس متعرفهومش؟

استدار الحاج اسماعيل برأسه ناحية رفيقه ليضيف معاتباً إياه:  
ميصحش كده خالص، الحاج رياض الله يرحمه ربي بنته كويس!

لم تستطع أسيف منع عبراتها من الإنهار، فمرارة الظلم تفوق قدرتها على  
التحمل.

بكت بحرقة نائرة في وجهه:

مش هاقول غير حسبي الله ونعم الوكيل!

نظر لها الحاج فتحي شزراً، لم تؤثر كلماتها به، ولم تهتز عضلة واحدة منه، بدا  
صناً جامداً غير مهتم بحالتها التي يُرثى لها.  
صار أكثر تجهماً، ورد عليها بفظاظة:  
-البؤين دول مايدخلوش دماغى!

حدجته بنظرات محتقنة للغاية، ونفثت هواءاً ساخناً من رثتها وهي تفكر في  
تحديد أي نوعية من البشر ينتمي إليها ذلك البغيض الفظ.  
أكل هو قائلاً بصياح متهمها عن عمد في سمعتها:  
-انتى كان المفروض وقت ما أمك ماتت تكلميني أجي أتصرف، لكن عيارك  
فلت، و رايحة ترمي نفسك في حزن واحد زي ده؟!!

شهقت مصدومة مما يردده قائلة بعدم تصديق وهي تشير لنفسها بإستنكار:  
-أنا؟

رد عليها بصوت غاضب:

-انكري، ده أنا شوفتك بعيني اللي هايكلهم الدود!

هتفت نافية اتهامه بصوت محتد:

محصلش

في تلك اللحظة تحديداً وصل منذر إلى ذروته، وبلغ قمة انفعاله، فلم يسيطر على نفسه، وهتف بلا تردد وهو يتحرك صوبه:

لأ عندك، انت بقى جيت في ملعبي!

كان الشرر يتطاير من عينيه محذراً من إنطلاق بركان ثورته في أي لحظة. توجه الحاج فتحي بأنظاره نحوه، وعبس أكثر وهو يرى بوضوح شرسته المهدة.

هدر منذر قائلاً بصوت تهتز له الأركان:

الحاج الفاضل اللي زايد بيت ربنا اتهجم على اليتيمة دي في المستشفى، هي مقهورة على أمها، وهو عاوز يموتها من الضرب و ياخذها غصب معاه، ده بدل ما يطبطب عليها ويحميها ويهون عليها، لأ نزل ضرب فيها ولولا وجودي الله اعلم كان ممكن يعمل فيها ايه

رد عليه الحاج فتحي بنزق محاولاً تبرير موقفه:

عاوزني أشوفها في حضن واحد غريب وأسكت

استنكر منذر إصراره على ترديد ذلك الإتهام الباطل.  
وقف قبالة، وقست نظراته المخيفة، وصاح به بصوت متشنج:  
- انت بتخرف، حضن ايه ده؟

دفعه الحاج فتحي من كتفه بكل ما أوتي من قوة، وتحرك مبتعداً عنه بحركة  
ماهرة مدعيًا البراءة ومرتدياً قناع العفة والطهر والدفاع عن الشرف:  
-شوفوا بقى الأفلام اللي بتعملوها والجو ده مش هايخليني أسكت عن الغلط!

صاح به منذر بهياج:  
-بردك هيقولي غلطنا!!!!!!

لم تصدق أسيف أذنيها، أيعقل أن يكون هذا هو قريبها الذي نشأت وتربت  
في كنفه ويعرفها عن ظهر قلب فيدعي عليها بالباطل ويختلق تلك الأكاذيب  
عنها.

تجمدت الكلمات على شفيتها، ولم تجد ما ترد به عليه.

صدمتها به أكبر من قدرة عقلها حالياً على استيعاب الموقف.

لاحظ الحاج فتحي صمتها، فتملكه الغرور أن يستمر في تمثليته الزائفة، وتابع بصوت آجش وهو يشير بسبابته:

عاززة يا بنت رياض أنسى اللي عملتيه، وأسامحك ييقى تعتذري قصاد الكل!

اتسعت حدقتها مذهولة مما يقوله.

أكمل قائلاً بثبات وهو يشير بكفه نحو رجال القرية المقيدين:

-وخصوصا الرجالة اللي اتبهدلوا عشانك وتطلبي السماح مني ومنهم!

تجمدت أنظارها عليه، وهزت رأسها بلا وعي مستنكرة ما طلبه منها بدهاء.

استأنف الحاج فتحي حديثه قائلاً بمكر خبيث:

-واعملي حسابك هترجي معايا من مطرح ما جينا، ولعلمك مش هاسيبك  
تقعدي في بيت أبوكي لوحدك، مش هايحصل، هاتفضلي معايا لحد ما أسترك،



ومش هاتستي كثير! كفاية الجرس اللي عملتيهالنا! ويا ريت ألاقي اللي يرضى بيكي!

صدّمت متتالية ضربت رأسها بشدة وهو يُملي عليها أوامره الصارمة، وكأنه ينفذ فيها حكماً بالإعدام الصامت.

هتفت مشدوهة رافضة تصديق المسألة برمتها:  
-نعم!

صدّم الجميع من قراراته الحاسمة، وتقريره لمصير تلك اليتيمة وكأنها لا تملك حكم نفسها.

لكن لم يجروُ أحد على التدخل، فالمسألة تعتبر عائلية.  
والقرار النهائي يعود لتلك الشابة.

لم تطق عواطف الصمت أكثر من هذا، تحاملت على نفسها كي تصل إلى ما يريده ذلك المقيت، لكنها سئمت من تسلطه ومن فرض سيطرته على ابنة أخيها منصباً نفسه الولي الوحيد عليها.

هي لن تتركها فريسة سهلة بين يديه يتلذذ بذبحها. لذا بكل عزيمة وإصرار صاحت متحدية إياه وهي تسير بخطى واثقة نحوه:

-شوف يا جدع انت، أنا معرفش انت مين، ولا يفرق معايا من أساسه!

أكفهرت قسماته من إهانتها له، وقبل أن يرد عليها تابعت حديثها بقوة مخيفة:  
-بس طول ما أنا عايشة بنت أخويا هاتكون في حمايتي أنا، الحاجة عواطف  
خورشيد، ومش هاسيديها لواحد زيك يستفرد بيها ويستقوى عليها!

ضاقت نظراتها أكثر، وتصلبت نبرتها وهي تكمل:  
-ولعلمك بقى أسيف مش هاتقعد إلا عندي وبس!!

رد عليها الحاج فتحي بعبوس كبير:  
لو قبلت تقعد عندك تنسى ان ليها خال، وإن ليها بيت في البلد من أساسه!!

كانت جملته الأخيرة كالخنجر القاتل الذي شق صدرها، هو يحرم عليها ما لا  
يملكه، فصرخت بجنون رافضة قراره:

-انت مش هاتمنعني عن بيت أبويا!

ود منذر لو تتاح له الفرصة لينقض عليه فيذيقه طعم قبضته القوية. وجاهد بصعوبة بالغة عدم إفلات أعصابه.

التفت الحاج فتحي بجسده نحوها، ورمقها بنظرات جافة ثم رد عليها بجمود مثير للأعصاب:

ده آخر ما عندي يا بنت رياض..!

.....

استنكرت نيرمين تدخل والديتها فيما لا يعينها من مشاكل لا تخصها. وتابعت من الشرفة ما يدور بأعين كالجمرات.

ظلت تضرب بقبضتها المتكورة حافة السور مرددة لنفسها بغيظ:

-واحنا مالنا بس بالغلب ده؟ ليه تدخلينا في مشاكل مع العالم دول!!!

نفخت بصوت مسموع، وإشرأبت بعنقها محاولة متابعة ما يدور بالأسفل.

بكت رضيعتها رنا بصوت مبحوح للغاية، فاستدارت بجسدها نحوها قائلة بنفاذ صبر:

اتهدى اتى كمان! هي مش ناقصة زن وصداع خلىني أشوف أمي هتعمل فينا  
ايه!!!!

أفاقت بسمة على صوت صراخ الرضيعة، فحملتها من على الفراش،  
وهدهدتها لتسكتها، ثم بحثت بعينها عن والدتها فرأتها بالشرفة.

اقتربت منها دون أن تلج إليها قائلة باستغراب:

مش سامعة بنتك يا نيرمين؟ ده قلبها انفطر من كتر العياط!

ردت عليها أختها بجفاء:

تلاقيا بتزن عشان تنام، أنا مأكلاها ومغيرلها، وعاملة كل حاجة معاها!

تساءلت بسمة بفضول وهي ترى أختها مهتمة بمتابعة شيء ما عبر الشرفة:

ايه اللي شاغلك يا نيرمين؟ هو في حاجة بتحصل تحت؟

لم تلتفت نحوها، وأجابتها بغموض:

ده اتى فايتك بلاوي سودة، وأمك محشورة فيها!

زاد فضولها لمعرفة ما يدور، واندفعت بلا تفكير إلى داخل الشرفة متسائلة  
باهتمام:

ماما؟ هو ايه اللي حصل بالضبط؟

.....

حسنت أسيف أمرها، وقررت مصيرها بنفسها، لم تكن لتترك الفرصة لغيرها  
بالتحكم فيما هو قادم في حياتها.

هي حقًا وحيدة، يتيمة، ضعيفة، بمفردها في تلك الحياة. لكنها لن تكون بذلك  
الضعف الذي يجعلها مطمعا للغير.

لن تتخلي عن حريتها، وتتقيد بقيد العادات والأعراف الظالمة.

هتفت بصوت جاد وهي تكفكف عبراتها بكف يدها:

-أنا مش راجعة معاك يا حاج فتحي، أنا هافضل هنا! وده آخر ما عندي!

استشاط غضباً من قرارها الصادم، وكز على أسنانه بقسوة كبيرة مغتاضاً منها.

التفتت عواطف إلى ابنة أخيها وابتسامة عريضة تلوح على ثغرها.

شعور رهيب بالسعادة والفرح سيطر عليها.

دنت منها، ولفت ذراعها حول كتفها لترت عليها ورمقتها بنظرات حانية  
مدعمة إياها، ثم استدارت لتنظر إلى قريبها الكريه قائلة بحماس:  
أظن الرد وصلك! مش محتاج توضيح أكثر من كده!

ضمتهما إليها لتبث إليها القوة والثقة.  
بالتبع استغل الحاج طه رأيا النهائي الحاسم في ذلك الأمر ليقول بصرامة  
وهو يدنو من الحاج فتحي:  
بس قبل ما المولد يتفض لنا حق عندك!

أيده منذر في رأيه قائلاً:  
-صح يا حاج! أقل من قعدة عرفية مش هانقبل!

نظر لها الحاج فتحي متسائلاً بغرابة:  
حق ايه ده اللي بتكلموا عنه؟ ده انتو.....

قاطعها الحاج طه قائلاً بصوت خشن غليظ:

حقنا احنا، انت عملت اللي انت عاوزه واتهمت قريبتنا في شرفها، وجه  
دورنا عشان نحاسبك، وكله بالأصول.....!!!

.....

### الفصل الرابع والعشرون:

إجتاحه شعوراً طاعياً بالخزي والخذلان بعد قرار أسيف النهائي والحاسم  
بالبقاء مع عمته.

وما زاد من لهيب حنقه هو إصرار الحاج طه على أخذ حقه منه.

ابتلع ريقه بتوتر كبير، وهتف بنبرة مترددة:

أصول ايه دي اللي آ....

رفع طه كف يده في وجهه ليجبره على الصمت، ورد عليه بغلظة:

الأصول اللي عديتها، وكل الناس هنا شاهدين عليك!

ثم التفت ناحية الحاج اسماعيل ليسأله بتأفف:

-ولا احنا غلطانين يا حاج؟

رد عليه الأخير بمرح:

-لا، الحق مايزعلش حد، وزى ما كان لينا حق عندكم، إنتو كمان ليكم حق عندنا!

صاح الحاج فتحي غاضباً بعد تصریح الأخير:

-انت بتقول ايه يا حاج اسماعيل؟ يعني هيركبونا العيبة والغلط واحنا نسكت كده عادي ونخط البئغ في بؤنا!

نكس الحاج اسماعيل رأسه ليرد بهدوء حذر:

-الحق حق!

أضاف طه قائلاً بعناد ونظراته مسلطة على الحاج فتحي:

-وأنا مش هاسيب حق حرمنا!



لأول مرة منذ وفاة والدتها تشعر أسيف بأن لها سنداً، هم ليسوا أقاربها بالدم  
لكنهم وقفوا إلى جوارها ودافعوا عنها دافعاً مستميتاً.

مالت عواطف عليها برأسها لتهمس لها:

الحاج طه مش هايسيبه إلا لما يريه، إتي متعرفهوش لسه، بس هو راجل  
حقاني ونصير الغلابة!

لم تعلق عليها أسيف، فيكفيها أن ترى قريبها المقيت في ذلك الموقف المهين  
لتشعر بالرضا والإرتياح فقد تمكنت من استرداد جزءاً من كرامتها المهدورة.  
ظلت متابعة باهتمام تطورات الوضع وهي ترمقه بنظرات متشفية.

.....

عاد الحاج مهدي إلى المطعم متعجباً مما آلت إليه الأمور.

ابتسم لنفسه بسخرية وردد قائلاً:

لعبتها صح يا طه، وعرفت تجر رجليه لحد عندك من غير ما تغلط فيه، لأ  
والكل كمان معاك!

هز رأسه بإيماءة خفيفة وهو يضيف لنفسه يانبهار:

دماغك مالهاش حل!

استغرب مازن من كلمات أبيه المهمة، ورمقه بنظرات فضولية متسائلاً:  
هو انت بتكلم نفسك يا حاج؟

أجابه الأخير قائلاً بابتسامة متسعة:  
من اللي بأشوفه كل يوم وبأتعلمه من غيري

سأله مازن بفضول وهو يتفرس تعابير وجهه باهتمام:  
قصدك مين؟

أجابه الأخير بإيجاز:  
طه حرب

زفر مازن بضجر قائلاً بامتعاض بادي على وجهه:  
يادي السيرة اللي ما بنخلص منها!

رد عليه والده بتهكم:  
ما انت اللي سألت!

لوى مازن ثغره معللاً بنفور:  
-كنت غلطان!

ثم أخذ نفساً عميقاً ليضبط انفعالاته، وتابع بجدية:  
-المهم احنا عندنا أورد ر لعشا جماعي بكرة!

رد عليه مهدي باهتمام:  
-شوف المطلوب وجهزه، مش تقدر نغطيه؟

أجابه مازن بثقة وهو يوميء برأسه:  
-ايوه، ناقص حاجات بسيطة وبعث أجيها

هز أباه رأسه متفهماً:

على بركة الله، وربنا يكرمنا

قال عبارته تلك، وتحرك من مكانه صوب الخارج فسأله ابنه بفضول:

-رايح فين يا بابا؟

التفت ناحيته ليجيبه بحماس:

هاحق الجلسة العرفية، زمانتها هتبدأ!

قطب مازن جبينه متسائلاً باهتمام:

جلسة ايه دي؟

أشار له والده بكفه قائلاً:

-بعدين هاحكيلك، ركز انت في الشغل!

.....

لم ترغب أسيف في حضور الجلسة العرفية التي تقرر عقدها في المقهى الشعبي، شعرت بأن قواها منهكة للغاية، وليس بها أي طاقة للاستمرار. فضلت عمها عواطف اصطحابها معها إلى منزلها لتستريح الاثنتان من عناء ذلك اليوم الشاق والمرهق.

اقتربت كلتاهما من البناية، وهنا بدأت ملامح وجه أسيف تتبدل للتجهم والضيق. رجفة قوية أصابتها حينما وقعت عينها على المدخل. لقد استعادت في ذاكرتها ما أصاب والدتها في ذلك اليوم الحزين. تسارعت دقات قلبها واضطربت أنفاسها، وسريعًا تجمعت العبرات في مقلتيها لتبدأ في النحيب والبكاء.

أشفقت عليها عواطف كثيرًا، وابتلعت غصة مريرة في حلقها متأثرة بها. مسحت على ظهرها برفق محاولة التهوين عليها، وأردفت قائلة بصوت شبه مختنق:

- ادعيها يا بنتي بالرحمة، هي ما تتعزש على اللي طلبها!

كورت أسيف قبضة يدها ووضعها على فمها لتكتم شهقاتها الموجوعة. ففراقها ليس بالأمر اليسير. هي فقدت روحها وليس أمها الحنون. أحاطتها عواطف بذراعها قائلة بتوسل:

عشان خاطري يا أسيف، بطلي تعيطي، بتقطعي قلبي!

لم تكن أسيف مصغية لتوسلاتها، فهي في حالة تُحسد عليها.  
وما إن وطأت قدماها المدخل حتى شعرت بإحساس الفقد.  
رغمًا عنها رأت آثار بقعة الدماء الجافة التي تتوسطه. إنها تخص والدتها.  
زادت شهقاتها ونحيبها.

وضعت يداها على أذنيها لتسدّها، فصوت صدى صراخ والدتها كان آخر ما  
سمعتة منها.

كاد يصيبها بالصمم.

شعرت بذنبها وعجزها لأنها لم تستطع مساعدتها وتركها بمفردها لتلقى حتفها.  
نهج صدرها علواً وهبوطاً، وزادت رعشتها.

بكت عواطف هي الأخرى مشفقة عليها، وضممتها إليها لتخبيء رأسها في  
صدرها فتبعد عيناها عنها.

شعرت بإختناقها، بما تتكبده في صدرها المكلم من مشاعر متألّمة وأحاسيس  
صعبة، فظلت محاطة إياها، ورددت قائلة بنشيج باكي:

تعالى يا بنتى!

سحبته مجرة نحو الدرج لتصعد كلتاهما للأعلى ومُبعدة إياها عن تلك البقعة.  
همست قائلة في نفسها بعزم:  
-ربنا يقدرني وأعوذك عن غيابها، وأكون أمك الثانية!

شعرت أسيف بخواء كبير في نفسها بعد إدراكها لحقيقة الوضع. لا أب طيب يعطف عليها، ولا أم حنون تضمها إليها.  
ليس معها رفيق تشكي إليه، ولا قريب يخاف عليها وينصحها، فقط هي بمفردها لتواجه مصيرها المجهول.

نعم الحياة لا تترك مكاناً للضعفاء، بل تسحقهم تحت وطأة قسوتها اللامتناهية. هي عليها أن تتخطى أحزانها وأوجاعها وتعيد بناء نفسها من جديد.

.....

وكما هو متبع في مثل تلك النوعية من الجدالات والخلافات الحادة، أقيمت جلسة عرفية بداخل المقهى الشعبي لمحاسبة المخطيء، وأخذ الحق منه.  
وبالطبع لم يتوان الحاج طه في تغليظ مطالبه لكي يوصل رسالة صريحة إلى نده أنهم ليسوا بخصم سهل المنال.

وعلى مضض كبير جلس الحاج فتحي في مقعد منزوي بزواية المقهى ، وإلى  
جواره رفيقه الحاج اسماعيل.

ظل مكفهرأ عابساً تكسو نظراته الشعور بالعار والإنكسار.  
فقد خسر تقريباً كل ما خطط له، بل والأصعب من هذا أنه مُطالب برد  
إعتبار من تجراً عليها.

احتد بركان غضبه بداخله، وكم غيظه رغمًا عنه.

مال عليه الحاج اسماعيل ليهمس له بحذر:  
-شوف إنت هاتخلص الليلة دي على ايه

نظر له الحاج فتحي من طرف عينه، وأجابه بتأفف كبير:  
-كمان طلعت الغلطان!

رد عليه الحاج اسماعيل بصوت خافت:  
-كان لازم تحاسب على كلامك، الناس دي شكلها مش سهل! وأديك  
شوفت بنفسك!!!



لم يرد عليه بل أشاح بوجهه بعيداً وهو يغمغم بسباب خفيض.

وفي الجهة المقابلة لهما جلس طه، وابنيه، وعدد من كبار المنطقة الشعبية كشهود عيان على ما سيحدث.

لم يرغب مهدي في التخلف عن الحضور، فهو يتعلم في كل مرة يحضر فيها تلك الجلسات من حنكة طه وحكمته المتمرسه في إدارة الأمور لصالحه. ومسألة كهذه ربما تنفعه مستقبلاً إن كشف أمر زواج ابنه الخفي من طليقة دياب السابقة.

ورغم أن منذر لم ينطق بالكثير إلا أن نظراته كانت مهددة بخطر مهلك. فإستعادته للمواقف الحادة التي جمعتها مع الحاج فتحي جعلت متحزراً للفتك به دون سابق إنذار.

بدأت الجلسة ووصلت فيها المجادلات الاعتراضية والمشادات الكلامية بين الطرفين لأشدها، فكل جانب متمسك برأيه ومصمماً على كونه الصائب.

لم يتراجع الحاج طه عن تغليظ عقوباته، ولا عن رد شرف قريبته عواطف.  
 ودعمه الجميع في رأيه. فقد كانوا حاضرين للموقف منذ بدايته، ورأوا مدى  
 التطاول اللفظي والجسدي بالإضافة إلى الافتراءات الباطلة من ذلك الغريب.  
 لذا كانوا حكماً معه في تقرير المناسب.

.....

فتحت عواطف الباب دافعة ابنة أخيها للدخول وهي تقول بود:  
 -خشي يا بنتي، ده بيتك!

تعثرت في خطواتها وهي تلج للداخل مطأطأة لرأسها.  
 كانت تلك هي زيارتها الأولى لبيت عمته، لم تره من قبل، وتمنت لو زارته  
 بصحبة عائلتها، لكن كتب لها القدر أن تجيء إليه بمفردها. بل أن يكون منزلها  
 -مؤقتاً - في الفترة القادمة.

انتبهت هي لذلك الصوت الأثوي المتساعل يندهاش:  
 -مين دي يا ماما؟

رفعت رأسها ناحية صاحبتة لترى فتاة تقاربها في العمر تطالعها بنظرات  
متفحصة لها.

دنت بسمه منها، ولم تبعد عيناها عنها متابعة تساؤلها:  
-اتي مين؟

أجابتها عواطف بصوت متحمس وهي تحاوطها من كتفها:  
-سلمي على بنت خالك.. أسيف!

نظرت لها بسمه بضيق، وعبست قائلة:  
-أها.. هي دي! أهلاً

تابعت عواطف قائلة بجدية وهي توميء بحاجبيها:  
-أسيف هاتقعد معانا هنا على طول إن شاء الله!

هتفت بسمه مصدومة:

-هنا! في بيتنا؟

أكدت والدتها ما صرحت به قائلة بجسم:

-أيوه! وإن شاء الله تتبسط معنا

ضغطت بسمة على شفيتها لتضيف بامتعاض:

-أها.. طيب!

استشعرت أسيف من نبرتها عدم تقبلها لوجودها، وشعرت بالجرح لكونها  
ضيفاً ثقيلاً عليهن.

لم تنتبه بسمة لما أصاب أمها في رأسها من الخلف، فقد كان الجرح متوارياً  
أسفل حجاب رأسها المتهدل، واعتقدت أنها تركته على تلك الوضعية متأهبة  
لنزعه عنها.

حضرت نيرمين هي الأخرى متسائلة بتلهف:

-حصل ايه تحت يا ماما؟

اضطربت أسيف من وجود ابنتها الأخرى، فقد تصادمت الاثنتان من قبل،  
هي تتذكر تلك المواجهة، فأخفضت رأسها متحاشية النظر إليها.

رمقتها نيرمين بنظرات مطولة منزحجة، فهي لا تزال تحمل ضعينة في قلبها  
تجاهها.

هتفت عواطف قائلة بجدية:

مش تيجي ترحبي بنت خالك يا نيرمين! دي أول مرة تجيلنا و...

نظرت لها بحدة، وقاطعت عبارة أمها مرددة بتجهم وهي توليها ظهرها:  
أنا رايحة أشوف رنا، باينها صحت!

تأكدت أسيف في نفسها أنها لن تلقى ترحيباً في ذلك المنزل، وأنها ستعاني  
من غربة أخرى موحشة لتزيد من تعاستها وبؤسها.

.....

خلال الجلسة العرفية تم تغريم الحاج فتحي مبلغاً مادياً طائلاً كتعويض مؤقت  
عن إساءته.

هب واقفاً من مقعده محتجاً وثاراً بجنق:

كده كثير، ليه يعني؟ هو أنا غلطت في البخاري؟!!!!

ضرب طه بعكازه الأرضية بصلاية، ورد عليه بصوت صارم وهو ينتصب في  
جلسته:

-سمعة حريمنا ماتتقالش بالمال، وده يعلمك تفكر قبل ما تكلم!

جذبه الحاج اسماعيل من ذراعه ليجبره على الجلوس قائلاً بهدوء حذر:  
-اقعد يا حاج فتحي، احنا لسه بنتفاهم مع الجماعة!

جلس الأخير مجبراً، وهو ينفث دخاناً من أذنيه.

احتدمت المشادات مجدداً، ولم يجد هو بدأ من الرضوخ لهم.  
فاضطر أسفاً أن يوقع على ورقة ما بهذا المبلغ - أو ما يعرف بإيصال الأمانة  
- ليقوم بسداده في فترة زمنية محددة.

أراد منذر أن يسترد حق اليتيمة المسلوب من هذا البغيض الذي أساء لها  
بشاعة، فاستطرد حديثه مردداً بثبات وهو يدير رأسه ناحية والده:

-اسمحي يا حاج، عندي حاجة عاوز أضيفها!

هز الحاج طه رأسه بالإيجاب مردداً بصوت رخيم:  
قول يا منذر!

استدار الأخير برأسه نحو الحاج فتحي، وسلط عليه أنظاره القوية، ثم تابع  
قائلاً بصلافة مهيبة:

عاوز حق اليتيمة اللي ملحقتش تحزن على أمها!

ثم تعمد رمقه بنظرات احتقارية قبل أن يتابع بازدراء:  
والحاج كان ناوي يسرقه غصبن عنها!

زاد تجهم وجه الحاج فتحي، ورد عليه بعصبية بائنة مغتاضاً مما قاله:  
نعم؟ ده ايه ده كمان!!!

تابع منذر قائلاً بصرامة شديدة:

مالوش دعوة باللي يخصها من أملاك وورث، ده حقها شرعاً وقانوناً!

استشاط فتحي من أسلوبه الحاسم المستفز له، وصاح غاضباً وهو يلوح  
بذراعه:

-وانت بتكلم عنها بصفتك ايه فهمني ؟ حاشر مناخيرك معاها وآ....

تلك المرة قاطعه الحاج طه محذراً بشراسة:

-شوف، لتاني مرة بأحذرك، لسانك بيغلط!

زجر الحاج فتحي هاتفاً بنبرة محتقنة:

-ماهو مش أي هبل هيتقال والسلام وعاوزني أرضى بيه، أنا مش لابس  
العِمة وعاوزين تستغفلوني!

هدر به منذر بصوت مخيف ومهدد:

-لأ معلش، أنا مش مجنون قصادك ولا بأقول هري على الفاضي، ده شرع  
ربنا، وحق اليتيمة، واحنا مش بنيجي لا على حق الولايا ولا اليتامى!

ثم نهض واقفاً من مقعده، واقترب منه بدرجة مخيفة ليحدهجه بنظراته  
الساخطة، وتابع قائلاً بحزم يحمل الوعيد:



-واسمع مني الناهية، هي مش تبقى بنت أخو الست عواطف، يعني تبعنا،  
واللي يدوس على طرف يخلصنا، مالوش دية عندنا!

شعر الحاج فتحي بالرهبة من تهديداته الصريحة، وابتلع ريقه بتوتر شديد.  
لم يتراجع منذر، وظل باقياً في مكانه ليحده بنظرات أكثر شراسة.  
هتف الحاج طه قائلاً بصوت آمر:  
-اقعد يا منذر، واللي طلبته هايتنفذ!

تمم الحاج فتحي قائلاً بحنق:  
-انتو عالم قادرة!

رد عليه منذر ببرود قاسي:  
-بالظبط كده، وربنا ما يوقعك معانا تاني ويكفيك شر زعلنا..!

ثم أوما له بعينه ليشير إلى نفسه متابعاً بتحذير شديد اللهجة:  
-وخصوصاً أنا!

عاد منذر ليجلس على مقعده المقابل له، وظلت أنظاره القاسية متعلقة به.

استمرت الجلسة لدقائق أخرى لوضع كافة الأمور في نصابها الصحيح، وما إن

انتهت حتى نهض الحاج فتحي على عجلة مرددًا بمضض:

-بيننا يا حاج اسماعيل، أنا دي فاير ومش طابق نفسي!

رد عليه منذر بابتسامة عابثة متعمداً إستفزازه:

-ما تستنى أما تشرب عناب يا حاج، صدقني هيهديك!

صاح الحاج فتحي بنفاذ صبر:

-يالاي حاج!!

تهد بعدها منذر بعمق وهو يتابعه بنظراته المتشفية وثغره يعلوه ابتسامة

منتصرة حتى انصرف تماماً من المقهى.

.....

رتبت عواطف غرفة ابنتها الصغرى بسمة لتكون ملائمة لأسيف لتمكث بها بمفردها خلال الفترة القادمة، ومن أجل اعطائها مساحة من الخصوصية أثناء وجودها معها فلا تشعر بالحرج أو الخجل منها أو من ابنتها. شكرت الأخيرة عمته قائلة بتهذيب متلعم:

-كتر خيرك، أنا.. أنا...

وقبل أن تكمل جملتها المترددة قاطعتها عواطف هاتفة بلطف:  
-انتي هاتشكريني على ايه؟ ده واجبي يا بنتي، ارتاحي اتني بس دلوقتي، ولو عوزتي أي حاجة ناديني! ماشي يا بنتي؟

ثم احتضنتها بود، وقبلتها من وجنتيها، ومسحت على صدغها وهي تبتمس لها. بادلتها أسيف ابتسامة باهتة وقد لمعت عينها بدرجة كبيرة.

أشارت لها عواطف بيدها متابعة:

-نامي يا بنتي، وأنا هاجيبك بيجاما من بتوع بسمة تغيري فيها

اعترضت أسيف قائلة بخجل:

مافيش داعي، أنا... أنا هدومي سيباها في اللوكاندة و...

ردت عليها عواطف بابتسامة مطمئنة:

-انتي بنتي دلوقتي، فمتشليش هم أي حاجة، ارتاحي بس، ومتقلقيش، أنا  
معاكي ومش هاسيبك!

.....

بعد لحظات خرجت هي من الغرفة تاركة إياها بالداخل، فأسرعت بسمة  
نحوها قائلة بتذمر وهي تنفخ بصوت مسموع:  
ذنبي ايه أطلع من أوضتي عشان دي!

رمقتها عواطف بنظرات مزعوجة من أسلوبها الفظ، وردت عليها معاتبة إياها  
بغلظة:

دي اللي مش عجباكي تبقى بنت خالك، وهي هاتفضل معنا هنا!

زاد احتجاج بسمة وهي تضيف بسخط:

يا سلام، يعني هي تيجي وتتبغدد على حسي، اشمعني أوضتي أنا؟!!!!!

ردت عليها أمها بتهكم وهي تشير بيدها:  
-أيها في المطبخ عشان ترتاحي

كتفت بسمة ساعديها أمام صدرها، وردت بتبرم:  
-لا، بس مش في أوضتي! انتي عارفة إن أنا مش برتاح في نومتي مع حد!

بررت عواطف تصرفها قاتلة:  
-اعتبريه وضع مؤقت! بعد كده هاخليها تنام معايا!

غمغت بسمة مع نفسها بازدراء:  
-أه موت يا حمار، وأنا أتسوح لحد ما ده يحصل!

رمقتها عواطف بنظرات متأففة، ثم تجاهلتها وتعمدت عدم الرد عليها تاركة  
إياها باقية في مكانها لتتجه نحو المطبخ.

لحقت بها بسمة متابعة بالحاح:

-ماقولتليش هاتعملي ايه؟

ردت عليها عواطف بضيق:

-بطلي زن فوق دماغي وخليني أعمل لقمة للغلبانة دي!

زفرت بسمة قائلة بسخط:

-ماشني يا ماما، براحتك!

ثم تركتها وانصرف من المطبخ وهي تبرطم بكلمات متذمرة.

هزت عواطف رأسها مستنكرة جمود ابنتها، وتهدت قائلة بعشم:

-ربنا يهديكي يا بنتي ويحنن قلبك عليها.....!!

.....

## الفصل الخامس والعشرون:

سحب الميكانيكي جسده بحرفية معتادة من أسفل السيارة المصفوفة عند ورشته، ثم نهض واقفاً على قدميه ومسح كفي يده في المنشفة البالية الممسك بها.

التفت نحو صاحبها ليستطرد حديثه بجدية:

سيهالي يومين يا ريس منذر وأنا هاظبطلك كل اللي فيها

نفخ منذر بضيق كبير، ودس يديه في جيبي بنطاله، ورد عليه بامتعاض:

أنا محتاجها، ورايا شغل وماستغناش عنها

رد عليه بنبرة عملية وهو يشير بيده:

عارف يا ريسنا، بس هي متهدلة على الآخر، ده غير الإيزاز اللي هايغيره

والفوانيس اللي ورا والكابوت عاوز يترد و....

قاطعها الأخير قائلاً بضجر وهو يخرج يديه من جيبيه ليضعها على منتصف

خصره:

حطب شوف المناسب وانجز على طول!

هز الميكانيكي رأسه بإيماءة واضحة وهو يرد:

أوامر يا ريس منذر!

دس يده مرة أخرى في جيب بنطاله الخلفي ليخرج حافظة تقوده، ثم سحب مبلغاً مالياً منها، وطواه في قبضته.

دنا من الميكانيكي وأعطاه له قائلاً بجمود:

خذ دول دفعة تحت الحساب!

تناوله الميكانيكي منه، ووضعها سريعاً في جيب أفروله الكحلي الداكن ( بدلة عمله ) ليردد بجماس وقد اتسع ثغره:

متشكرين يا ريس منذر!

اقترب منها عامل آخر بالورشة قائلاً بجدية وهو ممدد يده بكيس بلاستيكي:

يا أسطا، الحاجات دي كانت على الكرسي اللي قدام!



هاتهم يا واد!

قالها الميكانيكي وهو يأخذ الكيس منه، فقد قام الأخير بتفتيش السيارة من الداخل ليتأكد من خلوها من أي مقتنيات شخصية ثمينة تخص صاحبها في حال تركها عند الورشة للإصلاح حتى لا تفقد، فوجد ذلك الكيس بها.

استدار ليواجه منذر الذي بدا مندهشاً كثيراً، فقد تناسى رغمًا عنه إعطاء ابنة رياض متعلقات والدتها، وظلت باقية معه في سيارته منذ أن استلمها من المشفى.

قطع شروده صوت الميكانيكي وهو يردد:

-اتفضل يا ريس منذر!

أمسك بالكيس البلاستيكي في يده، وأضاف بجدية:

هاعدي عليك كمان يومين ولو خلصت قبلها كلمني!

رد عليه الميكانيكي بصوت مرتفع:

حاضر!

لوح له منذر بكف يده وهو يودعه قائلاً:  
سلامو عليكم!

أجابه الأخير بصوت نخفض نسيباً:  
وعليكم السلام

سار منذر للأمام متطلعاً إلى الكيس باهتمام، ثم رفع رأسه ليصدق أمامه  
محدثاً نفسه بضيق بائن على ملامحه:

مجاش في بالي خالص أديها الحاجة بتاعة أمها!

نفخ بصوت مسموع وهو يكمل حديث نفسه:

بكرة أبقى أعيدهم عليها مع أي حد من الوكالة!

.....

مط مازن ذراعيه في الهواء، ثم طقطع فقرات عنقه بيده بعد أن أنهك نفسه  
كثيراً في العمل ليتأكد من إتمام المطلوب في طلبية الطعام.

انتبه لإهتزاز هاتفه المحمول الذي كان موضوعاً على الوضعية الصامتة، وبدا متأففاً وهو يقرأ بعينه الاسم الظاهر على الشاشة.

تكرر الإتصال مرة أخرى فأجاب عليه قائلاً باقتضاب:  
خير يا ولاء

ردت عليه بتساؤل روتيني:  
مش ناوي تيجي؟

زفر بعمق وهو يقول بعبوس:  
-لا! عندي شغل!

سألته بدلال محاولة التأثير عليه لإثناؤه عن قراره بالبقاء في العمل:  
-يعني مش هاتتعشى معايا، ده أنا مجهزالك عشا هيعجبك أوي!

عنفاً قائلاً بقسوة:

-ولاء حلي عن دماغي، أنا ورايا هم أد كده!

انزعجت كثيراً من رده اللفظ، وهتفت بنبرة متعصبة:  
أوكي، براحتك

أنهى المكالمة معها ملقياً الهاتف على سطح مكتبه، ثم غمغم مع نفسه بتذمر:  
هو أنا ناقص خانقة!

.....

جلست ضامة ركبتيها إلى صدرها، ومحاولة كلتها بكفيها، ثم إتكت برأسها  
عليها لتبكي بمفردها بأنين خفيض.  
ظلت أسيف ترثي والدتها الراحلة بكلمات مبهمة.  
أجهشت ببكاء أشد، ودفنت رأسها في حجرها متحسرة على رحيلها المفاجيء  
عقب وفاة أبيها تاركين إياها تواجه مصيراً مجهولاً.  
أنغمضت عيناها قهراً، فلا تزال صورتها وضحكاتهما عالقة بذاكرتها.

سمعت هي صوت دقات خفيفة على باب الغرفة، فأسرعت بفك كفيها  
المتشابكين، وتمددت على الفراش مدعية النوم. دثرت نفسها بالغطاء،  
وكففت عبراتها سريعاً كي لا ينكشف أمرها.

لم يكن بها أي رغبة بالحديث أو مشاركة مشاعرها مع أي شخص.  
بقيت ساكنة تماماً، وضبطت أنفاسها لتبدو منتظمة وكأنها في سبات عميق.  
استطاعت أن تسمع صوت تلك الخطوات الخافتة المتسللة إليها، وحافظت  
بمهارة على ثباتها حتى ظنت المتواجدة بالغرفة أنها نائمة.  
شعرت بتلك اللمسة الحنون على جبينها، وتلك القبلة المطمئنة أعلى رأسها.  
همست لها عواطف بحب:

ربنا يعينك يا بنتي على اللي جاي ويفرح قلبك، ويعوضك كل خير

انحنت مجدداً لتقبلها، ثم عدلت من وضعية الغطاء عليها، وتركتها وانصرفت.  
أخرجت أسيف تهيدة عميقة من صدرها، وأكملت بكائها الصامت.

.....

علقت جليلة جلاباب زوجها على المشجب ( الشماعة ) بعد أن نفضته،  
والتفتت لزوجها لتتهف بإعجاب:

-والله ما يجيها إلا رجالها!

ناولته لباسه المنزلي قائلة يا متنان:

تسلم يا حاج، دايماً كده نصير المظلوم

رد عليها طه بصوت آجش:

ماهو اللي زي ده كان عاوز اللي يقفله ويريبه

وافقته الرأي قائلة بجدية وهي تضع حذائه أسفل التسيريحة:

عندك حق!

أضاف طه قائلاً بصوت مزعوج وهو يشير بكف يده:

ماهو مكانش ينفع أسكتله، ده جاب سيرة عواطف، وهي تمسني بردك!

عادت جليلة لتقف إلى جواره، وأمسكت بعكازه الخشبي وهزته بحركة عفوية

وهي ترد بتلقائية:

اه مضبوط!

ثم تحركت عدة خطوات للأمام لتسنده إلى جوار خزانة الملابس قائلة  
بتشجيع:

-واللي يتساهل مرة في حقه يستحمل اللي هيجرى!

أشار لها طه بكف يده قائلاً بصوت آمر:

قومي جهزي لقمه لأحسن واقع على الآخر!

التفتت برأسها نحوه راسمة ابتسامة سعيدة على ثغرها ومرددة بتلهف:

-أحلى عشا يا أبو مندر!

تأوه بأنين خفيض وهو ينحني ليفرك باطن قدمه قائلاً:

-آه يا رجلي، محتاج أدهنها برهم ولا أي بتاع!

اقتربت منه مقترحة باهتمام كبير:

-أعملك مياه وملح تحط فيهم رجلك؟ هاينفعوك يا حاج!

حرك رأسه بالإيجاب موافقاً:

ماشى يا جليلة، هاتيهم!

ردت بتلهف:

على طول أهوو!

ابتسم لها زوجها قائلاً يا متنان:

-ربنا يخليكي ليا، ست أصيلة!

ضحكت في وجهه وأسرعت في خطواتها لتعد له وعاءً بلاستيكيًا مليئاً بالماء  
والمح لتخفف عنه آلام قدميه.

.....

في صباح اليوم التالي،،

كان يغط في نومه يارتياح حتى بدأت تعابير وجهه في التشنج قليلاً بسبب  
ذلك الرنين المتواصل لهاتف ما.



استعاد وعيه نوعاً ما، لكنه لم يستيقظ كلياً.  
 في البداية ظن منذر أنه يحلم، وأن صوت الهاتف ضمن حلمه الغير مفهوم،  
 فلم يهتم، وقاوم نداء عقله بالإستيقاظ والانتباه.  
 لكن مع تكراره، أفاق تدريجياً من نومه.  
 مد يده نحو الكومود محاولاً البحث عنه والإمساك به لوقف صوته المزعج،  
 لكنه لم يجده، فرفع رأسه مجبراً عن الوسادة ليبحث عنه بعينين ناعستين.  
 دقق النظر بنصف عين مفتوحة، ولكن لا شيء..  
 كان الرنين أتيماً من مكان آخر.  
 فرك وجهه بكفه، وتشاءب بصوت مسموع، ثم رمش بعينه لأكثر من مرة  
 ليعتاد على الإضاءة الخافتة بغرفته.  
 تكرر الرنين، فانتصب في نومه، وإشرأب بعنقه للأعلى مديراً رأسه للجانب.  
 تحركت عيناه صوب التسريحة حيث ذلك الكيس البلاستيكي.  
 كان الصوت أتيماً منه، فتأكد أنه يخص هاتف المرحومة حنان.  
 تشاءب مرة أخرى يارهاق، ثم أزاح الغطاء بعيداً عنه، ونزل عن الفراش  
 ليخرجه من الكيس.  
 فرك فروة رأسه بكف يده عدة مرات وهو يدقق النظر في شاشته الصغيرة  
 - ذات الإضاءة البرتقالية - ليرى رقماً غريباً صادحاً عليها.

ضغط على زر الإيجاب قائلاً بصوت متحشرج:

-الو..

أتاه صوتاً أنثوياً هاتفاً بنعومة رغم جديته:

مع حضرتك فندق ((....))، ده رقم السيدة حنان؟

أجابها باختصار:

-اه هو..

استأنفت حديثها قائلة بنبرة رسمية:

طب حضرتك احنا بنسأل عنها، المفروض كانت عاملة حجز عندنا هي وبنتها،

بس بقالها كام يوم مش ظاهرة، والمفروض تعمل check out!

توقف عن فرك رأسه مجيباً إياها بتجهم:

-الست حنان تعيشي اتني!

اضطربت نبرة الموظفة بعد تلقيها لهذا الخبر الصادم، وهتفت معتذرة:

-أنا أسفة جداً يا فندم، البقاء لله!

رد عليها بصوت متحشرح:

-الدوام لله، متشكر!

زاد ارتباكها وهي تتابع مبررة موقفها:

-أنا.. انا معرفش، ومحدش بلغ إدارة الفندق!

عادي، حصل خير!

قالها منذر على مضض محاولاً إنهاء الحديث معها، لكنها أكملت مكالمتها مضيئة  
بجدية:

طب يا فندم بالنسبة للمتعلقات الخاصة بالمرحومة وباقي الحساب، احنا  
محتاجين حد يجي يستلم الشنط ويوقع الأوراق، ويدفع ال....

بالطبع أدرك أن عليه أن يحل تلك المسألة العالقة فوراً، فالموظفون بتلك  
الفنادق دومًا يحاولون إنجاز أعمالهم بصورة رسمية، لذا قاطعها قائلاً بنبرة  
حاسمة ودون الإطالة في التفكير:

-أنا هاجي عنديم أخلص كل حاجة!

ردت عليه الموظفة بهدوء:

تمام يا فندم، في انتظار حضرتك، بس ممكن أسجل اسمك عشان  
الاجراءات!

أجابها بنفاذ صبر:

منذر طه حرب!

تابعت مجاملة بنفس النبرة المعتادة في عملها:

شكراً ليك أستاذ منذر، وفي انتظارك في أي وقت، ومرة ثانية بأكرر تعازيا  
الحارة للمرحومة!

رد عليها بإيجاز وقد زاد عبوس وجهه:

العفو!

ضغط على زر الإنهاء، وتطلع أمامه بنظرات فارغة، ثم حدث نفسه بضجر  
وهو يضغط على شفتيه:

-الظاهر إتكتب عليا أخلص كل حاجة تبع عيلة خورشيد!

.....

شعرت بلمسة رقيقة تداعب وجهها لتسحبها إلى أرض الواقع بعيداً عن  
أحلامها الحزينة.

ظلت تفتح وتغمض جفניה بجرعة عفوية وهي تحاول الاستسلام لسلطان  
النوم الذي كان يجافها طوال الليل.

أوقظتها عمتها عواطف بصوت دافئ قائلة بود وابتسامتها الحنونة لم تفارق  
شفتيها:

-اصحي يا أسيف، فوقى يا حبيبتى عشان تفطري معانا

ردت عليها أسيف بصوت متناقل وناعس للغاية:

مش عاوزة

مسدت عواطف على رأسها برفق قائلة:

-لا مافيش حاجة اسمها مش عاوزة، اتى دلوقتي فى بيتك تقومي تاكلي  
وتشري براحتك، وأنا مش هاسيك كده هفتانة!

ردت عليها أسيف معتذرة بتهذيب:  
-معلش، ماليش نفس!

ألحت عليها عواطف بإصرار أكبر:  
-ده أنا عاملة فطار تاكلي صوباعك وراه، قومي اغسلي وشك ويالا يا بنتي،  
ده بنات عمك مستينك!

تذكرت أسيف تلك الشابتين اللاتين قابلتاها بفتور ممزوج بالإنزعاج.  
تجدد في نفسها الإحساس بعدم الترحيب بالمنزل، فردت بنبرة حرجة:  
-بلاش أضايقهم بوجودي، ك.. كفاية اني أخذت أوضة....

قاطعتها عواطف قبل أن تكمل جملتها قائلة بجديّة:  
-تضايقي مين، هما بس لسه مش واخدين عليك!

ثم ابتسمت أكثر وهي تكمل بنبرة ودودة:

بس أما هاتعرفيهم هتحييهم والله، وبعدين البت بسمة رغم لسانها الطويل إلا  
ان قلبها طيب وتتحب!

أزالت عنها الغطاء قليلاً لتشجعها على النهوض:  
يا لا يا بنتي، والله هتتبسطي معانا، قومي يالا

في الأخير اضطرت أسيف أن تليي رغبة عمتها، فلن تبقى في الفراش للأبد.  
عليها أن تختلط بعائلتها الجديدة.

.....

استقل منذر سيارة أجرة ليصل إلى الفندق المنشود.  
لم تكن المسافة بعيدة، فقد كان قريباً من منطقته الشعبية.  
توقف السائق أمام المدخل، فترجل هو منها واتجه للإستقبال ليقول للموظفة  
المتواجدة خلف الطاولة الرخامية العالية بجدية:  
كان جالي تليفون من اللوكاندة هنا يقولي أستلم حاجة المرحومة حنان!

سألته الموظفة بنبرة عملية وهي تحق فيه بتفرس:

أستاذ منذر طه؟

أجابها بجدية دون أن تطرف عيناه:

أه أنا

أسندت أمامه على الطاولة عدة أوراق وقلم حبري قائلة بهدوء:  
-تفضل حضرتك، أنا مجهزة كل حاجة، ناقص بس دفع باقي التكاليف،  
وحضرتك هتطلع بعدها مع العامل للأوضة تستسلم المتعلقة الشخصية

لوى ثغره ليقول بجمود:

ماشى

ثم هتفت الموظفة بصوت مرتفع وهي تشير بيدها لأحد العاملين:  
-عماد، من فضلك اطلع مع الأستاذ منذر أما يخلص توقيع الورق لأوضة رقم  
(( ... ))

رد عليها العامل بنبرة مطيعة:



حاضر يا آنسة

.....

بعد برهة، استقل منذر المصعد ليصل إلى الطابق المتواجد به الغرفة السابقة  
للنزيلة حنان.

جاء هو الرواق بنظرات عمومية شاملة دارساً لتفاصيله.

لم يكن الفندق على قدر من المستوى، لكنه كان ملائماً للطبقة المتوسطة،  
وأسعار غرفه نوعاً ما زهيدة.

سبقه العامل بخطوتين ليفتح الباب له قائلاً بترحيب متقن:

-تفضل يا فندم، دي الأوضة!

هز رأسه بإيماءة خفيفة وهو يريد:

طيب..

أشار له العامل بذراعه متابعا:

-الحاجة زي ما هي يا فندم، محدش جه جنبها!

رد عليه منذر بتنهيدة وهو يدور ببصره في أرجاء الغرفة متفقداً محتوياتها:  
- ماشي، أنا هاجمعهم!

اقترح العامل مد يد العون له قائلاً بتهذيب:  
- لو تحب أساعد سيادتك.....

قاطع منذر باقتضاب وهو يخرج له حفنة من البقشيش ليعطيها له:  
- مافيش داعي!

اعتلى ثغر العامل ابتسامة سعيدة للغاية بعد تلقيه لهذا المبلغ، وهتف قائلاً  
بجماس:  
- شكراً يا فندم، أنا واقف برا لحد ما حضرتك تخلص أنزلك الشنط لتحت!

هز منذر رأسه قائلاً بتفهم:

طيب

انتظر هو حتى انصرف العامل من الغرفة ثم وقف في منتصفها ينظر بحيرة  
حواله وواضعاً ليديه على منتصف خصره.

نفخ مجدداً بضيق وهو يحدث نفسه:

دايماً بأتخط في مواقف عجيبة مع العيلة دي!

.....

عبست نيرمين بوجهها للغاية حينما رأت والدتها مقبلة عليها بعد أن طال  
تواجدها بغرفة أختها بسمة لتوقظ ابنة خالها التي ظهرت لها من العدم.

هتفت بتهمك قاسي وهي تطرق بأصابعها على سطح طاولة الطعام:

-صحي النوم، احنا هانموت من الجوع، وفي ناس ولا على بالها!

رمقتها أمها بنظرات حادة وهي توبخها:

-بطلي نأرزة يا نيرمين، ما اتتي كل يوم بتصحي العصر، ماجتش من ٥ دقائق

يعني اتأخرت فيهم!

انزعجت نيرمين من عدم أكثرات والدتها بها، فصاحت معاتبة بشدة:

جری ايه يا ماما، هو اتتي هتفتني في صفها من دلوقتي؟ احنا بناتك؟!!!!

ردت عليها عواطف بنبرة جادة وقد قست نظراتها:  
-وهي بنت المرحوم أخويا رياض، يتيمة ومعدتس ليها حد إلا احنا، يا ريت  
تفهمي ده!!

احتجت نيرمين على أسلوبها، وردت قائلة:  
بس....

رفعت عواطف كف يدها في وجهها وهي تقاطعها بجدة قليلة:  
من غير بسبسة، عاملي البت كويس يا نيرمين بدل ما أقلب على الوش الثاني

رمقت نيرمين والدتها بنظرات ضائقة، وتمت مع نفسها بسخط وبصوت  
خفيض:

ما بقلهاش يوم في البيت وشقبت حال أمي! او مال لو اعدت معنا أكثر من  
كده هاتعمل ايه!!!!

التفتت عواطف برأسها لتجد أسيف تتحرك ببطء نحوها، كانت تقدم قدماً  
وتؤخر الأخرى وهي تسير بتردد ظاهر للعيان.

هتفت عمها قائلة بتشجيع:

تعالى يا أسيف، دي نيرمين بنتي الكبيرة، اتى شوفتيها قبل كده، في  
المستشفى ساعة...

قاطعتها أسيف بمرح قليل:

أها، فكراها!

ثم استدارت برأسها نحوها لتهمس بصوت خجل وهي تحاول الابتسام:  
صباح الخير

ردت عليها نيرمين بنبرة متجهمه:

أهلاً!

ثم أشاحت بوجهها بعيدة عنها متجاهلة إياها عن عمد، وأكملت ببرود:

مش هناكل بقى، ولا هفضل نسلم ونرحب ببعض كثير!

نظرت لها عواطف شزرًا، وهمست بصوت مزعوج من طريقتهما الجافة في  
التعامل معها:

-استغفر الله العظيم يا رب

التفتت مجددًا نحو ابنة أخيها، وربتت على ظهرها قائلة بنبرة مرحة:

-اقعدي يا أسيف، مدي ايدك يا بنتي وكلي

جلست الأخيرة على إستحياء على الطاولة، وتحاشت النظر إلى نيرمين، فهي  
تفهمت شعورها نحوها، ولن تجبرها على تقبل وجودها.

تعلقت أنظارها بصحن الطعام الموضوع أمامها، وبدت حرجة للغاية وهي تلتقط  
لقيمات صغيرة من الخبز..

صاحت عواطف بنبرة متلهفة:

إن شاء الله الأكل يعجبك!

ثم وقفت إلى جوارها، وصبت لها الشاي الساخن في قدها، وتابعت  
متسائلة باهتمام:

قوليلي تحبي أعملك ايه على الغدا؟

هزت رأسها نافية وهي ترد بصوت متلثم:

-ولا حاجة، ماتتعبيش نفسك!

قطبت عواطف جبينها، وردت مستنكرة:

تعب ايه بس، احنا بنطبخ كل يوم يعني ما فيش جديد، بصي النهاردة أنا  
هاعملك فراخ وبطاطس وخضار و....

اتسعت حدقتي نيرمين مشدوهة من ذلك الحماس العجيب الذي سيطر على  
والدتها وكأن من تسكن معهن هي سفيرة أتت من الخارج، فشهقت  
مصدومة:

-الله الله! دي وليمة بقي!

سلطت عواطف أنظارها الحادة عليها، وردت بحماس أكبر لتشير غيظها:

اه وليمة وإن كان عاجبك، هو أنا عندي أعز من بنت رياض!

ثم مسحت على ظهرها بنعومة لتستفزه أكثر.

كزت نيرمين على أسنانها بحنق، ونفخت بصوت يصل إلى الأذان معلناً عن غضبها مما يحدث.

انتبه ثلاثهن إلى صوت قرع الجرس، فأشارت عواطف بعينها لابنتها قائلة:  
قومي شوفي مين!

ردت عليها نيرمين بتبرم:

أكيد مش بسمة، هي في مدرستها وده مش ميعاد خروجها!

أضافت والدتها قائلة بتعنيف خفيف:

قومي افتحي الباب يا نيرمين، اتلححي يالا!

زفرت بضجر وهي ترد:

أوف! طيب قايمة!



اتجهت نحو الصلاة، وسحبت ذلك الحجاب المنزلي - والذي يُرتدى عند الحاجة - من على ظهر الأريكة، ولفته بلا ترتيب حول رأسها، واتجهت نحو الباب..

فتحته لتجد منذر أماتها واقفاً على عتبة منزلها فحدقت فيه بإستغراب. لم تنتبه إلى الحقايب التي بجوزته والمسنودة إلى جوار قدميه، فقد كانت أنظارها معلقة به.

لكنها سريعاً ما أخفضت بصرها عنه حينما قال بصوت رخيم:  
-سلامو عليكم!

ردت بترحيب ودود وهي تتنحى للجانب لتفسح له المجال للمرور:  
-وعليكم السلام، اتفضل يا سي منذر!

سمع الاثنان صوت عواطف يأتي من الداخل متسائلاً:  
-مين يا نيرمين؟

أجابها نيرمين بنبرة عالية وهي تدير رأسها للخلف:  
ده سي مندر ابن الحاج طه!

ردت بصوت مرتفع:  
قوليله يتفضل!

التفتت تنظر إليه قائلة بنبرة لطيفة:  
-اتفضل يا سي مندر

وقبل أن يفتح فمه ليعترض رأى عواطف مقبلة عليه هاتفة بصوت متحمس:  
تعالى يا سي مندر، ده حماك بتحبك، أنا لسه بأوضب في الفطار و....

قاطعها قائلاً بجمود وهو يسلط أنظاره عليها:  
-لامؤاخذة إن كنت جاي من غير ميعاد!

استغربت من رده، وقالت بنبرة مجاملة:

ده بيتك يا سي مندر!

تابع هو قائلاً بنفس الجمود دون أن ترتخي ملامح وجهه:  
إن مكانش فيها إساءة أدب، عاوز أكرم بنت أخوكي في حاجة مهمة!

انقبض قلبها نوعاً ما عقب عبارته الأخيرة، وانهاالت عليه بأسئلة متتابعة دون  
أن تترك الفرصة لنفسها لتلتقط أنفاسها:

أسيف؟ خير؟ في حاجة تانية حصلت؟ قريبها جه تاني؟

رد عليها باقتضاب:

لا

ثم طلب منها بنبرة ملحة:

خاديهما بعد اذنك!

ارتابت هي من إصراره على لقاء أسيف، وردت بارتباك قليل:

اه طبعاً، اتفضل خش جوا، مش هاتفضل واقف على الباب كده!

تحرك خطوتين ليلج للمنزل بعد أن انحنى ليحمل حقائب السفر.

هتفت عواطف بنبرة عالية وهي تتجه للداخل:

يا أسيف، تعالي يا بنتي، سي منذر عاوزك!

نظرت نيرمين بفضول كبير إلى تلك الحقائب، وظلت تفكر في سبب إحضارهم إلى المنزل هنا. لكنها لم تتجرأ على سؤاله.

حضرت أسيف إليه بعد عدة دقائق قضتها في ارتداء اسدال الصلاة الذي استعارته من عمته.

حدقت فيه بنظرات قلقة وهي تهتف بصوت مرتبك نسيًا:

سلامو عليكم!

سلط أنظاره الجامدة عليها مرددًا بثبات:

-وعليكم السلام

ابتلعت ريقها ساءلة إياه بتوتر ملحوظ:

-في.. في حاجة جدت؟

اقترب منها ليقف قبالتها، ثم نظر مباشرة في عينيها قائلاً بإيجاز:  
-لا!

ظلت أنظارهما متعلقة ببعضهما البعض لثوانٍ قبل أن ينطق بجمود جعل  
قلبا يخفق بخوف كبير:

هي حاجة ليها علاقة باللوكاندة اللي كنتوا أعدين فيها إتي  
والمرحومة.....!!!

## الفصل السادس والعشرون:

ارتفع حاجبي أسيف للأعلى عقب جملته الأخيرة، وشحب لون وجهها لتبدو  
بشرتها غير طبيعية.

تجمدت نظراتها المرتعدة على وجهه.

كما اضطربت نبضات قلبها، وشعرت بصوتها العنيف يخترق أذنيها بقوة.

هو يتحدث عن والدتها المتوفاة، عما يخصها.

جاهدت لتبدو صلبة، لكنها كانت تحترق حزناً من الداخل.

تابع منذر قائلاً بصوت ثابت وهو يتفردس وجهها المرتبك:

-اتصلت بيا واحدة من اللوكاندة على تليفون أمك تقولي أجي أستلم شنطكم

نهج صدرها بتوتر كبير وهي تسأله بنبرة متلعثمة:

تليفون ماما!؟!

رد عليها موضحاً بنبرة خالية من الانفعالات:

اه، الأمانات في المستشفى ادهوني، واحنا اتلبخنا في دفنة المرحومة ونسيت

أرجعهم لك مع بقية حاجاتها!

ثم أخرج الهاتف وحافضة نقود الفقيدة من جيبه ليعطيها لها قائلاً بهدوء:

-وبقية الحاجة محطوة جوا الشنط بتاعتكم!

لم تصغ إلى ما قاله، وحدقت بنظرات مذهولة في متعلقات أمها الراحلة،  
وسريعاً ما تراقصت العبرات في مقلتيها.

تناولت هاتفها القديم منه بيد مرتجفة، وتجمدت عينها المغرورقتان بالعبرات  
عليه متذكرة نبرة صوتها الرقيق المطمئن حينما تتحدث فيه، وتحسست بأصابع  
مرتعشة حافظة تقودها التي كانت دومًا موضوعة في حجرها.

اندفع إلى عقلها ذكريات كثيرة جمعتها مع أيها وأمها في أماكن مختلفة بقريتهم  
وهمزهم وأرضهم الزراعية.

ذكريات كانت هي كل محورهم، اهتمامهم الأكبر والوحيد.  
وفجأة اختفى كل هذا ليحل بدلاً عنه القسوة والوحدة والفراق.

نظر لها منذر بإستغراب من ردة فعلها خاصة أنها بدت وكأنها في عالم آخر،  
واستدار برأسه ليوجه حديثه إلى عمته:

-أنا لميت بنفسي كل حاجة من الأوضة، مافيش حاجة نسيتهها هناك!

هتفت عواطف قائلة يامتنان كبير:

-كثر خيرك يا سي منذر، والله تعبينك معانا!

التفت برأسه نحو أسيف مجدداً ليضيف بجدية وهو محقق بها بنظرات ثابتة:  
-وماتقليش، الحساب خالصان هناك!

ولم تكن مدركة له، ولم تنتبه لكلمة واحدة مما نطق بها. فعقلها كان مركزاً فقط  
على آخر ما تبقى من ذكرياتها الغالية.

صاحت نيرمين بصوت عالٍ مرددة يا عجب:  
سي مندر طول عمره شهيم وبيقف مع كل الناس، مش جديد عليه ده

رد عليها بابتسامة باهتة ملتفتاً نحوها:  
متشكر

بينما أضافت عواطف قائلة يا امتنان أكبر من السابق:  
-احنا من غيره هو والحاج طه نتوه، ربنا يباركلنا فيه ويفضلوا دائماً سندنا



بدا ما تسمعه حولها همهمات مبهمة، أصوات مختلطة تزججها بشدة فتحول دون استمرارها في إستعادة سيل الذكريات البعيدة.

عاود منذر النظر إلى أسيف ليجدها في تلك الحالة الغريبة، فعبس بوجهه،  
وسألها بجدية قليلة:  
-اتي كويسة؟

لم تجب عليه، بل لم تشعر به من الأساس.  
قربت حافظة النقود من أنفها تستنشق بقايا عبير أمها فيها.  
تنفست بعمق حابسة تلك الرائحة في صدرها لعلها تطفيء لهيب اشتياقها إليها  
فتشج روحها، لكن زاد هذا من لوعتها.  
أغمضت عيناها قهراً بأكية بحرقة شديدة تدمي القلوب.  
لم تستطع تحمل هذا الضغط النفسي العصيب أكثر من هذا، فإنهارت قواها  
كلياً.. وارتخت أصابعها عن الهاتف القديم وحافظة النقود.  
انفض منذر في مكانه مصدوماً حيناً رآها تترنخ أمامه، فمد ذراعيه نحوها  
سريعاً ليتلقفها قبل أن يسقط جسدها على الأرضية.  
شهقت عواطف بهلع قائلة وهي تلم على صدرها:

أسيف!!!

احتقن وجه نيرمين بشدة واصطبغ بحمرة منزعجة من ذلك الموقف، وظنت أنه مفتعل من ابنة خالها لتجذب انتباه منذر إليها، فتملكها الضيق والغضب، وظلت تنفخ مغتظة.

أمسك منذر بأسيف جيّدًا، ولف ذراعه حول خصرها، وانحنى قليلاً ليحملها من أسفل ركبتيها، ثم سار بها عدة خطوات ليضعها على أقرب أريكة، وعواطف من خلفه تصيح بفرع:  
جرالك ايه يا بنتي؟!

تراجع منذر للخلف بعد أن أسندها برفق على الأريكة، وجلست عواطف إلى جوارها محاولاًة رأسها بكفيها متسائلة بصوت مضطرب خائف:  
- ايه اللي حصلك بس؟ فوقي يا بنتي!

رد عليها منذر بنبرة مهتمة بعد أن تصلبت ملامحه نوعًا ما:  
- أطلبها دكتور؟

هتفت نيرمين قائلة بنبرة محتفنة وهي تدنو منهم بوجهها المتجهم:  
-مافيش داعي، أنا هشوفلها كولونيا ولا مياه تفوقها بيها!

مسحت عواطف على وجتها برفق هاتفة لها بنبرة مذعورة:  
قومي يا بنتي، ده اتتي كنتي لسه كويسة!

تمت نيرمين من بين شفيتها بنبرة مغلولة وهي تتجه للمطبخ:  
مُحن بنات!!!!

زفر منذر بضيق، وتلفت حوله منزجاً، ثم أردف قائلاً بصرامة:  
-أنا هاطلب الدكتور يجيلها، ده أحسن!

عادت نيرمين من الداخل مرددة بنبرة عالية واثقة:  
-مالوش لازمة دلوقتي هاتفوق!  
ثم أشارت إلى ما تحمله في يدها من كوب زجاجي ممتليء بمياه الصنبور.

اقتربت نيرمين من أسيف، وحدجتها بنظرات احتقارية مشتعلة منها.  
 ما أعاظها حقًا هو اهتمام الرجال بها، وخاصة منذر - الذي يعد من كبار  
 أسياد رجال الحارة - وأنها حازت على اهتمامه الثمين فبات ينهي أعمالها المعلقة  
 وكأنها تعني له شيئاً.

كذلك قيامها بجمعهم حولها منذ أن وطأت قدماها إلى منطقتهم، بل الأدهى  
 أنها استطاعت أن تجذبهم إليها فأولوها إهتمامهم الكامل دون أي مجهود يذكر  
 منها. وهي على النقيض شعرت بكونها مكروهة منبوذة وسط عائلة زوجها  
 السابق " حاتم "، وتكبدت العناء معه وتحملت قسوته وفضاظته وأخفت  
 الكثير من أمور حياتها عن عائلتها لتحافظ على استقرار عائلتها لكنها لم تحصل  
 في الأخير على اهتمامه ولا على أي شيء.

زاد ذلك الإحساس لديها بالنفور والبغض بعد حصولها على لقب مُطلقة لأكثر  
 من مرة. فأصبحت كالمصابة بالجذام أو عدوى خطيرة.

وضعت نيرمين نفسها في مقارنة غير عادلة معها رغم عدم معرفتها بها.  
 فبلا وعي منها قذفت وجهها بمحتوى الكوب فجأة، وتمنت في نفسها لو كان  
 ما به ماء نار فتشوهه وتحرقها...

شهقت أسيف وهي تسعل ياختناق مستعيدة وعيها إلى حد ما.

بينما اتسعت حدقتي عواطف بذهول مصدوم من فعلة ابنتها المباغثة،  
وهتفت معنفة إياها بجدة:

- في حد يفوق حد كده؟ اتى غبية!

صدم منذر هو الآخر من طريقتهما الفظة في إفاقتها، وتشنجت تعابير وجهه  
بشدة، لكنه منع نفسه من التدخل أو التعقيب. فهن أقارب في بعضهن  
البعض. ليس له الحق في التدخل في تصرفاتهن حتى وإن كانت خاطئة.

ردت عليها نيرمين ببرود:

ما هي فاقت أهي، مش بأقولك تمثيلية! يا ماما اتى طيبة ومش هاتفهني  
الحركات دي!

رمقتها أمها بنظرات نارية وهي تكز على أسنانها بقوة.

بكت أسيف متأثرة وهي تنتحب بأعين متآلم..

استدارت عمتها نحوها، وضمتهما إلى صدرها لترت على ظهرها برفق وحنو  
محاولة التهوين عليها.

هتفت بصوت منزعج:

حصل خير يا بنتي!

نفخت نيرمين مرددة بتأفف:

-استغفر الله العظيم، كل شوية تعمل الحبتين دول!

استشعر منذر الحرج من وجوده، فتنحج قائلاً بخشونة:

-أنا كده سلمت الأمانة واطمنت، سلامو عليكم

التفتت نيرمين نحوه قائلة بنزق:

-استنى بس يا سي منذر....

قاطعها قائلاً بجدية وهو يوليها ظهره متحركاً بخبطي سريعة:

خدوا راحتكوا، سلامو عليكم!

حاولت الرخص خلفه لإيصاله إلى الباب لكنه كان الأسرع في الوصول، وصفقه خلفه بقوة.

تهدت نيرمين بعمق مرددة بضجر:

كان ناقصنا حركاتها القرعة دي! أهوو الجدع مشى!

.....

أثناء اليوم الدراسي بالمدرسة الحكومية التي تعمل بها بسمة، اقتحمت باحة المدرسة إحدى السيدات الشعبيات ذات الصيت الذائع، والمعروف عنها بكونها سليطة اللسان، صارخة بإهتياج:

فين ناظر المخروبة دي؟ فين اللي شغالين هنا؟

حدقت فيها بسمة بنظرات متعجبة متأففة من هيئتها وأسلوبها الهمجي السوقي في الحديث، ومالت على رفيقتها في العمل لتسألها بفضول:

مين دي؟

أجابتها زميلتها متعجبة:

-اتي مش عارفها؟

هزت بسمة رأسها نافية وهي تقول:

-لا!

تابعت زميلتها قائلة بصوت خفيض وهي توميء بعينيها:  
-دي أم ولد عندنا في رابعة ابتدائي، ست أعوذو بالله منها، تاجرة في سوق  
السمك، بس لسانها زفر وحاجة كده استغفر الله العظيم!

ضاقت نظرات بسمة للغاية، وتساءلت مندهشة:  
-ودي جاية هنا ليه؟

أجابتها رفيقتها وهي تهز كتفيها:  
-أكيد في مشكلة مع ابنها!

لكزتها بسمة في جانبها قائلة بفضول وقد بدا على ملامح وجهها الإهتمام:  
-طب تعالي نتفرج بس من بعيد  
-ماشي



قامت تلك السيدة بتمزيق عباءتها السوداء التي كانت ترتديها، وشقتها إلى  
نصفين لتبدو ثيابها المنزلية من أسفلها، ثم نزعَت حجاب رأسها عنها، ونثرت  
شعرها متابعة بصراخ أقوى:  
-اتتو يا مدرسة ما فيهاش راجل!!!!

تفاجيء الجميع بما تفعله تلك السيدة، وارتسم على وجوههم علامات  
الاستنكار والضييق الكبير.

أسرع أحد مسئولين الإدارة بالركض نحوها مانعاً إياها من الإستمرار فيما  
تفعله من أمور جريئة وصادمة قائلاً بتحذير شديد اللهجة وهو يشير بيده:  
عيب يا ست، اتتي في مدرسة محترمة، اللي بتعمليه ده ما يصحش!

هدرت بصوت منفعل وهي تنظر له بازدراء:  
محدث هيعلمني الصح من الغلط!

توسل لها المسئول قائلاً برجاء:

-أرجوكي اتفضلتي نتكلم جوا في المكتب

رمقته بنظرات إحتقارية صريحة متفجعة بجسدها بحركة استفزازية، ثم سألته  
بسخط وهي تضع يدها على منتصف خصرها:  
وانت مين بقى ان شاء الله؟

أجابها المسئول بنبرة رسمية وهو يتحاشى النظر إليها:  
أنا وكيل المدرسة الأستاذ أسامة!

رفعت كف يدها أعلى جبينها بحركة ساخرة وهي تجيبه مستهزأة:  
تشرفنا يا سي وكيل!

ثم عبست بوجهها أكثر وهي تضيف بعناد:  
أنا مش هامشي من هنا غير لما أشوف المدرس ابن ال..... اللي ضرب  
ابني بالشلوت وأجيبه تحت رجلي وأخذ حقي!

ابتلع الأستاذ أسامة ريقه بتوتر قائلاً:  
أأكد في سوء تفاهم!

رمقته بنظرات متعالية وهي تهز جسدها قائلة بطريقة فجأة:  
سوء تفاهم مين يا أحمد يا عمر!

انزع الأستاذ أسامة من أسلوبها المتطاول في الحديث، والذي لا يتلائم تماماً  
مع وضعه كمسئول بتلك المؤسسة التعليمية، فنهرا قائلاً بحدة:  
عيب الطريقة دي!

لوحت بكف يدها في الهواء مهددة بجموح:  
هو أنتو لسه شوفتوا عيب!!!!

شهقت بسمة مصدومة مما رأته، وهتفت بذهول:  
أوبا، شوفي بتعمل ايه الست دي؟

ردت عليها رفيقتها بنبرة مصدومة هي الأخرى:  
دي قطعت هدومها، لالا، كده عيب أوي!

أشاحت بسمة بوجهها بعيداً لتقول بنفور:

-أنا مش هاتفرج، دي قلة أدب ومسخرة، أنا رايجة أوضة المدرسين!

همست لها رفيقتها قائلة بفضول:

-استني يا بسمة نشوف هاتعمل ايه

نظرت لها بسمة شزراً، وردت عليها بعدم أكثر:

-اتفرجي اتني!

ثم تركتها، وأسرعت في خطاها لتتجاوز الباحة قبل أن يتطور الأمر، لكنها

سمعت صوت الأستاذ أسامة ينادي باسمها بنبرة عالية مرددًا:

يا مس بسمة، مس بسمة!

تجهمت قسبات وجهها، وأغمضت عينها للحظة ضاغطة على شفيتها بضيق،

فهي قد خمنت سبب ندائه لها.

التفتت ببطء برأسها نحوه قائلة باقتضاب:

-ايوه!

أشار لها بذراعه هاتفاً بنبرة شبه أمرة:

تعالى من فضلك هدى المدام!

ردت السيدة بأسلوب أكثر فحاجة وهي تهز في أجزاء جسدها المليء  
بالشحوم:

أنا مش مدام يا أستاذ، أنا أم منصور يا روح الروح!

نظر لها بازدياء، وجاهد ليسيتر على أعصابه، فالتعامل مع تلك النوعيات  
المتدنية من البشر تتطلب الحيلة والحذر، فهم لا يمكن التنبؤ بأفعالهم الغير  
عقلانية.

وقفت بسمة على مقربة من وكيل المدرسة، وابتلعت ريقها قائلة بارتباك قليل  
متجنية على قدر المستطاع النظر في اتجاه تلك الوقفة:

خير يا أستاذ أسامة

رمقها الأستاذ أسامة بنظرات ذات مغزى وهو يجيها بهدوء حذر:

المدام ليها شكوى، وعاوزينك تحليها!

اعترضت على إقامه لها في مشكلة لا تخصها بالإجبار قائلة بإنزعاج من  
توريطها:

-بس أنا مش أخصائية اجتماعية هنا، أنا مدرسة....

قاطعها متنحنحاً بمرح:

-أنا عارف، بس حضرتك هاتعرفي تتفاهي معاها كويس، إنتو ستات زي  
بعض! فاهمني طبعا

هو أراد تدخلها في إيجاد حل سريع لمشكلتها قبل أن تتفاقم وتتهور الأمور مع  
تلك السيدة إلى شيء لا يُحمد عقباه، شيء يخجل من مجرد تصوره في عقله،  
وفكرة تعامل معلمة أنثى معها أفضل بكثير من تدخل أي رجل لحلها، خاصة  
أن الأخصائي الاجتماعي بالمدرسة رجل وربما لا يستطيع السيطرة عليها فهي  
لديها استعداد لفعل الأسوأ.

نظرت بسمة إلى وكيل المدرسة بنظرات مزعوجة للغاية، وهمست لنفسها  
بغضب:

-يه المصيبة اللي حشرتني فيها دي يا أستاذ أسامة، هو أنا ناقصة أعلق مع  
واحدة زي دي

أفاقت بسمة من صمتها الإجباري على صوت السيدة الصائح بسخط:  
ها يا أبله، هتشوفيلي حل ولا هتفضلني متنحة كده كثير؟!!!!

اضطربت بسمة قليلاً من طريقها قائلة بتوجس:  
-احم.. سوري، اتفضلني حضرتك معايا، وإن شاء الله الآقي حل لمشكلتك!

أصدرت السيدة صوتاً بفمها مستخفة بها وهي تقول:  
-أما أشوف!

ثم سارت الاثنتان معاً نحو غرفة مكتب مدير المدرسة للحديث هناك...

.....

لاحقاً في المساء،

حبست أسيف نفسها في غرفة بسمة رافضة الخروج منها أو تناول الطعام أو مشاركة أي أحد في الحديث.

فضلت أن تكون أسيرة أحزانها.

واحترمت عمته عواطف رغبتها تلك في الإنفراد بنفسها ولم تضغط عليها كثيراً.

ظلت حقائب السفر موضوعة أمامها، ولم تجرؤ هي على الاقتراب منهم أو حتى فتحهم. فهي تخشى أن تتهار مرة أخرى إن رأت متعلقات والدتها.

يكفيها ما مرت به من وضع مخجل أمام الجميع فتسمع بأذنيها تعليقات جارحة مسيئة لشخصها.

تمددت على الفراش، وانكششت على نفسها مكورة ساقها إلى صدرها، ودفنت رأسها في الوسادة باكية بلا توقف.

همست لنفسها بصوت مخنوق للغاية:

ليه سبتوني لوحدي؟ ليه مامتش معاكو؟ أنا ماليش حد يجيني بعدكم!

.....

هددت نيرمين رضيعتها رنا بعد أن أطعمتها حتى تأكدت من نومها، فأسندتها برفق على الفراش، ثم دثرتها بغطاءها، وخرجت من الغرفة.



كانت والدتها مشغولة بإحضار أواني الطعام من المطبخ، فقامت هي برص  
الصحون على الطاولة.

ولجت عواطف لداخل غرفة بسمة لتدعو أسيف لتناول العشاء معهن لكنها  
أصرت على رفضها، وأثرت النوم.

خرجت هي من الغرفة وعلى وجهها تعابير حزينة.

سئمت نيرمين من معاملة والدتها اللينة لها، وضجرت من ذلك الاهتمام الزائد  
بها، فالأمر لا يستحق كل هذا، هي ليست الوحيدة في العالم التي فقدت  
عائلتها.

رمقت هي أمها نيرمين بنظرات حادة متسائلة بحنق بائن:

برضوه مش عاوزة تأكل؟

ردت عليها أمها بضيق:

-لا، من وقت ما سممتي بدنها بالكلمتين بتوعك وهي حابسة نفسها جوا!

قطبت نيرمين جبينها بشدة، وصاحت معترضة رافعة حاجبها الأيسر

ياستنكار:

-الله يا ماما، اتتي عاوزة الراجل يقول عننا كلمة بطالة؟!

عنفتها عواطف من طريقته المتسرة في الحكم على الآخرين مرددة:  
-بطلي أفكارك دي، يا ساتر عليكي!

انضمت إليها بسمة جالسة على مقعدها المعتاد بالطاولة، وهتفت قائلة بجدية  
وهي تضع بعض الطعام بالملعقة الكبيرة في صحنها الفارغ:  
-ماما اتتي شوفي حل وخلي أسيف تنام معاكي، أنا عاوزة أرجع أوضتي تاني!

ردت عليها عواطف بتنهيدة:

-ربنا يسهل، كام يوم كده تكون راقت وهاخليها تنام معايا!

أضافت نيرمين هانفة بوجه عابس متعمدة الإساءة إلى أسيف:

دي نكدية وببوز طوله شبرين!

زفرت عواطف في وجهها قائلة بحدة:

-يا باي يا نيرمين على كلامك، ده الملافظ سعد!

قاطعت بسمة حديثها عن ابنة خالها قائلة بحماس عجيب:  
 سييك منها يا دلوقتي يا ماما، النهاردة حصل عندنا في المدرسة حتت  
 مشكلة، بس بنتك طلعت جدعة وحلتها!

انتبهت الاثنتان لها، فسردت لهما ما دار في مدرستها من تصرفات ولية الأمر  
 المريية والجريئة، وكيف تمكنت هي من علاج الأزمة بحنكة وحكمة. فقد أفتعتها  
 بأنها ستدعم ابنها لكي يحصل على أعلى المراتب والدرجات في كافة المواد،  
 وستتأكد من انضمامه لمسابقات المتفوقين وغيرها مما يفيد دراسياً ويجعله محبوباً  
 أكثر لدى جميع المعلمين. وسيحصل على امتيازات تؤهله للإلتحاق لاحقاً  
 بالمسابقات الرياضية والثقافية بالمدرسة

كما تعهدت لها بالألا تتكرر مسألة الاعتداء بالضرب عليه، وأنها ستعرف المعلم  
 المسئول عن ذلك وستتولى بنفسها مهمة التأكد من محاسبته من قبل مسئول  
 إدارة المدرسة.

وعلى مفض كبير وافقت السيدة على عدم التماذي في الأمر، وانتهت  
 المشاجرة موافقة على تلك الاقتراحات.

أبدت والدتها إعجابها قائلة بتشجيع:

ناصحة يا بنت بطني!

بينما أضافت نيرمين ساخرة:

-أروبة ياختي!

ردت عليها بسمة بخرسة وهي تهز كتفها في زهو:

طبعا، هو أنا أي كلام!

تساءلت نيرمين بعدم اقتناع وهي تدس الطعام في فمها:

-والست صدقت إنك هاتخلي ابنها يبقى رقم واحد في المدرسة؟

ردت عليها بسمة بثقة:

-ايوه!

ثم تابعت موضحة بجدية وقد عقدت ما بين حاجبيها:

-وبعدين الولد يستاهل، هو شاطر وكويس، بس أمه بيئة طحن! يجد مش

شبهها خالص!!!

التوى ثغر نيرمين مرددة بسخرية:

-يدي الحلق للي بلى ودانه!

هتفت بسمة مضيفة بتباهي:

-بس اتي عارفة كده بقالي ضهر اتحمى فيه

ردت عليها نيرمين ساخرة:

-يا شيخة، بايعة السمك دي هاتحميكي؟

أجابتها أختها مؤكدة بجدية:

-اه تخيلي، دي واصلة وقادرة!

صاحت فيهما عواطف بعد أن ضجرت من ثرثرتهما الزائدة:

-كفايكو رغي وتعالوا ساعدوني في ترويق المطبخ!

ردت عليها بسمة متذمرة:  
مش أما نخلص أكل الأول!

التفتت نيرمين ناحية والدتها، وسألتها بجدية وقد سلطت أنظارها عليها:  
-صحيح يا ماما إتي مش هاتكلمي المحروسة في موضوع بيع الدكان؟

تناست عواطف تلك المسألة رغماً عنها، وانشغل عقلها بما حدث لابنة أخيها..  
ففغرت فمها مرددة:  
هه! الدكان؟!

استطردت نيرمين حديثها قائلة بصوت جاد ومحذر في آن واحد:  
-احنا اتلهينا عنه، بس مش عاوزين نخسر محبة سي مندر والحاج طه!

تهدت عواطف يارهاق وهي ترد عليها:  
-مش وقته، بعدين أبقى أكلمها!

ألحت عليها نيرمين هاتفة بنبرة ذات مغزى وهي تغمز لها بعينيها:

حطيه بس في بالك، خلىنا نبيع ونستفيد، وهي كمان هاتطلع من البيعة  
بقرشين حلوين، يعني هاتكسب زينا ومش هتخسر!

بينما أضافت بسمة بحماس:

-اه وممكن نوضب البيت بالفلوس اللي هانخذها!

استدارت نيرمين برأسها نحوها وردت عليها:

تصدقي صح، عاوزين نركب بلاط جديد، وتغير البوهية و....

قاطعتها عواطف قائمة بتجهم:

-ربنا يسهل، بطلوا لت في الموضوع ده خلوه يكمل على خير!

ثم حدقت أمامها بنظرات شاردة لتحدث نفسها بقلق:

هو حد عارف ايه اللي ممكن يحصل بكرة.....!!!

.....

## الفصل السابع والعشرون:

عاد إلى منزله منهكاً بعد يوم عمل آخر شاق ومرهق، أوصد الباب خلفه، واتجه إلى غرفته ليبدل ثيابه.

لكن كعادتها استقبلته والدته بترحابها الودود متسائلة:

-ايه الأخبار يا بني؟

أخذ منذر نفساً عميقاً، وزفره دفعة واحدة وهو يجيئها بصوت متعب:

الحمد لله



اقتربت منه، وربت على ظهره وهي مبتسمة له.

نظر لها بغرابة متسائلاً بجدية:

-شكك عاوز يقول حاجة كده، صح؟

سألته بغموض وقد زاد وميض عيناها:

فكرت في اللي قوتلك عليه؟

قطب جبينه متسائلاً بعدم فهم:

ده اللي هو ايه؟

عقدت ما بين حاجبيها مندهشة من تناسيه للموضوع، وهتفت بنزق وهي

عابسة الوجه:

-تتجوز تاني، بنت عواطف، انت نسيت يا منذر؟

تشنجت تعابيره مردداً بعصبية قليلة:

يا أمامه أنا مش ناقص خانقة

وضعت يدها على طرف ذقنها مستنكرة عبارته الأخيرة وهي تقول:

حد يقول على الجواز خانقة؟!!

زفر بصوت مسموع قائلاً بامتعاض:

مش وقته يا أمي! اتتي مش شايقة اللي احنا فيه؟!!

تشكل على ثغرها ابتسامة بلهاء وهي تقول:

ما أنا عارفة ومقدرة!

ثم تابعت قائلة بسذاجة:

بس عاوزاك تتأكد يا حبيبي إن البت كويسة ومترية وكمان بتخلف، يعني هاتضمن تجيب منها عيال إن شاء الله!

انزعج هو من تلميحاتها الصريحة حول الإنجاب، وتصلبت تعابير وجهه بشدة.

ثم زفر قائلاً بحنق وقد قست نظراته:

حاجة جليلة قفلي على الموضوع، وخليني أشوف ورايا ايه!

تفهمت عدم رغبته في الحديث، ورددت قائلة على مضض:

براحتك يا بني!

ثم طراً بعقلها شيء ما فتساءلت بفضول:

-ألا بالحق بنت أخو عواطف عاملة ايه؟

انتبه لسؤالها باهتمام عجيب، وتجمدت نظراته نوعاً ما، ثم أولها ظهره متحاشياً

النظر إليها، وفرك ذقنه قائلاً بهدوء:

-يعني من ده على ده

تحركت خلفه قائلة بجديّة:

-أنا عاوزة أروح أعزيمهم واسأل عليها!

رد عليها بثبات وهو يسحب ثيابه من خزانة ملابسه:

براحتك، بس خليها كمان يومين كده تكون البت راقت وفاقت من اللي هي

فيه!

أثارت جملته الأخيرة إهتمامها، فقد بدت غامضة نسيباً، وسألته بفضول وهي  
تتفرس تعابير وجهه:  
هو حصلها حاجة؟

أجابها بغموض أكثر وهو يغلق ضلفة الخزانة:  
أهي بتاخذ وتدي مع نفسها!

لم تفهم المقصد من عبارته تلك، ولكنها رددت على أي حال بجملة معتادة:  
-ربنا معاها

ثم انحنت لتجمع ثياب مندر من على فراشه متابعة بعزم:  
-ده الواجب بردك ومايصحش!

اتجه مندر ناحية باب غرفته قائلاً بعدم اكتراث:  
-اعملي اللي يربحك، ممكن بقى نفضنا من سيرة آل خورشيد!

أومأت برأسها مرددة:

حاضر يا مندر!

ثم لحقت به متسائلة باهتمام أمومي:  
أجيبك تاكل؟

رد عليها باقتضاب:  
-لا!

أضافت قائلة بابتسامة ودودة:  
طيب لو عوزت حاجة نادي عليا

هز رأسه بالإيجاب مرددًا:

ماشي

.....

الزيتون

وقفت أمام تلك الصورة الفوتغرافية القديمة محدقة مطولاً في ملامح وجهها  
دارسة تفاصيله عن كذب.

برع المصور في تجسيد انعكاس شخصها.

لم تكن عزيزة تبتسم فعلياً، بل كانت التواءة شفيتها قاسية..

رأت فيها شموخاً، كبرياؤها يبرز في رفعها لحاجبها الأيسر، وتعاليتها ياباء يبدو في علو طرف ذقنها، وكأنها تتعمد إيصال رسالة تحذيرية خفية لكل من ينظر إليها، فلا يفكر يوماً بالمساس بها.

تأملت عيناها القاسيتان بحزن بادي عليها مخرجة تهيدة عميقة من رثتها.

مسحت بيدها المجعدة على الإطار مزيجاً آثار التراب العالق به، ثم تهتدت مجدداً قائلة لنفسها بإستياء:

-ربنا يسامح يا أمي، بناقي مخدوش منك إلا القسوة والظلم! يا ريتهم طلعلولي ولا طلعلوا لأخويا، كان.. كان زمانت حالهم بقي أفضل

أخفضت رأسها متابعة بحزن:

-ربنا عليه جبر الخواطر!

.....

حدقت في سقفية الغرفة بشرود تام، فقد سيطرت هيئته على عقلها.

قامت بلف خصلات شعرها المنسدلة على الوسادة بإصبعها، وتهدت بجرارة  
ما.

مالت بجسدها للجانب محدثة نفسها بتمني:  
يا سلام لو كنت أتجوزت واحد زيك!

ثم أكفهر وجهها وهي تضيف بسخط كبير:  
مش بدل الشبشب اللي اتحسب عليا!

لكزتها بسمة في ساقها قائلة بصوت ناعس للغاية:  
- اتاخري شوية يا نيرمين، أنا مش عارفة أناام

ردت عليها أختها بتذمر:

- يعني أقع على الأرض عشان ترتاحي؟

زفرت بصوت مسموع هامسة بنبرتها الثقيلة:

-يووووه، أنا عندي شغل بدري فخليني أنعس

طيب.. طيب

قالها نيرمين على مضض كبير وهي تغمض عيناها لتحتفظ بصورته في مخيلتها  
متعشمة أن تراه في أحلامها الوردية.

.....

بعد مرور يومين،،،،،،

انتهت العاملة "زهرة" بالفندق المتواضع من التوقيع على ورقة استقالتها،  
وقدمتها إلى مسؤولي الإدارة، ثم استلمت بعدها مستحقاتها المادية نظير عملها  
الفترة الماضية به.

سألها زميلتها بحزن عن سبب تركها للعمل:  
ليه بس سبتي الشغل؟

ردت عليها زهرة بضيق مصطنع:

مضطربة ياختي، مقصرة مع العيال، وأبوهم مش ملاحق يسد مكاني! وحلف  
بالطلاق لو ما أعدت من الشغل ليبرميني في الشارع أنا والعيال! يرضيكي  
بيتي يتخرب!

لم تقنع بحجتها الزائفة، وأضافت بعتاب:



ما اتى كنتي أولى بالفلوس اللي بتطلعك والبقشيش، كانوا بينفعوكي وزيادة!

تهدت قائلة بفتور:

-تتعوض بقى، هاشوف حاجة أعملها وأنا أعدة في البيت!

هزت رأسها قائلة بضجر:

-ربنا يعوضك!

احتضنتها زهرة وهي تودعها بابتسامة باهتة:

يا رب، أشوف وشك على خير!

ضممتها هي الأخرى إليها، وودعتها قائلة:

هتوحشيني ياختي! ابقى اسألني

ردت قائلة وهي توميء برأسها:

من عينيا! سلامو عليكم

-وعليكم السلام ورحمة الله!

ثم انصرفت بعدها حاملة كيساً بلاستيكياً يحوي ملابسها وعلى ثغرها ابتسامة  
ماكرة.

ومضت عينها ببريق شيطاني خبيث فقد نفذت مخططها الذي رسمته مع  
زوجها بحرفية تامة، وأن الآوان لتتعم بتلك الأموال التي سرقتها.

.....

أفاقت أسيف تدريجياً من حالة الحزن المسيطرة عليها، وبدأت من جديد  
تندمج مع من حولها، لكنها لم تقم بعد بفتح حقائب السفر وتوضيها في ضلفة  
خزانة الملابس التي خصصت لها في غرفة بسمة.

كانت تؤجل القيام بتلك الخطوة الصعبة حتى تستعيد رباطة جأشها فتتقوى  
على فعلها دون أن يكون للأمر تأثيراً كبيراً عليها.

سعدت عواطف لاستجابة ابنة أخيها لها وخروجها من عزلتها. وحذرت ابنتها  
من عدم التماهي في أسلوبها المستفز معها.

ونوعاً ما تجنبت الاثنتان الحديث إليها إلا بكلمات مقتضبة.

قبلتها عواطف من وجنتها، وربتت على كتفها هاتفة بنبرة فرحة:

-رنا يكرمك يا أسيف، أنا مش عارفة أوصفك قلبي فرحان بيكي ازاي

اكتفت أسيف بالإبتسام مجاملة لها، لكن عواطف لم تكثف بهذا، بل تابعت  
قائلة بحماس:

-أنا عاوزة وشك الحلو ده يرجع ينور تاني! مش هاسيبك إلا لما تاكلي وتملي  
كده وتبقي قر ١٤!

انتبهت كلتاهما لصوت قرع الجرس فصاحت عمتها بإستغراب:  
وده مين جاي السعادي؟

هزت أسيف كتفها قائلة بعفوية:  
معرفش

تحركت عواطف في اتجاه باب المنزل محدثة نفسها بضجر:  
طبعا الهوانم اللي عندي سامعين ومطنشين، بؤهم في ودان بعض وهاتك يا  
رغي، امري لله، هافتح أنا!

بينما سارت أسيف عائدة إلى غرفتها المؤقتة لتمكث بها، فهي على يقين بأن  
الضيف القادم لم يأت من أجلها.

.....

استقبلت عواطف الحاجة جليلة التي جاءت لزيارتها لتقديم واجب العزاء في  
غرفة الصالون، وهتفت قائلة بترحاب:

نورتيي والله يا حاجة جليلة، تسلم رجليكي

صاقتها الأخيرة بجرارة، ومالت برأسها عليها لتقبلها قائلة بنبرة مواسية:

-البقاء والدوام لله، أنا عارفة إني مقصرة في حقكم

ردت عليها عواطف بود:

تعيشي يا ست جليلة، أنا مقدره والله، كفاية جيتك النهاردة!

تلقت جليلة حولها متسائلة باهتمام:

-أومال فين بنت أخوكي أعزها؟

أجابتها عواطف بلا تردد وهي تشير بكف يدها:

أعدة في الأوضة، ثواني أندهالك من جوا!

هتفت جليلة قائلة بجدية:

لو نايمه سيدها، أمانة عليكي ما تصحيا!

هزت عواطف رأسها نافية:

-لالالا.. دي هي صاحية بس بتكسف وكده!

ابتسمت جليلة مرددة:

ماشاء الله، باين عليها مترية زي بناتك

ردت عليها عواطف بتنهيدة إرتياح:

الحمد لله

أضافت جليلة قائلة:

-رنا يباركك فيهم

-اللهم أمين!

قاتها وانصرفت مسرعة في اتجاه غرفة ابنتها لتستدعي أسيف لمقابلتها...

.....

في نفس التوقيت بغرفة نيرمين، كانت الأختان جالستان بالشرفة ترتشفان الشاي الساخن وتثرثران في توافه الأمور.

انتهت بسمه لصوت الجرس، فأردفت قائلة:

-باين الباب بيخبط!

ردت عليها نيرمين بفتور وهي تسند قدحها في الصينية:

طب ما تقومي تشوفي مين!

حركت بسمه ساقها قائلة بتثاقل:

-رجلي ممثلة من الأعدة!

عبست نيرمين بوجهها، ورمقتها بنظرات منزعة قبل أن تقول بسخط:

-اتي أصلاً ما بتعمليش حاجة للي بيطلبها منك!

لوت بسمة ثغرها قائلة بتأفف غير مكترثة برأي الآخرين فيها:  
-أنا كده، واللي عاجبه بقى!

ركزت نيرمين حواسها لتعرف هوية الضيف، وانتفضت من جلستها قائمة  
صائحة بتلهف:

دي الست جليلة، أم مندر!

تجهمت قسماات وجهها، وردت بامتعاض:  
يابابي، الست دي رخمة أوي

استنكرت نيرمين ما قالته، واعترضت بشدة:

-بقى الحاجة جليلة بجلالة قدرها رخمة، يا شيخي حرام عليكي، دي من ولاد  
الأصول بتوع زمان!

نفخت بسمة محرمة كتفيها بعدم اكتراث وهي توضح سبب عدم ارتياحها لها:

معرفش، أنا مش بأرتحلها، بتفرض نفسها عليا، وبأحسها مش واضحة كده،  
وشكلها مياه من تحت تبن! ده أنا بأفكر أعتذر عن الدرس عشان خاطرها!

حدجتها نيرمين بنظرات قوية قاتلة بتصلب:

-انتي مافيش حد بيعجبك، اوعي خليني أقوم أسلم عليها!

ضحكت بسمة بتهمك مرددة:

-ماشاء الله، فجأة كده بقيتي مهمتية بيها!

ردت عليها نيرمين بعبوس وهي تسرع في خطواتها:

-مالكيش فيه!

صاحت بسمة بصوت مرتفع متابعة إياها بنظراتها:

-هنياله ياختي!

.....



دقت عواطف على باب غرفة بسمة دقة واحدة قبل أن تدير المقبض وتفتحه  
لتلج إلى الداخل قائلة بعجالة:

أسيف، حبيبة قلبي، تعالي سلمي على الست جلييلة!

نظرت لها الأخيرة بحيرة ساءلة إياها بصوت هاديء:

مين دي؟

اقتربت منها عمتها، وجذبتها من ذراعها برفق لتجبرها عن النهوض، وأجابتها  
باهتمام:

دي تبقى أم منذر ومرات الحاج طه، ما اتني عارفهم!

تصلب وجهها نوعًا ما عقب معرفتها لهويتها، وشعرت بعدم الإرتياح لتلك  
المقابلة.

شعرت بالغرابة والخرج، فحاولت الاعتذار قائلة بتهذيب وهي تتملص من  
قبضتها:

ما فيش داعي....

قاطعتها قائلة يا استغراب:

-لالالا، مش هاينفع، لازم تقابلها، دي جاية مخصوص عشانك

-بس....

أصرت على رأيها قائلة:

-مايصحش تعتذري، تعالي معايا، دول ٥ دقائق بس!

اضطرت أسيف في النهاية أن ترضخ لإلحاحها، وذهبت معها إلى خارج  
الغرفة.

.....

التقت نيرمين مع جليلة بحجرة الصالون محتضنة إياها باهتمام كبير ومرددة  
بابتسامة عريضة:

-ازيك يا خالتي!

ابتسمت لها جليلة بألفة، وهتفت قائلة بود وهي تتفرسها بدقة:

-بخير يا بنتي، ماشاء الله عليك، وشك رد بعد ما....

قضمت عبارتها بحرج بائن، فردت عليها نيرمين بابتسامة متأسفة:  
- الحمد لله، كانت مرحلة وخلصت!

ربتت جليلة على ذراعها قائلة بنبرة ذات مغزى:  
- ربنا هيعوضك بالخير إن شاء الله، وقريب!

اتسعت ابتسامتها مرددة:  
يا رب يا خالتي!

ثم رسمت على وجهها علامات الجدية مضيئة بإمتنان:  
- صحيح أنا كنت عاوزة أشكرك على تعب سي مندر معانا، ربنا يحميه راجل  
من ظهر راجل!

عاتبها جليلة قائلة:

-شكر ايه بس، ده واجب عليه، ده انتو مننا يا نيرمين!

نظرت لها قائلة بحماسة:

تدوم العشرة يا رب!

لاحظت نيرمين تحول نظراتها نحو الباب، فاستدارت برأسها لترى ما هي  
محدقة فيه، فرأت أسيف واقفة على عتبه.

تجهم وجهها، وانعقد ما بين حاجبيها يانزعاج واضح.

استطردت عواطف حديثها مقدمة ابنة أخيها لها:

دي أسيف بنت المرحوم رياض!

ثم دفعتها من كتفها برفق للأمام لتلج الاثنان لداخل الغرفة.

دنت منها جليلة، ومدت يدها لمصافحتها قائلة بنبرة مواسية:

البقاء لله يا بنتي

هزت أسيف رأسها بإيماءة خفيفة وهي تبادلها المصافحة قائلة بصوت هاديء

ورقيق:

شكراً

لم تترك جليلة كفها، بل جذبتها كعادة النساء في تلك المناطق الشعبية  
لتحتضنها وتقبلها من وجنتها مرددة بحزن:  
أنا عارفة إنه صعب عليكي اللي حصل، بس ده أمر الله!

ردت عليها أسيف بصوت شبه مختنق وهي تبتلع غصة عالقة في حلقها:  
-الحمد لله!

وجهت جليلة حديثها إلى عواطف قائلة بإعجاب ظاهر في نبرتها:  
بس مقولتليش يا عواطف ان بنت أخوكي حلوة بالشكل ده

ردت عليها الأخيرة مجاملة:

-كثر خيرك يا ست جليلة!

اغتاضت نيرمين مما قالته عنها، واحتفتت عينها بشدة وهي تحدجها بنظرات  
مغلولة. فهي لا تقل جمالاً عنها، بل ترى نفسها أكثر حيوية وأنوثة منها.

وعبست بوجهها وهتفت قائلة بصوت مزعوج:

هي احلوت إلا لما جت عندنا يا خالتي، قبل كده ماتشوفياش، حاجة  
كده....

توقفت عن اتمام عبارتها حينما رأت نظرات والدتها الساخطة نحوها فشعرت  
بتهديدها الصريح، واكتفت بالإبتسام وهي تتابع بجزر:  
نورتينا يا خالتي، أعملك ايه تشرييه؟

ردت عليها مشيرة بكف يدها:

-والله واکلة وشاربة الحمدلله، ماتتعبيش نفسك!

عضت على شفها السفلي قائلة بإستنكار زائف:

تعب ايه بس، ده كله يهون عشانك!

حافظت جليلة على ابتسامتها العذبة، ثم جابت بعينها المكان متسائلة بجديّة:

على كده بسمة موجودة أسلم عليها يا عواطف، ولا هي مش عاوزه

تشوفني؟!!

لطمت عواطف على صدرها هاتفة بنبرة مستنكرة سوء ظنها:  
-لا أزاى، تلاقيا بس متعرفش إنك هنا، هاروح....

قاطعتها جليلة قائلة بصوت هاديء:  
-لا مش مشكلة، خليها ترتاح!

ثم أشارت لها بجاذبيها وهي تضيف محذرة:  
-بس أمانة تبلغيا إن هاستناها تيجي عشان درس العيال، دول بيحبوها أوي  
ويفهموا منها!

فهمت عواطف مقصدها الضمني، وردت عليها مؤكدة دون تأخير:  
-اه طبعا، هاتجيك على طول، ما انتي عارفة اللي جرالها وانها ماتتمنعش عنكم  
إلا للشديد القوي!

هزت جليلة رأسها متابعة بتفهم:  
-اه عرفت من دياب ابني، ربنا ما يوريكي مكروه فيهم!

ردت عليها عواطف براء وهي تطلق تهيدة مطولة:

يا رب أمين!

أرادت نيرمين أن تضرب عصفورين بحجر واحد والاستفادة من الموقف الحالي. فقد استاءت من تأجيل والدتها مفاتحة أسيف في موضوع بيع الدكان أو حتى التمهيد له مسبقاً، فقررت حسم المسألة فوراً، وإبلاغها بموافقة الجميع على بيعه لتضمن إتمامه، وفي نفس الوقت تعلم ابنة خالها عنه فلا تتمكن من الاعتراض أو الرفض.

التوى ثغرها بابتسامة لثيمة وهي ترمقها بنظرات عابثة.

وقفت إلى جوار جلييلة، ووضعت قبضتها على ذراعها قائلة بنبرة واثقة وجادة:  
بالحق يا خالتي طمني سي مندر وقويله مايقلقش، احنا هنخلص موضوع  
بيع الدكان قريب ان شاء الله!!!

ضاقت عيناها أسيف للغاية، ورمقت نيرمين بنظرات غريبة مرددة بهمس

متعجب:

-الدكان!!

أومات جلييلة برأسها إيجاباً وهي تقول:



اها، حاضر يا بنتي هاعرفه، خلي الدنيا تروق وتهدي بين الرجالة كده، كفاية  
مضاربات وقرف!

واقفتها نيرمين الرأي مؤكدة بابتسامه واثقة:

بالظبط، وبعدين طلبات سي منذر أوامر بالنسبالنا، ده احنا نبيعهموله  
ونجيبله الورق لحد عنده وهو قاعد باشا في مكانه!

ارتفع حاجبي أسيف للأعلى بصدمة كبيرة، ونظرت لها فارغة شفيتها بذهول.  
لقد بدا الموضوع بالنسبة لها خطيراً إلى حد ما، هي تتحدث عن مسألة بيعه  
وكأنه أمر مفروغ منه، وهي التي لم تره من قبل أو حتى تقرر مصيره.

ردت جليلة عليها مجاملة وهي تربت على كتفها:

تسلمي يا حبيبتي، ما يؤمرش عليك عدو!

حدقت نيرمين متعمدة في وجه أسيف لتتأكد من وصول رسالتها لها، وتابعت  
قائلة:

الله يخليكي لنا يا خالتي!

انزعجت عواطف من تصرف ابنتها الأهوج، وضغطت على شفيتها بقوة محاولة السيطرة على أعصابها أمام الضيفة.

كان وجهها يعكس رفضها لطريقتها المستفزة والمفاجأة في طرحه هكذا.

نعم ابنتها خالفت أوامرها، وفعلت ما أرادت، فأفسدت كل شيء. وهي الآن عليها أن تعيد توضيح سوء الفهم الذي حدث لابنة أخيها.

خرجت عواطف من صمتها الإجماري على صوت جليلة وهو يردد:  
طب هاستأذن أنا

ردت عليها بضجر قليل:  
ما بدري يا ست جليلة؟

رسمت جليلة على ثغرها ابتسامتها الودودة وهي تعلل رحيلها:  
عشان تاخذوا راحتكوا، وكمان أشوف أنا طلبات العيال والحاج!

واستدارت برأسها نحو أسيف لتقول بلطف وهي تقترب منها:

-وأنا فرحانة اني شوفت يا ... اسمك ايه يا بنتي ؟

أجابت عليها نيرمين بتهمك ظاهر في نبرتها محذجة إياها بنظرات ساخرة منها:  
أسيف يا خالتي، هو ده اسم يتنسى!!!!

ودعتها جليلة قائلة بود وهي تمسح على وجتها بنعومة:  
أها.. أسيف، عاشت الأسامي يا بنتي!

تمتت نيرمين من بين شفيتها بصوت خفيض يحمل الحنق:  
اسم شبه وشها كله هم وغم ونكد!

اصطحبت عواطف ضيفتها للخارج قائلة:  
مع السلامة يا ست جليلة، اتفضلي.. اتفضلي!

تسمرت أسيف في مكانها ناظرة إلى نيرمين بضيق كبير.  
كانت على وشك تحريك شفيتها لتتلق بشيء ما، لكن دفعتها الأخيرة بعنف  
من كتفها مرددة بحدة:

اوعي كده وسعي!

تأوهت أسيف بصوت خفيض، ووضعت يدها على كتفها تتحسسه، ثم  
أسرعت بالسير خلفها هاتفة بصوت مزعوج:

نيرمين من فضلك ممكن كلمة!

استدارت نيرمين بجسدها نحوها، وكتفت ساعديها أمام صدرها قائلة بعبوس:  
عاوزة ايه؟

وقفت أسيف قبالتها، ونظرت في عينيها مباشرة ساءلة إياها بجدية شديدة:  
ايه موضوع الدكان اللي بتكلمي عنه؟

أرخت نيرمين ساعديها لتضع أحد كفيها على منتصف خصرها، وتغنجت  
بجسدها قائلة بميوعة:

الدكان بتاعنا يا حبيبي، الورث اللي لينا كلنا فيه!

ردت عليها أسيف بجدة قليلة وقد تلون وجهها بجمرة غاضبة:

-يوه، بس.. بس محدش قالي انا...!

أكلت لها نيرمين جملتها مرددة ببرود مستفز وهي تتعمد التمايل بجسدها  
أمامها:

هنبيعه يا ست أسيف!

هتفت أسيف محتجة وقد برزت عروق عنقها المحترقة من أسلوبها المستفز:

-أه، ازاي بقى تقولي للست دي الكلام ده من غير ما تاخدوا رأيي؟!!

ردت عليها بجمود غير مبالية برده فعلها:

-أديكي عرفتي أهوو، جهزي نفسك عشان توقعي الورق وتقبضي يا حلوة!

ثم قربت وجهها منها مضيئة بنبرة مزدرية وهي ترمقها بنظرات احتقارية صريحة  
متعمدة إهانتها:

فلوس جيلالك من الهوا، يعني أعدة سفلاة وهتاخدي فلوس أد كده على  
قلبك!

صدمت أسيف مما تردده على مسامعها، واستنكرت بشدة حسنها لمسألة البيع.

رمقتها نيرمين بنظرات أخيرة مستخفة بها قبل أن تتركها في مكانها على حالتها المدهوشة تلك لتعود إلى غرفتها صافقة الباب خلفها بقوة.

انتفض جسد أسيف في مكانه، ورددت مع نفسها بعدم تصديق وهي تضع يدها على رأسها:

ايه اللي بتقوله ده، أنا.. أنا أبيع الدكان.....!!!!

.....

## الفصل الثامن والعشرون:

صف سيارته على مقربة من ذلك المطعم الحديث الذي اتفقا على اللقاء عنده. جاب بأنظاره المكان بنظرات سريعة شمولية، ثم نظر إلى جواره متأملاً صغيره بنظرات عميقة.

مال بعدها على المقعد المجاور له ليحتضنه، ثم قبله بعاطفة أبوية حانية على  
صدغه قائلاً بجدية:

ماشى يا حبيب بابا، خلى بالك من نفسك!

هز يحيى رأسه بالإيجاب مردداً ببراءة:

حاضر

تابع دياب تعليماته الصريحة قائلاً:

-واسمع الكلام، مش عاوز شكوى من أمك!

ابتسم له الصغير بهرح:

ماشى!

عبث دياب بشعر الصغير المتناثر، وأحاط رأسه من الخلف بكفه العريض

قائلاً بسعادة:

-هات بوسة حلوة؟

دنا الصغير من أبيه، فقبله الأخير وهو يحتضنه بمحبة حقيقة شعر بها تجاهه.

ترجل بعدها يحيى من السيارة حينما رأى والدته مقبلة عليها.  
هتف دياب صائحاً وهو يلوح له:  
مع السلامة يا يحيى!

بادله الصغير تحية الوداع، لكن ذلك لم يمنع ولاء من الاقتراب منه والترحيب به بنفسها.

تغنجت بجسدها بميوعة مفتعلة متعمدة أن تثيره بمفاتها الأثوية التي اعتقدت أنها مازلت مغرية وستجعله تحت تأثيرها.

لذا استطردت حديثها قائلة بدلال وهي تستند بيدها على نافذة سيارته مائلة نحوه بجسدها:

ميرسي انك جبته!

لم ينظر إليها بسبب شعوره بالنفور والتقرز من مجرد التحديق بها.



عبس بوجهه وهو يزيح يدها عن حافة النافذة، فانزعجت من تصرفه الوق  
تجاهها.

وضع دياب نظارته القائمة على عينيه قائلاً بجمود قاسي:  
هما يومين بس وهارجع اخده!

شعرت بالضيق لتجاهله لها عمداً، فاعتدلت في وقتها وردت عليه بتجهم:  
أوكي

أدار محرك سيارته قائلاً بإيجاز:  
سلام!

تابعته بأنظارها المحتقنة منه وهي تكز على أسنانها بشراسة.  
أخرجها من حالتها الغاضبة صوت صغيرها متسائلاً ببراءة:  
أحنا رايجين فين يا ماي؟

أجابته بعد تهيدة مطولة:  
هانتفسح يا حبيبي!

أحاطت صغيرها من كتفيه، وسارت به مبتعدة عن المطعم حتى مرقت إلى  
طريق جانبي حيث كان ينتظرها هناك سيارة ما.  
لمح الصغير جدته، فصاح مهلاً:  
تيتة شوشو!

فتحت باب السيارة ليقرب هو منها، ثم احتضنها بسعادة.  
انهالت عليه بالقبلات قائلة:  
حبيب قلب تيتة!

أفسحت له شادية المجال ليجلس على حجرها قائلة بود:  
تعالى في حضني يا حبيبي!

جلس الصغير على حجر جدته، فضمته بذراعيها محاوطة إياه.  
أغلقت وراء الباب خلفه، وانحنت للأمام لتستند بكفيها على حافة النافذة  
الملاصقة لمقعد والدتها لتقول بنبرة أمرة:  
اسمع كلام تيتة!

نظر لها بغرابة متسائلاً بحزن:  
مش هاتيحي يا ماي معانا؟

مسحت على وجنته برفق قائلة:  
-لا يا حبيبي، أنا هاحصلكم كمان شوية!

تجهمت تعابير وجهه وهو لا يعي سبب ذهابه مع جدته فقط.

التفتت ولاء بعينها نحو والدتها مضيئة بجدية:  
ماما خلي بالك منه، مش هوصيكي!

ردت عليها بنبرة واثقة وهي ترمقها بنظرات مثيرة للقلق:  
اطمني، ده في عينيا، روعي اتني بيتك، وعلى تليفونات!

هزت رأسها بإيماءة واضحة وهي تردد:

ماشي!

اعتدلت في وقفها، ووضعت يدها على شفيتها لتبعث بقبلة في الهواء إلى صغيرها.

قام يحيى بتقليدها، وأرسل لها نفس القبلة قائلاً:

باي يا ماي

لوحت له بعدها بكفها هاتفة:

باي باي يا قلبي!!

أشارت شادية إلى السائق بيدها ليتحرك بعدها مبتعداً عن المكان حيث وجهته الجهولة لتبدأ كلتاها في تنفيذ مخطط تخبئة الصغير واخفائه دون النظر إلى عواقب الأمور...

.....

لم تتخيل أسيف أن ذلك الدكان الذي لم تره مسبقاً، وفي نفس الوقت تمتلك فيه الحصة الأكبر بحكم أنه إرثها الشرعي، قد حسم أمر بيعه دون أن تدري.

تسمرت في مكانها لوهلة مصدومة محاوة استيعاب الموقف.

ودعت عواطف الضيفة بابتسامة لطيفة، ولكنها تلاشت سريعاً حينما أغلقت الباب خلفها.

نفخت بغيظ مع نفسها، فقد وضعتها ابنتها في موقف حرج مع ابنة أخيها الراحل، هي لم تفاتها من قبل في مسألة بيع الدكان أو حتى طرحها أمامها، لكنها تفاجأت بنيرمين تصرح بذلك وكأنه حقيقة واقعة غير قابلة للنقاش

قدمت قدماً وأخرت الأخرى وهي تتجه نحو ابنة أخيها.

رأتها باقية في مكانها في حالة حائرة فزاد قلقها مما هو قادم.

أخذت نفساً عميقاً تضبط به انفعالاتها، ثم اتجهت صوبها.

وضعت عمتها يدها على كتفها قائلة بحرج:

-... أسيف يا بنتي

التفتت هي نحوها بوجه عابس مرددة بصوت شبه مختنق:

-ممكن تفهميني يا عمتي ايه معنى كلام نيرمين اللي قالته جوا؟

ابتلعت ريقها قائلة بارتباك ملحوظ:

حاضر، تعالي معايا في الأوضة وأنا هافهمك!

تبعتها أسيف إلى غرفتها راغبة في معرفة كل شيء..

.....

فرستهاك يا بسومة

قالتها نيرمين بتفاخر وهي تلج إلى الشرفة

عقدت أختها ما بين حاجبها باستغراب مرددة بعدم فهم:

مين دي؟

ضغطت نيرمين على شفيتها هاتفة بامتعاض:

هو في غيرها، أم النكد بنت خالك!

لوح بسمه في كف يدها قائلة يا شمئزاز:  
يا شيخه افكريلنا حاجة عدلة

جلست نيرمين على مقعدها يا استرخاء، ولمعت عينها بوميض شيطاني ماكر،  
ثم هتفت متسائلة بعث:

ها مش عاوزه تعرفي أنا عملت ايه فيها؟

ردت عليها بسمه وهي تهز كتفها غير مبالية:  
لا، خليني أخلص التحضير اللي ورايا!

ثم دقت النظر فيما معها من مفكرة تدون فيها ما ستقوم به خلال يوم الغد في  
مدرستها.

حركت نيرمين مقعدها بالقرب منها، ومالت على أختها متسائلة بفضول وقد  
زاد بريق نظراتها الغير مريجة:

حطب بسومة، قوليلي اتتي هاتروحي عند خالتي جليلة امتي؟

رفعت بسمة رأسها لترمقها بنظرات غريبة وغامضة، وسألتها بجدية:  
-واتي عملتيها خالتك من امتي؟

ارتبكت نيرمين لوهلة، وفركت أصبع كفيها بقلق وهي ترد:  
-عادي يعني، انا بأقولها كده وخلاص!

لم تقتنع بما قالته، لكنها لم تكن محتمة بما يدور في رأسها من أفكار ومخططات،  
فأوخزت في الحديث معها مرددة:  
-أها.. طيب!

عاودت الكتابة مجددًا في مفكرتها لكن قاطعتها نيرمين متسائلة بإلحاح:  
-ها مرددتيش عليا، هاتروحيلها امتي؟

زفرت بسمة بضجر وهي تقول:  
-معرفش لسه، بأفكر أعتذر عن الدرس الفقرده، من يوم ما روخته وأنا  
المصايب نازلة على دماغني!



ارتفع حاجي نيرمين للأعلى مستنكرة اعتذارها عنه، وهتفت محتجة:  
ليه بس؟ دول ناس كرما و....

قاطعتها بسمة بتبرم وقد تشنجت تعابير وجهها:  
- انتي هاتعملي زي ماما؟

هزت رأسها نافية متحاشية ثورة غضب أختها:  
- لا يا حبييتي!

ثم مسحت على كتفها برفق مبررة:  
- أنا غرضي مصلحتك

ضجرت بسمة من ثرثرتها في ذلك الموضوع الممل، فهتفت مضيفة بإنزعاج:  
طيب ممكن تسبيني أكمل تحضير؟! www.egyptian.com

ابتسمت نيرمين قائلة بتكلف:

ماشى، بس أما تيجي تروحي تاني ابقى قوليلي!

ردت عليها على مضض:

-ربنا يسهل!

تقوس فمها بابتسامة مأكرة للغاية وهي تهمس لنفسها بثقة:

هيسهل إن شاء الله!

.....

سردت عواطف لأسيف باختصار كل ما يخص مسألة بيع الدكان من اتفاقات مسبقة بينها وبين الحاج طه وابنيه، وأن للموضوع علاقة بتسوية خلاف كبير بين رجال منطقتهم الشعبية. كذلك سيعود البيع بالرفع على الجميع خاصة أن وجوده على وضعه هذا لم يكن مثمراً.

رفضت الأخيرة تلك الفكرة، واحتجت قائلة بشراسة وهي تهب واقفة من على طرف الفراش:

مش هايبيع الدكان! مش هايحصل!!!

ربما يظن الغير أن تمسكها به هو أمر مبالغ فيه، لكنه سيظل آخر ما أهدها لها والدها، والسبب الرئيسي في قدومها إلى هنا. هو أكثر ما يربطها بعائلتها، البعد بالنسبة لها نفسي أكثر منه مادي...

وقفت عواطف هي الأخرى قبالتها، ونظرت لها بحنو قائلة بنبرة شبه متوسلة: ليه بس يا بنتي؟ ده حتى هو مقفول وخرابة وزى قلته، يعني محدش مستفيد منه بحاجة!!!

بدت نظراتها قاسية وهي محدقة بها، أغاظها بشدة تبرير الأمر كأنه شيء عادي لا يخصها، وهي أحد ملاكه، بل من تملك النصيب الأكبر فيه. استنكرت حديثها، وصاحت بعصبية:

-أنا مش هايبعه، ازاي تقررنا ده عني؟!

كانت عواطف تعلم أن ابنة أخيها محقة في جملتها الأخيرة، فقد عرفت بمسألة البيع مصادفة، وبالطبع لها كل الحق لأن تغضب وتثور. فلو أخبرت من قبل لم يكن ليلبغ الأمر ذروته..

وضعت هي يدها على ذراعها، ومسحت عليه برفق قائلة:  
هي مش مقصودة والله يا بنتي، بس....

قاطعتها أسيف قائلة بنبرة متشنجة وقد احتقنت نظراتها:  
ده انا حتى ماشوفتش شكله!

ردت عليها بهدوء حذر:  
ما أنا بأقولك هو خرابة وقديم و...

قبضت أسيف على أصابعها مكورة إياهم بشدة محاولة التحكم في أعصابها قبل  
أن تنفلت.

الأمر بالنسبة لها يتجاوز كونه مجرد جدران عتيقة ومكان قديم متهاك عفا عليه  
الزمن.

هي تنظر للأمر من منظور مختلف تماماً.. فقد اعتبرته شيئاً ثميناً خصه لها  
والدها بالذات، وبالتالي لن تتخلي عنه مهما حدث.  
حاولت إيضاح وجهة نظرها قائلة بصوت مختنق:

أرجوكي تفهميني يا عمتي

أشارت لها عواطف بكف يدها قائلة بنبرة عقلانية آملة أن تقنعها:  
يا بنتي انتي لو شوفتيه هاتغيري رأيك وتقولي أبيعه دلوقتي! إتي بس مضايقة  
عشانك مفكرة إن زي الدكاكين والمحلات اللي بتشوفها!

لم تصغ أسيف لكلمة واحدة مما قالته، وتساءلت فجأة بجمود:  
-عمتي فين مفتاح الدكان؟

قطبت عواطف جبينها متعجبة سؤالها عنه، وأجابتها بسجية:  
-معايا، في الشتمجية بتاعتي!

سألها بأدب وهي ترمقها بنظرات غامضة:  
-ممكن تجهولي؟

أومأت برأسها قائلة بامتثال:

حاضر

توجهت عمته بعدها إلى خزانة ملابسها لتفتح إحدى ضلفه، ثم انحنت قليلاً لتخرج صندوق خشبي من الرف السفلي، واعتدلت في وقتها. فتحتة بحذر، وعبث في محتوياته، ثم أخرجت منه مفتاحاً قديماً رفعته أمام وجهها.

وقعت أنظار أسيف عليه، ثم مدت كف يدها نحوها وهي تقول:  
هاتيه يا عمتي بعد اذنك!

وضعت في راحة يدها قائلة:  
-اتفضلي يا بنتي

قبضت أسيف عليه بشدة وكأنها تحوي بين راحتها على كنز ثمين، وهتفت  
مرددة:

شكراً يا عمتي

أكتفت الأخيرة بالإبتسام لها، ثم أعادت وضع صندوقها في الخزانة. وقفت إلى جوارها محدقة بها، وتابعت قائلة بنبرة هادئة:

حبيب بصي، اتني لو فكرتي بالعقل كده هتلاقي إن احنا لما هنبيعه اتني  
هايجيلك فلوس كثير و....

قاطعتها أسيف بنبرة حاسمة:

يا عمتي أنا مش هابيع الدكان!

أخفضت عواطف رأسها متممة من بين شفيتها بإستياء وبنبرة خافتة :

-لا حول ولا قوة إلا بالله، طب أفهمها ازاي اننا لازم نبيعه؟! .....

عادت جليلة إلى منزلها سعيدة بتلك الزيارة الخفيفة وبالأنباء السارة التي  
سمعتها هناك.

كان منذر على وشك النزول، فأسرعت خلفه متسائلة باهتمام:

-انت رايج الوكالة؟

أجابها بجدية وهو يدس هاتفه في جيبيه:

-اه يا أمي، في حاجة عاوزاها أبعتهالك؟

ابتسمت قائلة بود:  
-لا تسلم يا حبيبي!

وقبل أن يدير هو مقبض الباب ويفتحه هتفت فجأة بنزق وكأنها قد تذكرت شيئاً للتو:

-بالحق قبل ما أنسى، أنا اطمنت على موضوع بيع الدكان!

استدار برأسه نحوها قائلاً بابتسامة باهتة اعتلت ثغره:  
حطب خير!

أضافت قائلة باهتمام:

-وشوفت كمان بنت أخو عواطف.. أسيف وعزيتها!

هز رأسه بتفهم، فهذا هو سبب زيارتها الرئيسي، وهتف متسائلاً باقتضاب:  
-أها، وأخبارها ايه؟



ردت عليه بأريحية:

-كويسة، وشها رد كده وبقت أحسن عما كانت هنا!

شعر منذر بالإطمئنان لكونها أصبحت على حال أفضل، فردد بهدوء دون أن يظهر أي تغيير على ملامح وجهه:  
-تمام

دنت منه، وحدثت مباشرة في عينيه لتضيف بمكر:  
-واعدت اتكلمت مع نيرمين شوية!

تبدلت تعابير وجهه سريعًا للضيق والإشمئزاز لمجرد ذكر والدته لذلك الأمر الثقيل على قلبه، وصاح بنبرة شبه غاضبة وقد استنشأت نظراته:  
-اوعي تكوني فاتحتها في حاجة يا أماه!

ارتجفت من تحوله للغضب، وردت بجذر:  
-كان على طرف لساني بس....

أظلمت عيناه، وقاطعها مهدداً بنبرة عدائية وهو يشير بسبابته:  
قسماً بالله لو حصل من غير ما تقولي لأني الموضوع قبل ما يبدأ!

هزت رأسها نافية وهي تجيبه:  
-لا يا بني، ميصحش أصلاً أفاتها في حاجة دلوقتي، أنا خدت بس واديت  
معها في كلام عادي!

تنفس يارتياح لأن والدته لم تنهور وترتكب مثل تلك الحماسة.  
لم يبدل من تعابيره المتشنجة، وأكمل منبهاً بشراسة:  
-الله يكرمك قفلي على سيرة الجواز لأني بأتخفق!

ثم أخفض نبرته ليحدث نفسه بازدياء:  
-وخصوصاً مع دي!

عبست جليلة بوجهها، وأخفضت نبرتها لتبدو مستاءة فتشعره بالذنب نحوها  
وهي تقول:

يا ضنايا أنا بأفكر في مصلحتك، ونفسي أفرح بعوضك فباشوفلك حاجة  
مضمونة!

رد عليها مستنكراً تفكيرها بسخرية متهمكة:  
هي تلاجة هاشترها!

أوضحت له مقصدها مبررة:  
ماهو ربنا يقول اسعى يا عبد!

رد عليها بغلاظة:  
مش بالشكل ده، لما ربنا ياذن هيحصل، لكن جو التلزيق والتمحيك ده  
ماليش فيه

قست نظراته وبدت أكثر صرامة وهو يقول مؤكداً:  
ماشى، اتفقنا يا حاجة جليلة؟

تهدت مستسلمة وهي ترد:

-الي تشوفه

-يالا سلام بقى!

-في رعاية الله يا حبيبي!

قاتها وهي تغلق الباب خلفه بهدوء لتعود إلى الداخل لتكمل ما لديها من أعمال منزل عالقة....

.....

يئست أسيف من محاولة اقناع عمته بأنها لا ترغب في بيع الدكان الذي لم تره بعد، وهتفت متسائلة بتبرم:

-ايه اللي مش واضح في كلامي؟

كانت تخشى الأخيرة عواقب الرفض، فالمسألة ليست مجرد عملية بيع عادية، بل هي مسألة حيوية يترتب عليها الكثير من الأور، لذا ردت عليها بتوجس:  
-اتي كده هتوقعينا في مشاكل مع مندر والحاج طه!

انزعجت أسيف من اعطاء هؤلاء الأشخاص قدرأ أكبر من قيمتهم، وكانهم يملكون زمام كل شيء، فصاحت متسائلة بعصبية:

ليه يعني؟

أجابها عواطف بنبرة مرتبكة وهي تبتلع ريقها:

لو ماتمتش البيعة هيحصل مضاربات تاني وخرافات ومشاكل مش هاتنتهي!

ردت عليها أسيف بنبرة شبه قوية غير مكترثة بهم:

كل ده مايخصنيش، ولا يجبرني أبيعه أو حتى أفرط في حته منه!

توسلتها قائلة برجاء أكبر وهي محدقة فيها:

حطب عشان خاطري أنا، ده الحاج طه وابنه وقفوا معانا كثير، وجمایلهم  
مغرقانا!

ثم صمت للحظة قبل أن تضغط على شفيتها لتقول بمرح قليل:

ده... ده غير الفلوس اللي دفعوها وآ....

فهمت أسيف مقصدها على الفور، هي متحجة بمسألة الدين وما سدوده من  
مديونيات سابقة تخصها.

قست تعابيرها، واحتدت نظراتها، و ردت بحسم وبجدية صارمة:

أي حاجة دفعوهالي دين عليا أنا هارده، ودلوقتي!!!

أولتها ظهرها، ثم اندفعت نحو الباب خارجة من الغرفة بخطى سريعة وكلها إصرار على سداد ما عليها من مستحقات.

لحقت بها عواطف قائلة بتوجس:

مش كده يا بنتي، الموضوع أكبر من مجرد فلوس ودين!

التفتت أسيف بجسدها نحوها مرددة بصوت متصلب:

-بصي يا عمتي، أنا متعودتش أكون مديونة لحد، وده حقهم، فمش خلي حد يجبرني على حاجة لمجرد إني مديوناله!

توسلتها عواطف يالحاح:

يا أسيف اسمعي وافهمي كويس الموضوع، هو مايتخدش قفش كده!

ردت عليها بإصرار عنيد:

-لا يا عمتي، أنا مش عاوزة أفهم حاجة، دكان أبويا أنا مش هابيعه! وفلوس سي مندر بتاعكم ده هادفعهاله!

فغرت عواطف شفيتها مصدومة من تبدل حالها للجدية والجمود بعد أن كانت لا حول لها ولا قوة، فهتفت مستنكرة اندفاعها الأهوج:  
-لا إله إلا الله! يا بنتي اتني مكونتيش كده؟

لم تعقب عليها أسيف بل انطلقت نحو الغرفة لتخرج النقود من الحقيبة وتدفع ما عليها.

خرجت نيرمين من غرفتها متسائلة بفضول بعد أن سمعت صوت شجارهما المرتفع:

-في ايه يا ماما؟ صوتكوا على كده ليه؟ ومالها البت دي؟

رمقتها أمها بنظرات نارية مشتعلة وهي تجيبها بحنق:

منك لله يا شيخة، بوظتي الدنيا بغباءك!

انفرت شفتها مرددة بذهول مصطنع:

هو أنا عملت حاجة

أشارت لها والدتها بكفيها قائلة بتوبيخ شديد:

-كان لازم يعني تتسحبي من لسانك وتقولي على الدكان قبل ما تشوريني؟!!

وضعت نيرمين يدها في منتصف خصرها مرددة بازدياء:

ليه؟ الهانم اللي على رجلها نقش الحنة مش عاجبها الكلام؟!!

أجابتها عواطف بتبرم:

اه يا فلحوسة، ومش راضية تبيع!

رفعت نيرمين كفها أعلى جبينها شاهقة بإستنكار:

-نعم؟ ليه إن شاء الله؟ هي تطول حد يدفعها فلوس!

.....



أسرعت أسيف بجذب الحقائق من جوار خزانة الملابس، وأسندتهم على الفراش، ثم قامت بفتحهم لتبحث بداخلهم عن كيس النقود البلاستيكي المخبأ وسط الثياب.

كانت تفتش بعصبية فبعثرت معظم الثياب دون أن تجد ما تريد. وقعت عينها على الكيس ففتحته على عجلة، وشهقت مصدومة حينما لم تجد بداخله سوى قطعة من الملابس.

أفرغت محتوياته على الفراش، وتساءلت بخوف:  
هما راحوا فين؟ دول كانوا هنا، أنا متأكدة، أنا حطاهم بإيدي في الكيسة دي؟!!!!

قلبت الحقائق رأساً على عقب، وبحثت بتأني في كل شيء..  
ألقت ما بيدها، ثم فركت جبينها عدة مرات بتوتر شديد، وتابعت البحث من جديد وهي تحدث نفسها بقلق:  
مش ممكن، مش معقول اختفوا كده!

انقبض قلبها بخوف كبير حينما فشلت في العثور على النقود.  
هي الآن في مازق حقيقي.

تسارعت دقات قلبها ونهج صدرها من فرط المجهود المكثف.

أضاء عقلها بوميض غريب. ودار بخلاها فكرة ما غير مريحة على الإطلاق.  
رفضت تصديق الأمر في البداية، لكن لم يكن لديها أي تفسير آخر سوى  
ذلك..

رددت مع نفسها بصدمة:

-أفيد هو اللي ورا الموضوع، هو الوحيد اللي لم حاجاتنا من اللوكاندة!

تشنجت قسماآ ووجهها، وصرت على أسنانها لتتهف بوعيد:

-والله ما سكتاله!

اندفعت كالثور الهاأج راكلة الشياآ بقدمها صائأة بنبرة عالية متعصبة:

يا عمآ!

توجست عواطف خيفة من نبرتها تلك، وسألتها بحذر:

خير يا بنتي

وقفت أسيف قبالتها، ونظرت لها بأعين مغلولة وهي تجهيها:

-أنا اتسرت!

لطمت عواطف على صدرها مرددة بعدم تصديق وهي تشهق:

-ايه؟ اتسرقتي؟!!!!

استنكرت نيرمين ما قالته ابنة خالها، فقد استشعرت في حديثها أنها تتهم عائلتها بالسرقة.

ضاقت نظراتها نحوها، وهدرت صائحة بجدة:

-نعم.. نعم.. نعم!!!!

وزعت أسيف نظراتها بينهما قائلة بانفعال:

-ايوه، أنا مش لاقية فلوسي اللي كانت في الشنطة، و....

قاطعتها نيرمين بشراسة مشيرة بكف يدها أمام وجهها لتجبرها على الصمت:

-حاسبي على كلامك! محدش فينا مد ايده على حاجتك!

ردت عليها بصعوبة وهي تحاول التحكم في أعصابها:

مقصدش حد فيكم، بس.. بس الفلوس اللي كانت معايا وفي الشنطة مش  
موجودة!

نظرت لها نيرمين شزرا، وتابعت قائلة بوقاحة:

-بصي يا روح الروح انتي من يوم ما طبتي علينا ومحدش قرب منك ولا من  
شنطك، شوفي مين خد فلوسك، ولا تلاقيها وقعت منك أصلاً وبتقولي  
اتسرقت و...

قاطعها أسيف صائحة بجدية مفرطة:

-أنا.. أنا عاوزة أشوف اللي اسمه منذر ده!

وكان صاعقة قد ضربت برأس نيرمين فجأة، فالتست حدقتها في عدم  
تصديق، وشهقت مذهولة:

-مين ياختي؟

توجست عواطف من تطور الأمور للأسوأ، فتساءلت بخوف:

ليه يا أسيف؟

ردت عليها معللة وهي تشير بيدها:  
هو اللي جاب الشنط، ومش بعيد يكون آ...

وقبل أن تكمل جملتها للأخير هدرت بها نيرمين بنبرة عنيفة متعمدة إهانتها  
وهي تحدجها بنظرات دونية:

-اياكي تفكري في ده، منذر مين اللي هايص للكام ملطوش اللي معاكي؟ ده  
يشتركي كلك على بعضك بملايم، تقولي يسرق فلوسك، فلوس مين يا أم  
فلوس!

ذهلت عواطف مما رددته ابنتها، فنهرتها قائلة:  
-نيرمين اتكلمي عدل!

ردت عليها الأخيرة بحدة غير مبالية بتصرفاتها المتطاولة:  
-انتى مش شايفة بتغلط فى مين!

اشتعلت أسيف غضباً من أسلوبها الفج المسيء لها، فصرخت بها بعصبية  
وهي تشير بسبابتها لها:

لو سمحتي متداخليش، أنا مطلبتش رأيك!

ردت عليها نيرمين بجموح وهي تقف قبالتها متحدية إياها:

-لأ هاتدخل ونص!

رمقتها أسيف بنظرات مستخفة وهي تسألها بعصبية:

-بصفتك ايه أصلاً؟

تغنجت بجسدها بطريقة مستفزة وهي تجيبها ببرود جامد:

قربينا وأعرفه كويس، الدور والباقي عليكي اتتي، اللي ما عرفينك أصل من

فصل!

احتقنت عيناها أسيف بجمرة غاضبة للغاية، وكورت قبضة يدها لتدفعها بها

بعنف من كتفها صائحة بصوت متشنج مهدد:

-احترمي نفسك معايا، مش هاسمحك تغلطي فيا!!

تفاجأت نيرمين مما فعلته، وكانت على وشك الاشتباك معها، لكن وقفت  
عواطف حائلاً بينهما بجسدها، وصرخت فيهما:  
بس انتو الاتنين، احترموا وجودي، في ايه؟

تابعت أسيف قائلة بشراسة وقد قست عينها:  
أنا مش هاقبل بأي اهانة تسيء ليا، وفلوسي اللي ضاعت مش هاسكت  
عنها، وهاجيها!

ثم وجهت حديثها إلى عمته قائلة بقوة تحمل الكبرياء والترفع:  
وان كان على القعاد هنا يا عمتي فبناقص منه، الحمدلله أنا أقدر أسكن في  
آ.....

وضعت عواطف يدها على فمها مانعة إياها من الحديث وهي ترد بتوجس:  
ماتكليس!

خشيت أن تخسر ابنة أخيها الراحل بسبب حماقات ابنتها الغبية، فجاهدت  
 لضبط الأمر قبل تفاقمه، واستدارت برأسها موجهة حديثها لنيرمين قائلة  
 بغلظة:

-انتي مش هاتسيبي بيت عمك، واللي مش عاجبه الكلام يخبط راسه في  
 الحيط!

اغتاظت نيرمين من تصریح والدتها، فهتفت مستنكرة:  
 -ماما!

أشارت لها عواطف بيدها قائلة بصرامة:  
 -خرسي خالص يا نيرمين، ايه مالك؟ طايحة في الكل ومش عاملة اعتبار  
 لحد! أنا كلمتي اللي هاتمشي هنا!

ضربت نيرمين الأرضية بقدمها بعصبية جلية، وصاحت بتشنج:  
 -ماشي يا ماما، ماشي!



ثم تركتهما بمفردهما وأسرعت عائدة إلى غرفتها وهي تتوعد أسيف بالرد القاسي  
بعد أن شعرت بتحقير شأنها أمامها..

صفت الباب بعنف خلفها، فحدقت الاثنتان فيه بجمود.

تنفست أسيف بعمق محاولة ضبط انفعالاتها.

أردفت عمتها حديثها بهدوء حذر:

-شوفي يا أسيف لو ليكي حق عند مندر هو هايجبهولك بنفسه!

ردت عليها أسيف بعناد:

-وأنا عاوزة حتي دلوقتي!

حاولت عواطف إثناءها عن التشبث برغبتها قائلة:

-استني بس لما آ....

قاطعتها بإصرار أكبر دون أن تطرف عيناها:

-دلوقتي، و من فضلك قوليلي فين مكانه وأنا هاروحه!

لم تجد عواطف أي بد من تغيير رأيها، فردت عليها مستسلمة:  
 طب استني هانلبس ونروحه سوا!

هي أرادت أن تكون بصحبتها لتضمن سيطرتها على الوضع إن تواجعت مع  
 منذر فلا يسيء أحدهما للآخر أو يحدث أي تطاول بينهما.  
 كما أن وجودها معها يجعلها تفسر الأمور له بطريقة سلسلة فتأكد من عدم  
 حدوث أي سوء فهم..

أضافت أسيف بصوت حاسم وهي ترفع رأسها للأعلى في شموخ:  
 ماشي، بس من هنا ورايح يا عمتي أنا مش هاسكت لأي حد يدوسلي على  
 طرف، بنت الحاج رياض مش هاتكون ملطشة لأي  
 حد.....!!!

.....

## الفصل التاسع والعشرون ( الجزء الأول ):

لم تتكبد العناء في انتقاء ما سترتديه، فعباءة سوداء ستفي بالغرض، خاصة أنها في فترة حداد ممتدة.

أحمت ربط حجاب رأسها عليها، وتحركت خارج الغرفة وهي متحفزة للحصول على حقها المسروق.

لحقت بها عواطف مستطردة حديثها بتوجس:

بالراحة يا بنتي، الأمور ماتخذتس قفش!

ردت عليها بنبرة صارمة وهي ترمقها بنظرات محتفنة:

أنا مش هاسكت عن حقي، وفلوسي اللي اتسرق هاعرف ازاي هارجعها

أومأت عمتها برأسها قائلة:

حاضر، بس بالعقل!

تحركت صوب باب المنزل هاتفة بصوت شبه أمر:

يا لا يا عمتي، وريني فين مكانه!

ابتلعت ريقها بتوتر بادي على ملامح وجهها وهي تقول:

طيب.. استر يا رب وعدي اليوم ده على خير!

راقبتها نيرمين بنظرات نارية من خلف باب غرفتها الموارب، وحدثت نفسها  
بنبرة مغلولة:

على آخر الزمن البت دي جاية تعمل راسها براسه!

كزت على أسنانها بعنف وهي تردد بنبرة عدائية:

مفكرة نفسها مين، وربنا ماهسيها في حالها! هاخلي عيشتها أسود من قرن

الخروب!!!!

.....

وقف أمام مكتبه ينهي أحد مكالمات عمله قائلاً بجدية:

-الفاخرة فيها كل حاجة، راجع بس البضاعة وانت بتنزلها

مط منذر فمه للأمام ليضيف بهدوء:  
تمام، وأنا معاك لو في حاجة ناقصة!

ضغط بعدها على زر الإيجاب واتجه عائداً لمقعده ليجلس عليه مسترخياً..  
حرك عنقه للجانبين وهو يفركه بكفه مخففاً من حدة ذلك الإرهاق المسيطر  
عليه.

سمع أصواتاً خارجية غير واضحة، فاعتدل بجلسته، ودقق النظر أمامه ليرى  
إلى من يتحدث أحد عماله.

تساءلت عواطف بتوتر وهي تشير بيدها:  
هو موجود يا بني تقدر نشوفه؟

أجابها العامل قائلاً بابتسامة لطيفة:

اه يا حاجة عواطف، اتفضلي!

ردت عليه بود وهي تتحرك بحذر للداخل:

-كتر خيرك!

تأهبت أسيف لتلك المواجهة المحتدمة معه، واستعدت بالكامل لنك اللقاء  
المثير.

تفاجيء منذر بقدم عواطف وابنة أخيها إلى وكالته، فنهض واقفاً مرحباً بهما:  
يا أهلاً وسهلاً نورتوا الوكالة

ازدرت عواطف ريقها قائلة بارتباك ملحوظ وهي توجه أنظارها إلى أسيف:  
منورة بيك يا سي منذر!

سلط أنظاره على أسيف والتي بدت ملامحها غريبة إلى حد ما..  
كانت على تلك الحالة المتشنجة التي رآها من قبل بالمشفى، لكنه لم يستطع  
تفسير سبب تجهمها.

حاولت عواطف الابتسام وهي تضيف بنبرة ودودة محاولة تلطيف الأجواء  
بعد أن لاحظت نظراته المتسائلة في صمت :

-اعذرنا إن كنا جينالك من غير ميعاد

أشار لهما بكف يده لتجلسا قائلاً بجدية:

-ولا يهملك، اتفضلوا اقعدوا!

ثم إشرأب بعنقه صائحاً بصوت آجش أمر لأحد عماله:

-الشاي بسرعة يا ض!

رد عليه أحدهم:

-تؤمر يا سي مندر!

اعترضت أسيف قائلة بجمود غريب:

-احنا مش جاين نضايف هنا!

ضاقت نظراته نحوها، وعبست تعابير وجهه عقب عبارتها المريية تلك.

قبضت عواطف على ذراعها قائلة بابتسامة مصطنعة ومانعة إياها من التفوه

بالمزيد:

-احنا مش عاوزين نتعبك يا بني، هما كلمتين هانقولهم ونمشي على طول!

اضطرت أسيف على مضض أن ترضع لتوسل عمته، وصمتت مجبرة.  
بدا غير مقتنع بما قالته عواطف، لكنه مر الأمر ولم يعلق عليه كثيراً..

ظن في نفسه أن مجيئها إليه لتأكيد مسألة بيع الدكان بعد أن أعطته والدته  
فكرة مسبقة عن موافقة الجميع على هذا الأمر، وقدوم أسيف اليوم ما هو إلا  
لتحديد قيمة المبلغ المطلوب نظير بيع حصتها فيه.  
لم يخطر بباله مطلقاً أنها حضرت إليه لأجل سبب آخر..

همست عواطف لها برجاء خفي:

اهدي يا بنتي الأول، وخليني أنا أتكلم

جلس منذر خلف مقعد مكتبه منتصباً، ثم استند برفقيه على سطحه  
متسائلاً بهدوء وموجهاً حديثه إلى عواطف:

أخبارك ايه ست عواطف؟

أجابته بإبتسامتها المتكلفة:



بخير والحمد لله!

أضاف قائلاً بجديه وهو يشير بكفه الأيمن:  
-الحاجة جليلة قالتلي على موافقتكم كلكم على بيع الدكان، وإن شاء الله زي ما  
عرفتكم قبل كده مش هانختلف!

نظرت عواطف إلى أسيف بنظرات زائغة، ثم عاودت النظر إلى منذر  
مبتسمة بصعوبة وهي ترد بارتباك:  
-أكيد... بس.. بس....

استدار منذر نحوها مضيفاً بنبرة عقلانية:  
-شوفي يا ست عواطف، أنا راجل حقاني وعملي، وهاكلمك بلغة السوق،  
الدكان هاشتره بسعر اليومين دول، وشوفي انتي دلوقتي سعر السهم بكام،  
يعني بنتكلم في مبلغ محترم، وفي الآخر الكل هايطلع كسبان!

حرك وجهه لينظر في اتجاه أسيف موجهاً حديثه لها:  
-ولا إيه رأيك يا.....!

صاحت فيه مقاطعة بجدة:

مش ها يحصل!

اندهش من ردها الغريب، وتصلبت قبضتي يده نوعاً ما.  
فقد كان واثقاً من موافقتها على بيعه، والآن هي تخبره بالعكس..  
لم يجد بعينه بعيداً عنها، وصدق فيها بنظرات مطولة متفرسة.

كررت هي عبارتها مؤكدة بنبرة حاسمة:

-الدكان مش هيتباع!

كان متحكماً في أعصابه رغم الفضول الذي يعتريه لمعرفة سبب رفضها المفاجيء  
لمسألة البيع، فسألها بجفاء مريب:

مش فاهمك؟ يعني ايه مش هيتباع؟

أجابته بنبرة قائمة وقد قست نظراتها نحوه:

-يعني زي ما قولتلك، بيع الدكان مش هايحصل، وأنا جايلك أصلاً في حاجة  
تانية خالص إنت عملتها!

سألها بهدوء حذر محاولاً ضبط انفعالاته بعد صدمته في إلغاء صفقة البيع وما  
سيترتب عليها من تبعات مزعجة للكل:  
-عملت ايه بالضبط؟

هبت واقفة من مكانها وهي تجيبه بصوت متعصب:  
فين فلوسي اللي كانت في الشنطة؟

رفع حاجبه للأعلى مردداً بصدمة قليلة:  
فلوس؟

لم يفهم مقصدها جيداً، وحاول استيعاب جملتها الغامضة..

أجابته بنفس النبرة العصبية وهي تهز رأسها بالإيجاب:

-يوه كانوا في شنطتي في اللوكاندة، وانت بنفسك قولت إنك الوحيد اللي لم  
الحاجة

نهض واقفاً بهدوء من مقعده متذكراً ما فعله بداخل غرفتها المؤجرة بالفندق،  
هو لم يجد سوى الثياب، وجمعها بعناية واطعاً إياها بداخل الحقائب دون أن  
يدقق النظر في باقي محتوياتها.

بدت نظراته حادة، لكنه كان بارعاً في إخفاء عصبيته، وأجابها بصوت شبه  
ثابت:

-يوه أنا لميت الحاجة، بس لا فتشت في شنط، ولا شوفت فلوس من  
أصله!

هدرت فيه صارخة بإتهام شديد اللهجة:  
-انت كذاب!

هنا احتدت نظراته، وعبس وجهه بصورة مقلقة.  
هتف فيها مستنكراً إتهامها الباطل:  
-نعم!

تابعت مؤكدة بعزم وهي تشير بسبابتها:

-ايوه كداب، تلاقي ده ملعوب عامله عشان تجبرني أبيع الدكان!

فشلت عواطف في السيطرة على ابنة أخيها، هي عقدت العزم على تنفيذ ما  
قالته حرفياً دون أي مقدمات ممهدة وبدأت ثورتها في وجهه..

.....

سمع جميع نزلاء السجن صوت فتح أحد الأقفال الموصدة لعنبر حبسهم  
بالسجن العمومي.. وتعلقت أنظارهم بذلك الصول الضخم الذي وُجِّع للداخل..

صاح هو بصوت جهوري غليظ:

-المسجون مجد مهدي أبو النجا!

أتاه صوته من بعيد وهو يعتدل من متكأه:

-ايوه يا شاويش!

هتف فيه بصوت آمر:

قوم معايا كلم المأمور!

نهض بتثاقل من مكانه قائلاً بصوت بارد:  
طيب!

همس له من خلفه أحد المساجين قائلاً بحماس:  
-بينها البشارة يا كبيرنا

رد عليه مج بجزر:  
-الظاهر كده!

ربت على كتفه قائلاً بسعادة:  
-ربنا معاك!

صاح الصول بجدة بعد أن لاحظ تباطيء حركته:  
-اتحرك يا مسجون!

رد عليه مجد برخامة:

جاي يا شاويش، بس رجلي منملة شوية!

رمقه الصول بنظرات احتقارية وهو يرد ساخراً:

تحب أخليها لك تفك؟!!

تقوس فمه للجانب قائلاً بصوت خشن:

-وعلى ايه، هي هاتفك لوحدها!

.....

ركضت أروى ناحية باب المنزل لتفتحه بعد أن سمعت صوت قرع الجرس

معتقدة أن الطارق أحد أخويها.

وجدت رجلاً غريباً ممسكاً بأوراق ما فيه يرمقها بنظرات عادية، فنظرت له

بتعجب متسائلة:

-انت عاوز مين يا عمو؟

أجابها بنبرة جادة:

ناديلي حد كبير من جوا يا شاطرة يكلمني!

لوت ثغرها قائلة بامتعاض:

طيب..

ثم استدارت برأسها للخلف صائحة بنبرة عالية:

ماما، في واحد كبير على الباب عاوزك

أناها صوت والبتها مرددًا بتوتر:

يا ساتر، مين ده اللي عاوزني؟

جذبت ابنتها الصغرى من كتفها للخلف لتقف هي على عتبة الباب متسائلة

بتوجس محذقة فيه بغرابة:

خير يا حضرت، انت عاوز مين؟



أجابها بنبرة رسمية وهو يخرج ورقة ما من وسط الأوراق الموضوعة بداخل  
الملف الذي يمسكه:

ده بيت الأستاذ دياب طه حرب

انقبض قلبها نوعاً ما خافقاً بدقات سريعة وهي ترد بالإيجاب:

اه هو.. خير في حاجة؟ أنا أمه

رد عليها متسائلاً بنفس النبرة الخالية من التعابير:

هو فين؟

أجابته متوجسة:

جاي في السكة، طمني بس في حاجة حصلت؟

ناولها تلك الورقة قائلاً ببرود معتاد:

معايا إخطار من المحكمة للسيد دياب!

أخذتها منه متسائلة بحيرة:

إخطار ايه ده؟

رد عليها بنبرة جافة وهو يقرب دفتر ما منها مشيراً إلى مكان ما فيه لتوقع به:  
معرفش، اتفضلي امضي هنا بالإستلام  
طيب..

قاتها وهي توقع باسمها بجوار إصبعه، ثم طوت الورقة الرسمية التي بحوزتها

أغلق المحضر دفتره مردداً:

متشكر!

ثم انصرف بعدها تاركاً إياها في حالة حيرة وتخبط..

أغلقت الباب خلفه محاولة قراءة وفهم ما هو مدون في ذلك الإخطار...

وقفت قبالتها ابنتها متسائلة بفضول:

مين ده يا ماما؟

ردت عليها جليلة بجدة معنفة إياها:

خشي شوفي مذاكرتي بدل ما اتى مضيفة وقتك كده على الفاضي!

عبست أروى بوجهها قائلة بتذمر وهي تركل بقدمها الأرضية:  
حاضر .. مافيش إلا المذاكرة وبس!!!

قرأت بتأني ما كتب بداخل الإخطار، فانفجرت شفتها بصدمة كبيرة.  
شهقت غير مصدقة ما عرفته، وتسمرت في مكانها محاولة استيعاب الأمر.  
بقيت على حالها للحظات حتى سمعت صوت فتح باب المنزل بالمفتاح.  
استدارت برأسها عفويًا في اتجاهه فرأت ابنها دياب يلج مبتسماً وهاتفًا:  
سلامو عليكم

لم ترد عليه فقطب جبينه مستغرباً حالة الوجوم الظاهرة عليها...  
نظر لها متعجبًا، ثم دنا منها متسائلًا:

مالك يا أماه، واقفة كده ليه مبلمة مش بتزدي السلام؟

رفعت الورقة أمام وجهها قائلة:

-الإخطار ده جالك من شوية!

ردد بغير فهم وقد زاد انعقاد ما بين حاجبيه:  
إخطار!

هزت رأسها بإيماءة متردة وهي تجيبه:  
اه من المحكمة، المحضر لسه جايبه، انتو ماشفتوش؟

حرك رأسه نافياً:  
لا.. محدتش بالي!

ثم مد يده نحوها متسائلاً باهتمام:  
فيها ايه الورقة دي؟

أعطته إياها، فبدأ في قراءة ما بها على عجلة.

تبدلت تعابير وجهه من الاسترخاء للتشنج، وازدادت حمرة عيناه، يمكن القول باختصار أن أحواله تغيرت من الهدوء للعصبية الشديدة..

طوى الورقة بغل وهو يصيح بسباب لاذع ومهين:  
- بنت ال..... ضحكت عليا واستغفلتني!

قفز قلبها في قدميها رعباً من هياج ابنها، وتوسلته برجاء:  
- اهدى يا دياب خلينا نفهم هي عملت كده ليه؟

صرخ فيها بجنون:

- أفهم ايه، ده مكتوب هنا يا أماه إن ال..... نقلت حضانة الواد يجي لأمها  
لأنها اتجوزت، يعني الهانم مخططة ومرتبة لكل حاجة، وأنا الأهبل المغفل اللي  
إداها الواد ومش في دماغه حاجة!

اندفع كالثور الهائج ناحية باب المنزل صارحاً بنبرة عدائية وقاذفاً بإحدى  
المزهريات التي التقطها من على الطاولة بالحائط:  
- ورب العزة ما سايبها، هاجيبها من شعرها!

تخطمت المزهريّة إلى أجزاء صغيرة وتناثرت قطعها المهشمة في أرجاء المكان.  
انتفضت جليلة فزعاً في مكانها.. وركضت خلفه قائلة:

-اهدى يا دياب ماتهورش!

وضعت يدها على كتفه مانعة إياه من الذهاب، فأزاح قبضتها عنه بعنف ثائر  
وهو يقول بتوعد صريح:

-اوعي يا أمي، مش هارحمها، مش دياب حرب اللي يتسك على قفاه!

انطلق خارج المنزل صافقاً الباب بقوة عنيفة خلفه، فاستندت جليلة بكفي  
يدها عليه مرددة بهلع:

-يا مصيبتى، الواد ها يضيع نفسه!!!

لطمت على صدرها مرددة بحسرة:

-فينك يا حاج طه، فينك يا مندر تلحق أخوك!!

أسرعت في خطاها نحو الهاتف قائلة:

- لازم أكلهم يتصرفوا ويمنعوه بدل ما يودي نفسه في داهية!!!!

.....

وكانها استخدمت مطرقة قوية لتطرق بعنف على ذلك الحديد الساخن  
فأطلقت شرارته الملتهبة في الهواء.  
واصلت أسيف اتهاماتها صائحة بانفعال:  
محدث ليه مصلحة يعمل كده غيرك، إنت اللي خدت الفلوس عشان تجبرني  
أبيع الدكان

انفجر فيها غضباً بهياج:  
أنا مش حرامي يا بنت الأصول!

ثم التفت إلى عواطف متابعًا بشراسة:  
جري ايه يا ست عواطف، ماتفهمي بنت أخوكي أنا أبقى مين

حاولت تبرير الموقف قائلة بتلعم:  
هي.. هي متقصدهش... بس أصل....

قاطعها قائلاً بازدراء وهو ينظر لأسيف بنظرات نارية:

هي في الآخر غلطي أني عملت فيكي معروف

ردت عليه بصوت متشنج:

معروف! بقي السرقة اسمها معروف!

ثم أخفضت نبرتها نسيبًا وهي تضيف بسخط متهم:

أنا مشوقتش كده في حياتي، بجح وبيتكلم!

صرخ فيها هادراً وهو يلوح بذراعه مهدداً:

بردك هاتقولي سرقة، متخلنيش أتهور عليك!

ثم تحرك ليقف قبالتها ليزيد من سوء الوضع ويضيق عليها الحصار..

لم تهابه أسيف رغم حالة التوتر الكبيرة المسيطرة عليها، لكنها قررت ألا تبدو

لقمة سائغة له أو لغيره، ستدافع عن حقها المسلوب وتستعيده.. ولن تمكنه

من تحقيق مراده، فواصلت جمودها وثباتها أمامه متحدية إياه..



أدرت عواطف أن الموقف قد تأجج وبلغت ذروته، فتحركت هي الأخرى  
لتقف حائلاً بينها بجسدها، وهتفت باستعطاف:

-الله يخليك يا سي منذر، الحكاية أكيد فيها لبس! هي.. هي متقصدهش

تجاهلها منذر، وتابع قائلاً بصوت قاتم قاسي وقد أظلمت عيناه:

لو عندك دليل واحد يقول إني سرقت، روعي القسم واشتكي عليا!

خفق قلب عواطف بخوف، فقد رأت في نظرات منذر ما يهدد بنسف كل  
شيء وإحراق الأرض بمن عليها.

هتفت بنبرة متوسلة:

-أقسام ايه بس، مش للدرجادي يا سي منذر، والله الموضوع ما كده، ما  
تسكتي يا أسيف وتسمعيه للأخر!

حضر أحد صبيان القهوة حاملاً صينية بها مشروبات ساخنة مقترباً منهم وهو  
يقول:

-الشاي يا ريس!

ضرب منذر الصينية بقبضة يده صائحاً بنبرة محتدة:

غور من هنا!

فلتت الصينية من يد الصبي، وسقطت على الأرضية محدثة دويماً هائلاً على  
إثر تحطم الأكواب الزجاجية..

انتفضت أسيف في مكانها بسبب حركته العنيفة المباغتة، وتراجعت عفويّاً  
خطوة للخلف..

ارتعد الصبي خوفاً من عصبته الزائدة، واختفى من أمام أنظاره على الفور...

شكلت عواطف بجسدها حائلاً، واختنق صوتها وهي تستجديه:

-اهدى يا سي منذر! أكيد في غلطة، والموضوع مش سرقة ولا ال....

هدر فيها بنبرة مخيفة أجبرتها على الصمت فجأة:

مش أنا اللي يتقالي الكلام ده!

تيقنت عواطف أنه لا رجعة الآن عما حدث.. فقد صار ما كانت تخشاه،

واكتسبت عداوته.. وأصبحت على وشك خسارة أكبر داعم لها..

لم تهتز عضلة واحدة من وجه أسيف، وردت عليه بتحدٍ سافر بعد أن  
استجمعت كل ذرات شجاعته لتبدو على قدر المواجهة:  
-وأنا مش هاسكت عن حقي، والدكان اللي طمعان فيه انت أو غيرك مش  
هاسيويه يتباع مهما حصل.....!!!!

.....

## الفصل التاسع والعشرون ( الجزء الثاني ):

لا يعرف كيف وصل إلى البناية القاطنة بها وهو يقود سيارته بجنون جامح،  
سيطر عليه غضبه كلياً، فلم يفكر بذهن صافٍ.

لم يتوقف عقله للحظة عن عتاب نفسه لوقوعه في تلك الخدعة بسذاجة.  
لقد نجحت ولاء في تدبير مكيدة له، وساقته قدميه إلى مصيدها مرة أخرى  
بدون تفكير واعٍ منه.

ضرب بيده على المقود بعنف كبير معنفاً نفسه:

أنا غبي.. غبي، صدقتها، وفكرت إنها بني آدمة! بس هي.....!!!

كز على أسنانه هاتفاً بتوعد شرس:

-وربنا لأدفعها تم عملتها دي غالي أوي، ومش هاتشوف ضافر ابني تاني!

ترجل من السيارة دون أن يعبأ بالتأكد من غلقها، وركض مسرعاً في اتجاه  
مدخل البناية..

ضرب بعنف على زر استدعاء المصعد، لكنه لم يكن على قدر كافٍ من  
الصبر لينتظره، فصعد على الدرج وهو ينفث ناراً...

وصل إلى الطابق المتواجد به منزلها، ودق الباب بعنف حتى كاد أن يخلعه  
صائحاً بصوت جهوري منفعل:

-افتحي يا بنت ال.....!! فين ابني؟

ظل يطرق بقوة أكبر مسبباً إزعاجاً رهيباً للجيران، وتابع صراخه الهادر  
والمهدد:

-مش هاسيهولك، سمعاني، افتحي وإلا هاهد البيت على اللي فيه!

لم يجرؤ أي أحد من الجيران على التدخل، فالجميع يعرف هويته، وأي اشتباك  
معه لن ينذر بخير مطلقاً.. فاكتفوا بالمتابعة في صمت.. لأن الفضول في تلك  
المواقف الغير متوقعة يكن دومًا سيد الموقف..

فتح باب المصعد ليلج منه والده الحاج طه، والذي أبلغته زوجته بحالة ابنها  
العصبية فور تلقيه خبر الإخطار فحمن على الفور مكان تواجده الحالي..  
وصدق حدسه..

اتجه ناحيته بخطى متعجلة قائلاً بصوت مرتفع وصارم:

دياب

لم يلتفت نحوه، بل استمر في دقه العنيف على الباب شامئاً ولاء بسباب  
مهين..

وضع والده قبضته على ذراعه مردداً:  
-اهدى يا دياب!

حاول تحرير ذراعه من قبضته قائلاً بهياج:  
-سبني يا حاج

جذبه بقوة هاتفاً بصوت أمر:  
-تعالى معايا!

رد عليه بجدة:  
-مش هاسيبلها ابني!

حذره أباه قائلاً بضيق من تصرفاته:

-الناس بتتفرج علينا!

صرخ فيه يا هتياج وهو ينظر إليه بطرف عينه:  
خليهم يتفرجوا ويشوفوا بنت ال... اللي ماشية على حل شعرها

ثم ضرب بقبضته المتكورة بعنف على الباب متابعا بتوعد شرس:  
والجبان اللي اتجوزته هاعرفه وهوريه!

رد عليه والده بضجر محاولاً إمتصاص غضبه:  
يا بني ماهي من حقها تتجوز تاني، وهي غارت في داهية وبعدت عنك،  
سيبك منها بقى!

صاح فيه بانفعال:

-تغور لوحدها، مش تاخذ ابني معاها!

هتف فيه طه بصوت صارم يحمل الحزم:  
-ابنك هيرجعلك، اطمن، وخدها كلمة من أبوك!

وبصعوبة شديدة رضح دياب لرجاء والده وترك المكان على مضض وهو مستمر  
في سبها والإساءة إليها..

.....

على الجانب الآخر، أبلغ أحد الجيران الحاج مهدي هاتفياً - والذي يعد على  
صلة مقربة به ويعلم بمسألة زواج ابنه - بما يدور في منزل ولاء..

أنهى معه الأخير المكالمة مردداً بتوجس:

-ولعتيها يا شادية اتتي وبتنك وارتاحتي!

نظر مازن إلى أبيه بغرابة متسائلاً:

-في ايه يا حاج؟

حدجه بنظرات مغلولة مجيباً إياه بصوت مزعوج:

-الجيران اتصلوا يقولولي عن الفضايح اللي في العمارة!

ضيق نظراته متسائلاً برود وكأنه لا يعرف السبب:



فضايح ايه دي؟

أجابه مهدي بجدة وعينه ترمقه بنظرات محتقنة:  
ما انت ولا على بالك، تعمل المصيبة ومش سائل!

انزعج مازن من طريقته الغريبة في توبيخه، ورد عليه قائلاً:  
في ايه يا حاج، هاتكلمني بالألغاز كده كثير؟

رد عليه مهدي بعصبية:  
-تأدب معايا!

ضغط مازن على شفثيه بقوة متمماً بكلمات مبهمه، لكن قبل أن تخرج من فمه  
أضاف مهدي مردداً بتأفف:  
حليق المحروسة عرف بجوازم!

انتبهت جميع حواسه عقب تلك العبارة، وهتف قائلاً بارتباك قليل:  
حياي؟ وعرف انه أنا اللي آ...

قاطعه مهدي نافياً:

-لأ لسه! بس أكيد هايعرف، هو في حاجة بتستخبي!

.....

تجمع العمال بالوكالة على إثر صوته المرتفع، لكن بقوا بالخارج يراقبون الشجار  
الكلامي الدائر بين رب عملهم وقريبتة عواطف وابنة أخيها..

همس أحدهم للآخر:

-الدنيا والعة جوا

رد عليه الآخر محذراً:

-مالناش دعوة، دي مسائل عائلية، خلينا بعيد بدل ما الريس منذر يستفنا!

أضف ثالث مؤكداً:

على رأيك، دي لما الجنونة بتطلع مايشوفش قدامه!

حج منذر أسيف بنظرات نارية تعكس ما بداخله من ثورة غضب  
مشتعلة..

هي أهانتة، اتهمته بشيء لم يرتكبه وهو الذي لم يتأخر عنها للحظة حينما كانت  
في أمس الحاجة إلى أي مساعدة.

انقذها من براثن قريبها القاسي، عاونها في العودة إلى أهلها سالمة، رد إليها  
اعتبارها وتأكد من ضمان ميراثها وعدم استيلاء الغرباء عليه..  
وفي الأخير أنكرت كل هذا.. فبدت جاحدة، ناكرة الجميل..

حافظت أسيف على تأجج حماسها الغاضب تجاهه، ربما هيأت الظروف لها  
الإعتقاد بأنه السارق، لكن لا يوجد ما يشير مطلقاً إلى أنه الفاعل.. ربما كان  
أحد المشتبه به لكنه ليس اللص الحقيقي..

هي حسمت الأمر بأنه كذلك، وفكرت بصورة غير عقلانية نتيجة الضغط  
النفسي والعصبي عليها، ولم تحسب بتفكير حكيم عواقب تهورها الطائش  
واندفاعها الأهوج...

أخرجها من حالة الصمت صوته الخشن وهو يقول:

مش منذر حرب اللي يد ايده ويسرق!

ثم أولاهما ظهره ليتجه نحو خزانة النقود القديمة الموضوعة في الزاوية خلف  
مكتبه، وقام بفتحها ليخرج منها رزماً من النقود ثم جمعهم بين كفيه، وألقاهم  
أمامها على سطح مكتبها قائلاً بصوت غليظ:  
-ولو ناقصك كمان أحطلك أدهم عشر مرات!!!!

نعم ألقى أمامها ما تخطى حاجز أحلامها الوردية ..  
فغرت شفتها مصدومة من فعلته، وحدقت فيه بذهول تام..

كتمت عواطف شهقتها واضعة يدها على فمها..  
خالف منذر كل توقعاتها، وفعل ما لم يخطر على بالها..

ظلت أنظار منذر جامدة مسلطة عليها هي فقط، متأملاً تعابيرها التي  
تحولت من القسوة للصدمة..  
بينما شعرت هي بمهانة عظيمة وهو يقذف بالنقود في وجهها وكأنها تستجديه  
حقها الضائع..

رن هاتفه المحمول لأكثر من مرة، فتجاهله غير مكترث بالمتصل ولا يلاحه  
المزعج..

صاح بصوت قاتم أمراً أسيف وهو يحدجها بنظراته المزدرية:  
مدي ايدك وخدمهم، مالك متخشبة في مكانك ليه؟

ابتلعت إهانتها بصعوبة، ورفعت رأسها للأعلى في إباء وهي ترد:  
-أنا.. أنا ما بجدش غير حقي وبس!

هتفت عواطف بنزق مجاهدة لبذل آخر محاولة لها في ضبط الأمور:  
فلوس ايه بس يا سي مندر، انت.. انت كده آ...

التفت هو نحوها لينظر لها بقوة فصمتت على الفور خوفاً منه، ثم دنا من  
أسيف حتى صار على بعد خطوة واحدة منها.

نظر مباشرة في عينيها متابعاً بنبرة جافة لكنها تحمل الكثير من الحنق:  
-ولو ده حقك خديه!

ثم ضيق لنظراته لتصبح أكثر قسوة وهو يسألها متعمداً:

بس انتي متأكدة إن أنا الحرامي؟

اهتزت نبرتها من طريقته المهيبة في التصرف معها:

-... مـ. معرفش!

بدت غير واثقة من حكمها المطلق، تداخلت أفكارها وتخبطت...

إن كان هو اللص حقًا فلماذا يتكبد عناء دفع أضعاف ما كان معها؟

ازدردت ريقها مجددًا، وبررت هجومها المندفع عليه:

-أنا.. أنا ليا لي في اللي حصل قدامي، وانت الوحيد اللي روحت اللوكاندة

و....

عبس بوجهه مقاطعًا بصوت قائم أرجفها:

-انتى شوفتيني وأنا بأسرق؟

انفجرت شفتاها للأسفل ولم تستطع الرد بالجزم عليه..

زادت نظراته نحوها سخطاً وهو يضيف بنبرة ذات مغزى مستنكراً مجرد

التفكير في كونه اللص:

فلوس ايه اللي هاخدها من واحدة يتيمة زيك؟ اتني متعرفنيش كويس!

نجلت أسيف من نفسها.. وبدأت حمرة جليلة تسري في وجنتيها لتزيد من حرجها أمامه..

لم يختلف موقف عواطف عنها كثيرًا، بل كانت تشعر بالغباء وأنها ناكرة للمعروف..

عابت نفسها قائلة:

يا ريتني ما هاودتك يا بنت أخويا، أدكي وصلتيننا لنصيبة سودة، ربنا وحده عالم أخرتها إيه!!!

ظنت أسيف أنه ربما لجأ لذلك التصرف لإشعارها بالحرج، وبالفعل نجح في هذا، لا تستطيع إنكار أنه صدمها..

لكن ما أملاه عليها عقلها - وتفكيرها الغير منضبط - أنه من المحتمل أن تكون محاولة أخرى للضغط عليها بوسيلة خفية لإجبارها على بيع الدكان..

هتفت بنزق مؤكدة:

لو بتعمل كده عشان أبيع الدكان، مش هايجصل!

همست عواطف قائلة بتوجس:

بردك يا أسيف!

رمقتها منذر بنظرات غريبة متعجبًا من تفكيرها المحدود وخبرتها المدومة في  
الحكم على الأمور بروية، ثم ردد محذرًا بعينه:  
-ماتدخليش المواضيع في بعضها!

وقبل أن تنطق بالمزيد أضاف بتحدٍ واثق:

-ولعلمك لو عاوز أخذ الدكان هاخده، بالذوق، بالعافية، أو بأي شكل!

بدت نظراته أكثر إظلاماً وهو يتابع مهددًا بقوة وملوحاً بكف يده:

-وانتي بالشوية بتوعك دول مش هاتمنعيني!

ارتعدت من نبرته العدائية، لكنها وقفت ثابتة في مكانها رغم تلك الرجفة  
الظاهرة عليها..

استدارت برأسها نحو النقود الملقاة على سطح المكتب، وأشارت بكف يدها  
قائلة بكبرياء:



أنا مش هاخذ فلوسك دي!

هزت رأسها بإعراض وهي تلوي ثغرها مكلمة بكرامة:  
 هما مايلزمونيش، وحتي اللي ضاع هاعرف ارجعه سواء منك أو من  
 غيرك!!!

نظرت له لمرّة أخيرة بازدراء، ثم أولته ظهرها مرددة بصوت مختنق:  
 يا لا يا عمتي من هنا!

تحرك منذر سريعًا ليسد عليها الطريق بجسده فشهقت مرعوبة من ظهوره  
 المفاجيء، وتسمرت في مكانها منكمشة على نفسها أكثر..  
 مال برأسه عليها ليهمس لها بقسوة مخيفة:

-وحتي أنا كمان هاخده بطريقي!

لم تفهم المقصد من عبارته الغامضة تلك.. لكنها كانت كافية لتريكها وتدب  
 الرعب في قلبها..

تسارعت دقات قلبها فجأة، وتوترت إلى حد ما..

هي كلمات مريية تحمل بين طياتها الكثير، بها ما يهدد سكونها، وما ينذر  
 بهبوب عواصف ستقتلع ما على الأخضر واليابس...

تنحى للجانب مشيراً بذراعه وهو يقول ببرود جامد:

-تفضلي، أظنك عارفة السكة ازاي!!!

التفتت برأسها نحوه لترمقه بنظرات أخيرة شبه مذعورة، ثم أسرع في  
خطاها لتختفي من أمامه..

ظلت عواطف باقية في مكانها للحظة تتوسله بإستعطاف عليها تستطيه  
إصلاح ما أفسد:

-ساعها يا سي مندر، هي على نيتها ومش فاهمة حاجة، واللي.. واللي ما  
يعرفك يجهلك!

بدت ملامحه جامدة وهو يجيها بصوت مهدد بخاطر مهلك:

-اللي حصل ده يا عواطف مش هايعدي على خير، خليكي فاكرة ده كويس!  
شهقت قائلة بهلع:

-بس أنا ماليش ذنب و....

قاطعها هاتفاً بصرامة وهو يشيح بوجهه بعيداً عنها:

ده آخر ما عندي، مات الكلام، بالسلامة يا بنت خالة أبويا!

لم تضيف المزيد، وانصرفت لتلحق بإبنة أخيها مرددة بتخوف كبير:

-عملي كده ليه بس يا بنتي، استرها علينا يا رب في اللي جاي!!!

.....

طالع الأوراق الرسمية الموضوعة أمامه بنظرات متفحصة، ثم رفع عيناه للأعلى  
ليستطرد حديثه قائلاً بنبرة جادة:

مبروك يا مجد، اسمك مع اللي هايخدوا افراج!

ابتسم الأخير بمكر وهو يرد عليه بصوت رخيم وخشن:

-الله يبارك فيك يا باشا

حذره المأمور قائلاً بجدية:

-مش عاوزين مشاكل تاني يا أبو النجا، امشي عدل!

أوما برأسه ممتلاً:

-اطمن يا باشا!

لوح له بظهر كف يده متابعًا بصرامة:

-اتفضل، خده يا شاويش!

رفع الصول كفه أعلى جبينه مؤدياً التحية العسكرية وهو يرد بصوت رسمي:

-تمام يا فندم!

ثم اقترب من السجين وقبض على ذراعه ساحباً إياه خارج غرفة مكتب  
المأمور..

تنفس مجد يارتياح كبير، ودندن مع نفسه بسعادة بصافرات خافتة..

آمال الصول رأسه على مجد قائلاً بصوت خفيض:  
هنياك يا عم! افكرني!

رد عليه مجد بنخبث:

مش ناسيك يا شاويش، وقت ما أخرج من المخروبة دي عدي عليا في  
المطعم، انت معاك العنوان، صح؟

أجابه الصول هامسًا:

اه كاتبه!

مسح على صدره عدة مرات، كما برقت عيناه بوميض غريب وهو يتابع مرددًا:

حلو أوي! وهنتقابل كثير

تنحج الصول بنخفوت قائلاً بابتسامة صفراء:

احم.. ماشي!

ثم خشن من نبرة صوته ليبدو أكثر صرامة وهو يصيح بجدة:

ياللا يا مسجون، اتحرك شوية!

قام مجد بمجاراته في تلك التمثيلية المصطنعة قائلاً:

ماشي يا شاويش!

لم ترغب أسيف في العودة إلى منزل عمته دون المرور أولاً على الدكان لتراه..  
كانت في وضع نفسي سيء..

أرادت أن تخرج من تلك الحالة المتخبطة المسيطرة عليها وترى آخر ما ترك  
لها من أيها الراحل لعل ذلك يثلج صدرها الملتاع..

لم تجد صعوبة في البحث عنه، فقد وجدته بسؤال أحد المارة القاطنين بالمنطقة  
الشعبية..

اتجهت إلى حيث أرشدها، وهرولت مسرعة نحوه.

تباطئت خطواتها حينما وقعت أنظارها عليه..

التقطت عيناها تلك اللافتة المتهالكة التي تعلي ذلك المكان العتيق..

دقت النظر في كلماتها الباهتة، وقرأتها بصوت خافت:

دكان الحاج خورشيد!

اضطربت ضربات قلبها، وتهدجت أنفاسها من الحماس..

كان الدكان واضحاً للعيان بسبب إحاطته بتلك المحال حديثة التجهيز..

بدا كبقعة أثرية قديمة تتوسط تلك التصاميم الحديثة..

قفز قلبها طرباً، ولعت عيناها بعبرات خفيفة..

تنفست بعمق، وتقوس فمها بابتسامة باهتة..  
 شعرت أنها وجدت جزءاً مفقوداً منها..  
 سارت بثبات نحوه مخرجة مفتاحه من حافظة تقودها..  
 لوهلة ظنت أنها عادت بالزمن لأشهر مضت حيث كانت في كنف أبيها..  
 سألت منها العبرات دون وعي فكفكفتها براحة يدها..  
 أخذت شهيقاً عميقاً، ودنت أكثر منه.  
 مدت أسيف يدها تتحسس ملمس بابه الخشبي الخشن. رجفة قوية دبّت  
 في أوصالها وهي تشعر بقوة الزمن..  
 إنه نفس ذلك الإحساس الفطري الذي يبعث على نفسها الهدوء حينما  
 تستعيد شيئاً عزيزياً عليها ..  
 زاد خفقان قلبها، ونهج صدرها من التوتر..  
 أغمضت عينها مستعيدة ذكريات قديمة مطمئنة..  
 تنفست بعمق، ثم عاودت فتح جفنها لتشرع في فتحه.  
 رأت ذلك القفل الصدأ الذي يزين بابه، فدست المفتاح به وأدارته بجزر  
 شديد..  
 وجدت صعوبة في فتحه، فقد كان صدئاً للغاية..

استجمعت كل قوتها لتفتحه لكنها لم تستطع، كانت تحتاج لمجهود كبير لتتمكن من فتحه..

خشيت أن ينكسر المفتاح بالقفل فيتعذر عليها إخراجها لذا تراجعت مؤقتاً عن تلك الفكرة حتى تستعين بذوي الخبرة في فتحه..

أكثر ما أراحها أنها شعرت بأن لذلك المكان روحاً.. روحاً تذكرها بماضيها الطيب، بحنينها إلى من تشاقهم.. بعائلتها الغالية...

ألقت نظرة أخيرة على الدكان قبل أن تودعه قائلة لنفسها بإصرار عنيد:  
-انت ملكي، مش هافرط فيك!

رأتها عواطف من بعيد بعد أن كانت تبحث عنها بخوف، فهتفت صائحة:  
-أسيف!

استدارت الأخيرة نحوها عقب سماعها لصوتها، وتحركت عائدة إليها بخطوات سريعة نسيلاً..

أكملت عمها هاتفة بتساؤل:

-كنتي فين يا بنتي؟

أجابتها بصوت شبه مختنق:

عند دكان أبويا!

رفعت عواطف أنظارها للأعلى لتحقق خلف كتف أسيف فرأت بالفعل  
الدكان..

لقد وصلت إليه بمفردها.. وبدا عليها التأثير من رؤيته.

تهدت بآسى وهي تربت على ذراعها:

حطب يالا بينا نرجع البيت!

لم تعترض أسيف، وأكملت معها السير وهي تفكر فيما ستفعله فيما بعد...

.....

لاحقًا، سردت عواطف على ابنتها نيرمين ما دار بين منذر وأسيف..

أصرت الأخيرة على معرفة كافة التفاصيل خلال تلك المشادة الحادة..

تلون وجهها بحمرة غاضبة واحتقنت عيناها بشدة عقب سماعها لتلك

الإتهامات القاسية من ابنة خالها له..

فبغباتها أفسدت العلاقات بين الأسرتين، وربما حولته إلى عداء شخصي لأجل

دكان لا يثن ولا يغني من جوع، ناهيك عن زيف إدعائها الباطل بالسرقة..

صرخت في أمها بتعنيف وهي تكز على أسنانها:



-وازاي تسكتيلها يا ماما؟ مجريتهاش من شعرها ليه قبل ما تتنيل تبوظ  
الدنيا؟

ردت عليها عواطف بقلة حيلة وهي تضرب على فخذيها بكفيها:  
مجاش في بالي انها هتعمل كده!

توعدها نيرمين قاتلة بشراسة:  
أنا هاروح أموتها، مش سيهاها!

أمسكت بها والدتها بصعوبة قاتلة بنبرة حادة:  
-اقعدي اتتي كمان، هو أنا كل ما أهديها من ناحية، تولع من الناحية الثانية!

صاحت فيها نيرمين بانفعال جلي مهينة إياها:  
-لأن البت دي غبية وما بتفهمش، عاملة نفسها ناصحة وهي جاية من ورا  
الجاموسة!

صرخت فيها عواطف بنفاذ صبر:  
-بس بقي كفاية، أنا معنتش قادرة

أصرت نيرمين على الإشتباك معها قائلة بعصبية:

مش هاسكتلها يا ماما، دي هاتسوق فيها!

تملصت من قبضة أمها، ثم اندفعت بجنون نحو الخارج صارخة بصوت مرتفع  
محتاج:

-اتي يا اللي اسمك زفت أسيف، إتني يا وش البومة يا فقر، تعالي هنا  
كلميني!

التقطت أذن أسيف إهاتها اللاذعة من داخل الغرفة، فاستشاطت نظراتها،  
واصطبغت وجنتها بحمرة مزعوجة للغاية..

لم تكبح ذلك الأدرينالين الغاضب المتدفق بشراهة في عروقها ليحفز خلايا  
جسدها على الإنقضااض والدفاع عن نفسها..

لذا نهضت من رقدتها متجهة للخارج صارخة فيها بصوت متشنج:  
-اكلمي عدل معايا!

لم تمهلها نيرمين الفرصة للحديث، بل غرزت أصابعها في خصلات شعرها  
متعمدة جذبها منه بشراسة وكأنها تريد اقتلاعه من جذوره صائحة بجنق كبير:

مفكرة نفسك مين عشان تخلينا نعادي أسياذك!؟

صرخت أسيف متأوهة من شدة الألم، وحاولت تخليص شعرها من يدها  
قائلة بجنون:

-آآآه، سيبي شعري يا متخلفة، آآآه!

ردت عليها نيرمين بإهانة وقحة وهي تهز رأسها المأسور في قبضة يدها بعنف:

-المتخلفة دي اللي هاتربيكي يا تربية الزرايب!

من المعروف أن أبسط وسائل الدفاع عن النفس هي المبادرة بالهجوم  
المباغت على الخصم في مواضع الألم لتشتت تركيزه..

وهذا ما فعلته أسيف.. تحاملت على نفسها ذلك الوجد الرهيب، وثبتت ركبته  
قليلاً، ثم ركلت بها بقوة أسفل بطن نيرمين.. فصاحت الأخيرة متألماً:

-آآه، يا بنت الـ.....!!

أفلتت أصابعها نسيباً عن شعرها واضعة قبضة يدها الأخرى على بطنها.  
نجحت أسيف في إلهائها، و حازت على فرصة أخرى لرد الصاع صاعين،  
خاصة أن إهانات نيرمين لها كانت وضيفة للغاية، وبلا أي مقدمات باغتها  
بصفعة عنيفة على وجنتها قائلة بجموح:

-إياكي تغلطي فيا تاني، مش هاسكتلك، والقلم ده يعرفك أنا مين!

صدمت نيرمين من صفعتها تلك.. وبرقت عيناها بنيران محتدة للغاية..

في تلك اللحظة تحديداً شهقت عواطف غير مصدقة ما يدور بين الاثنتين..

أسرعت بالتدخل بينهما، وشكلت بجسدها حائلاً لتفصل بينهما قائلة بذهول:

-انتو اتجننوا، بتضربوا بعض قصادي؟

وضعت نيرمين يدها على صدغها متحسرة إياه، وصارخة ياهتياج وهي تشير  
بسبابتها الأخرى:

هولع فيها النهاردة، هاجيب أجلها!

ردت عليها أسيف بجرأة غريبة لا تعرف من أين جاءت:

فكري بس تقربي مني وأنا هادبحك!

—سس!!

صرخت عواطف بتلك الكلمة الموجزة وهي تضع يديها على أذنيها..

تابعت قائلة بصوت متشنج وهي توزع نظراتها على الاثنين:

اعملولي احترام، في ايـــــــــــــــــه؟؟؟!!!!

ثم ركزت أنظارها على أسيف وحدها.. تلك الضعيفة التي تحولت فجأة من

مجرد حمل وديع إلى وحش ضاري..

كانت صدمتها فيها أكبر من قدرتها على إستيعاب تبدلها المرعب والخيف في

نفس الآن..

لقد برزت لها أنياب تهدد وتتوعد غير عابئة بتبعات أي شيء..

في لحظة ما فاصلة في حياة الفرد، تتعرض فيها شخصيته الطبيعية لضغوطات نفسية قاسية ومستمرة مصحوبة بإهانات تتجاوز حد المقبول من المحيطين به، فتدفعه دفعا للإفجار في وقت غير متوقع حينما يصل الأمر معه لذروته.. وهذا ما صار مع أسيف ..

لقد بلغت القمة بتحميل نفسها مالا تطيق.. فإنهارت قواها المتماسكة، وتحفرت حواسها للدفاع عن نفسها بشراسة ضد من يهددها.....!!

.....

### الفصل الثلاثون:

ألغى كافة الإرتباطات الخاصة به بعد لقاءها الحاد، لم يستطع التفكير بذهنٍ صافٍ، فظن أنه من الحكمة حالياً أن يبتعد عن ضغط العمل حتى يستعيد هدوئه.

جلس على مقعده مسترخياً معزلاً ما حوله..

أسند أمامه أحد صبيان المقهى الشعبي قهوته الخاصة أمامه، وانصرف مبتعداً دون أن ينبس بكلمة خاصة بعد أن لاحظ الوجود المسيطر عليه، كذلك تجنب كافة العمال بالوكالة الاقتراب منه أو السؤال عن أي شيء يخص العمل، وتركوه بمفرده مختلياً بنفسه، وجلسوا هم بالخارج يثرثرون كعادتهم قبل انصرفهم..

شبك منذر كفيه خلف رأسه وهو يحرك مقعده بحركة ثابتة..  
 حدق أمامه بنظرات فارغة متذكراً ما مر به معها منذ لقاها الأول..  
 التوى فمه للجانب مبتسماً بسخرية مريرة..

أخذ نفساً عميقاً حبسه في صدره، ثم لفظه دفعة واحدة وهو يوميء برأسه معاتباً نفسه على اعتقاده الخاطيء..

يا لسخرية القدر!

هو ظن يوم أن إلتقاها صدفة أنها متسولة تخدع الناس ببراءتها المصطنعة ودهائها الماكر، فتسرق أموالهم برضائهم، واليوم هي عاملته بنفس ظنه السيء بها..

تمم مع نفسه بتنهيذة مطولة:

-واحدة بواحدة!

اعتدل في جلسته، وأرخی ساعديه متابعًا بنبرة غامضة:

-بس مش خالصين يا بنت رياض!

هب واقفًا من مكانه ملتقطاً هاتفه المحمول باحثاً عن رقم شخص ما ليحدثه..

تحرك نحو الخارج فانتفض العمال من أماكنهم فور رؤيتهم إياه..

مرر أنظاره عليه قائلاً بصرامة:

-اقللوا الوكالة وروحوا على بيتكم

رد عليه رئيس عماله بجدية:

-تمام يا ريس!

وضع الهاتف على أذنه قائلاً بهدوء مريب:

-سلامو عليكم يا باشا، معلش هازعجك شوية!

صمت للحظة قبل أن يتابع بجدية:

في مشكلة تخص حد قريبي، وعاوز سيادتك تدخل فيها وتحلها!

صمت ليصغي للحظة للطرف الآخر قبل أن ينطق نافياً:  
-لأ مش حاجة رسمي، بس يهمني أعرف مين اللي عمل كده

.....

أوصدت باب الغرفة خلفها حابسة نفسها بعد مواجهتها الشرسة معها..  
كانت تدافع عن نفسها، ترد الإساءة المهينة لها..  
لم تتخيل أنها ستعتدي بالضرب على من ترتبط بهن بصلة الدم..  
هي كانت كالقطة المسالمة، ضد العنف ونابذة لصكافة صوره.. والآن أصبحت  
شخصاً آخراً..

انهارت قدمها وجلست مستندة بظهرها خلف الباب، ثم ثنيت ركبتيها إلى  
صدرها لتتكور على نفسها أكثر.

نظرت إلى راحة يدها المرتجفة والمصطبغة بالحمرة الساخنة بخوف كبير غير  
مصدقة أنها صفت ابنة عمها بها.

تراقصت العبرات في مقلتيها، ثم وضعت يدها على فمها كاتمة صوت شهقاتها  
المرتجفة..



بكت بحرقة شديدة وهي تهز رأسها بإستنكار..

ما مرت به ليس بالهين.. هي وحدها.. لا سند لها في تلك الحياة القاسية، فإن لم تكن بالقوة الكافية للدفاع عن نفسها ستلوكمها الأفواه الشرسة بشراة تاركة إياها عظاماً بلا لحم..

دفنت وجهها بين ركبتيها مجبرة عقلها على عدم التفكير في أي شيء، يكفيها ما نالته من استفزاز متواصل أنك قواها على الأخير..

ظلت على تلك الوضعية لفترة من الزمن.. لا تدري إلى متى، بقيت منطوية على حالة، وآسفة على تفكيرها المتهور الذي أجبرها على فعل ما تبغضه.. لكن لم يتركها عقلها تهناً كثيراً، حيث أضاء ذكرتها بصورة منذر، ذلك الوجه الصلب المتبلد..

رجف جسدها، وشحب لون بشرتها نوعاً ما..

فتحت عينها المتورمتين، ورفعت رأسها للأعلى وهي تتنفس بتوتر...

مر ببالها مقتطفات سريعة من صدامها الحامي، وندمت على إندفاعها الغير مدروس..

فربما وطأت بقدميها معركة أخطر لن تتمكن من الظفر بها..

هزت رأسها مستنكرة حماقتها، ثم دقت بها الباب بضربات خفيفة..

تساءلت مع نفسها بحيرة كبيرة:

ليه بس كده؟ ليه؟

فكرت في ترك المنزل بمن فيه، لكنها عجزت عن تنفيذ تلك الحماقة فعلياً، فهي عاجزة لا تملك من المال شيئاً، نوعاً ما مديونة لغيرها، والأهم من هذا كله لا تزال القيم والمباديء المغروسة في نفسها مسيطرة عليها..

فلن تهور وتسيء إلى سمعة عائلتها بعد رحيلهم.  
أغمضت عينها بإحباط، وهمست لنفسها مستسلمة بيأس:  
ماليش مكان ثاني أروحه، غصب عني لازم أفضل هنا!

أخرجت تهيدة مليئة بالكثير وهي تتوسل لله متضرعة:  
يا رب خليك معايا وعيني، يا رب أنا لوحدي! إنت سندي يا رب!!!

.....

ذرعت نيرمين الغرفة ذهاباً وإياباً ولسان حالها لم يتوقف عن السب والشتائم الغير لائقة..

نظرت لها بسمة شزرًا، وردت بفتور:  
هتستفادي ايه من الدوخة دي، كفاية بقي!

صاحت فيه بنبرة صارخة تحمل الحقد:  
-اسكتي، مش عاوزة أسمع حاجة، بنت ال... خدتني على خواتة!

كزت على أسنانها متابعة بأعين تطلق شرراً مستطراً:  
-الي هايجلطني أمك واقفة في صفها، تقولش هي بنتها وأنا لا!

كررت بسمة ضاحكة من طريقتها المحققة، وردت عليها بجمود:  
-ده العادي، قلبها رهيف!

اغتاظت نيرمين من أسلوبها الغير مكترث بجالتها، وعدم تدعيمها لها كما كانت  
تتمنى، فصاحت بها معنفة إياها بغلظة:  
-بسمة، أنا مش ناقصة تنكيت، أنا والعة وعاوزة أحرق الزفتة اللي برا! وإتي  
ولا على بالك!

نفخت بسمة دون أن تعلق عليها، بينما تابعت أختها بنبرة عدائية:  
-وايدها اللي اتمدت عليا دي هاقطعهاها!

اتجهت نحو باب الغرفة، وضيقت نظراتها لتقول بشراسة وهي تضربه بقبضتها المتكورة:

هاين عليا أطلع أطردھا دلوقتي وأرميھا في الشارع!

لوحث لها بسمة بكف يدها قائلة:

-اتفضلي.. حد حاشك

التفتت نيرمين نحوھا محذرة بجنق:

-ماتسخنيش!

ردت عليها بسمة بجمود مستفز:

ما اتني بتقولي كلام غريب برضوه

صاحت فيها نيرمين بانفعال:

-انتي معاھا ولا معايا؟

أجابتها وهي تهز كتفيھا غير مبالية:

-لا معاكي ولا معاها، اخبطوا دماغكم في بعض!

حاولت نيرمين دفعها للانتقام منها، فهتفت من بين أسنانها بجدة:  
يا شيخة دي أخذت اوضتك من أول يوم جيتي فيه، وكنتي هاتتجنني!

ردت عليها بسمة بثقة هادئة:

-وأنا هاخذ أوضتي، وبطريقيتي!

ثم اتجهت نحو أختها لتقف قبالتها وهي تستأنف حديثها:

بس اتي مش بتشوفي نفسك لما لسانك يطول

رمقتها نيرمين بنظرات مشتعلة وهي ترد:

-أنا كده وما بتغيرش!

حبيب كل واحد أدري بعيوبه!

قالتها بسمة بتأفف وهي توليها ظهرها متجهة نحو الفراش لتلقي بجسدها المنهك  
عليه..

بقيت نيرمين في مكانها تشتعل حقداً وغلاً مما تلقته من ابنة خالها.. حاولت  
التمسك ببقايا عقلها لكنها فشلت، فغضبها الأعمى يدفعها لإرتكاب المزيد من  
الأمر الطائشة ...

.....

عجزت عواطف عن النوم بسلام بعد أن تأزمت الأمور، اعتدلت في نومتها  
وجلست القرفصاء مستندة برأسها على مرفق يدها..

حركت رأسها بإيماءات ثابتة مستنكرة ذلك المأزق الذي باتت فيه..

هي على وشك خسارة دعم عائلة حرب، واكتساب عداوتهم، بالإضافة على  
صعوبة التفاهم مع ابنة أخيها، والأسوأ من ذلك احساسها بمشاعر البغض  
والكره التي تكنها ابنتها لها..

اختنق صدرها، ولمعت عيناها بالعبرات..

تمت مع نفسها متسائلة بحسرة:

-اتصرف ازاي وأنا حاسة إني متكثفة من كل حته؟

ضربت يدها على جبينها بحركة خفيفة قائلة:

حطب أحلها ازاي؟ دبرها يا رب من عندك!

.....

نفضت جليلة جلاب زوجها وطوته برفق لتسندة على حافة الفراش، ثم  
استطردت حديثها قائلة يا متنان:  
- الحمد لله إنك لحقته، تسلم يا حاج لو مكوتنش رديت عليا كنت بقيت في  
حوسة، ده أنا مخي بقي يودي ويجيب!

صمت للحظة لتلتقط أنفاسها، ثم أضافت بجدة:  
- ربنا ينتقم منها زي ما هي حرقة قلب ابني ومدوخاه!

رد عليها طه بامتعاظ:  
- سيك من الكلام ده! المهم أشوف هاعمل ايه مع دياب!

أخفض نبرة صوته ليضيف بضجر:  
- ربنا سترها، البت لو كانت وقعت في ايده، ولا حتى شافها مكوتنش عارف  
إيه اللي ممكن يجري!

هتفت جليلة قائلة بعاطفة أمومية غريزية:

أنا هاروح أطيب خاطره بكلمتين!

رفع كفه أمام وجهها قائلاً بصرامة:

سييه لوحده، ماتكبسيش عليه كل شوية

هزت رأسها قائلة بإستياء:

على عيني والله! بس قلبي واكلني عليه، وأنا مش قادرة أعمله حاجة

ثم هتفت متسائلة بعبوس:

-والمحروسة طبعًا قافلة تلفوناتها و ماردتش عليه؟

أجابها يارهاق:

-لأ.. مش عارفين نوصلها

تابعت جليلة بازدرء:

قليلة الشرف والرباية، عملت عملتها وهربت! ربنا يوربها غلب الدنيا زي ما

هي عاملة في ابني وابنه!



رد عليها طه بنبرة متوعدة:

هي مش هاتستخبي على طول، مسيرها تظهر، والواد هنجيبه منها!

هتفت قائلة بتجهم:

-اللي مطمئني شوية إنها أمه، يعني مش هتأذيه!

رد عليها طه بصوت غليظ:

-ولا تقدر تمس شعراية منه، الدور والباقي على الحراباية أمها، هي اللي ورا كل مصيبة!

سألته جليلة بفضول:

على كده مين المنيل اللي اتجوزته؟

ضغط على شفثيه مرددًا:

مش عارفين لسه، بس هييان

على الجانب الآخر، فرك دياب وجهه بغل وهو يدور بداخل غرفة ابنه بحيرة  
شديدة..

كان يقذف بعصبية كل ما تطاله يده، جاهد لضبط انفعالاته العصبية لكنه لم  
يستطع.. فالخطوف هو قطعة غالية منه..

خشيت أروى أن تقترب منه، وبقيت تتابعه من خلف باب الغرفة الموارب  
وهي تبكي حزناً.. فهي تحب يحيى كثيراً.. واستاءت حينما علمت بأمر  
اختفائه..

استمع هو لصوت نحيب ما مكتوم، فاتجه نحو الباب وفتحه فجأة..

شهقت أروى مذعورة، وتراجعت بخوف للخلف..

تنفس دياب بعمق ليسيطر على اندفاعه، وأردف قائلاً بصوت شبه  
متحشرج وهو يشير بيده لها:

تعالى يا أروى متخافيش!

ترددت في الاقتراب منه، ووضعت أناملها على فمها بارتباك..

ابتسم بود مصطنع لها متابعًا:

تعالى يا بت

ردت عليه متسائلة بصوتٍ باكي:

هو.. هو يحيى مش جاي تانى؟

شعر بوخزة حادة في صدره من جملتها تلك، ودنا منها قائلاً بصوتٍ مختنق:

هايرجع يا أروى، مش هايبعد عننا!

ثم وضع يده على كتفها ليجذبها نحوه، وضمها إلى صدره قائلاً بنبرةٍ مختنقة  
للغاية:

ابني هيرجع لحضني تانى!

.....

في صباح اليوم التالي،،،

انتظر على أحر من الجمر ذلك الإتصال الهاتفي من ضابط الشرطة الذي

تواصل معه سرًا..

جفاه النوم ليلاً رغم عودته للمنزل في ساعة متأخرة جداً، فلم يعرف بالمشاكل  
الدائرة مع أخيه..

كان الإرهاق واضحاً أسفل جفنيه، وبدأ مشنت التفكير طوال الوقت، كما  
اشتبك مع أغلب العمال بالوكالة على توافه الأمور.

تحاشى معظمهم الحديث معه، وأثروا إرسال رئيس العمال لإبلاغه فقط  
بالحام..

جاء إليه والده متسائلاً يا ستغراب وهو يضرب بعكازه الأرضية:  
-بتخاتق دبان وشك ليه على الصبح؟

رد عليه بتجهم موجز:

ما فيش يا حاج!

أوما بعينيه قائللاً بصوت آمر وهو يجلس خلف مكتبه:  
حطب اقعد كده عاوزين نشوف حل في موضوع أخوك!

عقد مندر ما بين حاجبيه متسائلاً بتعجب:

ليه ماله؟

أجابه والده بغموض:  
-مادرتش بمصيبة طليقته!

تساءل منذر باهتمام كبير وقد ارتسم على تعابير وجهه علامات الإنزعاج:  
هي عملت ايه؟

رمقه والده بنظرات معاتبة وهو يرد قائلاً:  
-مش بأقولك عقلك مش فيك!!

استنكر منذر تعنيف أبيه له، فصاح بنفاذ صبر:  
-ما تقول يا حاج إيه اللي حصل؟

أجابه طه بعبوس:  
-البت اتجوزت وعملت نقل حضانة لأمها وخذت الود وهربوا!

انفج فم مردداً بصدمة وقد ارتفع حاجباه للأعلى:

-ايه!!! وأنا كنت فين من ده كله؟؟

رد عليه والده بامتعاض:

-اسأل نفسك!

أدرك منذر أنه كان مشغول البال بموضوع أسيف، فلم يهتم بما يدور من حوله، وبات منصب التفكير عليها فقط.. فاعتذر لأبيه قائلاً بجدية:

-معلش يا حاج، أنا هاتصرف وهاعرف هي ودته فين، ليا لي سكتي!

تهد طه قائلاً بضيق:

-شوف هاتعمل ايه لأحسن حايش أخوك بالعافية عنها! ده ممكن يرتكب جناية فيها وفي أمها وعيلتها كلها!

تساءل منذر بجدية:

-ودياب فين دلوقتي؟

أجابه بابتسامة ساخرة:

أمك عاملة عليه كماشة في البيت، مش عايزة تسيبه ينزل!

أشار منذر بسبابته قائلاً بحسم:

خلاص يا حاج الموضوع بقى عندي، وانا هاتصرف معاهم، وهاكلم المحامي  
كمان

هز طه رأسه متفهماً:

شوف هاتعمل ايه

حاضر

.....

وقفت مرتبكة أمام مخفر الشرطة مترددة في الدخول إليه، فلم تذهب إليه  
مطلقاً، لكنها كانت مضطرة لهذا.

فركت أصابع كفيها القابضين على حقيبتها بتوتر.

هي قضت ليلتها تفكر في وسيلة للدفاع عن نفسها، فصدى كلمات منذر لم  
يفارق أذنيها..

خافت أن يسلبها مالا تستطيع رده، خاصة أن وضعها المادي بات سيئاً.. هي تكاد تكون شبه مفلسة.

وبعد تفكير مضني هداها عقلها لفعل ذلك..

لم تبلغ عمتهابنيتها في تقديم شكوى واتهام منذر رسمياً بأنه سارق نقودها حتى لا تمنعها عن هذا، وإدعت أنها ذاهبة لترى الدكان في وضحنهار.. أرادت أسيف أن تتبع الإجراءات القانونية كي تحمي نفسها من بطشه إن فكر في التجرو عليها..

استدلت على طريق المخفر من بعض المواطنين، ووصلت إليه بيسر.. ابتلعت ريقها بخوف، واستجمعت شجاعتهالفارة لتتحرك بخطوات متمهلة نحو الداخل..

سألت أول فرد شرطة قابلته بنبرة مرتجفة:

لو.. لو سمحت أنا.. أنا فلوسي اتسرفت و..... وعاوزة أبلغ عن اللي سرقهم!

رد عليها العسكري بجمود وهو يوميء بعينه:

خشي جوا عند الصول نظيم!

هزت رأسها بإيماءة مترددة وهي تتجه إلى حيث أشار.



ازدردت ريقها بتوتر أكبر، واقتربت من حافة المكتب الرخامي المرتفع متسائلة بصوت مرتبك:

-أنا.. أنا عاوزة أعمل محضر في واحد سرقي

رمقها الصول بنظرات مزدرية مرراً عيناه عليها ليتفحص هيئتها بدقة، ثم سألها بنبرة رسمية:

-واتسرقتي فين ان شاء الله؟

أجابته بصوت متوتر وهي ترمش بعينيها:

-في.. في اللوكاندة! كنت أعدة فيها أنا وماما الله يرحمها، وهو جابلي الشنط بس ملاقتش الفلوس فيها و...

قاطعها قائلاً بجدية:

لأ بالراحة كده، ومن الأول!

ثم فرد كفه أمامها متابعًا بصوت أمر:

بس هاتيلي بطاقتك الأول خليني أخذ بياناتك!

حركت رأسها عدة مرات مرددة يامتثال:  
-ماشي..

دست يدها في حقيبتها باحثة عن بطاقة هويتها بها، ثم أعطتها له..  
تناولها منه محققاً فيها للحظة قبل أن يطم فمه هاتفاً:  
-ممم.. اتني مش من هنا بقي؟

هزت رأسها نافية وهي تجيبه:  
-لا!

ظلت أسيف باقية بالخنفر تدلي بأقوالها في شكواها الرسمية معطية الصول  
كافة التفاصيل التي وردت إلى عقلها وأجابت على أغلب تساؤلاته الدقيقة..  
دون هو ما قالته في المحضر، وما إن انتهى حتى هتف قائلاً:  
-امضي هنا!

أمسكت بقلم الحبري، ووقعت بجوار إصبعه، ثم تركته متسائلة بارتباك:

-كده انتو هاتقبضوا عليه؟

ضحك الصول ساخراً:

مش بسرعة كده، احنا هنستدعيه الأول ونحقق معاه ونشوف هايقول ايه!

عضت على شفتها السفلى متممة بخفوت:

طيب

سألها بنبرة جادة وهو يدون بعض العبارات الختامية في تلك الأوراق:

في حاجة تانية عاوزة تكتبها؟

هزت رأسها نافية وهي تقول:

لا

رفع بصره نحوها متابعًا باقتضاب:

ماشي، تقدري تمشي!

ابتسم بتكلف قائلة:

-شكراً يا شاويش!

تناولت هويتها منه، وأعدت وضعها بحقيبتها ثم أسرع في خطاها خارجة منه  
مرددة لنفسها يارتياح قليل:

-كده أحسن، أنا ماضمنش هو ممكن يعمل ايه!

.....

اتسعت حدقتها بشدة بعد احتقانها حينما سمع تلك العبارة التي أجمت ثورة  
غضبه بداخله من محاميه الخاص:

عرفت هي التجوزت مين يا أستاذ دياب!

صرخ فيه بنفاز صبر وقد برزت عروق دماؤه المغلولة:

-انطق مين؟

سمع صوته المرتبك يجيبه بتلعم:

م.. مازن أبو النجا

جحظت عيناه بذهول، وصاح مصدوماً:

-بتقول مين؟

أعاد المحامي على مسامعه اسم الزوج الحالي لطليقته السابقة:

مازن مهدي أبو النجا!

أطلق دياب سبة لاذعة وهو يضرب بقبضته المتكورة بعنف على ضلفة

خزانة ملابسه:

-ابن ال.....!

وواصل سبابه السيء والمهين دون إعطاء أكثر من يمكن أن يسمعه ممن

متواجد معه بالمنزل..

خلعت الضلفة قليلاً على إثر قوة الضربة العنيفة محدثة صوتاً مزعجاً..

توجس المحامي خيفة مما قد يحدث لاحقاً من قبل موكله، لكنه كان مضطراً

لإبلاغه بما عرفه..

وتابع بحذر:

-تم توثيق الجواز رسمي بعد ما كان عرفي!

وكان الصدمات تتوالى على رأسه تبعاً، فصرخ متسائلاً بجنون غير مصدق:  
-ايبيه؟ يعني كانوا متجوزين عرفي الأول؟

أجابه المحامي باختصار:

اه! ده اللي عرفته!

لم يستطع تبين ما يردده موكله بوضوح، ووجد صعوبة في التواصل معه،  
فهتف بقلق:

ألو.. أستاذ دياب؟ انت معايا؟ ألووو!!!

ألقى دياب بالهاتف على الأرضية ليتحطم إلى أجزاء صغيرة، ثم اندفع  
خارج غرفته ووجهه ينذر بكارثة وشيكة..

رأته جليلة على تلك الحالة المخيفة، فإتقبض قلبها بخوف بائن، وأسرعت تلحق به.

اعترضت طريقه واضعة يديها على ذراعيه، ونظرت له بنظرات زائغة ساءلة إياه بتوتر كبير:

رايح فين يا بني؟

أزاح قبضتها عنه هاتفاً بصوت محتد:

اوعى يا أمي من وشي السعادي، بدل ما ارتكب جناية هنا!

قفز قلبها في قدميها، وتسارعت أنفاسها وهي تضيف بخوف:

استنى يا دياب وفهمني بس في....

دفعها بقوة للجانب ليتمكن من المرور مردداً يا احتقان:

حاسبي الله يكرمك!

صرخت فيه متوسلة إياه أن يتراجع عما ينتوي فعله:

دياب، يا دياب!!!

.....

في نفس التوقيت وصلت بسمة إلى مدخل البناية القاطنة بها عائلة حرب..  
فهي أرادت استغلال فرصة عطلتها العرضية للإنتهاء من إعطاء الصغيرين  
درسها الخصوصي..

تأوهت بأنين خافت وهي تحدث نفسها بصوت لاهث:  
آه يا مفاصلي، أنا عارفة مش بيركبوا أسانسير ليه في العمارات دي!

رفعت أنظارها للأعلى لتتابع بتبرم:  
ده الدور هنا بدورين! والبهوات ناقص يسكنوا على السطح!

أكملت صعودها على الدرج وهي تتذمر بكلمات مبهمه، لكنها شهقت مدعورة  
حينما رأت ذلك الطيف المظلم في زاوية الطابق التالي:  
يا ساتر يا رب، مين ده؟



تجمدت في مكانها محاولة تبين هوية ذلك الشخص..  
 لم تتمكن من رؤيته بوضوح، فتحركت بجذر للأعلى، ودقت النظر فيه..  
 كان المتواجد هو شاب مرتدياً ثياباً داكنة، مولياً ظهره، ومن الوهلة الأولى  
 تظن أنه مصاب بشيء ما، فهو غير متزن، ويترنح بجسده بصورة مقلقة..  
 كان يسد عليها الطريق للمرور، فقد كان منحنيماً أمام باب منزله محاولاً فتحه..  
 تنحنحت بخفوت قائلة بنبرة حرجة وهي منخفضة لنظراتها:  
 سكة لو سمحت!

التفت الشاب نحوها، ورمقها بنظرات غير مريحة أزجتها، ثم أردف قائلاً  
 بصوت ثقيل:  
 -الله! مزة!

انتاب جسدها قشعريرة ما من طريقته المريبة، وتراجعت خطوة للخلف  
 مرددة بصوت حاد لكنه مرتعش:  
 -في ايه يا جدع انت ما تقف على بعضك كده وتحاسب!

دنا منها بخطى بطيئة قائلاً بعث:

ماتيحي آ....

حدجته بنظرات حادة وهي تردد بتوجس:

أجي؟!

أجابها بنبرة ماجنة رامقاً جسدها بنظرات شهوانية:

اه تيجي ونجيب مليجي، ده أنا أعجبك أوي!

خفق قلبها بخوف، ووضعت يدها على فمها مصدومة من عبارته الجريئة فقد  
فهمت مقصده القذر.. خاصة أن نظراته كانت توحى بالكثير..

صاحت فيه بصوت متشنج وهي تهدده بيدها:

يا لهوي، انت بتقول ايه؟

تههد الشاب متابعًا بعثت أخطر:

أنا بأحبك!

بدا وكأن لعابه المقزز يسيل من فمه وهو يشير لها بعينيه بنظرات وضيفة  
للغاية..

تيقنت بسمة أن ذلك الشاب تحت تأثير مخدر ما، فهو ليس في وعيه،  
وتصرفاته مريبة للغاية، بل منذرة بالأسوأ..

حدجته بنظرات إحتقارية، وتراجعت مبتعدة أكثر وهي تهتف مصدومة:  
يخربيتك، ده انت شارب!

فتح الشاب ذراعيه قائلاً:

تعالى فى حضىنى يا مزة

لم تجادله كثيراً، بل حسمت أمرها، وأولته ظهرها محاولة الفرار منه بعد أن  
أدركت حجم الخطر المحدق بها.

باغتتها هو بالهجوم عليها من الخلف، فانتفضت فزعاً، وألقت عفويًا متعلقاتها  
الشخصية على الأرضية..

تمكن الشاب من محاصرتها فى ركن الطابق، وأحاطها بذراعيه، ثم كبل رسخيها  
بقوته المستمدة من تأثير المخدر.. ومال عليها برأسه محاولاً تقبيلها عنوة..

تلوت بجسدها محاولة تخليص نفسها من براثن ذئب بشري صارخة بأعلى نبرتها  
مستغيثة بهلع كبير:

الحقووني.....!!!!

.....

### الفصل الحادي والثلاثون:

خرجت من المخفر وهي تسير بغير هدى محاولة التفكير في طريقة تفتح بها قفل الدكان الصدأ، خاصة أن ما معها من أموال لا يكفي بالكاد إلا أجرة حرفي صغير.

هداها عقلها إلى سؤال أحد المارة عن ورشة قريبة للنجارة حتى تستعين بأحد الصبيان العاملين بها لإتمام تلك المهمة بما معها من أموال..  
تلقت حولها متأملة أوجه الناس بشرود.

ترددت في فعل هذا، فقد كان العبوس واضحاً على أغلبهم.  
تهدت بحيرة، وحركت أنظارها في الإتجاه الآخر، وقعت عينها على أحد كبار السن الجالسين أمام محل بقالته، فعقدت العزم على سؤاله هو.

اتجهت نحوه، وسألته بارتباك يشوب نبرتها:

سلامو عليكم يا حاج، متعرفش محل نجار قريب من هنا

تفرس الرجل في وجهها بنظرات دقيقة، ثم أجابها بصوت متحشرح من أثر  
التدخين وهو يشير بيده:

-وعليكم السلام، في بعد شارعين ورشة الحاج زقزوق!

نظرت إلى حيث أشار، وردت عليه ممتنة:

شكراً يا حاج!

أسرعت في خطاها وهي متحمسة لإنجاز ذلك الأمر.

.....

ركضت مهرولة إلى داخل غرفة نومها باحثة عن هاتفها المحمول لتتصل بزوجها  
فتخبره بتلك الكارثة الوشيكة.

كانت كالمغبية وهي تحاول تذكر أين أسندته.

صاحت لنفسها بقلق كبير وهي تزيل الوسادة لتنظر خلفها:

-راح فين الزفت ده؟ ما أنا بأسيبه هنا على طول!

لم يخطر ببالها أن صغيرتها قد أخذته - دون علمها - من غرفتها لتلهو بأحد الألعاب المحفوظة عليه في شرفة حجرتها الخاصة.

جلست أروى بإسترخاء على المقعد، وقامت بتشغيل تلك اللعبة قائلة بحماس:  
-أما أقفل الليفل ده كمان وأخذ الجائزة!

.....

كم فمها بقبضته محاولاً منعها من الصراخ ولفت الأنظار إليه. فقد أراد أن يتلذذ بإختطاف لمسات محرمة منها - رغمًا عنها - قبل أن يكشف أمره.

اتسعت حدقتي بسمة بفرع كبير حينما أدركت حجم الخطر الوشيك المحاوط بها. استجمعت كل قوتها لدفعه والنجاة بنفسها من براثن ذلك الشاب الوضع، لكنه كانت تحت تأثير المخدر، فبات أكثر إندفاعاً وقوة وشهوانية حيوانية. وأثناء مقاومتها له مزق جزءاً من ثيابها، فاستمتع أكثر بما يفعله. حالة من الهياج والعصبية سيطرت عليها، فلن تكون فريسة سهلة المنال لذلك المغيب عن الوعي.

استخدمت أظافرها في خدشه، ودفعه عنها، لكنه كان يثبط محاولاتها على الدوام.

نزع عنها حجاب رأسها كاشفاً عن شعرها، فزاد هلعها منه.  
لم تتمكن إلا من الصراخ بصوت مكتوم

انتبهت والدة ذلك الشاب الغير مدرك لأفعاله العابثة لصوت صراخ يأتي من الخارج، فأنهت صلاتها على الفور، ونهضت بجسدها المترهل عن مصليتها لتتجه نحو الباب.

فتحتة على مصرعيه لتتفاجيء بذلك المشهد المخزي.  
شهقت مفزوعة لاطمة على صدرها، ومرددة بصدمة:  
يا نصيبي، بتعمل ايه موكوس!

لم يعبأ الشاب بتعنيف والدته وظهورها أمامه، فقد كان في حالة منتشية للغاية بفعل المخدر الذي تعاطاه وجعله يبلغ ذروة مجونه العابث.

نظرت بسمة لأمه محاولة استجدائها لإيقاظها توأ منه، لكنها كانت كمن ضربت رأسه بصاعقة مباغتة، فتحولت نظراتها للإستنكار والذهول حينما سمعتها تقول:

ناوي تفضحنا في العجارة، اوعى كده خليني أتصرف! هو أنا ناقصة جرس!

رد عليها ابنها بنبرة ثقيلة:

مش قادر!

كزت الأم على أسنانها قائلة بحنق:

داهية تاخذك، حاسب كده!

وبصعوبة بالغة تمكنت من ابعاد جسده نسيبًا عن بسمة لتمكن هي من الإمسك به التي تجمدت أنظارها عليها.

صاحت الأم في ابنها موجحة إياه:

ابعد شوية، مش عارفة أمسكها عدل!

نظر لها الشاب بتأفف مرددًا بنبرة غير واضحة:

أنا عاوزها الأول، جرى...

قاطعته الأم قائلة ياشمزاز بارز على محياها:



جتك نيلة، مش هنا يا مفضوح! ابعدي انت وسيني أشوف شغلي!

استنكر الشاب إصرار والدته على إفساد مخططه قائلاً بترخ:

-كده بردك يامه

خبت قوة بسمة نسيبًا من هول المفاجأة، لقد فهمت مقصد تلك السيدة، هي تريد إدارة الدفة نحوها، وتحويل المسألة إلى كونها أمسكت بفتاة ساقطة تعبت مع ابنها في منزله بدون علم أهله.

شهقت بصراخ مكتوم عندما وجدتها تغرز أصابعها في فروة رأسها لتهزها بعنف منها وهي تقول بصوت هادر:

-تعالوا يا ناس اتفرجوا!

تأوهت بأنين أكبر وهي تقاوم اعتداء الاثنين عليها خاصة ذلك القدر الذي يحاول تلمس جسدها.

أكملت الأم إدعاءاتها الباطلة مرددة:

مش عيب عليك يا بنت ال.... تيجي بيوت الناس المحترمة! اللي زيك مالهومش غير ضرب الجزم!

ثم انحنت لتنزح حذاءها عن قدمها لتتهال به على أجزاء متفرقة من جسدها.

في نفس اللحظة انتبه ثلاثتهم لصوت صفق باب ما بقوة، فواصلت الأم صراخها الحاد حتى لا تثير الشبهات حول ابنها الماجن:  
-انتي مالكيش أهل، ولا زابط ولا رابط يربوكي، أنا هوديكي القسم يلموكي يا لمامة يا.....

نزل دياب عن الدرج وهو في أوج قمة غضبه مستمعاً بغير اهتمام لصوت الأم الهادر.

ضاقت نظراته على ثلاثتهم وهو يدنو منهم، لكن سريعاً ما اتسعت مقلتها بصدمة كبيرة حينما رأى بسمة محاصرة بين ذلك الشاب اللاهي وأمه السليطة تتعرض للضرب المبرح منهما.

على الجانب الآخر بكت بسمة بقهر حينما رآته أمامها. لم تكن تتخيل نفسها أبداً في موقف مهين كهذا..

هي دوماً في موقف القوة والدفاع عن النفس، لا تقبل أن يمسه أي شخص، واليوم هي ذليلة، محط إتهام زائف، ولكنه ليس كأبي اتهام..

إنه متعلق بالشرف والسمعة.

شيئان إن خسرتهما أي فتاة فمن الصعب أن تستعيدهما مجدداً..  
شعرت بالإنكسار والحزني، بمهانة من الصعب محوها من الذاكرة.

صاح بهما دياب بعنف:

-انتو بتعملوا ايه؟

تراجع الشاب مبتعداً عنها خطوة محاولاً استيعاب الموقف، بينما انتفضت الأم  
على صوته الهادر قائلة بتلعثم:  
أنا مسكت البت دي وهي بتلاغي ابني و....

اصطبغت عيناه بحمرة شديدة، وقاطعها قائلاً بشراسة وهو يقترب منهما:  
-خرسي! ولا كلمة!

نزع دياب يدها عن بسمة فتاجيء بها ممزقة الثياب، فزادت شراسته أضعافاً  
مضاعفة.

همست هي له بصوت مختنق مقهور ومتقطع ناظرة نحوه بنظرات مشوشة  
مستعطفة إياه أن يصدقها:

-أنا معملتش حاجة! أنا.. كنت.. جيا لكم!

شعر دياب بوخز كبير في صدره حينما رآها تحاول تغطية جسدها المنكشف  
بيديها المرتعشتين.

وبلا تفكير مد ذراعه نحوها ليسحبها إليه صارخاً فيها بصوت آمر:  
-اطلعي فوق!

أدركت الأم أنها وقعت في مأزق كبير حينما ادعت بالكذب على تلك الشابة  
ذات الصلة بدياب حرب.

شل تفكيرها تماماً، ولم تجد ما تبرر به موقفها فقد ألجمتها المفاجأة وعقدت  
لسانها.

ابتلعت ريقها بتوجس خطير، وبدا وجهها شاحباً للغاية...

شعر دياب برجفة جسد بسمة وهو يدفعها نحو الدرج..

نظرت هي مباشرة في عينيه قائلة بصوتها المنتحب وهي تحاول استجماع ما  
حدث وسرده يايجاز:  
هما.. هو... مسكني و.. وأنا كنت بأدافع عن نفسي، بس هي ضربتني وقالت  
عني...

قاطعها قائلاً بصوت أمر ومخيف وقد بلغ القمة في بركان غضبه الهائج:  
قولتلك اطلعي فوق!

دفعها بعنف متابعا بغلظة:  
ياالا!

اعتقدت أنه لم يصدقها، وأنه أساء الظن بها، فخرجت ساقها المنهاتين نحو  
الدرج.

أمسكت بقبضتها المرتعشة بالدرابزون، وغطت بالأخرى جسدها المنكشف  
من أسفل ثيابها الممزقة، وأكملت قائلة بنشيج:  
أنا معملتش حاجة!

استشاطت نظراته أكثر، هو في حالة غير طبيعية الآن، وما يحدث حوله  
يأجج من نيرانه المستعرة ويزيدها حدة.

سمع هو صوتاً يأتيه من خلفه قائلاً بثقل:  
أنا مخلصتش....

التفت دياب نحوه ليحده بنظرات مميتة قبل أن يمسك به من تلايبه ليقول  
بعنف:

-تشاهد على روحك!

لم ينتظر لأكثر من ثانية فقد انقض عليه، وأفرغ فيه شحنة غضبه الفائرة بلا أي  
رحمة.

كال له في وجهه اللكمات القوية الموجهة، وسدد الضربات العنيفة في كل جزء  
من جسده الذي تهاوى في لحظات على الأرضية الصلبة.

صرخت الأم بشهقة كبيرة وهي تستجديه بهلع:

-ارحمه يا سي دياب! ابني معملش حاجة!

رد عليها بصياح محتد وهو يركله بشراسة:  
هو أنا مش عارفه النجس ده!

واصل ضربه بعنف أكبر وأشد حتى نرف الأخير الدماء بغزارة من أجزاء  
متفرقة من جسده.

ومع ذلك لم يهدأ غضبه، وأصر على الفتك به.

تجمع الجيران على إثر الضرب والصراخ، ولم يتدخل أحد في المشاجرة. اكتفوا  
بالمتابعة والتهامس فيما بينهم.

أزاحم دياب من طريقه بسحبه لذلك الشاب العابث من عنقه خائفاً إياه  
بشراسة، ثم ألقاه بعنف عن الدرج لتتحطم ضلوع صدره من إثر السقطة  
القوية.

تعالت الصيحات المشدوهة، وتجمعوا خلفه محولين رؤية ما سيحدث بعد  
ذلك..

لم يتركه دياب، بل واصل تكرار قذفه له عن الدرج بأكمله حتى وصل به  
للطابق الأرضي فصاح بهياج في حارس البناية الذي هب واقفاً من نومته  
المريحة على المقعد الخارجي:

هاتلي حبل ويطرط به الكلب ده على باب العمارة!

رد عليه الحارس يا نصياع تام:

-أوامر يا سي دياب!

لحقت به الأم بأكية بجرقة على ابنها الذي يسحل ويهان قائلة بتوسل:

-سأحبه يا سي دياب هو مش في وعيه!

نظر إليها بقسوة، ثم رد عليها من بين شفثيه بصوت متشنج:

-ده حظه الاسود انه مش في وعيه، أنا بقى هافوقهولك!

لطمت الأم على صدغها بهلع قائلة:

-يا لهوي يا ناس، يا نصيبي، ابني راح فيها خلاص!

أمسك حارس البناية بالشاب المتهاك من إثر الضرب، وقام بتقييده إلى باب

البناية بمعاونة اثنين من أولاده الصغار.



صعد دياب إلى الأعلى ليحضر عكاز أبيه الآخر ليجلده به، فحينما يرتبط الأمر بالتناول على أنثى بالإكراه وجبراً، يكن العقاب أشد ضراوة وعنفاً..

.....

وصلت إلى ورشة النجارة التي استدلت عليها. تهتت بصوت لاهث وهي تقرأ اسمها بصوت خفيض:

الحاج زقروق لأعمال النجارة!

عضت على شفها السفلى مبتسمة بابتسامة خفيفة، ثم حركت بخطوات متمهلة نحوها.

ولجت للداخل باحثة بعينها عن تحدته، جاءها صوت من الخلف يسألها:  
عاوزة حاجة يا ست؟

التفتت نحو صاحب الصوت الذكوري لتجد رجلاً كبيراً يطالعها بنظرات عادية، فردت عليه بتلعثم:

-أنا.. انا كنت.. قصدي باب الدكان بتاعي مش بيفتح، و... يعني القفل بايظ  
و...

هز رأسه بإيماءة جادة:

-أها فهمتك

تابعت أسيف حديثها بمرح:

-فيغني لو ينفع حد يفتحولي، هو قريب من هنا على فكرة، بس ممكن تقولي  
هاتكلف كام الحكاية دي؟

رد عليها الحاج زقزوق قائلاً:

-خليها علينا خالص!

توردت وجنتيها نجلأ من مجاملته، وأكملت بجياء قليل:

-شكراً، أنا بس مش معايا إلا دول

نظر إلى النقود التي بجوزتها، ومط فمه ليقول:

-مممم.. مش مشكلة، دول يكفوا وزيادة!

ثم استدار برأسه للجانب ليصيح عاليًا:

-واد يا حسن

حضر إليه أحد الصبيان هاتفًا:

-نعم يا حاج!

رد عليه الحاج زقزوق بصوت أمر:

-روح مع الأستاذة وشوف طلباتها ايه

-ماشى!

.....

هاتوا العصيان والجنازير والشوم وحصلوني!

صاح منذر بتلك العبارة بصوته الجهوري في عمال الوكالة لينفذوا سريعًا

و بدون نقاش أمره الصارم.

فقبلها بلحظات تلتقى أباه اتصالاً هاتفياً من المحامي الخاص بالعائلة يبلغه فيه  
بمعرفة دياب لهوية زوج طليقته السابقة.  
وما إن عرف الأخير بأنه مازن أبو النجا حتى أدرك تبعات الموقف الخطير.

أخبر ابنه بالأمر، فانتفض منذر من مقعده ساجباً إحدى العصي الغليظة من  
خلف مكتبه، وجمع رجاله حوله ليتجهوا جميعاً نحو المطعم ..

أشار هو لعدد من رجاله الأشداء بإصبعه مردداً بصرامة:  
تأخذوا الجبان ده على الخازن بتاعتنا! سامعين!

رد عليه أحدهم بجدية:

ماشى يا ريس

.....

ركض أحد العاملين بالمطعم لداخل مكتب الحاج مهدي قائلاً بنبرة مرتجفة بعد  
أن رأى ذلك التجمع المقلق لابن عائلة حرب يقترب منهم ووجوههم تنبئ  
بخطر جسيم:

-الحق يا حاج، الريس مندر وأبوه الحاج طه جاين بالرجالة علينا، شكلمهم  
ناويين على مضاربة!

هب مهدي مفزوعاً من مكانه، وهتف بخوف:  
يا ساتر يا رب، طب لم الرجالة بتوعنا بسرعة

رد عليه العامل بنبرة مرتبكة:  
معظمهم مش موجودين يا حاج!

وضع مهدي يده على رأسه هاتقاً بخوف:  
-كمان! يادي الحظ!

انتفض مازن هو الآخر من مكانه قائلاً بتوجس:  
-الظاهر إنهم عرفوا!

رمقه مهدي بنظرات مزدرية هاتقاً بقلق كبير:  
-الظاهر! ده اكيد يا فلحوس، أومال جاين هنا ليه!؟

اضطربت أنفاسه وهو يتابع متوجسًا:  
-ربنا يعديها على خير، الخراب جاي على ايدك!

حاول مازن أن يبدو صلباً أمام أبيه، فأردف قائلاً بجمود زائف:  
-متقلقش يا حاج، أنا أدها وإدود!

نظر له مهدي شزرًا وهو يرد بسخط متهم:  
يا اخي اتلهي على عينك!

استمع الاثنان لصوت منذر الصائح بقوة تهتز لها الأركان من الخارج:  
-اطلعي برا يا ابن أبو النجا بدل ما أدخل أجيبك من جوا!

هربت الدماء من وجه الحاج مهدي خوفاً على حياة ابنه، فهو يعرف أن في  
تلك المشاجرات العصبية تحدث خسائر فادحة.

تمت بصعوبة وهو يدفع ابنه للخلف:

خليك هنا لحد ما أشوف في ايه

رد عليه مازن بحنق:

-أنا مش هاستخبي زي النسوان يا أبا، أنا طالعله!

حذره أباه قائلاً بتخوف:

-انت مش اده يا بني!

اغتاظ مازن من استخفاف أبيه بقدراته، فرد عليه بحدة:

-لأ أده وأد عشرة من عينته!

تابع مهدي قائلاً بتهكم:

-بلاش تاخذك الجلالة أوي، ده كف واحد منه يكومك!

ضاقت نظراته وأصبحت أكثر قسوة وهو يقول بتواعد:

-انت ليه بتستقلني، طب وربنا ما هاسيبه إلا وأنا جايب كرشه!

ثم اندفع بغضب إلى الخارج دافعاً بقبضته المتكورة الباب بعنف.  
 صدم حيناً رأى أغلب العاملين بمطعمه مقيدين وجائين على ركبهم في وضع  
 مذل على أرضية الإسفلت أمام مطعمه.  
 كز على أسنانه بقوة، ثم وقف شامخاً بجسده أمام منذر، ورمقه بنظرات  
 حادة، مردداً بشراسة قوية:  
 عاوز ايه يا منذر؟

رد عليه منذر بصوت قاتم:  
 المرة اللي فاتت لما غلطتوا وخذتوا بنتنا عدينها بمزاجنا، المرادي بقى فيها  
 رقابتكم كلكم!

لحق مهدي يابنه، ووقف أمامه بجسده محاولاً تشكيل حاجزاً بينهما وهو يهتف  
 بتوجس:

صلوا على النبي يا رجاله!

لم يلتفت نحوه منذر، بل تحرك للجانب قليلاً قائلاً بعدم أكثرث به:



متدخلش يا حاج مهدي، كلامي مع ابنك النتن ده!

هدر فيه مازن بنبرة مستشاشة بعد أن سمع سبابه بأذنه:  
مين اللي آ.....

استدار أباه للخلف واضعاً يده على فمه كمماً إياه قبل أن ينطق صائحاً بجدة:  
-خرس وارجع لورا!!

عاود النظر إلى مندر ليضيف برجاء ملحوظ:

معلش يا مندر اسمعني أنا، وأنا هانفذك اللي عاوزه على طول!

رفع مندر ذراعه عالياً، وأشار بكفه لرجاله المرابطين بالخلف ليأمرهم بقسوة:  
-كتفولي البأف ده وخدوه على الوكالة لحد ما أجيله!

شخصت أبصار كلاً من مهدي وابنه، وقبل أن يتحرك أحدهما خطوة ما،  
كان رجال مندر قد انقضوا على الأخير، وقيدوا حركته تماماً.

بالطبع لم يكن ليأخذوه إلى هناك، ولكنها كلمة متفق عليها ليخدعوا بها الجميع  
فإن تجراً أحدهم وأبلغ عنهم رجال الشرطة، وأتوا إليهم فلن يحدوه بها..

صاح فيهم مازن بمقاومة كبيرة:

حاسب اتو وهو!

لف أحدهم حول فمه قطعة قماش قديمة ليكتم بها فمه مانعاً إياه من الصراخ أو  
الاستغاثة، وأكمل باقي الرجال جره بعيداً عن أبيه الذي كان عاجزاً عن  
التصرف وإيقاده.

توسل لمنذر قائلاً برجاء أكبر:

بالراحة يا بني بس واهدى وأنا آ....

قاطع منذر بصوت أكثر قسوة وهو يشير بسبابته:

اتو لتاني مرة تغلطوا معنا!

مسح مهدي على صدره مردداً بخنوع:

حقك عليا أنا!

رمق منذر الأخير بنظرات خالية من أي إشفاق أو تأثر، وأردف قائلاً بجمود:  
-بص يا حاج مهدي، إحنا مش بنمانع في حلال ربنا، طالما الموضوع في النور،  
وقدام الناس دي كلها،

ثم قست نبرته وهو يضيف بإهانة:  
-ابنك ال..... ده اتجوز طليقة أخويا، وقولنا ماله مش عيب، يشبعوا بعض،  
ولا تفرق معنا!

شعر الحاج مهدي بقلة الحيلة، وبدا في موقف صعب وهو يحاول إصلاح  
الأمور التي أفسدها ابنه.

فتح فمه لينطق لكن منعه منذر عن التفوه بحرف وهو يتابع بتهديد:  
-بس تاخدوا ابنا يحيي وتخطفوه مننا، كده انتو جبتوا الناهية معنا!

هتف مهدي مستنكراً:

محدث جه جمبه يا منذر!

رد عليه الأخير بغلظة وقد ثارت دماؤه:  
-انت هاتستعبط يا حاج؟

ضغط مهدي على شفثيه متمماً بضيق:  
-الله يسامحك، مقبولة منك! أنا قصدي ابنكم عندكم!

صاح به منذر هادراً:  
-محصلش، فين يجي؟

ارتجف جسد مهدي من نبرته العنيفة، وأجابه بتردد:  
-هو.. هو مش مع أمه

رد عليه منذر بشراسة وقد ضاقت نظراته:  
-ابنك عارف فين يجي، تجيبوه هنرجعلك المحروس، عدى النهار ومجاش، ييتقى  
-مايغلاش على اللي خلقه!

فغر مهدي شفثيه مصدومًا من تهديده الصريح قائلاً:

-بيبيه!

تابع منذر حديثه العدائي:

مات الكلام يا حاج!

أولاه ظهره، وأشار لعماله بيده مرددًا بصوت أمر

-يالاي يا رجالة!

ظل الحاج مهدي متسمرًا في مكانه مرددًا بحسرة:

منك لله يا مازن، خربتها وأعدت على تلها!

ضرب كفًا بالأخر متابعًا بحنق كبير:

-أكد أمها الشردي ورا البلوى اللي حصلت!

.....

سارت أسيف بجوار الصبي حسن الذي استأجرته من ورشة النجارة في  
اتجاه دكانها، ثم التفت نحوه قائلة بمرح قليل:  
معلش هاتبعك

رد عليها حسن بنبرة عادية وهو يهز كتفيه:  
-ولا يهملك، دي حاجة بسيطة بنعملها كل يوم!

اكتفت بالإبتسام، وواصلت السير لكن لفت أنظارها ذلك الرجل المقيد الذي  
يقتاده آخرين بطريقة مهينة متعمدين إذلاله والتحقير من شأنه....  
تساءلت عفويًا بنبرة مزعوجة مما يحدث:  
هو في ايه؟ ومين دول؟

نظر الصبي إلى حيث هي محدقة، وأجابها بحماس مفاجيء:  
أوبا، ده ابن الحاج مهدي مجرور زي الشوال، شكله وقع مع الريس مندر

خفق قلبها بتوتر كبير، وتحفزت حواسها بالكامل بعد سماعها لإسمه..  
تساءلت بنبرة مضطربة وهي تحاول ضبط انفعالها:

هو.. هو انت تعرفه؟

رد عليها حسن بثقة:

مين ميعرفش الريس مندر حرب، دول رجالته، وهما لما بيمسكوا حد بالشكل  
ده يبقى عمل جناية، وهاتعلق وش!

ارتفع حاجباها بخوف، وهتفت بتوجس:  
طب ما تبلغوا البوليس، انتو هاتسيوه كده

رد عليها الصبي حسن غير مهتم:  
مالناش فيه، دي أمور الكبار!

بدت أكثر إنزعاجاً وتخوفاً عن ذي قبل بسبب تخيلها لبطش مندر وما يمكن  
أن يفعله معها إن علم بتحريرها لمخضر سرقة وإتهامه شخصياً.  
ندمت نوعاً ما على تهورها، وأحست أنها تسرعت في تلك الخطوة. ابتلعت  
ريقها بقلق، وأكملت سيرها بشرود مذعور.

.....

صعد دياب على الدرج بخطوات قافزة ليصل إلى طابقه، لكن قبل أن يبلغ وجهته تسمرت في مكانه حينما رأى بسمه متكورة على نفسها في الجانب وفاقدة لوعيمها.

أسرع نحوها، وجثى على ركبته أمامها، ثم مد ذراعه نحوها ليرفع رأسها عن الدرج وهو يهتف بصوت لاهث شبه خائف:  
-بسمه! فوق!

كانت غير مدركة لما يحدث حولها، فقد تهاوت قدمها، وانهارت مصدومة وهي معتقدة أنها باتت مذنبه في نظر الجميع.  
ضرب هو برفق على وجتها محاولاً إفاقتها قائلاً بتوجس:  
-ردي عليا يا بسمه، إنتي سمعاني!

لم تصدر عنها أي إشارة حيوية سوى فقط بقايا عبراتها المبللة لوجنتيها.  
أسند رأسها على صدره، وقام بحملها بين ذراعيه، ثم اعتدل في وقفته، واتجه بها نحو باب منزله ليدهقه بعنف.



نظر إليها دياب يانزعاج كبير، اعتقد في نفسه أنه إشفاقاً على وضعها، لكنه يتخطى هذا الأمر بمراحل أكبر.

بدا وجهه متشنجاً، وعضلاته مشدودة للغاية خاصة حينما وقعت أنظاره على ثيابها الممزقة، وتلك الخدوش والسجحات البارزة في جسدها. أبعد عيناه بصعوبة عنها، وكز على أسنانه بقوة محاولاً تهدئة نوبته الغاضبة قليلاً.

هو متأكد من براءتها، وأنها لم ولن ترتكب أبداً مثل تلك الأفعال، وعلى يقين تام من بطلان إدعاء الأم.

فتحت جليلة الباب ناظرة إليه بذهول، أخفضت بصرها نحو تلك التي يحملها، وشهقت متسائلة بخوف:  
- انت عملت ايه؟

أمعنت النظر جيداً فيها، فعرفت هويتها فوراً، ثم هتفت بنزق وهي تلطم على صدرها:

-بسمة! لأحسن تكون ضربتها هي بدل اللي ما تتسمى!

نظر لها مغتاضاً من ردودها الساذجة، وهتف بنفاذ صبر:

وسعي يامه شوية، مش وقت سين وجيم!

تنحت جانباً، وأفسحت له المجال للمرور وهي تردد من خلفه:  
-لا حول ولا قوة إلا بالله!

وضعها دياب على أقرب أريكة، فوقفت والدته جواره ممررة أنظارها على  
جسدها، شهقت مذعورة:  
يا كبدي ياني، دي متهدلة خالص!

وكانها بكلماتها العفوية تزيد من لهيب غضبه الفائز.  
رفع رأسه نحوها، وهتف بصوت متشنج:  
خليني أنزل أخلص على النصيبة المتسابة تحت!

فغرت فمها متسائلة بتخوف:

خصيبة ايه تاني! هي عين وصابتنا!

حاولت اللحاق بابنها، وأمسكت به من ذراعه متسائلة:

طب قولي حصلها ايه؟

أزاح قبضتها عنه هاتفاً بجدة:

مش وقته، شوفلها بس حاجة من عندك تسترها، وكلمي الدكتور ييجي  
يكشف عليها!

أحت جليلة بفضول عليه:

طب فهمني الأول

هتف فيها بصوته المحتد:

أنا جبت جاز يا أمي، فسيني أولع في اللي تحت!

هتف بجملته، وتحرك خارج المنزل ليفتك بذبيحته الموثوقة بالأسفل.

فركت جليلة طرف ذقنها مرددة بحيرة:

استر يا رب من اللي جاي، احنا هنلاحق على ايه ولا

ايه.....!!!!!!

### الفصل الثاني والثلاثون:

ضاقت نظراته للغاية، وتجهمت تعابير وجهه وهو يصغي بامتعاض لتذمرها على طلبه، لكن نفذ صبره، وفقد قدرته على التحكم في أعصابه، فهدر بها صارخاً بصوت منفعل:

رجعي الواد يا شادية أحسنك

أصرت على عنادها قائلة:

حاج مهدي، ده حفيدي ومن حقي.....

قاطعها قائلاً بصوته المتشنج مهدداً:

-وابني اللي هايروحها فيها بسبب عمالك اتي وبنتك، يا الواد يرجع، يا  
الحساب ها يكون معايا أنا!!

ردت عليه بضيق مصطنع:

-انتو عاوزين تحرموا أم من ابنها، ده يرضي مين؟

هتف صائحاً بجدة وقد زاد عبوس وجهه:

-الكلام ده ما يخلش عليا، انا فاهم كويس إنك لا بتاعة حنية ولا مطبطة، إنتي  
بتدوري على مصلحتك وبس، فمن الآخر كده الواد ابن دياب يرجع خرينا  
نفض الليلة دي!

تمت بكلمات خفيضة غير مبهمة لم يعرها أي اهتمام وأنهى المكالمة معها دون  
إنذار مردداً لنفسه:

-ولية ترفع الضغط!!!

.....

كان في طريقه إلى وكالته حينما لمحا تسير بجوار أحد صبيان الحاج زقزوق  
النجار على الناصية الأخرى.

دقق النظر نحوها معتقداً أنه سيحظى بالتفاته منها، لكن لم يحدث هذا.  
ظل منذر يراقبها بعينين حادتين حتى وقفت عند عتبة دكان جدها الراحل،  
فأشاح بوجهه بعيداً وأكمل سيره المتعصب..

ارتجف جسدها حينما رآته على حين غرة، فتعمدت ألا تنظر نحوه مطلقاً،  
وحافظت على ثبات خطواتها وهي تحدث الصبي حسن بصوت مرتبك:  
-أنا مش هأخرك!

رد عليها حسن بثقة وهو يشير موضحاً بيده:

دي حاجة بسيطة، أنا هاغيرلك الطلبة وأعملك واحدة جديدة، ولو عاوزة  
تزودي اقبال بعد كده أنا موجود!

حركت رأسها بإيماءة موافقة وهي تردد:

ماشى!

ثم توقفت أمام عتبة الدكان ليبدأ الصبي في عمله الذي يجيده منذ نعومة أظفاره..

.....

نزل الدرج راضياً ليواصل تهذيبه الوحشي لذلك الشاب المغيّب عن عقله بعد تعديه الجريء والووق عليها.

أوقفه في الطابق الأول رنين هاتفه، فأخرجه من جيبه ليحيب على اتصال أخيه قائلاً بنبرة ضائقة:

-ايوه يا مندر

رد عليه الأخير قائلاً بهدوء:

يجي هايكون عندك على العشا بالكثير

سأله دياب باهتمام كبير:

انت متأكد، ولا....!!؟

قاطع مندر بصوت جاد:

مندر مش بيقول حاجة إلا لما يكون واثق منها

عقد دياب ما بين حاجبيه لتضييق نظراته وتقسو نبرته وهو يتساءل:

-والكلب مازن؟

رد عليه أخاه قائلاً بغموض:

خد اللي فيه النصيب

التوى ثغر دياب هاتفاً بتفاخر:

-ربنا يخليك ليا يا أخويا

تابع مندر محذراً:

عاوزك تهدي ومتعملش حاجة، وسيني أتصرف!



رد دياب بابتسامة واضحة:  
 ماشي، وأنا ورايا حاجة كده بأخلصها!  
 طيب، سلام

أنهى معه المكالمة محدثاً نفسه بنبرة متباهية:  
 براوة عليك يا منذر، أدها وأدود!

ثم واصل نزوله حتى بلغ مدخل البناية، فاتجه للخارج.  
 رآته والده الشاب فركضت نحوه، ثم توسلته أن يتركه قائلة بيبكاء حارق:  
 مكانش يقصد، هو آآ. غلط، بس ارحمه، هايوت في ايدك!

نظر لها دياب شزراً، ثم رد قائلاً بإشتمزاز:  
 كله إلا الشرف يا حاجة، وبدل ما تسترجيني أرحم ابنك كنتي ربيه من  
 الأول!

انحنت لتخطف كف يده لتقبله قائلة يانكسار:

أبوس ايدك

سحب يده سريعًا مستنكرًا فعلتها تلك وهو يقول بحدة:

حاسبي!

تحرك دياب عدة خطوات حتى بات في مواجهة الشاب الموثوق في باب  
البناية..

كانت رأسه تتدلى للأسفل بعد تلقيه لتلك الضربات القاسية.

جذبه دياب من شعره للأعلى ليحدق فيه بنظرات أكثر شراسة، ثم بصق في  
وجهه هاتفًا:

جالك اللي يعلمك الأدب يا حيلة أمك!

ثم صفعه بقوة في صدغه ليزداد نزيغ خيط الدماء من بين شفثيه.

شهقت والدته بصراخ مرتعد متوسلة:

يا ناس حشوه، الواد هايروح فيها!

رد عليها أحد الجيران المتابعين للموقف منذ بدايته:

خليه يتأدب، واد عديم الرباية والأخلاق!

بينما أضاف آخر بنبرة متشفية:

-بنات الناس مش لعبة!

رأت الأم في تصرفاتهم الغير مبالية ونظراتهم الشامتة ما أثار غضبها، فصاحت

مستنكرة وهي تلطم بكفي يدها وجهها:

يا لهوي، حرام والله اللي بيحصل ده!

تابع دياب تلقينه الشاب ذلك الدرس القاسي على طريقه، وأكمل بحزن

زائف:

حظك نسيت عكاز الحاج!

ثم وضع يده على حزامه الجلدي الأسود ليسحبه من بنطاله قائلاً بنبرة

متسلية:

بس نصيبك تضرب بده!

رفعت الأم يديها على رأسها صارخة بفرح:  
يا لهوي!

لف دياب حزامه الجلدي حول معصمه، وأحكم وثاقه، ثم تراجع للخلف  
رامقاً الشاب بنظرات نارية متوعدة رافعاً إياه عاليًا في الهواء ل يبدو كالسياط..

اتسعت حدقتي الشاب الحراوتين بخوف كبير، وبدأ كمن بال على نفسه من  
فرط الرعب..

وفجأة صرخ متألمًا من ضربته القوية حينما هوى به على جسده:  
-أه، أسف.. مش ها يحصل ثاني!

أعاد دياب جلده به مرة أخرى مرددًا بصوت شرس دون أن تهتز له عضلة  
واحدة من وجهه المرتخي:

مش سامعك كويس!

صرخ الشاب متوسلاً العفو:

آآآه، توبت يا سي دياب!

تقوس فم الأخير للحظة بابتسامة راضية، ثم جمد تعابير وجهه، وأضاف بعبوس زائف:

-للا، لازم تكون التوبة نصوحة!

هز الشاب رأسه بإيماءات متتالية عدة مرات هاتفاً ب بكاء:  
حاضر هاتكون نصوحة وربنا، بس هي.... البت....

وكأنه أخطأ حينما فكر في لفظ شيء يخصها، وما زاد الطين بلة أنه يكذب عن قصد، فصار دياب أكثر وحشية، وواصل جلده بعنف في أنحاء متفرقة من جسده متعمداً إذلاله أكثر...

لم يكف عما يفعل حتى هدأت ثورته الغاضبة ورجاه بعض الجيران بالتوقف إشفاقاً به.

بصق دياب عليه مجدداً وهو يقول ياشمئزاز:

أشوفك بس ترفع عينك عن الأرض!

رد عليه الشاب بنبرة مذلولة وهو مطأطأ الرأس:  
مش ها يحصل!

التفت دياب برأسه نحو حارس البناية موجهاً حديثه له بنبرة آمرة:  
فك الكلب ده وارميه لأمه!

حرك الحارس رأسه قائلاً بخضوع:  
أوامرك يا ريسنا!

ثم اتجه عائداً للداخل وهو يمسح قطرات الدم العالقة بجزاهم ويكف يده..

.....

في تلك الأثناء قامت جليلة بإحضار عباءة نظيفة تخصها من داخل خزانة  
ملابسها، ثم أسندتها على طرف الأريكة، ومررت أنظارها على جسد بسمة  
المسجي أمامها قائلة بأسف:

لزمته ايه البهدلة دي بس، منه لله اللي عمل فيكي كده!

ثم مصصت شفيتها متابعة يا نزاج:

لأ ويوم بعد يوم يخشلي واحد من عيالي شايلى واحدة على ايده وداخل بها  
عليا يقولي حوشي يامه، بقيت حكاية عندهم!

ركضت صغيرتها أروى عائدة من الشرفة وهي تهتف بحماس:

دياب ضرب واحد وخلاه يفر فر في الأرض، أنا شوفته من البلكونة

ارتفع حاجبي الصغيرة للأعلى قائلة بذهول حينما وقعت عينها على معلمتها  
الخصوصية:

الله، مس بسمة، هو حصلها ايه؟

نهرتها والدتها قائلة بضيق:

مترغيش كثير وتعالى ساعديني!

هزت رأسها موافقة وهي ترد:

ماشى يا ماما!

ناولتها أمها العباءة قائلة:

-امسكي دي في ايدك

حاضر

قاتها الصغيرة وهي تتأملها باهتمام ممزوج بالفضول..

مدت جليلة يديها نحو كنزة بسمة الممزقة لتزعها عنها، ثم هزت رأسها  
مستنكرة تلك الخدوش البارزة في كتفها وعنقها.

توردت وجه أروى حينما رأت معلمتها بثيابها التحتية، فأخفضت بصرها  
للأسفل..

هتفت أمها قائلة بحدة:

روحي هاتيلي المرهم من الدولاب!

رفعت أروى رأسها لتنظر نحوها قائلة بحيرة:

فين بالضبط يا ماما؟

أشارت لها أمها بعينها قائلة بتبرم:

يا بت في الرف اللي تحت!



هزت أروى كتفها نافية:  
-أنا معرفش اتى بتحطيه فين

استاءت جليلة من جهل ابنتها بمكان وضعها للأدوية، فصاحت بتذمر:  
-يوه عليكي، مابتعمليش أبدًا اللي يطلب منك!

ثم نهضت بتثاقل من مكانها متابعة:  
خليكي هنا لحد ما أروح أجيبه وأرجع!

ردت عليها قائلة بإيجاز:  
-ماشي!

انتبهت أروى لصوت قرع الجرس، فتركت ما في يدها على طرف الأريكة،  
وركضت في اتجاه الباب لتفتحه وهي تصيح:  
-يوه

وجدت أباها عند عتبه فهتفت بحماس جلي وهي تثب بقدميها أمامه:

أنا شوفت الخناقة كلها، انت عجتته كده و....

قاطعها قائلاً بهدوء وهو يعبث برأسها:

خلاص يا أروى!

ثم تحرك للداخل، فرأى بسمة بثيابها الأخرى والتي تبرز معظم جسدها،

فهتفت مصدوماً من ذلك المشهد الذي لم يتوقعه:

ايه ده؟

ردت عليه أروى بعفوية:

مس بسمة!

أشاح وجهه بعيداً مغمضاً عيناه بمرح كبير، وإنتابه حالة من الإرتباك

والتخبط..

أولاها ظهره صائحاً بإستنكار:

يا حاجة، ايه اللي اتتي عملاه ده؟

حضرت جليلة على إثر صوته حاملة في يدها دواءً ما، وردت عليه بنبرة  
عادية:

- في ايه يا دياب؟

لوح لها بذراعه للخلف قائلاً بجرح كبير ظاهر في نبرته:  
- ماتغيريلها جوا واسترهما، مش... يعني ما يصحش كده

لاحظت هي توتره، والاضطراب الواضح عليه فبررت فعلتها قائلة:  
- تفكر هاشيلها لو حدي ازاي؟

فرك وجهه بتوتر أكبر وهو يردد بامتعاض:

- استغفر الله العظيم يا رب! غطيا حتى، مش لازم نشوفها كلنا!

جاهد قدر الإمكان ألا ينظر نحوها وهو يتحرك في اتجاه غرفته صائحاً بجدة  
أمره:

- تعالي يا أروى معايا

ردت عليه ببراءة وهي تشير بيدها:

-بأساعد ماما

صاح بها بغلظة:

هي هتصرف لوحدها، يالا!

لحقت به قائلة بابتسامة خفيفة منفذة لأمره:

طيب!

راقبته جليلة بنظرات متفرسة دارسة لتبدل حالته الغريبة تلك وتصرفه الغير مريح بالنسبة لها.

رفعت حاجبها للأعلى، ووضعت يدها على طرف ذقنها لتحكمها قليلاً متممة بتعجب:

-بتكسف؟ أومال لو مكوتنش متجوز قبل كده؟! .....

تمكن الصبي حسن من فتح القفل الصداً، فتعاونت أسيف معه في دفع باب  
الدكان الثقيل للداخل، أصدر صريراً قوياً وهو يتحرك على إثر دفعتهما.

بعد لحظات تمكنا من إزاحته وفتحه على مصرعيه..

سعلت أسيف فجأة من التراب العالق في الهواء بداخله، فانحنت للأمام  
قليلاً واضعة ليدها على فمها.

استغرقها الأمر عدة ثوانٍ لتعتاد على الجو بداخله.

تحرك الصبي خلفها، وبحث عن مفتاح الإنارة على جانب الحائط. وجده على  
يده اليسرى، فضغط عليه لينير فقط مصباحاً واحداً قديماً متدلياً من السقف.

اعتدلت في وقفها، ونظرت بأعين لامعة متأملة المكان من حولها.

جابت بأنظارها ببطء شديد تفاصيله ممتعة عينيها بما فيه.

شعرت كأنها قد عادت بالزمن إلى الوراء حيث جدها وأبويها الراحلين.

تهددت بعمق محاولة ضبط نفسها كي لا تبكي متأثرة، لكن لم يمنع هذا تراقص  
العبرات في طرفي مقلتيها.

كان كل شيء عتيقاً تفوح منه رائحة الزمن القديم، أغلب ما به متهاك ويحتاج  
للإصلاح أو التبديل.

رأت به مكتباً خشبياً في أحد الأركان، وكذلك حزانة ما مفتوحة موضوع بها عدة أرفف، وأخرى منغلقة بجوارها.. كذلك طاولة خشبية يقف خلفها أحد الأشخاص تستخدم للبيع.

ابتسمت لنفسها بسعادة خفية، كانت كمن استعاد جزءاً من ماضيه المفقود.

أخرجها من حالتها المتأملة تلك صوت الصبي حسن وهو يقول:

أنا هاروح أجيبك لمبة تانية بدل دي، شكلها مش هايعمر كثير

التفت نحوه قائلة يا متنان:

-كثر خيرك، هاتعبك معايا

تحت أمرك يا ست الكل!

قالها الصبي وهو يستدير بجسده ليخرج من الدكان تاركاً إياها بمفردها.

عاودت أسيف التحديق فيما تملك من إرث غالٍ، اعتبرته لا يقدر بأي ثمن..

لفت أنظارها ذلك الإطار الخشبي الذي يضم صورة فوتوغرافية قديمة لرجل ما في شبابه يرتدي جلباباً ريفياً يحاوط صبياً بذراعه..

تحركت نحوها لتبين تفاصيلها أكثر، فالتوى ثغرها بابتسامة صادقة بعد أن عرفت هويتها..

كانت الصورة لجدها في شبابه ولأبيها في صغره، مدت يدها للأعلى محاولة  
تلمس الإطار، فانسخت أصابعها بالتراب الرمادي الذي يكسوها.  
فركت أصابعها محاولة إزالتها، وواصلت التحديق بها..

.....

في نفس التوقيت، ورد إتصلاً هاتفياً له وقد أوشكت قدماه على وطأ عتبة  
وكالته، فتوقف في مكانه ليجيب عليه مردداً بهدوء حذر:  
خير!

أتاه على الطرف الآخر صوت أحد المخبرين ذوي الصلة به قائلاً بجدية:  
-ريس منذر حصل حاجة كده في القسم لازم تاخذ خبر بيها

حدق أمامه في الفراغ بنظرات حادة متسائلاً بصوته القاتم:  
حاجة ايه دي؟

أجابه بتردد ملحوظ:

-في واحدة مقدمة فيك بلاغ بالسرقة!

اتسعت حدقتيه بصدمة كبيرة وهو يهتف غير مصدق:  
-نعم!

بدا متشككاً بل على الأحرى خمن هوية صاحبة البلاغ، لكنه لم يصرح  
باسمها..

تابع المخبر قائلاً بمكر محاولاً الاستفادة من الموقف لصالحه:  
-أنا اتكلمت مع الشاويش وخليته يأجل عرض المحضر ده شويتين.. خدمة  
يعني ليا.. لحد ما أبلغك يا ريس بالحكاية!  
-أها

كان عقل منذر في مكان ما، يجمع أطراف الخيوط معاً ليتأكد من شكوكه.  
أخرجه من تفكيره المتعمق صوت المخبر متسائلاً:  
-البت اسمها أسيف رياض خورشيد، تعرفها يا ريسنا؟

الآن تأكدت ظنونه وباتت حقيقة بالمرّة.



صمت للحظة ليضبط انفعالاته المزعوجة و التي ظهرت سريعًا على تعابير  
وجهه..

استشعر المخبر وجود خطب ما فكرر سؤاله:  
ها يا ريس.....؟

قاطع منذر برده الموحى بخطر كبير:  
هي قريبتى، تلاقي الموضوع فيه لبس وهاحله بطريقتى!

رد عليه المخبر بهدوء:  
ماشى يا ريسنا، يعني حاول على أد ما تقدر تهيه ودي قبل ما يوصل للنيابة  
و....

صاح به منذر بنبرة مقلقة للغاية:  
قولتك هاتصرف، وابقى عدي عليا في الوكالة!

رد عليه المخبر بحماس:  
جمايلك سابقة يا ريس منذر

سلام!

قالها بقوة وهو يضغط على زر إنهاء المكالمة يا صبع متشنج..

كز على أسنانه بشراسة، و استدار برأسه للخلف ليحدق في الدكان  
بنظرات تحمل الكثير بما لا ينيء بأي خير على الإطلاق..

هدر قائلاً بصوت جهوري لأحد عماله:

تعالى ورايا!

تعجب العامل من تبدل أحوال رب عمله، وامثل لأمره فوراً ووقف إلى  
جواره منتظراً أن يملي عليه باقي التعليمات.

تحرك منذر نحو الدكان بخطوات متلاحقة ينتوي فعل ما لا يُحمد عُقباه،  
وتبعه العامل يامثال تام..

.....

نفضت كفي يدها من الأتربة العالقة بهما بعد أن تلمست معظم ما يوجد  
بالدكان..

كانت تتحرك بجذر شديد بسبب البقايا الخشبية المتراكمة على الأرضية الرمادية القديمة.

همست لنفسها بإصرار:

-استحالة أفرط فيك، إنت حته مني دلوقتي!

انتفض جسدها فجأة فزعا على إثر صوت غلق باب الدكان بقوة.

ارتجفت أوصالها، واستدارت عفويا للخلف لتراه أمامها..

اتسعت عيناها بخوف كبير، وتسرب الشحوب إلى لون بشرتها..

برودة قارصة داعبت وجنتيها فأصابها بقشيرة في أنحاء جسدها.

حدقت في وجهه الغاضب ونظراته القاسية بأعين جامدة.

تعمد صفق الباب مجددا بقوة أكبر لتنتفض هي مجددا في مكانها من الخوف.

ازدردت ريقها بتوتر كبير وهي تسأله بصوت مرتجف:

-انت.. انت بتعمل ايه هنا؟

سلط أنظاره القائمة عليها، تلك النظرات الخيفة التي رأتها من قبل بوضوح

حينما التفته أول مرة.

اجتاحها شعور رهيب بالخوف والذعر، وتراجعت ببطء حذر للخلف متسائلة  
بنبرة متلعثمة:

جاي ليه في الدكان بتاعي؟

أجابها بنبرة مخيفة وغامضة جعلت جسدها يحفل أكثر:  
-البوليس ما بيجيش عندنا إلا في حالة واحدة!

ابتلعت ريقها بصعوبة، وبدت شفتها أكثر إرتجافاً عن ذي قبل.

كور منذر قبضته المتشنجة وضرب بها بعنف على إحدى ضلقتي الخزانة  
القديمة متابعًا بشراسة:  
-يشيل الجثث وبس!

انتفضت على إثر ضربته المهددة، وكادت تتعثر في خطواتها المتراجعة، لكنها  
تماسكت نفسها بصعوبة.

هدر فيها منذر بصراخ مستنكر:

-بقي أنا حرامي وسرقتك؟

أدرت أسيف في تلك اللحظة أنها ارتكبت خطأ جسيماً بتصرفها الغير عقلاني معه، وواصلت تراجعها المذعور منه متحاشية إقترابه المهدد لحياتها.

حُصرت هي في إحدى الزوايا، لكن نظراتها المرتعدة لم تفارق عيناه القاسيتين. كز منذر على أسنانه هاتفاً بصوت محتقن للغاية وهو يلوح بكف يده في الهواء مستنكراً نكرانها لجميله:

حطب تيجي ازاي وأنا وقفت معاكي كثير؟ كنتي افتكريلي حاجة واحدة من اللي عملتهاك!!!!

ألمجت كلماته المعاتبة لسانها، فعجزت عن الرد عليه.

دنا منها أكثر حتى بات على بعد خطوة واحدة، وواصل صراخه بها مهدداً بذراعه:

-بس انتي طلعتي غبية و....

شهمت أسيف مذعورة منه، فقد تذكرت موقف قريها الحاج فتحي حينما كان  
يرمقها بتلك النظرات العنيفة، وما أعقبها من صفع شرس على وجهها.  
انحنت عفويًا للخلف برأسها رافعة كفيها أمام وجهه مشكلة بهما درعاً لحمايتها إن  
تطاول باليد عليها.

تفاجيء هو بها تحاول تخبئة وجهها بكفيها وكأنها تتحاشى اعتدائه بالضرب.  
رمقها بنظرات نارية محتدة، وتراجع خطوة للخلف قائلاً بحنق:  
- احنا ما بنمدش ايدنا على حريمنا إلا لما يغلطوا وبس!

أولاها ظهره ليضيف بنبرة عدائية:  
- واتتي غلطي معايا، بس حظك الحلو إنك مش من حريمنا!

كانت تبحث في كلماته المهدة عما يطمئنها، فبدت جملته الأخيرة وكأنها تصرح  
ضمني منه يضمن عدم اقترابه منها.  
أخفضت ذراعها بجذر ناظرة إليه بأعين زائغة.  
التفت نحوها متابعًا بتهديد وهو يشير بسبابته:  
- إنتي هتتحاسبي عن غلطك، ودكانك ده هاخده منك تأدياً ليكي!

أثارها عبارته الأخيرة بسلب حقها وحفرت حواسها بالكامل للدفاع عما تملك،  
فهبت صائحة بإعتراض غير مكترثة لتبعات ما سيحدث:  
مش هايحصل، محدش هياخد دكاني مني!

تحرك قبالتها فجأة لتتقلص المسافات بينها مهددة بشيء أخطر.  
اضطربت أنفاسها للغاية، وتسارعت دقات قلبها وهي محدقة به بخوف كبير.  
استأنف تهديده الشرس قائلاً بثقة تامة:  
هايحصل يا بنت رياض!

حدجها بنظرات مشتعلة زادت من حدة ذعرها، ثم استدار للخلف ليرفع  
عيناه في ذلك المصباح المتدلي من السقف.  
أمسك به بقبضته، وانتزعه بعنف مسبباً الإضرار التام بالمكان، وألقاه بعصبية  
على الأرضية ليتحطم إلى أجزاء صغيرة.  
صرخت أسيف بهلع كاتمة شهقاتها بيديها..  
تحرك منذر نحو الباب متابعًا بقسوة:  
وخليكي محبوسة هنا!

اتسعت حدقتيها في عدم فهم لما رده توأ.  
ابتلعت ريقها في حلقها الذي جف تماماً من شدة الخوف، وجاهدت لتضبط  
نفسها..

أسرعت خلفه محاولة اللحاق به، لكنه كان الأسرع في الخروج من الدكان،  
وصفق الباب خلفه بقوة مغلقاً إياه عليها.

شهقت صارخة بفرع:

انت بتعمل ايه؟

ضربت بقبضتيها بعنف على الباب الخشبي صارخة بخوف كبير بعد أن باتت  
بمفردها في ذلك الظلام الحالك:

افتح الباب! افتحه!!!

أوصد منذر القفل وهو يصيح بجدة:

شوفي مين هيخرجك منه!

واصلت صراخها المرتعد وهي تضرب بهياج على الباب:

افتح الباب، طلغني من هنا، انت مجنون، مجنون!!!

.....



بالخارج، تطلع العامل إلى منذر بذهول كبير بعد أن رأى ما فعله، لكنه لم يتجرأ على سؤاله أو مناقشته.

لكزه الأخير في كتفه بقوة مردداً بصوت أمر وقد استشاطت نظراته:

-تقعد على الباب هنا، ماتتحركش، وبعد ساعة تفتح الزيت ده وتطلعها،  
سامع

هز رأسه بإيماء واضحة وهو يردد:

-أوامرك يا ريس!

ثم دس في كف يده المفتاح الخاص بالقفل، وتحرك بخطوات متعصبة مبتعداً  
عن المكان....

تابعه العامل بنظرات مدهوشة حتى اختفى من أنظاره محدثاً نفسه بتوجس:

-رينا ما يوقعنا معاك يا سي منذر، قلبتك والقبر

بصحيح.....!!!

.....

## الفصل الثالث والثلاثون:

ولجت إلى داخل غرفته وهي متجهة التعابير إلى حد ما، بحثت عنه فلم تجده، فاتجهت إلى الشرفة حيث يجلس دومًا..  
رأته مستنداً بمرفقيه على حافة سورها، ومنفثاً لدخان سيجارته المشتعلة في الهواء. ورأت أخته الصغرى إلى جواره تراقب الطريق والمارة بنظرات شمولية.

استطردت جليلة حديثها قائلة بجدية:

-بنادي عليك يا دياب، مش سامعني!

التفت ناحيتها برأسه، ثم اعتدل في وقفته وهو يجيبها بفتور:  
-ما سمعتش!

ضيقت نظراتها أكثر لترمقه بغرابة وهي تضيف بضجر:

طب شوفلنا دكتور ولا حد يفهم عشان بسمة، مش هانسيها كده!

أطفاً بقايا سيجارته في المنفضة الخاصة بها، ورد عليه بارتباك ملحوظ في نبرته:

هي خلاص.... اقصد يعني متغطية و....

ابتسمت بمكر وهي تجيبه:

اه يا حبيبي، اطمن!

ثم اقتربت منه لتسأله بصوت خفيض ذو مغزى معين:  
وبعدين مال وشك جاب ألوان كده ليه لما شوفتها

عبست تقاسيمه وقست نظراته وهو يرد عليها بجدة:  
في ايه يامه، ألوان ايه وزفت ايه؟

أومات بعينها قائلة بلووم:  
انت مش شايف نفس

ضغط على شفثيه بقوة فقد فهم إلى ماذا ترمي والدته. أخذ نفسًا عميقًا حبسه  
للحظات في صدره ليضبط انفعالاته، ثم أطلقه دفعة واحدة مرددًا بخشونة:  
شوفي يا أم مندر، الحكاوي اللي في دماغك دي انسيها خالص، أنا مش  
بتاع الكلام ده!

نظرت له بتعجب كبير، وقبل أن تفتح فمها لتتلقأ أضاف سريعًا بنبرة أكثر  
جدية:

تاني حاجة بقى عاوزاني أعمل ايه لما أشوف واحدة لا مؤاخذة يعني.....  
وماتجوزليش؟ ها؟ أنتح فيها عشان أعجب مثلاً؟

زمت جليلة فمها للجانبين مستنكرة عتابه الحاد، بينما أكل هو قائلاً:  
دي لا أخلاقنا ولا تربيتنا، احنا بنفهم في الأصول كويس وولاد الحاج طه لو  
شافوا واحدة عريانة يغطوها، يا رب تكون الرسالة وصلت!

ردت عليه بتذمر مشيرة بيدها:

خلاص يا دياب، مالك طلعت فيا كده ليه، روح شوفها وخلص!

لم تتبدل تعابير وجهه وهو يرد باقتضاب:  
ماشى

ثم تحرك خارج الشرفة ليدخل غرفته.  
وقعت أنظاره على زجاجة عطره باهظ الثمن المسنودة على تسريحته، فالتقطها  
وأكمل سيره تاركاً الغرفة.

تساءلت أروى بحماس:  
أروح معاه يا ماما؟

رمقتها جليلة بنظرات منزعة وهي ترد بانفعال:  
-لا، خشي أوضتك ذاكري، كفاية تضيع وقت!  
مطت الصغيرة أروى ثغرها قائلة بإحباط واضح:  
طيب!!

.....

خرج إلى الصلاة وهو يشمر ساعديه سائراً بخطوات ثابتة نحوها.  
كانت لا تزال على وضعها، غافية، غير مدركة لما حولها.  
توقف في مكانه ليتأملها بهدوء.  
بدلت والدته ثيابها الممزقة بعباءة تخصها، فكانت أكثر حشمة ووقاراً..  
تهد يارتياح لكونها هكذا بالرغم من إنزعاجه مما لاحظته من سمجات وخدشات  
على جسدها.

دنا منها بجذر، ثم جثى على ركبته أمامها، وفتح غطاء زجاجة العطر، والتفت للخلف ليسنده على الطاولة.

قام بتقريب فوهة الزجاج من أنفها لتشم رائحته النفاذة. راقبها باهتمام كبير متوقفاً استجابة فورية منها، لكن لم يبدو عليها التأثير.

قطب جبينه متسائلاً بتعجب:

هي الريحة مش باينة؟

فرد كفه الأخر، وقام بنثر الرائحة على راحة يده بغزارة لتصبح أكثر نفاذاً وحدة، ومن ثم قربها من أنفها مجدداً لتشمها.

لاحظ تلك التشنجات الخفيفة التي ظهرت على وجهها، فابتسم لردة فعلها. أعاد تكرار الأمر ليتأكد من افاقتها تماماً..

.....

لم تتخيل أن يسجنها في دكانها، أن تتحول لحبيسة ما تملك. واصلت صراخها الهيستري وهي تضرب بقبضتها بعنف شديد على الباب القديم.

لم تهتم بالألم الشديد الذي سبب الآذى لرسغها، ولا بالخدوش الخفيفة التي نتجت نتيجة احتكاكها الإنفعالي العنيف بالنتوءات الخشبية نتيجة تشققات

الزمن...

صاحت بجنون:

طلعني من هنا، انت مش بني آدم، افتح الباب!

لم تكن تخشى الظلام على قدر خوفها من تلك الكائنات الزاحفة التي يمكن أن تكون متواجدة بالداخل

ورغم صياحها المقلق إلا أن العامل بالخارج لم يتجرأ حتى على الرد عليها، كان يهاب ردة فعل رب عمله إن علم بمخالفته لأوامره.

تمتم مع نفسه بضجر:

لو يايدي كنت طلعتك، بس هاعمل ايه!

سحب مقعداً من المحال الملاصقة للدكان - والمملوكة لعائلة حرب - ليجلس عليه بطريقة معكوسة.

استند برفقيه على ظهره، وتابع حركة المارة بنظرات فاترة.

لمح من على بعد صبي ما يقترب منه متسائلاً يا استغراب:  
أموال الست صاحبة الدكان ده فين؟

رمقه العامل بنظرات متفرسة وهو يجيبه بتساؤل آخر بعد أن نهض عن مقعده:

انت مين؟ وبتسأل عليها ليه؟

وقف الصبي حسن قبالتة ليجيبه بهدوء:

أنا حسن شغال عند الحاج زقروق النجار! كنت جايلها لمبة بدل البايطة عندها

انتبه هو لصوت الصراخ الغير واضح، فتبدلت تعابيرہ للقلق، وتساءل  
بتوجس:

هو الصرخ ده جاي من جوا و...؟؟؟

قاطعہ العامل بغلظة مشيراً بيده له ليتعد:

مالكش دعوة، اتمشى من هنا!

هتف الصبي عفويًا وهو يشير بكف يده الممسك بالمصباح الجديد:  
دي باينها محبوسة جوا!

تجهمت تعابير العامل، فقد أدرك أن هذا الصبي سيسبب له المتاعب، وهو  
في غنى عنها، لذا هتف فيه بحدة:

-بأقولك ايه، ارجع لمعلمك وشوف شغلك أحسنلك

وصل إلى مسامعها صراخها المكتوم:

طلعوني من هنا

صاح حسن يا صرار:

شغل ايه؟ ده أنا سامع واحدة بتصوت!

دفعه العامل من كتفه للخلف بقوة قائلاً بغلظة:

-وله، كل عيش احسنلك!

اغتاظ حسن من أسلوبه اللفظي في التعامل، فرد عليه بتحد:

خلاص أنا هاروح أقول لمعلمي وهو يتصرف

لم يعبأ العامل بتهديده الصريح، وأردف قائلاً بنبرة ذات مغزى:  
-وماله قوله، بس انت هاتوقع مع الريس منذر!

اضطرب الصبي على الفور بعد سماعه لإسمه، وردد بتلعثم:  
-هاه.... الـ الريس منذر!

أوماً العامل برأسه مردداً بجديّة:  
-ايوه، دي أوامره

رغب الصبي في مساعدتها، فهو لم يرَ منها ما يسيء بل على العكس كانت  
مهذبة، حسنة الخلق، كيّسة في تعاملها معه..

أصر على الدخول إليها، ربما ينجح بطريقة ما في معاوتها، فألح قائلاً  
ياستعطف:

-طيب.. بس.. بس الست كانت عاوزة اللبنة، حرام نسيها في الضلّمة، دي  
طيبة وغلبانة

رد عليه العامل بإستياء:  
-مالناش دعوة!

أضاف الصبي مقترحاً:

حطب هاركبهاها وأمشي، ومش هاجيب سيرة لحد!

ضجر العامل من إلحاحه المتواصل، فصاح به بعنف:

-يا بني انت مستغني عن عمرك، بأقولك ده موضوع يخص الريس منذر،  
اتمشى بقى!



تذمر حسن مردداً:

حرام والله اللي بيحصل فيها ده!

رد عليه العامل غير مكترث بما يقول:  
حرام، حلال، ده مايخصناش!

ابتلع الصبي ريقه متابعاً بعناد:

طب.. طب أقولها إن أنا جيت وجبتلها حاجتها، حتى تظمن ان احنا معاها  
و....

قاطعته العامل بنفاز صبر:

شكلك عاوز تعاديه!

هز حسن رأسه نافياً وهو يبرر موقفه:

لا والله، أنا مش أده، بس الست صعبانة عليا

رمقه العامل باستخفاف وهو يرد ساخراً:

مايصعبش عليك غالي

افتح الباب!

كان صراخها واضحاً نسبياً لمن بالخارج فسبب لهما الضيق..

هتف حسن بلا وعي بصوت مرتفع:

اطمني يا ست، انا واقف برا

اتسعت حدقتي العامل منزجاً من تصرفه الأهوج، وصاح به بجدة:  
يا واد اخرس

ثم لكره بقوة في جانبه مسبباً له الألم، فتأوه الصبي قائلاً:  
آآ، ليه بس كده!

قبض العامل على ذراعه دافعاً إياه للخلف وهو يضيف بصرامة:  
-امشي من هنا يالا

ارتد جسد حسن للخلف من إثر الدفعة، وكاد يسقط على وجهه لكنه تمالك  
نفسه في اللحظة الأخيرة.

نظر إلى العامل بجدة، وصاح بوجه مكفهر:  
حسبي الله ونعم الوكيل

لوح له العامل بيده قائلاً:  
حسبن بعيد عن هنا!!!

ركض بعدها الصبي مبتعداً عن المكان وهو يسب العامل ويلعنه بصوت  
خفيض..

عاد الأخير للخلف ليجلس على مقعده أمام باب الدكان مراقباً المارة بنظرات  
عامة ومانعاً أي شخص من التدخل فيما لا يعنيه حتى انقضاء تلك الساعة  
العصيبة...

.....

يئست من أي محاولة لمساعدتها، فاستسلمت لمصيرها المجهول.

توقفت عن دق الباب بعنف، وأسندت جبينها عليه.  
 بكت بمرارة، لاعنة تفكيرها الغير عقلاي الذي دفعها بتهور لفعل شيء كهذا.  
 فلو تريثت قليلاً ما كانت ستوضع في هذا المأزق..  
 استعادت في ذاكرتها تهديده الأخير بسلب ما تملكه رغمًا عنها،  
 تعالت شهقاتها المختنقة مرددة لنفسها بندم:  
 يا ريتني ما عملت كده، يا ريتني!

عادت لتبرر موقفها مرددة بيأس:  
 طب كنت هاعمل ايه وما فيش حد ليه مصلحة إلا هو، فكرت إني بكده  
 هاحمي نفسي منه، طلعت غلطانة، كل حاجة هتضيع مني، كل حاجة!  
 سمعت صوتاً غريباً جعلها تصمت فجأة، وأهبت حواسها بالكامل.  
 تسارعت دقات قلبها بخوف كبير حتى كادت أن تصم أذنيها.  
 حبست أنفاسها مترقبة ما سيحدث لاحقاً.

كان الصوت لخزبشات خفيفة، لم ترغب هي في تخمين ما وراءها. لكنها واثقة  
 أنها إحدى الزواحف الرمادية.  
 ارتعدت أكثر وجفل جسدها مرتعشاً.  
 انكشيت أسيف على نفسها، وحاولت مقاومة إحساس الخوف الذي سيطر  
 على كيائها، لكنها لم تستطع، وواصلت رجفتها المذعورة.

.....

على مضض كبير اضطرت أن تستقل السيارة وتأتي به من مخبأه إلى المطعم حيث ينتظرها الحاج مهدي.  
كان جالساً على حجرها، تداعبه بلطف مصطنع.  
وما إن وقفت السيارة أمام باب المطعم حتى إشرأبت بعنقها للأعلى محاولة رؤيته.  
لمحته وهو يجلس عند المدخل، فمالت على الصغير وهمست في أذنه بنعومة:  
انزل يا يحيى

تساءل الصغير ببراءة وهو يلتفت برأسه نحوها:  
أنا هنتغدى هنا يا تينة؟

هزت رأسها نافية وهي تبتمس له:  
لا

سألها بفضول وهو يشير بسبابته:  
أومال ليه.....؟

قاطعته قائلة بجدية:

هاتروح مع عمك مهدي، هيوديك عند بابا

اتسعت ابتسامة الصغير يحيى وهتف بحماس:  
بجد؟

رد بامتعاض من بين شفثيها:

أه

هلل الصغير بحماس أكبر:  
هيبه!

انتبه الحاج مهدي لتلك السيارة المصفوفة بجوار مطعمه، فنهض بثقل من  
على المقعد، وسار بخطوات ثابتة نحوها.

رأى الجالسة بالمقعد الخلفي، وذلك الصبي الذي بحوزتها، فاستطرد حديثه  
مرددًا:

-كويس إنك جبتيه يا شادية!

ردت عليه بتبرم:

غضب عني يا مهدي، لو مكانش....

رفع كفه أمام وجهها ليجبرها على الصمت قائلاً بحنق ظاهر في نبرته:  
مشاكلك مع دياب وعيلته تحليها بعيد عني وعن ابني، فهماني يا شادية، أنا  
مش ناقص خاوتة!

ردت عليه بنبرة منفعة:

-المشاكل هتجيلك برضاك أو غصب عنك! إنت مش هاتخلص

تابع قائلاً بازدراء:

بس مش عاوزها من ناحيتك، يالا يا بني، تعالى معايا!

ترجل الصغير من السيارة بعد أن قبلته جدته من وجنتيه، ثم شبك يده في

كف مهدي، ورفع رأسه للأعلى متسائلاً ببراءة:

هاروح عند بابا؟

ابتسم مهدي له وهو يجيبه:

أه، هاوديك عنده، تعالى!

أحكم قبضته على كفه الصغير، وسار معه نحو الطريق المؤدي للوكالة  
ليسلمه إلى عمه المتواجد هناك حتى يتمكن من تحرير ابنه مازن..

راقبته شادية بنظرات مستشاشة، وكزت على أسنانها قائلة لنفسها بتوعد:  
الجيات أكثر من الرياح يا مهدي، والموضوع مخلص عند كده!

أشارت بعدها بعينها للسائق قائلة بغلظة:

اطلع من هنا يا أسطى!

.....

لوح بكف يده في الهواء بسعادة كبير بادية على وجهه لهؤلاء الحراس المرابطين  
أمام البوابات الحديدية المحصنة مودعاً ذلك المكان الكئيب بمن فيه.  
أخذ نفساً عميقاً يختلف عن ذي قبل.. ثم لفظه ببطء شديد وكأنه يتلذذ به  
عن قصد...

لقد نال حريته أخيراً، وحاز على عفو بعد أن قضى عدة أعوام حبساً في  
السجن.

لم يرد إبلاغ عائلته بهذا الإفراج إلا حينما يخرج بنفسه.

مسح على صدره بكفه قائلاً بصوت متحشرح:

جه وقتك يا مجد، محدش هايقف تاني قصادك!

واصل سيره المتباهي حتى ابتعد تماماً عن هذا المكان المقيت ليستأجر إحدى سيارات الأجرة لتوصله إلى منطقته الشعبية.

.....

أصدرت أنيناً خافتاً وهي تجاهد عقلها الثقيل لتجبر نفسها على الاستيقاظ من غفوتها تلك.

اخترقت تلك الرائحة العطرة أنفها بقوة، فتشجعت تعاير وجهها إلى حد ما. بدأ جفناها في التحرك عفويًا، ثم فتحا ببطء.

كانت الرؤية مشوشة في البداية، فقط إحساس بالألم والثقل مسيطراً عليها. لم تتوقف تلك الرائحة النافذة عن مداعبة أنفها، فمدت يدها لا إرادياً نحوه، شعرت بلمس جلدي قريب منها.

تأوهت مجددًا قائلة بصوت ناعس:

-ابعدني ايدك يا نيرمين

رد عليها مازحاً:

هو أنا ايدي طرية أوي كده!

تعجبت من تلك النبوة الخشنة التي سمعتها، وفتحت عينها رامشة عدة مرات لتتضح الرؤية تماماً معها.

زاد اتساع حدقتها، فهتفت متسائلة بذهول:

-إنت؟ بتعمل ايه هنا؟

رد عليها بعبوس زائف:  
-اتي عندنا في البيت

شهمت مصدومة وهي تعتدل فجأة في نومتها:  
عندكم!

تلقت حولها بتوتر لتتأكد من صحة تصرّيجها، فزاد قلقها وتوجسها...  
سريعاً استعادت في ذاكرتها ما حدث في وقت سابق.  
ارتجف جسدها من ذلك الموقف المشين الذي كانت به، وضمت يديها إلى  
صدرها وكأنها تحمي نفسها.

شعر دياب بالحرج، ونهض من جوارها مولياً ظهره، ثم تابع بصوت آجش:  
-انسي اللي حصل تحت!

أخفضت عينها بنجل مرددة بصوت منكسر:  
-أنا معملتش حاجة!

التفت نحوها قائلاً بتجهم:  
-مش محتاجة تبرري أو تدافعي عن نفسك، أنا واثق فيكي، فانسي خلاص!  
أصرت على توضيح موقفها محتجة:

-بس....

رد عليها مقاطعاً بصرامة:  
-ماجبش أكرر كلامي كثير!



أنزلت قدمها عن الأريكة، ولممت نفسها بحرص لتتأكد من عدم كشف أي جزء من جسدها، ثم ردت عليه بجدية:

ماشى، بس أنا مش هاسكت عن حقي، وهاري الجبان اللي....

انزعج من تكرارها لذلك الأمر، فهتف بانفعال:

-بأقولك انسيه، ايه الغريب في كلامي، ليه مش بتسمعيه من أول مرة!

نهضت واقفة وهي ترد بعناد صارخ:

مش هاسييه!

تأوهت من الألم نتيجة صراخها، فوضعت يدها على عظمة الترقوة لتفركها قليلاً مخففة حدة الوجع.

تابعها باهتمام، وسألها متوجساً:

-اتي كويسة؟

وقبل أن تجيبه اقتحمت الصلاة والدته هاتفة بسجيتها المسببة للخجل:  
ماشاء الله فوقتي ووقفتي على رجليكي، الظاهر دياب يفهم في الحاجات دي

استشعر الأخير الحرج من كلامها الغير مكترث، وهتف بتبرم:  
هي فاقت لوحدها!

تنحنحت بسمة بصوت خفيضة مرددة بنبرة ممتنة رغم تلعتها:  
شكراً على.... عبايتك و...، أنا مش عارفة أقول ايه، بس....

قاطعتها قائلة بود وهي تمسح برفق على ظهرها:  
هو أنا عملت حاجة يا حبيبي، دي حاجة بسيطة، اقعدني وارتاحي كده  
وأنا هاعملك حاجة دافية تشربها!

هزت رأسها نافية وهي ترد معترضة:  
-لا مش عاوزة، أنا هامشي!

وضعت جليلة يدها على طرف ذقنها، وعضت على شفتها السفلى قائلة  
ياستنكار:

-تمشي ايه، اتتي هاتستي شوية لحد ما نظمن عليكي!

ثم التفتت برأسها ناحية دياب لتوجه حديثها له قائلة بمكر:  
-ولا ايه يا دياب، ماتقول حاجة يا بني؟

زم ثغره بضجر بارز على ملامحه، لكنه لم يعارض رأي والدته، وأردف قائلاً  
بتجهم:

خليكي، أنا هاوصلك!

نظرت له بسمة بطرف عينها قائلة:  
-متشكرة، أنا عارفة الطريق لوحدي

نظر لها بقوة قائلاً بعناد أكبر:  
-وايه يعني، هاوصلك...

تدخلت جليلة في الحوار قبل أن يتطور بينها لمشاجرة ما قائلة بمرح:  
-بصوا مافيش داعي للخناق، أنا هاكلم أمك وأختك وأقولهم يجوا نقعد سوا  
كلنا، وبعد كده تروحووا مع بعض

ردت بسمة قائلة بتذمر:

-مافيش داعي، أنا....

نظرت لها جليلة بحزن وهي تضيف بعتاب:

-كده بردك، عاوزة تزعليني؟

ثم التفتت نحو ابنها قائلة بلؤم:

ما تقول حاجة يا دياب؟

تمم مع نفسه بخفوت:

-يخربيت دياب! هو ما فيش إلا أنا!!!

سألته أمه بدهاء نسائي معتاد:

-ها يا بني؟

رد عليها بعدم أكثرات:

-اعملوا اللي انتو عاوزينه، ماليش فيه!

ثم أولاهما ظهره وتحرك مبتعداً عن الاثنتين.

تابعته بسمة بنظرات ضجيرة، لكنها لم تكن حانقة منه.. بل على العكس كانت

ممتنة لمعرفه معها في ذلك الوقت العصيب.

أخرجها من شرودها السريع صوت والدته وهي تقول بترحاب:  
ارتاحي يا حبيبتى، ده اتى منوراني!  
ابتسمت لها بسمه بتكلف، وجلست على الأريكة بجرح نسبي..  
.....

أوصل الحاج مهدي الطفل يحيى إلى الوكالة بعد أن أحضر له كيساً  
بلاستيكياً مليئاً بالحلوى، ثم انحنى ليقبله بعطف ماسحاً على ظهره برفق،  
واعتدل في وقفته صائحاً بصوت مرتفع:  
منذر، ابن أخوك أهوو

هب الأخير واقفاً من مقعده، وركض سريعاً نحو الخارج هاتفاً:  
يحيى!

فتح ذراعيه ليلتقطه، ثم رفعه عن الأرضية واحتضنه بقوة قائلاً:  
-وحشتنا يا ابن الغالي

رد عليه الصغير ببراءة:  
-عمو منذر!

هتف الحاج مهدي قائلاً بجدية:  
-ابنكو عندكم، فين ابني؟

رد عليه منذر بصوت قوي ونظراته مسلطة عليه:  
هايجيلك!

هتف الحاج مهدي بإصرار وهو يشير بسبابته:  
دلوقتي!

رد عليه منذر بإيجاز:  
طيب!

أنزل الصغير على قدميه، لكنه أمسك بقبضته ولم يفلتها، ثم أخرج هاتفه من  
جيبه ليهاتف رجاله بالمستودع كي يحرروا مازن..

.....

مل العامل من الإنتظار أمام باب الدكان المغلق، وتوجس خيفة أن يكون  
أصاب تلك الماكثة بالداخل أي شيء، فأشفق عليها، وقرر أن يحررها قبل  
نفاذ الساعة..

نهض عن مقعده، وفتح القفل، ثم دفعه بجذر للخلف مرددًا بصوت خفيض:  
-انتي يا ست؟ سمعاني!

انتهت أسيف لصوت فتح قفل الباب، فاستدارت مبتعدة عنه، وحدقت  
فيه بأنفاس متهدجة.

بكت متأثرة حينما فتح نسبيًا، وردت غير مصدقة أنها تحررت:  
حرام عليك اللي عملته فيا

رد عليها بصوت مزعوج:

-أنا ماليش دعوة يا ست، أنا عبد المأمور!

بكت بقهر لعجزها، فهي ضعيفة لا سند لها ولا مدافع عنها في تلك الحياة القاسية.

شعر العامل بوخز في صدره حينما رآها على تلك الحالة، وتابع بصوت ضائق مشيراً بيده:

-بصي، أنا هساعدك لله في الله، اتتي امشي من هنا وما تجيبش سيرة إني خرجتك، الله يرضى عليكى أنا مش ناقص مشاكل

هزت رأسها بإيماءات متتالية مكفكة عبراتها بظهر كفها:  
طيب!

التفت برأسه للخارج ليتأكد من خلو الطريق، ثم همس لها بصوت آمر:  
يالا، ما فيش حد برا

تحركت بخطوات متعثرة في مشيتها نحو الخارج، وقبل أن تتعد تماماً هتف بها العامل قائلاً:

-استني يا ست، خدي مفتاح الدكان بتاعك!

عادت إليه ممددة كفها نحوه، فقطب جبينه متعجباً من آثار الجروح الظاهرة على راسها، فهتف بنزق:  
-ايه اللي في ايدك ده؟

نظرت إلى حيث أشار، فرأت تلك الأثار البائنة عليه..  
ابتلعت ريقها في حلقها الجاف، وسحبت كم ثوبها عليه لتغطيه قائلة بصوت  
مرتجف:  
المفتاح بتاعي!

ناولها إياه متابعا بتحذير:  
متجيش سيرة اني طلعتك قبل....

قاطعته قائلة بصوت خائف:  
حاضر!

ثم قبضت على المفتاح بكفها، وواصلت سيرها المتعجل لتختفي من المكان  
برمته...

.....

في نفس التوقيت، توقفت سيارة الأجرة على ناصية الطريق، فترجل منها  
مجد، ووقف للحظات متسمرأ في مكانه ليتأمل ذلك المكان الذي افتقده كثيرا.  
لم يتغير تماما، كان مثلما تركه قبل عدة أعوام.  
التوى ثغره بابتسامة متهمكة وهو يجوب بأبصاره المحال والبنائيات بنظرات  
شمولية بطيئة.

صفق باب السيارة بقوة، وتحرك نحو الأمام سائرا بخيلاء رافعا رأسه للأعلى  
في كبرياء.

دس كفي يده في جيبي بنطاله الجينز القديم مدندناً مع نفسه بصافرة خفيضة.

.....

التفتت أسيف برأسها للخلف من آن لآخر لتتأكد من عدم تتبع أي أحد لها.  
لا تزال تلك الرجفة المذعورة مسيطرة عليها، هي قضت وقتاً عصيباً بالداخل  
لا تتمنى تكراره مرة أخرى.

لم تنتبه إلى ذلك القادم في طريقها، وكأنه غير موجود أمامها، فارتطمت  
بصدره دون قصد منها..

كان قد رآها مقبلة عليه بارتباك ملحوظ عليها، فدقق النظر نحوها، لكنه  
تفاجيء بها تصطدم به بقوة..

شهقت أسيف بمرح كبير، واصطبغ وجهها بحمرة خجلة وهي تعتذر قائلة:  
-أنا.. أنا أسفة، مخدتش بالي والله، م.. مقصدش!

أمسك بها مجد من ذراعها بقبضتيه ليثبتها في مكانه، ثم مرر أنظاره الغير  
مريجة عليها وهو يقول بعث:

مش تاخدي بالك يا قطة واتي ماشية! الشارع ليه أصوله بردك!

أزاحت قبضتيه عنها قائلة بنبرة مزعوجة:

م.. معلش! مش قصدي!

رد عليها بتنهيدة أريكتها:

حتى لو تقصدي، براحتك!



هربت الدماء من وجهها من إثر كلماته الجريئة تلك، وازدردت ريقها بتوتر كبير..

ظلت أنظاره القوية مسلطة عليها مسببة لها الضيق والخوف، كانت تشعر بعينه تخترق جسدها وتعريه، فتحرت سريعًا من أمامه، لكن وصل إلى مسامعها صوته الخشن وهو يقول بثقة:  
-وماله، مسيرنا نتقابل ثاني يا حلوة .....!!!

.....

### الفصل الرابع والثلاثون:

واصلت سيرها الراض مبتعدة عن ذلك الوجه المقلق الذي اعترض طريقها ليكتمل يومها البائس والمشحون بالكثير من الأحداث.  
توقفت لأكثر من مرة لتلتقط أنفاسها اللاهثة، وتلفتت حولها بخوف، لم يكن في إثرها، فتنهدت بعمق شاعرة بالإرتياح.

نظرت أسيف إلى رسغها بنظرات متوترة، فوجدت تلك الجروح البسيطة  
فيها.

همست لنفسها بصوت متقطع ومتآلم:  
تعبت من كل حاجة!

اعتدلت في وقفها، وجابت بأنظارها المحال المتواجدة على مرمى بصرها.  
لمحت بعينها لافتة مضيئة مدون عليها " صيدلية الدكتور فاطمة "، فالتوى  
ثغرها بابتسامة باهتة.

تحركت نحوها آملة أن تجد فيها علاجاً لتلك الخدوش قبل أن تتلوث..  
حمدت الله في نفسها أن الصيدلية كانت مفتوحة الأبواب، فدفعت بابها برفق  
لتلج إلى الداخل.

وقعت عيناها على فتاة شابة ترتدي معطفاً أبيضاً ذات وجه قمحي بشوش،  
ويزين رأسها حجلاً وقوراً، فاقتربت منها قائلة بصوت مرتبك:  
لو سمحتي عندك... مطهر ولا دوا كده....

قاطعتها فاطمة متسائلة بنبرة عملية:

-اتتي عاوزة المطهر لايه بالضبط؟ يعني نضافة البيت ولا لجروح و...؟

رفعت أسيف رسغيا للأعلى لترها تلك الأثار البارزة وهي تجيها:  
لدول يا دكتور؟

مدت فاطمة كف يدها لتمسك بمعصمها، وتفحصت جروحها البسيطة قائلة  
بتوجس:

ده حصل من ايه؟

ارتبكت أسيف أكثر، وخشيت أن تجيها بالسبب الحقيقي وراء إصابتها بتلك  
الخدوش حتى لا تسبب لها المشاكل، فلا داعي لتزج بأي أحد فيما لا يخصه.  
عضت على شفتها السفلى مرددة بصوت مرتجف:  
-كنت.. كنت... بأروق الدكان فاتجرحت ومخدتش بالي!

هزت رأسها بتفهم، وتابعت بجدية:

-أها.. طيب لحظة واحدة أجيبك مطهر مناسب، وهنط عليهم بلاستر  
طبي يعني نضمن عدم تلوثهم

ماشي

قاتها أسيف وهي تستند بمرفقها على الطاولة الزجاجية الموضوع عليها علب  
الأدوية..

كانت تشعر بدوار بسيط في رأسها، وأنها غير قادرة على المحافظة على اتزانها،  
فتشبثت بحافتها مانعة نفسها من السقوط..

التفتت فاطمة نحوها رامية إياها بنظرات غريبة، ثم دنت منها متسائلة  
بتوجس:

-اتي كويسة؟

أجابتها أسيف بوجهها الشاحب:

أه!

اعترضت فاطمة على ردها قائلة بجدية:

بس شكك بيقول غير كده، لو في حاجة تعبكي قوليلي، أنا هساعدك!

لم تجد أسيف بدأ من رفض مساعدتها، فهي بالفعل ليست على ما يرام، لذا  
هتفت بنزق:

أنا حاسة بدوخة بسيطة!

ظهر على تعابير فاطمة الإهتمام بحالتها، فأشارت لها قائلة بصوت أمر:  
طب اقعدي من فضلك، أنا هاقيسلك الضغط، جايز يكون مش مضبوط!

ابتسمت لها أسيف بصعوبة وهي ترد يامتنان:

متشكرة

على ايه، اتفضلي!

.....

حملت رضيعتها على كتفها، وأحمت ضبط حجاب رأسها وهي تلج للخارج  
موصدة باب المنزل خلفها.

سبقتها أمها بخطوتين، ولكنها تراجعت عن الاستمرار في حركتها لتلتفت  
برأسها للخلف وهي تقول بقلق:

مش كنا نستنى أسيف؟ هترجع مش هتلاقي حد فينا موجود

ردت عليها نيرمين بضجر وهي عابسة الوجه:

هو حد عارفها مطرح ولا سكة، الله أعلم بتعمل ايه!

ثم زمت شفيتها لتضيف بنبرة ذات مغزى:

مش جازي تكون ماشية على حل شعرها!

استشاطت نظرات عواطف عقب تلك العبارة المهينة، وهتفت فيها بإستنكار تام:

-لي نفسك يا نيرمين! دي بنت خالك، مش واحدة من الشارع!!!

نفخت الأخيرة بغضب قائلة بتجهم:

-خلاص يا ماما!

ثم لمعت عيناها بوميض غريب وهي تهتف بتلهف:

-بيننا عشان نلحق العزومة!

نظرت لها أمها شزراً، ثم تحركت نحو الدرج قائلة بحيرة:

-الي مستغرباه، اشمعي دلوقتي بالذات الست جليلة عزمانا!

ردت عليها نيرمين بابتسامة عابثة:

-وماله، مش قرايننا!

تهدت عواطف قائلة بإنزعاج خفيف:

-ربنا يستر، أنا مش مرتاحة

دفعتها نيرمين بكف يدها قائلة بحماس لم تستطع اخفاؤه:

حطب يالا، هنتأخر!

في نفس التوقيت، كانت جارتها بالطابق الأدنى منها تضع قمامتها أمام باب

المنزل، فرأتهما وهما تنزلان عن الدرج فهتفت مرحة بود:

-وأنا أقول العمارة منورة ليه!

توقفت الاثنتان عن النزول، واقتربتا منها لتصافحها وتحتضنها بألفة معهودة بين

الجيران.

هتفت الجارة " خضرة " بحماس:

-واحشني والله يا ست عواطف، فينك، بقالي كام يوم مش شيفاكى!

ردت عليها عواطف بابتسامه متكلفه:

مشاغل والله يا خضرة

ربت الأخريرة على ذراعها بيدها قائلة بفضول:

-ربنا يعينك، بس على فين العزم كده و...؟

أجابتها عواطف عفويًا وهي تشير بيدها:

-رايحين عند الحاجة جليلة شوية!

تهللت أساير الجارة خضرة قائلة:

-أم سي مندر، أمانة تسلميلي عليها أوي!

ردت عليها عواطف بابتسامه خفيفة:

-يوصل ان شاء الله!



واصلت حديثها الودي قائلة بنبرة مجاملة:  
-ربنا يصلح حالك ويعوض البنات بالخير يا رب!

ردت عليها عواطف يايجاز:  
-اللهم امين!

همت بعدها بالانصراف، لكن أوقفها سؤال خضرة الجاد:  
-وازي بنت أخوكي؟ مش شيفها معاكو؟

أجابتها عواطف بتلعثم قليل:  
عندها مشواير بتخلصها!

هزت رأسها قائلة بتفهم:  
-أها، ربنا يعينها!

انزعجت نيرمين من إطالة ذلك الحديث الفضولي الغير مجدي، فأردفت قائلة  
بامتعاض:

-لا مؤاخذه يا خالتي، احنا مستعجلين شوية!

ردت عليها خضرة بابتسامه ودودة:

-اذنك معاكي يا حبيبتني!

ثم دقت النظر في رضيعتها رنا متابعة بلطف:

-ياختي طعمة، رنا يفرحك بيها

ردت عليها نيرمين بإيجاز وهي جامدة التعابير:

-يا رب إن شاء الله

أضافت الجارة خضرة برجاء:

-وعقبال بسمة وعوضها يا رب

ردت عليها عواطف يامتنان:

يا رب أمين، فوتك بعافية يا حبيتي!

لوحث لها الأخيرة بكف يدها قائلة:

-الله يعافيك يا رب!

تمت نيرمين من بين شفيتها بصوت هامس منزج:

ناقصين عطلة احنا

ردت عليها أمها بصوت خفيض وهي تلكزها في جانبها:

-ششش، وطى صوتك، وامشي وانتي ساكتة

.....

وقف أمام مطعم العائلة واضعاً كفيه على منتصف خصره متأملاً إياه بنظرات متباهية.

تغير المكان كثيراً منذ حبسه قبل عدة أعوام، وأجريت فيه العديد من التجديدات التي أضفت إليه.

تحرك بخطوات ثابتة نحو مدخله صائحاً بصوت جهوري:

## حاج مهدي!

لم يصدق أذنيه حينما سمع صوته الذي افتقده لفترة.. توهم في البداية أنه يتخيله، لكن حينما تكرر مجددًا نهض من على مقعده، واتجه للخارج ليتأكد منه.

اتسعت حدقتاه بسعادة كبيرة حينما رآه أمامه بشحمه ولحمه.  
دنا منه بخطوات شبه متثاقلة هامساً بذهول:

مجدد! ابني!

فتح الأخير ذراعيه في الهواء هاتقاً بصوته الخشن:  
-أبوي! أنا خرجت خلاص

أسرع أباه ناحيته، ثم ضمه إليه قائلاً بسعادة:  
-ابني، كفارة يا غالي، ياه، مش مصدق إنك خرجت

ربت مجد على ظهر أبيه عدة مرات بقوة قائلاً بنبرة متحشجة:  
صدق يا حاج!

تراجع مهدي للخلف ليدقق النظر فيه، ثم احتضن وجهه براحتيه متابعًا بنبرة  
مشتاقه:

الحمد لله إن ربنا مد في عمري لحد ماشوفتك قدامي!

وضع مجد قبضتيه على كفي يده، ثم أزاكما برفق ليقبلهما قائلاً بإنزعاج:  
-بعد الشر عنك!

أشار له مهدي بعينه قائلاً بحماس:

حطب تعالى جوا، ده أخوك هايفرح أوي لما يعرف إنك خرجت!

تلفت مجد حوله متسائلاً بتعجب:

أه صحيح، هو فين؟ مش باين ليه؟

ارتبك مهدي قليلاً، وتردد في إخباره بما حدث مع أخيه. فهو يعلم تهور ابنه  
البكري، وتصرفاته الطائشة والغير محدودة خاصة فيما يتعلق بالمشاجرات  
والاشتباكات العنيفة.

لاحظ هو صمت والده، وتبدل تعابير وجهه للإنزعاج، فسأله بجدة:  
- في ايه يا أبا؟

أجابه مهدي بنبرة مترددة لم يستطع إخفاء اضطرابه فيها:  
-... يعني شوية مشاكل من اللي أخوك بيعملهم دائماً!

تابع مجد قائلاً بنبرة مزعوجة:  
مع ابن طه؟

تنحنح أباه قائلاً بتوتر:  
حاجة زي كده!

تجمدت تعابير وجهه، وقست نظراته أكثر وهو يقول:  
أنا خرجتلهم، ومش ورايا حاجة إلا هما!!

حاول مهدي تغيير الموضوع كي لا يثير المشاكل، وهتف قائلاً بجديّة:  
سيبك منهم دلوقتي، وتعالى احيكي عملت ايه

رد عليه مجد بتنهيده شبه متعبه:

هانحكي للصبح يا حاج، بس أنا محتاج أروح أستحمى وأشيل بلاوي  
السجن اللي هرت جتتي!

ابتسم مهدي قائلاً بهدوء:

ماشى يا مجد، وأنا هاخلي الطباخ يعملك أحلى أكل

رد عليه مجد بحماس:

ايوه يا حاج، ده أنا معدتي اتهرت من أم الأكل ال.... بتاع السجن!

أضاف أباه قائلاً بابتسامه باهته:

انسى الأيام دي، راحت لحالها خلاص!

لفت أنظار مهدي شيئاً ما على ثيابه، لم يتبينه بوضوح، فتساءل باهتمام:

ايه اللي على هدومك ده؟

أخض بصره لينظر إلى حيث أشار مردداً بتساؤل:

ده ايه ده؟

كانت تلمخ ثيابه أثار لبقع دماء صغيرة، ولكنها كانت جافة..

هتف مهدي متسائلاً بتوجس:

انت اتعورت؟

هز رأسه نافياً وهو يجيبه باقتضاب:

لا..

رد عليه متسائلاً باستغراب:

أومال الدم ده من ايه؟

الزيتون

صمت مجد ليفكر قليلاً في سبب تلوث ثيابه ببقع الدماء.. فجاء إلى خده

لحظة إرتطام الفتاة الغريبة به..



هي الوحيدة التي استندت على صدره في ذلك المكان تحديداً، فرما تعود تلك اللطخات إليها.

أخرجه من شروده المؤقت صوت أبيه هاتفاً:  
-انت كويس يعني؟

رد عليه مجد بفتور:

-اه، متخدتش في بالك، تلاقيها وساخة كده!  
حبيب

حرك مجد عنقه للجانبين وهو يفركه مردداً:  
-ماشي يا حاج مهدي، هاستحمي واغير هدومي دي، وهاستنك في البيت

أوماً مهدي برأسه قائلاً:

حبيب يا ابني، وأنا هاقلل المطعم وهاحصلك!

أضاف مجد بجدية:

-وعرف البيه مازن، خليني أشوفه

رد عليه والده مبتسماً ابتساماً عريضة:  
حاضر، ده هايجيك جري بس أقوله الأول!

التوى ثغر مجد للجانب وهو يقول:  
أديني هاشوف!

.....

انحنى للأسفل قليلاً ليرفع الصغير بذراعيه عاليًا ليتمكن من قرع الجرس الذي لم  
يستطع الوصول إليه، ثم أنزله ليقف على قدميه قائلاً له:  
مبسوط؟

رد عليه يحيى بسعادة:

اه يا عمو منذر!

الزوجة: منذر!

سمع كلاهما صوت جلبة بالداخل، ثم أعقبه صياح أروى المعتاد قبل أن تفتح  
الباب هاتفة بمرح:

يحيي جه!

ثم اقتربت منه لتحتضنه بسعادة..

لف الصغير ذراعيه حول عمته الصغرى مردداً:

-وحشتيني!

ردت عليها بابتسامة عريضة:

-وانت كمان

دفعها منذر بكفي يده للداخل قائلاً بجدية:

حطب خشوا جوا انتو الاتنين!

ثم أوصد الباب خلفه ولف ذراعيه حول كتفيها وهو يصحبها للداخل..

يحيي!

صاح بها دياب بصوت مرتفع وهو يقترب من ابنه بخطى سريعة ليلتقطه بين

ذراعيه.

ضمه بحنان أبوي صادق، ثم قبله من كلا وجنيه قائلاً بصوت شبه مختنق:  
حبيبي، كنت هاجن وانت بعيد عني!

رد عليه ابنه ببراءة:

-أنا روحت عند تيتة شوية

ضمه دياب إلى أحضانه متنعماً بإقترابه الذي اشتاقه قائلاً بنبرة متأثرة:  
مش هاسيبك تاني، بأحبك يا يحيى!

ابتسم له ابنه قائلاً بهرح:

-وأنا كثير يا بابا!

أردف منذر قائلاً بهدوء:

-ابنك في حضنك اهوو

رد عليه دياب يامتنان:

-رنا يخليك ليا، من غيرك ماكنتش هاعرف أجيبه لوحدي

عابه مندر قائلاً:

عيب ده ابني

ثم اتبه للصوت الأثوي الآتي من الداخل فتساءل بفضول:  
هو احنا عندنا ضيوف ولا حاجة؟

رد عليه دياب بامتعاض قليل وهو يشير نحو طفله:  
اه، أمك أعدت مع بنت عواطف، الأبله بتاعة الأستاذ ده!

هتف الصغير يحي متسائلاً ببراءة:

هي مس بسمة هنا؟

رد عليه أباه مبتسماً:

-ايوه يا حبيبي!

حرك الصغير يجي ساقيه في الهواء محاولاً النزول وهو يصيح بالحاح:  
-أنا عاوز أشوفها!

أنزله أباه ليقف على قدميه قائلاً:  
طيب يا سيدي، روحها

ركض الصغير قائلاً بسعادة:  
-ماشي

راقبه الاثنان بأعينهما حتى اختفى من أمام أنظارهما، فتساءل مندر بجدية:  
هي لسه مخلصتش الدرس؟

هز دياب رأسه نافياً وهو يجيبه بضجر:  
-لا، حصل حاجة كده هابقي أقولك عليها بعدين

لاحظ هو تبدل نبرته، وكذلك قسامات وجهه فسأله بجدية:

- في ايه؟

أجابه دياب بغموض:

مشكلة وأنا خلصتها بمعرفتي..!

وقبل أن يحاصره أخيه بالمزيد من الأسئلة، أضاف قائلاً:

-بس اعمل حسابك إن أمها وأختها جاين!

قطب منذر جبينه بإستغراب وهو يتساءل بنبرة شبه مرتابة من زيارتهما

تلك:

ليه؟

أجابه دياب بسخط قليل:

-الحاجة جليلة صممت تعزهم

وضع منذر يده على رأسه ليحكها، فقد فهم المقصد من وراء تلك الزيارة  
الغير مريحة، وردد يانزعاج بائن:  
أمك وعمائلها! مش هاتجيبها لبر أبدًا!

حدق فيه دياب بنظرات حائرة وهو يسأله:  
-بتكلم عن ايه؟

التفت منذر ناحيته ورمقه بنظرات عميقة مجيباً إياه بغموض:  
متخدش في بالك، بس أهى فرصة أخلص حاجة كده في دماغى!

زاد فضول دياب لمعرفة فيما يفكر أخاه، فسأله باهتمام:  
حاجة ايه دي؟

ابتسم بمكر وهو يجيبه:

هاتعرف كمان شوية

.....



انتهت فاطمة من قياس ضغط أسيف التي تمكن الإنهاك من تعابير وجهها،  
وأغلقت الجهاز الخاص بذلك قائلة بقلق:  
ضغظك واطي، محتاجة تاخدي حاجة ترفعه!

ردت عليها الأخيرة بصوت متعب:  
إن شاء الله

تابعت فاطمة قائلة بنبرة محذرة:  
على فكرة ده مش كويس، لازم تاخدي بالك من نفسك كويس!  
هزت رأسها بإيماءة خفيفة وهي ترد باقتضاب:  
-ربنا يسهل!

أرادت فاطمة أن تعرف المزيد عن تلك الشابة، فقد أثارت اهتمامها إلى حد ما  
خاصة أنها تعرف معظم المتواجدين بالمنطقة نتيجة ترددهم على صيدليتها.  
تساءلت بابتسامة مهذبة:

-انتي قولتيلي بتشتغلي هنا صح؟

حركت أسيف رأسها بالنفي وهي تجيبها:  
-لا، أنا عندي دكان بتاعي!

مطت فاطمة فها مرددة بتعجب:  
غريبة! أنا أول مرة أشوفك هنا!

بررت لها أسيف سبب وجودها قائلة بارتباك خفيف:  
-ما.. ما أنا لسه جاية قريب، كنت.. كنت عايشة في مكان ثاني!

زادت ابتسامة فاطمة إشراقاً وهي تضيف بحماس:  
-أها.. نورتي المكان، وإن شاء الله يعجبك، أنا اسمي الدكتور فاطمة على  
فكرة، صاحبة الصيدلية دي، وساكنة في العمارة اللي فوقها!

بادلتها أسيف ابتسامة ودودة وهي تقول بجذر:  
-وأنا أسيف!

زمت فاطمة شفيتها قائلة بإعجاب:

حلو الاسم بتاعك، مميز شوية!

ردت عليها الأخيرة مجاملة:

ميرسي، وانتى كمان اسمك جميل!

تسلمي على ذوقك

.....

في نفس التوقيت، كان يمر على مقربة من مكان الصيدلية، يجوب بأنظاره  
أوجه المارين بالمنطقة ملوحاً لهم بذراعه ومعلنأ عن وجوده..

كانت ردة فعل أغلبهم ما بين الإنزعاج والقلق.. فالكل يعرف طبيعة مجد  
المشاكسة، ولم يسلم أحد من أذاه أو تعليقاته السخيفة إن لم يمتد الأمر  
لإفتعال المشاجرات من لا شيء..

وقعت عيناه مصادفة على واجهة الصيدلية الزجاجية، فرأها بالداخل.

هنا توقف عن سيره، وسلط أنظاره عليها.

كان يراقب باهتمام حركاتها العفوية، ضاقت نظراته نحوها، وبدت غير مريحة بالمرّة.

إزداد حماسة في التودد عن قصد إلى تلك التي تسبب في ترك أثارها على ثيابه..

أخذ نفسًا عميقًا، وزفره دفعة واحدة وهو يتحرك صوب الصيدلية.

اقتحم المكان صائحًا بنبرة ذات مغزى:

مش قولتك هنتقابل ثاني يا قطة!

التفتت أسيف نحو صاحب الصوت الغليظ شاهقة بصدمة كبيرة بعد أن ارتسمت علامات التوتر على جميع قسامتها، لم تتوقع رؤيته مرة أخرى في نفس اليوم..

بدا مخيفًا تلك المرة هيئته التي تبيتها بوضوح، وبوجهه المقلق، وبنظراته المريبة التي تقشعر لها الأبدان، وبطريقته الفظة التي تثير الخوف والإضطراب .....

هتفت فاطمة قائلة بامتعاض:

حمدلله على السلامة يا أستاذ مجد، خرجت امتي من السجن؟

اتسعت حدقتي أسيف ياندهاش أكبر عقب تلك العبارة، وأصبحت أكثر قلقاً  
عن ذي قبل..

رد عليها مجد بتفاخر:

لسه طازة يا ست الضاكتورة!

ابتسمت فاطمة بتكلف وهي تقول:

مبروك!

دنا مجد من أسيف أكثر قائلاً بنجبت وقد سلط أنظاره الجريئة عليها:

مش هاتتعرف يا حلوة

ضمت أسيف رسغها إلى صدرها قائلة بنبرة عازمة متحاشية النظر إليه:

أنا ماشية، شكراً يا دكتورة!

اعترض مجد طريقها بجسدة قبل أن تخطو خطوة واحدة للأمام قائلاً بسخط:

-الله الله! هو إذا حضرت ال..... هه؟

ازدردت أسيف ريقها بخوف، وهتفت برجاء مرتبك:

-بعد اذنك عاوزة امشي، ممكن توسع!

انتصب مجد بجسده عن عمد ليبدو أكثر ضخامة وقوة، ثم رفع أنظاره إلى فاطمة قائلاً بعتاب متعمد يحمل بين طياته تهديد خفي:

-جرى ايه يا حالضاكتورة، مش تقولي للحلوة أنا مين، ده أنا ضيفك؟

فهمت الأخيرة مقصده، وردت قائلة بحذر:

-الأستاذ مجد أبو النجا، من رجالة المنطقة!

ضاقت نظراته أكثر وهو يقول بصوت متجهم:

-بس كده!

تمت فاطمة قائلة من بين شفيتها بصوت هامس للغاية لا يصل للأذنين:

-يعني أقولها إنك بلطجي وشمحطي، وكل حاجة بشعة، هي مش ناقصة  
تترعب منك!

صاح مجد بصوت خشن وهو يشير بعينه الصارمتين:  
-ساكنة ليه يا ضاكتورة؟

استشعرت فاطمة خوف أسيف وتوترها البادي للعيان، فضغطت على  
شفتيها قائلة على مضض:

-أستاذ مجد بعد اذنك، أسيف تعبانة وعاوزة تروح بيتها!

عاود مجد النظر إلى أسيف، وأخفض رأسه نحوها ل يبدو أكثر قرباً منها وهو  
يقول بنبرة مأكرة:

-أسيف، أول مرة اسم الاسم ده؟

مال عليها ليهمس بفضول:

-اتي تبع بيت مين؟

توترت أسيف من اقترابه الغير مريح، وهتفت معترضة على تصرفاته المتجاوزة  
 بصوت حاد رغم ارتجافه:  
 لو سمحت عاوزة عدي!

هدر بها فجأة بصوت قاسي جعل جسدها يجفل بقوة:  
 -لما أسألك تردي عليا، شكلك جديدة هنا ومش عارفة أنا مين!

تلاحقت دقات قلبها، وانكشيت على نفسها مرتعدة من طريقته المخيفة.  
 تراجعت خطوة للخلف متحاشية صراخه الذي أربكها ولكنه تحرك نحوها  
 صائحاً بنفاذ صبر:  
 -ردي، بنت مين هنا؟

أدركت فاطمة أن أسيف لا ترغب في البوح بكنتيتها، ولا بما يخص عائلتها،  
 فحاولت أن تتدخل في الحوار لتعفيها من ذلك الحصار المهلك قائلة بضجر:  
 هي مش من هنا يا أستاذ مجد، فمن فضلك بلاش تضايقها!

التفت مجد نحوها قائلاً بتهمك:



هي وكتك المحامية بتاعتها وأنا معرفش!

ردت عليه بجزر:

-لأ، بس....

قاطعها قائلاً بشراسة وهو يشير بحاجبيه:

-يبقى تحطي لسانك في بؤك وتسييني أتعرف على الحلوة

استغلت أسيف فرصة إنشغاله بالحديث معها، وتملصت من حصاره المرعب بجزر شديد لتتمكن من الهروب بعدها من أمامه راکضة بأقصى سرعتها خارج الصيدلية..

تفاجيء هو من فرارها، لكنه لم يحرك قدماً، وظل ثابتاً متابعاً ما تبقى من أثرها وهو يحدث نفسه بثقة:

-وماله، مش هاتبعدني كثير!

بدت فاطمة منزعة للغاية من أسلوبه السوقي في فرض نفسه على الآخرين، خاصة تلك الشابة الطيبة التي توسمت فيها خيراً..

استدار مجد برأسه نحوها، ثم دنا منها بخطوات متمهلة حتى بات قبالتها تماماً.  
شعرت هي بججم الخطر الكبير المحقق بها خاصة بعد أن قرأت في نظراته  
العدائية ما يشير إلى ذلك..

هتف بها موجهاً حديثه الغليظ لها وهو يشير بسبابته:  
تاني مرة لما أحب أتكلم مع حد ماتدخليش، بدل ما تيجي في يوم وتلاقي  
الهلومة دي بخ!

ابتلعت ريقها بتوجس كبير بعد تهديده الصريح بالحاق الأذى بها وبمكان عملها.  
وهزت رأسها بإيماءات متتالية متفهمة تحذيره العدواني.  
رمقها بنظرات أخيرة ساخطة قبل أن يسحب عنوة من أمامها عدة عبوات  
لأدوية مختلفة قاذفاً إياهم بعنف ظاهر على الأرضية.  
انتفض جسد فاطمة خوفاً منه، وتراجعت للخلف مرتعدة من أسلوبه الهمجي  
الغير مطمئن على الإطلاق.

دهس بقدميه على العبوات متعمداً تحطيم محتوياتهم، فأحدث صوت تهشمهم  
إزعاجاً كبيراً، ثم أكل سيره للخارج وهو يسب بكلمات لازعة للغاية تسبب  
الحرص الشديد لمن يسمعاها.

تنفست فاطمة الصعداء لرحيله، وألقت بجسدها المرتعش على مقعدها قائلة  
بنبرة متوجسة:

شكلنا داخلين على أيام سودة مع البلطجي ده.....!!

.....

### الفصل الخامس والثلاثون:

لجأت إلى منزلها الذي كانا دوماً يلتقيان خلصة فيه قبل أن يتم زواجهما  
الرسمي..

من وجهة نظرها كان يعد المكان الآمن لتحمي نفسها من بطش دياب إن  
اكتشف خدعتها له.

تزينت كعادتها، وتغنجت بجسدها البارز أسفل قميص نومها الشفاف - ذو  
اللون السماوي - أمام المرأة.

وضعت اللمسات النهائية من مساحيق التجميل، ثم جلست على الأريكة في  
انتظار عودة زوجها مازن.

انتهت لصوت غلق الباب بالخارج، فنهضت من جلستها لتتجه إليه قائلة  
بجاس:

حبيبي، حمد لله على...

قطمت عبارتها قبل أن تكملها حينما رأت حالته المزرية أمامها.  
اتسعت مقلتها في صدمة، وشهقت واضعة يدها على فمها مرددة بذهول:  
-حصل ايه؟

مررت أنظارها على ثيابه الغير مهندمة، وعلى وجهه العابس، وتلك السجحات  
البارزة في ذراعيه وحول عنقه.

لم ينطق بكلمة واحدة، فقد ظل متسماً في مكانه حادجاً إياها بنظرات نارية  
مشتعلة.. كان بركانه الثائر يتأجج بداخله، لم يظن أنه سيتعرض لتلك المهانة  
ويذل من جديد على يد عائلة غريمه الدائم.

لم تدرك هي حجم الغضب المستعر بداخله، فاقتربت منه قائلة بتوجس:  
-مين عمل كده فينك؟

كز على أسنانه قائلاً بصوت مختنق يحمل الكثير صارخاً فيها بانفعال:  
كل بسبب عمالك اتى

قطبت جبينها مندهشة، ونظرت إليه بعدم فهم وهي تتساءل:  
أنا؟ ليه؟

قبض على ذراعها، وغرز فيه أظافره بقوة مسبباً الألم لها وهو يرد بصوت  
محتاج:  
طبعا، اتى تخطي مع أمك وتنفدوا، وأنا ألبس في مصايكم وأتهدل عشان  
خاطركم

تأوهت بأنين واضح وهي تحاول تخليص ذراعها قائلة:  
أنا.. مش فاهمة قصدك ايه

دفعها بعنف للخلف صائحاً بعصبية:

-اتى فهانى كويس، ماتستهبلش على اللي جابونى!!

فركت ذراعها بكفها برفق لتخفف من حدة وجعه مرددة بنبرة عالية:  
مازن في ايه؟ اتكلم على طول، مش لازم الأغاز دي و....

قاطعها قائلاً بشراسة مقلقة:

عاوزة تعملي نكرة على سي زفت بتاعك يبقى بعيد عني، مش تكسبي بونط  
على حسي!

زادت نظراتها توتراً وهي تسأله بارتباك:  
قصدك مين؟

هدر بها قائلاً بصوت محتاج:

هو في غيره، دياب الكلب! اتتي وأمك تخططوا وأنا أتلط معاه

كور قبض يده بعنف ضاغطاً على أصابعه بغلظة وهو يتابع حديثه المتشنج:  
لو كان بس وقع تحت ايدي لوحده كنت فرمته، عرفته قيمته بجد، بس هو  
بيتحمي في أخوه وأهله!

تقوس فمها للجانب مستنكرة ضعف زوجها أمام قوة تلك العائلة، وردت  
بنزق:

-وأنا ذنبي ايه، ان كنت انت مش أده، بتتشطر عليا أنا

لم تدرك ولاء أنها بعبارتها تلك قد نزعت الفتيل عن قبلة غضبه الموقوتة  
لتنفجر في وجهها.

صرخ بها بلا وعي وقد برزت عروقه:

-اتي.. اتي اتجننتي ؟

شعرت بحجم تهديده الصارخ من نبرته ونظراته الغير مطمئنة على الإطلاق،  
فتراجعت للخلف مرددة بندم شديد:

مش قصدي يا مازن

احتقت عيناه بحمرة شيطانية مخيفة، ودنا منها مهدداً بنبرة عدوانية:

-أنا هاعرفك معنى الكلمة دي كويس!

ابتلعت ريقها هاتفة بدعر:

مازن اهدى، مقصدش والله!

رفعت ذراعها أمامه محاولة الاحتواء منه، لكن لا جدوى، فقد أطلق العنان  
للوحش الطائش بداخله.

انقض عليها فجأة قابضاً على عنقها خائفاً إياها بكل قوته.

عجزت عن التنفس، وجاهدت لإلتقاط أنفاسها.

أرخی أصابعه عنها ليمسك بها من رأسها.

سعلت بشدة في تلك اللحظة، لكنه لم يمهلهما الفرصة للهروب من عقابه  
الحيواني، حيث جذبها بعنف من شعرها الذي لفه حول قبضته لتصرخ متألماً:

آآآآه، أسفة حقك عليا!

وكأنه خرج عن شعوره الواعي ليتحول إلى شخص آخر غير طبيعي يدمر  
بإهتياج ما تطاله يده.

إنهال عليها أولاً بصفعة مباغطة على وجهها آلمتها بشدة.

تأوهت صارخة بإستعطاف كبير وهي تجاهد لحماية وجنتها:

آآآآآآه، ارحمني يا مازن!



لم يشعر بنفسه وهو يواصل صنعها بوحشية على وجهها جاعلاً إياها تنزف  
بغزارة من أنفها ومن بين شفيتها.

ثم أسقطها أرضاً، وركلها بقسوة في أجزاء متفرقة من جسدها مسبباً لها آلاماً  
رهيباً..

شعرت بنغزات حادة تعصر معدتها من قوة الضربات الشرسة، فوضعت  
يدها أسفل بطنها مرددة بصوت باكي محاولة استجدائه عل قلبه يرق:  
أنا حامل، حرام عليك!

استأنف اعتدائه الهمجي صارخاً بهياج أكبر:

-بقي أنا مش اده، أومال اتجوزتيني ليه؟ ها ليه؟

ركلها مجدداً في أسفل معدتها بعنف أشد فصرخت يبكاء متوسل وهي تقاوم  
ضربات المتلاحقة:

آآآه، كفاية، آآه

هدر بها بصوت محتد وهو يجثو على ركبته أمامها:

دياب ده حشرة أفصها تحت رجلي!

أمسك بها من خصلات شعرها رافعاً رأسها عنوه عن الأرضية وهو يتابع  
بتهور:

-سمعاني، أنا أده وأد عيلته كلها!

لم تستطع الرؤية بوضوح بفعل دموعها الغزيرة، لكن خرج صوتها الضعيف من  
بين شفطها المملطختين بالدماء:

-ايوه سماعك.. آآه، سييني!

بصق فوقها بعد أن رمقها بنظرات احتقارية مزدرية، ثم نهض عنها ولكن قبل  
أن يبتعد ركلها بقسوة في ساقها، فصرخت باكية:

-آآه، حرام عليك!

انتاب جسدها الآماً رهية خاصة في منطقة معدتها، لم تستطع تحمل تلك  
الوخزات والنغزات العنيفة فتكورت على نفسها وجسدها يرتعش بشدة....

سال من بين ساقها خيطاً رفيعاً من الدماء منذراً بشيء غير محمود  
مطلقاً.....

.....

بحرج بائن على وجهها تحاشت بسمة النظر إلى الحاج طه الذي أتى ليرحب بها  
في غرفة الضيوف قائلاً بهدوء:  
-منورانا يا بنتي

ردت عليه باقتضاب وهي تضغط على شفيتها:  
-شكراً

أضاف بجدية وهو يشير بعينه:  
-أمك وأختك زمانتهم جاين، اطمني!

ابتسمت بتصنع وهي ترد:  
-ها.. تسلم يا حاج طه على العزومة دي، مكانش فيها داعي

لوح بكف يده متابعًا بصوته الرخيم:  
دي حاجة بسيطة، خدي راحتك، وانا هاخش أشوف الحاجة جلية

حافظت على ابتسامتها المتكلفة وهي تقول يايجاز:  
-اتفضل!

عادت لتجلس على الأريكة محدثة نفسها بامتعاض:  
-كانت لازمتها ايه الورطة دي!

.....

أمك مش مريجة نفسها  
هتف بتلك العبارة منذر وهو بيدل ثيابه بأخرى نظيفة استعداداً لإستقبال  
الضيوف القادمين.

رد عليه أخاه بابتسامة باهتة:

-ده نظامها، هنغيره ازاي!

التفت منذر لينظر ناحيته مكملاً بتناقض:

-كنت محتاج أريح شوية!

ثم مط ذراعيه ليضيف بغموض:

-بس يالا أهي هتيجي بمصلحة بردك!

عقد دياب ما بين حاجبيه متسائلاً باهتمام:

-صحيح، أنا مافهمتش كلامك برا، تقصد ايه بالضبط؟

وقف منذر قبالتة، وحدق فيه مباشرة وهو يجيبه بجدية:

-شوف يا دياب، بنت أخو عواطف مش ناوية تبيع الدكان خالص!

ارتفع حاجبي دياب للأعلى مستنكراً رفضها وهو يقول:

-ايه، هي اتجننت، دي اتفاقات؟!!!!

تقوس فمه مردداً بسخط:

-مش فارق معاها ده كله، ومش هاتسيهولنا بالساهل، والدنيا هتخرب!

صاح دياب بضيق ملوحاً بذراعه:  
هي بتستعبط!

تابع منذر قائلاً بنبرة مُصرّة:  
-وأنا مش هاسيديهولها!

ثم أخفض نبرته نسيئاً لتزداد قتامة وهو يقول بضيق شبه ملحوظ:  
-وخصوصاً بعد اللي عملته!

قطب دياب جبينه متسائلاً بإستفهام:  
هي عملت ايه؟

رد عليه بنبرة عازمة:

-بعدين هاعرفك، المهم أنا هاخذ منها الدكان ده!

سأله دياب بالحاح:

برضوه ازاي؟

أجابه أخاه بثقة بالغة:

هاجر عواطف تبعلي نصيبها النهاردة

بدت علامات الإندهاش جلية عليه عقب تصرّجه الأخير، وهتف غير

مصدق:

ايه!

تابع منذر حديثه الواثق بنبرة ذات مغزى بعد أن شردت نظراته نحو المجهول:

-وبكده هابقي حطيت ايدي على أول حته منه، وواحدة واحدة هاخده منها!

تساءل دياب بجدية وهو يحك مقدمة رأسه:

-وتفتكر عواطف هتبيع من غير ما تقولها؟

أوما أخاه برأسه قائلًا بتأكد وهو يربت على ذراعه برفق:

اه، هتعمل ده، معندهاش حل ثاني!

انتبه الاثنان لصوت قرع الجرس، فأردف دياب قائلاً بفتور:  
باينهم جوم!

رد عليه منذر باقتضاب وهو يعدل ياقته:  
حطب بينا نشوفهم!

.....

فتحت جليلة ذراعيها مستقبلة بود أليف ضيفتها اللاتين لبنا دعوتها، وهتفت  
مرحبة:

يا أهلا وسهلاً، شرفتونا والله

قبلتها نيرمين من وجنتها عدة مرات قائلة بحماس وقد أشرقت نظراتها:  
ازيك يا خالتي؟

ردت عليها جليلة بابتسامة عريضة وهي تتأمل تلك الحيوية المنبعثة في بشرتها:



الحمد لله يا نيرمين!

ثم سلطت أنظارها على رضيعتها التي تحملها على كتفها، وأضافت بحنو:  
ماشاء الله، هي لسه نائمة

ردت عليها نيرمين بمكر:

دي كانت صاحبة طول السكة وقرفاني، بس الظاهر البيت ملايكته حاضرة  
فنامت أول ما دخلنا الحوش!

فرحت جليلة من كلماتها المجاملة، وظنت أنها أحسنت الاختيار حينما فكرت  
فيها كزوجة مستقبلية لإينها البكري.. وما هي إلا مسألة وقت حتى يتسنى  
لها التقدم رسمياً لخطبتها وتزويجها له..

مسحت على ظهرها برفق وهي تدفعها للأمام قائلة بود:  
حبييتي، تعالي خشي، ده بيتك!

ردت عليها نيرمين بابتسامة سعيدة:

الله يخليكي لينا يا خالتي!

ثم وجهت عواطف حديثها إلى مضيفتها قائلة بلطف:  
-ازيك يا ست جليلة؟

ردت عليها الأخيرة هاتفة:

-بخير يا عواطف، اتفضلي جوا، منورين والله!

سارت ثلاثهن نحو غرفة الضيوف، لكن تسمرت عواطف على عتبة الباب  
قائلة بشهقة مصدومة حينما وقعت أنظارها على ابنتها بالداخل:  
يا نصيبي!

مررت أنظارها سريعًا عليها لتجدها قد بدلت ثيابها بعباءة فضفاضة لا تخصها،  
فوضعت يدها على صدرها عفويا وهي تتساءل بخوف:  
حصلك ايه يا بنتي؟

نجلت بسمة من الرد على أمها، خاصة أن للأمر علاقة بكرامتها، وكسر  
شموخها الأثوي..

فترددت في إجابتها، وقبل أن تجد العذر المنطقي لترد عليها، انتهت لصوت  
دياب الآتي من خلف وهو يهتف بجمود:  
-ازيك يا ست عواطف؟

استدارت أمها نحوه مجيبة إياه بابتسامة مجاملة:  
-بخير يا دياب يا بني، أخبارك انت ايه؟

هز رأسه قائلاً باقتضاب:

-الحمد لله

عاودت التحديق في ابنتها وهي تلج للداخل متسائلة بتوجس ظاهر في نبرتها:  
-مقولتليش حصلك ايه يا بسمة؟ ولون وشك ماله مخطوف كده ليه؟

ابتلعت بسمة ريقها قائلة بمرح:

-هو....

لم يدعها دياب تكمل جملتها المنتقصة، فهتف بثبات:

ده حرامي يا ست عواطف طلع عليها، فأنا مسكته وضربته قبل ما يسرقها!

اتسعت حدقتي بسمة بذهول من رده الغريب والمقنع، ونظرت إليه يأندهاش  
عجيب..

شهقت عواطف مرتعدة قائلة :

يا لهوي حرامي!

تابع دياب مؤكداً بهدوء:

اه، فتح عليها مطوة بس أنا عملته الأدب وربيتة!

نظرت له عواطف بأعين لامعة ممتنة لفعلته الرجولية وهي تشكره:

تسلم يا بني!

وقفت نيرمين إلى جوار أختها، واخذت تهدهد في رضيعتها النائمة، ثم مالت  
عليها برأسها متسائلة بفضول:

هو في ايه؟

همست لها بسمة بضجر:

-ششش، مش وقته

دقت عواطف النظر في العباءة التي ترتديها، ولم يمنعها هذا عن سؤالها بعدم  
اقتناع:

-بس ده ماله ومال هدومها؟

توردت وجنتي بسمة قليلاً، وضغطت على شفيتها ببحر بائن..

هي لن تخبر أمها بما دار معها من اعتداء متعمد عليها من قبل شاب أهوج في  
غير وعيه، وأمه التي تطاولت بالضرب والسب عليها فسبب لها ذلك تمزيق  
ثيابها..

أخرجها من شرودها الحائر صوت دياب وهو يقول مبرراً:

-تبهدلت، فما يصحش تمشي وشكلها كده!

هزت عواطف رأسها بتفهم وهي تشكر صنيعة:

-كثر خيرك، أنا مش عارفة أقولك ايه، ربنا يكفيك شر الطريق وينجيك!

رد عليها بابتسامة صغيرة:

يا رب!

نظرت بسمة لدياب بنظرات حرجة نوعاً ما.. لم يغب عن بالها شجاعته ولا  
شهامته التي أنقذتها من ذلك الموقف المشين..

ربما ستشكره في وقت لاحق على فعلته تلك حينما تحظى بفرصة مناسبة..  
هكذا فكرت، وقررت في قرارة نفسها..

في تلك اللحظة ولج منذر إلى داخل الغرفة متعمداً التباطيء في الظهور كي  
يترك مساحة من الحرية للضيوف للترحيب بهن أولاً..

هتف قائلاً بصوت أجش بعد أن تنحنح بصوت خفيض:

سلامو عليكم

انتبهت نيرمين إلى صوته، فرفعت عيناها نحوه، وتهللت أساريرها هاتفة بحماس  
عجيب:

-وعليكم السلام ورحمة الله، ازيك يا سي مندر!

التفت ناحيتها قائلاً يايجاز وهو يتنسم بتصنع:  
-تمام!

زاد وجهها إشراقاً من ابتسامته المتواضعة، وتهدت بعمق وهي تراقبه باهتمام  
ملحوظ..

ردت عليه عواطف ممتنة وهي تشير بكف يدها:  
-وعليكم السلام يا بني، بصراحة أنا مش عارفة أقولكم ايه، دي جمائلكم مغرقانا  
والله!

اقترب منها مندر قائلاً بهدوء:  
-متقوليش كده!

أضافت هي قائلة بإصرار:  
-وان شاء الله هاردهالكم كلها!

رد عليها منذر بغموض أربكها:

أنا مش عاوز منك غير حاجة واحدة وبس، وهي تغنيني عن أي حاجة  
عملتها عشانكو!

هتفت بتلهف وقد بدا الحماس ظاهرًا على تعابير وجهها:

ده أنت توؤمرني وأنا أنفذ على طول!

وقف قبالتها، ورمقها بنظرات ثابتة، ثم تشدق قائلاً بصرامة خفية:

تبيعيلي نصيبك في الدكان، ودلوقتي!

انفجرت شفتها بصدمة قليلة من جملته المفاجئة تلك..

هي حتمًا ستبيع له الدكان، لكن ليس هكذا دون ترتيب مسبق، فقط حينما  
تتفق مع ابنة أخيها كي لا تخسرها...

أكمل منذر قائلاً بصوت جاد ذو مغزى عندما لاحظ ترددها:



ده الشكر اللي أنا عاوزه منك، واطمني يا ست عواطف، أنا راجل حقاني  
وهراضيكى على الآخر!

ابتلعت ريقها قائلة بجذر:

ماشى، بس آ.....

لاحظت نيرمين إرتباك والدتها، وخشيت أن ترفض عرضه فتسبب في  
إحداث وقية معهم، لذا قاطعتها فجأة بصوت منزعج:

من غير بسبسة يا ماما، ده كتر خيرهم مش متأخرين عننا في حاجة، دكان  
ايه ده اللي من قيمتهم!

بدت حائرة للغاية وهي تحاول اتخاذ قرارها النهائي، فهتفت بتلثم:

ط.. طب بس أقول ل.....

واصل منذر حديثه الجاد قائلاً بتحذير:

ست عواطف، مش عاوزك تنسي الاتفاقات اللي كانت بينا، ودي مصالح  
مش هزار!

حركت رأسها بتفهم وهي توضح له سبب حيرتها:  
-أنا فاهمة، بس قصدي بنت أخويا.....مش راضية... أنا.. أنا علوزة وقت  
أقنعها و....

رد عليها بصرامة وقد قست نظراته:  
-ماليش دعوة بيها، أنا بأكلمك اتني!

توترت الأجواء قليلاً.. فخافت نيرمين من رد أمها الذي يمكن أن يفسد المسألة  
بالكامل فهتفت بنزق:  
-أمي موافقة طبعا!

ثم سلطت أنظارها المنزعجة على والدتها لتقول يا لحاح عجيب:  
-صح يا ماما؟

فهمت عواطف من نظرات ابنتها جدية المسألة، وردت بحسم:  
-اللي تشوفه يا بني!

التوى ثغر منذر بابتسامة مغترة وهو يرد:  
على بركة الله، يبقى نمضي العقود دلوقتي

تهدت نيرمين بإرتياح لإمثال والدتها لرغبته، واستشعرت أنها حازت على  
نقطة ما في صالح عائلتها معهم قد تمحو آثار ما فعلته ابنة خالها التعيسة..  
كما لم تفارقه نظراتها المتأملة له، وظلت تتابع حركاته وإيماءاته بإعجاب واضح على  
محياتها..

لا تعرف ما الذي يجذبها إليه تحديداً، لكن رأت به كل مواصفات الشاب  
الشهم ذو الطباع الرجولية الحامية التي تمنى لو رأتها في طليقها السابق..

.....

تنفست الصعداء لنجاتها من حصار ذلك الفظ الوح. لو لم تنتبه لغفلته عنها  
لكانت ماتزال تحت تهديده الجريء. وربما امتد الأمر للتطاول باليد من قبله.

بدا حلقها جافاً للغاية من فرط التوتر والخوف.

حاولت أن تفكر بذهن صافٍ لتنجو بيدنها مما تورطت فيه من متاعب مقلقة مؤخرًا..

حسنت أمرها بالتراجع نهائيًا عن ذلك المحضر الرسمي، فلا حاجة بها للوقوع في المزيد من المشاكل مع منذر، فتهديده الأخير لها، وإصراره على سلب حقها قد أخافها بصورة كبيرة..

ظنت بخطوتها تلك أنها ستؤجل انتقامه العنيد منها، بل ربما تجبره على التراجع عنه.. لذلك توجهت للمخفر بعد فرارها العجيب من الصيدلية.

ولجت إلى الداخل مقتربة من أحد المخبرين المرابطين عند المدخل، وسألته بتردد وهي تجاهد للحفاظ على ثبات أعصابها المشدودة:

أنا كنت عملت.. محضر.. من بدري، ينفع أسأل عن حاجة تخصه؟

نظر لها المخبر بتفرس وهو يسألها بجمود:

محضر ايه ده؟ وضد مين يا ست؟

ازدردت ريقها الجاف بصعوبة مجيبة إياه بارتباك:

سرقة.. وضد.. ضد واحد اسمه منذر طه حرب!

تصلبت تعابير وجه الأخير نوعًا ما، فهو على صلة وطيدة به، بل هو من أبلغه بطبيعة المحضر المقدم ضده، لذلك اعتقد أن مجيئها إلى هنا الآن ربما لتستفسر عن باقي الإجراءات القانونية المتبعة بعد تقديم الشكوى الرسمية. تعمد أن يضلها قليلاً ويؤخرها لعله يكتسب المزيد من الوقت قبل أن يبلغ منذر بحضورها.

صاح بها بصوت جاد وهو يشير بكف يده:  
حطب اقعدي هنا يا ست لحد ما أسالك جوا

ابتسمت له ابتسامة باهتة وهي تهز رأسها بالإيجاب:  
-كثر خيرك.. متشكرة!

اتجهت إلى حيث أشار، وجلست على مصطبة خشبية مسنودة عند أحد الأركان، و إلى جوار سيدة ما منتظرة بترقب حضوره إليها..

نظرت إلى من حولها بنظرات شاردة فارقة أصابع يديها بقلق.. ومع ذلك كانت تشعر براحة قليلة لتخليها عن عنادها في تلك المسألة..

بالفعل كان يومها مشحوناً بالكثير والكثير من الأحداث التي تفوق قدرتها على التحمل، وهي لا ترغب في أن تخوض مثل تلك التجارب يومياً، لذا الأسلم من وجهة نظرها التراجع عما يمكن أن يضعها في مواقف متأزمة..

اختفى المخبر بالداخل، ورغم هذا كان قادراً على رؤية أسيف من إحدى الزوايا الجانبية - دون أن تراه هي - ومتابعها عن كذب.  
أخرج هاتفه المحمول من جيبه طالباً منذر على عجلة..

لم يجب الأخير على اتصاله المتكرر، فتمتم مع نفسه بصوت مزعوج:  
يا ريس رد عليا!

.....

خرج من المرحاض مبتلاً بغزارة وهو يلف حول خصره منشفته القطنية.  
نعم هو أفرغ شحنته الغاضبة فيها، لكن لم تهدأ ثورته المشتعلة بعد..  
مازالت الضغائن ضد ابن عائلة حرب متأججة بداخله، ويوماً بعد يوم تزداد حدتها..

صاح بصوت متحشرح وهو يزيح حبات المياه عن وجهه:

-ولاء!

أمسك بفرشاة الشعر ليمشط خصلات شعره المبتل.. وأخذ يتفقد وجهه  
بنظرات دقيقة متأملاً تلك الخدوش البائنة حول عنقه، وعلى ذراعيه.  
زفر بضيق كبير.. فتلك هي الآثار الناتجة عن تقييده من قبل رجال مندر..  
أخذ يسب ويلعن بكلمات نابية وأشد حدة..  
لم يأتيه ردها بعد، فصاح مجدداً بعصبية لا عنأ إياها بغلظة:  
-انتي يا.....، مش هافضل أنادي عليكى كثير!

أزعجه تجاهلها له، فتشنجت قسامات وجهه أكثر، وتصلبت عروق عنقه وهو  
ينظر إلى إنعكاس صورته في المرآة..

ألقي الفرشاة بغل، وخرج من غرفة النوم بخطى متعجلة وهو ينتوي إلحاق  
الأذى بها، لكنه تجمد في مكانه برعب كبير.

إرتجافة قوية دبت في جسده حينما رآها لا تزال ممددة على الأرضية حيث  
تركها قبل برهة، و تحاوطها بركة من الدماء الداكنة..

شخصت أبصاره بفرع، وتسارعت دقات قلبه بخوف أكبر.

أفاق مازن من جموده المؤقت هاتفاً بلا وعي وهو يركض ناحيتها:

-ولاء.....!!!

.....

## الفصل السادس والثلاثون:

أعدت طاولة شهية مليئة بصحون متنوعة من الطعام الذي تطيب له الأنفس،  
فالتف الجميع حولها يتناولون إياه بإستمتاع واضح لمذاقه الرائع.

جلست عائلة حرب في مواجهة عائلة عواطف، وترأس الطاولة الحاج طه..  
لم تتركه نظراتها المتطلعة إليه على طول الوقت، فقد كانت نيرمين تراقبه خلصة  
تدرس تفاصيله باهتمام واضح عليها.

هناك تلك الهالة الغريبة حوله والتي تجذبها بشدة إليه. فلم تستطع منع نفسها  
من التحديق به.



على النقيض، لم يكن مندر مهتماً بها، أو حتى شاعراً بنظراتها نحوه، بل هي لم تكن ببالة مطلقاً، على عكسها هي التي كانت تضعه موضع مقارنة صريحة مع طليقها الأسبق.

تهدت بعمق وهي تدس الحساء الساخن في فمها. حدقت فيه حينما أردف قائلاً بجدية:

بكرة بأمر الله هانسجل العقود في الشهر العقاري، هاعدي عليكي الصبح يا ست عواطف عشان نخلص بدري

هزت عواطف رأسها بإيماءة موافقة وهي تقول:  
ماشني يا سي مندر، اللي تشوفه

أضاف الحاج طه قائلاً بابتسامة إرتياح:  
مبروك علينا البيعة!

ردت عليه نيرمين بحماس:

الله يبارك فيك يا حاج طه، احنا متأخرش عنك، أومرنا انت بس!

التفت ناحيتها ليقول بود:

تسلمي يا بنتي!

هتفت عواطف يا متنان:

سفرة دائمة يا رب، مكانش ليه لازمة التعب ده كله

ردت عليها جليلة بود:

دي حاجة بسيطة، ألف هنا وشفا

أشارت أروي بيدها قائلة:

عاوزة بطاطس يا ماما

ردت عليها أمها بنبرة عادية:

حاضر يا حبيبتي، خدي!

ثم صاحت بجديّة وهي تشير لحفيدها:

-كل طبقك كله يا يحيى، مش كل يوم تفوض أكلك!

هتف الصغير يحيى مردداً ببراءة:

-أنا هاخلص أكلي كله عشان مس بسمه تتبسط مني

استدار أباه ناحيته، ورد عليه بإستنكار:

-يا سلام، عشان خاطر الأكلة بس!

ضيق بسمه نظراتها نحوه، وهتفت قائلة بضيق قليل من أسلوب دياب  
المستفز معها:

-شاطر يا يحيى، أهوو أنا كده هاجبك أوي

سلط دياب أنظاره عليها، ونظر لها مطولاً وهو يقول بنبرة ذات مغزى:

-وماله! هو يتحب بردك!

تجاهلت هي الرد عليه، ومدت يدها في صحن الشوربة الساخن لترتشف منه  
القليل، لكنها رأت بطرف عينها عين دياب معلقة بها.

استمر هو في رمقها بتلك النظرات الغريبة وكأنه لا يخشى أن يمسك به أحد لتعمده فعل هذا، فضيقت عينها نحوه مستفسرة.

لم يجد بعينه بعيداً، وواصل تحديقه الغير مفهوم بها وكأنه يشير إلى شيء ما.. فنظرت إلى حيث مسلطة أعينه فوجدت كم العباءة غارقاً في صحنها فتلطخ بالطعام.

شهمت مصدومة، وأبعدت الكم متحرجة مما حدث.

التوى ثغره بابتسامة متسلية، وأكمل تناول طعامه في صمت.

راقبت جليلة تصرفاتها خلسة وعلى ثغرها ابتسامة عابثة نوعاً ما. لكن كان عقلها يفكر في شيء ما يخصهما..

أضاف منذر قائلاً بجدية:

احتمال أسافر الأسبوع الجاي، الشحنة جت الميناء في بورسعيد، ولازم حد يوقع الأوراق ويخلص كل حاجة

رد عليه أباه مشيراً برأسه:

ماشى يا بنى! اعمل اللازم!

شردت نيرمين لوهلة عقب حديثها العملي متذكرة موقف ما مرت به.  
ابتلعت غصة مريرة في حلقها، وأغمضت عيناها للحظات مقاومة تدفق تلك  
الذكرى المخرجة إلى عقلها، لكنها لم تستطع..  
فما مرت به وقتها ليس بالأمر الهين...

.....

((كانت لا تزال عروساً جديدة لم يمض على زيجتها سوى شهرين حينما قرر  
زوجها حاتم إصطحابها لقضاء عدة أيام بتلك المحافظة كهدية لعرسها، سعدت  
وقتها بتلك الرحلة القصيرة، وظنت أنه ربما يكون تعويضاً عن ذلك الوقت  
البائس الذي قضته في منزل عائلته بعد ما تلقتة من معاملة مهينة، واعتداءات  
يومية بالضرب والسباب على توافه الأمور.

استعدت لقضاء وقتاً طيباً لن يمحي من ذاكرتها. لكن أتت الرياح بما لا  
تشتهي السفن حيث تفاجأت به بعد وصولها بيوم برغبته في العودة إلى  
منزلها.

حزنت كثيراً، وما زاد من قهرها أنه أجبرها على فعل شيء لا تريده.  
هتفت مستنكرة طلبه:

-إزاي عاوزني أعمل كده، ده احنا ملحقناش نقضي يومين هنا  
رد عليها بجمود وهو يفرك طرف ذقنه:

دي مصلحة يا نيرمين!

صاحت به بجدة وقد جن جنونها:

مصلحة ايه دي، بقى انت عاوزني أشتغل في التهريب؟ ترضهالي؟!!!

هتف بنبرة غير مبالية:

ده مش تهريب، دي خدمة لواحد معرفة!

اغتاظت من رده البارد، فهتف متسائلة يا استنكار:

واشمعني أنا؟ شوفلك حد تاني غيري

أجابها حاتم بنبرة جافة:

عشان اتني واحدة ست، محدش هايشك فيكي، وهاتعرفي تعدي من الجمرك

من غير ما حد يمسكك!

حدجته بنظرات مستشاشة، وردت عليه بصوت محتقن:

وافرض اتمسكت ساعتها؟ أروح أنا في داهية عشان صاحبك ده! وطبعًا

إنت وقتها ولا هتعرفني!

ابتسم ابتسامة صفراء وهو يرد ببرود:

إن شاء الله مش هايجصل، وبعدين يا ستي احنا هنطلع بمصلحة حلوة من

الخدمة دي، وكله عشاننا يا نيرمو!

نظرت له شزراً قائلة بحدة:

-لأ عشانك انت، أنا مش هستفاد حاجة خالص غير البهدلة وقلة القيمة!

ثم لوت ثغرها بامتعاض كبير وهي تضيف:

-وبعدين عيب عليك ده أنا مراتك، ترضهالي!

تجمدت تعابير وجهه، وقست نظراته وهو يرد عليها بغلظة:

-وأنا جوزك، ولازم تسمعي كلاي يا مدام

كتفت ساعديها قائلة بإعتراض جلي:

-لأ، مش هاعمل كده!

اغتاظ من رفضها الصريح، فأمسك بها من شعرها جاذباً إياها بعنف وصائحاً

بنبرة قاسية:

غضب عنك هاتعملي ده!

ثم قبض بكفه الأخر على فكها، واعتصره بقوة قائلاً من بين أسنانه

المضغوطة:

-ولا تحبي أصبحك بعلقة زي كل يوم.. شكك نسيتي لما بأزعل بأعمل ايه!

نظرت إليه بخوف كبير، فهي تعلم جيداً أنه حينما تثور ثأثرته، ويفقد أعصابه

ينهال عليها بكل قوته محطماً عظامها.

تأوهت من عنفه المفرط معها، فصرخت مستغيثة:  
 -آآآ، خلاص، هاعمل اللي انت عاوزه  
 تعمد الضغط أكثر على فكها ليسبب لها الوجع الشديد، وتابع قائلاً بتحذير:  
 -يكون أحسنك يا مدام!

ثم أرخى قبضتيه عنها دافعاً إياها للخلف بقسوة.  
 حدجته بنظرات مشتعلة متممة من بين شفيتها بقهر:  
 حسبي الله ونعم الوكيل فيك!

.....

في اليوم التالي كانت نيرمين تلف حول خصرها لفافات من الثياب المهربة  
 بطريقة معينة كي تتمكن من إخراجهم من الجمر كدون أن يشك بها أي أحد،  
 ارتدت من فوقهم عباءة فضفاضة بعد أن تأكدت أنه لا يبرز منها شيء ما..  
 حدق فيها زوجها بنظرات متفرسة، ثم استطرد حديثه قائلاً بجدية:  
 دول مش كفاية

استدارت نحوه هاتفة باستنكار:

قصدك ايه؟ ده أنا ضبطهم كويس و....

قاطعها قبل أن تكمل عبارتها مردداً بصوت خشن:



لأ، الحبة اللي انت حاطهم دول مايعملوش حاجة، خدي دول كمان

نظرت إلى حيث أشار بعينه، فرأت ما يعادل ضعف الكمية التي تضعها حول جسدها.

شهقت مصدومة:

-كده كثير، ده انت قاصد إن أنا أتمسك

دنا حاتم منها، ومد يده ناحية وجهها، تراجعت برأسها عفويًا للخلف متحاشية صفعته المباغته إن قرر فعل هذا، لكنه مسح على صدغها بنعومة وهو يقول:

-لأ يا حبيبتى، مش هايحصل، وبعدين لو عملي اللي هاقولك عليه بالحرف محدش هايحي جمبك!

نظرت له بتوسل عله يتراجع عن خطته الماكرة تلك، لكنها كانت تخاطب قلباً من صخر، لم يشعر بها، ولم يعبأ بحجم المخاطر التي يمكن أن تتعرض لها إن قامت بتلك المجازفة، أصابها الإحباط، وأصبحت مضطرة لتنفيذ أمره الحاسم، أضافت اللفافات الجديدة حول خصرها وصدرها فبدت كما لو كان ظهرها أحداً وذات وزن زائد لا يتناسب مع وجهها الرفيع..

تحركت مع زوجها بخطوات متعثرة نحو بوابات الجمر.

تسارعت أنفاسها بارتباك كبير، وقبضت على كفه قائلة بتوتر رهيب:

-هاتمسك يا حاتم، بلاش منه الموضوع ده!

رد عليها بخشونة:

-اسمعي الكلام، ومحدش هايملك حاجة

همست باستعطاف:

-أنا خايفة أوي! الله يخليك يا حاتم خيلنا نرجع

رد عليها بنبرة جادة وقد قست نظراته:

-انتي هتكشفينا بغباءك! اثبتي بقي، وامشي واتي ساكتة!

تعثرت خطواتها وهي تواصل سيرها المرتبك، كما نهج صدرها من الخوف الشديد.

همس لها بصوت خفيض من بين أسنانه:

-ارفعي العباية شوية، بيني رجلك!

احتقنت نظراتها نحوه، وعبس وجهها بشدة.. هو يريد منها أن تتعمد إلهاء الرجال بجذب أنظارهم إلى سيقانها المكشوفة، كي لا ينتهبوا إلى ما تحمله من بضائع مهربة، فتمر دون أي مشاكل خارج بوابة الجمرك، اصطبغ وجهها بحمر جليلة مستنكرة تلك النخوة والرجولة التي انعدمت من زوجها ليجبرها على

فعل ذلك، فيجعلها أنثى رخيصة في أعين الغرباء، بل سهلة المنال ومطمع لغيره  
 من الذئاب الجائعة فتسيل اللعاب عليها.  
 ضغط على كف يدها بقوة وهو يعيد أمره:  
 -سمعاني، ارفعي عبايتك يا ولية!

بأصابع مرتجفة أمسكت بطرف عبايتها، وقامت بجذبها للأعلى قليلاً لتظهر  
 ساقها من أسفلها، وبالفعل حدث ما قاله زوجها، تعلقت الأعين بهما، رأت في  
 نظرات الرجال المسلطة على جسدها ما جعل الرعب يدب في قلبها، سيطر  
 عليها شعوراً طاغياً بالخذلان والخزي..

أدركت مدى المهانة التي أصبحت فيها وهي معها، انكسر إحساسها بالأمان  
 معه، وزاد بغضها المبرر إليه، كرهت الحياة معه، مقتت أن تكون زوجته التي  
 من المفترض عليه حمايتها..

نجحت خطته، وأفلتا من الجمارك دون كشف أمرهما، تنفس بارتياح شاعرًا  
 بالفخر لتحقيقه إنجازاً كبيراً..

سحبت هي يدها من كفه قائلة لنفسها بذل وهي ترمقه بنظرات إحتقارية:

-أقدر راجل عرفته في حياتي! ده لو كنت راجل أصلاً...!! (((

.....

أفاقت من تلك الذكرى الأليمة على صوت عواطف الهاتف بجديّة:

-بنتك بتعيط يا نيرمين، إتي مش سمعها ولا إيه؟

نظرت نحوها بأعين لامعة، ثم أخذت نفساً عميقاً ضبطت به إنفعالاتها قبل أن تجيبها بنبرة مختنقة نسيباً:

هه، لأ مخدمش بالي!

هتفت أروى صائحة بحماس:

هاروح أشوفها أنا!

ابتسمت لها نيرمين بتكلف:

خليكي يا حبيبتي، أنا رايحلها، تلاقيا بس جاعت ولا حاجة!

نهضت عن الطاولة مبعدة مقعدها للخلف، ثم حدقت في اتجاه منذر عليها تتمتع نفسها بنظرات أخرى منه، لكن حل الوجوم على قسامتها حينما لم تجد متوجداً معهم.

عبست بوجهها، وتحركت نحو غرفة الضيوف حيث رضيعتها الغافية على الأريكة هناك، تسمرت قدماها على عتبة الباب حينما رأت منذر حاملاً إياها بين ذراعيه يهددها بحنان كبير.

زاد لمعان عينيها، وأخرجت تهيدة عميقة من صدرها.

التفت منذر ناحيتها قائلاً بصوت آجش:

-سمعتها وهي بتعيط فصعبت عليا

ابتسمت قائلة بحماس:

-كثر خيرك يا سي منذر، تعبتك معايا!

رد عليها باقتضاب:

عادي ولا يهملك!

دنت منه لتلتقط رضيعتها، فتعمدت أن تلمس كفي يده وهي تأخذها هاتفه  
بسعادة:

يا بختها، سي منذر بنفسه بيسكتها!

استشعر الحرج من ذلك، وتنحج قائلاً بخشونة:

-ربنا يخليهاك!

تحرك سريعاً للخارج دون أن يضيف المزيد، فهو لا يجذب تلك النوعية من  
المواقف الغير مريحة بالمرّة.

وضع يديه على جيبي بنطاله ليتفقد هاتفه المحمول، فتذكر أنه تركه بغرفته،  
فاتجه نحوها بخطوات ثابتة.

تابعته نيرمين بنظراتها الشغوفة، وهمست لنفسها بتمني:

مش كنت انت تبقى أبوها!

.....

شرد لأكثر من مرة وهو يصنفر ذلك اللوح الخشبي فبدا عمله غير متقن.

اقترب منه الحاج زقزوق معنفأ إياه بغلظة:

مش تركز يا واد، الشغل هيبوظ منك!

انتبه لصوته الصبي حسن، ورد عليه بضجر:

معلش يا معلم، دماغي مش فيا خالص، حقك عليا!

سأله الحاج زقزوق بعدم اقتناع:

ليه يا فالح؟

ابتلع حسن ريقه وهو يجيبه بتلغثم:

أصل... أصل حصل موضوع كده و...

نظر له الأخير بتفرس وهو يسأله بجديّة:

في ايه يا حسن؟ ما تقول على طول؟

رد عليه بنبرة متوجسة:

عارف الست صاحبة الدكان القديم اللي جتلنا هنا!

أوما الحاج زقزوق متسائلاً:

-اه مالها؟

أجابه بنبرة قلقة:

-الظاهر اشتبكت مع الريس منذر وهو آ....

ارتفع حاجبي الحاج زقزوق للأعلى هاتفاً بتوجس:

-بتقول الريس منذر؟

هز الصبي رأسه بإيماء قوية وهو يتابع:

-ايوه، وهو حبسها في الدكان و...

رفع الحاج زقزوق كفه أمام وجهه صائحاً بصوت أمر:

-مالناش دعوة!

تبدلت تعابير الصبي للخوف وهو يردد بتوتر:

بس حرام، دي طيبة وغلبانة يا معلم، يعني....

قاطع الحاج زقزوق بجدية وهو يشير بسبابته محذراً:

طيبة ولا مسكينة وفي حالها، ده يخصها هي، واد يا حسن، أنا مش ناقص

أعلق مع الريس منذر وعيلته، خلينا في حالنا، هو حر يعمل اللي هو عاوزه!

وركز انت في شغلك!

.....  
 ملت من إنتظارها الذي طال وهي تترقب عودته إليها، جابت بأنظارها من حولها بتوتر بائن على تعابير وجهها، تأخر الوقت كثيراً، وهي مضطرة للعودة إلى المنزل.

هبت واقفة من مقعدها محدثة نفسها بضجر:

-شكله نساني، هاروح أسأل بنفسي جوا!

تحركت للداخل عاقدة العزم على إنهاء الأمر بنفسها.

أوقفت أسيف أحد العساكر متسائلة بارتباك:

لو سمحت أنا عاوزة اتنازل عن بلاغ عملته من بدري، أروح لمين؟

أشار لها العسكري بيده قائلاً بجديّة:

-الصول هناك أهوو، روحيله!

استدارت برأسها إلى حيث أشار، فرأت ذلك الصول الذي دون المحضر لها.

تهللت أسايرها المتشنجة، وهتفت ممتنة:

متشكرة!

أسرعت في خطاها نحوه هاتفة بابتسامة باهتة:



من فضلك يا شاويش  
 حدق فيها الصول بنظرات جامدة وهو يسألها بجدية:  
 -اتي تاني؟ عاوزة ايه؟  
 أجابته بصوت مرتبك وهي ترمش بعينيها:  
 -أنا.. انا جاية أتنازل عن البلاغ اللي عملته، ينفع؟  
 حدجها الصول بنظراته القوية قائلاً بجمود حاد:  
 ده مش لعب عيال يا ست!  
 ضغطت على شفيتها قائلة بتوتر:  
 -معلش.. أنا مش حابة أتهم حد مش متأكدة منه!  
 عبس الصول بوجهه وهو يصيح بضجر:  
 -المحاضر مافيهاش معلش، ده ورق رسمي وشغل حكومة، يعني فيها بلاغ  
 كاذب وحبس!  
 توترت من عبارته الأخيرة، وهتفت متوسلة بنظرات راجية:  
 -الله يكرمك يا شاويش، أنا مش قصدي والله، بس مش عاوزة أظلمه!  
 على الجانب الآخر، رآها المخبر تحدث الصول المسئول عن تحرير المحاضر  
 فتوجس خيفة مما قد تفعله.

تابع اتصاله الملح على منذر قائلاً لنفسه:

فينك بس يا ريسنا!

.....

ولج إلى داخل غرفته باحثاً عن هاتفه المحمول الذي لم يتوقف عن الرنين.

وجده على التسريحة، فالتقطه بيده، وحدق في شاشته.

قرأ إسم المخبر صادحاً، فأجاب عليه توأ:

ألو

أتاه صوته المزعوج هاتفاً:

ريس منذر، الحمد لله إنك رديت

تجمدت تعابير وجهه وهو يتسائل باهتمام:

خير في ايه؟

أجابه المخبر بجدية:

البت إياها يا ريس، اللي قدمت فيك البلاغ، موجودة من بدري في القسم،

والظاهر كده عاوزة تشوف المحضر اتعمل فيه ايه

احتدت نظرات منذر، وتصلبت قسامته وجهه إلى حد كبير.

رد عليه بصوت قاتم رغم هدوئه وقد ضاقت نظراته للغاية:

خليها تعمل اللي هي عاوزاه، وأنا هاتصرف معاها

أضف المخبر قائلاً بجزر:

تمام يا ريسنا، أنا قولت أعرفك باللي حصل

رد عليه منذر باقتضاب:

ماشى، روح شوف شغلك، ولو جد حاجة عرفني!

هتف المخبر بحماس:

-انت تؤمر يا ريس!

أنهى منذر المكالمة معه، ثم نفخ بصوت مسموع مغتاضاً من عنادها الأحمق..

كور قبضة يده ضاغطاً على أصابعه وهو يحدث نفسه بنبرة محتقنة:

مابقاش ورايا إلا اتى وپس يا بنت رياض!

.....

الجزيرة الإلكترونية

ذرع الرواق - ذو الإضاءة القوية - ذهاباً وإياباً وهو يضغط على رأسه بخوف كبير، توقف عن الدوران، واستند بظهره على الحائط معلقاً أنظاره على

ذلك الباب المتحرك، أغمض عيناه بصعوبة معيداً في ذاكرته مشهد رؤيتها غارقة  
 في دماؤها بعد إعتدائه الوحشي عليها.  
 فتح جفناه سريعاً، وزفر بقلق فاركاً وجهه بعصية..  
 التفت برأسه للجانب الآخر حينما سمع صوتاً مالوفاً يناديه:  
 - مازن!

ارتسمت علامات الإندهاش على محياه عندما رأى أخاه الأكبر متواجداً مع  
 أبيه.

سار ناحيته هاتفاً بعدم تصديق:

مجد! حمد الله على سلامتكم، كفارة يا أخويا

احتضنه أخاه بذراعيه مرحباً به، وربت على ظهره قائلاً بصوت آجش:

-الله يسلمك

ثم تراجع للخلف ليرمقه بنظرات غريبة وهو يقول:

-اجمد يا ض في ايه؟ إنت هاتعيط!

ضغط مازن على شفثيه محاولاً السيطرة على توتره المفرط، بينما تابع مجد

حديثه الجامد:

هي مراتك أول واحدة تتعب، مافي نسوان كثير زبها!

نظر له مازن بنظرات زائغة وقد بدا غير طبيعي بالمرّة.

تساءل مهدي بقلق:

-ايه اللي حصل يا مازن؟ أنا مفهمتش منك حاجة في التليفون!

أجابه ابنه بارتباك كبير:

-أنا معرفش عملت كده إزاي، بس.. بس والله غصب عني، هي اللي عصبتني!

اتسعت مقلتي مهدي بتوجس بائن، وهتف صائحاً بنفاذ صبر:

-ما تنطق، عملت ايه معاها؟

سرد مازن على عجالة ما دار مع زوجته، وما إرتكبه من تهور طائش قد أدى إلى حدوث نزيف دموي لها.

زاد الوجوم على وجه مهدي وهو يصيح مستنكراً:

-الله يخربيتك! إنت عملت مصيبة ووقعتنا مع شادية! امتي بس هاتفكر بعقل وترحمنا من بلاويك!

رد عليه مازن بتبرم:

جري ايه يا حاج، ده وقت تقطيم!

أضاف مجد قائلاً ببرود وقد بدا غير متأثر بما صار لزوجة أخيه:

-بالراحة يا أبا عليه، مراته وبيعلمها الأدب، مغلطش يعني! حقه!!!

نظر له مهدي شزرًا، وهتف بجدة:  
 -اسكت انت يا مجد، أخوك مش ناوي يجيها لبر أبدًا!  
 ابتلع مازن ريقه متمماً بخفوت:  
 -رينا يستر بس وما يتفتحش سين وجيم في الموضوع ده، أنا خايف من كده!  
 حذره أخاه بجدية صارمة:  
 -اياك تنطق بحرف، خليك على وضعك!  
 أضاف والده بتوجس:  
 -أنا هاكلم المحامي وأشوف هاقولي ايه  
 في تلك اللحظة خرجت الطبيبة من داخل غرفة العمليات ممررة أنظارها على  
 ثلاثتهم وهي تقول بنبرة عملية:  
 -حضراتكم قرايب المدام  
 رد عليه مازن بإيماءة واضحة وهو يقترب منها:  
 -أيوه، أنا.. أنا جوزها!  
 ضغطت الطبيبة على شفيتها قائلة بجزن مصطنع:  
 -للأسف ملحقناش الجنين، المدام أجهضت!  
 حلق فيها مازن بجمود وهو يقول بصدمة:  
 -يعني.. يعني الواد نزل

حاوط مهدي ابنه من كتفه، ووقف مجد إلى جواره..

بينما تابعت الطبيبة قائلة بصعوبة:

-ايوه، وللأسف صعب المدام تحمل ثاني، حصل تهتك في جدار الرحم،  
واضطرينا نستأصل جزء منه!

حلت الصدمة على أوجه الجميع عقب تلك العبارة المفجعة.. ولم يصغ ثلاثتهم  
إلى تبريرات الطبيبة الطبية لأسباب تدخلها الجراحي، فقد كان عقلهم مشغولاً  
بتبعات ما سيحدث لاحقاً.. خاصة مـازن..

.....

تهدت بإرهاق وهي تسير بخطى بطيئة عائدة إلى المنزل.

لم تظن أنها ستمكن من إقناع الصول بالتراجع عن المحضر دون التسبب في  
أذى لها.

وضعت يدها على عنقها تفكره بحركة خفيفة، وتحركت بثبات نحو مدخل  
البنية.

دوماً كانت تتحشى النظر إلى تلك البقعة تحديداً..

لا يزال أثرها الجاف باقياً رغم مرور فترة على حادثة موتها.  
 شعرت بغصة قوية في قلبها، وأدمعت عينها تأثراً بذكرها التي لم تفارقها.  
 أغمضت عينها مانعة نفسها من البكاء وهي تسرع في خطواتها نحو الدرج.  
 تنفست بعمق وأخرجت من صدرها تهيدة تحمل الكثير مما في صدرها.  
 وصلت إلى الطابق المتواجد به منزل عمته، ودقت الباب عدة مرات منتظرة  
 فتحه.

مرت عدة لحظات دون أن يأتيها أي رد من الداخل.  
 مالت برأسها عليه، ودقت مرة أخرى بعد أن قرعت الجرس.  
 مازال الصمت هو سيد الموقف.

انتابها القلق، وتساءلت مع نفسها بحيرة:  
 -مش معقول يكونوا ناموا! شكلهم مش في البيت!

عضت على أناملها تفكر في سبب غياب عمته وابنتها عن المنزل.. ثم تلفتت  
 حولها بنظرات حائرة تفكر فيما ستفعله ريثما يعدن من الخارج.

تهتت بتعب وقررت الجلوس على الدرج.  
 إستندت برأسها على مرفقها، وأخذت تفرك يديها جينها..



كان اليوم ثقيلاً عليها محملاً بالكثير من الأحداث..

انتفضت في مكانها مذعورة حينما سمعت صوت باب ما يفتح فجأة..

هبت من مكانها واقفة، وأمسكت بالدرابزون لتنظر إلى الأسفل.

رأت إحدى الجارات وهي تلج من منزلها لتنفض إحدى السجاجيد.

رفعت الجارة خضرة بصرها للأعلى لتجد تلك الشابة محدقة بها.

رسمت على ثغرها ابتسامة ودودة وهي تهتف قائلة:

ازيك يا بنتي، عاملة ايه دلوقتي؟

ردت عليها أسيف بابتسامة باهتة:

الحمد لله!

تابعت الجارة خضرة قائلة بحماس:

أنا دائماً بسأل عليكي عمك، وهي بتطمني عليكي

ردت عليها أسيف بإيجاز:

-الله يكرمك

حافظت خضرة على ابتسامتها العريضة وهي تضيف:  
ماشاء الله، شكلك اتحسن عن الأول، أنا جيت أشوفك أيام عزا المرحومة  
أمك، بس اتتي يا حبة عيني مخدتيش بالك مني!

ضغطت أسيف على شفتيها مرددة بهدوء:  
-معلش!

سألها خضرة بفضول وهي تعقد ما بين حاجبيها:  
-اتتي واقفة كده ليه صحيح؟

أشارت أسيف بسبابتها للخلف وهي تجيبها بعفوية:  
محدث موجود جوا

وضعت خضرة إصبعيها على طرف ذقنها قائلة بإستنكار:  
-ايه ده، هي لسه عمك مجاش من عند الست جليلة؟

تفاجأت أسيف مما قالته، فهي لم تتوقع قيام عمها بتلك الزيارة الغريبة خاصة  
بعد الخلافات التي سادت مع عائلة منذر...

أكلت خضرة حديتها موضحة بسجيتها:  
أصلها كانت رايحة عندهم من بدري، انتي عارفة بقي هما معارف في بعض!

ابتسمت بتكلف وهي تقول بود:  
بس زمانتها على وصول، تعالي عندي يا بنتي شوية بدل ما تفضلي على السلم  
كده!

ردت عليها أسيف بتجهم قليل:  
-كتر خيرك، أنا هستناها هنا!

استنكرت خضرة رفضها قائلة بإصرار:  
-ما يصحش، ده انا زي خالتك، تعالي يا حبيتي!

هزت أسيف رأسها نافية وهي تصر على رأبها:

شكرا، أنا مش عاوزة أضايق حضرتك!

ردت عليها خضرة بعبوس:

مضايقة ايه بس، ده احنا كلنا جيران وعيلة!

ابتسمت لها أسيف قائلة تهذيب:

الله يكرمك يا رب

تابعت خضرة حديثها الجدي هاتفة:

بالحق عاوزاكي تقولي لعمتك حاجة لأحسن نسيت أقولهاها!

نظرت لها أسيف قائلة باهتمام:

اتفضلي

أوضحت خضرة غرضها مشيرة بيدها:

في مشتري لعفش نيرمين اللي متساب في الحوش، واحد ابن حلال عاوز  
يشتره بسعر كويس!

بدت أسيف متفاجئة إلى حد كبير بعد جملتها تلك، ورددت بصدمة  
ملحوظة:

عفش نيرمين!

تردد خضرة في إخبارها أن ذلك الأثاث هو المتسبب في وفاة والدتها.. ورغم  
ذلك ردت بارتباك قليل:

-ايوه، اللي... يعني وقع على المرحومة، ماهو كان محطوط تحت وقت اللي  
حصل، ربنا يرحمها!

حل الوجوم المصحوب بالذهول التام على تعابير وجهها..

فوقت حدوث تلك الفاجعة لم تتقبل أسيف بسهولة ما أصاب أمها الحبيبة..  
ولم يأت بمخيلتها مطلقاً أن يكون المتسبب في مقتل غاليتها هو أثاث تلك  
الجاحدة التي تعاملها بسوء من أول لحظة رأيتها فيها.

بل لم تعوضها بعد ذلك عن هذا، واستمرت في الإساءة إليها وإهانتها بشتى  
الطرق.

أظلمت نظراتها، وغلت الدماء في عروقها.  
تهدجت أنفاسها، وتشنّج جسدها، ثم صاحت متسائلة بنبرة تحولت  
للإحتقان:

-بتقولي ايه؟ هو كان .. عفش نيرمين.....!!!؟

.....

## الفصل السابع والثلاثون:

تجمدت لوهلة في مكانها محاولة استيعاب الأمر من كافة الزوايا والاتجاهات  
فتحول صوت تلك الجارة تلقائياً إلى الصمت رغم تحرك شفيتها  
بدت كالصنم وهي تستعيد شريط ذكرياتها سريعاً...

وفاة والدها الذي أحبته حباً جماً، وصدمتها الكبرى لرحيله المفاجيء.  
 رغبته في زيارة عمته والتودد إليها لتعيد صلة الرحمة وحبائل الود مع عائلتها بعد  
 تلك القطيعة التي دامت لسنوات..

ما تلاها من إلحاحها على والدتها في السعي لعلاجها.

ثم إستجابة أمها المتوفاة لرجائها، وذهابها للمشفى..

وهناك تلقت صدمة أخرى في عدم وجود علاج مناسب لحالتها اليائسة.

ورغم ذلك لم تستسلم، وتعهدت لها بالبحث عن مركز آخر أكثر تخصصاً..

لبت أمها رغبته في مقابلة عمته، وتوجهت معها إلى منزلها حيث قدرها المحتوم.

تركها بالأسفل لتصعد بشغف لرؤيتها لكن في لحظة واحدة إنهار كل شيء،

وتبخرت الآمال، وتحولت حياتها إلى معاناة لا تنتهي...

-انتي كويسة يا بنتي؟

أفاقت من شرودها الجامد على صوت الجارة خضرة التي وضعت كفها على

ذراعها لتهزها قليلاً بعد أن لاحظت الوجوم الذي حل عليها.

ضاقت نظرات أسيف، واكتفت برمقها بنظرات أخيرة غير مفهومة بالنسبة لها

قبل أن تتركها وتكمل هبوطها على الدرج.

أصبحت متخبطة للغاية في أفكارها، مشاعرها غير مرتبة، مزيج بين الغضب والحنق..

هي أتت إلى هنا بدافع القرابة وصلة الرحم، وفي المقابل تعرضت للمهانة والإساءة وخسارة الأعز إلى قلبها.

وصلت إلى المدخل حيث الأثاث الموثوق..

نظرت إليه بأعين حمراء مليئة بالحنق والضيق.

ضغطت على شفيتها بقوة، وقاومت تلك الرغبة التي تعترها لتحطيمه.

ظنت أنها تخطت تلك المرحلة الآلمية من حياتها، لكن تعود ذكراها الموجعة دومًا إليها لتنغص عليها هديرها المؤقت.

شعرت بالإختناق، بعدم قدرتها على التنفس بصورة طبيعية، فركضت خارجة من البناية وهي تنتوي تنفيذ تلك الشحنة المتأججة بداخلها..

هي عقدت العزم على الذهاب إلى حيث تتواجد عمته الآن، عليها أن تتواجه معها، وتضع الأمور في نصابها الصحيح..



وقفت للحظات في مكانها حائرة، هي لا تذكر الطريق إلى منزل عائلة حرب، فسألت المارة عن عنوانهم، وبالطبع لم تحتاج إلى أي مجهود للوصول إليهم، فمكانهم معروف للجميع.

.....

انتهى الجميع من تناول الطعام، فنهضت نيرمين أولاً لتجمع الصحون المتسخة عن الطاولة. انزعجت جليلاً من تصرفها قائلة بجرح وهي تشير بيدها:

-اقعدي يا بنتي، ما يصحش كده

ردت عليها نيرمين بجياء زائف:

-ودي تيجي بردك يا خالتي، كتر خيرك تعبناكي معانا

أضاف الحاج طه قائلاً بإعجاب من تصرفات نيرمين:

-ما شاء الله عليك، عرفتني تري يا عواطف!

ردت عليه عواطف بابتسامة لبقة:

الله يكرمك يا حاج طه!

وقفت بسمة هي الأخرى في مكانها، ورصت الأطباق الفارغة فوق بعضها  
البعض وقربتهم من أختها.. ثم تحركت للجانب قليلاً..

اقترب منها دياب بحرص وهو يداعب رأس ابنه الصغير، ثم همس لها بصوت  
التقطته أذنيها:

طبعا إنتي معفية من الخدمة

رفعت عيناها لتنظر إليه بجمود وهي ترد يارهاق:

-كفاية عليا اللي بأشوفه في المدرسة

مط فمه مبتسماً، ثم تابع بصوت خافت:

-لأ ولسه اللي هاتشوفيه معانا هنا!

لم تفهم المقصد من جملته الغامضة تلك.. لكن نظراته نحوها أزعجتها إلى حد ما..

هي مدينة له بمعروفه معها، ولم تنكر هذا، لكن هذا لا يعطيه الحق للتدخل  
في شئونها أو فيما يتعلق بعملها..  
لم يضيف المزيد وتركها وانصرف مع صغيره للداخل.

وضعت نيرمين الصحون بالمطبخ، ورفضت جليلة بشدة أن تقوم بغسلها.  
أبعدت يديها عن المرحاض قائلة بنبرة محتجة:  
-والله ما يحصل، ده انتي ضيفتي

ردت عليها نيرمين بالحاح:  
ده أنا في بيت خالتي، يعني مش حد غريب!

ابتسمت لها جليلة بود وهي تربت على كتفها:  
تسلمي يا حبيبتي، روعي بس نشفي ايدك وشوفي بنتك

تمنت نيرمين لو رأت غرفة منذر من الداخل، لكن بالطبع تنفيذ تلك الرغبة  
بالأمر اليسير، ومع ذلك لن تياس من محاولة عرض المسألة بصورة طبيعية..  
لذلك تحجبت قائلة بمرح مصطنع وهي تخفض رأسها للأسفل:

حطب ينفع يا خالتي أخش أي أوضة كده لأحسن الحمام مشغول، و..... يعني  
عاوزه أساوي هدومي وأغير لبنتي و...

برقت عيناي جليلة بوميض عجيب، وفكرت هي أيضًا في استغلال الموقف  
لصالحها، وجعلها ترى غرفة مندر، فهي تود أن تقرب بين الاثنين بصورة أو  
بأخرى..

هزت رأسها بإيماءة كبيرة وهي تقول بإبتسامتها العريضة:  
-اه يا حبيبتى، وماله، ايه رأيك في أوضة مندر؟ هو زمانته لبس! وهي تلاقها  
فاضية!

تقوس فم نيرمين بإبتسامة عابثة، واعترضت بصوت خفيض:  
-لا مافيش داعي، خليه على راحته

تأبطت جليلة في ذراعها قائلة بالحاح:  
-لالالا، تعالي..!

قاومت نيرمين رغبة عارفة في الرقص طرباً لتحقيق حلمها.. وسارت ببطء  
متعمد لتظهر حرجها من الموقف برمته..

.....  
اقترب من مكتب الصول المسئول عن تسجيل المحاضر، ووضع أمامه زجاجة مشروب بارد، ثم استطرد حديثه متسائلاً بمكر:  
-ايه أخبار المحاضر يا شاويشنا؟

نزع الغطاء عن الزجاجة، وارتشف محتوياتها دفعة واحدة، ثم تجشأ قائلاً:  
-زي كل يوم، فلان ضرب، وعلان شتم، وده سرق، يعني تشكيلة محترمة!

هز المخبر رأسه بتفهم وهو يضيف:  
-أها.. مافيش راحة خالص!

رد عليه الصول قائلاً بنبرة منهكة:  
-ايوه، طالع عيني من الصبح!

حك المخبر جبينه بأظافره المتسخة قائلاً بلؤم:

على كده كان في واحدة معرفة المدام شوفتها هنا، كانت جاية تسأل عن  
محضر

ضيق الصول نظراته إلى حد ما وهو يسأله باهتمام:  
-واحدة مين دي؟

فرك المخبر طرف ذقنه بيده وهو يجيبه بفتور:  
هي اسمها أسيف، بتقول حد سرقها!

حرك الصول رأسه بإيماءة واضحة وهو يقول:  
-أها.. افكرتها البت دي، ماهي اتنازلت عن المحضر خلاص!

ارتسمت علامات الدهول على وجهه، وهتف بنزق:  
-اتنازلت؟ انت بتكلم جد؟

تابع الصول موضحًا وهو يمسخ أسنانه بلسانه:

ايوه، باينه بلاغ كيدي وخافت لأتقع في مشاكل، وفضلت تسترجاني  
عشان.....

شرد المخبر في تفكيره، ولم ينتبه لباقي حديثه الغير مهم، وحدث نفسه قائلاً  
يا بنت اللذينة، وآل أنا اللي كنت مفكرها جاية تسأل عنه، أما أتصل  
بالريس منذر أبلغه بده!

ابتسم ابتسامة صفراء، وأردف قائلاً بتثاؤب وهو يلوح له بيده:  
حطب يا شاويشنا، الله يعينك، هاروح أنا أشوف اللي ورايا

رد عليه الأخير باقتضاب:

ماشني!

.....

ولجت نيرمين إلى داخل غرفة منذر حاملة رضيعتها على كتفها.  
أوصدت الباب خلفها، وتأملت المكان بنظرات مطولة..  
تهتت بعمق وهي تمرر أنظارها على متعلقاته الشخصية.

برفق شديد أسندت ابنتها على الفراش، ثم اعتدلت في وقفها واضعة يديها  
على منتصف خصرها.

تلفتت حولها بنظرات شمولية ممتعة عينيها بكل ما يخصه.

بدا الإعجاب ظاهرًا على محياها وهي تقول لنفسها:

يا سلام لو كانت دي أوضتي!

اقتربت من خزانة ملابسه، وفتحت ضلفته بهدوء لتتفقد محتوياتها

تحسست ملمس ثيابه بأناملها، وقربت إحداهم من أنفها لتشم رائحتها، ثم

أعادتها إلى مكانها، وأغلقت الضلفة بجزر..

انتفضت في مكانها مفزوعة حينما رأته يفتح الباب على حين غرة.

تفاجيء منذر بوجودها، وأخفض نظراته قائلاً بعبوس:

-لا مؤاخذة، مكوتنش أعرف إنك لسه هنا، أي قالتلي إن الأوضة فاضية

تنحنحت بخفوت وهي ترد بتلعثم:

-... معلش، كنت بـ.. بأدور على مناديل، اه مناديل لبنتي!



أشار لها بعينين جامدتين نحو المرأة قائلاً:

هناك على التسريحة!

ابتسمت قائلة بحماس:

أها، تسلم، ومتشكرين على العزومة، دائماً عامر يا رب

استدار للجانب ليستند برفقه على مقبض الباب، ورد عليها باقتضاب وهو

يحك طرف أنفه:

-العفو!

دنت من الفراش مجدداً، ومسحت وجه رضيعتها بالمنشفة الورقية قائلة

بنعومة:

أنا خلصت خلاص، معلش عطلتك يا سي مندر

رد عليها بجذر وهو قاطب جبينه:

خدي راحتك!

ثم اتجه للخارج محدثاً نفسه بامتعاض:

مش عارف دماغك بتفكر إزاي يا حاجة جلية!

.....

وصلت إلى المشفى غير مصدقة تلك المكالمة الهاتفية التي تلقتها من الحاج مهدي يبلغها فيها أن ابنتها في العناية المركزة تعاني من فقدان جنينها، ومن انتقاص أنوثتها..

حدقت في أوجه ثلاثتهم بنظرات مشتعلة صارخة فيهم بهياج:

مش هاسيب حق بنتي، هادفك التمن يا مازن

رد عليها مهدي بتوجس:

بالراحة يا شادية، الأمور ماتتخذتش قفش كده!

التفتت ناحيته صائحة بصوت هادر متعصب:

-بقي حياة بنتي بالساهل عندكم؟

ثم استدارت ناحية مازن لتوجه تهديدها الصريح له قائلة:

هاتشوف أنا هاعمل ايه فيك، هادخلك السجن، هاعلقك على المشنقة

نظر لها مازن بخوف بائن.. ولم يعلق على تهديداتها العنيفة..

انزعج مجد من ثورتها الهاججة وظل يطالعها بنظرات خاوية..

توسلها مهدي بتوتر ظاهر في نبرته:

يا شادية اهدي، كل حاجة وليها حل، بس آ....

قاطعته بانفعال جلي ملوحة بذراعها في الهواء:

حل بعد ما ضيع ابنك بنتي!

في تلك اللحظة تدخل مجد في الحوار قائلاً بصوته الخشن:

شوفي يا حاجة شادية، شكك نسييتي اتني بتتعاملني مع مين

التفتت ناحيته، وانفرجت شفتاها لتنفوه بشيء ما لكن أخرسها مجد قائلاً

بشراسة مشيراً بسبابته:

-وقبل ما تفتحي بؤك وتنطقي بحرف زيادة اسمعيني للأخر!

توجس والده خيفة من تطور الأمر للأسوأ، فأردف قائلاً بتحذير:  
بالراحة يا مجد

رد عليه ابنه البكري بتهكم دون أن يجيد بنظراته الحادة عن وجه شادية:  
ده أنا واخدها على حجري خالص!

استشاطت هي من استهائته بما صار لابنتها واستخفافه بالأمر، فصاحت  
بصوت متشنج

فكرك بالزعيق ده هاخاف منك يا مجد! يبقى انت متعرفنيش كويس!

رد عليها بنبرة غير مبالية وهو يبتسم باستخفاف:  
الزعيق والصويت سايبينوه للنسوان!

احتدت نظراتها، واصطبغ وجهها بحمرة مغلولة.

تابع هو قائلاً ببرود مهدد:

بس خدي عندك بلاغ شرف هاتقدمه في القسم ضد المحروسة بنتك!

اتسعت عيناها ياندهاش مريب، وهتفت مصدومة:

-ايه؟

تفاجيء مهدي بما صرحه ابنه، وابتلع ريقه بقلق.. بينما تجمدت تعابير وجه مازن  
وبدا مشدوهاً بما يحدث من حوله عاجزاً عن فهم أي شيء..

أوضح مجد مقصده قائلاً بنبرة جافة:

جوزها راجع يا عيني من شغله بعد تعب وشقا طول اليوم، قام ايه لاقاها في  
السريير في بيته مع عشيقها، ودول يا مكترهم!

برزت عروق جبين شادية بوضوح، وصرخت مستنكرة إتهامه الباطل:

-انت انسان قدر و.....! أنا ورايا رجالة وصعايدة ياكلوا لحمك ني لو فكرت  
تفتري على بنتي!

فغر مجد فمه لتظهر ابتسامة واثقة مغتررة وهو يرد بهدوء مريب:

هاتيم، يا مراحب بالضيوف، بس تفتكري ها يصدقوكي، جوزها دمه حامي،  
ماستحملش يشوفها في حضن واحد تاني! فاتعامل معاها، وكله بالقانون!

ثم مال برأسه ناحيتها ليضيف بنبرة دنيئة وهو يغمز لها:  
ده بالعكس يمكن يدبجوها ويغسلوا عارهم! يا حرام، كله إلا الشرف!

دفعته من كتفه بعنف قائلة بعصبية:  
إنت شيطان!!

هز رأسه مستنكراً عبارتها، وصح لها قائلاً ببرود:  
لأ عندك، ده الشيطان تلميذي!

ضدم مهدي في تفكير ابنه الذي تبدل كثيراً للعدائية المفرطة، بل وأصبح أكثر  
سوءاً، وخطورة على من حوله..

أكمل مجد حديثه بصوتٍ آجش:

-وعشان نكون حقانيين بنتك هتاخذ حقها، وهنديها فلوس تعويض، مليون جنية كاش!

وكأنه يعرف جيداً من أين تؤكل الكتف، فضغط بكلماته المنتقاة على وترها الحساس، فشهقت بعدم تصديق بعد أن ارتفع حاجباها للأعلى:  
-... مليون جنية!

تفاجيء مازن من عرض أخيه الصادم، ورد مستنكراً حجم المبلغ النقدي الضخم:

-اييه، ليه يعني؟

التفت مجد ناحيته، وحدجه بنظرات قوية محذراً:

-ششش، اسكت انت!

لم يستطع الحاج مهدي أن يفهم فيما يفكر ابنه تحديداً، لكن على الأرجح هو يحاول شراء صمت شادية وابنتها بالأموال ليضمن سلامة أخيه الأصغر وعدم تعرضه للمساءلة القانونية..

أفاقت شادية من ذهولها المؤقت، وترددت للحظة في قبول عرضه،  
ابتلعت ريقها بتوتر، وصاحت رافضة رغم تخبط فكرها:  
عاوزني أبيع بنتي؟

صح لها قائلاً بجمود:

مش بيع، ده تعويض، مليون جنية عدأ ونقدأ، واتي اختاري! الفلوس أو  
سمعة بنتك!

نظرت إليه بحيرة عاجزة عن الرد عليه في الوقت الحالي، لكن في الأخير عليها  
أن تقرر أيهما ستختار..

تأكد مجد من نظراتها تلك أنه أصابها في مقتل، وسترجح الكفة لصالحه.. فهو  
يفهم جيداً في تلك النوعية من النساء العاشقات للمال..

التوى فمه بابتسامة ماجنة لم يبذل جهداً في إخفائها..

.....

دون عناء يذكر، وصلت أسيف إلى بنائتهم.



استندت بكف يدها على إحدى اللوحات الإعلانية على الرصيف المقابل لها،  
ثم رفعت أنظارها للأعلى لتحقق بالشرفات المتعددة وهي تهيج بشدة.  
كان متحفزة للغاية، تنتوي أن ترد الإساءة التي لحقت بها وتقتص لحق والدتها..

في نفس التوقيت استعدت عواطف وابنتها للرحيل..  
احتضنت جليلة نيرمين بذراعيها، وقبلتها من وجنتها مودعة إياها بحزن  
مصطنع:

-والله كان نفسي تقعدوا أكثر من كده

ردت عليها الأخيرة بضجر قليل:  
-تتعوض يا خالتي تاني، دي زيارة مش محسوبة!

هتفت عواطف قائلة يا متنان:  
-تسلموا على تعبكم معانا طول اليوم

ردت عليها جليلة بعتاب وهي تعبس بوجهها:  
-تعب ايه بس، ده البيت نور بيكم!

أضاف الحاج طه قائلاً بجدية:  
روح يا منذر وصل الجماعة!

رد عليه بهدء:

-أُكيد هاعمل ده، مش هانسديهم يروحوا لوحدهم!

ردت عليه نيرمين بابتسامة رقيقة وهي ترمش بعينيها:  
-ربنا يخليك لنا يا سي منذر!

ودعت جليلة بسمة قائمة بتأكيد:  
-هستناكي تيجي للدرس، العيال مايفهموش إلا منك!

ابتسمت لها بسمة بتكلف وهي تقول:

إن شاء الله

هتف دياب قائلاً بصوت مرتفع مشيراً بذراعه:

-أنا نازل معاك يا مندر، هاروح الوكالة شوية

التفتت بسمة ناحيته، ونظرت له بغرابة، ثم ضغطت على شفيتها لتتمم بكلمات  
مبهمة لم يستطع هو فهمها..

خرجت نيرمين من المنزل متعجلة في خطواتها لتلحق بمنذر الذي سبقها نازلاً  
على الدرج بخطوات سريعة نسبياً من أجل تجهيز سيارته لإيصال عائلة  
عواطف..

في نفس اللحظة كانت أسيف ممسكة بالدرابزون ومتأهبة للصعود عليه..

تجمدت قدمها في مكانها حينما رآته مقبلاً عليها، بينما تفاجيء مندر من  
وجودها أمامه..

لم يختلف حالها كثيراً عنه..

هتف متسائلاً بتوجس جاد :

-اتي؟ في حاجة حصلت؟

ضاقت نظراتها نحوه، لكنها تحولت للإحتقان عندما وقعت عينها على صاحبة  
الطيف الذي ظهر من خلفه.

تجهم وجه نيرمين بشدة، وأظلمت عينها لمجرد رؤيتها لتلك التعيسة أمامها،  
فهمت بنزق:

جاية ليه؟ في نصيبة تانية عملتها؟

تفاجيء مندر من سؤالها القاسي، ورمقها بنظرات متعجبة.

تداركت الأخيرة الموقف قبل أن يعتقد فيها السوء، وتفسد أحلامها تماماً،  
فتابعت مصححة:

جاية تأذي ولاد الأصول اللي مادين ايدهم لينا ويساعدونا؟ مش قادرة  
تحسي بتعبهم عشاننا؟

لم تتحمل أسيف حماقاتها، فصاحت بها بصوت متشنج:

-انتي مجرمة، عارفة ده ولا لا؟

اندهش مندر من جملتها المهينة، وتساءل بعدم فهم موزعاً نظراته بينهما:

هو في ايه حصل بينكم؟

تجاهلت أسيف سؤاله، وانفعلت قائلة:

-كنتي عارفة إنها ماتت بسبب عفشك ورغم كده بهدلتيني!

شهقت نيرمين متمعدة صدمتها، ووضعت يدها على فمها قائلة يا استنكار:

-أنا؟ حرام عليكي، ايه الاقترا ده؟ أنا غلبانة! ده نصيبها

تابعت أسيف قائلة بصوت شبه مختنق:

و بدل ما تطبطبي عليا، وتخديني في حضنك عاملتي معاملتني زفت، وكرهتيني

في كل حاجة، مكانش في قلبك ذرة شفقة ليا!

إدعت نيرمين ذرفها للعبرات، وأشارت بيدها وهي توجه حديثها لمنذر:

ليه بتكديني؟ شايف الظلم بعينك يا سي منذر!

استنكرت أسيف كذبتها الغير مقنع، وصاحت بعصبية وقد تلون وجهها بحمرة

غاضبة:

-استحالة تكويني زي البشر، إتي واحدة معنديش رحمة، عمرك ما اتعاطفتي  
معايا، جاية دلوقتي تعيطي؟

لم تجب عليها نيرمين، بل تعمدت توجيه حديثها لمنذر هاتفة بصوت شبه باكي:  
أنا ماليش ذنب، شاهد يا سي منذر بتتهمني يايه!

واصلت نواحها الزائف وهي تهدد رضيعتها قائلة:  
طب أنا هاعمل ايه ان كنت مظلومة، والدنيا جت عليا، أه ده عفتي، بس  
دي إرادة ربنا، عمرها! واحنا وقفنا جميعا، ده.. ده أنا بأعتبرها زي أختي!

اقتربت منها أسيف صارخة بحنق:  
كل اللي بتعمله ده مش مصدقاه، دموع التماسيح دي ممكن تخدع أي حد  
إلا أنا!

بكت نيرمين بأنين مصطنع وهي تضيف:  
حرام عليك، طب حسي بالبت اللي على كتفي، هو أنا مش أم؟ ازاي  
تقولي عني كده

اغتاظت أسيف من كذبها المقيت، فمدت يدها لتمسك بها من ذراعها،  
فصرخت الأخيرة مستغيثة وهي تتراجع للخلف بسرعة:  
حوشها عني يا سي مندر

اضطر هو أن يتدخل بينهما، ووقف حائلاً بجسده ليمنع وصولها إليه..  
صاحت به أسيف بجدة:  
- ابعده عني، أنا ليا لي حساب معاها

رد عليها مندر بجمود:  
- مالكيش دعوة بيبها

هتفت نيرمين من وراهه بإستجداء وهي تضع يدها على كتفه:  
- احميني يا سي مندر! هي مدت ايدها عليا قبل كده، حتى إسأل أمي، وكانت  
هتدبجني، دي.. دي مجنونة!

تعجب كثيراً مما سمعه، والتفت برأسه لينظر إلى أسيف بذهول تام..

هتفت هادرة بصوتها المهتاج:

-أنا مش مجنونة، ويا ريتني أقدر أطولك!

شعر منذر أن الصراع بينهما قد تأجج وبلغ ذروته، فأراد أن يدير دفعة المواجهة نحوه، فهتف ببرود متعمداً تشتيت انتباه أسيف:

مش تباركلينا، عمك باعت حصتها في الدكان، وأنا اشتريت!

اتسعت عيناها الحمراءين بصدمة جلية، وتراجعت خطوة للخلف غير مصدقة ما حدث..

ظلت أنظارها اللامعة بوميض الغضب متجمدة عليه.

فلم يمض سوى ساعات على مواجهتها معه، وها هو شرع في تنفيذ مخططه في الإستيلاء على دكانها..

شعرت بالسذاجة ويمدى حمق تفكيرها.

ظنت أنها بتنازلها عن المحضر ستؤجل انتقامه، بل ربما تثنيه عن هذا، لكنها كانت مخطئة.

إهتزازة قوية أثرت عليها، وجعلتها في حالة غير متزنة، إنه ذلك الشعور بالعجز والإحباط الذي يملك منك ويقضي رويداً رويداً على روحك الحسية...



جاهدت أسيف لتتاسك أمهما، وأشارت بسبابتها قائلة بنبرة منهزمة:  
-كلكم عاملين الفيلم ده عليا عشان الدكان، كلكم اتأمرتوا عليا؟

وضعت يدها المرتعشة على فمها لتمنع نفسها من البكاء وهي تتابع بإصرار حاد:  
-مش هاسيب الدكان بتاعي ليك ولا هاسيب حق أي!

رد عليها منذر بجفاء وهو يرمقها بنظرات قاسية:  
-هو اتي بتتعاملني مع عصابة؟ دي اتفاقات!

بينما أضافت نيرمين بهدوء:

ده قضا ربنا، وعمرها خلص لحد كده، واحنا بندعيها! فارضي بقي بنصيبك،  
والدكان كان هيتباع وحقك سي منذر هيد هولك وزيادة، فبلاش ظلم للناس!

التفت منذر برأسه نصف التفاتة لينظر لابنة عواطف بضيق.. فرغم ما قالته  
إلا أنه لم يكن مقتنعاً ببكاءها المزيف، ولا بما تحاول إظهاره من مشاعر تعاطف  
ورفق..

استدار مجدداً ليحرق بأسيف حينما هتفت بصوتها المختنق:  
 -أنا كل يوم بأناكد إن جيتي هنا كانت غلط، إن بابا الله يرحمه كان عنده  
 حق يبعدي عنكم!

في نفس الوقت، استمعت عواطف إلى أغلب المشاجرة المحتدة، لكن لبطيء  
 خطواتها الهابطة على الدرج لم تتمكن من منع الإشتباك قبل أن يتطور  
 للأسوأ..

صاحت بصوت يحمل بين طياته الرجاء وهي تنظر في اتجاه ابنة أخيها:  
 -اهدي يا بنتي، والله ما لينا ذنب في اللي حصل!

ثم تحركت دافعة ابنتها للجانب لتتمكن من المرور وأكملت بصوت متأثر:  
 -ده انتي غالية عليا، ويعلم ربنا أنا بأحبك أد ايه!

انزعجت نيرمين من تصرف والدتها معها، وبصعوبة بالغة سيطرت على نفسها  
 لكي تبدو أكثر هدوءاً أمام من تبغضها..  
 التفتت أسيف نحو عمها، وردت بمرارة:

أمي راحت ومعدتش راجعة ثاني، أمي جت هنا عشان ترضيني، بس رمتني  
في النار معاكو!

هتفت عواطف بتوسل:  
صدقيني يا أسيف.....

قاطعتها الأخيرة بصراخ منفعل:  
أنا بأكرهكم كلكم، بأكره اللحظة اللي فكرت فيها أزورك، بأكره نفسي عشان  
خليت ماما تيجي لقضاها هنا!

انهمرت عبرات عمها متأثرة بجالتها النفسية المتدنية.. وردت عليها بنبرة بأكية:  
ماتقوليش كده، ماتقطعيش قلبي بكلامك ده!

تابعت أسيف بصوت منتحب وهي تكفكف عبراتها التي تتسابق في النزول  
على وجنتيها:

كانت غلطة وهاصلحها، واستحالة.. استحالة يجمعني بيكم بيت واحد!

ثم رمقت الجميع بنظرات مزدرية قبل أن توليهم ظهرها وتبتعد..  
صعقت عواطف من قرارها بالرحيل المفاجيء وتركها لمنزلها، فصاحت بلا  
وعي:

-رايحة فين يا أسيف؟ استني يا بنتي

التفتت برأسها مرة أخيرة وهي ترد بجدة:

-رايحة في داهية، بس دكاني مش هافرط فيه!

شعرت عواطف بوخزة قوية في صدرها، فوضعت يدها عليه، وهتفت بنبرة  
ضعيفة نسيبًا:

-أسيف استني يا بنتي، ماتمشيش!

ثم استندت بيدها على الدرايزون، وقبضت عليه بكل قوة مانعة نفسها من  
السقوط، فقدماها لم تعد تستطيعا حملها..

رأى منذر حالة عواطف المقلقة، فأسرع في خطواته ليمنع أسيف من الخروج  
من مدخل البناية، وسد عليها الطريق بجسده قائلاً بقسوة:

-آآ رآآة فآن؟

آوقآآ آآرة عن سآرها آآنا اعآرض آرآقها، ورتآ علىه بنبرة عصبآة:  
-وانآ مالآ، وسع من آرآقآ!

قست نظراته نآوها، وصاح بها بصوت آآشآج وهو آشآر بآده للآلف:  
-عاوزة آآآبآ العار للعلآة آآ؟

اسآنآرت آآلآه، ورتآ بانفعال:

-العار آه هما اللآ آابوه لآفسهم، أنا أصلاً ماآشرفش أآون وآاحآة منهم، كفاآة  
علآ اللآ شوفآه معاهم!

اغآاظ من آآة رآوآها، فهآف بآآود وآآ أظلمآ نظراته:

-بس آنا آآشرف بآهم، هما مننا!

نظرت له مطولاً بازآراء بائن، آم رآآ آآهم:

-اصآفلوا فآ بعض! أنا مش من العآلة آآ!

ثم أبعدت نظراتها متابعة بصوت شبه أمر:  
من فضلك حاسب وخليني أعدي!

شعر منذر أنها تتعمد استثارة أعصابهم جميعاً، بل تسعى لإيصاله هو تحديداً  
لقمة غضبه بتجراها الغير مكترث عليه.. فهتف بنبرة جافة قاصداً استفزازها:  
قريبك كان عنده حق لما فكر يجوزك ويخلص منك، إتني ماتستهليش إلا  
واحد زيه يعاملك باللي تستاهليه!

أدارت وجهها ناحيته، ولوحت بذراعها عاليًا تهدده، ثم رمقته بنظرات نارية  
وهي تصيح فيه بصوت محتد:  
-اخرس!

دقق النظر في قبضتها التي رفعتها أمام وجهه معتقداً أنها ستصفعه بها.. فزاد  
هذا من شراسة تعابيره، ومن لهيب نظراته المستعرة بنيران الغضب..  
لقد وصل الأمر بهما ليصبح على صفيح ساخن.....!!

.....

## الفصل الثامن والثلاثون:

ودعتها بود كبير لم تبذل جهداً في إخفائه عنها، وأطلت برأسها لترمقها بنظرات  
ذات مغزى قبل أن تحرك شفيتها لتتلق بجدية:

هنستنكي يا بنتي!

لوحث لها بسمة بكفها قائلة بهدوء:

إن شاء الله!

كان دياب في إثرها، لكنه تعمد التلکأ في خطواته كي يلحق بها فلا تسبقه.  
رفع رأسه للأعلى لينظر ناحيتها لكنها لم تكن ناظرة إليه، دقق النظر فيما هي  
محدقة فيه، فوقعت عيناه على تلك الزاوية المجدمة أنظارها عليها.

رأى في تعابير وجهها علامات النفور والإستنكار.

لم يحتاج للتخمين، هو فهم سبب شرودها العابس.

آله رؤيتها وهي تقبض على صدرها بكف يدها.. فزفر بعمق.

اقترب منها قائلاً بصوت هاديء رغم إنزعاجه:

انسى اللي حصل وماتفكر يش فيه تاني

التفتت نحوه فتابع محذراً:

حقك أنا جبتة، وزى ما قولت فوق اعتبريه حرامي وخذ جزاءه! كده أريح!

ابتلعت ريقها بمرارة، ولم تعقب عليه.. وواصلت هبوطها على الدرج لكن  
صوت الصراخ المنبعث من الأسفل جعلها تتسمر في مكانها لتتابع ما يحدث.

.....



رفعت ذراعها في الهواء مستنكرة بشراسة إزدراءه منها، رمقها بطرف عينه  
بقسوة مهددة بعد أن ظن أنها تنتوي صفعه.

وقبل أن يهدر بها بعنف قد يهلك ما تبقى منها، انتبه لصوت الصراخ الآتي من  
الخلف. استدار كلاهما ليحدقا في نيرمين التي جثت على ركبتيها أمام والدتها  
المسجاة على الأرضية صائحة بنبرة مستغيثة:

-امي.. الحقتي يا سي منذر!

تأهبت حواسه لرؤية عواطف على تلك الوضعية المريبة، وركض سريعا نحوها  
محاولاً نجدتها وهو يقول:

ست عواطف!

قفز قلب أسيف في قدميها هلعاً حينما رأتها منهارة أمامها، وهتفت بلا وعي:  
-عمتي!

عجزت عن التقدم للأمام. بقيت متسمة في مكانها تطالعها بنظرات مدعورة.  
ربما هي تحمل عمته جزءاً مما حدث، لكنها لا تتمنى أبداً أن يصيبها السوء.. فمن  
ذاق مرارة الفقد لا يرجو لغيره أن يعاينه.

جثى منذر على ركبته سريعا أمامها، وحاول رفع رأسها عن الأرضية، وأسندها  
على ركبته، وجاهد ليرفع ثقل جسدها بعناية.

صرخت فيها نيرمين ببكاء حارق وهي تشيح بيدها:

-هتوتيا وترتحي، ده اللي نفسك فيه، انتي مش انسانة، انتي واحدة جاحدة  
ناكرة للجميل!

ارتجفت شفتي أسيف وهي ترد بخوف:  
-أنا!

واصلت نيرمين صياحها الهادر:  
-منك لله، منك لله!

التفت منذر ناحيتها قائلاً بغلظة:  
-اهدي يا نيرمين!

نظرت الأخيرة إليه بأعين دامعة، ورغم صعوبة الوضع إلا أنها كانت سعيدة  
باهتمامه الشديد بها وبأمرها.

نزلت بسمة ركوضًا على الدرج متسائلة بخوف:  
-في ايه؟

رأت والدتها غائبة عن الوعي، فشهقت مفزوعة:  
-ماما، حصلها ايه؟

مدت ذراعها نحو والدتها محاولة ضمها إليها لكن دفعها نيرمين للخلف قائلة  
بحنق:

هي السبب، هي اللي هاتموت أمنا!

رفعت بسمة عينيها نحو أسيف، وحدجتها بنظرات نارية مميتة صارخة بها  
بتهديد شديد اللهجة:

لو جرالها حاجة مش هايكفيني فيها عمرك كله! هادبجك يا أسيف سمعاني،  
هادبجك!

جفل جسدها يارتعاشة قوية، وتراجعت للخلف خوفاً من تكتلهم وتكالبهم  
عليها إن أصاب عمها أي سوء.

وصل دياب هو الآخر إلى المدخل، وتفاجيء بما صار لعواطف، وقبل أن  
يتساءل هتف فيه أخاه بصرامة:

تعالى يا دياب، اسند معايا نطلعها فوق!

مر الأخير من بين الأختين قائلاً بقلق:

حاسبوا شوية! مالها؟

هتفت بسمة بخوف كبير وهي ممسكة بكف أمها:

-ردي يا ماما عليا!

أزاحها دياب للجانب مردداً بجديّة:

اهدي شوية خلينا نتصرف معاها!

لم تستطع أسيف تحمل المشهد، فكتمت شهقاتها براحتي يدها، ثم أولتهم  
ظهرها، وركضت هاربة من المكان بأسره تاركة العنان لعبراتها المريرة لتهمر  
بغزارة مغرقة وجهها بالكامل.. لم يعد لديها أي مكان لتبقي فيه.. هي باتت  
وحيدة كلياً، شريدة في بلاد غريبة عنها.

.....

جلبة كبيرة حدثت بداخل منزل عائلة حرب بعد حمل عواطف إليه مغطية  
عليها.

وضعت بالفرش داخل غرفة مندر، والتفت ابنتها حولها..

وقفت إلى جوارهما جليلة محاولة بث شعور الإطمئنان لنفسها المضطربة.

نجح الطبيب في إفاقتها بعد استدعائه، واستطرد حديثه قائلاً بجدية:

ضغطها واطي، ولازم تاخذ علاج لده!

رد عليه مندر بجدية وهو يشير بيده:

شوف المطلوب ايه وأنا هانزل أجيبها على طول!

ثم وجه حديثه إلى ابنتها متابعاً:

ماتشلوش هم حاجة! احنا جمبكم!

ربت جلية على ظهره قائلة بنبرة متأثرة:

الله يكرمك يا بني! دول غلابة!

حدقت فيه نيرمين مطولاً.. لم تقاوم رغبتها في مليء جفنيها برؤياه حتى وإن  
أفتضح أمرها.

فهو يثبت لها يوماً بعد يوم أنه المعنى الحقيقي للرجولة المتأصلة. ذلك الشيء  
الذي انعدم تماماً في طليقها السابق.

أضاف دياب قائلاً بجدية وهو يشير للطبيب:

-اتفضل معايا يا دكتور!

نهض الطبيب من على الفراش بعد أن أغلق حقيبته الجلدية، وسار معه  
خارج الغرفة...

أفاقت عواطف من غيبوتها المؤقتة مصدرة أئيناً خافتاً..

اقترب منها الجميع متابعين حالتها بتلهف واضح.

أخذت تنن متسائلة بصوت هامس:

غينها؟ راحت فين؟

دنت منها بسمة، وأمسكت بكفها، ثم احتضنته بين راحتيه مرددة بإستفهام:  
- احنا جمبك يا ماما!

تابعت عواطف أنينها الهامس:  
- هاتوا أسيف، ماتخلوهاش تمشي!

عبست ملامح وجه بسمة بشدة، وأكفهرت تعابير نيرمين للغاية.. حتى بعد ما  
أصابها هي لا تزال توليها إهتمامها..  
تبادلت الاثنان نظرات مغتظة.. بينما حدق منذر فيها بإستغراب، ومع ذلك لم  
يعقب، فالأمر يعد إلى حد ما مسألة شخصية، لا يجوز له التدخل بها دون  
إذن.

استشعرت جليلة الحرج من وجودها، فهتفت بإبتسامة متكلفة:  
- هاروح أجيبيك يا عواطف حاجة مسكرة تشربها وتروق دمك!

صاحت نيرمين فجأة بحق لم تستطع إخفاؤه:  
- مين دي اللي عاوزاها ماتمشيش، دي كانت عاوزة تموتك بعاملها!

حركت عواطف رأسها على الوسادة لتنظر في اتجاه ابنتها وهي تقول بصوت  
ضعيف:

هي مش في وعيها، اللي شافته مش قليل!

ردت عليها نيرمين بغیظ:

قلبك الطيب ده يا ماما هيضيعك، هي محستش بيكي ولا بتعبك، كل همها  
إن احنا اللي موتنا أمها وخلاص!  
هتفت بسمة هي الأخرى بضجر:

-بلاش سيرتها دي، خليكي في نفسك يا ماما!

انزعجت عواطف من قسوة ابنتها، فرغم كل شيء أسيف هي ابنة أخيها  
الوحيدة، لا عائل لها ولا معيل سوى هي.

عاودت النظر في اتجاه منذر، وتوسلته بأعين دامعة:

-رجعها لي يا بني، انت الوحيد اللي هاتقدر تجيبها!

ضاقت نظرات نيرمين للغاية وتحول وجهها للإحتقان..

زاد تجهم تعابيرها المنزعجة، وتمتت من بين شفيتها بسخط:

-واشمعني منذر، هو ما فيش إلا هو!!

أخذ هو نفساً مطولاً زفره على محل وهو يرد بجذر:  
-بلاش أنا، خلي....

قاطعته قائلاً باستعطاف أكبر:

-الله يصلح حالك يا بني، هاتها!

رفع يده على رأسه، ومررها عدة مرات ليفكر للحظات في طلبها الملح، ثم  
ضغط على شفثيه قائلاً باستسلام:

-ماشي!

تنفست عواطف الصعداء لموافقته، وتابعت بصوت منك:

-ودوني بيتي، عاوزة أرتاح هناك!

اعترضت بسمة بشدة على طلبها مرددة:

-لا مش هاينفع تتحركي يا ماما واتي كده، استني أما تفوقي خالص  
وهناخدك!

اتفقت معها أختها في نفس الرأي قائلة بإصرار عنيد:

-ايوه، بسمة عندها حق، خليكي شوية!



أضافت جليلة قائلة بود:

ست عواطف ده بيتك، ارتاحي فيه وماتلقوش، عندنا أوض ثانية فيه، ده  
يا مكرها هنا

هزت عواطف رأسها ممتنة لكرها الزائد وهي تقول:

-كتر خيرك يا ست جليلة، جمايلكم مغرقانا من ساسنا لراسنا، كفاية الدوشة  
اللي عملناها، معلش، مش هرتاح إلا في بيتي!

تلك المرة رد عليها منذر بصوته الجاد والصارم:

-رجع بنت أخوكي الأول، وبعد كده نشوف هانعمل ايه!

همست عواطف بابتسامة راضية:

-ماشي يا بني

احتدت نظرات نيرمين للغاية، وأظلم بريق عيناها، ففي كل مرة يحدث فيها

خطب ما، لا تفوت الفرصة على تعيسة الحظ تلك للإلتقاء بمنذر، عكسها

هي التي تسعى لإختلاق الفرص معه.. لم تفارقه عيناها رغم خروجه من

الغرفة، بقيت أنظارها معلقة على ما تبقى من أثره.

كتفت ساعديها إلى صدرها، وكتمت غيظها داخل نفسها الغاضبة.

.....

ركضت مبتعدة عن المكان برمته، لا تعرف إلى أين تذهب تحديداً، لكنها لن تعود إلى هذا المنزل.. انقضى كل شيء به، وهي الآن عليها أن تواجه مصيرها المظلم بمفردها.

توقفت لتلتقط أنفاسها، وتلفتت حولها بنظرات زائغة، أصبحت كالتائهة في دروب الحياة المريرة. وضعت يدها على وجنتها لتمسح عبراتها، وواصلت أئينها الخافت.

اختنق صدرها بالكثير، ولم تعد تتحمل كل تلك الضغوطات. هي من أوشكت على الإنيهار كلياً، بارقة أمل لاحت في الأفق حينما رأت لافتة دكانها. إحساسها بالضيق تناقص نوعاً ما، فقد وجدت ملاذاً لها، يخصها هي فقط.

لم تتردد في الذهاب إلى هناك. فهو ملجأها الحالي. نعم هي عادت إلى الدكان المظلم لتختبيء به حتى تقرر ما ستفعله لاحقاً...

.....

ولجت خلف زوجها داخل غرفة نومها، وأخبرته بملخص سريع لما دار.

ابتسم لتصرفها بحكمة، وأردف قائلاً بإعجاب:

خير ما عملتي يا جلييلة، خليم يياتوا عندنا النهاردة

ردت عليه مؤكدة:

-أنا قوت كده بردك، ما يصحش تنزلها وهي تعبانة!

هز رأسه نافياً وهو يدنو من الفراش:

-للا، امسكي فيهم، وخليهم ياخدوا راحتهم!

ابتسمت مرددة بثقة:

اه اطمن، حتى دياب ميل عليا قبل ما ينزل وقالي هيسهر مع أصحابه،  
ومنذر كمان هيبات في الوكالة بس أما يجيب بنت أخوها هنا، وكده يبقى  
ما فيش حاجة تخرجهم!

جلس طه على الفراش، وفرك قدميه قائلاً بضيق قليل:

-هي البت دي اللي حكايها حكاية!

مصمست جليلة شفيتها هاتفة بإشفاق:

-والله ما عارفة ما لهم بس، هي البت غلبانة، بس بختها قليل!

رد عليها طه باقتضاب وهو يتمدد على فراشه الوثير:

-ربنا يهديها، مالناش دعوة بمشاكلهم!

انخت جليلة للأسفل لتسحب حذاء زوجها وتضعه في مكانه المخصص، ثم  
التفتت قائلة بمكر:

قولي يا حاج، ايه رأيك في نيرمين؟

لم يفهم مقصدها، فسألها مستفهماً:

من حيث؟

ردت عليه بتساؤل غامض:

-يعني شايفها ازاي؟

أجابها بفتور وهو يهز كتفيه:

والله هي كويسة!

لمعت عينها بوميض غريب وهي تهتف بتحمس بائن في نبرتها:

طب تنفع لمنذر؟

قطب طه جبينه متعجباً، وردد بصدمة قليلة:

منذر!

حركت رأسها بالإيجاب وهي تتابع موضحة:

اه، أنا كنت فاتحته في الموضوع من فترة، بس ماجلين الكلام فيه لحد ما

عدتها تخلص!

سألها طه باهتمام:

-وهو منذر ابنك يفكر فيها؟

نفت قائلة بعبوس خفيف:

-لا، خالص، ولا في باله!

ثم ما لبث أن تحولت نبرتها للحماس فجأة وهي تكمل:

بس هي اللي هاتنفعه، عارفينها، وتحت طوعنا، والأهم من ده كله بتخلف!

انزعج طه من تفكير زوجته السطحي، وردد قائلاً:

-الحلقة دي بتاعة ربنا، محدش ليه دخل فيها!

ردت عليه بإصرار:

-ايوه، بس ربنا قالنا ناخد بالأسباب!

اقتضب طه في الحديث معها قائلاً بنبرة متعبة:

-عمومًا هو مش وقته!

فكرت جليلة في مفاتحته أيضًا فيما فكرت فيه، فتابعت غير مكترثة:

طيب.. وايه رأيك في أختها بسمة؟

رد عليها بضجر وهو يزفر بصوت مسموع:

مالها هي الثانية؟

أجابته بابتسامة عابثة:

-يعني لو دياب كده آ....

قطع حديثها قائلاً بتهكم بعد أن نفذ صبره:

جری ايه يا جليلة هو انتي واخدة توكيل عيلة عواطف؟

ردت عليه بعبوس:

-الله يا حاج طه، أنا شايفة البنات وعاجبني!

هتف مستنكراً تفكيرها ضيق الأفق:

-لكن مش عاجبين عيالك، قفلي على السيرة دي خالص! سامعة!

لوت ثغرها مرددة بتبرم:

ده أنا بأفضفض معاك بكلمتين

رفع كفه ملوحاً وهو يرد بتذمر:

-لا كلمتين ولا ثلاثة، خليهوملك! ويالا عشان أفرد جتتي وأرتاح!

نظرت إليه بعبوس وهي تقول:

حبيب يا حاج!

.....

وصل إلى البناية القاطنة بها عواطف بسيارته، صفها بجوار المدخل، ثم ترجل منها، ووج إلى الداخل صاعداً على الدرج.. اعتقد أنها ربما تكون قد عادت إليه، لكن خابت آمالها بعد أن دق الباب لمرات عديدة دون جدوى.

انحنى برأسه على الباب ليستمع إلى الصوت القادم من الداخل، لكن لا شيء.. فقط صمت رهيب تتخلله حركة الهواء..

اعتدل في وقفته، وتلفت حوله متسائلاً بحيرة:

هاتكون راحت فين؟ دي مالهاش حته تانية!

وضع يده على عنقه، وقام بفركه بحركة متكررة، واستدار قائلاً لنفسه يارهاق:

دايماً مدوخاني وراكي يا بنت رياض!

رن هاتفه الموضوع في جيبه، فدس يده في جيبه ليخرجه ناظراً في شاشته. رأي اسم المخبر صادحاً، فنفخ بإنزعاج، تكررت إتصالاته على مدار اليوم، ولم يبلغه سوى بالسيء من الأخبار.. لذلك تجاهل أغلبها..

وحيثما ضجر من إلحاحه، أجاب قائلاً باقتضاب:

خير، في حاجة جدت؟

رد عليه المخبر بحماس:

فينك من بدري يا ريسنا، كنت عاوز أديك البشارة، وعمال أطلب عليك من زمان!

سأله منذر بعدم فهم وقد انعقد ما بين حاجبيه:

-بشارة ايه دي؟

أجابه بتلهف:

-البت اياها اتنازلت عن المحضر يجي من شوية، كده مافيش حد ليه حاجة  
عندك يا ريس!

تفاجيء بما قاله.. وتجمدت أنظاره على نقطة ما بالفراغ مستوعبًا ما سمعه..  
هي تخلت عن إتهامها المزعوم، ولم تبلغه بهذا رغم المواجهة الأخرى التي دارت  
بينهما. عجز عن تفسير تصرفاتها الغريبة، بل على الأرجح لا يستطيع التنبؤ بما  
يمكن أن تفعله..

أخرجه من تفكيره المتعمق صوته المخبر المتساءل:

-تؤمرينش بحاجة ثانية؟

تنحج منذر قائلاً بخشونة:

-لأ، متشكر!

رد عليه المخبر بهدوء:

-ماشى يا ريس منذر، سلامو عليكم

أنهى المكالمة معه وهو يحك رأسه بجيرة، ثم مط فمه للأمام مرددًا بتعجب:

مش فاهمك بصراحة!



أخذ نفسًا عميقًا، و لفظه دفعة واحدة قبل أن يكمل حديث نفسه بجدية:  
 حبيب دلوقتي لو أنا مكانك، وماليش حطة أروحها، يا ترى هاقعد فين؟!  
 أضاء عقله بشيء ما، ربما ليس مؤكدًا، لكنه أثار الشك فيه.. هي لا تملك  
 سواه.. ذلك الذي تصرخ دومًا بأنها لن تفرط فيه ولو اقتضى الأمر خسارة كل  
 شيء..

.....

رغم تلك الظلمة الحالكة به إلا أنها لم تخش البقاء بمفردها، حتى لو كان رفيقها  
 في تلك الظلمات الزواحف التي تهايبها.

فتحت الباب، ودفعته يأنهاك لتتمكن من الولوج، لم تغلقه تمامًا، بل إكتفت  
 بمواربته..

سارت بخطى حذرة بين الركام الملقى على الأرضية لتصل إلى المكتب الموجود  
 بالزاوية.

استخدمت الإنارة في هاتفها المحمول لترى سبيلها.

تحسست بجزر طريقها حتى وصلت إلى مبتغاها، وقبل أن تجلس خلف  
 المكتب نزعته من الحائط الإطار الخشبي القديم الذي يضم صورة جدها  
 وأبوه الراحلين.

وضعتها على سطح المكتب، وسعلت بخفة وهي تزيح الأتربة العالقة به.

سلطت الإضاءة الباهتة على الصورة، وحدثت فيها مطولاً بأعين مليئة  
بالعبرات الغزيرة.

تهدت بحرارة جياشة، وتهدجت أنفاسها متحسرة على حالها البائس. كم من  
صدومات تلقتها واحدة تلو الأخرى تصيب العاقل بالهذيان والجنون، وهي  
تقاومها قدر المستطاع، لكنها تعبت مما تواجهه.. هي فقدت آخر ما لديها من  
ذرات الشجاعة وأصبحت تفتقر إليها.

شعرت حقاً بوهنها، بضعفها، وبقلة حيلتها  
استندت برأسها على مرفقها، وهمست لنفسها بأنين موجه:  
ماليش حد بعدكم، أنا لوحدي!

أزاحت عبراتها العالقة بأهدابها، وواصلت التفكير بتخبط محاولة الوصول إلى  
حلول سريعة.. هي حسمت أمرها بالرحيل، بترك منزل عمته للأبد، فعلينا  
الآن أن نجد بديلاً ملائماً للسكنى.. وكيف ستفعل هذا وهي لا تملك من  
الأموال ما يكفي؟

بكت بقهر دافنة وجهها في ساعدها.. ظلت على تلك الوضعية لبرهة يائسة  
من إيجاد ما يثلج صدرها الملتاع.

لم تستطع التفكير بذهنٍ صافٍ.. الأمور معقدة معها للغاية.. فكرت للحظة في  
الإستعانة بقريب والدتها، لكنها نقضت الفكرة عن عقلها.  
ولكن ما لبثت أن عادت مجدداً لتتحم تفكيرها بضراوة.

لا بديل عنه حالياً، ربما ستحقق مبتغاه، وتبيع له منزل والديها، ذلك المكان الذي يضم أعلى ذكرياتها..

هو حلها الأخير، نعم هي مضطرة للتخلي عنه لتتحيا من جديد.. إنها قسوة الحياة التي تجبرك على فعل ما تبغضه قسراً..

بأصابع مرتجفة، بحثت عن رقمه بين قائمة الأسماء.

تنفست بعمق لتضبط أنفاسها، وكففت عبراتها بيدها قبل أن تضع الهاتف على أذنها. ابتلعت غصة عالقة في حلقها وهي تنتظر بترقب إجابته على اتصالها.

أتاه صوته الخشن قائلاً بجدية:

مين معايا؟

أجابته بصوت مرتجف:

-أنا.. يا خالي

رد عليها الحاج فتحي متسائلاً بنبرة قائمة:

-انتي مين؟

توترت وهي تجيبه بصوت متردد:

-أسيف يا خالي، بنت حنان!

صاح بها بغلظة متعمداً التحقير من شأنها  
 دلوقتي افكرتي إن ليكي خال يا.....، مش عملتي اللي عندك ومشيتي على  
 حل شعرك وخرجتي عن طوعي، جاية تقولي خالي وأبصر ايه!!  
 بكت في صمت وهي تستمع إلى إهاناته اللاذعة، وقبل أن ترد عليه، هدر  
 بعصبية قاسية:

-أنا معرفش حد بالاسم ده!  
 -توسلته قائلة بصوت متقطع:  
 -اسمعي يا خالي، أنا كنت....  
 رد عليها بغلظة:

-انتي اختارتي، وخلص الكلام معاكي!  
 هتفت بإستعفاف عله يمهلهما الفرصة لتبوح بما لديها:  
 -اسمعي بس، أنا....

أنهى المكالمة معها فجأة، فهتفت مصدومة بصوتها المنتحب:  
 -ألوو.. خالي!

أنزلت هاتفها لتبكي بإنكسار أكبر محتضنة الإطار الخشبي بضعف، جفل  
 جسدها أكثر، وزادت رعشتها وهي تضمه إلى صدرها...

.....

أطفأ محرك سيارته، وتحرك بخطى بطيئة بعد أن ترجل منها صوب دكانها.  
صدق حدسه، وأصاب في تخمينه، هي بالفعل متواجدة به، وكل الدلائل  
تشير إلى ذلك، فالقفل منزوع، والباب موارب.. دنا بجذر منه فاستمع إلى  
صوت شهقاتها المكتومة..

توجس خيفة أن يكون قد أصابها مكروه ما، فركز حواسه كلياً ليستمع إلى  
نحيبها وهي تقول بمرارة:

أنا لوحدي في الدنيا دي، ليه ماموتش معاكو؟ ليه سبتوني؟

شعر بنغزة خفيفة في قلبه لحديثها المومع، وأخرج تهيدة عميقة من صدره.  
بدا متأثراً لبكائها، لكنه سيطر على إحساسه، وأنصت لها وهي تتابع بشجن:  
يا رب خدي وريخني! يارب

اختنق صوتها أكثر، وتعالق شهقاتها المهزومة معلنة عن إنهاؤها الوشيك..  
كور قبضة يده ضاغظاً على أصابع يده بقوة، أزججه حديثها البائس، وتوجس  
خيفة أن ترتكب في حق نفسها شيء ما، خاصة أنها مرت قبل ذلك بحالة من  
الإنكاسة النفسية، وتذكر حديث الطبيب بخطورة تبعاتها. لذلك حسم أمره  
بالدخول فوراً إليها...

دفع الباب بقوة فانفتح على مصرعيه، شهقت مرتعدة حينما رأيت ذلك الطيف  
يقتحم دكانها..

هبت من مكانها واقفة، ونظرت إليه بهلع..

لم تتبين ملامحه في البداية، لكنها عرفت هويته من صوته الذي اخترق وحدتها  
حينما نطق بصلافة:

عرفت أوصلك، مكانش صعب أوي!

تفاجأت أسيف بوجوده، فكففت عبراتها سريعاً، ونظرت إليه بجمود وهي  
تسأله بصوت مختنق:

جاي ليه؟

رد عليها بنبرة ثابتة وهو يقترب منها:

-عمتك عاوزاكي!

ابتلعت ريقها، وردت عليه بصوتها المنتحب:

-انا ماليش عمة!

ضيق نظراته نحوها، ورد عليها بغلظة غير مكترث بعنادها:

مش بمزاجك!

شعرت هي بخطورة وجوده، وتلفتت حولها بريية.

هي شبه محاصرة في إحدى الزوايا، وإن استمر في اقترابه منها، لن تتمكن من  
الفرار، وربما يرتكب معها شيء سيء..  
لذا تحركت سريعاً من خلف المكتب، وأعطت لنفسها مساحة فاصلة عنه وهي  
تصيح:

اطلع برا لو سمحت!

تابعها بنظرات ثابتة دون أن تطرف عيناه، ورد عليها بصوته المتصلب الذي  
يحمل القوة:

مش طالع إلا واتي معايا!

التفتت ناحيته وهي تهز رأسها نافية:

لأ..!

ثم رمقته بنظرات متحدية مضيئة بعناد:

ده مكاني ومش هامشي من هنا!

مرر أنظاره على وجهها الحزين ببطء، رأى انتفاخ أنفها الأحمر، وتورم عينها  
الذابلتين من كثرة البكاء.

أشفق عليها كثيراً، فرغم ما تمر به من مصاعب إلا أنها تجاهد لتبدو متماسكة.

واصلت صياحها قائلة بإصرار وهي تشير بسبابتها:

ده دكاني، بتاعي، ومش هاسيبه مها حصل  
 حرك عنقه للجانبين، وفرك أصابع كفيه قائلاً بثقة:  
 مش كله، أنا ليا لي فيه! ولا نسيتي؟  
 ثم قوس فمه لتظهر ابتسامة مغتررة على محياه مشيراً بعينه..  
 تذكرت أسيف بيع عمته لنصيبها فيه، فإحتقن وجهها الذابل بحمرة غاضبة.  
 كزت على أسنانها بقوة، ونظرت إليه بحدة، فهي إن خسرت جزءاً في الدكان،  
 لا يعني بالضرورة خسارته كلياً.  
 أطلق منذر صافرة خافتة متعمداً استفزازها ليفسد عليها خلوتها الوحيدة،  
 اغتاضت من أسلوبه المثير لحقتها، ومن ثقته الزائدة، وتحكمه المفرط وكأنه يملك  
 زمام الدنيا في إصبعه.  
 صرخت فيه بعصبية مستنكرة كل شيء وهي تلوح بذراعيها في الهواء:  
 -ارحموني بقى وسيدوني في حالي!  
 رد عليها بجمود وهو ينظر إليها:  
 -قدرك اللي جابك هنا!  
 صاحت فيه بحدة:  
 -أنا تعبت من كل حاجة، ابعدوا عني بقى! مش عاوزة حاجة منكم!



اقترب منها حتى وقف قبالتها، ورد ببرود:

مش هاينفع!

ثم قبض على عضدها فجأة قائلاً بجمود:

-ويا لا عشان عمك عاوزاكي!

صدمت من حركته المباغتة، وتأوهت بألم من أصابعه القابضة عليها، ثم هتفت  
قائلة بغضب:

-آه، سيب دراعي!

حاولت أسيف التملص منه، وتحرير ذراعها بقبضتها الأخرى، لكنه لم يتركها،  
بل تشبث أكثر بها وهو يتنسم لها.

صرت على شفيتها، وواصلت مقاومتها، لكنها لم تستطع.

مال عليها برأسه متابعًا ببرود واثق:

مش هاتعرفي تخلصي مني، وزى ما قولتك إتي أمانة وهارجعك عند عمك!

دفعها منذر أمامه مستغلاً قوته، وبالطبع لم تكن مقاومتها له بشيء يذكر..

فاضطرت أن تسير معه قسرًا خارج الدكان.. لم يهتم بغلق بابه بالقليل،

واكتفى فقط برده..

همست له بنبرة مغلولة:

-أنا بأكره اليوم اللي جيت فيه هنا!

رد عليها بجمود قاسي وهو يسحبها معه جبراً:

-أكرهي، اندي، قولي اللي عاوزاه، بس في الآخر إيتي اللي اختارتي من الأول  
تيجي عندنا!

زاد إحساسها بالحنق نحوه، ولم تكف عن حدجه بنظراتها المشتعلة من عينيها  
الحمراوتين.

كانت على وشك الصراخ به لتنفس عن غضبها المحبوس بصدرها، لكنها لم  
تفعل، فقد اعترضت طريقها الصيدلانية " فاطمة " والتي كانت مقبلة عليها  
بوجه شبه شاحب.

وقفت قبالتها، ووزعت أنظارها القلقة على أسيف لتهتف بتساؤل متوتر وهي  
تضع يدها على وجهها ماسحة بشرتها الباردة بنعومة:  
-انتي كويسة؟

أرخی منذر قبضته قليلاً عن ذراع أسيف، لكنه لم يتركها فقد أمسك برسغها.  
نظرت له من طرف عينيها مستنكرة حركته تلك، لكنها أشاحت بوجهها  
للجانب لتجيب على فاطمة باقتضاب:

٥٥

أبعدت فاطمة يدها متسائلة بتوجس بعد أن رأت ذلك الحزن الذي يكسو  
تعايرها:

هو مجد اتعرضك تاني؟

صدم منذر مما قالته، وبدا كما لو كان قد تلقى صاعقة كهربائية للتو.. وردد  
قائلاً بلا وعي:

مجد!

التفتت فاطمة نحوه متابعة حديثها بسجية وهي تشير بيدها:

-ها، ابن أبو النجا طلع من السجن النهاردة ويعني ضايق أسيف شوية..!

احتقت نظرات منذر للغاية وأظلمت بصورة مخيفة.. فيمكنك أن ترى  
بوضوح تلك الخيوط الحمراء التي تشكلت في بياضها، كذلك برزت عروقه  
النابضة بدماءه التي تغلي في عنقه، وأيضاً في قبضتي يده..

يكفيه أن يُذكر اسم ذلك المقيت أمامه لينقلب حاله رأساً على عقب، وتبدل  
تعايره للشراسة والعنف..

نعم تهديد آخر ظهر على الساحة ليزيد من تأجج الوضع.

شعرت أسيف بيده تضيق على رسغها لتوجعها أكثر وكأنه يعتصرها، فحركتها  
بجذر محاولة تنبيهه لكنه لم يكن واعياً بدرجة كافية.

رفعت عينها لتنظر إلى وجهه فرأت في قسامته ما أخافها. كتمت آلمها،  
وتحاملت على نفسها، ثم ازدردت ريقها، وعاودت التحديق في فاطمة التي  
تابعت حديثها محذرة:

-واضح كده إنه حاطك في دماغه!

اقتضبت أسيف في حديثها معها قائلة بجدية:

اطمني أنا كويسة!

هزت فاطمة رأسها قائلة بنبرة أكثر جدية:

طيب خدي بالك منه، أنا حبيت بس أحذرك!

ردت عليها أسيف من بين شفيتها بإيماءة خفيفة من رأسها:

ماشى، بس هو مش هايقدر يعمل حاجة، أنا هاوقفه عند حده!

بدت فاطمة غير مقتنعة بجملتها، فواصلت تحذيرها الجدي:

مش عارفة، بس أنا مش مطمئة!

ابتسمت بتكلف مرة أخرى وهي تضيف:

-عمومًا أنا مش هاعطلكم كثير، فرصة سعيدة إني شوفتك يا أستاذ منذر!

تحشرح صوته وهو يجيبها بتجهم كبير:

متشكر يا دكتورة!

لوحت لهما بيدها مودعة كليهما وهي تتحرك في اتجاه بنايتها..

لم يشعر منذر بغضبه الذي تأجج في نفسه، وأوشك على الانفجار وهو يهمس

من بين أسنانه بصوت متشنج:

تعالى معايا!

آلتها قبضته العنيفة على معصمها وهو يجبرها على التحرك عنوة، فنهرته قائلة:

آه، سيب ايدي!

أوقفها عند سيارته، والتفت ناحيتها ليرمقها بتلك النظرات المظلمة التي  
أرعبتها، ثم سألها بنبرة قائمة:

-انتي قابلتي البلطجي ده امتي؟

ردت عليه بجدة وهي تحاول تخليص رسغها منه:

-وانت مالك؟

هزها بعنف صارخًا فيها بانفعال:

-ردي عليا شوفتية امتي وعملك ايه؟

تعجبت من تبدل أحواله، من نفاذ صبره، ومن ثورته الغاضبة. فأردفت قائلة  
بسخط مستنكرة عصبته الغير مبررة:

-شكلك كده خايف منه!

استشاطت نظراته من عدم مبالاتها، وضافت عيناه بقسوة مهددة بالإطاحة  
بها..

قربها أكثر إليه ليهتف بصعوبة متشنجة من بين شفثيه المضغوطتين:

-نعم، خايف! إنتي اللي مش عارفة بتتعاملني مع مين

بالظبط.....!!!؟

## الفصل التاسع والثلاثون:

اعتصرت أصابعه رسغها الذي بات مقيدًا منه، ورغم تأوهات المتكررة  
وتوسلاتها الملحة له بتركها إلا أنه رفض الإنصات إليها.

اشتدت تعابير وجهه صلابة، وهتف من بين شفثيه بنبرته القائمة:

- اسمعيني كويس يا بنت رياض!

ردت عليه بأنين واضح وهي تتلوى بمعصمها:

آه، سيب ايدي الأول!

لم تهتز عضلة واحدة من وجه منذر وهو يرد بصلافة متجاهلاً ألمها:

- متولدش لسه اللي أخاف منه!

استشعرت أسيف القوة في نبرته وتحذيره الخفي، لكن قبل أن ترد عليه تابع  
محذراً بغلظة:

وانتي هنا في حطة الشرف عندهم خط أحمر! أظنك فاهمة ده معناه ايه.

احتدت نظراتها نحوه، وبدت كجمرتين متقدتين، لكن لم يمنعه هذا من مواصلة  
حديثه القاسي:

عاوزه تسيبي المكان وتمشي وماله، اعلمي ده بس هاتقطع رجلك نهائي من  
الحتة!

فغرت شفيتها مشدوهة من قسوة كلماته، لكن ما صدمها أكثر هو قوله  
بصراحة:

-يعني من الآخر كده تباعي دكانك وتمشي!  
احتجت على حديثه رافضة بشدة:  
مش هايحصل!

أوما لها بعينيه قائلًا بجدية:  
خلاص تمشي بالأصول!  
هتفت مستنكرة بعناد:

أصول ايه دي اللي تجبرني أقعد مع ناس مش جباهم؟  
رد عليها ببرود وهو يرمقها بنظرات شبه مستخفة:

محدث قالك حبيهم!  
هتفت بنبرة حادة نسيًا:  
هو بالعافية

ضيق نظراته إليها، وأجابها بجمود صارم:

-اعتبريه كده!

ثم لوى فمه ليضيف بازدراء:

-وبعدين مش هناخد على كلامك دلوقتي!

شعرت بنوع من الإهانة في جملته الضمنية، فصاحت معترضة:

-أنا مش مجنونة عشان تقولي كده!

رد عليها بتهكم:

-ولا ردك ده رد عاقلين!

ثم أمسك بمقبض باب السيارة الخلفي، وقام بفتحه، ومن ثم دفعها للخلف

قائلاً بنبرة آمرة:

-ويا لا اركبي

اعترضت بإصرار أكبر:

-لأ..!

لم يترك لها المجال للرفض، فإستخدم قوة ذراعيه في إجبارها على الدخول عنوة.



لم تستطع كبحه، فسقط جسدها المرهق على المقعد الخلفي. استغل هو  
الفرصة لغلّق باب السيارة لكنه لم ينتبه لقدمها العالقة فصرخت متألّمة بشدة:  
آآآ، رجلي!

أسرع بإرجاع الباب للخلف لتتمكن هي من سحب قدمها اليسرى للداخل، ثم  
أعاد غلقه.

وضعت أسيف يدها على قدمها الموجعة لتفركها محاولة تخفيف حدة الألم القوية  
التي أصابتها.

نظرت له شزرًا، ورغم هذا لم تتمكن من الفرار منه.

كان قد ركب السيارة، وبدأ في قيادتها.

تهدت مستسلمة، وأصبح الوجوم هو المسيطر على تعابير وجهها الذابل.

تم منذر لنفسه من بين شفثيه بسباب قاسي:

-كفاية ابن ال... اللي طلعي من السجن! عاوزاني أسيك ليه!

لاحظت أسيف تشنج وجهه، وحده نظراته المخيفة لكنها لم تفهم سبب غضبته

منها، هي تتجاوز بكثير حد رفضها العودة لمنزل عمّتها. فرما بإقناع متعقل

وكلمات مواسية كانت المسألة لتحل.. هي شبه متيقنة أن يتخطى هذا الشيء

بمراحل، فقط ينقصها أن تعي الأسباب الحقيقية لعنفوانه الزائد.

خرجت من شرود تفكيرها المؤقت على رؤيتها للطريق المؤدي لمنزله، تلفتت

حولها لتتأكد من صحة ما رأت.

جف حلقها نوعًا ما، وهتفت متسائلة بتوجس وهي تنظر إليه:

إنت واخديني على فين؟

حدجها بقوة وهو ينظر إلى وجهها عبر مرآته، ثم رد عليها بنبرة مقتضبة:

عند عمك، ماهي عندنا لسه!

ازدرت ريقها مجددًا وهي تسأله بجنر متردد:

هي.. هي كويسة؟

رد عليها بتساؤل يحمل التهم وهو يرفع حاجبه للأعلى مستنكرًا سذاجتها:

تفتكري يعني؟!

أخفضت نظراتها عن عينيه القاسيتين المحدثتين بها من خلال إنعكاس المرأة، وضغطت على شفيتها أكثر.

هي حافظت على هدوئها كاتمة آلامها المتأججة في قدمها اليسرى كما إعتادت أن تفعل.

.....

وضعت على طرف فراش صغيرتها أروى عدة عباءات منزلية نظيفة، فقد أعدت الغرفة لابنتي عواطف لتبيتا فيها.

استدارت جليلة بجسدها لترمق بسمة الواقعة خلفها بنظرات حانية وهي تقول  
بجماس:

خدوا راحتكم، البيت مافيهوش حد، ولادي برا، ومحدث هيضايتم خالص!  
ابتسمت بسمة مجاملة وهي ترد ممتنة:

شكراً، تعبناكم معانا!

استنكرت جليلة عبارتها قائلة بعتاب زائف:

تعب إيه، دي حاجة بسيطة، ده يا ريت تنورونا كل يوم!

ثم وضعت يدها على ذراعها لترت عليه وهي تضيف بغموض رغم ابتسامتها  
العريضة:

وخصوصاً إتني يا قمر!

قطبت بسمة جبينها قليلاً، واكتفت بالإبتسام..

هتفت أروى متسائلة بجماس وهي تقفز في مكانها:

هتباتي معايا يا مس؟

هزت رأسها بالإيجاب مرددة:

إن شاء الله

صفقت الصغيرة بكفيها مهللة:

أنا فرحانة أوي، المس اللي بأحبها هتنام هنا على سريري!  
أحاطتها بسمة من كتفها بذراعها، ثم عبثت في خصلات شعرها وهي تبتمس  
لها.

هتفت جليلة بجديّة خفيفة وهي تشير بيدها:  
غيري هدومك يا بنتي، تعالي يا أروى برا!  
هزت ابنتها رأسها قائلة بمرح:  
حاضر يا ماما!

ثم لوحت بكتفها متابعة بابتسامة بريئة:  
باي يا مس، هاشوفك كمان شوية!  
ابتسمت بسمة قائلة بإيجاز:

أوكي

ثم تابعتها بأنظارها حتى ولجتا خارج الغرفة، فأوصدت الباب خلفها. تهتت  
بتعب، واستدارت نحو الفراش لتنظر إلى الثياب المطوية بعناية عليه.  
دنت منه بخطوات مرهقة، ومدت يدها لتسحب إحداهم لتبدأ في تبديل  
عباءتها المؤقتة التي استعارتها مسبقًا من جليلة بأخرى تخصها...

.....

راقبها ثلاثتهم من مسافة معقولة بنظرات متنوعة ما بين الثقة والخوف والتوتر.  
همس مازن متسائلاً بقلق كبير بادٍ عليه موجهاً حديثه لأخيه:  
هي هتوافق؟

التوى ثغر مجد للجانب قائلاً بغرور مفرط:  
هاتبقي عبيطة لو عملت عكس كده!

حك طرف ذقنه بعصبية قليلة وهو يقول:  
جايز ترفض!

رد عليه مجد بجمود:

-اطمن، مش هاتعمل كده!

ثم لكره في جانبه متابعاً بتأكيد مغتر:

-انشف ياض، أخوك في ضهرك، والولية دي عبدة للقرش، ارميلها إنت بس  
أي فلوس في حجرها، هاتخط على طول الجزمة في بؤها

صمت للحظة ليتابع بكركرة مستفزة:

-ومش بعيد تبلعها كمان!

رفع مازن يده عاليًا على رأسه ليمررها في خصلات شعره بتوتر وهو يبرر:

بس دي بنتها!

مط مجد فه قائلاً بثقة أكبر:

-وانت ابننا! وهي فاهمة كويس هي بتلعب مع مين.

عاود مازن التحديق بها مبتلعاً ريقه بخوف مما هو مقبل عليه.

تابعها مهدي بصمت، لكن عقله لم يتوقف للحظة عن التفكير بحكمة فيما ستؤول إليه الأمور.

فشادية ليست بامرأة منكسرة الجناح، أو سهلة الترويض. هي في لحظة يمكن أن تقلب الطاولة على من فيها، لذا عليه أن يضمن سلامة ابنه إن أراد له النجاة من براثنها الحادة.

على عكس ما كانوا يتوقعونه، شردت تفكر في ذلك المبلغ الضخم المعروض عليها نظير صمتها.

إن قبلت به ستضحي بمصير ابنتها - وخاصة أمومتها - للأبد.

وإن رفضت ستتطور الأوضاع للأسوأ.

أخذت تختلق لنفسها الأعذار مرددة:

ماهي عندها عيل، يعني مش محرومة من الخلفة ولا حاجة!

رمشت بعينها متابعة حديث نفسها الشيطاني:

-يبقى تاخذ الفلوس وهي الكسبانة!

برقت حدقتهاها بشر مخيف وهي تردد بنجث:

-ومش بعيد أخلي الدكتوراة عملي تقرير أبتذ الزفت ده بيه بعدين، يعني في كل الأحوال بنتي هاتستفيد! والعيال امرهم مقدور عليه، الحضانة تبعي، والواد في حضننا، صح كده!

كاد يطفو على ثغرها طيف ابتساماة وضيعة، لكن منعتهما من الظهور قبل تشكلها عليه لتحافظ على حزنها الزائف.

.....

كانت كمن يقف على نيران متقدة وهي تجوب غرفته ذهابًا وإيابًا.. فركت قبضتي يدها بعصبية لاعنة تلك التعيسة التي تحظى بأثمن اللحظات معه. ربما هو لا يخصها، لكنها لم تستطع منع نفسها من الإنجذاب إليه، ولما لا؟ فهو دومًا يثبت لها أنه العنوان الأمثل للرجولة.

حدقت في صورته المعلقة على الحائط مطولًا، وشردت في إحدى ذكرياتها الغير سارة بالمرّة.

.....

تفاجأت به يحاوطها من الخلف على غير عادته بالمرّة مسندًا رأسه على كتفها، فالتفتت للجانب لتنظر إليه بغرابة وهي تتساءل بتعجب:

خير؟ ايه الحنية دي كلها؟

أجابها قائلاً بغموض:

عاوزك تجهزي يا حبيتي

ردت عليه متسائلة وهي تريح ذراعيه عن خصرها:

ليه؟ هانخرج؟

أدارها حاتم نحوه وهو يجيبها بابتسامة عابثة:

اه، احنا معزومين عند واحد صاحبي، عيد ميلاده النهاردة!

استندت بكتفها على صدره، وطالعتة بنظرات ثابتة وهي تتساءل بفضول

وقد بدت مهتمة بمعرفة التفاصيل:

-يعني عامل حفلة وكده؟

أوماً برأسه بالإيجاب قائلاً:

-ايوه

أضافت نيرمين متسائلة بجدية:

-وهو متجوز؟ مراته موجودة يعني؟

هز رأسه نافياً وهو يداعب أنفها بإصبعه:

-لا، هو عاذب

انعد ما بين حاجبها ياندهاش، وردت بغرابة:



-وعاوزني أروح!

أوضح لها حاتم غرضه قائلاً:

أه، هو محترم، وبعدين أمه وأخته موجودين، ودي حفلة كلها هيصة  
وفرشة، وأنا مشغول، فإنتي هاتجي معايا تكلمي السهرة مكاني!

ضاقت نظراتها لترد بجدية:

طيب ماشي، أنا ممكن أحضر، بس هامشي معاك!

أزاح يده عنها، وتراجع للخلف ليرمقها بنظرات مزعوجة وهو يقول:

-بأقولك هاتسهرى مكاني، إنتي بدالي في الحفلة!

اتسعت مقلتاها بإستنكار منفر، وهتفت معترضة:

يا حاتم ده واحد صاحبك، يعني مش عرفاه، لزمتي أنا أفضل ليه وسط ناس

ماليش علاقة بيهم؟

رد عليها بنبرة مستفزة:

ما انتي هتتعرفى عليهم

أولته ظهرها قائلة برفض تام:

لا، بلاش منه، أنا مش مرتاحة!

وضع زوجها يده على ذراعها، وأدارها نحوه هاتفاً بضجر بائن في نبرته:

-يعني هاروح من غيرك؟

هزت كتفها بعدم أكثرات وهي تقول:

عادي، انتو شباب في بعض! خدوا راحتكم  
تصلبت قسماات وجهه نوعًا ما وهو يقول يا صررار:  
-لا، بس أنا قايلهم إنك جاية

ارفع حاجباها للأعلى صائحة بنفور:

-نعم؟ قايلهم؟

أجابها باقتضاب وهو متعجب من ردة فعلها:

-ايوه

اشتمزت من إصراره على ذهابها، وصاحت بانفعال بائن مشيرة بيدها:

-حاتم، إنت بتكلم جد؟ انت قايل لصحابك الشباب مراتي جاية عيد ميلاد  
واحد فيكو تهيص معاكو!

نظر لها بجمود وهو يرد قائلاً:

-وايه يعني؟ حفلة زي أي حفلة! وفهمتك إن فيها أهله!

كزت على أسنانها قائلة بغیظ:

-أكيد ده هزار، صح؟

بدا وجهه صارم الملامح وهو يرد:

-أنا بأتكلم جد يا نيرمين! أنا مش هاطلع عيل قصادهم  
تطلع عيل عشان تفرجهم عليا، كلام ايه ده اللي بتقوله، أنا استحالة أوافق  
طبعا

رمقته بنظرات احتقارية، فلم تكن تتخيل زوجها هكذا، هو يرسلها إلى حفلة  
مجهولة لا تعرف من فيها مجرد ألا يبدو مظهره سيئا أمام رفاقه.

اغتاظ من رفضها القاطع، وتبدلت تعابير وجهه للغلظة والحدة، وصاح بها  
مهدداً:

-استحالة توفقي؟!

أصرت على رأيها قائلة بتوجس خفيف:

-ايوه!

لوح حاتم بيده مهدداً وهو يتابع بشراسة:

نيرمين، أنا جوزك، وكلامي أوامر!

هتفت محتجة بصوت شبه مختنق:

برضوه لأ، أنا مش موافقة، ترضهالي؟ عاوز الناس تقول عني ايه؟ وكم ان

انت هتمشي وأفضل أنا لوحدي لحد آخر الليل!

نفخ قائلاً بنفاد صبر:

-هاخلص شغل وأرجع أخذك!

حركت رأسها بالنفي وهي تقول بعناد:

-انسى يا حاتم!

برزت عيناه الغاضبتين أكثر من محجرتيها، وصاح بصراخ مقلق:

-بتعصيني يعني؟

ردت عليه بتوتر رغم استشعارها تهديده الخطر:

-احسبها زي ما تحسبها، بس مش رايحة!

أمسك بها من ذراعها، وهزها بعنف صارخاً بها:

-بيقى انتي ناوية على علقه كل الليلة!

تأوهت من قبضته الغليظة عليها، وتوسلته راجية:

-آه، حاتم! حرام عليك! بلاش تضربني!

رفع يده عالياً في الهواء ليهوى بها على وجنتها صافعاً إياها بعنف قوي وهو

يقول بنبرة هائجة:

هو إنتي شوفتي حاجة، أنا هاربيكي!

بحظت عينها بخوف كبير مما سيفعله بها، فهو بالطبع لن يتركها إلا وعظامها  
تئن وتصرخ من ضرباته الشرسة كما إعتاد أن يفعل بها دومًا حينما تثور  
ثأرته...

.....

أفاقت من تلك الذكرى الموجعة ضامة يديها إلى صدرها بقوة.  
تنفست بعمق لتسيطر على إنفعالاتها، وابتلعت غصة مريرة في حلقها لتحدث  
نفسها بتقزز جلي لاعتنة إياه:  
كان ابن..... مش راجل، أيوه مش راجل!

.....

صف سيارته بجوار مدخل البناية القاطنة بها عائلته هاتقًا فيها بجدية أمرة وهو  
يشير بعينه:

انزلي!

لم تعلق أسيف على أمره الصارم، وترجلت ممتثلة بهدوء له. فلا جدوى من  
الإعتراض عليه، فسينتهي الأمر معه بالجر قسرًا للداخل. خرج رغمًا عنها  
شهقة مكتومة حينما ضغطت على قدمها اليسرى. وانحنت تلقائيًا للأمام  
لتستند على السيارة.

التفت منذر ناحيتها متسائلاً بجديّة:

مالك؟

رفعت رأسها لتنظر ناحيته بوجه ملتهب من حمرة الألم المكتوم، وردت  
باقتضاب عابس:

ما فيش

أشار لها بيده متابعًا:

-تفضلي!

تحركت ببطء شديد، فبدت كالعرجاء وهي تسير إلى جواره.

أخفض نظراته ليحدق بساقها. فأدرك أنها تعاني خطبًا ما، لذا سألها مهمتها:

مال رجلك؟

ردت من بين شفتيها المضغوطتين بصوت شبه ثابت:

-ولا حاجة!

سار خلفها مراقبًا حركتها المتربّثة بإنزعاج واضح عليه.

أيقن أنه هو من تسبب لها في ذلك الأذى دون قصد منه.

زفر بصوت مسموع وهو يفرك وجهه بضيق كبير.

وصلت أسيف إلى الدرج، واستندت بيدها على الدرايزون، ثم رفعت عينها للأعلى لتنظر إلى الطوابق العليا.

تهدت يانهاك واضح، وتشبثت أكثر به.

مازال الطريق أمامها طويلاً حتى تصل إلى باب منزل عائلة حرب، وعليها أن تتحمل ذلك الألم الرهيب الذي تزداد حدته مع كل خطوة تخطوها.

لن تشكو لأحد وجعها، وستصمد للأخير.

جرجت ساقها بتريث شديد، ورفعت قدمها اليسرى بجزر للأعلى. أغمضت عينها متألمة وهي تستند بها على الدرجة التالية.

لمعت حدقتها متأثرة من شدة الألم، وبدا ظاهراً على لون بشرتها مدى تأثيره عليها.

هتف منذر من ورائها قائلاً بصوت هاديء:

تحبي أساعدك؟

لم تنظر إليه، بل أكلت صعودها الطويل قائلة بإباء:

-لا!

لكن كما الحال دومًا بينهما من احتكاكات غير متوقعة، بادر هو بالإقتراب منها، وقام بحملها فجأة لتشهق بهلع رافضة فعلته:

إنت بتعمل ايه؟ نزلي؟

ثم ركلت الهواء بساقها محاولة الخلاص منه، لكنه كان أكثر تصميمًا على فعل ما يريد.

تورد وجهها أكثر، وبدت في قمة نخجها منه.

ربما لكونها واعية وهي تراه يحملها بين ذراعيه بعكس أي مرة أخرى حدث فيها ذلك.

حدق مباشرة في عينيها قائلاً بصوت خفيض رغم جديته:  
فوق!

لاحظ هو إرتباكها الشديد منه، وظل معلقًا أبصاره عليها على الرغم من استمراره في الصعود.

اضطرت أسيف أن تلف ذراعها حول عنقه، واستندت بالأخر على صدره، لكنها تحاشت النظر إلى وجهه، وحدقت أمامها بجياء بائن، فيكفيها ذلك الموقف المرحح الذي علقت به لتنظر هي إليه وكأنه لم يفعل شيء مخجل

!!!.....

.....



### الفصل الأربعون:

واصل صعوده على الدرج بخطوات متريثة ثابتة، وكأنه يعتمد التباطيء في خطاه ليستمتع بجملة لها.

كانت على عكس المتوقع منته، ساكنة، مرتبكة، هادئة نسبيًا رغم إحساسها بضربات قلبها المتلاحقة.

استشعرت طول المسافة إلى باب منزله، فهمست بصوت متوتر وهي مسلطة أنظارها أمامها:

أنا أقدر أكمل، كفاية كده

رد عليها بصلاية كالصخر الجامد:

مش اتني اللي تقولي!

التفتت برأسها عفويًا نحوه لترمقه بنظرات حادة وهي تهمس معترضة:  
أنا بقيت أحسن!

حدق فيها بثبات وهو يرد بتهكم:

عازرة تقنعيني إن رجلك خفت مسافة ما طلعت بيكي الدورين دول؟  
تخرجت من جملته تلك، وردت بارتباك واضح:

لا، بس....

قاطعها بحسم قبل أن تكمل عبارتها للأخير:

-يقي تسكتي!

حدجته بنظرات مستشاشة، فقد أعاظتها صرامته الواثقة معها، واكتفت بإبعاد  
وجهها نافحة بصوت وصل إلى مسامعه، فلا فائدة من الجدل معه. هو قرر  
وهي عليها فقط التنفيذ جبرًا...

التوى ثغره بابتسامة باهتة وهو يطالعها باهتمام زائد نسييًا، لكنه إلى الآن لم  
يتجاوز حدود المقبول...

وصل إلى الطابق الكائن به منزله، ورفض إنزالها على ساقها رغم إعتراضها  
الشديد:

-احنا وصلنا، كفاية كده بقي!

رد عليها ببرود:

هنزلك جوا

نظرت إليه بأعينها المحتقتين وهي ترد بعصبية قليلة:

-تكونش مفكرني هاعرف أهرب يعني؟

ابتسم ساخرًا:

هو إتي كنتي هرتي أولاني أصلاً؟

اغتاظت من ردوده المستفزة لها، فتحرت بجسدها كليًا محاولة الخلاص من

حصار قبضتيه عليها قائلة ببراءة:

لو سمحت!

رمقها بنظرات قوية وهو يأمرها بجمود:

-اهدي، الموضوع مش مستاهل التشنيجة دي كلها!

تمت لنفسها من بين شفيتها بجرح كبير:

هو انت حاسس بحاجة!

.....

اختنق صدرها، وفاض بها الكيل وهي تحترق على أعصابها منتظرة عودته من

الخارج وهي معه.

دار في رأسها سيناريوهات متعددة عن كيفية إحضارها إلى هنا، وبالطبع جميعها تعني شد وجذب بينهما. وحديث مطول بين القيل والقال، إذا فهناك جذوة شرارة ما ستشتعل بينهما. أنبأها قلبها بهذا.

التفتت برأسها ناحية والدتها الغافية، ورمقتها بنظرات مطولة محدثة نفسها بنبرة مغلولة:

اه لو حصل بينهم اللي أنا خايفة منه!

تهدت بعمق، وأدارت أبصارها في اتجاه رضيعتها النائمة بوجهها الملائكي، ثم أكملت ما يجيش في صدرها بضيق:

-وأنا لوحدي بس اللي شايلة لهم! ذنبك ايه يطلع ال.... ده أبوكي! هيفضل وصمة طول عمره في حياتنا احنا الاتنين

نفخت مجدداً بغیظ، ثم وضعت يدها على عنقها لتفركه.

ألحت عليها رغبتها في الإرتواء بالمياه، فقررت الخروج من الغرفة والذهاب للمطبخ.

طرحت على رأسها حجابها، ثم سارت بخطى حذرة نحوه، لكنها تسمرت في مكانها حينما سمعت تلك الهمهمات الخافتة.

التفتت برأسها تلقائياً نحو باب المنزل، وهنا صدق حدسها الأثوي..

قرع الجرس، فكانت الأسرع في الوصول إلى الباب، وبلا تردد أدارت مقبضته وفتحته لتتسع أنظارها المحتدة بصدمة جلية.

سيطر الوجوم على تعابير وجهها، فمندر وقف قبالتها شامخًا يحمل بين ذراعيه تعيسة الحظ.

تحولت نظراتها للإظلام، وبدا العبوس هو سمتها الأساسية.

جاهدت نفسها لتبدو انفعالاتها طبيعية، وخاصة أن ما بصدرها نيران حية تستعر على أشدها.

لذلك هتفت بابتسامة ساخطة وهي ترمق أسيف ياشمئزاز ملموس:

أد كلمتك يا سي مندر!

ثم مررت أنظارها المستشاشة عليها ببطء لتتابع بازدياء مهين:

عرفت فعلاً تجيها عند رجلين أي زي ما قالتلك! ما فيش حاجة تستعصى عليك!

اصطبغ وجه أسيف بحمرة مغتظة من عبارتها المهينة ونظراتها المحترقة لشخصها، وتلوت أكثر بجسدها مستنكرة بقائها على تلك الوضعية المشينة – من وجهة نظرها – لأكثر من هذا.

ابتسمت نيرمين مكملة بسخط وهي توميء بعينيها:

-وهي طبعا ما بتصدق تلاقيك يا سي مندر عشان تتشعلق في رقبتك، كهن  
بنات، ما انت عارفه!

عجرت أسيف عن الرد عليها، فهي كانت محقة إلى حد ما في قولها، فرفضها  
لتصرفه الجريء معها وضعها في حرج كبير. والآن هي عليها أن تبرر سبب  
ذلك..

حدج مندر نيرمين بنظرات قوية، فعباراتها اللاذعة تثير بداخله الرغبة في  
التشاجر معها ناهيك عن النفور منها. استطرد حديثه قائلاً بخشونة:

طب وسعي، مش هاتخذينا صورة واحنا كده!

تنحت للجانب ليمرق من جوارها بخطى سريعة نحو أقرب أريكة لينحني بحذر  
واضعا أسيف عليها برفق..

ظلت الأخيرة متعلقة في عنقه وهي تستند بذراعها الأخر على الأريكة. كان  
ذلك هو اقترابها الثاني المقلق، فهو بقي على وضعيته المائلة عليها محققا فيها  
عن كذب.

من خلفها وقت نيرمين على جمر متقدة ترمق الاثنين بنظرات مشتعلة،  
وهتفت بصوت متشنج قليلاً:

-سلامتك يا ختي، المرادي ايه عندك ايه بقي؟ عرق النسا ولا....

التفت منذر ناحيتها وهو يعتدل في وقفته ليحدجها بنظرات ساخطة قبل أن  
يصيح بها بغلظة:

ماتدخيلش في اللي مالكيش فيه!

وكأنه قذفها بججر قاس في وجهها، ليخرس لسانها فتصمت مجبرة غير قادرة  
على الرد، وغضبها المتأجج يأكلها من داخلها.

ضغطت أسيف على أصابع يدها بعصبية، فهي أتت إلى هنا قسرًا، على غير  
رغبتها، ومضطرة أن تستمع إلى مثلك تلك الحماقات المهينة.

جذب منذر نيرمين من ذراعها للخلف بعد أن بقيت متمسرة في مكانها هامسًا  
لها من بين أسنانه بنبرة آمرة:

خشي عند أمك شوفيا صاحية ولا لا؟

نظرت هي إلى قبضته المسكة بذراعها، وشعرت بجالة غريبة من المشاعر  
الفائرة تجتاحها. هي لم تختبر قوته الجسمانية من قبل، لكنها استشعرت من تلك  
اللمسة الخشنة أنه قادر على تدمير من يتجرأ عليه.

أومأت برأسها عفويًا وهي ترد بصوت شبه متحشرح:

حاضر يا سي منذر!

ثم أسبلت عينها لتتابع بنعومة غريبة:

إنت بس تؤمرني وأنا نفذ على طول!

رمشت بعينها عدة مرات متلذذة بوجودها على مقربة منه.  
 أرخى كفه عنها، فتهدت بارتباك ملحوظ.  
 حدجها بنظرات أكثر صلابة عن ذي قبل تحمل التحذير رغم انعقاد لسانه.  
 كانت على قدر من الغباء لكي لا تفهم أن ما ترمي إليه من إيماءات ونظرات  
 وخنوع زائف لن يثير الشكوك نحوها..

أثار حنقه ظنه أن والدته ربما قد لمحت لها بطريقة أو بأخرى عن رغبتها في  
 تزويجها به دون أن تخبره بهذا. وبالتالي هي تتصرف بتلك الطريقة المائعة معه،  
 ذلك الأسلوب الذي لا يستسيغه مطلقاً.

انصرفت من أمامه لتختفي داخل غرفته، فالتفت برأسه ليحديق بأسيف مراقباً  
 إياها مراقبة حثيثة.

هي لا تزال على وضعها المنزعج، وجهها المتشنج، نظراتها الذابلة، تلك الهالات  
 المتورمة أسفل عينيها تزيد من حالة بؤسها.

دنا منها هاتفاً بصوت أمر:

-وريني رجلك!

رفعت عيناها نحوه فجأة متحرجة من أمره المباغت.

تلون وجهها بجمرة عجيبة، وردت مستنكرة:



نعم، بتقول ايه؟

أجابها ببرود متعمداً تجاهل خجلها:

-اللي سمعته، عاوز أشوفها!

عفويًا سحبت ثوبها للأسفل لتغطي ساقها تمامًا وهي ترد معترضة:

-لا!

في تلك اللحظة خرجت نيرمين من الغرفة وعلى وجهها ابتسامة مصطنعة. ثم

اقتربت منه لتهمس قائلة برقة زائفة:

-ماما في سابع نومة! تحب أصحياك يا سي مندر؟

رمقها بنظرات منزعة من أسلوبها المستفز وهو يرد بجدية:

-لا خليها نائمة، بس عاوز منك خدمة!

أضاءت عيناها بلمعان غريب وهي تسأله بتلهف:

-ايه هي؟

أشار لها بيده موضحًا بنبرته الخشنة:

-في دولاب في الحمام فيه مراهم وأدوية، شوفيلي هناك مرهم ((....))،

وهاتيه، وهتلاقي جميعهم رباط ضاغط تقريبًا هاتيه برضوه!

ارتسمت علامات القلق على تعابير وجهها وهي تسأله بتوجس:

انت تعبان يا سي مندر؟ فيك حاجة؟ طمني عليك!

أجابها باقتضاب:

-لا، ده مش ليا!

ثم أشار بيده نحو أسيف متابعًا بهدوء:

لها!

تبدلت تعابير وجهها للضييق، واستدارت بعينها نحوها، ثم نظرت لها شزراً  
مرددة باحتقار:

لدي؟

جمد مندر أنظاره عليها قائلاً بعتاب قاسي:

اه، لبنت خالك!

استشعرت ضيقه منها، فابتسمت قليلاً، ثم وضعت يدها على فمها متنحضة  
بخفوت لترد قائلة بلووم ممزوج بالخجل:

احم.. طيب يا سي مندر، على طول!

وعلى مضض كبير تحركت في اتجاه المرحاض مليية طلبه، لكن زاد بداخل  
نفسها الغاضبة شعورها الحائق نحو أسيف.

.....

بعد برهة، عادت نيرمين وهي حاملة في يديها ما طلبه منها منذر. ناولته  
إياهم، فدنا من أسيف التي انكشيت على نفسها متسائلة بقلق:  
هاتعمل ايه؟

أشار لها بعينه قائلاً بنبرة جافة:

هاشوف رجلك، مش ورمت بسببي!

اتسعت حدقتي نيرمين على أشدهما، ولطمت على صدرها مصدومة. فرصة  
أخرى تلوح في الأفق للتجاذب بينهما، وهي لن تسمح بحدوث هذا على مسمع  
ومرآى من عينيها.

ستفسد الأمر قبل أن يبدأ حتى. أفاقت من ذهولها المؤقت لتتحرك خلفه  
سريعاً قبل أن يفعل هذا عمداً.

هزت أسيف رأسها بالنفي، وتراجعت بظهرها للخلف في الأريكة لتصبح  
باعتراض متلثم:

مش عاوزة، أنا.. أنا كويسة!

وقف قبالتها تماماً، ورمقها بنظرات ثابتة وهو يرد بصلاية معهوده منه:

مش اتني اللي تقرري!

اندفعت نيرمين بجسدها لتتحني على الأريكة وتجلس إلى جوار أسيف هاتفة  
بنزق:

عنك يا سي مندر، أنا بأفهم في الحاجات دي!

التفت برأسه نحوها متسائلاً باستغراب:

-بتفهمي؟

أومات برأسها إيجاباً وهي ترد:

اه، ده.... ده شاطرة حتى... حتى تقدر تسأل أمي!

رفعت يدها للأعلى طالبة بما معه، فأعطاه إياهم بضجر.

ضاقت نظرات نيرمين للغاية وهي تنظر في وجه أسيف المرهق، وهتفت من  
بين شفيتها بنفور ظاهر:

-وريني رجلك ياختي!

ابتعدت عنها أسيف رافضة بإصرار شديد:

مش عاوزة منك إتي بالذات حاجة!

اشتعلت عيني نيرمين بحمرة متأججة، وتمت بصعوبة وهي تجاهد لرسم

ابتسامة هادئة على ثغرها:

-أنا.. ليه بس؟

ثم وجهت حديثها لمنذر قائلة بجزن زائف:

شاييف يا سي منذر، أديني على الحال ده معاها، بأعاملها بما يرضي الله،  
وهي دائماً كده، كاسرة بخاطري

صاحت بها أسيف بنبرة محتقنة للغاية:

-بطلي كذب بقى، هو اتني عندك احساس أصلاً

ردت عليها نيرمين برود مستفزة:

أنا، ربنا يسامحك!

حدجتها أسيف بنظرات مزدرية وهي تردد بخفوت مغتظة من إدعاءاتها  
الباطلة التي تثير الاشمئزاز في نفسها:

بجد بني آدمة مستفزة، تفور الدم!

التقطت أذني نيرمين تلك الكلمات المهمة، فسألته بحدة قليلة:

-بتقولي ايه؟

هبت أسيف واقفة وهي تصيح بعناد رافض:

أنا كويسة، مش عاوزة حاجة منكم!

ثم ضغطت بقوة على قدمها اليسرى لتتحرك فآلمتها بشدة، فانحنت عفويًا  
للأمام متأوهة:

آآآ!

مد منذر يده تلقائيًا نحوها ليسندها من مرفقها هاتفًا بتلهف:

حاسبي

استندت هي بكف يدها الأخر على صدره - دون قصد منها - ورفعت  
عينها لتنظر إليه بخجل..

اشتد اتساع حدقتي نيرمين وهي ترى تصرفاتها الطبيعية سويًا.. لم تتوقع ردة  
فعله فصدمت، وكتمت شهقتها بصعوبة. فأجج هذا من إحساس الغيظ  
بداخلها.

اعتدلت أسيف في وقفها، وسحبت كفها للخلف. لكن بقي منذر ممسكًا بها  
من مرفقها.

تمتت نيرمين بهمس من بين شفثيها بغل:

بت كهينة بنت.....!!!!

هتف منذر قائلاً بصرامة:

-اقعدي أحسن، اتني مش قادرة تدوسي على رجلك!

خرجت جليلة من غرفة نومها على إثر الجلبة الحادثة بالخارج، فتفاجأت بوجود أسيف، وارتسم على محياها ابتسامة سعيدة لم شمل الأسرة من جديد.

هتفت بمرح:

حمدلله على سلامتك يا بنتي، عمك كانت زعلانة عشانك نظرت لها أسيف بجمود، ولم تعقب. استقبلتها جليلة في أحضانها، فاستشعرت الفتور في ردود فعلها.

عقدت ما بين حاجبيها، وحدقت فيها متسائلة بإستغراب:

مالك يا بنتي؟

برر لها منذر تصرفها البارد قائلاً:

-رجلها ورمت بسببي!

لطمت جليلة على صدرها هاتفة بتوجس:

ايه اللي حصلك؟

ردت أسيف بمرح وهي تبتلع ريقها:

مافيش حاجة

أجلستها جليلة عنوة هاتفة بإصرار وهي تحاول نزع ثوبها قليلاً:

-وريني كده؟

اكتسى وجه أسيف بجمرة زائدة عقب فعلتها تلك، وقاومتها قائلة بجياء:

-مافيش..!

لاحظ منذر إرتباكها، وتورد وجنتها بصورة بائنة، فتنحج مرددًا بخشونة:

-أنا كده تميت مهمتي، شوفوا انتو هاتعملوا ايه مع بعض، سلامو عليكم

هبت نيرمين واقفة من مكانها متسائلة بنزق:

-رايح فين السعادي يا سي منذر؟

رمقها بنظرات جافة وهو يرد بجفاء:

-هاقعد في الوكالة! وخدوا انتو راحتكوا!

لم يمهلهما الفرصة لمتابعة تساؤلاتها المهمة حيث أسرع في خطاه متجهًا نحو باب

المنزل ليخرج منه دون أن يضيف المزيد.

ضاقَت نظراتها نحو تلك البائسة التي تستحوذ ببراعها على انتباه من حولها،

فكتفت ساعديها أمام صدرها، ونظرت لها بازدراء قبل أن تنطق بتأفف:

-حنيتي علينا ورجعتي؟ كنتي هترتاحي لما أمي تموت؟

تجاهلتها أسيف، فقد كانت متوقعة مثل تلك التصرفات المستفزة من قبلها.



نظرت جليلة إليها مرددة بجديّة:

خلاص يا بنتي مش وقت عتاب، خلينا نشوف مالها!

همست نيرمين بصوت مزعوج وهي مستمرة في رمقها بتلك النظرات الدونية:

-ربنا يزيحها عن طريقنا، جت وجاية الفقر كله معاها!

تابعت جليلة حديثها الأموي الهاديء مرددة لأسيف:

-ارفعي رجلك كده أشوفها، ربنا يستر وماتكونش حاجة خطيرة.

بتردد بائن عليها، قامت بإزاحة ثوبها قليلاً لتكشف عن ساقها، فشهقت

جليلة مصدومة من ذلك التورم الواضح فيه. وضعت أسيف يدها عليه،

وضغطت على شفيتها متحملة الألم.

هزت جليلة رأسها مستنكرة ما فعلته، وهتفت بتوجس وهي تدقق النظر في

ذلك التورم المقلق:

-وكنتي مستحملاه ازاي بس؟

ثم ضغطت بجذر عليه، وتهدت مضيفة بإبتسامة متفائلة:

-الحمد لله إنك هنا، وإن شاء الله يطيب بسرعة!

رمقتها نيرمين بنظراتها المحتقنة منها، وغمغمت بصوت خفيض يحمل الحقد:

يا ريت رقبته كانت اتكسرت عشان نرتاح!

جلس إلى جوار رفاقه بالمقهى الشعبي منفثًا دخان الأرجيلة بكثافة رغم تلك الساعة المتأخرة، وخلو معظمه من رواده.

لم يتوقف عقله للحظة عن التفكير فيما حدث على مدار يومه المشحون خاصة ما فعلته طليقته السابقة وزواجها السري من غريمه مازن.

شعر بمدى سذاجته لكونها كررت نفس الفعلة مع غيره، وأوقعته في شباكها الخبيثة دون عناء.

أخرج من صدره دخانًا يحمل الكثير مما يكنه في صدره، فكون المرء وقع في فخ مثلتها لمرة يجبره قسرًا على توخي الحذر مع كافة النساء.

ما أثلج أثلج صدره في الأخير هو عودة ابنه إلى أحضانه، تلك النبتة الطيبة التي يرجو من الله أن يحسن تربيتها.

التفت إليه رفيقه ليجده شاردًا فسأله مهتمًا:

-يا عم دياب؟ سرحان من بدري، في حاجة جت؟

استدار هو ناحيته مجيبًا إياه بفتور:

متأخدش في بالك

مال عليه رفيقه هاتفًا بمكر:

-سمعنا إن أخوك عمل السليمة مع ابن أبو النجا، معلم ابن معلم!!

التوى ثغر دياب بابتسامة تهكمية وهو يرد:

-ده أقل حاجة، وعقبال كل مرة لما نمسح بيه البلاط

سأله رفيقه بفضول بارز في نبرته ونظراته المدققة:

طب اللي سمعناه صحيح؟

ضاقت نظرات دياب وهو يرد متسائلاً:

-ايه؟

ارتبك نوعاً ما وهو يجيبه بتوجس:

-انه.. انه اتجوز... المدام

تجهمت تعابير وجهه، ورد بغلظة صارمة:

-ماليش فيه، يعمل اللي عاوزه، ميخصنيش!

تنحنح رفيقه مبرراً بجرح:

-احم، أنا مقصدش، لكن الناس بتكلم و...

قاطع دياب صائحاً بحدة:

-كل واحد حر، هي خرجت ببلاويها من ذمتي!

هز رفيقه رأسه متفهّمًا:

تمام يا كبير!

ارتشف ما تبقى من فنجان قهوته، وأضاف بجدية:

بالحق نسيت أقولك، مجد خرج من السجن!

انتبهت حواس الأخير بالكامل، وقست نظراته وهو يردد:

مجد أبو النجا؟!!

أوما برأسه قائلًا:

-ايوه، الناس شافوه بيتمشى في المنطقة!

شرد محددًا في الفراغ أمامه بنظرات غامضة، وتمتم مع نفسه بصوت خافت

ذو مغزى:

شكلها هترجع تسخن من ثاني!

سأله رفيقه بجدية:

-بتقول ايه يا دياب؟

انتبه له دياب، ورد عليه بعبوس:

شوفلنا حاجة نشرها أحسن!

ابتسم رفيقه هاتفًا:

أوامرك!

ثم لوح بذراعه في الهواء وهو يصيح بنبرة عالية للنادل العامل بالمكان:

إنت يا بني، تعالى هنا شوية!

.....

أثر المكوث بالوكالة قاضيًا ليلته هناك لترك مساحة من الحرية للضيوف الجالسين بمنزل عائلته للتحرك بأريحية تامة دون أي شعور بالحرج. جلس شبه مسترخيًا على مقعده، واضعًا ساقيه على سطح المكتب. لم ينر الإضاءة، واكتفى بذلك الضوء الباهت بالخارج.

تنفس بعمق محاولاً إراحة أعصابه المشدودة قليلاً فما مر به اليوم ليس بالهين. أغمض عيناه بثناقل، فطاف في مخيلته وجهها الحزين، وعينها الدامعتين. هي تعد مادة خام للمصائب إن صح التعبير، فمنذ أن رآها أول مرة وهي تشده بعفويتها المهلكة ليلتصق معها.

فرك مندر وجهه بتعب، ومط كتفيه بإرهاق منفضًا عن عقله ذلك التفكير المجهد، لكنه لم يستطع.

فهناك شيء ما يجذبه دومًا إليها، بل ظن أنه أحيانًا يرتب لهما القدر الفرص ليلتقيا سويًا في أصعب الأوقات.

لحظات وتشنجت تعابير وجهه المرتخية حينما تذكر اسم ذلك المقيت الذي  
خرج من مجلسه.

لفظ اسمه بنفور تام من بين أسنانه:

مجد! لينا نصيب تاني مع بعد!

فتح عيناه، وحقق بنظرات فارغة في الظلام متذكرا جزءا مما مضى.

.....

ركضت كالمجنونة مبتعدة عن ذلك الذي يطاردها ظلما، ورغم تعثرها وإصابة  
ركبتها بسجحات موجعة إلا أنها نهضت سريعا لتنجو ببدنها منه.

هي تعرفه جيدا، وتعلم بأفعاله المشينة مع الصغيرات اللاتي يقعن صدفة في  
طريقه، وللأسف كانت إحدى ضحاياه.

لم تتصور أن يهاجمها أثناء عودتها من درسها الأخير محاولا نهش لحمها.

قاومته قدر استطاعتها لكنه كان واثقا من حصوله على مبتغاه حتى وإن فرت  
منه.

سمعت صوته الثقيل يناديها من الخلف:

هاتروحي مني فين؟

ارتجفت أوصالها كليًا من صوته المهدد. كادت تموت رعبًا من تخيل اقترابه  
منها.

للهولة ظنت أنها حُصرت، وستهلك لا محالة، لكنها لمحت ضوء سيارته المميزة،  
فصرخت مستغيثة:

-الحقوني، حد يساعدي يا ناس!

أوقف سيارته أمامها ليترجل متسائلًا بتوجس:

-في ايه؟

شعرت بالاطمئنان إلى حد ما لوجوده، فقد عرفت هويته فورًا.. لذلك دنت  
منه، وأشارت بيديها بحركات عشوائية موضحة بصوت متقطع لاهث:  
-عم مندر، ده هجم عليا، أنا.. في الدرس، لأ.. لأ أنا كنت راجعة من الدرس،  
عاوز... هو.. مش هايسيني!

أمسك بها مندر من مرفقيها صائحًا بصوت جاد:

خدي نفسك وفهميني بالراحة ايه اللي حصل

دقق النظر في هيئتها المرعوبة، كانت فتاة صغيرة لا تتخطى حاجز السادسة  
عشر على الأرجح، ملامحها مألوفة بالنسبة له، ربما هي من إحدى قاطنات  
المنطقة التي يمكث بها، لأنها عرفتته، ولكن ثيابها شبه ممزقة، وتعابير وجهها

تشير إلى حالة الهلع المسيطرة عليها. مرر أنظاره سريعًا على فمها الذي كان  
يزنق خيوطًا من الدماء، ولم يستطع أن يبعد عيناه عن تلك الخدوش البارزة  
في عنقها.

توجس خيفة من أن يكون قد طالها مكروه ما، وقبل أن يترك لعقله حرية  
التخمين، هزت الفتاة رأسها بإيماءات مذعورة وهي تتوسله بصوتها البكي:  
-ساعدني الله يكرمك، وديني لأول الشارع، أنا خايفة منه هو آ.....

قطمت عبارتها فزعًا حينما سمع كلاهما ذلك الصوت القائل  
-مسكتك!

هتف بها مجد بصوته المتحشرح الثقيل وهو يلقي بزجاجة المشروب المسكر  
الفارغة على الرصيف لتتهشم إلى أجزاء صغيرة.

التفت منذر ناحية صاحبة الصوت، وبالطبع لم يكن بحاجة إلى تفسير  
الموقف، فقد فهمه على الفور. ضاقت نظراته الحادة بصورة كبيرة، ثم أزاح يده  
الفتاة الصغيرة لتختبيء خلفه محاولاً حمايتها

انتصب بجسده الفاره أمامه، ورد عليه بنبرة قوية:

-بتعمل ايه مجد؟

تحرك مجد صوبه بخطى ثقيلة مرددًا بمجون:



ايه يا بن حرب؟ في ايه يا جدع، مايصحش كده عاوز أروق مزاجي الأول،  
هات ال..... شوية! أنا بس ه.....!!!

اشتعلت نظراته من وقاحته الفظة، وهدر فيه بصوت جهوري خشن ساباً  
إياه:

جرى ايه يا.....! انت اتجننت، مش شايف إنت بتكلم مين؟

انفجر مجد ضاحكاً بصورة هيسترية وهو يرد بعث دنيء:

انت عاوزها لفة؟ قولي ماتتكسفش، هاسيهالك!

صرخت الفتاة شاهقة برعب، فصاح بها منذر بصرامة:

خشي جوا العربية، بسرعة!

لم تتردد الفتاة في تنفيذ أمره، وأسرعت بالاختباء بداخلها.

إنتابها حالة من النفور والتقرز من وضعها الحالي، لم تتوقف عن البكاء للحظة..

فقد نال منها قسراً على عدة لمسات محرمة استلذ بها بشهوانية حيوانية مريضة

عجزت فيها عن الدفاع عن نفسها.

جفل جسدها يارتعاشات متتالية خائفة منه، فقد كانت تخشى أن يتجاوز

منذر، ويتمكن من الوصول إليها، ثم يعاود الكرة معها من جديد.

انكششت على نفسها أكثر، وبكت بعجز أكبر.

وقف منذر قبالتة مانعًا إياه من الوصول إليها، وأمسك به من تلايبه ليدفعه  
للخلف هادرًا بشراسة:

عاوز منها إيه؟

أجابه مجد بنبرة تحمل الخبث وقد أظلمت نظراته الشيطانية:

-أكل اللي بدأتاه!

شعر منذر باشمزاز كبير من طريقته الحيوانية، وهدر بصوت صارم:

-مش هتلمسها، البت في حمايتي!

كركر ضاحكًا بطريقة مستفزة وهو يقول:

-انت هتعرف تحميا مني؟

رد عليه منذر بصياح عنيف:

-ايوه، الظاهر إنت نسيت أنا مين!

رفع مجد يده أمام وجهه قائلاً باستخفاف:

-لا مش ناسي!

ثم تراجع خطوة للخلف وحك جبينه عدة مرات، وتابع بوضاعة متعمداً  
الإساءة له:

حطب أقولك على حاجة فيها الخلاصة، بدل ما تلف مع المودام على الدكتورة  
عشان تخلف، ما تيجي تجرب حظك مع دي، صدقي هاتفرق أوي، والبت  
جبارة! أنا عارف كل حاجة، اطمن سرك في بير!

اشتعلت نظرات الأخير للغاية، بل تشكلت فيها خيوط حمراء مهددة بشر  
مستطر.

كان موضوع زوجته "راضية" وترددها على الطبيب النسائي أمراً سرياً، لا  
يعرفه إلا أفراد العائلة فقط، وكونه قد وصل إليه، وحديثه عنه بتهكم ساخط  
إذاً فقد دق ناقوس الخطر.

لم يتحمل منذر أن يضيف كلمة أخرى مسيئة إليه أو إلى زوجته، فكور  
قبضته، ولكمه بعنف في وجهه صائحاً بصراخ هادر لاعتنا إياه:  
-اخرس يا.....

وقع مجد أرضاً من إثر التسديدة العنيفة، وبدا كالأخرق وهو يجاهد للنهوض  
من جديد.

لم يمهله منذر بل ركله في بطنه، وجثى على ركبته لينهال عليه بلكمة أخرى أشد  
قوة وهو يسبه بكلمات نابية للغاية.

وما إن أكتفى منه حتى نهض عنه وبق عليه متابعًا سبابه المهين.  
أدرك مجد كيف تم التحقير من شأنه، فصاح مهددًا بنبرة عدائية:  
مش هاعديالك يا بن حرب!

رد عليه منذر بنبرة عدوانية غير مكترث به:  
هتتحاسب عن إساءتك لأهل بيتي، مش هافوتهاك يا.....!!

زحف مجد على ركبتيه مبتعدًا عنه، ثم بتثاقل بائن نهض عن الأرضية وهو  
يترنح.. لم يتوقف منذر عن سبه وشتمه بأفزع الكلمات حتى ركب سيارته.  
نظر إلى الفتاة قائلاً بصوت متشنج:

-اتي ساكنة فين بالضبط؟

أجابته بصوت مرتعد وهي ترمش بعينيها الدامعتين:

عند... آآ... ((.....))

أكمل قائلاً بنبرة عازمة:

-ما تخفيش منه، أنا هاجيبك حقك، وهاربيه، خليكي بس معايا

توسلته بكاء شديد وهي متشبثة بالمقعد:

-ساعدني يا عم منذر، أنا مش عاوزة يحصلي زي البنات اللي قبلي!

رد عليها بمرارة وهو عابس الوجه:

-اطمني، اتني معايا، ومش هايلمسك!

لم يضيف المزيد بل إنطلق بالسيارة نحو عنوان مسكنها الذي كان قريبًا منه..

لاحقًا، أوصل الفتاة إلى منزلها، فزع أهلها من هيئتها المزرية، ورغم يقينهم أنها

تعرضت لمحاولة اغتصاب إلا أنهم رفضوا تحرير محضر بتلك الواقعة ضد ذلك

الدينء القدر، وأنكروا أنه المذنب، بل لاموا ابنتهم، وحملوها كل الذنب

لتجاوزه معها..

تفاجأ منذر من ردة فعلهم الغير متوقعة، ومن خذلانهم الذي يندى له الجبين.

هم خشوا من احتدام المواجهة مع مجد، خاصة أن الأمر تكرر لأكثر من مرة مع

عدة فتيات من نفس المنطقة، ودومًا كان ينتهي بالأسوأ إن فكرت إحداهن في

مواجهته.

انزعج هو من تخاذلهم، ولاهمم بقسوة على إضاعتهم لحقها المسلوب، ورغم هذا

لم يستطع إجبارهم على الأمر.

لم يعرف بعدها شيئًا عن تلك الفتاة التي لجأت إليه، وكأن أخبارها قد تلاشت

تمامًا..

مرت عدة أسابيع بعد تلك الواقعة، إلا أنه وصل إلى مسامعه أبناء تفيد

بخطبتها إليه. فاستنكر تلك الزيجة، ونقر من تراجع أهلها وخوفهم منه.

هو متأكد من رفض الفتاة للزواج منه، لكن ليس بيده أي حيلة طالما أنها  
رغبة عائلتها.

ما أثار صدمته حقًا وأشعره بالذنب هو إقدامها على الانتحار في ليلة عرسها،  
ووفاتها بعدها في ظروف غامضة.

انتهت قصتها سريعًا مثلما بدأت.. لكنها تركت أثرًا مزعجًا في نفسه..

كان يود لو استطاع مساعدتها قبل أن تخسر حياتها، لكنه تخاذل مثلهم،  
وتراجع ليقف في الصف الخلفي مشاهدًا لما سيحدث لها.

.....

عاد إلى أرض الواقع مخرجًا من صدره زفيرًا عميقًا، ثم أنزل ساقيه بروية عن  
سطح المكتب ليحدث نفسه بنبرة عازمة:  
مش هايحصل ثاني.....!!!

.....

الزوجة التي...

الفصل الحادي والأربعون:

ذرعت الغرفة جيئة وذهابًا وهي تفرك كفيها بعصبية واضحة، فما حدث اليوم أمام أنظارها - خاصة مع رمز الرجولة الأصيلة عندها - دق ناقوس الخطر لديها، تجهمت تعابير وجهها، وضغطت على شفثتها بقوة مانعة نفسها من إطلاق شتائم مهينة.

استقبلتها أمها بترحاب كبير وكأنها لم ترتكب شيئًا بل أصرت على بقائها في أحضانها اليوم، وغفت معها في غرفته.. ذلك المكان الذي تمت أن تنام هي فيه بدلًا منها.

التفتت نيرمين لتنظر لأختها الغافلة على الفراش بحدة قبل أن تجلس على طرف الفراش الآخر.

همست لنفسها بغل واضح:

جيتها المرادي هتجيب علينا الخراب!

زفرت بعدها بغیظ بائن، فمازالت أسيف تستحوذ على كل شيء منذ أن وطأت قدماها بيتهم المتواضع، هي ببراءتها الساذجة تنجح دومًا في سلب العقول، وجذب الانتباه، وما أكثر من حنقها نحوها أن الجميع يعيرونها الاهتمام حتى لو بدت طائشة حمقاء.

انتبهت لصوت بسمة الناعس وهي تقول:

-ارحمي نفسك ونامي

ردت عليها نيرمين بحقد:

مش جايلي نوم، هاموت من البلوى اللي حلت علينا؟

تساءلت بسمه بنبرة متثاقلة:

قصدك على أسيف؟

صاحت بها نيرمين بصوت محتد:

ماتنطقيش اسمها قصادي، بأتعصب لما بأسمعه، كان نفسي تغور في داهية  
ومانشوفش خلقها ثاني!

أضافت بسمه بجديّة:

هي مش رجعت خلاص، وأمك ماسكة فيها بإيدها وسنانها، يعني انسي انها  
تسيبها وتمشي!

ردت عليها نيرمين بحنق بارز في نظراتها الضيقة ونبرتها الحادة:

وده اللي فاقعني، على ايه مش عارفة، دي حياالله مكملتش كام يوم عندنا،  
خلاص بقت فرخة بكشك عندها

تشاءبت بسمه وهي ترد:

حكمة ربنا!

نفخت نيرمين متابعة بغیظ أكبر:

أووف، هاطق من جنابي منها

ردت عليها بسمه ببرود إلى حد ما:

بصراحة من اللي بتعمله قصادي ده اللي هايحصلك!



أضفت نيرمين قائلة بغل وهي تكور قبضتها في الهواء:  
 -آخ لو أطبق في زمارة رقبتها، آه لو أنساب عليها!  
 حدقت بسمة في أختها بنصف عين، ورأت مدى العصبية المتشنجة الواضحة  
 على تعابير وجهها وتصرفاتها، فحذرتها قائلة:

صدقيني اتني لو تهدي حبة وتخليكي باردة هترتاحي  
 التفتت نيرمين برأسها ناحيتها، وحدجتها بنظرات حاقة وهي ترد بتبرم:  
 -اتني هبلة ومش فاهمة حاجة من اللي بتحصل حواليلي! نقطينا بسكاتك يا  
 بسمة ونامي أحسن!!!!

تمطت بسمة بذراعها وهي تتابع يأنهاك:  
 طيب يا أم العريف، هانام لأحسن مصدعة على الآخر!  
 زفرت أختها مجدداً هاتفة بزجرة عالية:  
 -يووه، اسكتي، أصلاً اتني جبتي صداع! وأنا على أخري  
 ردت عليها بسمة بعدم اقتناع:

-أنا برضوه ولا....

قاطعتها قائلة بغضب جم:

-يووه يا بسمة، ابعدي عني السعادي، كفاية عفاريت الزفتة دي اللي بتتنطط  
 قصادي!

.....

استسلمت لرغبتها المصرة على نومها معها ومشاركتها الفراش، كانت متحرجة من وضعها الحالي، لكن لعطف عمتها اللامحدود، وطيبتها الزائدة رضخت لتوسلاتها.

مسدت عواطف على رأسها برفق متممة بكلمات متضرعة للمولى:  
-ألف حمد وشكر ليك يا رب، الحمد لله إنك رجعتي تاني يا بنتي، ربنا ما يجرمني من دخلتك عليا أبدًا!

استمعت أسيف إلى أغلب دعائها، وبكت في صمت متأثرة بروحها النقية التي ذكرتها بأبويها الراحلين. كانا دائمي الدعاء لها، لم ينقطع لسانها عن مناجاة الله من أجل تيسير أمورها..  
واصلت إدعاءها بالنوم حتى غفت وهي تضمها إلى صدرها.

.....

انتظر بفارغ الصبر انقضاء ساعات الليل لكي يعود إلى منزله بعد أن تمكن التعب منه، ورغم حرصه على عدم إزعاج من بالبيت وتفضيله البقاء بالخارج إلا أنه قد أرهاق تمامًا، وأصبح بحاجة ملحة للإسترخاء والنوم، لذلك قرر العودة إليه..

ولج دياب إلى المنزل بهدوء حذر، وسار بخطوات هادئة نحو غرفة ابنه يحيى. فقد ظن أن غرفته ربما تكون مستغلة من قبل ضيوفهم.

أوصد الباب خلفه بهدوء، ودنا من فراشه بحرص شديد.

انحنى على رأس صغيره ليقبله بجنو أبوي كبير، ثم التفت برأسه لينظر إلى أروى التي نامت إلى جواره، مسح على جبينها برفق، ودثرهما جيداً قبل أن يعتدل في وقفته، ويلقى بثقل جسده على الأريكة.

رفع ساقه للأعلى لينزع حذائه من قدمه، وكرر الفعلة مع الساق الأخرى، فرك وجهه بتعب، وتمط بذراعيه في الهواء. ثم نهض من جلسته ليتجه نحو الشرفة. حرك عنقه للجانبين ليخفف من حدة ذلك التيبس الخفيف الذي شعر به. تئأب بتعب وهو يفتح الشرفة ليلج للخارج. ضربت نسمة باردة ومنعشة صدغيه فارتعش قليلاً.

أغلق الباب خلفه بهدوء، وسحب المقعد ليجلس بإسترخاء تام عليه قبل أن يغمض عينيه ليستسلم لسultan النوم.

.....

لم تتمكن من النوم جيداً، فتغيير الفراش يسبب لها أزمة، هي إعتادت على ما يخصها، وحينما تضطر للنوم خارج منزلها تصاب بالأرق، رفعت رأسها عن الوسادة، وأدارت رأسها في اتجاه أختها التي غطت في نوم عميق رغم حالة الانفعال التي كانت مسيطرة عليها.

فركت كتفيها بيديها، ونهضت عن الفراش لتتجه إلى الشرفة، أردت أن ترى المنظر العام من الأعلى في تلك الساعة المبكرة.

لم يطرأ ببالها أن الشرفات الخاصة بغرف الصغار متصلة ببعضها البعض، وبالتالي لم تتوقع وجود أحد بالخارج.. وضعت يدها على شعرها المفروء، ومشطته بأصابعها لتجمعه سوياً، ثم ولجت للخارج. اقتربت من حافة الشرفة، واستندت بمرفقيها عليها.

تشاءت بسمة بصوت شبه مسموع وهي مسلطة أنظارها على الطريق بالأسفل.

فتح دياب جفنيه على صوت تلك الحركات الخافتة الصادرة من الغرفة المجاورة.

كان متأهباً لكنه لم يصدر صوتاً. تفاجيء بخروجها للشرفة بأريحية كبيرة دون إدراك منها لوجوده، ارتفع حاجباه للأعلى، واستشعر الحرج لتكرار تلك المواقف الخجلة بينهما.

تردد لوهلة في تنبيهها لوجوده معها، وأخفض نظراته وهو يستطرد حديثه قائلاً بجديّة:

على فكرة البلكونة مش تبع البيت، دي حته من الشارع! انتفضت بسمة في مكانها فرعة من صوته، وتسارعت دقات قلبها بخوف شديد وهي تلتفت نحوه، لكنها سريعاً ما استعادت هدوئها، وضبطت أنفاسها وهي ترمقه بنظرات مزعوجة من طريقته في الحديث.

أرادت أن تبدو جلدة متبلدة أمامه حتى لا يفرض سخافاته عليها، فقطبت جبينها، وردت عليه بعبوس قليل:

هو ممنوع تقف فيها ولا حاجة؟

هز رأسه نافيًا وهو يجيها بهدوء:

-لأ.. خدي راحتك!

ولكن ضاقت نظراته نحوها، وهتف متسائلًا بنبرة ذات مغزى:

-بس اتي مش محجة باين؟

كثفت ساعديها أمام صدرها وهي ترد بتهم:

-أُكيد يعني، انت فاكر ايه؟

أوما بعينه مرددًا بابتسامة متسلية:

حطب تمام، أصل أنا شايف شعرك كله!

شهقت مصدومة من عبارته الأخيرة، ووضعت يديها عفويًا على رأسها محاولة تغطيته، أدركت أنها خرجت بدونها، وتصرفت بتلقائية تامة فلم تتخذ حذرًا.

توردت وجنتيها إلى حد ما من حرجها، وابتلعت ريقها بتوتر بائن

أولته سريعًا ظهرها، وركضت عائدة للداخل لتوصد باب الشرفة خلفها.

اتسعت ابتسامته الساخرة من طريقتها الخرقاء في التصرف برعونة في بعض  
المواقف، وتمتم مع نفسه بمزاح:

-إتني حالة عجيبية!

.....

توترت أكثر، وتوردت وجنتيها بعد ذلك الموقف الحرج الذي تعرضت له معه. تسمرت بسمة في مكانها لعدة للحظات محاولة استيعاب ما دار قبل دقائق، كانت في موقف قوة، مستعدة للجدال معه إن لزم الأمر، لكنه فرض سيطرته على الوضع كليًا، وخرجت هي منه متخاذة خالية الوفاض. أمسكت بالستائر وغطت بها زجاج الشرفة لتظلم الغرفة من جديد، وضربت برأسها عليه عدة مرات معنفة نفسها بتبرم:

-انا غبية! ازاي ماخدتش بالي!

ألقت بجسدها على الفراش، وسحبت الملاءة فوقها لتدفن نفسها أسفلها لاعتنة تصرفها الأحمق.

.....

انقضى الليل، وأشرق نهار آخر معلنا عن يوم جديد في حياة الجميع. استعدت عواطف للعودة إلى منزلها، وبالطبع لم تتركها جليلة لاهي أو حتى ابنتيها - وكذلك ابنة أخيها - دون القيام بأخر واجبات الضيافة معهن. تخرجت بسمة من الخروج من الغرفة، وأثرت البقاء بها حتى لحظة انصرافها متحاشية الالتقاء بدياب.

هو لم يكن واعيًا ليقابلها، فقد غفا في غرفته حينما تأكد من خلوها من الضيوف.

على عكسه بقي منذر بالوكالة حتى الصباح، وحينما تأكد من استيقاظ الجميع،  
هاتف والدته قائلاً بجدية:

-أنا هاوصلهم بعرييتي، خليم بس يجهزوا وكلميني!  
ردت عليه بلطف:

-وماله يا منذر! يخلصوا فطار وهاطلب عليك!  
ماشى!

وبالفعل ما إن انتهت جميعهن من تناول الإفطار حتى اتصلت بابنها لتؤكد عليه  
استعدادهن.

لم يحتاج لأي وقت للوصول، فقد مكث أسفل المنزل منتظراً تلك المكالمة.  
تعاملت نيرمين بجفاء شرس مع ابنة خالها، لم تكن تطيق وجودها حولها،  
وظلت ترمقها بحدة رغم تجنب الاثنتين للحديث معاً.

لفت عواطف ذراعها حول خصر أسيف مرددة بسعادة:  
-أنا فرحانة إنكم حواليا، ربنا يديمكم نعمة في حياتي

ردت عليها جليلة بود وهي تمر أنظارها على الثلاث شابات:  
يا رب يا عواطف، والله إتي ربنا يبجك ورزقك بشوية بنات زي السكر!  
هتفت نيرمين بحماس محاولة كسب ودها أكثر:

كان بودنا يا خالتي تقعد معاكي أكثر، بس ما يصحش نتقل عليكم أكثر من  
 كده، كفاية إن سي مندر نام برا، و... ودياب كمان!  
 ثم اقتربت منها لتقبلها بجنو زائد لكنه مصطنع.

ردت عليها جليلة بمكر وهي تمسح على ظهرها برفق:  
 يا ريت تتقلوا، هو أنا عندي أعز منكم!

رسمت نيرمين على ثغرها ابتسامة متكلفة وهي ترد:  
 ربنا يخليكي لنا يا رب!

أضفت جليلة قائلة بجدية:

عاوزة أشوف البنات تاني يا عواطف، وخصوصًا الكتكوتة دي!  
 ثم أشارت بعينها نحو الرضيعة.

تحمست نيرمين كثيرًا لترحابها الشديد بها، وردت بسعادة:

والله دي ما شافت نوم ولا راحة إلا هنا، البركة موجودة في كل حنة في  
 البيت!

وضعت جليلة يدها على رأس الرضيعة، ومسحت بجذر شديد عليها قبل أن  
 تنحني برأسها عليها لتقبلها برفق وهي تقول:

ربنا يحميالك!

أضفت عواطف هي الأخرى بابتسامة مجاملة:

يا رب أمين، تسلمي على ذوقك!



التفتت جليلة برأسها نحو بسمه، ثم قالت بألفة:  
 -واتي يا بسمه، مش محتاجة وصاية، العيال معتمدين عليك في المذاكرة!  
 -وأمت برأسها بالإيجاب قائلة بإيجاز:  
 -أكد!

هتفت عواطف مودعة إياها بإمتنان:  
 -فوتك بعافية يا ست جليلة!  
 ردت عليها الأخيرة بلطف:  
 -ربنا يعافيك ويشفيك!

ثم أشارت بحاجبيها لأسيف وهي تضيف بصوت هاديء:  
 -وسلامتك يا بنتي!  
 ردت هي عليها بصوت خافت:  
 -الله يسلمك

تابعت جليلة قائلة بتفاؤل:  
 -إن شاء الله تطيبي قريب!  
 اغتاظت نيرمين من ذلك الحوار الودي الدائر بينهما، وهمست بغل:  
 -إياكش تقع على بوزها وهي نازلة!

تحركت بسمة أولاً في اتجاه الباب لتفتحه، لكن تجمدت خطواتها عند العتبة  
حينما رأت منذر واقفاً أمامها.

أردف قائلاً بصوت خشن:

سلامو عليكم!

تراجعت للخلف ضاغطة على شفتيها وهي تقول:

-وعليكم السلام

تهللت أسارير نيرمين لوجوده، وابتسمت ببلاهة وهي محدقة به.

أخذت تهدد ابنتها بحركات سريعة نسيئاً محاولة التحرك للجانب لرؤيته  
بوضوح.

ابتسمت عواطف وهي تضيف بجرح قليل:

معلش يا بني، هانتعب معانا! إنت ملكش ذنب في الدوخة دي!

رد عليها بجمود:

-ولا دوخة ولا حاجة، وقبل ما أنسى في موظف من الشهر العقاري جاي

عندك البيت عشان توثيق العقود!

هزت رأسها بتفهم وهي ترد بجزر:

طيب

نظرت إليه أسيف من طرف عينها، فقد فهمت المقصود من عبارته، هو أراد  
 ترديد الأمر على مسامعها ليؤكد لها أن تملك حصة عمته بدكانها.  
 اختنق صدرها من مجرد التفكير في الأمر، ولم تعقب عليه.  
 سلب هو أنظاره عليها مراقباً ردة فعلها، لكنه أثار ريبته تجاهله له.  
 تنحنح بخشونة، ثم أضاف قائلاً بصوت أمر:  
 -تفضلوا!

تنحى بعدها للجانب لترك المجال لبسمة لتمر أولاً، ثم انتظر خروج والبتها  
 خلفها.

تباطأت نيرمين في خطواتها لتصبح ملاصقة له، وبالتالي تتمكن من التحرك  
 معه، لكنه استدار برأسه ناحيتها ليرمقها بنظرات جافة وهو يقول بصرامة:  
 -تفضلي! السكة واسعة!

ضاقت نظرات نيرمين نحوه، وتلاشت ابتسامتها من وجهها ليحل التجهم عليه،  
 كانت كمن ينفث دخاناً من أذنيه وهي تلحق بأختها وأمها.

عرجت أسيف بقدمها اليسرى أثناء خروجها من المنزل محاولة استباقها  
 بخطواتها المتألمة.

أوقفها منذر مردداً بجدية:

-رايحة فين؟

رفعت أنظارها لتحقق فيه بغرابة:

-نازلة!

زاد عبوس وجهها وهي تضيف بتهم ساخط:

-اطمن، أنا مش هاهرب، معدتش عندي طاقة أعمل حتى ده!

دنا منها بخطواته المفاجئة، فارتعدت من اقترابه المهدد، وانحنى فجأة نحوها  
ممدداً ذراعه أسفل ركبتيها، ومحاولاً بالأخر خصرها ليحملها عنوة، اتسعت  
حدقتها مصدومة من تكراره لتلك الفعلة الجريئة غير مكترث بمن حوله.

وقبل أن تنفرج شفاتها لتهتف بإستنكار، صاح قائلاً بهدوء واثق:

-زي ما طلعتك هنزلك!

توترت من حديثه الذي ألجم لسانها، واكتسى لون بشرتها الذابل بحمرة دموية  
عجيبة.

على الجانب الآخر أصبح وجه نيرمين ككتلة من الجمر المتقد على ألهبه نيران  
حامية حينما رأت هذا المشهد أمامها، شهقت مذهولة من تصرفاته المتجاوزة مع  
من تمقتها، وزادت نظراتها الشرسة إليها.

كزت على أسنانها بقوة حتى كادت أن تحطمهم من فرط العصبية المكتومة  
داخلها.

في حين عقدت جليلة ما بين حاجبيها متعجبة من أفعال ابنها الغامضة،  
وحدقت فيه بغرابة شديدة.

وضعت إصبعها أسفل ذقنها، ودققت النظر إليهما وهي تحدث نفسها بحيرة:

-الله! ماله شاغل بيها باله؟

ارتابت من ابنها إلى حد كبير، خاصة أنه بدا أكثر توددًا لتلك الفتاة عن ابنة  
عواطف التي تحته على التفكير فيها.

عقدت العزم على ألا تدع الأمر معلقًا دون أن تثيره معه لاحقًا، ففي النهاية  
هي أم، ومصالحة ولدها تعد شاغلها الأكبر  
والأهم.....!!

.....

الفصل الثاني والأربعون ( الجزء الأول ):

الجزء الثاني من الكتاب

بدت منزجة من تجاوز ابنها للأعراف والتقاليد المتبعة في منطقتهم الشعبية،  
وتصرفه بعقلانية قليلة مع قريبة عواطف، ربما هي تتعاطف معها لكنها لن  
تسمح بحدوث شيء غير لائق.

أغلقت الباب بعد انصراف الجميع، وسارت تفكر ملياً فيما رآته عيناها،  
استمرت في حك ذقنها وهي تحدث نفسها بضجر:

ما يصحش أسكت عن اللي شوفته ده، حتى لو نيته يساعدها!

هزت جليلة رأسها بإيماءة واضحة وهي تضيف مستنكرة:

بردك دي مش أصول، وهو المفروض يبقى عارف ده، والناس ليها الظاهر!

ظلت هكذا لعدة دقائق تحاول اقناع نفسها أن صمتها عما صار يعني رضاؤها  
التام وهو ما لم يحدث.

هي لديها مخططات من أجله، ولن تعيد عنها في الوقت الحالي، ولن تدع أي  
شيء يعكر صفوها.

.....

ظل حاملاً إياها طوال هبوطه على الدرج، وهي بالطبع كانت في قمة خجلها  
منه. هو يبرع في استغلال الموقف، وهي مضطرة لمواكبته رغماً عنها، لم تخلو  
بشرتها من تلك الحمرة الساخنة التي اكتست وجهها كلياً، وتحاشت قدر  
المستطاع التحديق به على الرغم من إحساسها بأن نظراته لم تفارقها.

أصاب حدسها الأثوي في ذلك، فمندر واضب على مطالعتها بنظرات غريبة.  
نظرات حملت بين طياتها خوفًا من أن تلاقي تلك الهزيمة مصيرًا مشابهًا  
للمراهقة المتوفاة، هي مصادفة علفت مع شخص يعلم جيدًا بنواياه الدنيئة..  
ولكنها غير مدركة بعد لحقيقة الوضع. لذلك أخذ على نفسه العهد أن يمنعه  
عنها، مهما كلفه الأمر.

لحقت بهما نيرمين وعيناها تطلقان شررًا متقدًا، لو كان الحنق شخصًا لتجسد  
بشاعته ليعكس ما تشعر به الآن، لم تتوقف عن رمقها بنظرات احتقارية  
مشتعلة، فتلك البائسة تعيسة الحظ تنعم بما حُرمت هي منه، من أبسط  
الأحلام الوردية لأي فتاة مقبلة على الزواج..

حرمت من زوج محب يدافع عنها ويحميها، من شخص يخشى عليها من إصابتها  
بالسوء، بل يفني عمره من أجلها هي فقط..

فأسيف من وجهة نظرها تملك - رغم يتمها - الكثير والكثير. وهي لن تقف  
في وضع المشاهد الصامت تراقب اندلاع شرارة التجاذب بينهما.

خشيت نيرمين أن تعترف لنفسها بأنها تكن شيئًا لذلك الذي يجذبها إليه رغم  
جفاءه معها. بأن قلبها قد تحرك ونبض لأجله.

ربما هي مجرد أوهام في عقلها، ليست واثقة من تفكيرها، لكنها إن تركت العنان  
لمشاعرها، وسمحت لها بالخروج من بوتقتها سيظهر الأمر واضحًا عليها.

تريثت فيما تفكر به.. ومع ذلك ستمنع غيرها من التطلع إليه.

.....

بعد لحظات كان قد وصل بها إلى مدخل البناية، وحينما اقترب من سيارته  
أنزلها على ساقبها، اتكأت هي على كتف عمته لتكمل المسافة القصيرة المتبقية  
سائرة بخطوات عرجاء.

فتح منذر الباب الخلفي لسيارته لتركب بسمة أولاً، وانتصفت في جلستها  
بالمقعد لتشكّل حاجزاً بين أختها وابنة خالها.

جلست إلى جوارها أسيف، وفي الجانب الآخر نيرمين، بينما جلست  
عواطف في المقعد الأمامي.

عدل هو من وضعية المرأة ليطالع من خلالها وجهها الحزين.

بقيت أنظاره عليها، وكذلك ظلت أنظار نيرمين تراقبه عن كثب.

كانت دوماً تعقد تلك المقارنة المؤلمة..

تمنت لو شعر بتلك الحرقعة المتأججة في نفسها. أن تتعلق رغماً عنك بمن لا  
يشعر بوجودك، هي لم تنعم مطلقاً بنظرات كتلك، ولم تحظَ بفرصة للتعبير  
عن مشاعرها تجاه طليقتها. فقط البؤس والإهانة حتى في أبسط الأشياء،  
نفضت عن عقلها ذلك التفكير المرهق، ورسمت على ملامح وجهها تعابير  
جامدة.

فقبل أن تشرع في أي شيء عليها أن تتأكد أولاً مما يؤرقها..

.....



أوقف السيارة عند المدخل تقريبًا، فترجلت أسيف سريعًا منها لتهرب منه قبل أن يحاصرها بأفعاله التي تخجلها، وتحاملت على نفسها تلك الآلام الموحجة لتلج للبنائية.

لحقت بها بسمة، ومن خلفها كانت تسير عواطف بخطى متمهلة.

أطفأ منذر المحرك، واستعد للنزول والدخول للمدخل للتأكد من وصولهن للأعلى، لكن أسرع نيرمين بإعترض طريقه لتمنعه من تكرار الأمر، وشكلت بجسدها حائطًا أمامه، ثم ابتسمت هاتفة بنعومة مصطنعة:

-ربنا يخليك لينا يا سي منذر، والله لولاك كنا بقينا في حوسة!

نظر لها بجمود وهو يرد بفتور:

عادي يعني!

تابعت قائلة عن عمد:

-الحق يتقال ما فيش زي شهامتك ولا جدعتك، وخصوصًا مع...

توقفت عن اتمام عبارتها لتخفض نبرتها قائلة بقصد:

مع الكل حتى لو كان قليل الأدب وناكر للجميل!

انعقد ما بين حاجبيه مرددًا بعبوس:

نعم!!!

أشارت بكفها للخلف وهي توضح غموض عبارتها بتجهم خفيف:

قصدي على القاسية اللي معدنهاش دم، بنت خالي، وشهامتك معاها مع إنها  
ماتستهلش!

التوى ثغرها بابتسامة تهكمية وهي تضيف بمكر:

بس هي بردك زي أختك الصغيرة، إنت أكيد اتصرفت معاها على الأساس  
ده، صح؟

هتف مشدوهاً وقد ارتفع حاجبه للأعلى بإستنكار جلي:  
أختي؟!

ابتسمت ببلاهة وهي تكمل بنجبت:

أه، ماهي لو مكاتتش أختك مكوتتش إنت تعبت نفسك عشانها وشلت همها  
معانا!

فهم منذر ما الذي ترمي إليه، فانتصب في وقفته، ورمقها بنظرات حادة هاتفاً  
برود:

أها.. ما انتو كلكو أخواتي!

اتسعت حدقتها إلى حد كبير عقب جملة المتعمدة تلك، وتابع بجفاء:  
وخصوصاً إتي!

انفرح ثغرها بصدمة أكبر، وقبل أن تفيق منها، استأنف حديثه بجمود مستفز:

-ويا لا بقى عشان تلحقي أمك وأخواتك يا .. يا أختي!  
رمقها بنظرات أخيرة جافة قبل أن يستدير بظهره ليركب سيارته ويقودها  
مبتعدًا عنها.

ظلت متمسرة في مكانها عدة لحظات محاولة استيعاب الموقف.  
غمغت مع نفسها بغيظ:

أخته مين! هو اللي هاعمله فيها هايطلع عليا، والله ما يحصل أبدًا!!!  
عاودت تكرار العبارة الأخيرة هاتفة بإستنكار:  
هه، بيقولي يالا ياختي، آل أخته آل!

.....

لاحقًا، دس في فمه الكثير من الطعام دفعة واحدة يلكوه بطريقة مقززة.  
نظر له أباه بنفور مرددًا:

بالراحة يا بني، دي مش طريقة أكل!  
رفع مجد أنظاره عن صحنه ليرد عليه بصوت متحشرح وبقايا الطعام تتقاذف  
من فمه:

جرى ايه يا حاج، معدتي نشفت من الزيت اللي كنت بأكله  
نظر له مهدي شزرًا وهو يقول:

-مقولتش حاجة، بس مش كده

عبس بوجهه أكثر قائلاً:

حبيب! خلاص!

وضع مهدي كفه على الكف الآخر محققاً أمامه بشرود، ثم تتم مع نفسه  
بضجر:

-استرها يا رب في اللي جاي!

ضيق مجد نظراته نحوه، ثم مسح يديه في المنشفة الموضوعة أمامه وهو يسأله  
بجمود:

-انت لسه شايل هم الولية شادية؟

رد عليه بامتعاض:

-اه، انت مش عارفها دي عقربة، قرصتها والقبر

غرز مجد ظافر يده في أسنانه يسلكها، وصاح بصوته الخشن:

على نفسها مش عليا!!

حذره أباه قائلاً بغلظة:

-بأقولك ايه أنا مش عاوز مشاكل لا معاها ولا مع غيرها، وكفاية إن الدور اتلم

قبل ما يولع من تاني مع عيلة حرب

أغاظته كلماته الأخيرة، فهب واقفًا من معقده، ثم ضبط حزام بنطاله ليرد بتهم  
ساخط:

-انتو لسه بتخافوا منهم؟ دول هوا!

زم والده فمه هاتفًا بجدة وهو يشير بكفه:

-لا بنخاف ولا ما بنخافش، احنا بقينا حبايب وفينا بينا مصالح!

انعد ما بين حاجبيه ياندهاش مريب، وردد باستغراب:

-مصالح، ده كلام جديد بقى!

هز أباه رأسه بإيماءة ظاهرة وهو يجيبه:

-ايوه، ما انت غايب بقالك كثير!

تجشأ مجد قائلًا وهو يدنو منه:

-بالراحة كده عليا، واحكي لي بالضبط على اللي فاتني كله!

.....

قبلت بعرضه السخي بعد تفكير مرهق، وارتضت أن تبيع ابنتها مقابل ذلك  
المبلغ المادي الضخم، ولكنها أخفت عنها الأمر حتى تتأمل تمامًا للشفاء، تهتدت  
بعمق، ثم دنت من فراشها الطبي بغرفة العناية المركزة لتقف أمامها محدقة فيها  
بنظرات مطولة أسفة على حالها البائس.

كانت دومًا أدواتها للحصول على مبتغاياها من الأموال، واليوم هي تراها عاجزة  
عن الشعور بأنوثتها الكاملة.

ابتلعت شادية ريقها بتوتر، ثم مدت يدها لتمسح على ساق ابنتها الغائبة عن  
الوعي مرددة بخفوت حزين:

ساحيني يا بنتي، كان لازم أوافق، انتي مش عارفة الزيت أخوه ممكن يعمل  
فيكي ايه!

احتدت نظراتها، ثم زفرت بحنق وهي تتابع:

ده ابن حرام ومش هايسيك لو حطك في دماغه، وكده كده هتطلعي  
برضوه خسارة!

رفعت رأسها للأعلى لتكمل بوعيد:

بس وعد مني هأمك وهاجيب حقك كله بعدين!

.....

سمع تلك الدقات الخافتة على باب غرفته وهو يتقلب على فراشه، فاستدار  
برأسه نحوه صائحًا بنبرة ثقيلة:

-ايوه!

فتحت والدته الباب راسمة على ثغرها ابتسامة هادئة وهي تسأله:

صاحي يا منذر؟

أجابها بتثاؤب وهو يبط ذراعيه:

أه يامه، في حاجة؟

ولجت إلى داخل الغرفة قائلة بجدية:

معلش يا بني، كنت عاوةز أتكلم معاك في كلمتين كده

اعتدل في نومته، وسحب الوسادة ليضعها خلف ظهره، ثم سألها باهتمام:

خير؟

جلست على طرف الفراش إلى جواره، ورسمت تعابير جادة على ملامحها

وهي تكمل حديثها بعتاب:

-يصح اللي شوفته قصادي النهاردة؟

عبس وجه منذر بدرجة ملحوظة ساءلاً إياها باستفهام:

هو في حاجة حصلت وأنا معرفش؟

أومأت برأسها بالإيجاب وهي ترد:

أه.. انت مش واخذ بالك من...

ضغطت على شفيتها مانعة نفسها من الحديث، فانزعج منذر من صمتها

المفاجيء، وصاح بنبرة غليظة:

-كملي يا أمي سكتي ليه؟

تنحنت جليلة بجرح، وتابت بامتعاظ ظاهر على وجهها:  
-بص أنا مش عاجني اللي حصل مع بنت أخو عواطف! هي البت صعبانة  
عليا، بس بردك مايصحش ت.....

تصلبت قسماز مندر بانزعاج كبير، واحتدت نظراته صائحا بصوت آجش  
منفعل:

-في ايه يا حاجة؟ هو اتتي شوفتي بأعمل الغلط معاها، دي حياالله حنة  
مساعدة لا راحت ولا جت!

ردت عليه بجزر:

-لا مقصدش!

ثم أخفضت نبرتها لتتابع بتبرم:

-بس الناس تقول ايه لما يشوفك شايلها كل شوية وداخل بيها عليا؟!  
أشاح مندر بوجهه للجانب، ورفع يده واضعا يده على رأسه ليحكها عدة  
مرات، ثم نفخ بنفاذ صبر مرددا بعصبية:

-يا دي أم الناس اللي طالعني في البخت!

التفت ناحيتها مكملا بصوت قاس يحمل التهديد:

خليهم يكلموا بس وأنا هاقطع لسانهم!

ردت عليه بتجهم:



انت مش هاتمنع الناس تتكلم، ولو مش قدامك هيبقى من وراك! واللي  
يعيبك يعبنا!

صاح بها بنفاد صبر:

هاتي الناهية يامه

تهدت جليلة يارهاق وهي تتابع بهدوء:

يا حبيبي أنا بس بأنصحك!

تحركت ناحيته قليلاً لتضيف بمكر:

وبعدين ماتنساش نيرمين كانت موجودة معانا وشافت اللي حصل بعنيها،  
يعني تفكر في ايه لما.....

فهم منذر سريعاً ما رمت إليه في كلماتها، لذا قاطعها بتجهم:

أنا كده مش هاخلص بقى!

ردت عليه معللة إصرارها على التفكير في الزواج بابتنة عواطف:

ماهو انت مش بتفكر في مصلحتك، والعمر بيجري منك!!!

رد عليها بجدة وقد أظلمت نظراته:

أنا عاوز أفضل كده ولو حكمت هاتجوز أي حد، بس مش بالشكل ده، ولا

هي بالذات!!!

تفاجأت من ردة فعله المبالغة، وهتفت مستنكرة رفضه لها:

ليه بس؟

صاح بنبرة مزعوجة وقد ارتفع حاجباه للأعلى:

هو بالعافية! يا البت دي يا لأ؟ جرى ايه يامه!!!

بررت موقفها بجذر محاولة إقناعه:

هي مضمونة يا بني وبتخلف، يعني هاتجيبك العيل اللي نفسك فيه من زمان

حدج منذر والدته بنظرات مغتظة من طريقته في فرض تلك السمجة عليه،

ويئس من تمسكها بها وكأنها آخر النساء على الأرض.

أزاح الوسادة من خلف ظهره، وتزحزح للأسفل قائلاً باقتضاب:

قومي يا حاجة جليلة شوفي البيت، وسيني أتخمد! أنا مصدع

نظرت إليه جليلة وهو يوليها ظهره بنظرات معاتبة، ثم تابعت قائلة باستسلام

وهي تهض عن الفراش:

ماشى.. براحتك!

تحركت في اتجاه باب الغرفة، وقبل أن تخرج منها استدارت برأسها هاتفة

بتحذير:

بس أديني بردك نيهت عليك عشان تاخذ بالك!

رفع رأسه عن الوسادة ليصيح بصوت متثاقل:

أمه

ردت عليه بتلهف وقد ظنت أنه ربما رضح لتحذيرها:

-نعم يا ضنايا

سألها بجمود بادي عليه:

-اياكي تكوني لمحتي بالموضوع ده ليها ولا فاتحتيه فيه!؟!

هزت رأسها نافية وهي تقول:

-والله ما حصل!

ثم ابتلعت ريقها مضيضة بارتباك:

-... هو بس أبوك!

زاد انعقاد ما بين حاجبي مندر وهو يتساءل:

ماله أبويا؟

أجابته بتوجس قليل:

عنده فكرة عنه بس....

صاح مقاطعًا بتذمر من تصرفاتها:

بردك عملي اللي في دماغك!

حاولت أن تغطي على فعلتها، فزفرت قائلة يا حباط:

-يوووو يا مندر، والله الواحد ما عارف يرضيك ازاي، أحسن حاجة أسبيك  
تنام!

ثم اندفعت للخارج غالقة الباب خلفها، ظلت أنظاره معلقة عليه لشوانٍ قبل  
أن يلقي برأسه على الوسادة مرة أخرى، حدق في سقفة الغرفة مخرجًا زفيرًا  
عميقًا من صدره، وحدث نفسه بعناد أشد:

طيب يا أمي.. وأنا مش هاتجوزها لو عملي

ايه.....!!!

.....

الفصل الثاني والأربعون ( الجزء الثاني ):

www.alukah.net

علم من أيه تفاصيل ذلك المشروع التجاري المشترك بينهما، وكيف أوصلهم أخاه الأصغر إلى ذلك الأمر بتصرفاته المتهوره، بدا مجد غير مقتنع بما قاله والده، فمن حق أخيه مازن أن يفعل ما يحلو له، فهم لا يملكون السلطة عليه.

صمت ليفكر يتمهل شديد في كل خطوة سيقدم عليها لاحقًا، فقد تيقن أنه بات شريكًا صريحًا مع عائلة حرب، وتلك العائلة تحديداً يكن نحوها الكثير من العداوات والمشاعر البغيضة.

فلم ينس أن منذر هو من أدخله السجن وتركه يتعفن لأعوام خلف القضبان القاسية. وأنه من أهانه بشدة أمام المراهقة التي انتحرت مباشرة قبل زواجه منها، تراكمات وتراكمات احتفظ بها في صدره لتؤجج مشاعر البغض والعدوانية لديه، واليوم سيحصد نتيجة زرعه.

استدار مجد برأسه ببطء ناحية والده. ونظر له مطولاً دون أن ينبس بكلمة. دس يده في جيبه ثم أخرج قداخته ليشعل بها سيجارته التي وضعها بين شفتيه، وهتف بصوت غريب مُقلق:

-وماله يا حاج، خلينا شركا!

ضاقت نظراته أكثر وهو يكمل بنبرة غير مريحة بالمرّة:

-ده حتى المثل يقول، ما محبة إلا بعد عداوة!

.....

أكل عد ما بجوزته من أموال بسيطة قبل أن يطويها ويضعها في جيب قميصه  
الأممي، فقد ادخر من إحدى المصالح الخاصة - والتي قضاها سرًا مبلغًا  
زهيدًا من المال لكي يعطيه لها خلسة.

راقبته أمه بنظرات متفرسة محاولة تخمين ما يفعله، وقبل أن يتحرك مبتعدًا  
عنها، تركت ما تقطعه من خسروات في الصينية لتسأله بنبرة عالية أجفلهته:  
على فين العزم؟

تم حاتم لنفسه بكلمات مهمة، ثم التفت بجسده ناحيتها، وأجابها بهدوء حذر:  
خارج شوية، ورايا كام حاجة عاوز أعملها!

نهضت عن المقعد، ونقضت يديها من البقايا العالقة بين أصابعها، ثم دنت منه  
وهي ترمقه بنظرات ثابتة.

وضعت يدها على منتصف خصرتها، وسألته بعبوس مشيرة بعينيها:  
-وايه الفلوس دي؟

وضع يده عفويًا على جيب قميصه، ثم أخفضها بحذر.

ابتلع ريقه مجيبًا إياها بارتباك خفيف:

دي.. دي عشان بنتي!

رفعت "لبنى" كف يدها أمام جبينها لتؤدي حركة مستنكرة به وهي تهتف  
ساخطة:

-بنتك! وده من امتي ان شاء الله؟ إيش حال الليلة كلها كانت على يدي! ده  
انت لا بتطيقها ولا بتطيق اللي ماتتسى!  
ضغط حاتم على شفتيه هاتفاً بامتعاض:

يا أمي ارحمني من اسطوانة كل يوم، البت ملزومة مني ولازمها مصاريف!  
ردت عليه بقسوة وهي تلوح بذراعها في الهواء:

-أنا أولى بالفلوس دي، وبعدين هي المفضوحة أمها فقيرة؟ ما هي علي قلبها  
أد كده!

تجهمت تعابير وجه حاتم إلى حد كبير، وصاح نافيًا:

منين؟ ما أدكي شوفتي بنفسك

حركت لبنى جسدها بحركة مائة هاتفة بحنق كبير:

-لا يا روعي، دي كانت بس بتدعي الفقر معاك! لكن على قلبها كوم فلوس أد  
كده! ولا نسيت زيارات أمها اللي كانت بتجيبها؟!

فرك حاتم طرف ذقنه متابعاً بغیظ:

-تتنيل ولا تولع، هي معدتش تفرق معايا، أنا ليا لي بنتي وبس!

ردت عليه أمه بوقاحة فجأة:

خلفة العار والندامة، يا ريتها كانت حتى جابت واد تفرح قلبنا بيه، لكن نقول  
ايه هي جوازة..... من يومها!

زفر حاتم من كلمات والدته النابية، وأدار رأسه للناحية الأخرى.  
تابعت هي قائلة بفضاظة:

ده حتى أختك شاهنדה اتفك نحسها وربنا كرمها بعريس لقطة من يوم ما بوز  
الإخص دي غارت من هنا، زي ما يكون عملاها عمل، ربنا يحرقها مطرح  
ماهي أداة!

نفخ مجدداً بضجر من ثرثرتها الزائدة، ولكن عبس وجهه بجدة حينما أمرته وهي  
تشير بيدها:

-بأقولك ايه هات الفلوس دي، احنا محتاجينهم لزوم الخطوبة، ولما المفضوحة  
تعوز حاجة تاخدها من المحكمة! هات!!!

ارتفع حاجباه للأعلى باستنكار أكبر وهو يهتف معترضاً:

يا أمي..!!!

قاطعته بصرامة غليظة وهي تشير بيدها أمام وجهه:

-بلا أمي بلا هباب، هات!

اضطر أسفاً أن يخرج المبلغ الزهيد من جيبه ليعطيها إياه، فتناولته منه وقد  
تقوس ثغرها بابتسامة متباهية.



تابعت ممتمة بازدياء:

حار ونار في جتها!

رد عليها حاتم بغيط:

ارتاحتي كده

أومات برأسها إيجابًا وهي تضيف برود متعمدة استثارته:

آه، ولسه هارتاح أكثر لما تتجوز تاني!

لوح بذراعه أمام وجهها قائلاً بغلظة:

مش عاوز!

سألته مستنكرة عنده عن الزواج:

ليه هاتفضل عاذب طول عمرك؟

نظر لها مطولاً قبل أن يجيبها بامتعاض:

آه!

استأنفت لبني حديثها هاتفة بمكر:

يا واد أنا المرادي منراك على واحدة إنما حاجة، نقاوة ايدي وحياتك، سييلي

بس نفسك وأنا هاظبطك!

ظل مسلطاً أنظاره الحاققة عليها، ثم أولاها ظهره وسار بخطوات متعجلة نحو باب المنزل.

تابعته بعينها وهي تتسائل باستغراب:

ماله ده؟ مش بيرد ليه؟

صفق حاتم الباب بعنف بعد أن خرج من المنزل، فاهتزت جدارنه من قوة الصوت، زمت لبني شفيتها مرددة بسخط قاسي:

منها لله بنت ال..... سدت نفسه عن كل حاجة! إلهي تولعي يا بنت عواطف مطرح ما اتتي أداة، ومتلاقي حد يطفيكي!

.....

سار متبخترًا بخطواته أمام العامة ليعلن صراحةً عن وجوده بالمنطقة، وبالطبع كانت تعابير وجوههم تشير إلى نفورهم التام منه.

التوى ثغره للجانب وهو يدنو من تلك المحال الموضوعة قيد الإصلاح.

دقق النظر في العاملين بهم قبل أن يصيح بصوته الجمهوري الخشن:

شغل نضيف الصراحة!

انتبه له أغلب العاملين، وتبادلوا نظرات حائرة فيما بينهم.

اقترب منهم متابعًا بصوته الآجش وهو يشير بيده موضحًا:  
 خدوا راحتكم، واشتغلوا برواقة، على فكرة أنا مش غريب، أنا شريك في  
 الهلومة دي!

وقف قبالته المهندس المسئول عن الديكورات الهندسية، وكور قبضة يده  
 مقرّبًا إياها من فمه وهو يقول بجرح قليل:  
 احم.. أنا ال designer الـ...آ....

قاطعته مجد قائلًا بسخافة:

-كلمني عربي وحياة أبوك! محسوبك رد سجون ومالوش في الهري ده!  
 ارتسمت سريعًا علامات الانزعاج على وجه المهندس، وازدرد ريقه مرددًا  
 بتوتر:

-ها... تمام، أنا بأفهم حضرتك إني مصمم الديكورات اللي هنا  
 وضع مجد يده على رأسه وبدأ في حكها قائلًا بصوت متحشرح:  
 -وماله مش عيب!

مرر أنظاره ببطء على واجهات المحال، فلفت انتباهه ذلك الدكان العتيق  
 الذي يتوسطهم، فتساءل باندهاش:  
 -وده مش تبعهم ولا ايه؟

سلط المهندس أنظاره على الدكان، وأجابه موضحًا:  
 حاليًا لا، بس الأستاذ مندر مبلغنا إنه هایشتریه من أصحابه عشان تقدر  
 نضمه ونشتغل فيه  
 أكفهر وجه مجد قليلًا من ذكر اسمه، ورد بتأفف:  
 ماشي.. عمومًا انت هتلاقيني فوق راسك كل شوية، أنا مش ورايا حاجة!  
 ابتسم المهندس بتكلف، ثم يده لمصاحته قائلاً بود:  
 تشرفنا يا فندم، ماتشرفتش باسم حضرتك؟  
 رمقه مجد بنظرات دونية، وأدار رأسه للجانب ليبصق، ثم عاود النظر إليه،  
 ورد عليه بغلظة:  
 سيدك مجد أبو النجا!

شحب وجه الأخير عقب تصرفاته الهمجية تلك، وأدرك أنه يتحدث مع  
 شخصية أقل ما توصف به هي الحقارة والتقرز.

.....

على الجانب الآخر، ورد إليه اتصالاً هاتفياً من أحد رجاله بالمحال الجديدة التي يتم إعدادها لتكون من أكبر المطاعم مُبلغاً إياه بمجيء مجد إليهم، هب الأخير واقفاً من مكانه شاخصاً أبصاره بذعر كبير.

كان يخشى من حدوث اصطدام آخر لأسيف مع ذلك المقيت إن كانت متواجدة هناك، لذا هتف بلا وعي وقد تسارعت دقات قلبه:

-وفي حد كان هناك؟

لم يفهم الرجل المغزى من سؤاله الغامض، فسأله مستفهماً:

قصدك على مين يا ريسنا؟

جاهد ليبدو طبيعياً في نبرته وهو يرد:

أي حد من معارفنا

أجابه نافياً بعدم فهم:

-لا مافيش

اشتدت أعصاب مندر حتى بلغت ذروتها، وبات يحترق من داخله وهو

يتساءل بصعوبة:

-والدكان؟

رد عليه الرجل متسائلاً بحيرة:

ماله؟

هتف فيه منذر بجدة بعد أن نفذ صبره:

حد كان فيه؟

انتظر بترقب كبير إجابته التي لم تستغرق سوى ثوانٍ معدودة ليعرفها:

-لأ.. مقفول زي ماهو!

تنفس منذر الصعداء لعدم وجودها به، فهي متهورة في تفكيرها الغير عقلاني، وربما كانت تخطط لزيارته أو المكوث فيه كعادتها. ووجودها على مقربة من ذلك البلطجي يضعها على خط النيران والمواجهة المباشرة معه. وهي مخاطرة غير محسوبة العواقب.

حافظ على ثبات نبرته وهو يكمل بصوت آمر:

حطب اسمع مني للأخر!

رد عليه رجلاه بهدوء:

-أؤمر يا ريس منذر

استطرد منذر حديثه بصرامة واضحة بعد أن قست نظراته:

تفضل عينيك على الدكان ده ٢٤ ساعة، مش عاوزها تتشال للحظة من

عليه، ولو مشيت حد تاني يستلم مكانك!

تعجب الرجل من أمره الغريب، وسأله مستفسرًا:

ماشى يا ريس، بس هو في حاجة لده كله؟

صاح به بصرامة حادة:

من غير ما تسأل، انت تنفذ وانت ساكت!

توجس الرجل خيفة من إغضابه، وهتف ممتثلًا:

حاضر

أنهى معه المكالمة، وألقى بهاتفه على سطح المكتب بعصبية.

تحرك من مكانه ليدور حول مكتبه واضعًا يديه على رأسه ضاغطًا عليها بقوة.

نفخ بجنق ظاهر، ثم أظلمت نظراته للغاية، وهتف بسباب ناي:

-بدأنا القرف معاك يا.....!!

.....

مش بطال

هتف بها مجد بفتور وهو يجلس باسترخاء على المقعد في مطعم أبيه.

التفت الأخير ناحيته، وسأله بجديّة:

انت روحت شوفته؟

رد عليه ابنه بابتسامة ساخرة:

وهي دي تفوتني!

هز مهدي رأسه بإيماءات متتالية وهو يتابع:

طيب.. هما شغالين فيه، ووقت ما يخلصوا موضوع الدكان هيكملوا التوضيب  
و....

انتبه مجد لعبارته الأخيرة، وسأله بفضول عن التفاصيل التي تخص ذلك الدكان  
العتيق:

دكان مين ده؟ أنا مش فآكر صاحبه أوي، هو مكتوب عليه دكان الحاج  
خورشيد، فكرني بالراجل ده؟

أجابه والده عفويًا:

عارف عواطف أم البنات نيرمين وبسمة، قرايب طه حرب، الست.....!!؟

قاطعته مجد مشيرًا بيده:

-ايوه، افكرتها خلاص

أكمل مهدي مفسرًا:

ده بقى دكانها من أبوها، وهي....

مل مجد من استرسال أبيه في الحديث عن ذلك الهراء الملل، فقاطعته وهو

ينفض عن المقعد:

خلاص يا أبا، مش محتاجة توضيح، الموضوع في بيته، دكانهم وهيخلصوه!



بالضبط

سار مجد في أرجاء المكتب يتجول به بخطى متمهلة ممعنا النظر في تفاصيله.  
سلط والده أنظاره عليه، وبدا متوجسا من صمته المريب، وتصرفاته المبالغته،  
لذلك سأله مهتماً:

-إنت ناوي تعمل ايه بعد كده يا بني؟

لم يلتفت مجد ناحيته، وواصل تحديقته في تفاصيل المكتب قائلاً بنبرة مُقلقة:

-ولا حاجة، مش ورايا غير عيلة حرب وبس!

استشعر من نبرته وجود خطب ما، فحذره هاتفاً بتوجس:

-اوعى تكون ناوي على مصايب، إنت لسه مافيش كام....

هنا التفت مجد برأسه ناحيته، وهتف بابتسامة باهتة:

-اطمن يا حاج، ده بيزنس!

ضرب أباه كفه على الآخر مردداً بعدم اقتناع وهو مثبت عيناه عليه:

-رينا يسترها ويطلع شغل وبس!

.....

بعد مرور عدة أيام،،،

مكثت حبيسة الغرفة رافضة الخروج منها إلا في أضيق الأحوال. فضلت أن  
تعزلهن جميعاً وتكتفي بأن تكون جليسة نفسها ووحدها. فلا حاجة بها لسماع

ما يزعجها من فظة اللسان ابنة عمها التي لم تتورع عن مضايقتها للحظة، ولا لعتاب عمها الرقيق الذي يلومها لطيشها في لحظة أوشكت على الانهيار فيها. كذلك أرادت ألا تشعرهن بحاجتها للرعاية والاهتمام بعد تورم قدمها اليسرى، وواظبت بنفسها على مداواتها.

تهدت أسيف بتعب، وحدقت في حقيبة والدتها المسنودة إلى جوار خزانة الملابس بنظرات لامعة، وتمت مع نفسها بجزن:

-وحشني حضنك أوي يا ماما!

أخرجت تهيدة قوية من صدرها محملة بالكثير من الأحزان وهي تكمل بصوت شبه مختنق:

-واحشني الكلام معاكي اتني وبابا!

أدمعت عيناها بشدة عندما أضافت قائلة بقهر عاجز:

-أنا فعلاً يتيمة من غيركم!

مر ببالها مقتطفات سريعة وومضات خاطفة من مواقفها العديدة منذ لحظة تفكيرها في تلك الزيارة المشؤومة حتى الوقت الحالي.

أغمضت عيناها بانكسار، وتابعت حديثها الموجه معاتباً نفسها بقسوة:

-يا ريتني ما فكرت أجي هنا، يا ريتني!

بدأت تتعالى شهقاتها تدريجيًا، فدفنت وجهها بين راحتي يدها، وواصلت  
تعنيف نفسها بحدة:

أنا السبب في كل حاجة.. ايوه، أنا السبب!

.....

في نفس التوقيت، خرجت نيرمين من المرحاض وهي تلف منشفة قطنية  
حول شعرها المبتل متغنجة بجسدها بميوعة أزججت أمها.

نظرت لها عواطف بازدرء مرددة:

مالك يا بت؟ ماتمشي عدل كده!

ردت عليها برود مستفز:

الله! مش أفرح بنفسي وبشبابي كده!

أشاحت عواطف بوجهها بعيدًا عنها، وهتفت مستنكرة:

على ايه ياختي؟ حوش حوش مش ملاحقة على الهنا اللي بأشوفه منك!

عبست نيرمين بوجهها، ونزعت المنشفة عن رأسها بعصبية، ثم صاحت بنبرة  
متشنجة:

عاوزاني أعمل ايه؟ ها قوليلي؟؟؟

اقتربت من أمها، وواصلت صراخها المتعصب:

كان في ايدي ايه ومعملتوش؟

ضغطت على شفيتها بقوة وهي تتابع بصوت مختنق:  
 ما أنا رضيت بالهم، والهم مرضاش بيا، اتنيلت اتجوزت واحد كرهني في  
 صنف الرجالة كله، واتطلقت وأنا ملحقتش أتني أصلاً!!  
 ابتسمت لنفسها بتهم وهي تواصل سرد مآساتها:  
 -لأ وعلى كتفي عيلة منه، بلوى هتفضل في رقبتى ربطاني بيه!  
 لمعت عيناى عواطف بوضوح، وعجزت عن الرد عليها.  
 تحول وجه نيرمين للإظلام أكثر، ثم كزت على أسنانها قائلة بمرارة:  
 ده غير إن مافيش حد هيرضى بواحدة زي مطلقة وعندها عيال، فسبيني  
 أفرح بنفسى، كفاية قهر بقى وقرف!  
 حدقت فيها عواطف بدهول، فقد كانت كالبركان الملتهب بحممه وانفجر فجأة  
 في وجهها.  
 ردت عليها بحسرة:  
 -لا حول ولا قوة إلا بالله!

اغتاظت نيرمين من ردة فعلها ومن عبارتها تلك وكأنها تستنكر عليها حتى  
 التنفيس عن غضبها، فاستشاطت نظراتها، وصرخت بقسوة معنفة إياها على  
 تخاذلها معها:

ده بدل ما تطبطبى عليا زي المحروسة أم النكد اللي جوا لازم تسمى جتني  
 بكلمتين من بتوعك، حسي بيا بقى شوية

انزعجت عواطف من إصااق ابنتها لكل كارثة تحل بها لتلك اليتيمة، فردت عليها  
بضجر:

هو أنا يعني مبسوطه من الوضع اللي شيفاكى فيه، ما أنا نفسي تتجوزى تانى  
و....

قاطعتها نيرمين بصرامة قوية وقد قست نظراته للغاية:

جواز تانى من واحد زى عينة الزيت حاتم ده مش هايحصل!

نظرت لها والبتها بصدمة، وبدت حائرة تبحث عن كلمات مناسبة ترد بها  
عليها، لكنها كانت بلا حيلة مع شراستها الحادة.

تبدلت نظرات نيرمين للقتامة، وأصبحت نبرتها أكثر ريبة وهي تضيف:

المرادى أنا هاختر بنفسى اللي هاتجوزه، ولازم قبلها يدخل مزاجى  
الأول.....!!!

.....

**الفصل الثالث والأربعون:**

خرجت من الغرفة الأخرى على إثر صراخها المرتفع الذي أرق منامها، تمطت  
بذراعيها في الهواء وهي تتثائب، ثم استندت بجسدها على الحائط، ورفعت  
يدها على رأسها لتعبث بخصلات شعرها.

رمقتها بنظرات مطولة وهتفت متسائلة بصوت ناعس:

فيه ايه؟ بتزعقي ليه؟

التفتت نيرمين ناحيتها، وحدجتها بنظرات نارية قبل أن تجيبها بتهكم ساخر:

-وأدي الفردة الثانية اللي على رجلها نقش الحنة!

اعتدلت بسمة في وقتها، ونظرت لها بجدة وهي تفرك وجهها بيدها لتزيل آثار  
النعاس، ثم ردت عليها بعصبية:

-الله! طب ليه كده؟ يعني أنا غلطت فيكي عشان....

قاطعتها أختها مرددة بجدة:

-كفاية إنك ساكتة وراضية عن اللي بيحصل!

اقتربت منها بسمة لتقف قبالتها، وحدقت مباشرة في عينيها هاتفة بحنق:

مش فهمي! طلعي اللي عندك!

ردت عليها نيرمين بشراسة:

أعدتي بس تقولي أوضتي وحاجتي ومش هاسيها، تعالي اتفرجي دلوقتي على  
 نفسك واتي شوية شوية هتفرشي على الأرض، لأ وكله بسبب أمك!!!!  
 اتسعت حدقتها بصدمة جلية من طريقها الهجومية عليها، وصرخت رافضة  
 اتهامها بالتخاذل وهي تشير بسبابتها أمام وجهها:  
 نيرمين مسمحكيش!

دفعتها أختها الكبرى من رسغها بعنف مرددة بعدم أكثرأث:  
 -ولا تسمحي، معدتش تفرق معايا، أوعي خليني أشوف بنتي!  
 فغرت بسمة شفيتها مشدوهة من وقاحتها الزائدة، والتفتت برأسها لتتابعها  
 بنظرات مغتازة، ما أثار ضيقها هو تجاهلها لها ومواصلتها الهجوم عليها بصورة  
 أكثر حدة.

ضاق بها ذرعاً كلماتها البغيضة فهتفت بنبرة عالية:  
 -بجد انتي انسانة مستفزة!

زاد عبوس وجهها وهي تضيف بسخط:  
 -خسارة فيكي لقب أم!

صفقت نيرمين الباب خلفها لتزيد من حنق أختها نحوها، فنجحت عن عمد في  
 شحنها بمشاعر الكره والبغض ناحية أسيف، ذلك تحركت الأخيرة بعصبية نحو  
 غرفتها للاشتباك معها، وضعت يدها على المقبض وفتحت الباب فجأة، لكنها  
 تسمرت في مكانها تراقبها بذهول..

لم تجدها على الفراش، فبحثت عنها بعينها في أرجاء الغرفة. وجدتها منزوية في أحد الأركان توليها ظهرها، ومحدقة في متعلقات والدتها الراحلة الموضوعة أمامها على الأرضية.

دقت النظر أكثر فيما تحمله في كفها فرأت هاتفاً قديماً.

تجمدت أنظارها عليها، وراقبتها في صمت.

كانت أسيف في عالم آخر خاص بها، لم تمنع شهقاتها من الخروج من صدرها.

لم تتوقف عبارتها عن الانهمار، تابعت حديث نفسها الحزين مرددة بكاء:

لو ياخدوا مني كل حاجة ويدوني لحظة أسمع فيها صوتك تاني!

اختنق صوتها حتى بدا كالأنين:

أنا من غيرك ولا حاجة، ليه عملتوا كده؟

بكت بقهر عاجز وهي تكمل بصعوبة:

اتني وبابا سبتوني فجأة، ليه قسيتوا أوي عليا، ليه سبتوني لوحدي ماليش

حد يحميني ولا يدافع عني؟

زادت شهقاتها قوة حينما تابعت بأسى شجي:

وأنا بأموت كل يوم مليون مرة وانتو بعاد عني!

تأثرت بسمة لحيثها المومع، وشعرت بغصة قوية عالقة في حلقها.



لم تستطع أن تراقبها لأكثر من هذا، أو أن تتحمل معاناتها القاسية، فإلى الآن هي لم تتحدث معها بأي صورة ودية، وتلك هي المرة الأولى أن تصغي إلى ألمها المفجع للقلوب بتأثر كبير، قاومت رغبة عارمة تحمها على البكاء، وانسحبت بهدوء للخارج مغلقة الباب خلفها.

هرب من مقلتيها عبرة خائنة، فمسحتها سريعاً قبل أن يلاحظها أحد. رفعت رأسها لتتحقق في الفراغ أمامها متذكرة ذلك الموقف المشين الذي مرت به قبل سنوات فدفعها قسراً للتصرف بوقاحة وفضاظة مع الجميع...

.....

توفي والدها قبل بدء الدراسة في المدرسة الثانوية بعدة أيام، فلم ترغب في الذهاب أو حتى الاستذكار، اعتزلت كل شيء، وحبست نفسها في غرفتها رافضة الخروج أو الحديث

توسلت لها أمها عواطف ألا تهمل في دروسها كي لا يحزن أباهما الراحل، وأن تحقق له أمنيته الأخيرة في رؤيتها الطالبة المثالية التي تترقى في دراستها حتى تصل إلى الجامعة وتخرج خاصة وأنها قد نجحت في امتحان الالتحاق بفصول الفائقات، وعلى مضض كبير ذهبت إلى مدرستها الجديدة واضعة هدفاً واحداً نصب عينيها.

لم يكن لها من الرفيقات من تتودد إليهن، وبقيت بمفردها لعدة أيام متحاشية الحديث مع أي طالبة كاتمة في صدرها حزنها الشديد على فراقه. وركزت فقط على المذاكرة ومتابعة الدروس أولاً بأول.

اعتقدت زميلاتها أنها تتعالى عليهن، وأنها تجد نفسها في منزلة أفضل منهن خصوصاً أنها حازت على اهتمام أغلب المعلمات، وعلى قدر المستطاع اجتهدت لتبدو عند حسن ظنهم، مر عليها شهر من الدراسة وقد برزت بين قريناتها بأنها الطالبة المتوقفة. وزاد هذا من حنق تلك الحفنة التي دوماً تتعرض للإساءة بسببها، لذلك قررن التكالب عليها وتلقينها درساً عنيقاً.

ولجت ذات يوم إلى المرحاض لتغسل وجهها، ولم تتوقع وجود من تراقبها عن كئيب، تم إخلاء المكان من جميع الطالبات لتبقى هي بمفردها مع حفنة من المشاغبات.

ابتلعت بسمة ريقها بتوجس، وجاهدت لتتصرف بصورة طبيعية كي لا يظهر عليها علامات الخوف والاضطراب من وجودهن، فهي تسمع عن كوارثهن المقلقة باستمرار.

اقتربت منها إحداهن، ووجهها يشير إلى حقد دفين. وخمنت على الفور أنها من نصبت نفسها عليهن زعيمة.

تحركت بسمة بعيداً عنها متجنباً الارتطام بها، ولكن سدت عليها المشاغبة الطريق عمداً مرددة بسخط:

-رايحة فين؟

ردت عليها بسمة بصوت شبه مرتجف وهي تتحاشى الاقتراب منها:  
-أنا خارجة من هنا، في حاجة؟  
تلفتت المشاغبة حولها مضيئة بابتسامة ساخرة:  
هو احنا خلصان كلام؟  
ردت عليها بسمة بجزر:  
هو أنا أعرفك أصلاً؟ عن اذنك  
قبضت المشاغبة على ياقة قميصها صائحة فيها بجدة:  
-انتي تطولي تعرفيني يا بتاعة انتي؟!  
وضعت بسمة يدها على كفها محاولة نزعه عن ياقتها وهي تقول بصوت  
مزعوج:  
ميرسي لذوقك، حاسبي لو سمحتي  
حدجتها المشاغبة بنظرات احتقارية بائنة وهي تردد:  
-اضحكوا يا بنات، دي بتقولي ميرسي!

تعالت ضحكات الطالبات المشاغبات بصورة تهكمية مثيرة للحنق، فاحمر وجه  
بسمة من الغيظ لتصرفاتهن المتجاوزة معها، ورغم هذا كتمت غضبها في نفسها.  
هي لا تريد إثارة المتاعب مع أي منهن.

وضعت المشاغبة يدها على شعر بسمة لتجذبها منه لاعنة إياها بشتائم مهينة:  
عاملة نفسك مؤدبة يا.....

تفاجأت بسمة من كم السباب النابي الذي سمعته أذنيها لشخصها، فألجمت  
المفاجأة لسانها.

واصلت المشاغبة جذب شعرها بقوة أكبر لتؤلمها وهي تقول:

-انتي شايفة نفسك علينا ليه؟

تألمت بسمة من عنفها، ودافعت قائلة بصوت شبه باكي:

-آآه، أنا.. محصلش والله!

هزتها المشاغبة من رأسها بعنف وهي تصيح بها:

-انتي هاتكدينني، البت دي مئنيكة علينا، صح يا بنات؟

هتفن جميعاً في نبرة واحدة:

هـ

تابعت المشاغبة قائلة بنبرة مريية تحمل التهديد الصريح:

-واللي زهيا لازم يتعمل معاها حفلة ترحيب!

وافقتها بقية الطالبات الرأي، فاستشعرت بسمة وجود خطر محقق بها.  
وصدق إحساسها، فقد حاصرتها البقية، وقمن بتقييد حركتها وإسقاطها على  
أرضية المرحاض لتجتو زعيمتهن فوقها.

صرخت بسمة مستغيثة، لكن تكفلت واحدة منهن بتكيم فيها، أمسكت  
المشاغبة بقميصها، ومزقته بيديها ليبرز من أسفله ثيابها التحتية، فأتسعت  
حدقتها بهلع كبير، فما هي مقبلة عليه أخطر بكثير.

استجمعت كل قوتها وشجاعتها لتقاومها. وبالفعل نجحت في إبعاد إحداهن،  
فمدت يدها نحو المشاغبة لتخدشها بشراسة في عنقها ووجهها، تأوهت الأخيرة  
بألم كبير، وقامت بصفعها كردة فعل طبيعية، ثم كورت قبضتها لتسد لها لكمة  
عنيفة في صدغها، وأخرى في طرف ذقتها.

نزفت بسمة الدماء من بين شفثيها، ومن أنفها وأسنانها.

وقبل أن تتماذى المشاغبة معها ضبطتهن إحدى المعلمات فصرخت فيهن بهياج:

-بتعملوا ايه يا نصايب؟

ردت عليها إحداهن مدعية بالباطل على بسمة:

-البت دي يا أبله شتمتنا بالأم والأب!

صاحت بهن المعلمة بجدة:

-وهتعمل كده من نفسها؟ قومي يا بت منك ليها!

اتهمتها أخرى بكذب صريح:

-لأ يا أبله دي عاملة متربة وهي مصاحبة وماشية مع ولاد وبتشرب سجائر،

أهي يا أبله مطلعينها من جيها!

ردت عليها المعلمة باستنكار كبير:

-تقوموا تعملوا فيها كده؟

ثم تابعت مهددة وهي تشير بسبابتها:

-كلكم على أوضة الوكيالة، مش هاسكت عن اللي حصل هنا، وهتاخدوا

استدعا ورفد، دي مدرسة مش سويقة!

نهضت الطالبات عن بسمة وحررن قيدها، فتعاملت هي على نفسها

واستندت على مرفقيها لتنهض عن الأرضية المتسخة.

بالطبع تلطخت ثيابها الممزقة بالدماء، وكذلك وجهها.

أشفقت عليها المعلمة، وعاونتها قائلة بأسف:

-انتى غلطانة، إزاي عملي كده، لأ وكان بتشتيمهم؟

نظرت لها بسمة بأعين دامعة رافضة تصديقها لكذبهن، وهتفت مدافعة عن

نفسها بصوت مختنق:

-أنا معملتش حاجة، دول بيتبلوا عليا!  
 ردت عليها المعلمة بعدم اقتناع وهي تدفعها من كتفها للأمام:  
 هانشوف الموضوع ده بعدين، تعالي على أوضة الوكيلة!  
 ضمت بسمة طرفي قميصها معًا لتغطي جسدها المكشوف وواصلت البكاء  
 طوال سيرها لغرفة وكيلة المدرسة.

.....

يا مس دي بتمشي مع ولاد كان، وبتشرب سجائر ولما جيت أنصحها  
 شتمتني!

هتفت بتلك العبارة الطالبة المشاغبة مدعية البراءة وموجهة حديثها لوكيلة  
 المدرسة التي نظرت لها شزرًا وعنفها قائلة بصرامة:

-بلاش اتتي، في ملف ليكي عند الأخصائية، هو أنا مش عرفاكي؟  
 هتفت بسمة مدافعة عن نفسها بصوت باكي:

-كذب والله، ماتصديقهاش!

نظرت الوكيلة إليها بازدراء وتابعت توبيخها بتأفف:

حتى اتتي! عيب عليكي! المفروض تكوني قدوة لزميلاتك، اتتي استحالة  
 تفضلي في فصول الفاتقات، هتتنقلي فصل تاني عادي!

بكت بسمة بقهر لعدم تصديق أي أحد لها، وعانت أكثر بعد قرارها بنقلها  
لفصل آخر يعد من أسوأ الفصول بالمدرسة لتتدمر جزئيًا أمنية والدها.  
تابعت الوكالة تعنيفها الصارم:

-أنا هاعملكم كلكم استدعا لأولياء أموركم، ده غير إنه هيطلع جواب بالفصل  
لمدة ٣ أيام عشان مايتكررش ده تاني! ولو سمعت حاجة زي دي حصلت  
هنا هايكون في قرارات أشد!

ردت عليها الطالبة المشاغبة برجاء زائف:

-بلاش يا مس، بابا هيضايق مني ويمكن يضربني لحد ما يموتني، عشان  
خاطري بلاش استدعاء، هي السبب والله، هي بتعيط بس عشان تتعاطفوا  
معها

صمتت الوكالة لتفكر مليًا فيما قالته الأخيرة، فهي لم تتوقف عن التوسل لها  
حتى تصفح عنها ملفقة ادعاءات أكثر حدة وبطولاتًا عن ذي قبل لبسمة، حتى  
أنها استشهدت بزميلات أخريات لتؤكد صدق تلك الأكاذيب.

بدت الوكالة على وشك الاقتناع، وأصبحت بسمة في وضع حرج.

فقد انقلبت الآية وأصبحت هي المتهممة بدلًا من المجني عليها.

التوى ثغر الطالبة المشاغبة بابتسامة عابثة وهي تنظر إلى بسمة بنظرات  
متشفية، فقد حققت مبتاغها وأساءت لها بشراسة، بل إنها سببت لها الأذى



في مستقبلها التعليمي، هنا قررت بسة ألا تترك حقها حتى وإن كانت في موقف تحسد عليه، ألا تتهاون مع من يسيء إليها ظلماً. لذلك استغلت فرصة انشغال الوكيمة عنها، وانقضت على الطالبة المشاغبة فطرحتها أرضاً، ثم انهالت عليها بضربات متلاحقة موجعة في وجهها وعنقها وكتفها.

صدمت وكيمة المدرسة من فعلتها المباغته، وحاولت فض الاشتباك بينهما لكنها فشلت.

أفرغت بسة شحنة غضبها المبكوت بداخلها، ولم تعباً بتبعات ما سيحدث لها بعد ذلك. المهم ألا تظهر بمظهر الضعيف المتخاذل أمام غيرها. أعقب ذلك تعرضها لفصل نهائي من المدرسة، ونقلت إلى مدرسة أخرى في مكان شبه متدني لتتغير معها شخصيتها نهائياً....

.....

أفاقت بسة من تلك الذكرى البعيدة ماسحة تلك العبرات العالقة في أهدابها، تجدد شعورها باليتم والعجز لسماحها لصوت بكاءها الذي يقطع نياط القلوب، فلم تنتبه لفتح أسيف للباب.

تفاجأت هي بوجودها خلفها، فشحب لون وجهها قليلاً..

لم تختلف صدمة أسيف عنها، فهي لم تتوقع وجودها بالخارج ملاصقة للباب.

ظنت في نفسها أنها ربما تريد استرجاع غرفتها منها، ولما لا؟ فهي تخصها منذ البداية. لذلك همست بصوت منتحب:

-أنا أسفة إن كان وجودي مضايك، معلى استحمليني! غضب عني أفضل هنا، بس.. بس أنا خايفة لو مشيت تاني عمي تتعب ويجرالها حاجة!

حدقت فيها بسمة بنظرات شاردة، ولم تعقب عليها.

تابعت أسيف بنبرة منكسرة:

-أنا مش هاستحمل يتأذى حد بسبي!

ابتلعت ريقها بصعوبة قائلة:

-اطمني، وجودي هنا مؤقت، أنا عارفة إن دي أوضتك وخذتها منك، بس.. بس قريب هردالك!

ظلت بسمة صامته غير قادرة على الرد عليها، لكنها محدقة بها بنظرات تحمل الإشفاق نحوها.

اضطربت مشاعرها، وتخبطت أفكارها نحوها.. هي تذكرها بها بصورة أو بأخرى ولكن في مرحلة سابقة من حياتها. مرحلة استجمعت فيها شجاعته لتجتازها بمفردها دون عون من الآخرين.

اطمأنت أسيف لصمتها، واستشعرت تقبلها لوضعها، فغفويًا مدت كفها لتمسك بيدها قائلة برجاء:

أنا بس هأرتب ظروفى الأول، وهامشى من هنا، وأوضتك هترجعك!  
صدقيني....

أخفضت بسمة نظراتها نحو كفها المسك بيدها، وسريعًا سحبتة منها قائلة  
بارتباك:

براحتك، ده.. ده بيتك!

تفاجأت أسيف من ردها الغريب، ونظرت لها باندهاش غير مسبوق.  
هي عادة تتعامل معها بحذر، وكثيرًا تبدي نفورها منها. واليوم هي تصرح لها  
بأن هذا منزلها أيضًا.

اختفت بسمة من أمامها قبل أن تحاصرها بكلماتها المؤثرة مجددًا فتكشف  
ضعفها من نظراتها اللامعة، بينما عادت أسيف إلى داخل الغرفة لتبقى حبيسة  
وحدتها من جديد.

.....

ورد إليه اتصالًا هاتفيًا من محاميه الخاص يبلغه فيه بإتمام توثيق الأوراق  
الخاصة ببيع حصة عواطف من الدكان له بعد حضور الموظف المختص لمنزلها  
وانهاء باقى الإجراءات القانونية. فرد عليه مبتسمًا:

ماشى يا أستاذ، اسحبلى بس من البنك باقى المبلغ عشان أسلمه ليها دفعة  
واحدة

اقترح عليه محاميه قائلاً:

حضرتك ممكن تديهولها شيك وهي تسجبه وقت ما تحب!

رفض اقتراحه مردداً بجديّة:

لأ، مش عاوز كده، خليها تاخده مرة واحدة

لم يعترض المحامي على قراره، ورد بهدوء:

اللي يريحك

أنهى معه منذر المكلمة شاعراً يارتياح قليل لمشاركته رسمياً لأسيف في دكانها.

ورغم هذا لا يزال قلقاً عليها من غريمه البلطجي. راقب خلال الأيام السابقة

الدكان عن كثب، وشعر بنوع من الطمأنينة لعدم تواجدها هناك. ومع ذلك لا

يريد للوضع أن يبقى مأرجحاً بين الخوف من المجهول والترقب لما هو قادم.

وقبل أن يشرع في التفكير في الخطوة التالية قطع عليه حبل أفكاره المسترسل

صوت والده الجاد:

هاتسافر امتي يا منذر؟

أجابه بهدوء وهو يتنحى بخشونة:

كمان شوية يا حاج

هز أباه رأسه بتفهم وهو يضيف متسائلاً:

حبيب يا بني، معاك التصاريح والأوراق المطلوبة؟

أجابه ابنه مؤكداً:

اه، كله تمام

ابتسم طه ابتسامة خفيفة وهو يقول يا يجاز:

على بركة الله!

تحرك بعدها مندر إلى خارج الوكالة، ثم لوح بذراعه منادياً أحد الأشخاص

قائلاً بنبرة آمرة:

تعالى يا بني

ركض ناحيته أحد العمال قائلاً بنبرة ممثلة:

ايوه يا ريس مندر

وضع مندر يده على كتفه، ومال عليه برأسه متابِعاً بصرامة:

عاوزك تتأكد إن في حد من تبعنا عند دكان خورشيد

نظر له العامل بغرابة وهو يرد مشيراً بيده:

ما هو في واحد مبيت هناك قصاده

ضغط بقبضته على كتفه وهو يؤكد بحزم:

لا يبقى معاه حد تاني، سامع!

أوماً العامل برأسه قائلاً:

ماشى يا ريس

رفع منذر قبضته عنه ولوح له بذراعه متابعًا:

يا لا اتوكل انت!

أؤمرنا يا ريس

تابعه بأنظاره حتى تلاشى من أمامه، ثم تنهد بعمق محدثًا نفسه بقلق ملحوظ:

رينا يستر وما يحصلش حاجة وانا مش موجود!

.....

كانت كالجالسة على فراش من الجمرات، ظلت تتقلب على الجانبين لاعتة كل شيء من حولها، دار ببالها فكرة شيطانية، ترددت في تنفيذها، لكنها السبيل للتقرب إليه أكثر، بل ربما تجعلها تحوز على مكانة مميزة في قلب والدته، هي تسعى للتقارب معه، وإصلاح ما أفسدته بجديتها العابث.

زفرت بنفاذ صبر، وظلت على حالتها المزعوجة تلك حتى ولجت إليها أختها ورمقتها بنظرات حادة دون أن تتحدث معها.

حدجتها نيرمين بشراسة وهي تسألها بعصبية:

ايه مالك؟ لاوية بوزك عليا ليه؟

التفتت بسمة ناحيتها، وكنت ساعديها محجة إياها بنظرات حاققة، ثم ردت  
قائلة بازدياء:

-انتي أكيد مش طبيعية!

تمتت نيرمين من بين شفيتها بصوت خفيض:

-وهبقى طبيعية ازاي وأنا متنيلة في القرف ده كل يوم!

تجاهلتها بسمة، وأرخت ساعديها لتتجه نحو خزانة الملابس.

سألها نيرمين بفضول وهي تراقب تصرفاتها:

-انتي رايجة فين؟

أجابتها الأخيرة بفتور:

عندي شغل!

لمت عيناها فجأة بوميض عجيب وهي تتساءل باهتمام:

هاتروحي عند خالتي جلييلة؟

نظرت لها بسمة من طرف عينها قائلة بنفاذ صبر:

-اه، عندي درس!

هبت نيرمين من مكانها مرددة بحماس مريب:

طب استني هاجي معاكي!

قطبت بسمة ما بين حاجيها باستغراب كبير، وسألتها بتعجب:

تيجي معايا! ليه إن شاء الله؟ تكونيش ناوية تشتغلي مدرسة وأنا  
معرفش!!؟

زفرت نيرمين في وجهها قائلة بجدة:

-يووه، مالكيش فيه، أنا جاية معاكي وخلص!

رمقتها بنظرات مزعوجة وهي تحدث نفسها بضجر:

هو أنا نقصاكي!

.....

تحرك بسيارته في اتجاه الطريق الرئيسي لتبدأ سفرته نحو محافظة بورسعيد  
حيث الشحنة الواردة بالميناء، ظل باله مشغولاً بما يمكن أن يحدث في غيابه  
من تجاوزات سيئة من قبل مجد، وبقي على اتصال مستمر برجاله المرابطين  
أمام الدكان وكذلك بالمحال الجديدة ليتأكد من عدم وجوده.  
أخفض سرعة السيارة تدريجياً ليتوقف عند أحد محطات الوقود، وقبل أن يلج  
إليها أتاه اتصالاً آخرًا لم يتوقعه.  
رد عليه قائلاً بتلهف:



-ايوه يا باشا

هتف الضابط بنبرة جادة:

-ازيك يا منذر؟

أجابه الأخير بدون تردد:

بخير الحمدلله!

تابع الضابط قائلاً بتفاخر:

شوف يا سيدي، عشان تعرف غلاوتك عندي، أنا حققت في موضوع

السرقة بتاع قريبتك ده، ومسكنا اللي سرقها، وهي اعترفت بده

تهللت أساير منذر، وهتف غير مصدق:

بجد؟ طب حصل ازاي؟

أجابه الضابط بتريث:

-التحريات أثبتت إن في عاملة باللوكاندة اسمها زهرة سابت شغلها بعد يومين،

البت دي فقيرة ومستواها مش أد كده، ولما رجالتنا دوروا وراها لاقوا إن أثر

النعمة بان عليها بسرعة، ودي حاجة غريبة، وطبعاً ده دورنا كشرطة نعرف

أصل وفصل الحكاية بالضبط!

هتف منذر مهلاً بحماس:

-الله عليك يا باشا، أنا مش عارف أقول ايه والله!

رد عليه الضابط بهدوء:

ماتقولش حاجة، هات قريبتك وتعالى القسم عشان نكمل الإجراءات وتستلم فلوسها!

ارتبك مندر من جملته الأخيرة، وضغط على شفثيه بقوة، فهو لا يرغب في إبراز دوره في إظهار الحقيقة وإحضار نقودها المسروقة. لذا أردف قائلاً بجزر:

طب معلى يا باشا هاتقل عليك في حاجة أخيرة

رد عليه الضابط بجدية:

قول يا مندر

تنحج الأخير بخشونة مردداً:

إن مكانش فيها إزعاج تبتولها عسكري باستدعاء رسمي يبلغها إنكم لاقيتوا فلوسها، وبلاش أظهر أنا في الصورة

ليه؟

ابتلع ريقه وهو يجيبه يتمهل:

-يعني مش عاوز أخرجها وكده، هو الموضوع ده كان خدمة عشانها، ومش حابب إنها تعرف!

رد عليه الضابط بهدوء:

ماشى يا سيدي، عشان خاطرک بس!

هتف منذر ممتًا لتلبيته لطلبه دون جدال:

-رينا يكرمك يا باشا، تقفلك في أي حاجة تعوزها!

أضاف الضابط قائلاً بهدوء:

-وماله، سلام!

رد عليه الأخير بتنهيذة ارتياح:

مع ألف سلامة!

أخرج منذر زفيرًا عميقًا من صدره دفعة واحدة، ثم وضع يده على رأسه  
ماسحًا إياها عدة مرات بحركات متتالية.

أخفض يده، ثم فرك بها وجهه، وتلفت حوله بنظرات عامة قبل أن يثبت  
أنظاره على نقطة ما بالفراغ.

تجمدت تعابيره نوعًا ما، وردد لنفسه بعبوس خفيف:

أخيرًا.. يا ريت بس تحسي بظلمك ليا.....!!!

.....

## الفصل الرابع والأربعون:

استقبلتها بألفتها المعهودة وعلى ثغرها ابتسامة عريضة، دعتهما للدخول في غرفة الضيوف أولاً ريثما يستعد الصغيران لتلقي الدرس، كانت ملامح بسمة متجهمة إلى حد ما، فقد استاءت من حضور أختها معها وملازمتها إياها خلال عملها دون أن تعرف السبب الحقيقي وراء تلك الزيارة، وتعمدت نيرمين أن تأتي معها لغرض ما في نفسها، وأحضرت كذلك رضيعتها لتثير شغف جلييلة إلى الصغار، خاصة أنها قرأت في عينيها رغبة ملحة في الحصول على حفيد جديد لعائلة حرب.

يكفيها تلك النظرات الموحية والكلمات المتوارية لترزع في نفسها الشك حول تأكيد تلك الرغبة، ولما لا تعطي لنفسها الفرصة للتقرب أكثر إليها وقد أوشكت عدتها الشرعية على الانتهاء؟ فرمما بطريقة ما تلفت أنظارها إليها.

قطعت بسمة الصمت السائد مستطردة حديثها بتبرم:

مش فاهمة اتى صممتي تجي ليه معايا

ردت عليها نيرمين ببرود وهي تهز كتفها في عدم مبالاة:

مالكيش فيه

ثم أدارت جسدها للجانب لتقع عينها على صورة عائلية لعائلة حرب.  
وبالطبع التقطت نظراتها لشخصه المهيب.

أخرجت من صدرها تهيدة حارة فتعجبت بسمة من طريقتها.

دقت النظر فيما هي محدقة به بنظراتها الغريبة، وتساءلت بفضول:

متنحة في الصورة ليه

أجابتها بلا وعي:

طول عمره راجل

سألته بحيرة:

مين ده؟

أجابتها نيرمين بتنهيدة مطولة:

سي مندر، شايقة واقف ازاي

ارتابت بسمة من طريقتها الغريبة في الحديث بتلك الهيئة، ورددت بتهم:

ماله يعني، عادي!

ردت عليها نيرمين يا نزاعج:

-ايش فهمك انتي في الرجالة

نظرت لها بسمة باندهاش أعجب، وتمتت مستنكرة:

-واحدة زيك المفروض تكون كارهة الصنف كله بعد اللي شافته في جوازتها  
الأولى

عبس وجه نيرمين بشدة، وردت بسخط جلي:

هي دي كانت جوازة أصلاً، متفكرينش!

بررت لها بسمة سبب اندهاشها قائلة:

-ماهو عشان كده أنا مستغربة بصاتك ليه هو بالذات!

حدقت فيها نيرمين بنظرات ثابتة وهي تقول:

-لأنه غير أي حد!

هزت بسمة رأسها للجانيين مانعة ضحكة ساخرة من الخروج من بين شفيتها،  
وهتفت مازحة:

-لأحسن تكوني بتفكري تتجوزيه و.....

وضعت نيرمين يدها على فمها لتمنعها من إتمام حديثها، ورمقتها بنظرات حادة  
هامسة بتحذير شديد اللهجة:

-ششش.. وطي صوتك، أمه تسمعك!  
 أزاحت بسمة كف يدها عنها مستغربة تصرفاتها المبالغة فيها.  
 استغرقتها الأمر عدة لحظات لتتأكد أن أختها تتحدث بجدية تامة، فارتفع  
 حاجباها للأعلى غير مصدقة نيتها المبيتة مسبقًا.  
 شحبت لون بشرتها قليلاً وردت بصوت خفيض:  
 -انتي بتكلمي جد؟ أنا بأقولك ده بهزار!  
 همست نيرمين بتوجس:  
 -هزار أو جد ده موضوع يخصني! سامعة، وبطلي كلام بقى فيه.  
 نظرت لها شزرًا وهي تعقب باقتضاب:  
 -انتي حرة! بس أنا بأحذرك إنه مش كل الهزار بيقلب بجد، وساعتها هتتسكي  
 على دماغك و.....

قاطعتها نيرمين قائلة بازدراء:  
 -بدل ما تحذريني شوفي نفسك الأول!  
 احتدت نظرات بسمة نحوها وهي ترد بغضب:  
 -أشوف نفسي؟ ليه هو أنا زيك؟

تقوس فم نيرمين للجانب مشكلة ابتسامة تهكمية ساخطة، ثم رمقتها بنظرات  
حادة وهي توضح مقصدها بنبرة لاذعة:  
هه، اتى واحدة أنانية مش بتحبي إلا نفسك وبس، عايشة عشان مصالحك  
الخاصة، ومش مهم أي حد إلا اتى!  
فغرت بسمة شفيتها مرددة بذهول مستنكر:  
أنا؟

أومات نيرمين بالإيجاب قائلة بفضاظة:  
اه اتى، بصي لنفسك في المرآة وشوفي طريقتك مع الناس وهتلاقي كلامي  
صح، اتى بس اللي عملاي فيها مُصلحة اجتماعية وآ....

قطمت عبارتها حينما لمحت طيف شخص ما يدنو من الخارج.  
ظلت تعابير وجه بسمة مصدومة من حديث أختها الجارح. لقد تجاوزت حد  
المقبول معها، ربما هي صارحتها بما تظنه عيوبًا بها، وقد تكون مصيبة في  
أغلبها، لكن هذا لا يُعطيها الحق لأن تكون فجّة في حديثها، وتناست أنها تحمل  
أكثر منها في قلبها حقًا وغلاً نحو الجميع، بصعوبة بالغة كتمت غيظها في نفسها،  
وجاهدت لتبدو طبيعية في تصرفاتها لكن ذلك لا يمنع أنها باتت تضرر ناحيتها  
شيء ما.



عادت جليلة مرة أخرى للغرفة حاملة بيديها صينية مليئة بالمشروبات والحلوى، فنهضت نيرمين على الفور من على الأريكة لتساعدها قائلة بركة مصطنعة:

عنك يا خالتي، مالوش لازمة التعب ده، هو احنا أغراب؟  
ردت عليها جليلة بلطف:

دي حاجة بسيطة يا بنتي!

ضجرت بسمة من تصرفات أختها المصطنعة خاصة بعد أن كشفت نيتها الغريبة، فنهضت من مكانها متسائلة بجمود مريب:

هي أروى جاهزة عشان أبدأ معاها الدرس؟

هزت جليلة رأسها نافية:

لا، البت نايمة وهاصحيا، بس يحيي صاحي، خلصي معاه الأول، تكون أروى جهزت

حركت بسمة رأسها بالإيجاب قائلة بإيجاز:

ماشى!

أشارت لها بيدها وهي تصطحبها للخارج:

تعالى فى أوضته!

ثم لمحت كلتاهما الصغير وهو يقفز بمرح مقترباً منهما.

ابتسمت جليلة قائلة بحماس:

-أهوو بنفسه جاي يستقبلك!

احتضن الصغير معلمته من خصرها بحب صادق نابع من قلبه هاتفاً بمرح:

مس بسمة!

مسحت الأخيرة على ظهره برفق مرددة بهدوء:

حبيبي يا يحيى!

تراجع الصغير بظهره للخلف متابعاً بسعادة:

-أنا مخلص مذاكرة كلها، وحفظت كل حاجة و....

قاطعته بسمة بابتسامة ودودة:

خلاص يا حبيبي، أنا هسالك عن كل حاجة جوا في الأوضة!

هز رأسه بإيماءات متتالية وهو يقول:

-اوكي يا مس بسمة!

ثم حاوطلت إياه من كتفيه وسارت معه باتجاه غرفته الخاصة ليشرعا في

استذكار الدروس.

تأكدت نيرمين من ابتعاد أختها لتبدأ هي الأخرى في تنفيذ خطتها الدنيئة،  
 اقتربت من جليلة، وابتسمت لها قائلة:  
 تسلم ايدك، الحاجة طعمها حلو  
 ردت عليها جليلة بابتسامة عريضة وهي تمسح على ذراعها:  
 بالهنا والشفاء يا بنتي!

عمدت نيرمين إلى تسبيل نظراتها والرمش بجفونها لعدة مرات لتظهر نفسها  
 بالشابة المتحرجة وهي تقول:  
 خالتي معلش ممكن أطلب منك حاجة  
 ارتسمت علامات الجدية على تعابير وجه جليلة وسألتها باهتمام:  
 خير يا نيرمين؟  
 ادعت التوتر والارتباك وهي تقول بتعلم:  
 -... أنا... يعني محرجة أقول كده و...  
 هتفت فيها جليلة بقلق:  
 -تكلمي على طول ماتتكسفيش! في ايه؟  
 تنحنحت بصوت خفيض قائلة بخجل:

أحنا لما كنا بايتين عندهم بنتي رنا كانت لابسة الحلق الحمصة بتاعها، والحلق  
 ده هدية غالية أوي من أمي!  
 ثبتت جليلة أنظارها عليها متابعة بجدية:  
 أها، وبعدين!

استأنفت نيرمين حديثها بصوت خفيض يوحي بالتردد:  
 فلما رجعنا بيتنا، وجيت أغيرلها هدومها ملاقتش إلا البريمة شابكة في ودانها،  
 فجائز يعني... يكون.. يكون وقع هنا في حته كده ولا كده  
 قطبت جليلة جبينها مرددة باندهاش:  
 هنا فين؟ مافيش حاجة يا بنتي، ولو كنت لاقيت حاجة زي كده أكيد كنت  
 هسأل وأعرف!

تابعت نيرمين قائلة بمكر وقد برقت عينها بذلك الوميض الشيطاني:  
 عارفة يا خالتي، بس... لو مافيهاش حرج يعني... ممكن... أدور في أوضة سي  
 مندر، جائز يكون وقع تحت السرير ولا حاجة  
 حركت جليلة رأسها بإيماءة موافقة وهي ترد:  
 وماله، مندر أصلاً مش موجود دلوقتي، فتعالى دوري براحتك، وربنا يعترك  
 فيه!

التوى ثغرها بابتسامة ماجنة:

-كتر خيرك يا خالتي، والله ما في زيك أبدًا

تحركت معها للخارج تاركة رضيعتها بغرفة الضيوف، لكنها توقفت عمدًا لتقول  
بضيق مصطنع وهي تضع يدها على جبينها:

-يووه، كنت هانسي رنا، دماغني مش فيا، أما أشيلها بدل ما تصحى وتعيط  
وتعمل دوشة و....

قاطعتها جليلة قائلة بجنو:

-لا خليها معايا لحد ما تخلصي!

ردت عليها بعبوس زائف:

-مايصحش، كده أنا بأتعبك معايا يا خالتي

ابتسمت جليلة مرددة بجنو أمومي غريزي:

-وهو ده اسمه تعب، ده الأطفال أحباب الله!

تهدت نيرمين بصوت مسموع قائلة عن عمد:

اه والله، ربنا يعوض على سي مندر بالخلف الصالح يا رب زي دياب أخوه!

نجحت بكلماتها المنتقاة بعناية في إثارة مشاعر الضيق بداخلها، هي تعلم أهمية ذلك الموضوع بالنسبة لها، ومدى حساسيته، لذا ببراعة جراح ماهر ضغطت على الجرح دون أن تترك أثراً.

ردت عليها جليلة بحزن واضح في نبرتها:

-ايوه ادعيه يا بنتي ربنا يكرمه

أضافت نيرمين بجياء مصطنع:

هو يستاهل والله كل خير، بس لسه وقته مجاش يا خالتي، ما انتي عارفة بقي!

لمعت عيناها جليلة تأثراً وهي تردد برجاء:

ياما نفسي أشيل عوضه يا يديا

ضاقت نظرات الأخيرة لتصبح أشد غموضاً وهي ترد بحذر:

-ها يحصل يا خالتي، انتي بس دوريله على عروسة حلوة تليق بيه!

أشارت جليلة بكف يدها قائلة بامتعاض:

على الحلاوة في كثير، بس أنا في دماغي حاجة معينة!

بدت نيرمين مهتمة بمعرفة ما تفكر فيه، فسألته بمكر واع:

حاجة ايه دي يا خالتي!

رمشت بعينها متحاشية الرد عليها، فقد عاهدت ابنها ألا تبوح بما تفكر فيه،  
خاصة وأنها المعنية بحديثها ذلك، ومع ذلك لأنها كانت على سجيتها الطيبة، فلم  
تتخذ حذرًا جيدًا، ونجحت نيرمين بطريقتها الماكرة في استدراجها في فخها،  
وإجبارها على كشف مكنون أسرارها.

بهدوء شديد غمزت لها هامسة بدهاء:

فضفضي معايا أنا بردك زي بنتك وجايز أفيدك! يا عالم، ده بيقولوا يوضع سره  
في أضعف خلقه!

استسلمت جليلة لإلحاحها البارِع، وخالفت عهداها.

هتفت ناطقة وكأنها تريح إزاحة ذلك الثقل عن صدرها:

مخبئش عليكي، ومن غير حرج أنا بأدور لابني على واحدة تكون بتخلف،  
هو تعب مع المرحومة مراته، فضلوا سنين داينين مع الدكاترة عشان يخلفوا،  
ومكانش في فائدة!

تراقصت نبضات قلب نيرمين طربًا لسماعها ذلك الكلام وكأنها تعزف به  
معزوفة فريدة على أوتار قلبها.

تهدت جليلة متابعة بجزن محبط:

والعمر بيجري منه، وأنا خايفة أجيبه عروسة بنت بنوت تطلع ما بتخلفش  
ونكرر الغلب ده تاني معاها!

برقت عيني نيرمين بوميض مثير بعد تأكد حدسها أن والدته تميل إلى البحث  
عن عروس بمواصفات معينة أغلبها تنطبق عليها.

أفاقت من شرودها السريع، وعمدت إلى رسم ملامح الجدية على محياها وهي  
تقول مدعمة إياها في الرأي:

عندك حق يا خالتي، والتحليل المضروبة بتاعة الجواز مش بتبين حاجة،  
يعني ممكن واحدة كده ولا كده تعجبه بس تطلع معيوبة ومش بتخلف!  
هزت جليلة رأسها قائلة بتوجس:

مضبوط، وده اللي مخوفي!

التوى ثغرها بابتسامة لثيمة وهي تضيف:

اطمني إن شاء الله ربنا هيعوض صبرك خير

ربت جليلة على ظهرها مرددة بود:

يا رب أمين، ويكرمك يا ضنايا، اتتي بردك لسه صغيرة وحلوة وفي ألف  
يتمنوكي!

تعمدت نيرمين العبوس بوجهها وهي تضيف بإحباط زائف:

لا خلاص، أنا خدت حظي من الدنيا، وهاعيش عشان بنتي وبس، هي  
الحاجة الحلوة اللي طلعت بيها!

عقدت جليلة ما بين حاجيها هاتفة باستنكار:



-لا متقوليش، وقريب ان شاء الله هاتسمعي اللي يبشرك

ابتسمت لها نيرمين بجياء:

يا رب أمين

وضعت جليلة يدها على ذراعها لتدفعها برفق للأمام قائلة:

خشي اتتي دوري على الحلق، وأنا هاقعد مع الكتكوتة

زادت ابتسامتها الصفراء اتساعًا وهي تقول:

-ربنا يباركلي فيكي يا خالتي!

ثم تحركت بخطوات متمهلة نحو غرفة منذر لتنفذ الجزء الآخر من خطتها  
الشيطنانية.

.....

انتبهت إلى صوت تلك الدقات المتواصلة على باب منزلها، فنهضت بثقل من

فراشها لتتجه نحوه وتفتحه، تفاجأت بذلك الشرطي الذي يسد عليها الباب

بزيه الرسمي، فانقبض قلبها إلى حد ما، وهتفت متوجسة وهي محدقة به:

خير يا شاويش في حاجة؟

أجابها الشرطي بنبرة جادة دون أن تهتز عضلة واحدة من وجهه:

ده منزل المدعوة أسيف رياض خورشيد

ابتلعت عواطف ريقها بتوتر فور سماعها لاسم ابنة أخيها الراحل، وسألته  
بنزق:

اه ده بيتها! هي.. هي عملت حاجة؟

أجابها الشرطي بجمود غير مريح:

معرفش، ده استدعاء ليها للبيه المأمور في القسم

لطمت على صدرها مرردة بفرع:

استدعا! يا ساتر يارب

هتف فيها بصرامة وهو يوميء برأسه:

ياللا يا ست ناديلها

تابعت بنبرة مرتعدة:

حاضر يا بني، هاقولها ونحصلك على هناك!

أوام طيب

ماشى يا شاويش!

أنهت معه الحوار متجهة بخطوات سريعة في اتجاه الغرفة المأكثة بها أسيف  
لتبلغها بذلك الأمر العاجل. والأهم من هذا كله أنها لن تتركها تذهب بمفردها،  
ستصطحبها إلى المخفر.

.....

ولجت إلى داخل الغرفة وهي تسيطر بصعوبة بالغة على سعادتها الغامرة.  
لم تتوقع أن تكون جلييلة إلى ذلك الحد ساذجة في تصرفاتها وفي تصديقها  
لادعاءاتها، أخذت نفسًا عميقًا لتضبط انفعالاتها قبل أن تفعل شيئًا متهورًا  
يُحسب عليها.

أوصدت الباب خلفها، والتفتت بجسدها لتتأمل الغرفة من حولها بنظرات  
عامة شمولية وعلى ثغرها ابتسامة عريضة لم تمنع في إخفائها، تجولت ببطء  
متعمد في أرجائها ممتعة عينها بكل ما يخصه.

اقتربت من خزانة ملابسه، وفتحت إحدى ضلفه لتلمس ثيابه الخاصة  
بأناملها، قربت أحد قمصانه من أنفها لتستنشق رائحته قبل أن تعيده إلى  
مكانه، ثم عبثت بالرفوف مدققة النظر في أشيائه الخاصة.

لمعت عينها بوميض أشد لمعانًا وهي تتجه نحو الكومود لتفتش بداخل  
أدراجها، وجدت صورة فوتوغرافية صغيرة له، فحدقت بها بتمني ثم فكرت في  
سرقتها، وبالفعل لم تعارض الفكرة، نفذتها فورًا، وطوتها بيدها، ودستها داخل  
ثيابها.

وضعت يمين يدها على طرف ذقنها تحكه قليلًا وهي تفكر في الخطوة التالية  
من خطتها، تذكرت أنها لم تخرج بعد القرط الذهبي من جيبها، فأدخلت يدها  
بالفعل فيه وأخرجته لتلقيه خلف أحد أركان الفراش، جاءت للجزء الهام من  
مخططها الدنيء، ألا وهو إفساد العلاقة الودية مع أسيف.

كانت تدس في جيبيها النسائي منشفة ورقية طوت بداخلها ورقة ما مطوية بطريقة مريبة. التوى ثغرها بابتسامة مقلقة وهي تحشرها بداخل المرتبة السفلية، تعمدت نيرمين أن تصنع ما يشبه الـ ( حجاب ) والمعروف بالمناطق الشعبية لتدعي بالباطل على أسيف أنها تمارس أمور الدجل والشعوذة على منذر لتفسد حاله. ولأن جليلة على فطرتها فستصدق فورًا تلك الأكاذيب. تأكدت من إتمام كل شيء، ثم صرخت مهللة لتثير الريبة:

إلحقي يا خالتي!

ركضت ناحية الباب وفتحته متابعة صراخها المرتفع:

تعالى شوفي لاقيت ايه وأنا بأدور على حلق بنتي!

توجست جليلة خيفة من صوتها المرتفع، وهولت نحوها حاملة الرضيفة متسائلة بقلق:

في ايه يا نيرمين؟ ايه اللي حصل؟

جذبتها الأخيرة من ذراعها بعد أن تناولت منها رضيعتها مرددة بخوف زائف:

شوفتي لاقيت ايه تحت مرتبة سي منذر!

قفز قلب جليلة في قدميها خوفًا مما ستره وهي تلج لغرفة ابنها البكري.

توترت أنفاسها وهي تحرق في فراشه حيث أشارت لها نيرمين.

تجمدت أنظارها على تلك الورقة الداكنة اللون المحشورة بالزاوية.

شهقت مصدومة وهي تقول:

يا نصيبي ايه ده؟

ردت عليها بصوت مرتجف وهي تضم رضيعتها إلى صدرها:

باين عليه عمل!

شهقت جليلة مرددة بارتعاد:

-عمل؟ وده جه ازاي هنا؟

صاحت بها نيرمين فجأة لتفزعها أكثر:

-اوعي تلمسيه بايدك يا خالتي، لاحسن يأذيكي!

أبعدت جليلة كفيها إلى جوارها، وتساءلت بصدمة:

-ومين حطه أصلاً، ده مافيش حد غريب بيدخل هنا!!!

ردت عليها نيرمين بغموض مقلق:

-أكيد مش غريب يا خالتي!

بحثت جليلة بعينها عن قطعة قماش لتستخدمها في الإمساك بذلك الحجاب،

وتمتت من بين شفيتها بحنق:

حطب مين ابن ال..... ده؟ هو ابني ناقص أعمال!!!

ردت عليها نيرمين بمكر لئيم:

يا خالتي الناس كلها بتحسده وحاطة عينهم عليه، ده غير إن اللي حط العمل  
ده أكيد واحدة مش واحد!

ضاقت نظرات جليلة نحوها، ورددت قائلة:  
-واحدة!

حركت نيرمين رأسها بالإيجاب مؤكدة:

-ايوه، واحدة بتشاغله ومخلياها مش على طبيعته!

انفرجت شفتاها في تعجب أكبر، وارتفع حاجباها للأعلى وهي تصغي إلى ما  
تلقيه على مسامعه

تابعت نيرمين قائلة بنبرة أصابتها أكثر بالريرة والخوف:

-شوفي مين بقى يا خالتي هاتعمل ده فيه!

لوحت جليلة بيدها في الهواء هاتفة باستنكار:

-بس إزاي، ده.. ده مافيش حد دخل أوضته خالص، وحتى الشغالين أنا  
ببقى واقفة على ايديهم وهما بينضفوا، يبقى مين حطهوله هنا!

دنت منها نيرمين، وثبتت أنظارها المظلمة عليها وهي تضيف بنجبت:

-انتي ناسية يا خالتي انا احنا كنا بايتين عنكم، وكان معانا بنت خالي، وهي  
جاية من بلد كده معروف عنها بالسحر والأعمال!

تراجعت جليلة بجسدها للخلف شاهقة بصدمة واضحة.  
 لم تصدق ما قالته، وهتفت معترضة وهي ترمش بعينيها:  
 -بتقولي ايه؟ ايه الكلام الغريب ده؟ مش معقول!  
 هزت نيرمين رأسها بحركة مؤكدة لتثير ذرعها أكثر:  
 -لأ يا خالتي صدقي، اوعي يخش عليكى محنها ولا السهوكة اللي هيا فيها،  
 وبعدين ماهي الوحيدة اللي باتت هنا مع أمي! انتي ناسية يا خالتي ولا ايه؟  
 أخفضت نبرة صوتها متعمدة أن تشير إلى قلة حيلة أمها وهي تكمل بأسف:  
 -وأمي ست راقدة وغلبانة مالهاش لا في التور ولا في الطحين! وانتي عارفها  
 بقالك سنين، مابتعرفش حتى تأذي فرخة!

اتسعت حدقتها برعب واضح من عباراتها المخيفة، وارتجفت نبرتها وهي تردد:  
 -يا نصيبي! انتي بتكلمي جد بقى!  
 أجابتها نيرمين بصوت خفيض:

-أنا مش بأهزر يا خالتي، أومال أنا واخدة منها جنب ليه؟  
 دنت منها أكثر لتؤجج من حالة الرعب لديها وهي تضيف بهمس كبير:  
 -بيني وبينك كده بس الكلام ده مايطلعش لحد، أنا شوفتها وهي بتعمل  
 حاجات كده استغفر الله العظيم تلبس الجثة!

ارتعاشة دبت في جسدها من كلماتها تلك، وهتفت مفزوعة:

أعوذو بالله من الشيطان الرجيم!

تهدت نيرمين مضيئة بضيق حقيقي:

تخلي دي ساحرة لأمي، مش بتصدق حاجة عليها خالص حتى لو عملت  
ايه، وكل حاجة تقولها عليها تقول أمين كأنه قرآن منزل!

كانت صادقة في وصفها، لم تكن بحاجة للإدعاء أو التآليف، فهي ترى بأم  
عينها علاقة والدتها بها. وكيف أنها تدافع عنها وتبرر لها كل شيء على الرغم من  
كون ابنة خالها لا تفتعل المشاجرات أو غيرها.

شعرت جليلة بجفاف حلقها، فحاولت بله بريقها المرير، ثم هتفت بنبرة مترددة:

يا ساتر، اتني خوفتيني منها يا نيرمين!

تابعت الأخيرة مؤكدة بلووم:

اتني بس شوفي حد بيّفهم في الحاجات دي ويفك العمل المربوط، جايز  
يكون هو اللي واقف حاله!

للحظة فكرت جليلة أنها ربما تكون مخطئة في اتهام أسيف، وبررت قائلة:

بس ازاى؟ وأنا ابني أصلاً مش راضي يتجوز من قبل ما يشوفها، يعني.....

قاطعتها نيرمين بجديّة لتنفض عن عقلها أي نزعة للشك:



يا خالتي ركزي لو هو عاوز يتجوز، العمل المهيب ده يمنعه يفكر في الجواز  
والعيال، ويزغل عينيه، ويسحره ويخليه يركز في آ.....

عمدت إلى إظهار إرتباكها وتردها في إتمام جملتها للنهاية لتثير فضولها أكثر،  
وبالطبع حققت مبتغاها، فسألتها جليلة بتلهف:  
- في ايه؟

أجابتها بهدوء مقلق:

- في صاحبة العمل ده!

فغرت ثغرها هاتفة بهلع:

- هاه، كمان!

أشارت نيرمين بكف يدها مكلمة بصوتها الجاد:

- أنا وعيتك يا خالتي، وإنتي حرة!

ثم أخفضت عينها للأسفل لتصيح مهللة بفرح غريب:

- الله، الحلق بتاع بنتي أهوو.. الحمد لله يا رب!

انحنت لتلتقطه من ذلك الركن، وتابعت بتحذير:

- بس شوفتي لولا ترتيب ربنا وضياع الحلق مكو ناش عرفنا بالبلوى السوداء  
دي!

ازدرت جلية ريقها قائلة:

اه والله!

تحركت بعدها نيرمين في اتجاه الباب وهي تقول:

هاستنى برا أنا، عن اذنك

ظلت جلية متسمة في مكانها لعدة لحظات مُعيدة في ذهنها ما حدث أمامها  
من كشف لذلك الحجاب المزعوم مرددة لنفسها بخوف بائن:

-سحر وأعمال! هو انت ناقص يا منذر!!!!

.....

لم تصدق عينها حينما وقعت على محضر استلام أموالها المسروقة في مخفر  
الشرطة، واستمعت بإصغاء تام لما قاله الضابط هناك عن ملابس الكشف  
عن اللص الحقيقي وكيفية القبض عليه، كانت صدمتها حينما عرفت أنها إحدى  
العاملات بالفندق.

نظرت لها عمتها بنظرات تحمل اللوم لتسرعها في إتهام منذر بتلك التهمة  
الباطلة، وكانت محقة في هذا.

ولذلك عابت أسيف نفسها على تصرفها الأهوج دون التأكد من صحته  
براهين مثبتة، وها هي براءته قد ثبتت للجميع.

خرجت الاثنتان من المخفر تسيران بخطوات متهادية نحو منطقتها الشعبية.  
التفتت عواطف برأسها نحوها، وظلت تراقب صمتها الهاديء، ثم قطعته  
مستطردة حديثها بعتاب لطيف:

مش المفروض نعتذر للي غلطنا فيه يا بنتي؟

تخرجت أسيف من جملتها، وتوردت وجنتها خجلاً، ولم تعقب.

استمرت عمها في تحفيزها على إصلاح خطئها قائلة:

مش عيب يا بنتي نتأسف لما نغلط، ده حقه علينا، صح ولا أنا غلطانة؟

هزت هي رأسها بإيماءة صغيرة دون أن تنبس بكلمة.

ارتسم على ثغر عواطف ابتسامة ارتياح لتقبلها لنصيحتها، وضمتهما من كتفها  
قائلة يامتنان:

-ربنا يباركلي فيكي يا بنتي!

غيرت كلتاهما وجهتهما الحالية لتتجها نحو وكالة عائلة حرب، والتي كانت على  
مسافة قريبة.

.....

في نفس التوقيت، وصل المحامي الخاص بالعائلة إلى الوكالة. جاب بعينه سريعًا مكتب منذر فلم يجده. فنفخ بضجر، ثم هاتفه ليسأل عنه، فوجد أن هاتفه خارج نطاق التغطية.

اقرب منه أحد رجاله مرددًا:

-أيوه يا أستاذ!

رد عليه المحامي بتساؤل جاد:

فين الأستاذ منذر؟ أنا دورت عليه جوا مش موجود، وبأطلبه مش بيرد.

أجابه الرجل بهدوء وهو يفسر بيده:

ده سافر من بدري يا حضرت الأفوكتو!

عقد ما بين حاجبيه مرددًا باستغراب:

سافر، وجاي امتي؟

هز الرجل كتفيه في عدم معرفة وهو يقول:

على حسب ما يخلص اللي وراه في الميناء

وضع المحامي يده على رأسه ممرًا إياها بين خصلات شعره وهو يتابع بتذمر:

يا ربي، وأنا كنت عاوز أسلمه بقية فلوس الدكان! هاعمل ايه دلوقتي

سأله الرجل باهتمام:

-تؤمرنا بحاجة؟

هز رأسه نافيًا:

-لأ خلاص، متشكر

-العفو..

بقي المحامي بالمكتب يرتب أوراقه، ويراجع ما لديه من ملفات بنظرات سريعة قبل أن يستعد للرحيل.

.....

وصلت عواطف إلى الوكالة باحثة هي الأخرى عن منذر، وإشرأبت بعنقها لتراه، لكنها لم تجده بالداخل، فاقتربت من نفس الرجل الذي كان يُحدث المحامي قبل لحظات متسائلة:

-بأقولك يا بني سي منذر موجود؟

رد عليها نافيًا بهدوء:

-لا والله يا ست عواطف، ده مسافر

تعجبت عواطف من إجابته مرددة بصدمة خفيفة:

-اييه؟ مسافر! خلاص نجيله وقت تاني!

لمها المحامي من الداخل، فأسرع في خطواته ليلحق بها هاتفاً بنبرة عالية

ليجذب انتباهها:

حاجة عواطف!

التفتت برأسها نحوه متممة بهدوء:

-ايوه!

التقط أنفاسه متابعًا بابتسامة عريضة:

-بنت حلال والله، أنا كنت لسه هاجيلك

تبادلت هي نظرات حائرة مع ابنة أخيها وهي تتساءل بقلق:

خير في حاجة؟

أجابها المحامي بصوت جاد موضحاً بيده:

-اه الأستاذ منذر مبلغني أسلمك باقي الأمانة

قطبت جبينها مرددة:

-أمانة!

فسر مقصده محافظًا على نفس ابتسامته:

حقك في بيع نصيبك من الدكان!

انزعجت أسيف من تذكرها لتلك المسألة التي نغصت عليها سكونها، ولم ترغب  
 في متابعة الحوار بينهما، لذا بتأدب واضح في نبرتها اعتذرت لعمتها قائلة:  
 حطب يا عمتي أنا.. أنا هاتمشى شوية كده هنا لحد ما تخلصي وتتقابل عند  
 الدكان بتاعي!

فطنت عواطف لضيقها من تلك المسألة، وضغطت على شفيتها قائلة بحذر:  
 - ماتخليكي معايا، ده....

قاطعها أسيف بإصرار وهي تتحرك مبتعدة عنها:  
 - لا معلش، بلاش!

فهمت عدم رغبتها في التواجد كي لا تثير ضيقها أكثر، فاستسلمت لرغبتها  
 مرددة:

حبيب يا بنتي! اللي يريحك!

عبست أسيف بوجهها وهي تسير مبتعدة عن الوكالة، أحزنها تخلي عمها عنه  
 بسهولة في تلك الظروف العصيبة، ودت لو تريث في قرار بيعها وأمهلها  
 الفرصة لتشتريه هي منها، لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فكرت  
 بإجها في طريقة تستعيد بها ملكية دكانها بالكامل.

بالطبع لن يكون الأمر باليسير خاصة مع شراء منذر لحصة عمها بمبلغ ضخم،  
 وما معها حاليًا من أموال لا يكفي لسداد ما دفعه واسترداده.

تعبت من كثرة التفكير، ولم تشعر بقدميها وهما تسوقاها إلى الزقاق الجانبي المؤدي لورشة النجارة المملوكة للحاج زقزوق.

توقفت عن السير متلفتة حولها. ثم تهتت بتعب، ولكن أضواء زهنا فجأة بشي ما أصابها بحماس كبير، هي فكرت في الاستعانة بالصبي حسن الذي يعمل بالورشة ليعاونها في توضيب الدكان وإزالة ما به من مخلفات متهاككة، بدت الفكرة جيدة إلى حد ما، وقررت أن تشرع في تنفيذها، خاصة أن باستطاعتها الآن دفع أجرته.

أسرعت في خطاها نحو الورشة، ووقفت عند عتبتها متسائلة بجرح: لو سمحتوا، ممكن أكلم حسن!

نظر إليها العاملون بالورشة باستغراب، وأجابها أحدهم بجدية: برا مع الحاج زقزوق في مصلحة، ولو مستعجلة امشي هو احتمال يتأخر! ابتسمت بتكلف وهي ترد:

طيب متشكرة!

استدارت بجسدها مستعدة للرحيل، لكنها فكرت في ترك رسالة للصبي حتى يتواصل معها عندما يعود من عمله الخارجي، فهتفت قائلة بهدوء موجهة حديثها لنك الشاب الذي أجابها قبل ثوان معدودة:

طب ممكن بس أما يجي تقوله صاحبة دكان خورشيد عاوزاه في شغل رد عليها الشاب بجدية:



ماشى يا ست!

تحركت بعدها في اتجاه الدكان وهي ترسم في مخيلتها عدة تصورات حماسية لما يمكن أن تفعله كي تستثمر أموالها في مشروع مريح يعود عليها بالنفع من خلاله.

.....

ألقى بإصبعيه سيجارته المنتهية بعد أن لفظ منها آخر دخان يمكن أن ينبعث منها، ثم تحرك في اتجاه المحال الجديدة، فقد أصبحت هذه المسألة شاغله الشاغل مؤخرًا، فهي الذريعة التي سيقضي بها على غريمه منذر،

لم ينكر إعجابه بفكرة إنشاء مطعم للمأكولات البحرية في المنطقة، ولكن ما لم يرضيه هو نسبة الربح حينما اطلع على العقود. شعر بالاستغلال وبتحكم عائلة حرب في كل شيء.

انتصب مجد في مشيته وهو يدب بقدميه على الأرضية الإسفلتية.

أدار رأسه للجانب ليحدق في أوجه المارة بنظرات مشمئزة، وغمغم مع نفسه بازدياء:

وشوش تقطع الخميرة من البيت!

حرك رأسه للأمام فوقعت عيناه مصادفة على إحداهن، تلك التي تتهدى في خطواتها المنظمة.

ثبت نظراته الحادة عليها، نعم هو عرف هويتها، فوجهها مألوف له.

ضاقت نظراته المخيفة نحوها، وتقوس فيه يالتواءة مريية مرددًا لنفسه بنبرة  
ليست مريجة مُطلقًا:

هه، وأخيرًا.....!!

.....

## الفصل الخامس والأربعون:

ضرب بقبضة يده على الطاولة الزجاجية لاعتنا حظه العثر الذي انعكس أيضًا  
على حياته العملية، نظر له رفيقه " ناصر " متسائلًا باهتمام وهو يناوله  
زجاجة الجعة:

-وهتعمل ايه دلوقتي؟

أجابه حاتم بقلة حيلة:

مش عارف، المصلحة دي كمان باظت، وأنا كنت متعشم إني أطلع منها بقرشين!

لمعت عيناى ناصر بپريق طامع وهو يضيف مقترحًا:

طب ما ترجع تاني للتهريب؟

وضع حاتم يده على فمه قائلاً بتوجس ومتلفئًا حوله:

-ششش.. وطى صوتك! محدش يعرف ده!

هز الأخير رأسه عدة مرات مرددًا بإعجاب:

-ماشى، بس انت سالك فيها، وليك سكتك ومعارفك

لوى حاتم ثغره مبررًا تراجعته عن القيام بتلك النوعية من العمليات الغير قانونية:

عارف، بس معدتش عندي اللي يخلص!

غمز له ناصر قائلاً بمكر وهو يلكزه بنخفة في ذراعه:

-ها، قصدك على المدام

تجهمت قسمات وجه حاتم بالكامل، ورد بامتعاض شائمًا إياها بوقاحة:

ما تجلبش سيرتها، ولية.....!!

عقد ناصر ما بين حاجبيه قائلاً:

ده انت لسه معي منها على الآخر

فرك رفيقه وجهه بغل، وأرجع ظهره للخلف مجيباً عليه بسخط ظاهر في نبرته  
ونظراته:

جدًا! وعلى رأي أمي جاية النحس للبيت كله، بس أنا مضطر أتكلم معاها  
عشان بنتي

أثارت جملته الأخيرة اهتمامه، فسأله بفضول:

هي البت مش معاكو؟

حرك رأسه نافيًا وهو يوضح بفتور:

لا البت لسه صغيرة، والحضانة معاها!

تجرع ناصر رشفة كبيرة من زجاجته التي أوشكت على الانتهاء، وتجشأ قائلاً:

أها! قولتي بقي!

تابع حاتم حديثه بنبرة ممتعة:

عاوز أشوفها، بس شايل هم الزيارة دي!

اقترح عليه رفيقه بنبرة عادية:

حطب ما تبعت أمك ولا أختك عندها!  
 التوى ثغره بابتسامه تهكمية وهو يبرر بسخرية:  
 أمي! إنت بتهزر، دي تطيق العمى ولا تشوف وشها، انت عارف دي عاوزة  
 تولع في البت نفسها عشانها منها!

ثم نفخ بجنق وهو يشير بيده مرددًا بتبرم:  
 قفل قفل على القرف ده كله، وخلينا نشوف شغلانة تانية نقضيها.  
 وافقه ناصر الرأي هاتفًا بابتسامه غير مريجة:

حبيب! اشرب وانسى يا معلم!  
 ثم التفت برأسه للخلف ليراقب أوجه تلك العابثات المتواجرات في تلك  
 الساعة المبكرة بذلك الملهى الرخيص منتقياً من سيعبث معها لاحقاً، لم يهتم  
 حاتم بما يفعله رفيقه، فباله الآن مشغولاً في البحث عن وسيلة جديدة  
 يتحصل منها على أموال إضافية.

.....

ذرعت غرفة نومها الخاصة جيئة وذهاباً تفكر في تلك الكارثة التي اكتشفتها  
 بغرفة ابنها البكري، رفضت إلقاؤه في القمامة تحسباً من شر ذلك الشيء القابع

به والذي تظن أنه سيصيبه بالسوء إن أهملته، لذلك احتفظت به في أحد أدراج المطبخ، ثم عادت لغرفتها لتختلي بنفسها بعد رحيل الأختين من المنزل. ضربت كفاً بالأخر هاتفة لنفسها بقلق ظاهر في نبرتها:

يا خوفي يطلع كلامها صحيح، طب أتصرف ازاي وأكلم مين يفيدني في الحكاية دي؟

جلست مستاءة على طرف الفراش تهز جسدها بعصبية مضطربة، عجزت عن التفكير بذهنٍ صافٍ، وغفلت عن إطعام الصغيرين، ولج زوجها إلى الغرفة متعجبًا من حالتها الواجمة تلك.

ألقي عليها التحية لكنها لم تجبه، كانت تتم لنفسها بكلمات مبهمة وكأنها لم تره. صاح بها بصوت قوي:

سرحانة في ايه يا جلييلة؟ عمال أكلمك من بدري، وإنتي في التوهان كده! انتبهت لصوته المرتفع، ونهضت عن الفراش مرددة باضطراب قليل:

معلش يا حاج، دماغى مشغولة حبتين!

تفرس في وجهها متسائلاً باهتمام:

خير إن شاء الله؟

توجست خيفة من إخباره، فرما يرفض تصديق تلك الخرافات ويتهمها  
بالجنون، ففكرت سريعاً في إجابة مقنعة.

خرج صوتها متردداً وهي تقول:

هه... حاجة البيت ومشاغله اللي مابتخلصش! ما إنت عارف يا  
حاج، وخصوصاً طلبات العيال!

رد عليها بعدم اقتناع وهو يشير بعينه المجهدتين:

أها، طيب شوفي الأكل بتاعهم لأحسن أعدين برا يقولولي جعانيين!  
لطمت على صدرها بعفوية مرددة بضجر:

ده أنا نسيتهم خالص!

ثم أسرع في خطاها تاركة الغرفة لتطعم الصغيرين.

تابعها طه بنظرات متعجبة، وهز رأسه قائلاً باستنكار:

مالها الولية دي، شكلها مش طبيعي خالص!

همست جليلة لنفسها بامتعاض ظاهر على محياها:

منك لله يا بنت حوا وآدم، دبرها من عندك يا رب، هو ابني ناقص!

.....

تمددت على الفراش شاعرة بلذة انتصارها الساحق في تلك الجولة الجديدة في  
معركتها معها، هي لا تعدها ابنة خالها، بل عدوتها التي تتنافس معها في  
الاستحواذ على محبة الآخرين، خاصة من جذبها بشهامته إليه، لم تعباً  
برضيعتها التي تبكي صارخة لتناول الطعام، وظلت شاردة تفكر فيما فعلته.  
لقد أتقنت دورها ببراعة، وتفننت في خداع أمه الساذجة بأبسط الطرق.  
همست نيرمين لنفسها متباهية:

-زمانها دلوقتي قايدة نار، إياكش النار دي تاكل اللي ما تتسمى!  
اندفعت أختها بسمة إلى الغرفة هادرة بضيق:

-ايه يا نيرمين؟ مش سامعة عياط بنتك؟

اتجهت للفراش لتحمل الرضیعة بين ذراعها، وقامت بهدهتها برفق لتكمل  
تعنيفها لأختها الكبرى قائلة:

-مش معقول كده! أعدة ولا على بالك، بنتك مفلوقة من العياط واتي هيانة  
على نفسك!

عبست نيرمين بوجهها قائلة بتذمر:

-يووه، لازم تعكري مزاجي كل شوية!

نظرت لها بسمة مدهوشة وهي تردد مستنكرة:



أعكر مزاجك! عياط بنتك مش فارق معاك، ربنا يرحمها من قسوتك!

ردت عليها بسخط جلي:

خذت ايه منها غير غلب أبوها وبوزه الزفت!

وهي ذنبها ايه؟ ارحمها

نهضت نيرمين على مضض من على الفراش مقترية منها، ثم مدت يديها قائلة  
بتجهم ساخر:

طيب يا أم قلب حنين، هاتيها!

رمقتها بسمة بنظرات حادة متممة بصوت شبه هامس:

خدي، وربنا يرحمها منك!

.....

كانت حذرة في خطواتها المتباطئة نحو دكانها العتيق حتى لا تؤذي قدمها اليسرى أكثر، تماثلت للشفاء بنسبة كبيرة، لكنها حرصت على عدم الضغط عليها بالسير مطولاً أو يارهاقها.

لم تشعر بذلك الذي يترص بها وهو يدنو منها بخطاه المتعجلة، فلم تأخذ حذرها تماماً، أصبحت على بعد مسافة قصيرة من دكانها، شردت في اللافتة القديمة متأملة حروفها الغير واضحة.

انتفضت في سيرها فزعة حينما شعرت بيد تتلمس ظهرها، فاقشعر بدنها  
 بالكامل، وشهقت مذعورة ملتفتة برأسها للجانب، زاد هلعها حينما رأت وجهه  
 المقيت يتسم لها بصورة أرعبتها كثيراً، عرفته توّاً إنه نفس الرجل الذي قابلته  
 من قبل، ذاك الذي أثار حنق منذر للغاية وأوصله للعصية في لحظات.  
 هوى قلبها في قدميها من فرط الخوف.

تراجعت تلقائياً مبتعدة عنه لتزيح يده المتلمسة لظهرها عنوة.  
 كانت كمن لدغها عقرب بلمسته المحرمة على جسدها رغم أنها لم تدم سوى  
 لثوانٍ لكنها كانت كافية لإشعارها بالنفور والتقرز منه.

نظر لها مبتسماً باستخفاف مزيج، ثم تحرك قبالتها ممدداً يده نحو وجهها متعمداً  
 تلمسه فذعرت منه، وأرجعت رأسها للخلف لتتحاشاه.  
 ابتسم قائلاً بلهو:

-وأدينا اتقابلنا يا حلوة!

زاغت أبصارها من كلماته المقلقة، واستشعرت أنها على شفا الوقوع في مأزق  
 كبير.

دنا منها ليحاصرها قائلاً بثقة مشيراً بيده في الهواء:

دي الحتة كلها أد كده، مافيهاش خرم إبرة إلا وأنا عارفه كويس!

ضمت عفويًا يديها إلى صدرها وكأنها تحتمي منه، لكن لا مكان للهروب منه،  
ابتسم لفرض سيطرته عليها، ولاستعادته تلك الذكريات القديمة التي كان  
يتلذذ بها حينما يرى قوته في خوف ضحاياها من صغيرات السن، فيزداد حماسة  
ورغبة طامعة فيهن.

غمز لها بعينيه مؤكدًا:

-يعني كنا هنتقابل هنتقابل! وأديكي جيتي لحد عندي!

أراد أن يتناول عليها مرة أخرى لكنها صرخت بفرع لتلفت الأنظار إلى  
كليهما.

وبالفعل لمحهما رجلي منذر المرابطين عند الدكان، فتبادلا نظرات مزعوجة  
للغاية. خاصة أنهما يعرفان هوية مجد وتاريخه المشين بالتحرش بالمراهقات  
والشابات.

هتف أحدهما بتوجس وقد توترت نظراته:

-شايف اللي أنا شايفه!

هب الآخر واقفًا من مقعده مرددًا بفرع:

-يا وقعة سودة!

لكز الرجل الأول رفيقه من كتفه ليدفعه للأمام قائلاً بجزم:

-بيننا نتدخل بسرعة قبل ما الدنيا تخرب!

رد عليه زميله دون تردد:

-أوام، ده الريس منذر منبه علينا إن شوفناه معاها بالذات مانستناش!  
تحرك الرجلان سريعاً في اتجاههما لنجدة المستغيثة قبل أن يتفقم الوضع.  
كركر مجد ضاحكاً من صراخها المدعور هاتفاً باستهزاء:

فكرك هاخاف من الصوت، بالعكس ده بيدخل مزاجي أوي!  
ارتعدت فرائصها منه، وانكشت على نفسها أكثر، وقبل أن تجيب عليه كان  
الرجلان يسدان عليه الطريق بجسديهما مانعان إياه من الاقتراب منها.  
استشاط مجد غضباً من تدخلها السافر فيما يخصه، وهدر بهما بعصبية وهو  
يهددهما بيديه:

-انتو اتجننوا، مش عارفين أنا مين يا.....!!!

تمكنت أسيف من الاحتماء خلفهما، والتصقت بالحائط لتترك مسافة فاصلة  
بين ثلاثتهم.

رد عليه أحد الرجلين قائلاً بحذر:

عندك يا معلم مجد، ميصحش كده!

ضربه مجد بقبضة يده المتكورة بعنف في صدره هاتفاً بتهم:

هاؤ! إنت مين يا..... عشان ترفع عينك في عيني وتكلمني؟

ثم رمق الرجلين بنظرات نارية وهو يضيف بسباب لاذع:

ده أنا هاطلع..... أهلكم النهاردة!

تحامل الاثنان الإهانة مرغمين، فالتعليقات مشددة بضبط النفس معه، وعدم  
الانسحاق وراء أي مشاجرة يقودهما إليها.

هتف أحدهما بهدوء زائف رغم احتقان وجهه:

يا معلم مجد دي حُرمة، واحنا آ.....

قاطعته مجد هادراً بنفاذ صبر:

-البت دي ليها كلام معايا، فامشي من وشي انت هو، بدل ما أسويكم  
بالأسفلت! وبردك هاوصلها!

رد الآخر مضيئاً بنزق:

مش هاينفع، احنا معانا أوامر!

أشعلت كلماته عيناه اتقاداً، فهتف غير مبالٍ باستهزاء كبير:

-أوامر، هاو، أو، أو...!!!

ضاقت نظراته أكثر لتتحول لإظلام مرعب وهو يكمل بتوعد:

-والله لو مدير الأمن بذات نفسه موجود ما هيمنعني عنها!

تيقنت أسيف عند تلك اللحظة أن منذر كان محققاً في خوفه المبرر منه. أنها بالفعل واقعة بين مطرقة وسندان، تطاول مجد باليد معها محاولاً اختراقها والوصول إليها، فتعالت شهقاتها المفزعة أكثر وأكثر.

استمر الرجلان في الحول بينه وبينها قدر استطاعتها رغم تلك الشتائم القاسية التي ظل يتفوه بها، تراجع خطوتين للخلف لينحني للأسفل ليلتقط أحد الأحجار ثم قذفه بقوة في وجه أحدهما، فأصاب عينه مباشرة، وضع الأخير يده عليها صارخاً بألم كبير. بينما هجم الآخر على مجد منتوياً ضربه بشراسة. تعالت صرخات أسيف من هول الموقف، ووجدت نفسها عاجزة حتى عن الدفاع عن نفسها.

.....

انتهت عواطف من مقابلتها القصيرة مع المحامي بالوكالة، واستلمت باقي مستحقاتها المادية، شكرته ممتنة، واستأذن هو بالانصراف.

وبقيت واقفة بمفردها عند العتبة لبرهة منتظرة قدوم ابنة أخيها تطالع أوجه المارة بنظرات عادية، لكنها لم تأت، ملت من الوقوف والانتظار. ففكرت في الذهاب.

دار بخلدها أن تتوجه ناحية الدكان فرمما تكون متواجدة به.

ابتسمت لنفسها ابتسامة راضية لأنها ببساطة استطاعت تخمين مكانها.

سارت يتمهل في اتجاهه غير متوقعة ما ستراه هناك.

انقبض قلبها خيفة حينما رأت بعض رجال الوكالة يهرولون مسرعين وكأن في كارثة ما قد وقعت.

قطبت جبينها مرددة بتوجس:

يا ساتر يا رب! هو في ايه؟

.....

في أقل من دقائق، أصبح الشاجر عنيقًا من قبل مجد الذي اعتبر الأمر مسألة شخصية، وكال للرجلين ضربات موجعة مستخدمًا ما تطاله يدها.

تجمع المارة، وتحولت المنطقة أمام الدكان والمحال الجديدة إلى ساحة للاقتتال خاصة بعد حضور رجال مجد من المطعم للاشتباك مع رجال منذر فور أن وصلتهم الأنباء.

لم يستطع مهدي السيطرة على الوضع الذي انفجر كالبركان الثائر في أوجه الجميع.

وتسابق الرجال في ضرب بعضهم البعض بالعصي، والزجاجات الفارغة، وقطع الخشب القديمة، والجنائز المعدنية، دفع أحد الرجال التابعين لمنذر أسيف للاحتماء داخل دكانها، ولم تتردد هي في الاعتراض، فهو الأمن بنسبة لها حاليًا، وشكل عدد آخر منهم خطأ للدفاع عن المحال قبل أن تتحطم واجهاتها الجديدة تمامًا من قذف الطوب والحجارة.

احتد صوت تهشم الزجاج وفرقعات النوافذ المحطمة مع صوت السباب النابي.  
رأت عواطف ذلك الحشد الغفير المتجمع في المنطقة ويسد الطريق على أي  
شخص للاقتراب.

إشرأت بعنقها للأعلى محاولة رؤية أي شيء بالتفصيل.

وللأسف لم تتمكن بسبب التحركات العنيفة للجميع.

تسارعت دقات قلبها خوفاً، وهتفت مدعورة:

أسيف! بنتي!

حاولت اختراق أجسادهم للمرور والوصول إليها علها تكون متواجدة بينهم أو  
محاصرة من قبل أحدهم.

لكن بدا الأمر مستحيلًا مع هذا الكم من الأدرينالين الذكوري الثائر.

تعالت الصراخات من النساء، والصيحات من الأطفال وكبار السن. فالجميع  
يهلل بسبب تأجج الاحتدام الجسدي.

أخذت عواطف تضرب على فخذيها بارتعاد حقيقي مما تراه، وتمنت في نفسها  
أن تكون ابنة أخيها في منأى عن تلك المشاجرة، لم يعرف أي أحد سبب  
اندلاعها الحقيقي، لكنها كانت إعلانًا صريحًا بعودة جو المشاحنات العنيفة بين  
عائتي حرب وأبو النجا، كذلك وصلت الأخبار عنها إلى مسامع دياب، فلم  
يتردد للحظة في القدوم إلى المحال الجديدة للتواجد بنفسه والمشاركة في ذلك  
التضارب الشرس.



جمع ما يستطيع من عمال المستودع، وكذلك من محبي العائلة حرب ليزداد  
وطيس الاقتتال بين جموع الرجال الأشداء.

.....

بقيت حبيسة الديكان مرتعدة بداخل جدرانه القائمة، لم تصدر صوتًا، وانزوت  
في أحد الأركان مخبئة خلف المكتب القديم تبكي برعب وهي كاتمة لصوتها  
الذي يأبى البقاء بداخل جوفها، لم تتخيل أن الوضع سيسوء إلى تلك الدرجة.  
اعتقدت فقط أن المسألة مجرد "معاكسة" عابرة من شخص فح معتاد على  
الوقاحة مع الفتيات.

لكنه كان أخطر بكثير مما ظنت.

تذكرت كلمات منذر المحذرة لها قبل عدة أيام عن شخصه الوضيع، هي استهانت  
بتحذيراته، ورأت الآن بعينها ما آلت إليه الأمور.

حبست أنفاسها مترقبة اقتحام الديكان بين لحظة وأخرى، فالأصوات صادحة  
بالخارج، والدقات على الأبواب عنيفة للغاية، بالإضافة إلى تهشم الزجاج  
الذي يصدر دويًا مرعبًا بين الفينة والأخرى فيزيد من رعبها المشحون،  
تنفست بصعوبة، وظنت أنها ستفقد الوعي من هول الصدمة، تدريجيًا  
سمعت ذلك الصوت المألوف المطمئن.

إنه صوت صافرات سيارات الشرطة التي أتت بعد وقت ليس بالقليل  
للتدخل جبرًا لفض الاشتباك بالقوة، واصطحاب أفراد النزاع للمخفر.

توقعت أن يدخل رجال الشرطة في أي ثانية إلى دكانها لأخذها، فهي العنصر الأساسي في اندلاع المشاجرة.

لكن على عكس توقعاتها، لم يأتِ أي أحد إليها، بدأت تهدأ تدريجيًا حينما انخفضت حدة الأصوات بالخارج، شعرت بأن قدماها لا تقويان على حملها، لكنها نهضت لترى الأمر بنفسها، وبجذر شديد، وحرص بائن في خطواتها اتجهت نحو باب الدكان.

فتحته متوقعة الأسوأ ينتظرها بالخارج، أطلت برأسها مختلسة النظرات، وتفاجأت بعدم وجود أي أحد سوى حفنة قليلة من الرجال الذين يجمعون بقايا الأشياء المحطمة، تنفست الصعداء لافضة زفيرًا عميقًا من صدرها، تشجعت أكثر لفتحه، وولجت للخارج.

ابتلعت ريقها المرير وهي تمرر أنظارها على حطام كل شيء، رأت بقايا زجاج متناثر بكثافة، و أنصاف زجاجات فارغة متهشمة، ومقاعد خشبية محطمة، وأيضا قطع من الطوب الملقى بغزارة على الجانبين، ناهيك عن أجزاء الأحجار الغليظة.

أقبل عليها أحد رجال منذر قائلاً:

ارجعي يا ست على بيتك!

رفعت أنظارها نحوه محدقة فيه بفرع، كان وجهه مليئًا بالكدمات، والجروح السطحية وبعض الخدوش، بالإضافة إلى خيوط الدماء التي امتزجت مع عرقه الغزير.

أخرجها مجددًا من تأملها له صائحًا بجدة:

يا لا يا ست من هنا!

أومأت برأسها بالإيجاب، وسارت بجذر فوق قطع الزجاج.

لمحتها عمتها من على بعد فهتفت بتلهف:

أسيف بنتي!

ركضت الأخيرة نحوها وعلى ثغرها ابتسامة عريضة، فقد تسرب إلى قلبها شعورًا بالأمان لمجرد رؤيتها.

احتضنتها عمتها بقوة ضامة إياها لصدرها وهي تهمس بصوت شبه باكي:

الحمد لله إنك بخير، خفت عليك أوي

ضممتها أسيف هي الأخرى مستقبلة تلك المشاعر الدافئة بتلهف كبير، وردت عليها بتلعم:

أنا.. أنا....

أشارت لها عمتها بعينها هاتفة بجدية:

تعالى نمشي من هنا، وتكلم في البيت!

هزت رأسها موافقة، وسارت الاثنتان سويا، حانت من أسيف التفاتة سريعة للخلف لترمق المكان بنظرات أخيرة مبتلعة ريقها مرة أخرى، فاليوم كان

مشحونًا بأقصى درجات العنف والغضب، ومازالت تجهل

توابعه.....!!!

.....

## الفصل السادس والأربعون:

اضطر الضابط المسئول بالمخفر الشرطي الفصل بين مجد وأعوانه، ودياب ورجاله أثناء احتجازهم به حتى لا يتجدد الالتحام اللفظي أو الجسدي بين الطرفين خاصة أنها يعرف العصبية الجامحة في تلك النوعيات من الخصومات الشرسة، ركض الحاج طه مهرولاً للداخل وبصحبه محامي العائلة، ثم بحث بعينه سريعًا عن ابنه ضمن المتواجدين، لكنه لم يره.

استدار ناحية المحامي هاتفًا بقلق:

دياب مش باين خالص!

أجابه المحامي بهدوء حذر مشيرًا بيده:

جائز الضابط حاجزهم، ده طبيعي بعد اللي حصل!

رد عليه طه بضجر كبير وهو يضرب بعكازه الأرضية الصلبة:

قلبي كان حاسس إن ده هايجصل، ابن أبو النجا مش ناوي يجيها لبر! خارج  
من السجن وحلفان يولعها!

هز المحامي رأسه بإيماءة خفيفة متابعًا بجدية:

-اطمن يا حاج طه، أنا هاتصرف، وهاعرف التفاصيل كلها وأبلغك!

أوماً له طه بعينه هاتقًا بتلهف:

-بسرعة يا أستاذ لأحسن أعصابي على آخرها، ومعنش مستحمل

رد عليه بهدوء وهو يوليه ظهره:

حاضر!

أخرج طه هاتفه المحمول من جيب جلبابه الرمادي، وضغط على زر

الاتصال بابنه البكري مرددًا لنفسه بنبرة مكفهرة:

انت فين يا بني؟

وضع الهاتف على أذنه، فاستمع إلى تلك الرسالة الصوتية المسجلة:

(( الهاتف المطلوب غير متاح حاليًا، برجاء ترك رسالة بعد.. ))

أبعده عن أذنه قبل أن يكمل الجملة للنهاية محدثًا نفسه بامتعاض:

-وده وقت الست دي!

زفر بصوت مسموع مكملًا:

-استرها يا رب، هو اليوم باين!

.....

بقي بصحبة رجاله بداخل إحدى غرف الحجز، وعرف سريعًا السبب وراء التشاجر الدامي، فهو قد اشتبك معه أولاً دون أن يتحرى عن الدوافع، المهم ألا يخذل عائلته في أي موقف، تجمعت تعابيره للغاية بعد كلمات رجاله الموجزة، إنها قرية عواطف، احتك بها مجد بوضاعة، وأساء لها عن قصد، فتدخل رجال منذر بناءً على تعليماته الصارمة للحول بينهما والدفاع عنها، صمت ليفكر مليًا فيما قالوه، فأخيه لا يفعل ذلك إلا إذا كان الأمر خطيرًا.

حدق في وجه رجاله المحتجزين هاتفاً بجسم وهو يشير بسبابته أمامهم:

محدث يجيب سيرة حريم في الليلة، احنا مش ناقصين جرجرة ليهم على الأقسام!

رد عليه أحدهم معترضًا:

بس يا ريس دياب، هي الوحيدة اللي....

التفت ناحيته هاتفاً بغلظة صارمة:

-ولا كلمة! انتهى!

قطع الرجل عبارته ولم يضيف المزيد رغم انزعاجه من قراره الغير حكيم، فشاهدتها مهمة في إثبات حقهم أنهم كانوا في حالة دفاع عنها، وهم المجني عليهم

وليس العكس، وضع دياب يديه على رأسه ضاغظًا عليها بقوة، فالأمر الآن  
 في يد أخيه الكبير منذر ليتصرف بحنكة من أجل إخراجهم من هنا.  
 ألصق ظهره بالحائط ضاربًا بقبضته المتكورة عليه متممًا بخفوت ممتعض:  
 -رجعنا تاني للماضي الاسود!

.....

أدخلتها إلى الفراش مدثرة جسدها المرتعد بالغطاء، ثم مسحت على وجهها  
 بحنو، ومسدت على رأسها برفق هامسة لها بنبرة أمومية دافئة:  
 -اطمني يا بنتي، انتي في أمان دلوقتي!  
 لم تتمكن أسيف من السيطرة على ارتجافها المتواصلة، فصدى الاشتباك  
 الحامي لازال يتردد في أذنيها مجسدًا لها في مخيلتها مشاهدًا عنيفة، كذلك تلك  
 النظرات الشيطانية الوضيعة ظلت تطاردها كلما أغمضت جفنيها.  
 هي مرت بوقت عصيب للغاية لا يمكن وصفه بأي كلمات، ومتيقنة من أنها  
 السبب الرئيسي في اندلاعه، بكت رغماً عنها متتهدة بشهقات خفيفة مكتومة.  
 أشفقت عليها عواطف، وانحنت لتقبلها أعلى جبينها متابعة بضجر:  
 قدر ولطف يا بنتي!  
 ظلت تربت على كتفها برفق محاولة بث الثقة إليها مرة أخرى.

أزعجها للغاية شحوبها المقلق، فهتفت مهتمة:

-أنا هاعملك شوية شوربة سخنين يرجعوك الدموية اللي راحت من وشك دي!

ثم وضعت أناملها على صدغها لتمسح تلك العبرات التي تبلله. ومع ذلك استمرت في بكائها المنكسر..

.....

وبخطى سريعة اتجهت عواطف نحو الخارج متممة بكلمات مبهمة. فرأتها بسمة على حالتها الشاردة تلك.

اقتربت منها متسائلة بفضول:

-في ايه يا ماما؟ مالك أخدة في وشك كده ليه؟

ردت عليه عواطف بتنهيده مطولة:

-اسكتي يا بنتي، مش قادرة أحكيك على اللي حصلنا واحنا تحت!

عقدت بسمة ما بين حاجبيها مبدية اهتمامها بجديث أمها المثير، وتساءلت قائلة:

خير؟

أجابتها عواطف بتبرم:



حصلت حنة مضاربة يا ساتر يا رب عليها، ولا في الأفلام!  
 انتبهت نيرمين للحوار الدائر بينهما وهي جالسة بغرفتها، إشرأبت بعنقها للأعلى  
 مركزة حواسها كلياً على ما تسمعه، أثار فضولها بشدة سماعها لكلمات غامضة  
 ك ( مضاربة، دكان )، لذا نهضت عن الفراش، وسارت بجذر مقترية من  
 الباب لتتنصت عليها دون أن تنتبه أي منها لوجودها المقلق.

زاد انعقاد حاجي بسمة وهي تردد باستغراب:

مضاربة! وعشان ايه؟

أجابتها عواطف عفويًا:

عند الدكان بين دياب، وابن أبو النجا!

هتفت بسمة قائلة بنزق:

مع مازن؟

هزت عواطف رأسها نافية وهي تجيبها بتوجس:

لا، مجد!

تبدلت تعابير وجه ابنتها للضيق وهي تقول:

أعودوا بالله! هو البلطجي ده خرج من السجن؟

أومأت والدتها بالإيجاب قائلة:

ايوه!

ثم أخفضت نبرتها لتضيف بأسف:

-وبنت خالك كانت موجودة في النص وقت ما حصل ده كله!

بدت بسمة متعجبة للغاية مما قالته أمها، فابتسمت قائلة بمزاح:

ليه هي الخناقة كانت عشانها؟

كأنها بعبارتها تلك نجحت في استثارة أختها المتجسدة عليهما، فصارت كالحم  
الملتتهبة وهي تراقبهما عن كثب.

ردت عواطف بجدية:

مش عارفة والله يا بنتي، هو أنا لحقت أعرف ولا أشوف حاجة، الكل كان  
ماسك في بعضه، ومحدث عارف ليه!

أضافت بسمة متسائلة باهتمام:

ها وبعدين؟ انتو اتصرفتوا ازاي؟ ودياب عمل ايه معاه؟

أجابتها بضيق موضحة بيديها:

-ولا حاجة، وقتت أتفرج من بعيد، والستات تصوت، الناس مقدرتش  
عليهم، كانت والعة على الآخر، وما فيش إلا البوليس اللي عرف يخلصهم من  
بعض، وخادهم كلهم على القسم!

ارتخت تعابير بسمة إلى حد ما، وهتفت بفتور:

أها! هيرجعوا يتصالحوا ثاني ولا كان حاجة حصلت! معروفة يا ماما، هي أول مرة!

تهدل كتني عواطف وهي تقول بتوجس واضح:

الله أعلم! بس المرادي غير!

ثم أشارت بكفها نحو المطبخ متابعة:

أما ألحق أروح أعمل حاجة سخنة للغلابة اللي جوا، دمها هربان منها على الأخر!

لم تعقب عليها بسمة، بل تحركت في اتجاه المرحاض غير مكترثة بتفاصيل المشاجرة ولا توابعها الخطيرة.

وقبل أن تلج إليه خرجت إليها أختها متسائلة بعبوس جلي:

في ايه؟ أمك بتحكي عن ايه؟

نظرت لها بسمة بحدة وهي تجيبها بتأفف:

اسألها!

هي مازالت تحمل في صدرها ضيقًا نحوها بسبب صراحتها الزائدة معها.

رمقتها بنظرات أخرى أكثر انزعاجًا قبل أن تتجاهلها كليًا، وتركها في مكانها لتدخل المرحاض.

تجمدت نظرات نيرمين على نقطة ما بالفراغ، وشردت تفكر بتعمق فيما عرفته، جمعت خيوط الأمر معًا، ورددت مع نفسها بنبرة غير مريحة:  
لو الموضوع زي ما بأفكر ه.....

توقفت عن الحديث، فقد لمعت عينها فجأة بشيء مخيف، نعم وصل عقلها إلى استنتاج مريب، زاد بروز ابتسامتها الخبيثة من بين أسنانها. وبدت أكثر حماسة عن ذي قبل.

أخذت نفسًا عميقًا لتضبط انفعالاتها مرددة لنفسها بنبرة أقرب لفحيح الأفعى:

-اهدي كده يا نيرمين واحسبها كويس عشان تضبط معاكي صح!

رفعت حاجباها للأعلى متابعة بجموح شيطاني:

-ولو زي ما أنا مفكرة يبقى هرتاح منها خالص!

.....

وضعت يدها على جرحها تتحسسه، فزاد إحساسها بالكراهية نحوها.

هي تخلت عنها في أشد أوقاتها احتياجًا لها، ولم تتقبل مطلقًا أنها فعلت ذلك من أجل مصلحتها، ولولا خوفها من العودة إلى منزلها لما وطأت بقدميها منزلها مرة أخرى.

دنت منها شادية محاولة تهدئتها بعد أن ثارت ثائرتها، لكنها أبعدت يدها عنها هادرة بعصية:

-بعيني يا ماما وقبضتي التمن!

ردت عليها بجذر:

مش كده يا حبيتي!

صرخت فيها ولاء بجدة مستنكرة قسوتها:

هونت عليكي تعلمي فيا كده!!!

هزت رأسها معترضة وهي تبرر لها:

-لا يا حبيتي، إتي أغلى ما عندي، بس.. بس كنت هاعمل ايه مع مجد ابن  
ال..... ده، إتي مشوفتيش كان بيتكلم ازاي! وتهديده ليكي وآ.....

قاطعها قائلة بصراخ أشد:

-أنا مش مصدقة، مازن قتل فيا أكثر حاجة الواحدة ممكن تحسها، حرمني  
من....

وضعت يدها على فم ابنتها لتكتم صوتها الصارخ، وهتفت قائلة وهي ضاغطة  
على شفيتها:

-شششش.. كل حاجة وليها علاج! أنا سألت الدكتورة في المستشفى و.....

ردت عليها ولاء بنبرة منفعة:

-اتي بتضحكي عليا ولا عليكي، هو اتني مفكراني جاهلة.

حاولت شادية أن تهون عليها، فأضافت بدون تفكير:

- طب فكري في ابنك يحيي!

وكانها تعمدت اثاره مشاعرها الغاضبة أكثر. هي تحنها على الاهتمام بابنها،  
وتتناسى عن عمد أنها حرمت من أبسط حقوقها كأنتي، أن تصبح أمًا مرة  
أخرى، ردت عليها بنبرة محبطة وهي تنظر لها شزرًا:

-ابني اللي مري في حضن أبوه!

هتفت أمها معترضة:

-انتي ناسية الحضانة معايا، يعني تقدر ناخده بالقانون!

زادت نظراتها حنقًا، وهتفت غير مصدقة تلك القسوة الظاهرة عليها،  
فصاحت بها:

-انتي بتبرري لنفسك يا ماما؟!!

جاهدت شادية لتمتص غضبها، هي مدركة لعدم تقبلها لذلك الاتفاق، لكن  
من وجهة نظرها لم يكن لديها أي بديل سوى القبول به.

وضعت كفيها على ذراعيها قائلة برجاء خفيف:

-افهميني بس

أزاحت قبضتها عنها صارخة بعصية:

مش عاوزة أفهم، بقي عاوزة تقنييني إنك عملي ده لمصلحتي، أنا مش  
مصدقة، تحطي ايدك في ايد اللي قتل ابني ودبجني!  
ردت عليها متبرمة من ضيق تفكيرها المحدود:

مجد كان هيضيعك لو معملتش كده، ومازن قصاده ولا حاجة، مش هاقدر  
يقوله حتى لأ، اتني مش عارفاه كويس زيي!  
احتدت نظرات ولاء، وهتفت مهددة بلا وعي:  
حقي اللي ضاع منهم هارجعه!

حذرتها والدتها قائلة بجدية:

متتهوريش، وسبيني أفكرلك، وصدقيني هاتكسبي من اللي حصل!  
امتعض وجه ولاء للغاية، فحديث أمها ماهو إلا كالمح الذي يوضع على الجرح  
الملتهب ليزيد من ألمه، فصرخت بجنون:  
كل حاجة عندك بالفوس وليها تمن، عينيك ما بتعرفش تحسب غير هأخذ من  
ده كام، وده هيدفعلي أد ايه!  
اختنق صوتها أكثر وهي تضيف:

وأنا احساسني كام ضاع للأبد، بس اتني قبضتي تمنه ومش مهم أنا عاملة ازاي  
ولا حالي ايه، وابني نفسه بتاجري بيه عشان الفوس اللي هاتدخل جييك!

نظرت لها شادية بجمود، ثم ردت عليها:

-أنا مش هحاسبك على الكلام ده دلوقتي، اتتي مضايقة ومش في وعيك!

بكرة تعرفي إن غرضي هو مصلحتك اتتي وبس

لم تصغ إلى كلمة واحدة مما قالته، بس بكت محدثة نفسها بقهر وهي تنظر لها  
بأعين مغلولة:

حرام عليكي! اتتي خليتني زيك مش بأفكر في حاجة إلا بتمنها، لحد ما

خسرت كل حاجة، وأولها أنا، وبقيت ولا حاجة.. ايوه، ولا حاجة!

.....

تعذر عليه الحصول على شاحن لإعادة شحن هاتفه الذي فقدت بطاريته كامل

طاقتها، فأصبح مجرد قطعة معدنية لا فائدة منها، استغرقه إنهاء الإجراءات

القانونية الخاصة بالشحنة الجديدة بالميناء وقتاً أكثر من المتوقع، وعلى مضض

كبير تحمل هذا التأخير لينتهي منه تمامًا، وما إن اطمأن من عدم الحاجة إلى

وجوده حتى تحرك مبتعدًا ليعود إلى سيارته، ولكن استوقفه أحد معارفه هاتفًا

بترحاب ودود:

منذر حرب!

استدار منذر برأسه ليرى ذلك الذي يناديه باسمه، فتابع الرجل قائلاً بحماس

عجيب:



عاش من شافك يا راجل

دقق النظر في وجه الرجل، وعرفه تَوًّا، إنه أحد رفاقه القدامى منذ دراسته  
بكلية التجارة.

دنا منه أحمد محتضناً إياه ومتسائلاً باهتمام:

-إيه يا راجل انت شكلك ناسيني؟

ابتسم مجاملاً وهو يرد بهدوء واثق:

-لأ ازاي، أحمد يسري! هو انت تتنسي!

كركر أحمد ضاحكاً بمرح وهو يتابع:

حبيبي يا منذر، قولي بقالك كتير مجاتش بورسعيد؟

أجابه الأخير بهدوء:

-لأ بأجي، من وقت للتاني، بس انت عارف مشاغلي

ربت أحمد على كتفه قائلاً:

-الله يكون في العون!

حافظ رفيقه على ابتسامته الواسعة وهو يكمل بألفة:

بجد فرحان إني قابلتك النهاردة، فكرتني والله بأيام زمان!

رد عليه منذر مبتسماً ابتساماً باهتة:

-الله يخليك يا أحمد!

أضاف أحمد قائلاً بجدية وهو يشير بيده:  
 قولي، ناقصك حاجة أخدمك فيها، أنا قديم هنا في الشغل وليا لي وضعي!  
 رفع منذر حاجيه للأعلى مبدئياً إعجابه وهو يرد:  
 طب كويس!

أكد رفيقه على رغبته في تقديم أي عون له هاتفاً بمرح:  
 مش هزار والله، تعالى الأول أعزمك على أكلة بوري إنما إيه مش هاتدوق  
 زيه في الجمهورية بحالها  
 رد عليه منذر مقتضباً في حديثه:

-يدوم يا رب، بس أنا مستعجل شوية  
 بالطبع كان عقله مشغولاً بما يمكن أن يكون قد حدث أثناء غيابه.  
 أصر رفيقه القديم على دعوته مردداً:  
 هو أنا لحقت أشوفك، ده احنا عاوزين نرغي شويتين تلاتة ونسترجع  
 الذكريات إياها!

ضغط منذر على شفثيه هاتفاً:

وقت تاني معلش

تجمدت تعابير وجه أحمد قائلاً بتفهم:

شككك مستعجل

رد عليه منذر بنبرة جادة تحمل الإزعاج:

-يعني حاجة زي كده، وبعدين موبايلى فاصل ومش معايا شاحن، و....

قاطعاه أحمد قائلاً بحماس مريب:

دي حاجة بسيطة، أنا معايا واصلة بأشحنها بيها من اللاب بتاعي، هاتوه  
أشحنهولك شوية!

تخرج منذر منه، فرد معتذراً:

مافيش داعي، أنا كده بتعبك معايا

استنكر رفضه لعرضه قائلاً بعبوس:

تعب ايه بس، دي حاجة بسيطة، مسافة ما نشرب الشاي كده يكون  
شحن حبة!

ابتسم منذر ممتناً:

تسلم يا أحمد، طول عمرك أبو الكرم والنوق

الله يكرمك يا منذر!

ثم سار الاثنان سوياً في الرواق الواسع متجهين نحو أحد المكاتب الإدارية،  
رأها منذر فرصة مناسبة لإعادة شحن بطارية هاتفه، فربما لن يتمكن من  
الحصول على شاحن مناسب في الوقت الحالي.

تابع أحمد حديثه المهتم متسائلاً:

قولي بس أخبارك ايه؟ اتجوزت وبقى عندك عيال ولا لسه؟

رد عليه منذر بجمود:

-اتجوزت، بس مرااتي ماتت!

عاب رفيقه نفسه قليلاً لتسرعه في ذلك السؤال، فاعتذر قائلاً بندم ملحوظ:

-لا حول ولا قوة إلا بالله، أنا أسف يا صاحبي، معنديش خبر والله!

رد عليه منذر مقتضباً:

-ولا يهمك!

تابع قائلاً بنبرة مواسية:

-البقاء لله، ربنا يعوضك خير

يا رب

تساءل أحمد بجزر:

كان عندك ولاد منها؟

انزعج مندر من ثرثته المزعجة، وأجابه بامتعاض:

-لأ! ربنا ماذنش!

تنحج أحمد بخشونة مرددًا بتفاؤل:

-كله خير من ربنا، إنت لسه في عزك، ولو عاوز عروسة من هنا أجييلك  
ألف! أشر انت بس وأنا هاقوم بالواجب كله معاك!

التفت مندر ناحيته لبيتسم مجاملًا وهو يرد:

-أدها يا بوحميد

.....

على الجانب الآخر، تمكن مهدي وابنه الأصغر مازن والمحامي التابع للعائلة من  
الالتقاء بمجد، وبالطبع لم يخفَ عليهم حجم المشكلة العويصة التي وقع بها هو،  
بدا مازن في حالة قلق مستمر، وظهر هذا جليًا على ملامحه. فهو لم يسلم بعد  
من تبعات مصائبه مع زوجته وأنها ليجد أخيه الأكبر في مصيبة أخطر.

رمقه مجد بنظرات متفرسة مستنكرة ضعفه الغير مبرر، فهو على عكسه غير  
مكترث بما تؤول إليه الأمور، المهم دومًا ألا يكون لقمة سائغة.

صاح قائلاً بقوة موجهًا حديثه له:

-افرد ضهرك، مالك محني زي النسوان كده ياله!

رد عليه مازن بتوتر:

خايف عليك يا مجد!

تقوس فمه للجانب قائلاً بسخرية:

-أ متخافش، أنا واخذ على كده، السجن للرجالة!

ضاقت نظرات والده نحوه، فابنه لا يتوقف عن حشر نفسه في بوتقة

الكوارث، وهتف بنزق معنفاً إياه بجدة:

-ارتحت دلوقتي، كان لازم يعني تشبك معاهم، إيش حال مكوتنش مفهمك

وموعيك عن المصالح اللي بينا!

رد عليه مجد بقسوة شرسة مُطلقاً سباب لاذع:

عاوزني أسكت لشويه العيال ال.....، أسديهم يعملوا رجالة عليا، ده أنا

طلعت ..... أبوهم!

نهره أباه قائلاً بضجر كبير:

حطب اسكت خالص خلينا تفكر هانحلها ازاي!

تحولت نظرات مجد للقتامة، وتابع بعدم مبالاة:

يا أبا جمد قلبك، احنا أدهم وأدود...!!!

مال المحامي على رأس مهدي ليهمس له بجدية:

عاوزك في كلمتين يا حاج!

تحرك معه مبتعدًا عن ابنه البكري حتى لا يفسد الحوار بينهما بحماقاته المتهورة.

هتف متسائلًا بقلق:

خير يا سي الأستاذ؟

أجابه المحامي بنبرة عقلانية:

من رأيي انكم تتصلحوا، وضع الأستاذ مجد حرج!

اتسعت حدقته بتوتر أكبر، فهو إلى حد ما محققًا في رأيه.

أكمل المحامي حديثه المهم مرددًا:

من أقوال الشهود والي عرفته إنه هو اللي بدأ الخناقة، ولو ده إتأخذ ضده،  
ويكل النيابة هيحبسه على طول، وخصوصًا إنه لسه خارج قريب، يعني ممكن  
يعتبروه مثير للشغب، وآ.....

تسارعت دقات قلب مهدي عقب تلك الجملة المنذرة بالخطر، وهتف محتجًا:

-لأ يتحبس ايه، اتصرف يا أستاذ وامنع ده!

تابع المحامي موضحًا بهدوء رزين:

-أنا مش عاوز أوجع دماغك بوضعه القانوني يا حاج مهدي، بس خلاصة

كلامي اتراضوا هنا قبل ما المحضر يوصل للنياية!

أوما الأخير برأسه متفهّمًا وهو يرد بنبرة غامضة:

طيب! أنا هاتصرف!

أعاد تشغيل هاتفه بعد برهة حينما تأكد من وجود ما يكفي لعمل البطارية،  
فتفاجيء بكم الرسائل المتتالية الواردة إليه، والتي تبلغه بورود عشرات  
الاتصالات في فترات زمنية متعاقبة، خفق قلبه بخوف، وجاهد ليبدو وجهه  
خاليًا من أي تعابير مقلقة.

ودع رفيقه متحججًا بضيق الوقت، ثم أسرع بترك المكتب متفقدًا على عجلة  
تلك الرسائل المتتالية، عرف هوية المتصلين، وتيقن أن هناك خطب ما،  
فكلها تخص رجاله وعائلته.

هاتف أولاً أبيه مترقبًا رده بقلق ظاهر على تعابير وجهه.

رد عليه الأخير قائلاً بتوبيخ شديد:

انت فين يا مندر من بدري؟

حافظ على ثبات نبرته وهو يتساءل بترقب:

خير يا حاج في ايه؟

هتف والده بعصبية:

في مصيبة حصلت، الكلب النجس مجد وقع مع أخوك دياب، واتضاربوا

وكلهم دلوقتي محجوزين في القسم!



اشتدت قسامت وجه مندر تشنجًا عقب عبارته الموجزة والتي أثارت بداخله  
كأ هائلًا من الغضب.

تمت بصعوبة من بين شفثيه محاولاً امتصاص انفعاله:

بالراحة كده يا حاج عليا، وفاهمني بالتفصيل ايه اللي حصل...

لم يستطع تبين تفاصيل ما حدث من أيه، فأغلب حديثه كان مقتضبًا أو غير  
مشبع لفضوله الذي يقتله، أصبح تفكيره منصبًا على شخص واحد، هو فقط  
من يرغب بمعرفة ما الذي فعله، وخاصة إن كان للأمر علاقة بها.

هاتف أحد رجاله ليفهم منه طبيعة الأمر، صدق حدسه، وتحققت مخاوفه، لا  
إرادياً تحولت نظرات عينيه للقتامة والإظلام، وتشنجت تعابير وجهه للغاية  
حينما سمع من رجله:

احنا عملنا زي ما أمرتنا يا ريس، وحمينا الست قريبة الحاجة عواطف،  
صاحبة الدكان!

تمت عفويًا من بين شفثيه بصوت هامس لكنه يعكس الكثير عن نيرانه  
المتأججة بداخله:

أسيف!

لقد حدث ما كان يخشاه، وتعهد ذلك الدنيء التحرش بها بشراسة، فتحول  
الأمر مجددًا لمسألة عدائية معه، هتف مندر بصياح مهدد:

ابن ال..... ده مش سايبه!

رد عليه الرجل بجديّة:

-اطمن يا ريس مندر، احنا قومنا معاه بالواجب، وسي دياب علم عليه هو  
كمان و....

وقبل أن يواصل حديثه أجبره مندر على الصمت مرددًا بقوة مقلقة:

-أنا راجع في السكة، سلام!

كز على أسنانه بعنف ليهدر من بين أسنانه وهو يضرب بعصية على مقود  
سيارته:

-انت جبت الناهية معايا!

أدار محرك السيارة، وضغطت على دواسة البنزين لينطلق عائداً غير مكترث  
بتخطيه لحدود السرعة القانونية المسموح بها على طرق

السفر.....!!!

.....

## الفصل السابع والأربعون:

استغل فرصة تواجده بمفرده في أحد الأركان بالمخفر ليتحدث إليه بعيداً عن  
أعين المراقبين لهما علم يقنعه بفعل الصالح للجميع، ولكن على عكس ما توقعه،  
بدا أكثر هجوماً وهو يردد بعصبية:

مكاش ده اتفاقنا يا مهدي!

رد عليه بتجهم واضح محاولاً تبرير الموقف:

العيال مش فارق معاهم، بس احنا غيرهم!

رفع طه سبابته في وجهه صائحًا بغلظة:

-متقوليش عيال، ولادي رجالة من ضرر راجل! الدور والباقي على ابنك اللي  
عاوزها نار!

ثم ضاقت نظراته لتصبح أكثر حدة وهو يضيف بشراسة:

-وانت عارف كويس اللي يمسننا بنمحيه من على ضرر الأرض!  
كان مصيبًا في قوله، فدومًا أي شجار عنيف تكن عائلة حرب طرفًا فيه ينتهي  
لصالحهم مهما كانت النتائج والخسائر.

ورغم هذا حاول أن يسيطر عليه، فأردف قائلاً بجذر:

-عارف يا طه، بس عاوزين نلم الموضوع قبل ما يكبر، الأذية عليا وعليك،  
وابني وابنك في الموضوع، وهايتهجبسوا لو ماتصرفناش واتصالحنا!

نظر له شزرًا وهو يعقب:

-انتو اللي جيتو علينا، فاستحمل بقى عمايل ابنك السوداء!

وضع مهدي يده على ذراعه ضاغطًا عليه بمرح:

-حقك عليا يا سيدي!

هتف فيه طه بجدة غير مكترث لاعتذاره النادم:

-يعني بعد التكاليف اللي دفعناها في التوضيب، ده حتى مايرضيش ربنا إن  
المحلات....

قاطعه مهدي قائلاً بجديّة:

خسارتك عليا كلها يا سيدي، وشوف ايه اللي يرضيك وهاعمله، بس نلم  
الليلة!

نظر له مطولاً، ولم يعطه أي رد صريح.

بقي الأخير على أعصابه مترقباً قراره النهائي، فوضع ابنه إلى حد ما حرج، ولا  
يبشر بخير، حبس أنفاسه، وظل محدقاً به محاولة تخمين ردة فعله، وحينما  
طال صمته قرر الاستعانة بمحاميه عله يفعل ما عجز عنه ويقنعه بتقبل تلك  
الترضية الاضطرارية.

استطرد المحامي حديثه هاتقاً بجديّة:

-أنا رأيي يا حاج طه نتراضى أحسن، النيابة ممكن تجبسهم ويتجدد الحبس  
كمان، وكيل النيابة مش سهل!

فكر طه في جملة الأخيرة جيداً، فربما يكون محقاً.

تابع المحامي حديثه بصيغة مطمئنة:

لكن لو حلينا الموضوع هنا، فجايبنا في القسم كثير، وهيخدمونا، وهيضطبطوا  
المحاضر وكل حاجة، وهتخلص من غير قلق!

رد عليه طه بعبوس محاولاً كسب المزيد من الوقت:

هاخذ برأي ولادي الأول!

استشعر مهدي رغبته في القبول بالمصالحة، فهتف محفزاً إياه:

انت الكبير يا طه! وكلمتك محدش هيكسرها من ولادك، وافق الله يكرمك!  
أضاف المحامي قائلاً بتأكيد على أهمية فض النزاع قبل تطوره:  
فكر في مصلحة الكل!

اتحد الاثنان سوياً من أجل إقناعه، فاضطر على مفض الموافقة عليه، وتمم  
بتذمر:

ماشى، بس مش هايعدي من غير حساب

تنفس مهدى الصعداء لقراره، وهتف بلا تفكير:

-اللي تؤمر بيه، بس فضونا من المحاضر دي، وخلونا نخرج ولادنا من هنا!  
بامتعاض كبير ردد طه بوجهه المتجهم:

طيب، شوف المطلوب يا حضرت الأفوكاتو واعمله!

هز المحامي رأسه بالإيجاب قائلاً:

حاضر

.....

رمقه بنظرات نارية متوعده بالانتقام الشرس من عائلته، وإلحاق الأذى بهم  
وهو يوقع بيده على محضر التصالح بينهما، قبل مجد فقط بذلك الادعاء الزائف  
ليتمكن من الخروج من هنا حتى يتسنى له التصرف بحرية، ظلت أنظار والده

مهدي مسلطة عليه، هو يعلم نواياه العنيفة جيدًا، ولن يترك الأمر يمر دون استرداد حقه، فليست تلك المرة الأولى، لذا عليه أن يردعه قبل أن يضعه في موقف متخاذل آخر.

لم يختلف حال دياب كثيرًا، فقد كانت عيناه المحترقتين مركزة فقط على غريمه مازن، هو يقف مختبئًا خلف أخيه، لكن النظرات لم تتفارق، فكلاهما يتشاركان في الأمر نفسه، ورغم مضي السنوات إلا أنه لم ينس كيف سيقته قدماه إلى فخه الأعمى وتزوج بولاء لتصبح بعد ذلك هي زوجته.

هتف مهدي بحماس ليخرج الجميع من حالة الصمت المشحون بالغضب العارم: مبروك علينا الصلح، وما محبة إلا بعد عداوة!

وكأنه لم يضيف شيئًا بجديته الماسخ السخيف سوى زيادة جرعة البغض بين كل الأطراف.

رد عليه طه بتأفف:

-يا أكش اللي غلط يتعلم ويعرف هو واقف قصاد مين

سلط مجد أنظاره النارية عليه ليقول بغموض مهدد:

-وماله، هانعمل حسابنا المرة الجاية إنها تكون الأخيرة! عشان محدش تقومله قومة بعدها!

وقبل أن يفتح دياب فمه ليرد بشيء أحق قد يقلب الأمور رأسًا على عقب،  
وضع أباه يده على صدره ليمنعه عن الحديث قسرًا، امتثل رغمًا عنه لحركة أبيه  
الصامتة، وضافت نظراته المشتعلة إليه.

رد طه عليه قائلاً باستهزاء متعمد:

ده إن مكوتنش اتسجنت قبلها، أصل اللي زيك يا مجد مخه على أده، وغبائه  
ممكن يخليه يرجع لنومة البرش تاني!

انزعج الضابط المسئول مما يحدث بين الطرفين من مشاحنات لفظية منذرة  
باندلاع اشتباك آخر، فهتف بصرامة:

جری يا جماعة، ده احنا لسه بنقول عفا الله عما سلف، خلاص يا حاج  
طه، مافيش داعي للكلام ده، وإنت يا مجد نخف الدور شوية، انتو هنا في  
قسم!

أضاف مهدي مدعمًا إياه وهو يشير بيده:

عندك حق، الكل يتوكل على الله!

زاد ضيق نظرات مجد لتصبح أكثر خطورة عن ذي قبل، وهتف من بين  
أسنانه بصوت هامس للغاية:

لسه بينا كتير يا ولاد حرب!



بعد عدة دقائق كان الضابط قد أتم كل شيء ليتم إخلاء سبيل الجميع، ورغم ذلك فالكل متوجس خيفة من هذا الهدوء السلمي الزائف، لأنه بالطبع لن يدوم طويلاً.

.....

أبعدت عنها الصينية بعد أن وضعت بها صحن حساءها الفارغ مبتسمة لها بعاطفة واضحة. شعرت بالارتياح لعودتها إلى هدوئها وتوقفها عن البكاء.

لملت البقايا عن الملاءة، وتساءلت باهتمام أمومي:

ها يا بنتي بقيتي أحسن؟

حركت رأسها بالإيجاب قائلة بخفوت وهي تجفف فمها بالمنشفة الصغيرة:

الحمد لله

نهضت عواطف عن الفراش متابعة حديثها بتنهيدة مطولة:

-يستاهل الحمد على كل حال، ربنا ما يعودها تاني، أنا قلبي وقع في رجلي لما

لاقيت الدنيا قايمة نار!

لم تعقب عليها أسيف، واكتفت برسم ابتسامة باهتة على محياها. يكفيها ما

مرت به لتستعيده في ذاكرتها، فتحاشت قدر الإمكان الحديث عنه.

تفهمت عمها موقفها، ولم تضغط عليها.

انحنت لتمسك بالصينية، ورددت مبتسمة:

-المهم إنها خلصت على خير!

انتبهت كلتاهما لصوت دقات خافتة على باب الغرفة الموارب، فاتجهت أنظارهما إليه.

أطلت بسمة برأسها قائلة بجرح قليل:

-مممكن أدخل!

تعجبت عواطف من رؤية ابنتها على عتبة الغرفة، لكنها توسمت خيراً فيها أن تكون قد جاءت للاطمئنان على ابنة خالها، لذا هتفت بتلهف:

تعالى يا بسمة!

شعرت الأخيرة بالحرج لوجودها رغم أنه أمر طبيعي، فهي غرفتها بالنهاية.

أشارت بيدها موضحة بنبرة مرتبكة نسيياً:

-كنت عاوزة أجيب حاجة من دولابى

ردت عليها أسيف بابتسامة مهدبة:

-تفضلى .. دي أوضتك

أضافت عواطف قائلة وهي ترفع الصينية للأعلى:

حبيب هاودي أنا الصينية دي في المطبخ ورجعالك!

ساد صمت متوتر بين الاثنتين، وترددت كلماتها فيمن ستتولى الاسترسال في الحوار لكسر ذلك الحاجز الوهمي بينهما، اتجهت بسمة إلى خزانة ملابسها مباشرة متحاشية النظر في وجه أسيف، وعبث بمحتويات الضلفة بعد أن فتحتها.

راقبتها أسيف بهدوء، ولم تحاول جبرها على التحدث، ظلت تفرك أصابع كفيها بارتباك مترددة فيما ستقفوه به.

كان وضع بسمة مشابه لها، نوعًا ما هي تشعر بالإشفاق على حالها.

أرادت أن تطمئن عليها، لكن خشيت من تجربة ذلك.

حسنت أمرها بالأخيرة هاتفة بتردد وهي توليها ظهرها:

-أنا.. سمعت باللي حصلك من ماما، و.... وكنت....

ردت عليها أسيف بخفوت هاديء مانعة إياها من الشعور بالحرج:

-أنا بخير!

هزت بسمة رأسها بتفهم وهي تغلق الضلفة قائلة بإيجاز:

-ماشي!

أمسكت بقطعة من ثيابها ظلت تطويها بدون تركيز وهي تسير عائدة نحو

باب الغرفة.

وقبل أن تلج للخارج أوقفها صوت أسيف وهي تهتف باسمها:  
-بسة!

التفتت الأخيرة برأسها نحوها لتنظر لها بجمود مرددة باقتضاب:  
-نعم

رسمت أسيف ابتسامة ممتنة على ثغرها، ثم هتفت برقة:

-شكراً على سؤالك، حقيقي ده فرق معايا أوي!

اضطربت بسة من جملتها الأخيرة، وتلعثت وهي ترد:

-أها.. اوكي

تجسست عواطف عليها محاولة استشفاف طبيعة الحديث بينهما.

أخرجت تهيدة عميقة من صدرها قائلة برجاء وهي ترفع بصرها للأعلى:

يا رب تخن قلب بناتي عليها!

ثم أسرع في خطاها عائدة للمطبخ قبل أن تلمحها ابنتها الصغرى.

.....

أوشك على العودة، ولكن قبل أن يصل إلى وجهته أتاه اتصالاً جاداً من أبيه  
قلب حاله رأساً على عقب، تحولت طباعه للشراسة، ونظراته للاحتقان حينما

أبلغه والده بالتصالح بين الطرفين، ربما هو لم يعلم بطبيعة المشاجرة، لكن  
أغازه بشدة ذلك التصرف.

صاح بنبرة غاضبة حتى بات صوته الهادر ملفتًا للأنظار:

إزاي يا حاج؟ انت بتقول ايه؟ إزاي تعملوا كده؟!!!!

رد عليه طه بجذر:

هافهمك بعدين، تعالى بس على البيت يا منذر

واصل منذر صراخه المتشجج قائلاً بعتاب عنيف:

ليه عملت كده! انت اديته فرصة ي.....

قاطع طه قائلاً بنبرة هادئة:

مش وقته، احنا مستنينك، وهافهمك كل حاجة لما ترجع الأول! ركز انت

بس في السواعة!

لم يستطع الرد عليه، وبما سيجيبه وهو أنهى كل شيء..

هو صدمه للغاية بفعلته تلك مما زاد من لهيب نيران صدره المشتعلة.

المسألة ليست مجرد مشاجرة عابرة تم بعدها إرضاء الطرفين والتسوية بينهما،

بل هو متأكد أنها لن تدوم مطولاً وستنتهي بما لا يُحمد عقباه.

أنهى المكالمة معه مردداً ألفاظ نابية لاعتنا بها غريمه الحقير،

لم يتمكن من ضبط انفعالاته الهائجة، فصاح بنبرة عدوانية:

مش هارحك يا مجد! مش هارحك!

.....

كان الوضع هادئًا بمنزلهن فيما عدا صوت التلفاز الصااح به، ورغم نظراتها المحدقة به، إلا أن عقلها كان شاردًا في شيء آخر، هي تخطط لأمر خطيرة ترفض حتى البوح بها لنفسها، أخرجها من تفكيرها المخيف صوت قرع الجرس، فنهضت بتثاقل من مكانها متوجهة نحوه.

أدارت نيرمين المقبض لتفتحه فتفاجأت بجلمها يتجسد فعليًا نصب عينيها، تهللت أساريرها بعفوية، ورمشت بجفنيها هاتفة بحماس مريب:  
سي مندر، يا أهلا وسهلا، نورتنا وآ.....

قاطعها متسائلاً بجمود قاسي:

فين بنت خالك؟

عبس وجهها سريعًا من سؤاله المباغت، وردت بنبرة مصدومة:

-نعم!

هتف فيها متسائلاً بنفاذ صبر وقد بدا كمن يقف على حمم متقدة:

-بأقولك فين أسيف؟

زادت صدمتها الموجهة حينما سمعته يلفظ من بين شفثيه اسمها، فبات كأنه  
نصل حاد يخترق جلدها بقوة، فعادة هو يستخدم الألقاب العائلية حينما  
يتحدث مع النساء، واليوم هو يخرق كل القواعد ويردد اسمها هكذا دون  
أكتراث.

تمتت غير مصدقة اندفاعه:

هاه.. أسيف!

سمعت عواطف صوتًا ذكوريًا يأتي من الخارج، فسحبت حجاب رأسها  
ووضعتة حولها، ثم اتجهت للصالة لترى الضيف المتواجد بمنزلهن.  
رأته يقف على عتبه بلامح قاسية، فابتلعت ريقها مرددة بابتسامة باهتة:

-اتفضل يا سي مندر-

ولج إلى الداخل متلفتًا حوله بنظرات شمولية، ومتسائلًا دون تريث:  
-ايه اللي حصل؟ وأسيف فين؟

رفعت كفها للأعلى لتشير نحو غرفة بسمة وهي تجيبه بتوجس:

جوا في الأوضة، اطمن، احنا بخير!

رد عليها بإصرار صارم ومريب وقد ضاقت نظراته للغاية:

عاوز أشوفها، ودلوقتي!

كتمت نيرمين شهقتها المدهوشة بصعوبة بالغة، لكنها لم تمنع يدها من اللطم على صدرها.

ازدردت عواطف ريقها قائلة بتوتر بادٍ على ملامحها كلياً:

طيب يا ابني، اتفضل في أوضة المسافرين وه....

قاطعها مجدداً هاتفاً بنفاذ صبر:

ناديلها بس بسرعة!

حركت رأسها بعدة إيماءات متتالية وهي تقول:

على طول، اتفضل

بقيت نيرمين متمسرة في مكانها مصدومة مما حدث، هو قد جاء للسؤال عنها ليؤكد احساسها أنها باتت شاغله الأكبر.

استشاطت غضباً، وتحول وجهها لكتلة ملتهبة من الدماء الغاضبة.

.....

جلست على طرف الفراش واضعة يدها على كتفها لتزهها برفق وهي تقول بصوت خفيض:

أسيف، اصحي يا بنتي، سي مندر عاوز يشوفك

كانت الأخيرة قد غفت من أثر الإرهاق والتعب، فلم تفق بسهولة.



عاودت عواطف تكرار جملتها متعمدة هزها بصورة أكبر لتستعيد هي وعيها:

-بأقولك سي منذر موجود برا، وعاوز يشوفك!

عقدت أسيف ما بين حاجبها باستغراب، وبدت تائهة نسيًا وهي تردد:

-يشوفني

حركت عمتها رأسها قائلة:

-ايوه يا بنتي!

أغمضت أسيف جفنيها هاتفة بفتور:

-اعتذريه، أنا تعبانة!

لم تتقبل عواطف رفضها المبرر، فهي تخشى من ردة فعله إن سمع برفضها

لمقابلته، لذا توسلتها قائلة برجاء ملحوظ:

-معلش يا بنتي، هو شكله جاي يطمئن عليك!

زفرت أسيف بامتعاض كبير، فتابعت عمتها قائلة عليها تقنعها بالنهوض ومقابلته:

قومي الله يهديكي، وريه وشك وارجي نامي تاني!

أصرت أسيف على اعتراضها مرددة:

يا عمتي أنا.....

وضعت عواطف يدها على وجتها ماسحة إياها برفق وهي تقول برجاء:

عشان خاطري، الراجل جاي لحد عندك يطمن عليكي، قوميله، هما ه ٥  
دقايق وبس!

استسلمت أسيف لإلحاح عمته المتواصل مرددة بإيجاز:  
طيب

نهضت ببطء عن الفراش، وعاوتتها عمته في إزاحة الغطاء، ثم أسرعت نحو  
باب الغرفة لتعطيها إحدى العباءات المعلقة بظهره، تناولتها منها، وارتدتها على  
عجالة، ثم لفت حجابها حول رأسها.

.....

لم تكن به أي رغبة للجلوس أو الاسترخاء، أو حتى تلقي واجب الضيافة.  
فقد جاء إلى هنا من أجل غرض معين يعد الأهم بالنسبة له بعد الإطمئنان  
عليها، ألا وهو منعها من التواجد بالدكان.

طرقت على الباب أولاً قبل أن تتنحج بخفوت هامسة:

السلام عليكم

التفت برأسه نحوها فور سماعه لصوتها، لم يستطع منع نفسه من النظر إلى  
وجهها ليتأكد من خلوه من أي خدوش أو جروح، تخرجت من نظراته  
المتفرسة بها، لكن سريعاً ما ارتسمت على تعابير وجهها علامات الاندهاش  
والصدمة حينما رآته يندفع مباشرة في اتجاهها ليضع قبضتيه على ذراعيها  
متسائلاً بتلهف وهو يضغط عليها:

انتي كويسة؟ مجد ال..... عمك ايه؟ لمسك؟ أذاكي؟  
توترت من لمساته الخشنة عليها، وهزت رأسها نافية وهي تجيبه بارتباك:  
-... لأ

حركت ذراعها محاولة انتزاع نفسها من قبضتيه، لكنه كان متشبثًا أكثر بها  
رافضًا أي رغبة لها من التملص منه.  
صاح بها بصوت منفعل:  
قولي الحقيقية يا أسيف!

وقفت نيرمين على عتبة باب الغرفة تراقبها بأعين نارية، كادت تفقد السيطرة  
على نفسها بسبب ما تراه يحدث على مرآى ومسمع منها، ما جعل نيرانها تأكلها  
هو ترديده لاسمها مجردًا من أي ألقاب.

شبكت ساعديها معًا، وضغطت على شفيتها بقوة هامسة لنفسها بنبرة مغلولة:  
بردك يقول اسمها اللي تشك في لسانها!

تابع منذر حديثه المزعوج هاتقًا بعصبية عدائية:

لو لمس منك شعرة عرفيني، أنا هاخذ حقاك وهاجيبه....

استجمعت أسيف كل قوتها لتتحرر منه، ونجحت في هذا.

ثم قاطعته قائلة بهدوء زائف وهي تتراجع للخلف:

حصل خير، دي.. دي غلطي من الأول!

فرك منذ وجهه بضيق، ثم نظر مباشرة لها قائلاً بصرامة شديدة وهو يشير بسبابته إليها:

-اسمعي كويس، نزولك الدكان تاني مش هايكون في مصلحتك الأيام الجاية، مجد مش بيسيب تاره و....

لم تنتبه هي لباقي حديثه، فقد أثار غضبها بتقريره لمصيرها قبل أن يأخذ رأيها ناهيك عن ذكر مسألة الدكان، تلك الشوكة التي تقف في طريقه.

صاحت معترضة بشراسة وهي تنظر له شزرًا:

-الدكان! بقى الموضوع كده، اطمن يا أستاذ مندر، أنا أقدر أدافع عن نفسي كويس، ودكاني مش هاسيبه، ومحدش هايمنعني أروحه

أغاضه عدم إدراكها لحجم الخطر الموضوعه به، فهدر بتشنج مستنكرًا تفكيرها الضيق:

شوفي أنا بأقول ايه، واتي بتفكري في ايه؟!!

جمدت هي من تعابير وجهها، وأشارت بكفها نحو الباب قائلة بوقاحة متعمدة إنهااء الحوار معه:

شكرًا على الزيارة، شرفت!

شهقت نيرمين مدهوشة من طرفها له، وحلت تشابك ساعديها هاتفة لنفسها  
بجنق كبير:

يا بنت المجنونة! آآخ لو يسيدوني بس عليها! هادفنها تحت سابع أرض، معلش  
ليكي يومك معايا، وخلص قرب!

جاهد منذر ليضبط أعصابه قدر المستطاع معها رغم فظاظتها، فهي لا تزال  
ساذجة لا تعي أبدًا مخاطر ما زجت بنفسها به، دنا منها ليقف قبالتها محدجا  
إياها بنظرات مخيفة،

توترت من اقترابه المهدد لها، وحافظت على ثباتها الزائف أمامها.

احنى منذر رأسه عليها ليصبح أكثر قربًا، فاستشعرت قوة تهديده الحاسم حينما  
هتف بصرامة نافذة غير قابلة للنقاش مُطلقًا:

ماشى يا بنت رياض، افتكري اتى اختارتي تعاندي، بس أنا في الآخر اللي  
هاقرر.....!!!

.....

## الفصل الثامن والأربعون:

كانت كمن تقف على جمر ملتهب من النيران وهي تراها توبخه بوقاحة لا  
متناهية متناسية ما فعله من أجلها، ودت لو اقتربت منها، وطوقت عنقها  
بكفيها فتطبق على روحها كعقاب على تناولها عليه، كورت نيرمين قبضة  
يدها، وكزت على أسنانها متممة بنبرة مغلولة:

حتة بتاعة زيك لا راحت ولا جت تعمل فيه كده!

طالت النظرات المتحدية بين كليهما حتى قطعهم منذر بانصرافه من أمامها،  
تجمدت في مكانها واقفة، لكن تحركت رأسها عفويًا معه لتراه وهو يخرج من  
الغرفة ووجهه يعكس حالته الغاضبة.

لم تكن لتدع الفرصة تفوتها دون أن تضع بصمتها الخاصة، لذا اقتربت نيرمين  
منه معترضة طريقه هاتفة باستنكار:

قولتك يا سي منذر انها ناكرة الجميل، معندهاش عزيز!

نظر لها شزرًا ولم يعقب على جملتها المزعجة. فهو لم يكن بحاجة للحديث مع  
تلك السمجة.

تفاجأت عواطف بوجوده بالخارج، فهتفت متسائلة باندهاش:

ما لسه بدري يا سي مندر، ده أنا علقت على القهوه، وخلص....  
 قاطعها قائلاً بغلظة قاسية وقد برزت حمرة عينها بوضوح:  
 عقلي بنت أخوكي يا ست عواطف!  
 عقدت ما بين حاجبيها باستغراب مرددة بعدم فهم:  
 -أعقلها؟ هي عملت ايه؟ دي جاتك الوكالة تعتذرلك عن حكاية السرقة  
 وانت مكوتش موجود و....  
 قوس فمه للجانب هاتفاً بتهكم صارخ:  
 -ماهو واضح! اعتذرها وصلني!  
 التفت برأسه ناحية أسيف ليرمقها بنظرات أخيرة أشد قسوة قبل أن يتحرك  
 في اتجاه باب المنزل.  
 حاولت عواطف اللحاق به هاتفة بتعجب:  
 -استنى بس يا سي مندر!  
 صفق الباب خلفه بقوة لتتهتز أركان البيت من عنفه.  
 انطلقت نيرمين في اتجاه أسيف صارخة بهياج في وجهها:  
 -اتي ايه؟  
 تراجعت الأخيرة للخلف متحاشية اندفاعها الأهوج، لكنها تفاجأت بها تنهال  
 عليها بهجوم ساخط:

فعلاً بجحة ومعنديش دم ولا ذوق، الظاهر أهلك معروفش يربوكي، ازاي  
 تتكلمي معاه كده؟ هو شغال عندك، الظاهر نسيتي نفسك!!  
 اصطبغ وجه أسيف بتلك الحمرة الغاضبة بعد سماعها لإساءتها المهينة  
 لشخصها، وردت عليها بصراخ وهي تهدد بسبابتها:  
 مالكيش دعوة بيا، واحفظي لسانك وانتي بتكلميني!  
 صاحت فيهما عواطف بنبرة عالية:

في ايه انتو الاتنين؟ ما تفهموني اللي حصل!  
 استدارت نيرمين ناحية أمها، ولوحت بذراعها في الهواء وهي تجيبها بنبرة  
 محتقنة راقمة ابنة خالها بنظرات احتقارية:  
 حته الزبالة دي طردت سي منذر من هنا!

شهقت أسيف مرددة باستنكار تام وهي تشير لنفسها:  
 أنا زبالة!

هزت نيرمين رأسها بإيماءة صريحة وهي ترد بغل:  
 ايوه، و.....

قاطعتها والدتها صارخة فيها بجدة مانعة إياها من مواصلة الشتائم الغير لائقة:  
 بس، ماتفتحيش بؤك!



صمت نيرمين مجبرة، وكنت ساعديها أمام صدرها، لكنها لم تتوقف عن هز جسدها كليًا بعصية.

وجهت عواطف حديثها إلى ابنة أخيها متسائلة بعتاب:  
ليه كده يا بنتي؟

ضغطت أسيف على شفيتها بقوة، ونظرت لها مطولاً دون أن تجيبها، ملت نيرمين من انتظار أي تبرير منها، وأرخت ساعديها هاتفة بغضب:  
- انتي لسه هتسألها، ده بدل ما ترزعيها جوز أقلام يفوقها! ولا ت.....

اغتاظت أسيف من أسلوبها الهمجي في التناول عليها، فصاحت مهددة هي الأخرى:

- والله ما حد عاوز يضرب إلا انتي!

استشاطت نظرات نيرمين، وغليت الدماء في عروقها، ولم تعد قادرة على تمالك أعصابها أكثر من هذا، فتحفزت للانقضاض عليها قائلة بجموح عدواني خطير:

- كمان بتربي عليا، أما عديمة الترية وال...

رفعت عواطف ذراعها أمام صدر ابنتها لتحول دون وصولها إليها قائلة بامتعاض جلي:

جرى ايه يا نيرمين، احترمي وقفتي شوية!

ردت عليها الأخيرة بحدة قاسية:

مش لما تحترم ضيوفنا الأول! حقه يولع فيها ويدفنها مطرح ماهي واقفة!  
ثم رمقت أسيف بنظرات دونية مسيئة للغاية، وتمتمت من بين أسنانها  
بسباب لاذع:

حاجة.....، اتفوو على دي قرابة!

صدمت عواطف من رد ابنتها الفج، ولم يختلف ذهول أسيف عنها..  
راقبتها الاثنتان وهي تنصرف من أمامها في اتجاه غرفتها، فقطعت عواطف  
تحديقها بها قائلة بعتاب:

-عملي كده ليه يا أسيف؟ ده أنا مصدقت إن المياه رجعت لمجارها ثاني معاه!  
عجزت عن الرد عليها، فهي لا تستطيع تفسير تصرفاتها المندفعة معه، فدوماً  
تكون متخبطة في قراراتها حينما تكون على المحك، وتتسرع في حكمها دون  
تريث عندما تجد نفسها في خانة اليك، أطرقت رأسها حياءً منها، وأسرعت  
بالركض لتختفي من أمامها دون أن تريحها بأي عبارات.

ضربت عواطف كفاً بالأخر محدثة نفسها بضجر:

-لا حول ولا قوة إلا بالله! ماينلحش نهدى أبداً، لازم يجي اللي يقيدها نار!

.....

هي مخلصتش أصلاً، دي ابتدت يا أبا!  
هدر بتلك العبارة مجد بصوته المتحشرج وهو يضرب بقبضته بعنف على  
سطح المكتب، نظر له مهدي بجدة قائلاً بتحذير:  
-ارحمني من مصايك يا مجد!  
لوى ثغره للجانب متابعا بغموض مريب:  
هو أنا عملت حاجة لسه! اصبر عليا شوية!  
حذره مهدي مجدداً بتوجس أكبر:  
-بلاش يا بني!  
هز رأسه محتجاً وهو يقول بشراسة مخيفة:  
-وعزة جلال الله لهخليها والعة ما تطفى في سنتها!  
ثم هب واقفاً من مكانه دافعاً مقعده بعصبية للخلف، فوقف والده هو الآخر  
قائلاً باعتراض:  
لو عملت كده مش هاعرف ألمها زي كل مرة، كفاية أوي اللي حصل زمان،  
احنا دفناه وكفيننا على الخبر مجور، مش هانعيده تاني، خاف على شبابك اللي  
ضاع في السجن.

ضاعت نظراته حتى تحولت للإظلام التام، ثم همس من بين أسنانه بنبرة  
تجفل الأبدان:

-كل ليلة نمتها هناك هادف تمنها للكلب ده، هايمنى الموت ومش هايطوله، بس  
قبلها هاخذ منه كل حاجة!

رد عليه أباه بنفاذ صبر:

-انت فعلاً صعب التفاهم معاك!

التفت مجد ناحية والده، وحده بنظرات غير مريحة، ثم هتف بقسوة جامحة:  
-وأنا مش بتاع تفاهم!

لم يتوقف عقله عن التفكير للحظة في كيفية رد الصاع صاعين لعائلة حرب  
خاصة عدوه منذر، وإذاقته كافة ألوان العذاب قبل أن يقتلع قلبه من موضعه.

.....

تحرك بعصبية مفرطة في أرجاء الصلاة معنفاً باستنكار محبج موافقة والده على  
التصالح معه، راقبته والدته بنظرات مزعوجة لكنها لم تتدخل في الحوار، ففي  
النهاية ما يخص أمور العمل هو شأن ذكور العائلة فقط.

هو لم يكذب يفيق من تصرفات تلك الريفية الطائشة حتى يزيد أبيه من الطينة  
بلة بحديثه عن جدية التنازل، الجميع ينظر للأمر من منظور محدود الأفق، لا

يعرفون أبعاد ترك شخصية عنيفة وبربرية كمجد ليصبح حرًا طليقًا فيفعل ما  
يجلو له دون ترقب أي حساب.

ضغط منذر على أصابع كفيه بعنف مكورًا يده ليضرب بها الحائط متسائلًا  
بسخط:

طب فهمني، بردك اتنازلتوا ليه؟ موقفنا كان أقوى و.....

قاطع طه قائلاً بهدوء زرين:

أنا ببص لقدام يا منذر!

احتدت نظراته هاتقًا بشراسة:

مع ابن ال..... ده؟ انت ناسي يا حاج عمل ايه زمان؟ ده بلاويه كلها معروفة  
للكل!

هز أباه رأسه بإيماءة بسيطة وهو يرد باقتضاب:

معلش!

صاح الأخير مستنكرًا:

هاتفدني بايه معلش دي؟ قولي يا حاج طه؟!!!!

رفعت جليلة كف يدها للأعلى قائلة بعبوس وهي تشير به:

يا ابني اهدى، بالراحة شوية، الحمدلله إنها عدت على خير، والجماعة قالوا  
ها يصلحوا اللي كسروه و....

أشار لها طه برأسه هاتقًا بصرامة:

-اسكتي اتتي يا جلييلة، وقومي شوفي وراكي ايه!

نظرت له بعتاب وهي ترد:

-بقي كده! ماشي يا حاج!

ضربت بيديها على فخذيها، ثم نهضت بتثاقل من على الأريكة، وتحركت بخطى  
بطيئة تاركة لهما المجال للحديث بحرية، توارت عن أنظارهما لكنها لم تتبعد تمامًا،  
حافظت على مسافة جيدة لتتمكن من سماع ما يقولان بوضوح.

أوما طه بعينه لابنه قائلاً بصلابة أمرة:

-اقعد يا منذر وأنا هافهمك بأفكر في ايه

تجهمت تعابير وجهه للغاية، ورد بنبرة محتقنة:

-خلاص يا حاج، انت عملت اللي عاوزه وقبلت بالترضية، بس متلومش حد  
بعد كده!

عنفه طه قائلاً:

-الأمور ماتدخس قفش، احنا بناخد وندي مع بعض!

ضاقت أعين منذر للغاية، وظل محققًا بوجه أيه بنظرات تحمل اللوم.

هتف فجأة بلا تردد:

-سلامو عليكم، أنا نازل.

نظر له والده بغرابة مستنكرًا انفعاله الزائد:

يا بني اسمع الأول!

وضعت جليلة يدها على صدغها هاتفة لنفسها بتوجس مرعب:

هو العمل إياه اللي عامل في ابني كده ومش مخليه على بعضه!

حل الوجوم على قسمايتها وهي تضيف بنفور:

طلعت البت قادرة وساحرله فعلاً، صدقتي يا نيرمين!

حدقت أمامها في الفراغ قائلة بحسم:

-لازم أشوفله شيخ يفك العمل ده بدل ما ابني يروح مني!

.....

جلس خلف مقود سيارته ممسكًا بهاتفه المحمول باحثًا عن رقم ما، هو فكر

وعقد العزم على فعل ما يراه مناسبًا، حتى وإن كان مزعجًا بالنسبة لها.

وضع منذر الهاتف على أذنه صائحًا بجمود أمر:

-اسمعي كويس!

أناه صوتًا خشنًا على الطرف الآخر يجيبه بامثال:

-أؤمر يا ريس منذر!

تابع قائلاً بثبات جاد:

-تروح لورشة زقزوق، وتخليه يجيب أبلكاش يحاوط كل المحلات، مش عاوز

مخلوق يعرف يعدي!

رد رجه قائلاً بتوضيح:

-بس الدكان اللي في النص هيعاكسنا

رد عليه منذر هاتقًا بصلاية صارمة:

-نقد اللي قولتلك عليه، وخصوصًا مع الدكان ده! تتقل الحتة كلها من حواليه،

مش عاوز خرم ابرة يفوت منها حد! فاهم

-اعتبره حصل يا ريس

تابع مكملاً بلهجة شديدة:

على آخر اليوم تكون خلصانة الحكاية دي، مش هارغي فيها تاني!

ثم أنهى معه المكالمة لافظًا زفيرًا مشحونًا من صدره، حرك عنقه للجانبين

ليخفف من حدة ذلك التوتر المسيطر عليه، وفركه بكفه بمركات متكررة

مزيلاً ذلك التيبس.



حدث نفسه بتحدٍ مغتر:

وريني هاتخشي الدكان ازاي يا بنت رياض!

التوى رغبًا عنه فه للجانب ليظهر شبح ابتسامه باهته عليه.

أدار بعدها محرك السيارة منطلقًا بها في اتجاه الوكالة.

.....

جفا النوم جفنيها وهي تتقلب على الفراش محاولة إجبار عقلها التوقف عن التفكير فيه وفي حماقتها الطائشة معه، أعاد عقلها تذكيرها بما فعلته مرات ومرات ليظهر مدى غيابها في كل مرة، دفنت رأسها بالوسادة، ونفخت مستاءة من نفسها.

هو جاء بقصد الاطمئنان عليها، ودعما، ناهيك عن حمايتها من أي أذى قد يلحق بها، وهي اهتمته كعادتها دون تمهل بطمعه في نيل الدكان منها.

همست لنفسها بإحباط:

تعبت، نفسي أرتاح بقي!

تردد في أذنيها صدى كلماته بأنه صاحب الكلمة الأخيرة في تقرير ما يخصها.

زفرت مجددًا بإنهاك، ورددت متسائلة بحيرة:

-يعني هاتعمل ايه؟ مش هاتقدر تمنعي!

.....

في صباح اليوم التالي،،،

وضع يديه على منتصف خصره مراقبًا بإعجاب تام ما أنجزه الرجال أمام المحال،  
اختفت جميعها خلف تلك الألواح الخشبية الغليظة التي طوقتها بالكامل مانعة  
أي شخص من النفاذ إليها إلا من باب صغير ضيق يكفي لمرور فرد واحد،  
ووضع أمامه عدة رجال ليقوموا بالحراسة بالإضافة للعمال المسؤولين عن  
توضيهم.

كذلك تم تجهيز محل منهم ليصبح مكانًا لإقامة العمال ليلاً ليضمن تأمين الدكان  
وما حوله على مدار اليوم.

سأله الحاج زقزوق الواقف إلى جواره بابتسامة واثقة:

عجبك الشغل يا ريس مندر؟

أجابه بتنهيده ارتياح:

مافيش بعد كده!

الزقزوق يمشي

أضاف الحاج زقزوق مرددًا:

انت بس تؤمر، واحنا نعملك اللي انت عاوزه كله!  
وضع منذر يده على كتفه ليربت عليه هاتفاً بامتنان:  
تسلم يا حاج زقزوق، والحساب هايكون عندك كمان شوية  
هز رأسه بتفهم:

براحتك، الجيب واحد!

طول عمرك ذوق!

ودعه بعدها مصافحاً إياه بود، ثم التفت برأسه ليحدق في المحال بنظرات  
متباهية، فها قد أفسد عليها ما سولت لها نفسها بعنادها الأحق، ونفذ ببراعة  
داهية ما أقره أمامها..

تم من بين شفتيه بتحد:

وريني هاتعرفي تخشي الدكان ازاي؟!  
.....

هرولت في خطواتها متهجة نحو غرفته الموجودة بالطابق الأرضي في أقصى  
الاركان بداخل ذلك المبنى القديم الذي يقع على أطراف المدينة منادية إياه  
بصوت حاد:

يا أستاذ ناصر، انت فين؟

أغلق خزانة أدوات عدته التي يستخدمها في تدريس مادة الصيانة والترميمات  
للطلاب الصغار ليتجه نحو الخارج قائلاً بفتور:

خير يا أبله!

وقفت قبالة مرده بصوت لاهث:

عندك حصة احتياطي في أولى رابع!

عس وجهه قائلاً بانزعاج:

هو ما فيش إلا أنا في أم المدرسة الفقري!

هزت كتفها مبررة:

هانعمل ايه، عندنا عجز، وزى ما انت شايف لما حد بيغيب مش بنلاقي

اللي يغطي مكانه!

نفخ بصوت مسموع وهو يضيف:

-يا أكش بس يحاسبونا على الاحتياطي ده!

ردت عليه المشرفة بسخط:

هو احنا بنعرف ناخد حاجة من الحكومة، ده حتى بدل المنطقة النائية بقالم

أد كده مادهولناش

وضع ناصر يده على طرف ذقنه ليفركها بجدة قائلاً:

-ربنا يا خد هم ويريحنا!

مررت المشرفة أظارها سريعًا على هيئته التي كانت غير مناسبة نوعًا ما،  
فلفتت انتباهه محذرة:

خطب نفسك كده يا أستاذ ناصر

نظر إلى حيث أشارت، وفهم مقصدها، هي كانت محقة في ذلك، فثيابه شبه  
مزرية.

أكدت عليه متابعة بصرامة قليلة:

-بعد ما تخلص اطلع الحصة، ماتنساش، ماشي؟

أشار لها بيده هاتفًا بتجهم:

طيب، هاقفل الأوضة وطالع!

انتظرها حتى انصرفت من أمامه، ثم عاود أدراجه للداخل ليهدم من هيئته  
الغير مرتبة، كان يشعر بثقل في رأسه بسبب ذلك المشروب المُسكر الذي  
تناوله بكميات كبيرة بالأمس خلال ليلته العابثة التي ضاعت هباءً، لم يجد من  
تلبى رغباته الدينية بذلك المبلغ الزهيد الذي كان بجوزته، وبالطبع لم يستطع  
جر رفيقه حاتم معه ليتحمل هو كافة النفقات، فصرف ما بجوزته بالكامل.

تثاءب بصوت خشن، ثم مسح طرف أنفه بإصبعه، رفع حزام بنطاله المتهدل  
للأعلى سائرًا بخطوات متهملة نحو الخارج، هو لم يكن بحاجة لارتداء ثياب  
ملائمة، فالوضع هنا لا يستحق.

لم يكن رواد تلك المدرسة الابتدائية النائية من الطلاب بالعدد الكثيف كبقية المدارس الحكومية، فأغلب من يأتي إليها من الفقراء أو أبناء العمال والمغتربين من المحافظات المختلفة، بالإضافة إلى طبقات ذات ثقافات متدنية للغاية من عامة الشعب، لم يلتزم التلاميذ بالزي المدرسي، فأى شيء متاح لهم ارتدائه.

ولج إلى الفصل متأملًا المتواجدين به بنظرات متأففة ومشمئزة منهم، لكن برقت عيناه فجأة بذلك الوميض الشيطاني حينما وقعت أنظاره على وجهها البريء، كانت رغم فقرها المدقع مختلفة عنهم، ممن يثيرن رغبته بشراة، هي تمتلك بشرة بيضاء، وتعقد شعرها الناعم - الذي يميل لونه للدرجة الكستنائية - جديلتين رفيفتين رغم قصره.

تقوس فمه للجانب لتبرز من خلفه أنيابه الموحشة، هو حدد فريسته التالية، وقرر سريعًا اللهو معها، فحينما يعجز عن الحصول على من تشبع رغبته، يلجأ للطريقة القديمة متوخيًا الحذر فيها كي لا يتم كشف أمره.

هو ينتقي ضحاياه ممن يثرن غرائزه فورًا، ولا يكثر لكون ضحيته صبيًا أو فتاة، فالأهم عنده أن تكون صغيرة في السن كي لا تبوح بما يفعله معها عنوة من أفعال مخجلة لا تعيها عقلها.

جمد تعابير وجهه ليصبح في الصغار بغلظة قوية:

- اترزعوا في مكانكوا، جتكم اهم، عيال.....!

امثل الصغار لأمره، وجلسوا خلف مقاعد الخشبية المتهاكة.

أشار بذراعه لها قائلاً بصوت جاف:

-اتي يا بت، تعالي هنا!

ابتلعت الصغيرة ريقها بخوف، وقفت في مكانها ناظرة له ببراءة وهي تقول:

-ايوه يا أستاذ

رد عليها بصوته المتحشرح بمكر:

-روحي هاتلي من أوضة الصيانة المفك والكامشة

حكّت الصغيرة جبينها بعدم فهم متسائلة:

-حول شكلهم ازاي؟

صاح بها متعمداً إهانتها:

-غبية وزى البهيمه!

ضحك الصغار على سخريته المستهزأة منها، فأدمعت عينها تأثراً، وزاد عبوس وجهها الطفولي.

تابع هو قائلاً بنخبث:

-تعالي معايا هوريكي شكلهم!

هزت رأسها قائلة بصوت حزين:

-ماشى!

ثم أشار لطفل آخر مهدداً بصوته الآجش الأمر:

انت يا واد تعالى اقف هنا وأي حد يفتح بوّه ويتكلم طلعهولي على الحيطه!  
هانخ أمه!

فقد الصغير أمره مبتسماً بتفاخر كبير:

حاضر يا أستاذ

جاهد ناصر ليقتي وجهه متبلداً خالياً من أي تعابير وهو يستدرجها معه إلى  
غرفته، لم تعرف الصغيرة أي خطر ينتظرها هناك، هي تبعته بخطوات بطيئة  
راسمة على ثغرها حزناً كبيراً من إهانتها

أعاد ناصر فتح الباب، ووقف بالخارج قائلاً بجمود مريب:

خشي جوا يا بت، هتلاقي الحاجة على التريضة

أجابته بهدوء:

ماشني

تلفت حوله بنظرات سريعة شمولية ليتأكد من عدم رؤية أحد له، وما إن  
إطمأن من خلو المكان من أغلب الموظفين حتى ولج هو الآخر للداخل  
موصداً الباب خلفه.

سال لعابه الشهواني المريض وهو يستدير ليواجه ضحيته البريئة التي كانت  
تنظر له بغرابة، تجمدت أنظاره على جسدها الضئيل، فاقشعر بدنهما منه، لم



يدرك عقلها البريء ذو التفكير السطحي أنها واقعة في فخه الشيطاني، أسيره  
حصاره المهلك.

سألته بتلثم متخوفة من أن يصب غضبه عليها:  
هما.. هما فين دول يا أستاذ؟

ارتفعت حرارة جسده سريعاً فبدأ في حالة غير طبيعية، كما تجمعت حبات  
العرق بغزارة على أجزاء متفرقة من وجهه، وسيطر على عقله أمر واحد فقط.  
فلم يعد يرى سواه.

تهدجت أنفاسه حتى خرج صوته لاهثاً من صدره وهو يجيئها بنبرة خافتة لكنها  
مخيفة ساحباً سحباً بنطاله للأسفل:

هاقولك، بس تعالي جمبي.....!!!!

.....

## الفصل التاسع والأربعون (الجزء الأول):

شرع في تهيئة نفسه لاستدراجها كما يفعل الليث بفريسته الشاردة قبل أن يغرز أنيابه القاطعة في عنقها، اقتربت منه الصغيرة غير مدركة سبب تصرفاته الغريبة معها، فعقلها الصغير لا يعي ما يفكر فيه ذلك النبيء القدر، فقط تملكها إحساس غريب بالخوف الممزوج بالخزي لمجرد تلمسه لها، رهبة كبيرة زادت من قشعريرتها وهي تشعر بقبضتيه الخشنين تمران على جسدها بطريقة عجيبة منفرة وكأنها تفحصه، فجعلتها تنظر له بهلع مذعور وهي عاجزة كلياً عن تفسير سبب قيامه بتلك الحركات الغير مفهومة معها أو حتى عن منعه من الاستمرار في فعلها.

توقف فجأة عن ممارسته المشينة حينما صدح صوت هاتفه لينتفض بقوة، وتفر الدماء من عروقه، اضطرب جسده، وتوتر كثيراً.

أبعد يده عن الصغيرة التي كانت ترتجف بشدة، ودفعها للخلف. ثم لثم نفسه  
باضطراب ملحوظ.

ابتلع ريقه، وأشار لها بإصبعه أمام وجهها صائحًا بصوت أمر:  
مش عاوز نفس منك!

هزت رأسها بالإيجاب، لكنها لم تستطع السيطرة على رعشة جسدها  
المستمرة، سريعًا ما استعاد ناصر هدوئه، ودس يده في جيبه ليخرج هاتفه  
وينظر إليه، رأى اسم ذلك الشخص الذي ترقب اتصاله بفارغ الصبر فبرقت  
عيناه بوميض آخر متلهف.

هو اعتاد على تخليص بعض المصالح والمهام الشخصية له، من ضمنها التهريب،  
وطلب منه معروفًا قبل فترة عله ينفذه له إن أتاحت الفرصة.

لم يرغب في فضح أمره أو الحديث أمام الطفلة التي قد تصدر صوتًا فتفسد  
كل شيء، فضغط على زر إنهاء المكالمة قبل أن يجيب عليها، ونظر للصغيرة  
بشراسة مرعبة.

صاح بنبرة مهددة وهو يدنو منها:

لو فتحتي بؤك بحرف واحد مش هاتروحي لأمك تاني، وهأكسر عضمك كله  
من كتر الضرب، سامعة!

أومات برأسها بخوف وهي ترد بنبرة مترجفة من بين بكائها الخفيف:

ح..حاضر!

ولكي يضمن صحتها التام أراد أن يذيقها جزءاً من تهديده الشرس لتفهم رسالته بوضوح، لذا قبض على كتفها، وغرز أصابعه الغليظة فيه، فصرخت متألمة من قبضته عليها، ثم سحبها معه ناحية طاولة العدة الموضوعة في زاوية الغرفة، لم يكن للصغيرة أي مقاومة تذكر على الإطلاق، فقط تضع يدها على قبضته محاولة نزعها عنها.

أمسك ناصر بعصاه الخشبية، فشخصت أبصارها مذعورة، رفعها للأعلى وهوى بها على ذراعها ليضربها بعنف شرس، فصرخت باكية، لم يعبأ بصراخها، فكرر الفعلة بضرها على ساقها، ثم على ظهرها وعجزتها ليؤلمها بحدة فبكت بشدة متأثرة بأوجاعها.

هددها بصوت مخيف:

فكري بس تتكلمي!

صرخت متوسلة رحمته من بين بكائها الحارق:

-والله ما هاعمل كده يا أستاذ!

هزها بعنف وهو يرفعها عن الأرضية من كتفها موأصلاً تهديده:

هاشوف، وهتلاقيني فوق دماغك لو بس شमित خبر إنك....

قاطعته قائلة بصراخ باكي:

حاضر والله، حاضر مش هاعمل غلط!

أرخی قبضته عنها دافعًا إياها بقوة للخلف، فسقطت مرتطمة بظهرها على الأرضية من أثر قوة الدفعة.

ركلها بقدمه في ساقها هاتقًا من بين أسنانه:

قومي ارجعي فصلك يا بت!

نهضت باكية من مكان رقدتها، ثم زحفت على ركبتيها ناحية الباب.

لم تتمكن من فتحه لأنه كان موصودًا، فسار ناحيتها، خبأت الطفلة وجهها خلف قبضتها الضئيلتين متحاشية بطشه عليها.

قام بفتحه، وتنحى للجانب لتجري سريعًا من أمامه.

أنقذها القدر من مصير مؤسف، وذكرى بشعة لن تُمحي من ذاكرتها بسهولة رغم ذلك الأثر السيء الذي تركه عليها.

مسحت عبراتها المنمهرة بغزارة من على وجهها بأناملها المرتعشة وهي تهرول عائدة إلى فصلها.

أعاد غلق الباب بهدوء بعد أن رآها تبتعد ليتمكن من الاتصال بذلك الشخص الهام.

هتف بحماس عجيب يتنافى تمامًا مع خسته الوضيعة:

سلامو عليكم، ازيك يا باشا، أنا مصدقتش نفسي ان سيادتك بتتصل بيا!

أتاه صوته الهاديء قائلاً بجديّة:

لأ صدق، وعاوزك تظمن أمر ثقلك للمدرسة الجديدة هيصدر خلال  
ساعات!

تهللت أساريه أكثر وهو يرد بعدم تصديق:  
بجد يا باشا؟

رد عليه الشخص بصوته الجاد:

هو أنا بأهزر في الحاجات دي، رجالي دايماً أحب أريحهم، وزى ما  
بيخدموني، أنا برضوه بأشوف طلباتهم!  
شكره ناصر قائلاً:

-كتر خيرك يا باشا، إنت اطلب اللي عاوزه ورقبتي هاتكون سداة  
تابع الشخص حديثه مضيئاً بغموض:  
قريب هحتاجك في مصلحة كده، بس عاوزك تشوفلي حد ثقة ويكون  
مضمون!

هتف دون تردد:

عندي يا باشا، واحد حبيبي وأنتي، وقديم في الشغلانة كمان!  
سمع صوته يقول باقتضاب:  
حلو، بعدين نتكلم في التفاصيل!

رد عليه ممتثلاً وهو يوميء برأسه:

-اللي تؤمر بيه!

-هاكلمك ثاني، مع السلامة

هتف مودعاً بامتنان كبير:

-ألف سلامة يا باشا! في انتظار سيادتك!

أنهى المكالمة معه ملوحاً بقبضته بجماس زائد في الهواء.

تهد بارتياح ماسحاً بكفه على صدره فقد تحقق مبتغاه، وسينقل إلى مدرسة أخرى بالمدينة بعيداً عن تلك النائبة الفقيرة.

التوى فمه بابتسامة صفراء عريضة، وهتف محدثاً نفسه بسعادة:

-وأخيراً هاسيب أم المكان ال.....ده، وأروح مدرسة أنصف!

.....

حصلت على رقم أحد الأشخاص ( المبروكين ) كما تظن من إحدى جاراتها لتستعين به في حل كارثة الحجاب المشؤوم، وفكرت في الذهاب إليه بصحبة نيرمين كي تكون شاهدة معها على الأمر. فهي تخاف أن تتواجد هناك بمفردها، قطع تفكيرها المتعمق صوت قرع الجرس، فأسرعت نحو الباب لتفتحه. فرأت بسمة واقفة على العتبة مبتسمة لها بخفوت، فبادلتها نفس الابتسامة وهي تفتحه على مصرعيه سائحة لها بالولوج للداخل.

استطردت بسمة حديثها قائلة بهدوء:

صباح الخير

انحنت عليها جليلة لتقبلها من وجنتها بطيبتها المعهودة معها مرددة:

صباح النور يا بنتي اتفضلي!

تنحنت بسمة بجرح قائلة بتوضيح:

أنا جيت بدري عشان أدي الدرس ليحيي زي ما كلمتك

ردت عليها جليلة بود وهي تشير بيدها:

تنوري يا بسمة في أي وقت، وأنا صحيته وهو مستنيكي في أوضته

هزت رأسها بتفهم وهي تضيف بنبرة موجزة:

تمام!

اتفضلي!

ثم سارت بصحبتها نحو غرفة الصغير يحيي لتستذكر معه دروسه.

.....

انتهت من ارتداء إحدى ثيابها الداكنة، وضبطت وضعية حجابها حول رأسها،

ثم وضعت في حقيبة يدها جزءًا مما ستحتاج إليه من النقود.



اعتدلت أسيف في وقفها، وأغلقت أزرار كميا، ثم جذبت ثوبها للأسفل،  
وسحبت حذائها وارتنه.

نظرت إلى انعكاس صورتها بالمرآة.

مازالت تلك اللمحة الحزينة تكسو وجهها الذابل، تحسست وجنتيها بأناملها،  
وتهدت قائلة:

دول مش هايستحملوا بهدلة الأيام الجاية، محتاجة أجيب غيرهم

هي بحاجة لشراء ثيابٍ أخرى ملائمة لحزنها على فقدان الأعراء، فلم يكن  
بجوزتها إلا اثنين فقط، ولن تعتمد عليهما إن كانت ستخرج يوميًا للعمل،  
وضعت تلك المسألة في اعتبارها، لكن الآن ستنفذ الأهم من وجهة نظرها،  
تجسد طيفه في مخيلتها بنظراته الثاقبة التي تهابها في بعض الأحيان..  
نفضت صورته عن عقلها رافعة أنفها للأعلى في إباء.

ازدردت ريقها مشجعة نفسها على عدم الخوف والثبات على موقفها:

ما فيش حد هايمعني عن دكان أبويا!

هو لن يثنيها عما تريد، ستشرع في توضيب دكانها العتيق، وإزالة ما به من  
أخشاب متهاكة لتفكر بعدها في مشروع ما تستثمر باقي أموالها فيه.

خرجت بعدها من الغرفة متجهة نحو الصلاة حيث تجلس بها عمته على  
الأريكة، اقتربت منها بخطواتها المتهملة مدققة النظر فيها، رأتها منهمكة في  
تقشير ثمار البطاطس.

رفعت عواطف أنظارها نحوها متسائلة بغرابة:

-انتي نازلة في حنة يا بنتي؟

حركت رأسها بالإيجاب وهي تجيبها:

-أيوه، هاعدي على ورشة النجارة وبعدها هاروح الدكان!

استثارت عبارتها الأخيرة حفيظتها، فعقدت جبينها متابعة تساؤلاتها بعبوس:

-الدكان؟ ليه يا بنتي تاني؟

ردت عليها أسيف بجمود:

-عمتي من فضلك موضوع الدكان ده يخصني لوحدي، أنا صاحبة القرار الأخير فيه!

هتفت عواطف مبررة رفضها لذهابها إليه:

محدث قالك حاجة، بس مش وقته، إتي شايقة اللي حصلك عنده، ده غير  
البهدة والإزاز المتكسر وآ...

قاطعتها مرددة بإصرار أكبر:

هي حاجة مش مقصودة، وأكيد الدنيا أهدي دلوقتي!

أزعج عمها استهانتها بالأمر، فمشاجرات عنيفة كتلك لا تنتهي بين ليلة  
وضحاها.

لذلك ردت عليها محاولة إقناعها بالعكس:

لا حول ولا قوة إلا بالله، الدكان ده جايلنا المشاكل ووجع القلب، استني يا  
بنتي يومين كده ولا حاجة، وابقى انزلي لما الدنيا تهدي خالص!  
أصرت على رأيها قائلة بعناد:

ماينفعش، ده غير أصلاً في حاجات بأفكر أعملها فيه، فلازم أشوفها على  
الطبيعة

ضغطت عواطف على شفيتها هاتفة برجاء خفيف:

طب استني أخلص الأكل وألبس وأجي معاك!

جلست أسيف إلى جوارها على الأريكة، ثم وضعت يدها على حجرها،  
ونظرت لها مطولاً بنظرات حانية.

رسمت على شفيتها ابتسامة خفيفة وهي تقول بهدوء رقيق:

يا عمتي، ما فيش داعي تتعبي نفسك، أنا مش هاتوه، هما كام ساعة وهارجع!  
أخفضت عواطف رأسها قائلة باستياء:

مش عارفة أقولك ايه، اتني راكبة راسك ومش عاوزة تسمعي لحد خالص!  
حافظت أسيف على ابتسامتها الودودة وهي تضيف:

من فضلك يا عمتي سييني على راحتني، وأوعدك مش هتأخر

يئست عواطف من إقناعها، فرددت مستسلمة بجدية:

طيب طمني عليكي كل شوية، اتي معاكي رقي صح؟

هزت رأسها بإيماءة ظاهرة:

-ايوه

ثم مالت برأسها عليه لتطبع قبلة صغيرة على وجتها قبل أن تهض من جوارها.

تحركت عدة خطوات للأمام ولكنها تذكرت شيئاً ما، فالتفتت برأسها متسائلة بجدية:

-بالحق يا عمتي ما فيش محل فساتين من هنا قريب؟

قطبت عواطف جبينها مرددة باستغراب قليل:

فساتين!

أوضحت أسيف غرضها أكثر بترديد:

قصدي يعني بيع حاجات واسعة كده زي العبايات بس غوامق، محتاجة  
أشتري كام واحد!

تهدل كتفي عواطف للأسفل وهي تجهيها بفتور:

-لا يا بنتي ما فيش هنا!

اكتفت أسيف بالابتسام مجاملة وهي تضغط على شفيتها، لكن استعادت

انتباهها نحو عمها حينما واصلت حديثها بتلهف غريب:

أه، افتكرت في محل ثابت بتاع القماش قريب مننا، ممكن أعدي عليه وأخليه  
يجيبك قماش بالألوان اللي اتتي عاوزاها، ونوديا عند ترزي جنبه يفصلهاك  
زي ما تحبي، والله دي ايديه مالهاش حل في القص والتفصيل!

بدت مسألة التفصيل وما يخصها جيدة نوعًا ما، لذلك ردت عليها قائلة برقة:

طيب.. هافكر في الحكاية دي يا عمتي!

ابتسمت لها عواطف محذرة بجنو أمومي غريزي بها:

ماشى يا بنتي، خلي بالك من نفسك، وكلميني!

أومات برأسها قائلة:

حاضر، سلامو عليكم

أخرجت عواطف تهيدة شبه مرهقة من صدرها وهي ترد:

-وعليكم السلام ورحمة الله!

تابعها بأنظارها حتى خرجت من المنزل، فتمت بتضرع للمولى:

-ربنا يحفظك ويكفيكي شر المستخبي يا بنت الغالي!

تلكت نيرمين في خطواتها المتباطئة نحو والدتها، كان الوجوم كعادته هو

المسيطر على حال وجهها.

دست في فمها لقمة من الخبز لتسائل بتأفف وهي تلوكها:

-بتري مع البت دي في ايه على الصبح كده؟

نظرت لها عواطف شزرا، ثم أشاحت بأعينها بعيدا عنها وهي تجيبها بفتور بارد:

-كلامنا العادي!

جلست نيرمين على الأريكة مثنية ساقها أسفل الأخرى، ثم استرخت أكثر بتمديد ذراعها على حافتها.

تساءلت بنفس النبرة المزعوجة وهي تلوي ثغرها للجانب:

-وهي المحروسة رايحة فين كده؟

لم تنظر لها والدتها وهي تجيبها بإيجاز:

-الدكان!

كاد حلقها يخنق بالطعام حينما سمعت تلك الكلمة المثيرة لأعصابها، فسعلت عدة مرات حتى استعادت السيطرة على حالها.

تشنجت تعابير وجهها وهي تصرخ بجدة:

بردك يا ماما سيبتيا تنزل وتروح الزفت ده!

رمقتها عواطف بنظرة غير مبالية بطرف عينها مرددة باستسلام:

-هاعملها ايه!

أغاظها ردها، فهدرت بعصبية وهي تلوح بكلا ذراعها:

تجيبها من شعرها، تقطمي رقبتها، المهم تمنعها مش كفاية عملتها السوداء بتاعة  
امبارح

لم تكثر لها عواطف، ورددت برود هاديء لتستفزها أكثر:  
هي حرة نفسها!

صاحت نيرمين معنفة تراخي أمها معها بانفعال كبير:

ده لما تبقى متنيلة على عينها أداة لوحدها مش متهبة وسطنا بتاكل وتشرب  
من حاجاتنا ببلاش كأنها أته محلولة!

تصلب وجه عواطف، واستدارت في اتجاه ابنتها لتصرخ بها بجدة:  
نيرمين!

تابعت الأخيرة تهكمها القاسي قائلة:

هو أنا قولت حاجة غلط! مش دي الحقيقية، وهي زي البروتة واكله شاربة  
نايمة ببلاش!

عجزت عن منع ابنتها من مواصلة طريقتها الفجة في الحديث عن ابنة خالها،  
ظلت تحدجها بنظرات معاتبة، هي سليطة اللسان بحق، ودومًا لا تستطيع  
صدها، لذلك ردت بامتعاض وهي تعاود النظر في وعاء ثمار البطاطس  
المقشرة:

قفلي على السيرة دي خالص، هو دكانها وتصطفل فيه مع شريكها!

ربما لم تكن عواطف متعمدة استثارة أعصاب ابنتها وإغضابها عن قصد  
بانتقاءها لكلماتها تلك، لكن نظرة واحدة إلى وجه نيرمين كفيلا برؤية تأثيرها  
عليها.

همست لنفسها باحتقان شديد:

-شراكة القرف كله، إلهي تتحرق قبل ما تخطيه برجليها!

أكملت تعنيفها مرددة بسخط:

حطب اعلمي خاطر لسى منذر اللي شال مننا بعد اللي عملته، ده احتمال كبير  
يكون قلب علينا و..

زفرت عواطف قائلة بنفاذ صبر بعد استيائها من حديثها بالسوء عنها:

-يووو يا نيرمين، قومي شوفي بنتك ولا إلبخي نفسك في أي حاجة بعيد عن  
السعادي خليني أخلص طبيخ!

ردت عليها بتهكم وقد استشاطت نظراتها:

دلوقتي بقيت كُخة!

انحنت عواطف للأسفل لتجمع البقايا المتناثرة حولها، ثم هتفت قائلة بتبرم:

تموتي في الرغي وتضيع الوقت، وأنا عاوزة الحق أخلص عشان أنزل أروح  
لثابت بتاع القماش



سألتها نيرمين بعبوس جلي:

ليه كان؟

ابتسمت عواطف وهي تجيبها بحماس:

هاوصيه على كام توب قماش لبنت خالك كده عشان تفصلهم عبايات!

اغتاظت نيرمين من سجيبتها التي تستفزها، فهتفت بوقاحة:

-وطبعًا هتكوعي فلوسهم من جيبيك!

نهضت والدتها من جوارها قائلة باستنكار:

-لا ياختي! اطمني! أنا بس هاوصيه على القماش، يا ريت بقي تتبطي!

كزت نيرمين على أسنانها بغيظ وهي تردد بصوت خفيض:

عقبال ما نوصيه على كفتها قريب!

ابتعدت عواطف عن الصلاة، لكن بقيت ابنتها على حالتها المتشنجة تلك، لم

تهدأ ثورة انفعالاتها، ولم ترتخي تعابيرها المشدودة.

استمرت في وعيدها لأسيف قائلة بنبرة عدوانية صريحة:

طيب.. طيب يا بنت ال.....، ساعتك وحبّيت معايا وهتخلص النهاردة!

.....

انفرت شفاتها بذهول عجيب، واتسعت حدقتها بصدمة كبيرة حينما رأت  
ذلك الحاجز الخشبي المحاوط لدكانها القديم وما حوله، انقبض قلبها بقوة،  
ورمشت بعينها غير مصدقة ما تراه.

مررت أسيف أنظارها بتفرس عليه محاولة فهم كيف حدث هذا الأمر بتلك  
السرعة الرهيبة، فبالأمس القريب كان الوضع فوضوياً للغاية. واليوم كأن شيئاً  
لم يكن، تجمعت قسماً وجهها، وسارت بخطى غاضبة نحو ما يشبه الباب  
الجانبى لكي تمر خلاله.

تفاجأت بهؤلاء الرجال الأشداء الذين يسدون، فتراجعت بحذر للخلف  
متسائلة بضجر:

-انتو قافلين الحتة دي كده ليه؟

انتبهوا إليها، وحدقوا بها مستغربين مجيئها.

تعجبت من نظراتهم المشدوهة لها، لكن سريعاً ما حركت أنظارها إلى وجه  
ذلك الرجل الذي أجابها بجدية شديدة:

-أوامر الرئيس مندر!

كتمت غيظها بداخلها، لكن صفحة وجهها المصطبغ بالحمرة المحترقة مرآة حالها،  
هو نفذ تهديده بطريقة أخرى.

احتدت نبرتها وهي تقول:

حطب عاوزة أعدي لو سمحتم، ده دكاني!

أضاف آخر قائلاً بجفاء:

-أها.. مش هاينفع!

نظرت إليه مرددة بحنق:

-نعم!

أوضح لها قائلاً ببرود وهو يشير بيده:

-الريس منذر منبه محدش يقرب من المربع ده كله!

صاحت فيه بعصبية قليلة وهي تشير بيدها:

-الكلام ده مايشيش عليا، أنا هادخل دكاني، فوسع لو سمحت

وقبل أن ينطق الرجل مرة أخرى، أردف زميله قائلاً بهدوء جاد:

-استنى انت!

كتفت أسيف ساعديها أمام صدرها، ونظرت بأعين مشتعلة للرجل الآخر

الذي تابع حديثه بجدية:

-بصي يا ست، نصيحة مني اتكلمي مع الريس منذر قبّله، لأن ولا واحد من

الرجالة دول هايخلوا حتى الدبان الأزرق يهوب من هنا!

ارتخى ساعديها لا إرادياً للأسفل، وضغطت على أصابع كفها مكورة إياهم معاً،

ثم ردت بصوت متشنج:

-بقي كده، ماشي!

تشبثت بذراع حقيبتها مانعة نفسها من التهور دون داع، واستدارت بجسدها  
للخلف لتسير نحو وجهة محددة.. نحو وكالته.....!!!

.....

## الفصل التاسع والأربعون (الجزء الثاني):

أسندت الصينية التي كانت تحملها على الطاولة بغرفة حفيدها الوحيد، ثم  
اعتدلت في وقفها لتنظر لها بتمعن شديد، دار في بالها أمر ما نحوها، فقط  
تحتاج لتهيئة وترتيب الظروف ليتحقق مرادها.

تداركت شرودها السريع قائلة بترحاب ودود:

-تفضلي الشاي!

رفعت بسمه وجهها نحوها لتنظر إليها مرددة بامتنان:

-شكراً، مالوش لازمة واللخ، أنا فطرت والحمدلله

ردت عليها جليلة بود أكبر وهي تشير بيدها:

هو أنا عملت حاجة، ده بس عشان زورك! ده اتني بتتبعي معاهم!

اكتفت بالابتسام لها، لكن تحركت نظراتها نحو يجي الجالس إلى جوارها حينما

هتف متسائلاً بحماس طفولي:

مس بسمة كده صح؟

دققت النظر في الورقة التي أجب عن أسئلتها البسيطة، ثم وضعت يدها على فروة رأسه عابثة بخصلات شعره وهي تقول:

اه يا يحيى برافو عليك!

رد عليها الصغير بسعادة غامرة:

-بيس!

تابعت بسمة قائلة بلطف وهي تشير إلى نقطة ما بالورقة:

حل دي كمان!

هز يحيى رأسه موافقاً وهو يقول:

طيب!

أضافت جليلة بصوتها الجاد وهي تشير إلى طعامه الموضوع على مقربة منه:

يا ريت تخلص أكلك كمان!

وافقتها بسمة الرأي، فهتفت مؤكدة عليه بضرورة تناول طعامه:

-اسمع الكلام يا يحيى!

تهددت جليلة هاتفة بامتعاض:

قوليله يا بنتي، والله مدوخي وراه في الأكل لما شكله بقى عدمان  
عبست بسمة بوجهها عبوس زائف، وعاتبته برقة:  
ليه بس كده يا يحيى؟ انت المفروض تأكل عشان تكبر وتبقى قوي!  
رد عليها الصغير ببراءة:

ما أنا بأكل

ابتسمت له، ثم وضعت يدها على طرف ذقنه، وهمست له قائلة بنعومة:  
طيب خلص البسكوتة دي كمان عشان تينة تتبسط منك  
هز رأسه قائلاً:

ماشى!

تهللت أسارير جليلة لاستجابة حفيدها لأوامر معلمته وانصياعه لها دون  
مجهود يذكر، وربما سيندمج الاثنان سريعاً إن حدث ما تتمناه في المستقبل.  
أفاقت من تفكيرها المتحمس قائلة:

لو عوزتي حاجة نادي عليا، معلىش البت أروى في المدرسة مانفعلش تغيب،  
و.....

قاطعتها بسمة قائلة بهدوء:

ما أنا عارفة، هابقي اجيبها وقت تاني، أنا قولت أستغل فرصة اني أجازة  
النهاردة وأجي أعوض ليحيى اللي فاته

شكرتها جليلة قائلة بامتنان:

فيكي الخير يا بنتي!

ثم أولتها ظهرها وتحركت في اتجاه باب الغرفة.

طراً ببالتها أمر قد تناسته تماماً، ألا وهو إعطاءها أجرتها نظير مجيئها طوال  
الفترة الماضية، لذلك التفتت برأسها متسائلة بجدية:

-صحيح النهاردة الحصة الكام؟

تنحنحت بسمة بجرح وهي تجيبها بنجل قليل:

-أحم.. دي الأخيرة في الشهر!

ابتسمت لها جليلة مرددة:

طيب يا بنتي، اشربي الشاي قبل ما يبرد

-اوكي!

تركتها بعدها جليلة لتواصل تدريسها للصغير، وأغلقت باب الغرفة عليهما.

وقفت للحظة ملتصقة به تحدث نفسها بضجر:

-نسيت خالص أقول دياب يسبلي فلوس الدرس، كويس انه هنا!

التفتت برأسها أولاً ناحية غرفته، ثم خطت نحوها بخطوات متعجلة..

فتحت باب الغرفة بعد أن دقته مرة واحدة وهي تقول بتلهف:

دياب، يا دياب!

كان مشغولاً بتعديل هيئته أمام المرأة بعد أن ارتدى ثيابه ليكتمل استعداداه للخروج.

نظر نحوها متعجباً تلهفها الغريب، وسألها مستفهماً:

-ايوه يامه في ايه؟

ردت عليه بتساؤل غامض:

-باقولك معاك فلوس فكة؟

عقد ما بين حاجبيه مدهوشاً:

ليه في حاجة؟

أخفضت نبرة صوتها وهي تجيبه بجدية:

-النهاردة آخر حصة في الشهر لدرس ابنك يحيى، والمفروض أحاسب بسمه وهي برا!

تنبت حواسه كلياً لعبارتها الأخيرة، وارتفع حاجبه للأعلى مردداً باهتمام:

-ايه ده هي برا؟

ردت عليه بالحاح:

-اه، بس عاوزين نديلها الفلوس النهاردة، مايصحش!



جمد تعابير وجهه، وعاود التحديق لنفسه في المرأة قائلاً بفتور متعمد وهو يرتب من ياقته:

حبيب أنا هاطلع أديوملها بنفسي!

زمت جليلة شفيتها قائلة بتوجس خفيف:

-بلاش لأحسن تتحرج منك، اديوملي أنا و....

لم ينتبه لباقي حديثها الممل، وهتف هامساً محاولاً إخفاء ابتسامته:

هي دي بتكسف!

صاحت به بجديّة:

ها يا بني؟

رد عليها بجمود ثابت:

ثواني بس يامه، هاكمل لبس وأجيلك اللي اتتي عاوزاه!

ضغطت على شفيتها قائلة على مضض:

حبيب، بس أوام!

استدارت عائدة من حيث أتت، بينما بقي دياب في مكانه يدندن بصافرة

خافتة وهو يمشط شعره للخلف.

لمعت عيناه ببريق خفي، لكن لم يستطع إنكار تهمسه الرهيب لرؤيتها.

.....

بوجهها المتصلب، ونظراتها المشتعلة سارت بخطوات متعجلة نحو وكالته حتى وصلت إليها، أخذت نفسًا عميقًا حبسته في صدرها لثوانٍ قبل أن تطلقه دفعة واحدة لتضبط انفعالاتها، أرادت أن تكون هادئة معه في جدالها القادم رغم أن الأمر بالنسبة لها شبه مستحيل.

ولجت للداخل متسائلة بصوت شبه متشنج وهي تجوب بأنظارها المكان:  
فين الأستاذ منذر؟

أجابها أحد العمال بهدوء وهو يشير برأسه:

-وراي!

تفاجأت من رده الغير متوقع، وانفجرت شفيتها مصدومة نوعًا ما..

ابتلعت ريقها، واستدارت بجسدها كليًا للخلف لتواجهه.

أوماً منذر بعينه للعامل بالانصراف، فنفذ الأخير أمره الصامت تواء.

سلط أنظاره عليها، وظل محددًا بها دون أن تطرف عيناه لثانية، بدا واثقًا من نفسه وهو يتأملها بصلابته العجيبة، كان متأكدًا أنها عرجت بالدكان، ومُنعت من الدخول بالرغم من عدم محادثة أي أحد له حتى الآن. وصدق تخمينه حينما أخرجته من حالته المغترّة صائحة بنرفزة:

-انت ازاي تمنعني أدخل دكاني؟

هز كتفيه قائلاً ببرود:

عادي! اتى ناسية إني شريك فيه!

صاحت فيه بنبرة مرتفعة وهي تلوح بذراعها:

ده مش يدريك الحق تتصرف كده!

نظر لها من طرف عينه، ثم دس قبضتي في جيبي بنطاله، وتحرك بخطى ثابتة

في اتجاه مكتبه قائلاً بغطرسة:

-والله أنا حر في ملكي!

تابعته بأعينها المشتعلة من طريقته، وهدرت فيه بغضب:

دكاني مش بتاعك لوحك، أنا نصيبي أكبر منك!

أخرج كفيه من جيبيه رافعاً كليهما أمام وجهها قائلاً بلهجة قوية:

حلو.. يعني في حاجة متفقين عليها، إنا شركا فيه!

واصلت صياحها العالي هاتفة بالحاح:

-أنا عاوزة أدخل دكاني

تحرك صوبها حتى وقف قبالتها، ثم أجابها بثقة باردة:

-وأنا مش ممانع، بس بشروطي أنا!

اتسعت مقلتاها بغیظ وهي تردد بعصبية:

-كمان، بتتشرط عليا!

تعمد أن يتمط بذراعيه أمامها ليبرز قوته الجسمانية، ثم أولاها ظهره ليتجه نحو مكتبه معلقًا عليها بجمود:

طلبتها منك ودي، وإتي مرضيتيش، وعاندتي معايا، فاستحملي بقي!

اغتاظت أكثر من استفزازه لها، فتابعت قائلة بتشنج وهي تهدده بكفها:

فكرك أنا مش هاعرف أدخل، أنا ممكن أبلغ البوليس وهما هيجروبك تمشي رجالتك، وهافتح الدكان!

جلس على مقعد مكتبه باسترخاء تام، ورمقها بنظرات مطولة ثابتة وهو يجيها برود:

-وماله، هيدخلوكي يوم، نقول اتنين، تلاتة، بس مش على طول يا بنت رياض!

اقتربت من مكتبه، ثم انحنت عليه لتضرب بقبضتها المتشنجتين بعنف على سطحه وهي تسأله بهياج متعصب:

-إنت عاوز ايه بالضبط؟

اكتفى بالابتسام لها، ثم أوماً بغموض بعينه، فاستشاطت غضبًا منه لأنها لا تستطيع سبر أغوار عقله، اعتدلت في وقتها رافعة رأسها للأعلى ثم ضغطت على شفيتها بقوة مانعة نفسها من التناول عليه، ظل محافظًا على ثبات نظراته

العميقة لها، أخفضت رأسها وهي تدس يدها في حقيبتها، فتابعها باهتمام ملحوظ عليه.

لم يتبين ما تفعله أسيف، لكنها أخرجت منها حفنة مطوية من النقود، وألقته بعصبية على سطح مكتبه، تحولت نظراته للحدة لكنه لم ينبس بكلمة. راقبها فقط بهدوء مميت للأعصاب

هدرت فيه قائلة بازدرأ وهي تشير بيدها:

لو على اللي دفعته فيه، فحد فلوسك أهي، وهاجيبك أدهم عشر مرات!  
ردت له - متعمدة - نفس عبارته السابقة حينما اتهمته بالسرقة لتزداد بعدها نبضات عروقه التي تدفقت إليها الدماء الفائرة بغزارة.

هو استشعر إهانة بالغة من تعاملها معه، ومن طريقتها في مواجهته. هو ليس بحاجة إلى النقود لتكرر نفس حركته بنفس الحماقة المزعجة، بالإضافة إلى أن شدته معها لسبب مختلف تمامًا عن الذي تعتقده هي.

أضافت قائلة بصوتها المنفعل:

بس ابعدي عني وعن اللي يخصني!

تصلبت عضلات وجهه، وبدا متحفزًا إلى حد كبير وهو يرمقها بنظراته النارية.

هتف بصعوبة من بين شفثيه المطبقتين:

-لي فلوسك يا بنت رياض! اتتي عارفة كويس إني مش ناقص فلوس عشان أبص للكلام ملطوش بتوعك دول!

صاحت فيه صارخة بيأس:

-أومال عاوز ايه مني؟ بتمنغي عن حقي ليه؟

صمت مجبرًا أمام صياحها المتواصل، عاجزًا عن إيجاد إجابة مقنعة لها. فكيف يبرر أسبابه وهو نفسه لا يستطيع تفسير ردات فعله الغير عقلانية فيما يخصها.

تجمدت عيناه عليها، وظلت تعابيره خالية من أي إشارات متأثرة رغم ثورته المستعرة بداخله.

ضجرت من صمته المريب، فهتفت بتوسل رقيق:

-رد عليا لو سمحت! بتعمل كده ليه؟

أغمض جفناه لثانية ليسيطر على نفسه أمام نبرتها تلك. ثم فتحها مكملاً تحديقته الجامد نحوها وهو يهتف بنبرة جافة:

-مش فاضي أرد دلوقتي

أغاظها رده المستفز، فتمتت بحنق كبير رغم تلثم كلماتها:

-إنت.. إنت.....

قاطعها قائلاً بصلافة قاسية متعمداً رد ما فعلته بالأمس معه:

-يمكن تتفضلي من هنا، عندي شغل! شرفتي!

شهمت مذهولة من وقاحته الصريحة، لم تتوقع ذلك منه، هب منذر واقفاً من مكانه، وأشار لها بإصبعيه اللذين وضعهما على جبينه ليودعها وهو يتابع بجفاء:  
-وتسلمي على جيتك، متشكر يا بنت الأصول!

تجهم وجهها كثيراً، ورمقته بنظرات أكثر اشتعالاً عن ذي قبل، نفخت بعصبية أمامه قبل أن توليه ظهرها وتخرج من وكالته خالية الوفاض في مسألة الدكان، لكنها معبأة بمشاعر غضب مشحونة على الأخير، نسيت أن تأخذ ما تركته من أموال على مكتبه، فمد يده ليجمعهم.

رفع النقود نصب عينيه يتأملهم بنظرات غامضة.

قطع تحديقه بهم صوت أيه متسائلاً باستغراب:

-في ايه يا منذر، قريية عواطف بتعمل ايه هنا؟

أخفى النقود في درج مكتبه، ثم أجابه بهدوء حذر:

جاية عشان الدكان!

جلس طه على المقعد الملاصق للمكتب، ونظر له بتفرس وهو يقول:

-أها، قولتلي بقي، شكلك كده....

تنحى منذر مقاطعاً بخشونة:

-سيبك يا حاج من الحكايات الهايفة دي وخلينا نركز في الشغل أحسن

رد عليه طه بمكر رجل مسن خط الزمن عليه على مدار عقود:  
ماهو ده برضوه شغل، ولا أنا غلطان؟!

تحاشى منذر النظر إلى أبيه، واكتفى بالعبث فيما أمامه من أوراق ليظهر  
انشغاله بهم رغم أن عقله لم يتوقف عن التفكير فيها للحظة. تلك التي تحرك  
دومًا شيئًا بداخله، وتجبره على متابعتها في كل الأوقات خاصة إن كانت غائبة  
عنه.

.....

أوشك الوقت المخصص للدرس الخصوصي على الانتهاء، فلملمت ما معها من  
أدوات تستعين بها ووضعهم بداخل حقيبتها.  
نظرت بسمه إلى قطعة الحلوى المسنودة على الفراش المجاور للطاولة،  
وتساءلت بتعجب:

مكملتش بسكوتك ليه؟

التفت الصغير برأسه للخلف، ثم نهض عن مقعده ليقفز في مكانه بهرح.  
مالت هي بجسدها ناحية الفراش ممددة ذراعها نحوها لتمسك بها، حدقت فيها  
باندھاش عجيب من طريقة تناولها التي بدت غريبة عن المألوف.  
رددت باستغراب:

وبعدين في حد ياكلها كده!

هز الصغير يحيي كتفيه نافيًا وهو يقول:



مش أنا والله!

ردت عليه مستنكرة:

-يعني هي اتاكلت لوحدها يا يحيى!

أجابها ببراءة:

-معرفش، بس أنا مش بأكلها بورقتها يا مس

دقت النظر أكثر فيها هاتفة بغرابة أكبر:

-ورقتها

لفتها على الجانبين لتفحصها عن كذب، وهمست لنفسها بحيرة:

-شكلها غريب أوي، دي متقرضة من آ.....

قاطع تفكيرها الحائر صوت يحيى هاتفاً بصوت مرتفع وهو يشير إلى فراشه:

-مس بصي!

وجهت بصرها حيث أشار، فرأت كائناً رمادياً يمتاز بذيله الطويل، وجلده

الرمادي الخشن يسير على حافة الفراش.

هو جرد صغير الحجم، لكنه كان كفيلاً ليثير هلعها، فصرخت بلا وعي:

هاه! ف... فaaaaaaaaار!

هبت من مكانها مذعورة، وواصلت صراخها الهيستري:

ماما، فاللارا!

انضم الصغير يجي إليها، وصرخ هو الآخر ولكن بضحكات مكررة على  
طريقتها الخرقاء في القفز والركض نحو الشرفة.

ولج دياب على إثر صوتها لداخل الغرفة، فتفاجيء بما يفعله الاثنان.

توجه نحو الشرفة متسائلاً بضيق:

في ايه؟

وضعت بسمة يدها على ذراعه لتقبض عليه وهي تصيح برعب:

في فار جوا في الأوضة! يع!

أخفض عيناه لينظر إلى كفها القابض على ذراعه، ثم حدق بها مرة أخرى وهو  
يقول بتجهم:

ماشي بالراحة مش كده!

ردت عليه بتشنج مرتعد وهي تهتز بجسدها:

-باقولك فار.. فار!

حدجها بنظرات حادة قائلاً بهكم ساخر:

-يعني معندكوش في بيتكم، محسساني إنك أول مرة تشوفيه!

أغضبها رده، فنظرت له بازدراء، وردت عليه بسخط:

-والله انت ما عندك دم!

عبس وجهه سريعًا من ردها اللفظ، فباغتها بوضع قبضته على يدها الممدودة إليه ممسكًا بها من راسها، ثم جذبها نحوه ليقربها أكثر إليه.

نظر مباشرة في عينيها بنظرات أخافتها محذرًا إياها بصرامة شديدة اللهجة:

-تكلمي كويس معايا!

تجمدت الكلمات على طرف لسانها من حركته تلك، وحدثت فيه مشدوهة من نظراته المنذرة بغضب جم..

وزع الصغير يحيى نظراته بينهما مبتسمًا، لكنه لم يبتفوه بشيء، وتسلسل من أمامها تاركًا الشرفة ليبحث بمرح عن فأره الزائر..

.....

لمحتها متقاربان للغاية عبر الشرفة المطلة على الطريق وهي تشرأب بعنقها للأعلى عندما ترجلت من السيارة، جاءت ولاء لزيارة ابنها بعد أن استعادت عافيتها، هي اشتاقت إليه، ورغبت في رؤيته، لكنها لم تبلغ عائلة حرب بزيارتها، ظلت أنظارها مسلطة عليهما لبرهة، اصطبغ وجهها بحمرة مغتظة نوعًا

ما..

لا تعرف سبب ذلك الانقباض المزج الذي عصف بقلبيها، ولكنها كانت غاضبة لرؤيته مع غيرها بتلك الطريقة، هو يلامسها ويحادثها بتلقائية كما كان يفعل معها وهي على ذمته.

ولما تغتاظ وهي قد اختارت طريقها مسبقاً؟ لم ترغب في تفسير الأمر، بالطبع لن يقف دياب كمشاهد لفترة طويلة أو منتظراً على مقاعد البدلاء حتى تصبح متاحة له مرة أخرى، كان عليها أن تتوقع اقتترانه بإحداهن.

ابتلعت ولاء غصة مريرة عالقة بجلقها، واتجهت نحو مدخل البناية مقاومة تلك الرغبة النادمة المسيطرة عليها، فما مرت به مؤخرًا ليس بالهين، وجعلها تعيد حساباتها بالكامل!!!!

.....

### الفصل الخمسون:

حركت راسها بعصبية محاولة إفلاته من قبضته المحكمة حوله، لكنها أبي أن يحرره، ظل مسلطاً أنظاره القوية عليها دون أن يطرف له جفن.

فاض بها الكيل من فرضه لسيطرته عليها، فصاحت فيه بنبرة مزعوجة من  
تصرفه:

سيب ايدي!

رمقها بنظرات أخيرة مغترة قبل أن يرخي أصابعه كلياً عنها. سحب يدها سريعاً  
للخلف لتفركها بقبضتها الأخرى، وهمست متممة بكلمات مهمة لكنها كانت  
تشير لغضبها منه.

لم يستطع دياب تبين ما تقصده، فهتف بسخرية متهمكة:

-والله هان عليا أسيبك مع كومة فيران بجالها، يمكن يقصوا الحتة الزايدة اللي  
في لسانك!

اتسعت حدقتها بحمرة غاضبة، لكنه امتصها على عجلة حينما ظهر شبح  
ابتسامة على ثغره وهو يتابع بعث:

بس متهونيش عليا يا أبله!

استشعرت الحرج من غزله المتواري، فهتفت بصلاية:

عن اذنك!

ثم أشارت له بيدها ليتحرك للجانب، فسألها مازحاً:

طب والفار؟

أجابته ساخرة بابتسامة متسلية وهي تنسل من الشرفة لداخل الغرفة:

هيروح فين، ما هو قاعد عنديكم!

كركر ضاحكًا من دعابتها الخفيفة، ووضع يديه في داخل جيبه ليسير خلفها  
متبخترًا بنفسه.

.....

على الجانب الآخر، وفي نفس التوقيت، صُدمت حينما رأتها واقفة أمام عتبة  
باب منزلها في أبي صورها، متغنجة بجسدها، ومتباهية بحسنها الكاذب.  
رمشت بعينها عدة مرات لتتأكد أنها لا ترى شيئًا.

هتفت بذهول متلعم:

-ولاء!

رسمت ابتسامة متكلفة على ثغرها وهي ترد ببرود غير مبالية بأي ردة فعل  
لاحقة:

-ازيك يا طنط؟

امتعض وجه جليلة على الأخير، وهتفت متسائلة من بين شفيتها:

خير جاية هنا ليه؟

أجابتها ولاء بجمود وهي تنزع نظارتها عن رأسها:

عاوزة أشوف ابني، فيها حاجة دي!

ضربت هي كفها بالأخر، وأسندتها على بطنها مرددة بتجهم:

اه، بس اتى ماتصليش تقولي إنك عاوزة تشوفيه!  
 رفعت ولاء حاجبها للأعلى، وأشارت بيدها المسكة بنظارتها قائلة بجفاء:  
 هو أنا كل ما أحتاج أشوف ابني لازم اتصل، أنا أمه، وده شيء طبيعي  
 يعني!

عبست جلية أكثر بوجهها وهي ترد بتأفف:  
 اها! قولتلي، هو احنا هانعيده تاني يا ولاء!  
 حركت الأخيرة رأسها ياهتزازة خفيفة لتنفض شعرها المنسدل للخلف،  
 واستأنفت حديثها بنبرة باردة:  
 لو سمحتي يا طنط ناديلي ابني

زفرت جلية أمام وجهها بانزعاج كبير، فهي ليست بحاجة للجدال مع تلك  
 المقيتة، خاصة أن الحاج طه قد حَرَمَ عليها القدوم إلى هنا، أو حتى أن  
 تطأ قدماها ذلك المنزل مهما كانت الظروف، لذلك أعتبرت آخر حدودها هي  
 مدخل البناية، ثم ذلك بعد كشف ملعوبها الحقير، وحدث الانفصال بينهما  
 عقب ولادة يحيى.

أعطاها دياب حقوقها المادية كاملة، وقطع كل الصلات الودية معها، إلا فقط  
 ما يخص ابنه، كان مضطراً للتواصل معها بشأنه، فبقي الباب موارباً في تلك  
 الجزئية تحديداً.

تمت بصوت هامس:

هو أنا ناقصة وجع قلب!

سألتها ولاء ببرود أكبر:

ها يا طنط هتناديله ولا أناديله أنا؟

نظرت لها جليلة شزراً، وأشارت لها بكفها قائلة بتبرم:

طب خشي جوا، مش هاتكلميه على الباب

ابتسمت لها ولاء بتصنع وهي ترد:

ميرسي!

تنحت جليلة للجانب قائلة بتهم هامس:

ميرسي، الله يرحم أبوكي!

تعمدت ولاء التغنج بجسدها أكثر لتستفز جليلة التي كانت تراقبها بأعين ساخطة، واتجهت دون انتظار ناحية غرفة ابنها حيث يتواجد طليقها الأسبق مع بسمة.

فتحت الباب فجأة لتجد الاثنان يضحكان بمرح لا يتلائم مع وجودها الغاضب، سريعاً تلبدت الأجواء، وتلاشت الضحكات ليحل العبوس والتجهم



مكانها، ذهل دياب من وجودها بالمنزل، فقد مضت سنوات منذ آخر زيارة لها هنا.

تسمرت بسمة في مكانها مدهوشة، فلم تتوقع رؤيتها بعد تلك الفترة الطويلة. استندت ولاء بمرفقها على مقبض الباب لتبدأ في هز جسدها بعصبية وهي تردد بازدياء متعمد:

-واضح إني جيت في وقت مش مناسب!

استعاد دياب السيطرة على الموقف، ورد عليها قائلاً بعصبية ملحوظة:  
جاية هنا ليه؟

انتصبت في وقفها، وأجابته بنبرة جامدة:

جاية لابني، وحشني وعاوزة شوفه، اوعى تكون نسيت إني أمه!

ثم سلطت أنظارها على بسمة لتحدهما بنظرات احتقارية وهي تتساءل بنبرة تحمل الإساءة:

-ممكن أعرف بقى مين دي، وتعمل ايه هنا في أوضة ابني؟

شعرت بسمة بحرج شديد بسبب ذلك الموقف المخزي، ثم مررت عيناها سريعاً على وجه دياب قبل أن تعاود النظر إليها لترد بتلثم وهي تتنحج بخفوت:

-أحم.. أنا المس بتاعته!

زادت نظرات ولاء الدونية لها، وهتفت بتهم ساخر:

-ها، قولتيلي بقى!

استشاط دياب من أسلوبها المهين، فاندفع كالثور الأهوج في اتجاهها ليقبض على ذراعها صائحًا بصوت متصلب:

-اطلعي برا يا ولاء!

تعمدت التدلل في نبرتها وهي تتأوه بميوعة مقززة:

-آي، بالراحة عليا يا دياب!

ارتفعت حرارة وجه بسمة للغاية بسبب طريقة ولاء المستفزة، وشعرت بالنفور الشديد من مجرد البقاء معها في كان واحد.

إحساس عجيب بالحنق - وربما قليل من الغيرة - سيطر عليها لمجرد رؤيتها تتدلل عليه، فابتلعت ريقها بصعوبة، وصاحت بصوت مقتضب يعكس ضجرها الشديد:

عن اذنكم

ضحكت ولاء قائلة بسخط مهين:

-ايه ده بالسرعة دي! أوام خلصتي الدرس، مع إني شايفة إنه لسه بدري يا مدام ولا..... آنسة لسه؟ أصلي بصراحة مش عارفة إنتي وضعك ايه هنا!

بلغ دياب ذروة انفعاله سريعًا، وفقد السيطرة على أعصابه، فهزها من ذراعها بعنف وهو يصرخ بجدة فيها:

ما تحترمي نفسك يا ولاء، وتتكلمي بأدب هنا!  
 نظرت له بعينين مسلبتين، ووضعت يدها على فمها لتقول بجرح مصطنع  
 وبائن:  
 -أوسي! هو أنا عكيت الدنيا ولا حاجة!  
 تحولت مقلته لجمرتين من النيران الملتهبة، ولم تهتم هي بشراسة نظراته،  
 فواصلت إهانتها المتعمدة بجرأة جامحة:  
 -بس الوضع هنا مش مضبوط يا دوبي، يعني شكلي كده جيت في وقت  
 غلط، سوري كلوا اللي كنتوا بتعملوه!  
 لم يتحمل كلمة واحدة تخرج من فمها، فدفعها بعنف أكبر للخارج صارخاً فيها  
 بهياج أشد:  
 -برا يا ولاء!

تأوهت حقاً من عنف قبضته، ومن حدة عصبيته، فصرخت متألمة:  
 -آآآآ، سيبي يا دياب!

جرجرتها خلفه غير مكترث بما يرتطم به جسدها أثناء سحبها للصالة، ولا  
 بصراخها الملفت للانتباه، وهدر بها بجموح مخيف:  
 -برآآآآآ، البيت ده متحرم عليكي!

قاومته ولاء قدر استطاعتها، وردت عليه بنبرة مرتفعة ومتشججة:

-ابني عاوزة اشوفه!

نجحت في تحرير ذراعها من قبضته، وأشاحت به في الهواء بعصبية، ثم وقفت  
قبالته معلنة عن تحديها السافر له.

رمقها دياب بنظرات قائمة للغاية، وهتف فيها بانفعال:

-هاتشوفيه برا، لكن هنا لآ

ردت عليه محتجة بصراخ:

-أنا أمه، متقدرش تمنعني عنه، إنت ناسي قانون الحضانة وآ....

قاطعها قائلاً بصوته الهادر:

-اتتي اللي ناسية أنا أقدر اعمل ايه، والقانون اللي أمك فرحانة بيه ده

مايمشيش علينا، وابني هيفضل معنا!

ثم قبض على ذراعها مجدداً غارزاً أصابعه الغليظة فيه ليسحبها ناحية باب  
المنزل.

صاحت مقاومة بغضب جم:

-اوعى، سيب دراعي!

تفاجأت جليلة بما يفعله ابنها، فتوسلته قائلة برجاء قليل:

-اهدى يا دياب، بالراحة يا بني، مش كده!

وضع دياب يده على مقبض الباب ليديره، ثم فتحه على مصرعيه هاتفاً ياهانة صارخة:

-الأشكال الوسخة دي ماتخشش هنا تاني، تترى برا جمب الزبالة!

شخصت أبصار ولاء من سبابه اللاذع لها، وانفجرت شفتها غير مصدقة ما يفعلها على مرآى ومسمع من الجميع، استخدم هو كامل قواه الجسمانية في دفعها بقوة إلى خارج المنزل لتفقد هي اتزانها على عتبتها، وترتطم بالأرضية الصلبة.

أدارت رأسها في اتجاهه صائحة بتوعد مهدد:

-هتندم يا دياب

شهقت جليلة مذهولة من تهور ابنها، ولطمت على صدرها غير مصدقة جموحه الثائر.

بينما تجمدت بسمة هي الأخرى في مكانها غير مصدقة ما حدث تَوَا.

هي رأت جانباً آخرًا مخيفًا في شخصه، عندما يصل المرء إلى قمة غضبه.

خرج الصغير يحيى من غرفة أروى على صوت والدته المرتفع، وهتف ببراءة:

-مامي!

التفت دياب برأسه نحوه، وصاح فيه بغضب هادر:

يحيي! ارجع لورا

صرخت ولاء قائلة بعد أن نهضت من سقطتها الموجهة:

-ابني، يحيي!

صدم الصغير من رؤية والدته بالخارج في حالة غير طبيعية، وردد بخوف:

مامي!

وقبل أن يتقدم خطوة نحوها، صفق دياب الباب بعنف أكبر في وجهها ليغلقه.

سمع صوت صياحها المنفعل يأتي من الخارج وهي تدق بعصبية على الباب:

مامشي يا دياب، هاتشوف!

رد عليها بسباب وحق:

ياالا يا..... يا بنت ال..... من هنا!

شهقت جليلة معنفة إياه بحدة:

دياب!

انفجر الصغير يحيي بأكيا وهو يقول ببراءة:

-أنا عاوز مامي!

صرخ دياب فيه ليهدد بنبرة عدوانية:

خش جوا بدل ما أتجن عليك إنت الثاني!

استشعرت بسمة خطورة الموقف، فأسرعت بمحاوطة الصغير من كتفيه  
لتحميه من بطش أبيه في لحظة غضب أعمى، وبالطبع احتضنها يحيى من  
خصرها ليختبيء خلفها خوفاً من تلك الحالة العنيفة الظاهرة على والده.

همس الصغير يالحاح معتاد لسنه:

-أنا عاوز ماي ماليش دعوة!

رد عليه دياب بنبرة محتدة:

بردك هايجبيلي سيرتها!

اغتاظت بسمة من أسلوبه العنيف معه، فكزت على أسنانها قائلة بجدة:

-بالراحة، متزعقش للولد كده!

تدخلت جليلة هي الأخرى في الموقف، وحاولت تهدئة ابنها، فهتفت برجاء:

-اهدى يا دياب، مش كده يا بني!

زفر الأخير بهياج:

-يووووه!

نظرت له بسمة بحنق، ثم مالت على رأس الصغير لتقبله، وهمست له برقة:

-ادخل الأوضة بتاعتك دلوقتي يا حبيبي، باي مايقصدش

عبس يحيى بوجه مردداً بحزن بائن:

-أنا مخاصمه!

وضعت هي يدها على وجهه لتمسح عليه بنعومة، ثم أسندت إصبعها على طرف ذقنه مبررة بهدوء حذر:

-معلش يا يحيى، هو متعصب شوية!

فخ دياب مجدداً مستاءً من طريقته الباردة، فهتف بسخط:

-كمان هتعمل مصلحة اجتماعية وهتعلميني أتكلم مع ابني ازاي!

رفعت بسمة رأسها في اتجاهه، وتماكت نفسها كي لا تشتبك معه أمام الصغير، وانتظرت انصرافه لترد عليه بعتاب صارم:

-لأ، بس لما تستقوى عليه وتشخط فيه وترعبه بالشكل ده لازم اتدخل وأمنعك!

رمقها بنظرات مستخفة وهو يرد مستهزئاً بها:

-مش ناقص إلا اتني!

توهجت نظراتها للغاية، وصاحت فيه بجدة وهي ترفع سبابتها أمام وجهه محذرة:

-ما سمحلكش!

أشار لها بعينه قائلاً بازدرأ صريح:

-اتني تمامك الأبله بتاعته وبس!



فتحت فمها لترد لكن أجم لسانها جملته الوقحة حينما هتف قائلاً:

-يعني شغالة بالأجرة، فيا ريت تلزمني حدودك!

هو أتى على كرامتها، ولم يعطِ أي أهمية لعزة نفسها وحقر متعمداً من شأنها.

رفعت أنفها للأعلى في إباء، وردت عليه بكبرياء ثابت:

-انت صح، بس ملعون أبو الفلوس اللي تيجي بالذل!

في تلك اللحظة تحديداً أدرك أنه تسرع في قوله، وأنها ليست مجرد زلة لسان

عابرة، بل إهانة قاسية للغاية، هو حقاً أساء التصرف معها.

هرولت بسمة في اتجاه الباب مانعة نفسها بصعوبة من البكاء أسفة على حالها.

ولجت للخارج صافقة الباب خلفها بعنف لتتجه سريعاً نحو الدرج هابطة عليه

وهي تشهق ببكاء مرير فقد اختنق صدرها، ولم تعد تتحمل.

توقفت في الطابق السفلي لتلتقط أنفاسها اللاهثة حتى تتمكن من السيطرة

على نوبة البكاء التي عصفت بها، حملت نفسها اللوم لقبولها من البداية بإعطاء

درس خصوصي لأبناء عائلة حرب، كان عليها أن ترفض مهما كانت الضغوط،

كفكفت عبراتها بكفيها، ثم عاودت النزول على الدرج واضعة نظارتها على وجهها

لتخفي خلفها عيناها الباكيتين.

.....

عنت جليلة ابنها على وقاحتها الفظة مع بسمة، فهتفت قائلة بحنق موجحة إياه

على تصرفاته الطائشة:

دياب، ايه اللي عملته ده؟  
 لم يجيها، بل وضع يده على رأسه ضاغظًا بقوة عليها.  
 واصلت هي عتابها الشديد مرددة بلوم:  
 -كده تخرجها بالشكل ده قصادي؟ يصح كده برضوه؟  
 صاح بها بنفاذ صبر:  
 -يووووه! أنا مش ناقص!  
 تابعت تعنيفها مرددة:  
 -بسمة مغلطتش عشان تكلمها بقلة ذوق!  
 نظر لها بأعين حمراء وهو يرد بتشنج كبير:  
 -سيبني في حالي دلوقتي!  
 أكملت تكديرها له بتجهم:

-ابقى قابلني لو عتبت هنا تاني! افرح دلوقتي يا ابن بطني!  
 كانت محقة في الإشارة إلى ذلك الأمر، فهي حتماً لن تعود إلى هنا بسببه، ألقى  
 بثقل جسده على الأريكة دافئًا وجهه بين راحتيه بعد أن فركه عدة مرات بغل  
 واحتقان. هو لم يكن في وعيه، وتخطى حدود المعقول بعصبيته المفرطة.  
 تيقن أنه أخطأ معها، وتصرف بفجاجة غير مبررة تجاهها، وهي التي كانت  
 تحاول فقط السيطرة على تهوره إن تمادى وفقد أعصابه مع فلذة كبده.

.....

عادت خاتبة الرجاء إلى منزل عمتهما تجرر أذيال الخيبة بعد أن فشلت في دخول دكانها، فضلت أن تعتزل الجميع وتبقى حبيسة الغرفة كي لا تحاصر بأسئلة عمتهما الفضولية، أرادت أن تفكر بذهن صافي في وسيلة تمكنها من دخول الدكان دون الاشتباك معه، جلست أسيف على طرف الفراش ملقبة حقيبة يدها بإهمال إلى جوارها، ثم تهتت بتعب.

أرجعت ظهرها للخلف، وأسندت قبضتها على جانب صدغها مستعيدة حوارهما المحتد في وكالته.

أغاظها رده لما فعلته معه دون مغالاة. هزت ساقها بعصبية، وحدثت نفسها بتبرم:

مش عارفة أعمل ايه معاك؟ انت طلعتي بس منين؟

انتبهت لصوت الدقات الخافتة على باب الغرفة، فاعتدلت في جلستها، وهتفت بتحشرج خفيف:

-ايوه

فتحت عواطف الباب وأطلت برأسها متسائلة باهتمام:

-اتي جيتي يا بنتي؟

ابتسمت أسيف قائلة تهذيب يليق بها:

اه يا عمتي!

عقدت عواطف ما بين حاجبها متسائلة بعتاب لطيف:

طب ما عدتيش عليا في المطبخ ليه؟ أنا بالصدفة سمعت صوت الباب جيت  
أشقر عليك!

ضغطت أسيف على شفيتها قائلة بهدوء:

-يعني.. محبتش أزعجك!

ولجت عواطف لداخل الغرفة قائلة بتبرم:

-ازعاج ايه بس!

جلست هي على طرف الفراش، ثم مدت يدها ناحية كف ابنة أخيها،  
واحتضنته في راحتها.

نظرت لها بحنو وهي تقول بنبرة نادمة:

ده اتتي بنت المرحوم الغالي، آه لو الواحد يرجع بالزمن لورا، كان صلح  
حاجات كتير قبل فوات الآوان!

لمعت عيناها ببريق متأثر هامسة:

الحمد لله

ضربت عواطف على فخذها برفق متسائلة بجدية:

ها عملي ايه في الدكان؟

عبست وجهها نوعًا ما، وزفرت قائلة بإحباط وهي تهز كتفها نافية:

-ولا حاجة!

زاد فضولها وهي تتساءل بعدم فهم:

طب ليه، مش إتي....

قاطعها أسيف قائلة بتهكم حائق:

ماهو سي مندر باشا مانعني من دخول الدكان!

للحظة لم تستوعب هي الأمر، لكن ارتخت تعابيرها عن ابتسامة راضية وهي

تبرر فعلته الجادة:

خير ما عمل!

انزعجت أسيف من ردها، وهتفت محتجة وقد أكفهر وجهها:

-إتي معاه؟

أوضحت لها عواطف مقصدها بهدوء:

يا بنتي العيشة هنا في الحتة دي بالذات غير البلد عنكم، ومجد الله ياخده

وينجيننا من شره بني آدم أعوذو بالله! بلاوي الدنيا فيه!

ردت عليها معترضة بصوت به مختنق:

حطب وأنا ذنبي ايه في ده كله؟ أنا عاوزة أبني حياتي وأشوف مستقبلي!  
مسحت عواطف على وجتها بنعومة لتمتص انفعالاتها قبل أن تتطور، ثم  
همست بود:

-وماله يا بنتي! بس بالعقل

اقتحمت نيرمين الغرفة عليها بوجهها الساخط محدقة في أسيف بنظرات  
مشمزة.

صمت الاثنان عن الحديث، فأردفت هي قائلة بعبوسها الدائم:

-أنا نازلة شوية يا ماما!

التفتت عواطف ناحيتها متسائلة بضجر:

-رايحة فين؟

أجابتها نيرمين بامتعاض:

-ورايا كام مشوار عاوزة أخلصه

ثم وجهت أنظارها نحو أسيف لتحدهما بنظرات احتقارية متعمدة قبل أن

تضيف بازدياء قاسي:

سلام

تهدت عواطف مستاءة من أسلوبها الفج مع ابنة خالها مرددة:

-وعليكم السلام!

تأملت وجه ابنة أخيها بحزن قليل، ثم تابعت قائلة بتبرير محاولة التماس العذر لها:

-متزعليش منها، ادعيها ربنا يهديها!

لم تعقب عليها أسيف، واكتفت بإشاحة وجهها بعيدًا لتحدق في الفراغ بنظرات شاردة.

.....

التقت بها على الدرج في حالتها المحبطة تلك، فمرت أنظارها بتفحص على تعابير وجهها المللكوم.

سألها نيرمين باستغراب:

-سمحتك مقلوبة كده ليه؟

صاحت فيها بصوت مختنق:

-بعدي عني السعادي يا نيرمين، أنا مش طايقة حتى نفسي!

ردت عليها أختها بسخط وهي تلكزها في كتفها:

-الله! الله! اتتي هتزعقلي، طب اطلي حطي بوزك في بوز أم النكد اللي

فوق واندبوا حظكوا سوا!

ثم اندفعت هابطة على الدرج لتحقق غرضها الذي سيقلب الأمور - حتماً -  
في صالحها.

.....

كان والده مُصيبًا في رأيه.. هي استحوذت على تفكيره، وتسربت إلى أعماق  
خلاياه حتى تغلغلت فيها، تشكل على ثغره شبح ابتسامة باهتة لا يعرف  
مصدرها، لكن مؤكدًا هي ورائها.

أسند جبينه على أصابع كف يده، وقام بحكه ببطء محاولاً إجبار عقله على  
عدم التفكير فيها، أعجبه أنها - رغم غباؤها المزعج - تتحمل ما يمر عليها من  
ظروف قاسية، تسقط ثم تعاود النهوض من جديد.. لا تستسلم مُطلقًا حتى  
وإن كانت تعانده في الخطأ.

تم مع نفسه بتهيدة مطولة:

دأما تعباني يا بنت رياض، ومش عارف أعمل معاكى ايه!

ما أزعجه منها هو تفكيرها الضيق والمحدود. تحكم عليه من ظواهر الأمور ولا  
تترث في إتهامه في شيء، تتناسى دومًا أنه يقف إلى جوارها في أصعب  
أزماتها، ولا يتركها تعاني أو حتى تتعرض للأذى ممن يتجرأ على فعل هذا،  
استمر في تفكيره المتعمق بها غير مبالي للوقت الذي مضى وهو على حالته  
تلك.



للحظة تجمد في مقعده فبات كالصنم، وتصلبت تعابيره المرتخية كلياً.  
 شخصت أنظاره، وارتفع حاجباه للأعلى في ذهول غير متوقع.  
 هتف لنفسه بصدمة محاولاً استيعابها:  
 -لأحسن أكون.. ب... بأحبك!

.....

فرك عنقه بقبضته الغليظة وهو ينفث من فمه دخان الأرجيلة الموضوعة  
 إلى جواره، حدق في أوجه المارة الذين يرقون على الرصيف الملاصق للمقهى  
 بنظرات حادة غير مكترث بهم.

التفت قليلاً برأسه للجانب ناظرًا بطرف عينه وهو يهتف بصوته المتحشرج:  
 غير الفحمة يا ض!

رد عليه صبي المقهى بهتاف مرتفع:

حاضر يا معلم مجد! وعندك واحد حجر وصاية للمعلم أبو النجا كبير المنطقة  
 وصلحه!

لمحته من على بعد وهي تتحرك بخطى حذرة في اتجاه المقهى، التوى ثغرها  
 بابتسامة خبيثة فقد أوشكت على فعل ما تريد.

جمدت تعابيره وجهها كي لا يظهر تلهفها، ثم أسرع في مشيتها نحوه.

وصلت إليه، فأخفضت يدها المتشبثة بجافزة نقودها، وهتفت بهدوء حذر:  
أستاذ مجد، عاوزاك في كلمتين!

حجب ظلها أشعة الشمس عنه، فاستدار ببطء نحوها.  
نفث الدخان بغزارة في وجهها وهو يرمقها بنظرات متفحصة لها.  
سألها بصوت ثقيل:

-انتي مين وعاوزة ايه؟

ردت عليه بجمود وهي تضع يدها على منتصف خاصرتها:  
مش معقول ماتكونش عارفي؟  
هتف بتهكم:

محصليش الشرف!

انتصبت في وقفها قائلة بتفاخر ملحوظ:

-عمومًا أنا بنت الحاجة عواطف خورشيد، أكيد عارفها!  
رد عليها بإهانة مسيئة:

-أها، الولية الخرفانة دي!

اغتازت من سبابه لوالديها، فهتف ملوحة في وجهه بصوت محتد:

ما تتكلم عدل عن أمي!

طرق بعصية خرطوم أرجيلته على الطاولة الخشبية الصغيرة صائحًا فيها  
بغلاظة شرسة:

جری ایه یا ولیة إتی التانية، جاية لحد عني وهتلبخي، أنا لساني زفر وهأح  
معاكي!

ردت عليه بعصية قليلة:

ما إنت اللي غلظت الأول

نفخ بغيظ وهو يلتقط خرطوم الأرجيلة بكفه:

-اللهم طولك يا روح، لخصي في أم يومك ده!

ردت عليه على مضض وهي تضم كفيها معًا:

ماشى.. منذر حرب!

وكانها بلفظها لاسمه هذا قد أوقدت نيران غضبه المكتومة بداخله، فتشنجت  
تعاير وجهه للغاية، واشتعلت عيناه بوميض محتقن.

أعاد ضرب الطاولة بخرطوم الإرجيلة بانفعال واضح وهو يردد بسخط لاذع:

يادي اليوم ال..... اللي مش عاوز يعدي، جيالي سيرة ابن ال..... ده ليه!

تأفتت من كلماته النابية، وعبست بوجهها قائلة بجزر:

-اسمعي للأخر، احنا مصلحتنا واحدة  
 نظر لها شزرًا وهو يرد باشمزاز ساخر منها:  
 -مصلحتنا، هاو يا مصلحة، ومع مين، مع ال..... ده!  
 عنفته على طريقته قائلة بصوت مزعوج:  
 -أعوذو بالله من لسانك ده! مشط الله أكبر!  
 رد عليها مجد بنفاذ صبر:  
 قلبتي نافوخي يا ولية اتتي، وطيرتي الحجرين اللي بأظبط فيهم من الصبح!  
 جلست على المقعد الشاغر المجاور له، وهتفت قائلة ببحث:  
 -خلاص اصبر وهاقولك اللي اعوزاه!  
 صاح بها باقتضاب متجهم:  
 -انجزني!  
 توهجت حدقتها بوميض شيطاني وهي تستأنف حديثها قائلة بتريث:  
 -شوف يا سيدي، دلوقتي إنت مش بتطبيق سي مندر صح؟  
 أغضبه وصفها لغريمه اللود بلقب ال "سيد"، فعنفها بقسوة:  
 -سيدك هو مش أنا يا حُرمة!  
 ابتلعت إهاتته على مضض، وردت بنبرة مكفهرة متحاشية إغضابه:

ماشى.. ماشى، بس بلاش طولة لسان معايا، أنا هاجيلك في الكلام!

صاح بها بتأفف:

-اخصي يالا!

أخفضت نبرتها لتبدأ في شرح خطتها الماكرة قائلة:

-كل الحتة عارفة العداوة اللي بينكم، وفاهمين كويس إن عمركم ما هتبقوا

حبايب، ولا هتتصافوا أبداً، إنت عاوز تضره زي ما هو بيضرك، بس لو

عاوز تعلم عليه صح، يبقى تاخذ منه البت اللي هو حاطط عينه عليها!!!!

انتبهت حواسه لتلك الكلمة الأخيرة، وتحفزت الدماء بداخله على ذكر

الموضوع، ثم ردد من بين شفتيه:

-بت!

ابتسمت هي لنجاحها في الحصول على اهتمامه، وتابعت قولها بهدوء مريب:

-أها.. هي بنت خالي، بس تطيق العمى ولا تطيقه، وهو عمال يتمحك فيها،

بس هي مش مدياله ريق خالص!

ضاقت نظراته للغاية حتى باتت غير مريحة، ثم التفت نحوها متسائلاً بخبث:

مين دي؟

التوى ثغرها بابتسامة عابثة وهي تجيبه مشيرة بحاجبيها:

أسيف رياض خورشيد

نفخ دخان الأرجيلة الذي استنشقه منها دفعة واحدة وهو يردد باهتمام:

خورشيد! الاسم مش غريب عليا، أنا فآكر إني قرينه هنا!

أزالت حيرته سريعًا بترديد:

- يكونش قصدك على الدكان بتاعنا؟

أوما برأسه إيجابًا وهو يقول بحماس:

أيوه، هو الدكان

تهدت بجرارة أمامه متعمدة استفزاز أحاسيسه المستشاشة من غريمه:

ماهي شريكة فيه مع حبيبيك!

تجهم وجهه وهو يردد بنبرة قائمة:

حبيبي!

أوضحت برقة مصطنعة:

قصدي سي منذر!

حل الوجوم على قسامته بالكامل، وصمت لبرهة يفكر فيما قالته بتمعن شديد.

فرك طرف ذقنه بيده متسائلًا بغموض:

واتي هاتستفيدي ايه من الحكاية دي كلها

أجابته بفتور وهي تهز كتفها:

-ولا حاجة، أنا بأعمل معروف لله!

كركر ضاحكًا بصورة مستفزة وهو يضيف ساخطًا:

-معروف، لأضحكتيني يا ولية!

نهضت من على المقعد قائلة بعدم أكثرث:

-عمومًا فكر براحتك في اللي قولته، ولو ملكش الغرض بناقص خالص، كأنك

ماشوفتنيش، ولا سمعت حاجة!

ثم تغنجت جسدها متابعة وهي تلوح بذراعها:

-سلامو عليكو يا معلم مجد!

سلط عليها أنظاره المظلمة حتى اختفت من أمامه. وضع فوهة الأرجيلة في فمه

ليسحب منها نفسًا عميقًا أجج به حدة حنقه من عدوه.

أرجع رأسه للخلف نافثًا سُحبًا من الدخان من صدره، ثم هتف لنفسه بإصرار

مخيف:

-وماله! هاشوف البت دي .....!!!

.....

## الفصل الحادي والخمسون:

هي تخطت حاجز اللامعقول بمراحل جمّة، كانت فرحتها تتجاوز عنان السماء، فالأمر بالنسبة لها لم يكلفها سوى بضعة كلمات منتقاة بعناية استخدمتها مع الخصم المناسب لتشعل من خلاله فتيل الحرب من جديد، نعم هي كانت كمن تحالف مع الشيطان من أجل أهوائه المريضة، تباغت بمآثرها من خلال تبخترها في مشيتها وكأنها ملكة الأرض ومن عليها، تهتت بجرارة متفاخرة بما أنجزته اليوم.

هي تشبه رأس الأفعى في تفكيرها الوضع الذي خططه ببراعة شرسة، وفي تنفيذها له بدهاء مآكر لتضمن على عدوتها في لحظة مباغتة لطلالما انتظرتها بتأنٍ شديد، سارت نيرمين مبتعدة عن المقهى الشعبي وهي تبتمسم بتشفيف بائن على محياها، لم ترغب حتى في إخفائه، فاليوم هي ظفرت بانتقامها القاسي منها، ووضعت في دربها من لن يتركها إلا في حالة واحدة. أن تصبح جثة هامدة. وضعت هاتفها على أذنها بعد أن اتصلت برقم والدتها، وانتظرت بترقب ردها عليه، أرادت ألا تثير الشبهات حولها، وأن تبدو كالحمل الوديع أمام عائلتها. أتاها صوتها من الطرف الآخر متسائلة:



خير يا نيرمين في حاجة؟

أجابتها بتلهف مصطنع:

-بأقولك ايه يا ماما أنا عند ثابت بتاع القماش، ماتيجي بالمره تشوفي اللي اتني  
عاوزاه!

اعترضت أمها قليلاً مبررة:

-بس أختك لسه جاية وآ....

قاطعتها نيرمين قائلة بإصرار:

-ياللا يا ماما، يعني دي غلطتي إني اتصلت وأعدة مستنياكو، خلاص بلاه....

خافت عواطف من غضبها، فهتفت مستسلمة:

طيب.. طيب هانلبس ونجيك على طول!

التوى ثغرها بابتسامة شيطانية بعد تحقق مرادها وهي ترد:

ماشى، سلام!

قررت أن تتجول بعدها بالأسواق لتضيع وقتها ريثما تأتي والدتها لمحل القماش مع

عدوتها، فتفسد عليها الأمر هناك، لقد عقدت العزم على ألا تترك أي فرصة

تسرح لها لتغيب حياة أسيف، مهما كلفها الأمر، المهم بالنسبة لها أن تجعلها

تعاني وتقاسي حتى تستسلم وترحل عنها للأبد.

.....

ظل يفرك جلد عنقه، يجذبه تارة ويرخيه تارة أخرى وهو يفكر مليًا فيما بخته  
تلك الأفعى من سم قاتل في أذنيه، نثت بترث مهلك دخان الأرجيلة  
مشكلًا حول وجهه سُحبًا كثيفة، كل ما أرادته هو إشعال غريمه وتكبيده  
الخصائر الفادحة قبل أن يطيح به نهائيًا..

تجشأ مجد بحسرة جلية، ثم تتم من بين شفثيه بعد أن حسم أمره:

-وماله، احنا خسرانين ايه!

هتف صائحًا بصوت مرتفع وخشن:

-واد يا حودة، تعالى يا ض!

أتاه على عجلة أحد صبيانه التابعين له، وهز رأسه قائلاً:

-أوامرك يا معلم مجد!

أدار رأسه ببطء ناحيته، ثم هتف فيه بصلاية:

عاوزك تستقصى على السريع كده عن حاجة تخصني

رد عليه ممتثلاً:

-ماشي يا معلمي! عاوز تعرف ايه

انتظر مجد لثوانٍ قبل أن يجيبه بغموض مريب:

## دكان خورشيد!

.....

أوصدت عليها باب المرحاض لتواصل بداخله بكائها المحتقن، تمت لو ثارت  
في لحظة لكرامتها المهدورة على يده، كورت أصابعها معًا ضاربة بعنف على  
حافة الحوض وهي تتم لنفسها بغيظ مكتوم:

ليك يوم يا دياب معايا، ليك يوم!

تهدجت أنفاسها بسبب بكائها المحتقن، ففتحت الصنبور على آخره لكي يغطي  
صوت خرير الماء المنهمر على صوت شهقاتها المغتظة، ملأت كفيها بالمياه،  
وغسلت وجهها عدة مرات لتندمج عبراتها الساخنة مع القطرات الباردة.

دقت عواطف الباب عليها هاتفة باستغراب:

مالك يا بسمة؟ في حاجة؟

رد عليها بصوت مبحوح لكنه حاد:

-لا ما فيش!

بررت عواطف سبب اندهاشها قائلة:

أصلك جيتي من برا دخلتي الحمام على طول، فقلقت عليكي و.....

قاطعتها بسمة بصوت متصلب:

-ولا حاجة! بس بطني وجعاني شوية!

هتفت أمها متسائلة باهتمام:

طيب أعملك ينسون ولا كراوية؟

صاحت رافضة بإصرار:

مش عاوزة حاجة! دلوقتي هابقي كويسة

ردت عليها عواطف بهدوء:

سلامتك يا حبيبتى، أنا خلصت الغداء، وهانزل أنت وبنات خالك تحت

شوية عند ثابت بتاع القماش، تحبى أغرفلك قبل ما أنزل؟

رفضت هاتفة:

مش عاوزة حاجة، أنا هادخل أنام!

استسلمت لعنادها قائلة بتنهيذة مسموعة:

طيب يا بنتى، اللي يريحك!

استندت بسمه بكفيها على حافة الحوض، وحدقت بأعينها الدامعة في انعكاس

صورتها بالمرآة، ثم همست لنفسها بنبرة مختنقة:

-ربنا يحرق دمك زي ما حرقت دمي يا دياب!

.....

فض تلك الفكرة المجنونة عن عقله، وهب واقفاً من مكانه مستنكراً ما  
استنبطه عقله، اعتراف مثير ومركب في آن واحد، دفع مقعده بعصبية  
للخلف، وذرع المكان جيئة وذهاباً معنفاً نفسه على ما باح به لنفسه.  
ازدرد ريقه قائلاً بتوتر خافت:

-لالالا، مش معقول! أنا.. طب ازاي؟ أكيد دي تخاريف!

بدت تعابير وجهه مزعوجة للغاية، وتصرفاته مبالغاً فيها وهو يدور حول نفسه  
بالوكالة حائراً، فرك وجهه بعصبية، وحك مؤخرة رأسه باضطراب أكبر.

لم يشعر بمثل هذا التخبط من قبل، بل إنه لم يمر بتلك التجربة مع زوجته  
الراحلة، ربما اعتاد على وجودها معه كونها شريكة حياته، لكن الحب الحقيقي  
الصادق الذي يخفق له القلب لم ينبع منه نحوها.

مجرد مودة ورحمة، وألفة بين زوجين حاصرتهما مشاكل الحياة والإنجاب لتتضي  
على تلك البذور الطيبة قبل أن تزدهر وتنت.

تعجب رجاله من حالته المريرة، وتساءلوا فيما بينهم عما يقلقه.

همس أحدهم بحذر:

-يكونش في مصيبة جديدة؟

أجابه رفيقه بفتور:

مش عارف، بس طول ما ابن أبو النجا موجود، فمش تستبعد حاجة

واقفه الأول الرأي مؤكداً:

على رأيك، ده داهية من الدواهي السودا اللي ابتلينا بيها!

حذرهما ثالث قائلاً بتهديد خفيف:

حطب ركزوا في شغلكم أحسن بدل ما الريس منذر ياخذ باله ونسمع كلمتين  
مالهومش لازمة!

ماشى!

.....

احنا نازلين يا بسمة!

هتفت عواطف بتلك العبارة وهي تتجه نحو باب المنزل وبصحبها أسيف.

ردت عليها الأخيرة بصوت مرتفع من داخل المرحاض:

طيب!

تابعت عواطف مؤكدة بجدية:

مش هنتأخر، ناي اتى لحد ما نيحي يا حبيبتى

أجابتها بسمة بضجر:

ماشى يا ماما، خلاص بقى

استمعت هي لصوت غلق باب المنزل، فأكلت تجفيف شعرها المبتل بالمنشفة،  
تهتدت بتعب، ومالت برأسها للأمام لتتفحص تلك الانتفاخات البارزة أسفل  
جفنيها، عبست بوجهها منزعجة من شكلهم، ثم اعتدلت في وقفها. وألقت  
بالمنشفة في السلة المخصصة للثياب المتسخة.

فتحت الصنبور الأرضي، وملأت الدلو بالمياه الممزوجة بمساحيق التنظيف  
لكي تنظف به الأرضية الرخامية بعد استحمامها، خرجت من المرحاض مهرولة  
في اتجاه غرفة نيرمين على إثر صوت بكاء الرضيعة المرتفع، صُدمت لرؤيتها  
بالفراش، فقد ظنت أنها مع والدتها أو أسيف.

شهقت مذعورة لتركها بمفردها، وكأن وجودها لا يعني أي شيء لمن بالمنزل،  
أسرعت ناحيتها تحملها هاتفه باستنكار:

-والله حرام اللي بتعملوه فيها، سايبين الملاك دي لواحداه كده؟ افرض  
جرالها حاجة!

احتضنتها بسمة برفق، وأمطرت وجهها الضئيل بالقبلات الحنونة هامسة لها  
بصوت رقيق:

خسارتك في أمك، متزعليش يا حنة من قلبي! خالتك جمبك ومش  
هاتسيبك!

اقتحم بالها ما حدث مع الصغير يحيى وتهور دياب الخيف أمامه، فعبست  
تعايرها سريعاً، ربما هي حادة الطباع، متعصبة، تثور لتوافه الأمور، لا تقبل  
بأن تكون في موقف ذل أو ضعف، جريئة، لا تخشى في الحق لومة لائم،

تأخذ حقها أولاً بأول. لكنها لينة القلب فيما يخص الأطفال الصغار. على عكس  
أختها التي اكتسبت الكثير من طبائع وصفات جدتها "عزيزة" فأصبحت  
نسخة مستنسخة عنها.

.....

جمده أنظاره على شرفة منزلها وهو يطل برأسه من نافذة سيارته الجانبية. ندم  
لسوء تصرفه معها، فقرر أن يُصلح ما أفسده دون تأجيل، ترجل دياب من  
السيارة صافقاً الباب خلفه، وجاب ببصره المكان بنظرات سريعة وشمولية.  
أخذ نفساً عميقاً حبسه في صدره لثانية ليضبط انفعالاته، ثم أطلقه دفعة  
واحدة ليتحرك في اتجاه مدخل البناية، صعد يتمهل على الدرج معيداً في رأسه  
عدة عبارات سوف يرددها على مسامعها لتغفر له زلة لسانه، لكنه في كل مرة  
ينسى ما سيبدأ به.

شعر أن الكلمات تفر من على طرف لسانه كالزئبق، فاستصعب الأمر كثيراً،  
تفاجأ بوصوله إلى الطابق المتواجد به منزلها، فتلفت حوله مدهوشاً.  
همس لنفسه بتعجب ساخر:

طيرتي البرح اللي فاضل في نافوخي!

شعر بجفاف شديد في حلقه وهو يمد يده ناحية الجرس ليقرعه.



تهد بعرق، ثم ضغط عليه مستمعا لصوته، وانتظر على أحر من الجمر فتح الباب.

.....

ظنت أن أختها قد عادت من الخارج، فأسندت الرضيفة الغافية برفق على الفراش محاولا إياها بوسائد عدة لتضمن عدم سقوطها في حال تحركها. سارت بخطى متعجلة نحو الباب واضعة بعدم اهتمام حجابها حول رأسها تحسبا إن كان الطارق غريبا، سيطر الوجوم على تعابير وجهها، واحتدت نظراتها حينما رآته واقفا على عتبة منزلها. زادت حدة نظراتها القاسية نحوه، ثم عبست بفمها متسائلة بصوت مغلول: -افندم؟

كان يتوقع ردة فعل كتلك، فتهيا لتحمل ما ستقفه في وجهه من عبارات لاذعة.

ابتسم هاتقا بود:

سلامو عليكم الأول

ردت عليه باقتضاب متجهم:

-وعليكم، خير؟

عابها قائلاً بهدوء:

حطب ردي السلام عدل، ده حتى السلام لله

كتفت ساعديها أمام صدرها قائلة بتذمر ساخط:

-جاي ليه هنا؟ افتكرت بوين نسيت تقولهم هناك، فقولت تحي تكلمهم

عندي؟

كانت محقة في حنقها منه وفي تعنيفها له بشدة.

أسبل عيناه نحوها قائلاً بابتسامة صغيرة:

-حقك عليا، أنا أسف!

نظرت له شرراً مرددة بعدم تصديق:

-والله

ابتلع ريقه متابعاً بندم واضح في نبرته:

-أنا غلطت، وجاي لحد عندك أعتذرلك، أسف يا ست الأبهة، مسمحاني!

شعرت بالاستخفاف في اعتذاره لها رغم تفاجئها به، لكنها لم تصدقه، فأرخت

ساعديها، ثم نظرت له بتأفف قائلة بجفاء:

-لا!

ثم استندت على حافة باب المنزل دافعة إياه للأمام لتغلقه في وجهه قائلة:

عن اذنك

أسرع بوضع يده على الباب مانعاً إياها من إغلاقه، ثم هتف مصدوماً:

ليه بس؟ طب اديني فرصة أفهمك!

صاحت به بنبرة شبه منفعة وهي تلوح بيدها أمام وجهه:

تفهمني ايه؟ ده أنا شوفت كل حاجة بعيني!

ضغط على شفثيه قائلاً بندم:

معلش اعذريني، أنا والله لما بأتعصب بأشوط في اللي قدامي!

رفعت حاجبها للأعلى هاتفة باستنكار:

-وملاقتش إلا أنا تشوطني؟

ابتسم قائلاً بتوسل:

-حقك عليا! أنا أسف، ها مسمحاني؟

ردت بتبرم ساخط:

-رينا اللي بيسامح مش أنا!!!!

فرك جبينه مستاءً من رفضها العفو عنه، فسألها بفضول:

طيب.. هاتيحي الدرس تاني؟

أغاظها اعتقاده بأن إهائه لها كانت شيئًا عابرًا، وها قد مضى.

زمت فيها قائمة بازدراء:

-لأ، كان في وخلص!

رد عليها مازحًا ومحاولاً امتصاص غضبها الظاهر على محياها:

بجد؟ يعني مافيش شوية متعانين على جمب كده عشان الغلبان اللي زيي؟

استشاطت أكثر من طريقته المستخفة بالأمور، فوبخته صائحة:

-انت جاي تهزر بقى!

أجابها مبتسمًا ببلاهة:

-لأ! أنا عاوزك تسامحيني!

نظرت له بتأفف، ثم نفخت في وجهه قائلة:

-يووه، عن اذنك مافيش حد هنا، ومايصحش واقفتنا كده!

رد دياب متفهمًا:

طيب.. عندك حق!

ثم توسلها برجاء واضح:

بس وحياة أعلى حاجة عندك تقبلي أسفي!

زادت ابتسامته عبثًا وهو يضيف غامرًا لها:

ماشى يا أحلى أبله؟ يا أم عينين ورامة، ومناخير حمرة!

هتفت فيه بجدة مستنكرة تلميحاته المزجة:

-انت بتعاكسني بقى؟

جمد تعابير وجهه للغاية هاتقاً بصرامة شديدة وهو يشير بيده:

-أعودو بالله! أنا بتاع معاكسات، وكلام من ده، استغفر الله يا رب، هذه ليست أخلاقنا يا أبله بسمة! احنا لما نحب نعاكس بنقول في الوش على طول، أنا أعاكس، لالا!

جاهدت لتخفي ضحكها التي تطفو على ثغرها بسبب طريقته الطريفة في الإنكار، فابتسم لها قائلاً بتسلية:

-وربنا شكلك عاوزة تضحكي، صح؟

عبست بصعوبة زائفة مرددة بقسوة:

-لا طبعاً!

غمز لها قائلاً:

حطب عليا النعمة اتى عاوزة تضحكي!

أشاحت بوجهها للجانب لتتفادى النظر إليه، فهتف بخفوت ماكر:

حطب إياكش يا رب ولاء تنفجر دلوقتي اتى عاوزة تضحكي!

لم تستطع السيطرة على حركة شفيتها أكثر من هذا، فكررت ضاحكة بمرح.

تنفس الصعداء لإزالة ذلك التوتر بينهما، وهتف متسائلاً بالحاح:

ها.. صافي يا لبن؟

أجابته بغموض:

خلاص بقي!

أصر قائلاً بإزعاج:

-لا قوليلي وريحيني، ده أنا ممكن أجيبك البقرة لحد هنا و....

قاطعته مرددة باستهزاء:

-بايخة على فكرة يا أستاذ دياب!

شهق لاطماً على صدره بمرح:

-أستاذ دياب حته واحدة، مقبولة منك يا أبله!

تنحنحت بخفوت لتخفي تلك الابتسامة التي تسعى للظهور على محياها.

سألها بتنهيده متعبة:

ها قوليلي هاتيحي الدرس؟

نظرت له بثبات وهي تجيبه بثقة:

في المشمش!

صدم من ردها العجيب، وردد قائلاً:

نعم، مشمش! هو الدرس في سوق العبور؟

نظرت له بغيظ، ثم دفعت الباب في وجهه قائلة باقتضاب:

عن اذنك!

لم يتمكن تلك المرة من منعها من إغلاقه، فوقف في مكانه مذهولاً.

وضع يده على جبينه يفركه مردداً باستياء:

يخربيت دماغك! أنشف من حجر الصوان!

.....

استندت بظهرها على الباب مبتسمة لنفسها بغرور، هي لم تتوقع مجيئه إليها،

ولا اعتذاره المُلح لتقبل به، رفعت حاجبها للأعلى قائلة بوعيد:

استنى عليا يا دياب، أنا هاعلم عليك!

أسرعت في خطاها نحو المرحاض لتحضر الدلو الممتلئ بالمياه ومسحوق

التنظيف، حملته بجذرها وهي تسير في اتجاه غرفة نيرمين.

اتجهت نحو الشرفة، ثم انحنت لترفعه عن الأرضية، وأسندته على حافتها.

انتظرت بترقب شديد ولوح دياب من مدخل البناية لتقذفه على رأسه.

.....

نزل على الدرج مدندنا بصافرة خفيضة عابثا بخصلات شعره، رفع ياقة قميصه للأعلى، ثم خرج من البناية متلفتًا حوله بنظرات عادية، انتفض في مكانه فجأة مصدومًا بذهول كبير حينما انهمرت فوق جسده تلك المياه الغادرة، اغرورقت ثيابه بالكامل، وابتل ما معه من هاتف محمول، وميدالية المفاتيح. كانت يدها لزجتين بفعل الصابون، فنظر لأصابعه بأعين حمراوتين، نفض ذراعيه من المياه العالقة بهما، ثم هدر منفعلًا من تلك الفعلة الحمقاء والمتجاوزة هاتقًا بسباب لاذع:

يا ولاد ال..... مش تفتحوا عينكم! للدرجادي عُمي مش شايفين البني آدمين اللي ماشيين تحت!

سمع صوتها المألوف يأتيه من الأعلى صائحًا:

تعيش وتاخذ غيرها!

رفع وجهه نحوها مسلطًا نظراته النارية نحوها. فرأها تضحك متباهية بما فعلته معه، استشاط وجهه، وبرزت عروقه، وضغط على شفثيه مانعًا نفسه من السباب مجددًا، لوحته له بأصابعها قائلة بتشفٍ كبير:

دلوقتي أقدر أقولك حليب يا اشط!



ضحكت مستفزة إياه وهي تلج إلى الداخل، لم يبعد نظراته عن الشرفة رغم  
اختفائها منها، وتمام مع نفسه بتوعد مغتاض:

ماشى، متعالك لقدام يا أبله!

أخفض عينيه ليجد أحد المارة محققاً به وهو يضحك على هيئته، فنظر له  
شزراً مردداً بحق بائن:

-في حاجة!

رفع الرجل يده قائلاً بمرح:

-لا مافيش!

تحرك بعدها دياب نحو سيارته ليركبها متمماً بكلمات مهمة لكنها توحى بغضبه  
التام.

.....

نظرت باحتقار لها وهي متأبطة في ذراع والدتها، فدفعتها عن عمد بقوة من  
كتفها لتحل محلها، وتمسك بذراعها، ابتلعت أسيف ريقها متحملة أسلوبها الفج  
في التعامل، وأخرجت تهيدة مزعوجة من صدرها.

تحركت للجانب الآخر لتسير إلى جوار عمها متجنبة افتعال أي مشاجرات  
معها، وهمست لنفسها بتذمر:

-ربنا يبعدها عني، أنا بالتخفق منها!

عابت عواطف ابنتها قائلة بضجر:

مالهاش لازمة الحركة دي!

مالت عليها نيرمين برأسها لتهمس لها بحقد واضح:

-انتي أمي مش أمها!

رمقتها عواطف بنظرات حادة موجحة إياها بغلظة:

-وهي أكثر من بنتي! يا ريت تفهمي ده، وتعاملها كويس

إشرأبت نيرمين بعنقها للجانب لتحجج أسيف بنظرات دونية مخيفة قبل أن

ترد بغموض مربك:

-وماله يا ماما! ده أنا تعاملها معاملة متخيلهاش!

استشعرت عواطف القلق من طريقته، فتساءلت بتوجس:

قصدك ايه؟

ردت عليه بابتسامة خبيثة وهي تشيح بوجهها بعيدًا عنها لتحقق أمامها

بنظرات مخيفة:

متخديش في بالك!

صمت للحظة قبل أن تتابع بجدية أمره:

تعالى ناحية الرصيف أحسن بدل ماشيتنا في نص الشارع!

تحركت معها والدتها، وكذلك أسيف، ناحية الرصيف عفويًا غير مدركتين  
لذلك النبيء الجالس هناك على المقهى الشعبي.

.....

ها وايه كمان؟

تساءل مجد بتلك العبارة باهتمام أكبر بعد أن أبلغه صبيه حودة بما جمعه من  
معلومات سريعة حول ذلك الدكان العتيق المملوك لعائلة خورشيد، عرف  
باختصار من رجال منذر الذين تبادلوا الحديث السريع معه بتنازل عواطف  
عن حصتها وبيعها لمنذر، وشراء الأخير لها بثمن مرتفع من أجل فرض سطوته  
على الدكان وضمه إلى باقي المحال من أجل مشروع المطعم، لكن رفضت ابنة  
أخيها بيع نصيبها له، فتعطل مشروعه مؤقتًا، كما بلغه أيضًا منعه لها من  
دخوله.

زاد فضوله لمعرفة سبب ذلك، لكن سريعًا ما تلاشى ذلك الغموض المريب  
حينما رأى ثلاثتهن ترقن من أمامه، تسمرت نظراته على وجهها المألوف له  
تحديدًا، هو عرفها تَوًا، نعم إنها نفس الفتاة التي اصطدمت به من قبل ليلة  
خروجه من السجن، وتسببت لاحقًا في اندلاع المشاجرة حينما تحرش بها.  
تلك التي مُنعت عنه عنوة، وزج في الحبس بسببها.

هتف الصبي حودة قائلاً بتلهف وهو يوميء بعينه نحوهن:

دول أصحاب الدكان يا معلم، والبت اللي على الطرف تبقى شريكة ابن طه!

تحفرت حواسه بالكامل بعد تلك الجملة الأخيرة، وانتصب في جلسته متأهبًا لها.

رأت نيرمين - من على مسافة قريبة - على تعابيره المتصلبة ما طمأن شعورها بقرب نجاح خطتها الجهنمية.

غمزت له بطرف عينها بحركة موحية لتشير إليها وهي تهتف عن عمد مؤكدة لشخصها المقصود:

يا رب بس يعجب ذوق القماش يا بنت خالي!

استغربت أسيف من طريقتها الغير مريحة في نعتها بذلك اللقب، والتفتت ناحيتها لتنظر لها بانزعاج بائن، التوى ثغر الأخيرة بابتسامة شيطانية برزت من خلفها أنيابها الشرسة وهي تبادلها تلك النظرات الموحية بشر مستطر.

مرت من جواره غير مدركة لوجوده المهلك قربها، لكن نظراته المخيفة اخترقتها كليًا لتعلن عن بدء تحدٍ من نوع آخر. تحدٍ مباح فيه كل شيء للظفر بذلك الصراع المميت.

تحسس مجد صدره بحركة بطيئة، ثم تابعها بأنظاره القوية هاتفًا لنفسه بحماس مثير:

ده كده احلوت على الآخر.....!!

.....

## الفصل الثاني والخمسون:

قست نظراته حتى باتت أكثر غموضاً وريية، تمنع في تفكيره الجهني الدنيء حتى وصل إلى مربط الفرس، إلى تلك الذريعة التي سيبدأ من عندها حياة خطته وتنفيذها. فقد هداه شيطان عقله إلى السبيل نحوها، الآن صارت هي هدفه القادم، والوصول إليها يعني إعطاء غريمه اللود ضربة مميتة في مقتل.

ألقى بخرطوم أرجيلته على الطاولة بعد أن فرغ منها، ثم نهض واقفاً من مقعده  
قائلاً بصوت متحشرج:

حاسب على الطلبات يا حودة وحصني على المطعم  
أجابه صبيه ممتثلاً:

تؤمر يا معلم مجد!

سار بخطى واثقة فاركاً ذقنه وصدغيه بحركات ثابتة في اتجاه المطعم الخاص  
بعائلته ليتحدث مع والده في أمرها، فقد حسم أمره باقتحام حياتها  
بالإجبار..

.....

وقفت محدقة بأعين شاردة في لافتة محل الأقمشة غير مُدركة لما يُحَاك من  
وراء ظهرها من مكائد مهلكة، بدت حائرة إلى حد ما وهي تفكر فيما ستنتقيه  
من أقمشة ملائمة بالداخل، ولم تنتبه لتلك الأعين المتربصة بها بغل دفين، لم  
تحد عنها نظرات نيرمين الحانقة، كانت تتبعها في كل نفس يخرج منها، في كل  
حركة عشوائية تصدر عنها، تمت لو أحرقتها حية كي تبرد نيرانها المتأججة  
نحوها.

انتهت كلماتها إلى صوت عواطف الهاتف بجديّة:

ياللا يا بنات، تعالوا نتفرج جوا!

عادت نيرمين إلى طبيعتها الشرسة في التعامل مع ابنة خالها، فاستطردت  
حديثها قائلة بسخط:

يا رب بس تعجب ست الهانم!

التفتت أسيف نحوها لترمقها بنظرات مزعوجة من أسلوبها التهكمي نحوها،  
وأثرت الصمت من أجل عمته فقط.

ولجت ثلاثهن إلى داخل محل الأقمشة، فنهض أحد العاملين من خلف إحدى  
الطاولات هاتفاً بترحيب:

يا أهلاً وسهلاً، شرفتونا! ازيك يا حاجة عواطف

ردت عليه الأخيرة بود مألوف:

بنخير يا بني والحمدلله، أخبار الحاج ثابت ايه؟

أجابها العامل بإيجاز وهو يتنسم لها:

تمام!

أضافت قائلة بحماس وهي تضع يديها على كتفي ابنة أخيها:

ربنا يديه الصحة يا رب، بص بقى عاوزين حاجة حلوة كده تليق بالبنوتة  
القمر دي!

اغتاظت نيرمين من احتواء أمها لها، فنظرت لها بسخط مغلول.

أصرت أسيف على رأيها في انتقاء ما يناسبها من ألوان، فأردفت قائلة بهدوء رقيق:

معلش يا عمتي أنا عاوزة غوامق

اعترض العامل قائلاً باستغراب محاولاً إقناعها بالعكس:

غوامق ليه بس؟ ده حتى الألوان الفاتحة هتليق عليكى، و.....

قاطعته نيرمين هاتفة بتهمك مهين:

شوفلها أسود حاجة عندك، حاجة شبه نهارها كده اللي مش بيعدي!

ارتفع حاجبي أسيف للأعلى مستنكرة ما تقوله عنها، وبدا العبوس ظاهرًا على ثغرها.

استشاطت نظرات أمها من أسلوبها الفج، وعنفتها قائلة بضجر كبير:

نيرمين، في ايه؟

ثم التفت برأسها ناحية العامل قائلة بضيق:

معلش يا بني شوفلها اللي هي عاوزاه!

هز رأسه بتفهم، ثم اعتلى المقعد ليسحب عددًا من الأقمشة الملفوفة بما يتلائم مع اختيارها.

تجولت نيرمين في المحل محدجة كل شيء بنظرات احتقارية، ثم هتفت قائلة باشمزاز بائن في نبرتها:



هو مال الأتواب بقي شكلها يقرف كده، مافيش زي حاجة زمان!

رد عليها العامل بنبرة محتقنة:

ليه يا أستاذة؟ ده احنا جايبين في المحل هنا أحسن قماش وأغلاه!

مدت يدها لتمسك بأحد الأطراف المفرودة على الطاولة، ونظرت لها شزرًا

وهي ترد بعبوس جلي:

ماهو باين!

ثم وضعت يدها على منتصف خاصرتها متابعة بتأفف:

ده معظمه شايط، وبيتملع من بعضه لما بيتغسل مرتين ولا ثلاثة!

نزل العامل عن المقعد واضعًا ما معه من أقمشة على الطاولة وهو يرد محتجًا:

-أكيد مش قماشنا!

بدت علامات النفور والضجر ظاهرة عليه كرد فعل طبيعي لطريقها المستفزة.

حاولت أسيف امتصاص انفعاله الواضح قائلة بجمود:

-ركز معايا حضرتك، أنا اللي هاشتري مش هي!

التفت العامل ناحيتها قائلاً بتبرم:

تحت أمرك، في عندي النوعية دي، قماشتها سميكة وتستحمل وفي نفس

الوقت مش بتشف.

تغنجت نيرمين بجسدها قائلة بازدرء ساخط:

-أذواق تموع النفس!

ضاق العامل ذرعًا منها، فهتف برجاء أخير:

حاجة عواطف! خلي الأستاذة تخف علينا شوية، الواحد عنده مرارة واحدة،  
ومش ناقص يسمع كلمتين زي دول!

شهقت نيرمين هاتفة بجموح وهي تشير بيدها بحركات موحية:

ليه يا خويا إن شاء الله، إن كان على المرارة فهي اتفقت عندي من زمان!  
على قدر المستطاع جاهد العامل ليضبط نفسه قبل أن ينفجر في وجهها  
وتثور ثأثرته. فرد عليها بنفاذ صبر وهو يزفر مغتاظًا:

-الله طولك يا روح!

صاحت به بصراخ حاد:

-أتكلم عدل معايا، وماتنفخش في وشي!

كان الأمر واضحًا للعيان، فهتت أسيف أخيرًا أنها تعمدت فعل ذلك لإحراجها  
أمام ذلك البائع حتى يرفض إتمام البيع وتفسد عليها الأمر، لا تفسير منطقي  
لأفعالها سوى هذا.

نهرتها عواطف قائلة بمرح كبير:

يا نيرمين مايصحش كده!

نظرت الأخيرة للعامل بنظرات مهيبة متعمدة إثارة عصبته قائلة:

وهي دي طريقة يتكلم بيها مع زباينه، يكونش مفكر نفسه بتاع قماش بحق  
وحقيق، ده حياالله شوية رقع ومتجمعة مع بعض!

ضرب العامل بقبضتيه على الطاولة هاتقًا بنبرة محتقنة:

حطب ليه طولة اللسان دي وقلة الأدب؟ أنا أقدر.....

قاطعته نيرمين مهددة بنبرة عدائية وهي تشير بيدها:

عندك! لو فكرت بس تغلط معايا هاقلع اللي في رجلي وأشبشباك!

لطمت عواطف على صدرها هاتفة بذهول:

يا لهوي عليكي، ليه الفضايح دي!

ردت ببرود وكأنها لم تفتعل الأمر:

إتتي مش شايفة طريقته معانا، حاجة تفور الدم!

ضرب العامل كفاً بالأخر قائلاً بجدة مغتظة:

بأقولكم ايه شطبنا خلاص، مافيش حاجة للبيع، يالا اتفضلوا من هنا!

اعتذرت له عواطف قائلة بخجل:

استهدى بالله يا بني، حقك عليا أنا

رد عليها بجفاء شرس وهو يرمقهن بنظرات متأففة:

لا حق ولا مستحق، اتفضلي يا حاجة عواطف من هنا، أنا لولا مقدر بس

جيتك كان هيبقالي كلام تاني!

أمسكت نيرمين بعباءتها جاذبة إياها للأمام وهي ترد بجرعة ساخطة مستنكرة:

يامي يامي يامي، تف.. تف... تف! خوفنا يا ناس من تهديدك الأقرع ده!  
تقولش خارجين من الجنة ياخي!

توهجت عيني أسيف بنظرات مشتعلة وهي تحدج ابنة عمتها بهما قبل أن  
تندفع للخارج ووجهها ككتلة ملتهبة من الحمرة الغاضبة، هي نجحت في  
إفساد الأمر عليها، وتعكير صفوها، وحرق دماغها بمهارة محترفة.

هزت عواطف رأسها قائلة يا حباط مستاء:

-بيننا يا نيرمين من هنا، بوظتها وارتاحتى!

وقبل أن تلج نيرمين من المحل وجهت أنظارها نحو العامل قائلة بضجر  
مصطنع:

حسبي الله ونعم الوكيل!

رد عليها بتهم مزعوج للغاية والشرر يتطاير من عينيه:

-زباين تقطع الخميرة من البيت!

لكزت عواطف ابنتها بقوة في كتفها على عتبة المحل هامسة بغل:

-هديتي دلوقتي، يا ريتنا ما خدناكي معانا يا شيخة!

ردت عليها ابنتها بهدوء بارد:

-الله يا ماما! ده هو اللي مش عاوز يبيع!

حقًا كانت مستفزة لأبعد الحدود مما جعل والدتها عاجزة عن كبحها أو حتى الرد عليها بما تستحقه، لم يكن بيدها أي حيلة سوى اللحاق بابنة أخيها ليعدن جميعًا خاليات الوفاض للمنزل، فيما عدا نيرمين التي كانت عينها تبرق بوميض مخيف، ارتسم على ثغرها تلك البسمة المنتصرة المستمتعة بنتائج ما كادته من مؤامرات مهلكة، ولم تمنع مُطلقًا في إظهارها أمام والدتها، فجولة أخرى قد ظفرت بها وتستحق أن تتلذذ بطعم انتصارها فيها.

.....

أغلق باب المنزل خلفه مشمئزًا من نفسه ومن ثيابه المبتلة، كان لزامًا عليه أن يعود ليبدلهم، فحالته مزرية، تحركت جليلة في اتجاهه لتنظر إليه بغرابة بعد عودته المفاجأة تلك.

شهقت مصدومة حينما مررت أنظارها عليه، وهتفت متسائلة:

ايه اللي بهدلك كده؟

ضغط دياب على شفثيه بقوة، ولم يعقب عليها. فيكفيه الحنق المشحون بداخله تجاهها.

دنت أكثر منه لتتفقدته عن كئيب، فتساءلت متعجبة:

مياه وسخة دي؟

نظر لها مغتاظًا وهو يرد بضيق:

-لأ بأومو!

سألته بفضول أكبر وهي تضع إصبعها على طرف ذقنها:

-بس مين عمل فيك كده؟ انت وقعت في بلاعة؟

لوح دياب بذراعيه هاتفاً بنفاذ صبر:

-ارحميني يامه من أسئلتك، أنا جايب جاز!

ردت عليه مستاءة من أسلوبه الحاد:

-يعني انت بتبقى فارد وشك برا، وتقلبه هنا؟

رفع يديه للأعلى مستسلماً وهو يضيف باقتضاب:

-مش هارد عليكي، أنا داخل أغير هدومي أحسن!

تحرك بخطوات متعجلة من أمامها، فلحقت به قائلة بجدية:

-البيت محتاج يتبخر وأجيبله شيخ يرقيلي كل ركن فيه، إنتو محسدونين

والله! ايوه، محسدون!

تحولت نبرتها للضيق وهي تضيف:

-كفاية العمل المهيب اللي لاقيته في فرشة أخوك!

التفت برأسه ناحيتها لينظر لها باستنكار وهو يرد ساخراً:

هاتي زار أحسن! ولا أقولك اتصلي بالشيخة خديجة المغربية!

نظرت له ببلاهة، فعاتبه قائلاً:

-ايه يامه جو الشعوذة اللي قلب في البيت فجأة!

ردت عليه بجدية تعجبها:

-انت مش فاهم حاجة، خليك في أمور التجارة بتاعتك، وسييلي أنا الحاجات الثانية!

وضع يده على مقبض باب غرفته هاتقًا بعدم أكثر:

-أنا مش فايق أصلاً للتخريف دي، ورايا حاجات أهم!

.....

هب واقفًا من على الأريكة المريحة بغرفة المكتب الملحقة بمطعمه غير مصدق ما تفوه به ابنه توًا، ظن أنه في غير وعيه لينطق بمثل تلك الحماقات الغير منطقية.

نظر له بأعين حائقة هادراً بنبرة مصدومة:

-انت اتجننت؟ ايه اللي بتقوله ده!

رد عليه ببرود واثق وهو يقضم أظافره المتسخة بأسنانه:

هو الجواز عيب يا أبا!

بصق ما قطعه من أجزاء صغيرة متابعًا بجمود:

-وبعدين أنا عاوز أكمل نص ديني!

رد عليه أباه غير مقتنع بتصريحه قائلاً:

-لأ مش عيب، بس مش بالشكل ده!

قست نظراته وهو يسأله بجدة قليلة:

-اشمعى يعني؟

أشار مهدي بيده في الهواء بحركة متعجبة وهو يحاول تبرير اعتراضه:

-مش عارف أقولك ايه، بس الحاجات دي ليها أصولها، وبعدين انت تعرف

البت أصلاً؟ يعني حصل بينكم كلام عشان تفكر فيها؟

تمط بذراعيه مجيباً إياه بفتور:

-لأ.. مش أوي، بس هي طلبت معايا كده!

رد عليه مهدي بامتعاض:

-يبقى أكيد اتهمت في مخك عشان تفكر كده!

استشاطت نظراته وهو يرد بنبرة محتقنة:

جرى ايه يا أبا، أنا مش هفأ! وبعدين كلها مصالح في الآخر!

ردد مهدي غير مدرك لمقصده الخفي:

-مصالح؟!!

انتصب مجد في جلسته، وسلط أنظاره على والده ليجيبه بغموض مريب:

-ايوه، مش انت يا أبا عاوز العداوة اللي بينا وبين عيلة حرب تخلص؟ ده بقى

مش هايجصل إلا لما يبقى في نسب بينا!



هتف مهدي مستنكرا تفكيره:

-وملاقتش إلا دي!

أجابه بنبرة غير مريحة على الإطلاق وقد توهجت نظراته:

-دي أنسب واحدة ليا!

ابتلع مهدي ريقه مضيئاً بتوجس:

-شكلك عاوز تغرس رجلينا في الوحل!

انتفض مجد واقفاً من مكانه صائحاً بصوت آجش شبه منفعل:

قولي بقى انك خايف على زعل ال..... دول!

وضع مهدي أصابع كفه على جبين ابنه ضارباً إياه بقوة خفيفة وهو يرد على  
مضض:

-انت مخك تخين، محدش هيرضى بالجنان اللي بتقوله ده

تراجع برأسه للخلف قائلاً بشراسة مهددة:

-أنا مخي يوزن بلد بحالها، والبت دي لازماني، ولو مش قابل بالجوازة دي من  
الأساس، وماله بس أنا حر بقى أتصرف معاهم زي ما أنا عاوز إن شاء الله  
أجيب عليها واطيها!

استشعر والده الخطر من كلماته الموحية بالعدوانية، فنظر له بقلق، ثم تابع قائلاً بتردد:

مجد، انت ناسي آخر مرة حصل ايه؟ مش هانكره ثاني!  
أجابه باستخفاف متهمك:

حوكها كانت عيلة ماتسواش، كويس إنها غارت وماتت!  
ضاقت نظراته أكثر لتصبح مخيفة وهو يضيف بإصرار عنيد:  
لكن دي لأ، وزى ما فهمتك المصالح بتحكم!

كان محققاً في عبارته الأخيرة، فهو يريد أن تستمر الهدنة بين العائلتين، ولا حاجة به لتكرار تلك المشاهد الدموية من جديد. فتهد قائلاً بيأس:

-ايوه عارف!

تقوس فم مجد للجانب متسائلاً بلووم:

ها قولت ايه؟

أجابه مستسلماً:

-أمري لله!

التوى ثغره بابتسامة خبيثة بعد نجاحه في إقناعه، لكن هتف والده محذراً بغلظة:

بس سبني أرتبلها الأول، مش عاوز آ.....

قاطع مجد مرددًا بصرامة غير قابلة للنقاش أو التفاوض:  
 -لأ يا حاج، إنت تقطع عرق وتسيح دمه! حلاوتها في حموتها!  
 اعترض مهدي على تسرع ابنه معللاً:  
 يا بني الأمور مش بتاخذ قفش، دي ترتيبات وعلى أصولها!  
 صاح به بعدم أكثرأث:  
 فكك من الكلام ده، وامشي ورايا يا أبا!

رد عليه متوجسًا وهو يخرج تهيدة مطولة من صدره:  
 ربنا يسترها، قلبي مش مرتاح!

.....

-كنتي فين كل ده؟

تساءلت شادية بتلك العبارة وهي تلاحق بنظراتها ابنتها التي ولجت للداخل  
 دون أن تنبس بكلمة.

تبعثها إلى غرفتها مكررة تساؤلها المنزعج، فأجابتها الأخيرة على مضض:

مافيش

وبما ستجيبها؟ هي تلقت إهانة أخرى من قبلة، وأمام إحداهن لتشعر بحجمها  
الحقيقي أمامها، وخزة كبيرة عصفت بقلبها، وأنهكت مشاعرهما المضطربة.  
وضعت شادية قبضتها على ذراع ابنتها، وحدقت في وجهها بنظرات قلقة  
مرددة بتوتر ملحوظ:

يا ولاء أنا خايفة عليك، إتي المفروض ترجعي عند جوزك و....

قاطعتها قائلة بشراسة حادة وهي تريح يدها عنها:

- ماتجلبش سيرة الكلب ده تاني، أنا خلاص قرفت منه ومن حياتي معاه!  
حذرتها أمها بجدية:

- بلاش تركبي دماغك، هتخسري كل حاجة!

شردت ولاء مرة أخرى فيما حدث معها من مهانة مذلة على يد طليقها  
الأسبق، فلمعت عيناها متأثرة بشدة.

أخرجت من صدرها زفيرًا قويًا وهي ترد بنبرة مستاءة:

معدتش تفرق!

تفرست والدتها في وجهها، فرأت تلك اللمحات الحزينة التي تكسو تعابيره،  
فتوجست متسائلة:

شكلك مش مريحني، في ايه حصل؟

اختنق صوتها وهي تجيبها باقتضاب:

أنا عاوزة أنام!

ثم ألت بثقل جسدها على الفراش دون أن تبدل ثيابها، ودفنت رأسها في الوسادة متحاشية النظر إلى والدتها، يكفيها ما لاقته اليوم لتزيد هي من تأجيج حنقها بداخلها بكلماتها الجامدة التي تهتم فقط بكل ما هو مادي وملموس، راقبتها أمها بقلق كبير، شعرت بوجود خطب ما بها، فأحوالها مؤخرًا ليست على ما يرام.

تمتت مع نفسها بهمس مزعوج:

يا خوفي يا ولاء تضييعي النعمة اللي في ايديكي بغباءك، وترجعي يا مولاي كما خلقتني!

.....

في مساء اليوم التالي، رتب الحاج مهدي مع كبير عائلة حرب زيارة ودية في وكالتهم، واتفق الاثنان على أن يلتقي رجال العائلتين بعد صلاة العشاء. لم يجد منذر مبررًا منطقيًا لتلك الزيارة الغريبة، فقد استشعر وجود شيء ما مريب بها، وكعادته الجادة حينما يقابل حتى بأشرس أعدائه استقبلهم بترحاب ودود، وأشرف على ضيافتهم، تجرع مجد قهوته ببرود مستفز محققًا في وجه خصمه بنظرات خالية من الحياة.

لم يكن الأخير متقبلاً لوجوده بأي شكل، وجاهد ليبدو طبيعيًا رغم اضطراب  
انفعالاته بداخله.

قطع ذلك الحديث الروتيني المرعب متسائلاً بتأفف:

خير، الزيارة دي بمناسبة ايه؟

أجابه مجد بثبات مريب ونظراته مسلطة عليه:

-كل خير طبعا، وهو احنا في بينا غير الخير!

رد عليه منذر بسخط:

-إنت هاتقولي!

أسند مهدي فنجان قهوته بالصينية مستطردًا حديثه بهدوء:

-شوف يا حاج طه، من غير ما نلف وندور، احنا عاوزين نناسب بعض!

قطب طه جبينه مرددًا باندھاش:

-نناسب بعض!

بينما تساءل دياب بغرابة:

-نسب ايه ده

تابع مهدي موضحةً بنبرة رزينة:

-ايوه، مش عاوزين النفوس تفضل شايلة من بعضها كثير، وأحسن حاجة

تضمن ده هو الجواز!

رد عليه طه بتعجب وهو يحك مقدمة رأسه بحيرة ظاهرة في نظراته:  
 بس على حد علمي معارفنا وقاربنا أغلبهم رجالة، والحريم اللي فيهم متجوزين،  
 إلا إن كنت بتكلم عن بنتي أروى!  
 صاح منذر محتجًا بغلاظة:

في ايه يا حاج؟ أروى عيلة ماطلعش من البيضة جواز ايه ده اللي ليها؟!  
 رد عليه مهدي مصححًا بابتسامة مصطنعة:  
 ربنا يباركلكم فيها، احنا مش بنتكلم عن دي!

بينما أضاف مجد مرددًا بغموض مزعج:  
 أنا حاطط عيني علة واحدة تانية، هي معرفتكم بردك!  
 هتف دياب قائلًا بعدم فهم:  
 معرفتنا!

زاد إحساسه بوجود مقصد دنيء وراء عرضه هذا، فنظراته وكلماته الموحية  
 تؤكد حدسه القلق.

ضاقت نظراته، وحل الوجوم على محياه وهو يتساءل بامتعاض:  
 مين دي؟

رد عليه تلك المرة مهدي ليسترعي انتباهه:

قريبة عواطف!

التفت منذر ناحيته شاعرًا بانقباضة قوية في قلبه متوجسًا مما سيقال لاحقًا.

انفجرت شفتي طه متسائلًا بغرابة:

هاه! مين بالظبط؟

أدار مجد رأسه في اتجاه منذر، وجمد نظراته القائمة عليه، ثم أجاب قائلاً  
بابتسامة مأكرة:

-بنت أخوها رياض خورشيد.. أسيف!

اتسعت مقلي منذر بصدمة واضحة، وقفز قلبه في قدميه لمجرد سماع ذلك  
الحقير يلفظ اسمها من بين شفثيه النجستين، فهدر صارخًا بانفعال كبير بعد  
أن فشل في التمسك ببقايا عقله:

نعم، بتقــــــــــــــــول مــــــــــــــــين؟!!!!!!

استرخى مجد في جلسته أكثر، وتعمد وضع ساقه فوق الأخرى ليزيد من  
استفزازه له، ورد ببرود قاسي متلذذًا برؤيته على تلك الحالة المشتعلة:

-انت سمعتني كويس، أسيف خورشيد!

توهجت عيناه كجمرتين متقدتين، وكان على وشك الانقضاض عليه، لكن  
شكل أخاه دياب حائلًا بجسده لينعه من الاقتراب منه.

صرخ فيه بجموح متعصب وهو يلوح بذراعه في الهواء مهددًا:



أُكيد إنت اتجننت، ومخك لسع! مين دي اللي عاوز تتجوزها! إنت اتهبلت يا  
بن أبو النجا!

أنزل مجد ساقه عن الأخرى قائلاً بتحذير شرس:

-احفظ أدبك معايا، أنا لساني طويل وقلة الأدب مافيش أسهل منها، و....

توقع مهدي أن يحدث الصدام بين الطرفين كرد فعل طبيعي لعرض الزواج  
المريب. وبالطبع لن يُقبل به بسهولة خاصة في تلك الظروف، بالإضافة إلى  
التاريخ السيء لابنه فيما يخص ماضيه المشين من حوادث شرف مع الكثير من  
الفتيات، لذلك أسرع بتدارك الموقف قبل أن يتفاقم ويتحول إلى شجار مهلك،  
فقاطعها قائلاً بصوت مرتفع:

-اهدوا يا رجالة، هو احنا جاين نتخانق هنا، ده اتفاق جواز!

هدر فيها منذر بصرامة متعصبة تعكس جزءاً لا يُذكر مما في داخله:

معدناش حريم للجواز، ودي الناهية!

هب مجد واقفاً لينظر له بقسوة غير مكترث برأيه، ثم أضاف مستخفاً به:

مش انت اللي تقرر!

هدده منذر بسبابته صائحاً بجنون:

على جثتي لو حصل

ابتسم مجد لنجاحه في إشعال بركانه الثائر، وشعر بالتسلية لمجرد رؤيته هكذا.

انزع طه من تهور ابنه الغير مبرر، فصاح به بنبرة قوية وهو يضرب  
بعكازه الأرضية:

منذر، الكلام أخذ وعطا!

تجاهل مجد غريمه عن عمد ليزيد من نيرانه التي تأكله حيًا، وتابع قائلاً بجمود:

شوف يا حاج طه، إن كان عليا كان ممكن أروح أخبط على باب بيتها  
وأتقدم لها من برا برا، الحكاية مش صعبة!

ثم شدد من قوة نبرته ليقول:

بس أنا التزمت بالأصول وجيت أطلب ايدها من كبير عيلتكم الأول، فكده  
عداني العيب وأزح!

هز طه رأسه متفهماً وهو يشير لابنه بعينه ليصمت:

تمام يا بني!

أكمل مجد قائلاً بثقة مغتررة وهو يوجه نظراته الشامتة إلى خصمه:

-يعني اللي جاي بعد كده يخصني!

صاح منذر بعصبية هادرة:

-انت بتهاوده يا أبا

رد عليه أباه بهدوء حذر:

بالراحة يا منذر!

التوى ثغر مجد للجانب وهو يؤكد له بإصرار:

بالتراضي بالغصبانية الجوازة دي هتم!

ثم دنا منه ليضيف غامزًا:

والمصلحة هنا وجبت! فاهمني طبعا!

جاهد دياب ليبقي أخيه في مكانه، شعر هو بدقات قلبه العنيفة التي تكاد

تقتله من صدره بسبب ذلك الكائن الحقير.

رد عليه منذر متحديًا إياه بجموح وهو يرمقه بتلك النظرات القاتلة:

مش هايجصل!

نظر له مجد باستهزاء متعمدًا إصابته بنوبة قلبية بسبب بروده المتقن.

التفت برأسه ناحية والده ليضيف محذرًا:

خدوروا البؤين دول في دماغكم كويس، وأحسبوها صح، لأن في الآخر الرأي

رأي العروسة! مش رأي حد تاني! أظن كلامي واضح ومفهوم!

كز منذر على أسنانه لاعتنا بكلمات نايبة:

يا بن ال.....!

رمقه دياب بنظرات متوجسة وهو يجاهد لامتنصاص انفعاله قاتلاً:

اهدى يا منذر، امسك أعصابك شوية!

هتف من بين شفثيه بصعوبة:

مش قادر، هاین علیا أجیب أجله وأنا واقف!

عاود مجد التحديق في وجه غريمه بنظرات متشفية ذات مغزى، ثم ابتسم  
له قائلاً باستخفاف:

سلام يا... يا رجاله..!

ثم وضع يده على كتف والده مضيئاً بهدوء:

-بيننا يا أبا!

رد عليه طه قائلاً بمجاملة:

ده انتو لسه ماشربتوش قهوتكم؟

ظل مجد محققاً في أعين خصمه المستشاط أمامه مستمتعاً باحتراقه رويداً  
رويداً بنيران الغضب، هو لم يرَ بعد جانبه المعتم. فالقادم أخطر مما مضى.

هتف من بين شفثيه بابتسامة ماجنة قاصداً الضغط على كل كلمة فيها:

قهوة ايه بقى، احنا هنبيل الشرابات قريب يا.. يا أبو

نسب.....!!!

.....

## الفصل الثالث والخمسون:

احتدم الجدال وصار على أشده مع أفراد عائلته بمنزلهم. لم يتقبل ما عرضه ذلك النبيء بسهولة، بل رفض حتى عقله تصديق أنه تجراً بوقاحة متناهية لطلبها للزواج، تعجب طه من ثورته الغير مبررة قائلاً بجدة:

مش كده يا منذر، فكر بالعقل شوية!

لوح بذراعه في الهواء صائحاً بتعصب كبير:

هو في عقل ينفع مع ال..... ده! احنا بنعمله قيمة وهو مايسواش حتى صرمة  
قديمة مرمية في خرابة!

استطرد دياب حديثه معلقاً باستغراب:

-الغريبة بقي هو إزاي عرف عنها وهو مبقالوش كام يوم خارج من السجن؟

أجابه طه قائلاً بنبرة هادئة:

هو في حاجة في الحتة دي بتستخبي، كله على عينك يا تاجر!

أتت جليلة على إثر صوت نقاشهم المرتفع متسائلة باهتمام:

ايه يا ولاد؟ مال صوتكوا عالي كده ليه؟ والعيال بالعافية لما نيمتهم!

استدار منذر ناحية أبيه هاتفاً بصرامة متصلبة:

مش هايحصل إنه يتجوزها، حتى لو كانت فيها روحه

رد عليه دياب محاولاً تهدئة ثورته:

أكيد ليها حل!

تساءلت جليلة بتعجب وهي محدقة في وجه ابنها بنظرات مزعوجة:

مالك يا منذر؟ في ايه يا ضنايا؟

التوى ثغر طه للجانب مردداً بامتعاض:

شوفي ابنك وحاولي تعقله شوية يا جليلة!

تجاهل منذر حديثها هاتفاً بعناد أكبر وهو يفرك وجهه بحنق:

ماهو من الآخر كده مش هاسمح للحيوان ده إنه يتجوزها!

زادت حيرتها من انفعالاته الهائجة، فتساءلت بتوتر:

مين يتجوز مين؟ ماتفهموني؟

أضاف دياب قائلاً بفضول أكبر:

-وانت ايه اللي مضايقتك كده؟

أراد طه أن يطرق الحديد وهو ساخن ليصل إلى مبتغاه، فتصرفات ابنه الثائرة - خاصة في هذا الموضوع - ليس لها إلا تفسيراً واحداً. لذلك هتف قائلاً بمكر محاولاً كشف أمره وسبر أغوار عقله:

قول إنك حاطط عينك عليها بدل الف والدوران ده كله!

تصلبت تعابير وجه منذر عقب تصریح والده الذي حاصره في خانة "اليك"، تجمدت نظراته عليه، وعجز عند إيجاد الرد المناسب له، فاكتفى بالتحديق فيه بنظرات قوية تحمل الكثير وهو يضع كفيه على منتصف خصره، فهو رفض تصديق ما اعترف به لنفسه، وأنكره بشدة معللاً أنها مجرد أوهام وخرافات من تفكيره المجهد، فكيف له أن يؤكد هذا علناً أمامهم؟

استشعرت جليلة من حديث زوجها المتواري أن للمسألة علاقة مباشرة بابنها، وساورتها الشكوك حول طبيعة الموضوع، اضطربت دقات قلبها وهي تتساءل بعصبية خفيفة:

هو في ايه بالضبط؟ مين دي اللي بتكلموا عليها؟

أجابها دياب بفتور:

قرية عواطف

لطمت على صدرها عفويًا هاتفة بشهقة مصدومة:

-بتاعة الأعمال!!!!

التفت منذر برأسه ناحية والدته لينظر لها بجدة وهو يردد مذهولاً من جملتها الغامضة:

-نعم!!!

عبس وجهها بشدة، وضافت نظراتها متسائلة بتجهم مزعوج:

-وهي مالها بينا؟

أجابها دياب بضجر وهو يزفر بملل:

-الكلب مجد عاوز يتجوزها يامه!

بينما أضاف طه مؤكِّدًا عن عمد وهو يوميء بعينيه نحو ابنه البكري:

-بس ابنك معارض!

صاحت صارخة بتشنج مشيرة بكفها:

-ليه؟ ما يتجوزها، واحنا مالنا بيها!!!

برقت عيناه بوميض مظلم، لم يعد في مقدوره ضبط أعصابه الهائجة أكثر من هذا، فما أعاظه أكثر هو عدم أكثراث والدته بمصيره أسيف في حال تزويجها



بذلك الهمجي ذو الطباع السيئة، وكأنها لا تعرف ماضيه المشين ولا فضائحه المعيبة.

جاهد ليبدو هادئاً رغم انهياره الوشيك، فرغ كفه أمام وجهها قائلاً بتوسل محتد:

-الله يكرمك يا أمي اسكتي دلوقتي!

هبت واقفة من مكانها صائحة بنفاد صبر:

-لأ مش هاسكت!

ثم اقتربت من ابنها، ووقفت قبالة ناظرة في عينيه بتفرس حائق، شكل الوجوم تعبيراً أساسياً على وجهها وهي تسأله بازدراء:

قولي محمود عشانها كده ليه؟ ما تتجوز ولا تشوف طريقها بعيد عننا، احنا إيش حشرنا فيها؟

أجابها بصوت مختنق يحمل الانفعال:

-لأنه جه طلبها مننا رسمي، فلازم نقول رأينا وندخل في الحكاية دي!

أكد طه ما قاله ابنه بنبرة متريثة:

-ابنك عنده حق يا جليلة، احنا دلوقتي في قلب الموضوع!

التفتت برأسها قائلة بعدم أكثرات:

-وافق يا حاج واخلص، طالما فيها المصلحة!

استشاطت نظرات منذر حتى اصطبغ بياض مقلتيه بجمرة مخيفة. كز على  
أسنانه متسائلاً بتشنج كبير:

إنتي شايفة كده؟

عاودت جليلة التحديق في وجه ابنها مرددة بإصرار:

أه، هي متفرقش معنا! وبعدين ده أريح للكل!

كاد أن يخرج عن شعوره وينفجر بشراسة غير مكترث بتبعات ما سيحدث،  
لكنه أهلك أعصابه، وسيطر على غضبه المكتوم بداخله بتحجيمه عن  
الاندلاع في وجه الجميع متجهًا بخطوات مهرولة نحو باب المنزل، صدمت جليلة  
من ردة فعل ابنها، ورأت في نظراته ووجهه المحتقن بدمائه المغلولة ما أكد  
حدسها.

حاولت اللحاق به متسائلة بتوجس:

منذر، رايح فين؟

أجابها بنبرة هادرة دون أن يلتفت نحوها:

في داهية!

ثم صفق الباب خلفه بعنف شرس جاعلاً أركان المنزل تهتز بقوة، تهدل كتفي  
والدته باستياء كبير، وزادت شكوكها حول ما تخشى حدوثه، استدارت عائدة  
خائبة الرجاء وهي تمني نفسها أن يكذب احساسها.

حك دياب مؤخرة رأسه متسائلاً بعدم فهم:

هو ماله بس؟

ضربت جليلة على فخذيها قائلة بتوجس:

-البت دي سحراله، وعملاه عمل ربطاه بيها!

نظر له طه مستنكرا تفكيرها القديم، وردد بغرابة:

-ايه اللي بتقويه ده يا جليلة؟

أجابته بصوت محدد وهي عابسة الوجه:

-باقول اللي شايفاه بعيني يا حاج!!!

استند طه بكفيه على رأس عكازه، واتكأ بطرف ذقنه عليهما محدثاً نفسه

بتفكير منطقي متأن:

-احساسي صح! شكلك وقعت يا مندر ومحدث سمي عليك!

.....

هبط على الدرجات مختنقاً بصدرة بعد مجادلته الحامية معهم، فبقائه تحت تلك الضغوطات لن يكون محمود العواقب بالمرّة، ظل يضرب بقبضته المتكورة على الدرايزون بعنف طوال نزوله حتى تورمت من شدة الضربات المتتالية، أراد التنفيس عما يقتله.

عاب منذر نفسه لأنه افتقر إلى الشجاعة ليصرح حتى لنفسه أنه يشعر بشيء  
ما نحوها، همس لنفسه بقسوة لاذعة:

أنا جبان! جبان و.....!!!

نجل من مجرد التفكير في الأمر، فبات يعاني من ويلات خوفه، سخونة  
مشتعلة انبعثت من عينيه وهو يخرج من البناية متجهًا نحو سيارته.

هتف أحد الجيران ملوحًا له بتحية عابرة:

مساء الخير يا أستاذ منذر!

لم يجبه، بل لم يشعر من الأساس بوجوده، تعجب الرجل من حالته المريية،  
ومع ذلك لم يجرؤ على سؤاله، فواصل طريقه مبتعدًا، ركب السيارة هاربًا من  
ذلك الحصار المهلك له عل تفكيره يهديه إلى حل لتلك الكارثة.

.....

-والله لو أخر بنت في الدنيا ما هيتجوزها!

صرحت جليلة بتلك العبارة مؤكدة على رفضها التام وهي جالسة مع زوجها  
بغرفتها الخاصة.

نظر لها طه بجمود وهو يردد يتساؤل متعجب:

-اتي شايفة ابنك قال كده؟

هتف بجدة واضحة في نبرتها:

من غير ما أشوف، وهو أنا مش أمه وحاسة بيه، ده ابني واللي يصيبه  
يصيبني!

أخذ طه نفسًا عميقًا حبسه للحظة في صدره، ثم لفظه ببطء وهو يقول:

-الحق يتقال البت ماتتعبش يا جليلة!

هتفت مستنكرة ردة فعله نحوها:

يا حاج دي ليها في الأعمال، وأنا بنفسى لاقيت واحد منهم في فرشته!

قطب جبينه ناظرًا نحوها بثبات وهو يقول باستخفاف:

-اتي بتصدقي في التخاريف دي! بلاش عَبط!

ردت عليه بنرفزة:

اه بأصدق

عبس وجهه من ردها الحاد، فنهرا قائلاً:

-استغفري ربك، بلاش كده!

أضافت قائلة بعناد كبير وهي تشير بيدها:

هو مش هایتجوز إلا اللي أنا اخترتهاله!

أرجع رأسه للخلف مرددًا بتجهم:

قصدك على بنت عواطف!

هزت رأسها بالإيجاب وهي تبرر تمسكها بها:

-ايوه، نيرمين! كفاية إن بطنها ولادة، وبتخلف، ده غير إنها كمان شاطرة في البيت، وطيبة وعشرية، من الآخر كده هي اللي تستاهله!

رد عليها زوجها مستنكراً تفكيرها المحدود:

-ابنك مش عيل ولا مراهق، ده راجل ملو هدومه، وهو حر يختار اللي عاوزاها، وكل اللي قولتیه ده مايدخلش عقل ابنك بنكلة!

اغتاظت من رد زوجها، فهتفت بإصرار أشد:

-لالالا، هو عقله مش فيه، مافيش إلا نيرمين هي اللي هاتصونه وتجيبله ابنه وآ.....

ضجرت طه من حديثها الغير مجدي، فاقتضبت في الحوار معها قائلاً بصرامة:

-ققلي على السيرة دي خالص يا جليلة، وحتي في بالك إن مندر دماغه ناشفة، ولو عند هايعمل اللي عاوزه، وعلى الدنيا السلام!

أشارت هي بسبابتها مضيئة بحنق:

-شوف يا حاج طه، حل الإشكالية دي كلها في ايدك إنت! وافق على الجواز دي، وخلينا نخلص ونرتاح من المهم ده كله، وبعدها بقى نبقي نفوق لجوازته

من نيرمين!

ضرب كفه بالأخر المسنود على رأس عكازه هاتقًا بنفي:  
مش هايحصل يا جليلة، وبكرة هافكرك، ده ابني وأنا فاهم دماغه بتفكر  
ازاي! وعصبيته دي مش بالساهل!

.....

هداه تفكيره المشحون إليها، ربما عن طريقها يتمكن من إيصال رسالة ضمنية  
توضح مساوي ذلك الحقير دون أن يظهر هو في الصورة، خاصة أنها تعانده  
بشكل كبير، وتفكر بتهور حينما يتعلق الأمر به، ولمس هذا الأمر فيها عدة  
مرات حينما اتخذت قرارات مصيرية عاجلة في أوقات حرجة أوقعتها سويًا.  
فليضمن تفكيرها العقلاني وترتيبها في تلك المسألة بالذات، لذا عليه أن يختار  
من يأتئنها في هذا الموضوع، وتصدق بلا شك تحذيرها الخطر.  
أوقف منذر السيارة على مقربة من الصيدلية المملوكة لها، ثم ترجل منها سائرًا  
نحوها بخطى متعجلة.

كانت فاطمة على وشك إغلاق بابها حينما سمعت صوتًا يناديها من الخلف  
بجدية:

لحظة يا دكتورة!

التفتت برأسها نحوه لتجده يقترب منها.  
ضاقت نظراتها وهي تسأله بتوجس:

خير يا أستاذ منذر؟ في حاجة؟ حد من العيلة تعبان أو.....

قاطعها قائلاً بغموض:

-لأ، كلنا بخير، بس أنا عاوزك في كلمتين إن مكانش فيها مضايقة

نظرت له متسائلة بتوجس:

-اتفضل، أنا سمعك!

أوما لها بعينه قائلاً بجدية صلبة:

معلش نتكلم جوا الصيدلية!

ضغطت على شفيتها هاتفة بهدوء:

-او كي، اتفضل!

عاودت فتح باب الصيدلية من جديد، ثم ولجت أولاً للداخل، وتبعها هو.

جلست خلف مكتبها مشبكة كفي يدها معاً حادقة فيه بنظرات متوترة وهي

تسأله:

خير يا أستاذ منذر؟

أجابها بكلمة واحدة موجزة أثارت ريبتها على الأخير:

-أسيف!



انفرت شفتها للأسفل مدهوشة من ذكره لاسم تلك الفتاة البسيطة، وبدت  
مهمة بما يقوله، لاحظ منذر تبدل تعابير وجهها للقلق، وتوسم خيراً أن تكون  
الشخص المناسب لتلك المهمة.

استطرد حديثه قائلاً بهدوء حذر:

-انتي طبعا عارفها، البنت اللي كانت معايا، وجاتلك تقريبا هنا قبل كده، اللي  
حذرتيها من الحيوان مجد! فكراها صح!

أجابته بتوتر خفيف وهي تبتلع ريقها:

-ايوه أعرفها، مالها؟

ضغط منذر على شفتيه هاتفاً بصعوبة:

-ابن ال..... عاوز يتجوزها!

شهقت مذهولة من جملة الصادمة، وارتحى تشابك أصابع كفيها.

استغرقها الأمر لحظات لتستوعب خطورة الموقف، ثم هتفت غير مصدقة:

-ايه! مش معقول! اوعى تكون وافقت، ده.. ده انسان بشع بكل المقاييس!

أجابها قائلاً بتجهم:

هي لسه متعرفش إنه طالها للجواز!

تراجعت فاطمة في جلستها للخلف، وأغمضت عينها محبطة بما قد يصير

لتلك الشابة الطيبة، تابع حديثه قائلاً بنبرة شبه متعصبة:

-ومتعرفش أصلاً حاجة عن عمايله القدرة، ولا بلاويه ال.....!  
هزت رأسها بإيماءة متفهمة، ضاقت نظراته نحوها وهو يستأنف حديثه بجدية  
مفرطة:

-أنا بقى عاوز منك خدمة لمصلحتها ده لو كان يهملك أمرها فعلاً!  
ردت عليه بلا تردد وهي تنتصب في جلستها:  
-أكيد يهمني!

تحفرت حواسه بالكامل وهو يقول بصوت قوي متصلب:  
-شوفي يا دكتورة فاطمة، باختصار كده، لو أنا جيت أتكلم معاها هي مش  
هاتسمعني، وجايز متصدقينش وتفتكرني بأفتري عليه، لكن إتي لما تتكلمي  
معاها، يعني كلام ستات مع بعض هتاخذ وتدي معاكي في الحوار!  
-أها

تابع مضيفاً بترث عقلائي:

-فأنا عاوزك تتكلمي معاها وتحكيها بالعقل كده عنه، تفهميها عن ماضيه  
الوسخ، وتخليها تعرف هو مين بالضبط وعمل ايه، جايز تقتنع وتسمعلك!  
ردت عليه مؤكدة:

-اطمن يا أستاذ مندر، أنا هاعمل اللي أقدر عليه، حرام نسيها على عماها  
وهي ماتستهلش واحد زي ده!

تقوس فه بابتسامة باهتة بعد تأكيدها على رغبتها في تقديم العون والمساعدة.  
 ارتياح قليل تسرب إلى خلاياه فجعل نفسه الثائرة تهدأ قليلاً.  
 زفر قائلاً بجدية:

-تمام، واتي ماتشليش هم أي حاجة، مش هاخليه لا يتعرضك ولا يقرب  
 منك!

-اوكي يا أستاذ منذر!

أكد عليها بجدية صارمة:

-بس بالله عليك حاولي عملي ده بسرعة!

أومات برأسها مرددة:

-حاضر، على طول والله!

ابتسم قائلاً وهو ينهض من مقعده:

-أنا متشكر ليكي تاني يا دكتورة، وجميلك ده مش هنسأه أبداً، وهاردهولك  
 في أقرب وقت!

وقفت هي الأخرى قائلة بابتسامة مجاملة:

على ايه بس يا أستاذ منذر، دي حاجة بسيطة!

تنفس الصعداء لأنه تمكن من الوصول إلى الشخص المناسب لتلك المهمة الحساسة. وزادت إطمئنانه لاستجابتها السريعة لطلبه، شكرها مجددًا قبل أن يتركها وينصرف وهو يفكر مليًا في الخطوة التالية.. خطوة كان عليه أن يتخذها قبل وقت سابق ليحسم الأمور تمامًا، ويقلب كفة الموازين إلى صالحه.

.....

وقف على الناصية مراقبًا المدخل مراقبة حثيثة منتظرًا خروجها من البناية.. ظل يدبر لتلك الحادثة لوقت طويل كي يضمن عدم إثارة الشكوك حوله. درس كل شيء بصورة جيدة، وأخفى الأمر عن زوجته كي لا تفضحه بجديتها المثرثر مع غيرها من النساء اللاتي يعرجن بجزارته يوميًا.. فهي دومًا تتباهى بجراتها، وما تفعله بغيرها إن تطاولن عليها، وتلك المرة عليه أن يتخذ حذره معها، فهناك قضايا قانونية ومحاضر رسمية بينها.

سأله الواقف إلى جواره بهمس جاد:

ها يا معلم؟ ظهرت؟

رد عليه الجزار قائلاً بتأفف:

لألسه!

زفر بحنق بائن في نبرته وهو يتابع بنظراته المشتعلة:

زي ما فهمتك، عاوزها تبان طبيعية، بس ماتقومش منها! تبقى مكسحة!

رد عليه الرجل مؤكداً بابتسامة خبيثة:

-اطمن، الرجالة عارفين هايعملوا ايه!

هتف الجزار فجأة بتلهف حينما لمحها تلج من المدخل:

حطب اجهزوا، هي خرجت أهي!

رد عليه الآخر بهدوء:

-ماشى يا معلم!

ثم أسرع الرجل في خطاه ليركب خلف زميله الذي ينتظره على دراجته النارية متأهبين لسرقتها، وضع الرجل هاتفه على أذنه محدثاً أحد ما بغموض:

-اجهزوا، البت طلعت!

أناه صوته قائلاً:

-ماشى، وأنا مستنى على الناحية الثانية!

.....

سارت يتمهل وهي تراجع في تفكيرها ما ستفعله خلال يومها الدراسي بالمدرسة التي تعمل بها، كانت غير منتبهة لذلك الذي يترصد بها من على بعد، فهي إلى حد ما شاردة في ترتيب أفكارها.

أوشكت على الانحراف في سيرها عند ذلك المنعطف حيث الأجواء هادئة  
 هناك، في تلك الزاوية تحديداً تحركت الدراجة البخارية ببطء خلفها حتى باتت  
 المسافة قريبة للغاية، حانت لحظة الانقضاض عليها، فزاد قائد الدراجة من  
 سرعتها، شعرت بسمة بيد قوية تجذب حقيبتها من على كتفها ساحبة إياها  
 ورائها فصرخت مدعورة:

آآآه!

أدركت أنها تتعرض للسرقة من قبل لصين يستقلان دراجة بخارية، فشهقت  
 صارخة:

الحقوني، حرامي!

تعلقت برباط حقيبتها رغماً عنها، فاختل توازنها بسبب سرعة الدراجة الزائدة،  
 وتعثرت قدمها، سحلت بسمة بالأرضية الإسفلتية لعدة أمتار حتى قطع  
 الرباط من قوة الجذب، أطلقت صراخات مستغيثة، لكن لم يستطع أحد  
 مساعدتها خلال تلك الثواني الحرجة.

ارتطم جسدها بقوة بحافة الرصيف، فتأوهت متألماً بشدة، جرحت رأسها  
 بعنف من إثر الضربة، ونزفت الدماء فوراً منها، استندت بمرفقيها محاولة  
 النهوض على ركبتيها قبل أن تعتلد في وقفها، تأملت هيئتها المزرية، وثيابها  
 التي تمزقت وتلطخت بالأتربة والمياه المتسخة، لم تأخذ حذرهما من تلك  
 السيارة المندفعة نحوها.

حانت منها التفاتة برأسها نحو صوت مكابجها القوي، فشخصت أبصارها بهلع حقيقي، تجمدت قدي بسمة في مكانها غير مصدقة أنها أطاحت بها عن عمد، فلم تعد قدماها تلامس الرصيف كما كانت، بل حلقت لمسافة بالهواء قبل أن يتهاوى جسدها، ويرتطم بعنف أشد به لتمدد بعدها كلياً عليه فاقدة للوعي وغارقة في دمائها.

هربت السيارة من المكان قبل أن يمسك أي شخص بقائدها، أو حتى يتمكن أحدهم من التقاط أرقامها، وتجمع المارة سريعاً حولها صارخين بفرع، صاح أحدهم:

حد يطلب النجدة بسرعة

وأضاف آخر بخوف وهو يبحثو على ركبته أمام رأسها المصطبغ بالدماء النازفة بغزارة:

اسعاف يا ناس، البت هاتموت!

.....

أظلمت نظراته حتى باتت مخيفة للغاية وهي تنظر إلى ذلك المنزل بحقد دفين، لم ينس بعد إهائته هناك أمام رجال قريته، وقرر أن يرد الصاع صاعين لها. تحشرح صوته وهو يقطع الصمت السائد متسائلاً بجديّة:  
ده البيت يا حاج فتحي؟

استدار ناحيته ليرمقه بنظرات غامضة وهو يجيبه بشراسة:  
 اه هو، عاوزه يبقى كوم تراب! ماتبقاش في حته تنفع!  
 حك الرجل ذقنه للحظات يفكر مليًا في طلبه، ثم رد عليه بنخبث:  
 ماشي، بس نتفق الأول!

أشار له فتحي بيده قائلاً بتحذير:

ماشي، بس نص الحساب دلوقتي، والنص الثاني بعد التنفيذ، وخذ بالك،  
 مش عاوز لبش في الموضوع، الحكاية تبان قضاء وقدر مش بفعل فاعل!  
 غمز له الرجل هاتقًا بثقة مؤكدة:

دي شغلتنا يا حاج فتحي! ماتشلس هم! ياما ولعنا في مزارع وبيوت!

عاود مطالعة البيت بنظرات محتقنة وهو يضيف بحقد بائن:

عاوز أحرق قلبها، وأبرد ناري وهو كله قايد والنار بتاكله حته حته!

زادت نظراته شراسة عندما أكمل بنبرة مغلولة:

عاوزها تعرف إنها خسرت كل حاجة هنا، أقطع رجلها من البلد للأبد،

فمايقاش ليها حجة تهوب ناحيتها ثاني.....!!!

.....



## الفصل الرابع والخمسون:

وكان الشياطين قد أكلت مهماتها الدينئة لقرناءهم من الإنس، إلى أحقرهم  
وأكثرهم خسة ودناءة، أعطى الحاج فتحي مظروفًا مغلقًا للرجل الواقف إلى  
جواره قائلاً بصوته الخشن:

تخلص النهاردة بالكثير

التوى ثغر الأخير بابتسامة عابثة وهو يرد مؤكدًا:

كله على الله يا حاج فتحي!

حذره مضيئًا بلهجة شديدة:

وزي ما فهمتك تبان إنها طبيعي، مش عاوز الحكاية بيتقى فيها سين وجيم!

رد متهمكاً:

هي دي أول مرة، متشيلناش العيبة يا حاج!

ماشى، هانشوف

قالها وهو يرمقه بنظرات أخيرة قبل أن ينصرف الاثنان ليشرعا في تنفيذ

مخطط إحراق المنزل.

.....

تأخر وصول سيارة الإسعاف إليها، فاضطرب أغلب المتواجدين حول جسدها الملطخ بالدماء، تبادلوا نظرات حائرة وهم يواصلون هتافهم المتوجس حول كيفية مساعدتها دون إلحاق الأذى بها.

كانت عائدة من المخبز حاملة لما يكفيها ويكفي عائلتها من خبز طازج فرأت ذلك الحشد وتلك التذمرات المستنكرة. اقتربت أكثر منه لتعرف التفاصيل لكنها لم تر بوضوح ما الذي يدور، اشرابت الجارة خضرة بعنقها للأعلى محاولة الرؤية لكنها فشلت، فالجميع في حالة نفور وغضب مزعوج.

مالت على أحدهم تسأله بفضول:

هو في ايه؟

أجابها الرجل المسن بحزن:

عربية خبطت واحدة وهي بتعدي الشارع وهربت، واحنا طالبين الإسعاف  
من بدري بس محدش عبرنا!  
واقفته الرأي وهي ترد بتأفف:

هو في حد في البلد بيحي في ميعاده!

انتابها الفضول لتعرف المزيد عنها، فتابعت قائلة بضيق زائف:

-الله يصبر أهلها ويشفيها! محدش يعرف هي بنت مين؟

أجابها الرجل المسن بهدوء وهو يشير بيده:

-بيقولوا شغالة مدرسة!

في تلك اللحظة تحرك أحدهم للجانب لترك مساحة فارغة فتمكنت خضرة من  
رؤية وجهها، وعرفته تّوا.

ارتفع حاجباها للأعلى، واتسعت مقلتاها برعب كبير.

شهقت خضرة مصدومة وهي تلطم على صدرها صائحة بفرع:

بسمّة!

.....

الزوجة التي تفتن

إنت مش رايح معايا المطعم؟

تساءل والده بتلك العبارة وهو يرمقه بنظرات متفحصة لهيئته المزرية.

فقد قضى ليلته بالخارج - كهدهته - في أحد المواخير مستمتعًا بالمحرمات  
والموبقات، أجابه بصوته المتحشرح وهو يتحرك بتثاقل في اتجاه الرواق:  
-لأ! هاخش أنام ساعتين ثلاثة كده!

استنشق مهدي رائحة كريهة منفرة منبعثة من فمه أصابته بالتقرز، فسأله  
باستنكار:

انت شارب يا مجد؟

أجابه بنبرة ثقيلة وهو يشير بيده:

هه مش أوي! دول جماعة أصحابي كانوا بيوجبوا معايا، أكسفهم يعني! ده  
حتى عيب عليا يا أبا!

نظر له باشمزاز هاتفًا بتأفف:

-استغفر الله العظيم يا رب! أما أنزل بدل ما دي يفور على الصبح كده  
رد عليه مجد باستخفاف:

-يكون أحسن!

ثم جرجر ساقيه نحو غرفته متابعًا:

حتى عشان أعرف أنام قبل ما أروح للعروسة آخر النهار!

حدجه مهدي بنظرات ساخطة وهو يرد بعبوس:

-ابقى قابلني لو رضيت بواحد زيك!

نزع إحدى ضلعتي "الشباك" الخشبي ليجد عائقًا آخرًا أمامه، أخفض نظراته ليدقق النظر فيما حوله من أشياء عالقة بالأرض الزراعية، تقوس فيه بابتسامة خبيثة برزت من خلفها أسنانه السمراء من كثرة التدخين ليحدث نفسه:

مافيش حاجة هتقف في وشك، دي عملية مضمونة!

انحنى للأمام ليلتقط ذلك الحجر القوي ذو النتوءات البارزة، ثم قذف به النافذة الزجاجية الموصدة ليتهشم على إثر الضربة العنيفة، وبجذر شديد أبعاد البقايا الحادة، ثم استند بمرفقيه على حافة الشباك ليرفع جسده للأعلى.

ولج إلى الداخل بحرفية معتادة، فهو معتاد على تلك النوعية من الاقتحامات الغير قانونية، وجد نفسه بالمطبخ، فعبث بمحتوياته، ونزع صمام الأمان عن أنابيب الغاز، ثم اتجه بعدها للمرحاض ليعبث بتوصيلات الكهرباء الخاصة بالسخان، أفسد بعض الدوائر الكهربائية ليضمن حدوث خلل في التيار الكهربائي فيتسبب ذلك في إشعال الأجهزة وإحراق المنزل بما فيه.

قام بتشغيل المسجل القديم أو ما يعرف بـ "الراديو" فسمع صوتًا يشبه إلى حد ما الزئير المتحشرج، فزادت ابتسامته اتساعًا، أطفأه على عجلة، وعدل من وضعيته ليسنده فوق البوتجاز، أعاد تشغيله مجددًا، فتكرر الصوت وبقوة، احترقت دائرة المقاومة الكهربائية بداخله، وتسببت في اندلاع شرارة لهب صغيرة.

رفع كفيه في إنهار واضح منه إنجازه المتميز، ثم اتجه نحو النافذة، قفز نحو الخارج، وأسرع بإعادة ضلفة الشباك في مكانها ليفر هاربًا من المكان قبل أن تلتقطه عين أي شخص، هو أنهى مهمته في أقل من ساعة زمنية، وحان الوقت ليأخذ ما تبقى من حسابه..

بعد دقائق معدودة، تسبب انتشار الشرارات عبر السلك الموصل للمسجل في التفاعل مع الغاز المنبعث من الأسطوانة مما أدى إلى حدوث انفجار مدوي أطاح بمحتويات المطبخ وقذفها في كل الاتجاهات محطماً كل شيء، اندلعت النيران في باقي الغرف، وتحول المنزل إلى كتلة جائعة من النيران الحامية التي التهمت كل شيء بلا هوادة.

.....

لم تعرف كيف شقت طريقها ووصلت إلى المشفى عقب تلقيها ذلك الاتصال المشؤوم من جارتها خضرة تبلغها فيه بتعرض ابنتها لحادث سير مروع، وذهابها معها إلى أقرب مشفى بصحبة أحد المتبرعين بإيصالها إلى هناك، انهمرت العبرات الحارقة بلا توقف على وجنتيها، وأصبح فؤادها ملثماً لمجرد التفكير في أن مكروهاً أصاب فلذة كبدها.

وضعت ما استطاعت أن تطاله يدها على جسدها، وركضت مهرولة إليها ولسانها لم يتوقف عن الدعاء لها. رافقتها ابنتها البكرية نيرمين، وكذلك أسيف، والقلق يعتري ثلاثهن حول مصير بسمة المجهول.

بأنفاس متهدجة و صدر مختنق بالعبرات تساءلت عواطف بتلهف وهي تقف  
أمام موظفة الاستقبال:

-الجيران كلموني وقالولي إن بنتي بسمة هنا، في..في عربية خبطتها وآ...

لم تتفهم الموظفة بوضوح ما تريد قوله، فصوتها اختلط ببكائها وتعذر عليها  
تفسير أغلب ما تردده، لمحتها الجارة خضرة من على بعد، فهولت ناحية هاتفة  
بنبرة تؤازرها:

قلبي عندك يا حبيبتي!

التفتت عواطف ناحيتها، وصاحت بصوتها البكي:

-بنتي فين يا خضرة؟

أجابتها الأخيرة بحزن كبير:

هي في الطوارئ دلوقتي! ادعيها

لم تستطع قديمي عواطف تحمل تلك الصدمة الموجهة، وهي تتخيل الأسوأ  
لابنتها. فترخ جسدها، وخارت قواها على الأخير.

لمحتها أسيف قبل أن تسقط، وتحملت ثقل جسدها المنهار على صدرها،  
وجاهدت لتمسك بها هاتفة بتلهف مفزوع:

-عمتي!

استشاطت نيرمين من تصرفها العفوي، واندفعت نحو والدتها لتعاون في إسنادها هي الأخرى دافعة بكوعها ابنة خالها لتزيحها عن طريقها قائلة بنبرة محتقنة:

ماما! وسعي شوية خليني أشوف أمي!

نظرت لها أسيف شزرًا، وأصرت على عدم ترك عمها، جرحها ثلاثهن إلى أقرب مقعد لإجلاسها عليه.

صاحت أسيف بنبرة عالية محاولة لفت انتباه أحد المرضين أو العاملين بالمشفى:

حد يلحقنا بسرعة!

اقتربت منهن إحدى الممرضات متسائلة باهتمام:

حصلها ايه؟

ردت عليها نيرمين بحدة وهي ترمقها بنظرات مزدرية:

شوفي مالها إتني لسه هتسألني!

همست عواطف بصوت ضعيف متألم وهي مغمضة لجفنيها:

آآه، كان مستخبيك ده فين يا حته من قلبي، آآه!

مالت أسيف على عمها، ثم مسحت عبارتها عن وجتها قائلة بنبرة مطمئنة:

إن شاء الله هاتقوم بالسلامة، ربنا موجود وهو اللي عالم!



ضاقَت نظرات نيرمين أكثر، وأصبحت أكثر حنقا وغبضا، فبلا تردد مدت  
قبضة يدها نحو ذراع أسيف جاذبة إياها منه للخلف وهي تصيح بها بنبرتها  
المغلولة:

-الخراب حل علينا من يوم ما جيتي عندنا يا وش الفقر! بومة سودة جبتي  
النحس معاكي!

وضعت أسيف كفها على قبضتها لتزرعه عنها هاتفة بازدراء:  
مش هارد عليك دلوقتي!

لكزتها نيرمين بعنف في صدرها وهي ترد بصوت متشنج:  
واتي ليكي عين تكلمي أصلاً!

ورغم حالة اللاوعي المسيطرة عليها إلا أنها كانت شبة مدركة لذلك التلاحم  
بين الاثنين، فهتفت بوهن:

-بس انتو الاثنين! أنا مش ناقصة وجع قلب أكثر من كده! حرام عليكو  
حسوا بالغلابة اللي بين الحياة والموت!

عاتبتهما الجارة خضرة قائلة:

مش وقته يا بنات، الكلام ده ما يصحش هنا!

ضربت عواطف بكفيها المتخاذلين على فخذهما متابعة بنبرة متحسرة:

آه يا حبيتي، كان مستخبيك ده فين!

رأت الجارة خضرة أحد المرضى وهو يخرج من غرفة الطوارئ، فأسرعت نحوه متسائلة بتلهف خائف:

-الله يكرمك يا ابني، ماتعرفش بنتنا بسمة عاملة ايه؟

أجابها بجمود وهو يمرر أنظاره عليهن:

-الدكتور لما يخلص هايطلع يعرفكم بحالتها

مطت خضرة فمها قائلة بهمس راجي:

-سترك يا رب!

بينما رددت عواطف من بين شفيتها بتضرع صادق نابع من قلبها الملتاع:

-احفظها يا كريم، ناجيها يا منجي، واحميها من أي سوء!

.....

جلس متفاخرًا على مقعده الخشبي أمام محل جزارته وهو يدندن مع تلك الأغاني الشعبية الصادحة بصوت مرتفع متشفيًا فيها، نفذ البلطجية الذين استأجرهم الخطة ببراعة، ووصل إلى مسامعه حالتها الحرجة فتهللت أساريره أكثر، تعجب أغلب القاطنين بالمنطقة مما يفعله، ولم يجدوا التبرير المنطقي لتصرفه الغريب. لكن كالعادة لم يكثر أحد لسؤاله.

همس لنفسه وهو يتسم ابتسامة انتصار:

هاين عليا أوزع شربات كمان بس مش قادر، هافضح نفسي!  
انحنى أحد العاملين لديه بجزعه للأسفل ليسند الأرجيلة على الأرضية متسائلاً  
بفضول:

هو احنا مشغلين أغاني ليه يا معلم؟ هو في عندنا فرح ولا مناسبة؟

نظر له من طرف عينه، ثم دس فوهة الأرجيلة في فمه مجيباً إياه بسخط:

فرحان يا ض! زودلي الحجرين خليني أروق دماغي كمان وكمان!

هز العامل رأسه قائلاً:

ماشى يا معلم، ربنا يبسطك!

زفر عاليًا في الهواء ما استنشقه من دخان وهو يردد بين جنبات نفسه:

أخيرًا ناري هدت شوية! عقبال ما أمشي في جنازتها كمان!

.....

هز أحد عمال الوكالة رأسه متأسفًا حينما وصلت إليهم الأنباء بإصابة ابنة

الحاجة عواطف مرددًا:

لا حول ولا قوة إلا بالله!

سأله زميله قائلاً بجدية:

هو الحاج طه عرف؟

حرك رأسه نافيًا وهو يرد:

-لألسه، حتى محدش من ولاد الحاج جه الوكالة عشان نبلغهم!

سأله الآخر بحيرة وهو يحك فروة رأسه:

طب نتصل بيه ونعرفه ولا نستنى شوية؟

أجابه زميله بإصرار:

-بيتهبالي لازم يعرف، دي قريبتة بردك!

طيب

.....

ضبط من وضعية جلبابه الداكن معدلاً من ياقته ومغلقاً للزر الأخير بها، ثم نثر عطره على طرفي شاله الموضوع حول كتفيه متنحنًا بصوته الخشن، وتحرك ليجلس على طرف الفراش ساحبًا حذائه من الأسفل ليرتديه في قدميه، التفت برأسه للجانب حينما سمع صوت رنين هاتفه المحمول، فمد يده ناحية الكومود ليتلقطه.

وضعه على أذنه قائلاً بصوت آجش:

-سلامو عليكم!

رد عليه أحد عماله بالوكالة هاتفًا بحذر:

-وعليكم السلام يا حاج طه، أسفين يا حاج إن كنا صحيناك!

أجابه قائلاً بهدوء:

-أنا صاحي من بدري، خير في حاجة؟

تردد العامل في إبلاغه بالحادث، لكنه اتصل لهذا الغرض، فتابع مضيئًا

بتوجس:

-احنا وصلنا خبر كده إن... إن الست بسمة بنت الحاجة عواطف عملت

حادثة كبيرة واتنقلت المستشفى

هب طه واقفًا من على طرف الفراش هاتفًا بصدمة كبيرة:

-ايه!!! يا ساتر يا رب، مشتشفا ايه دي؟

.....

لمحته وهو يلج من الغرفة وعلى وجهه علامات تجهم كبيرة، فاقتربت منه

متسائلة بغرابة:

في ايه يا حاج؟

لم يجيها بل تفقد ما بجيبي جلبابه من أموال، ثم أعاد وضعهم وهو يتمم بكلمات مهمة.

استشعرت القلق من تصرفاته، فتساءلت بفضول أكبر:

حد جراه حاجة؟ طيب واخذ الفلوس دي كلها ليه؟

في نفس التوقيت كان منذر قد انتهى من تجهيز نفسه للذهاب إلى الوكالة بصحبة والده، خرج من غرفته وهو يفرك عنقه بأصابعه، ألقى التحية على أخيه الذي كان يجفف وجهه بالمنشفة ومرتديًا فقط لفانلته الداخلية على بنطاله الجينز.

همس له دياب مازحًا:

-ناموسيتك كحلي!

رد عليه منذر بصلافة:

-أنا بردك ولا انت؟

انتبه الاثنان إلى صوت والديهما الصائح بحدة:

ما تطمني يا حاج؟ في ايه بالضبط؟

بدا الاهتمام ظاهرًا على منذر وهو يدنو من والده لتتحفز حواسه كليًا حينما

أجاب طه بضجر:

-بنت عواطف في المشتشفا!

وكأنه أصيب بشلل مفاجيء في مكانه، فتجمدت تعابير وجهه، وتصلبت  
قسامته.

قفز قلبه في قدميه، وشخصت أبصاره هاتفاً بلا وعي:  
-أسيف! جرالها ايه؟

رفع طه أنظاره في اتجاه ابنه، وصحح له قائلاً:  
-باقولك بنتها، بسمة.. بسمة!

صعق دياب فور اختراق أذنيه لاسمها، شعر بانقباضة قوية تنتزع قلبه من  
مكانه. وارتخت يده الممسكة بالمنشفة ليستدير في اتجاه أبيه هاتفاً بنبرة  
مصدومة وقد توترت أنفاسه:

ميين!

عبس وجهه جليلة وهي تتساءل باندھاش:

طب حصلها ايه يا حاج؟

أجابها زوجها بوجوم:

مش عارف لسه، بس أنا نازل أروح لهم هناك!

هربت الدماء من عروقه، لم يتخيل أن يصيبها مكروه وهي التي كانت تناطحه  
الرأس بالرأس، ابتلع ريقه الجاف في حلقة محاولاً السيطرة على أعصابه التي  
أوشكت على الانهيار.

أضاف منذر قائلاً بجدية صارمة:

-أنا جاي معاك يا حاج

ردد دياب بنبرة مذعورة ساحباً قميصه من على المقعد:

-وأنا كمان!

.....

مر الوقت بطيئاً للغاية وهن يترقبن خروجها من غرفة الطوارئ، لم يتوقف لسان حالها عن الدعاء لها، هي قطعة منها، حتى وإن كانت مشاكسة معاندة متشبثة برأيها، لكنها أفنت عمرها في تربيتها، تشوشت الرؤية لديها، وانفطر قلبها من كثرة البكاء.

ربتت على ظهرها أسيف بجنو وهي تهمس بصوت متأثر:

-إن شاء الله هاتبقى كويسة، احساسى يقول كده!

ردت عليها نيرمين بسخط غير مقتنعة بتلك البراءة الزائفة:

-بلاش شوية النحنة دول هنا، احنا فينا اللي مكفيننا!

لم تعاتبها أسيف، بل اكتفت بالنظر لها باحتقار، هي لا تريد إزعاج عمته بكثرة التشاجر معها دون داع. كما أنها قد سئمت من تصرفاتها الغير لائقة أمام الغرباء، لذلك أثرت الصمت.



أشاحت نيرمين بوجهها العابس للجانب، لكن سريعًا ما انفجرت شفاتها لتظهر ابتسامة باهتة على محياها، بل تشكلت علامات السعادة على وجهها بتناقض يتنافى مع حالة الحزن الطبيعية لشخص مثلها.

هتفت بتلهف مريب وهي تعتدل في وقفها المحنية:

سي منذر!

عفويًا وجهت أسيف أنظارها للأمام حينما سمعت اسمه يُلْفِظ عاليًا لتراه مقبلًا عليها وبرفقته والده وأخيه، التقطت عيناه عينيها وكأنها أمسكت بها بالجرم المنشود، تصلبت في جلستها، وأخفضت نظراتها متجنبه تحديقه الصريح بها.

شعر منذر بالارتياح لرؤيتها سالمة أمامه. ولم يستطع إبعاد عينيه عنها، تسرب إليه إحساسًا عظيمًا بالغبطة والسكينة لمجرد وجوده بقربها على عكسها هي التي كانت تشعر بالتوتر والإرتباك، لا يعرف كيف نجحت هي في التسلل إلى خلايا عقله حتى سلبته منه، وباتت شاغله الأساسي والأكبر.

تلقت دياب حوله بنظرات زائغة محاولاً السيطرة على اضطرابه الشديد، مجرد التفكير في حالة بسمة أرهق قلبه وأضناه، استند بظهره على الحائط نائمًا بنفسه عمن حوله، دار في خلده آخر موقف بينهما، حينما كانت تكرر ضاحكة بعد قذفه بالمياه من شرفة منزلها، جاهد ليحافظ على تلك الصورة لها رغم كرهه لتصرفها الأحمق معه. لكنه لم يعد يكثرث إلا لرؤيتها كمان كانت تضحك وتثور وتنفل، تأثرت مقلته سريعًا ولمعت بعبرات خفيفة، وبصعوبة بالغة منع نفسه من البكاء.

نهضت عواطف بتناقل من مكانها هاتفة بصوت حزين باكي:  
حاج طه!

وقف الأخير قبالتها متسائلاً بجدية:

خير يا عواطف؟ ايه اللي حصل؟

وضعت يدها على فمها كاتمة شهقاتها المقهورة وهي تجيبه:

مش عارفة والله، أنا جالي تليفون من جارتي تقولي بنتي مرمية هنا، مابقتش  
حاسة بنفسي ولا.....

قطمت عبارتها تَوّ حينما فتح باب الطوارئ على مصرعيه لتخرج النقالة الطبية  
مدفوعة من قبل عدد من أفراد التمريض.

صرخت مفزوعة وهي تركض ناحيتها:

-بنتي، بسمة! ردي عليا يا ضنايا!

هتفت الجارة خضرة بخفوت من بين شفقتها:

-استرها يا رب!

تسمر دياب في مكانه مذهولاً، لم يتصور أن تكون الإصابة بتلك  
الخطورة، اعتقد أنها كلمرة السابقة - حينما أصيبت بالتسمم - شيء بسيط  
يسهل علاجه، لكن خالف الأمر توقعاته بالكامل..

وقعت عيناه أولاً على وجهها الملفوف بالشاش الطبي، فعجز عن التنفس. ثم  
تحرك بؤبؤيه نحو جسدها المغطى بالملاءة ليرى حجم الإصابة الحقيقي لينخلع  
على إثرها قلبه، شعر بتلك الوخزة العنيفة في صدره، تلك التي أصابته في  
مقتل وكأنه خسر شيئاً نفسياً للتو. شحب لون بشرته الطبيعي، وبدأ كالموتى  
للحظات غير قادر على النطق أو التنفس، كانت في وضعية حرجة للغاية، فلم  
يتحمل رؤيتها وأدمعت عيناه بتأثر كبير.

أمسكت عواطف بكف ابنتها هاتفة بصوت مختنق:

-بسة ردي عليا!

سارت نيرمين إلى جوار الناقلة هاتفة بحزن زائف:

-حبيتي يا بسة كان مستخيلك ده كله فين!

ابتلعت أسيف غصة مريرة عالقة في حلقها، فالمشاهد الأليمة دوماً تتكرر  
أمامها، واستعادت في ذاكرتها ما مرت به مع رحيل أغلى الأحياء على قلبها.  
خانتها العبرات، وسقطت بلا انذار على وجنتيها، فمسحتهم بأطراف أناملها.

تهد طه قائلاً بنبرة مواسية:

-ربنا يزيح عنها!

هتف أحد المرضين بضجر:

-وسعوا شوية يا جماعة، مش كده!

رفضت عواطف الابتعاد عنها قائلة بإصرار باكي:

مش هاسيب بنتي!

رد عليها طه بجدية:

-اهدي يا عواطف، وخليهم يشوفوا شغلهم!

وافقته أسيف الرأي، وهتفت مؤيدة بهدوء رغم انتحاب صوتها:

هو بيتكلم صح يا عمتي، خليم يودها على أوضتها، واحنا هنطلع نشوفها!

اضطرت عواطف أن تتنحى - رغمًا عنها - للجانب لكي يمروا بها في طريق

المصعد، احتضنتها أسيف بذراعيها مهونة عليها ما تعانيه من ألم، هي أكثر

الأشخاص إحساسًا بمعاناتها القاسية.

راقبها منذر بنظرات حثيثة، لم يدرك حقًا أنها محور اهتمامه الكامل إلا حينما

أحس بذلك الشعور الغريب وهي تقف أمامه ليؤكد اعترافه الذي أنكره،

احتدت نظرات نيرمين وهي تراه كيف يطالعها بذلك الاهتمام المقلق، أدركت

أن نظراته نحوها قد تبدلت وصارت أكثر عمقًا عن ذي قبل، كزت على

أسنانها مانعة نفسها من التصرف بجماقة، هي عليها أن تترث رغم كل شيء كي

لا تفسد خطتها بغبائها أو تهورها، يكفيها الآن وجوده معها في ذلك الظرف

الخاص، ولن تجعله يمر دون أن تستفيد منه لصالحها.

همست أسيف لعمتها برجاء وهي تعاونها على التحرك:

-تعالى اقعدى شوية!

رفعت عواطف عينيها في وجهها قائلة ببكاء:

عاوزة أروح لبنتي!

هزت أسيف رأسها بالإيجاب:

حاضر، هانروحلها!

أضافت خضرة قائلة بنبرة مواسية:

شوية بس ونعرف حطوها في أنهو أوضة ونطلع عندها على طول!

لمح منذر الطيب وهو يخرج من غرفة الطوارئ، فاتجه إليه متسائلاً باهتمام:

هي مالها؟

استدارت عواطف برأسها ناحيتهم، ونزعت ساعدها من يد ابنة أخيها لتتجه نحوها.

ضغط الطيب على شفثيه مردداً بحذر:

للأسف عندها ارتجاج في المخ، ده غير الكسور اللي في رجلها والكتف،

وشوية كدمات وآ.....

شهقت عواطف صارخة وهي تلطم على صدرها:

-بنتي!

تابع الطيب قائلاً بنبرة جادة:

على فكرة احنا عملنا كل اللي تقدر عليه، مش مقصرين معاها! لكن من  
البداية هي جت وحالتها صعبة!  
ردت خضرة قائلة بإنكار:

ده على أساس إن الإسعاف جه خدها على طول! يا حبة عيني ده لولا  
الجدعان اللي في الحتة شالوها وجابوها كان....  
صممت للحظة لتمصص شفيتها قبل أن تتابع بسخط:

كان زمانها لسه مرمية على الرصيف لا حول لها ولا قوة!  
أفاق دياب من صدمته المؤقتة على ذلك الحديث الدائر، فاتجهت أنظاره  
المشتعلتين نحو الطبيب.

رد عليها الأخير مدافعًا عن نفسه:

-والله مش ذنبي، أنا قومت بدوري! وبعدين من الواضح إن اللي خبطها كان  
قاصد!

احتقنت عيناها دياب بشدة عقب جملته الغامضة تلك، في أغلب الأحوال  
يبدل قائد السيارة قصارى جهده لتفادي الاصطدام، وقلة فقط هم من  
يتعمدون إلحاق الأذى بالسائرين على أقدامهم.

نفذ تلك الفكرة الغير منطقية عن عقله هاتفًا بصوت شبه منفعل:

سيبك من الهري ده كله، وقولي هي هاتفوق امتي؟

نظر الطبيب نحوه بجمود، وأجابه بنبرة هادئة معتادة على التعامل مع عصبية أهالي المرضى:

مقدرش أديك معاد محدد! بس في النهاية ده يعتمد على فوقتها من الغيبوبة!  
 اتسعت حدقتيه في خوف بعد تصرجه الصادم، هي لن تستعيد وعيها الآن..  
 لطمت عواطف على صدرها عدة مرات هاتفة بحسرة:  
 غيبوبة، يا نصيبتى، يا لهوي! بنتي راحت خلاص!  
 مرر الطبيب أنظاره على الواقفين أمامه قائلاً بجمود:  
 ادعولها، عن اذنكم، ورايا مرضى تانيين محتاجين متابعة!

حركت عواطف جسدها صارخة بنواح كبير:  
 آه يا بنتى، كبدي عليكي يا حبيبتى، يا حسرة شبابك  
 أشفقت أسيف على عمته، ووقفت خلفها محاوطة إياها من كتفها راغبة في  
 احتواءها قبل أن تنهار منها تمامًا، هتف دياب بإصرار عنيد وهو يشير  
 بسبابته:

احنا هننقلها لأحسن مستشفى في البلد، مش هانسيها كده! اطمني يا  
 خالتي!

أخذت عواطف تبكي بحرقة على ما آلم بابنتها. وتعاونت الجارة خضرة في سحبها لأقرب مقعد لتجلس عليه، دنت نيرمين من مندر متعمدة اصطناع البكاء أمامه.

تهددت بصوت مسموع وهي تقول:

-احنا مالناش غيركم يا سي مندر، ماتسبوناش واحنا في الظروف دي!  
نظر لها بتعاطف قليل مقدرًا الوضع الحرج الذي تعاني منه أختها، استغلت الفرصة ووضعت يدها على ذراعه متابعة بتوسل بأكي وهي محدقة مباشرة في عينيه:

-احنا لوحدنا، ولايا من غير راجل! وإنت.. وإنت راجلنا دلوقتي يا سي مندر!  
استشعر الحرج من طريقها الجريئة تلك. فأبعد ذراعه بحذر للخلف قائلاً  
بصوت شبه متحشرح:

-اطمني، كلنا جمبكم!

ثم تعمد تغليظ نبرته ليوصل لها رسالة صريحة:

-ده إنتوزي أخواتي، ولا نسييتي!

استشاطت عيناها الدامعتين من جملة تلك، وشعرت بجفاف عبراتها.  
وقبل أن تفتح فيها لتضيف كلمة أخرى، أولاها ظهره، وسار مبتعدًا ليقف إلى جوار أبيه.

ضغطت على شفيتها محدثة نفسها بتوعد:



مش هانفضل أخوات كثير! هايجي يوم وهانكون فيه  
لبعض.....!!!!

.....

## الفصل الخامس والخمسون:

شُكل طوقًا أمنيًا في المنطقة الشعبية، ووقف الضابط المسئول في المنتصف  
واضعًا كفيه على منتصف خصره متفقدًا مسرح الجريمة بنظرات ثابتة ومختلفة  
عن الجميع، رفع بصره للأعلى فاحصًا واجهات المحال التجارية المختلفة خاصة  
تلك التي توضع كاميرات خاصة بالمراقبة، دار برأسه شيء ما، ولكن عليه القيام  
به بصورة قانونية ليضمن سلامة التحريات.

قام آخرون بالاستماع إلى أقوال شهود العيان وتدوينها في محاضر رسمية.

واتفق الأغلب على أن الحادث مدير، ولم يكن صدفة. فالسيارة كانت متربصة بالضحية قاصدة الاصطدام بها.

وبالطبع لم تتوقف التوصيات من المعارف وذوي القرابة بعائلة حرب من رجال الشرطة للضباط المسؤولين على ضرورة متابعة الحادث باهتمام أكبر وكذلك بمعرفة الجاني لوجود رابط وثيق يربط تلك العائلة بالضحية.

.....

اضطر الجزار أن يخفض صوت الموسيقى الصاخب كي لا يثير الشبهات حوله بعد انتشار رجال الأمن بالمنطقة، ووج إلى الداخل مدعيًا انشغاله بمتابعة أعمال الجزار.

توتر نوعًا ما وهو يحدث نفسه بخوف:

هو ايه اللي دخل البوليس في الليلة دي؟ ماهي حادثة زي أي حادثة!

أفاق من شروده المشحون على صوت العامل الصادح بتساؤل حائر:

ها يا معلم قوت ايه؟

رد عليه بتذمر عابس:

في ايه مالك خاوت دماغي كده ليه؟

أجابه باستغراب قليل:

-بأقولك يا معلم الزبونة مش عاوزة الحتة...  
 صاح به الجزار مقاطعًا بغلظة وهو يلوح بذراعه أمام وجهه:  
 -اتصرف معاها، أنا مش فايقلك دلوقتي  
 حك مؤخرة عنقه بضيق وهو يرد:  
 ماشي يا معلم.. اللي تشوفه!  
 ضرب الجزار بكفيه على سطح مكتبه متابعًا حديث نفسه المتوجس:  
 على الله يكون البهايم دول اتصرفوا صح بدل ما يلطوني معاهم

.....

أصر على نقلها إلى مشفى آخر خاص - ذو إمكانيات طبية عالية -  
 ليضمن توفير الرعاية المتكاملة لها بعد أن تحسر في نفسه على وضعها الحرج.  
 ربما أدرك دياب متأخرًا أهميتها الغالية عنده، وفقدانها لسوء الرعاية الصحية لن  
 يتحمله، لم تعارضه والدتها، فهي أرادت الأفضل لابنتها خاصة في ظرفها  
 المؤسف هذا.

نُقلت إلى العناية الفائقة، ومنع عنها الزيارات ريثما يتم فحصها من جديد فخصًا  
 دقيقًا، بقي منذر ليتابع أي شيء يخص عائلة عواطف بنفسه، وعادت الجارة  
 خضرة بصحبة الحاج طه إلى المنطقة الشعبية.

جلست أسيف مع عمته محاوطة إياها من كتفها بذراعها، استندت الأخيرة  
برأسها على صدر ابنة أخيها، وجلست نيرمين إلى جوارهما مكثفة ساعديها  
لكن نظراتها لم تفارق وجه مندر الذي كان يتهامس مع أخيه في شيء ما.  
تمت مع نفسها بسخط:

-مش كانت تبقى من نصيبك وكنا ارتحنا!

نفثت زفيرًا غاضبًا من فمها، ثم زمت شفيتها للجانب متبرمة من بقائها معها.  
خرج صوت عواطف واهنًا وهي تقول:

خافية تروح مني وملحقهاش

ردت عليها أسيف بعتاب خفيف:

-ربنا رحمته وسعة يا عمتي، مش اتتي دايما اللي بتقوليلي كده؟!

اعتدلت برأسها لتنظر في وجهها قائلة بندم:

-أه.. بس.. بس متخيلتش إن يحصلها كده!

ابتسمت أسيف مرددة بتفاؤل:

إن شاء الله خير، ربنا هيجبر بخاطرنا وهتبقى كويسة!

وضعت عواطف يدها على وجتها لتمسح عليها برفق وهي ترد بامتنان:

-ربنا يباركك يا بنتي!

بدا وجه دياب متجهماً للغاية وهو مسلط أنظاره على نقطة بالفارغ.

أنصت بانتباه لأخيه وهو يردد على مسامعه بجدية:

-اتصل بيا الظابط تبعنا اللي في القسم من شوية يقولي بياخدوا أقوال الشهود  
في الحتة، وشكل الحكاية مش قضاء وقدر!

ضاقت نظراته وهو يسأله بنبرة مكفهرة:

قصدك ايه؟

أجابه منذر بتريث حذر:

هو موضحليش أوي، بس الظاهر هايعملوا تحريات مكثفة عن الحادثة  
بتاعتها!

هتف دياب من بين شفثيه بصوت خفيض لكنه محدد يحمل التهديد الشرس:

قسماً بالله لو طلع وراها مين لهلقه في وسط المنطقة!

فرك منذر طرف ذقنه متابعا بجدية:

أما نشوف الأول هيوصلوا لايه!

وضع دياب كفيه على رأسه المشحون ضاغظا عليه بقوة.

استند بظهره على الحائط، وأخرج زفيراً عميقاً من صدره يعكس جزءاً  
ضئيلاً للغاية مما يشعر به بداخله.

التفت منذر برأسه ناحية أسيف لينظر لها يتمعن قبل أن يهمس لأخيه  
بجدية:

-بتهيالي أعدة الجماعة هنا مالهاش لازمة!

رد عليه دياب بامتعاض:

مش هيرضوا يمشوا قبل ما يطمنوا على بنتهم

أدار منذر رأسه ناحيته، وسأله بانزعاج واضح:

ماشى، وبعد كده؟

لوح بذراعيه قائلاً بحيرة:

مش عارف!

أشار له منذر بعينه مرددًا:

أنا رأيي نوصلهم للبيت، وفي كل الأحوال هنتابع مع المستشفى أخبارها!

ما أصعب أن تعاني في صمت ولا يشعر من حولك بالأمك المكتومة. ضغط

على شفتيه هامسًا باستياء:

-ربنا يسهل! خليهم على راحتهم، وبعد كده نشوف.

تهد بعدها بعمق متمنيًا نجاتها، هو في أشد حالاته إحباطًا، لم يرغب في

الرحيل ولا ترك المشفى دون رؤيتها والاطمئنان عليها، لم يمض سوى بضعة

ساعات على ذلك الحادث المروع لكنها مرت كالدهر عليه.

وتحججه ببقائه مع عائلة عواطف في المشفى لمساعدتها ما هي إلا حجة زائفة كي

يبرر وجوده.

لاحقًا، سمح لهم الطبيب برؤية المريضة لدقائق معدودة واحدًا تلو الآخر.  
مرقت عواطف أولًا عندها. تسارعت دقات قلبها وهي ترى ابنتها ممددة على  
الفراش، وتلك الأجهزة الطبية موصولة بها، وبصعوبة بالغة كتمت صوت أنينها  
الشاهق، دنت منها بخطى متعثرة متحاملة على نفسها ذلك الإجهاد النفسي،  
ومدت يدها لتمسك بكفها الساكن.

احتضنته بين راحتها، وغصت بالبكاء المرير قائلة:

آه يا بنتي! آه! يا حنة من قلبي، عملوا فيكي ايه بس، آه!

اغرورقت عينها بالعبرات الغزيرة، وظلت تنوح مصاها بقلب مفجوع.

ولجت الممرضة لداخل غرفة العناية هامة بجديّة:

ماينفعلش كده يا حاجة، من فضلك!

توسلتها قائلة بيبكاء حاد:

سييني يا بنتي معاها شوية!

هزت رأسها معترضة وهي تقول بإصرار:

للأسف مقدرش، الدكتور منبه، وحضرتك....

قاطعتها هاتفة باستعطاف أكبر:

-أنا أمها! وقلبي محروق عليها، خليني جمها شوية

ضغطت المريضة على شفيتها مرددة بجرح:

-معلش، شوية وهدخلك تاني!

وعلى ممرض كبير اضطرت أن تخرج من الغرفة مجرجرة ساقها بجزن محطم للفضاد.

ربتت نيرمين على كتف أمها وهي تتبادل معها الأدوار لتري أختها رغم عدم تأثيرها الواضح. ربما لو كانت ابنتها المصابة لأشفقت عليها أكثر... ربما!

ظلت تهدد الرضيعة حتى سكنت وغفت فناولتها لأمها، تحركت بخطوات ثابتة نحو فراشها، وبقيت معها للحظات معدودة.

لم تجد من الكلمات ما تقوله لها سوى مواساة نفسها بقسوة:

-الي شوفته في حياتي خلاني متأثرش بأي حاجة بالساهل، أه اتني أختي وبأحبك، ده شيء طبيعي، بس.. بس كله مقدر ومكتوب.

تذكرت نيرمين حياتها الماضية التي كانت تحمل من البؤس والتعاسة ما جعلها نائمة على كل شيء.

التوى فمها للجانب وهي تضيف بجفاء:

-بكرة تخرجني من المستشفى وتبقي كويسة وتشوفي حالك، شدة وتزول

ياختي!



مسحت على جبين أختها بلطف، ثم استدارت خارجة من الغرفة، حتى  
عبراتها أبت أن تُذرف إشفاقاً عليها.

.....

انتظرت أسيف على أحر من الجمر خروج نيرمين لتلج هي الأخرى عندها.  
انتفض قلبها بين ضلوعها وهي تتأملها، بكت بحزن مقهور عليها وكأنها أختها  
بحق وليست ابنة عمها التي تربطها معاً صلة الدم، عجزت عن الاقتراب أكثر  
منها، فيكفيا تلك الذكريات الموجهة عن رحيل عائلتها لتتخيل الأسوأ معها.  
وضعت يدها على فمها لتكتم شهقة تكافح للخروج منها.

همست بصوت مبسوح:

إن شاء الله هاتقومي منها وترجي زي الأول وأحسن!  
مسحت طرف أنفها مكلمة بصعوبة:

-يمكن معرفناش بعض إلا من فترة بسيطة، بس.. بس أنا حساكي قريبة مني،  
ويمكن يمكن نبقي زي الأخوات وأكثر!  
اختنق صوتها أكثر وهو تتابع بنبرة شجية:

-أنا.. انا معنديش اخوات، بس هأعتبرك زي أختي.. قومي بقى يا بسمة  
وارجعيلنا! قومي عشان خاطري!

لم تستطع المتابعة أكثر من هذا، فابتعدت راضية من الغرفة لتكمل نواحها المتأثر بالخارج، اقتربت منها عمتها واحتضنتها، وحاولت كلتاها مواساة الأخرى.

توتر دياب لرؤيتها متأثرتين بشدة، وتردد بشأن الولوج عندها، هو استأذن والدتها لرؤيتها بحكم القرابة المزعومة، لكن ما يحركه هو شيء آخر. شيء اعتصر قلبه لمجرد التفكير في فقدانها، حسم أمره بالدخول، وتحرك بخطى مرتبكة نحو غرفتها.

ارتجفت أطرافه لمجرد سماعه لصوت انتظام ضربات قلبها عبر جهاز قياس نبضاته، وجف حلقه تمامًا وهو يرى وجهها مُخبئًا ما بين الشاش الطبي وقناع التنفس الصناعي، زادت حدة الوخزات التي عصفت بقلبه وهو يدنو أكثر منها، أصبح على مقربة كبيرة من وجهها الذي كان صادمًا بالنسبة له. مرر أنظاره ببطء عليها كما تآ أنفاسه كليًا حتى انتفخ صدره وهو يتفحص إصاباتهما.

تم وضع ساقها بالجبس، ولف أغلب ما برز من جسدها بالكثير من الضمادات الطبية رغم ذلك الرداء الذي يسترها، لكن ما كُشف من أطرافها لم يكن سوى بقماش طبي.

آله سكونها المميت، وأوجعه شحوبها المهلك.

عجز عن التنفس، واختنق صدره بالعبرات، فغص فجأة ببيكاء مقهور.

أخذ نفسًا عميقًا ليضبط به انفعالاته المفجوعة، وهمس مبتسمًا محاولاً التهوين على نفسه:

-ينفع كده يا أبله؟ ده كلام برضوه! كل ده عشان ماتجيش الدرس، طيب، بناقص منه، بس بلاها المقلب دي!

ابتلع غصة مريرة عالقة بحلقة وهو يواصل حديثه المازح:

يحيي لسه سألني عليكي وبيقولي المس هاتيحي امتي، اضطريت أقوله....  
عجز عن الابتسام وهو يضيف بصعوبة بالغة:

-أقوله كلامك في.. في المشمش!

تعالت شهقاته فجأة، فانهار جموده الزائف، وانهمرت العبرات مغرقة وجهه كليًا، عجز عن مواصلة حديثه معها، فأشاح بوجهه بعيدًا دافئًا إياه بين راحتيه.

أخرج ما ب صدره من شحنات متأججة حتى استطاع أن يهدأ قليلًا.

لملم شتات نفسه سريعًا، فلا يصح أن تراه إحداهن وهو يبكي عليها بدون أن يفسر لهن سبب ذلك، كفكف عباراته بظهر كفيه، ثم أسرع بالخروج هاربًا من المكان برمته دون أن ينبس ببنت شفة، لم تلتقطه الأعين، ولكن تشعر القلوب بما يعترها من أحزان.

.....

عاد منذر إلى الوكالة مضطراً، فبقائه بالمشفى لا جدوى منه، ووالده بحاجة إليه هناك، ألهم نفسه بالكثير من الأعمال لكنها لم تجعل عقله يتوقف للحظة عن التفكير بها، تجسد طيفها أمامه، وشرد في ابتسامتها المتفائلة، لاحظ أنها لا تبتسم إلا قليلاً، ومع ذلك فابتسامتها تريحه، ضجر لاقتحام صورة الحقير مجد خياله، فعبس بوجهه، واقتضبت ملامحه.

أراد مفاتحتها في موضوع ذلك الدنيء بالمشفى، لكنه خشي من إفساد خطته البسيطة مع فاطمة، فالترث في ذلك الموضوع الحرج هو أسلم الحلول حالياً. تفاجأ باستمرار الوجود الأمني بالمنطقة حتى تلك الساعة المتأخرة وهو يقف على عتبة وكالته.

أشار لأحد عماله قائلاً بصوت آمر:

قفلوا الوكالة وروحوا، مش هانسهر كثير النهاردة

رد عليه ممتثلاً:

اللي تؤمر بيه يا ريسنا!

تحرك بعدها في اتجاه ناصية الطريق حيث الحادث المشؤوم.

رأى آثار بقعة الدماء على الرصيف، وذلك الشريط البلاستيكي المحاوط للمنطقة، امتعض وجهه، وصارت نظراته مزعوجة.

كونك على صلة قريبة ومعرفة وطيدة بالضحية يجعل معاناتك أضعافاً مضاعفة،  
لمح الضابط المسئول عن التحقيق في الواقعة متواجداً خارج أحد المحال فأسرع  
في خطواته متجهاً إليه.

تنحني منذر بصوت خشن وهو يمد يده لمصاحفته قائلاً:

-سلامو عليكم يا باشا!

بادله الضابط المصافحة، فهو يعرفه جيداً، ورد عليه بهدوء:

-وعليكم السلام يا منذر

سأله الأخير باهتمام ظاهر على محياه:

-خير يا باشا، عرفتوا حاجة عن الحادثة؟

أجابه الضابط بغموض وهو يشير بسبابته نحو واجهات المحال:

-يعني.. لسه مش أوي، بس تفرغ شرايط المراقبة اللي هنا هيفيدنا كثير!

حدق منذر فيما أشار، ورد بتمني:

-يا مسهل يارب!

ثم صمت للحظة قبل أن يكمل حديثه بأسف:

-بنت الحاجة عواطف أكثر من أختي، واللي حصلها أثر فينا كلنا!

رد عليه الضابط بجدية:

-اطمن، طالما الموضوع تبني فمتقلقش!

ابتسم له منذر ابتسامة باهتة وهو يقول ممتنًا:

-الله يكرمك يا باشا، ده العشم برضوه!

ثم شدد عليه قائلاً برجاء:

-بس أمانة عليك لو عرفتوا جديد تبلغونا!

هز رأسه معلقًا بإيجاز

-أكيد!

عاود منذر مصافحته مودعًا إياه وهو يقول:

-ماشى يا باشا، مش هاعطلك، سلامو عليكم

-وعليكم السلام!

قالها الضابط وهو يلتفت برأسه حوله ليحرق بتريث في جميع الزوايا والاتجاهات ليراجع من جديد مسرح الجريمة عليه يتوصل لشيء آخر قد غفل عنه.

.....

جاءه الخبر اليقين بتدمير المنزل واشتعاله بالكامل وهو جالس بأرضه الزراعية،  
أثلجت تلك الكارثة صدره المحتقن، وتهد مبتسمًا بتشفير كبير:

برأوة عليك، طلعت راجل في كلمتك!

رد عليه الرجل قائلاً بتفاخر:

مش قولتلك!

أخرج الحاج فتحي مظروفاً مغلقاً من جيب جلبابه، ثم ناوله إياه وهو يقول:

-ودي الدفعة الثانية من الحساب!

فتح الرجل طرفه لتتوهج عيناه وهو ينظر إلى النقود.

وبخه الحاج فتحي بحدة وهو يرمقه بنظرات مزعوجة:

-متقلش فلوسك كاملة!

ضحك الرجل بسخافة وهو يقول:

-وأنا هاعد وراك بردك يا حاج!

انتصب الحاج فتحي في جلسته مضيئاً بنبرة مأكرة:

-يومين وأتصل أنكد على اللي جابوها، ماهو لازم المركز يقوم بدوره الأول،

عشان تبقى الحكاية ميري!

.....

تشنجت تعاير وجهه بشدة، وبرزت عروقه أعلى جبينه وهو يصيح بصوته

المتحشرح:

-يعني ايه مش هانروح، فهمني في ايه؟

أجابه مازن بنبرة مرهقة:

-زي ما سمعت يا مجد! في نصيبة حصلت عندهم!

رفع أصابع يده على رأسه ليحكها بقوة وهو ينظر بحيرة لأخيه محاولاً فهم كلماته الغامضة.

رمقه أباه بنظرات محتقنة، ثم وبخه بجدة:

-ما انت ولا على بالك! نايم طول النهار ومش داري باللي حاصل!

استاء من حديثها الغير مفهوم، فهدر بعصبية بائنة:

-متكلمونيش بالأغاز، في ايه؟

أجابه مازن بفتور وهو يمدد ساقيه على الطاولة:

-بنت عواطف خبطتها عربية ومتلاحة في المستشفى!

نظر له بغرابة لبرهة، ثم سأله بحيرة:

حطب وده ماله بالبت اللي هاخطبها؟

رد عليه مهدي بازدرء صريح:

-الظاهر إن تأثير الهباب اللي بتشربه مراحش من مخك التخين!

تصلب وجهه أكثر وهو يصيح بعنف:

حطب ليه الغلط يا حاج؟

هدر فيه مهدي بانفعال كبير:



-بنقولك بنتها بين الحياة والموت، وانت تقولي أروح أتهيب وأخطب!!  
 فرك مجد وجهه بغل، ثم أردف قائلاً بهدوء مقيت:  
 -بلاها خطوبة، بينا نروح نسأل على العيانة، ماهي دي من الأصول، صح ولا  
 ايه؟

ضرب مهدي كفه بالأخر مرددًا بيأس:

-ربنا يعيني على ما بلاني!

ثم التفت برأسه ناحية ابنه الأخر موجهاً حديثه له، فتابع متسائلاً بصوت  
 شبه متعصب:

-وانت يا بيه مش هتروح تشوف مراتك؟

أجابه بفتور وهو يدير وجهه للناحية الأخرى:

هي طفشانة، وأعدة عند أمها

صاح به بغلظة:

-اتلحح ورجعها البيت ولا مستني تعملك مصيبة عشان تفوق انت الثاني!

نفخ هاتفاً بنفاذ صبر:

-يووه، أنا زهقت من أم موضوعها!

عنفه مهدي قائلاً بعصبية:

ما إنت اللي وحلت نفسك من الأول معاها

رد عليه مازن بتشنج:

-وعرفت غلطي وجبت أخري، فسيني يا أبا على راحتي!  
اقترب مجد من أبيه، ولف ذراعه حول كتفه متسائلاً بالحاح:  
ها، هانروح نزور العروسة امتي؟

سلط أنظاره البائسة على ابنه الذي كان يتنسم بعث، هو يناقشه في شيء،  
وابنه يفكر في شيء آخر يتناقض مع تقديره للوضع وكأن احتراق العالم من  
حواله لا يعنيه بالمرّة.

تمم من بين شفثيه بغيظ مكتوم ناظرًا له بشزر:  
لله الأمر من قبل ومن بعد! فوضت الأمر لصاحب  
الأمر.....!!!

## الفصل السادس والخمسون:

وصل إلى منزله في حالة حزن شديدة، لا يعرف ما الذي أصابه ليبدو  
مكتئبًا بصورة مبالغة، لكن لأنها لمست قلبه وعمق، استشعر بإحساس

صديق خطورة فقدانها للأبد، كان متجهماً، عابساً، وجهه محتقن، ونظراته مشوشة، حدقت فيه والدته باندهاش مرتاب، وقبل أن تفتح فمها لتسأله عما حدث كان هو قد اتجه إلى غرفته مباشرة صافقاً الباب خلفه بعنف.

توجس قلبها خيفة أن يكون قد حدث مكروه ما فأصبح على تلك الحالة البائسة، أسرع خلفه هامسة بقلق:

-استرها يا رب، احنا مش حمل زعل ولا هم!

دقت الباب بخفة مستأذن بالدخول، لكن لم يأتها صوته، فدفعها غريزتها الأمومية للتحرك فوراً، فتحت الباب بحذر، وأطلت برأسها محاولة رؤيته.

فوجدته متكوماً على نفسه ينتحب بأنين مروع، وفي حالة انهيار، لطمت على صدرها بهلع وهي تسأله بخوف:

-ايه اللي حصل يا دياب؟

لم يخف شهقاته أو حتى بكائه المرير عنها، بل ظل على وضعيته المحطمة أمامها مخرجاً ما يقتل صدره، كان كمن انفطر قلبه على شيء غالي، هي رآته من قبل على تلك الحالة، حينما اكتشف خداع زوجته له، فثارت ثائرت وأصبح قاب قوسين أو أدنى من ارتكاب الفظائع المهلكة، ابتلعت ريقها بتوجس كبير، ثم أسرع بغلق الباب وأوصدته عليهما، ركضت جليلة مهرولة لتجلس على الفراش إلى جواره، ثم أمسكت به من كتفيه، ولفت ذراعها حوله رافعة رأسه إلى صدرها، ضمته إليها بنحو كبير محاولة التهوين عليه.

مسحت على جبينه برفق، وريبت على كتفيه قائلة بصوت شبه محتقن:

فيك ايه يا حبيبي؟ مين عامل فيك كده؟

أجابها بغموض من بين نحيبه:

خايف تموت!

هوى قلبها في قدميها وهي تسأله بترقب شديد:

مين دي؟

همس بأنين متوجع:

بسمه!

انفجرت شفتاها في عدم تصديق، ابنها يتحدث عنها، لم يكابر في إخفاء سره،

بل باح به وكأنه يزيح ذلك الثقل المهلك عن صدره.

ردت عليه بتلثم:

إنت.. إنت

تابع قائلاً ببكاء وهو يرفع عيناه في وجهها ليحدق بها:

أنا بأحبها يامه، أيوه بأحبها ومكونتش عارف بده!

احتضنت رأسه، وانحنت بفمها على جبينه لتقبله قائلة بصوت خفيض لتدعمه:

قلبي كان حاسس يا ضنايا!

بكي بأنين مرتفع مخرجاً من صدره شهقات ملتاعة.

حاولت احتواء انهياره، وهتفت بحماس:

-أنا حاسة بيك يا حبيبي، وقولت لنفسي جايز هي تسعدك، بس مرضتش  
أفرضها عليك، قولت أسيدك تختار اللي تعجبك، كفاية اللي حصلك قبل  
كده!

رد عليها بصوته المنتحب:

-ماستحملتش أشوفها كده، خايف.. خايف أخسرها و... وت...

قاطعتها قائلة بغلظة قليلة:

-تف من بؤك يا دياب، إن شاء الله هاتقوم بالسلامة!

أخرج تهيدة حارة موجوعة من صدره وهو يقول بألم:

-آآه يامه!

مسحت على ظهره برفق وهي تواسيه، ثم تابعت قائلة بهدوء:

-يا حبيبي استهدى بالله كده، وقوم اغسل وشك! مالوش لازمة اللي بتعمله

ده، هو انت هاتقدر البلا قبل وقوعه!

دفن دياب وجهه بين راحتي يده، وأجهش ببكاء أشد.

تأسفت على حاله المروع، فصاحت بجدية:

حطب بص أنا هاروح أطمئن عليها و....

قاطعتها قائلاً بإحباط:

مالهاش لازمة جيتك يامه، هي مش حاسة بجد أصلاً!

ردت عليه باستنكار:

-لا حول ولا قوة إلا بالله، محدش يقدر يمنع القدر!

تنفس بعمق محاولاً استعادة انضباط نفسه.

تابعت أمه مقترحة بحماس عليها تهون عليه كربه:

حبيب أقولك على حاجة تبسطك، هي لما تقوم بالسلامة، ونظمن عليها أنا

هاخطبها لك طالما عاوزها، ها ايه رأيك؟

لم يجيبها بل ظل صامتاً، استشعرت من سكونه موافقته على اقتراحها،

فواصلت مؤكدة:

-انت بس اهدى، وإن شاء الله خير!

عبست كذلك بوجهها لتعابه مرددة:

حطب ابنك لو شافك بالشكل ده يقول ايه، هاه؟!

حاول أن يبتسم لكنه فشل، وكيف يضحك وهي في عالم آخر لا تشعر به

أو بغيره، انتبه كلاهما لصوت الدقات الصغيرة على الباب مع محاولة لتحريك

المقبض، وأعقبها صوت يحيي صائحاً بالحاح:

تيتة! بابا! انتو جوا؟

ردت مبتسمة وهي تشير بعينها:

أهوو جه على السيرة!

اعتدل دياب في نومته، وكفكف عبراته التي غزت وجهه بالكامل بيديه.

هتفت جليلة بصرامة خافتة مشيرة بسبابتها:

امسح دموعك يا بني، وربنا قلبي ما مستحمل يشوفك إنت ولا أخوك  
كده!

هز رأسه بالإيجاب، وأزاح كلياً ما علق في أهدابه من عبرات باقية.

نهضت جليلة من على الفراش بتثاقل، وخطت نحو باب الغرفة ثم فتحته  
مرددة بابتسامة باهتة:

ايوه يا حبيب قلب تلتة!

أجابها يحيى بتلهف:

أنا جعان!

ثم حدق في وجه أبيه المحتقن، فتساءل بغرابة:

هو بابا ماله؟

أجابته جدته باقتضاب:

مافيش!

تابع الصغير قائلاً وهو يشير بيده:

بس عينيه و مراخيله (مناخيره)....

قاطع دياب قائلاً بصوت شبه منتحب متعمداً العبوس بوجهه:

دي حساسية!

اقترب الصغير من أبيه ليتفرس في تعابيره بتفحص وعن كذب، ثم سأله  
بتعجب:

هو انت كنت بتعيط زينا؟ شكلك غريب!

عبث دياب بخصلات شعر ابنه هاتفاً بتويخ خفيف:

بس يا رخم! شايفني زومي قصادك!

جذبت جليلة حفيدها من ذراعه قائلة بحنو:

تعالى يا يحيى وسيد أبوك هو تعبان وعاوز يرتاح شوية!

نظر دياب لأمه ممتناً لتفهمها وضعه، بينما التفت الصغير برأسه ناحيتها،  
وهتف بانصياع:

ماشى، بس لما يصحى خليه يلعب معايا!

ابتسمت قائلة بإيجاز:

ربنا يسهل!

تابعها دياب بأنظاره حتى خرجا من الغرفة، فتمدد بجسده على الفراش ليفكر  
فيها باشتياق أكبر.



مضى ما يزيد عن يومين منذ وجودها بغرفة العناية الفائقة بالمشفى الخاص الذي انتقلت إليه عقب حادث السير المروع الذي تعرضت له، ولا جديد يذكر بشأن حالتها الصحية، هي مازلت على وضعيتها الساكنة، تعاني من غيابة مؤقتة، تسابق الجيران والأحبة في القدوم للقيام بواجبهم المعتاد في مثل تلك الظروف الحرجة. واستقبلتهم عواطف بامتنان كبير في الاستقبال الملحق بالطابق الأرضي لتعذر رؤية المريضة بغرفتها.

تفهم الجميع الوضع وتمنوا الشفاء العاجل لها. وأحضروا معهم ما استطاعوا تقديمه كالحلوى، والشيكولاته، والفواكه، والمعلبات، رأت فيهم الجود والكرم، وشكرتهم لدعمهم لها في ذلك الظرف الطارئ.

واظبت أسيف على المناوبة مع عممتها كل برهة لتفقد أحوالها بمطالعتها عبر النافذة الزجاجية، ظلت محدقة بها بأعين دامعة غير مدركة لمن اعتاد على مراقبتها خلصة حينما يتبادل دوره مع أخيه، تنهدت بإرهاق، وشعرت بوهن شديد يعترها، هي لم تنتبه لصحتها مؤخراً، وخاصة على مدار اليومين الفائتين، فانعكس آثار ذلك الإهمال عليها، شعرت بدوار خفيف يصيبها، فالت برأسها للجانب مستندة بها على النافذة.

أغمضت جفניה للحظات لتستعيد سكون رأسها.  
سمعت صوته العذب يخترق أذنيها متسائلاً بتلهف:

-انتي كويسة؟!

فتحت عينيها سريعاً، واعتدلت في وقتها لتجده واقفاً إلى جوارها، وممدداً  
لذراعيه نحوها، ابتلعت ريقها، وهمست قائلة بجرح وهي تلملم نفسها:  
-ايوه، أنا بخير!

اعترض عليها هاتفاً بجدية:  
-بس شكلك....

تنحنحت مرددة بخفوت شبه صارم:  
-ده من زعلي على بنت عمتي!  
أضاف قائلاً بهدوء:

-الدكتور طمنا، طول ما الحالة مستقرة يعني بيعتبرها حاجة كويسة!  
هزت رأسها بتفهم قليل:  
-الحمد لله على كل حال!  
ابتسم قائلاً بصرامة جادة:

-المفروض تهتمى بنفسك أكثر!  
ردت بعبوس خفيف وهي تشير بيدها:  
-بأحاول، بس أكيد شايف الوضع  
مازحها قائلاً بتسلية متعمدة:

-الظاهر إنك حابة تقعي من طولك وأنا أشيلك زي تلمي، جاز ده بيحيب  
نتيجة معاكي!

توردت وجنتيها من جملته الأخيرة، وشعرت بتلك السخونة المنبعثة من وجهها  
لمجرد تذكرها تلك المواقف المحرجة، ابتسم لخلجها، ودس يديه في جيبي بنطاله  
متأملًا وجهها المشتعل بالحمة باستمتاع تطيب له النفوس.

.....

لمحته من على بعد وهو يحادثها، فاحتدت نظراتها وقست تعابير وجهها، لماذا  
هي دونًا عن غيرها يلتصق بها وكأن مغناطيسًا بها؟ كزت نيرمين على أسناتها  
بغیظ، ثم اندفعت بغضب نحوها.

رسمت على ثغرها ابتسامة سخيفة وهي تهتف عاليًا:  
سي مندر!

التفت الاثنان برأسها نحوها، وبالطبع امتعض وجهه لمجرد رؤية تلك السمجة  
تقتحم عليه المكان، جمد نظراته نحوها متسائلًا باقتضاب:  
خير؟ في حاجة حصلت؟

تعمدت نيرمين النظر باحتقار إلى أسيف، ثم ردت قائلة بغموض متعمدة  
إغاظتها:

-كنت عاوزاك في كلمتين كده لوحدنا!

رد عليها بجمود قاسي وقد ضاقت نظراته:

ماتقولي اللي اتتي عاوزاه هنا، مافيش حد غريب، دي بنت خالك!  
عضت على شفها السفلى متعمدة إظهار رغبتها في عدم الحديث في وجود  
أسيف:

لأ.. بس....

ثم غمزت بطرف عينها نحوها لتشير لها.

تفهمت الأخيرة مقصدها دون الحاجة للنطق بهذا، فقد كان واضحًا للعيان،  
لذلك هتفت بجرح مزعوج:

خذوا راحتكم، أنا راجعة عند عمتي!

زفر منذر بضجر كبير من تصرفها السخيف، وسألها بنفاذ صبر:

عاوزة ايه؟

تغنجت بجسدها قليلًا وهي تجيبه بدلال رقيق:

أنا كنت عاوزة أتشكرلك على اللي بتعمله معانا، يعني مفضي نفسك

وسايب شغلك عشاننا!

ثم دنت منه بطريقة مريبة، وحدقت فيه بنظرات ذات مغزى وهي تقول

بتنهيدة غريبة:

أنا..... ساعات بأحس إنك إنت قريب مني و....

استشعر طريقته الغير مريحة في التودد إليه وفرض نفسها عليه، فتراجع خطوة  
للخلف صائحًا بصلافة:

ما أنا قولتك للمرة المليون إن احنا أخوات، فأظن ده عادي في الظروف  
دي!

رمقها بنظرات أكثر قسوة قبل أن يضيف بجمود:

اه، ويا ريت بقى تروحي تشوفي أمك ولا تقعدى جنب أختك العيانة، هي  
تحس بيكي أكثر.. عن اذنك!

انفرح فمها بصدمة أخرى من ردة فعله الغليظة معها، أولاهها ظهره وتحرك من  
أمامها هامسًا بتبرم ضائق:

أعودوا بالله! هو في كده!

تسمرت في مكانها للحظات تحترق من صرامته الحادة معها، هو لا يعطيها أي  
فرصة لتقترب أكثر منه ويشعر بها، دومًا يصدها ويثبط عزيمتها، ويجبط كل  
محاولاتها معه، حتى تعاطفه مع مصابهم يبدو جامدًا مثله.

وما زاد هذا إلا من حنقها تجاه أسيف، فتوعدتها بشراسة:

لو هباب البرك ماتصرفش وخلصني منك، هاتعامل أنا بطريقتي معاكي، بس  
لازم أزيحك من قصادي، إتني اللي مانعاه عني!

.....

رأها وهي تلج للمشفى فتوسم خيراً أن تفعل ما طلبه منها في الصيدلية قبل ذلك الحادث المؤسف، لذا بجرص شديد، وحذر بالغ أشار لها بعينه، ففهمت هي مقصده، وابتسمت له برقة لتؤكد يقينه، هي جاءت إلى هنا اليوم لتقوم بواجبها نحو المريضة، ومن ثم تحذير أسيف من خطورة اقتراب ذلك الدنيء منها.

تحركت فاطمة بخطوات ثابتة في اتجاه عواطف لتؤازرها أولاً، فجلست معها لبعض الوقت تبث في روحها المتعبة التفاؤل والأمل. ونجحت في فعل هذا، واستبشرت الأخيرة خيراً بوجودها، بقي منذر على مسافة جيدة ليتابع ما يدور باهتمام دون أن يثير الريبة حوله.

حضرت أسيف ومعها علبة من العصير ترتشفها بتأنٍ، جلست غير منتبهة، فنهضت فاطمة من مكانها لتذهب إليها، وما إن رأتها هي حتى صاغتها بود، وقبلتها من وجنتها مرحة بها.

جلست الاثنتان في إحدى الزوايا بعيداً عن أعين الجميع إلا نظراته هو، فقد كان حريصاً على مراقبتها مراقبة حثيثة، ربت فاطمة على فخذ أسيف قائلة بنبرة مواسية:

قلبي عندك يا أسيف!

ابتسمت لها الأخيرة مجاملة:

شكراً على زيارتك وتعبك!

أضفت فاطمة بصوتها الهادئ:

-والله لو يايدي أعمل حاجة مش هتأخر، إن شاء الله تطمئنا عليها وتقوم  
بالسلامة!

يا رب أمين

صمت للحظة لتستجمع أفكارها قبل أن تشرع في الحديث الآخر الذي  
حضرت من أجله، وبترت مدروس استطردت قائلة:

-أنا كنت محتاجة أتكم معاكي في حاجة مهمة!

قطبت أسيف جبينها متسائلة باهتمام:

خير

ضغطت فاطمة على شفيتها متابعة ببحر:

-أنا عارفة إن المكان والظرف مش مناسب، بس .. بس الكلام ده مينفعش  
يتأجل!

توترت إلى حد ما عقب جملتها الغامضة تلك، وهتفت باضطراب:

-انتي قلقتيني، في ايه؟

انحنت برأسها عليها لتهمس لها بخفوت:

مجد أبو النجا، فكراه؟ اللي حذرتك منه!

امتعض وجه أسيف لتذكرها ذلك الرجل الوديع الذي تعامل معها بفضافة

وجرأة، صرفت عن ذهنها صورته المزعجة وهي ترد على مضض:

-ايوه، ماله؟

أجابتها بتمهل متعمد:

-أنا عرفت انه ضايك تاني!

تهدت أسيف بعرق قبل أن تجيبها:

-الحمدلله، عدت على خير!

وضعت فاطمة قبضة يدها على كفها لتشد عليه قليلاً وهي تضيف محذرة:

-بصي الراجل ده بشع جدًا، مافيش بلوى قدرة إلا وعملها، صعب تتخيلي أد

ايه هو حيوان ولا حتى عمل ايه في البنات اللي عايشين في المنطقة، ده غير

طبعا إنه رد سجون وسوابق وبيشرب و...

اشمئزت لمجرد سماعها مساوئه المقيتة، فهمست مقاطعة بنفور:

حطب اتتي بتقوليلي ده كله ليه؟ أنا مش فاهمة!

أجابتها بتلعثم ملحوظ:

-بصي.. أنا.. أنا سمعت كده إنه... انه عاوز يخطبك!

ارتفع حاجباها للأعلى بصدمة كبيرة، وهتفت مذهولة:

-نعم!

خشيت فاطمة أن ينتبه من حولها لحديثها المقلق، فغمزت لها لتهدئ من

انفعالاتها، استجابت أسيف لرجائها الصامت، لكنها لم تستطع إخفاء تأففها مما



سمعته، فكيف لحقير مثله أن يفكر في الارتباط بها لمجرد رؤيتها صدفة لمرة أو اثنين؟ بالطبع هناك شيء مريب بالأمر، ناهيك عما اقترفه من جرائم وأفعال مشينة تجعل هي من مجرد تخيلها مع نفسها.

تابع فاطمة موضحة بتوجس:

أنا معرفش تفاصيل، بس وصلي رتوش كلام بتقول كده، وهايحاول يلاقي سكة معاك!

ردت عليها بجدة جادة:

اطمني، أنا مش من النوع ده!

تابعت فاطمة مؤكدة خطورة الوضع:

ماهو عشان اتني محترمة وبنيت ناس هايخشلك من ناحية الارتباط والخطوبة!

احتجت قائلة برفض قاطع:

مش هايحصل!

لاحظ منذر من مراقبة تعابيرها المشدودة انزعاجها الجلي، فتأهبت حواسه لردة فعلها، كان كمن يقف على جمر متقدة يقاوم بشراسة تلك الرغبة التي تحسه على الاقتراب منها، بدأت تدور في رأسه عشرات الأسئلة محاولاً تخمين ما الذي تتحدثان فيه، بدا محتملاً أكثر بإيماؤها الحادة وإشارات كفي يدها

المحتدة، الأمور كلها تشير إلى اعتراضها، هو لم يسمع رفضها شفهيًا لكن حدسه يؤكد له هذا.

اعتدل في وقفته حينما وجدهما تهضان من جلستها وتبادلان المصافحة، أسرع بإشاحة وجهه بعيدًا عنهما كي لا تنتبه له أسيف، لكن وقعت عيناه على ما أزعجه فعلاً، ما جعل قلقه وارتياحه يتضاعفان أضعافًا مضاعفة، رأى ذلك الخسيس يدنو منه وهو ممسك بباقة ورد لا تليق بوقاحته أبدًا.

تجمدت نظراته على ابتسامته الشيطانية التي برزت على ثغره لتزيد من استفزازه وتشعل بركان غضبه، وقف مجد قبالة متباهيًا بنفسه، ومتعالياً بنظراته المغترّة، قوس فمه أكثر للجانب، وحدجه بنظرات شرسة تحمل بين طياتها التحدي قبل أن يستطرد حديثه هاتقًا بصوته الخشن متعمدًا إثارة غيظه:

مرحب يا أبو نسب، غايب عنا ليه أدريك كام يوم.....!!!؟

.....

## الفصل السابع والخمسون:

أظلمت نظراته واشتدت قناعتها حينما رأى غريمه يقف قبالة يطالعه بغرور  
مقزز، أشعل حنقه نحوه أكثر بطريقته في استعراض قوته الزائفة، فبادله  
نظرات نارية مهددة بإحراقه حيًا إن تجرأ وأساء التصرف هنا.

أردف مجد قائلاً ببرود مستفز:

هدي أعضائك يا بونسب!

ثم مد يده ليضعها على كتف منذر لكن أمسك به الأخير من رسغه قبل أن  
تطاله أنامله القذرة ليبعدها عنها بنفور واضح على محياه، ثم رد بغل يحمل  
الصرامة:

-ما فيش نسب مع الأشكال اللي زيك!

قست نظرات مجد، لكنه ضبط أعصابه كي يثير افعالات خصمه، فرد عليه  
ببساطة فجة:

ده أنا بأعملك قيمة يا بن طه!

هتف فيه منذر بصوت متصلب وهو يرمقه بتلك النظرات الدونية:

-قيمتي عارفها كويس، الدور والباقي على ال..... زيك!

أغاظه سبابه النابي، فرد عليه من بين أسنانه بنبرة عدوانية:

متخلنيش أعمل الدينئة معاك هنا، ومش هايفرق معايا احنا في مستشفى ولا  
لا!

التوى ثغر منذر للجانب ليبتسم مستخفاً من تهديده الفارغ، ثم رد عليه بثقة  
جادة متعمداً رمقه بنظرات احتقارية:

-وحياتك ولا أنا، بالعكس المشرحة ناقصة واحد!

قبض مجد على باقة الورد فاعتصر فروعها بأصابعه فتحطم أغلبها، لكنها عاد  
ليرخيها حينما رأى الصيدلانية "فاطمة"، وقعت عينها عليه فارتبكت من  
رؤيته المزعجة.

صاح هاتفاً بطريقة محرجة وهو يفتح ذراعيه في الهواء:

أهلا بالضكتره كلها!

تسمرت في مكانها، ثم حانت منها نظرة خاطفة لمنذر وكأنها تستجديه قبل أن تستجمع نفسها وتهمس بتردد:

عن.. عن اذنكم!

سد مجد عليها الطريق بجسده محدجا إياها بنظرات عدائية مقلقة، استشعرت هي تهديده الخفي رغم صمته، لكن عيناه عكست نواياه السيئة، جف حلقها تقريباً، وأحست بتلك الرجفة تتسرب إلى أوصالها.

حدث مجد نفسه بوعيد مخيف وهو يطالعها بنظراته الشرسة:

يا ويلك معايا لو كنتي خالفتي أوامري!

ابتلعت فاطمة ريقها بتوتر ملحوظ، فقد رأت الشرر المتطاير من حدقيه الخيفتين، ثم تحركت للجانب لتتمكن من الفرار من أمامه مرددة لنفسها بخوف:

-ربنا يستر!

أسرعت في خطاها وهي تدعو الله في نفسها أن ينجيها من شر ذلك المقيت، فهي لا تضمن ما يمكن أن يحدث لها إن وقعت في برائنه، مرر مجد أنظاره على الجالسين بالمقاعد، فأراها منزوية مع نفسها، برقت عيناه بوميض خبيث، وزادت ابتسامته المقرزة اتساعاً، لم يترك لنفسه أي فرصة للتفكير، بل صاح

بنزق:

ده الحبايب كلهم متجمعين هنا!

اغتاظ مندر من أسلوبه المستفز في التصرف بوقاحة، وعدم احترام خصوصية تلك النوعية من الأماكن. فاعترض طريقه مهددًا بصوت قاسٍ:

امشي من هنا أحسنك!

دفعه مجد من كتفه بقوة قائلاً بتحدٍ:

ليه بس؟ ده حتى عيادة المريض واجبة!

أكمل خطاه في اتجاه عواطف وابنة أخيها التي بدت مصدومة لرؤيته، اتسعت حدقتها بخوف بائن، وتسارعت دقات قلبها لمجرد حضوره أمامها، كما تبدل لون بشرتها للحمرة المزعوجة، وانكشيت في جلستها رهبةً منه، لم يغب عن بالها وقاحته، ولا خسته الفجة، اقتحم عقلها عشرات المشاهد التي بدت كالومضات الخاطفة، فزاد قلقها منه، وما أكمل مشهد فزعها منه تردد تحذيرات فاطمة لها في عقلها.

نهضت عواطف من مكانها لتستقبله، وشكلت دون وعي بجسدها حاجزًا أمامه لتمنعه من رؤيتها.

هتف مجد مبتسمًا بسخافة:

سلامو عليكم يا حاجة!

ردت عليه عواطف بحذر:

وعليكم السلام، شرفت يا معلم مجد!

تابع قائلاً بجفاء بعد أن تلاشت ابتسامته:

-ألف سلامة على الأبله، احنا بردك مخلصناش نعرف باللي جرى وما نقومش  
بالواجب!

ثم مد يده بباقة الورد مكملاً:

-ده عشان الأبله!

ابتسمت له عواطف مجاملة وهي تشكره:

-كثر خيرك!

مال مجد برأسه للجانب ليحدق في أسيف بنظرات جريئة وهو يقول بنبرة  
فجة:

-ازيك يا حلوة؟ مش تسلمي عليا، ده أنا حتى ضيفك!

ضغطت هي على أصابع كفيها بعصبية، ثم نهضت من مكانها قائلة بتردد:

-أنا.. أنا طالعة عند بسمة!

ضاقت نظراته حتى باتت أكثر حدة وهو يعاتبها بوجوم:

-الله الله، هو اذا حضرت الشياطين!

قبض منذر على كتف غريمه بأصابعه الغليظة، ورد عليه بسخط متعمداً

الاستهزاء منه:

-كويس إنك عارف نفسك!

تنفست أسيف الصعداء لوجود منذر هنا، فبعد ما عرفته عن جرائم ذلك  
الوqc باتت تخشى أن يجمعها مكان واحد، أفزعها صوته وهو يقول بجمود:  
حطب حيس كده بقى أنا.....

رفعت عينها لتنظر إليه وهو يتابع بمكر عابث:

أنا جاي معاكى يا عسل أطل على العيانة!

انخلع قلبها في صدرها من تصرّيجه المخيف هذا، فعجزت عن الرد عليه، هتف  
منذر مشدوهاً من جراته الزائدة:

نعم!

رد عليه مجد بوقاحة عنيدة متعمداً السخرية منه:

ابقى سلك ودانك عشان تسمعني!

استشاطت عيني منذر على الأخير، وبرزتا من محجرهما، فلو كانت النظرات  
تقتل لأودت بحياة غريمه توّا، شعر بأن نيرانه تآكله من داخله لمجرد الحديث مع  
دنيء مثله، كما أن سماحه له بالتناول عليه دون رده يستنفذ صبره بسرعة،  
نظر له مجد ببرود وهو يبتسم قاصداً استفزازه أكثر.

لم يتحمل منذر أكثر من هذا، فقبض على ذراعه، ثم هدر فيه بصوت  
متشنج:

وقت الزيارة خالص، اتفضل طرقتنا!

أزاح مجد قبضته عنه هاتفاً بتحدٍ جريء:



-وده اسمه كلام!

صرخ به منذر مشيراً بنظراته النارية:

يالا من هنا!

رمقه مجد بنظرات قائمة، ثم تبسم هاتفاً بنبرة خبيثة:

مش قبل ما أقول الكلمتين اللي عندي ل.....

صمت للحظة ليدير أنظاره نحوها، ثم تشكل على ثغره ابتسامة مراوغة وهو يتابع بنبرة غير مريحة مُطلقاً:

-للحلو دي، وعلى انفراد!

انقبض قلبها برعب كبير من جملة المخيفة تلك، كما شحب لون بشرتها بفرع صريح، فشعرت ببرودة مفاجئة تجتاح خلاياها،

ظنت عواطف أن هناك خطب ما فتساءلت بتوتر:

خير يا ابني في ايه؟

تحولت نظرات منذر المظلمة إلى وجهها، فقرأ بوضوح - من خلال ملامحها -

ما أشعل فتيل حنقه وأوصله لذروته، فهدر بعصبية جلية وقد تشنجت

عضلات جسده بالكامل:

مش هاسمحك تقرب حتى منها!

رد عليه بهدوء قاس:

مش انت اللي تقرر يا ابن حرب، سامع!

خشيت أسيف أن يتطور الوضع بينها لمشاجرة عنيفة فتسبب برفضها في إحداث فضيحة بالمشفى، وهي في غنى عن هذا الأمر، فهتفت متسائلة بدون تفكير:

إنت عاوز ايه؟

سلط مجد أنظاره عليها، ثم ابتسم لها بصورة جعلت جسدها يجفل منه، جف حلقتها حتى صار ما بقي فيه من ريقها كالعلقم المر من فرط الخوف، وتسابقت نبضات قلبها كما لو كانت في سبق عَدُوٍّ مما زاد من تدفق الدماء في جسدها ومن سرعة أنفاسها اللاهثة..

تحرك بؤبؤها نحو وجه منذر، فرأت في نظراته ما عنفها بقسوة لمجرد تفكيرها في إتاحة الفرصة له للحديث معها، هو بالفعل يخشى من تصرفها برعونة في تلك المواقف المهددة لسلامتها.

تراجعت سريعًا عما كانت تنتوي التفكير فيه، وهتفت بتلثم:

ممكن تقولي عاوز ايه هنا، احنا.. احنا ما فيش بينا كلام!

اقترب منها قائلاً بإهانة متعمدة وهو يشير بأصابعه:

مش قصاد الواغش!

لكزه منذر بعنف في جانبه صائحًا بجموح:

-تكلم عدل بدل ما أقص لسانك!

التفت مجد برأسه ناحيته، وكم ألمه من تلك الضربة المباغثة، تنفس بعمق  
ليزفر بعدها ما حبسه من هواء داخل صدره ببطء، ثم رد بنبرة باردة متهمكة:  
هي لا مؤاخذه الكلمة جت فيك!

شرارات الاشتباك بدأت تتراقص أمام عيني عواطف، وأدركت أن بين لحظة  
وأخرى ستندلع حربًا حامية الوطيس بينهما، لذلك تدخلت في الحوار قائلة  
بجذر:

-كلمني أنا يا معلم مجد، عاوز ايه من بنت أخويا؟ هي.. هي ضايقتك في  
حاجة؟

رد بهدوء وهو يبتسم بسخافة:

-كل خير يا حماي!

انفجرت شفتها قائلة بتعجب كبير:

-حمايك!

حرك رأسه بالإيجاب وهو يضيف عن قصد:

-اه، باعتبار ما سيكون يعني!

ثم غمز لمنذر بعينه اليسرى متابعًا بعث ماكر:

-هو حد ضامن ايه اللي ممكن يحصل بكرة!

رد منذر بغيظ ظاهر على نبرته زافراً بصوت مسموع

-أووف، استغفر الله العظيم يا رب!

هتفت أسيف من الخلف بارتباك كبير:

قول يا أستاذ، حضرتك عاوز تتكلم في ايه؟

رد عليها بعث خطير:

هاقول الكلام واحنا وافقين، مش ناخذ جمب كده!

ارتعد قلبها من مجرد تخيل وجودها معه بمفردها، فانكشت على نفسها أكثر،

فردت بتوتر:

من فضلك أنا واقفت أتكلم معاك و....

قاطعها قائلاً بإصرار:

يا حلوة مش هاخطفك، احنا هنقف كده هنا! دول بردك كلمتين يهموكي!

قضت كلماته الأخيرة على آخر شعرة من صبر منذر، فانقض عليه ممسكاً إياه

من تلايبه وهو يصرخ فيه بانفعال جامح:

تخطف مين يا ابن ال.....!!

كتمت أسيف بيدها فها لتمتع شهقتها المصدومة من الخروج نتيجة تلاحمها

سويًا، ناهيك عن السباب اللاذع الذي أنبأ باشتعال مشاجرة عنيفة،

احتقنت نظرات مجد من إهانتته أمام المتواجدين، فوضع يده على قبضتي منذر  
محاولاً انتزاعهما وهو يرد بشراسة:

-الله! لأكده أنا أزعل، مش شايفني واقف بأتكلم معاها، راجل أنا ولا هفاً  
عشان أخاف منك!

انتفضت أسيف في مكانها حينما رن هاتفها فجأة، شعرت أن روحها ستخرج  
من جوفها لمجرد معايشة تلك التجربة المفزعة من جديد، وبأيد مرتجفة رفعت  
الهاتف إلى عينيها لتنظر في اسم المتصل.  
تمتت لنفسها بنبرة مذهولة:

خالي فتحي!

شعرت أن اتصاله ربما يكون نجاة مؤقتة لها من ذلك الموقف المتأزم.. فتحررت  
للخلف قائلة بجدية:

خالي بيتصل، عن اذنكم!

أبعد مجد قبضتي منذر عنه، لكن لم يتحرك الأخير قيد أنملة من مكانه، وظل  
يقف بالمرصاد لغريمه.

أولت أسيف الجميع ظهرها، وأجابت بتلهف على اتصاله:

-ألو، سلامو عليكم، أيوه يا خالي!

جاءها صوته قائلاً بتأفف موجز:

-وعليكم..

ازدردت ريقها بجرح كبير، ورغم هذا لم تظهر نفوره من حديثه معها، فتابعت  
قائلة بحماس مصطنع:

-أخبارك ايه؟ وازي الناس في البلد؟ و....

لم يمهلها الفرصة لمواصلة ثرثرتها الفارغة، فقطع استرسالها مرددًا بغلظة قاسية:  
-اسمعي يا بنت حنان أنا لا متصل أسلم ولا أسأل عليك، ولا حتى عشان  
أرجع حبال الود!

توجست خيفة من اتصاله الغامض، لكنها حافظت على ابتسامتها الباهتة.  
صاح صوته القوي في أذنها وهو يكمل ببحود:

-الي بينا اتقطع يا بنت حنان، واتي السبب فيه، بس هاعمل ايه كنت  
مضطر أتصل بيكي عشان أبلغك بنفسي باللي حصل لبيت أبوكي  
وخزة عنيفة عصفت بقلها عقب جملته تلك، فشخصت أبصارها بفرع وهي  
تردد بلا وعي:

-بيتنا، ماله؟

أجابها بتشيف متعمد:

-النار قادت فيه، وبقي كوم تراب!

خفق قلبها بعنف متواصل وهي تهتف غير مصدقة:

-لا.. انت بتقول ايه!

حرق منذر فيها باستغراب كبير، أدرك من تصرفاتها المبالغة ومن ارتفاع نبرة صوتها المفاجئة أن هناك خطب ما بها.

لم يبدو مجد متأثراً بها، فنظراته مسلطة فقط - وبتركيز مريض - على جسدها متخيلاً شكل انحناءاتها الطبيعية وهي متجردة مما ترتديه، وضع يده على مؤخرة رأسه ليحكها عدة مرات متابعاً تخيلاتة الغير بريئة عنها.

شعرت أسيف أن قواها خارت فور تلقيها تلك الصدمة العنيفة، فأخر ما كانت تتوقعه هو اشتعال أكثر الأماكن حباً وغلاوة إلى قلبها، ذلك المكان الذي عاشت فيه طفولتها، وحفرت في جدرانها المئات، بل عشرات المئات من الذكريات مع عائلتها الراحلة، هي قضت كل حياتها به، بل لم تتركه إلا مضطرة، وإلا لعادت إليه مسرعة.

نعم هو آخر ما تبقى لها من روحها الفانية، كل ركن فيه يضم قطعة من ماضيها العزيز، هو يحمل رائحة اشتاقت لها كثيراً، فكيف يخبرها ببساطة أنه لم يعد لذلك المكان أي وجود وكأنه بلا قيمة؟

اخترق صوته القاسي شرودها وهو يكمل بجفاء:

-يعوض عليكى ربنا، سلام!

انهارت يدها المسككة بالهاتف للأسفل وهي تهز رأسها مستنكرة:

لأ، محصلش!

تيقن منذر أن وراء تلك المكلمة فاجعة ما، فأسرع ناحيتها ليسألها بخوف:

حصل ايه؟

قطبت عواطف جبينها متممة بقلق:

خير يا بنتي؟ مين اللي كان يتصل؟

دنا منها مجد بخطواته المتهمة ليفرض نفسه عليها، ثم هتف متسائلاً بفتور:

مالك يا حلوة؟

لم تكن أسيف في وعيها، كانت نظراته شاردة في مكان آخر يبعد عنها بمسافات، تلاحق في عقلها صور عشوائية لمراحل مختلفة من حياتها معها فيه، فنهج صدرها باضطراب كبير.

وضع منذر قبضته بجذر على كتفها ليهزها برفق وهو يسألها بخوف:

في ايه؟

نظرت إلى يده على كتفها، فتراجعت خطوة للخلف وهي ترمش بعينيها.

سحب منذر يده للخلف لكنه لم يبعد عيناه المتفرستين عنها، كان يشعر بريية نظراتها، بشحوب وجهها المقلق.

همست بصوت واهن مصدوم والكلمات تعجز عن الخروج من شفثيها:

-... بيتنا.. بيت بابا.. ات.. اتحرق!

فهم ما قالته رغم تقطع صوتها، فسألها مهتماً وهو محقق بها بثبات:

-وده حصل ازاي؟



أغمضت عيناها رافضة تصديق ما سمعته، وصرخت فجأة بعصبية:

-لأ، كذب، استحالة يكون ولع!

خشي منذر من تكرار نوبة انفعالها، هو اختبرها من قبل، فهتف بجزر:

-اهدي.. ما فيش حاجة!

وضعت يديها على أذنيها مانعة استمرار صدى كلماته المتشفية التي تثيرها بهما،

وواصلت صراخها المصدوم:

-لأ.. هو يقول كده عشان يحرق قلبي، بيتنا زي ما هو، ايوه، هو زي ما

سيبناه!

رفضت التصديق، أبت الإصاغ، بل نبذت بقسوة الجزن بحقيقة خسارة

منزلها للأبد.

سحبته عواطف من مرفقيها إلى صدرها لتضمها إليها وتحتضنها.

همست لها بتأثر:

-شششش! ما فيش حاجة إن شاء الله!

حاولت احتوائها قبل تنفجر باكية، فالفاجعة أقسى في كل مرة.

شعرت بثقل جسدها عليها، فهتفت بتوجس:

-أسيف، ردي عليا!

انتفض منذر في مكانه حينما رآها متراخية الأطراف في أحضان عمته، وأيقن أن الصدمة أقوى من قدرتها على استيعابها، فاستسلم جسدها أمام ضربات الحياة الموجعة، هو شعر بعنف معاناتها، فهي تتكبد كل خسارة وأخرى بما لا يترك لها المجال لتفريق أبدأ.

هرول ناحيتها معاونا عواطف في إسنادها مما جعل مجد يتصلب غيظًا في مكانه.

هدر بصوت مكتوم يحمل الغل:

-كده انت جيت عليا!

لم تتركها عواطف، بل ظلت محاوطة إياها بذراعيها، لكن لم يدم الأمر طويلًا، فقد تكفل منذر برفع جسدها عن الأرضية وحملها ليضعها على أقرب مقعد، جثى على ركبته أمامها، وضرب على وجتها برفق محاولاً إفاقتها:

وقفت عواطف عند رأسها متسائلة بهلع:

-بنتي، حصلك ايه بس؟

رد عليها منذر بصوت متشنج:

-بس الظاهر الزفت قريها قالها حاجة زعلتها!

ثم هب واقفاً ليصيح بنبرة مرتفعة:

-دكتور بسرعة هنا!

لمحته مرضة ما، فنظرت إلى حيث يشير بيده، فهزت رأسها بتفهم وهي ترد:

حاضر..!

تفاجأ منذر بقبضة عدوه اللود تغرز في كتفه لتزيجه جبراً للخلف. فاستدار  
ناحيته ليرمه بنظراته المحتدة.

كز مجد على أسنانه هاتفاً بحنق:

عنك، دي حتى هاتبقى المدام، فيصحش تكون جمبها وأنا موجود!

لوح منذر بذراعه بقوة فأبعد قبضته الموضوعه عليه، ثم هدر فيه مهدداً بعدائية  
صريحة:

لو مغورتش في ثانية من هنا، وعزة جلال الله ما تطلع إلا على المشرحة،  
وده أخري يا.....!!

تحده مجد قائلاً بجموح:

ماشى.. إنت قولتها، وأنا هاخليك تنولها!

ثم تراجع بجسده للخلف ليسدد بقبضته المتكورة بعنف لكمة قاسية في وجه  
منذر الذي تلاقها دون انتباه.

صرخت عواطف مذعورة من اشتباكها العنيف، فجلست على المقعد تحمي  
بجسدها ابنة أخيها وهي تتوسلها باستعطاف:

الله يكرمكم بلاش!

تلونت أسنان منذر بدمائه، لكنه لم يكثرث بها، فثارت ثائرتة، وانفجرت حمم  
بركانه المتأججة، وهجم على غريمه ليضربه بعنف أشد، وجه إليه لكلمات

متعاقبة في أنفه وعينه اليسرى، ثم طرحه أرضًا، وجثى فوقه ليكمل اعتدائه الوحشي عليه.

اتسعت ابتسامة مجد المستفزة لتثير من هياج منذر أكثر، فدس أصابعه في فمه محاولاً كسر فكّه، استجمع الأخير كل قوته ليتمكن من دفع منذر للجانب فتحرر منه، احتاج هو فقط لثوانٍ معدودة كي يستعيد اتزانه، ثم انقض عليه مرة أخرى ليضربه بشراسة في أسفل بطنه.

تأوه مجد صائحًا:

يا ابن ال.....!!

رد عليه منذر بألفاظ نابية، وهو يوجه له ركلة عنيفة في ركبته أسقطته أرضًا. واصلت عواطف صراخها المتوسل فتجمع المرضين ورجال الأمن على إثر صوتها المفزوع، تفاجئوا بالتشابك الدائر بينهما فتدخلوا لإبعادهما عن بعض وبصعوبة بالغة تم فصلهما، واقتيادهما إلى غرفة الأمن الملحقة بالمشفى للتعامل معها.

حضرت ممرضة ما ومعها الطبيب لتفقد حال أسيف بعد فقدانها للوعي.. شرحت عواطف على عجالة ما حدث، فتفهم الطبيب أن الموضوع نفسي أكثر منه عضوي، لذلك وجه حديثه للممرضة هاتفًا بجدية:

خليهم يطلعوها فوق، وبلغني الدكتور محمد يحيى بنفسه يشوفها!

أومات برأسها قائلة:

حاضر يا دكتور!

.....

صفقت بكلتا يديها بحماس عجيب بعد أن رأتهما يتشاجران سويًا، تشكل على  
 ثغرها ابتسامة شرسة تعكس نواياها الخبيثة، اختبأت نيرمين بالزاوية،  
 وسلطت أنظارها عليهم، هي لم تتدخل من البداية رغم غيظها المحتقن من  
 دفاعه عنها، واكتفت بالمراقبة من على بعد، احترقت أعصابها وهي تنتظر بفارغ  
 الصبر تلك الجذوة التي أشعلت الحرب بينهما وجعلتها تحتد بضراوة مهلكة،  
 تنفست بارتياح كاتمة بصعوبة ككرة ضحكها الشامتة.

لقد تحقق مبتغاها، وظفرت بجولة جديدة ضدها.

ظهرت الفرحة في نظراتها الشيطانية، وهمست لنفسها بنبرة تشبه فحيح  
 الأفعى:

-والله وجتلك على الطبطاب يا نيرمين.....!!

.....

## الفصل الثامن والخمسون:

وقف أمامه مطأطأ الرأس محرّجًا من معروف آخر أسداه إليه لينجي ابنه من الزج به في السجن، ظل وجهه متجهًا لأن عائلته دومًا تفتعل المشاجرات وينتهي الأمر بخسائر لكلا الطرفين، تدخل الحاج طه ليلعلم المسألة بداخل غرفة الأمن بالمشفى قبل أن يتفقم الوضع..

تنحى مهدي هاتفًا بصوت متحشرج:

-أنا هاتكلم معاه، وهافهمه غلظه، بس إنت فاهم الشباب دايمًا متسرع و....

قاطع طه قائلاً بصوت مزعوج:

-مش كل مرة تسلم الجرة يا مهدي، واحنا جبنا آخرنا!

ثم زادت نبرته قسوة وهو يتابع:

-ومنذر خلاص معدتش مستحمل، أنا حايشه عن ابنك بالعافية، وإنت

عارف كويس لو شيطانه ركه هايعمل ايه!!!

ضغط مهدي على شفّيته مرددًا بتفهم:

ايوه

حذره طه قائلاً بلهجة شديدة:

يا ريت نلم الليلة بدل ما نرجع نزل كلنا! والمرادي هاتكون الأخيرة!

هز رأسه قائلاً بهدوء:

إن شاء الله!

مد يده لمصاحته مضيئاً بامتنان:

وكرر خيرك ثاني، سلامو عليكم!

بادله طه المصافحة قائلاً:

وعليكم السلام والرحمة..

تابعه بأنظاره حتى خرج من الباب الجانبي للمشفى ليلحق بابنه المنتظر بالسيارة بالخارج، دفع منذر باب المرحاض وهو يجفف وجهه بالمناشف الورقية ليحرق في وجه أبيه بنظرات معاتبة.

ألقى ببقايا المناشف في سلة القمامة هاتفاً بامتعاض:

بردك سبته يا حاج!؟

رد عليه بعبوس:

هو مالوش ذنب، ابنه اللي جايله الكافية، لكن مهدي زي ما انت شايف

تجهمت قسماته أكثر وهو يرد بانفعال ملحوظ:

أها، وأنا مطلوب مني أفضل استحمل رخامة أمه لحد ما أموته وأخش فيه  
السجن!

رد عليه طه بجديّة:

أهدى يا منذر، هي خلصت

صاح معترضًا بشراسة:

لأ مخلصتش لسه، طول ما فيها ديول مش هتنتهي وهنفضل في الموال ده  
ليل نهار!

وقف قبالة أيه لينظر مباشرة في عينيه وهو يكمل بعزم:

بس أنا خلاص خدت قراري!

ضاقت نظرات والده وهو يسأله بتوجس:

ناوي على ايه؟

أجابه بغموض هاديء:

على كل خير.. اطمن!

تشكل على ثغره ابتسامة باهتة وهو يضيف بحسم:

وكله هيتحل بالهداوة والعقل!

.....



ضغط على ذلك الورم البائن أسفل فكه يتحسسه بجذر وهو ينظر إليه عبر  
انعكاس المرآة الأمامية بالسيارة، حدق فيه أخيه الأصغر بتعجب، ثم لوى  
ثغره مرددًا بنبرة تحمل السخرية:  
هو علم عليك!

ضاقت نظرات مجد للغاية، واكفهر وجهه وهو يجيبه بصوت مغتاض:  
متخلقش لسه اللي يعلم عليا

ضحك مازن متهكمًا وهو يرد بنظرات ذات مغزى:  
قديمة، ماهو باين على وشك!

احتدت نظراته للغاية، وهتف بصوت متحشرج مهدد:  
-وليه الغلط يا ابن أبويا؟ متخليش الجنونة تطلع عليك و....  
قاطع مازن قائلاً بفتور:

-وعلى ايه يا سيدي! الطيب أحسن

تابع مجد تهديده الساخط هاتقًا وهو يشير بيده:

-وبدل ما بؤك يتفتح عليا كنت اتشطر على حته حُرمة خليتك زي الخزقة،  
بُهر قدامها!

استشاط مازن من رده الوخ، وصاح منفعلًا:

-يووه، مكاتش خدمة عملتهاي، مش حكاية يعني!

كان أخاه على وشك الرد لكن منعه صوت والده الصاح بعصبية:

فوضت الأمر لله!

التفت مجد بأنظاره نحوه ليطالعه بنظرات نارية. ثم كرز على أسنانه هاتقًا بحنق:

-روحت بوست رجله يا أبا، وذلتنا أكثر عشان يسامحنا وننول الرضا  
والسامح!

فتح مهدي الباب الجانبي للسيارة ليجلس بالمقعد الخلفي، ثم صفقه بعنف وهو  
يرد بجدة:

-الذل انت اللي جايهولي بعمايلك السوداء، ده بدل ما تحمد ربنا إن الدور اتلم!

نفخ بعصبية قبل أن يتابع بغضب ضاغظًا على كتف ابنه الأصغر يا صبعيه:

-اطلع من هنا خيلنا نتكلم في حته تانية!

رد عليه مجد بوعيد شرس:

-مات الكلام يا أبا!

.....

مسحت على جبينها برفق وهي تتهدد بعمق، لم تكن لتتحمل فاجعة أخرى  
تصيب ابنة أخيها، يكفيها ما لاقته من مآسي متعاقبة في فترة زمنية قليلة،  
جلست على المقعد الملاصق لفراشها الطبي، وهمست بتضرع:  
هون عليها يا رب

نظرت لها نيرمين بأعين حمراء هاتفة بتبرم ساخط:  
-ايه يا ماما؟ هاتسيبي أختي وتقعدي جمب دي!  
عنفتها عواطف بحدة:

دي تبقى بنت خالك، مش واحدة من الشارع، يا رب تفهمي ده بقى!  
اعترضت على دفاعها الدائم عنها وكأنها ملاك منزه عن الأخطاء مبررة بتهمكم:  
-بس مش كده، كل شوية تعمل نفسها مغمى عليها، ومش قادرة وتلمكم  
حواليها، خلاص باخت العملية أوي!  
صاحت بها أمها بعبوس:

هو اللي شافته قليل! ارحمي عشان ربنا يرحمك!  
تجهمت قسبات وجهها أكثر، وهتفت بغیظ حانق:  
-ما أنا شوفت أكثر منها بكثير، وواقعة أهوو على حيلي، لا حد بيجي  
يلحقني، ولا حد هووب يشلني!  
رمقتها عواطف بنظرات مزدرية وهي ترد باقتضاب:

كل واحد وقدرته!

وقف على عتبة باب غرفتها متردداً في الدخول بعد أن عرف رقمها من الاستقبال الملحق بالمشفى.

أراد أن يطمئن عليها بنفسه بعد حديث والده الغير مجدي بسبب اشتباكه المحتد مع عدوه الدنيء، سمع أصواتاً تأتي من الداخل، فضغط على شفثيه بقوة، لا بديل عن التراجع الآن، هو قد جاء، ولن يضيع الوقت في تفكير عقيم ومتردد.

أخذ نفساً عميقاً لفظه دفعة واحدة، ثم دق على الباب بخفة وهو يهتف بصوت آجش:

احم.. سلامو عليكم

أخفض نظراته حرجاً، وانتظر بهدوء الرد عليه.

انتبهت نيرمين إلى صوته الذي تنتظره بتلهف، فتهللت أساريرها حينما رآته على عتبة الباب، وبلا تردد اتجهت إليه وهي تهدهد رضيعتها النائمة.

تسارعت أنفاسها من فرط الحماس العجيب، وهتفت صائحة بدلال مفتعل:

سي مندر!

تحاشى النظر إليها متسائلاً بجذر:

ايه الأخبار؟

توهجت عيناها بوميض فرح، وزادت ابتسامتها السخيفة اتساعًا وهي ترد  
بنعومة:

-أنا تمام وبخير! تسلم على سؤالك يا سي مندر.

عبس بوجهه مصححًا بجمود قاسي:

مش قصدي انتي، أنا بأتكلم على بنت خالك.. أسيف!

وكأنه صفعها بقوة مباغته لتبهت ابتسامتها فورًا، وتظلم نظراتها. حل الوجوم  
على تعابيرها وهي ترد بازدياء:

-كويسة!

تحركت عواطف لتقف إلى جوار ابنتها، وهتفت مرحة بود:

-اتفضل يا بني!

ابتسم قائلاً بهدوء:

متشكر، أنا بس جاي أطمئن عليها وأشوفها بعد اللي حصل!

ردت عليه عواطف بامتنان:

فيك الخير.. ربنا يباركك!

سألها مندر باهتمام:

-الدكتور قال ايه؟

أجابته بسجيتها وهي تبتسم:

اهو حاجة كده في نفسيتها، بس هاتفوق وتبقى كويسة  
هز رأسه قائلاً بجدية:

إن شاء الله، عمومًا أنا هاروح أبص عليه واسأله بنفسي  
انزعجت نيرمين من اهتمامه الزائد بها، وشعرت بنيران الغيرة تأكلها حية، فهتفت  
بتبرم ساخط:

ماتتعبش نفسك يا سي مندر، دي تمثلية كل شوية تعملها، واحنا خدنا على  
كده! أكيد انت فاهم!

نظر لها شزرًا وهو يرد بجفاء:

استغفر الله يا رب، ماتشوفيلي كده كوباية مياه باردة أشربها لأحسن ريتي  
ناشف!

هتفت نيرمين بتلهف أعجب:

من عينيا، ده انت تؤمر يا سي مندر وأنا أفذ على طول وأنا مغمضة!  
رد عليها بخشونة:

متشكر

مدت ذراعها برضيعتها الغافية لوالدها قائلة بجدية:

خلي يا ماما البت معاكي عقبال ما أجيب لسي مندر أحلى مياه!

بدت عواطف منزجة من تصرفاتها المبالغة فيها، واستشعرت الحرج من أسلوبها معه، ومع ذلك لم ترغب في احراجها أمامه، لذلك تناولتها منها بجذر مرددة بوجه خالٍ من التعابير:

حبيب!

رمشت نيرمين بعينها وهي تسبلها نحوه، ثم همست بنعومة:

عن اذنك يا سي مندر!

فرك طرف ذقنه بكفه دون أن يعقب، وأبعد نظراته عنها ناحياً بتبرم، استنشقت أنف عواطف رائحة مزجة صادرة عن الرضيعة، فاستشفت أنها بحاجة إلى تبديل حفاضها الداخلي.

ابتسمت قائلة بهدوء:

هستأذنك يا ابني هاروح أغير للبت، انت عارف العيال وعمائلهم!

أوماً برأسه قائلاً:

-ولا يهملك.. اتفضلي!

تنفس مندر الصعداء لحصوله على فرصة للانفراد معها بعد ذلك الحصار المهلك لها، تابع عواطف بأنظار مترقبة حتى اختفت في الرواق، فوراب الباب قليلاً، ثم دنا من فراشها بخطوات متمهلة، عاود مندر التحديق في أسيف ليطالعها تلك المرة بنظرات مختلفة عن ذي قبل؛ بنظرات تحمل التلهف والشوق، الاهتمام والرغبة، وكذلك الخوف والاطمئنان.

اقترب منها أكثر ليعن في تفاصيلها، في تعبيرات وجهها الساكنة، رغم كل شيء  
فهي لا تزال متماسكة، صلبة، تقاوم بشراسة. آه من تلك اللمحة الحزينة التي  
تكسو تعابيرها فتوخز صدره أكثر تجاهها.

جذب انتباهه شيء ما، فدقق النظر في جفניה اللذين كانا يتحركان بعصبية،  
رأى عبراتها تنساب ببطء لتبلل وجنتيها، ففغر فمه مدهوشًا، وتساءل بين  
جنبات نفسه عن سبب ذلك، زاد تعجبه وهو يردد بتوجس قلق:  
هي بتعيط؟! .....

كانت تصارع الأمواج العاتية بوهن كبير، وكلما نجت من واحدة، قذفتها  
الأخرى إلى مسافة أعمق في بحر أكثر ظلمة، كانت تصرخ لكن صوتها ظل  
حبس صدرها، فقط شهقات مكتومة تكافح للصعود، اختنقت أنفاسها أكثر،  
وأوشكت على الغرق، فرأت ذلك البريق اللامع مسلطًا على أعينها، فأصاب  
رؤيتها المشوشة بعمى مؤقت.

لكن كان فيه نجاتها حينما لمحت تلك الأطياف تمد أذرعها نحو لتنتشلها منه.  
فبكت من أعماق قلبها، وامترجت عبراتها ببقايا المياه العالقة بوجهها، رأت  
وجهًا مألوفًا يهتف باسمها بنبرة دافئة في ظل ذلك البرود القاسي، فلمست  
قلبها وتغلغلت فيه، مدت يدها نحوه علها تصل إليه، كادت أن تفشل في  
مسعاها، لكنه بلغها بإصراره.



بدأت صورته تتضح تدريجيًا رغم تشوش الرؤية.. شعرت بلمسة رقيقة من  
أنامله على وجهها فأصابتها برجفة بسيطة.  
أمعنت النظر في ملامحه الجادة، لقد عرفته.. إنه هو.....

تهدجت أنفاسها اللاهثة وهي تهمس بصعوبة:

... منذر!

.....

انحنى على رأسها مستندًا بذراعه على حافة الفراش، ومد يده الأخرى نحو  
وجتها محاولاً مسح تلك العبرات التي شقت طريقها في وجهها، شعر بانتفاضة  
جسدها بمجرد أن أزاحها رغم حرصه الشديد على عدم إزعاجها، رأى جفניה  
وهما يفتحان بصعوبة، لقد بدأت أسيف في استعادة وعيها مرة أخرى،  
التقطت أذناه ما لفظته شفيتها رغم صوتها الذي بالكاد يمكنك أن تسمعه، لكنه  
عرف طريقه إليه. فحقق قلبه بقوة وتسارعت دقاته.

لمحت طيفًا ما يسيطر على الأجواء من حولها، كان قريبًا للغاية، شعرت  
بأنفاسه تلمح وجهها.

في البداية لم تتمكن من رؤيته بوضوح حتى اعتادت على قوة الضوء، فعرفته..  
إنه نفس الطيف الذي لازمها في حلمها.

همست باسمه بلا وعي:

منذر!

سمع اسمه ينطق مرتين مجردًا من أي القاب، يلفظ عفويًا فرغ نسبة  
الأدرينالين المتحمس بدمائه.

اضطرب لوهلة، وتوقف عن التنفس مجمداً أنظاره عليها.

تسمرت نيرمين على عتبة الغرفة شاخصة أبصارها غير مصدقة ذلك المشهد  
الدائر بينهما، منذر يداعب وجنتها، وتلك البائسة همست بشيء ما له فجعله  
يرتبك بجرح، كانت كالبلهاء وهي محدقة في وجهيها.

سريعًا ما تداركت نفسها، وأفادت من شرودها فيها ليسيطر عليها الغضب  
المتعصب، تعمدت إرخاء أصابعها عن الكوب الزجاجي الذي تحمله في يدها  
ليسقط منها متهمشًا إلى أجزاء صغيرة، فاتتبه كلاهما لوجودها.

تحول وجه أسيف لكتلة من الدماء الخجلة رغم عدم وجود ما يشينها، لكنها  
تعلم نوايا ابنة عمها السيئة، اعتدل منذر في وقفته ببطء، وتنحى بصوت  
خشن.

ولجت نيرمين إلى داخل الغرفة بخطى عصبية صائحة بانفعال:

في ايه اللي بيحصل هنا؟

أجابها ببرود وهو يدس كفيه في جيبي بنطاله:

-ولا حاجة!

ثم أشار لها بعينه متسائلاً بنبرة جافة:

فين المياه؟

ردت بغیظ:

-وقعت مني لما شوفتكم....

قاطعها بصرامة قبل أن تكمل عبارتها:

-مش تاخدي بالك أحسن بدل ما تركزي في حاجات هتتعب أعصابك كثير!

شعرت أسيف بثقل في رأسها، فوضعت يدها على جبينها تتحسسه هامسة

بصوت واهن:

-أنا.. أنا عاوزة أمشي من هنا

رد عليها منذر بجدية صلبة:

-مش قبل ما نطمن عليك!

تذكرت ما حدث قبل إغماؤها الأخيرة، إنها تلك المكالمة التي انتزعت آخر ما

تبقى من ذكرى والديها، حرق قلبها بكلماته، وأشعل روحها بشماتته.

توترت أنفاسها، وسيطر الحزن على تعابير وجهها الذابل، بدا صوتها مختنقاً

وهي تصر على النهوض قائلة:

-أنا لازم أسافر البلد.. بيتنا.. بـ. بيتنا مش....

حاولت إزاحة الغطاء عنها، وإنزال ساقها لكن وقف منذر قبالتها مهدداً بكف  
يده:

مش هتتحركي من هنا!

رفعت عينها نحوه لترمقه بنظرات معاندة وهي ترد بإصرار كبير:  
هو.. هو بيكذب، أنا عرفاه، أنا لازم أسافر وأشوف بيت بابا!  
بات لهجته ونظراته أكثر تهديداً وهو يقول:

مش هايحصل

استشعرت القوة في نبرته، فارتجفت منه، تنفس منذر بعمق ليحافظ على  
هدوئه معها، فأني تهور أو تجاوز معها قد يؤدي إلى نتائج عكسية.

حاول أن يبرر لها رفضه لذهابها قائلاً يانزعاج:

إنتي ناسية اللي عمله فيكي قبل كده؟

علقت غصة في حلقها وقد تذكرت قسوته العنيفة معها حينما توفت والدتها. لم  
يكن بقلبه أي شفقة، أخفضت رأسها متخاذلة لتهمس بنبرة مختنقة:

بس ده بيتنا، يعني حياتي كلها، إنت.. إنت مش فاهم حاجة!

نفخت نيرمين بجنق، فقد بغضت استغلال ابنة خالها لقناع البؤس والشفقة  
للتستعطف الآخرين نحوها وخاصة هو، فهمست من بين شفقتها بسخط:

خشي عليه باسطوانة الهمة بتاعة كل مرة!

تفاجأت أسيف بيده تلامس طرف ذقنها برفق لترفع وجهها نحوه، حدقت فيه  
مدهوشة من تلك الحركة المباغته، بينما شهقت نيرمين مصدومة من فعلته.

رد عليها منذر بجدية وهو مسلط أنظاره المزعوجة عليها:

-إنتي مش مقدره الموقف كويس، سفرك لوحداك هناك معناه إنك بتديله فرصة  
يعمل اللي عاوزه معاكي من غير ما يكون في حماية ليكي! خالك فتحي مش  
سهل، والأعيبه كثير، واتي بنفسك جربتيه بدل المرة اتنين!

تراجعت أسيف برأسها للخلف لتحرر ذقنها من ملمس يده الذي أصابها  
بالتوتر، حاولت أن تبدو صلبة وهي ترد بعند:

لو بتفكر تمنعني مش هاتعرف، ده مش الدكان عشان تشتريه، ده بيتي،  
يعني ملكي، فيه ذكرياتي، وعمري كله و....

قاطعها قائلاً بغموض:

-اديني فرصة أشرحك اللي أنا عاوزه

كانت تقف على فوهة بركان يثور بحممه الملتبهة، هي كمن لا وجود له وسطهما،  
يتلامسان بالأصابع، يتبادلان النظرات والعبرات وهي كالمشاهد الصامت،  
شعرت بدمائها المغلية تحرق روحها من الداخل، فهتفت بانفعال ثائر:

ما يولع البيت ولا يتحرق على اللي فيه، احنا مالنا، اتى جاية وجاية  
الخراب معاكي، ومش هترتاحي إلا لما تخلصي علينا كلنا بمصايب اللي ما  
بتخلصش!

عجرت أسيف للحظات عن الرد عليها بسبب طريقها الهجومية والغير مراعية  
لمشاعرها، وقبل أن تضيف المزيد، كانت والدتها قد عادت إلى الغرفة،  
فنظرت إلى ابنتها باستغراب، كان صوتها صادحا بالخارج، لكنها لم تفهم سبب  
ثورتها، وحينما دقت النظر ورأت أسيف في وعيها، انفرجت شفتها عن  
بسمة راضية هاتفة بعدم تصديق:

-بنتي، الحمد لله إنك فوقتي وبقيتي أحسن!

مدت ذراعها بحفيدتها نحو ابنتها، واقتربت من ابنة أخيها لتحتضنها وتقبلها من  
رأسها، دلكت ظهرها برفق بكفها، وربتت على كتفها قائلة بود:

-ربنا يبعد عنك أي شر!

ردت عليها أسيف بامتعاض:

يا رب

تفرست عواطف في وجهها، ومررت أنظارها على أوجه البقية، فلاحظت  
توتر الأجواء وشحونها من صمتهم المريب.

توجست خيفة أن يكون خطب ما قد حدث أثناء غيابها، لذلك تساءلت  
بقلق:

هو.. هو حصل حاجة ثانية؟

أجابها منذر بهدوء حذر:

هيحصل لو ما اتصرفناش صح!

نظرت له بغرابة وهي تسأله بحيرة:

أنا مش فهماك يا بني؟ انت بتكلم عن ايه؟

شرح لها ببساطة عن إصرار ابنة أخيها على الذهاب بمفردها إلى بلدتها  
الريفية للتحري عن ذلك النبا المؤسف الخاص باحترق منزل والديها الراحلين،  
ورفضها تصديق خطورة الموقف.

انزعجت عواطف من عنادها، وهتفت معارضة:

لا يا بنتي، مش هانسبك تروحي لوحذك!

بكت أسيف بقهر لعجزها عن تفسير مشاعرها عن أهمية ذلك المنزل لها،  
وضرورة ذهابها الملح إلى هناك.

أشفقت عليها عواطف هاتفة بتوسل:

يا بنتي اهدي واسمعيني، قريبك ده راجل شراني، والله ما هيسيبك في  
حالك، تلاقيه مدبرلك على نية سودة!

ردت عليها بصوتها المنتحب وهي تكفكف عبراتها بكفها:

ده بيت بابا يا عمتي، انتو مش فاهمين هو بالنسبالي ايه، لازم أروح أشوفه،  
هو بيكذب عليا، بيكذب!!!

مسحت عواطف وجهها براحتها قائلة برجاء:

طيب اهدي يا بنتي، وبطلي عياط!

نفخ مندر مستاء من عنادها الأحمق. وضع يده على مؤخرة رأسه ليحكها  
بعصبية، ثم هتف من بين شفثيه بجدية:

ماشني، وأنا معاكي انه بيكذب، والبيت زي ما هو! وإنه قال بس كده عشان  
يجر رجلك لهنالك!

نظرت له بأعينها الدامعة دون أن تنبس بنت شفة.

اقترب منها أكثر، ثم أخرج زفيرًا مزعوجًا من صدره وهو يضيف بغموض  
مقلق:

طيب مفكرتيش للحظة إنه ممكن يكون فخ عامله ليكي؟

تخبطت أفكارها من كلماته المريبة تلك، ربما يكون محققًا في أغلبها، لكن رغبتها  
في الذهاب أقوى من أي خوف.

ظل مندر محققًا في عينيها دون أن يطرف له جفن، ثم تابع محذرًا بجمود:

الراجل ده معتبر إن ليه تار عندنا، وصدقيني مش هايعديه بالساهل، فأكد  
بيدبرلك حاجة!



تابعت نيرمين ما يدور بينهما بتجهم كبير ظاهر على محياها، وعلى قدر  
المستطاع جاهدت ألا تثور من جديد كي لا تخسر ما تبقى لها من فرص أمام  
منذر..

تمت مع نفسها بازدياء:

يا ريته كان طخك عيارين وموتي وريحتينا كلنا!

ظلت أسيف صامته لبرهة معيدة تفكيرها فيما قاله، لكن مشاعرها لا تزال هي  
المحرك الأساسي لها، فهتفت بصوتها المبحوح:

اطمن على بيتنا الأول وبعد كده يحصل اللي يحصل، المهم بيتنا يكون بخير  
ومش حصله حاجة!

ود لو استطاع خنقها بيديه بسبب حماقتها الهوجاء، هي لا تقدر خطورة  
الموقف، تتصرف وفق أهوائها حتى وإن كانت مضللة.

رفع كفيه في الهواء هاتفاً بسخط:

-ها.. يعني مش فارق معاكي لو حبسك، ولا حتى خطفك وجوزك لأي  
كلب يعرفه!

ابتلعت ريقها بتوجس، وأصرت قائلة:

-ده.. ده بيتنا!

أطلق منذر لفظًا ناييًا من بين شفثيه ولكن بصوت خفيض معبرًا عن سخطه الكبير من ححقها، رمشت بجفنيها ممتعضة من كلمته الفجة، لكنها لم تعقب عليه.

أوشك على فقدان أعصابه أكثر، فهتف باقتضاب:

أنا طالع برا شوية!

ثم تحرك بخطى متعجلة إلى خارج الغرفة ليضبط انفعالاته، لم يبتعد كثيرًا، بل استند بظهره على الحائط القريب.

أغمض عيناه، وأخفض رأسه قليلًا هامسًا لنفسه بغيظ محتقن:

غبية!

استشاطت نيرمين أكثر مما تفعله خاصة في حضور منذر، خاصة لأنها تنجح في الاستحواذ على اهتمامه بطريقتها تلك، تأججت بداخلها شمعة غاضبة، فقاومت رغبتها في إفراغها فيها، وبتريث أسندت رضيعتها على الأريكة مانعة نفسها من الخروج عن شعورها كي لا يظهر وجهها الحقيقي في وجوده، هي لا تريد إفساد الأمر على أهون سبب.

أرادت عواطف أن تثني ابنة أخيها عن رأيها، فاقترحت قائلة بهدوء:

طيب بصي أنا عندي فكرة احنا نضمن على بسمة الأول وبعدها نروح

نشوفه!

ردت عليها نيرمين باستخفاف وهي تستدير نحوها:

يا عالم بسمة هاتقوم من اللي هي فيه امتي!  
ثم رمقت أسيف بنظرات احتقارية وهي تضيف بحنق:  
-والهانم مش صابرة، إياكش الناس تموت والدنيا تولع من حوالها، بس المهم  
هي والمخروب بتاعها!  
اصطبغ وجه الأخيرة بحمرة غاضبة من كلماتها المهينة والمسيسة إليها، ولم  
تستطع تحمل إهانتها أكثر من هذا، فهدرت فيها بعصبية وهي تشير بيدها:  
-ماتكلميش عن بيتنا كده! محدش نصبك قاضي عليا، كل مصيبة تحصل  
تقولي أنا اللي وراها، لأ أنا السبب فيها، إتني مجربتيش تخسري حاجة واحدة  
من اللي أنا خسرتها  
ردت عليها نيرمين بشراسة:  
-واتني معشتيش لحظة من اللي عشتها، كل اللي بتعمله سهوكة ومحن ودموع  
تماسيح عشان تتمحكي في غيرك يمكن يحنو عليك!  
التقطت أذناه بالخارج صوتها المرتفع، فانتبهت حواسه بالكامل لطريقتها الفجة  
في الحديث، حدق أمامه بثبات وهو يصغي إلى باقي هجومها الكلامي العنيف.  
التوى ثغر نيرمين للجانب وهي تواصل حديثها بنبرة عدائية:  
-جائز تقدرني توقعي واحد فيكي بلؤم الفلاحين بتاعك، بس أنا كشافكي من  
زمان، وفهمت حركاتك دي من أول يوم جيتي فيه هنا، واللي بترسمي عليه في

مخك، وخطاه في دماغك عشان يقع في دباديك مش هايحصل، سمعاني،  
 مش هايحصل لأني غصب عنك هاخده منك! هو بتاعي وبس!  
 نظرت أسيف مدهوشة من حديثها الأكثر فحشًا على الإطلاق، هي تطعنها في  
 سمعتها علنًا وبوقاحة شرسة، وزعت عواطف أنظارها المستنكرة بين الاثنين  
 هاتفة بعدم تصديق:

-والله عيب اللي بيتقال ده! ميصحش كده! إنتو عاوزين الراجل يقول علينا  
 ايه؟

ردت عليها نيرمين بعدم أكرات:

خليه يعرف الأشكال اللي مديها قيمة على حقيقتها، وهي ماتسواش جزمة  
 قديمة في رجلي!

دنت أكثر منها مواصلة حديثها بنبرة مهددة:

بس انتي متعرفنيش يا يا.. بنت رياض خورشيد، أنا مش بأرحم اللي يفكر  
 بس ياخذ حاجة مني، افتكري ده كويس، أنا والطوفان من بعدي!  
 لم يتخيل منذر مطلقًا أنه يتعامل مع شخصية حقودة مثلها، وتعجب أكثر  
 لبحود قلبها نحو الأقرب إليها، وجهًا آخرًا كشف إليه منها، فضاقت نظراته  
 بسخط جلي، مُحال أن تربطها صلة دم وود ومحبة كما تزعم وهي تضمر نوايا  
 سيئة تجاهها، أسلوبها الهجومي يعكس جزءًا من حقيقتها البشعة، لم يكن رأيه  
 فيها من فراغ..

هي لا تصلح له حتى لو كانت آخر النساء على الأرض، ربما والدته مخدوعة في طبيعتها الزائفة بسبب رغبتها الغريزية في الحصول على حفيد من صلبه من امرأة قادرة على الإنجاب، لكن بات الأمر محسومًا بل الأصح مقضيًا بالنسبة إليه.....!!

## الفصل التاسع والخمسون:

اعتدل في جلسته بعد أن سجد للمرة الأخيرة ليشرع فيما تبقى من صلاته قبل أن يفرغ منها تمامًا، ارتخى قليلًا وهو يعاود ثني ساقيه أسفله، ثم أمسك بمسبحته يحركها ببطء شديد متممًا بأدعية من الذكر.

تهد الحاج إسماعيل بعمق وظل يهز رأسه بثبات وهو يتضرع للمولى عزوجل أن يتجاوز عن سيئاته، في نفس التوقيت ولج إلى المسجد أحد الشباب وهو يلهث بتوتر شديد، جاب بأنظاره المكان من الداخل باحثًا عن شخص بعينه، شعر بارتياح كبير حينما لمح بجوار أحد الأعمدة، فأسرع في خطواته قاصدًا إياه. هتف الشاب بصوت متقطع:

ح.. حاج إسماعيل!

رفع الأخير رأسه نحوه متفرسًا في وجهه بنظرات غريبة وهو يرد:

-بلال! خير يا ابني؟

جثى بلال على ركبتيه هاتقًا بصوت خفيض ولكنه حذر للغاية:

حاج إسماعيل، أنا.. أنا كنت عاوزك في حاجة كده، فاضي شوية؟

أوما برأسه قائلاً:

-ايوه، في حاجة حصلت؟

أجابه بارتباك ملحوظ:

أنا مش عارف إن كنت صح ولا غلط، بس.. بس أنا بقالي يومين مختار

تعقدت تعابير وجه إسماعيل نوعًا ما متسائلًا بجمود:

ما تتكلم يا بلال على طول، عاوز تقول ايه؟

ازدرد بلال ريقه وهو يجيبه بتلعثم:

هو يا حاج لو.. لو الواحد شاف حاجة و.... وسكت عنها يبقى كده كتم

شهادة حق؟!!

رد عليه الأخير بحكمة:

ده يعتمد على اللي شافه، إن كان خير ولا شر، إن كان في مصلحة غيره ولا  
هيفضه، بس في كل الأحوال مش لازم نكتم الشهادة، لأن ممكن يكون فيها  
نجاة لحد بريء!

آمال بلال برأسه للأمام، وهمس بغموض حذر:  
أصل أنا..... بصراحة مش عارف إن كان ده ليه علاقة بدار خورشيد ولا  
لأ!

بدا الاهتمام على تعابير وجه إسماعيل عقب جملته المريبة تلك، فسأله  
مستفهمًا:

-وضح كلامك أكثر! تقصد ايه؟  
أجابه بتريث خافت:

-أنا كنت معدي ناحية الغيط اللي في البر الغربي، وشوفت واحد جاي من  
ناحية الدار!

عقد الحاج إسماعيل ما بين حاجبيه مرددًا بهدوء:

ما جايز كان معدي من الطريق اللي هناك!

هتف بلال معترضًا بانزعاج:

-لالالا يا حاج إسماعيل مش كده!

ثم أخفض نبرته ليكمل بتوتر:

ده زي ما يكون كان خارج من جوا الدار، وطلع يجري وسط الزراعية زي  
ما يكون هربان من حاجة، وبعدها بشوية عرفنا بالولة اللي مسكت في  
الدار!

اتسعت حدقتي الأخير باندهاش كبير وهو يسأله بجدية:

إنت متأكد من الكلام ده؟

هز رأسه بالإيجاب وهو يرد:

اه يا حاج، زي ما بأكلمك كده!

صمت الحاج إسماعيل لبرهة ليفكر مليًا فيما قاله، ثم أردف متسائلًا:

طب الجدع اللي شوفته حد نعرفه، من البلد يعني ولا...؟

حرك رأسه نافيًا وهو يجيبه:

لا يا حاج إسماعيل، أنا مشوفتوش أوي، بس.. بس شكله غريب عن هنا!

توقف الحاج إسماعيل عن تحريك حبات مسبحته، وأشار له بسبابته مضيئًا  
بهدوء جاد:

بس ده مش معناه إنه عمل الحكاية دي!

فرك بلال ذقنه هاتقًا بنبرة شبه مقتنعة:

ايوه، جايز بردك..!



ثم صمت للحظات قبل أن يهتف بتلهف وكأنه قد تذكر شيئاً ما:

بس أنا لمحت نفس الراجل واقف مع الحاج فتحي!!!

ارتفع حاجبي الحاج إسماعيل بذهول مصدوم وهو يهتف من بين شفثيه بعدم تصديق:

الحاج فتحي!

أوماً برأسه قائلاً بتأكيد:

اه

لم يبدو الأخير مقتنعاً بتورط رفيقه في مسألة إحراق الدار، فهتف مدافعاً عنه بهدوء:

حطب ازاي انت بتقول شكله غريب عن هنا، وواقف مع الحاج فتحي!؟

أجابه دون تردد:

أنا كنت سايق الماكنة وطالع على الجمعية الزراعية أجيب تقاوي، فشوفت نفس الراجل بنفس الهدوم واقف معاه يكلمه!

أثار الموضوع شكوكه بصورة مبالغة، فربما لم ينس الحاج فتحي بعد ما حدث مع ابنة رياض، وأراد الانتقام منها دون أن يدري أحد بهذا.

همس لنفسه بتوجس كبير:

شكل الموضوع فيه إن.. وإن كبيرة أوي!

تفرس بلال في وجهه محاولاً تخمين ما يفكر فيه، خاصة بعد أن طال صمته.

استطرد الحاج إسماعيل حديثه متسائلاً:

حبيب في حد يعرف بالكلام ده غيري؟

هز رأسه نافيًا بجدية:

-لأ يا حاج!

مط فمه ليقول بهدوء رزين:

ماشى يا بلال..

تساءل الأخير بحيرة واضحة عليه:

حطب هاعمل ايه يا حاج؟ يعني قولي أتصرف ازاي؟

أشار له بسبابته مرددًا بنبرة عقلانية:

-استنى أما أشوف الحاج فتحي الأول وبعد كده هاقولك تعمل ايه، بس لحد

ما أعمل ده ماتجش سيرة باللي قولته لحد!

ماشى!

تنفس الحاج إسماعيل يأنهاك وهو يضيف لنفسه بقلق:

ليه كده بس يا فتحي، شكلك ورطت نفسك في بلوى، ومش هتخلص منها

أبدًا!

.....

اكتشف جزءًا دنيئًا من شخصها الحقير، جزءًا لا يعرف إلا القسوة والجحود،  
هي برعت في ارتداء قناع البراءة وخدعت به من هم على سجيبتهم، لكنها لم  
تتمكن أبدًا من إقناعه بحيلها، لم يرد إظهار معرفته بما يضمرة قلبها، فتعمد رفع  
نبرة صوته ليحذر قاصدًا الإشارة إلى وجوده بالرواق:

ماشى يا دكتور، ولو في حاجة بلغني!

انتبهت نيرمين لصوته الصادح، فتراجعت نحو للأريكة لتجلس إلى جوار  
رضيعتها، رسمت على ملامحها تعابير جامدة، وكأنها كالحمل الوديع.

طعنات أخرى تلقتها أسيف من الأقرب إليها، وهي التي لم تعامل أي منهم  
بالسوء، ذنبها الكبير، بل جرميتها الفادحة أنها أرادت فقط أن تحظى بعائلة  
أكبر، وفي مقابل هذا خسرت ما بقي من كرامتها ناهيك عن الإساءة إلى  
سمعتها، ابتلعت مرارة الإهانة بقهر عاجز، وكسى الحزن وجهها.

نظرت إليها عواطف بقلة حيلة، فهي لا تستطيع صد ابنتها عن الاستمرار في  
أسلوبها الفج معها، دومًا تحببها بكلماتها اللاذعة أو تعنفها بفضاظة موجعة.

ولج منذر إلى داخل الغرفة، وسلط أنظاره على أسيف التي كانت في حالة لا  
تُحسد عليها، لم يبعد أنظاره عنها، وظل محددًا بها مطولًا بقصد إغاظة تلك  
السمجة التي تجلس خلفه، كم ود أن يلقتها درسًا قاسيًا لوقاحتها الشرسة معها،  
لكن من الكلمات ما يُقتل، ولهذا أراد أن يذيقها من حدته الجافة. استطرده  
حديثه قائلاً بصلافة:

عاوز تسمعي كلامي للأخر، و تبقي متأكدة إن الموضوع ده لمصلحتك مش  
لحاجة تانية!

طالعه أسيف بنظرات حائرة، فقد بدا حديثه غامضًا بالنسبة لها، لكنه كان  
مقلقًا ليرمين التي كانت تحترق بغيرتها من خلفه.

تساءلت عواطف بفضول:

مصلحة ايه دي؟

أضافت أسيف بتوتر:

-أنا مش فهماك

دنا منها لتتخلص المسافات أكثر بينهما، وتشتعل السنة الحقد بداخل نيرمين

وقف قبالتها، وأسبل عينيه نحوها وهو يجيها بنبرة هادئة لا يعكر صفوها

شيء:

-اتي عاوزة تشوفي بيت أبوكي، صح؟

أومأت برأسها إيجابًا دون أن تلفظ بكلمة واحدة، فتابع بجدية مريبة:

-وعشان تخشي البلد عندكم لازم تبقى راسك مرفوعة، محدش كاسر عينك

بجاجة، مضبوط؟

ردت بصوت خفيض يشوبه الارتباك:

-أيوه

زادت نبرته غموضًا وهو يقول:

-وخصوصًا لو قريبك فتحي ده حب يفرد عضلاته عليكي

هزت رأسها بإيماءات متتالية مرددة بقلق:

أها

صمت لثوانٍ لتُشحن الأجواء أكثر، ثم تابع بجدية تامة دون أن يطرف له جفن

-خلاص يبقى أخطبك رسمي!

فغرت أسيف شفيتها مشدوهة من اقتراحه الغير متوقع، وظلت تنظر له

ببلاهة محاولة استيعاب ما قاله تَوًا، عقدت المفاجأة لسانها وجعلتها تصمت

مجبرة، وكأنه في نفس الوقت قد ألقى بقذيفة (أر بي جي) في وجهه نيرمين

ليفتك بها في الحال، فصرخت شاهقة بلا وعي وهي تلطم على صدرها:

يا نصيبي! تخطيها!

التفت منذر برأسه نحوها لينظر لها ببرود مستمتعًا بردة فعلها. ثم أجابها بشماتة

متعمدًا استفزازها:

أه، ومن أمك.. الست عواطف! ها عندك مانع؟

اتسعت حدقتها على الأخير حتى كادت تخرجان عن محجرتيها، فابتسم لها

ابتسامة متشفية، هي نالت ما تستحقه عن جدارة. يكفيه رؤية تلك الحسرة

في عينيها ليشعرها بقيمتها الحقيقية، للحظات شعرت بارتخاء ساقها وعجزها عن

الوقوف من قوة تأثير الصدمة.

طارت أحلامها الوردية وذهبت في مهب الريح، وتبخرت مخططاتها المستقبلية  
في ثوانٍ معدودة.

هتفت عواطف متسائلة باندهاش عجيب لتخرجه من شروده السريع:

بس ايه الفائدة من إنك تخطبها يا ابني، و.....؟

استدار ناحيتها ليجيبها بجدية صلبة:

-لأن اللي زي قريبها وغيره هابتكاتروا عليها، وهي جربت ده قبل كده معاه!

كان محققًا في هذا، فرفعت أسيف عفويًا يدها نحو وجنتها لتتحسسها متذكرة  
تلك الصفحة العنيفة التي تلقتها منه في أصعب أوقاتها، ألمه رؤيتها تفعل هذا،  
فقد كان شاهدًا على شرسته معها،

أضاف بامتعاض محاولاً تمرير تلك الذكرى المزعجة عن باله:

-الحريم عندهم مالهومش قيمة، وهيستفردوا بيها، ومش بعيد يطردوها كمان  
ويهدلوها!

حدقت فيه أسيف بوجه خالٍ من التعابير، كلماته كانت كحد السيف، أغلبها  
صائب.. فهي قد رأت الجانب الآخر من حقيقة الحاج فتحي.

بدت نبرته أكثر خشونة وهو يكمل بنبرة صارمة:

-لكن لما تروح وهي في حماية راجل هما عارفين يقدر يعمل ايه كويس  
هيفكروا ألف مرة قبل ما يتعرضولها ولا حتى يمسوها بشعرة!

كانت رافضة وبشدة لذلك الاقتراح، هي لا تريد الدفع بنفسها في أمر لا  
تضمن عواقبه، لذلك اعترضت هاتفية بتوتر:

بس.. بس أنا مش عاوزة أتخطب ولا أتجوز حد!

أرادت نيرمين إفساد الأمر بعد أن استشعرت خطورة الموقف، لقد تخطى  
أبعاده ما خططت له، لذلك عمدت إلى ذكر مسألة الدكان، لعلها تنجح في  
إحداث مشاحنة جديدة بينهما، هتفت هي بنبرة مزدرية:

وماله، وأهوو بالمره تمسك الدكان كله! برافو يا سي مندر!

استشاطت نظراته نحوها بعد جملتها تلك. لكنه ضبط انفعالاته ليفكر سريعاً  
في حل لتلك المعضلة قبل أن ترفض أسيف اقتراحه بسبب نزق تلك الحقودة  
الأهوج.

لوهلة تناست أسيف مسألة دكانها العتيق، فتجمدت نظراتها على نقطة ما  
بالفراغ، وقبل أن يعبث شيطان رأسها أكثر بأفكارها، أخرجها مندر من  
شرودها صائحاً بجمود وهو يفرق بإصبعيه أمام وجهها:

-اتي لسه ما سمعتيش كلاي للأخر!

انتبهت له، وضافت نظراتها نحوه وهي ترد بجدة خفيفة:

حاجة غير الدكان؟

أجابه بجدية:

لو عقلك مصورك إني بأعمل ده عشان خاطر الدكان تبقي غلطانة، دكانك  
هرجع هولك لو وافقتي على الخطوبة!

اندهشت من كلماته الأخيرة، وهمست غير مصدقة تطور الأمور معها:  
-ايه؟

تابع منذر موضحًا بثبات:

-اعتبريه مهرك، هاعملك تنازل عن حصتي فيه!

شهقت نيرمين مصدومة وهي تتساءل:

-انت بتكلم بجد؟

رمقها بنظرات نارية مجيبيًا إياها بقسوة:

-أكيد مش بأهزر، وبعدين ده كلام بيني وبينها، وأمك ويس، فبلاش

تتحشري في اللي ملكيش فيه!

لم تتحمل أكثر من هذا، فنهضت من على الأريكة مواصلة صراخها المصدوم:

-بقي إنت يا سي منذر عاوز تخطب دي، لسييه؟ واشمغني هي بالذات!

تجاهل الرد عليها بعد أن نظر لها باحتقار، ثم استدار برأسه ليحرق في

أسيف التي كانت محدقة بنيرمين، فردة فعلها حقًا كانت مبالغة فيها حتى وإن

كان احتجاجها الراض يثير بداخلها تساؤلات كثيرة.

هي مصدومة من تصريحه، لكنها لا تقارن بصراخ نيرمين المتواصل.



هتفت أسيف معترضة:

-يعني عشان أشوف بيتنا أتخطبك، ده اسمه جنان رسمي، استحالة أوافق على ده!

رد عليها بهدوء جاد:

-بصي على النص الثاني من الموضوع، هديرجعلك الدكان!

أصرت على رفضها قائلة بثبات:

-لا، مش موافقة!

ضغط على شفتيه مغتاطًا من عنادها الأحمق، هو مُصر على الارتباط الرسمي بها ومتمسك بتنفيذه لأبعد الحدود، ولن يتنازل عن هذا الأمر مهما حدث، ليس الأمر بسبب تلك الأسباب الظاهرية التي أعلن عنها، وإنما لأسباب أخرى تخصه لا تدري هي عنها أي شيء. لكن حينما يحين الوقت المناسب ستعرفها...

تابع قائلاً بنبرة عقلانية متريثة:

خدي وقتك وفكري كويس!

أوشكت على فمخ شفتيها لتقول شيء ما، لكنه وضع سبابتها على فمها في حركة جريئة ومفاجئة منه مكملاً بتحذير:

-ويا ريت تنسي أي خلافات بيننا، وتبصي لمصلحتك الأول!

بحظت نيرمين بعينها غير مصدقة ما تراه الآن، هو يعتمد استثارة انفعالاتها  
أكثر بتصرفاته المتجاوزة معها، احتدت ثروتها المكتومة بداخلها، واصطبغ  
وجها بجمرة مبالغة.

سحب منذر إصبعه للخلف مضيئًا بابتسامة عذبة:

-أنا مش مستعجل ردك، بس احسبها صح يا بنت رياض!

شعرت نيرمين أن الأمر يفوق قدرتها على الاحتمال، فأصاب رأسها دوار كبير،  
وترنح جسدها على إثر قوته التي كادت تفتك بها.

لاحظت عواطف ما أصاب ابنتها، فهتفت بذعر:

-نيرمين!

تسارعت أنفاسها فخرج صوتها لاهثًا وهي تقول بصعوبة:

-الحقوني، آه! دماغي هتنفجر!

هوى جسدها المنهك نفسيًا على الأريكة، فأسرعت والدتها نحوها لتتفقدتها  
هاتفة بفرع:

-بنتي، مالك يا نيرمين؟ ايه اللي حصلك؟

تسمر منذر في مكانه غير مكترث بما ألم بها، بينما بقيت أسيف في مكانها  
جالسة على طرف الفراش شاردة في عالم آخر، التفت بأعينه نحوها، وطلعتها  
بنظرات أكثر عمقًا، تمنى لو تركت مشاحناتها جانبًا وفكرت بتعقل في اقتراحه،  
ربما يكون هو أول دربه الصحيح معها لتكتشف بتأنٍ ما يكنه من مشاعر لها.

.....

-اللي قالك كده كداب، وابن ستين.....!!

هدر الحاج فتحي بتلك العبارة مستنكرا اتهام رفيقه الحاج إسماعيل بتدبير  
حادث إحراق منزل رياض خورشيد.

نظر له الأخير قائلاً بجمود:

-وهو هيفتري عليك بالباطل، أكيد لأ يا فتحي!

رد عليه محتجاً بانفعال:

-وانت صدقته على طول، ده شكله واحد من اللي بيكرهوني وعاوز يلبسني  
في نصيبة!

اعترض الحاج إسماعيل على هجومه قائلاً بتريث:

-هو مش من دول! أنا واثق فيه!

صاح فيه بغضب:

-لأ يا حاج إسماعيل، أنا عاتب عليك!

دق الأخير النظر في وجهه، بدا غير مقتنع بعصبيته الزائدة، فبلال مشهود  
عنه بنيته الطيبة، وصدق أقاويله، هو لا يدعي بالباطل على أي شخص، لكنه  
كان أميناً فيما رآه.

أردف الحاج إسماعيل قائلاً بتمهل:

-عمومًا لا عتاب ولا لوم، الحكاية في ايد المركز وهما هيتصرفوا!

رد عليه بتهكم:

يا ريت، عشان الحق بيان!

تساءل إسماعيل باهتمام:

على كده بنت المرحوم رياض عرفت باللي حصل في دارهم

التوى ثغره للجانب وهو يرد على مضمض:

-أيوه، أنا قولتلها

سأله مهتمًا بمعرفة ردة فعلها:

-أها.. وقالت ايه؟

تهدل كتفيه للأسفل قائلاً بنبرة غير مبالية:

-معرفش، ومايفرقش معايا!

اقتضب الحاج إسماعيل في حديثه معه بعد حصوله على ما يريد، فهتف قائلاً:

طيب.. فوتك بعافية!

توجس فتحي خيفة أن يكون أمره قد كُشف، فهتفت بتوتر بائن عليه:

-إنت كنت جاي في ايه وماشي على طول؟!!

أجابه بهدوء جاد:

جيت أفهم منك اللي حصل، وطالما إنت ملكش دعوة خلاص هاخلي اللي  
بلغني يقول اللي يعرفه للمركز، وهما.....

صاح فتحي مقاطعًا بانفعال:

إنت عاوز تورطني وخلاص يا حاج إسماعيل؟

رفع يده أمام وجهه قائلاً بعبوس:

لا، بس مقدرش أسكت عن الحق، ودي كتم شهادة مهمة جايز تفيدهم

ارتبك فتحي أكثر من إصراره على المضي قدمًا في إبلاغ الشرطة بما رآه ذلك  
الشخص الغامض، فهتف مهددًا بتهور:

إنت كده بتخسرني يا حاج!

تيقن الحاج إسماعيل وجود خطب ما من توتره الزائد عن الحد، فسأله بجدية:

وإنت خايف من ايه؟

ابتلع ريقه مرددًا بحذر:

مش خايف، بس هاتعمل شوشرة مالهاش داعي حواليا، وإنت عارف

الناس في البلد هنا ما بتصدق

رد عليه إسماعيل بجمود:

صاحب الحق ما بيخفش يا حاج فتحي!

ثم ابتسم بثقة قبل أن يودعه قائلاً:

سلامو عليكم يا حاج فتحي!

لم يبادلہ السلام، بل ظل محققاً فيه وهو يتعد بنظرات قائمة، لقد حدث خطأ غير مقصود في مخططه سيودي به إلى التهلكة.

همس من بين شفثيه بحنق:

آآخ، طلعي مين الكلب ده؟

كور قبضة يده ضاغظاً على أصابعه بقوة وهو يضيف بنبرة متوعدة:

بس لو أعرف هو مين!!

.....

أصدرت أئيناً خافتاً وهي ترتشف القليل من كوب الماء الذي تمسك به والبتها، وضعت يدها الأخرى على جبينها تتحسس برفق، ثم حركت رأسها للجانبين ناظرة حولها بأعين زائغة.

وجدت نفسها ممددة على الأريكة بنفس الغرفة.

تأوهت مجدداً، ثم ابتلعت ريقها وهي تتساءل بنبرة ثقيلة واهنة:

أومال.. أومال سي مندر فين؟

أجابتها عواطف بتنهيدة ارتياح:

خضتني عليكي!

ردت عليها نيرمين بالحاح:

هو.. هو مشى؟

أسندت عواطف الكوب على الطاولة القريبة، ثم أجابتها بإيماءة مؤكدة برأسها:  
-أيوه!

فركت نيرمين جبينها بأصابع يدها متسائلة بفضول:

طب.. طب ايه اللي حصل؟

ردت عليها أمها ببساطة:

-وقعتي من طولك واحنا بنتكلم!

للحظة ظنت أنه اهتم بها حينما فقدت وعيها، وربما يكون قد حملها مثلما فعل  
مع البائسة أسيف، فهتفت متسائلة بتلهف:

-وسي مندر عمل ايه؟

ردت عليها عواطف بفتور:

-ولا حاجة!

تشكلت علامات الانزعاج على وجهها، خاب ظنها تماماً، حاولت أن تضبط  
أعصابها، فسحبت نفساً عميقاً، ثم زفرته على مهل وهي تضيف متسائلة  
بتجهم:

طب.. طب مين شالني ؟

هزت عواطف كتفيها قائلة بسجيتها:

محدث، اتني وقعتي على الكنبه، وأنا فردت جسمك عليها، وفضلت جمبك  
لحد ما منذر نده للدكتورة تشوفك

كادت تصاب بالشلل من تبخر أبسط ما تمتته، فكرت على أسنانها متابعة  
بامتعاض جلي:

-كمان، طب وبعدين؟ يعني هو مثلاً اتخض عليا و...

قاطعها قائلة بجفاء:

-لأ، سابك ومشى يشوف اللي وراه!

عجزت عن الرد عليها من قوة تأثير الصدمة عليها، فكل ما فكرت فيه وهي  
فاقدة للوعي صار هباءً منشورًا، وكأنه لم يكن من الأساس، لم يهتم بها، ولم يعبأ  
ياحساس الغيرة بداخلها. بل الأسوأ أنه لم يشعر بوجودها.

سيطرت عليها الحسرة وهي تتمم بازدراء ساخط:

-ايبيه! مشى، يادي أم النحس اللي أنا فيه، حتى في دي

فقر.....!!!!

.....



## الفصل الستون:

اعتاد التسلل خلسة دون أن ينتبه لوجوده أحد ليطمئن عليها بعد أن يعطي الممرضة المسئولة عن رعايتها بداخل غرفة العناية الفائقة مبلغًا تقديماً لتسهيل مروره للداخل في غير أوقات الزيارة الرسمية كي يحظى بفرصته معها دون أي مقاطعة، كان يراقبها لفترات مطولة ممعنا النظر في تفاصيل وجهها المستكين، لم يأت بباله مطلقاً أنه سيحب من جديد بعد الخدعة التي وقع بها، بل وسيتعلق فؤاده بها تحديداً، تلك التي كانت بعيدة كل البعد عن مخيلته لتتسلل على مهل بطريقة أو بأخرى إليه فتحوز على مكانة خاصة بها في قلبه.

تهدد دياب بعمق مخرجاً ثقلاً كبيراً مليئاً بالهموم يجثو على صدره. أخفض نظراته ليحدق في ملخص تقريرها الطبي المعلق على حافة الفراش لكنه لم يفهم منه شيئاً. ما أراحه نوعاً ما أنه لم يفوت فرصة للسؤال عن تطور حالتها الصحية من الأطباء المتابعين لها.

دنا من فراشها أكثر، وطالعتها بنظرات شغوفة محببة.  
حرك يده ناحيتها، ثم تلمس كف يدها الساكن بحذر تام.  
انحنى على رأسها ليهمس لها قائلاً:

طولتي أوي يا بسة، ارجعيلنا تاني يا "حببتي"!  
 وكأنه كان يعمد لاستخدام أسلوب التحفيز والتحميس عليها تستجيب لندائه  
 المشتاق وتخرج من ظلماتها الإجبارية.  
 انحنى أكثر عليها ليطلع قبلة صغيرة على جبينها ليتراجع بعدها سريعاً للخلف  
 قبل أن يراه أحد.

أخرج زفيراً مشحوناً من صدره، ثم ودعها هامساً:  
 هارجعلك تاني يا حببتي!  
 تحرك بخطى متعجلة نحو باب غرفتها ليخرج منها قبل أن تلتقطه العين.

.....

-رايحة فين يا بنتي؟  
 تساءلت أمها بتلك العبارة بعد أن رأتها تهض عن الأريكة لتحمل رضيعتها من  
 على الفراش وتتجه بها نحو باب الغرفة.  
 التفتت نيرمين برأسها نحوها قائلة بسخط:  
 -مالهاش لازمة الأعدة  
 ردت عليها عواطف معترضة على تصرفها الأحمق:

ده انتي لسه قايمه من دوخة، خليكي شوية بدل ما تقعي من طولك ومحدث  
يلحقك

نظرت لوالدها شزرًا وهي تهتف بهم:

-كان لحقتي في الأول، لكن زي قلتها، كله محصل بعضه!

كزت على أسنانها متابعة بحنق واضح:

-وجايز لو أعدت أكثر من كده أتجلط باللي بيحصل هنا!

تهدت أمها قائلة باستياء:

-ماهو على يدك المصايب ملاحقنا ومش سيانا في حالنا! هنعمل ايه يعني؟

زاد سخطها وهي تقول:

-كفاية هي تتخطبه وتهنى!

قطبت عواطف جبينها متسائلة باستغراب:

-وانتي ايه اللي مزعلك؟ ده حل مؤقت لظروفها، يعني مش عارفة قريبها عمل

ايه المرة اللي فاتت؟!

أغاضها دفاع والدها المستميت عنها مبررة كل موقف يحدث معها، فتمتت من

بين شفيتها بجدة:

-بنت الحرام لعبتها صح وبلفته في عبها، بس لسه الحكاية في أولها ومخلصتش!

لم يبدو صوتها واضحًا، فسألته عواطف مستفسرة:

-انتي بتكلمي نفسك؟ علي صوتك شوية!  
ضمت رضيعتها إلى صدرها قائلة باقتضاب عابس:  
أنا ماشية

ثم تحركت بعدها إلى خارج الغرفة وهي تشتعل غيظًا مما حدث، وبالطبع لن تدع الأمر يمر على سلام حتى وإن كان عرضًا زائفًا، هي نوت على تخريبه، وستسعى جاهدة لإفساده.

تهدت والدتها هامسة بضجر بعد انصرافها:

هاقول ايه بس غير ربنا يهديكي

.....

لم يضمد جروحه أو كدماته البارزة على وجهه، بل توجه مباشرة إليها بنفس ثيابه الغير مهندمة. هو يشك بدرجة كبيرة أن وراء تواجدها بالمشفى خطب آخر غير الزيارة الاعتيادية للمريض، وخاصة في وجود منذر والذي بادلته بنظرات استجداء وكأنها تطلب منه الحماية.

استدعى مجد عددًا من أتباعه ليأتوا بصحبته.

سار بوحشية مهددة في وسط الطريق المؤدي إلى صيدليتها ومن خلفه رجاله الذين على نفس شاكلته.

تجنب من يمر بهم الاحتكاك به أو بأحد من أتباعه الأشداء.

الأجواء توحى بوقوع كارثة وشيكة، لكن لم تتحدد معالمها بعد.

فركت فاطمة جبينها بإصبعيها وهي تقرأ وصفة الطبيب الورقية لتحضر المطلوب منها، ابتسمت قائلة للكهل الواقف أمام طاولتها الزجاجية:

هما كلهم موجودين ماعدا آخر واحد!

سألها الكهل بصوت متقطع:

-يعني أشتريه من حته تانية؟

ردت موضحة:

-لأ هو قليل في السوق، بس هاحاول أجيبك البديل ليه، نفس المفعول تقريبًا. ايه رأيك؟

تهدل كتفيه مرددًا باستسلام:

ماشى يا بنتي!

أولتها ظهرها لتطالع أرفف الأدوية لتأتي بالمطلوب، وقبل أن تمد يدها للرفع العلوي سمعت صوتًا غليظًا يصيح بشراسة مخيفة:

بــــرا يا ولاد الــــ.....!!!

التفتت وجسدها ينتفض خوفًا نحو صاحب الصوت فرأته ذلك الخسيس القدر يقتحم عليها صيدليتها وبصحبته أشخاصًا أوجههم غير مريحة بالمرّة. لم

يتركوا الفرصة للمتواجدين بالمكان للنجاة بأنفسهم، بل دفعوهم دفعا للخارج ليحتلوه كليًا، أو صد مجد الباب عليهم ليحاصروها.

باتت فاطمة بمفردها معهم، فنظرت حولها بهلع، وهابت الموقف كثيرًا، زادت رجفتها فلم تعد تسيطر على ارتعاشة ساقيها، واتسعت حدقتها برعب حقيقي، كما شحبت لون وجهها، وهربت الدماء من عروقها، لم تكن تظن أنه سيهددها علنًا وبكل فجاجة، خشيت أن يتطور الوضع لما تهاب التفكير فيه مصيرها معه.

أظلم وجه مجد للغاية حتى بات مفرعًا لمن يحدق فيه، اقترب منها قائلًا من بين أسنانه المضغوطة بعنف:

خوفتي ليه لما شوفتيني يا ضكتره؟

جف حلقها تمامًا من طريقته المرعبة، وهمست بنبرة مذعورة:

-أنا.. أنا معملتش حاجة!

كانت على وشك البكاء وهي تتوسله بصوت متقطع:

لو.. لو سمحت امشي من هنا!!

ضحك عاليًا مستخفًا بها وبصورة جعلت قلبها يقفز في قدميها، توقف فجأة عن ذلك ليحدجها بنظرات مميتة وهو يتساءل بقسوة جامحة:

قولتي للبت ايه عني؟

هزت رأسها نافية مجيبة إياه بخوف كبير وهي تتراجع للخلف:

م..... مقولتش حاجة! صدقي.. أنا ماتكلمتش  
 طالها بنظرات أكثر إظلامًا عن ذي قبل، وصاح قائلاً بصوته المتحشرح:  
 ماشي.. وأنا هاعمل نفسي مصدقك!  
 صمت للحظة قبل أن يتابع بتهديد غامض:  
 بس هتاخدي قرصة ودن كده تفكرك بين مجد أبو النجا!

جحظت بنظراتها مرعوبة مما هي مقبلة عليه، فرقع بأصابعه لأتباعه لبدأوا في  
 تحطيم الطاولات الزجاجية بكل ما تحمله من مغلفات طبية، وأدوية،  
 ومساحيق التجميل ليشرعوا بعدها في تهشيم الأرفف، صرخت فاطمة  
 مستغيثة بمن ينجدها، ولكن لا حياة لمن تنادي، فلم يجرؤ أي أحد على  
 التدخل، وضعت يديها على أذنيها وهي تواصل تراجعها الفرع للخلف محاولة  
 حماية نفسها من شظايا الزجاج المتناثر في الهواء.

أشار مجد لأتباعه بيده ليتوقفوا هادراً بصوت مرتفع:  
 -كفاية كده يا رجالة!

أجهشت فاطمة بالبكاء المرتعد وهي تبحث عن مهرب لها، فرك مجد وجهه  
 بكفه، ثم دنا منها ليحاصرها بالزاوية. انكشت على نفسها برعب أكبر،  
 وأغمضت عينيها خوفاً منه.

شعرت بأصابعه الغليظة تجذب رأسها بعنف فصرخت شاهقة:

-لالا.. معملتش حاجة!

قرب وجهها عنوة منه، فجاهدت لتخلص نفسها من قبضته، لكن مقاومتها لم تكن تقارن بقوته العنيفة. شعرت بأنفاسه الكريمة تحرق وجهها، فأجهشت بكاء أشد متوسلة أن يدعها وشأنها.

تلاذ أكثر بإيذائها، وهتف من بين أسنانه بنبرة عدائية صريحة:

ده تحذير تاني ليكي يا ضكترة، بعد كده هاتعامل بشكل مش هاتجبيه خالص!

هزت رأسها بإيماءات متتالية متفهمة تهديده القاسي، مرر هو أنظاره الجريئة على جسدها متفحصًا إياه بصورة منفرة جعلتها تشعر بالهلع منه. همس لها بكلمات جارحة وجريئة آن واحد في أذنها جعلتها ترتجف أكثر. دفعها بعنف للخلف ليرتطم جسدها بقوة بالحائط.

صاح عاليًا بخشونة قوية:

-بيننا يا رجالة، كفاية كده عليها!

تجمع أتباعه حوله، وأنهبوا تحطيم ما بقي على حاله من هجومهم الشرس ليخرجوا من المكان واحدًا تلو الآخر..

انهارت قديمي فاطمة، وتراخي جسدها للأسفل وهي تبكي بحرقة كبيرة، نجح بالفعل في إرعابها، ونفذ جزءًا مخيفًا من تهديده، وما أنذرها به أشد قسوة



وعنقاً إن لم ترتدع، لم يتوقف جسدها عن الانتفاض، ولم تهدأ شهقاتها المتتابة، لمملت بصعوبة شتات نفسها لتفر من المكان في حالة مزرية للغاية.

.....

كانت بحاجة إلى الوقت لتفكر في عرضه المقلق، لم يكن ذهنها صافياً بالقدر الكافي لتتخذ قراراً حاسماً ونهائياً في ذلك الشأن، كل الأجواء حولها متوترة ومشحونة للغاية، فتعوق الوصول إلى حل صائب وعقلاني في الظروف الحالية، أرادت الانفراد بنفسها لتصل إلى قرار أخير بعيداً عن أي ضغوطات خارجية، لذلك جلست بالاستقبال بالطابق الأرضي بالمشفى مسترجعة في ذاكرتها كل ما مرت به.

رحل والديها، خسرت حبهما وحنانها فجأة، فباتت الحياة بالنسبة لها مظلمة وباردة، ثم انتقلت للعيش مع عمته حيث تتواجد معاملات جافة وقاسية من ابنتها، وخاصة الكبرى، وإن كانت الصغرى مرنة نسبياً في بعض الأمور إلا أنها ليست على وفاق كلي معها.

عرفت بوصية أبيها الخاصة بتملك دكانه العتيق بعد وفاته بفترة قصيرة، ففرحت بوجود رابط ملموس يذكرها بالأحباء الراحلين، وأصرت على رؤيته واستعادة ما هو ملكها، لكن فقدت والديها أثناء مسعاها لتحقيق أمنيتها، تمسكت بأخر بارقة أمل وسط تلك الصعوبات التي مرت بها، واستمتعت برأئته التي جدت ذكراهم في روحها المتتابة، لكن هدد إحساسها بذلك الدفء مسألة

بيعه، أعادت رأسها للخلف وهي تشبك ساعديها معًا أمام صدرها لتواصل تفكيرها المتأني، فتجسد بقوة في مخيلتها مقتحمًا خلايا عقلها ومسيطرًا عليه.. منذر... إنه هو منذ أول مرة رأته فيها بصلابته وهيبته.

ظنت أنها لحظة عابرة في حياتها ستمضي ولن تراه مجددًا، لكن شاءت الأقدار أن يتلاقيا من جديد، وما تلاه من مصادمات معه وتحديات عنيدة جعلتهما خصمين يمتنان بعضهما البعض. ورغم ذلك كان الوحيد الذي يدعمها، يقف إلى جوارها في أشد المواقف حرجًا فيشعرها بالأمان.

سحبت أسيف نفسًا مطولًا حبسته في صدرها، ثم أغمضت جفניה للحظات، قبل أن تعاود فتحهما وهي تتهد بعرق، ربما هو على صواب، هي بحاجة إليه كي لا يتعرض لها الحاج فتحي من جديد، فهو ليس من النوع اللين الذي يصفح بسهولة، ومن المحتمل أن يكون قد نصب لها فخًا لاستدراجها إلى هناك، فهو يعرف أهمية بيتها بالنسبة لها.

أنهكها التفكير المتواصل، وأجهد عقلها صعوبة الوصول إلى حل آخر بدون اللجوء إلى تلك الخطبة المزعومة، زفرت بتعب، ثم استندت برأسها على مرفقها، راقبها منذر من على بعد مانعًا نفسه بصعوبة من الاقتراب منها واقتحام عزلتها المؤقتة، خشي من تركها بمفردها فيأتي ذلك الومق من جديد ويفرض نفسه عليها، أو ربما يفعل الأسوأ معها خاصة وأنه يعرف نواياه الخبيثة.

ما أقلقه حقًا هو تفكيرها الطائش في أغلب الأحيان، دومًا تتخذ قرارًا أهوجًا في لحظة متهورة لتستفزه بعنادها الغير منطقي، لم يكن أمامه سوى الضغط عليها وإقناعها بضرورة القبول، ربما هي حجة مؤقتة للتقرب منها والبقاء إلى جوارها، لكن مع الوقت سيبوح لها بما يكنه نحوها من مشاعر صادقة، تحرك صوبها بخطوات ثابتة حتى وقف قبالتها.

شعرت بتلك العتمة القليلة التي حجبت الضوء عنها فجأة، رفعت رأسها للأعلى لتحقق به فرأته أمامها، حركت شفاتها بحركة عفوية مزعوجة من وجوده حولها.

تنحج بصوت خفيض وهو يتساءل بنبرة مهدبة:

ممكّن تتكلم؟

أبعدت عينها عنه مرددة بعبوس:

أنا عاوزة أقعد مع نفسي شوية، فلو سمحت.....

قاطعها قائلاً بإصرار:

أسيف، أنا عارف إنك مترددة ومش حابة تقبلي باقتراحي، بس هو ده

الأنسب ليكي، إتي مش هاتضرري من حاجة!

ردت عليه باستنكار وقد احتدت نظراتها:

انت بتكلم عن خطوبة وارتباط وكأنها حاجة عادية بالنسبالك، أنا صعب  
أقبل بحاجة زي كده، مستحيل أصلاً أتجوز حد مش عارفاه ولا حتى بأحبه!  
لأ وبالطريقة دي كمان!

رغم رغبته الشديدة في توطيد الارتباط أكثر وبلوغ آخر مراحلها إلا أنه تريت  
في خطواته، لم يرد التعجل فيه كي لا يفسده برمته، لذا بصعوبة بالغة أجابها  
دون أن يظهر تغيير في نبرته:

محدثش اتكلم عن جواز، أنا بأقولك خطوبة صورية، حاجة كده وكده يعني!  
ردت عليه بتهمك واضح:

أها.. هزار وكلام فارغ!

ضبط براءة هدوته أمام استهزاءها الساخط، ثم جلس إلى جوارها ليتابع  
حديثه بجدية جافة:

شوفي أنا عاوزك متقلقيش، أنا مش هاغصبك على حاجة، بس لو ركزتي في  
كلامي هتلاقي إن ده فعلاً الحل الوحيد عشان تروحي البلد بحماية ومن غير  
ما حد يتعرضلك!

ضاقت نظراتها نحوه مرددة باستخفاف:

-وأنا محتاجة لحماية منك انت بالذات؟

أزججه أسلوبها التهكمي، فحذرهما بجمود:

-لاحظي إن كلامك جارح معايا!

رمشت بعينها بتوتر، وظلت تفرك أصابع يديها بجرمة عصبية.

تهد بعمق متابعًا:

-ومع ذلك أنا من غير حاجة كنت واقف جمبك! يتبهيالي إتي عارفة ده كويس  
ومش محتاجة أوضهولك!

ضغطت أسيف على شفيتها قائلة بمرح قليل:

-أنا مقصدش، بس دي مشاكلي وتخصني لوحدي و...

قاطعها مكملاً بصلاية:

-ورغم كده أنا اتدخلت فيها عشان مرضتش إن حد يجي عليكى أو يظلمك

رفعت رأسها للأعلى هامسة بامتنان:

-وأنا بأشكرك على ده، بس دلوقتي أنا.....

استشعر رفضها، فمنعها من مواصلة حديثها هاتفاً بجدية هادئة:

-أسيف، أنا مش من النوع الزنان ولا اللوح في طلباتي، اللي بأعوزه بأعمله

على طول، مش بأضيع وقتي، بس عشان الموضوع ده يخصك اتني بالذات،

فلازم توافقي عليه بنفسك! وإلا...

صمت لثانية قبل أن يتابع بصلاية تامة:

-والإكان زماني خدت فيه قرار من زمان!

لم تهتر نبرته وهو يشير بكلماته المتوارية إلى صرامته وتذمته في بعض الأحيان.

نظر مباشرة في عينيها متسائلاً بجديّة أشد:

فيا ريت تقولي قراك دلوقتي، رأيك ايه في موضوع الخطوبة؟

ظلت تطالعه بأعين زائغة حائرة، هو يحاول جاهداً أن يثبت لها الأمان والثقة في حديثه، أن يظهر لها دعمه ومساندته لها، وهي في أمس الحاجة إلى ذلك الآن.

استسلمت أخيراً أمام إصراره قائلة:

-ماشي.. بس بشروط!

خرجت تلك الكلمة من شفتيها كالمسكن لأعصابه المحترقة من فرط التفكير المتوتر. تنفس الصعداء لموافقتها، شعر بارتياح غير طبيعي لقبولها بعرضه، لم يتخيل أنها ستقبل به في النهاية، فقد وصل معها لمرحلة ميؤوسة منها خاصة بسبب عنادها الكبير، وهي كعادتها فاجتته بقرارها.

انتصب في جلسته، وشعر بدمائه تتدفق بغزارة في جميع عروق جسده لتصبيه انتعاشة رهيبية. وعلى الرغم من كونه موافقتها مشروطة إلا أنه لم يمانع أبداً، فالأهم أنها ارتضت بالخطوبة، لمعت نظراته بوميض غريب، والتوى ثغره للجانب ليرد عليها مبتسماً:

-وأنا موافق عليها!

ضاقت نظراتها نحوه إلى حد كبير، وظلت مجمدة عيناها عليه للحظات قبل أن تنطق بغموض:

مش لما تعرف هما ايه.....!!!

.....



## الفصل الحادي والستون:

تبادل الاثنان نظرات مطولة وكلاهما منتظران بترقب ما سيقال لاحقًا. تعلقت أنظاره بها، فلم يبعد عيناه عنها، وتابع عن كثب تلك الحركات المتوترة الصادرة منها، هو لم يعبأ بما سيحدث فيما بعد، فالأهم حاليًا أنها وافقت على عرضه.

استطردت أسيف حديثها قائلة بارتباك شبه ملحوظ:

-زي ما قولتلك أنا عندي شروط على الخطوبة دي!

شدد منذر من كتفيه هاتفًا بهدوء رزين:

-وأنا سامعك، اتفضلي!

ابتلعت ريقها وهي تتحاشى النظر نحوه، كانت تشعر بأعينه المسلطة عليها، فتوردت وجنتيها خجلًا منه.

تهتت مرة أخرى وهي تواصل حديثها بمرح قليل:

مش عاوزة أعمل لا هيصة ولا فرح ولا أي حاجة، يعني مجرد اتفاق كده بيني وبينك وخلاص!

لم تهتز عضلة واحدة من وجهه وهو يصغي إلى حماقاتها، وبدت تعابيره جامدة للغاية لا تعكس أي شيء، صمت للحظات ولم يعقب، فحركت رأسها للجانب



لتنظر إليه. رأت نظراته الحادة مثبتة عليها، فعضت على شفتها السفلى  
متسائلة بارتباك:

-مقولتش ردك ايه؟

أجابها بجمود جاف:

هو الكلام ده عاوز رد؟

تعقدت تعابير وجهها وهي تسأله باستغراب:

مش فاهمة!

رد عليها بجدية مقلقة:

-يعني ايه اتفاق بيني وبينك وخلص؟

أجابته بهدوء حذر وهي ترمش بعينها:

-يعني كلام عادي وبس، محدش يعرف عنه حاجة إلا احنا وبس!

لم يظهر أي تأثير واضح عليه، وتابع قائلاً بامتعاض:

طيب هاتي اللي بعده!

سألته بفضول محاولة سبر أغوار عقله وفهم ما يدور في رأسه:

مش هاتقولي رأيك؟

أجابها بسخط واضح في نبرته رغم ثبات تعابيره:

-لما أسمع كل شروطك!

أومات برأسها قائلة يايجاز:

ماشى..

أخذت نفسًا عميقًا مرة أخرى، وزفرته على مهل وهي تتابع بحذر:

أنا.. أنا مش عاوزة لا دبل ولا شبكة ولا أي حاجة، زي ما فهمتك إنها  
خطوبة كده وكده، فمافيش داعي للمنظرة ولا كل الحاجات اللي مالهاش لازمة  
دي!

قست تعابير وجهه أكثر، وضافت نظراته وهو يسألها بجمود:

ها وايه كمان؟

أجابته بجدية وهي تشير بسبابتها:

الخطوبة هاتخلص لما أرجع من البلد، كأنها لم تكن يعني!

احتدت نظراته، بل وزاد انعقاد ما بين حاجبيه عقب ما قالته، جاهد ليبدو  
هادئًا وهو يسألها بصوت ممتعض:

في حاجة تانية لسه؟

هزت رأسها بالإيجاب مضيفة بتريث:

أه.. الدكان!

هتف متسائلًا بجفاء:

ماله؟

توترت أكثر وهي تحاول تفسير ما تريد قوله دون حرج، فبدأ صوتها متردداً وهي تستطرد حديثها قائلة:

-انت قولتلي إنك... إنك هاتديني نصيبك اللي اشتريته من عمتي على اعتبار إنه مهري، أنا موافقة أخده، بس أنا هادفلك فلوسه، مش هاخده كده، يعني.. أنا.. أنا هاقسطلك اللي صرفته على كذا.....

قاطعها منذر هاتفاً بنفاذ صبر:

-في حاجة تانية ولا خلاص؟

ضغطت على شفيتها مرددة بخفوت:

-لأ.. دول اللي جوم في دماغي!

اشتدت تعابير وجهه حدة، وتجمدت نظراته المحتقنة نوعاً ما عليها. أردف قائلاً بنبرة جامدة تحمل الصرامة والشدة:

-طيب.. اسمعيني للأخر ومن غير مقاطعة زي ما أنا سمعت الهبل ده ومعلقتش عليه!

فغرت شفيتها مرددة بذهول:

هبل!

رد عليها بجدية وهو عابس الوجه:

-ايوه..

تلون وجهها بجمرة سريعة، وهتفت محتجة على سخريته من شروطها قائلة  
بعصبية ملحوظة:

-إنت....

قاطعها توًا قبل أن تكمل اعتراضها هاتفًا بصوت آمر:

-اهدي واسمعي كويس.. الأول مافيش حاجة اسمها خطوبة منظر من غير ما  
حد يعرف، ده اسمه جنان وتخاريف!

ردت عليه بغيظ وقد اشتعلت نظراتها:

-افندم!

أضاف قائلاً بسخط:

-ايوه، لأن لو ده كلام عاقلين مش هايكون بالشكل ده!

عبست أسيف بوجهها وهي تطالعه بنظرات محتقنة، وقبل أن تفتح شفيتها  
لتدافع عما تريد أكمل معاتبًا بتوييخ صارم:

-إزاي مش عاوزة خطوبة وفي نفس الوقت إتي ساكنة في حته شعبية؟ يعني  
الكل هايتركك عنك إتي بالذات، ومش شرط قدامك، من ورا ضهرك  
وهايقولوا عنك في الخمر يا ليل لمجرد إنهم شايفينك رايحة جاية معايا!

صاحت محتجة بانفعال بائن على تصرفاتها:

-ومين قالك إني هاطلع واجي معاك من الأساس!!!

أجابها منذر باستنكار قاسي:

سيادتك أنا مش هالبس طقبة اخفا، ومش هاقبل إن حد يجيب سيرتك  
بحرف واحد لمجرد إنهم شافوكي مرة ولا اثنين معايا!

عجرت عن الرد عليه، فحديثه كان منطقيًا بدرجة كبيرة، كيف له أن يقبل بمن  
يسيء إلى سمعتها لمجرد رفضها إعلان تلك الخطبة؟ وهي منذ برهة قد خاضت  
تجربة لاذعة مع ابنة عمتها، فماذا عن الغرباء؟

أخرجها من تفكيرها المتخبط صوته المردد بجديّة:

ده غير إني لما بأحب أعمل حاجة بأعملها في النور، يعني لازم تكون ليكي  
قيمتك وكرامتك وأنا بأخطبك، والناس كلها تعرف بده!

كان محقًا في هذا، هو يريد لها الأفضل، أن يحفظ كرامتها ويعطيها أبسط  
حقوقها.

زادت نبرته قوة وهو يتابع عن قصد:

أسيف! إتي مش واحدة لا ليكي أهل ولا عيلة عشان تداري نفسها وتخاف  
من الفضيحة، إتي غالية أوي عندنا!

اصطبغ وجهها بحمرة خجلة من كلماته المتوارية رغم أنها عامة لا تتضمن غزلاً  
صريحًا، لكنها استشعرت أهميتها عنده، تحاشت النظر إليه، وظلت تفرك  
أصابع كفيها بتوتر.

أخفض نبرته ليبدو صوته رزينًا وهو يضيف:

-وأنا كده بأصونك وبأحفظك وبأمنع أي كلب إنه يتعرضلك لما يعرف إتني  
مخطوبة لمين!

ردت عليه بتلعم قليل:

-بس دي مش خطوبة بجد، دي تمثيلية و....

قاطعها قائلاً بجدية صارمة:

حتى لو كانت تمثيلية، يبقى تتعمل صح!

نجلت منه أكثر، هو يفكر بصورة عقلانية عنها، وهي التي تحكم على الأمور  
بظواهرها. تعاند فقط لمجرد ألا يفرض أحد رأيه عليها، أو يهيمش قراراتها،  
وليس لأنه يفكر في الصالح العام لها.

تهد منذر بصوت مسموع وهو يكمل على مضض:

-نجي للحاجة الثانية، مش عاوزة تلبسي دبل، وماله!

نظرت له بجمود قبل أن يضيف ساخراً:

حطول ما اتني في البيت اعلمي زي كل البنات مابتعمل اقلعيها وحطياها في أي  
درج، لكن لما تخرجي من بيتك البسيها، وطالما يا ستي مش هاتخرجي معايا  
ولا هاتشوفي الشارع يعني إتني كده هاتفضلي قلعاها على طول!

بدا حديثه مقنناً بالنسبة لها، فسألته باقتضاب:

-والشبكة؟

أجابها بفتور رغم ضجره:

براحتك، دي هدية من العريس للعروسة، فلو مش عاوزاها خلاص!

ردت عليه بإصرار وهي عابسة الوجه:

-لأ مش عاوزة

رغم انزعاجه من رفضها الغير مبرر إلا أنه اضطر أن يوافق على طلبها. تابع مضيئاً بلهجة شديدة الجدية:

-ماشى، أما موضوع الدكان فده اتفاق بيننا! إتني وافقتي على عرضي، وده المقابل!

ازدردت ريقها هاتفة باعتراض:

بس.....

أشار لها بكفه مقاطعاً بصلافة:

من غير أي بس، وأتمنى تفكري بالعقل شوية، مش مجرد اعتراض والسلام!

أومات برأسها مضيئة بعناد:

طيب، وأنا عاوزاها تخلص لما أرجع من البلد!

أشاح بوجهه للجانب مردداً بتجهم:

هانشوف الموضوع ده بعدين، مش هانسبق الأحداث

أصرت على رأيها قائلة:

-لا، لازم نتفق الأول!

هتف باقتضاب وهو يزفر بانزعاج:

-رينا يسهل!

سألته أسيف يالحاح أكبر وهي تنظر له:

-يعني اه ولا لأ؟

انتظر منذر لثوانٍ قبل أن يجيبها بنبرة غامضة:

-سببها على الله، مش هانبر فيها من قبل ما نعمل حاجة!

شعرت أسيف بالرغبة من رده الغير مريح، كانت تريد أن تحسم كل شيء منذ البداية، حتى لا تضطر للمجادلة معه من جديد، لكنه أنهى الحديث بنهوضه من جوارها، لم يكن أمامها سوى الصمت والقبول مؤقتًا بما اتفقا عليه، فالأهم أنها وصلت إلى مبتغائها في الأخير، حتى وإن كانت شروط ذلك الاتفاق لم تتحقق كليًا.

.....

أوقفت سائق سيارة الأجرة عند الزاوية القريبة من صيدلية "فاطمة" وهي تملكه في كتفه صائحة بامتعاض:



هنا يا أسطا، عند الناصية اللي جاية!

نظر لها السائق من المرآة الأمامية مرددًا بجمود:

ماشى يا مدام

ناولته أجرته قبل أن تترجل من السيارة وهي تعدل رضيعتها على كتفها،  
نظرت بتعجب إلى الصيدلية المحطمة، وتساءلت مع نفسها بفضول كبير:

هو في ايه؟

اقتربت أكثر منها لتدقق النظر فيها، فرأت الزجاج المهشم، والحطام المتناثرة في  
كل مكان. كانت كمن أصابها اهتزازة أرضية فأتت عليها بالكامل.

لمحت نيرمين أحد المارة - والذي تعرفه نوعًا ما - يتحرك على مقربة منها  
فسألته باهتمام:

ايه اللي حصل؟

أجابها بانزعاج وهو يشير بذراعه:

المعلم مجد ورجالته بهدلوا صيدلية الدكتورة فاطمة!

توهجت عيناها بوميض غريب، وهتفت متسائلة بفضول:

طب ليه عمل كده؟

هز كتفيه قائلاً:

محدث عارف!

مطت نيرمين فها للأمام محدثة نفسها بغرابة:

-مممم.. الظاهر إنه بدأ يتصرف!

تركها الرجل وسار مبتعدًا عنها، فواصلت هي حديث نفسها متسائلة بجنون:

طب هايعمل ايه لما يعرف بالخطوبة؟!!

التوى ثغرها بابتسامة شيطانية وهي تضيف بحماس مريب:

-أحسن حاجة أضرب على الحديد وهو سخن!

.....

عادت إلى الطابق المتواجد به غرف العناية الفائقة لتجد عمته مرابطة هناك،

وما إن رأتها الأخيرة حتى أسرع نحوها متسائلة بقلق:

-كنتي فين يا بنتي؟

أجابتها بارتباك قليل وهي تشير بحاجبيها:

أعدة تحت مع.... مع الأستاذ منذر!

أمسكت عواطف بكف يدها تسحبها ناحيتها، ثم سألتها باهتمام كبير:

ها واتفتتوا؟

ضغطت على شفيتها قائلة بهدوء:

-يعني.. حاجة زي كده!

رد عليها منذر بابتسامة خفيفة:

قولي الحمد لله يا ست عواطف!

رفعت الأخيرة رأسها نحوه لتتهف بسعادة:

-يستاهل الحمد، خير يا رب!

ثم أشارت بيدها للخلف متابعة بجدية:

-وأنا كمان لسه جاية من عند بسمه، وهي أحسن شوية!

تهتت أسيف بارتياح وهي ترد:

-الحمد لله يا عمتي، ربنا يشفيها!

ردت عليها عواطف بتضرع:

-يسمع منك ربنا

أضاف منذر قائلاً بجدية:

-تعالوا أوصلكم البيت!

التفتت أسيف نحوه قائلة باعتراض:

-لأ أنا هافضل معاها!

رد عليه بصرامة قليلة وهو يرمقها بنظرات جادة:

ميعاد الزيارة خلص، ومالهاش لازمة الأعدة، إنتو محتاجين ترتاحوا!

وافقته عواطف الرأي هاتفة يارهاق:

اه والله، جسمي هلكان وركبي تعباني على الآخر!

أصر منذر على ذهابها قائلاً بثبات:

-وأنا رأيي ترتاحوا وبعد كده تيجوا تاني، كمان أنا موصي الدكاترة لو في حاجة  
جت يكلمونا على طول!

ترددت عواطف للحظة وهي تقول بقلق:

-بس أخاف أمشي وبنتي تفوق ومش تلاقينا جميعها!  
رد عليها منذر بتأكيد:

-اطمني يا ست عواطف، لو فاقت هتلاقينا كلنا عندها!

تهدت مضيفة باستسلام:

طيب! أمري لله

ثم لفت ذراعها حول كتفي أسيف قائلة بود:

-بيننا يا أسيف!

لم يكن أمامها بدًا من الاعتراض، فهي الأخرى بحاجة للراحة بعد ذلك

الإرهاق المتواصل، لذلك ابتسمت هاتفة باختصار:

حاضر!

ربتت عواطف على كتفها قائلة بلطف:

-ربنا يسعدك يا بنتي ويفرح قلبك ويرزقك بكل اللي نفسك فيه!

.....

وقفت أمامه عند المقهى الشعبي ترمقه بنظرات ساخطة وهي تراه ينفخ  
دخان الأرجيلة في الهواء، دنت أكثر منه وهي تهتف بحماس زائف:

-تسلم على اللي عملته، كل الحتة بتحكي عنك!

انتبه مجد لصوتها فسلط أنظاره القائمة عليها، رآها تتغنج بجسدها بطريقة  
مستفزة، ثم زادت من استثارة حنقه بترديدها بابتسامة مأكرة:

-صحيح رجعتنا لأيام زمان يا معلم مجد!

لوح لها بخرطوم أرجيلته قائلاً بنبرة مكفهرة:

-امشي يا حرمة منها، أنا مش ناقص وجع دماغ!

مصممت شفيتها مرددة باستنكار:

-الحق عليا اني جاية أباركلك!

فقد صبره من طريقتها المزعجة في فرض نفسها عليه، فصاح بوقاحة غليظة:

غوري بأم وشك الفقر ده من هنا خليني أشرب الحجرين على رواقه!

عبست بوجهها بجزن مصطنع، ثم أخفضت نبرة صوتها لتقول بعتاب:

-الحق عليا، كنت جاية أعزمك على خطوبة بنت خالي!

انتبهت حواسه كلياً لجملتها الأخيرة، وتصلبت تعابير وجهه كرد فعل طبيعي لما سمعه توّاً.

ابتسمت قائلة بتفاخر متعمدة إثارة غضبه:

مش سيد الرجالة سي منذر خطبها وانت.. وانت أعد كده محلك سر!

هدر بها قائلاً بعصبية مغتظة:

جری ايه يا .....!!

فغرت شفيتها معاتبة إياه لتلفظه بكلمات نائية مسيئة في حقها، وردت قائلة:

-وليه بس تغلط فيا؟ الظاهر إنك مش بتتشطر غير على الحریم وبس!

استشاطت نظراته من أسلوبها المستفز، فتيقنت أنها وصلت إلى ما تريد لذلك عمدت إلى النظر إليه باحتقار أكثر لتؤجج غضبه وهي تواصل استهزائها الساخط منه.

تابعت مضيئة بازدياء مهين:

-لأن الرجالة اللي بجد بتعرف تاخذ حقها صح! سلام يا.. يا معلم!

هدر بها بانفعال وهو يضرب بعنف بخرطوم أرجيلته على الطاولة المستديرة الموضوعه أمامه:

ده اتي ولية حيزونة بصحيح!

كررت ضاحكة بسخرية وهي تسير مبتعدة، لم تنظر خلفها لترى ردة فعله، ولم  
تعباً بسبه لها، فقد كانت متأكدة أنه يغلي من داخله بعد نجاحها في استفزازه  
بكلماتها.

ظل مجد يضرب بكفه على فخذه بعصبية وهو يقول بنبرة مغلوطة:

مش مجد أبو النجا اللي يتاخذ منه حاجة ويسكت!

زادت نبرته قتامة وهو يضيف بنبرة عدائية مخيفة:

-وخصوصاً لما يكون من ابن الحرام ده! بس لسه الحوار مخلصش، ده ابتدى  
معاك يا .....!!

.....

بعد مرور عدة أيام،،

صاحه بترحاب كبير براحتي يده وهو يبادلها ابتسامة سعيدة قبل أن ينطق  
بتهديب معتاد في تلك النوعية من المواقف:

نورت المدرسة يا أستاذ ناصر، إنت جاي عندنا بتوصية كبيرة، ومن فوق  
كمان!

برزت أسنان ناصر الصفراء من خلف ابتسامته العابثة وهو يرد بامتنان:

-الله يكرمك يا فندم، ده شرف ليا إني أكون معاكو هنا في الصرح التعليمي ده!

تابع وكيل المدرسة قائلاً بهدوء:

-أنا هاخذك في جولة في المكان عشان تتعرف عليه!

هز رأسه قائلاً باختصار:

-تمام

سار الاثنان سوياً في أروقة المدرسة ليتفقد ناصر كل جزء فيها عن كئيب، فتلفت حوله مبدئياً إعجابه بتصاميم المكان وبتلك الانتقال الفارقة في حياته، لن ينكر أن رجلاه الهام نفذ طلبه، ووضعها في مكان راقٍ ذو مستوى أفضل بكثير عما كان به من قبل. اتسعت ابتسامته المتباهية وهو يتنهد مستمتعاً بما يراه.

قطع تأمله صوت الوكيل وهو يردد بجدية:

-هاتحب الطلبة عندنا، هما كلهم مجتهدين واهاليهم بتساعدنا نرتقي بالمستوى، ده غير فريق العمل هنا على قدر من الكفاءة!  
رد عليه بنبرة متباهية:

-ده واضح فعلاً من شكل المكان يا أستاذ!

تابع وكيل المدرسة قائلاً بتشجيع:

-كل اللي هتحتاجه من معدات وأدوات هتلاقه، ولو في حاجة ناقصة بلغنا، وحا هانجيها لك على طول!

ثم توقف عن الحديث للحظة ليلتقط أنفاسه، ومن ثم أضاف بهدوء:



أوضة الصيانة هاتكون ورا الجينة الأمامية، هاوديك عندها!  
رفع ناصر يده على رأسه ليبررها في خصلات شعره، ولمعت عيناه ببريق  
غير مريح وهو يحدث نفسه بعث:  
ماشى.. واضح إني هاشوف حاجات فل هنا.....!!

.....

الجزء الثاني من الجزء

الفصل الثاني والستون:

تنفست الصعداء بعد تلقيها ذلك الخبر المفرح عن إفاقتها من غيبوبتها المؤقتة،  
 وبترقب شديد انتظرت انتهاء الطبيب من فحص مؤشراتها الحيوية لتلج إليها،  
 دنت عواطف من فراشها الطبي، ثم مالت عليها تضمها إلى صدرها هاتفة بنبرة  
 متأثرة:

حمدلله على سلامتك يا بنتي!

ردت عليها بسمة بنبرة خافتة:

-الله يسلمك يا ماما!

تابعت قائلة بتنهيدة مطولة:

لو تعرفي اتخضينا عليكى أد ايه!

ابتسمت هامسة:

قدر ولطف!

لم يستطع الانتظار بالخارج لأكثر من هذا، فقد كان متلهفًا لرؤيتها هو الآخر،  
 شعر بأن روحه ردت إليه بمجرد سماعه بخبر استعادتها للوعي، تحرك بتوتر  
 رهيب دائرًا حول نفسه إلى أن حسم أمره بالدخول.

دق دياب على الباب متنحنًا بصوت خشن:

-مممكن أدخل؟

التفتت عواطف نحوه قائلة بود وهي تشير بيدها:

أه يا بني، تعالى!

ثم استدارت برأسها لتحقق في ابنتها وهي تضيف:

سي دياب ماسبناش للحظة هو وسي مندر، ليل نهار معانا يا بنتي عشان  
يطمنوا عليكي!

رمشت بسمة بعينها في حرج واضح من وجوده، لكنها رأت في نظراته  
المتطلعة إليها شيئاً غريباً عن كل مرة، تلالأت عيناه بتوهج لامع وهو يدنو  
منها.

هتفت عواطف قائلة:

أما أروح أظمن أسيف، هي أعدة في الاستقبال من بدري، وهتفرح أوي لما  
تعرف

هزت بسمة رأسها بإيماءة خفيفة دافئة نفسها أكثر في الفراش.

تابعها حتى انصرفت من الغرفة، فاقترب أكثر منها متأملاً إياها بأعينه  
المشتاقة، قطع الصمت السائد بينهما معاتباً بمرح:

-ينفع القلق ده كله يا أبله؟

حركت رأسها للجانب متحاشية النظر إليه، ثم ردت قائلة بهدوء:

أنا اتأخرت على المدرسة، أكيد ها يكتبوني غياب!

عقد ما بين حاجبيه مدهوشًا من جملتها الأخيرة، فسألها مستفهمًا:

مدرسة! انتي بتتكلمي عن ايه؟

أوضحت مقصدها قائلة بتهيدة متعبة وهي تفرك جبينها:

-المفروض كان عندي إشراف كمان، لازم حد يبلغهم يدوني اذن صباحي  
عقبال ما أفوق، و...

قاطعها قائلاً باستغراب:

-انتي فقدتي الذاكرة؟ إذن ايه ده؟

التفتت برأسها نحوه هاتفة بتجهم قليل:

-احنا عندنا شغل، صعب نغيب اليومين دول، وما فيش أذونات إلا في  
الضرورة القصوى، و....

قاطعها دياب مرة أخرى مازحًا:

-يا أبله السنة خلصت من بدري، صحي النوم!

قطبت جبينها مرددة بتعجب:

-افندم؟

ازدادت ابتسامته اتساعًا وهو يضيف بهرح:

-انتي في غيبوبة بقالك عشر أيام أو أكثر!

ارتفع حاجباها للأعلى وهي تصيح باندهاش كبير:

نعم! غيبوبة!

رفع إصبعيه أمام عينيها مداعبًا وهو يشير بنظراته نحو عقلها:

ها دول كام بقي؟ عاوزين نظمن على الحطة الطرية اللي جوا برضوه!

.....

كانت شاردة أغلب أوقاتها تفكر مليًا في موافقتها على عرضه الأخير. خشيت من تسرعها، لكن لم يكن أمامها بديل، وهو لم يحاول فرض نفسه عليها، تهتت مرهقة من كثرة التفكير، فاستندت برأسها على مرفقها مغمضة جفניה للحظات.

أناها صوتها مهلاً بسعادة:

فاقت يا أسيف، بسمة فاقت!

هبت من مقعدها واقفة لتلتفت نحوها، ثم ارتسم على ثغرها ابتسامة رضا وهي تقول:

بجد! الحمد لله، ربنا جبر بخاطرنا!

وضعت عواطف يدها على صدرها متابعة بتنهيدة ارتياح:

أنا كان هيجرالي حاجة من رقدتها دي، عدت على خير، ربنا ما يعودها ثاني

يارب

أشارت قائلة بيدها:

أنا هاكلم نيرمين أبشرها!

ردت عليها بهدوء:

ماشى، وأنا هاطلع عند بسمة أبص عليها

طيب يا بنتي!

قالتا وهي تفتش في حقيبتها عن هاتفها المحمول لتبلغ ابنتها بذلك الخبر السار.

.....

عادت بسمة إلى منزلها لتكمل فترة النقاهة به، وتمثلت للشفاء بدرجة كبيرة بعد عدة أيام من بقائها فيه، أولتها أسيف الرعاية الكاملة، ولم تبخل عليها بمجهودها رغم إرهاقها، فشعرت الأخيرة بأنها كانت مخطئة في حقها، وأنها تسرعت في الحكم عليها، وتقاربت الاثنتان إلى حد ما.

اتفق منذر مع عائلة عواطف على إبقاء سر الخطبة بينهم، وكذلك اتفق على تحديد موعد محدد لقراءة الفاتحة، ورغم أنها خطبة زائفة إلا أنه أصر على القيام بها وفق الأصول والأعراف المتبعة.

تأججت نيران الغيرة بداخل نيرمين، لكنها عقدت العزم على إفسادها مما كلفها الأمر، حتى وإن تحالفت مع الشيطان ذاته، المهم ألا تحظى به غيرها.

.....

-أبدًا، مش رايحة!

صاحت بها جليلة وهي تهز رأسها رافضة الذهاب مع ابنها البكري للتقدم رسميًا  
لخطبة تلك الفتاة تحديدًا.

حك منذر رأسه بعصبية وهو يردد بهدوء ممتعض:

-يعني يرضيكي أروح من غيرك يا ست الكل؟!!

ردت عليه بعبوس:

-كفاية أبوك وأخوك!

أضاف قائلاً بالحاح:

-وأنا مش هاعملها من غير ما تكوني راضية وموافقة!

قطبت جبينها معللة سبب رفضها:

-يا بني، يا حبيبي! أنا نفسي أفرح بيك، وأشوف عيالك بيتنططوا حواليا،

بس.. بس مش من دي!

سألها بانزعاج:

-واشمعني هي بالذات؟ يعني لو كنت وافقت على اللي في بالك كنتي هتبقني...

قاطعته قائلة بجدية:

أنا بأدور على مصلحتك

سحب منذر نفسًا عميقًا، ثم زفره على مهل قبل أن يقول:

يامه مش كل الرزق فلوس وعيال! الرزق في حاجات تانية، زي الصحة،  
وراحة البال، والسيرة الطيبة، والستر والرضا!

ردت عليه قائلة بتبرم:

دي بتاعة أعمال وسحر و...

قاطعها مداعبًا:

مش جاز سرها يبقى باع معايا!

نظرت له بجدة وهي تقول:

انت بتهزر يا منذر!

ابتسم لها مضيئًا بإحباط:

حطب أقولك ايه بس يا ست الكل؟ ما أنا احترت معاكي ومش عارف

أخشك من أي سكة

بالفعل بذل مجهودًا كبيرًا في إقناعها، لكنها كانت متشبثة برأيها رافضة الإنصات

إليه، تهد بتعب، لكنه لم ييأس، فرسم على ثغره ابتسامة راضية، لف ذراعه

حول كتفها، وانحنى ليقبلها من أعلى رأسها قائلاً:

برضوه الفرحة مش هاتكمل إلا بيكي! ده اتني الخير والبركة!



أشار لها طه بيده مضيئًا بضيق:

خلاص بقى يا جليلة متحبكيهاش! عاجبك شحتفة ابنك؟

نظر منذر لأبيه بامتنان لأنه كان يدعمه بقوة في رغبته، لم يتوقف عن إلحاحه عليها حتى استسلمت في الأخير، وضغطت على شفيتها قائلة بتبرم:

طيب.. خلاص!

تهللت أساريره، وتنفس الصعداء هاتقًا بحماس:

ألف حمد وشكر ليك يارب!

تابع طه قائلاً بجدية:

-جهزولنا الأكل بقى خلونا نروح بعدها للزيارة دي

ردت عليه زوجته بامتعاض:

-ماشي يا حاج طه، أما نشوف أختها ايه!

صاح دياب مازحًا:

-وأنا ماليش نصيب معاكو؟

اتسعت ابتسامة جليلة قائلة:

-انوي انت بس، وأنا يا حبيبي متأخرش عنك!

أضاف منذر بمرح غامرًا لأخيه:

-ايوه يا عم، واخذ اللي على وش القفص!

رد عليه دياب بتذمر زائف:

-كفاية إني قاعد في قعره بقالي سنين!

فهمت جليلة إلى ماذا يرمي ابنها، إلى زيتته السابقة التي انعكست بالسلب عليه، فمطت فمها قائلة بضجر:

-بلاش السيرة الفقر دي، انسى يا بني!

هز دياب رأسه هاتفاً:

ماشى، خلىنا مركزين مع مندر النهاردة، ده يومه!

كان أخيه محققاً في هذا، فالיום هو محلق في عنان السماء، ستحقق رغبته حتى ولو كانت مؤقتة، لكنه سينالها.

.....

بدت مزعوجة للغاية وهي تنتظر اتصاله الهاتفي لتنزل مع عمته لانتقاء خاتم الخطبة، فهو يعد من الأمور الأساسية التي لا يمكن التغاضي عنها حتى وإن كانت معترضة عليها، وبامتعاض بادٍ على وجهها اضطرت أن تبدل عباءتها وترتدي ثوباً داكن اللون اختارته بسمة لها. ورغم عبوسها إلا أنها لا تنكر إعجابها به. في ظروف أخرى ربما كانت ستصبح أسعد الفتيات وأكثرهن فرحة، ولكن لأنها تعلم زيف الحقائق وفرحتها تعد مصطنعة.

تألق منذر على غير عادته، فبدا وسيماً للغاية بثيابه المنمقة، أرادها أن تنبهر بهيئته، أن يلفت أنظارها، أن يشعرها بأهمية أبسط الأمور من منظوره حتى لو كانت في الملبس فقط.

راقبته نيرمين من الشرفة بأعين نارية، كادت تفتسه نظراتها، تمت لو كانت هي العروس، أن تتأبط في ذراعيه، أن تسير وسط الجيران بخيلاء ومرفوعة الرأس لأنها مخطوبة لسيد رجال المنطقة، كانت سترقص طرباً، وتقيم الأفراح والليالي الملاح، لكن ذهبت أحلامها أدراج الريح، وباتت تعيسة الحظ، خائبة الرجاء، ولم تكن لتفوت فرصة مثل تلك لتظهر حقدتها وغلها، فأصرت على الذهاب معهم.

ترقب على أحر من الجمر نزولها، وظل يتلفت حوله بضيق كبير حتى لمح طيفها، انتصب في وقفته، واتسعت ابتسامته، كما تحولت نظراته للإشراق، دنا منها قائلاً بنبرة متحمسة نسيباً وهو مسبل عينيه نحوها:

صباح الخير، أخبارك ايه؟

ضغطت أسيف على شفيتها قائلة بجرح وهي تتحاشى النظر إليه:

الحمد لله!

وقبل أن يضيف كلمة أخرى، اقتحمت عليه نيرمين الحوار قائلة بعبوس:  
مكانش ليها لازمة النزلة دي يا سي منذر، كنت هات حاجة صيني مضروبة،  
وأهي تقضي الغرض بردك!

اشتدت تعابير وجهه من طريقها الفضة، ونظر لها شزراً قائلاً بتأفف:

-لا مؤاخذه الصيني ده ليه ناسه، لكن أنا بأجيب بقيمتي!

ردت عليه بامتعاض:

طبعا قيمتك على عينا وراسنا يا سي مندر، بس الفلوس دي هتترمي في

الأرض، فحسارة تضيعها على الفاضي!

رمقها بنظرات ساخطة وهو يرد بصلافة:

-مالكيش فيه!

ثم استدار برأسه ناحية أسيف متابعاً:

-ياللا يا عروسة، اتفضلي!

توردت وجنتي أسيف بشدة من تلك الكلمة، وبخطوات متعثرة تحركت

صوب سيارته لتجلس في المقعد الخلفي.

بعد لحظات كان الجميع بالسيارة، فانطلق بهم مندر نحو أشهر منطقة تضم

أكبر محال الصاغة، أوقفها عند الناصية، ثم التفت برأسه للخلف لينظر مباشرة

في عينيها متسائلاً باهتمام:

تحيي محل ايه؟

احتارت أسيف في الرد عليه، فرأسها كان خاوياً، هي بصعوبة تحاول

الاستمرار في تلك التمثلية الزائفة، لذلك ردت باقتضاب:

أي حاجة، مش هاتفرق!  
 فرك طرف ذقنه بكفه متابعا:  
 أنا في دماغي محل كويس، بس مش عارف إن كان ذوقي هيعجبكم ولا....  
 قاطعته عواطف قائلة بامتنان:  
 يا بني كتر خيرك، ده كفاية واقفتك معانا!  
 رد عليها بإصرار جاد:

الأصول أصول يا ست عواطف!  
 احتقنت عيناى نيرمين بشدة، واكتسى وجهها بحمرة مغتظة.  
 رمقت أسيف بنظرات حاقدة مشتعلة، وتمتت مع نفسها بغضب:  
 يا بت المحظوظة، موديكي عند أشهر جواهرجي في الحتة كلها! بوز فقر!

.....

حدقت بشرود كبير في تلك الأشكال المختلفة للخواتم، وتنوعت نظراتها ما بين  
 الإعجاب والقلق، أرادت شيئاً محدداً، وصممت على البحث عنه.  
 أخرجها من حيرتها صوت منذر متسائلاً بحماس:  
 ها عجبتك حاجة؟

ضغطت أسيف على شفيتها قائلة بتردد:  
 -يعني.. أنا في دماغي حاجة تكون خفيفة كده، ومش فيها شغل

عقد ما بين حاجيه متسائلاً باستغراب:  
ليه؟

نظرت له بجدية وهي تقول بغموض:  
أكيد انت فاهم كويس!

انتصب في وقفته، وحقق فيها بنظرات شبه صارمة مردداً:  
بس إتي هاتخطبي لمنذر حرب، مش أي حد، يعني لازم تكون حاجة من  
قيمتي وقيمتك!  
بس....

رفع يده في وجهها مقاطعاً باقتضاب:  
متجادليش كثير، هي كلمة!

استدار برأسه ناحية صاحب محل الصاعة موجهاً حديثه له:  
شوفلنا أحسن حاجة عندك!

ابتسم الأخير بتكلف وهو يرد بدبلوماسية معتادة:  
طبعا يا فندم، حضرتك تؤمر!

أزعجها تصرفه المعاند، فاقتربت منه أكثر، فتقلصت المسافة بينهما إلى خطوة  
واحدة، وزادت هي من نقصها بميلها عليها برأسها هامسة بضيق:

لو سمحت يا أستاذ منذر! إنت عارف إني مش موافقة على الموضوع من الأول، فأرجوك ماتضغطش عليا!

تفاجأ من قربها الشديد، وشعر بخفقان شديد في قلبه.

لم يتخيل للحظة أن تؤثر به هكذا، أن تحرك فيه شيئاً وبقوة.

طالعه بنظرات متعجبة من تحديقه بها، فابتسم لها قائلاً بمزاح:

طب اتفرجي! ده حتى الفرجة ببلاش!

نظرت له بضيق أكبر، فأصر قائلاً:

-اتفرجي بس، متفقين؟

اكتفت بالابتسام، وعاودت التحديق في الخواتم البراقة أمامها.

راقبها بنظرات دقيقة متأملة لكل ردة فعل تصدر عنها، أراد أن يعرف وبشدة

إلى أي شكل تميل، فقد دار في رأسه فكرة ما.

استشاطت نظرات نيرمين على الأخير، وأحست بسخونة منبعثة من

جسدها المتقد على جمراته الملتهبة.

اقتربت من والدتها، ومالت على كتفها لتقول بصوت خفيض من بين أسنانها

المضغوطة:

شايفة يا ماما الذهب، بصي!

ردت عليها عواطف بإيماءة خفيفة من رأسها:

-ربنا يعوضك بابن الحلال اللي يجيبك أحسن منه!

همست لها بمقد مسلطة أنظارها على ابنة خالها:

-كفاية الوكسة اللي اتوكستها، وغيري واخذ الحلو كله

ربتت أمها على كتفها مرددة:

صفي قلبك، وربنا هيكرمك!

بعد لحظات، كانت قد انتقت الأقرب إلى رغبتها، خاتماً بسيطاً رقيقاً، والأهم

خفيفاً في وزنه، فلم يكلفه إلا القليل، أزججه اختيارها، ومع ذلك لم يعترض،

وبضجر كبير اشتراه لها.

نظرت لها نيرمين بسخط وهي تبرطم مع نفسها:

-وش فقر طول عمرها، حد يقول للنعمة لأ؟

غص صدرها بغيظها الحقود، فكورت قبضتها، وهمست لوالدتها قائلة بازدراء:

-بأقولك ايه، أنا طالعة أشم شوية هوا برا لأحسن اتخنت من الوقفة هنا!

هزت عواطف رأسها بالإيجاب قائلة:

-وماله يا بنتي! واحنا لما نخلص هانطلعلك على طول

طيب

قالتها نيرمين وهي تعلق حقيبتها على كتفها متجهة نحو باب المحل.



كانت تنفس نارًا من أذنيها، أوشكت على الانفجار من شدة غضبها المكتوم،  
لذلك فضلت الانسحاب مؤقتًا حتى تضبط انفعالاتها الهائجة.  
سريعًا ما تأججت مشاعرها المحتقنة حينما لمحتها عند محل الصائغ المجاور،  
فضاقت نظراتها، وقست تعابير وجهها للغاية.  
انتوت نيرمين أن تفرغ شحنتها الغاضبة فيها، خاصة أنها فرصة لا  
تعوض.....!!!

## الفصل الثالث والستون:

بتجهم واضح على تعابيرها المتصلبة دومًا اتجهت صوبها، خاصة حينما رأت  
بصحبتها رجلًا غريبًا وعائلته، لم يكن الأمر بحاجة إلى فطنة أو ذكاء خارق

لتخمين السبب، تفنجت بجسدها واضعة يدها على منتصف خصرها، ثم  
نظرت لها شزراً قبل أن تنفرح شفيتها لتصرخ بتهكم:  
أهلا بنسايب الهم والندامة!

ارتفع حاجبي لبني للأعلى حينما رأتها قبالتها، وسريعاً ما حل الوجوم الممزوج  
بالسخط على نظراتها.

هتفت بصدمة:

إتي؟!!

رمقتها نيرمين باحتقار وهي تتابع بوقاحة فظة:

ها، ده عريس الغفلة الجديد، لأعرفتوا توقعوا صح المرادي!

صاحت بها "شاهنده" بعصبية:

جری ايه يا بت اتتي، لمي نفسك يا مصدية بدل ما....

قاطعتها نيرمين صارخة بانفعال متعمد وهي تلوح بذراعها في الهواء بحركات  
مستفزة:

مصدية مين يا مقشفة، يا....، ده احنا دافنيه سوا يا حيلتها!

حدق الرجل بغرابة في أوجه ثلاثهن، لم يعرف بماذا يرد، فقد كان مدهوشاً بما  
يحدث حوله.

ردت عليها لبني مهددة:

-وعزة جلال الله يا بنت ال..... يا..... لو ما اطرقتي من هنا، لأجيبك زي  
زمان تحت رجلي و....

قاطعتها نيرمين صائحة بجدة:

-اللسان الزيت ما فيش أسهل منه

تحركت لبني خطوة نحوها محاولة الاشتباك معها بالأيدي هاتفة بتشنج:

-انتي ناقصة رباية من يومك و....

دفعتها نيرمين من يديها وهي تكرر ضاحكة لتثير أعصابها بطريقة مستفزة، ثم  
وجهت حديثها للرجل الذي كان يتابع الموقف باندهاش عجيب قائلة:

-انقد بجلد يا أخ، دول عيلة سو، وربنا إنت أمك دعيالك عشان شوفتني  
النهاردة، العالم دول ولاد تيت، هيسفوا دمك!

انفجرت فيها لبني بوابل لاذع من السباب النابي، لكن لم يردع نيرمين هذا  
عن مخططها الانتقامي، فتابعت قائلة بامتعاض:

-شايف البكابورت اللي طالع من بؤها، واسمها حاتك، دي حُمي بعيد عنك!  
دنت منه مشيرة بيدها:

-اخلع منهم أحسنك، خدها مني كلمة، ده أنا كنت معشراهم بقالي سنين  
ردت عليها شاهنده بصراخ حاد:

أخويا كان عنده حق يطلق واحدة زيك مالهاش ظابط ولا رابط، ده اتني  
تكفري العاقل يا.....!

أضافت لبنى بوعيد شرس:

ما بقاش أنا أم حاتم يا بنت عواطف إن ما دفعتك تمن ده غالي!  
ضحكت نيرمين عاليًا لتزيد من حنقها، ثم تمايلت بميوعة بجسدها وهي تضيف:  
كان زمان وجبر! احنا نحب نخدم بردك!

أولتها ظهرها وهي تبتمس بتشفٍ عظيم، شعرت بأن نيرانها المستعرة قد  
هدأت قليلًا، ردت إليهما جزءًا مما يستحقان، تنفست بعمق وهي تتجه عائدة  
إلى محل الصانع.

.....

رغم اعتراضه عليه إلا أنه اضطر أن يرضخ مجبرًا لرغبتها، لكن هذا لم يمنعه عن  
التفكير في شيء آخر، هو راقب جيدًا نظراتها المتطلعة للمصوغات الذهبية،  
وجاهد لمعرفة متى تتلأأ حدقتها بنظرات مشرقة، ومتى تنظر بفتور لهم حتى  
يتمكن من اختيار هديته لها، وبجدية هادئة استطرد حديثه قائلاً:

-استنوني في العربية، وأنا هحاسب الأستاذ وأحصلكم

ابتسمت عواطف قائلة بسعادة:

ماشى يا سي مندر!

ثم ربتت على ظهر ابنة أخيها متابعة بلطف:

-بيننا يا أسيف-

اكتفت الأخيرة بالإيماء برأسها، وتحركت معها إلى خارج محل الصائغ، مال

منذر على صاحب المحل قائلاً بخفوت جاد:

دلوقتي عاوزك تجيبلي الحاجات اللي هاشاورلك عليهم، وتلفهم في علبة محترمة

عشان العروسة

توهجت عيناها الصائغ بوميض متحمس وهو يرد:

-تمام يا باشا، أحلى حاجة للهانم!

التوى ثغره للجانب قائلاً باقتضاب:

-ماشى!

باهتمام واضح بدأ في اختيار ما انجذبت إليه حبيته عله يسعدها بطريقة أو

بأخرى.

.....

لاحقًا، أوصلهن منذر إلى المنزل مؤكدًا على قدومه بصحبة عائلته مساءً للتقدم

رسميًا بخطبتها - حتى وإن كانت زائفة - فقد أراد اتباع الأعراف والتقاليد.

وبالطبع لم تدخر عواطف وسعها في ترتيب المنزل وتجهيزه لاستقبال ضيوفها

اليوم، فالليلة مميزة للغاية، وهي تريد الاحتفال بها فهي فرصة طيبة لتطرق  
الفرحة باب منزلها، هتفت بنشاط:

يا لا أوام يا نيرمين، عاوزين نمسح الصالة و....

التفتت بوجهها المتجهم نحوها مقاطعة بسخط:

-ارحميني يا أمي، وسطي مقطوم من صباحية ربنا!

تعقد وجه والدتها صائحة بانزعاج:

هو اتتي عملي حاجة؟ ده أنا اللي يبشيل ويمسح، مجاتش من نص ساعة  
احتجتلك فيها!

ردت عليها نيرمين بتبرم ملوحة بيدها:

-أنا مش عارفة ليه قلبه البيت دي؟ هي أول واحدة تتنيل تتخطب، ما أم  
مليون غيرها....

قاطعتها عواطف قائلة بحدة:

خلاص، مش عاوزة منك حاجة، ربنا يديني الصحة! روعي لبتك شوفيا!

زمت فمها رامقة والدتها بنظرات حادة، ثم أولتها ظهرها متجهة نحو غرفتها  
مبرطمة بكلمات ناقمة.

.....

رفضت أسيف ارتداء أي ثياب مبهرجة رغم محاولات بسة إقناعها بالعكس،  
حركت رأسها بالنفي قائلة بإصرار:

-لا، مش عاوزة!

ألحت عليها بسة قائلة:

-دي قراية فاتحة، يعني المفروض تكوني شيك و...

قاطعها أسيف قائلة بضجر:

-أنا فاهمين إنها أي كلام، يعني مالهاش لازمة التمثيلية دي!

أشارت لها ابنة عمها بيدها متابعة باهتمام:

-ماشي، بس صدقيني هايبقى شكلك أحلى

اتجهت هي ناحية خزانة الملابس بخطوات شبه عرجاء لتعيرها إحدى ثيابها.

دقت النظر فيما تملك، ورغم محدودية الاختيارات، إلا أنها أثرت أن تعطىها

أفضلهم، التفتت ناحيتها جاذبة ثوبًا رقيقًا من اللون الزيتي مصنوع من قماش

الساتان هاتفة بحماس:

-بصي بقى ده حلو خالص!

رمشت أسيف بعينها مرددة بجرح:

هو جميل والله، بس... أنا...

اقتربت منها قائلة بعبوس مصطنع:

عشان خاطري، يعني هاتكسفيني، يالا بقى!

ابتسمت مستسلمة وهي تحرك رأسها:

-ماشي! مش هازعلك!

تبدلت سريعًا ملامحها للحماسة والسعادة، وتابعت قائلة:

-أنا هاظبطك، متشيليش هم!

.....

ترجل من سيارته وهو في قمة أناقته، حيث ارتدى حلة جديدة سوداء ناعرا عليها عطره الهاديء، ومن أسفلها قميصًا أبيض اللون، وتأكد من إكمال وجاهته بوضع رابطة عنق تحمل نفس لون الحلة، بدا كرجال الأعمال في تلك الهيئة الكلاسيكية الرائعة، سلط أنظاره للأعلى محققًا في الشرفة العلوية، ومخرجًا من صدره تهيدة حارة، ها قد اقترب خطوة منها، حتى وإن كانت مؤقتة، لكنها حتمًا السبيل إليها.

استند دياب بمرفقه على سقف السيارة رافعًا حاجبه للأعلى ليبيدي إعجابه وهو يقول:

-الشيأة ليها ناسها!

أخفض أخاه نظراته نحوه، وابتسم له قائلاً بصوت رخيم وهو يجذب ياقة سترته للأسفل:

-ها، ايه رأيك؟



مط دياب فمه للجانب هاتفاً:

مافيش بعد كده!

حدق منذر في باقة الورد التي يحملها أخيه متسائلاً بفضول:

انت جايب الورد ده لمين؟

ارتبك دياب لوهلة متعللاً:

ده.. ده من الواد يحيى للأبلة بتاعته

جمد منذر أنظاره عليه قائلاً بعدم اقتناع:

يحيى!

رد عليه دياب مبتسماً ببلاهة:

اه، أصل الواد مزوق زي أبوه!

صاح طه بجدية وهو يشير بعكازه:

ياللا يا شباب، مش هنتسامر كثير!

التفت منذر ناحيته مردداً بابتسامة صغيرة:

حاضر يا حاج!

تنحنح بعدها بخشونة طفيفة، ثم أشار له بيده ليتحرك أولاً كنوع من الاحترام الشديد لشخصه، بينما تأبطت جليلة في ذراع ابنها دياب، وتهادت في خطواتها معه، في حين تسابقت أروى مع يحيى في الصعود على الدرج.

شعرت بدقات قلبها تتلاحق من توترها الواضح، جف حلقها حتى بات ريقها كالعقم، ولأكثر من مرة ارتوت من المياه المسنودة على الكومود، وضعت بسمه اللسه الأخره على حجاب رأسها الذي فضلت أن يكون من اللون الذهبى لىتلاءم مع ثوبها.

رفعت سبابها قائلة بانهار:

-واو، شكلك جميل أوي!

استدارت أسيف برأسها نحو المرأة لتطالع وجهها الذي تحول للإشراق بفضل جهود ابنة عمها، رمشت بعينها غير مصدقة أنها نفسها، هي لم تضع من قبل مثل تلك الكمية من مساحيق التجميل، بل على الأرجح لم تضع إلا أحر الشفاه الرخيص وفي المناسبات الهامة فقط.

وضعت بسمه قبضتها على كتفها بعد أن وقفت خلفها، ثم سألتها باهتمام:

-أنفع يا قمر؟

أجابها قائلة ببراءة:

هو أنا أقدر أتكم! بجد اتى جميلة أوي! أنا.. مش عارفة أقولك ايه

متقوليش حاجة، المهم تنبسطي النهاردة حتى لو شوية

-ربنا يقدرني وأردلك جميلك ده

مافيش جمائل بينا! احنا بقينا اخوات، صح؟

أيوه طبعا.

تابعتهما خلسة من فتحة الباب المواربة وهي تتقد غيظًا من استحواذها على أختها، استنشأت نظراتها، وشعرت بغلي الدماء في عروقها، همست نيرمين لنفسها بنبرة مغلولة:

-والله لأعكن عليكي، إتي مش هاتخلصي مني بالساهل!

انتبهت لقرع الجرس، فتحركت متسللة متوارية عن الأنظار، هتفت بسمة بابتسامة عريضة:

-الظاهر العريس جه، خليكي هنا شوية لحد ما نناديكي

انزعجت قسماات وجه أسيف هاتفة بضيق:

-بلاش نكبر الموضوع أوي، هو....

وضعت الأخيرة إصبعها على شفيتها مقاطعة بجدية:

-ششش، هو كبر لوحده، المهم افردني وشك بس عشان الميك آب مش ييوظ!

ثم داعبت طرف أنفها بإصبعها، ونظرت لها بأعين لامعة قبل أن تجذبها نحوها لتحضنها بحنو صادق.

.....

يا أهلاً وسهلاً بالغالين، شرفتونا!

قاتها عواطف بنبرة مرحبة للغاية وهي تفتح الباب على مصراعيه ساحة  
لضيوفها بالولوج للداخل.

رد عليها طه بخشونة هادئة:

-كثر خيرك يا عواطف!

اقتربت من جليلة لتحضنها متابعة بسعادة:

نورتيني يا ست جليلة، والله احنا زارنا النبي النهاردة!

ابتسمت لها مجاملة وهي ترد باقتضاب:

تسلمي!

تساءلت أروى قائلة بمرح:

مش هاتسلمي عليا أنا ويحيي يا طنط عواطف؟

انحنت بجسدها قليلاً نحوها، واحتضنت وجهها الطفولي براحتها لتقبلها قائلة  
بود:

ده السلام كله ليكي يا غالية يا بنت الغالين!

ثم ضمت الصغير يحيي إلى صدرها لتقبله من جبينه هو الآخر.

تنحج منذر بخشونة ليلفت انتباهها مازحاً:

-وما فيش اتفضل للعريس و...

قاطعه قائلة بجرح كبير:

يا خبر أبيض، هو احنا تقدر، ده بيتك يا سي مندر، اتفضل.. اتفضل!  
استقبلتهم في غرفة الصالون مبدية سعادتها الغامرة بقدمهم، وبامتعاض  
مزعوج ولجت نيرمين إلى الداخل لترحب بهم، بادلتها جليلة نظرات أسفة  
وشبه حزينه لعدم وقوع الاختيار عليها، كانت تتمنى أن تكون هي العروس  
المنشودة، لكن خاب رجاؤها، وفي نهاية المطاف القرار الأخير بيد ابنها  
البكري، خرجت من شرودها المؤقت على هتاف عواطف القائل:  
-اتفضلوا الحاجة الساقعة!

ظلت أنظاره معلقة بباب الغرفة مترقبًا ظهورها بين لحظة وأخرى، لم يرغب  
في إضاعة فرصة أن يكون أول من تقع عليها عينيه.  
انتبه لصوت أبيه الأجدش وهو يتساءل بجديّة:  
-أومال العروسة فين؟ تقلانة ولا...

أخفت عواطف ابتسامتها الحرجة بكف يدها وهي تجيبه:  
ما انت عارف البنات يا حاج طه، بيتكسفوا في المواضيع دي!  
هز رأسه بتفهم، ثم ربت على فخذ ابنه متابعا بنبرته الجادة:  
-وماله، بس عريسنا عاوز يقول الكلمتين اللي عنده في وجودها!  
ردت عليه عواطف بابتسامه متسعة للغاية:

ثانية وهاتكون عندكم يا حاج!

رغم إدراكها أنها لا تشغل باله في تلك اللحظة إلا أنها لم تفقد الأمل، جمدت  
نرمين نظراتها عليه طامعة في التفاتة خاطفة منه نحوها.

كادت دقات قلبها تصم أذنيها من فرط الارتباك والتوتر، ازدردت ريقها  
لأكثر من مرة وهي تقدم خطوة وتؤخر الأخرى، لم تشعر بمثل هذا  
الاضطراب المنفعل من قبل، دعمتها بسمة في مشيتها، أو بالأحرى استندت  
عليها أثناء سيرها المتباطيء نحو غرفة الصالون.

استشعر فؤاده وجودها قبل أن يراها، فثبت أنظاره على الباب. خفق بشدة  
حينما رآها تطل كالبدر في تمامه عليه، لم يشعر بجسده وهو يهب واقفاً  
مستقبلاً حضرتها الآسرة بتلهف كبير، والتوى ثغر منذر للجانب مُشكلاً  
ابتسامة متشوقة، كما لمعت نظراته ببريق الحب.

لم يختلف حال أخيه عنه كثيراً، بل ربما أشد وطأة منه، هو يحترق شوقاً  
بداخله، تبدلت تعابير وجهه للإشراق، ولم يكثرث بافتضاح أمره، فالمهم الآن  
أن تشعر هي تحديداً بما يكنه لها في قلبه.

هتف الحاج طه قائلاً وهو يضرب بعكازه الأرضية:

تعالى يا عروستنا!

وضعت عواطف يدها على ظهرها لتدفعها نحو الداخل متابعة بنبرة مشجعة:

خشي يا بنتي، سلمي على عمك الحاج طه، والست جلييلة!

أطرت رأسها في خجل وهي تتجه نحوه أولاً، ثم مدت يدها لمصافحته، وتحركت بجذر نحو جليلة لترحب بها التي رمتها بنظرات شبه ضائقة، لكن بقي وجهها خالياً من أي تعبيرات مزعوجة، راقبتها أعين منذر، ومع كل خطوة تخطوها بقربه، كانت أنفاسه تتسارع، وحماسه يزداد.

استقر الجميع في مجلسه، وبدأ طه في إتمام مهمته بالتقدم لخطبتها.

سلط أنظاره عليها متسائلاً بصرامة:

ها يا عروسة، ايه رأيك؟

فركت أسيف أصابعها بارتباك كبير، صممت للحظات تفكر في الأمر، ورغم إعلانها موافقتها مسبقاً، إلا أن تنفيذ الأمر على أرض الواقع أصعب بكثير. تصارعت الأفكار في رأسها، وتخبطت قراراتها، مازالت تخشى من تلك الإقدام عليها.

كانت أحلامها حول تلك الليلة مختلفة كلياً، فقد تمنّت أن يكون والدها جالساً بزهو في منزلها ومن حوله المعارف والأقرباء، يُبدي شروطه بإباء وثقة، فمن سينال درته المكنونة لابد أن يستحقها، أما والدتها فكانت تحلم بها تزينها، تضع فوق حجاب رأسها تاجاً صغيراً ليزيدها جمالاً.

لمعت عيناها تأثراً، وسحبت نفساً عميقاً لتضبط انفعالاتها قبل أن تبكي بلا تبرير. طال صمتها، وزاد قلقه، أوشك صبره على النفاذ من سكوتها المريب.

تجمدت عيناه عليها محاولاً سبر أغوار عقلها، دوماً تفاجئه بتهورها، بقرارات  
عجيبة تصدمه، للحظة ظن أنها ربما ستفرض، وستتعمد إحراج عائلته، لكن  
تبددت أوهامه، حينما همست بنبرة شبه متلعثمة وقد اعتلت الحمرة وجهها:  
أنا.. انا موافقة!

تنفس الصعداء لموافقتها، وهتف غير مصدق:

-يبقى نقرى الفاتحة!

أيده والده قائلاً بابتسامة هادئة:

-وماله، على بركة الله، الفاتحة.. بسم الله الرحمن....

كانت معظم الأوجه فرحة، أو على الأغلب راضية بتلك الخطبة، إلا وجهها  
الذي تحول للإظلام، ونظراتها للقتامة، كتمت حقدتها في قلبها مجبرة، لكن  
وعيدها بالانتقام وتعكير الصفو بينهما لن يخبو أبداً.

أطلقت عواطف زغاريد متعاقبة كتعبير رمزي عن فرحتها، وإعلاناً صريحاً عن  
وجود مناسبة سارة بأهل هذا المنزل، أعقبها هتاف جليلة:

لبس عروستك الدبلة يا ابني!

أوماً برأسه مردداً:

حاضر..



نهض من مكانه، ومد يده ليتناول العلبة الصغيرة الحمراء التي تحوي خاتمي  
الخطبة من والدته، ثم دنا من عروسه.

تنحت بسمة جانبًا مفسحة له المجال ليجلس على مقربة منها، ووقفت على  
الجانب تتابعهما بسعادة واضحة.

أخرج منذر الخاتم الخاص بها من العلبة، وأسبل عينيه نحوها قائلاً بهدوء:  
-إيدك يا عروسة!

مدت يدها المرتجفة نحوه، وزادت رجفتها وهو يتلمس كفها محاولاً وضعه في  
إصبعها، سحبت يدها للخلف مكلمة إرتدائه، وتحاشت النظر نحوه تمامًا، انتظر  
أن تفعل مثله، لكنها بقيت على جمودها، فمال عليها هامسًا بمرح:  
-وأنا مش هالبس دبلتي ولا ايه؟ أنا معاكي في الخطوبة دي!

ابتسمت رغمًا عنها لتصرفها الأخرق، وتناولت منه خاتمته، ثم ياصبعين  
مرتعشين جاهدت لوضعه في إصبعه الغليظ، ضغطت على شفيتها بقوة وهي  
تفعل هذا، فبدت كمن يقوم بعملية جراحية حساسة للغاية، نظر لها  
مدهوشًا، لكنه لم ينكر استمتاعه بالأمر.

.....

على الجانب الآخر، استغل دياب الفرصة للتودد إلى حبيبته، فاقترب منها  
بدرجة كبيرة حتى أوشك ذراعه على ملامسة ذراعها. شعرت بسمة بالحرص  
من جراته، فنظرت له بقوة، فابتسم لها بسخافة.

رفع فجأة باقة الورد أمام وجهها دون أن يعلق، فسأته بغرابة:

ده ليا؟

أجابها مازحًا:

-لأ للفازة، لاقيتها فاضية كده ومكتئبة فقلت أنعشها!

انعقد ما بين حاجبيها بدرجة كبيرة، وردت عليه بعبوس قليل:

-حضرتك جاي تهزر!

رد عليها معاتبًا:

هو في حضرتك بعد دش المياه إياه، فأكراه يا أبله؟

توردت وجنتها كليًا من تذكيره لها بذلك الموقف المشحون بينهما.

تابع قائلاً بابتسامة لطيفة:

-عمومًا احنا اتصفينا خلاص، والورد ده ليكي يا أبله!

شعر بانجذاب بنطاله الرمادي للأسفل، فأخفض بصره ليجد صغيره ممسكًا به،

داعب دياب خصلات رأسه بكف يده بجنو أبوي واضح.

هتف يحيي ببراءة:

-سلامتك يا مس بسمه!

ردت عليه بنبرة رقيقة:

-الله يسلمك يا حبيبي

أشار الصغير نحو ساقها متسائلاً بفضول طبيعي:

-رجلك بتوجعك يا مس؟

أجابته باقتضاب وهي تعض على شفتها السفلى:

-يعني.. شوية!

تابع الصغير مردداً ببراءة وهو يوزع أنظاره بينهما:

-خلاص قولي لبابي يشيلك!

ارتفع حاجباها للأعلى في صدمة واضحة، وشهقت بصدمة خافتة:

-نعم

تفاجأ دياب هو الآخر من جملة ابنه، فوضع يده على فمه قائلاً بابتسامة

حرجة:

-مسحوب من لسانه العفريت ده!

أبعد الصغير يحمي كف والده عن شفتيه ليوضح مقصده ببراءة:

-أنا لما رجلي بتوجعني بأقول لبابي ده وهو بيشلني على طول فمش بأحس بأي

وجع، فاتني قوليله زي!

رفعت بسمة أنظارها نحو والده لترمقه بجدة وهي ترد بسخرية طفيفة:

-لأ فيه الخير، حنين من يومه!

حك دياب مؤخرة رأسه مضيئاً بسداجة مرحة:

احم.. مش عارف الواد ده طالع غلباوي لمين، حاجة غريبة، أنا مش كده  
خالص!

ضاقت نظراتها نحوه حتى كادت تخترقه وهي تقول بجدية:  
انت هاتقولي!

.....

وقبل أن تفيق من حرجها الواضح أمام الجميع، اندهشت من إعلانه الصريح  
بنبرة ثابتة:

دي بقي هديتي للعروسة، يا رب بس تعجبك!

حركت أسيف عينيها نحوه لتحقق فيه بعدم تصديق، ابتسم لها منذر وهو  
يخرج تلك العلبة المغلفة من الحقيبة القماشية ليضعها أمامها، أوما لها بعينه  
متابعًا بهمس جاد:

-افتحها يا عروسة!

تجهمت قسماً وجهها إلى حد كبير حينما رأت ما أهداها إياه؛ لقد انتقى لها  
من المشغولات الذهبية ما يخطف الأبواب ويذهب العقول، شعرت بخفقان  
قوي في قلبها وهي ترى بريق ذلك الذهب الذي تتخطى قيمته الألوف بكثير،  
وما زاد من توترها هو تعمده اختيار تحديداً ما أحبته من أشكال رقيقة.

حدقت فيه مرة أخرى بنظرات معاتبة، وقبل أن تحرك شفيتها لتعرض هتف  
بصرامة جادة:

-النبى قبل الهدية، وهدايا منذر حرب مش بتترد مها حصل!  
 رمقها بنظرات أكثر شدة وصرامة ليمنعها من الرفض.  
 صفة أخرى مملكة تلقها نيرمين على وجهها بعد تصرفه المفاجيء. لم يطرأ  
 ببالها أن يقدم لها ذلك الكنز الثمين كهدية متواضعة لمجرد خطبتها.  
 صرت على أسنانها بقوة حتى كادت تحطمهم من فرط غيظها المحتقن، فتلك  
 التعيسة المعدمة حازت على الهيبة والمال معًا.....!!

.....

## الفصل الرابع والستون (الجزء الأول):

رجفة غريبة تسربت إلى جسدها بعد مفاجأته تلك، رمشت بعينها متحرجة  
 من اهتمامه الزائد بأصغر التفاصيل. فلم يطرأ ببالها أن يقدم لها شيئًا باهظًا  
 كتلك المشغولات الرقيقة، هو انتقى من أجلها ما أحبته حقًا، شعرت أسيف

بسخونة طفيفة منبعثة من وجنتيها، فاستشفت على الفور أنها توردتا من  
الخل، وعلى قدر المستطاع تجنبت النظر إلى عينيه.

ابتسم لها منذر بعذوبة لطيفة، أراحه ردة فعلها الهادئة، فهي لم تعترض على  
هديته أو حتى تنبذها كعادتها حينما يقدم لها أي شيء، لكن تلك المرة مختلفة  
من وجهة نظره، فهو تعامل معها كمحب حقيقي متم بها، عبر لها بصدق عن  
مشاعره بطريقته الخاصة، حتى وإن كلفته الكثير، فالأهم أن يصل إلى قلبها،  
أن تثق به، وأن تشعر بما يكنه نحوها.

هتفت عواطف بتفاؤل:

-ربنا يجعل الفرحة دائمة عليكم يا رب!

رد عليها طه بإيماءة خفيفة من رأسه:

-أمين!

ظلت أنظار منذر مثبتة عليها، يطالعها بشغف وتمني، اليوم اقترب منها  
خطوة، وغداً سيكون الأقرب إلى وجدانها.

.....

لن يجعلها أبداً تمرق على خير دون أن يضع لمسته المعكرة لصفو الأجواء  
الهادئة، طالع شرفة المنزل بأعين نارية متأججة، وبنظرات تحمل البغض

والحقد اللا محدود له ولعائلته، اعتبر المسألة أمرًا شخصيًا، تعديًا على ما يخصه، ولن يتركه هكذا.

وصل إلى مسامعه أنباء الخطبة، فالأخبار تتناقل في تلك المنطقة كما تنتشر النار في الهشيم، ترقب بأعصاب محترقة مجيء لحظته المناسبة لإفساد كل شيء، وقتله إن لزم الأمر.

شدد مجد من أصابعه القابضة على رأس تلك العصا الغليظة، ثم أخفض عينيه الحادثين ليلتفت برأسه نحو رجاله المرابطين خلفه هاتقًا فيهم بقوة متشنجة:

خالوهالي على الأرض!

رد عليه أحدهم بابتسامة عابثة:

أوامرك يا معلم مجد!

رفع الرجال عصيهم للأعلى ليهوا بعدها على سيارة منذر المرابطة أمام مدخل البناية محطمين الزجاج بأكملها، ومتعمدين تخريبها، دوى صوت التكسير عاليًا، فانتفض أغلب القاطنين بالمنطقة للشرفات وللطرق لرؤية ما يحدث، لكن لم يتحرك أحدهم قيد أنملة، فالمتسبب في الشجار هو ابن أبو النجا، البلطجي الشهير.

استند مجد بكفه على مقدمة السيارة ليصعد عليها بثقل جسده، وانتصب واقفًا عليها. أمسك بقبضتيه الغليظتين برأس عصاه، ورفعها عاليًا في الهواء، ثم

هوى بكل غضبه المكتوم بداخله على سقيتها ليحدث بها انبعاثًا قويًا، هلل  
رجاله بصياح مرتفع مظهرين حماسهم المفرطة لجرأته العنيفة، وزادوا من  
شراستهم.

.....

تعلمت بجاجة رضيعتها لتبديل حفاضها لتنأى بنفسها عن تلك الأجواء الخائفة  
لها، وولجت إلى داخل غرفتها كاظمة غيظها إلى أقصى حد، ألقتها بإهمال على  
الفراش ضاغطة على رأسها المشتعل بداخلها بيديها.  
سحبت نفسًا عميقًا، وزفرته على مهل محدثة نفسها بحق:  
دي مش النهاية أبدًا!

بكت الرضيعة رنا بصراخ حاد، فالتفتت ناحيتها محدقة فيها بنظرات جافة،  
اقتربت منها لتحملها على كتفها، وبدأت في إطعامها، وفجأة جذبتها تلك  
الأصوات الحامية بالخارج، فالتجهدت للشرفة لترى ما الأمر، اتسعت نظراتها  
فزعًا حينما رأت ما يحدث بسيارته، لوهلة تجمدت في مكانها مشدوهة، لكن  
سريعًا ما ارتخت ملامحها لتتشكل على ثغرها ابتسامة لثيمة.

همست لنفسها بمكر:

أحسن، خليها تولع!

زادت ابتسامتها حتى برزت نواجذها، وتابعت مستمتعة بنفسه عن غضبه  
حتى توقف عما يفعل لتلتقي نظراتها بأعينه الشرسة، رفعت يرمين حاجبها



للأعلى مبدية إعجابها به، ورمقها هو بنظرات قوية قائمة. ناوله أحد رجاله  
زجاجة مليئة بمواد مشتعلة، فرفعها أمامها قبل أن يقذفها بعنف بداخل  
السيارة لتطلق جذوة اشتعالها.

رأت ألسنة اللهب تتراقص ببراعة، فشعرت بارتياح رهيب، ها قد حقق ذلك  
البلطجي غرضها دون أن تبذل أدنى مجهود. تحركت بتهمل نحو الداخل،  
وأسندت رضيعتها على الفراش، ثم تعمدت تصنع العبوس والخوف، وهرولت  
ناحية غرفة الصالون صارخة بفزع زائف:

الحق يا سي منذر، الحق عربيتك!

انتبه لها متسائلاً باقتضاب:

خير في ايه؟

أشارت بيدها قائلة بنبرة مدعورة:

م... مجد ورجالته بيولعوا في العريية تحت!

حلت الصدمة على أوجه الجميع، وتباينت ردود أفعالهم؛ حيث هب منذر واقفاً  
من مكانه مردداً بصدمة واضحة:

مين!!

وضعت عواطف يدها على فمها كاتمة شهقة قوية، بينما برقت نظرات أسيف  
بهلع كبير.

تجمدت أنظار بسمة على وجه دياب الذي تحول لكتلة ملتهبة من الحمرة  
الغاضبة حينما هدر بصوته المتشنج:

-ابن ال.....، مش هاسيبوه! الظاهر نسي نفسه

انكش الصغير يحيى في نفسه، وضمته أروى بذراعيها. لطمت جليلة على  
صدرها متوجسة خيفة مما سيحدث، وصاحت بلا تردد محاولة منعها من  
الاشتباك معه:

-استنوا يا ولاد رايجين فين

اندفع منذر إلى خارج الغرفة صائحًا بصوت محتد:

-مش سايبه إلا لما أدفنه!

انطلق والده في إثره قائلاً بامتعاض:

-اهدى يا منذر، أنا هاتصرف!

لم يصغ إليه، بل واصل ركضه المتهور إلى الخارج، وتبعه أخيه بخطى سريعة.  
اتكأ طه على عكازه محاولاً اللحاق بهما قبل أن يتهور أحدهما في ذروة غضبها  
الأعمى، بينما تحركت النساء نحو الشرفة ليتابعوا منها ما يدور بالأسفل، وبقي  
الصغار بصحبتهم.

مالت عواطف على ابنتها هامسة لها:

-ولعتيها وارتاوتي

ردت عليها نيرمين بصوت خفيض وهي تحدجها بنظرات حادة للغاية:

-وأنا ذنبي ايه؟ ده كل المصايب جاية على وش البومة اللي هنا!

رمقتها والدتها بنظرات مزعوجة منها، وكتمت في نفسها غضبها منها كي لا  
تتسبب في إحراجها أمام ضيفتها.

التصق وجه الصغير يحيى وعمته أروى بحافة الشرفة مراقبين بانتباه شديد  
ذلك الشجار المحتد رغم عدم فهمها لتبعاته، لكنه فضول الصغار المتحمس  
دومًا لكل ما هو مفعم بالحركة والإثارة.

أطلت أسيف برأسها لتجده وسط رجاله متباهيًا بأفعاله المشينة، جذعت  
بخوف بائن حينما رأته مسلطًا أنظاره عليها، وكأنه يرسل لها رسالة صريحة عبر  
نظراته الشرسة لها أنه لن يتركها لحالها، رفع عصاه للأعلى مشيرًا نحوها، فقفز  
قلبا في قدميها من شدة الخوف، بدا الرعب واضحا في مقلتيها، شخصت  
أبصارها، وشحب لون بشرتها، ارتجفت رغما عنها، فتراجعت للخلف متجنبة  
نظراته المخيفة.

ارتطمت بابنة عمته الصغرى التي هتفت بضيق كبير:

خلي بالك يا أسيف!

التفتت ناحيتها ولم تجد من الكلمات البسيطة ما تقوله لها، تحركت بسمة بجزر  
بالغ لتقف إلى جوارها مجبرة إياها على العودة لحافة الشرفة من جديد لتنظر  
إليه مُكرهة.

هتفت من بين أسنانها بحنق:

-الحيوان ده عاوز يتربى! مفكرها ساوية

لم تسمع كلمة واحدة مما قالته، بل ظلت محاصرة في دائرة خوفها المذعور من ذلك الهمجي العنيف.

حركت جليلة رأسها بتوتر هاتفة بصوت خفيض متضرع وهي تبتلع ريقها:

-احمي يا رب ولادي، أنا مش ناقصة أخسر حد فيهم!

ارتفعت ألسنة اللهب في الهواء بعد تفحم أجزاء كبيرة من السيارة، وأصبح المشهد مهددًا للغاية.

في أقل من ثوانٍ معدودة دوى انفجار عنيف اهتزت له جميع البنايات المحيطة، ثم أعقبه أصوات صراخات مذعورة من الجميع، احتمت النساء والصغار بالداخل بعده، وأغلقت الشرفة متجنبين تلك الشظايا المتقاذفة، لكن لم تتحمل نيرمين الاختباء بالداخل دون متابعة مجريات الأمور فولجت سريعًا إليها.

.....

تجمدت أقدامهم قسرًا عند مدخل البناية بمجرد سماع صوت الانفجار، اضطروا للاحتماء للحظات ريثما تهدأ النيران المستعرة. انطلق منذر كالمغيب نحوه هادرًا بتهديد شرس:

-إنت حفرت قبرك بايدك يا ابن أبو النجا!

فتح له الأخير ذراعيه ليستقبله هاتفًا ببرود مستفز:

-وأنا مستنيك يا عريس، ماهو مش معقول ماوجش معاك الليلا دي!

ألقى مجد بعصاه في الهواء، واندفع كالثور الأهوج نحوه ليشتبك معه بالأيدي.  
تعالت الصيحات المهللة والمفروعة في نفس الوقت لتلاحمها، فالمشجرة حاليًا  
بين قطبي العائلتين.

كان دياب على وشك الانضمام إليه لكن شكل رجال مجد حائلًا ليمنعوه،  
وقيدوا حركته تمامًا، فأجبر على التشاجر معهم.

لم يجرؤ أحد على التدخل بينهم، فقط مراقبين متابعين لما ستؤول إليه الأمور  
في النهاية.

سدد منذر لكلمات عنيفة متتالية في فك غريمه ليطرحه أرضًا، فارتطم رأس  
الأخير بقوة بالأرضية الصلبة، لكن صوت ضحكاته المكررة تشير إلى استمتاعه  
بالأمر، هو أفسد عليه ليلته بنجاح بارع، وحولها إلى كارثة مأساوية.

جثى منذر فوقه منتويًا خنقه، لكن دفعه الأخير بركبته بضربة عنيفة ومباغثة  
أردته للخلف مترنحًا. استغل الفرصة لينهض من مكانه ثم انقض عليه  
كانقضاض الأسود ليلكمه أسفل معدته بشراسة، فانحنى بجذعه مجبرًا للأمام.

تأوه منذر بصوت مكتوم، وتحامل على نفسه ليرد له الضربة، لكنه لم ينتبه  
لذلك الجزير المعدني الذي قذف في الهواء ليمسك به خصمه، ويطوقه حول  
عنقه، جذبه مجد بيديه متعمدًا خنقه بكل ما أوتي من قوة، فعجز عن التنفس  
بسهولة، اصطبغ وجهه بجمرة مختنقة، وجاهد لنزع ذلك القيد الحديدي عنه  
عنقه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة.

رأته نيرمين من أعلى الشرفة، فحقق قلبها مفزوعًا عليه، هي أرادت التخلص  
منها، وليس منه، صرخت بلا وعي:  
سي منذر!

انتبه على إثر صراخها من هن بالداخل، فولج للشرفة دون تردد، تعالت  
صراخاتهن المذعورة حتى بح صوتهن، تجمدت أنظار أسيف المرتعدة على وجه  
منذر، شعرت بوخزة عنيفة في صدرها، بخوف كبير يحتاج كيانها.

تحركت رأسها بصورة هيستيرية محاولة البحث عن شيء ما لتستخدمه كوسيلة  
لتشتيت الانتباه، وقعت عينها على سلة (المشابك) الخشبية، فالت نحوها  
لتحملها، ثم قذفها بأقصة طاقتها في اتجاهه.

ارتطمت السلة برأس مجد بعنف قوي، فأرخی قبضتيه قليلاً عن الجزير متأثراً  
بقوة الضربة، اتجهت أبصاره للأعلى ليراها محدقة به بشراسة مشتعلة.

تلك اللحظة التي فقد فيها تركيزه أعطت الفرصة لمنذر ليتحرر من قيده  
المهلك، ودارت الدوائر، وتمكن من فرض سيطرته عليه، حيث طوق رأسه  
بذراعه، وأجبره على الانحناء، ثم هوى على رأسه بكلمات أشد عنفاً عن ذي  
قبل. أفرغ فيه ثروته المشحونة بداخله، وساعده على ذلك شحذه لهمته المنتوية  
إذاقته ما يستحق على مرأى ومسمع من الجميع.

لم يصمد مجد كثيراً بل تهاوى جسده من عنف الضربات والركلات. بدا شبه  
مغيب عن الوعي، وترنح جسده بقوة، طرحه منذر أرضاً، وانحنى ملتقطاً  
العصا عن الأرضية، ثم بكل شراسة ضربه في ساقيه مسبباً له ألماً مبرحاً،

صرخ الأخير متأثراً، ومع ذلك لم يرفق به، بل استمر في ضربه حتى خبت قوته وتخلد ذراعه نوعاً ما.

تفاجأ أتباع مجد بما حل برجلهم، ولم يكن يفيقوا من دهشتهم حتى حُصروا برجال عائلة حرب. تولوا هم مهمة ضربهم بوحشية حتى أسقطوهم أرضاً، ثم قاموا بسحلهم على الأرصفة الخشنة حتى تمزقت ثيابهم، وتقطعت جلودهم. هدر منذر صارخاً بقوة:

خلوهم عبرة لكل كلب فكر يجي على أسياده!

انخفضت أنظاره نحو مجد الغارق في دمائه ليضيف بقسوة:

-وال..... ده هايكون أولهم.....!!

.....

## الفصل الرابع والستون (الجزء الثاني):

أنقذته من موت محتوم بغريزتها التي تحركت فوراً، وأجبرتها على الإقدام على تلك الخطوة الشجاعة. فزع قلبها لرؤيته بين الحياة والموت، ففعلت ما استطاعت، ونجحت فكرتها رغم بساطتها، شعرت بتلك الأذرع تضمها بقوة

وكانها تحميتها، فقط لكونها تصرفت بجرأة من أجله، فتغيرت الأمور معها تمامًا،  
أدارت رأسها للجانب لتجد وجهها البشوش الباكي يشكرها بامتنان أم حنونة  
لمساعدتها لابنها البكري، كانت شبه واعية لما حولها، هي تصرفت برعونة  
هوجاء لكن أتت في النهاية بنتائج طيبة.

ربتت على كتفها جليلة قائلة بصوت متأثر:

-ربنا يكرمك يا بنتي، اتتي.. اتتي نجتيه!

-أنا.. معملتش حاجة!

قالتها أسيف بصوت متردد محاولة تبرير فعلتها الطبيعية.

وضعت عمتها هي الأخرى ذراعها حولها لتضمها قائلة:

-بنت أخويا طيبة وبنت حلال!

انزعجت نيرمين من انقلاب الوضع معها، وضافت نظراتها لتصبح أكثر حدة  
وغيطًا. هي أرادت التفريق بينها وبين عائلته، ولكن حدث العكس معها، بل  
لعب الحظ لعبته، وأصبحت محبوبتهم المفضلة. نغص هذا صدرها، وأصابها  
بالضجر الكبير، هتفت فجأة بنزق وقد انعقد ما بين حاجبيها بشدة:

-تعالوا نخش جوا أحسن، بدل ما تتحدف حاجة كده ولا كده!

اعترضت جليلة مرددة:

-مش قبل ما أطمئن على....



قاطعتها نيرمين يا صرار عابس:

يا لا يا خالتي، البركة في سي مندر، هو خلاص لم الليلة وبقت عنده!  
أومات برأسها مستسلمة، ثم وجهت أنظارها نحو أسيف لتتابع بابتسامة  
سعيدة:

-ياركلي فيكي يا عروسة ابني!

توردت وجنتي الأخيرة بنجل وهي تقول:

-شكراً!

.....

أقسم أن يجعله عبرة لمن لا يعتبر، أن يذيقه ما يستحق، أن يردعه للأبد كي  
لا يعاود النهوض من جديد ليطش في الضعفاء، وخاصة حبيبتيه، لن يلتفت  
لأي اتفاقات ودية أبرمت بين العائلتين من قبل، سينسى أي صلح سلمي  
بينهم، هم في كل مرة يخطئون وينقضون العهد، ثم يبدون ندمهم، ويعاود فاقد  
العقل الكرة ويخرب كل شيء.

أمسك به مندر من قدمه، ونظر له بأعين نارية ثم بصق في وجهه، وجرجره  
منها متعمداً سحل جسده بعنف على الأرضية القاسية.

أخرج مجد أينناً موجوعاً من فكه المحطم، ولم يجد من القوة ما يستطيع بها  
مقاومته. استمر هو في سحبه وركله حتى اكتفى منه، فانحنى عليه، وجذبه من

ياقته مجبراً إياه على النهوض، حذجه بنظرات أكثر شراسة، ثم سدد له لكمة عنيفة في وجهه، أعقبها ركلة أسفل بطنه، فخرجت صرخة موجعة منه. قبض منذر على عنقه بأظافره هادراً فيه ياهانة لاذعة:

انت لعبت مع الراجل الغلط يا ابن ال.....، ومكانك الطبيعي هو الزبالة!  
انحنى بجذعه للأسفل ليتمكن من حمله على كتفه، ثم دنا به نحو أقرب صندوق للقمامة، وألقاه بداخله ليقبع جسده وسط الفضلات والمخلفات. إهانة أخرى وأشد قسوة عن ذي قبل تلقاها مجد لتتضي نهائياً على سطوته الزائفة، وعلى هيئته المتعالية. أصبح مثل البقايا، ركماً فانية لا تصلح إلا للتخلص منها.

شهد العشرات بل المئات من قاطني المنطقة على تلك المذلة العلنية، إنها فضيحة مدوية بكل المقاييس، إعلان صريح عن إنتهاء عهد بلطجة ابن أبو النجا، تخطى الأمر حدود المقبول وتحولت الساحة إلى منطقة دامية تلاحم فيها الرجال بضراوة شرسة حتى بسطوا سيطرتهم بالكامل على أتباع عائلة أبو النجا، كما تعاون الجيران أيضاً معهم للتخلص منه، فأى فرصة ستكرر مثل تلك!؟

اندفع بعدها منذر برجاله ناحية مطعمهم لإغلاقه بالإكراه، انتهى عهد المصالحة والود، وعاد الأمر إلى سابق عهده قبل سنوات، إلى النزاع والشد والجذب، إلى المشاحنات والاقত্তال الدائم.

انطلق دياب ومعه عدد من الرجال نحو مداخل المنطقة ليقطعوا الطريق على مازن وأبيه قبل أن يأتيا لنجدته، وجلس على مقدمة إحدى السيارات مسندًا ساقه عليها، وهتف بصراصة مشددة:

مش عاوز غلّة تهوب من هنا، سامعين! الليلة وجبت يا رجالة!

انتشر رجاله سريعًا ليسدوا كافة الطرق المحتملة وهم مجهزين بالأسلحة البيضاء والخفيفة.

تابعهم دياب بأنظار متفاخرة، فاليوم ردت إلى العائلة هيبتها، وعادت الأمور إلى نصابها الصحيح.

.....

وقف مفعمًا بثورته الغاضبة أمام واجهة المطعم رافعًا ذراعه للأعلى، ثم هدر صائحًا:

-يتقفل نهائي، وتنزل يافطته على الأرض!

رد عليه أحدهم من الخلف بصوت متحشرح:

تمام يا ريس منذر!

تسابق الرجال فيما بينهم لإنزال لافتات المطعم بعد إخراج رواده منه، وحطموا أغلب الطاولات والديكورات، كما تناثرت أجزاء الصحون المهشمة على الأرضيات.

بعد عدة دقائق تحول المطعم إلى خرابة معتمة، وتم إققاله بنفس الجنازير الحديدية التي استخدمها أتباع مجد، نفض منذر يديه، ومسح حبات عرقه المتكونة على جبينه، ثم استدار عائداً من حيث أتى.

رفض الصعود إلى منزل عواطف كي لا تنفر أسيف من وجهه الملطخ بالدماء ولا ترعج من ثيابه الممزقة، أراد أن تظل صورته المنمقة، وملاحمه المهذبة هي الباقية في ذهنها، وتحديدًا في تلك الليلة. فأثر العودة إلى وكالته بهيئته تلك، وأوكل مهمة اصطحاب عائلته من هناك إلى أخيه الأصغر.

ولم يصعد هو أيضًا، وهاتف والدته لتحضر ابنه الصغير وأخته ليقابلهم بالمدخل.

تساءلت جليلة بتلهف وقد زاغت أنظارها:

-أخوك فين؟ حصله حاجة؟

-أجابها بهدوء:

-اطمني يامه، كلنا كويسين

-أومال هو فين؟

-راح مع الحاج على الوكالة!

-طب.. والزفت مجد، عملتوا معاه ايه و....

-انسيه خلاص، ويالا عشان أرجعكم البيت!

قالها دياب وهو يلقي سيجارته المشتعلة على الأرضية ليدهس عليها قبل أن  
يركب سيارته التي أحضرها لينطلق بهم نحو منزلهم.

.....

مرت تلك الليلة العصيبة ببطء شديد، لم يستطع فيها مهدي الوصول إلى ابنه  
الذي بقي ملقياً بداخل صندوق القمامة عاجزاً عن الحركة، أو حتى بلوغ  
المنطقة الشعبية لمعرفة ما الذي دار بمطعمه، حُصر عند الأطراف مع ابنه  
الأصغر قسراً حتى سمح لهما بالدخول.

اتجه مازن ناحية المطعم ليتفقدته، بينما توجه والده نحو الوكالة، فلديه هناك  
مهمة عويصة للغاية، نكس رأسه بخزي أمامه، ثم استطرد حديثه متسائلاً  
بنبرة ذليلة:

ليه كده بس يا حاج طه؟ ده احنا بينا عيش وملح!!

ضرب الأخير بعكازه بعنف على الأرضية صائحاً بغلظة:

-ابنك اللي ضيع كل حاجة! ده حرق عريية ابني، وكان ناقص يموته، لولا ستر  
ربنا!

برر مهدي فعلته قائلاً:

-هو مكاشش في وعيه، الهباب اللي يبشره آ....

قاطع طه هادراً بانفعال ملحوظ:

دي مش أول مرة، وأنا حذرتك قبل كده!

بس....

خلاص انتهى الكلام يا مهدي، لم حالك، وكفاية قلة قيمة لنفسك وارجع  
مطرح ما جيت!

أدرك لحظتها أنه لا أمل في أي تفاوض، حسم الأمر، وانتهى كل شيء،  
فجر جر أذيال خيبته إلى خارج الوكالة متحاملاً على نفسه، راقبه المارة  
بنظرات أسفة، فذلك الرجل الطيب لديه ابن من نسل الشيطان، وأخر لا  
يختلف عنه كثيراً.

تجمدت أنظاره على مطعمه المعتم، خفقان قوي في قلبه لمجرد رؤيته هكذا.  
ترقرقت العبرات في مقلتيه، وشعر بوخزة حادة في صدره، ألم رهيب اجتاحه  
بسبب إحساسه بضياح ما أفنى فيه سنوات عمره في لحظات وتحوله لهباء  
منثور.

اتتبه بفتور شارد لصوت مازن الصارخ بتشنج:

مش هابتقل، وربنا لأفتحه ولو طار فيها رقاب، مش احنا اللي هنطاطي  
ل...

قاطع صائحًا بصوت متحشرج:

-اسكت خالص! إنت وأخوك السبب، ضيعتوا شقا عمري كله بغباءكم، منكم  
لله، منكم لله!

أولاه ظهره ضاربًا كف بالأخر في تحسر واضح، فلحق به ابنه قائلاً بقلق:  
-استنى يا حاج!

نظر له شزرًا قبل أن يرد بحنق:

حسبي الله ونعم الوكيل!

سار خطوتين فقط للأمام، وانهار جسده المنهك على الأرضية الإسفلتية. لم  
يتحمل خسارته الكبيرة، وفع قلبه لتلك الكارثة، فتهوى مع ما تهوى من  
أملاك.

فزع مازن صارخًا:

-أبويا! حاج مهدي!

.....

استندت بظهرها على حافة الفراش متطلعة أمامها بنظرات شاردة، تكرر  
المشهد في مخيلتها، تلك القبضتين الشرستين تطبقان على عنقه، وهو أوشك  
على الاختناق. أغمضت أسيف عينيها سريعًا لتنفضه عن عقلها، هي لا تريد  
تذكر الأمر؛ لأن مجرد استعادة وجه مجد الشيطاني في ذاكرتها يزعجها بشدة.  
وضعت يدها على وجهها لتمسحه برفق، فشعرت بلمس صلب، رفعت كفها

أمام أنظارها لتحدق في ذلك الخاتم الرقيق الذي يزين إصبعها الأيمن،  
فابتسمت عفويًا.

راقبتها بسمة بنظرات متسلية وهي تستند بذراعها على باب الغرفة، هتفت  
فجأة بمرح:

-اللي واخذك عقلك

انتبهت لصوتها أسيف، فأخفضت يدها سريعًا ليظهر ارتباكها جليًا أمامها،  
وتسربت خيوط حمراء لوجنتها لتزيد من توردهما وهي ترد بنجل متلعثم:  
-ما فيش والله، ده أنا.. كنت بأريح شوية!

دنت منها لتجلس على الفراش، ثم غمزت لها قائلة بمكر:

عادي يا سوفي، من حقك تفكري في حامي الحمى عنتره بن شداد!

ضحكت أسيف لدعابتها الطريفة، وتابعت ابنة عمها قائلة:

هو برضوه جدع وشهم، وأديكي شوفتي بنفسك

أه فعلاً

عضت بسمة على شفتها السفلى، ومالت بجسدها للأمام قليلاً لتتساءل  
بنخوت:

بس ايه الحلاوة دي، متخيلتش أبدًا إنك تساعديه، لأ برافو عليك!

زاد حياؤها من مجرد ذكر شجاعتها الجريئة في موقف لحظي مؤقت.



استأنفت بسمه حديثها متابعة بمزاح:

دلوقتي هتبقى فرخة بكشك عند حماتك، على رأي نيرمين، ده سي منذر  
مش أي حد!

خلاص بقى

ده اتى مكسوفة خالص، لالا، دي حاجة جديدة!

بسمه، أنا بأتخرج والله!

ماشى، بس المهم إن اليوم كان حلو وعدى على خير

تهدت أسيف قاتلة بهدوء:

الحمد لله! وقريب هينتهي ده كله!

نظرت لها بسمه مطولاً ولم تعلق على عبارتها الأخيرة رغم تأكدها من مغزاها  
الصريح، لكنها تمت بين طيات نفسها أن تدوم تلك الخطبة وتتطور إلى زيجة  
حقيقية، فهي تستحق شخصاً مثله يعوضها عما فات.

.....

سحب مقعداً ليجلس هو الآخر بقرب والده، ثم دس في فمه خرطوم الأرجيلة  
مستنشقاً محتوياتها قبل أن يخرجها دفعة واحدة على هيئة دخان كثيف،  
أصدر دياب أوامره وشدد على الجميع بإنكار رؤية أي شيء مما حدث،  
والاكتماء فقط بترديد ما يريد، وهو هجوم بعض مثيري الشغب على المنطقة

للاشتباك مع الأهالي العزل، فاضطر الجميع للتدخل لمنعهم من التادي في الأمر، وإلحاق الأذى بالبسطاء.

فالعرف المتبع في تلك النوعية من الشجارات الحادة بين أقطاب العائلات القوية هو التستر التام على أسبابها وتبعاتها، وبالطبع لم يستطع رجال الشرطة التحقيق بأريحية في تلك المشاحنة العنيفة، أو حتى الحصول على معلومات مفيدة، ففي أنظارهم أغلب سكان المنطقة متورطين في الأمر، والمعلومات مبهمة ولا تشير إلى شخص بعينه، فتعثرت التحريات كثيراً.

تحسس دياب صدره قائلاً بجديّة:

-البوليس مالي الحتة، بس أنا ظبطت كل حاجة، ونهت على كل رجالتنا!

رد عليه طه باقتضاب جاد:

-أما نشوف هترسى على ايه!

أضاف منذر قائلاً بامتعاض:

كان نفسي أعلقه على باب الوكالة!

كركر دياب ضاحكاً من استعادة مشهد إلقاء مجد بمفرغ القمامة، وبصعوبة بالغة

سيطر على نفسه ليردد بعدها:

-ده انت كيفته يا منذر، وخليته مايسواش، ناقصه بس يلبس طرحة ويقعد

زي النسوان في البيت!

وقبل أن يفتح أخاه فمه ليتحدث هتف أحد العمال بالوكالة:

يا ريس مندر، البيه الضابط عاوز جانبك برا!  
 هب واقفاً من مكانه قائلاً بجدية مشيراً بعينه:  
 -ماشي، أنا طالعه!

تحرك بعدها على عجلة ليقف عند مدخل الوكالة حيث ينتظره عددًا من أفراد  
 الشرطة.

انتصب في وقفته متأملًا إياهم بنظرات قوية، وأردف قائلاً بهدوء:  
 -خير يا باشا!

استدار الضابط المسئول عن التحقيق في واقعة الاشتباك تلك بوجهه  
 ناحيته، ونظر له بتفرس وهو يتساءل بجمود:

-انت مندر حرب؟

أوما الأخير برأسه بالإيجاب هاتقًا:

-ايوه!

رمقه الضابط بنظرات مدققة في الجروح والكدمات البارزة على وجهه وهو  
 يتساءل بقوة:

فهمني ايه اللي حصل؟

رد عليه مندر بنبرة عقلانية متريثة:

خناقة يا باشا زي أي خناقة، شوية بلطجية حبوا يعملوا رجالة علينا، فاحنا  
مخلصناش قلة الأدب بتاعتهم، وكل شباب الحتة اتلموا وروقوهم، وفجأة فص  
ملح وداب، مش عارفين راحوا فين!

لم يقتنع الضابط بحرف واحد مما قاله، وصاح مستنكراً:

يا سلام، بالبساطة دي!

التوى ثغر منذر للجانب مردداً بتفاخر صريح:

اه، احنا أسود يا باشا!

تدخل ضابط آخر في الحوار كان قد التقاه مسبقاً أثناء التحقيق في واقعة  
حادث بسمه مضيئاً:

أنا عارفه يا باشا، سيبنى أكمل معاه!

استدار الضابط الأول في اتجاهه قائلاً بامتعاض:

-اتفضل يا فندم

ابتسم منذر صائحاً بحماس:

معالي الباشا، منور الوكالة!

استطرد الضابط حديثه بجدية وهو يحك عنقه:

شوف يا منذر كل اللي قولته، واللي أهالي الحتة بيقلوه مايدخلش دماغى  
بتعريفه، اللي حصل غير كده خالص، وأنا متأكد من ده، بس ماشي هانعديها

بمزاينا، لكن تحذير مني ليك، أنا حاطط عيني عليك إنت بالذات، وأي غلطة جاية هايكون حسابها عسير أوي!

رد عليه منذر بثقة متعمداً العبوس بوجهه وهو يرفع كفيه أمامه:

-ربنا ما يوقعنا في الغلط يا باشا، احنا ماشيين جنب الحيط

أشار الضابط بسبابته وكأنه قد تذكر شيئاً ما، فتابع متسائلاً بجدية:

اه بالمناسبة، جارتكم ولا قريبكم اللي اتخبطت بالعربية، هي ليها عداوة سابقة مع حد؟

لا، ليه؟

-عموماً هانشوف!

توتر دياب من بقاء أخيه بالخارج لبرهة، فخرج في إثره ليتابع التحقيق معه، لكنه بقي في الخلف واضعاً كفيه بداخل جيبي بنطاله الرمادي، لكن تبلدت حواسه كلياً وتحفزت على الأخير حينما التقطت أذناه تلك العبارة الأخيرة التي تخص معشوقته.

أخرج قبضتيه من جيبيه، واندفع نحو الضابط متسائلاً بنزق:

طمننا يا باشا، في حاجة عرفتها تخصها؟

نظر له الضابط بازدراء قليل وهو يرد عليه بتساؤل جاد:

-وانت مين انت كمان؟

أجابه دياب بتعصب قليل:

-أنا..

وضع منذر يده على كتف أخيه ضاغظًا عليه بقوة ليجبره على قطم عبارته،

ورد هو قائلاً بابتسامة باهتة:

ده أخويا الصغير يا باشا!

سلط أنظاره عليه ليحذره من الحديث، وتابع متسائلاً بحذر:

-حصل حاجة تانية؟ عرفتوا اللي عملها؟ ولا...؟؟

أجابه الضابط مرددًا:

-واحنا بنفرغ محتويات كاميرات المراقبة لاحظنا واحد مراقب الطريق من على

الناصية وجبه حد تاني، المخبرين اتحروا عنه، وعرفنا إنه عنده محل جزارة هنا

في الحتة

كظم دياب حنقه المشتعل في نفسه هامسًا بصوت محتد وهو يركز على

أسنانه بقوة عنيفة:

جزار ال.....، ابن الحرام!

أضاف الضابط بجدية:

-وفي محاضر بينهم ومشادات وآ....

قاطعہ مندر موضحًا بجذر:

يا باشا دي خلافت عادية، انت عارف موضوع البهايم والدوشة، كلنا  
بنتخق من الريجة والصوت!

رد الضابط بعدم اقتناع:

عامّة هي هايم استدعائها للتحقيق وهاتفهم منها أكثر طبيعة الخلافات، لأنه  
جائز يكون متورط في الموضوع!

هز رأسه متفهّمًا:

ماشى يا باشا، اللي تشوفه

قبض مندر على ذراع أخيه أكثر، واستدار بجسده ليشكل حائلًا أمامه قبل  
أن يندفع ويفعل بتهور ما لا يحمد عقباه، سمع صرير احتكاك أسنانه وهو يردد  
بسباب قاسين:

-ابن ال.....!

حذره قائلاً بصوت خفيض:

-امسك نفسك يا دياب!

-ال..... ده أكيد وراها، وربنا ما أنا راحه، هاجيب مسارينه على الأرض!

هايحصل بس بالعقل، الشرطة مفتحة عينها علينا أوي، اركز!

-مش هافوتها! هاموته!

ذرعت الصالة جيئة وذهابًا منتظرة عودة ابنها من الخارج لتسرد له ما فعلته  
 طليقته الشمطاء معها ومع أخته في حضور خطيبها عند محل الصائغ، وبالطبع  
 لم يخلو حديثها من الكلمات النابية، ولا من الوصف الجارح.

وضعت لبني يدها على كتفه صارخة بعصبية:

-لازم تشوفك صرفة، دي كانت هتخرب الجوازة على أختك

فرك طرف ذقنه مرددًا بفتور:

حاضر، هافكر!

اغتاظت من أسلوبه البارد في التعامل مع الموقف، وكأنه لا يعنيه، فصاحت  
 بجدة مهددة إياه:

-لأ ماتفكرش، إنت تاخذ حقي وحق أختك وإلا لا انت ابني ولا أنا أعرفك،  
 هاتبرى منك وآ.....

قاطعها حاتم هاتفًا بتبرم:

حاضر يا أمي، قولتك هاتصرف، اهدي عليا بس!

أمسكت والدته بأطراف خصلاتها المتدللية من حجاب رأسها المنزلي، وهزتهم  
 بعنف مواصلة وعيدها الشرس:

-بنت ال.....، مفكرة هاعديهاها بالساهل! وحية مقاصصي دول لهوريها

نيرمين الكلب!



احتضنته بقوة بعد عودته سالماً إلى المنزل، فلم يسعها الوقت لرؤيته بعد انتهاء المشاجرة. ظل عقلها مشغولاً عليه، إلى أن عاد إليها، ضمت وجهه براحتها، وحدقت فيه بأعين لامعة للغاية، انحنى منذر على رأس والدته ليقبلها قائلاً:

-أنا كويس يا أمي، اطمني عليا

ربتت على ظهره قائلة بحنو:

-ربنا ما يضرني فيك أبداً

يا رب

لف ذراعه حول كتفها، وسار معها يتمهل نحو غرفته، تابعت جليلة حديثها الحماسي قائلة:

لولا كرم ربنا، وخطيبتك أسيف الله أعلم كان ها يحصل ايه!

تهدت بعمق لتضيف:

الحمد لله يا رب

بدت تعابيره غريبة إلى حد ما، وانتابه الفضول لمعرفة سبب تلك العبارة الغامضة، فتساءل مهتماً وقد رفع حاجبه للأعلى:

-وايه علاقة أسيف بالحناقة؟

أجابته بلا تردد:

ماهي يا بني حذفت على اللي ما يتسمى سبت المشابك عشان تلبخه،  
خافت عليك يجراك حاجة!

حذق منذر في وجه والدته بنظرات شاردة سارحًا بأفكاره في صورتها التي  
غزت عقله بالكامل، لم يطرأ بباله مطلقًا أن تكون هي سبب نجاته، أن تتلف  
عليه بل وتجازف من أجله.

رمقته جليلة بنظرات متعجبة، فقد كان كالمغيب وهي تحدته عنها، لكن تحولت  
تعايرها للارتخاء عند رأت تلك الابتسامة الصغيرة تتشكل على ثغره، وما  
أكد صدق حدسها من وجود مشاعر ما نحوه لها هو ذلك اللمعان البائن في  
عينيه.

ابتسمت له قائلة بهدوء:

-ربنا يسعدك معاها يا بني ويتملكم على خير، أنا صحيح في الأول مكوتش  
مبسوطة من الخطوبة دي، بس .. بس جايز أكون ظلمها، و..

انتبه منذر لحديثها فقاطعها مبتسمًا:

-سيبك من اللي فات يا ست الكل!

-أنا اللي مخوفني منها موضوع الأعمال والسحر و...

-تاني، ما أنا قولتلك مالهاش في الحركات دي!

-ده أنا شوفت بعيني، ولولا إن نيرمين نهتني كان زمانى.....

تعقدت قسما ت وجهه للغاية بعد ذكر اسم تلك السمجة، أحس بوجود شيء مريب بالمسألة، فتساءل بعبوس:

نيرمين! ثواني يامه، مالها بالظبط بأسيف؟!!

أخذت والدته نفسًا عميقًا، ثم لفظته على مهل وهي تقول:

الحكاية وما فيها إن ..... !!

.....

## الفصل الخامس والستون:

سردت له بالتفصيل ما له علاقة باكتشاف وجود (حجاب) ما أسفل فراشه أثناء مكوث أسيف وعمتها بغرفته، وكيف فرغت هي من مجرد التفكير في حدوث الأسوأ له بمجرد رؤيته، وتوجسها من كونه مرتبط بالسحر والأعمال السفلية، وتأكد نيرمين لها صحة ذلك الأمر.

نظر لها منذر بامتعاض مستنكرا تفكيرها الساذج والمحدود، ثم هتف من بين أسنانه بجنق واضح:

-بقي تصدقي التخاريف دي يامه، لأ ومن مين من البت دي؟!!

زمت شفيتها مبررة:

-كنت هاعمل ايه طيب؟ أنا لاقيته تحت فرشتك وخوفت لـ....

قاطعها هاتفاً بعتاب:

يا حاجة جليلة، ده اتتي زرتي بيت ربنا، وعارفة إن ده اسمه كفر، هاقول ايه  
بس! مش عارف أرد عليكي!

ربتت على كتفه مرددة بجذر:

-اهدى بس يا بني، أنا مكانش قصدي، بس هاعمل ايه خايفة عليك انت  
وأخوك، و...

رفع منذر كف يده أمام وجهها مقاطعاً بانفعال:

ده مش خوف يا أمي، وبعدين إيش حال أنا اللي جايها يايدي من دكانها،  
وجرتها بالعافية لحد هنا، لحقت تجيب أعمال امتي؟ مخاوية مثلاً؟

انفجرت شفتها بذهول مما قاله، هي لم تنتبه لتلك الجزئية من قبل، وانشغلت  
بالتفكير فقط في كونها وجدت ذلك الحجاب.

تابع منذر حديثه بصرامة:

-شوفي! من الآخر كده، اتتي ظلمتي أسيف، وهي لا بتاعت أعمال سفلية  
ولا حتى علوية!

أخفض والدته نظراتها حرجاً منه، فقد أخطأت في حقها، بينما استأنف حديثه  
مردداً بسخط:

-الدور والباقي على قريبتها، دي محور شر متحرك!

دافعت عنها قائلة بحزن قليل:

-والله دي نيرمين غلبانة وتتخط على الجرح يطيب، الظروف بس اللي  
معاندة معاها!

عقد ما بين حاجيه صائحًا بتهكم:

-دي حقنة! بلاش الله يكرمك الكلام ده عنها لأحسن أنا دي بيغور لما  
بتيجي سيرتها!

أومات جليلة برأسها متفهمة، فلم ترغب في إثارة أعصابه بحديثها الغير مجدي  
عنها، تحرك هو خطوتين للأمام مرددًا بين جنبات نفسه بوعيد جاد:  
بس أنا بقي هاتصرف معاها! وبالعقل!

.....

لم يستطع كبح جماح غضبه بعد معرفته بتورط الجزائر في تدبير حادث السير  
الخاص بحبيته، فشل في ضبط انفعالاته وفي السيطرة على نوبة الهياج  
العصبي التي تملكته منه، انتظر على أحر من الجمر انصراف والده وأخيه  
لينطلق بعدها في اتجاه محل الجزارة.

سلط أنظاره عليه حتى كاد يحرقه بتحديثه الشرس فيه، لمح أحد العمال  
بالداخل، فاقرب منه متسائلًا:

خير يا سي دياب؟ تؤمرنا بحاجة!

تجمدت أنظار الأخير على وجه العامل، ورد عليه بغموض مقلق:

فين الكلب اللي مشغلك؟

فغر العامل شفثيه مندهشًا من تلك الإهانة الصريحة الموجهة لرب عمله،

فصاح به دياب مجددًا بنبرة أشد غلظة وصرامة وقد برزت عروق وجهه

النابضة:

-سمعتني

ارتجف العامل وهو يجيبه:

المعلم روح من بدري!

أشار له دياب بسبابته متابعًا بصوت هادر:

تتصل بيه وتقوله يجي دلوقتي بدل ما يلاقي الهلومة دي كلها كومة فحم!

هز رأسه بالإيجاب وهو يردد بخنوع:

أوامرك يا سي دياب!

وضع كفيه على منتصف خصره مثبتًا أنظاره على اسم الجزارة، كانت عيناه

تطلقان شرًا مخيفًا، لكنه أقسم ألا يجعله يهنأ أبدًا في ليلته، سيديقه من

الآلام ما يروي عطشه.

.....

مكث في مكانه لفترة لم يتحرك فيها قيد أنملة مترقباً حضوره، وما إن رأى مقبلاً عليه حتى زاد شموخاً وقوة، دنا منه الجزار متسائلاً بتوجس:  
خير يا كبير الناس؟

لم يعلق عليه دياب بل استمر في حدجه بنظراته القاسية المنذرة بكل شر، ازدرد الجزار ريقه محاولاً الترحيب به، فهتف بود مصطنع:  
ده المحل نور، وربنا لو أعرف إنك جاي كنت....

أجبره على قطم عبارته بصفعه بشراسة على صدغه لاعتنا إياه بكلمات حادة:  
اخرس يا.....، يا ابن.....!

وضع الجزار يده على وجهه متألماً بشدة، وسأله باندهاش عجيب:  
ليه كده بس؟ ده أنا.....

سدده له لكمة قوية في فكه لينعه عن الكلام وهو يقول بعصبية متشنجة:  
انت وقعت معايا!

قبض عليه من عنقه محكماً أصابعه عليه، ثم هزه بعنف قبل أن يطرحه أرضاً بتلك الركلة القوية في ركبته، جثى فوقه، وجذبه من خصلات شعره وهو يضرب مؤخرتها بالأرضية.

صفعه مرة أخرى متعمداً لإيلامه أكثر وهو يقول:

مش أنا منبه عليك قبل كده ملاكش دعوة بنت الحاجة عواطف؟

رد عليه الجزار بصوت مختنق وهو يبصق دمًا من بين أسنانه:

هو أنا جيت جمبها أصلاً

استشاطت نظراته أكثر، وباغته بضربة موجعة في عنقه صارخًا فيه بنبرة مغلولة:

أكثر حاجة بأكرهها هي الكذب، موتي وسمي اللي يحور عليا، وإنت كداب!

سعل الجزار بشدة محاولاً التقاط أنفاسه، فقد اختنقت أحباله الصوتية بفعل قوة الضربة، وانزلق ريقه في قصبته الهوائية فسبب له اختناقًا مؤقتًا، لم يكثر له دياب أو يظهر نحوه أي نوع من الشفقة، بل زادت شراسته هادرًا:

بس قبل ما تاخذ الحكومة حقها، فيه حساب أولاني؛ حساب دياب حرب!

قفز قلبه في قدميه من نظراته الخيفة، وتيقن أنه وقع في مأزق كبير، لذلك توسله باستعطاف عله يرأف به:

خلاص يا ريس دياب، أنا مستعد اعمل اللي توأمري بي....

وضع دياب يده على فمه ليكمه، واقترب منه برأسه ليحدق فيه بنظراته المتوهجة بغضبها، كز على أسنانه هامسًا بنبرة عدائية:

وقت التوبة خلص، ودلوقتي جه وقت الحساب!

كال له من الضربات الموجعة ما أنهك به جسد الأخير، وجعل عظامه تتحطم، ثم نهض عنه ليجذبه بعنف من رقده، جرحه من عنقه ناحية



الخشبة المخصصة لتقطيع اللحوم -أو ما يعرف عنها بالمصطلح الشعبي الدارج  
"أورمة"- ليضع رأسه عليها.

شهق الجزار مذعورًا حينما التصقت رأسه بها، وتخيل أبشع ما يمكن أن يحدث  
له، ثبته دياب جيدًا، وانحنى برأسه عليه ليهمس له متسائلًا:  
-تفتكر هاعمل فيك ايه؟

امتزجت الدماء بلعابه السائل، وخرجت منه فمه بغزارة لتزحف أسفل وجهه  
وهو يتوسله:

توبت يا سي دياب! أنا محقوقك!

ضغط الأخير أكثر بكوعه على فقرات عنقه مسببًا له ألمًا موجدًا، ومد يده  
الأخرى ليسحب "الساطور" قائلًا:

-اللي زيك لازم يتعلم عليه زي البهايم بالضبط!

قرب نصل الساطور القاطع من عنقه ليشعره بوخزه الحاد، فصرخ الجزار باكيا:  
-ماتموتنيش! حقك عليا، جزمتك على راسي، بس ماتدبجنيش، ده أنا عندي  
عيال و....

قاطعه قائلًا بصرامة:

-اسكت! مش عاوز أسمع حسك!

استشعر والده وجود خطب ما به، خاصة حينما صارت تعابير وجهه مشدودة للغاية، وتحولت نظراته للاحمرار، فادعى انصرافه ليراقبه من على بعد لكي يعرف ما الذي ينتويه، وصدق حدسه، فرأه مقبلاً على محل الجزارة عاقداً العزم على ارتباك شيء متهور.

صاح طه بصوت جهوري صارم وهو يضرب بعكازه الأرضية:  
دياب!

توقف عما يفعل ليلتفت برأسه نحو أبيه الذي كان يرمقه بنظرات نارية محذرة،  
أكمل قائلاً بصلافة:

سيه لحاله

احقنت نبرته وهو يرد:

مش هاينفع يا حاج، انت مش عارف ده...

قاطعته والده بجمود صارم ضارباً بعكازه الأرضية:

دياب هي كلمة! سيه وتعالى عندي!

أحس الجزارة بالقليل من الأمان لوجوده، بأنه سيحول دون حدوث الأفظع له، فهمس متوسلاً بصوته المبحوح المختنق:

الله يكرمك يا حاج طه، أنا واقع في عرضك، خليه يرحمني!

أوماً طه بعينه متابعاً بصرامة:

تعالى ورايا يا دياب!

على مضض كبير اضطر أن يرضخ لأمر أبيه، فتراجع عن الجزار، لكن قبل أن يحرره من قيده ركله بعنف مؤلم في جانبه، وطرحه أرضاً ليضربه بقسوة مرة أخرى، بصق فوقه باشمزاز واضح، ثم هدر هاتفاً:

حظك إن الحاج ظهر!

تكور الجزار على نفسه مخرجاً أئيناً مكتوماً من جوفه، وبكى لنجاته من برائنه، لقد كتبت له الحياة من جديد.

.....

اتجه به نحو وكالته لينفرد في حديثه معه، هو أوشك على اعتراف جرم ما بسبب اندفاعه الأعمى، ولولا مشيئة الرحمن وتدخله في الوقت المناسب لربما تحول الأمر إلى مذبحه جديدة.

لكزه طه في كتفه صائحا:

ممكن تفهمني ايه الجنان ده؟

ضغط دياب على شفتيه كاتما حنقه في صدره وهو يرد:

خلاص يا حاج

لوح والده بيده أمامه متابعًا بجدة:

-بأقولك الحتة في حكومة ولبش وقلق، وانت زي التور الهايچ رايح تهجم على  
الجزار وتدبجه!

برر له موقفه بتجهم شرس:

ليه تار معايا، وكان لازم أخلصه!

عنفه طه بجدة:

أخوك مش منبه عليك؟

لوى ثغره للجانب مبديًا عدم اقتناعه، فاستأنف والده قائلاً:

-الله أعلم كان ممكن يحصل ايه لو ماجتش في الوقت المناسب!

وضع دياب يده على رأسه ليمررها في خصلاته هاتقًا بامتعاض:

يا أبا ده....

قاطعته مشيرًا بنظراته الصارمة:

-ولا كلمة، قدامي على البيت، ماشبعتش دم النهاردة!

لم يستطع إضافة المزيد، فصرامة أبيه غير قابلة للنقاش أو المجادلة، ولكن على

أقل تقدير أفرغ به جزءًا من ثورته المشحونة.

.....

تمدد على فراشه محققاً في سقفة الغرفة شاردًا في طيف وجهها المشكل عليه،  
شبك كفيه خلف مؤخرة رأسه، والتوى فمه مبرزًا ابتسامته عذبة عليه وهو  
يستعيد في ذاكرته نجلها ورقتها المحببة إليه، أخرج من صدره تهيدة عميقة  
حينما تردد في أذنيه صدى كلمات والدته بأنها من قد أقدمت بلا تفكير على  
مساعدته.

أرخی ساعديه ليلتف بجسده على الجانب، ثم رفع نصب عينيه خاتم خطبته  
ليشرد فيه مطولاً، زادت ابتسامته اتساعاً وهو يهمس لنفسه بثقة:

استحالة أنني الخطوبة دي إلا بجواز إن شاء الله!

.....

هدأت الأوضاع إلى حد ما بعد مشاجرة الأمس العنيفة، والتي ظل الجميع  
يتناقل أخبارها حتى الساعات الأولى من الصباح، بالطبع وصل إلى مسامع  
قاطني المنطقة إصابة مهدي بأزمة قلبية ونقله للمشفى متأثراً بما حدث، حزنوا  
على مصابه، لكن لم يشفق أي أحد على ابنه، فالاثنان يستحقان ذلك الجزاء  
القاسي.

جمعت الثياب الجافة من على المنشر متأملة الطريق بالأسفل بنظرات فاترة،  
لكن سريعاً ما ارتفع حاجباها للأعلى حينما رآته يلوح لها، تلفتت حولها بنجل  
بائن، وابتلعت ريقها بتوتر رهيب، أحقاً يشير لها علناً؟

عبس وجه أسيف بشدة لتصرف منذر الجريء هكذا، فتراجعت محتبئة  
للخلف متحاشية النظر إليه، لكنه على عكسها ظل في مكانه يبتسم لها  
ياشراق، جمعت ما استطاعت من ثياب معًا دون طيها، واستدارت عائدة  
للدخل متممة بكلمات مبهمة.

فرك منذر مؤخرة عنقه باستمتاع ثم أكمل سيره نحو مدخل بنايتها، فيومه يبدأ  
بها، ويستمر معها.

توقعت أن يطرق الباب، فأسرعت بالاختباء في الغرفة متجنبنة الالتقاء به،  
وحدث ما توقعته، سمعت قرع الجرس، فانتفضت في مكانها بتوتر ملحوظ، لا  
تعرف ما الذي أصابها لتصاب بتلك الحالة من الاضطراب، هي عادة لا تهتم  
به، لكن نبضات قلبها المتسارعة تحذرها من شيء ما تخشى الإقدام عليه،  
شعرت بأنفاسها تتلاحق، فتنفست بعمق لتضبطهم، أتاها صوت عمتهما  
المرحب به عاليًا، وما هي إلا لحظات حتى ولجت إليها قائلة:  
خطيبك برا يا أسيف، اجهزي يا حبيبتى عشان تشوفيه  
زفرت قائلة بانزعاج:

-أولاً مش خطيبى، اتى عارفة يا عمى إنها تمثيلية أى كلام، وثانياً بقى أنا  
مش طالعة!

ضربت عواطف صدرها بيدها مستنكرة رفضها الصارم وهي تقول:

-يعنى الراجل ييجى لحد عندنا ونطرده؟!!

هزت كتفها بعناد:

-ماليش دعوة، اتصرفي معاه!

-مايصحش يا بنتي، يقول علينا بس ايه؟ دي عيبة كبيرة أوي

ردت أسيف مبررة بعصبية طفيفة:

-هو فاهم كويس إني مش بتاعة الحركات دي، بس قاصد يجرجني!

دافعت عمتها عنه هاتفة:

-هو لحق عمل حاجة، ده احنا لسه بنقول يا هادي، وبعدين....

قاطعتها بإصرار:

-بلاش يا عمتي تضغطي عليا

-لا حول ولا قوة إلا بالله! اطلعي المرادي وفهميه ده بنفسك! أنا مش هادخل

بينكم

-بقي كده!

ابتسمت لها قائلة بمكر:

-ايوه، انتو أحرار مع بعض!

.....

على الجانب الآخر، أسرع نيرمين بارتداء عباءتها الجديدة لتظهر أمامه في أحلى صورها، فإن خسرت جولة معه، لا يعني هذا خسارتها للمعركة برمتها،

مازال لديها من الفرص ما يمكنها من استعادته، دلفت إلى غرفة الضيوف وعلى ثغرها ابتسامة عريضة، ثم انحنى واضعة صينية المشروب البارد والحلوى على الطاولة لتعتدل بعدها في وقفها رامية إياه بنظرات مشرقة، نظر لها منذر بتأفف واضح، وتعمد إظهار امتعاضه منها، أقبلت عليه لتجلس على الأريكة المجاورة له، ثم أمسكت بطرف كم عباءتها تعبت به وهي تستطرد حديثها:

-ازيك يا سي منذر؟ عامل ايه دلوقتي؟

عبست بوجهها لتظهر حزنها بسبب آثار الكدمات الواضحة على قسماته، ثم تمايعت بجسدها مضيئة:

-والله قطع في قلبي اللي حصلك، ده أنا كنت خايفة عليك موت من الجبان مجد، بس طول عمرك راجل يا سي منذر، مخدش في ايدك غلوة!

أرجع ظهره للخلف ليرمقها بنظرات جامدة، لم يحرك شفثيه لينطق بكلمة، فقط نفور واضح على تعابيره، تهدت بصوت مسموع وهي تقول:

-مش تمد ايدك يا سي منذر، ده عصير طازة عملاه بايدي!

نظر لها باحتقار قائلاً بتمهل:

-مش جايز تكوني حاطة فيه عمل من بتوعك؟



اتسعت حدقتها سريعاً، وشهقت مصدومة من رده المباغت الذي كان متعمداً ليكشفها أمامه، شحب وجهها إلى حد ما، وحاولت لملمة نفسها، فخرج صوتها متردداً:

-أعمال ايه بس يا سي مندر؟ ده.. ده.....

انتصب في جلسته محدجاً إياها بنظرات أشد قسوة وهو يقاطعها محذراً بسبابته:

-أحسنك تبعدي عن سكتي، وبلاش تلعي في دماغ أمي بهبك لأني فاهمه كويس، وبأحدرك تاني زعلي وحش!

ارتعد جسدها من نبرته المهددة، واستشعرت قوة انتقامه إن استخفت به، انكشيت على نفسها في جلستها، لكنه صاح بها بصرامة:

-امشي اطلعي برا، أنا جاي أقعد مع خطيبي مش معاك!

حطم أمالها تماماً ليغلق الطريق نهائياً أمام محاولاتها البائسة للتودد إليه، هبت واقفة من مكانها ناظرة إليه بغيظ بائن، واكتسى وجهها بحمرة غاضبة من اساءته لها، ضغطت على أصابعها بقوة مكورة إياهم بحنق حتى كادت تخترق أظافرها راحتها، ثم استدارت مهرولة من الغرفة كاتمة عبراتها بصعوبة.

شعر بالارتياح لتخلصه منها، ونفخ بعمق مخرجاً من صدره زفيراً مزعوجاً منها، تراجع في جلسته منتظراً بتلهف ولوجها إليه، وسريعاً ما تبدلت نظراته للإشراق، وتشكلت ابتسامة هادئة على ثغره حيناً رآها مقبلة عليه، بجرح بائن عليها دخلت الغرفة منتقية أبعد أريكة لتجلس عليها.

نظر لها مدهوشًا من تصرفها العجيب، ثم وضع إصبعيه على طرف ذقنه  
مداعبًا بمرح:

على فكرة في كنبه برا أوسع وأريح!

سيطرت بصعوبة واضحة على ابتسامة تتقاتل معها للظهور على شفيتها، زمت  
شفيتها قائلة بعبوس:

-أستاذ منذر، احنا اتفقنا إن الخطوبة دي صوري، يعني ما فيش داعي للي  
بتعمله، أظن كلامي واضح

رد عليها بنبرة غير مبالية وهو يشير بيده:

-أنا مش سامعك على فكرة، الصوت مش واصل!

قطبت جبينها محدقة فيها بنظرات جادة وهي تقول:

-لأ، انت سامعني كويس، بس بتستع.....

عجزت عن إتمام جملتها حينما رأت نظراته المحذرة من التناول عليه بأي لفظ لا  
يليق، فعضت على شفها السفلى بارتباك.

أخذ منذر نفسًا طويلًا لفظه على مهل ليرد بهدوء:

-شوفي يا ست البنات، طبيعي تلاقيني عندك كل شوية، لأن الاتفاق بينا  
لسه مخلصش.....!!

.....

## الفصل السادس والستون:

حافظت على تلك المسافة الكبيرة بينهما، متعمدة الظهور بمظهر جدي أمامه، ورغم ما تفعله من مكابرة وعند إلا أنه كان هادئ الطباع متأملاً إياها بتمعن، شددت من كتفها لتعتدل في جلستها، ثم أدارت رأسها بخفة ناحيته متابعة بتشنج قليل:

حضرتك الاتفاق هينتهي بمجرد ما نروح بيتي!

ضاقت نظراته حتى بدت مزعوجة من عزمها على إنهاء الخطبة نهائياً، وما زاد من ضيقه هو تعاملها الرسمي معه، وكأنه شخص غريب، تتم باستنكار قليل:

-ممم.. حضرتي!!!

تابعت قائلة بعصبية واضحة وهي ترمقه بنظرات حادة:

-بيتي اللي في البلد، أظنك فكره؟ ده سبب الاتفاق من الأول، ولحد دلوقتي أنا معرفش حاجة عنه، ولا روحنا ولا.....

أزعجه تلميحتها الصريح لكونه متقاعساً عن تأدية مهمته، مع أنه يبذل ما في وسعه لراحتها وإسعادها، لذلك هتف مقاطعاً بنبرة جادة رغم ضيقه الواضح على تعابيره:

-وأنا متأخرتش، بس أكيد إتي شايفة الظروف عندكم كانت عاملة ازاي؟ وإلا  
كان هيتقال عننا كلام بايخ! ده غير اللي حصل امبارح!  
ردت بتجهم:

-ايوه، والظروف دي انتهت والحمدلله!

نظر لها بجمود، بوجه غير مقروء التعبيرات، متعجبًا من طريقتها، كيف يعقل  
أن تكون هي من عاونتته في شدته بالأمس؟ وفي نفس الوقت ترغب في إنهاء  
ما بينهما في أقرب وقت؟ عبست نظراته، واكتسى وجهه بالحزن لمجرد التفكير  
في الأمر.

سلطت أسيف أنظارها عليه متسائلة بقلق:

-مممكن بقى نحدد ميعاد نروح هناك؟

صمت ولم يعقب عليها، هي تتعمد التعجيل بإنهاء كل شيء قبل أن يشرع في  
إشعارها بما يحسه نحوها، تريد أن تحمد جذوة حبه قبل أن يصرح بها،  
واصلت حديثها المنفعل حينما طال سكوته المريب:

لو سمحت رد عليا، أنا أعصابي متوترة، وييتي معرفش إن كان اتحرق ولا دي  
كدبة من خالي، ومحدش حاسس بالحيرة اللي جوايا ولا بالقلق و...

هب واقفًا فجأة من مكانه ليرد بصلاية تليق به:

حاضر، جهزي نفسك وهنتوكل على الله بكرة، بس الأول لازم أسلمك  
حقك!

ارتجفت لوهلة من تصلبه، ورفعت أنظارها عاليًا لتحقق فيه مرددة بذهول:

حقي؟

دنا منها قائلاً بضيق:

-ايوه، بقية اتفارقنا!

نظرت له بتفرس متأمة تلك الخدوش وأثار الكدمات الواضحة عليه، لم تكن رأيتها عن قرب، فشعرت بنغصة في صدرها لمجرد تخيل ذلك الألم القوي الناتج عن الضربات العنيفة التي تلقاها، لم ينتبه لنظراتها المتطلعة إليه، حيث دس يده في جيب بنطاله الخلفي ليخرج منه ورقة ما مطوية، نظرت له باستغراب أكبر، اقترب أكثر منها حتى بات قبالتها، ثم ناولها إياه، تساءلت أسيف بحيرة:

-ايه ده؟

أجابها باقتضاب:

عقد الدكان

فغرت شفيتها مدهوشة، وبجذر مترقب أخذته منه، وسريعًا ما فتحت الورقة لتتأكد من صحة ما يقول، هو بالفعل أعطهاها صك ملكية الدكان ليغدو بالكامل لها.

أخرجها من صمتها المتعجب قائلاً بتريث:

أنا اتنازلت ليكي عن حصتي بيع وشرا

لوهلة بدت في حيرة واضحة غير قادرة على إيجاد الكلمات المناسبة للرد عليه،  
شعرت بالإحراج منه، وأطرقت رأسها قليلاً، ثم ضغطت على شفيتها هامسة:  
بس احنا....

أشاح بوجهه بعيداً بعد دسه ليديه في جيبي بنطاله، ثم هتف بجمود:  
-الاتفاق اتفاق.. يا بنت رياض!

انزعجت في نفسها من تبدل حاله من الارتخاء والابتسام للتجهم والعبوس،  
كانت متأكدة أنها وراء ذلك التحول السريع، هي خشيت أن تحيد عن هدفها  
الأساسي، وتنشغل بأمور أخرى فرعية لن تستمر طويلاً، لذلك الأسلم أن  
تلمح دوماً إلى قرب انتهاء ما بينهما.  
أولاها منذر ظهره قائلاً بضيق وهو يتجه نحو الخارج:  
سلامو عليكم!

أحست بتأنيب الضمير لتعاملها معه بتلك الطريقة الجافة، هي كانت حذرة في  
كلماتها، لكنها لأول مرة تشعر بالضيق من تصرفها على الرغم من اقتناعها به،  
حدقت مجدداً في صك الملكية بنظرات شاردة، هي حصلت على مبتغاها،  
لكنها لم تكن سعيدة بالمرّة، هناك شيء ناقص في فرحتها تلك.  
أخفضت رأسها لتحركها بإيماءات مستنكرة، مازال يتكبد الكثير من أجلها،  
وهي تتعامل بجفاء قاس، تهتت بضجر واضح عليها، ثم أغمضت عينيها محاولة  
إجبار نفسها على عدم التفكير في أي شيء.

.....

وكعادة موظفي المصالح الحكومية التباطؤ المتعمد لتعطيل سير الأمور، لكنها كاحت قدر استطاعتها لتنتهي من الحصول على ورقة رسمية تفيد بأحقيتها في عطلة مرضية نتيجة لتعرضها لحادث مفاجئ، بقي لها القليل، وعاوتها رفيقتها في إنجاز ما هو مطلوب من توقيعات وطوابع حكومية، وتبقى فقط الذهاب إلى مقر عملها لإعطاء تلك الإفادة لوكيل المدرسة.

استقلت بسمة مع رفيقتها سيارة الأجرة لتتجها إليها، وما إن توقفت السيارة حتى تزلت هي منها مستندة على عكازها الطبي، هي مضطرة لاستخدامه في تلك الأونة الأخيرة حتى تتمكن من السير بصورة طبيعية.

تفاجأت به متواجداً عند بوابة مدرستها مستنداً على سيارته، وعاقدًا ساعديه أمام صدره، اتسعت حدقتها باندهاش كبير، وتحركت بخطى عرجاء نحوه متسائلة باستغراب:

إنت بتعمل ايه هنا؟

اعتدل دياب في وقفته مرخيًا ساعديه، ثم رد عليها معاتبًا:

ما فيش سلامو عليكم، أهلاً وسهلاً، أي حاجة كده؟

لم تعبأ بما قاله بل واصلت استجوابها المتهم:

جاي هنا ليه؟ هو إنت بتطاردي ولا حاجة؟

حرق فيها بنظرات حادة، ثم أجابها متسائلاً بامتعاض بائن على محياه:

-إنتي ايه اللي نزلك من البيت؟

تعقد حاجباها بدرجة كبيرة وهي تسأله:

-افندم؟

تابع مبرراً وهو يشير نحو ساقها المصابة:

-مش لسه رجلك مخافتش، و...

قاطعته بجدة رافعة سبابتها أمام وجهه:

-ده شيء يخصني، ومعلش يعني سيادتك مش هاتنفغي لما أترقد من المدرسة

ولا يتخسف بمرتبي الأرض!!

رد عليها بسخط:

-يا ستي اقعدي مرتاحة في بيتك معززة مكرمة وبعد كده ربك يسهلها!

لم تنتبه إلى رفيقتها التي ظلت باقية في الخلف منتظرة إياها لكي تفرغ من

حديثها، لكنها استشعرت احتمالية امتداد الحوار بينهما، فهتفت قائلة بمرح:

-بسمة أنا داخلة جوا، عاوزة حاجة مني؟

التفتت برأسها نحوها، وردت بجدية:

-استني أنا جاية معاك!

تدخل دياب في حوارها قائلاً بصلافة:



-معلش يا أبله هي مشغولة معايا، روجي اتني شوفي مصالحك، متشكرين  
مش عاوزين نعطلك!

تخرجت رفيقتها كثيرًا، فاكثفت بالابتسام وتحركت مبتعدة عنها، انزعجت بسمة  
من تصرفه الوقح، فصاحت مستنكرة بعصبية:

-انت مالك ومال زميلتي؟ هو أنا وكلتك تكلم عني؟ ولا ناقصة لسان!  
رد عليها مداعبًا:

-ما شاء الله إتي عندك فائض فيه!

قبضت بيدها أكثر على عكازها هاتفة:

-لو سمحت أنا....

قاطعها قائلاً بجدية:

-ما أنا مخلصتش كلامي يا أبله!

نفخت بصوت مسموع وهي تقول بعبوس جلي:

-انجز!

رفع حاجبه للأعلى ساخرًا:

-بقي دي كلمة يا أبله تعلموها للعيال عندكم؟

ضجرت من ثرثرته الزائدة، فهتفت بنفاذ صبر:

عاوز ايه؟

-اتي هايچيك استدعا من النيابة

ليه؟

وضع يده على طرف ذقنه يفركه بعصبية وهو يجيب على مضمض:

هما شاكين في الجزار إنه يكون ورا الحادثة بتاعتك!

تحولت نظراتها للشراسة، وتعابير وجهها للاحتقان، وبدأت خيوط حمرة الغرب تتجمع على وجنتيها، صاحت بنبرة مغلولة:

-الجبان الخسيس، قلبي كان حاسس إنه وراها!

ضربت بعكازها على الأرضية، ثم استدارت بجسدها متابعة بوعيد مغتاض:

-والله ما سيياه

اعترض دياب طريقها متسائلاً:

-استني رايحة فين؟

كزت على أسنانها بقوة وهي تقول:

-هاعرفه مقامه!

أشار لها بكفه قائلاً بغموض:

-أأ خلاص، مفيش داعي، أنا ظبطهولك!

كورت قبضتها بعنف متابعة بحنق:

-أنا محدتش حتي لسه منه، ومش...

قاطعها مازحًا وهو يشير بكفي يده:

-اهدي بس، ماتبقيش زي القطر واخدة في وشك ودايسة اللي واقف  
قدامك!

حدجته بنظرات مزعوجة، ثم ضغطت على شفثيها متسائلة:

-في حاجة تانية؟

ابتسم قائلاً:

-تعالى أما أوصلك البيت، مش اتى خلصتى اللي وراكي؟

تجهمت تعابير وجهها وهي تجيبه باقتضاب:

-اه، بس هاخذ تاكسي

وضع يده على صدره قائلاً بغطرسة قليلة:

-تاكسي وأنا موجود؟ ده حتى عيبة في حقي!

ردت عليه بتهم:

-هو انت قلبت عربيتك أجرة؟

نظر لها بضيق، ثم لوى ثغره قائلاً:

-شربات، لسانك بينقط عسل أسود!

-بايخة!

إيش حال مابقينا نسايب ومعارف أكثر وحبال الود رايحة جاية بينا...

استغفر الله العظيم يا رب

اقترح عليها قائلاً بهدوء عليها تقتنع بجديثه:

طب بصي اركبي ورا، وأهو نص العمى ولا العمى كله!

ردت قائلة باستغراب:

إيه الحكمة اللي نزلت عليك فجأة

هز رأسه للجانبين قائلاً بهدوء:

-يهدي من يشاء بغير حساب!

أدارت وجهها للجانب لتخفي ابتسامتها من طريقته الطريفة، لكن سريعاً ما

اختفت حينما تابع قائلاً بجدية:

هاتي ايدك

هتفت مستنكرة وقد زاد انعقاد ما بين حاجبيها:

-نعم؟

تنحنح مردداً بخفوت:

قصدي عكازك!

سألته مستفهمة:

ليه؟

أجابها مبتسمًا بتأكيد وهو يغمز لها:

هاقعهه جمبي يونسني!

ظهر شبح ابتسامة رقيقة على ثغرها، ثم أدارت رأسها للجانب لكنها كانت تلمحه من طرف عينها.

.....

احترقت كمدًا من وقاحته الفضة معها، أنهى بأسلوبه اللاذع أي بارقة أمل للتودد إليه، بل قضى على رغبتها في التعلق به، ولكن هذا ليس معناه أن يجعله يهنأ مع غيرها، مثلما جعلها تحترق غيظًا وحنقًا، ستحيل حياتها إلى جحيم متواصل، حدثت في انعكاس صورتها في المرأة لترى شبح امرأة تهشها نيران الحقد والغل، ولن تسمح للهيبة غضبها أن يأكلها هي فقط.

همست نيرمين من بين شفيتها بتوعد مخيف:

هاتشوفوا اتنو الاتنين، مش نيرمين اللي يتعمل فيها كده وتسكت!  
بكت رضيعتها حتى اختنق صدرها من كثرة الصراخ، لكنها لم تكترث بها، نظرت لها بقسوة مزدرية، اندفعت والدتها نحو الغرفة صائحة بتويخ:

ايه يا بنتي؟ مش سامعة صراخها؟ حرام عليكي!

تحركت أنظارها نحو والدتها وهي ترد بفتور:

تلاقيا عاوزه تغير ولا اتنيلت جاءت!

حملتها عواطف برفق بين ذراعها لتهددها برفق، وربتت على ظهرها بجنو  
كبير، نظرت إلى ابنتها قائلة بضيق:

-راعي ربنا في الأمانة اللي معاكي بدل ما تروح منك!

ردت عليه نيرمين بصياح متشنج:

-يووه، أنا مخنوقة وجاية أخري، مش ناقصة حد يعتت في جتتي!

استاءت من تحجر قلبها نحو رضيعتها، من قسوتها الغير مبررة، فمصمت  
شفتيها هاتفة بيأس:

-هاقول ايه بس غير ربنا يهديكي!

.....

اعتدل في جلسته بعد أن أسند فنجان قهوته الفارغ، ثم وضع ساقه فوق  
الأخرى ليبدو مظهره أكثر صرامة، ابتسم له الشيخ إسماعيل بود لاستجابته  
لدعوته في ضيافته بمنزله، وهتف مرحبًا:

-شرفتنا يا سيادة المأمور، شوية والحريم هاينزلوا بالغدا و...

قاطع المأمور قائلاً بجدية:

-مافيش داعي، كفاية القهوة!

ابتسم قائلاً بود مهذب:

ليه بس جنابك؟ هو احنا كل يوم بيجيلنا مأمور المركز، ده الليلة عيد  
عندنا!

-كثر خيرك، دايمًا الدار مفتوحة بكرمك

-الله يخلي سيادتك، المهم بلدنا تكون عجبتك!

-مش بطالة، أنا بقالي شهرين هنا بس مبسوط من الناس

-إن شاء الله يبقوا سنتين

-ضحك الاثنان بتكلف كنوع من المجاملة الودودة، لكن هدأت ضحكاتهما

ليسترسل بعدها المأمور في حديثه الجدي قائلاً:

-شوف يا حاج إسماعيل، بما إنك من كبارات البلد هنا، فأنا حبيت أتكلم

معاك بشكل ودي الأول قبل ما أخذ خطوة ثانية!

توترت تعاير وجه الأخير وهو يرد بجذر:

-اتفضل جنابك

انتظر المأمور للحظات قبل أن يكمل بغموض:

موضوع حريق دار خورشيد، مش قضاء وقدر، ده بفعل فاعل!

ارتفع حاجباه للأعلى مظهرًا قلقًا أكبر عن ذي قبل.

تابع المأمور موضحًا:

-المعمل الجنائي قال في تقريره إن الحريقة مفتعلة، بمعنى إن في حد عمل زي قفلة في الكهرا عشان يولعه!

ازردد الحاج إسماعيل ريقه بصعوبة، وجاهد ليبدو هادئاً في تصرفاته، لكن تأكدت شكوكه تمامًا، وخشي أن يفتح أمره أمام ذلك الضابط المخضرم في وظيفته.

أخرجه من تفكيره المتوجس صوته المردد:

-والسؤال هنا بقى بصفتك عارف كل كبير وصغير هنا، مين ليه يا حاج إسماعيل عداوة مع عيلة رياض خورشيد؟

تلعلم الحاج إسماعيل وهو يجيبه:

-أحنا.. كلنا أهل في بعض، و...

أشار له بكفه معللاً:

-شوف أنا عارف الكلام د كويسه، بس لازم يكون في زي حاجة كده حصلت، شد بين رياض وحد من البلد، أو مراته جايز بنته و...

-المرحوم كان راجل طيب وفي حاله، ومراته اللي يرحمها كانت زي النسمة محدش بيكرها!

ضاقت نظرات المأمور نحوه، ثم انحنى للأمام متسائلاً:

-وبنته؟



تردد في إخباره بالمشاجرة العنيفة التي دارت مع قريبها، هو لا يريد الزح  
بنفسه في مشاكل ما دون داعٍ بسبب اندفاع فتحي، فبدا مرتبكا وهو يقول:  
-والله هي سافت عند.. عمته، و...

تفرس في وجهه بنظرات غامضة، بدا حديثه غير مرتب وكأنه يحاول اختلاق  
الأعذار، فاستشف بخبرته وجود خطب ما، لكنه لم يرد إثارة ريبته، ابتسم  
هاتفاً بتنهيده مرهقة وهو ينهض من مقعده:

طالما عند عمته يبقى مافيش مشاكل من ناحيتها، عموماً أنا بأشكرك على  
القهوة دي، ومنتظرك تنورني في مكنتي!

.....

أعدت عدتها في ظهيرة اليوم التالي لتسافر بصحبته ومعها عمته وبسمة،  
واستعان هو بسيارة أخيه كبديل عن سيارته المحترقة، انتظرهن بالأسفل  
بوجه جامد الملامح، نظراته فارغة إلى حد كبير، خفق قلبه لمجرد رؤيتها،  
فسحب نفساً عميقاً ليضبط به انفعالاته قبل أن تتغير، هو تعمد عدم إظهار  
تأثره بها، يكفيه حالياً حديثها المستمرة معه ليسمع منها ما يزعجه.

استقر الجميع في المقاعد، وانطلق بالسيارة نحو وجهته غير متوقع ما سيحدث  
هناك.....!!

.....



الفصل السابع والستون:

استوقفته بالإجبار عند ناصية الطريق حينما لمحا تشير له بيدها، فأخفض  
سرعة سيارته تدريجيًا حتى توقفت عن الحركة على مقربة منها، دنت منه وعلى  
ثغرها ابتسامة هادئة، ومررت أنظارها على الجالسات بالسيارة.

انحنت فاطمة بجسدها للأمام قليلاً لتتمكن من رؤية وجه أسيف بوضوح،  
واستطردت حديثها قائلة:

الحمد لله إني لحققتكم! الأول مبروك على الخطوبة، وربنا يتم على خير ويسعدكم  
ردت أسيف بصوت رقيق لكنه خافت:

الله يبارك فيكي

ردت عواطف باهتمام:

تسلمي يا بنتي، ربنا يسعد قلبك ويفرحك!

سألها منذر بجدية واضحة على تعابيره:

- في حاجة جدت يا دكتورة؟ طمئيني؟

هزت رأسها بالنفي وهي تجيبه:

لا، بس أنا كنت عاوزة أشكرك على اللي عملته مع ال....

ضغطت على شفيتها بقوة مانعة نفسها من ذكر اسم ذلك البغيض الذي اعتدى  
عليها بصيدليتها، فاضطرت أن تغلقها خوفاً من تكرار مثل ذلك الهجوم  
الوحشي عليها.

اعتذر لها منذر قائلاً بامتعاض:

-أنا اسف إني قصرت معاكي وقتها، بس والله....

قاطعته قائلة بابتسامة ودودة:

-ما فيش داعي للاعتذار يا أستاذ منذر، إنت ملكش ذنب، هو أصلاً بني

آدم بشع، وده حصل فجأة و....

رد عليها معللاً:

-أنا عرفت باللي حصل كله بعد كده، وجيت عشان أشوفك، وأتعامل معاه،

بس لاقيتك قافلة الصيدلية، والرجالة بلغوني إنك مش موجودة!

أوضحت قائلة بضجر:

-كنت مضطرية أبعد بدل ما ي....

أجبرت نفسها على الصمت للحظة لتنفض تخيل الموقف المؤلم عن ذاكرتها، ثم

ابتسمت مرددة بتكلف:

-ياللا الحمد لله، أهو ربنا ريحنا منه، والبركة طبعاً فيك

رد عليها منذر بهدوء:

أنا معملتش حاجة، هو خد جزاته!

أضافت قائلة بامتنان:

-ربنا يباركلنا فيك يا أستاذ منذر، وبأعذر إني عطلتكم!

رد عليها مبتسمًا:

خدي راحتك يا دكتورة!

لوح فاطمة بيدها مودعة إياهم، وقبل أن يدعس على دواسة البنزين  
لتتحرك السيارة انتبه لصوت أخيه الصاح عاليًا:

-منذر! منذر!

استدار برأسه للخلف ليجده يركض ناحيته، فانعقد حاجبيه باستغراب كبير،  
ابتسم له دياب هاتفًا بصوت لاهث:

-استنى أنا جاي معاكو!

تعجب كثيرًا من قراره المفاجئ فسأله مهمتًا:

ليه إن شاء الله؟

رد عليه بعد أن تنفس بعمق:

عادي يعني، قولت أونسكم!

ثم سلط أنظاره على حبيته الجالسه بالخلف التي كانت تبادله نظرات متعجبة  
من حضوره، داعبها بغمزة حذرة من طرف عينه، ثم استدار في اتجاه أخيه

الذي بدا مزعوجًا من تواجده الغير مبرر، أفسحت عواطف المجال له لتجلس  
بجوار الشابتين في المقعد الخلفي، بينما جلس هو إلى جوار أخيه الذي انطلق  
نحو وجهته فورًا.

.....

انزعجت من بقائها بمفردها في المنزل رغم اختيارها لذلك، هي رفضت التواجد  
معهم كي لا تثار أعصابها من تلك المشاعر المستفزة لها، ظلت تدرع غرفتها  
جبهة وذهابًا حتى شعرت بدوار خفيف، فتوقفت عن الحركة لتجلس على  
طرف الفراش، ضاقت نظراتها، وبدأت تفكر في طريقة مأكرة للإيقاع بينهما.  
أخرجها من تفكيرها الشيطاني صوت دقات ثابتة على باب المنزل، فنهضت  
بتثاقل من مكانها لتتجه نحوه، ارتسم على تعابيرها علامات الاندهاش حينما  
رأت طليقها الأسبق واقفًا قبالتها.

انفجرت شفتها مرددة بصدمة:

حاتم! انت بتعمل ايه هنا؟

حدق فيها بجمود قبل أن يجيبها باستنكار:

جاي أشوف بنتي، مش أنا أبوها، ولا ناسية ده كمان؟

نظرت له شرًا وهي ترد بسخط:

مش بعوايدك يعني، بقالك مدة قاطع رجلك، دلوقتي افكرت إن ليك بنت،  
ده انت ما هان عليك حتى تבעتلها فلوس تشوف طلباتها ولا...

قاطعها قائلاً بغموض مريب:

-وأنا جاي النهاردة عشانها

نظرت له بازدرء قبل أن توليه ظهرها لتتحرك نحو الداخل قائلة باقتضاب:

بس هي نايمة!

خطى للداخل يتمهل ممرًا أنظاره سريعًا على أرجاء الصالة، تقوس ثغره  
للجانب، فقد راقب المنزل جيدًا ليتأكد من خلوه من ساكنيه حتى يتمكن من  
الانفراد بها.

أضاف حاتم بامتعاض:

طيب هابص بس عليها، وأديكي فلوس عشانها!

مصمست شفيتها قائلة بتهكم صارخ:

فلوس، ياما جاب الغراب لأمه!

استدارت برأسها نحوه لتسلط أنظارها على يده الموضوعة بداخل جيبيه، لكنها  
لم تتخذ حذرًا منه، فقد باغتها بتسديد لكمة عنيفة في عينها اليسرى أمتها  
بشدة، تفاجأت من الضربة، وتراجعت للخلف مترنحة.

كرر لهما في وجهها قائلاً بشراسة:

-بتفضحي أمي وأختي في الشارع، وربنا لأحرق قلبك وأوجعك!

تأوهت من الألم الشديد، وقبل أن تستوعب ما يدور معها، طرحها أرضًا  
بفعل ضرباته العصبية المتتالية على وجهها، فارتطمت بمؤخرة رأسها، غلف  
أعينها سمبًا ضبابية، وأوشكت على فقدان وعيها، قاومت بصعوبة واضحة عليها  
تلك الحالة الواهنة التي تمكنت منها.

لمحته بنصف عينٍ وهو يندفع نحو غرفتها ليأخذ رضيعتها بالقوة، مدت يدها  
محاولة منعه، لكنها لم تصل أبدًا إليه، بصق فوقها لاعتنا إياها:  
-انتي ولية.....، بنت.....!

بكت الرضيعة من صوت صراخه، فلم يهتم بها، وأكمل باحتقار:  
-وريني هاتخدي بنتك ازاي يا.....!

خرج صوتها متحشرجًا واهنًا وهي ترد:  
-سيب البت، هاتها!

رمقها بنظرات دونية أخيرة، ثم تحرك مبتعدًا عنها تاركًا إياها في حالة لا وعي  
واضحة، جاهدت لتهض من رقدتها لتلحق به، لكنها لم تستطع، خانتها قواها،  
ومادت بها الأرض، ففقدت وعيها في مكانها، وواصل هو هروبه بابنته.

.....



لم يتوقف عن التصديق بها من خلال رؤية انعكاس وجهها في مرآته الأمامية، كانت تلتقي أعينها بين الحين والآخر، لكنها سريعاً ما تخفض نظراتها متحاشية النظر إليه، فيزداد تورد وجنتيها خجلاً منه، هي تخشى من ترك العنان لمشاعرها للانسياق وراء شيق لا تضمن عواقبه، ربما هناك نوع من الاحترام، العرفان بالجميل له، لكنها لا تريد للأمر أن يزيد عن حده معه، بمعنى أدق تقاوم أي رغبة بداخلها لتصديق ما تراه بعينها.

تمنى منذر لو تخلت للحظة عن عنادها المؤذي، وفكرت فيه فقط من زاوية أخرى، حتماً ستري محبته الصادقة لها، ستدرك أنه متم بها، يعشقها، واهتمامه بها نابع من قلبه، أخرج من صدره تهيدة مطولة تحمل الكثير من أمنيات يحلم بتحقيقها لينتبه على صوت أخيه المتسائل باهتمام:

على كده بلدكم حلوة يا أسيف؟

أجابته بتلقائية:

-ايوه، انت لما هاتشوفها هاتعجبك!

ابتسم مادحاً:

-كفاية إنك من هنا!

ثم وجه حديثه إلى معشوقته الجالسة إلى جوارها متسائلاً:

-ولا إيه رأيك يا أبله؟

ردت عليه بسمة بعبوس واضح:

أنا ماليش في جو الأرياف!

استنكرت أسيف عبارتها الأخيرة، فهي تحمل نوعًا من الإهانة - حتى وإن كانت غير مقصودة أو عفوية - فنظرت لها بعتاب قائلة:

على فكرة أهلنا هناك طيبين، مش زي ما الناس مفكرة إنهم على نياتهم ولا.....

قاطعتها بسمة معتذرة بهدوء:

أنا مقصدش حاجة وحشة والله، بالعكس دول أحسن ناس، بس أنا اتعودت على العيشة بتاعتي، ليا لي نظام معين، فصعب أتأقلم بسهولة على أي حاجة جديدة!

سألها دياب بفضول:

-وايه هو نظامك يا أبله؟

ضاقت نظراتها نحوه وهي ترد بفتور:

هايفيدك في حاجة لما تعرفه؟

لكزتها والدتها في جانبها برفق مرددة من بين شفيتها بجزر:

عيب يا بسمة كده!

رسمت على ثغرها ابتسامة متسعة قبل أن تستكمل حديثها:

يا سي دياب بنتي دي تتحط على الجرح يطيب، بس لسانها يهدى شوية!

هز رأسه متفهماً وهو يؤكد قائلاً:

-اتي جبتي الخلاصة يا ست عواطف!

اغتازت بسمة من اتحاد والدتها معه، وكأنها تتعمد إحراجها أمامه، فأضافت  
بتبرم:

-متشكرة يا ماما، مافيش داعي إنك....

قاطعها دياب متسائلاً بجديّة:

-أومال هاتيحي الدرس امتي؟ الواد يحيي بيسألني عليكي كل شوية، معدتش  
بيفهم من حد إلا اتي!

نظر له منذر من طرف عينه غير مقتنع بما يقول، ولوى فمه قائلاً بصوت  
خفيض:

يحي برضوه!

أجابته عواطف بتنهيدة متعبة:

إن شاء الله، تقف على رجلها، وهاتيحي

رد عليها دياب بحماس:

-وليه تتعب نفسها؟ ده أنا أجييه لحد عندك يا أبله، ولا إيه رأيك؟

زمت بسمة شفيتها هاتفة:

-نتكلم عن ده بعدين، خلونا مركزين في الطريق، احنا على سكة سفر!

أشار دياب بكف يده قائلاً:

ماشى، شغلنا يا مندر حاجة كده تفرفشنا

ردت عليه بسمة بحدة طفيفة:

-بأقولك احنا على سكة سفر، انت عاوزنا نتقلب ونروح جهنم؟

حذرتها عواطف قائلة بجرح:

خلاص يا بنتي، خليه يشغل الراديو، دي عربيتهم بردك!

أراد مندر استغلال الموقف قليلاً ليسترسل في الحديث مع خطيبته عليها

تتجاوب معه، فسألها بهدوء:

-ايه رأيك يا أسيف؟ تحبي نشغل حاجة معينة؟

ردت بفتور واضح:

-اللي يريحكم!

هتف دياب قائلاً بتحد:

-أقولكم بناقص من الراديو خالص، أنا هاسليكم ببوي!

تمت بسمة بامتعاض هامس مبدية انزعاجها منه:

يا ربي على الصداع، جيتك معنا من الأول غلط!

.....

تهالك جسده ولم يقوَ على الوقوف مطولاً حينما أبلغه الطبيب بسوء الحالة الصحية لأخيه وأبيه، وخاصة الأخير الذي ربما تدهور حالته أكثر إن استمر وضعه النفسي هكذا، استند بكفه على الحائط، ونكس رأسه أسفاً على كليهما. ربت الطبيب على كتفه قائلاً بهدوء:

أحمد يا أستاذ مازن، وإن شاء الله هيبقوا أفضل

لم يعقب عليه، بل نظر له بأعين شاردة منكسرة، ففي لحظة اندفاع طائشة خسرت عائلته كل شيء، النفوذ، السمعة، المال، والقوة.

نظر له الطبيب بجمود ثم تركه في مكانه وانصرف ليتابع مرضاه، رفع مازن رأسه للأعلى، وحدث في الفراغ مستعيداً في ذاكرته ما ارتكبه خلال الفترة الماضية من حياته، كل ما أراد حدث حتى لو كان بالقوة والغضب، لم يعبأ يوماً بتبعات جرائمه، فهو معتمد دوماً على عائلته، لكن لا أحد منها الآن قادر على مساعدة نفسه، وما زاد من الطين بلة هو إبلاغ محاميه بوصول إخطار بقضية "خلع" أقامتها زوجته ولاء ضده في المحكمة، ليتزعزع بعدها كل شيء، خاف من أن تفضح أمره، وأن تكشف اعتدائه الوحشي عليها وما تبعه من إصابة بعاهة مستديمة، فحتماً سيزج به في السجن، عجز عن التفكير بوضوح، وتهاوت قواه، لكنه تمالك نفسه كي لا يسقط أرضاً.

جر جر ساقيه حتى وصل إلى أقرب مقعد، فألقى بثقل جسده عليه دافئاً وجهه بين راحتيه لينتحب بأنين موجوع:

كل حاجة كده راحت، طب ازاي هاقدر أرجع كله زي ما كان لوحدى؟  
ازاي!!!؟

.....

أفاقت من إغمائها المؤقتة لتجد نفسها بمفردها في منزلها ورضيعتها غير متواجدة به، جزع قلبها بقوة، الآن تذكرت ما حدث، جاء طليقها الأسبق، واختطف الصغيرة بعد أن ضربها بقسوة، أسرع نحو غرفتها لتحضر عباءتها، ثم ارتدتها على عجالة فوق ثيابها المنزلية، ولفت حجابها حول رأسها لتهرول بعدها إلى خارج المنزل.

بحثت سريعًا عن أقرب سيارة أجرة لتستقلها إلى منزل عائلته، فهو بالطبع سيذهب بها إلى هناك، هو صدق حينما ألقى على مسامعها تلك العبارة العدائية، ستعاني الأمرين معه ومع ذويه.

ترجلت من السيارة راكضة نحو بنايتهم غير مكترثة بباقي الأجرة هي تعرف ذلك المكان جيدًا، ذقت فيه الكثير من العذاب والمذلة، وعانت من ويلات قسوته، وجبروت والدته، لكن ذلك لا يهم، فالأولى عندها هو أن تصل إلى رضيعتها، صعدت الدرج بخطوات متعاقبة حتى تقطعت أنفاسها فتوقفت لتتنفس ببطء، ثم واصلت صعودها الراكض إلى طابقهم.

احتقن وجهه نيرمين بحمرة غاضبة، واشتعلت نظراتها على الأخير حينما سمعت صوت ضحكاتها الرقيقة المنبعثة من الداخل، تلك الضحكات التي كانت

تستفزها وتحرقها حية حينما تملي على ابنها أوامره فينفذها دون نقاش، تأكدت  
الآن أنها وراء مخطف رضيعتها منها.

دقت الباب بعنف حتى كادت أن تخلعه صارخة:

-افتحوا يا عيلة مافيهاش راجل، افتحوا يا ولاد ال.....، هاتولي بنتي يا.....!

فُتح الباب على مصراعيه لتظهر لها لبني بوجهها المتجهم، فزاد غيظ نيرمين  
منها، اندفعت بجسدها نحوها، لكن صدتها الأخيرة بكفها قائلة ببرود مثير  
للأعصاب:

-رايحة فين يا روح أمك؟

أجابتها بصوت محتد:

داخلة لبنتي!

دفعتها لبني بقوة من كتفها للخلف وهي ترد بقسوة:

-مالكيش بنات عندنا، روجي ارمي بلاكي على حد ثاني

أطلت شاهنده برأسها لتضيف هي الأخرى بوعيد صريح:

-كنتي مفكرة هنفوتلك اللي عملتيه بالساهل، اه بنتك عندنا، بس ابقي قبلينا

لو شوفتيها ثاني!

اشتدت تعابير وجه نيرمين عقب ما قالتها، وبرزت مقلتها من محجريها بنيران

مستعرة، فصرخت فيها بغضب جم ملوحة بذراعها:

لأ فوقي لنفسك منك ليها، ده أنا لحمي مر و....

قاطعتها لبني قائلة ياهانة قاسية:

على نفسك يا بنت ال.....

صاحت شاهنده بنبرة عالية وهي تصفق بكلتا يديها:

يا نسوان جت الحراية اللي ما تتسمى، عاوزين نحفل على اللي جابوها!

تفاجأت نيرمين بوجود بعض النساء بالخلف يتشحن بالسواد، تعابير أوجههن

تشير إلى شيء خطير على وشك الحدوث معها، في أقل من ثوانٍ معدودة

كانت محاصرة من قبلهن، تلفتت حولها بذعر كبير، وقبل أن تجد مهرباً لنفسها

منهن، انهلن سريعاً عليها بأيديهن وبالأحذية معتدين عليها بالضرب المبرح.

صرخت نيرمين مستغيثة:

الحقوني، آآه، حرام عليكم، هاموت في ايديكم يا.....

هتفت لبني قائلة بتشيف:

ربوها، علموها الأدب بنت الأبلسة دي!

بينما أضافت شاهنده بحقد:

جاية تخربي عليا يا خرابة البيوت يا مطلقة، ده احنا هنحرق قلبك

وهنوريكي السواد كله!



في نفس الأثناء كان ناصر صاعدًا على الدرج ليقابل رفيقه حاتم بعد أن وجد صعوبة في الاتصال به، فرأى تلك المشاجرة الحامية بين النساء، اتسعت حدقتاه في اندهاش، وراقبها مستمتعًا، لكن شيطان رأسه وسوس إليه بالتدخل ليحظى بمتعة أخرى.

رسم على تعايره الجدية والعبوس، ثم دنا منهن صائحًا باستنكار:  
عيب يا ستات اللي بتعملوه ده، مايصحش كده أبدًا!

استخدم ذراعيه ليمر بينهن حتى تمكن من الدخول وسطهن، فوجد نيرمين ملاقة على الأرضية، منكمشة على نفسها، وشبه ممزقة لثيابها، انحنى عليها متمعدًا تلمس أجزاء محددة من جسدها وكأنه يحميها، لكنه نواياه معها كانت دينئة للغاية، واصل صياحه هاتفًا بضيق زائف:

هاتموت في ايديكم، كفاية كده! هي عملت ايه بس؟

شعرت هي بتلك اللمسات الحرجة على جسدها، بأيادٍ تستييحها، لكنها لم تستطع سوى الصراخ المستنجد، على إحداهن ترفق بها، ورغم هذا ظلت الضربات متتالية عليها تنال كل جزء فيها.

ردت لبني بقسوة وهي تشير بيدها:

ملكش دعوة انت يا ناصر، دي حاجة تخصنا احنا!

رد عليها معاتبًا وهو يعتدل في وقفته:

ليه بس يا أم حاتم؟ هاتزعليني والله!

التوى فمها للجانب وهي ترد بازدراء:

متكلفش خاطرک وتزعل على بوز الإخص العقربة دي!  
خشي من افتضاح أمره، فتحرك مبتعدًا عنها قائلاً يا صرار:  
عشان خاطري أنا!

نظرت له لبني بجمود مستنكرة دفاعه عنه، فتابع موضحًا:  
-مهما كان بردك، دي حاجة وحشة في حكم، وجايز تموت هنا وتلبسوا مصيبة  
وانتو مش ناقصين.....  
قاطعته قائلة ببرود:

-بأقولك ايه، سيديها وتعالى جوا استنى صاحبك لما يرجع، هو في الفرن وجاي!  
حك ناصر مؤخرة رأسه، ثم خطى نحو الداخل مكتفياً بما حظى به اليوم.  
توقفت النساء عن ضربها بوحشية، فهمست نيرمين بأنين موجوع:  
-بنتي يا ولاد الهرمة، بنتي هاتوهالي!

ردت عليها شاهدة بسخط واضعة يدها على منتصف خصرها:  
-حوش حوش الأمومة بتنط منك، ده احنا دافينوه سوا يا....!

هتفت لبني بامتنان مخرجة منديلاً مطويًا من صدرها:  
تسلم ايديكم يا حبايب، نجاملكم في الفرع يا رب!

انصرفن بعدها واحدة تلو الأخرى بعد أن أعطت زعيمتهن مبلغًا نقدياً تم  
الاتفاق عليه مسبقاً نظير القيام بتلك المهمة البسيطة، ثم انحنت عليها  
بجسدها على ضحيتها الملاقاة عند عتبة منزلها لتضيف بوعيد شرس:  
ولسه الدور جاي على أمك وأختك، ماهو لازم ينوبهم من الحب جانب!  
صفعتها بظهر كفها على وجهها، ثم بصقت فوقها متعمدة الإساءة أكثر إليها قبل  
أن تتركها على تلك الوضعية وتصفق الباب خلفها بقوة.  
بكت نيرمين بعجز مقهور، شعرت بتلك الوخزات الحادة تعصف بصدرها،  
بتلك الآلام الموجعة في أنحاء جسدها، لكن لا يقارن هذا أبداً بإحساسها  
بفقدان رضيتها الوحيدة، ففي تلك اللحظة تحديداً تيقنت أنها لن تستطيع  
استعادتها بسهولة.....!!

.....

## الفصل الثامن والستون :

كانت بالنسبة لها زيجة تقليدية بحتة، لم تكن قائمة على قصة حب أو حتى على معرفة مسبقة، بل وافقت عليه كي لا يفوتها قطار الزواج، أو حتى تحمل لقب "عانس" بين قريناتها، وهو تقدم إليها معتقداً أنها تملك من الأموال ما سيحسن من وضعه المادي، لكن خابت توقعاته، وتأكد من مستواها المادي المتواضع، فقط أملاك لا تأتي إلا بالقليل من العائد المادي.

اندلعت المشاكل الفعلية بينها منذ أول ليلة لزفافها، واستمر الوضع على ذلك الحال بين شد وجذب، وافتعلت والدته الكثير من الخلافات بينهما، حتى خلال فترة حملها عانت من ويلات تسلطها، لم تحبها نيرمين مطلقاً، وبادلتها الأخرى نفس مشاعر البغض والكراهة، أرادت فقط إنجاح زواجهما، لكن مع كل لحظة اكتشفت أنها تسرعت في قرارها، وأخطأت في اختيار حاتم زوجاً لها.

لم تتوقف عن البكاء المرير بعد تلك المهانة المذلة التي تعرضت لها، زحفت على مرفقيها لتصل إلى الدرابزون كي تمسك به حتى تتمكن من النهوض، ألمتها عظامها وكل قطعة في جسدها، التفتت برأسها لتحديق في باب منزلهم بأعينها المشتعلة كدماً وغيظاً، ليس أمامها وسيلة متاحة لاستعادتها، هي في موقف ضعف، ستتحمل رغماً عنها تلك الإهانة حتى تعيد رضيعتها إليها.

أخفضت نظراتها لتحقق في هيئتها المزرية، عباءتها ممزقة، ووجهها مليء  
بالكدومات والتورمات، ناهيك عن باقي جسدها الصارخ بألمه، سمجت نفساً  
عميقاً لتضبط به نوبة بكائها، ثم كزت على أسنانها قائلة بصوتها المنتحب:  
-بنتي هاعرف أخذها منكم، وغدركم بيا هارده، مش أنا اللي أسيب حتي!  
اتجهت نحو الدرج هابطة عليه بتريث، لكنها تسمرت في مكانها مجبرة حينما  
سمعت صوت الباب يفتح من خلفها، أدارت رأسها ناحيته، فتفاجأت بكيس  
من القمامة - ذو رائحة تننة - يلقى في وجهها لتتناثر محتوياته الكريهة عليها.  
شهقت نيرمين صارخة من هول المفاجأة، بينما رمقتها شاهنده بنظرات دونية  
وهي تقول:

ده تمامك يا قدرة! اتفوو!

صفقت الباب بعنف في وجهها ليزداد حنقها وتشتعل في مكانها، أغرقتها القمامة  
كلياً، خاصة أنها كانت تحوي مياه كريهة، فعبأت عباءتها برائحة منفرة، ضربت  
بيدها المتكورة بعصبية على الدايزون، وصرخت من بين شفيتها بغل محتد:  
يا ولاد ال.....، مش هاسيكم، هاموتكم كلكم، وربنا لأردلكم اللي عملتوه فيا،  
وهاتشوفوا!

أكملت هبوطها على الدرج مطلقة وابلأ من السباب اللاذع منفسه عن  
غضبها المحتقن بداخلها.

.....

سرحت في الطريق بنظرات شاردة من نافذتها الملتصقة بها، مر ببالها لمحات سعيدة من حياتها مع أبوبها الراحلين، ولمحات أخرى تعيسة حينما عايشت لحظات فراقهما، تهتت بعمق مقاومة تأثير ذلك عليها، كم اشتاقت إليهما كثيراً، هي بحاجة ماسة إلى أحضانها الدافئة، تهتت أسيف مجدداً لتضبط انفعالاتها قبل أن يلاحظ أي أحد حالتها المرتبكة تلك.

لكن على عكسهم تماماً كان مراقباً جيداً لكل ما يخصها، بل متابعاً عن كذب لأقل شيء يصدر عنها، شعر بجزنها البادي على وجهها، استشف سبب ضيقها دون أن يخمن ماهيته، أراد أن يحتويها، أن يعوضها عما فات، لكنها لا تترك له الفرصة لفعل ذلك، يرغب في أن تثق به، تمنحه الفرصة ليعبر لها بصدق عن حاله، لكنها دوماً تصده، تختلق الأعذار لتبتعد عنه حتى وإن كانت تعمد لأسلوب الهجوم والفظاظة، عاد من تفكيره المتعمق إلى أرض الواقع على صوت بوق إحدى الشاحنات، فانتبه منذر للطريق وأكمل قيادة السيارة بحذر.

فرك دياب رأسه متسائلاً باهتمام:

مفكرتيش ليه تشتغلي يا أسيف زي بقية البنات، ولا عندكم بيمانعوا في ده؟  
انزع منذر من استرسال أخيه في الحديث معها بأريحية تامة، فهو متحرج من مجرد اختلاق أي عذر لسحب الكلمات من على شفيتها، وهو لا يجد جهداً في

جرها نحو ثرثته الزائدة عن الحد، تجمدت أنظاره على أعين أسيف حينما  
أجابت هامسة:

عادي، بالعكس بابا الله يرحمه كان مرحب بالفكرة، بس.. مكانش حابب إني  
أتعب وهو موجود، ف.. فأعدت في البيت  
أضفت عواطف قائلة بنبرة أمومية:

يا بنتي هي البنت ليها ايه غير بيت جوزها وترني ولادها كويس، والستر  
و...

اعترضت بسمة على تفكيرها القديم قائلة:

ماما، بلاش الأفكار دي، خلاص عفا عليها الزمن!  
بدا دياب مهتمًا بمعرفة سبب رفضها لتلك المعتقدات، فسألها بجدية وهو يدير  
رأسه في اتجاهها:  
ليه يعني؟

حدقت في عينيه مباشرة، ثم أجابته بامتعاض وهي تشير بيدها:  
مش معقول بعد تعب السنين دي كلها في المدارس والكلية أقعد في البيت  
أطبخ وأغسل وأنشر، وأربي العيال  
رد عليها دياب بضيق قليل:

محدث قال كده، بس بيتك المفروض يكون ليه أولوية عندك

احتدت نظراتها وهي تصر على رأيا مؤكدة:

-ايوه، بس الكلام ده لسه بدري عليه، أنا قدامي مستقبلي، ومش بأفكر في الجواز خالص دلوقتي!

اشتدت قسما وجهه حدة من رفضها الصريح لمسألة الارتباط، فأشاح بوجهه بعيدا عنها متجنبًا افتضاح أمره، أناه صوت عواطف في أذنه مرددة:  
-بردك البنت في النهاية ليها الجواز، المدة طولت قصرت، مش هاتتهنى إلا مع جوزها!

التوى ثغر دياب للجانب وهو يضيف ساخرا:

-فهميها يا ست عواطف، جاز تسمعلك ولو إني أشك في ده!  
-اغتاظ مندر من تحول مسار الحوار مجددا للشد والجذب بينهما، فصاح بهما بضجر:

-بصراحة انتو الجوز مش مدين فرصة لأسيف انها تتكلم خالص  
رد عليه أخيه قائلاً:

-ما انت اللي ساكت يا مندر، حد حاشك يعني عن الكلام!

رفع الأخير حاجبه للأعلى هاتفا باستنكار:

-انت شايف كده؟



ابتسم دياب مضيئاً بمزاح:

ايوه، خطيبك يا ست أسيف عاوز يشلني ذنبك، قوليله بؤين صبريه بيه!  
لم يرغب منذر في فرض نفسه عليها، فصاح معنفاً إياه بقوة:  
ماتبقاش رخم، خليها على راحتها!

حدقت أسيف في وجهه المنعكس أمامها متأملة إياه بنظرات مرتبكة، فأمسك  
بها بعينه، تورد وجهها نجلاً منه، وحادت بصرها بعيداً عنه

.....

-إتي اتجننتي، إزاي عملي حاجة زي كده من غير ما تشوريني؟

صرخت شادية بتلك العبارة بعد تأكيد ابنتها خبر إبلاغ زوجها بقضية الخلع  
التي أقامتها ضده، نظرت لها بفتور، ثم سحبت الغطاء لتدفن رأسها أسفله  
وهي ترد بعدم أكثرات:

-يولعوا!

نزعت الغطاء عن رأسها هاتفة بتشنج:

-اصحي كده وكلميني، اتني مش متخيلة الزيت مجد ممكن يعمل فيكي ايه، ده  
أنا خدت منه مليون جنية، ولا أخوه لو فاق من اللي هو فيه ه.....

قاطعها قائلة بانفعال:

-اتصرفي معاهم اتني، أنا خدتي قراري وخلصت!

ردت عليها شادية بهياج بائن في نبرتها وحركاتها:

-اتي غبية ومتسرعة!

-اه غبية عشان سمعت كلامك من الأول، بصي أهوو أديني خسرت كل حاجة في الآخر!

-يا ولاء الزمن ده عاوز الفلوس عشان تقدري تعيشي

-بس يا ماما، أنا تعبانة وعاوزة أنام!

قالتها بصوت متجهم وهي تعيد سحب الغطاء على وجهها مدعية وجود رغبة ملحة بها للنوم، نظرت لها والدتها بحنق كبير، هي حاصرتها في خانة اليك، وحتما ستتواجه مع المقيت مجد الذي لا ينسى من استغله يوماً.

.....

بعد برهة وصل مندر بالسيارة إلى مشارف بلدتها الريفية، تأهبت حواسها حينما اشتم أنفها تلك الرائحة التي اشتاقتها، أخفضت نافذتها لتستنشق نسيمات الهواء المنعشة متمنية بين طياتها أن يخبئ لها القدر ما يمكنها تحمله، سألتها مندر بجديّة:

-بيتك فين؟

أدارت رأسها في اتجاهه لتجيبه بتوتر قليل:

قدام شوية، هاقولك تمشي ازاي

رد عليها بنبرة ذات مغزى:

-وأنا متابع معاكي لحد الآخر!

اتبع توجيهاتها حتى وصل إلى رأس الطريق المؤدي إلى بيتها، وهنا بدأت تتوتر أكثر، هي مرت بنفس الأماكن من قبل، رأت تلك الوجوه المكدة في عملها بالحقول، تعلقت أنظارها بتلك الأيدي المشققة من فرط اجتهادها حتى تحصد ثمار تعبها في نهاية المطاف، فبدأ قلبها يخفق بقوة، لكن تلاحقت نبضاته بسرعة كبيرة حينما ظهر طيف منزلها، ترقبت بأعصاب مشدودة رؤيته، دعت الله أن يكون ما أبلغها به قريبها مجرد أكذوبة مخادعة، لكن خاب رجاؤها، وصدق في إدعائه، لم يظهر أمامها سوى أطلال بيت محترق.

توهجت عيناها أسيف بلمعان قوي، هزت رأسها باستنكار كبير رافضة تصديق ما رآته حدقتها، انهمرت العبرات منها دون سابق إنذار حسرة عليه، ونهج صدرها من قوة قهرها على هيئته، أهكذا تحول ذلك البناء الحجري الذي ضم أهم لحظات حياتها إلى بقايا محطمة؟ وضعت يدها على فمها لتكتم شهقة صارخة من صدرها الملتاع، تهدجت أنفاسها، وزادت لوعتها..

أشفقت بسمة على حالها، فلفت ذراعها حول كتفها لتضمها إليها، فالفاجعة صعبة عليها بالتأكد، همست لها مواسية:

حببتي يا أسيف، ده بيتك! لا حول ولا قوة إلا بالله!

لطمت عواطف على صدرها هاتفة بصدمة:

يا نصيبي، ده بقى كوم تراب، قدر الله وماشاء فعل! احتسبي عند الله يا بنتي! ربنا يعوض عليك!

زاد بكائها المتحسر على ذكريات حياة بأكلها انتهت في لحظات وتحولت لمجرد ركام متهالك.

رأها منذر وهي تبكي فشعر بنغصة عنيفة في صدره، أراد ضمها إليه، أن يحتوي حزنها، ويللم بقوة ضعفها الوشيك ليشعرها أنه معها في أصعب لحظاتها، لكنه عجز عن فعل ذلك، شدد من قبضتيه على عجلة القيادة حتى كاد يعتصرها، هو توقع حدوث صدمة لها حينما تراه، وود لو كان وقعها أخف عليها، لكن حال ما تبقى من المنزل لا يبشر بأي خير.

أوقف السيارة ببطء منتظراً ترجلها منها، وبأيد مرتجفة فتحت بابها لتطأ بقدميها تراب قريتها، رفضت أن تمسك بها بسمة أو عمته، وخطت نحوه بمفردها، ولم تعترض الاثنان على تصرفها، هي بحاجة إلى مساحة من الحرية، تباطأت أسيف في خطواتها، بل الأحق أن يقال أنها عجزت عن السير وهي تتجه إليه، كان الأمر غير قابل للتصديق، لم يبقَ أي شيء من ذكرياتها سوى أنها احترقت بالكامل معه.

لحق بها بخطوات متعجلة متأهباً لتقديم أي دعم لها في حال انهيارها، وقفت هي أمام منزلها تبكي بلا توقف، تركت العنان لنفسها لتتعي ما مضى من حياتها.

لم يقاطعها أي شخص، واكتفوا بمواساتها بتلك الكلمات المحفوظة عن ظهر قلب والتي تردد بصورة تلقائية في مثل تلك المواقف، أحاطتها عممتها من كتفها وضمتها إلى صدرها لتبكي في أحضانها، وظلت تربت على ظهرها عدة مرات محاولة تهدئتها، بينما تراجع دياب خطوة للخلف ليقف إلى جوار أخيه، ثم مال برأسه عليه متسائلاً بجديّة:

هاتعمل ايه؟ الموضوع طلع بجد مش مقلب من قريها الرخم  
رد عليه منذر بنبرة جادة وقد ضاقت نظراته:

-المفروض نروح قسم الشرطة اللي هنا ونشوف التفاصيل، الحريقة دي  
حصلت ازاي جازيفيدونا!

تلقت دياب حوله مضيئاً بهدوء:

-ماشي، بس الأول نسأل على لوكاندة هنا قريبة عشان الجماعة اللي معانا  
يرتاحوا، وخصوصاً خطيبتك!

اتجهت أنظاره نحوها حتى باتت لا ترى سواها، ثم أخرج تهيدة مشحونة من  
صدره قائلاً باقتضاب:

ماشي، هاشوف!

انتبه الجميع إلى صوت أحد الرجال صائحاً بنبرة عالية:

-سلامو عليكم

استدار منذر ناحيته ليطالعه بنظرات مدققة متأملة هيئته، كان شيخًا طاعنًا  
في السن ممسكًا بدراجته القديمة، ومرتديًا لجلباب ملطخ ببقع طينية، رد عليه  
بهدوء:

-وعليكم السلام!

سألهم زكريا باهتمام وهو يمرر أعينه بين وجوههم الغريبة:

عاوزين مين يا حضرات؟

كففت أسيف عبارتها، وأبعدت رأسها عن صدر عممتها لتحقق فيه، ثم أجابته  
بنبرة مختنقة:

دي أنا يا عم زكريا!

ضاقت نظراته نحوها، وهتف بنزق بعد أن تعرف إليها:

-الله بنت الحاج رياض!

هزت رأسها بالإيجاب، فدنا منها ساحبًا دراجته خلفه، ثم أضاف بنبرة حزينة  
وهو يشير بيده الأخرى:

-والله ما ليكي علينا حلفان، حاولنا نلحق البيت، بس الله أكبر النار مسكت  
فيه من كل حته، و...

قاطعته عواطف قائلة بحزن لتمنعه من الاسترسال في عباراته كي لا تنخرط  
ابنة أخيها في البكاء من جديد:

قدر الله وماشاء فعل، الحمد لله على كل حال!

تساءل منذر بجدية وهو يومئ بعينه:

متعرفش مين يا وراها يا حاج؟

عقد زكريا ما بين حاجبيه مسلطاً أنظاره عليه، ثم رد عليه متسائلاً:

انت مين يا بني؟

اشتد كتفيه حتى بدا أكثر شموخاً وهيبة، ثم أجابه وهو يشير بيده نحوها:

أنا منذر حرب خطيب الأنسة!

ثم أدار رأسه في اتجاه أخيه متابعاً:

وده أخويا الصغير دياب، ودي الحاجة عواطف عمها، ودي بنت عمها!

مرر أنظاره عليهم سريعاً قائلاً بنبرة ودودة:

يا أهلاً وسهلاً بيكوا، نورتوا البلد!

سأله دياب باهتمام:

قولنا يا حاج متعرفش ايه اللي حرق البيت؟

أجابه زكريا بصوته المتحشرج:

المأمور اللي هايقدر يفيدك أو الحاج إسماعيل!

والحاج فتحي؟

هتف بها منذر قاصداً شيئاً محددًا من وراه سؤاله الغامض ذلك..

أسرعت بالعودة إلى منزلها - رغم الألم الذي يجتاحها - لتبدل عباءتها المتسخة بأخرى نظيفة كي تهروا إلى أقرب مخفر شرطة لتبلغ عن اختطافهم لرضيعتها عنوة، لن تتركها لهم حتى وإن كانت تتعامل معها بجفاء، لو كانت متيقنة للحظة واحدة أنهم سيقدمون لها المحبة والود لاطمئن قلبها، لكنها متأكدة من قسوتهم وشراستهم، ستعاني الرضيعة معهم ولن يعبأ بها أحد، بل على الأرجح سيتركها تبكي حتى تفيض روحها الملائكية إلى بارئها.

طراً ببالها أن تلجأ للحاج طه أولاً ليأتي معها إليه، كي يدعمها بمعارفه، فغيرت وجهتها، واتجهت نحو وكالته.

صاحت بصراخ مستنجد قبل أن تخطو للداخل:

الحقني يا حاج طه، خطفوا بنتي مني، الحقني يا كبيرنا!

هب الأخير واقفاً من مقعده، واتجه نحو الخارج على إثر صراخها المنفعل، نظر لها مدهوشاً وهو يسألها بقلق:

خير يا بنتي؟ في ايه؟

لوحث بذراعها في الهواء وهي تجيبه بصوت صارخ ممزوج بالبكاء:



تعالى معايا يا حاج طه القسم، الله ينتقم منه طليقي السابق اتهجم عليا في  
بيتي وأنا لوحدي وضربني وخطف مني بنتي، ولما روحت أجيها من عند أمه  
ضربوني وهدلوني!

صمت للحظة لتلتقط أنفاسها قبل أن تتابع بعويل:

أنا عاوزة بنتي يا حاج، أبوس ايدك انجدي وتعالى معايا القسم، أنا لوحدي  
وما فيش حد في ضهري!

لوح لها بعكازه قائلاً بصوت جاد:

طب اهدي وأنا هاتصرف

لطمت على صدغيها مواصلة نواحها الباكي:

أهدى ازاي طيب؟ دي بنتي اللي اتخطفت، حته من لحمي و...

قاطعها بصرامة:

قولتك هاتصرف يبقى تبطلي المنذبة دي!

وضعت يديها على فمها لتكتم صرخاتها، فاستدار برأسه للخلف صائحاً بنبرة  
متصلبة:

خلي بالك من الوكالة يا بني عقبال ما أرجع!

رد عليه أحد العمال من الداخل:

أوامرك يا حاج

أشار لها برأس عكازه متابعًا بصرامة:

تعالِي يا بنتي

ردت عليه نيرمين بتوسل مستعطف:

ماتسبنيش يا حاج، أنا ماليش حد بعد ربنا إلا انت

اطمني، بنتك هاترجع وهتبات في حضنك

يا رب!

.....

بدت متأففة للغاية وهي تبدل للرضيعة حفاضها بعد اتساخه، فنظرت لها  
باشمئزاز، ثم تركتها مسجية على الفراش بغرفة أخيها دون أن تكمل لها ارتداء  
ثيابها، فبقي جسدها مكشوفًا ومعرضًا للضربات الهوائية الباردة،

سارت شاهنده نحو المطبخ لتلج إليه صائحة بتذمر في وجه أمها:

-أنا مش هابقي الخدامة بتاعتها، شوفيلك صرفة مع البت دي، أنا مش كل  
شوية هافضل أغير لها و....

قاطعتها لبني بتبرم:

ده اتني المفروض عمته!

ردت عليها بقسوة:

-بلا عمتها بلا قرف، أنا عاوزة افوق لنفسها، طالما جبتها هنا تبقي اتني  
المسئولة عنها!

ضربتها والدتها في كتفها هاتفة بسخط:

خلاص اتكتمي، وخليني أشوف القهوة لصاحب أخوكي الملاح برا

ماشني، وأنا هاعمل لنفسي سندوتش!

.....

في نفس التوقيت، انتبه لصوت صراخها الباكي الأتي من غرفته، فتلفت حوله  
برية ليتأكد من عدم متابعة أي أحد له، نهض من مكانه متجهًا صوبها، ثم  
وقف عند العتبة ليحديق في الرضاعة رنا، بكت بجرقة حتى احمر وجهها من  
كثرة صراخها المتوسل للرحمة والحنان، راقبها بنظرات مطولة، ثم عاود  
الالتفات خلفه.

تسلل ناصر إلى الداخل على أطراف أصابعه محققًا في جسدها المنكشف  
بنظرات غريبة ومخيفة للغاية، رفعت الرضاعة كفيها للأعلى عله يمسك بها،  
لكنه لم يفعل، ووضع أصابعه المرتعشة على عنقها يتحسسها، ثم أخفضهم  
تدريجياً وهو مغمض عينيه متخيلاً أشياءً مخجلة، وقبل أن يتماذى معها تدارك  
نفسه حينما سمع صوت لبني بالخارج، فلملم نفسه، ورفعها بذراعيه إلى صدره  
يهددها كي تصمت.

خرج بها من الغرفة حاملاً إياها ومعاتباً بضيق زائف:  
مش حرام تسيبوها كده، ده البت نفسها اتقطع من كتر العياط!  
أشارت له بظهر كفها قائلة بامتعاض:  
سيها عندك، شوية وهتسكت لوحدها  
أخفض نبرة صوته وهو يرد بغموض مآكر:  
وهي دي تتساب بردك.....!!

.....

## الفصل التاسع والستون:

تناولتها من بين يديه برفق لتضعها على كتفها، وقامت بهددهتها كي تستطيع الرضیعة وتغفو بعد صراخها المتواصل، فنظر لها ذلك الشيطان البشري بأعين شبه نادمة على ضیاع تلك الفرصة الثمينة هباءً، لكن إن تهور أكثر من هذا، لربما فُضح أمره، ونال ما يستحقه، تنفس الصعداء لترثته، ثم عاد للصلاة مجدداً ليتخذ من أقرب أريكة مقعداً له.

ولجت لبني بالرضیعة رنا إلى داخل غرفة نوم ابنها لتدثرها في فراشه، وتأكدت من إحاطتها بالوسادات كي تضمن سلامتها في حال وقوعها إن غفت عنها.

أحضرت شاهنده صينية تحمل القهوة مرددة بفتور:

-اتفضل يا أستاذ ناصر، حاتم زماتته على وصول

التفت ناحيتها برأسها مبتسماً بهدوء مريب:

براحته!

انحنت أمامه لتضعها على الطاولة، فحمد أنظاره على منحنيات جسدها بوقاحة جريئة، لكنها لم تنتبه لنظراته الخبيثة، واكتفت فقط بالابتسام مجاملة له، قبل أن تكمل تحركت مبتعدة عنه، فأخرج تهيدة حارة من صدره دون أن يبعد نظراته عنها.

انتفض في مكانه مفزوعاً على إثر صوت فتح الباب، فجف حلقه، وارتبك بشدة، شعر بتلك السخونة المقلقة تنبعث منه حينما سأله حاتم باستغراب:

ناصر! انت هنا من بدري؟

ازرد ريقه قائلاً بتلعثم طفيف:

اه يا سيدي، فينك من بدري... غلبت أطلب عليك وانت مش بترد!

أسند ما معه من أكياس بلاستيكية على الأريكة معللاً:

معلش، كنت بأجيب طلبات للبت رنا

فرك ناصر ذقنه برفق متنحنًا بخشونة:

احم.. رينا يخليهاك!

صمت للحظة ليجمد أنظاره عليه قبل أن يستأنف قائلاً:

بس فاتك كثير!

حك حاتم مؤخرة رأسه متسائلاً:

هو حصل ايه؟

.....

تركت ذلك الكهل يصطحبهم إلى أرض قريبها الزراعية رغم معرفتها بمكانها، فهي لم ترغب في الذهاب إليه بمفردها، خشيت من تطاوله عليها، فاحتمت بوجودهم حولها، استمر عقلها في التفكير في جملته الغامضة، وطرح عقلها العشرات من الأسئلة التي جعلت أفكارها تتخبط أكثر وتزداد حيرة.

وصلوا إلى الحقل المملوك لفتحي، فأوقف منذر سيارته على الجانب، نزع زكريا خفيه، ووضعها أسفل ذراعه متجهًا نحوه بعد تركه لدراجته القديمة، تبعه الآخرين سائرين بحذر، فأوه يجلس كعادته أسفل تلك الشجرة العريضة يستظل بها، تباطأت أسيف في خطواتها بوضوح حينما وقعت عيناه عليها، وبدت علامات التوتر مهيمنة عليها، لم تنس المصادمة الحامية بينهما، ولا ما حدث مؤخرًا في المنطقة الشعبية، وكذلك كان الحال معه، لم يغب عن عقله لثانية تلك المذلة التي تلقاها بسببها.

ارتبك للحظة من وجودهم، فظن أنه ملعوبه قد كُشف، لذا عمد إلى استخدام الأسلوب الهجومي ليصرف الانتباه عنه، فعبس فتحي بوجهه قائلاً بتبرم:

خير يا زكريا، جاي ليه؟

أشار له بيده موضحًا:

الجماعة يسألوا عليك

نظر لهم شزرًا وهو يقول:

استغفر الله العظيم، نعم، جاين ليه؟

رد عليه منذر معاتبًا بتجهم ظاهر على محياه:

دي سلامو عليكم بتاعتك يا حاج فتحي، ولا خلاص نسيت الأصول  
والواجب؟!!!!

أضاف دياب بامتعاض:

باين عليه شايل من المرة اللي فاتت، مع إنه هو اللي جه علينا!  
رمقها فتحي بنظرات مشتعلة، فكلاهما تعمدا تذكيره بما مضى عله يفكر مرتين  
قبل أن يتفوه بأي حماقات، لكنه خالف توقعاتها ولجأ لطريقة أخرى، فصاح  
عاليًا ليلتفت الانتباه:

جايبالي الافندي ده هنا ليه يا بنت حنان؟ ردي!

ارتجف جسدها من نظراته المهدة، وانكشت على نفسها مرتعدة منه، رآها  
منذر على تلك الحالة المدعورة، فتقدم بجسده أمامها ليسد عليه الطريق هاتفًا  
بانزعاج:

-كلامك معايا أنا يا حاج فتحي!

رمقه فتحي بنظرات احتقارية وهو يسأله:

-بصفتك ايه ياخويا؟

أجابه تلك المرة دياب بتفاخر واضح:

ده خطيبها يا عم الحاج، وقريب هايتجوزوا!



لوى فتحي فمه للجانب مرددًا باستهجان:

-أها، قولتي لي بقي، والمطلوب مني ايه؟ أبارك وأهني، ولا أخط راسي في الطين وأسكت!

اغتاظ منذر من طريقته التهكمية التي تحمل بين طياتها إعلاتًا صريحًا بسوء النوايا والظن، فصاح به بانفعال كبير وهو يهدده بيده:

-ما تتكلم عدل يا حاج، هو انت شايفنا عاملين الغلط؟

أرادت أسيف أن تسيطر على الموقف قبل أن يسوء بينهما ويتطور إلى مشاجرة أخرى، هي تعلم جيدًا نهايات مثل تلك الخلافات، فهتفت بنبرة مرتجفة:

-أنا جاية اسالك عن بيت بابا واللي حصل فيه! فلو سمحت....

قاطعها فتحي قائلاً بحدة:

-ولع، وخلصنا!

خرج من جوفها شهقة قوية متأثرة، هي لم تلمم جراحها بعد، ورؤية المنزل محترق مازالت متجسدة أمام أنظارها، وهو يضغط على جرحها بقسوة مفرطة وكأنه يتلذذ بتعذيبها.

بدا غير مقتنع بما قاله من مبررات مبهمة، فرد عليه منذر بجنق واضح في نبرته وفي عينيه:

-كده من الباب للطاق؟

لوح فتحي بذراعه أمام وجهه صارخاً فيه:

-روحوا المركز اسألوا، حد قالوكم إن أنا بأشتغل مأمور آخر النهار، الحكاية دي متخصصينش!

صاح فيه دياب بنفاز صبر:

-ازاي يعني، مش البيت ده بتاع قريبتك، والطبيعي إنك....

قاطعته فتحي قائلاً بتهمك مسيء وهو يسلط أنظاره على أسيف ليصل إليها مقصده الصريح:

-أنا ماليش قرايب مفضوحين وجايلنا العار!

فهم منذر تلميحاته الموحية بسوء السمعة، فهدده بشراسة بادية في نبرته:

-نعم، ما تحترم نفسك يا جدع انت!

أجهشت أسيف ببكاء أشد مستنكرة ما يقول، وقبل أن تنفرج شفتها لترد، تدخلت عمتها هي الأخرى في الحديث، فلم يرق إلى مسامعها اتهامه الباطل لها، فهتفت مدافعة عنها بعصبية:

-لأ عندك، اقف عوج واتكلم عدل، اللي بتغلط فيها دي بنت أخويا

المرحوم، الراجل اللي كنت واكل معاه عيش وملح، ولا نسيت!

هب من مكانه واقفاً ليحدهم بنظرات نارية، ثم هتف من بين أسنانه المضغوطة:

-انتو جاين تتخانقوا بقى!

انتصب منذر بجسده أمامه، وبدا متحفزاً للهجوم عليه، قرأ فتحي هذا بوضوح  
في عينيه، فعمد إلى التمسك بما يردده، فرمى نجاته تعتمد على ذلك الادعاء  
الزائف:

بس أنا ماليش كلام مع واحدة زبها، الله أعلم إن كانت غلظت في الحرام  
ولا....

لم يقوَ على احتمال المزيد من حماقاته المتهورة، خاصة أنها تمسها تحديداً، فقاطعته  
بانفعال جلي مهدداً بإنهاء حياته:

-شكلك عاوزني أدفك في أرضك!

منعه من الهجوم عليه ذراع أخيه الأصغر وتشبثه به بقواه الجسمانية ليمنعه من  
الاشتباك معه، نظر له فتحي بأعين محتقنة، ثم هتف ساخرًا:

خش عليا بالفتونة والعضلات، لأنت هنا وسط أهلي وعزوتي، وبكلمة  
واحدة مني هتترجموا كلكم، ده أنا الحاج فتحي يا سبع البرومبة!

نظرت له بسمة بازدرء وهي تهمس لنفسها:

-الراجل ده زبالة، شكله مش مريحني، وناوي على حاجة!

هدر فتحي عاليًا وملوحًا بذراعيه في الهواء ليجذب الأنظار إليه:

تعالوا يا أهل البلد، اتجمعوا يا ناس وشوفوا الفضايح اللي بتحصل هنا

بدأ الأنظار تتجه صوبهم بعد صياحه المثير للفضول، وتجمع معظم المتواجدين بالأراضي الزراعية ليتابعوا باهتمام ما يحدث، لم تصدق أسيف ما يفعله، وتلفتت حولها بذعر بائن، هو حتماً سيحدث فضيحة لن تمحى بسهولة من الذاكرة، وأمام أهل قريتها الذين يعرفوها عن ظهر قلب.

هتف دياب مصدوماً:

-الراجل اتهمبل في عقله!

رد عليه منذر بحنق:

ده مش طبيعي أصلاً!

أحاطت عواطف ابنة أخيها التي كانت ترتجف بذراعها عليها تبث إلى روحها الأمان، ووقفت إلى جوارها بسمة تمسح على ذراعها بود لتؤازرها.

لمح فتحي من على بعد الحاج إسماعيل، فهتف عالياً وهو يشير إليه:

-تعالى يا حاج إسماعيل انت كمان اتفرج على المسخرة اللي بتحصل هنا!

انتبه له الأخير، وسار بخطوات متمهلة نحوه، خاصة بعد أن عرف أغلب

الأوجه الواقعة أمامه، وفي أقل من دقائق احتشد الجميع لمتابعة الموضوع

باهتمام، تابع فتحي صراخه المتكرر:

شوية الواغش الفلتانين دول جاينن يصيعوا عليا، يرضيك ده يا حاج

إسماعيل!؟

استنكر منذر طريقته المستفزة، فهدر به معلنا بعدائية:  
 ماتخلنيش أتهور عليك، أنا جبت أخري!  
 أمسكه دياب جيداً ليمنعه من الاتقضاض عليه مضيغاً باستنكار:  
 لم نفسك يا حاج، مش عاوزين نتجن عليك!  
 وبدهاء ماكر أبعد فتحي الشبهات تماماً عنه ليوجه تفكيرهم نحو أمر لا يخطر  
 على الأذهان مطلقاً.....

.....

هما ساكنين هنا!

قالتها نيرمين وهي تصعد على الدرج بخطوات أقرب إلى الركض محاولة الوصول  
 إلى ابنتها والانتقام منهم بعد اعتدائهم العنيف عليها، حررت محضراً رسمياً ضد  
 عائلة طليقها الأسبق بمساعدة الحاج طه، واتهمت فيه والدته وابنتها بتدبير  
 مكيدة لاستدراجها، واصطحبت أفراد الشرطة معها لكي تأتي بابنتها، حاز  
 البلاغ على الاهتمام بسبب تلك التوصيات المعروفة من الوسطاء الهامين من  
 ضباط الشرطة ذوي الرتب العالية، فتحرك فوراً للتحقق منه.

كورت نيرمين قبضة يدها، ودقت بعنف على باب المنزل صارخة بعصبية  
 هائجة:

-افتحوا يا حرامية! افتحوا يا خطافين العيال يا.....

حذرها الضابط المسئول قائلاً:

-بلاش تغلطي يا مدام، كده اتتي هتوقعي نفسك في مشاكل

ردت عليه بجدة وهي تلقي بطرف حجابها لخلف كتفها:

-يعني أسديهم يا حضرت الضابط....

قاطعها طه قائلاً بصرامة قبل أن تنهز:

-خلاص يا نيرمين، اسمعي كلام الباشا!

ضغطت على شفيتها مرددة على مضض:

حاضر يا حاج طه!

فتحت لبني الباب غير متوقعة تلك الطلقات الرسمية أمامها، فانسعت حدقتها

بتوتر قليل، لكن فسرت الأمر بدهيياً حينما رأت نيرمين تدفعها مقتحمة منزلها

وهي تصرخ بقلب ملتاوع:

-وسعي من وشي، هاتولي بنتي!

صدتها لبني بكل قوتها هاتفة بزجرة مغتاضة:

مالك داخلة كده ليه هجم عليا

استخدمت نيرمين كفيها لتدفعها بشراسة أكبر وهي تقول باهتياج:

-اوعي، بنتي، هاتوهالي!

صاحت لبني بقلق قليل:

يا حاتم، تعالى يا سيدي شوف النصاب اللي جاية علينا!

أتى ابنها من الداخل ممسكاً بمنشفته ليحفف بها يديه المبتلتين مرراً أنظاره  
سريعاً على أوجه المتواجدين، فتوجس خيفة منهم، ثم تتم بحذر:

يا ساتر، خير يا باشا؟

رد الضابط بهدوء جدي:

المدام مقدمة فيكو بلاغ بتتهمكم فيه بخطف بنتها!

لطمت لبي على صدرها مرددة باستنكار تام:

والله عيبة في حقنا، بقي احنا نخطف بنتنا! إخص على كده!

أضاف حاتم قائلاً بارتباك طفيف:

يا حضرت الضابط، أنا أبوها، ودي سته، والبت خدتها من عندها تقضي  
اليوم معنا، ازاي هاكون خاطفها؟

تفاجأت نيرمين من إدعاءاتها الباطلة، وكأنهما يدبران لها شيئاً ما، فصرخت  
بجنون:

يا عالم يا ظلمة، ده انتو ضربتوني وهدمتوني العافية هنا

رد عليها حاتم ببرود حذر:

محصلش، أنا لسه جاي من برا، وبأغير هدومي!

اشتعلت نظراتها، وغلت الدماء في عروقها من أسلوبه المستفز، وهدرت فيه  
بصوتها الذي يح من كثرة الصراخ:  
ده صاحبك ناصر كان واقف و....  
قاطعها قائلاً بتجهم:

-بطلي تبلي على الناس، صاحبي أصلاً مسافر!

استشاطت نظراتها على الأخير، فرفيقه الوضع كان يضع يديه النجستين على  
جسدها، وشعرت هي بجرأة لمساته عليها، فاختنق صوتها وهي تنفي كذبتها:  
-كذب، ده كان .. كان.....

قطمت عبارتها مجبرة كي لا تشير إلى فعله الفاضح معها فلا يظنوا بها السوء،  
لكن تهدج صدرها بأنفاسها المضطربة بداخلها، أخرجها من صمتها المجر صوت  
لبنى القائل بتلهف:

-يا باشا، وما ليك عليا حلفان أبداً!

ادعت البكاء متابعة بحزن مصطنع:

-بنتنا وحشانا، وهي حرمانا منها، كلمتها واسترجتها تجهالي كام ساعة أملي  
عيني منها، ووافقت على ده، وبعتلها ابني ياخذها، تقوم هي تعمل فينا محضر،  
شايف الجبروت والافترا

صرخت فيها بلا وعي غير مصدقة كذبتها الملق:



أما إنكم عالم ولاد كلب فاجرين لا ليكم ذمة ولا عندكم ضمير، أنا عملت كده يا  
ضلالية؟

أشارت لبني بيدها للضابط قائلة بامتعاض كبير:

-شايف يا باشا بتغلط فينا ازاي، سجل عندك، أنا عاوز أعمل فيها محضر  
سب وقذف!

رف الضابط كف يده أمام وجه نيرمين محذراً بجديّة تامة:

-اهدي يا مدام!

صرخت قائلة ببكاء:

-والله كدايين، هما مدوا ايدهم عليا، طب شايف الزرقان اللي في وشي ولا  
الضرب اللي على جسمي!

نظرت لها لبني شزراً قائلة باستهجان:

-يا شيخة روجي ارمي بلاكي على ناس تانيين!

تجمدت أنظار الضابط على وجهها مردداً بتساؤل جاد:

-أنا في القسم سألتك إن كان عندك شهود وإنتي أكدي بدل الواحد في عشرة!

ردت عليه لبني بتلهف:

-شهود مين، احنا أعدين في حالنا كافيين خيرنا شرنا، وهي اللي جاية علينا،

حسبي الله ونعم الوكيل، منك لله يا مفترية!

هدرت فيها نيرمين بجموح:

-بتحسبني في وشي، ده بنتك إلهي ايدها تنقطع كانت معاكو و....

قاطعتها لبني هاتفة بحدة:

-بنتي، اتقي الله شوية، هي راحت مع أهل عريسها من بدري، مش موجودة في البيت!

ثم التفتت برأسها ناحية الضابط لتكمل حديثها بثقة:

-وتقدر يا حضرت الظابط تكلمهم وتتاكد!

ضربت نيرمين فخذها بقوة صائحة بسخط:

منكم لله، ربنا يولع فيكم!

تابع طه الموقف برمته دون أن يبدي أي تعليق، لكنه فهم أنها مكيدة دينية وضعت بإحكام لتلقين نيرمين درسًا قاسيًا، وهي كالمغفلة وقعت فيه بسذاجة، شعر بتلك النيران التي تأكلها بسبب الظلم والتجبر، فوضع على عاتقه رد حقها لاحقًا، لكن بتعقل شديد ودون تمهل.

تنحج بصوت خشن موجهاً حديثه للضابط:

معلش يا حضرت الظابط، احنا عاوزين البت لأمها، ميرضكش يفضل قلبها متشحتف كده عليها!

نظرت له نيرمين بأعينها الدامعة غير مستوعبة أنه الوحيد الذي وقف إلى  
جوارها في تلك المحنة العويصة، نشج صوتها وهي تقول:  
هاتولي بنتي، أنا مش هاتعتع من هنا إلا وهي في حضني  
ردت عليها لبني بساجة مستفزة:

وهو احنا هنفوتها، دي لحنا!

تابع الضابط محذراً وهو يشير بسبابته للجميع:

يا ريت أي خلافات أسرية تحلوها بشكل ودي يا إما تلجأوا للمحكمة!  
رد عليه حاتم بقلق خفيف وهو يحك فروة رأسه:

إن شاء الله يا باشا، أنا بس عشان خاطر الفضايح هالم الليلة، استني  
هاجيلك البت!

استند طه بكفيه على رأس عكازه، ثم ابتسم للضابط مردداً بامتنان:  
تعبناك معانا يا باشا

رد عليه الأخير على مضض:

حاج طه لولا التوصيات والمعرفة اللي بينا كان ممكن يتقلب الوضع ضدها  
ويبقى بلاغ كاذب، و....

قاطع طه قائلاً بعشم:

يا باشا انت بنفسك شايف وشها عامل ازاي، يعني أكيد مش هاتعمل كده  
في نفسها

بس معندهاش اللي يثبت

عندك حق، كتر خيرك على مجيئك واهتمامك!

ده واجبنا

خفق قلب نيرمين بقوة حينما رأت رضيعتها بين يدي طليقتها السابق، هرولت  
ناحيته لتأخذه منه، ثم ضمته إلى صدرها بقوة وهي تبكي:

رنا، بنتي!

انهالت على وجهها كله بالقبلات الأمومية، هي ابتعدت عنها لساعات لكنها  
كانت كافية لتدرك أهميتها، ضمته مجددًا إليها، ثم رفعت أنظارها في وجه طليقتها  
وأمه، نظرت لهما شزرًا، وهمست بتقرز:

عالم ولاد..... اتفووو!

صاح بها طه محذرًا قبل أن تهور:

نيرمين!

تحركت ناحيته لتنظر إليه بامتنان وهي تقول:

تسلملي يا حاج طه، والله من غيرك ما كنت هاعرف أتصرف ازاي ولا أرجع بنتي!

أشار لها بعينه قائلاً بصرامة:

قدر ولطف، يالا بينا من هنا!

أسرعت في خطواتها محكمة ذراعها حول رضيعتها لتلج خارج المنزل متممة بكلمات خافتة لكنها تحمل السخط نحوها، انصرف أفراد الشرطة في إثرها ومعهم الحاج طه، فأوحد حاتم الباب خلفهم.

نظر إلى والدته بانزعاج قائلاً:

عاجبك كده يامه، كان ممكن نروح في داهية!

تغنجت بجسدها مرددة بعدم أكثر:

عدت خلاص، بلاش نبر بقى!

تابع حاتم موجهاً والدته:

يابابي! هو حد فيكم أصلاً كان طابق البت ولا أمها عشان تقولوا لحننا وعرضنا!

بررت فعلتها قائلة بغیظ:

أنا كان غرضي أحرق قلبها وأمرمطها، وأديني عملت اللي أنا عاوزاه وزيادة، بس لسه ناقص شوية عشان أرتاح خالص!

ألقى حاتم بثقل جسده على الأريكة مرددًا يإنهاك:

-ربنا يستر من نيتك السوداء يامه!

.....

عمد إلى حشد أكبر عدد من المارة والعاملين بالحقول المجاورة لأرضه الزراعية ليؤجج من انتقام أخر لاح في عقله، أراد فضحها، إذلالها بطريقة مهينة تعجز عن الرد عليها، ويستعيد عن طريقها اعتباره الذي خسره من قبل، تيقن منذر أن ذلك الرجل ينتوي شرًا، لن يقدم على استدعاء كل هؤلاء الأشخاص من أجل لا شيء، هو يفكر في أمر مآكر وخبيث، لم يجد بنظراته عنه، بل ظل مثبتًا إياهم عليه مهددًا بوعيد شرس إن تجاوز المعقول.

هتف فتحي بنبرة جمهورية:

-شوفوا يا ناس، الهانم بنت الأصول، دارت على حل شعرها وفجرت على الآخر، وجاية تقولي يا خال انجديني بعد ما ريحتها فاحت!

جمحت أسيف بعينها في ذهول تام، وصدرت عنها شهقت مصدومة من افتراءه الباطل، ناهيك عن خفقان قلبها في قدمها من هول كلماته المفجعة، هو يعلن صراحة أمام الملاء عن فحشها، عن ارتكابها للأفعال المشينة، أي شيء سيصدق بعد إدعائه ذلك؟!!

وضعت عواطف يدها على صدغها غير مصدقة كذب ذلك العجوز، ونظرت إلى ابنة أخيها بأبصار شاخصة، لم يختلف حال بسمة عنها كثيرًا، فالكل مصدوم بتصريحه المهلك.

بلغت عصبية منذر الذروة، لم يعد يتحمل المزيد من أكاذيبه الباطلة، خاصة ما يتعلق بها، ودون تريث دفع أخيه بعنف ليتجاوزها، واندفع ناحيته بعصبية مشحونة على الأخير ليمسك به من تلايبب ياقة جلبابه، هزه بعنف راميًا إياه بنظرات نارية قاتلة، ثم هدر صارخًا فيه بمجموح مدمر:

إنت راجل ناقص، وأنا مش سايبك النهاردة!

أدار فتحي رأسه للجانب مستغيثًا بفرع:

حوشوه عني يا ناس! هايموتني عشان بأقول كلمة حق

سبه منذر هادرًا بغضب جم:

-كلمة حق يا.....!

تدخل الناس سريعًا للفض بينهما، لكنه رفض إفلاته، بل ظل متشبثًا به، عاقدا العزم على ضربه نظير افتراءاته الكاذبة عليها، وبصعوبة واضحة تمكن أكثر من خمسة أشخاص من جره بعيدًا عنه مقيدين حركته، لكنه كان يقاومهم بكل ما أوتي من قوة ليعود إليه، وشكل آخرون حاجزًا حول فتحي ليحموه منه، فاستغل الفرصة ليضيف بعبث متقن:

-بيستقوى على راجل أد أبوه، شايفين!

صرخ فيه منذر بصوت متشنج:

-كلمة زيادة غلط وهاطير رقبتك!

رد عليه أحدهم بحدة:

-تطير رقبة مين، إنت مفكر نفسك مين يا جدع انت؟

وأضاف آخر مهدداً:

-ده احنا نقدي الحاج فتحي برقبتنا!

بينما أشار آخر إلى أسيف بيده معلنا بكلمات موحية:

-الدور والباقي على اللي مالهاش أهل يلموها

أجهشت هي ببكاء مريير صارخة بحسرة موجوعة:

-حرام عليكم، أنا معملتش حاجة!

ضممتها عواطف أكثر إليها وكأنها تحميمهم من بطشها هاتفة بتأثر:

-انتو عالم ظلمة، دي بنت أخويا، وأعدة معايا وفي بيتي ووسط بنااتي!

رد عليها فتحي ياهانة:

-ده أنا أول مرة أشوفك يا ست اتتي، آل بيتها آل!

لم تتحمل بسمة هي الأخرى ظلّمه البين، فصاحت بانفعال مستنكرة:



انت تعرف ربنا، انت حاج انت؟!!

نظرت له أسيف بأعينها المغرورة بالعبرات هاتفة بصوتها المبحوح، والممزوج  
ببكاؤها الذي يقطع نياط القلوب:

حرام عليك يا خالي، ليه بتقول عني كده؟

ثم رفعت رأسها لتوجه حديثها إلى من حولها قائلة بعتاب أكبر:

ده أنا بنتكم، ومتربية وسطكم وعلى إيديكم، وعمري ما عملت حاجة تغضب  
ربنا ولا...

قاطعها فتحي بازدرء قبل أن تستجدي قلوب الآخرين:

-وأنا ايش دراني، هو أنا كنت قاعد معاكى، وشايفك!

سيطر دياب على أخيه بمجهود كبير مانعًا إياه من التهور، فقد خرجت الأمور  
عما هو مألوف، وأصبح الوضع يشير إلى تبعات مخيفة، وظل الأخير يقاوم  
بشراسة أذرعهم المكبلة له ليفتك به، راقبه الحاج إسماعيل بتوجس كبير،  
وأدرك أن الوضع قد تفاقم وتأزم كثيرًا، فهتف عاليًا مبدئيًا محاولة بأئسة في فرض  
شخصيته على الحضور:

خلاص يا حاج فتحي، مش كده! اعلمي اعتبار! ولم الليلة شوية!

رد عليه بعبوس مظهرًا عدم اقتناعه:

ماشى يا حاج إسماعيل، بس يكون في معلومك إن حل الحكاية دي في ايد  
المحروسة، هي تثبتلنا إنها بختم ربهها وقصاد نسوانا!

ارتفع حاجبي الحاج إسماعيل للأعلى مستنكراً ما لفظه توّاً وهو يردد مصدوماً:

نعم؟ قصدك ايه؟!!

اتسعت حدقتي منذر على الأخير عقب فهمه لمقصد ذلك الديء، هو أدار براءة الدفة ناحيته، لتقلب الأمور في صالحه، ويجبر الجميع على ظن السوء في تلك البريئة اليتيمة، وبالتالي لكي تثبت طهرها وعفتها عليها أن تتجرد من ثيابها أمام عدة نساء لتتولى إحداهن فحسها حتى تتأكد من نقائها.

تجمدت العبرات في مقلتي أسيف محاولة استيعاب ما يريد منها، فخرجت أنفاسها لاهثة وهي تجاهد عقلها لتفسير الأمر، كان عسيراً عليها أن تصدق أنها في موضع الاتهام، أنها تعامل كالعاهرات العابثات.

التوى ثغر فتحي للجانب متابعاً بنجث:

هو ده اللي يخليني أصدق انها زي ما هي!

تساءلت بسمة بعدم فهم وهي توزع أنظارها بين أوجه من حولها:

هو قصده ايه بالكلام ده؟

لم يجبها أحد، وظلت الأنظار كلها متجهة إلى أسيف التي كانت في موقف حرج؛ فإن رفضت طلبه وعاندته، فسيثبت للجميع صدق كذبه الباطلة، وستسقط في أنظارهم، وستنبذ فوراً من بلدها لكونها ساقطة لعينة، وسيلحق العار بعائلتها وبنسلها من بعدها، ستحرم من الكثير من حقوقها، أما إن قبلت بتلك المهانة، وأباحت لغيرها بالإطلاع على أكثر الأمور قدسية

لها، فستخسر ثقتها بنفسها، وستتدمر معها نفسيتها كثيراً، شعرت بنظراتهم  
المتهمه لها تخترقها وتؤكد دعمهم له رغم صمتهم، أدركت أن خيارها بات إلزامياً،  
وقبل أن تحرك شفيتها المرتجفتين لتعلن عن قرارها النهائي، هدر صوت منذر  
بصرامة غير قابلة للنقاش:

مش هايحصل، محدش هايقرب من مراتي ولا يشوفها.....!!

.....

لم يتحرك أحدهم قيد أنملة - وكأنهم قد باتوا أصنامًا صلبة - عقب جملته الأخيرة تلك، وإعلانه بصراحة مطلقة رفضة التام للمساس بها، أرخوا أيديهم عنه، فانتصب في وقفته، وأصبح أكثر شموخًا وعدائية، مرر أنظاره المحترقة على وجوههم كتحذير آخر خطير ينذرهم بعدم الاقتراب من تلك المنطقة المحظورة والتي تخصه هو وحده، تجمدت أنظارها عليه وكأن عينها الباكيتين تستنجدان به عله يلي استغاثتها الصامتة.

لم يتحمل أن يتناول أحدهم عليها ولو بمجرد التلميح إلى ما قد يؤذيها، فتابع هادرًا بصوت جهوري أكثر صلابة وقسوة:

أي حد هيفكر للحظة ولا يبجي في باله يظن فيها الغلط، هايكون حكم على نفسه بالموت!

رد عليه أحدهم بجرأة وهو يشير بيده:

حاج فتحي بيتكلم صح احنا....

قاطعهم منذر بصرامة مهددة وقد استنشأت نظراته:

-ولا كلمة زيادة!

قطع الرجل عبارته خوفًا من هيئته المخيفة، بينما استأنف حديثه معنًا إياهم بشراسة:

-وقبل ما تسمعه وتقولوا أمين على كلامه، كنتوا اسألوا الأول جاين هنا  
ليه؟

استعان بسرعة البديهة التي يملكها للتصرف بعقلانية تامة في هذا الموقف  
المرح، ربما لو وُضع غيره في مثل هذا الموقف لرجح كفة الخيار الآخر، لكنه  
فعل ما يتحتم عليه، التفت برأسه ناحية فتحي ليرمقه بنظرات مهينة، ثم هتف  
قائلاً بنبرة ثابتة رغم شدتها وقسوتها:

بس الراجل الكبير المحترم اللي المفروض عارف في الواجب والأصول،  
مادناش فرصة نتكلم، عمل شبورة على الفاضي!

بدا الاهتمام المزوج بالفضول ظاهرًا على أوجه الجميع، فالكمل يتطلع إلى معرفة  
الأسباب، وبدون أن تهتز نبرته للحظة أضاف منذر بسخط:

-وكل ده ليه عشان بأطلب منه نعمل كتب الكتاب عنده في البيت، باعتباره  
زي خالها، وخصوصًا إن بيت المرحوم رياض خورشيد اتحرق!

تفاجأت أسيف من فكرته الجهنمية، لم يطرأ ببالها أن يتفوه بمثل ذلك الاقتراح  
الذي تخطى حدود تفكيرها الضيق، نظرت له ببلاهة رغم عبراتها التي تنساب  
بغزارة على وجنتيها، هو بحنكة ماهرة غير مسار الأمور تمامًا، تعالت المهمات  
المستنكرة وتبادل الجميع نظرات حادة معاتبه له، تعمد هو رمقه بازدياء وهو  
يقول ملوحًا بذراعه في الهواء:

أنا جاي أتفق معاه على كده، ومعايا عمته وأخويا، يبقى عداني العيب يا  
رجالة؟

رد عليه أحدهم من الخلف بصوت مرتفع:

-لالالا، انت كده بتكلم صح!

وأضاف آخر متسائلاً بضيق:

ليه كده يا حاج فتحي؟ الأستاذ مغلطش!

بينما عاتبه ثالث بمجدية:

-مايصحش يا حاج فتحي، دي بنتك بردك!

رد الحاج إسماعيل قائلاً بضجر وقد زاد عبوس وجهه:

-لا في دي غلطان خالص!

شعر فتحي أن الدائرة تدور عليه من جديد، فصاح بعصبية:

-انتو هتعموما على عومه؟ كتب كتاب إيه ده اللي بيتكلم عنه، ده....

رفع مندر سبابته أمام وجهه مقاطعاً إياه قبل أن يتأدى في كلامه اللاهي،

ومحذراً بشراسة مخيفة وقد تشنجت تعابير وجهه:

عنـدك! كلمة غلط زيادة ومش هياحصل طيب، اللي بتكلم عنها  
هتبقى مراقي، وشرفها خط أحمر، واللي يمسه يبقى حكم على نفسه بالموت،  
ومالوش دية عندي!

ارتجف الأخير من طريقته المهددة بالهلاك الحتمي، وابتلع ريقه بتوجس شديد،  
احتقن وجهه بجمرة مغتازة، وجاب بنظراته سريعًا على أوجه الحاضرين، فتأكد  
أن غريمه قد نجح ببراءه في استدراجهم إليه، وانقلب الوضع لصالحه.

تأكدت أسيف في تلك المرة تحديدًا أن نجاتها من تلك المذلة اعتمدت عليه كليًا  
رغم صدمتها بما قاله، لكنه أنقذها من إهانة لن تمحى أبدًا من عقلها، زاغت  
أبصارها نحو الحاج إسماعيل حينما هتف قائلاً:

اهدى يا أستاذ منذر!

حرك منذر رأسه ناحيته ليتابع بنبرة موحية:

أنا جاي بأخويا النهاردة، وعيلتي بقيتها في الطريق عشان نرتب المواعيد،  
وأظنك عارفهم كويس يا حاج إسماعيل، اتفضل قولهم هما عاملين ازاي!

تنحنح بخشونة موجهاً حديثه للحشد المتواجد حولهم:

دول ناس محترمين، أضمنهم برقبتي!

هتف زكريا قائلاً بجرح:

حصل خير يا بني، معلى احنا محقوقينلك! العتب علينا!

رد عليه منذر بقسوة متعصبة:

-لا، كلكم محقوقين ليها مش ليا أنا!

ثبت أنظاره عليها مرسلأ لها إشارات ضمنية لتطمئن في حضرته، وشردت هي في عمق عينيه الحمراوتين من الانفعال متابعة باستسلام تام حديثه المهدد:

-واللي يزعلها بحرف يبقى وقع معايا أنا!

التفت الحاج إسماعيل ناحية أسيف قائلاً بنبرة محرجة:

-انتي بنتنا، والشيطان أعوذو بالله منه بيوقع الناس في بعض! حقك علينا يا بنت الغالين!

لم تعلق عليه أسيف بل اكتفت بالبكاء العاجز، ففي لحظة كان سيجنى عليها من أقرب الأقربون لها، أشاحت بوجهها بعيداً عنه لتدفنه بين راحتها، فضمتها عواطف إلى صدرها، ولوحت بذراعها الأخر قائلة بتذمر:

-لا حول ولا قوة إلا بالله، منكم لله، حبستوا دهما، وقهرتوها!

اقترب منها الحاج إسماعيل، ووضع يده على كتفها ليربت عليه بخفة معتذراً منها:

متزعليش مننا، احنا غلطانين يا بنتي!

أجهشت بالبكاء المعاتب له، ورفضت أن تدير رأسها ناحيته، فكيف يقبل عليها ببساطة مثل ذلك الأمر وكأنه لا يعرفها حق المعرفة؟

أراد منذر أن يقطع دابر تلك المسألة فصاح بصرامة غليظة:



بس قسمًا بالله بعد اللي حصل ده ماهنعتب للحاج فتحي بيت، هي قطعت كده! وحقها هاجيبهولها وزيادة! وأي شيء يخصها حتى لو كان إيه بقى يخصني أنا!

رد عليه الحاج إسماعيل قائلاً بمرح:

-للا، مايجلش بردك، انتو ضيوف عندي أنا، وبيوتنا كلها مفتوحة ليكم! رفض منذر الإصاغ إليه، فأصر على استضافته كي يعوضهم جميعًا عن تلك الإساءة مرددًا بالحاج:

مش هاقبل أبدًا، بينا على المضييفة نتكلم هناك، وعشان الحریم يرتاحوا من المشوار!

التوى ثغر بسمة بابتسامة متباهية من تصرف منذر الشجاع، وتهدت بجرارة مبدعية إعجابها بجرأته التي لا تقارن بمن عرفته يومًا، نظر لها دياب بغرابة، فعبس بوجهه قليلاً حينما رأى نظراتها المتطلعة إلى أخيه رغم تأكده من حسن نيتها، لكن أزجمه تلك التهيدات الصاردة عنها، التفتت هي ناحيته لتجده محققًا بها، فهمست قائلة بإعجاب:

أخوك دماغه سم!

تجهم أكثر من مدحها له، ورد قائلاً:

ده كلام يطلع من أبله زيك؟

وضعت يدها على فمها متابعة بسخرية قليلة:

شوف واتعلم المرجلة!

رد عليها بجدة طفيفة وهو يكر على أسنانه:

-بلاش تستفزيني!

عقدت ما بين حاجبها مرددة بصدمة:

نعم؟

كظم غيظه بصعوبة، هو لا يريد إثارة المتاعب معها الآن، ولا يجبذ أن يوتر الأجواء بينهما، فتحامل على نفسه طريقتهما التهكمية ريثما يصبح بينهما شيئاً رسمياً، فيصبح للعتاب معنى.

مسحت عواطف على ظهر أسيف قائلة بجنو:

تعالى يا حبيبتى، متخافيش! عدت على خير والحمدلله!

كانت الأخيرة غير قادرة على الحركة، شعرت بوهنها، بأن الأمر يفوق قدرتها على تجاوزه ببساطة وكأنه لم يكن، توجست عمتها خيفة من أن يكون مكروهاً ما قد أصابها، فهتفت بتوجس:

-أسيف، ردي عليا، إتي بخير يا بنتي؟

انقبض قلب منذر من جملتها تلك، فأسرع في خطاه نحوها، ونظر إليها صائحاً بخوف:

-اتى كويسة؟

حدقت فيه بنظرات خاوية، فرأى عبراتها متجمدة في حدقتها، بدت كمن يجد صعوبة في التنفس، فحاول تهدئتها قائلاً بنبرة حب صادقة:

-اهدي يا حبيبتى، محدش هايمسك بشعرة طول ما أنا موجود، اسمعيني كويس، أنا معاكى، وهاحميكي منه!

كانت بحاجة إلى كلماته تلك التي بدت كالدواء المسكن لأوجاعها المستمرة، فهزت رأسها بإيماءة ضعيفة معلنة ثقتها به، ابتسم لها لتجاوبها معه، لكن تلاشت سريعاً حينما أغمضت عينيها، واستكانت رأسها على كتف عمته التي شهقت مرعوبة من ثقل جسدها عليها، خفق قلبه بقوة، وشحب وجهه بتوتر كبير، هتف بصدمة:

أسيف

-حوشها يا ابني!

مد يديه سريعاً نحوها ليسندها هو الآخر، ثم طوق خصرها بأحد ذراعيه، وانحنى ليحملها برفق، وضمها أكثر إلى صدره، انخلع فؤاده بقوة لمجرد رؤيتها هكذا، ود لو يحرق الأرض بمن عليها لجعلها تعاني للحظة من قسوتهم الجاحدة التي لا تعرف أي شفقة بأمثالها من الضعفاء.

هتفت عواطف بفرع:

هي فرفرت من كلامكم المفترى ده!

دنت بسمة من أسيف لتمسح على وجهها قائلة بخوف:

حسبي الله ونعم الوكيل، معندهومش دم!  
 انتبه منذر لصوت الحاج إسماعيل الصادح بجديّة:  
 تعالى يا أستاذ منذر، بيتي قريب من هنا، خليها تاخذ نفسها هناك وترتاح!

.....

أوصلها إلى منزلها بنفسه بعد انتهاء الإجراءات في مخفر الشرطة، واطمئن على  
 وجود الرضيعة في أحضانها قبل أن يشدد عليها محذراً:

باب البيت مايتفتحش لحد يا بنتي!

هزت نيرمين رأسها بالإيجاب دون أن تنبس ببنت شفة، فتابع قائلاً بخشونة  
 جادة:

-وأنا هاسيب حد من عمال الوكالة تحت البيت، هو هايشوف طلباتك لحد ما  
 أمك ترجع من مشوارها

ردت عليه بامتنان:

-كثر خيرك يا حاج طه!

أشار لها بعكازه متابعًا بتحذير شديد:

-واياكي تعلقي مع العالم دول ثاني، سامعة، سدي أي سكة معاهم!

أومأت برأسها قائلة بخنوع:

انت تؤمرني يا حاج طه، ده.. ده لولاك كان زمانى!

رفع كفه أمام وجهها مردداً:

-متحكيش في اللي فات، سلامو عليكم!

-وعليكم السلام

قالتها بهدوء وهي توصل الباب خلفه برفق، ثم خطت بتمهل نحو الصلاة مستعيدة في ذاكرتها وميض سريع لما دار معها، ما أثار حنقها، وحول وجهها لكتلة ملتهبة من الدماء الفائرة هو لمسات ذلك الحيوان القذر على جسدها، شعرت بوخزة قوية في صدرها، بشيء يوجب غضبها من تلك العائلة المتسلطة، صرت على أسنانها متابعة بوعيد مخيف:

مش هفوتهاك يا حاتم الكلب انت ولا ولاد ال..... دول، مش أنا اللي أتضرب بالجزم وأسكت، هاجيب حتى منكم، وبكرة تشوفوا!

.....

وضعها بعناية وحذر على تلك الأريكة الخشبية الموجودة بهو منزل الحاج إسماعيل بعد استضافتهم لهم، جثى على ركبته أمامها، وظل يمسد على جبينها برفق، أقلقه صمتها الإجباري، واختيارها لذلك الحل الضعيف في الهروب من المشاكل، دوماً تتكبد العناء والمشقة، وتستنزف كامل قواها مع كل ما تراه

من مصائب متعاقبة، أراد سحبها إلى عالمه، بعيداً كل ذلك، أن تنعم معه بحب  
دافئ نابع من قلبه الذي تعلق بها حتى سكنته تماماً.

انتبه لصوت مضيفه الهاتف بجديّة:

خذ يا بني الكالونية دي خليا تشمها؟

نظر إلى ما يحمله في يده، فوجده ممسكاً بزجاجة عطر رخيصة - من ماركة  
شعبية معروفة - يقربها إليه، تناولها منه، ووضع القليل من محتوياتها على  
يده، ثم قرب راحته من أنفها لتستنشق رائحتها النافذة عليها تستجيب وتفيق  
من تلك الإغماء السريعة، تركه الحاج إسماعيل يكمل عمله، وانصرف ليتابع  
اهتمام البقية بإعداد الغرف لضيوفه.

كرر منذر الفعلة لعدة مرات حتى تحركت رأسها قليلاً، وظهر تأثير طفيف على  
قسماّت وجهها المشدودة، لحظات مرت عليه منتظراً بتلهف عودتها لوعياها،  
فتنفس الصعداء لمجرد تحريكها لجفنيها، تشكل على ثغره ابتسامة باهتة حينما  
فتحت عينيها ببطء، تشوشت الرؤية لديها في البداية، لكنها شعرت بتلك  
التهديدات الدافئة تلمح وجهها، رمشت بجفنيها لعدة مرات حتى اعتادت على  
الإضاءة، رآته محققاً بها بنظرات متلهفة، فجاهدت لتنهض، هتف محذراً:

خليكي زي ما اتّي؟

سألته بصوت ثقيل رغم خوفه:

حصل ايه؟

تهد قائلاً بارتياح:

-ولا حاجة، اتى كويسة؟

تلفتت حولها بنظرات سريعة محاولة تخمين المكان الذي تتواجد به، لكنها لم تستطع، فتساءلت بقلق:

-أنا فين؟

أجابها بتأن:

-اتى في بيت الحاج إسماعيل!

انتفض جسدها بخوف، وظنت أنهم أتوا بها إلى هنا للقيام بتلك المهمة الوضيعة، فتلفتت حولها بذعر، استشعر رهبتها، وخن السبب، فطمئنها قائلاً بحذر:

-اهدي ومتخافيش، محدش هايقرب منك!

تأكدت من صدق ما يقول حينما لم تجد أي أحد معها، تابع هو حديثه بهدوء جدي:

-أنا بس عاوزك تسمعيني كويس للأخر، ومن غير مقاطعة!

هزت رأسها بالإيماء، فسحب هو نفساً عميقاً حبسه للحظة في صدره، ثم أطلقه دفعة واحدة ليقول بترث:

-شوفي يا أسيف، فاكرة لما حذرتك من قريبك ده؟

ضغطت على شفيتها قائلة باقتضاب:

-ايوه

استأنف حديثه بكلمات موحية:

-انتي شوفتي بنفسك هو حطنا في موقف زي الزيت، ولو مكوتنش اتصرفت  
كده، كان... مش هارغي في اللي قاله كثير!

نكست رأسها بخزي بعد أن ترقرقت العبرات في مقلتيها، أخرجها من حزنها  
هاتفًا:

-أسيف، أنا عاوزك تمشي ورايا للأخر!

رفعت رأسها لتحقق مباشرة في عينيه متسائلة بخوف واضح:

-يعني ايه؟

طالعتها بنظرات مطولة محاولة إطلاق العنان للغة العيون للبحر بما يكنه حقًا  
لها، لكنها لم تستطع قراءة نظراته الشغوفة بها، ضغطت على شفيتها متابعًا بحذر:

-احنا مضطرين نكتب الكتاب قصادهم!

انفجرت ثغرها للأسفل، وتسارعت دقات قلبها بتوتر كبير، أكل هو موضحًا  
بجدية:

-ولازم نعمل الفرغ هنا عشان أحفظلك كرامتك وأردلك اعتبارك، وإلا هاتطلع

سمعة مش حلوة عليكي وعلى أهللك، والراجل ده زي الكلب، ما يصدق

يلاقي حاجة ويلبد فيها!



لم تعقب عليه، وظل بؤبؤي حدقتها يتحركان بقلق بائن عليهما، استشعر  
تردها، بل ربما رفضها، فتهد قائلاً بانزعاج طفيف:  
أنا عارف إنك مش حباني، ولا عاوزة الجوازة دي!  
شعرت بالاطمئنان لتفهمه موقفها، لكن في نفس الوقت كانت تشعر بغصة في  
حلقها بدون أن تفسر الأمر لمجرد إحساسها بحزنه، وضع يده على رأسه يحكما  
مرة واحدة قبل أن يضيف بحسم:  
-وأنا أوعدك مش هاعمل حاجة غصب عنك، الجوازة دي لمصلحتك انتي،  
وهاتكون على الورق وبس!  
سألته مستفهمة وقد تعقدت تعابيرها:  
قصدك انها تمثيلية؟  
حرك رأسه بالإيجاب مؤكداً:  
بالظبط، هانكلها قصادهم، ونمشي من هنا!  
بدا كمن يجد صعوبة في الحديث حينما أكمل بامتعاض:  
-وهانفصل بعدها!  
نغصة أخرى قوية عصفت بها رغم أن المسألة مجرد اختيار مؤقت فرض عليها  
لن تجبر على شيء فيه، حاول أن يرسم على ثغره ابتسامة ودودة وهو يؤكد  
لها من جديد:  
صدقيني، مش هايدوم الوضع كثير!

ضمت كفيها المرتعشين معًا تفكر مليًا فيما قاله، فسألها بترقب:

ها قولتي ايه؟

حدقت فيه مرة أخرى بأعينها اللامعة، شردت بعمق في لمحات وجهه، هي في كل مرة تكتشف فيه سمة مميزة، وفي كل موقف تتعرض له يثبت لها أنه الأجدر بين الرجال، خشيت أن تنساق وراء ما تشعر به، فنفضته سريعًا متسائلة بحذر:

انت مش هاتجبرني على حاجة، صح؟

بلا وعي مد يده ليلتقط كفيها المرتجف، نظرت له مدهوشة غير مصدقة ما فعله، ورغم هذا لم تبد أي مقاومة، تركته يسحب يدها إليه، ويجاوطه براحته، أحست بذلك الدفع المنبعث منه، خرجت منها شهقة خافتة حينما رآته يضمه إلى قلبه مرددًا بنبرة مختلفة عما مضى وذات مغزى:

-وحياة أغلى حاجة عندي هنا، مش هاتعملي أي حاجة إلا برضاكي وبس!

تسارعت أنفاسها بتوتر كبير، تيقنت من صدقه، ولم يضيف المزيد، اكتفى بتصرفه ذلك ليعبر لها عن حاله المشتاق لها، أرخى أصابعه عنها كي لا يسبب لها الحرج، فسحبت يدها للخلف قابضة على أصابعها، نظر لها مطولاً متوقعًا الرفض، لكن خرجت همسة خافتة من بين شفثيها تقول:

ماشى!

حدق فيها مدهوشًا وهو يردد بعدم تصديق:

ماشي ايه؟

ابتلعت ريقها قائلة بنجل ظاهر بعد أن أخفضت نظراتها:

-أنا موافقة!

اتسعت ابتسامته بدرجة ملحوظة، وزادت نبضاته حماسًا، أسبل عينيه نحوها متابعًا بشغف ذلك التورد المنعش للروح الذي غزا وجهها، هي بكلمة واحدة أعادت إليه بريق الحياة، وضع يده على رأسه ليمررها في شعره، أحس باضطراب أنفاسه من قوة الأدرينالين المحفز له، هي أربكته بموافقها المفاجئة، لم يجد من الكلمات ما يعبر بها عن حاله، فتنفس بعمق ليضبط انفعالاته المتحمسة، اعتدل في وقفته، ونظر لها قائلاً بجدية:

-وأنا أوعدك قصاد ربنا إني مش هاخلي حاجة أبدًا تضايقك أو حتى تأذيكي طول ما انتي معايا!

حدقت أسيف في عينيه بقوة دون أن يطرف جفناها لثوانٍ، ابتسمت له بنجل شديد، وهمست بصوت خافت للغاية صدر تلك المرة من إحساسها ذلك:

-وأنا مصدقك.....!!

.....

## الفصل الحادي والسبعون:

ورد إليه اتصالاً هاتفياً من ابنه الأصغر يبلغه فيه بتطورات الأوضاع خلال زيارتهم لبلدتها الريفية، وكيف تأزم الموقف من جديد مما اضطر أخيه منذر إلى اللجوء إلى حيلة كتب الكتاب لكي يسيطر على الأمر قبل أن يتفاقم وينقلب إلى أمر خطير غير مضمون العواقب، ولأنه يعرف ابنه جيداً فقبل طه باختياره، وبامتعاض حرج أمره قائلاً:

سيب أخوك هناك يا دياب معاهم، وإرجع انت عشان نرتب أمورنا!

رد عليه ممتثلاً:

حاضر يا أبا

تابع طه محذراً بصرامة:

-وقوله ما يتهورش، انا جاي بنفسي عنده، هاحل أي مشاكل!

-ماشي، طيب وبنت عواطف الثانية هانعرفها؟

-أكيد، وبعدين دي ليها موال ثاني

سأله دياب باهتمام:

ليه ؟ هو حصل حاجة في غيابنا؟

أجابه بغموض هادئ:

-بعدين هاقولك، بس المهم دلوقتي تظبط أمورك، وترجعلي!

-تمام! اطمن يا حاج

.....

اعتدلت في جلستها بعد أن أبدته موافقتها على عرضه، شعرت بالارتياح لكونه في حياتها، فبدونه لأصبحت لقمة سائغة للأقوى منها، اختلست أسيف النظرات نحوه تراقبه باهتمام ظاهر عليها حينما انسحب من المكان ليتحدث مع الحاج إسماعيل في عدة أمور، لأول مرة لم تنفر حقاً كون ارتباطها جدياً، أحببت فكرة درعها الذي يدفع عنها كل المصائب، أحست بصدق كلماته النابعة منه.

رأت في نظراته ما أكد تلك المشاعر التي تعتربها، ففي كل لحظة تعترض فيها  
 لخطر ما، يظهر لها من الهدم ليزود عنها ويفديها بروحه دون اهتمام بما قد  
 يحدث له، هي الأهم دومًا عنده أولاً وأبدًا، شعرت بنبضاتها تتلاحق بتوتر  
 كبير لمجرد تفكيرها المتعمق فيه، بحالة من الارتباك والخجل لأنها استشعرت  
 وجود شيء ما بها يجذبها إليه، أشاحت بأعينها بعيدًا عنه حينما أتاها صوت  
 عمته المتسائل بحنو:

-بقيتي كويسة يا بنتي؟

ابتسمت قائلة بخفوت خجل:

-الحمد لله أحسن

تنفست بهدوء محاولة ضبط حالها متحرجة من احتمالية اعتقاد عمته بأنها تبادله  
 نظرات غريبة، فنكست رأسها خجلًا، وأكتفت بالصمت  
 مسحت عواطف على وجنتها بكفها برفق شديد، وهتفت متابعة بود:  
 يا رب دايماً يا بنتي!

قربت منها كوبًا معدنيًا به مشروبًا باردًا أعدته من أجلها وهي تضيف:

خدي اشربي العناب ده يروق دمك!

هزت رأسها نافية:

مش عاوزة يا عمتي!

أصرت على ارتشافها منه قائلة بالحاح:

- اسمعي الكلام ده يا حبيبتى ، خلي الدموية ترد في وشك  
استسلمت سريعًا أمام إصرارها هامسة:  
حبيب!

بدأت ترتشف منه القليل حينما انضمت إليهما بسمة لتجلس إلى جوارها  
الأريكة مرددة بازدياء:

قريبك ده الله أكبر عليه، مش بيخاف ربنا، بجد ببح وعينه أد كده!  
نظرت لها عواطف محذرة كي تكف عن عباراتها المزعجة، لكنها واصلت حديثها  
مضيفة بامتعاض:

هو ده انسان، بجد واحد سمج!  
- بسمة، خلاص!

قالتها والدتها بصرامة لكي تقطم جملتها مجبرة، لكن ما لبث أن تلاشى سكوتها  
المؤقت لتتسائل باهتمام:

- قولولي هانعمل ايه بعد كده؟ يعني المفروض هي عروسة ومحتاجة طلبات  
و...

ردت عليها أسيف معترضة:

أنا مش عاوزة حاجة!

عقدت بسمة ما بين حاجيها مرددة باندهاش:

-لأ ماينفمش، هو في عروسة من غير فستان ولا فرح

أوضحت سبب رفضها قائلة بضيق:

-يعني ازاي أفرح وأنا عندي مصيبة تانية؟

تبادلت بسمه نظرات متعجبة مع والدتها، فلم تفهم مقصدها بوضوح،

فاستأنفت أسيف حديثها مبررة:

هو أنا مش من حقي أزعل على بيتي اللي اتحرق ولا حياتي اللي معدتش ليها

وجود، ولا على كل اللي راح مني!

ردت عليها عواطف مواسية إياها بلطف:

طبعًا من حقا يا بنتي، هو حد يقدر يتكلم!

صمتت للحظة قبل أن تضيف بتريث لتؤكد على جدية الوضع:

بس الظروف دلوقتي أجبرتنا على كده!

لمعت عينها ببريق حزين، فكل ما يحدث لها لم يكن ضمن أحلامها الوردية

البسيطة، دعمت بسمه كلمات والدتها قائلة:

-وبعدين احنا اللي بنعمل حياتنا وبنصنع الذكريات، انتي يايدك ترجعي كل

حاجة، متخليش بس الحزن يسيطر عليكي!

ردت عليها عواطف بابتسامة ممتنة:

مضبوط، اسمعي كلام بنت عمك، هي بتقول المفيد!



أكلت بسمة محذرة بجدية وهي تشير بسبابتها:  
 -اوعي تخلي الراجل ده ينتصر عليكي، افرحي لو حتى لدقائق!  
 تعلقت أنظار أسيف بها، وفكرت بتعمق في حديثها العقلاني، بينما استمرت  
 بسمة في الاسترسال متابعة:  
 -ومنذر وعدك هايحيب حقك، وهايشوف مين اللي عمل كده، خليه هو يركز  
 في الحاجات دي واتي فوقى لنفسك!  
 ردت عليها باقتضاب غامض:  
 -ربنا يسهل!

.....

قضى الجميع ليلتهم في منزل الحاج إسماعيل الذي يسر كل سبل الراحة للقيام  
 على ضيافتهم، فكانوا ممتنين لكرمه الزائد معهم، وفي صباح اليوم التالي استعد  
 دياب للانطلاق في طريقه، وأجرى مع أخيه حوارًا سريعًا للاتفاق على أهم  
 الأمور قبل أن يتركه وينصرف.

ها فهمتني، وأنا هتابع معاك!

هتف منذر بتلك العبارة لأخيه الذي أجابه وهو يفرك طرف ذقنه:

ماشى!

سار بصحبته حتى أوصله إلى السيارة، فاستدار دياب ناحيته مضيئًا بنبرة  
 ذات مغزى:

-وخلي بالك من الجماعة، فاهمني طبعًا!  
 فهم منذر مقصده الخفي، فابتسم له قائلاً:  
 -انت هتوصيني!

ودع الحاج إسماعيل أحد الأشخاص بعد الاتفاق معه على شيء ما ليقوم به  
 تَوًّا، ثم دنا منها هاتفاً:

ماكنت تخليك قاعد يا ابني، والجماعة يحصولك على هنا!  
 رد عليه دياب بإصرار:

-مش هاينفع والله يا حاج، طالما الموضوع جه على السريع محتاجين نعمل  
 ترتيباتنا ونبلغ حبايبنا كلهم، وبعدين منذر معاكو الكام يوم دول!

ربت إسماعيل على كتف منذر قائلاً بتفاخرٍ مادحًا فيه:  
 ده زينة الشباب ومنورنا!

رد عليه الأخير ممتنًا:

-الله يكرمك يا حاج!

أضاف الحاج إسماعيل قائلاً بنبرة خشنة:

تسلم يا ابني، تعالوا نشرب الشاي عقبال ما الجماعة يجهزوا الحاجة

تبادل دياب مع أخيه نظرات حائرة بعد كلماته الغامضة تلك، وتسائل منذر  
باستغراب:

حاجة ايه دي؟

رد مبتسمًا دون تكليف:

حاجة بسيطة على ما قُسم، مش من قيمتكم طبعًا!

اعترض دياب بشدة وهو يشير بيده:

-لا مالوش لازمة!

أصر الحاج إسماعيل قائلاً:

-والله ما يحصل، إنت عاوز تزعلنا، تعالوا على المضييفة نتكلم جوا!

لم يجد الاثنان بداً من الاعتراض، فتلك من التقاليد الطيبة المعروفة لدى أهل  
تلك البلدات الريفية، ورفضها يعني التقليل من احترام المضيف.

.....

لاحقًا، أصرت عواطف على ذهاب ابنتها مع دياب لتأتي بأختها، فلا يصح أن  
يُقام حفل عقد القران بدون وجودها، بالإضافة إلى حاجة بسمة إلى ثياب  
جديدة، وكذلك لإحضار بعض الأشياء والمتعلقات النسائية التي ربما تحتاج  
إليها العروس في ليلة كهذه، ووافق هو بسعادة على اصطحابها، فرمما هي  
فرصة مناسبة له ليحظى بحديث ودي معها على انفراد، جلست بجواره في

المقعد الأمامي رغم حرجها منه، لكن لم يكن أمامها أي بديل، خاصة حينما وضع  
بالمقعد الخلفي ما هو متعارف عليه من هدايا ترحيبية تشمل الفواكة  
والخضراوات والطيور وغيرها مما يعرف عنه بـ "الزيارة للعائلة".

انحنت عواطف على النافذة الأمامية لسيارته لتودعها قائلة:

-كلميني كل شوية لحد ما توصلي

ردت عليها بسمة بهدوء:

-حاضر يا ماما!

وجهت حديثها إلى دياب قائلة بتخوف قليل:

-خذ بالك منها يا بني! السكة طويلة و...

قاطعها بجدية وهو مسلط أنظاره على معشوقته:

-دي في عينيا يا ست عواطف، اتني هتوصيني بردك!

ردت عليه عواطف بتنهيذة:

يحميك ربنا

أشارت بسمة لأمها قائلة بهدوء:

مع السلامة بقي يا ماما عشان نلحق الطريق

-ماشني، ربنا يسلم طريقكم

أدار بعدها دياب محرك السيارة لينطلق بها نحو الطريق الفرعي للبلدة ليعرج  
منه إلى الطريق الرئيسي حيث طريق عودتهما.

.....

تجول منذر في البلدة بصحبة الحاج إسماعيل ليتحدث معه حول مسألة حرق  
منزل المرحوم رياض، وبالطبع بدا الأخير حذرًا فيما يتفوه به كي لا يثير  
الشبهات حول فتحي الذي يشك به، لكن نظراته المتطلعة إليه أكدت له عدم  
اقتناعه، وفي النهاية طلب منه الالتقاء بأمور القسم ليفهم من ملابسات  
الحادث، فرد عليه هاتفًا:

-خلاص يا أستاذ منذر، أنا هارتبلك ميعاد معاه!

هز رأسه موافقًا وهو يرد:

اه يا ريت، محتاج أفهم منه كل حاجة!

حك الحاج إسماعيل ذقنه الخشنة متمتمًا:

-ماشي! بينا على المضيفة نقوم معاك بالواجب

-كثر خيرك، كرمك وصل من بدري

هو احنا لسه عملنا حاجة، تعالى يا أستاذ منذر

الديوان .. سنال محمد سالم

.....

وزع أنظاره بين الطريق تارة وبين وجهها تارة أخرى ممتعاً عينيه بتأمل ملاحظها الهادئة، أمسكت به في إحدى المرات وهو محقق بها، فضاقت نظراتها نحوه، استندت بظهرها للجانب قليلاً، وعبست بوجهها قائلة بجدة طفيفة:

خير؟

ابتسم ببلاهة مردداً:

نعم

سألته بسمة على مضض:

-بتبصلي كده ليه؟

أشار بحاجبيه مازحاً:

-بأبص على المراية اللي جمبك

ردت بتهمك حاد وهي ترفع أحد حاجبيها للأعلى باستنكار:

-والله، وهو المراية مرسومة على وشي؟!!

هز كتفيه نافيًا:

مش عارف، إنتي أدري!

نظرت له بضيق مظهرة انزعاجها من مزحته الخيفة قبل أن تعتدل في جلستها

متممة بتذمر:

-رينا يهون بالطريق!

رد عليها مداعبًا:

ايوه، كمان اتني أصلاً كائن قفوش!

فغرت شفيتها متفاجئة بما قاله، فالتفتت سريعًا نحوه لتسأله باندعاش:

-أنا ايه؟

أجابها بهدوء عجيب محاولاً تقليدها:

قفوش! يعني فجأة الحواجب يترفعوا لفوق، والعينين تبظ شرار وغضب ربنا ينزل عليكى لو الواحد قال معاكى كلمة، فعلى ايه أخذ وأدي، الطيب أحسن!

احتدت نظراتها نحوه وهي تعنفه بغیظ:

-بقى بتسمي دي طريقة حوار؟

أجابها ببساطة:

ما أنا مش عارفك سكة الصراحة عشان أتفاهم معاكى

سألته عصبية قليلة وقد تشنجت تعابرها:

-وعاوز تتفاهم معايا ليه؟

بدا عليه الارتباك وهو يحاول تفسير ما يريد الإفصاح عنه، فخرج صوته متعلماً

وهو يقول:

-أحم.. يعني عشان... أقصد....

لم ينتبه جيداً للطريق، واستمر في التحديق بها دون مراعاة تلك الطرق الغير  
ممهدة، فانحرفت السيارة عن مسارها، شهقت بسمة مذعورة حينما رآته يميل  
نحو الحافة:

حاسب التربة

أدار ببراعة عجلة القيادة في آخر لحظة ليتفادى السقوط بالمجرى المائي، حبست  
هي أنفاسها بتخوف كبير، ثم تنفست الصعداء حينما تباطأت سرعتها وتوقفت  
عن الحركة، التقط دياب أنفاسه قائلاً بمرح طفيف:

-الحمد لله، عدت على خير!

نظرت له شزرًا، وصاحت بانفعال:

-والله، احنا كنا هاتقع في التربة عشان انت مش مركز في السواعة!

رد عليها بضجر:

-ربنا ستر، وبعدين العربية دي ماشية بدعا الوالدين والله!

وقبل أن تفتح فمها لترد عليه، تابع مازحًا محاولاً امتصاص نوبة غضبها قبل أن  
تثور في وجهه:

-وما ليكي عليا حلفان، الفرامل بعافية حبتين، بس لحقتها، والبط تمام ورا،

والبرتقان زي ما هو، ناقص بس نشيك على البيض!

شهقت قائلة برعب أكبر:

-بتقول ايه؟



ابتسم قائلاً بهدوء:

متخديش في بالك، دي حاجة بسيطة!

صاحت بارتعاد وهي تلوح بذراعيها:

هي الفرامل بايطة، وطالع بينا على سكة سفر؟!!

أشار بسبابته في وجهها موضحاً:

-أهو ده اللي باتكلم فيه، بتقفشي في ثانية!

تفهمت بصعوبة أنه يمازحها، فأعدت رأسها للخلف، ثم أغمضت عينيها، وظلت

تتنفس بعمق حتى تستعيد انضباطها، توصلته قائلة برجاء خفيف واضعة يدها

على قلبها المتسارع في نبضاته:

-بلاش الله يكرمك الحركات دي، أنا قلبي مش ناقص!

تابع حركاتها العفوية تلك باهتمام كبير، وتهد قائلاً باشتياق:

-ولا أنا قلبي مستحمل اللي هو فيه

انتظر لوهلة حتى هدأت تمامًا، فأعاد تشغيل السيارة ليكمل طريقه بقيادة

حذرة، ظل يقاتل داخل عقله في معركة فكرية كبيرة عله يصل إلى وسيلة

تمكنه من البوح بمشاعره بطريقة سلسلة أمامها، لكنه وجد صعوبة في الأمر،

حسم أمره هاتقاً بجديّة:

-بسة!

استغربت من طريقته الفظة في نطق اسمها مجردًا من أي لقب، فعاتبته قائلة:

-نعم، بسة كده حاف؟!!

رد مبتسمًا بهرح:

خلاص هاحطها مع غموس!

انعقد ما بين حاجبها بعبوس كبير، فتلاشت ضحكته معتذرًا بحذر:

-بلاش، مش هاهزر ثاني!

نظرت له بجدة، فتنحج بصوت خشن قبل أن يضيف:

-أنا كنت عاوز أسالك في حاجة كده، و.. ومحرج شوية

ظنت أنه يريد مفاتها في مسألة الدرس الخصوصي الخاص بابنه، فهي قد

أهملته مؤخرًا بسبب الظروف العائلية، وربما وجد الصغير صعوبة في

الاستذكار بمفرده، لذلك ردت قائلة:

-أها، فهمتك، لو على موضوع الدرس، فأنا ممكن أشوفلكم بديل عشان مؤقت

ليحيي و...

قاطعها بجدية:

-لا مش ده!

- اومال ايه؟

تشبت أكثر بالمقود ضاغظًا عليه كوسيلة للتنفيس عن توتره الذي يعتريه، ثم  
تمم من بين شفثيه مرددًا بارتباك:

- يعني.. هو.. لو... بصي...

تعجبت من تلك الحالة التي سيطرت عليه، فسألته بفضول:

ها عاوز ايه؟

تراجع سريعًا عما يريد قوله، وتبلدت تعايره قائلاً:

- خلاص ماتحطيش في بالك، بعدين!

نظرت له باستغراب مرددة بفتور:

براحتك!

عنف دياب نفسه قائلاً بحنق:

حمار، ما انت كنت زي البغبغان قصادها، دلوقتي اتخرست!

.....

عاد إلى منزله ليخبرها بأخر المستجدات التي طرأت فيما يخص ابنها، صدمت  
من قراره المبالغت بالزواج في تلك البلدة، وإصراره على حضور أفراد العائلة  
والمعارف لإقامة حفل عقد القران هناك، خاصة أنه لم يمض سوى يومين فقط  
على الخطبة.

نظرت إلى زوجها مغممة باستنكار:

-ابني هايتجوز، كده على طول، من غير ما....

قاطعها طه قائلاً بصوته الأجهش:

-اه يا جليلة، الظروف حكمت!

تلفتت حولها ضاربة كفها بالأخر محدثة نفسها بعدم تصديق:

-بس ده ناقصه كثير، هو احنا لحقنا نعمل حاجة، وبعدين ليه السرعة دي؟

رد عليها موضحاً:

-ده كتب كتاب بس، بعد كده نبقى نعمل الحلو كله!

هزت رأسها معترضة وهي تقول:

-لالالا، أنا ماحبش النظام ده، كل حاجة ليها أصولها و...

رفع طه يده أمام وجهها هاتقاً بصلافة جادة:

-بصي يا جليلة، أنا مش عاوز رغي كثير، جهزي نفسك والعيال عشان نتوكل

على الله، وربنا ييسر في الباقي!

بررت سبب رفضها التعجل في تلك الزيجة قائلة:

-ده احنا ورانا مواويل كثير يا حاج!

ربت طه على كتفها برفق محفزاً إياها:

-اتجدعني بقي!

ضربت جانبيها براحتي يدها مرددة بانزعاج:  
يا بني عليك يا منذر، لما تطق حاجة في دماغك!

.....

فركت وجهها بتعب نتيجة طول المسافة التي بدت وكأنها لا تنتهي، وتفكيرها  
ظل مشحونًا بكيفية الترتيب لما يحتاجه عقد القران، همست لنفسها بتبرم:

الواحد محتاج يجيز فساتين حلوة، ويشوف بنت كويسة للكوافير، و...

استدار دياب ناحيتها يتأملها باندھاش، فقد كانت كمن يخطط لمعركة حربية  
وليس لمجرد عرس بسيط، فتمتم باستغراب:

ده الموضوع باينه كبير!

زفرت قائلة بإنهاك:

اومال انت مفكر ايه؟ هو كتب كتاب كده وخلاص، ده احنا محتاجين شهر

عشان نجيز كل حاجة، ويا ريت بس نلحق!

رد مازحًا وهو يحاول كتم ضحكاته:

ليه، هتشتبوا عمارة؟

اغتاظت من استخفافه بالأمر، فعاتبته قائلة:

انت هاتفهم ايه في حاجة البنات!؟

غمز لها قائلاً بتسلية:

طب ما تفهميني، جري مش هاتخسري حاجة!

نظرت له من طرف عينها قائلة باستخفاف:

صعب عليك

تهد محدثاً نفسه:

لو تديني بس فرصة أتكلم!

فكر للحظة أن يستغل الفرصة في التمهيد لموضوع رغبته في الارتباط بها،

فأردف متسائلاً بترقب:

يا ترى اللي حصل ده مافتحش نفسك على الخطوبة والجواز؟

نظرت له مطولاً قبل أن تجيبه بتبرم:

بالعكس ده سدها على الآخر!

فغر فمه مدهوشاً من ردها الغريب، واستدار ليحدق في الطريق أمامه متمتماً

بصوت خفيض:

-كويس، أنا كده اطمنت، طريقك مسدود يا ولدي!

ظنت أنه ربما أساء فهمها، فتابعت مفسرة وهي تشير بيدها:

-بص، هو كفكرة للجواز، عادي، بس أنا مش حابة انه يكون بالشكل ده؟

لوى ثغره للجانب مردداً بتساؤل:

أومال عاوزة دباذيب وورد وقلوب وحركات من دي؟

قطبت جبينها قائلة بجدية:

مش للدرجادي، لكن دلوقتي أنا مركزة في مستقبلي وبس  
أرخی قبضته عن المقود، ورفعها على رأسه ليحكها وهو يقول بتوجس:  
لو على سبيل الفرض يعني، حد ظروفه زي ظروفي كده، واتقدملك  
هتوافقي؟

نظرت له بعدم فهم، لكنها بدت محتمة بما تفوه به، فتساءلت:

مش فاهمة؟ قصدك ايه؟ ممكن توضح أكثر!

سحب دياب نفساً عميقاً، ولفظه دفعة واحدة، أبطأ سرعة السيارة قليلاً كي  
يضمن عدم القيام بأي حادث سير، ثم التفت ناحيتها هاتفاً بنزق:

-بصراحة كده ومن غير لف ولا دوران، أنا باحبك من زمان!

اتسعت عيناها بصدمة واضحة من تصرّحه المفاجئ، وانفجرت شفتاها ببلاهة  
جلية، فتابع قائلاً ببساطة:

مش عارفة أقولها لك ازاي، بس كان لازم أديها لك خبط لزق عشان تحسي  
بيا

حاولت أن تجد من الكلمات ما ترد به عليه وبشدة، لكن ألجمت المفاجأة  
لسانها وعقدته، فخرجت الكلمات بصعوبة من جوفها وهي تقول:

انت..

باغتها بوضع إصبعه على فمها ليمنعها قسراً عن الكلام قائلاً بهدوء:

أنا مش عاوز أسمع منك رد، أنا بأقولك اللي حاسه ناحيتك! أنا مش عارف أجيها لك ازاي، بس ده حصل، وأنا حبيتك، وكان هيجرالي حاجة لما.. لما حصلك الحادثة، و.. وكنت مستني الوقت المناسب عشان أفتحك فيه!

رمشت بعينها غير مصدقة أنه يفصح لها عن تعلقه الشديد بها، عن حبه الشغوف لها، عن رغبته في الارتباط بها، وهي لم تشعر بما يكنه لها..

تخبط رهيب في أفكارها، بل الأحرى حيرة جليلة سيطرت عليها بعد ذلك، شعرت فقط بدموية متحمسة تتدفق إلى وجهها لتزيد من سخوته، ربما لكونها في موقف حرج، ولكونه يعترف بحبه لها، فتأثرت خلاياها تلقائياً بذلك، لكن الأيكد أنها لم تجد من الكلمات ما تستطيع الرد به عليه.

.....

عقدت العزم على فضح أمره، على إنهاء حياته المهنية كخطوة أولى في تدميره، هي رفضت إلحاق الأذى به من أجل ابنتها، لكنه تجاوز معها، وسمح لغيره بالاعتداء عليها، واستمتع برؤيتها مهانة، فقررت التخلي عن فكرة السلمية معه، ولجأت إلى مؤسسته الحكومية لتقديم شكوى علنية فيه مُسببة وموضحة فيها أسباب شكواها.

سألت نيرمين الموظف المسئول عن تلقي البلاغات عن الموظفين بعث مآكر:



-انتو بتحققوا في الشكاوي دي بعد ما بنقدمها؟

أجابها بتأفف وهو يرتشف القليل من كوب الشاي الخاص به:

-ايوه، بتروح شئون العاملين، وفي لجنة بتتعقد، ويتعاملوا مع الشكوى بجدية، خلصينا يا ست، لسه وراانا غيرك كثير!

عمدت إلى إظهار توجسها كي تشير إلى أهمية الشكوى، وازدردت ريقها أمامه مصطنعة التخوف وهي تضيف:

-بس .. بس دي فيها حاجات عن رشاي و.. وتهريب ، وحاجات تانية

انتبهت حواس الموظف لما قالته، ولاح في عقله أفكارًا كثيرًا، أهمها الحصول على مكافأة مالية مجزية، وترقية استثنائية إن تولى بنفسه ذلك الأمر، أسند الكوب سريعًا على مكتبه هاتفًا بتلهف:

-اكتبي اللي انتي عاوزاه، بس الأهم بياناتك تكون واضحة عشان جدية الشكوى!

ابتسمت قائلة بسعادة:

ماشى يا أستاذ!

التوى ثغرها للجانب أكثر لتظهر ابتسامة خفية من بين أسنانها وهي تحدث نفسها قائلة:

-وريني هاتعمل ايه يا حاتم في الفضايح اللي هاقولها!

.....

انتهى من تناول تلك الوجبة الخفيفة التي اشتراها من مطعم الوجبات السريعة، وطوى الورقة الفارغة ملقياً إياها بإهمال في سلة القمامة الصغيرة الموضوعة بجوار مقعده المعدني، كان على وشك الذهاب للمرحاض لغسل يده، لكنه تسمر في مكانه حينما رأى أفراداً من الشرطة يملأون الرواق. اقترب منهم مازن ليعرف ماذا يريدون، فانتبه لصوت أحدهم الأمر وهو يشير بيده نحو غرفه أخيه:

حط حراسة يا بني هنا، وتحفظ على المتهم لحد ما يسمحولنا نستجوبه!

صُدم مما يفعله، وشعر بدمائه تفر من عروقه، فسأله بارتباك متلهف:

خير يا باشا؟ متهم مين اللي بتكلموا عنه؟ ده أخويا اللي في العناية!

نظر لها الضابط مطولاً متفحصاً هيئته، ثم رد بجمود:

احنا عارفين، ومعانا أمر من النيابة بالقبض عليه

سأله مازن بتوجس وهو يمرر أنظاره على وجوههم:

هاه، طب ليه؟ هو عمل ايه؟ ده.. ده راقد هنا و....

برر له الضابط السبب قائلاً:

في بلاغ متقدم ضده بالاعتداء على صاحبة صيدلية لدكتورة اسمها فاطمة،

والنيابة بتحقق في الموضوع ده!

قوس فمه للجانب مردداً بذهول:

-اييه؟

تابع الضابط مضيئاً بصيغة أمرة لأحد المجندين:

-تقف هنا متحركش إلا بأوامر مني، سامع!

أدى الفرد الأمني التحية العسكرية قائلاً بخنوع:

-تمام يا باشا!

تلقت الضابط حوله متسائلاً:

محتاج أتكلم مع الدكتور المسئول عن حالته، هو فين؟

رد عليه أحدهم:

-اتفضل يا فندم، هانسأل في الاستقبال وهما هيبلاغونا!

تابعهم مازن في صمت ضرباً كفه بالأخر، فقد خسر أخاه حرته بسبب

تهوره، وحمماً سيزج به في السجن عما قريب إن ثبتت تلك التهمة عليه، تهد

قائلاً بتوجس:

-والله أعلم ايه تاني ممكن يجراك يا مجد! انت ضعت

خلاص.....!!

.....

## الفصل الثاني والسبعون ( الجزء الأول):

ساد صمت ثقيل بينهما طوال المسافة المتبقية من وصولهما، لم يتبادلا فيها الحديث إلا بكلمات مقتضبة فقط، حرص على عدم إزعاجها، ولجأت هي إلى الصمت الإجمالي، هو باغتها باعترافه الصريح بحبه لها، وهي عجزت عن استيعاب الموقف، ظلت تفرك أصابع كفيها بتوتر بادٍ عليها، فلم سبق أن تقدم إليها أي أحد بعرض للزواج، حتى من تعرفهم من زملاء بالعمل كانوا يتعاملون معها بطريقة رسمية بسبب أسلوبها الجاف في المعاملة، مر بيالها موقف واحد مخرج لأحد أقرباء أحد الأطفال ممن تستذكر معهم حينما أراد رؤية وجهها أثناء شرحها للدرس، فاستنكرت طريقته الفظة، واعتذرت عن إكمال الدرس الخصوصي.

اختلس دياب النظرات نحوها، راقب ارتباكها بتوجس مزعوج، اعتقد لو هلة  
 أنها ربما تفكر في طريقة للاعتذار منه بصورة لبقة عن الارتباط به، انقبض  
 قلبه بقوة لمجرد التفكير في هذا الأمر، سحب زفيرًا عميقًا ليدعم به نفسه قبل أن  
 يكسر الحاجز الجليدي بينهما هاتقًا بمرح:

-أنا.. مش مستعجل منك على أي رد، بس.. محتاج كلمة تطمني ولو شوية!  
 لم تستدر نحوه، وظلت محدقة للجانب متحاشية النظر إليه، زاد تخوفه من  
 رفضها، فتابع بتوسل خفيف:

عشان خاطري بس، قوليلي رأيك ايه في اللي سمعته مني؟  
 أجابته بجفاء تام:

-يعني عاوزني أرد أقول ايه؟  
 همس برجاء:

-أي حاجة تريخني!

رفضت بسمة الالتفات نحوه قائلة بجمود:

-معنديش حاجة أقولها!

سألها بتوجس كبير:

-يعني انتي ممكن ترفضيني؟

رد باقتضاب غامض:

معرفش

نظر نحوها متسائلاً بارتباك:

حطب، موافقة مبدئياً عليا؟

أجابته بإيجاز:

مش عارفة

شعر بأجواء الرفض تلوح في الأفق، فهتف مستسلماً:

-اعتبري إني مقولتش حاجة!

ردت بفتور وهي تكثف ساعديها أمام صدرها:

-يكون أفضل!

استمر الصمت سائداً بينهما لبرهة حتى مل منه دياب، أراد أن يبوح لها  
بإحساسه خلال زيجته السابقة عله يكسب جولة معها، فيرق قلبها إليه، تهد  
ببطء، ثم استطرد حديثه هاتفاً بصوت حزين:

-بسمة، أنا عاوزك قبل ما تقولي رأيك تعرفي حاجة مهمة!

انتبهت لصوته، وحانت منها التفاتة سريعة نحوه، فرأت تعابيره يكسوها الحزن،  
شعرت بغصة في حلقها، لكنها عاودت التحديق في الطريق أمامها متجاهلة ما  
رأته، تابع قائلاً بصعوبة واضحة في نبرته:

لو.. لو هتفرضيني يا ريت مايكونش بسبب ابني، هو مالوش ذنب، أنا مش بأدورله على أم، لأنها موجودة، ومقدرش أنكر ده!

شعرت بالحرج لكونه برر أحد أسباب احتمالية رفضها له، الاقتران بزواج منفصل لديه أبناء، تنفس بعمق، وأخرج زفيرًا يحمل الكثير من الهموم وهو يضيف بامتعاض:

-أنا كرهت فكرة الزواج والارتباط، جايز قليل أوي اللي عارف السبب، بس أنا حابب إنك تسمعيه مني، يمكن يفرق معاكي!

ضغطت بسمة على أصابعها بقوة مستشعرة الحرج الشديد من استرساله في أمور خاصة لا يستوجب عليها معرفتها، فقاطعته بتهذيب:

لو سمحت، مافيش داعي....

قاطعها مصرًا على أن تصني له هاتفًا:

-أنا دورت لنفسني على حبيبة، وافتكرت إن أم يحيي هي الانسانة دي، بس للأسف طلعت أكبر خازوق أخذته في حياتي!

انزعجت من وقاحة ألفاظه، فتنحنت مرددة بخفوت:

-احم.. من فضلك!

تجاهل رجاؤها، وواصل بوحه بما يجيش في صدره قائلاً:

لعبت عليا ووقعتني في آآ... يعني مش عارف أجيبها لك ازاي ، بس كنت  
زي الأهل مشيت وراها، وصدقته، وعملت أكبر حاجة ندمت عليها،  
مكوتنش عاقل، كنت طايش ومجنون!

تملكها الفضول لتعرف أكثر عنه، خاصة أن كلماته كانت غامضة وتحمل بين  
طياتها الكثير، ابتلع غصة مريرة عالقة في حلقه قائلاً بأسى:

-الي اكتشفته بقى إنه عشان خاطر الفلوس ممكن تعمل أي حاجة،  
استغفلتني، ولعبتها صح عليا، ولاقت المغفل اللي يشيل الليلة كلها!  
التوى ثغره للجانب ليضحك بتهكم:

بس حظها المهبب إن الكلب مازن قال على السر، ماهو اتفاق بينهم، ولولا  
إنها كانت حامل في يجي كنت طلقته ساعتها!

طالعه بنظرات أسفة ومزعوجة من تلك المكيدة المحكمة التي أوقعت أعقل  
الشباب في فخ لعبة الحب ببساطة، تابع مضيئاً بتنهيده منهكة:

-مقدرتش أكمل حياتي معاها، كل لحظة كنت بأشوف وشها فيها بأفتكر  
غباءي، مطولناش كثير، واطلقنا بعد حادثة مرات منذر الله يرحمها!

استدار ناحيتها ليسألها بجديّة:

-أكيد اتني فأكرة المشاكل اللي كانت وقتها مع عيلة أبو النجا والكلب مجد؟  
ماهو كان على عينك يا تاجر!

ضغطت على شفيتها قائلة بمرح:



أها.. كنت لسه صغيرة!

أكل بتريث:

ومن وقتها وأنا خدت عهد على نفسي مخليش أبدًا واحدة تقرب مني، ولا  
أتجوز ثاني!

صمت عمدًا ليجذب انتباهها، ونجح بسهولة في هذا، فابتسم ابتسامة باهتة  
وهو يقول بنبرة ذات مغزى:

بس الظاهر قلبي مطاوعينش!

حدقت بسمة مباشرة في عينيه، مشدوهة بما يقوله، فواصل بجذر دون أن  
يخفي ابتسامته العذبة:

انتى ظهرتي في حياتي، وشوية شوية عرفتي تدخلني قلبي، وتسيطر على  
عقلي!

تورد وجهها من غزله المتواري، فأبعدت نظراتها بعيدًا عنه، توسلها قائلاً  
برجاء:

أنا مش طالب منك كثير، عاوز بس فرصة أعبر بيها عن مشاعري!

بدت متخبطة من كم الذكريات التي تلقاها عقلها دفعة واحدة، فهتفت بنزق  
نابذة فكرة الارتباط:

بس إنت هاتحطني دايماً في مقارنة معاها

رد مستنكراً تفكيرها السطحي:

مين قالك؟

علت قائلة بجدة:

ده المتوقع، الجوازة الثانية بتكون مظلومة و....

قاطعها بانفعال طفيف:

استحالة، الجوازة الأولى من الأول كانت غلط، ما فيش حاجة فيها كانت صح،  
جايز ابني اللي طلعت بيه منها!

بس...

ما تحميش على الحاجة من غير ما تجربها

ردت عليه بنبرة جافة:

وليه أجرب حاجة مش مضمونة؟ أنا لو اختلفت مرة معاك هاتعاملني على  
إني مراتك ولاء، وجايز تتهور عليا زي ما شوفتك قبل كده، صدقتي صعب  
تفصل بيننا!

هتف مؤكداً بقوة:

مش هياحصل!

هزت رأسها معترضة وهي تقول بجمود قاس:

مش قادرة أصدقك، سامحني!

تأكد في تلك اللحظة من رفضها، لكنه لم يفقد الأمل بعد، فسألها يائساً:

هو اتى جربتي؟

أجابته بجدية تامة دون أن ترمش بعينيها:

مش حابة أجرب حاجة هاخسر فيها!

وخزة حادة ضربت بقلبه لمجرد تصريحها بأن ارتباطها محكوم عليه بالفشل،

فسألها يا حباط:

اتى شايقة كده؟

صمتت مطولاً قبل أن تجيبه بإيجاز:

-ايوه! أنا أسفة!

انظفاً وميض عينيه، ولمعت حدقتيه إلى حد كبير تأثراً بما قالت، بل الأحرى أن

تقول أن الحزن قد خيم سريعاً على قسماته، ازدرد ريقه قائلاً بجمود زائف:

طيب

أدركت أنها كانت قاسية معه إلى حد كبير، لكنها لم تستطع أن تخدعه، أو

حتى أن تتلاعب بمشاعره وهي لا تشعر نحوه بأي شيء، سيشكرها لاحقاً

لكونها كانت صادقة معه، لكن مُحال أن تكون كطليقته السابقة، ممن يتلاعبن

بقلوب الرجال.

.....

بعد برهة وصل بها إلى المنطقة الشعبية، لم يتجرأ على قول المزيد، فقد لذة  
الحديث معها، فهو لن يجدي بأي حال، وخسر جولة أخيرة في اكتساب  
قلبها، وأثرت هي الصمت، فلا حاجة إلى إضافة ما لن يفيد.  
أوقف السيارة عند مدخل بنايتها قائلاً بهدوء رغم حزنه:

حمد الله على سلامتك

ردت عليه بابتسامة متكلفة:

الله يسلمك

ترجلت سريعاً من السيارة سائرة بخطوات متمهلة مستخدمة عكازها الطبي  
لكن أوقفها صوته الصائح:

شوية وهابت حد يطلع الحاجات دي فوق!

استدارت ببطء نحوه قائلة باعتراض:

مالهاش لازمة

رد بنبرة جافة متطلعاً نحوها بنظرات ذابلة:

دي زيارة لأهل العروسة، مش لينا

ألما أن تراه هكذا، شعرت بأنها جنت عليه بقسوتها الحادة، فبدت متوترة عن  
زي قبل، استشعر من نظراتها نحوه شيئاً غريباً، ظن أنها ربما تحتاج للتحفيز

الإيجابي لتفكر فيما قاله بجدية، فتمسك بذلك الإحساس، وترجل من السيارة،  
تفاجأت من نزوله، لكن أدهشها أكثر إصراره حينما قال برجاء:

-بسمه، أنا مش عاوزك تكوني مضايقة من اللي قولته، بس ده حقيقي  
شعوري ناحيتك، حاولت كثير أخبي، بس مش عارف، أنا فعلاً بأحبك  
أوي، وعمري ما تخيلت نفسي أحب واحدة تاني بعد اللي حصلني!

زادت حمرة وجهها من اعترافه في الطريق العام أمام الجيران، خشيت أن  
يسمعها أي أحد من المارة، فتخرجت منه قائلة بتذمر:

لو سمحت، أنا مش حابة الطريقة دي!

نظر لها مطولاً معممًا نظراته نحوها وهو يتوسلها باستعطاف:

يا ريت تفكري فيا يا بسمه، اديني فرصة!

ازدردت ريقها هامسة بخرج:

عن اذنك!

تسمر في مكانه يتابعها وهي تختفي أمام ناظره، أخرج تهيدة حارة من صدره  
محدثاً نفسه بتبرم:

-شكلي بدل ما أكلها عميتها!

.....

توترت أنفاسها من إصراره على ملاحظتها باعترافه بوجه لها، تنفست الصعداء  
لوصولها إلى منزلها لتهرب من حصاره لها، شعرت بخيبة الأمل لأنها لم تستطع

صرف تفكيره عنها، أخرجها من تفكيرها المزعوج صوت جارتها خضرة التي  
استوقفتها على الدرج مرددة:

-ازيك يا بسمة؟ كويس إني لامحتك يا بنتي

سحبت نفسًا عميقًا لتضبط به حالها متسائلة بتوتر طفيف:

خير، في حاجة؟

ابتسمت لها قائلة بحماس:

-ايوه، الكتكوتة رنا عندي!

تعجبت من وجودها لديها، فسألتها باستغراب شديد:

ليه؟ هي نيرمين فين؟

أجابتها ببساطة وهي تشير بيدها:

-راحت مشوار كده، وسابتها عندي، أنا قولت أعرفك لأحسن نازلة السوق

و...

قاطعتها بسمة قائلة بجدية:

-كثر خورك! هاتيهاالي يا خالتي، أنا هاخذ بالي منها، وتسلمي على تعبك معاها!

ردت بود معهود منها:

تعب ايه بس، دي حاجة بسيطة!

انتظرتها عند عتبة الباب مترقبة حضورها بالرضيعة التي كانت غافية، تناولتها منها بجذر بذراعها، وانحنت برأسها لتقبلها، ثم أمالتها على كتفها وتشبثت فيها جيداً.

تساءلت خضرة بفضول:

- أو مال أمك فين؟

أجابتها يارهاق قليل:

مع أسيف بنت خالي في البلد، وراهم حاجات بيخلصوها هناك!

ردت خضرة قائلة:

طيب بلغيا سلامي لحد ما أشوفها

-يوصل بأمر الله، عن اذنك!

قالتها وهي تواصل صعودها يتمهل حذر على الدرج حتى وصلت إلى باب منزلها.

.....

لاحقاً عادت نيرمين من الخارج لتأخذ رضيعتها من جارتها، لكنها تفاجأت بوجودها مع أختها، اعتقدت أن الجميع قد عادوا من تلك الزيارة القصيرة، فأكملت صعودها بحماسة محاولة معرفة اخر المستجدات التي حدثت في غيابها، لكن زادت غرابتها حينما رأت بسمة بمفردها تطالعها بنظرات حادة، انتابها الفضول لمعرفة السبب، وقبل أن تفهم منها، سألتها بسمة بجديّة:

-كنتي فين يا نيرمين؟ وساية بنتك ليه عند الجيران؟

ردت عليها أختها بتساؤل متلهف:

قولي لي الأول انتو رجعتوا كلكم؟

دنت منها نافية:

-لأ، في حاجات جدت هناك، بس اتتي مردتيش عليا! كنتي فين؟

تفرست أكثر في ملامح وجهها، فرأت تلك الزرقة التي تغطي عينها، وكدمة

أخرى بارزة فيه، فسألتها متخوفة:

-الله! مال وشك؟

زفرت بعمق مظهرة تأففها، ثم ردت بامتعاض:

اصبري وهاحكيك

.....

صف سيارته عند الناصية، ثم طالع وجهه في المرآة الأمامية قبل أن تقع عيناه

صدفة على طيفها، امتعض وجهه بشدة، وزاد عبوسه، لم يتوقع أن يراها بعد

آخر مرة طردها فيها، نفخ بغيظ ممتما مع نفسه:

هو أنا كنت ناقصها!



ترجل من السيارة فلمحته ولاء من على بعد، رسمت ابتسامة مشرقة على وجهها، هي جاءت اليوم متأقّة، متعمدة أن تفرض نفسها عليه، أن تعيد ما مضى بينهما، علها تستميل قلبه نحوها، وستلجأ إن ضاقت بها السبل إلى حيلتها الدائمة، مصلحة صغيرهما التي تتطلب التضحية من أجله.

اقتربت منه بخطوات متعجلة لتسد عليه الطريق، فتنحى جانبًا مظهرًا عن عمد اشمئزاه منها، نظر لها شزرًا وهو يسألها بنفوس:

-واقفة كده ليه؟

ردت عليه برقة مصطنعة:

-أنا مستنياك من بدري يا دياب!

رمقها بنظرات حادة متسائلًا بغلظة:

عاوزة ايه؟

تهدت في وجه قائلة بدلال:

-أشوف ابني! أنا جاية أستأذنك الأول، ومرضتش أطلع إلا لما انت توافق!

حدجها بنظرات نارية، ثم تراجع خطوة مبتعدًا عنها هاتفًا بازدراء:

-تقدري تكلمي أيي وهي هتخليكي تشوفيه!

اقتربت منه مجددًا لتقلص المسافات بينهما، ثم وضعت يدها على صدره تتلمسه

بجذر، نظرت في عينيه قائلة بهمس رقيق:

دياب، أنا عاوزاك تسامحني، حرام نعمل كده في ابنا!  
 وضع يده على كفها نازعًا إياه عنه، ثم أرخى أصابعه عنه مبدئيًا سخطه بشدة،  
 ورد عليها قائلاً بتجهم:  
 -ابنا كويس من غيرك!

أزعجها تصرفه الغليظ معها، لكنها تحملت إهائته قائلة بعتاب:  
 -يعني يرضيك يتربي بالشكل ده؟ شوية هنا، وشوية هناك!  
 رد بصلافة غير متأثر بحركاتها المصطنعة:  
 -نصيبه كده

أشاح بوجهه بعيدًا عنها متجنبًا النظر إليها، فتحركت للجانب لتصير قبالتة،  
 وبحركة مباغتة مدت أناملها نحو ذقنه لتدير رأسه في اتجاهها متسائلة برقة:

دياب، ايه رأيك لو... لو رجعنا لبعض؟

ضرب أناملها بعنف ليبعدهم عنه هاتفًا باستنكار منفعل:

-شكلك شاربة حاجة على الصبح!

فغرت شفيتها مدهوشة:

-نعم، أنا؟

تابع هادرًا بشراسة مخيفة وقد استنشطت نظراته:

-أو مخك فوت، مين اللي يرجع للتاني؟

انكشيت على نفسها من طريقته المهددة، وأوضحت له مقصدها بجذر:  
دياب، أنا خلاص هاخلع مازن، وهأبقى حرة، يعني في قدامنا فرصة نرجع  
لبعض ونربي ابننا سوا!

رمقها بنظرات دونية أشعرتها بحقارتها، ثم هتف بصلاية:  
عندك! الأسطوانة المشروخة دي مابقتش تاكل معايا، حلي مشاكلك بعيد  
عني، وانسي انك عرفتيني أصلاً!

هربت الدماء من وجهها بعد تحطيمه لآمالها هاتفة بتوسل:

ليه بس؟ اديني فرصة أصلح اللي فات!

هدر فيها بعصبية:

-وأنا نسفت اللي فات ده من مخي، إتني مرحلة ونستها، وكفاية أوي إني  
ساحلك تقفي تكلميني كده!

شعرت بخفقة قوية تضرب قلبها من طريقته القاسية، هي ظنت ببساطة أنها  
مازالت تملك سحرها الأنثوي، فستجذبه بيسر إلى أحضانها، وتغافلت أنه لم  
يضم لها سوى الكره والبغض، رمقها بنظرات مهينة متابعًا بتهديد عدائي:

لولا إن بيني وبينك يحيي، كان زماني عملت حاجات كثير أقلها إني أدفك  
حياة!

شعقت مصدومة من تهديده لها:

-ايه؟ تدفني؟

رد عليها بازدرء قاس:

-يدوبك! ده اللي يليق بواحدة رخيصة باعت نفسها للفلوس، ولي دفع فيها  
أكثر!

أشار بسبابته إلى هيئتها متعمداً الحط من شأنها واحتقارها:

-بصي لمنزرك دلوقتي، موميا، بشعة، الواحد يقرف يبص لواحدة زيك!  
دفعها من كتفه بقوة مضيئاً بانزعاج:

-اوعي من سكتي لأحسن نفسي جزعت!

حدقت فيه مصدومة من قطعه كل جبال الوصال بينهما، هو سد الطريق  
عليها تماماً كي لا تكرر تلك المحاولة، أدركت في تلك اللحظة أنها بالفعل  
خسرت آخر أحلامها وأصبحت لا شيء..

.....

سردت لها بإيجاز تعرض حاتم لها بعد ذهابهم، وكيف اختطف الرضيعة من  
بين أحضانها، وإحاقه للأذى بها، بالإضافة إلى تطاول والدته وأخته عليها،  
حذفت الجزء المتعلق باعتداء ناصر عليها، كي لا تشمت أختها فيها، وفضلت  
أن تضعه طي النسيان، فهو ليس بالأمر المحمود لتكرره،

انزعجت بسمة بشدة مما سمعته، لكن لا يقارن هذا بحالة الغضب العارمة التي  
سيطرت على أختها الكبرى فور علمها بعقد قران منذر، شهقت صارخة  
بعصبية ضاربة صدغها بقوة:

-ايه؟ كتب كتاب؟ وازاي يوافق على كده؟!

ردت عليها بهدوء:

-الظروف حكمت!

وضعت يديها على رأسها مرددة باستنكار:

-مش ممكن! يعني... يعني خلاص هايتجوزوا؟

نظرت لها بسمة بتعجب، ثم وضعت يدها على خصرها قائلة بتأكيد:

-أكيد مافيش هزار في الموضوع ده!

كزت نيرمين على أسنانها بقوة مطلقة سبة لاذعة:

-بنت ال.....، خلاص خدته ليها!

اغتاظت بسمة من إهانتها لها، فصاحت معنفة إياها بحدة:

-انتى من الأول عارفة إن مالكيش فرصة معاه، وعلقتى نفسك بجبال الهوا

الداية!

أولتها نيرمين ظهرها صائحة بانفعال شديد ضاربة يديها على فخذيها:

سيني لوحي، مش عاوزة أسمع حاجة، خلاص هيتجوزوا، يادي النصيبة  
اللي حلت على نافوخي!

أرادت بسمة أن تثير فضولها أكثر علها تصرف انتباهها عن تلك اليتيمة التي  
تقاسي الأمرين بمفردها، فهي ليست بحاجة إلى اعتراضات أختها الساخطة،  
ولا نغمها الدائم، دنت منها هاتفة بغموض:

حط خدي المفاجأة الثانية!

ردت نيرمين بإحباط جلي وهي تلقي بثقل جسدها على أقرب أريكة:  
هو في أكثر من كده!

دنت منها بسمة لتحقق في عينيها بنظرات مريية، ثم حركت رأسها للجانب  
قائلة بتسلية وهي تبتسم لها بعد أن كتفت ساعديها:

أيوه، في.....!!

.....

الفصل الثاني والسبعون (الجزء الثاني):

كانت كمن تلقت صفة قوية في وجهها، وضربة موجعة في صدرها وذلك حينما  
أخبرتها أختها الصغرى باعتراف دياب بحبه لها، وكيف أنها صدته بجمود قاس  
ورفضت بإصرار عرضه المغربي للزواج، رمقتها بنظرات نارية مشتعلة انتوت  
فيها إحراقها حية، هبت واقفة من مكانها لتقبض على ذراعها، ثم هزتها بعنف  
صارخة فيها بتوبيخ حاد:

-انتي مجنونة، وقولتيله لأ؟

نفضت بسمة يديها المسكتين بها مبررة بضيق:

-ايوه عملت كده!

رمقتها بنظرات أكثر ضيقًا وهي تضيف مفسرة:

-ازاي اتجوز واحد مش حاسة ناحيته بحاجة؟

كورت نيرمين قبضتها، ولكزتها بحنق في كتفها متابعة تعنيفها:

-انتي غبية.. ده دياب أخو مندر! مش أي حد!!!

تأوهت من ضربتها، فوضعت يدها على كتفها لتفركه قليلاً مخففة من حدة

الألم، ثم ردت بفتور متعمدة استفزازها:

عادي يعني

خرجت نيرمين عن شعورها، فأمسكت بها من ذراعها مجددًا لتجذبها نحوها،

وصرخت بها بعصبية:

يا متخلفة، بقي واحدة زيك تجيلها فرصة زي ده وتقول لأ، إتني فعلاً مجنونة،  
لأ وفقرية زي البومة الثانية!

أغاطها هجومها الغير مبرر عليها، بالإضافة إلى تعاملها معها بخشونة غير مقبولة،  
فأزاحت يدها بعيداً عنها هاتفة باحتجاج:

-ملكيش دعوة، أنا حرة

-لأ مش حرة، إتني غبية وباصة تحت رجليكي ، حد يرفس النعمة برجله!

نظرت لها شزرًا قبل أن ترد عليها بندم واضح على محياها:

-أعوذو بالله منك، تصدقي أنا غلطانة إني بأقولك حاجة

رمقتها نيرمين بنظرات أكثر سخطًا وهي تقول:

يا ريتك ما قولتي، ده اتني حرقتي دي بزيادة!

كزت بسمة على أسنانها كاظمة غيظها في نفسها، فكرت للحظة في أن

تستفزها، فهتفت بنزق مظهره ابتسامه متشفية:

حطب جهزي بقي نفسك عشان الفرحة، عاوزين نشرف العروسة!

احتقنت مقلتي نيرمين على الأخير، وهدرت بغل:

-أجهز نفسي، قولي ألبس اسود، دي جنازة مش جوازة!

.....



في نفس الأثناء، وقفت زوجة الجزار أسفل البناية القاطنة بها بسمة وعائلتها رافعة رأسها للأعلى، ومحدقة في شرفة منزلهن الخاوية بأعين لا تنتوي خيراً مطلقاً، ألقى القبض على زوجها، وتم الزج به في السجن بتهمة التحريض على القتل، وأصبح موقفه حرجاً بعد ظهور تلك الدلائل التي تشير إلى تورطه، حملت زوجته الذنب كله على عاتق تلك التي كانت تترصد به وتتشاجر معه، فهي الملامة الوحيدة فيما أصابه وحل به من خراب.

أخذت نفساً عميقاً استخدمته في إخراج صوتها المنفعل صارخة بكل ما أوتيت من قوة لتجذب الأنظار إليها:

تعالوا يا ناس، اسمعوا كلمكم واعرفوا الأشكال ال..... عايشة وسطكم!

صفقت بكلتا يديها بقوة لتجذب الانتباه وتشد الأنظار نحوها، ثم تابعت بصوتها الهادر الحقود:

-اتفرجوا وشوفوا اللي عاملة نفسها البت الطاهرة الشريفة العفيفة، وهي مية من تحت تبين!

نجحت في مسعاها، وبدأ المارة في التجمع حولها لمعرفة تفاصيل تلك المعركة الكلامية القائمة، مررت سريعاً أنظارها عليهم، ثم عاودت رفع رأسها وهي تكمل صراخها اللاعن:

منك لله يا بنت ال.....، شغلتي جوزي في الرايحة والجاية لحد ما جاب أخره منك!

صدرت همهمات جانبية فضولية لمعرفة عن تتحدث، وانكشف الغطاء عن هوية الشابة العابثة حينما صرحت علناً:

-اطلعي يا بنت عواطف كلميني، اطلعي قصاد الناس دي كلها وانكري إنك كنتي شغلاه، إتي السبب في اللي جراه، لعبتي عليه وبلفتيه تحت باطك عشان توقعيه، فعلاً ياما تحت السواهي دواهي!

انتبهت بسمة إلى تلك الصراخات المسيئة عمدًا إليها، فخرجت للشرفة متحفزة للاشتباك مع من تدعي عليها بالزور، فهدرت بصراخ متعصب:

-راجل مين ده اللي أبصله، بقى بتسمي جزار البهايم ده راجل، روعي ارمي بلاكي على حد ثاني غيري، أنا أشرف منك ومن عيلتك كلها!

أشارت زوجة الجزار بذراعها مرددة بصياح هائج:

-المعدولة طلعت أهي، اتفرجوا يا ناس على البجحة عديمة الرباية!

زادت من حدة نبرتها ورمقتها بنظرات نارية مضيئة:

-ده ريحتك فاحت والحتة كلها لازماً تعرف وساختك!

لم تتحمل المزيد من الاتهامات الباطلة، فصرخت فيها بسمة بنبرة مهددة:

-لي لسانك بدل ما أنزلك، وأوديكي اللومان، ده أنا جزمتي برقتك يا.....

قاطعتها زوجته غير مكترثة بها:

-انزيلي يا.....، خليني أفش غلي فيكي! يا بايرة يا معنسة!

ردت عليها بتحد:

-والله لأوريكي!

أمسكت نيرمين بأختها وجذبتها عنوة بعيدًا عن حافة الشرفة هاتفة بسخط:

خشي جوا يا بسمة، عاجبك الفضايح دي!

ردت عليها باحتجاج ناقم:

فضايح ايه؟ ده أنا هافرح عليها التايهين، بقي واحدة جربوعة زي دي تكلم  
عني أنا كده!

لوت نيرمين ثغرها للجانب صائحة بازدراء:

-احنا اتجرسنا واللي كان كان!

وضعت يدها على رأسها ضاغطة عليها بقوة وهي تكلم بحسرة:

-زمانت الحتة كلها بتجيب في سيرتنا دلوقتي!

صاحت بها بسمة بنفاذ صبر وهي تلوح بيدها بانفعال:

-اللي عنده كلمة يقولها في وشي، غير كده قطع لسانهم كلهم لو اتكلموا عني  
بالباطل!

نظرت لها أختها شزرًا وهي تعاتبها بجفاء:

يا ريتك يا فالحة كنت وافقتي على دياب قبل ما الكلام يطلع عليكي! هيبص  
في وشك إزاي؟

تفاجأت بسمة بما رددته، هي تفكر فقط في مسألة الزيجة المنتهية قبل أن تبدأ،  
وتعنفها لكونها أفسدت فرصتها رغم أنها نبذت الفكرة قبل أن تستمر، احتقنت  
دماؤها، واستشاطت نظراتها، ثم هدرت بغضب مستنكر:

-اتي بتقولي ايه؟

حدجتها نيرمين بنظرات تحمل الاحتقار قائلة:

-بعد اللي حصل ده ما فيش راجل هايفكر يقربك! وهاتعنسي يا فالحة،  
افرحي بنفسك!

اغتاظت أكثر من طريقها التهمية، فردت بتشنج:

هو اتي مفكرة إني مستنية دياب يجييلي حقي، أنا أقدر.....

قاطعتها نيرمين مشيرة بيدها:

معدتش ليه لازمة الكلام، هي خلصت خلاص!

نظرت بسمة لأختها بأسف، هي دومًا تنظر للأمور من نطاق محدود، فهزت  
رأسها مستنكرة تصرفاتها الجامدة، رمقتها مجددًا بنظرات أخيرة محبطة وهي

تقول:

-اتي معمر كيش هاتحسي بجد أبدًا!

.....

سرد على والدته باختصار مقابلته الخاطفة مع طليقته السابقة، وكي صدها  
بوقاحة فظة ليسد عليها الطريق تمامًا، أعجبت بتصرفه العقلاني وعدم تجاوزه  
معه قائلة بارتياح كبير:

أحسن إنك مشيتها، بلاش خوته دماغ

رد دياب قائلاً بضجر:

جاية تصيع عليا!

زم فمه للأمام مضيغًا بحنق واضح:

اياكش تولع بجاز هي وأمها، ربنا ياخدوهم خلينا نرتاح!

ربتت جليلة على كتفه مرددة بحذر:

متفكرش فيها!

تهده مطولاً ولم يضيف المزيد، وألقى بثقل جسده على أقرب أريكة محددًا أمامه  
بنظرات شاردة، راقبته أمه باهتمام، وبالطبع دفعها الفضول لتعرف ما الذي  
صار بالبلدة الريفية بالضبط، ضاقت نظراتها متسائلة بمكر:

ها قولي حصل ايه بالضبط هناك؟

رد على تساؤلاتها بإجابات مقتضبة، فشعرت أن هناك خطب ما به، فسألته  
بالحاح أكبر وحاصرته حتى اضطر أن يقص عليها ما حدث مؤخرًا مع بسمه.

نظرت له بإشفاق متممة:

ما انت اللي غشيم، حد يقولها كده

فرك مقدمة رأسه قائلاً بتبرم:

-كنت هاعمل ايه بس، الكلام طار من مخي و...

قاطعته جليلة هاتفة بتفاؤل:

خلاص أنا هاحاول اكلمها وأشوف دماغها!

نظر لها بفتور مرددًا بيأس:

مافيش داعي

أصرت على مفاتها مجددًا بطريقتها الخاصة قائلة:

أنا ليا لي سكتي معاها، وبعدين هي هتلاقي أحسن منك فين؟

رد ساخرًا:

هاتقولك في كثير، بس النفس!

ضحكت من إضحاكه لها، واقتربت منه لتنحني على رأسه مقبلة إياه بجنو

أمومي، ثم رددت مداعبة:

الله يحظك يا حبيبي!

تهد قائلاً باستسلام:

ياللا، اللي حصل حصل!

أحاطت جليلة ابنها من كنفه مؤكدة بثقة:

-اطمن يا دياب، إن شاء الله خير

-يا رب، دعواتك يا أمي!

-اقتحم الصغير جلستهما الخاصة ليجلس في حجر أبيه متسائلاً ببراءة:

-انت ناوي تتجوز مس بسمة يا بابا؟

-نظر له دياب بغرابة وهو مقطب الجبين، ثم عبث بخصلاته القصيرة متسائلاً  
باهتمام:

-انت عرفت منين؟

-أجابه الصغير يحيي مبتسماً:

-صوتكم عالي!

-ضمه إلى صدره، وقبله بشغف، ثم أخرج تهيدة عميقة من صدره هاتفاً:

-لو ربنا سهل!

-تحمس الصغير مردداً بهرح:

-يا ريت يا بابي، عشان تحل الواجب بتاعي كله لوحدها!

-ضحك من براءته مداعباً:

-بتدور على مصلحتك زي أبوك، ناصح!

-هتفت جليلة قائلة بجديّة:

-تعالى يا يحيى هنا خلي أبوك يرتاح شوية

عبس الصغير بوجهه معترضًا:

بس مش لحقت أشوفه!

رد عليه دياب بهدوء وهو يقبله من وجنته:

إن شاء الله يا حبيبي هاتعدد كلنا سوا، هاخلص بس اللي ورايا وجايلك!

ابتسم يحيى هامسًا:

ماشى يا بابي!

بادل والده قبلات كثيرة بعد أن ضمه، ثم نزل عن حجره ليعود إلى غرفته، ظل دياب جالسًا بمفرده شاردًا يفكر في رفضها له، كسا الحزن تعابيره، وبدأ بانسًا إلى حد كبير بعد استعادته لتلك الأحداث في عقله، نظرت له والدته من بعيد بإشفاق، لم يتحمل قلبها رؤيته هكذا، وعقدت العزم على تيسير السبل من أجل ابنها كي تحقق مراده.

.....

دفعها تلهفها وشوقها إلى الاقتراب من ذلك المكان الذي اعتادت الجلوس فيه مع والديها الراحلين، رغم تخوفها من تأثير ذلك على نفسها إلا أنها فضلت ألا تضيع الفرصة هباءً، وتستعيد ما مضى عليها تروي اشتياقها إليهما، حدقت في الشجرة التي كان يستظل بها أيها بنظرات مطولة، ثم أخرجت من صدرها تهيدة عميقة، التفتت برأسها نحو عمها الواقفة على مقربة منها قائلة بابتسامة باهتة:



بابا كان متعود يقضي اليوم كله تحت الشجرة دي!

زادت ابتسامتها تدريجيًا وهي تضيف:

-وكنت أنا وماما بنستناه لما يخلص عشان نروح ناكل معاه!

أصغت عمها لها دون مقاطعة مستمتعة بتلك الذكريات التي لم تعرف عنها شيئًا، واستشعرت من طريقة حديثها عن عائلتها أنها عاشت ذكريات سعيدة وطيبة، طالعتها بنظرات ودية حينما هتفت بحماس:

-ماما مكاتش حابة تتحرك إلا معاه، وبالا كان بيحبها أوي!

انضم إليهما منذر، وحرص على عدم إزعاج أسيف حتى تستمر في استرسالها دون نجل، نظرت له عواطف بترحيب، فأشار لها بسبابته كي لا تنطق، فامتثلت لأمره الصامت، وفضلت أن تنسحب لتترك لهما مساحة من الحرية للتقارب سويًا، رمقها بنظرات ممتنة على موقفها المتفاهم، وثبت أنظاره على حبيبته التي لم تشعر بوجوده خلفها.

أكملت أسيف قائلة بتنهيدة متأثرة:

-أد ايه كان عظيم معها، عمره ماتكسف منها، بالعكس كان بيفتخر إنها مراته،  
وإن أنا بنته!

جمد أعينه عليها متابعا باهتمام ما تبوح به، فهي فرصة طيبة ليعرف عنها أكثر، سحبت نفسًا عميقًا لتضبط به انفعالاتها المتأثرة خاصة بعد أن لمعت عينها بقوة، بدت نبرتها مهتزة وهي تقول:

ياما لعبت هنا، أحلى ذكرياتي كانت معاهم، بس.. خالي فتحي ربنا يسامحه  
استكثر ده عليا!

أزعجه بشدة ذكر ذلك المقيت الذي سبب لها الأذية، وحفر في عقلها ذكريات  
أليمة، بصعوبة واضحة عليه سيطر على أعصابه، وفضل ألا يصدر صوتًا،  
أخرجت من صدرها تهيدة أكثر حزنًا وهي تقول:

كان نفسي يكونوا معايا أوي، عارفة يا عمتي، ماما كانت بتفكر تشتريلي  
فستان فرح، بس بصراحة أنا مكوتنش عاوزة كده، كنت حابة ألبس  
فستانها!

اختنق صوتها نوعًا ما وهي تقول:

حتى الأمنية دي كمان اتحرمت منها!

استدارت فجأة للجانب لتحدق في وجهها، فصدمت من رؤيته، شهقت بتوتر،  
ورمشت بعينها بحرج كبير، وبلا تردد سألته بارتباك:

انت.. انت هنا من امتي؟

ابتسم لها بعذوبة قائلاً بتريث:

من بدري!

توترت بشكل ملفت للأنظار من حضوره المباغت، وزاد احمرار وجهها حتى  
بات ككتلة ملتهبة من الحرج، همست بتلعثم:

أنا.. هاروح أشوفه إن كانوا... محتاجين مساعدة

تحرك منذر سريعاً ليعترض طريقها قائلاً بلطف:

-ممكن نتكلم شوية!

تسمرت في مكانها مجبرة، وأخفضت نظراتها قائلة بخجل:

-أستاذ منذر!

ابتسم لها قائلاً ببراءة ودود:

-ينفع نشيل التكليف بينا

أسبلت عيناها نحوه متحرجة أكثر منه، فتابع موضحاً محاولاً إقناعها بوجهة نظره بطريقة عقلانية:

-يعني كوضع مؤقت! الناس هنا هايقولوا ازاي هاي تجاوزوا ولسه بينادوا بعض

بالألقاب؟ شكلها غريب!

هزت رأسها بتفهم، وأخفضت نظراتها لتحقق في أي شيء إلا هو، زفر مطولاً

رافعاً رأسه للأعلى، ودس يديه في جيبي بنطاله، أردف قائلاً بهدوء:

-المكان هنا حلو!

حدقت أمامها قائلة باقتضاب:

-ايوه!

تعرفي أنا شكلي هاحسدك إنك اتربتي في مكان زي ده!

اكتفت بالابتسام دون أن تعلق عليه، وظلت مثبتة أنظارها في الحضرة الممتدة  
على مرمى البصر، التفت ناحيتها ممتعاً عينيه بقربها الساحر، شعرت بأنظاره  
عليها رغم عدم استدارتها، فحافظت على ثباتها كي لا يزيد حرجها، بدا عقلها في  
صراع كبير محاولاً الوصول إلى طريقة مثلى في التعبير عن امتنانها له لمساعدتها  
إياها دون تأخير، شعرت بصعوبة الأمر رغم بساطته، عضت على شفتها  
السفلى كاتمة توترها، فابتسم لعفويتها.

تجرت للحظة قائلة بخفوت رغم اهتزاز نبرتها:

-أنا.. كنت حابة أشكرك على كل حاجة عملتها عشاني!

اهتم بما تقوله مبتسماً، فلأول مرة تظهر له تقديرها لمواقفه، فركت أصابع كفيها  
معاً وهي تكمل بارتباك أكبر:

-أنا عارفة إني ضايقتك كثير، وساعات كنت يعني متسرعة معاك، وانت..  
استحملت مني حاجات محدش يقبلها على نفسه!

أخرج يده من جيبه، ووضعها على رأسه ليمررها بثبات خلال خصلاته قائلاً  
بهدهوء:

-ولا يهملك!

أغمضت عينها متممة بخفوت مضطرب:

-وفي كل مرة كنت بأقع فيها في مشكلة، كنت.. بتقف معايا حتى لو في بينا  
خلافات!

طالع تعاير وجهها بنظرات متمية، ورد عليها هامسًا بصدق:

-الي بيحب حد بيحبه زي ما هو كده!

فتحت عينيها مستديرة نحوه بنجل كبير، فعمق منذر نظراته أكثر نحوها  
لتصبح هي محاصرة بين وميض عينيها المتقدتين شوقًا لتذوق حبها الدافئ،  
أحست بنظراته تخترقها، تصيبها مباشرة في قلبها، تزيد من نبضاته، وتؤكد لها  
وجود شيء ما في كيانها، توترت بشدة من حضوره القوي، فتنهد مضيئًا بنبرة  
عاشقة صادرة من فؤاد ذاق لوعة الحب:

-وأنا حبيتك كده.....!!!

.....

## الفصل الثالث والسبعون (الجزء الأول):

جلست منزوية في أحد الأركان بمنزلها محدقة بنظرات خاوية في تلك الورقة  
التي لم يعد لها أي قيمة، اعتقدت أنها ملكت الدنيا باستحواذها على مبلغ

كهذا، لكن تحولت أحلامها إلى سرابٍ حينما اكتشفت الخدعة، كان "الشيك" بدون رصيد، خدعها بسذاجة ليضمن عدم تقدمها بأي شكوى ضد أخيه، وانطليت عليها الأكذوبة بسهولة، هربت من عينيها عبرات خائنة، فمسحتها سريعاً قبل أن تراها ابنتها وتكتشف الأمر.

دنت منها ولاء متفرسة في تعبيراتها الحزينة، ومتأملة بفضول حالتها الشاردة، وقفت أمامها لبرهة منتظرة أن تشعر بوجودها، لكنها كانت كمن في عالم آخر، فصاحت باستغراب:

ماما! مالك في ايه؟

انتبهت شادية لوجودها، فاضطربت بدرجة ملحوظة، وازدردت ريقها بتوتر وهي تطوي الورقة لتدسها في جيبها دون أن تنتبه لها ابنتها، سريعاً عمدت إلى إخفاء حزنها، وقوست فمها لتظهر ابتسامة باهتة وهي ترد:

مافيش يا بنتي

لم تقتنع الأخيرة بما قالته، فسألتها بفضول:

شكلك مش طبيعي، هو في حاجة حصلت؟

أسندت رأسها على مرفقها قائلة بتبرم:

لا، بس يجي واحشني وكده!

جلست ولاء إلى جوارها مخرجة تهيدة عميقة من صدرها وهي تضيف:

أنا هاحاول أرتب مع جليلة ميعاد نشوفه فيه!

انقعد ما بين حاجبيها باستغراب من جملتها الأخيرة، واستدارت برأسها نحوها  
لتنظر في عينيها قائلة بجدية:

-أنا مش معانا الحضانة، يعني من حقنا....

قاطعها ولاء بجدة:

-ماما، أنا مش عاوزة مشاكل ثاني مع دياب، خليني أحاول أرجع المياه لمجاريها  
معاه!

توقفت لتسحب نفسًا آخرًا وهي ترجع رأسها للخلف متابعة بياس:

-ولو إن ده صعب يحصل دلوقتي!

بدت جملتها مربية لوالدها فسألته مهتمة:

-هو اتي كلمتيه ثاني؟

ردت باقتضاب غامض:

-يعني!

انتصبت أكثر في جلستها، وسألته بتلهف علما تروي فضولها الثائر:

-وعرف إنك هاتخلي مازن؟

أه

سألته باهتمام أكبر:

ها ورأيه ايه؟

أغمضت ولاء عينيها حسرة، ابتلعت غصة عالقة في حلقها لترد بمرارة:

-ولا فرق معاه!

لامتها شادية على تهورها قائلة بانزعاج:

-انتي اتسرعتي، كنتي اصبري مع مازن شوية و....

ملت من طريقتها التي تستثير أعصابها، فهبت واقفة من مكانها، والتفت برأسها ناحيتها لتصيح مقاطعة بانفعال:

-ماما! كفاية تحكيمات في حياتي، أنا خدت القرار وانتهيت!

زفرت بعدها بصوت مسموع قبل أن تسرع في خطواتها وتتركها بمفردها، تابعتها شادية بأعين منكسرة وهي تختفي من أنظارها متممة بتحسر كبير:

-مش انتي بس اللي انتهيتي!

.....

لوهلة شعرت بانفصال تام عما يحيط بها، وكأن العالم قد بات خالياً إلا من كليهما، حدقت فيه بأعين لامعة، وأحست بتلك الدقات العنيفة التي حمست قلبها وزاته نشاطاً وعنفواناً، هو صرح بعشقه لها دون سابق إنذار، بلا زيف أو تجميل أحبها كما هي، استشعرت تلك السخونة الشديدة التي انبعثت من وجهها، فحمنت أنه صار كثرة البنادورة من فرط الخجل.

ابتسم منذر لحياتها، وأسبل عينيها نحوها متأملاً نجلها المحب إليه، واصل حديثه المسترسل قائلاً بتريث جاذب للأسماع:



عارفة لما الواحد يحس فجأة إن قلبه دق كده من غير ميعاد!  
 أخفضت نظراتها مطرقة رأسها بجرح أكبر عاجزة عن الرد عليه رغم استمتاعها  
 بما يقول، شعرت بدفء كلماته وبصدق إحساسه حينما قال:  
 -وده اللي حصل معاك!  
 تهدي بعمق، ثم وضع يده على قلبه مضيئاً باشتياق ومشيراً إليه:

-نفسى تحسى بده أوي!  
 رفعت أنظارها لتتحقق في كفه الموضوع على صدره، زاد ارتباكها الخجل منه،  
 ولم تعترض أبداً على ما يبوح به، أو حتى على ما يفعله، وكأنها مخدرة تحت  
 تأثير سحره الآسر للعقول قبل الأفتدة، كان على وشك إضافة المزيد لكن قاطع  
 خلوتها الحاج إسماعيل الذي هتف بصياح مرتفع:  
 -أستاذ منذر، كويس إني لاقيتك هنا!

استدارت أسيف برأسها نحوه متحرجة باضطراب ملحوظ على تعابيرها من  
 رؤيته لها معه حتى وإن كان الأمر مقبولاً له، سارع منذر بالرد عليه ليجذب  
 انتباهه إليه:

-اتفضل يا حاج إسماعيل، لسه كنا بنتكلم عن كرمك مع المرحوم رياض!  
 هز الأخير رأسه متأسفاً وهو يرد:

-ربنا يغفرله، كان راجل طيب فعلاً  
 أمن منذر على جملته قائلاً:

يارب!

كورت أسيف قبضتها بقوة ضاغطة على أناملها المتوترة، وأشارت بالأخرى  
هامسة بصوت شبه متحشرج:

-أنا رايحة أشوف عمتي إن كانت محتاجة حاجة!

رد عليها الحاج إسماعيل مرددًا:

-وماله يا بنتي، واطمني الحريم كلهم مجهزينك كل اللي يلزمك!

هتف منذر قائلاً بجدية:

-كتر خيرك يا حاج إسماعيل، هي مش هتحتاج حاجة، أنا متكفل بكل  
طلباتها

أصر عليه بشدة:

-دي عوايدنا يا ابني!

لم يجد بداً من المجادلة معه، فمثل تلك الأمور تعد من الأعراف السائدة لديهم،  
وتجاهلها يعد نوعاً من الإهانة، أضاف الحاج إسماعيل باهتمام:

-أنا رتبتك ميعاد مع المأمور، أعدة ودية كده تاخذ وتدي معاه في الحوار، بعد  
صلاة العشا في دوار العمدة على اعتبار إنك هاتعزمه على كتب الكتاب!

ابتسم منذر قائلاً:

حلو أوي!

حذق الحاج إسماعيل أمامه متابعًا بعزم وهو يشير بيده موضحًا:  
 احنا إن شاء الله هانعمل الصوان قصاد المضيفة عندي، في حنة فاضية و...  
 قاطعه منذر قائلاً بصرامة:

سماحني إن كنت هاقاطعك، بس أنا عاوز منك خدمة  
 أوامرني  
 الأمر لله وحده!

زفر منذر بعمق، ثم دس يديه في جيبي بنطاله ليحذق مباشرة في عينيه، تابع  
 بثبات مشيرًا بحاجبه:

أنا كنت حابب نصب الصوان في أرض المرحوم رياض، عند الشجرة اللي  
 كان بيقعد عندها!

.....

اجتهد لينهي الكثير من الأعمال العالقة بالوكالة قبل أن يسافر مع عائلته  
 للترتيب لحفل عقد القران، وقف على مقربة من مكتبه اثنان من عمالته  
 مترددين في إخباره بما حدث من مشادات كلامية بين زوجة الجزار وابنة  
 عواطف، فقد تابع كلاهما ما حدث، ولكنهما لم يتدخلا لأنها انتهت بتجاهل  
 الأخيرة لها مما اضطر الزوجة في النهاية للانصراف.

عقد العزم أحدهما على إبلاغه، فتحرك بخطى ثابتة نحوه هاتفاً بجذر:

ريس دياب!

لم يلتفت نحوه، وسأله باقتضاب وهو يعيد ترتيب الأوراق على مكتبه:  
خير؟

حك العامل مؤخراً رأسه مجيباً إياه بتردد:

-في حاجة حصلت كده، وكنت عاوز أعرفك بيها  
نقد صبر دياب من مماملته، فصاح به بعصبية طفيفة:

قول على طول أنا مش فايقلك!

-احم.. بنت الست عواطف!

انتبهت حواسه كلياً فور سماعه لتلك الجملة، وتوقف عما يفعل ليستدير نحوه  
متسائلاً بتوجس:

مين؟

ابتلع العامل ريقه قائلاً بتخوف:

-الأستاذة!

ارتفع حاجبي دياب للأعلى، واتسعت حدقتيه بخوف كبير، وبلا وعي اقترب  
منه ليصبح فيه بشراسة:

مالها؟ في حاجة حصلت لها؟ قول!

زادت سرعة حركة بؤبؤيه وهو يجيبه بتلثم:

أصل..مرات الجزار جت و.. وكانت.....

لكزه دياب بعنف في كتفه هادرًا بنفاذ صبر:

-انطق بسرعة، في ايه؟

سرد له على عجالة ما حدث بينهما، فاستشاط الأخير غضبًا من تلك الإساءات الجارحة في شخصها، والتشهير بها علنًا على مسمع ومرأى من الجيران، برزت عروقه بدمائه الفائرة، واحتدت نظراته على الأخير، توجس العامل خيفة من تهوره، فأضاف بقلق:

-بس اطمن يا ريس، الأستاذة طنشتها و.....

صرخ به مقاطعًا:

-وأنا مش هاعدي اللي حصل ده على خير!

اندفع كالثور الهائج خارج الوكالة منحياً العامل بقوة للجانب، فتوجس الأخير أن يتصرف رب عمله بطيش كعهده في مثل تلك الأمور.

.....

ذرعت غرفتها ذهابًا وإيابًا بخطوات متعرجة وبانفعال ظاهر عليها بعد نجاح أختها في منعها من الخروج من المنزل للاشتباك مع تلك اللعينة التي تفوهت عنها بالأكاذيب، ضربت بقبضتها المتكورة ضلفة خزانة ثيابها عدة مرات لتفرغ

شحتها المكتومة بداخلها محذقة أماها بأعينها المشتعلة، كزت على أسنانها  
محدثة نفسها بغضب:

-بقي واحدة زي دي تبهدلني كده!

لم تشعر بنيرمين وهي تفتحم عليها الغرفة هاتفة بحماس والذي يتنافى كليًا مع  
حالة النقم المسيطرة عليها قبل برهة:

-بت يا بسمة، اجهزي بسرعة

نظرت لها بعينها الحمراء صائحة بغضب:

-في ايه؟

-دياب برا

-بتقولي مين؟

-عاوز يكلمك، ومستني في الصالون!

انعدت ما بين حاجبها باندهاش وهي تسأل نفسها:

-وده ايه اللي جابوه!!

ردت عليها بتلهف:

-هو ده وقت أسئلة، البسي بسرعة خرينا نعرف جاي ليه!

.....

احترقت أعصابه لمجرد سماعه بالأمر، فماذا إن كان قد شهدته بنفسه؟ نعم لأقام الدنيا وأقعدها حتى يأتي بحقها، بذل مجهودًا مضمينًا لضبط انفعالاته حتى يتمكن من الحديث إليها بنبرة عقلانية، ثبت أنظاره على باب الغرفة مترقبًا ولوجها بين لحظة وأخرى، طال انتظاره حتى أوشك على الانفجار، لكنها ظهرت في اللحظة الأخيرة.

نظرت له بسمة بضيق متسائلة بجمود:

خير يا أستاذ دياب؟

حذق فيها متفرسًا إياها بنظرة شمولية وهو يسألها بتلهف:

-انتي كويسة؟ ال..... دي عملتك حاجة؟

انزعجت من سبابه النابي قائلة بتحذير:

-بلاش الكلام ده!

رد عليها معللاً:

-معلش أنا مش مستحمل وجايب جاز من اللي سمعته، بس قسماً بالله ل....

قاطعته قائلة بصرامة وهي تخطو نحو أقرب أريكة:

خلاص الموضوع انتهى، وأي حد هيفتح بؤه بكلمة أنا قادرة أقطع لسانه

وأخرسه

سلط أنظاره عليها متابعًا عدم أكثرها بحالته النفسية التي تستعر حتى بلغت  
أشدها أمامها، وهدر بعصية بائنة ملوحًا بذراعه:  
-بسمة، أنا دمي بيتحرق من أي حاجة تمسك، مش بأقدر أمسك نفسي،  
و.....

ألقت بجسدها على الأريكة محدقة فيه بجمود، ثم قاطعته بجفاء:  
-احنا مش قفلنا على الموضوع ده!

راقبتها نيرمين من الخارج مسترقة السمع لحديثها، لم تكن بحاجة لتفسير ما  
يقولان، فأصوات الاثنين كفيلا بإسراع المنطقة بأكلها، تابع دياب هاتفا  
بإصرار:

-أنا لسه عند طلبي ومغيرتش رأيي  
ردت معترضة بعناد أكبر:  
-وأنا سبق ورفضت عرضك!

صرت نيرمين على أسنانها هاتفة بحنق بائن:  
-يخربيتك، هاتضيعيه من ايدك، بلاش العند يركبك السعادي!



رد دياب متحديًا رفضها الصارم:

-وأنا مش هياس!

أغمضت عينها مبدية إرهاقها وهي تقول بفضاظة

هاستأذنيك أنا تعبانة وعاوزة أرتاح!

أغاظه أسلوبها المستفز وتعمدها إظهار جفائها نحوه، بل حز في قلبه أنها تعامله هكذا بقسوة، فدنا منها متعمدًا حصارها في مكانها وإرباكها، تفاجأت باقترابه الشديد منها، ففغرت شفيتها مصدومة منه، انحنى بجذعه للأمام قليلاً مسندًا كفية على مقبضي الأريكة ليضمن بقائها تحت سيطرته، حدقت فيه باندعاش مرعوب، وازدردت ريقها بتوتر رهيب، رمقها بنظرات قوية تحمل العزيمة والإصرار وهو يقول مؤكدًا بثبات:

-وماله، بس أنا هافضل حاطط عيني عليك!

شعرت باحتباس أنفاسها، باضطراب شديد يحتاجها، بجفاف حلقها خلال تلك اللحظات الثقيلة، كانت الأسعد إليه، والأكثر توترًا بالنسبة لها، لوى ثغره مبتسمًا للجانب ليزيد من تأكيد نيته نحوها قبل أن يرخي ساعديه ويعتدل في وقفته، رمقها بنظرة أخيرة قبل أن يتركها في تحبطها وينصرف..

أوصلته نيرمين للخارج شاكرة إياه على زيارته العاجلة، ثم عادت إليها لتحدجها بأعين مغلولة، ثم هدرت توبخها بعنف:

-تهبلي، ومخك لسع، الراجل جاي لحد هنا يتقدمك تاني، وتطرديه، أكيد  
بوز الإخص بهتت عليكي، إتي مكونتيش كده!

صاحت بها بسمة بعصبية:

-بعدي عني، أنا مش طايقة حد!

تابعت قائلة بغیظ:

ده السند والحماية، افهمي بقى!

اختنق صوتها للحظة حينما تذكرت وضعها الاجتماعي الحالي، فهتفت بمرارة:

-ولا عاوزة حالك يبقى زيي، مطلقة ومحدش راضي بيكي! لأ ومعاي عيلة!

سدت بسمة أذنيها رافضة الإنصات لها، وصرخت فيها باهتياج واضح:

-يووه، نيرمين، بلاش الكلام ده! أنا مش عاوزة كده! مش دي أحلامي،

مش ده اللي أنا عاوزاه

ضربتها نيرمين في كتفها بقوة متممة بسخط:

-تأمري يا خايبة براحتك لحد ما النعمة تزول من وشك!

احتقنت نظراتها نحوها لأنها تحاول التلاعب بأفكارها وتوجيهها نحو أمر بعينه،

وهي رافضة لذلك المبدأ من الأساس، أن تكون مجرد زوجة لأحدهم دون

مشاعر مسبقة نحوه، كما أن تجربة أختها الفاشلة في الزواج دومًا تلوح في

الأفق، تذكرها بعواقب التسرع وسوء الاختيار دون تأنٍ أو تعقل.

ضاقَت أعين نيرمين نحوها، وتابعت مرددة بامتعاض ناغم على كل شيء:  
 ياريت حظي كان ربع حظك، مكوتنش ضيعت الفرص دي من  
 ايدي.....!

.....

### الفصل الثالث والسبعون (الجزء الثاني):

رتب له لقاءً مدبرًا مع مأمور المخفر في منزل العمدة ليتمكن من الحديث معه بأريحية دون أي رسميات ليعرف ملابسات حرق منزلها، بات كل ما يخصها شاغله حتى وإن كان تافهًا من وجهة نظر أحدهم، بدا الحوار بينهما حذرًا مرتبًا، لكنه استشف منه الكثير، أهمها أن الحادث مدبر ويقف وراءه مجهول ما رغم أنه لا توجد استفادة صريحة من تدميره.

تحولت شكوكه نحوه هو تحديداً -القریب ذو القلب المتحجر- بات شبه متأكد  
من كونه المتسبب به، وبحكم خبرته من كم المعارك التي اشتبك بها، ربح كفة  
الانتقام ورد الاعتبار عن طريق إشعاله، لكنه لم يصفح عما بداخله ريثما  
تصبح ظنونه حقيقة.

صاحه المأمور قائلاً بود:

فرصة سعيدة إني شوفتك أستاذ منذر

رد عليه بثبات جاد:

-الشرف ليا يا باشا!

أضاف المأمور قائلاً بهدوء:

-أتمنى اللقاء ده يتكرر تاني

رد عليه مبتسماً:

-أكيد، لو جيت البلد لازم أشوف حضرتك!

بادلته نفس الابتسامة مردداً باختصار:

-باذن الله!

التفت ناحية مضيفه الشيخ الوقور هاتفاً:

- ماشي يا عمدة، متشكر على كرمك معايا

رد العمدة قائلاً بترحاب:

نورتنا يا سيادة المأمور!

أضف المأمور قائلاً:

-أشوفك على خير يا حاج إسماعيل!

عقد الأخير ما بين حاجبيه مردداً:

ما لسه بدري يا باشا

لوح بيده مبرراً:

-يدوبك، انت عارف المركز والمشاكل اللي بتحصل بين الأهالي على حاجات  
ماتذكرش!

رد عليه متفهماً:

-الله يكون في العون

ثم اصطحبه إلى الخارج شاكرًا إياه مجددًا على زيارته الأليفة، ترقب منذر  
عودته ليفاتحه من جديد في ذلك الأمر الذي طرحه عليه قبل وقت سابق،

سأله بجدية:

ها يا حاج إسماعيل عملت ايه في اللي قولتلك عليه؟

سحب الأخير نفسًا مطولاً ثم لفظه دفعة واحدة قبل أن يجيبه بامتعاض:

-المشكلة إن الأرض اتباعت للحاج فتحي وهو...

قاطع منذر بإصرار صارم:

حطب سبني أتكلم أنا معاه  
 هز الحاج إسماعيل رأسه معترضًا:  
 بس أفتكر إنه مش هيوافق  
 التوى ثغره للجانب مرددًا بثقة تامة:  
 -لأ هيوافق! اسمعها مني!

تعجب من تلك الثقة البادية عليه وكأنه قد ضمن الحصول على موافقته رغم  
 يقينه من حدوث العكس، ومع ذلك وافق على ترتيب موعد معه.

.....

بتأفف ظاهر عليه، اضطر أن يقابله بعد تدخل رفيقه كوسيط بينهما، لكنه لم  
 يخف تبرمه من تلك الزيارة الغير مرحب بها أبدًا، وجلس أمامه عابس الوجه  
 مكفهر الملامح، بدا منذر غير مكترث بما يظهره نحوه من مشاعر بغض، فالمهم  
 بالنسبة له أن يحقق لها رغباتها، تابع قائلاً بثبات متعمدًا إثارة شكوكه:

مش هانف على بعض كثير، أنا عارف إنك انت اللي وراها!

احتدت نظرات فتحي فبرز الشر منها وهو يعنفه صائحًا:

حاسب على كلامك!

رد عليه منذر بقسوة مخيفة وقد تجمدت أنظاره المهدة عليه:

ده مش كلامي، ولو أنا حكيت عن المضاربات بينا، هاخلي الليلة كلها تدور  
حواليك، ومش بعيد تلاقي الكلابشات منورة في ايدك!  
توتر من تأثير كلماته الغامضة، وفهم ما يرمي إليه، فسأله بنفاذ صبر:  
عاوز ايه؟ اخلص

اعتدل مندر في جلسته، وعمق نظراته المخيفة نحوه قائلاً بحسم:  
أرض المرحوم رياض!  
احتج فتحي قائلاً بجدة:  
دي حقي، أنا دافع فيها دم قلبي و...  
قاطععه مندر بتهكم:

-وخذتها بلوي الدراع! مش هاتضحك عليا!  
وقبل أن يضيف المزيد تابع قائلاً بثبات صارم:  
-وأنا راجل حقاني، هاديك اللي دفعته فيها وزيادة!  
أصر على رفضه صائحاً بانفعال:  
-لا، مش هايحصل، مش هافرط في شبر واحد من الأرض دي، حتى لو فيها  
رقبتي!  
هب مندر واقفاً من مكانه، ورمقه بنظرات قاسية قبل أن يرد بتوعد:  
عظيم، يا ريت تثبت على كده، لأن أنا مش هاسيب حق مراقي!

وقف فتحي هو الآخر محققاً فيه بنظراته المشتعلة متسائلاً بتوجس:

ده تهديد؟!!

دنا منه حتى بات قبالتة، ثم أجابه بغموض مهلك:

-اعتبره زي ما تحب، بس بنت المرحوم رياض خط أحمر، وأنا هافضل أنخور  
ورا اللي يخلصها لحد ما أوصل للي يريخني ويريجها!

ازدرد فتحي ريقه بتخوف واضح، أخذ يفكر في المسألة من الناحية العقلانية،  
فرفضه العنيد ربما يؤدي إلى هلاكه، وبعد لحظات من التفكير المتأني اضطر  
مجبراً أن يوافق على عرضه، وأبرم معه اتفاقاً رسمياً لبيع الأرض له.

.....

بدا ليها طويلاً رغم انقضاء معظمه، لكن عقلها لم يهدأ من كثرة التفكير، لم  
تكن مزعوجة من ذلك، بل على العكس كانت مبتسمة، متحمسة، متقدة  
الحواس، ظلت تستعيد في ذاكرتها حديثه الرزين المصحوب بخياله، كلماته التي  
داعبت أوتار قلبها بقوة لتعزف عليه معزوفة خاصة بها، تقلبت على فراشها  
بجنون لا توقظ عمها لتحقق أمامها بشرود، بدت ابتسامتها أكثر وضوحاً  
وهي تسترجع اعترافه بحبه لها، "أحبها كما هي" تلك الجملة التي ظل صداها  
يتردد في أذنيها وكأنها لحن مميز يمتعها، تهتت بعمق مرددة لنفسها بخجل:



مش لوحدك!

سحبت أسيف الغطاء على وجهها لتخفيه بابتسامتها المشرقة التي أضاءت صفحته، كتمت بصعوبة ضحكة عابثة تمرت عليها وخرجت من جوفها، كانت عمها مستشعرة حالتها المتحمسة، هي لم تكن نائمة كما كانت تبدو أمامها، فشعرت بتقلباتها، بأرقها، وأدركت أنها تعيش في حلم جميل، دعت في نفسها لها قائلة:

ربنا يفرح قلبك يا بنتي، ويملك على خير!

.....

مش عاوزة أكون تجربة ثانية في حياة حد!

قالتها بسمة لنفسها وهي تدفن وجهها في الوسادة بعد أن أنهكها كثرة التفكير في تلك المسألة، هي تخشى من الفشل الذريع، من تكرار تجربة الانفصال مثلما حدث مع أختها، أن تحصل على لقب مطلقة، وتصبح كالعار في نظر الجميع، ورغم ذلك هي لا تكره دياب، لكنها تنبذ أن توضع رغباً عنها في مقارنة مع زوجته السابقة خاصة إن تكررت المواقف وتشابهت الظروف.

نهضت بتثاقل من فراشها بعد أن عادت إلى غرفتها لتهرب من حصار أختها المزعج، وأخذت تجوب فيها ذهاباً وإياباً، تنهدت يارهاق، وحاولت أن تلهي عقلها بالتفكير في أمور حفل الزواج المتعلقة بابنة خالها، فهي ستتكفل بتجهيز ما هو مطلوب لتصبح عروساً جميلة تليق برجل كمنذر.

ولجت نيرمين إلى الغرفة دون أن تطرق الباب متسائلة بتأفف:

لسه راكبة دماغك ولا عقلتي؟!!

التفتت بسمة ناحيتها لترمقها بنظرات حادة وهي تقول:

هو اتني مانتيش؟

ردت عليها بسخط بارز على تعابيرها ونبرتها:

هانام ازاي وأنا هاموت من عمالك!

لوحت بسمة بذراعها أمام وجهها صائحة بنفاذ صبر:

يا شيخة ارحمي نفسك وارحميني، تعبت من كل اللي بتعمليه

ماهو أنا صعبان عليا تضيعي الراجل من ايدك!

مايصعبش عليك غالي

-اسمعي بس اتني لو ناصحة ه....

قاطعتها قائلة بجدة:

-أقولك على حاجة، أنا هنام، فصلت شحن، تصبحي على خير!

نظرت لها شزرًا وهي ترد بجمود:

بكرة تيجي تسترجيني أقولك على نصايحي!

خليالك! اقلني الباب عاوز أنا!

ماشى ياختى، نامى وسينى أنا أولع!

انسحبت نيرمين من الغرفة متابعة لنفسها بازدرء حقود:

-واحدة حظها نار ومش ملاحقة على الهنا اللي هاتبقى فيه، والثانية فقيرة  
وبترفس النعمة!

.....

انقضت عدة أيام انشغل الجميع فيها بالترتيب لحفل عقد القران بالبلدة الريفية،  
كذلك وصل أفراد عائلة الحاج طه وحلوا كضيوف كرام لدى الحاج إسماعيل  
الذي أصر على استقبالهم والقيام معهم بمتطلبات واجب الضيافة على أكمل  
وجه، كما انتهى منذر من كافة الإجراءات القانونية الخاصة بنقل ملكية  
الأرضية من فتحي الذي كانت نيران حقه تآكله حيًا لأنه خسرها ببساطة.

تحول المنزل إلى خلية نحل الجميع مشغول فيه بتجهيز العروس، فاليوم هو ليلة  
حتتها التي تسبق عقد قرانها، رفضت في البداية إقامتها، لكنها رضخت لإلحاح  
عمتها وابنتها وإصرار جلييلة واللاتي تعلنن جميعًا بكونها مناسبة طيبة لإدخال  
البهجة والسرور على العائلتين، كتعويض عن تلك الفترة العصيبة التي مروا بها  
جميعًا؛ كلٌّ على حسب ظروفه الخاصة، وعلى عكسهم تمامًا كانت نيرمين تتابع  
ما يقمن به بأعين مغلولة وقلب حقود متمنية في نفسها أن يفسد فرحتهم أي  
شيء، فمن ستزوجه هو الذي خفق قلبها له، من ملأ فراغ حياتها واستحوذ

على تفكيرها، لم تستطع إخفاء نغمها، وبات واضحًا عليها انزعاجها، حتى نظراتها  
كانت تشير إلى حنقها، فعمدت أسيف إلى تجاهلها متجنبًا التشاجر معها.  
تجولت بسمة في البلدة بصحبة جليلة لتشتري بعض النواقص، فاستغلت  
الأخيرة الفرصة للحديث معها عما يخص ابنها، ولكن على طريقتها، استهلت  
حديثها قائلة بود:

عقبال ما نتعبك كده يا بسمة  
ردت عليها مبتسمة بلطف:

شكرًا يا خالتي!

أضافت قائلة بحماس:

والله انتي بنت حلال وتستاهلي كل خير!

ثم ربتت على كتفها متابعة بنبرة ذات مغزى:

-وقريب أوي نصيبك هايجيلك لحد عندك

فهمت مقصدها سريعًا، وردت بجذر كي لا تخرجها متعمدة:

-أحم.. أنا مش مستعجلة، ومركزة في شغلي!

أصرت على إيصال ما تريد قائلة:

كل بنت مسيرها للجواز، ولا ايه رأيك؟

رفعت بسة حاجها للأعلى مستنكرة طريقتها المكشوفة، رسمت على ثغرها  
ابتسامة مصطنعة وهي ترد بجديّة:

-أيوه، ده لما تكون أعدة في البيت فاضية لا شغلة ولا مشغلة، لكن اللي زي  
وراهم حاجات كثير، كمان المدرسة واخدة كل وقتي! فمعديش وقت للجواز!  
زادت من ابتسامتها وهي تقول:

-سأخني يا خالتي ممكن نغير الموضوع ونركز في الحاجات اللي ناقصة!  
هزت جليلة رأسها باستياء، وهمست لنفسها بيأس:  
-دماغك ناشفة أوي!

.....

استغل وجوده بصحبة ابنه وأخته الصغرى ليرتب مقلب ما عله يتقرب إليها،  
هو متأكد من حبها للأطفال وتعلقهم بها، وأمر كهذا -وإن كان مصطنعًا- ربما  
يعطي فرصة للتفاهم بينهما خاصة أنها كانت تتحاشى التواجد معه أو حتى على  
مقربة منه، أكد دياب على صغيره ضرورة الالتزام بما طلبه منه لكي تنجح  
خطته، وبالفعل حينما لمحها تقترب اختفى عن الأنظار ليسرع يحيي بالركض  
نحوها صائحًا:

مس بسة، مس بسة!

انتهت إليه وسألته بابتسامة ودودة:

-أيوه يا حبيبي؟

احتضنها من خصرها قائلاً ببراءة وهو عابس الوجه:

بابا عاوز يضربني!

قطبت جبينها متعجبة من جملته، وردت باهتمام:

ليه؟ أكيد ضايقته في حاجة!

هز رأسه نافيًا وهو يطالعها بنظراته الحنونة قائلاً ببساطة:

-لا، أنا كنت بالعب مع عمتي أروى و...

لم يكمل جملته مضطراً حينما هدر والده بانفعال زائف:

-تعالى هنا يا يحيى!

رفعت بسمة أنظارها لتحقق في دياب الذي كان متجهماً الوجه ويقف على بعد

خطوات منها، تمسك الصغير أكثر بها بذراعيه، ورد معترضاً:

-لا مش جاي!

صاح به دياب بعصبية وهو يشير له بيده:

-قولتلك تعالى، مش لازم أشخط فيك عشان تسمع الكلام!

انزعجت بسمة من طريقته الحادة خاصة أن الصغير يحيى كان يزداد تشبثاً بها،

فردت قائلة بعبوس:

-بالراحة يا أستاذ دياب!

هتف الصغير بجزن واضح على ثغره:

يا مس بسمة خليه يمشي!  
 رد عليه دياب بصوت غليظ:  
 يا واد ده أنا أبوك، المفروض تسمع كلامي مش هي!  
 ابتسم يحيي قائلاً:  
 -أنا بأحبها!  
 ثم أخرج لسانه متعمداً إغاضته وهو يضيف:  
 -إنت لاء!  
 حضرت أروى هي الأخرى لتكمل الجزء المتبقي من الخطة، وركضت في اتجاه  
 بسمة لتحتضنها من الجهة الأخرى قائلة بمرح:  
 -وأنا كمان بأحب المس!  
 مسحت بسمة على رأسها برفق وهي ترد:  
 حبيبي يا أروى!  
 وزع دياب أنظاره بينهم قائلاً بغليظ:  
 -ده تكتل بقى!  
 هتف يحيي قائلاً بمرح أكبر:  
 -بأحبك يا مس بسمة!  
 وأضافت أروى:

-وأنا كمان!

زاد الاثنان من احتضانها، فلفت ذراعها حولها وهي تبتسم بإشراق، جاء دوره ليكمل باقي التمثيلية المصطنعة، فاقترب بخطوات ثابتة منها صائحًا بتجهم أكبر:

-تعالى يا وله هنا!

أخفضت بسمة نظراتها لتحقق في وجه يحيى قائلة برقة طفيفة:

-خلاص سيه معايا شوية!

اعترض عليها قائلاً بجدية:

-لا، أنا عاوزه دلوقتي!

رفعت وجهها لتنظر إليه فوجدته يقف قبالتها محققًا فيها بنظرات قوية، بادلتها نظرات متحدية وهي تضيف بحذر:

-مش هايحصل حاجة لما يفضل شوية معايا، بطريقتك دي هايخاف وهيغاند!

مد دياب ذراعه نحو ابنه مدعيًا الإمساك به، فلجأ الصغير إلى الابتعاد عنه مجبرًا بسمة على الالتفاف معه ليتعذر عليه الوصول إليه.

هتف دياب قائلاً بجدية:

حسي شوية كده يا أبله!



شعرت بالحرح لحصارها بين الصغيرين ودياب، فباتت كالمقيدة بأذراع الجميع،  
وجاهدت للتملص منهم قائلة:

خلاص بقى، خليه شوية

أصر دياب على بلوغه هاتفاً:

-لأ مش هاسيه

رد عليه يحيى بعث:

-وأنا مش جاي

بدأت بسمة تدور حول نفسها بسبب حركة الصغيرين يحيى وأروى، وتعالق  
ضحكاتها الطفولية المرحة وهما يتقاتلان بمزاح مع دياب لينعاه من الاقتراب  
منها، أصابها دوار طفيف، فهتفت بتوجس:

-كفاية أنا هاقع!

زاد عبثها المرح حتى كادت تتعثر في حركتها، فصاحت بتوسل:

-بالراحة شوية! أنا...

وقبل أن تكمل جملتها فقدت اتزانها بسبب جذبها لها بقوة فلم تستطع  
السيطرة على حركتها، ووقعت معها على الأرضية ليسرع هو في مساعدتها  
هاتفاً بعتاب:

-حاسبوا!

مد يده ليعاونها على النهوض ، فاضطرت مجبرة أن تمسك بكفه الممدود نحوها ،  
أسند مرفقها بيده الأخرى لتمكن من الوقوف على قدميها ، شعرت بألم قليل  
في قدمها ، فعنفها بضيق :  
-كده بهدلتوا الأبله!

حدقت في عينيه المتطلعيتين إليها بنظرات حائرة نوعًا ما ، بدت غير مقتنعة  
بكل ما يدور ، أحست بوجود أمر مريب في المسألة خاصة حينما رأت تلك  
الابتسامة العابثة تلوح على ثغره ، وقبل أن تجد الجواب لشكها ، حُصرت من  
جديد من الصغيرين اللذين تعمدا ضمها مع دياب بأذرعهما لتصبح هي أسيرة  
أحضانة مجبرة.....!!

.....

## الفصل الرابع والسبعون ( الجزء الأول ):

شهقت مصدومة من اندفاعها المبالغت نحوه، واستندت بكفها على صدره محدقة فيه بنظرات مشدوهة ممزوجة بالوجل، تحول لون بشرتها إلى حمرة صريحة، بادلها نظرة شغوفة متلهفة لاقتربها الساحر، نجحت خطته، وبات معه حتى وإن كان الأمر مفتعلاً لكنه حاز على مراده في الأخير، عمق نظراته المتقدة حباً نحوها، استشعرت بأصابعها دقات قلبه العنيفة، فأحست بتأثيرها عليه، وبارتباك يسيطر عليها من تغلغل ذلك الشعور فيها، لم يتحرك من مكانه، وبقي كالصنم مسلطاً فقط أعينه عليها، وبجذر واضح انسلت مبتعدة عنه مبدية انزعاجها من تصرفات الصغيرين الطفولية التي وضعتها في موقف محرج كهذا.

أرخی الاثنان أذرعهما عنها لتحرر منهم، تراجعت مبتعدة للخلف قائلة بتلعثم:

-أنا.. أسفة، مقصدش!

أخفضت عينيها بمرح أكبر شاعرة بتلك السخونة المربكة المنبعثة من وجهها، لم ترغب في حدوث ذلك، ولكنه القدر.

رد عليها دياب بهدوء واضعاً يده على مؤخرة رأسه:

-ولا يهملك، حصل خير!

انسحبت من أمامه دون إضافة المزيد مسرعة في خطواتها رغم عرجها الملحوظ، وبقيت أنظاره متعلقة بها حتى اختفت من أمامه، فأخر تهيدة ملتببة من صدره الملتاع بجبها، استدار للخلف ليحدق في الصغيرين بنظرات ممتنة، ثم فتح ذراعيه لهما ليندفعاً في أحضانهم، ضمهما قائلاً:

حبايب قلبي!

سأله يحيى ببراءة:

-أنا شاطر يا بابي؟

أجابه وهو يقبله من وجنته:

-انت أستاذ زي أبوك!

رغم انتهاء الموقف إلا أن وجنتيها احتفظتا بتلك الحمرة البائنة حتى شعرت أن أمرها سيفضح بمجرد تطلع أحد ما لوجهها وتفرس في تعابيره المرتبكة، استغرقتها الأمر بعد الوقت لتتلاشى تدريجيًا منها وتعود بشرتها إلى طبيعتها العادية، انزوت في أحد الأركان بالغرفة المعدة للاحتفال بليلة الحناء محذقة فيمن حولها بنظرات شاردة.

تراجعت لتقف بالشرفة الخارجية مستنشقة نسيمات الهواء العليلة، ومستعيدة في ذاكرتها لمحات خاطفة من ذلك الموقف المخجل، أطرقت رأسها حرجًا، وشبكت أصابعها معًا تفركهم بارتباك.

لامت نفسها عشرات المرات لأنها لم تتخذ حذرًا، فأعطته فرص ثمينة للتقارب الحسي بينهما، جمدت أنظارها على يديها متذكرة تلك الدقات العنيفة لقلبه، أغمضت عينيها بقوة نافضة عن عقلها تسلله إليها، وكأنه يتعمد اختراقها بمشاهده التي لا تفارق مخيلتها.

ولجت أسيف إلى الشرفة بعد أن لاحظت اختفائها، فتعجبت من سكونها المريب، دقت النظر أكثر في هيئتها المزعوجة، ودنت منها متسائلة باهتمام: مالك يا بسمة؟ في حاجة حصلت؟

انتبهت لوجودها، فاعتدلت في وقفها، وابتسمت لها بتوتر وهي تجيبها:  
-لا، عادي!

ردت عليها بعدم اقتناع معللة:

أصل شكك متاخذ كده و...

قاطعتها بجدية زائفة:

تلاقيني بس تعبانة من المجهود الكثير فباين على وشي!

وضعت أسيف يدها على كتفها تفركه برفق، ثم ابتسمت لها قائلة بود:

طب ارتاحي شوية

اعترضت عليها مرددة:

لا مش عاوزة، أنا مبسوفة معاكي!

رمشت أسيف بعينها متابعة بامتنان حقيقي:

بجد أنا مش عارفة أقولك ايه، أنا ربنا مارزقنيش باخوات، بس فعلاً انتي

بالنسبالي أكثر من أختي!

على ايه يا بنتي؟ هو أنا عملت حاجة

مش لازم تعملي حاجة، كفاية إنك قربتي مني و...

قاطعتها قائلة بجدية:

-بطلي عبط! احنا قرايب قبل ما نكون اخوات!

زاد لمعان عينها متأثرة بما قالته، وردت عليها بود:

-ربنا يقدرني وأقفلك يوم فرحك وأتعبلك!

لم تتالك بسمة نفسها، فضمتها إليها لتحتضنها بحب واضح، ثم أرجعت ظهرها  
للخلفة مضيئة بجديّة تحمل التحذير:

-أسيف! أنا بس مش عاوزاكي تكوني مجبورة على الجواز عشان اللي حصل!  
نظرت لها الأخيرة باستغراب قليل، فأكملت بجديّة أكبر:

-بصي كل حاجة جت بسرعة، وجايز تكوني اضطررتي تعملي حاجات...

قاطعها أسيف قبل أن تكمل عبارتها هامسة بابتسامة نخلة:

-لا يا بسمة، اطمني!

سألها باهتمام وقد بدا على تعبيراتها الاندهاش:

-يعني انتي موافقة على...

أومأت برأسها هامسة:

-ايوه

فغرت بسمة شفيتها مصدومة وهي تسألها:

-بتهزري؟!

ردت أسيف بهدوء:

-لا، أنا فعلاً بأعمل ده وأنا مقتنعة!

احتضنتها بسمة مجدداً وهي تقول:

-ربنا يقدمك اللي فيه الخير، ويبعد عنكم أي شر!

راقبتها من على بعد متعجبة من تلك الألفة الزائدة بينهما، فأثر ذلك الأمر  
فضولها، فاقتربت منها وهي تحدجها بنظرات حقودة متسائلة بامتعاض:  
مالكم أخذين جمب كده ليه؟

نظرت لها بسمة بانزعاج، فهي تعلم أن قدمها دوّمًا يحمل المصائب، لذا ردت  
باقتضاب غامض:

عادي يا نيرمين!

سلطت أنظارها على أسيف لتظهر لها تأفّفها منها وهي تضيف بعبوس:  
ولا بتقولوا سر، شكلها كده!

لم تعلق عليها، واكتفت بإشاحة وجهها للجانب متجنبّة نظراتها المقيتة، لكن لم  
تركها الأخيرة بمفردها، فاستأنفت قائلة بازدراء:

جائز المحروسة بتقولك على خبراتها في توقيع الرجالة، اتعلمي منها، يمكن  
دماغك الحجر تلين و.....

صدمت أسيف من كلماتها الفجة في الإساءة إليها، واستدارت نحوها لترمقها  
بنظرات أكثر كراهية، وقبل أن ترد عليها صرخت بها بسمة مستنكرة وقاحتها  
اللا محدودة:

نيرمين!

ردت أسيف هي الأخرى بقوة:



-تكلمي عدل عني!

نظرت باحتقار لها مقوسة ثغرها للجانب وهي تضيف بسخط:

هو أنا قوت حاجة غلط، ما أدكي جبتي سيد الناس راع على رجله لحد  
عندك! مش دي الحقيقة؟!

لم تطق تلك الافتراءات الباطلة عليها، فصرخت فيها بعصبية رافضة ما تتهمها  
به:

-أنا مش كده!

لوحت نيرمين بيدها قائلة ببرود مستفز:

-مش لازم ترسمي الوش ده عليا، أنا مش بيخيل عليا الألاعيب دي، وياما  
شوفت!

استشاطت نظرات أسيف على الأخير، وكادت تنفجر غيظًا منها، لكن  
أسرعت بسمة بالتدخل لتمتص غضبها مضيفة بازدراء:

-تعالى يا أسيف، سيك منها، هي كده وكلامها يفور الدم!

ثم جذبتها من ذراعها بعيدًا عنها متممة بكلمات خافتة محاولة تهدئتها، فنظرت  
للأثنتين بحقد، وصاحت ساخرة:

-أتم المتعوس على خايب الرجا!

أسرعت بسمة بإبعادها عن الشرفة ناظرة لها بوجاء لطيف، فردت أسيف  
بهمس مزعوج:

-بني آدمة مستفزة والله

هي مستحمة نفسها بالعافية!

-ربنا يهديها ويبعدها عني

يا رب أمين!

ظلت أنظارها مثبتة عليها رغم ولوجها للداخل، وأخذت تلغنها بكلمات  
مسيئة، استدارت نحو الشرفة لتنظر بشرود إلى المكان، لكن جذب أنظارها  
وجوده المهيب بالأسفل، تجمدت عيناها عليه، وطالعت بنظرات مطولة  
متهددة بحرارة، فكرت في استغلال الفرصة والحديث إليه مرة أخيرة معلنة عن  
حبها له، ربما يجعله يعيد حساباته من جديد نحوها.

.....

أسرعت في خطواتها لتلحق به قبل أن يتعد، كانت الظروف مهيئة تمامًا لكي  
تنفرد بالحديث معه دون أن يراها أي شخص، فالأغلب مشغول بلبلة الحناء،  
جذبت عباؤها للأسفل متأكدة من تناسقها على جسدها، وضبطت هيئتها،  
ثم همست راسمة ابتسامة عريضة على ثغرها:

سي منذر!

التفت برأسه للخلف لينظر إلى تلك التي تناديه، فامتعضت تعابيره حينما رأى  
نيرمين تدنو منه مرددًا بضيق:

-استغفر الله العظيم!

فرك رأسه بانزعاج واضح عليه، وجاهد قدر الإمكان ألا يبدو فظًا معها، لكنها  
أخرجته عن هدوئه الحذر حينما سألته بعتاب:

-انت بردك هتتجوزها؟

نظر لها شزرًا وهو يرد مؤكدًا:

-اه، ريحي دماغك!

وكان كلماته كالحمم الملتهبة التي تزيد من عذاب قلبها، فسألته بجدة وهي تعمق  
نظراتها المتيمة إليه:

حطب فيها ايه زيادة عن باقي البنات عشان تختارها هي؟

حدجها مندر بنظرات قاسية وهو يرد بجمود:

-مايخصكيش!

تحركت خطوة نحوه لتقلص المسافات بينها متسائلة بغيظ:

-اشمعى هي؟

تراجع مستنكرًا اقتربها وهو يرد بانفعال طفيف:

-الله! اتى مالك!!

رمقته بنظرات معاتبة، بدت أنفاسها مضطربة وهي تتطلع إلى وجهه بأعين غريبة، أرسلت له إشارات موحية تلومه، تحمله الذنب وكأنه ارتكب جرماً في حقها، تعجب من طريقتها الغير مريحة معه، ومن نظراتها التي لا تحمل أي حياء أو حرج، وأظهر نفوراً واضحاً مما تفعله.

هتفت فجأة بنزق أصابه بالصدمة:

سي منذر..أنا... بأحبك!

صاح مستنكراً:

-نعم ياختي؟

أكدت على عبارتها وهي توميء برأسها قائلة:

-أيوه بأحبك!

وضعت يدها على صدرها متابعة بحرقة:

-وقلبي بيتقطع مليون مرة لما بأشوفك مع واحدة غيري!

تحولت نبرتها للشراسة وتعابيرها للقسوة وهي تكمل بحقد بائن:

-وخصوصاً هي!

قست نظراته أكثر نحوها، وتشنجت قسامت وجهه مما سمعه منها، لم يصدق

أذنيه، هو دومًا يصدها، بل على العكس لم يتودد إليها، ولم يعطها أي بارقة

أمل من أجل أي شيء، لذلك انفعل بها باهتياج قائلاً:

-انتي اتجننتي، شيلي التخاريف دي من عقلك!

رمقتها بنظرات مزدرية مضيئًا:

-أنا عمري ما بصيتك، ولا هبصلك أصلاً!

هوت كلماته كالسياط على قلبها لتجلده أكثر، لم يمهلهما الفرصة لإظهار حزنهما أو حتى للبكاء، فتابع بقسوة أشد مشيراً بيده:

-وقبل كده قولتلك إننا أخوات، يا ريت تفهمي ده كويس عشان تهدي!

اضطربت أنفاسها من قوة عباراته، وترقرقت العبرات في مقلتيها، تراجع خطوة للخلف مكلاً بقوة:

-ولعلمك أنا مش بأحب إلا أسيف وبس!

وضعت يريمين يدها على فمها كاتمة شهقاتها، فأضاف بسخط:

-سمعتي! احفظي اسمها كويس أسيف رياض خورشيد، يا بنت الحاجة عواطف!

أجهشت بالبكاء أمامه، لكنه لم يتأثر بها، بل زاد حدة وشراسة وهو يقول مهدداً بسبابته:

-وبأحذرك لو في نيتك تضايقيها، صدقيني أنا اللي هاقفلك وهازعلك! وزعلي وحش أوي!

زاد نحيبها أمامه لكنه لم يهتز أو يتأثر بها، بل نفر أكثر منها، وتجاهلها منصرفاً من أمامها لاعتنا ما فكرت فيه نحوه ورافضاً تصديق وقاحتها الزائدة، تعلقت

أظارها به رغم ابتعاده، انتهى حلمها الوردي بصورة بشعة، وبات الأمر  
حقيقة واضحة للعيان، لا مكان لها في حياته، ردت هامسة بصوتها المختنق:  
يا كسرة قلبك يا نيرمين!

هتف منذر بين جنبات نفسه بضيق كبير وهو يسرع في خطواته تاركًا المكان  
برمته:

-معدتش إلا دي!

سيطرت عليه العصبية بصورة واضحة، فعجزت عن إخفاء ذلك أمام أخيه  
الذي سأله بفضول:

-في ايه يا منذر؟ حد ضايقك؟!

رد بصوت شبه محتد:

-لا!

حاول أن يسبر أغواره ليعرف ما ألم به، فأردف قائلاً

طب...

قاطع منذر بصرامة:

-متسألش كثير!

هز رأسه متفهماً عدم رغبته في الحديث، وأكمل بجذر:

ماشى، الحاج اسماعيل عامل أداة للرجالة عند العمدة، والكل يسأل عليك!

رد باقتضاب:

أنا جاي معاك!

تمام!

فرك منذر وجهه بغل، مازال الأمر يثير أعصابه رغم إنهائه له، لكن مجرد توهمها  
أمراً كهذا أصابه بالتقزز، أكمل سيره المزعوج محدثاً نفسه باستنكار:

ولية تفور الدم.....!

.....

## الفصل الرابع والسبعون (الجزء الثاني):

بكت بقهر في مكانها بعد أن لفظ حبها بقسوة رافضاً السماح لمشاعرها بالتحرك معه، نعم هي أحبته ولا تعرف كيف حدث هذا، لكنها عشقت رجولته وشهامته وشجاعته وخوفه على أحبته من أقل شيء يمكن أن يؤذيهم، تلك السمات التي افتقدتها في شريك حياتها الأسبق الذي كان على النقيض تمامًا، فأتاحت الفرصة لشخصه للتسلل إلى قلبها والاستحواذ عليه كليًا.

كففت نيرمين عبراتها مستسلمة للحقيقة المريرة، فهو لن يقبل حبها أبدًا بل لن يشعر بما تكنه له، ندمت على تسرعها في اعترافها، لكنها كانت محاولة أخيرة بأئسة ظنت أنها ستفلح معه، وأتت النتائج عكس توقعاتها، جرجرت أذيال خيبتها عائدة من حيث جاءت ناقمة على من حولها لكونهم سعداء وهي وحدها تعاني في صمت.

رأتها والدتها على تلك الحالة الباهتة، فاقتربت منها متسائلة بتوجس:

-في ايه يا بنتي؟ شكك مش مريحني!

أجابتها بفتور:

-ما فيش حاجة

أضافت يهدوء وهي تربت على ظهرها:



حط تعالى شوفي بنتك، بتعيط و...

قاطعتها قائلة باستياء:

أنا جايلها، ماهو معدليش إلا هي!

استغربت عواطف من طريقتها المحبطة، وأثرت عدم إجبارها على الحديث كي لا تنفجر فيها كعادتها حينما تحاول فهم ما يدور في رأسها، اختارت أبعاد مقعد خشبي لتجلس عليه، لكن نظراتها المحققة لم تفارق وجهها الضحوك متمنية بسوء تلاشي ابتسامتها ليحل الحزن عليه.

مالت إحدى السيدات الجالسات على مقربة من نيرمين على أخرى تهامس بكلمات مهمة عنها، وظلت أنظارهما تتوزع عليها وعلى رضيعتها التي كانت تهددها على كتفها، بدا الاهتمام واضحاً على الاثنتين وكأنهما قد عقدا العزم على شيء ما يخصها.

.....

نهض الحاج إسماعيل من مكانه حينما رأى منذر مقبلاً عليه وبصحبتة أخيه ليرحب بهما، استقبلهما العمدة بألفة معهودة منه، فقد قرر أن يحتفي بالزوج المستقبلي لابنة بلدتهم بإقامة حفل إنشاد ديني متواضع حضره أغلب رجال القرية لتقديم التهنئات والمباركات، لم يتوقع ذلك الترحاب الودود ولا تلك الليلة الجميلة، لكنها أظهرت له محبة الجميع لعائلة رياض ماعدا قريتهم الحقود الذي كان متجههم الوجه قاسي التعبيرات.

جلس منذر إلى جوار والده الذي ربت بقوة على فحذه كنوع من الترحيب به،  
استمتع بالأجواء الطيبة حتى حان موعد تناول الطعام، فتفاجأ بكم الأطباق  
الشهية التي تم تجهيزها خصيصًا لتلك المناسبة، فهتف قائلاً:

ماشاء الله! لازمته ايه التعب ده كله، كفاية اللي عملتوه وزيادة!

رد عليه الحاج إسماعيل مبتسمًا:

هو احنا عملنا حاجة؟ ده احنا مكسوفين منكم والله!

أضاف العمدة مؤكّدًا بابتسامة عريضة:

قوله يا حاج إسماعيل، ده مش من قيمتهم، لولا إن الموضوع جه بسرعة  
كنا.....

قاطع طه مبدئيًا امتنانه:

-كثر خيركم، يدوم يا رب العز والخير، ويجعله عامر!

رد عليه العمدة مبتسمًا:

يا رب

ثم التفت برأسه للجانب صائحًا بحماس:

قول للحريم الصواني بسرعة للرجالة يا زكريا!

-أوامرك يا عمدة!

.....

أفاق من غيبوبته المؤقتة شاعرًا بتلك الآلام الموجعة تجتاح جسده بالكامل،  
 بدت الرؤية مزجة بالنسبة له، فاضطر أن يغمض جفنيه لأكثر من مرة  
 ويفتحهما حتى يعتاد على الإضاءة القوية، حرك رأسه للجانب ليجد ابنه  
 الأصغر محددًا فيه بتلهف، فتنفس بعمق، ثم زفره ببطء قبل أن يستطرد  
 حديثه هامسًا بصوت متحشرج:

مازن!

دنا منه سريعًا ممسكًا بكفه وهو يرد بتلهف:

أنا أهوو يا أبا

حذق أباه في وجهه متسائلًا بصوت شبه متقطع:

حصل .. ايه؟

ابتلع الأخير ريقه مجيبًا إياه بجذر:

انت تعبت شوية يا حاج وانتقلت على المستشفى!

سأله مهدي بنبرة ذات مغزى وكأنه قد استشعر ما ألم بابنه البكري:

و.. أخوك.. مجد؟!!

ضغط على شفثيه هاتفًا بامتعاض مزعوج:

أخويا!

صمت لبرهة مترددًا في إجابته، أيخبره بما أصابه فتسوء حالته أكثر، أم يكذب عليه ويخفي الأمر مؤقتًا؟ انزعج والده من صمته الذي طال فسأله متوجسًا:  
سأكت ليه؟ هو جراه حاجة؟

فرك طرف ذقنه بيده قائلاً بتلعثم طفيف:

أصل.. البوليس متحفظ عليه لحد ما يقدر يقوم!

لم يكن مهدي بحاجة إلى أي تفسيرات لنهاية ابنه المتوقعة بعد ما ارتكبه من أفعال هوجاء ألحقت الأذى بغيره، فرد بنبرة أسفة:

أخوك ركب دماغه وضيع نفسه، وأنا ياما حذرتة!

سعل سعال حرج كاد يقطع أنفاسه قهراً عليه، فحشي مازن عليه من تدهور صحته فتوسله راجيًا:

متفكرش في حاجة دلوقتي يا أبا، المهم سلامتك عندي!

أغمض مهدي عينيه بجزن كبير وهو يرد:

كل حاجة راحت، الصحة، والمال والعيال! لله الأمر من قبل وبعد!

هتف مازن بجدية:

إن شاء الله كل حاجة هترجع زي الأول وأحسن

أشاح بوجهه للجانب متابعا بيأس:

فوضت أمري لله! إنت السميع العليم!

شعر بحالة الحزن الشديدة المسيطرة عليه بعد فقدته لكل شيء، فاعتصر قلبه  
 آلماً عليه، وحاول أن يهون الأمر قائلاً:  
 -اطمن يا أبا، أنا معاك!  
 التفت مهدي ناحيته محذراً بصوت واهن:  
 متضيعش نفسك إنت الثاني  
 رد عليه مؤكداً وهو ينحني على رأسه ليقبله:  
 حاضر يا حاج، ارتاح انت بس!

.....

انهالت المجاملات النقدية على العروس التي جلست في منتصف الأريكة كنوع  
 من التهنئة بعقد قرانها فبدت متحرجة للغاية مما يقدم لها حتى وإن كان زهيداً،  
 لكنه العرف المتبع في تلك المناسبات السارة، جاهدت قدر الإمكان أن تحفظ  
 في ذاكرتها اسم كل من قدمت لها شيئاً لتقوم برده في ظروف أخرى طيبة،  
 وتسابقت عواطف مع باقي النساء في تقديم المشروبات والطعام على  
 المتواجدات.

دنت منها إحداهن مرددة بهدوء جاد:

ست عواطف!

انتبهت لصوتها الأخيرة فأدارت رأسها للجانب قائلة:

-ايوه!

تابعت المرأة حديثها بجدية:

-معلش عاوزاكي في كلمتين كده ياختي على جمب!

قطبت عواطف جبينها باستغراب، وتعقدت تعبيراتها نوعًا ما قائلة بجذر:

-اه وماله، اتفضلي!

تحركت الاثنتان نحو الجانب بعيدًا عن الضوضاء المحيطة بهما، فأردفت المرأة  
قائلة بابتسامة صفراء:

-اعذريني في ده سؤال، والله أنا مكسوفة منك ومحرجة، بس .. بس  
متأخذنيش في دي الكلمة!

زاد فضول عواطف لمعرفة ما تريد، فردت بنفاذ صبر:

قولي على طول اللي عاوزاه!

وضعت المرأة إصبعها على طرف ذقنها مدققة نظراتها نحوها وهي تسألها  
باهتمام:

هو بنتك اللي هناك دي متجوزة ولا أرملة؟

التفتت عواطف برأسها سريعًا نحو ابنتها متسائلة بجدية:

-أنهو واحدة؟

سلطت المرأة أنظارها على نيرمين، وردت موضحة:

-الي معاها عيِّلة!

-نيرمين

-ماشاء الله، عاشت الأسامي، اه هي

-سألتها عواطف بجدية وقد بدت مزعوجة نسيبًا:

-بتسألني ليه يا حبيبتني؟

-أجابتها المرأة بمكر غامض:

-أصلي مش شايقة في إيدها دبلة، ولا لمؤاخذة جاية مع راجل، أنا أسفة إن

كنت بأتدخل في الي ماليش فيه!

-خمنت عواطف ما ترمي إليه دون أن تفصح لها علنًا عن نواياها، فهتفت على

مضض:

-هي منفصلة عن جوزها!

-فغرت المرأة شفيتها متممة باستنكار:

-يا عيني، مطلقة!

-ضغطت عواطف على شفيتها هاتفة بضجر:

-اه، الحمد لله على كل حال

-سألتها المرأة بفضول واضح عليها لم تبذل جهدًا في إخفائه:

-وما فيش أمل ترجعله؟

انزعجت عواطف من أسئلتنا المتكررة فهتفت بتبرم:  
 -لأ، مطلقة بالتلاتة، ادعيها بصلاح الحال  
 -ربنا يعوضها باللي فيه الخير  
 -اعذريني يا حبيبتي أنا مشغولة وبأساعد أهل البيت و...  
 قاطعتها بابتسامة ودودة:

-خدي راحتك، بس سؤال ثاني معلش!  
 زفرت عواطف قائلة بنفاذ صبر:

خير

ضاقت نظرات المرأة وهي تسألها باهتمام أكبر:  
 هي مابتفكرش تتجوز ثاني؟ أصلها لسه صغيرة، و...  
 قاطعتها عواطف هاتفة بصرامة:

-ما تكلميني بصراحة أحسن عشان أفهمك!

اتسعت ابتسامة المرأة الصفراء مبررة فضولها الملح:

-بصراحة كده أنا ابني شافها صدفة وحاول يطأس عنها، وعرف إنها تبعكم،  
 فكلمني عليها عشان أسأل عنها!

ردت عليها عواطف بامتعاض وهي تضم كفيها معاً إلى بطنها:

-وأديكي عرفتي ظروفها



أضفت المرأة قائلة بحذر:

طلالما مافيش حاجة تعيبها ايه المانع إن....

انزعجت عواطف من طريقته في فرض نفسها، وكذلك في الحديث عن أمور كهذه دون تمهيد مسبق، فردت مقاطعة بجدية:

مش وقته يا حبيتي، احنا مشغولين بالعروسة!

أصرت المرأة على إكمال ما تريد قائلة:

طب خدي فكرة عن ابني، هو أرمل وعنده عيلين صغيرين يتيمى يا حبة عيني عليهم، ده غير أرضه الزراعية، وشغال الصبح في مديرية الزراعة، و...

وضعت عواطف يدها على كتف المرأة لتضغط عليه برفق، واكتفت بالابتسام وهي ترد بإيجاز متصلب:

-ربنا يباركك فيه بس مش وقته!

تفهمت اعتراضها بعد صعوبة، وردت قائلة:

ماشى، نكمل كلامنا وقت تاني!

انصرفت من أمامها سريعًا متعجبة مما حدث، فابنتها نائمة على الأزواج والمتزوجين والحياة الزوجية بشكل عام، وربما قد أتمت فرصة طيبة، لكنها واثقة من رفضها من قبل أن تعرف التفاصيل، راقبتها المرأة باهتمام مرددة لنفسها:

-ربنا يقدم اللي فيه الخير، ويرزقك يا ابني بنت الحلال اللي تستاهلك!

أشرق صباح يوم جديد يحمل منذ لحظة ميلاد فجره وعودًا وأحلامًا كثيرة،  
عمل الجميع على قدم وساق لإنجاز ما هو مطلوب لإقامة سرادق الحفل في  
أرض المرحوم رياض خورشيد، وتم إحضار إحدى الشابات المتخصصات  
في تزيين العرائس لتقوم بدورها في تجميل العروس، بالإضافة إلى ثوب جديد  
يليق بها تم شرائه خصيصًا من أجلها.

تفاجأت أسيف بالثوب الذي حملته جليلة لها مرددة بابتسامة ودودة:  
يا رب يعجبك يا بنتي! ملحقناش ناخذ رأيك، بس منذر الله يكرمه مفاوتش  
حاجة إلا وكان عامل حسابها

تخرجت من مجرد ذكر اسمه، هو كعادته يفاجئها بالأفضل دومًا، لا يغفل أي  
تفصيلة تخصها، زاد تورد حمرة وجنتيها، ثم انتهت لصمتها، فردت بنبرة رقيقة:  
شكرًا، انتو تعبتوا نفسكم، وأنا مكوتش...

قاطعتها جليلة قائلة بعتاب:

تعب ايه يا عروسة، بقى ده اسمه كلام! عقبال الليلة الكبيرة يا رب!  
تناولت الثوب المغلف منها بجذر، وأسندته على طرف الفراش لتعتدل في  
وقتها، وتحتضنها بعدها بود واضح، ربنت جليلة على ظهرها متمنية لها حياة

طيبة مع ابنها، راقبتها نيرمين بحقد ظاهر في نظراتها المثبتة عليهما، وردت بين  
نفسها باستنكار ساخط:

سبحانه مغير الأحوال، بقى دي اللي مكاتش طيقاها، خلاص خدتها تحت  
باطها وبلقتها!

دنت منها بسمة محدقة فيها باستغراب شديد، خاصة أن تعبيرات وجهها كانت  
مشدودة للغاية، فسألتها بتعجب:

-انتي بتكلمي نفسك؟

التفتت نيرمين نحوها لترمقها بنظرات مزعوجة وهي ترد بتهكم:

-ايوه، فيها حاجة دي!

-لأ ما فيش يا نيرمين!

حاجة تجيب الغم على الصبح

ردت عليها بسمة على مضمض:

حطب افردى بوزك، النهاردة فرح!

لوحث لها نيرمين بيدها هاتفة بسخط ساخر:

سبنالك ياختي الفرحة كله، اتشميلي وحصلي المعدولة اللي اتلميتي عليها!

استنكرت طريقتهما الفظة في الإساءة إليها، فصاحت بجدة:

دي بنت خالك! هاتنهمي ده امتي؟

ضربتها بكفها على ذراعها قائلة بعدم أكثر:

تبقى زي ما تبقى! روحيلها يالا، بلا هم!

نظرت لها بسمة شزرًا وهي تقول:

-رنا يعدي اليوم ده على خير!

ظلت واقفة في مكانها تراقبها بأعينها المحترقة غيظًا منها حتى حضرت والدتها  
فسألتها بتلهف:

فاضية يا بنتي شوية؟

التفتت ناحيتها متسائلة بفتور:

-في ايه يا ماما؟

أجابتها بإنهاك:

-ناقصنا حاجات كثير ومحتاجين أي حد فاضي عشان يساعدنا في المطبخ!

ردت نيرمين من بين شفيتها بهمس خافت:

-يعني من قلة الموجودين!!

-ها قولتي ايه؟ هتساعدني في أكل بنت خالك!

ضغطت على شفيتها قائلة بامتعاض:

طيب!

تحركت مع والدتها بخطوات بطيئة مضيئة بحق مغلول:

إياكش تطفحه بالسّم الهاري!

.....

حل المساء عليها بطيئًا، ولم يتوقف عقلها عن التفكير في كل شيء تحديدًا هو، ذاك الذي تغلغل إلى خلايا عقلها رويدًا رويدًا فتشبع به، باتت الدقائق توجج من حماسها الشغوف إلى التطلع إليه، فبدت متلهفة أكثر على رؤيته، وترقبت بتوتر شديد حضوره إليها، ما أثار غرابتها هو عدم إقامة سرادق عقد القران بالأرض الخاوية الملحقة بدار الحاج إسماعيل، فأصابها الأمر بالريبة، وظنت أنه سيكون حفلًا بسيطًا في المضيئة خاصة أن كل من تسأله عنها يجيبها بغموض غير مريح، وكأن المسألة أمرًا حرييًا لا يجب عليها معرفته. أنهت المصففة عملها ووضعت لمساتها الأخيرة على بشرة العروس الجميل، وتأكدت من ضبط ذلك التاج الفضي الذي ثبتته على حجابها الأبيض، أصبحت أكثر إشراقًا وجمالاً، وظهر على صفحة وجهها فرحتها الصافية. حدقت فيها عمتها بأعين لامعة متأثرة، ثم وضعت كفيها على كتفيها قائلة بصوت شبه بالك:

بسم الله ما شاء الله، زي القمر يا بنتي!

رمقتها بسمة هي الأخرى بنظرات إعجاب وهي تضيف:

حلوة أوي، اقفي بقى عشان نظبط الفستان!

نهضت أسيف بجذر من على المقعد، فأزاحت ابنة عمها للخلف لتترك لها مساحة من الحرية لتتحرك، ظهر الثوب واضحًا أمام أعينهن، كان بسيطًا في تصميمه لكنه أنيقًا وكلاسيكيًا في مظهره، طرز صدره بالفصوص اللامعة ذات الحجم الصغير والموضوعة على قماش الدانتيل المغطى ببطانة بيضاء سميكه، أمام أكتافه فكانت من نفس الخامة لكن نقوشاتها الوردية أكثر بروزًا، وعند الخصر يضيق الثوب ثم يتسع بطبقات عريضة مموجة أعطتها حجمًا محببًا.  
هتفت بسمة بانبهار:

-واو! شكله تحفة، بصراحة ذوقه يجنن

التفتت أسيف ناحية المرآة لترى انعكاس هيئتها فيها، بدت مصدومة من مظهرها، كانت تشبه الأميرات في حليتهن المبهجة، مع فارق أنها عروس اليوم، مسحت عواطف عى ظهرها بجنو وهي تقول:

-ربنا يعوضك خير يا أسيف، والله انتي تستاهلي أحسن حاجة!

هتفت بسمة بمزاح:

-العروسة غطت علينا كلنا! احنا مش هنبان جميعا!

ردت عليها ابنة خالها بنجل لطيف:

متقوليش كده، انتي جميلة والله!

ابتسمت لها بسمة هاتفة بمرح:

-بأهزر طبعا، ارتاحي بقى لحد ما يبجي عريسك أكون أنا كملت لبسي

أضفت المصففة قائلة بجدية تحمل التحذير:

متتحركيش كثير يا عروسة، مش عاوزين عريس الهنا يشوفك دلوقتي، ده  
فال وحش!

ضحكت عواطف مداعبة:

-ربنا يبعد عنها كل وحش، ده الطيبون للطيبات!

اقتربت منها لتحضنها بجنو أمومي زائد مكملة دعائها الصادق لها، بينما تهتدت  
بسمة هامسة بقلق طفيف بدا على قسامتها:

أمين، وخصوصًا نيرمين.....!!

.....

الجزء الأول

الفصل الخامس والسبعون (الجزء الأول):

أصر على استضافته - مع أغلب رجال عائلته - في داره الكبير ليرتدي ثيابه  
 هناك، وأظهر ترحيبًا لائقًا به وبكرمه المعروف كعمدة لتلك البلدة، فأثنى  
 الحاج طه على أخلاقه الكريمة وطبائعه الخلوقة، انتهى منذر من ارتداء بدلته  
 الداكنة، واستعان بأخيه ليعقد له رابطة العنق، فبدا - رغم صلابته - مهيبًا  
 وجاذبًا للأنظار.

هتف دياب متحمسًا وهو يضبط ياقته:

-مبروك يا عريس!

رد عليه منذر بهدوء:

عقبالك يا دياب!

تهد مضيئًا بإحباط طفيف:

-كشف دعا وحياء أبوك، لأحسن العملية ناشفة على الآخر معايا، معقدة وكلها  
 كلايع

ربت على كتفه بقوة مرددًا بثقة:

-بتيجي على أهون سبب!

رفع دياب كفيه للأعلى هاتقًا:

يا ميسر يا رب!



صاح طه قائلاً بجدية ليثير انتباههما:

يا لا يا شباب، كده احنا هنتأخر

التفت منذر ناحيته ليرد مبتسماً:

على طول يا حاج!

تحرك بخطوات ثابتة نحوه، ثم انحنى على كفه الممسك برأس عكازه ليقبله  
بامتنان كبير، فمسح والده على رأسه وظهره قائلاً:

مبروك يا ابني، وربنا يجعلها جوازة دائمة إن شاء الله  
اعتدل في وقفته مردداً:

يا رب أمين

عرفت تختار، هي بنت كويسة ومتربية، وتعتبر يعني من العيلة

طلما انت راضي عني يا حاج فأنا مبسوط

ربنا يراضيك دائماً

سبقها دياب ليشير بيده للسائق الذي استأجر حافلته لإحضار بعض  
الأقارب والمعارف لحضور الحفل بتتبعه كي يصل إلى وجهته دون أن يضل  
طريقه في تلك البلدة الغريبة عليه، فامتلأ الأخير له واستعد للتحرك خلفه،

سار منذر بجوار والده يتبادلان عبارات خافتة حتى ركبا السيارة، لحق بهما  
الحاج إسماعيل وبصحبه العمدة، وعدد من رجال القرية، وبدأ الجميع بالتحرك  
نحو السرادق كل على حسب وسيلة مواصلاته.

.....

تعالت أصوات الزغاريد فحفق قلبها بقوة معتقدة أنه قد جاء بالخارج، توترت  
أنفاسها وازدردت ريقها بارتباك كبير، اشربأت بعنقها للأعلى محاولة رؤيته،  
لكنها مجرد تعبيرات عادية عن فرحة النساء بالعروس المتواجدة بالمنزل، خبا  
حماسها، وهدأ توترها لتصبح كما كانت شبه ساكنة.

اقتربت منها بسمة بخطوات متهادية هاتفة بانفعال متحمس:

ها يا سوفي، ايه رأيك في فستاني؟

رفعت أسيف عينيها نحوها لتمن النظر في ثوبها اللامع الذي ارتدته من اللون  
البترولي، كان متماشياً مع نحافتها وحجابها الزاهي، ضيقاً من خصره ومنتسحاً من  
الأسفل، وأكمامه فضفاضة وتضييق عند الرسغين، ابتسمت لها مبدية إعجابها به  
وهي تقول:

شكله حلو عليكي

ردت عليها بسمة بلهو:

بس مش ييجي حاجة جمبك يا عروسة!

اكتفت بالابتسام الخجل لها، لكن سريعاً ما اختفت من على محياها حينما رأت  
 نيرمين تقترب منها لترمقها بنظراتها الساخطة، أدارت وجهها للجانب متحاشية  
 التشاجر معها ، فهي متيقنة أنها ستفتعل شيء ما لتثير أعصابها المشدودة،  
 وهي لن تتحمل المزيد من التهكمات خاصة في ليلة متوترة كهذه.

انفض قلبها بين ضلوعها حينما سمعت أبواق السيارات، أحست بدقاته  
 العنيفة تخترق أذنها فارتكبت بشدة، واضطربت حواسها، هتفت بسمه  
 متحمسة:

-الظاهر العريس وصل!

صدحت أصوات الزغاريد الممزوجة بأصوات المزامير لتؤكد صدق حدسها،  
 فتلاحقت ضربات فؤادها من تلك الحماسة المتدفقة في الأدرينالين المندفع في  
 شرايينها، لا تعرف إن كان اضطرابها دليلاً على الفرح أم ماذا، لكنها حتماً لم  
 تكن مزعوجة بما يحدث لها.

سدت بسمه الطريق بجسدها لتمنعه من المرور ومن رؤية عروسه، رآها  
 دياب أولاً فتوهجت عيناه بوميض غريب، امتعضت ملامحه إلى حد ما لكونها  
 ستظهر أمام الغرباء بصورة جميلة لافتة للأنظار، فرمما تثير في نفس شاب ما  
 خيالات متهورة أو أفكاراً حمقاء مخجلة نحوها، سيطر عليه شعور الغيرة فجاهد  
 كثيراً ليبدو طبيعياً، لكن عبرات تعبيراته عن حاله

تعمدت فرد ذراعها هاتفة بمرح:

عروستنا لسه قدامها شوية

عقد مندر ما بين حاجبيه قائلاً باستغراب كبير:

مش معقول ماتكونش خلصت!

لوت ثغرها قائلة بمكر وهي توميء برأسها:

-ها، لسه!

تساءل بغرابة وهو يدير رأسه نحو أخيه:

-ازاي؟ ده الماذون جه!

جمد دياب أنظاره على بسمه قائلاً بتجهم مزعوج:

شكلها بتهزر، يا أبله جرس الفسحة ضرب من زمان! خلي العريس يشوف

عروسته!

نظرت له بضيق مبدية عدم تقبلها من طريقته في الحديث، وردت باقتضاب:

ظريف!

أبعد نظراته المحتقنة عنها مطلقاً زفيراً حاداً من صدره باذلاً مجهوداً مضنياً في

ضبط هدوئه، تنحت للجانب لتفسح الطريق لمنذر ليلج إلى الداخل فقابلته

والدته صائحة بسعادة:

مبروك يا حبيبي، ربنا يسعدك يا رب

احتضنها بذراعيه للحظات، ثم تراجع مبتعداً عنها، وانحنى على رأسها مقبلاً

إياها قائلاً:

-الله يبارك فيكي يا أمي!

مسحت على وجهه بكفها المجدد، فأمسك به وطبع قبلة صغيرة عليه قبل أن يتركها ليكمل خطاه نحو الداخل متلهفًا لرؤيتها، اشتاقت إليها عيناه، خفق قلبه بقوة حينما لمح تلك الهالة البيضاء التي تغلفها، أهذا سحر الحب الذي يجعلنا نرى ما نحب كالملائكة؟

ردد يا عجاب كبير:

-بسم الله تبارك الخلاق!

نجلت من نظراته المتطلعة بعشق إليها، شعرت بسخونة شديدة تجتاحها من لا شيء، بتوتر رهيب يعصف بخلاياها الساكنة، أتلك هي بوصلة الحب التي تدل قلوبنا على نصفنا الآخر، فنضطرب خجلاً من اكتشاف أمرنا؟ أخفضت رأسها حرجًا منه رامشة بعينها بجياء كبير، اقترب منها ممرًا عيناه ببطء على كل جزء فيها، أصبحت لهفته مضاعفة نحوها، لم يصدق أنها ستصبح زوجته، سيكتب اسمها إلى جوار اسمه وتقرن به.

تقوس فمه بابتسامة عذبة وهو يقول:

-مبروك!

همست بنبرة غير مسموعة:

-الله يبارك فيك!

تحسس رأسه المشط جيدًا مداعبًا:

-ولو إني مش سامع حاجة من الدوشة، بس أكيد مبسوطه؟ صح؟  
عضت على شفتها السفلى بنجل أكبر، واكتفت بإظهار ابتسامة صغيرة على  
ثغرها.

سحب منذر نفسًا مطولاً حرره دفعة واحدة وهو يقول بجدية:  
-أسيف!

انتبهت لصوته الذي تحول للجدية، وحدقت فيه بارتباك قليل، عمق نظراته  
نحوها متابعًا بثبات:

-أوعدك قبل ما نكتب الكتاب إني مش هاخلي حاجة تضايقك أو تزعلك  
طول ما إتي معايا، ولو حبتي لما نرجع ن....

استشعرت من طريقته التلميح إلى رغبته في الانفصال عنها حينما تنتهي  
الأمور هنا، ليس أمرًا مشوقًا على الإطلاق، خفق قلبها خوفًا، وقبل أن  
يضيف كلمة أخرى قاطعته بتوتر:

-ماتكملش!

استغرب كثيرًا مما قالته، فسألها بعدم تصديق:

-ايه؟

حركت شفتها لتجيبه لكن منعها من الكلام هتاف والدته الصائح:

-ياللا يا ابني، الناس مستنينا!

التفت برأسه للخلف مبدئياً انزعاجه من مجيئها في تلك اللحظة تحديداً، ورد  
بعبوس:

ماشي جاين، مش تدونا فرصة نتكلم!

عاود النظر إليها متسائلاً بفضول:

-كنتي هاتقولي ايه؟

ابتسمت بنجل وهي ترد:

-يالاً بينا!

زفر مستاءً من ضياع فرصة ثمينة لسماع ما تريد قوله، لكن استشعر قلبه شيئاً مطمئناً منها، نظراتها نحوه، ابتساماتها، حتى عيونها، كل شيء يوحى بأمر محمود، تمنى في نفسه أن يصدق حدسه، ويحمل قلبها مشاعراً ما إليه حتى وإن كانت قليلة، ثنى ذراعه لتتأبط هي فيه، ارتجفت أطرافها من شدة الحماسة وهي تعلق رسغها به، تحركت بجذر متمهل معه، وسار للأمام محققاً بها بنظرات متممة.

تعالت الزغاريد مجدداً طوال سيرهما حتى السيارة، واعتلت أصوات المزامير والدفوف المصحوبة بالأغاني المهنئة بالأفراح، سبقها منذر بخطوة ليفتح لها الباب، وتحركت بجذر لتجلس بالمقعد الخلفي ساحبة ذيل ثوبها معها، وما إن تأكد من جلوسها حتى صفق الباب برفق ليدور حول السيارة لكي يحتل مكانه إلى جوارها.

تفاجأت بتلك الأضواء البارقة التي زينت الطريق الزراعي وصولاً إلى ذلك المكان الذي حبست أنفاسها حينما خمنت وجهتها التالية، حدقت بجمود فيه، لم يطرأ ببالها مطلقاً أن تعود إلى أرض والدها، بل أن ترى سرادق الحفل مقاماً عليه وبالقرب من تلك الشجرة التي ضمت الكثير من ذكريات طفولتها وصباها، تهدجت أنفاسها متأثرة، ولمعت عيناها ببريق واضح، أحس منذر بما يختلج صدرها من مشاعر مختلطة، فمال عليها برأسه قائلاً:

مكانش ينفع الفرح يتعمل إلا هنا!

التفتت ناحيته برأسها لتحقق مباشرة في عينيه العاشقتين لها، خانتها العبرات التي تجمعت بكثافة عند طرفي مقلتيها، وانهمرت سريعاً على وجنتيها مبلة كلتاها بغزارة غير مكترثة بمساحيق التجميل التي يمكن أن تفسد من بكائها، مد منذر أنامله بجذر ماسحاً بعضهم برفق وهو يضيف مبتسماً:

أحلامك أوامر بالنسبالي!

عجزت عن إيجاد الكلمات المناسبة لشكره، لقد حقق لها حلمًا تمنته في حياة أبويها، وظنت أنه ذهب مع رحيلهما، لكنه صار واقعاً بوجوده معها، التفتت برأسها لتحقق في النافذة من جديد، وارتسم على ثغرها ابتسامة أكثر اتساعاً امتزجت بعبراتها الفرحة، لم يرغب سوى في رؤيتها سعيدة تضحك، لا تلقي



بالألموم الحياة، يكفيه أن تبتم فتشرق الحياة من حوله، وتتحول متاعها  
إلى أمور هينة يمكن تحملها.

توقفت السيارة عند مقدمة السرادق، وصدحت أكثر أصوات الدفوف  
والطبول المتراسة على الجانبين، لم تستطع منع نفسها من البكاء فرحاً، هي  
تعيش يوماً مميّزاً في حياتها، ذكرى جديدة ستحفر في عقلها للأبد، تراجلت  
منها حينما فتح بابها لها، وحدقت فيه بنظرات ممتنة، ابتسم لها ابتسامة عذبة،  
واصطحبها بتهمل إلى الداخل..

ركض الصغيران يحيي وأروى أمامهما قاذفين الورود على وجهيهما وهما يلهوان  
لتنسارع أنفاسها من فرط السعادة، استدارت للجانب لتتنظر إلى ذلك الذي  
سلب قلبها رغماً عنها بفرحة جلية، قبض بأنامله على كفها ضاغطاً عليه برفق  
قائلاً بصوت خفيض:

مبروك!

واصلا سيرهما حتى بلغا "الكوشة" الموضوعة في أحد الأركان ليجلس كلاهما  
على مقعد منفصل، تجمع حولهما الأحبة والمقربين فيما عدا نيرمين التي جلست  
على المقعد المواجه لهما تحدهما بنظراتها الغاضبة، نيران غيرتها تأكلها، كم تمننت  
أن تحظى به زوجاً يحبها وتحبه، يلاطفها بمعسول الكلام فتغدق عليه من حبها  
القطري، لكن بقي لها فقط أحلام مؤودة.

هتف الحاج إسماعيل قائلاً بصوت جهوري:

يا لا يا أستاذ منذر، شرفنا مع الرجالة عشان نكتب الكتاب

لوح له بيده قبل أن ينهض من مقعده متوجهاً نحوه، وقبل أن يتعد عنها رمقها بنظرة أخيرة عاشقة شعرت بها تخترقها ببساطة لتصيب قلبها وتحمسه.

بدأت مراسم عقد القران بهدوء تام، وقبل أن يشرع المأذون في إتمام باقي الإجراءات المعروفة قاطعه منذر قائلاً بجديّة:

-لازم الحاج فتحي يكون وكيل العروسة!

اندهش الجميع من مطلبه الغريب، واستدار برأسه مسلطاً أنظاره على قريبها المتجهم الوجه متسائلاً بنبرة موحية:

-ولا ايه رأيك يا حاج، مش إنت برضوه وكيلها؟!

أشار له بحاجبيه مؤكداً مغزى عبارته الخفي، فامتعض وجه فتحي على الأخير، ولم يجد بداً من الاعتراض، ضغط على فمه هاتفاً بصوت متحشرج: طبعاً، ده أنا خالها!

شهقت أسيف مصدومة مما سمعته تواء، لم تكن أوهاماً أو تخيلات اختلقها عقلها، لقد أعلن قريبها صراحةً أمام الجميع أنه وكيلها الشرعي في عقد القران ليقضي بهذا الحديث الجاد على آخر ذرة نزاع بينهما مؤكداً على عودة علاقات الود معها، حركت عينيها نحو منذر لترمقه بنظرات مذهولة غير مصدقة ما يفعلها من أجلها، كل لحظة يثبت لها أنه جدير بها، أنه يستحقها ويحبها حباً جمّاً، بل يثبت لها أيضاً أنها كانت مخطئة في حقه منذ البداية، لم يكن بالبشاعة

أو الطمع الذي تخيلته عليه، بل هو أكثر الرجال شهامة  
ورجولة.....!!

.....



## الفصل الخامس والسبعون (الجزء الثاني):

اشرأبت بعنقها محاولة رؤيته لكن غطى حضوره المهيب أجساد الرجال  
المحاطين له، فبات الأمر عسيراً عليها، أخرجت تهيدة مطولة من صدرها،  
ونكست رأسها بإحباط واضح، للحظة شردت في لمحات سريعة من ذكريات  
جمعتها سوى، لم تكن البدايات مبشرة، لكن حتماً النهايات طيبة، هو عرف  
الطريق الصحيح لدرها، وسار يتمهل عليه حتى وصل إلى قلبها فاتخذ مكانه  
فيه، ابتسمت بخفوت ممررة أنظارها على الجميع.

مالت عليها بسمة مداعبة:

هيكتبوا كتابك يا قمر!

رفعت أسيف رأسها نحوها محدقة فيها بأعين لامعة، واكتفت بابتسامة نخلة  
على محياها، بالطبع لم تفارقها نظرات نيرمين المحتقنة غيظًا، شعرت بدمائها  
الفائرة تحرق خلايا عقلها، بل إنه كاد ينفجر من كثرة ما تكلمه في نفسها مجبرة،  
وخزات حادة ألتها في رأسها، فكزت على أسنانها بقوة غير قادرة على إخفاء  
حزنها الممزوج بوجعها.

قول ورايا يا أستاذ منذر، إني استخرت الله!

انتبه الجميع إلى صوت المأذون الجمهوري الذي صدح في السرادق لتخفيض الأصوات العالية تدريجيًا، ويخفق مع نبرته قلبها أكثر، إنها الآن تزوج إليه ووكيلها قريبها الذي أنكرها يومًا، الآن ترفع رأسها عاليًا وترد كرامتها بين الأشهداء، كذلك سيجمع القدر بينها وبين أكثر الرجال احترامًا ومحابة في رابط له قدسيته، اعتلى خلجاتها فرحة خافية رغم وضوحها في نظراتها، لكنها أيقنت أنها مستعدة كليًا إلى تلك الخطوة الحاسمة في حياتها، ستصنع مما تمر به ذكريات أخرى خاصة بها تحمل السعادة والبهجة، وستمحو آثار ما خلفه الزمن من أحداث مؤلمة، نعم عقدت العزم بشدة على نسيان ما يؤلمها، والتشبث أكثر بحاضرها ومستقبلها.

.....

انتهت الإجراءات الخاصة بعقد القران، ووقعت بأنامل ثابتة على ورقة زيتيتها لتعلو بعدها أصوات الزغاريد والتهليلات الفرحة، تهدجت أنفاسها أكثر وهي تبتسم لمن حولها، لكن سريعًا اكتسى وجهها حمرة قوية حينما سمعت صوت المأذون يردد:

-كلنا يا أحباب الله ندعهم ونقول "بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير!"

ترددت العبارات بقوة بداخل السرادق ليزداد مع أصواتهم خفقات قلبها المتحمس، زاد توترها حينما التقطت أذنيها نبرته وهو يقول بانزعاج زائف:

-ممكن أعدي بعد اذنكم!

أفسحت النساء والفتيات المجال له ليمر، فوقعت أنظاره عليها سريعًا، تجنبت  
النظر إليه متحرجة بشدة من كم الأعين المراقبة لهما، بينما دنا منذر منها هاتفًا:

-مبروك يا عروسة، ربنا يقدرني وأسعدك

هتفت جليلة بسعادة وهي تربت على ظهر ابنها:

-والله ربنا يبجك وعضك خير يا بني!

التفت ناحية والدته مبتسمًا، فتابعت مضيفة بتفاؤل:

يجعلها جوازة الهنا، وعقبال الليلة الكبيرة!

هتفت عواطف بنبرة عالية وهي تشير بيديها:

-ياللا يا بنات انزلوا تحت خلوا العرسان يقعدوا سوا!

عدلت بسمه من طرحة العروس قبل أن تتبعد بجذر من جوارها، لتنسحب  
في إثرها باقي النساء والفتيات واحدة تلو الأخرى من الكوشة تاركين فسحة  
للعروسين للجلوس سويًا، فيما عدا أروى التي أصرت على الجلوس على  
مسند مقعد العروس متغنجة بنفسها بمرح وهي ترتدي مثلها.

سلط منذر أنظاره على وجه حبيبته التي كانت تختلس النظرات إليه بجيأ  
مكشوف عليها، تعالت دقات قلبه حتى باتت أكثر عنفًا وهو يتخيلها في  
أحضانها، تدفقت دماؤه المتحمسة في عروقه من فرط الانفعال الفرح، نعم هو  
غارق حتى النخاع في حب امرأة سلبت قلبه وسيطرت على عقله، تمنى في

نفسه أن تدوم تلك الفرحة وألا تنتهي بذهابها من هنا وعودة الأمور إلى سابق عهدها.

على الجانب الآخر، لمح الصغير يحيى ذلك الجرو الصغير الذي يلهو بالخارج فأثار فضوله لتتبعه واللعب معه، فانسى دون أن ينتبه له أحد من السراقق ليلحق به، رآته بسمة مصادفة فتوجست خيفة أن يرتكب شيئاً أحمقاً دون أن يعي أو أن يضل الطريق فيقلق الجميع عليه، لذا أسرع خلفه محاولة اكتشاف ما الذي يفعله.

دوماً كانت أعينه عليها متابعة لكل ما يصدر منها، فاستغرب كثيراً لابتعادها عن أجواء الحفل دون إبداء أي مقدمات، بدا مزعوجاً من خروجها بمفردها خاصة أنها ترتدي ثوباً لافتاً للأنظار رغم احتشامه، لكنه لا يعرف نوايا البشر، لذلك بلا أدنى لحظة تفكير أو تردد، انطلق ورائها وهو متجهم الوجه. وجد صعوبة في ضبط انفعالاته حينما سمع أحد الشباب يعلق عليها قائلاً بعث لا:

-بنات بحري دول حكاية

رد عليه آخر مؤكداً بضحكة غير مريحة:

بالضبط زي الكتاب ما قال!

استدار ناحيتها مسلطًا أنظاره النارية عليهما، تشنجت تعايره، وبدا على  
وشك الفتك بهما وهو يقول بانفعال:

ما تلم نفسك انت وهو

اعتدل الشاب في وقفته المائلة قائلاً بجفاء:

خير يا أستاذ؟ حد جه جبك!

صاح به بنبرة غاضبة ملوحًا بذراعه بتهديد صريح:

انت عارف إنت بتكلم عن مين؟

تفهم الشاب سريعًا سبب ثروته المتعصبة، فلكر رفيقه قائلاً بتوجس:

شكلها تبعه!

سلط دياب عينيه المتقدتين بشرر مخيف عليه وهو يرد بصوت متشنج:

اه يا سيدي تبغي، دي المدام!

تبادل الشابين نظرات حرجة، وهتف أحدهما معندرا:

احنا أسفين والله، منقصدش، اعذرنا يا أستاذ!

حقك علينا، زلة لسان و...

قاطع دياب هادراً بعدائية مخيفة:

تاني مرة تفكروا قبل ما تكلموا، لأحسن لسانكم ده ممكن يوديكم في داهية!

نظر لها بازدراء قبل أن يسير مبتعدًا ليلحق بها مغمغماً بين نفسه بغیظ:



شكلي هارتكب جناية هنا!

.....

خطت بتمهل حريص على الأرضية الطينية الغير ممهدة باحثة بأعين قلقة عن الصغير يحيى الذي لم يكن ظاهرًا حولها، انقبض قلبها إلى حد كبير خوفًا عليه، واصلت سيرها رافعة أطراف ثوبها الطويل كي لا تتعثر به، تلفتت برأسها تجوب بأنظارها كل ما تقع عليه عينيها هاتفة:

يحيى! انت فين يا حبيبي؟ يحيى!

تسرب إليها هلع طفيف لعدم وجود أي رد على نداءاتها المتكررة، تعمقت أكثر في سيرها حتى بلغت حقول الذرة، ففزعت أكثر بسبب الظلام المغلف للأجواء، ارتجفت أطرافها بقوة لإحساسها بالخطر، وتأكد شعورها حينما سمعت تلك الهمهمات الخافتة، وضعت يدها على فمها حابسة أنفاسها متوقعة الأسوأ، خرجت منها صرخة مذعورة حينما سمعت صوتًا يأتي من خلفها متسائلًا بجمود:

جاية هنا ليه؟

التفتت سريعًا برأسها ووجهها قد صار أكثر شعوبًا، لكن سريعًا ما تحول خوفها إلى حنق ظاهر في نظراتها حينما تأكدت من هويته، دنا منها متسائلًا بتجهم:  
-بتعملي هنا ايه لوحدك؟ ولا عاجبك الرجالة يتفرجوا عليكي ويعاكسوكي!!!

استنكرت طريقته الهجومية على شخصها دون تقديم أي مبررات تستوجب ذلك ناهيك عن اقتحامه لحياتها الشخصية بشكل سافر، استشاطت نظراتها سريعاً، وردت بتشنج:

-ايه اللي بتقوله ده، رجالة مين، ومعاكسة ايه دي؟

نظر لها بأعين مغلولة موضحاً بانفعال:

-يعني مش شايفة البهوات كانوا بيصولك ازاى

قطبت جبينها مستغربة مما يتفوه به، فصاحت غاضبة:

-أنا معرفش أصلاً إنت بتكلم عن ايه!

اقترب منها أكثر مضيقاً بتهكم:

هو إتي فايقة غير ل....

قاطعته رافعة كفها أمام وجهه محذرة إياه من التماذي في افتراءه قائلة:

عندك، ولا كلمة زيادة، مش هاسمح بأي اتهام أو إهانة!

جمد أنظاره المشتعلة عليها، فتابعت بسخط متعمدة تحميله اللوم لتسرع معها:

-انت مكلفتش خاطرك حتى تشوف بأدور على ايه هنا!

لوى ثغره متسائلاً ببرود متهم:

-هايكون على ايه؟

ضاقَت نظراته نحوه حتى باتت أكثر حدة، ثم أجابته بامتعاض ذو مغزى:

على ابنك اللي ناسيه

وكأنه قد عاد إلى رشفه بعد سماعه لاسم ابنه يتردد بين شفيتها، فهتف بلا  
وعي:

يحي!

تابعت معاتبه بنبرة لاذعة:

-ايوه، ما انت لو عينك في وسط راسك ومركز كنت شوفت إن ابنك خرج  
ومحدث عارف هو فين!

ارتسم على تعابيره علامات الانزعاج سريعًا، هي محقة في هذا الأمر، هو غفل  
دون قصد عن ابنه، وتناسى أنه بصحبته في تلك البلدة الغريبة، والأطفال  
بطبيعة الحال يسعون لاكتشاف كل ما هو غامض ومجهول بالنسبة إليهم بفعل  
فضولهم الطفولي، تلفت حوله هاتقًا بنبرة مرتعدة:

يحي، يحي، انت فين؟!

بحث بخوف كبير عنه مدققًا النظر في حقول القصب المظلمة عله اختبأ  
بداخلهم، هوى قلبه في قدميه حينما لم يسمع منه خبرًا، وقبل أن يفقد أعصابه  
المتلفة سمع صوته يقول بعبوس:

-أنا هنا مش لاقيت الكلب! استخبي مني!

تنفست بسمة الصعداء لكون الصغير بخير، فتحركت نحوه يتمهل حذر مرددة  
بعتاب لطيف:

خضتنا عليك!

أحاطت كتفيه بذراعها وضمته إليها بجنو محاولة التهوين عليه، لكن انقلع والده بعصبية بائنة معنفاً إياه بقسوة:

-في حد يعمل كده؟ مش ممكن كنت تقف في ترعة ولا.....

ارتعدت فرائص الصغير من طريقة والده العنيفة معه، فتوجست بسمة خيفة أن يتهور عليه ويضربه، نظرت له مستنكرة انقلات أعصابه الدائم فردت بجديّة:

قدر ولطف! بالراحة مش كده يا أستاذ دياب!

زاد عبوس الصغير حتى كاد يبكي عفويًا، فهمس بنبرة مختنقة:

مش تزعلي بابي، الكلب ده...

ضمته بسمة أكثر إليها ماسحة على كتفه برفق وهي تقول برقة:

-خلاص يا حبيبي، بابا لما الجنونة يتمسك فيه مش يبشوف قدامه!

انزعج من سخريتها منه محذراً:

ها، هنغلط؟

ضغطت على شفيتها محدقة فيه بنظرات قوية، واكتفت بعدم الرد عليه تجنباً

لافتعال أي مشاكل معه، انحنت برأسها نحو الصغير هامسة له بجنو:

-متزعلش يا يحيى

اشرب الصغير بعنقه طابعا على وجتها قبله وهو يقول ببراءة:

-أنا بأحبك اتتي!

راقب دياب اندماجها العفوي بنظرات حاملة، تمني لو فقط أبدت موافقتها على ارتباطها سويا وأصبحت زوجته، لظفر بها كحبيبة عشقها، ونال ابنه أما حنونا ترعاه بلا تكلف أو ضعينة، أفاق من شروده فارگا مؤخرة رأسه مردداً بهدوء:

حطب يالا بينا، مالهاش لازمة الواقعة هنا في الحطة المقطوعة دي!

وافقتة الرأي في تلك النقطة تحديداً، وتحركت معه عائدة من حيث أنت وهي قابضة بكفها على يد الصغير الذي فضل أن يمسك بها دون أيه، لمحت بطرف عينها شيئاً أثار ريبها بين عيدان القصب الطويلة، دقت النظر أكثر في ذلك الدخان المنبعث هائفة بقلق:

-انت شايف الدخان اللي هناك ده؟

سألها دياب بعدم أكرات:

فين بالظبط؟ أنا مش شايف حاجة!

ابتلعت ريقها وهي تجيبه بخفوت:

-اللي طالع من وسط القصب!

حرك أنظاره نحو ما أشارت بعينها فرأى خيطاً رفيعاً من الدخان يندفع بطريقة  
مخيفة إلى حد ما من بين الحقول، توتر قليلاً، ولكنه جاهد ليحفظ على ثبات  
انفعالاته، فابتسم قائلاً بحذر:  
تلاقيها شابورة!

تعقدت تعبيراتها من رده الغير منطقي، وهتفت مستنكرة سذاجته:  
شابورة ايه دي اللي هاتطلع في حته واحدة بس!  
فرك طرف ذقنه بيده متابعاً بجمود:  
متحطيش في بالك!

نظر الصغير إلى ذلك الدخان فشعر بالهلع، فمد يده الأخرى ليلتقط كف والده  
هامساً بفرع:

أنا خايف يا بابي!  
رد عليه مداعباً:

ومين سمعك يا بني، جاز الحتة دي مليانة عفاريت، أنا سمعت إنهم بيطلعوا  
في الميعاد ده!

شخصت أبصار بسمة على الأخير بعد عبارته تلك، وتدفق إلى عقلها الكثير  
من مشاهد أفلام الرعب الخاصة بالمناطق المهجورة والمظلمة وما تحمله من  
نهايات مأساوية مهلكة، جف حلقها بصورة كبيرة، وشعرت بتسارع دقات قلبها  
خوفاً، فالتفتت نحو دياب متوسلة بنبرة شبه مرتجفة:

-بلاش الكلام ده لو سمحت!

تعجب من تبدل حالها من العبوس والغضب إلى الذعر الملحوظ، ارتفع حاجباه بدهشة قليلة، وسألها مهمتًا وقد تشكل على ثغره ابتسامة عابثة:

هو إتي بتخافي؟

أجابته بخفوت شديد وهي تزدي ريقها:

-أنا هاموت في جلدي!

صاح صوتًا متحشرجًا قويًا من بين عيدان القصب متسائلًا بنبرة أخافت الجميع:

إنتو مين؟

صرخت بسمة لا إراديًا من بين شفيتها:

عفريت!

فزع يحيي هو الآخر من صوته، وأرخی قبضته عن أبيه ليحتضنها صائحًا بهلع أكبر:

ماما، ماما!

انتفض دياب في مكانه مفزوعًا من ذلك الشخص المريب الذي ظهر لهم من العدم، لكنه تمالك نفسه سريعًا حينما أمعن النظر في تفاصيله الدقيقة، كان رجلاً عاديًا يرتدي جلبابًا داكنًا وممسكًا في يده سلاحه المرخص الذي وجه

فوهته نحوهم، بالإضافة إلى سيجارة عالقة بين شفثيه المشقتين، رمقه بنظرات  
محتفنة إلى حد ما مستنكرة طريقة ظهوره، وهتف مغتاطًا:

يخربيتك، قطعت خلفنا، إنت مين؟

رد عليه الرجل متسائلًا بنبرة خشنة وهو يخفض سلاحه للأسفل:

إنتو اللي مين وتعملوا ايه هنا؟

وضعت بسمة يدها على صدرها تتحسس قلبها الذي بدأت نبضاته تجبو بعد  
تداركها للموقف، لكن جسدها المرتعش لم يسكن بعد، صاح دياب بجدة:

في حد يستخبي كده وسط القصب؟!!

رد عليه الرجل بجمود وهو يجوب بأنظاره عليهم متفحصًا هيئتهم بدقة:

أنا غفير الأرض، مقولتوش إنتو مين؟

أجابه دياب بامتعاض:

أنا أخو الأستاذ منذر حرب اللي.....

قاطعته الرجل قائلاً بفتور:

ايوه العريس، مبروك!

رد عليه دياب ساخرًا وهو ينظر نحوه بغیظ:

-بعد جو الرعب ده مبروك، مالهاش لازمة بقي

سلط الرجل أنظاره على بسمة متسائلًا بنبرة أكثر خشونة:



-واتي مين يا أبله؟

رمقته بنظرات مزعوجة من أسلوبه الفج، وقبل أن تجيبه تعلق الصغير يجي  
بها أكثر هاتفاً بخوف وهو يدفن وجهه في أحضانها:

-مامي، شكله يخوف!

اعتقد الرجل أن تلك الشابة هي والدة ذلك الطفل، فسألها بصوت آجش:

-إنتي المدام؟

أجابه دياب بنبرة قوية متعمداً صرف انتباهه عنها:

-كلمني أنا، أه هي المدام، وده ابني يجي وكنت بأفرجهم على البلد! عندك  
اعتراض ولا حاجة؟

رد الرجل ببرود:

-شوفوها بالنهار، الدنيا ليل، والعتمة وحشة!

علق سلاحه على كتفه مضيئاً بتحذير:

-وجايز يطلع عليكم حد واد حرام كده ولا كده!

نفخ دياب قائلاً:

-ايوه، عندك حق!

تابع الرجل بصوته المتحشرح:

سلملنا على العريس وباركه، بنت المرحوم رياض زينة البنات والله، فعلاً

عرف يختار الأصل الطيب!

هز دياب رأسه قائلاً:

الله يبارك فيك! يوصل حاضر!

ثم أوماً بعينه إلى بسمة مردداً بنبرة ذات مغزى:

يا لا يا مدام!

احتدت نظراتها نحوه واضطرت مجبرة ألا تعلق عليه ريثما يبتعد ثلاثتهم عن المكان، وما إن اطمأنت من عدم ملاحقة ذلك الرجل لهما حتى عنفته بغيظ مكتوم:

مين دي اللي مدام؟

رد عليها دياب مبرراً:

مش أحسن ما يغتالنا!

زاد انعقاد ما بين حاجبيها بانزعاج واضح من طريقته في إعطاء نفسه الأسباب للتصرف كيفما يشاء في أمورها الخاصة، لاحظ الوجوم البادي عليها، فابتسم مازحاً:

الي زي ده مخه مقفل، ومش هايستوعب أي حاجة تانية!

تقوس فمه أكثر وهو يضيف بطريقة تهكمية مقلداً صوت الرجل المتحشرح:

-تخاق في النور مش هنا، دي العتمة وحشة يا أبله!

انفجرت ضاحكة من طريقته الساخرة المحاكية للرجل، ولم تستطع ضبط  
نفسها، فواصلت ضحكاتها اللاهية، نظر لها بأعين لامعة محاولاً حفر تلك  
الصورة المشرقة لوجهها في مخيلته عليها تهدأ من لوعة قلبه الذي يهواها  
بجنون.....!!

.....

الفصل السادس والسبعون:

أوشكت الأجواء الاحتفالية بالسرادق على الانتهاء بعد تلقي العروسين مجاملات مادية من كبار رجال البلدة الريفية كنوع من التعبير عن فرحتهم بتلك الزيجة الطيبة، وبالطبع لم يستطع أي من العروسين الاعتراض على التقاليد السائدة والمتبعة بينهم.

مد منذر يده أمام العروس فأخفضت نظراتها نحوه متسائلة بعدم فهم:  
- في حاجة؟

ابتسم لها وهو يجيبها بهدوء:

-مش المفروض تقوم!

تخرجت كثيراً من رده رغم كونه طبيعياً، إلا أنها باتت تخجل من أبسط الأمور معه، وبأنامل مرتجفة مدت يدها نحوه ليمسك بها برفق، ثم نهض واقفاً بهدوء تبعته هي راسمة على محياها ابتسامة مهذبة، تأبطت في ذراعه، وحدقت أمامها رامشة بعينها لعدة مرات قبل أن تسير إلى الخارج، تعالت من حولها أصوات الزغاريد المصحوبة بدقات الطبول والمزامير.

هتف الحاج إسماعيل بنبرة عالية:

ما لسه بدري، ده احنا ناويين على عشا و....

قاطع طه قائلاً بجدية:

-يدوم العز يا رب، بس احنا ورانا طريق سفر طويل

أصر على بقائهم مرددًا:

ما تخليكووا بايتين هنا و...

أشار بيده موضحًا:

يا ريت كان ينفع، بس الجماعة كلهم وراهم مصلحة متعطلة أديلها كام يوم،  
وانت عارف ده بيقف علينا بخسارة!

هز الحاج إسماعيل رأسه متفهّمًا وهو يرد:

-رنا ييسرلكم الأمور!

مد يده لمصافحة طه قبل أن يتحرك في اتجاه منذر مضيّفًا بترحاب:

شرفتنا يا أستاذ منذر، ومش هانوصيك على عروستنا بقي

لم يكن بحاجة إلى مثل تلك العبارات المؤكدة لأنه بالفعل حريص على أقل  
شيء يخصها، فالتفت نحو وجهها، وأطال النظر نحو قسماته المتوردة مبتسمًا  
وهو يقول:

انت بتوصيني على حته غالية مني!

زاد احمرار وجنتيها من غزله المتواري أمام أقربائها، فنكست رأسها بجيأ  
ظاهر، بينما ربت الحاج إسماعيل على ذراعه قائلاً بهدوء:

-رنا يحميك لشبابك ويكثر من أمثالك

تابع منذر مرددًا بامتنان وهو يشير بيده:

تسلم، أنا مش عارف أشكركم على الواجب اللي عملتوه معنا و...

قاطعهُ قائلاً بعتاب لطيف:

-دي أسيف بنتنا متقولش كده، والله نزل منك، وكل واحد في البلد هنا  
فرحانها وعاوز يعمل معاها أحلى واجب

-ربنا يخليكم ليها، أهل كرم! نشوف وشكم على خير

وجه الحاج إسماعيل حديثه إليها بجدية مشيراً بسبابته:

-خدي بالك من جوزك يا بنتي، تحطيه في عينك، سمعاني؟

رفعت وجهها في عينيه المحدثين بها قائلة بخفوت نجل:

حاضر!

لمحه منذر من على بعد بوجهه المتجهم وهو يرمقه بنظراته المغتظة، فأراد أن  
ينبهه أنه متابع جيد لإيماءاته المزعوجة، فرفع من نبرة صوته وهو يناديه:

-ايه يا حاج فتحي؟ مش ناوي تسلم علينا؟!

امتعض وجهه على الأخير، فمندر ليس بالخصم اليسير، وعرف كيف يأخذ منه  
ما يريد، لذا دنا منه هاتفاً بعبوس:

-ودي تيجي!

صافحه بفتور، ثم وضع يده على كتف أسيف مضيئاً:

مع السلامة، لو عوزتي حاجة اتني عارفة رقمي

هزت رأسها بالإيجاب قائلة:

-ماشي يا خالي

أضاف منذر محذراً بكلمات غامضة للجميع لكنها كانت مفهومة جيداً بالنسبة له:

-ماتنساش يا حاج فتحي تتابع موضوع بيت المرحوم، عاوزين نشوف مين ابن الحرام اللي حرقه!

قوس فمه للجانب وهو يرد باقتضاب متجهم:

-ربنا يسهل

لوح منذر بيده عاليًا وهو يهتف بحماس:

-نشوف وشكم على خير جميعًا

رد عليه الحاج إسماعيل بود:

-في رعاية الله، ربنا معاكو ويسلم طريقكم، شرفتونا!

أحضر دياب السيارة أمام مدخل السرادق ليتمكن العروسين من ركبها،

وترجل منها هاتقًا بحماس:

-ياللا يا جماعة!

ركض الصغير يحيي نحو أبيه قائلاً ببراءة وهو يجذبه من بنطاله:

بابي أنا عاوز أركب معاكو

ابتسم له ماسحًا على رأسه، وعابثًا بوجهه مرددًا بحنو:

ماشى يا حبيبي!

لحقت به أروى، وابتسم لأخيها هاتفة بإصرار:

-وأنا كمان يا أبيه؟

نظر لها بحيرة، فمقاعد السيارة لن تتحمل كثرة العدد الراغب في استقلالها،  
فرك رأسه مترددًا في الرد عليها، لكن حسم أخيه منذر الأمر قائلاً بجدية:

هاتهم يا دياب معانا!

هز رأسه وهو يطم فمه:

ماشى يا منذر!

أشار الصغير يحيى بيده نحو بسمه هاتفًا بمرح وقد زادت ابتسامته:

-والمس كمان يا بابي!

ارتفعت أنظاره تلقائيًا نحوها، فالتوى ثغره بابتسامة عابثة للغاية مرددًا لنفسه  
بصوت خفيض:

-والله لو ينفع أخذها في حضني، بس هي ترضى!

انتهت بسمه لإلحاح الصغير على ركبها معه السيارة، فاعتذرت قائلة:

-مافيش مكان يا حبيبي، أنا هاركب في الباص ده!



ركل يحمي الأرضية بقدمه بعصية واضحة عليه، وعبس بوجهه هاتفاً:

-لأ أنا عاوزك معايا ماليش دعوة!

يئست من محاولة إقناعه من صعوبة الأمر، لكنها تفاجأت بدياب يدعمه قائلاً:

خلاص هي تركب جمب العروسة، واحنا هنتصرف سوا!

جمدت أنظارها عليه، فابتسم لها بمكر مشيراً بيديه في الهواء وكأن الأمر قد صار مفروغاً منه، فلا حاجة بها للاعتراض الآن، اعتبرته نوعاً من التحدي، فلوت ثغرها مرددة بقوة:

-وماله، هاقعد جمب بنت خالي!

بدأ الجميع بعدها في اتخاذ أماكنهم بالسيارة، وبالفعلت جلست بسمة بجوار العروس التي احتلت منتصف المقعد الخلفي، وإلى جوارها جلس منذر مستمتعاً بقربها الملاصق له، أصر الصغير يحيى على الجلوس في حجر معلمته التي تعلق بها، ولم ترفض تحقيق أمنيته فضمته إليها، اتخذت جليلة المقعد الأمامي كمكان طبيعي لها، وجلست ابنتها في حضنها، مرر دياب عينيه على أوجه الجميع هامساً بمزاح:

-دي العربية قلبت مكروباص، ناقص أركب على السقف وألم الأجرة!

ضرب كفاً بالأخر، واستعد لإدارة محرك السيارة مانعاً نفسه من الضحك أمامهم كي لا يعطي أي تبريرات لهم، وتولى طه المهمة الأخرى في التأكد من استقلال باقي المدعوين الحافلة التي استأجرها ليعود معهم من حيث أتوا.

كانت كمن يجلس على مقعد مشتعل بالجمرات بجوار والدتها، فنظرت لها  
الأخيرة بتعجب وهي تسألها:

-مالك يا بنتي، دائماً كده لاوية بوزك ولا...

نظرت لها من طرف عينها مرددة بتبرم ساخط:

-بأتحسر على ميلا بختي!

انزعجت من طريقتها التهكمية في الإشارة إلى حياتها السابقة، فردت عليها بحذر:

-كل واحد ونصيبه

سألها نيرمين بحدة طفيفة وقد استشاطت نظراتها:

-واشمعنى أنا نصيبي يطلع كده؟

-مقدر ومكتوب

استاءت من والدتها لاستخدامها نفس العبارات المبررة لأي شيء، فصاحت

بنقم صريح:

-أهوو الكلام ده اللي بيفور دي!

شهقت عواطف مصدومة من سخطها على كل شيء، فحذرتها بوجه مكفهر:

-لا حول ولا قوة إلا بالله، بلاش كده يا بنتي، ارضي بنصيبك وربنا

هيراضيكي!

ردت عليها بتهكم:

-مافيش حاجة بتتغير، هافضل زي ما أنا!

وضعت يدها على فخذ ابنتها ضاربة إياه عدة مرات بخفة وهي تقول:

-ربنا يهديكي يا بنتي، فرجه قريب! ده كفاية إنه رزقك ببنتك، ورزق البنات واسع و...

قاطعتها مرددة بإحباط:

-افضلي ثبتي فيا بالكلام ده، وفي الآخر مش بأشوف غير الهم والغم!

يئست من إقناعها بالتوقف عن إظهار سخطها، هي دومًا تصل معها إلى طريق مسدود، فأشاحت بوجهها بعيدًا عنها قائلة:

-بأقولك ايه يا نيرمين السكة لسه طويلة، اذكري الله أحسن!

حدقت في الفراغ أمامها بنظرات حقودة متممة من بين شفيتها بصوت خفيض:

-كَلَّتْهَا وَالْعَةَ بِنْتِ الْإِيهِ!

.....

بدت متحرجة للغاية من التصاق جسدها به رغمًا عنها، وحاولت قدر الإمكان اختلاق مسافة ما بينهما لكن لا مجال لذلك، فالمقعد الخلفي بات ضيقًا، وأكثر ازدحامًا، وحركات الصغير يحيي مع بسمة تجبرها على الميل بجسدها للجانب لتفاديه، راقب ما تفعله بهدوء مزعوجًا من خجلها الزائد، فالأمر لا يستحق كل تلك التصرفات الحذرة معه، اعتقد في نفسه أنها مازالت مكروهة على تلك

الزبيجة رغم استشعاره العكس، فتوترت تعبيراته قليلاً، أدار وجهه للجانب  
ليحرق في الطريق المظلم بنظرات شاردة، حدث نفسه بتوجس:

-رنا يستر! أنا مش عاوز أخسرك يا أسيف!

ضغط على شفثيه بقوة، فالخوف قد بدأ يتسرب إليه لمجرد التفكير في احتمالية  
انتهاء تلك الزبيجة، تهد بعرق مخرجاً من صدره زفيراً مشحوناً مليئاً بالكثير من  
الأفكار المحبطة التي حاول عدم التفكير فيها مؤقتاً.

وزع أنظاره عليها بين الحين والآخر وهو يقود السيارة بجذر، ظلت صورتها  
المبهجة وضحكات المرحة مع ابنه تخترق حواسه وتلهب مشاعره أكثر نحوها،  
يوماً بعد يوم تزداد رغبته فيها، هو ينتظر على أحر من الجمر استسلامها  
وإعلانها موافقتها على الارتباط بها، حلم تمنى حدوثه، وينتظر بترب شغوف  
تحقيقه.

شعرت بسمة بنظراته المختلطة نحوها، وتحاشت قدر الإمكان عدم التحديق  
فيه ولو مصادفة، لكن رغماً عنها بحث عيناها عن عينيه لتختطف نظرة عابرة  
منه، عاتبت نفسها لأنها تعطي لشخصه مساحة أكبر بعد رفضها الصريح له،  
لكن مواقفه معها تحرك فيها شيء ما لم تفسره بعد.

.....

الزبيجة والسنال

استغرقهم الأمر عدة ساعات ليصلوا إلى وجهتهم النهائية، وعمد منذر إلى رؤية  
عروسه بمنزل عمته لينفرد معها في حديث خاص، سبقتة هي للأعلى بصحبة

بسة لتعاونها في رفع ثوبها على الدرجات، وانتظر هو بالأسفل لبرهة مع أخيه  
ريثا يتأكد من صعودها، حدثه دياب متسائلاً باهتمام:

هو في حاجة جدت؟

هز رأسه نافية وهو يجيبه بغموض:

لا، بس عاوز أتأكد كده من موضوع في دماغي!

فرك دياب ذقنه قائلاً:

ماشى

تابع منذر مضيئاً:

وصل انت باقى العيلة للبيت، وأنا هاحصلكم كمان شوية

-تمام!

ودع عائلته ملوحاً لهم بذراعه، ثم استدار بجسده للخلف ليحرق في الشرفة  
الخاصة بمنزل عمته، سحب نفساً مطولاً في صدره، حرره بعد لحظات ليدلف  
بعدها إلى مدخل البناية، أكمل صعوده بتريث حتى وصل إلى باب المنزل  
الذي كان مفتوحاً من أجله، رحبت به عواطف هاتفة بسعادة:

-تفضل يا بني، ده بيتك ومطرحك

ابتسم هاتقاً بجرح طفيف:

-شكراً يا ست عواطف، معلى اعذرني إن كنت.....

قاطعه صالحة بعتاب عابس:

أعزرك ايه، براحتك، دي أسيف مراتك وتقدر تكلم معاها، اتفضل يا بني  
هي مستنياك جوا  
متشكر

جلست منزوية على نفسها بالأريكة البعيدة محاولة ضبط أنفاسها المضطربة،  
هو يريد الالتقاء بها منفردًا، وهي متوترة من مجرد التفكير في حديثها بعد عقد  
القران، سمعت صوته المصحوب بوقع خطواته فزاد ارتباكها المترقب منه،  
أخفضت نظراتها وواصلت فرك أصابعها بتوتر كبير، ولج إلى الداخل مسلطا  
أنظاره عليها، رغمًا عنه خفق قلبه بقوة لوجوده معها، تحققت رغبته واختلى بها  
أخيرًا في غرفة الضيوف، لكنه كان مزعوجًا نوعًا ما، حك مؤخرة رأسه  
مستصعبًا كيفية البدء في حديثه معها، أراد أن تنتهي تلك الليلة على خير،  
لكن لا مفر من وضع الأمور في نصابها الصحيح، فعاجلاً أو أجلاً سيخوض  
معها ذلك الأمر.

استرسل متسائلًا بجذر كنوع من التمهيد لما يريد البوح به:

أخبارك ايه؟

تنحنحت مجيبة بخفوت:

الحمد لله

دنا منها متابعا:

-اليوم كان طويل ومتعب

ابتسمت هامسة برقة:

-ايوه، بس حلو!

سلط عينيه اللامعتين عليها معمقا نظراته نحوها، تجرأت هي الأخرى وبادلته نظرات مطولة، أليس من حقها الآن النظر إليه بعد أن صار زوجها؟ عفويا تشكل على شفيتها ابتسامة صغيرة خجلة، لكنها كانت كافية لتحريك مشاعره، زاد الأمر صعوبة عليه، فتنهد بصوت مسموع مكملا بانزعاج واضح:

-أسيف أنا كنت....

استشعرت وجود خطب ما به، خاصة أن تعبيراته أصبحت أكثر تشنجا، ونظراته صارت حادة بدرجة ملحوظة، فقاطعتها قائلة بهدوء:

قبل ما تتكلم ممكن أقولك حاجة!

تجمدت تعابيره وهو يرد بريية:

-تفضلي

أسبلت عينها نحوه ضاغطة على شفيتها بخجل وهي ترد:

-أنا عاوزة أشكرك على اللي عملته النهاردة

استمع إلى ما تردده باهتمام كبير، فأضافت مبتسمة بامتنان حرج:

بجد انت حقتلي حلم اتمنيته، كنت مفكرة إنه مش هايحصل، بس.. انت  
عوضتني كثير عن غياب بابا وماما!

مدت يدها لتمسك بكفه، فتفاجأ من حركتها تلك، وصدق فيها مدهوشًا  
بصورة كبيرة، رسمت على ثغرها ابتسامة أكثر صفاءً وهي تقول:

-النهاردة حسيت إن أنا مش لوحدي، معايا عيلة كبيرة، الكل بيحبني وفرحان  
عشاني، إنت رجعتلي الإحساس ده تاني بعد ما فكرت إني خسرت كل  
حاجة! أنا مش عارفة أقولك ايه!

كان مصدومًا من فعلتها تلك رغم كونها عادية، هي ممسكة بيده، أناملها تطبع  
بصماتها على كفه، ظن أنه يتوهم ما يراه، فأردف قائلاً بعدم تصديق:  
-انتى..!

لمعت عينها أكثر متابعة بنعومة:

-انت وجودك فرق كثير معايا!

باغتهه بالاقتراب أكثر منه تاركة يده لتحاوطه بذراعيها محتضنة إياه برفق،  
فانفجرت شفاته بذهول مصدوم، أسندت رأسها على كتفه لتستمع إلى دقات  
قلبه التي تسابقت بسرعة رهيبية من فرط الأدرينالين المتدفق بقوة إلى  
شرايينه، برقت عيناه في عدم تصديق، حتمًا ليس ما يحدث الآن حلمًا، إنه  
واقع حقيقي ملموس، هي تضمه، وتضع رأسها على صدره، بل تهمس له  
بعذب الكلام وأطيبه.



أغمضت أسيف عينيها للحظة، وابتسمت بدلال هامسة:

شكرا على إنك ظهرت في حياتي!

نهج صدره أكثر من جملتها تلك، هو اعتراف ضمنى أنها تحمل نحوه مشاعرًا ما، هو أحدث فارقًا معها بوجوده إلى جوارها، بدا في حالة انتشاء عجيبة، اكتملت سعادته اليوم، عاتب نفسه أنه استسلم للحظة لهواجسه التي لم يكن لها أساس من الصحة، وفسر بصورة خاطئة تصرفاتها الخجلة على كونه رغبة في الابتعاد عنه، وما الأمر إلى حياء مقترن بها.

تحرك ذراعه عفويًا حولها ليضمها هو الآخر إليه بقوة، وأسند طرف ذقنه على رأسها هامسًا لها بمشاعره التي ذابت في بوتقة حبا اللا محدود:

-بأحبك يا أسيف!

استجمعت شجاعتها لتبوح له بما أحسته، آن الأوان ليعرف مشاعرها نحوه، لا وقت أفضل من ذلك لتخبره بما ترددت في قوله مسبقًا، ونجحت من الاعتراف به قبل ذلك، ردت عليه بنبرة هامسة التقطتها أذنيه لتصيب سهام الحب قلبه في مقتل:

-وأنا كمان.....!

.....

## الفصل السابع والسبعون (الجزء الأول):

تصلب في مكانه محاوًا إياها بذراعيه لبرهة غير مصدق أنها اعترفت له تَوًا  
بجها له، سيل رهيب من المشاعر المتأججة تدفق في عروقه ليزيد من تمسكه  
بها، كبح بصعوبة مهلكة تلك الرغبة التي سيطرت عليه لأخذها معه، وباستياء  
كبير تنازل عن ذلك المطلب الجامح حتى يحين الموعد، تحسس ظهرها برفق،  
وتهد بحرارة كبيرة محتفظًا بالصمت الذي بدا مناسبًا في ذلك الموقف الأسر.

شعرت بما يختلج صدره من أحاسيس متنوعة، أهمها خفقان قلبه المتواصل الذي أكد لها حبه الشغوف بها، ابتسمت بارتياح مطمئن، حان الوقت لتترك العنان لفؤادها ليحلق في سماء الحب متحرراً وبلا قيود، أرخى منذر ساعديه عنها لتبتعد برأسها عن صدره محدقة فيها بأعينها المتوهجة بوميض الحب، رمقها بنظرة مئمة مليئة بالكثير قبل أن يحرك شفثيه ناطقاً:

-ربنا يقدرني وأسعدك!

حرك ذراعيه برفق ليلا مس كتفها ثم وضع قبضتيه عليهما ليخفضهما حتى أمسك بكفها، رفعهما إلى فمه، وانحنى برأسه عليهما ليقبلهما قبلة طويلة متعمقة بث فيها أشواقه، ارتجفت أوصالها من فعلته تلك، مشاعر غريبة انتابتها أحدثت فيها ارتباكاً محبباً إليها، أسبل عيناه نحوها متابعا بصوت العشاق الهامس:

-بأحبك يا بنت رياض!

اصطبغ وجهها بجمرة عظيمة جعلتها تستشعر تلك السخونة المتدفقة من وجنتيها، ابتسم أكثر لتأثرها بكلماته، وأضاف بنبرة جادة نوعاً ما:

-ودلوقتي لازم تاخدي مهرك!

قطبت جبينها مدهوشة من جملة الغامضة تلك، ورددت متسائلة بنبرة مرتابة:

-مهري؟ بس أنا مطلبتش حاجة و...

قاطعها قائلاً بإصرار وهو يعتدل في وقفته:

ده حقك الشرعي

أرخی قبضتيه عن يديها ليدس يده في جيب سترته مخرجاً منه مظروفاً صغيراً مغلقاً، تعقدت تعبيرات وجهها باستغراب حينما ناولها إياه، وبجيرة واضحة عليها قامت بفتحه لتقرأ ما فيه بتأن، انفرجت شفتها للأسفل معلنة عن دهشة عظيمة، كما ارتفع حاجباها للأعلى في صدمة بينة، حدقت فيه متسائلة بعدم تصديق:

ده ايه ده؟

أجابها بهدوء واثق وقد تقوس فمه للجانب لتبرز ابتسامة مغتررة عليه:

ده حقك يا أسيف!

زاد بريق عينها وهي تسأله:

انت.. ازاي عملت كده؟

أجابها بثبات:

طبيعي أردلك اللي ضاع منك

تلعثمت الحروف في جوفها، وخرجت الكلمات من بين شفتيها بارتعاش وهي

ترد

بس.. ده كثير و...

قاطعها قائلاً بهدوء حان:

ما فيش حاجة تغلى عليكي، المهم إنك معايا، ده كفاية عندي!  
أدمعت عيناها تأثراً، لقد وهبها بصدق ما عجزت عن استرجاعه، انهارت  
مقاومتها سريعاً وبكت عفويًا، فانزعج من ذلك قائلاً:

ليه بس بتعيطي؟

أجابته بصوت متهدج:

مش.. قدرة أصدق إن ده بجد!

حاوط وجهها براحتيه، ومسح بإبهاميه دموعها المنهمرة على وجنتيها قائلاً:

لأ صدقي، أحلامك أوامر!

قرب رأسها إليه منحنيًا عليه ليطلع قبلة على جبينها شعرت فيها بأنفاسها الحارة  
المتلهفة إليها، هي ظفرت بعد عنان وقسوة بما سيعوضها عن تلك الفترة  
التعيسة في حياتها.

راقبتها عواطف بنظرات حنونة شاكرة نعم الله على ابنة أخيها اليتيمة، كانت  
تخشى من مصيرها المجهول إن حدث لها شيء وبقيت هي بمفردها، تهتت  
بارتيك كبير فقد رزقها الله بزوج محب سيحميها من تلك الشوكة التي يمكن  
أن تؤذيها، وعلى النقيض تمامًا كانت أعينها المحتقنة تكاد تحرقها كليًا لمجرد التطلع

إليها، كظمت غضبها في نفسها منتظرة رحيله لتثور في وجهها متيقنة أنها  
السارقة التي سلبته منها بقناع براءتها المزيف.

مسح منذر على وجهها برفق مضيئاً بجديّة لطيفة:

-بتييالي الوقت كده اتأخر، ومايصحش أفضل هنا

هزت رأسها هامسة بنجل:

أها

تابع قائلاً بابتسامة عذبة:

إن شاء الله نظبط الأمور كلها، وتجمع في بيت واحد قريب!

نجلت أكثر من عبارته تلك، فأخفضت نظراتها متحرجة منه، فرك مؤخرة  
عنقه بتوتر طفيف، ثم مال عليها برأسه هامساً:

تصبحي على خير

عضت على شفها السفلى قائلة بصوت خافت:

-وانت من أهله يا أستاذ منذر!

عقد ما بين حاجبيه مستنكراً ردها الرسمي وهو يقول:

أستاذ منذر! بعد ده كله أستاذ، ينفع كده

ارتكبت أكثر من عتابه اللطيف، وتعللت قائلة بتوتر عجيب:

ماهو أصل .. يعني....

رد عليها بهدوء جاد:

-ما يصحش، شلي التكليف، احنا خلاص مرتبطين ببعض، يعني ينفع أنا ديكي  
-آنسة أسيف؟

حركت رأسها بالنفي هامة:

-لأ

غمز لها مردداً بمرح:

-اشمعي أنا بقى

همست بخجل وهي ترمش بعينيها:

ماشي

سألها عابثاً باستمتاع:

-ماشي ايه؟

أخفضت نبرتها على الأخير وهي تجيبه:

ماشي يا مندر

فرك مقدمة رأسه مازحاً:

-ما سمعتش حاجة، جايز الدوشة ملغوشة شويتين!

ابتسمت له وهي تبادلته نظرات دافئة، فتابع مؤكداً:

عاوزك تحافظي على الفستان ده لحد ليلة دخلتنا ماشي؟

نجلت كثيرًا من تلميحه الصريح، ونكست رأسها بجيأ من مجرد التفكير في  
أمر كهذا، تفهم موقفها قائلاً بابتسامة عذبة:

أشوفك على خير يا حبيبتى، سلامو عليكم!

أمسك بكف يدها مجددًا، ورفعها إلى فمه ليودعها بقبلة صغيرة عليه، ثم أولاهها  
ظهره منصرفًا من الغرفة، بقيت أعينها متعلقة به، مستشعرة تلك الدقات  
العنيفة التي تكاد تخرج قلبها من موضعه، تحرك في اتجاه عمته متنحنًا بخشونة  
وهو يقول:

متشكر يا ست عواطف، تصبحوا على خير!

حانت منه التفاتة سريعة على وجه نيرمين المتشنج، فرأى عبوسًا واضحًا عليه،  
ورغم ذلك تجاهلها متحركًا نحو باب المنزل، اصطحبته عواطف مودعة إياه  
بود:

نورتنا يا ابني، مع السلامة!

أغلقت الباب برفق خلفه واستدارت باحثة بعينها عن ابنتها فلم تجدها، لكن  
صوتها الحاد المنفعل اخترق أذنيها لينقبض قلبها توجسًا مما سيحدث من شجار  
متوقع مع ابنة أخيها، أسرع في خطواتها لتجدها قد اقتحمت غرفة الضيوف  
هادرة بصراخ متعصب:

عرفتي تلعبها صح، ووقعتيه، طلعتي داهية!



اغتاظت أسيف من أسلوبها الهجومي الغير مبرر عليها، فدافعت عن نفسها  
صائحة:

-احترمي نفسك، ومتكلميش كده عني!

-لوحث نيرمين بذراعها في الهواء صارخة بتهكم:

-الشويتين دول تقدري تضحكي بيهم على أي حد إلا أنا!

-تدخلت عواطف بينها قائلة بتوسل:

-خلاص يا بنات، اهدوا كده!

-صرخت فيها نيرمين بتشنج حاد:

-لأ مش خلاص!

-دفعت والبتها بذراعها لتصبح في مواجهة أسيف مواصلة صراخها العنيف:

-اشمعي هي تاخذ كل حاجة وأنا لأ؟!

-تحدثها أسيف بعصبية مدافعة عن نفسها:

-وأنا خدت منك ايه؟

-استجمعت قوتها لتضيف عن عمد:

-أنا بأحبه! سمعاني يا نيرمين!

-كررت نيرمين ضاحكة بطريقة مستفزة لتتوقف فجأة عن الضحك هاتفة

-باستنكار ساخط:

-بتحبيه؟ وده من امتي؟

نظرت لها شزرًا قبل أن تكمل بوضاعة:

-تلاقيكي بس بعتي نفسك بالرخيص، ماهو دفع فيكي كثير!

لم تتحمل أسيف المزيد من عباراتها اللاذعة المسيئة إلى شخصها، فصرخت بها بانفعال كبير:

-اخرسي!

وضعت عواطف يديها على أذنيها صائحة بنفاد صبر:

-بس كفاية اتتو الاتنين!

هجمت نيرمين عليها محاولة انتزاع ثوب عرسها منها جبرًا وهي تصرخ بجنون:

-الفستان ده كان لازم أنا اللي ألبسه مش انتي!

تفاجأت من فعلتها المباغتة ومن هجومها الضاري عليها ورغبتها العارمة في تمزيقه عنوة، فجاهدت لإبعاد يديها عنها مرددة بصراخ:

-سبيه، شيلي ايدك من عليه!

تشبثت أكثر به منتوية نزعه غارزة أظافرها فيه وهي تقول بجموح:

-انتى سرقتيه مني، ده بتاعي يا خطافة الرجالة!

دفعتها أسيف بكل قوتها بعيدًا عنها صارخة فيها:

-لي نفسك!

لكن لم تتركها الأخيرة بسهولة، بل استمرت في هجومها الضاري عليها، اقتحمت  
 بسمة الغرفة على إثر صراخها العنيف، فاندحشت من تلاطمها الجسدي  
 الشرس، فاندفعت بلا وعي نحوها محاولة يئس التفريق بينهما هادرة:  
 -نيرمين كفاية كده!

توجست أسيف من تلك الشراسة المنبعثة منها، وخافت كثيرًا من التمزق  
 الوشيك لثوبها من شدة جذبه، فصاحت بهلع:  
 -الفيستان هيتقطع!

انهالت نيرمين بسباب لاذع عليها مواصلة انتزاع أطرافه منها:  
 -انتي حرامية، زبالة.....!

التفت عواطف حول ابنتها واضعة يديها على كتفيها محاولة إبعادها عنها وهي  
 تتوسلها:

-كفاية يا نيرمين، ما يصحش كده!

لم يصمد الثوب كثيرًا أمام تلك الشراسة العنيفة فتمزقت بعض أجزائه  
 وتشوهت معالمه الرقيقة، صرخت أسيف بهلع مصدوم مما حدث له، وهوى  
 قلبها في قدميها صارخة ببكاء:

فستاني

قبضت نيرمين على البقايا المقطعة بأناملها مرددة بحلق مغلول وهي تحدجها  
 بنظراتها العدائية:

-رنا يحرق قلبك زي ما حرقني ووجعتني!

انهارت قدي أسيف، فحمت على ركبتيها مجهشة ببكاء مرير وهي تهتف بلا  
وعي:

-أنا معملتش حاجة، معملتش حاجة!

احتضنتها بسمة بذراعها محاولة تهدئتها، ورمقت أختها بنظرات حقودة  
مستنكرة فعلتها الهوجاء معها غير عابئة بما خلفته من آثار نفسية سيئة عليها،  
تقطعت أنفاس أسيف وهي تردد متسائلة بحسرة متأملة ثوبها الممزق:

ليه مستكرة عليا أفرح؟ ليه؟

أسندت بسمة رأسها عليها وهي تضمها أكثر مضيفة برجاء مستعطف:

-اهدي يا حبيتي، كله هایتصلح!

قبلتها من رأسها متابعة بتبرير مزعوج:

هي كده أنانية! بتكره تلاقي حد غيرها فرحان!

لم تعلق عليها أسيف وواصلت بكائها المحترق على ثوبها الذي فسدت، لم يكن  
بتلك الأهمية إلا عندما أوصاها منذر عليه وكأنه كنز الغالي، ها قد خذلته في  
أول وعد طلبه منها، فماذا ستبرر له تمزيقه؟ زاد بكائها المتحسر، وتحول وجهها  
من الإشراق للقهر والانكسار.

.....

اندفعت كالثور الهاج إلى داخل غرفتها ووضعت يديها بقوة على رأسها الذي كاد  
ينفجر من شدة الألم المسيطر عليه بفعل ثورتها المتهاجة، أرادت أن تفتك  
بها، أن تنبش بلحمها كي تمزقها إربًا، كزت على أسنانها صارخة:  
-اشمعي هي؟ نافوخي هاينفجر منها؟!

أخرجت صرخة عنيفة من صدرها متابعة بصوتها الهادر:

-اشمعي أنا اللي أفضل طول عمري في القرف ومحدث يجيني؟ ليه هو حياها  
وأنا لأ؟

فزعت الرضيعة من صراخها المتواصل، فبكت عفويًا من خوفها لكنها لم  
تكثرث بها، أهملتها، وتحركت بانفعال في أرجاء غرفتها، تبعتها والدتها معنفة إياها  
بنبرة محتدة:

-ايه اللي عملتیه ده؟

التفتت ناحيتها صارخة باهتياج:

محدث يكلمني السعادي! سبوني في حالي!

نظرت عواطف إليها باشمزاز منفر، ثم تحركت أعينها نحو الرضيعة التي انفطر  
قلبها من البكاء الخائف، فحطت نحوها تضمها إلى صدرها وهي تقول بعتاب:

-منك لله يا شيخة، عكننتي علينا كلنا!!

قذفت نيرمين بكل ماهو موضوع على تسريحتها الخاصة ليتحطم أغلبه وهي

تردد:

سيبوني لوحدي، سيبوني!  
نظرت لها عواطف بازدرء متممة:  
حسبي الله ونعم الوكيل!

خرجت من الغرفة تهدد الرضيعة بعيدًا عن صياحها المرعب لها، فاندفعت  
نيرمين خلفها صافقة الباب بعنف لتستند بظهرها عليه لاطمة على صدغيها  
ووجهها بتحسر أكبر، فقدت أعصابها كليًا، فلتت زمام الأمور من يديها، ولم  
يعد باستطاعتها السيطرة على حالها، تحولت للشراسة والهياج، وبدا وجود  
الرضيعة معها منذرًا بخطر كبير، فكان تصرف والدتها هو الأسلم حاليًا.

.....

قضت أهم ليلة في حياتها تبكي على ذنب لم تقترفه كما اهتمتها علنًا، تسرب حبه  
إليها رويدًا رويدًا حتى تشبع قلبها به، ولم تجرؤ على الاعتراف به إلا حينما  
تأكدت من مشاعرها نحوه وبعد أن بات ارتباطها رسميًا، فأصبح له مذاقه  
الخاص، لكن تلك المقيتة الجاحدة أفسدت يومها بكم الشتائم والافتراءات  
الباطلة متهمة إياها بجرم لم ترتكبه لتتحول ذكراها الحلوة إلى ليلة تعيسة تضاف  
إلى قاموس حزنها.

حاولت بسمة التهوين عليها معللة أسباب تهورها المتعصب، لكنها رفضت  
الإصغاء لها، فأكثر ما قهرها هو تمزيق ثوب زفافها الذي أهداها إياه، مللمت

بقاياها المقطعة معاً ووضعهم في حقيبة بلاستيكية أسندتها في حضنها رافضة  
تركه، أشفت عليها ابنة عمها قائلة برجاء:

إن شاء الله هايرجع زي الأول وأحسن، احنا هاندويه عند الخياط و...  
قاطعتها أسيف بصوت متهدج بالك:

مش هايتصلح خلاص! ممكن تسييني لو سمحتي!

زاد نحيبها المتحسر عليه، أتعب قلبها شعورها بالخذلان لتفريطها في وعداها  
الأول له، بينما اعتقدت بسمة أنه نذير شؤوم حدوث ذلك الأمر عمداً، لم يكن  
بيدها أي حيلة، فاكثفت بالصمت عليها تهدأ وتستكين لحالها، رفعت عينيها  
المتورمتين من كثرة البكاء نحوها متسائلة بعجز:

ليه تكسر قلبي؟ أنا عملتلها ايه؟

ضغطت بسمة على شفيتها غير قادرة على الرد بشفافية عليها، فأختها مخطئة  
بكل المقاييس، وتجاوزت حدود المقبول بكثير، هي وضعت الجميع في موقف  
مخرج بدون داع، وغلفت الأجواء الاحتفالية السعيدة بسحب الحزن الكثيفة.

ضمت أسيف الحقيبة أكثر إلى صدرها، وأغمضت عينيها رافضة تركها من  
أحضانها، دثرتها ابنة عمها بالغطاء محاولة التفكير في حل ما لتلك المسألة،  
أضاء عقلها بفكرة ما، ترددت للحظة في تنفيذها فعلياً لكونها شبه جريئة،  
لكنها ستساعدها لو قليلاً في التهوين عليها.

خرجت من الغرفة بهدوء حذر موصدة الباب خلفها بعد أن رمقتها بنظرة أخيرة  
أسفة عليها، اتجهت إلى المطبخ ومعها هاتفها المحمول، ثم تلفتت حولها للتأكد  
من هدوء الأجواء المحيطة بها، أخفضت نظراتها نحو شاشة هاتفها عابثة  
بأزراره، ووضعت على أذنها منتظرة بترقب الرد عليها، همست بصوت خفيض  
حذر:

ألو.. دياب.....!!

.....

## الفصل السابع والسبعون (الجزء الثاني):

كان محققاً في سقفة غرفته حاضناً لابنه الصغير الذي غفا من الإرهاق على  
صدره، فأبى أن ينقله للغرفة الأخرى وبقي معه، تهدد بتعب لكن تأهبت  
حواسه بالكامل حينما صدح اسمها على شاشة هاتفه المحمول، انتفض فزعاً من  
نومته المريحة ليجيب على اتصالها قائلاً بتوجس:



-بسة!

ردت عليه بهمس حذر:

-انت صاحي؟

سألها متلهفًا دون أن يترك لها مساحة للرد:

خير في حاجة حصلت؟ كلكم كويسين؟ في حد....

قاطعته مرددة بخفوت أمر:

-ممكن تسكت لحظة وتسمعي!

صمت مجبرًا ليعرف سبب اتصالها المريب في تلك الساعة المتأخرة قائلاً

باقتضاب:

-ماشي!

سمع صوت زفيرها وهي تقول بهدوء:

-أنا محتاجة منك خدمة

رد عليها بلا تردد:

خير، قولي اللي عاوزاه على طول

واصلت حديثها قائلة بغموض:

-بص أنا عاوزاك تسأل أخوك كده بشطارتك عن المحل اللي جاب منه

فستان الفرع

عقد ما بين حاجيه متسائلاً باهتمام:

ليه؟

بدت نبرتها مضطربة نوعاً ما وهي تجيبه:

-يعني، في مشكلة حصلت معاه واحنا محتاجين نشوف واحد شبهه بالملي

-مممم

سألته بجدية حينما لاحظت صمته:

ها هاتعرف تعمل ده من غير ما يحس؟

رد عليها مضيئاً بفضول:

-مش أما أفهم بالظبط ايه اللي حصل عشان أعرف هاخشله من أنهو دخلة!

أجابته بامتعاض وكأنها تستخف بقدراته:

-مش هاتفرق يعني معاك، إنت بس....

انزعج من طريقتها المستهونة به مردداً:

-لأ معايا جايز تفرق، مندر ممكن يشك من سؤالي و...

لم يكن أمامها وقتاً للمجادلة، فردت مقاطعة على مضض:

-بص هي نيرمين شدت مع أسيف والفيستان اتقطع ساعة الخناقة!

وضع دياب يده على رأسه مصدوماً مما قالته هاتفاً بذهول:

أوبا!

تابعت قائلة بضيق:

-وأسيف طبعًا زعلت عليه، وجايز تكون انهارت بسبب اللي حصل، أنا  
مش قادرة أوصفك شكلها عامل ازاي دلوقتي، فأنا بأحاول أشوفلها بديل قبل  
ما الموضوع يكبر أكثر من كده!

هز رأسه متفهمًا وهو يعبث بخصلات شعره:

أها، تمام!

سألته بجدية متصلة:

المهم هاتعرف تتصرف ولا لأ؟

تردد لوهلة في إيجاد طريقة ملائمة لحل تلك المعضلة في أسرع وقت، لذا أجابها  
بجيرة طفيفة فارغًا طرف ذقنه:

هاجرب

شعرت باحتمالية رفضه لمساعدتها فأردفت قائلة:

لو مش هاتقدر قول وأنا....

قاطعها منزجًا من تسرعها الدائم:

يا ستي اصبري على رزقك شوية!

نفخت بصوت مسموع مرددة:

ماشى، بس يا ريت في أسرع وقت!

رد عليها بامتعاض مستنكر:

-النهار له عينين، مش معقول هاروح أصحيه دلوقتي وأسأله عليه، ده أنا كده  
بأقوله شك براحتك!

هتفت قائلة بتهيدة:

-في دي عندك حق!

ابتسم لنفسه بغرور مضيئاً بنبرة موحية:

-أنا طول عمري عندي حق بس اللي يحس!

استشعرت المغزى من كلماته المتوارية، فتنحنحت بخفوت مكلمة بجمود زائف:

-أحم.. عموماً ابقى عرفني على طول أول ما يقولك

-أُكيد طبعا

-كمان اعرفلي المقاس وسعره، او كي؟

هز رأسه بالإيجاب وهو يسألها بمداعبة طفيفة:

طيب، حاجة تانية يا جميل؟!

ردت بجمود مانعة إياه من مواصلة طريقتها تلك في الحديث معها:

-لأ، وسوري إن كنت عطلتك، شوف وراك ايه

أراد المماطلة معها على يستميل عقلها ناحيته فيرق قلبها إليه، لذلك توسلها  
برجاء مهذب:

ماتخلينا سوا نحكي ف....

قطعت عليه أحلامه الوردية هاتفة باقتضاب صارم:

سلام!

تفاجأ بها تنهي المكالمة معه دون أي مقدمات، فأبعد الهاتف عن أذنه ليحذر  
في شاشته مذهولاً من أسلوبها اللفظ، امتعض وجهه باستنكار واضح مردداً  
لنفسه:

في كده!

.....

تنفست الصعداء لعدم اكتشاف أمرها وهي تحدّثه سرّاً، وتسلمت على  
أطراف أصابعها عائدة إلى الغرفة لتطمئن على أسيف هامسة لنفسها بنبرة  
متفائلة:

يا رب تظبط معايا!

ولجت بسمة بجذر للداخل مسلطة أنظارها على أسيف التي بقيت على  
وضعيتها تلك لا تحرك ساكناً، اقتربت أكثر منها لتتفقدتها، فوجدتها قد غفت  
وعبراتها تبلل وجنتيها، مسحت على وجهها برفق هامسة:

كل حاجة هاتبقى كويسة إن شاء الله!

انحنت على جبينها لتقبلها بنعومة قبل أن تزيح بجزر ما علق من دمعات  
موجوعة بأناملها.

.....

فكر طوال الليل في طريقة تمكنه من استدراج أخيه في الحديث دون أن يثير  
ريبته ليعرف منه اسم المتجر الذي اشترى الثوب منه، فقد اعتبر المسألة أمراً  
هاماً، فإن نجح في إنجازها سيحظى بفرصة طيبة عند حبيبته، ستتأكد حينها  
أنها يمكنها الاعتماد عليه في أصعب الأمور وأيسرها، يارهاق واضح غفا قليلاً  
مستصعباً النوم وقد أنك عقله من كثرة التفكير، ومع إشراقة شمس اليوم  
نهض باكراً مستعداً لسؤاله.

استغرب جليلاً من وجود ابنها بالصالة في تلك الساعة المبكرة، فاقتربت منه  
مدققة النظر في وجهه المرهق قائلة:

حبيبي يا ابني! هو انت لسه صاحي؟

أجابها بصوت شبه متحشرج:

لأ يا امي، نمت وقومت

أمعنت النظر في تلك الهالات السوداء المتشكلة أسفل جفنيه، وكذلك في  
علامات التعب البادية على ملامحه، فردت بتوجس:

بس وشك تعبان وعينيك حمرا، أوعى يكون فيك حاجة ومش عاوز تقولي!

هز رأسه نافيًا وهو يقول:

-لأ يا ستي، أنا كويس

-يا رب دايمًا يا حبيبي،

دفعتها غريزتها الأمومية للسؤال بفضول:

طب ايه اللي مصحيك كده؟

رد مقتضبًا في الحديث:

ما فيش

غمزت له قائلة بمكر:

-يا واد، ده أنا أمك وعارفك!

تأكد أنه لن يسلم من إلحاحها المتواصل لمعرفة الأسباب التي جعلته يظل  
مستيقظًا في ساعة مبكرة كتلك، هي والدته، وهو يحفظ تصرفاتها عن ظهر  
قلب، فتهد قائلاً باستسلام:

-كنت عاوز أسأل مندر في حاجة كده، إن فلحت معاه جايز قلبها يرق!

تابعت متسائلة بابتسامة عابثة:

مين دي؟

أجابها بعبوس:

-اللي دماغها أنشف من الحجر!

أخفت جليلة ضحكة متسلية مرسومة على ثغرها بوضع يدها أمام فمها وهي

ترد:

-أها، بسمة!

-ايوه

سألته بفضول أكبر:

هي عاوزه ايه؟

رد باقتضاب غامض:

-حاجة عادية

أصرت على معرفة الرد على سؤالها مضيئة بإلحاح أكبر:

-اللي هي ايه؟

رد عليها مستنكراً أسلوبها الفضولي المكشوف:

-مش مريجة نفسك يا حاجة جليلة

هتفت مبررة:

-مش بأطمئن عليك، جايز...

قاطعها بجدية قبل أن تستنتج أموراً وهمية من مخيلتها:

-ماتقلقيش، دي بس عاوزه تعرف اسم المحل اللي مندر جاب منه فستان

مراته!



هتفت مبدية إعجابها بالثوب:

أخوك طلع ذوقه حلو، الفستان كان جميل عليها والله!

أراد صرف انتباهها عنه كي يركز مع أخيه الذي أوشك على الخروج من غرفته  
بين لحظة وأخرى، فابتسم لها طالباً بود:

ماتكسبي فيا ثواب يا أمي وتعميلي فنجان قهوة أظبط بيه دماغي

ربتت على كتفه مرددة بجنو:

من عينيا يا ابني!

ربنا يباركلي فيكي!

تابعها بأنظاره وهي تتجه نحو المطبخ، فاسترخى في جلسته مكملاً تحديقته في  
باب غرفة أخيه، بعد برهة ورج مندر خارج غرفته متجهاً نحو المراض فتفاجأ  
بدياب مستيقظاً على غير عادته، دنا منه متسائلاً بغرابة:

مش مصدق عيني، دياب صاحي بدري كده، أخيراً عشت وشوفت اللحظة  
دي!

ابتسم له ابتسامة باهتة وهو يرد:

الحمد لله

تابع مندر قائلاً وهو يلف المنشفة حول عنقه:

يا رب تداوم على كده

حك دياب رأسه مترددًا في مفاتحته، فأخيه ليس بالساذج لتنطلي عليه مثل  
تلك الأسئلة دون أن تثير في نفسه شكوكًا ما، وبفرض نجاحه عليه أن يبدو  
عقلانيًا متأنيًا في حديثه، تنفس بعمق عاقدًا العزم على سؤاله، صاح قائلاً  
بجدية:

-بأقولك يا منذر

انتبه له الأخير فالتفت ناحيته هاتفاً باقتضاب:

-ايوه!

تمط بذراعيه مدعيًا التثاؤب وهو يسأله بفتور زائف:

هو فستان مراتك ده جبته منين؟

أثارت جملة تلك فضوله بدرجة كبيرة، خاصة أنه لم يهتم مسبقًا بالسؤال عما له  
علاقة بثياب النساء، لذلك رد متسائلاً وهو يتفرس في وجهه بنظرات قوية:

-بتسأل لي؟

لوهلة بدا مرتبكًا أمامه من طريقته تلك، فخرج صوته مضطربًا بصورة خفيفة  
وهو يقول:

هه، يعني عاجبني شكله وبأفكر أبقى أجيب من نفس المحل لما أخطب إن  
شاء الله!

بدا غير مقتنع بإجابته المريرة تلك، فرد بجمود:

-لما ربنا يسهلك أنا ها جي معاك!

أح عليه دياب مبتسمًا بسخافة:

يا سيدي قولي، مش هايخسر حاجة معاك، أهوو تفيد أخوك برضوه!

ماشبي

التوى ثغره بابتسامة متباهية لكونه قد نجح مؤقتًا في تنفيذ خطته، ردد بين نفسه بتفاخر مغتر:

اشطا، كده بسمه هاتفرح، ده العملية طلعت سهلة أوي!

في تلك اللحظة خرجت والدته من المطبخ حاملة صينية صغيرة وضعت بها فنجان القهوة الخاص به، سارت نحوه متسائلة باهتمام:

ها يا دياب عرفت منه اسم المحل والمقاس بتاعها ولا لسه؟

نظر لها مصدومًا من عبارتها الأخيرة التي جعلت منذر يرتاب سريعًا من سؤالها الغير مريح، ضاقت أعين دياب مضيئًا باستنكار:

متشكر يامه، فعلاً الأم ما بتسترش!

وضع منذر يده على كتف أخيه هانفًا بصرامة:

في ايه يا دياب؟

ابتسم ببلاهة وهو يجيبه:

ولا حاجة خالص!

ضغط على كتفه بقبضته متابعًا بحدة طفيفة:

دياب، شكك مش مريحني!

فرك مؤخرة عنقه قائلاً بتوجس:

يا عم ماتحطش في بالك، ده كله تمام و....

صاح به الأخير بنفاد صبر وقد قست ملامحه كلياً:

ماتلفش عليا، خشلي دوغري!

تيقن أن أخيه لن يكف أبداً عن سؤاله حتى يحصل منه على الجواب الكافي له، فرد عليه متوسلاً:

طيب، بس أمانة عليك ما تجيب سيرتي في الليلة دي، أنا كنت عاوز أخدم  
و...

هدر بانفعال أمر:

انجز!

ضغط على شفثيه مردداً باستسلام:

ماشني!

تبدلت تعبيرات مندر حينما عرف السبب الحقيقي وراء تساؤلات أخيه الغامضة، وزادت قسوة نظراته عندما علم أن وراء تلك المشكلة نيرمين،

أغضبه تعمدتها إفساد ليلة زوجته المميزة، خاصة أنه يعرف مدى حساسية  
أسيف تجاهها، صاح هاتفاً بجدة:

ملكش دعوة بالموضوع ده خالص، أنا هاتصرف فيه!

انتاب دياب القلق من نبرته المهددة، فاعترض عليه بتوجس:

بس يا مندر....

قاطععه بصرامة أشد وقد أظلمت نظراته:

-سمعتني! ده يخص مراتي

لم يضيف المزيد، بل تركه واقفاً في مكانه متجهاً نحو المرحاض وهو يبرطم  
بكلمات مزعجة نازعاً عن عنقه المنشفة القطنية، وضع دياب يديه على رأسه  
ضاغظاً عليها بقوة وهو يردد لنفسه يا حباط:

-كده الموضوع فكس معايا!

.....

كانت تتصرف بصورة طبيعية كمن لم ينتزع فرحة أحدهم عمداً بالأمس، فأثارت  
انزعاج بسمة التي ظلت ترمقها بنظرات مزدرية متعجبة الحديث معها عليها  
تشعر بفداحة خطئها، ولكن خاب أملها، فنيرومين لم تكترث بها، وبدت  
سعيدة بتنغيص ليلة تلك البائسة وتكديرها خاصة حينما رفضت أسيف  
الخروج من الغرفة أو تناول الإفطار.

تمنت لو امتلكت أختها قلبًا ليثًا لشعرت بمعاناة غيرها، تحركت من مكانها  
مبتعدة عنها، فوجودها معها في مكان واحد يثير رغبتها في المشاجرة، لذلك  
الأفضل لها حاليًا تجاهلها عليها تصفو منها، قرع الجرس فانتبهت له نيرمين،  
ضبطت حجابها على رأسها وهي تخطو نحو باب المنزل قائلة ببرود:

ثواني يا اللي بتخبط، أنا جاية أهوو!

ارتفع حاجباها للأعلى حينما فتحته ورأت منذر بشموخه المهيب أمامها،  
انفجرت شفتها مرددة:

سي منذر!

استشاطت نظراتها منها تلك المقيمة غليظة القلب التي تتعامل ببرود وكأنها لم  
تسبب في تعاسة حبيبته، زاد إظلام عينيه من طريقته المستفزة خاصة حينما  
ابتسمت له متعمدة إثارة أعصابه التي كانت تشتعل غيظًا منها، أخرجته من  
تفكيره الانتقامي عندما رددت بدلال:

منورنا يا سي منذر، خطوتك بقت....

وقبل أن تكمل جملتها للنهاية صاح بها بنبرة أجفلت جسدها:

-عملي ايه في مراتي!؟

شحب لون وجهها سريعًا من صوته الخيف، وتراجعت مسرعة للداخل رغم بقاء  
عينها مثبتة عليه، تحرك بثبات نحوها متابعًا بنبرته الغاضبة وهو يشير بيده  
مهددًا:

مش أنا حذرتك مالكيش دعوة بيها!

ازدرت ريقها بخوف بائن، وقبل أن تفكر في الهرب منه، قبض على ذراعها بيده، شهقت مرعوبة منه، سببت نظراته المهددة بإحراقها حية الرعب لها، شعرت بقوة قبضته المعتصرة لذراعها، فتألمت وهي تجيبه بتلعثم :

-أنا.. أنا

هزها بعنف كبير صارخًا بها:

-انظقي، ليه عملي كده؟

فهمت على الفور أنه لم يأت في زيارة ودية بحكم كونه زوجًا لابنة خالها، لكنه جاء للانتقام منها بسبب ما فعلته معها بالأمس، ارتعش جسدها فزعًا منه، وجف حلقها تمامًا من مجرد التفكير فيما سيفعله بها.

أنقذها من انتقامه المهلك صوت والدتها المرحب:

-أهلاً يا بني، نورتنا

أرخی قبضته مضطراً دافعاً إياها بغضب بعيداً عنه، ثم استدار بجسده ناحيتها متسائلاً بتشنج:

فين أسيف؟

لاحظت حدته معها، فاستشفت سريعاً سبب غضبه دون حاجتها للتخمين، لذا أجابته بلا تردد:

نايمة جوا يا ابني!

رد عليها بنبرة آمرة:

ناديلها يا ست عواطف، عاوز أتكلم معاها دلوقتي!

هزت رأسها بالإيجاب قائلة بتوتر:

ح..حاضر

التفت برأسه ناحية نيرمين التي كانت تفرك ذراعها مخففة حدة الألم المسيطرة عليه، صاح بها مهدداً بعدوانية مهلكة:

-اخفي من وشي أحسنك، لأنني قسماً عظماً لو اتسابت عليك ما هخلي فيكي حته سليمة، يالا غوري!

انفضت في مكانها مذعورة من عدائته المخيفة، فأدارت جسدها مهرولة بقدميها لتختفي من أمامه قبل أن يتهور عليها وينفذ تهديده بها.

راقبته بسمة من المطبخ رافضة التدخل في هذه المسألة، فأختها تستحق ذلك عن جدارة، هي علمت على الفور مما رأته أن دياب فشل في مهمته التي طلبتها منه، وقدم أخيه في تلك الساعة دليل صريح على معرفته بكل شيء، هزت رأسها نادمة على لجوئها إليه في وقت الضيق، خاب رجاؤها معه مرة أخرى.

.....

مالت عليها عمتها محاولة إقناعها بالنهوض من الفراش لمقابلته لكنها رفضت بشدة، كيف تقابله وقد أخلت في أول وعودها معه رغم بساطته؟ كيف تبرر



له فشلها في الحفاظ على ثوب زفافها؟ أجهشت بالبكاء الحارق مغمضة عينيها  
بقوة وهي ترد:

-لأ، قوليله مش طالعة، مش عاوزة أقابله!

زاد تمسكها بالحقيبة البلاستيكة رافضة حتى تركها من أحضانها، نظرت لها  
عواطف ياشفاق مرددة بتوسل:

-معلش يا بنتي، هو مصمم يشوفك

أولتها أسيف ظهرها هاتفة بنواح:

خليه يمشي يا عمتي، عشان خاطري خليه يمشي!

يئست من إقناعها بالعكس، فهزت رأسها مستسلمة لبكائها الذي يحرك  
القلوب، وخطت نحو الخارج محاولة التفكير سريعاً في حجة مقنعة لتبرر له  
سبب رفضها.

لم يكن بحاجة إلى تفسير تعابيرها المتوترة حينما جاءت إليه تقدم قدمًا وتؤخر  
الأخرى، هتف بصرامة غير قابلة للنقاش:

-أنا عاوز أشوف مراتي، تسمحي لي ادخلها الأوضة!

شهقت مصدومة من طلبه المفاجئ مرددة بدهول:

تم.. تدخل عندها؟

عقد ما بين حاجبيه بشدة قائلاً بنبرة قوية ذات مغزى:

هي مراتي ومن حتي أخذها دلوقتي وامشي! بس أنا ماشي بالأصول للأخر  
تفهمت مقصده الحذر، والذي كان يتضمن نوعًا من التهديد بين طياته، فردت  
بـحذر:

-ايوه، بس هي ممكن آ...

قاطعها بصلاية جامدة دون أن تتبدل تعبيرات وجهه المشدودة:  
-أنا هاتصرف معاها!

كانت مضطرة للقبول بطلبه المشروع، فهي لن تستطيع منعه عما يريد خاصة  
أنها ترى بوضوح انفعاله المهدد إن أظهرت العكس، تقوس ثغرها بابتسامة  
باهتة قائلة:

-وماله يا ابني، اتفضل..

أشار لها بكفه مرددًا بشراسة خفيفة:

-أنا عارف السكة كويس! خليكي مرتاحة!

ابتلعت عواطف ريقها هامسة بتوجس كبير:

-استر يا رب!

.....

ابتلت الوسادة بعبراتها الغزيرة بعد أن انخرطت في البكاء مجددًا معاتبه نفسها بقسوة لتراخيها في الحفاظ على أماته، استدارت للجانب مولية ظهرها للباب وهي تئن بحسرة، زادت شهقاتها مع انهار دموعها وهي تنشبث أكثر بالحقيبة البلاستيكة، استمع إلى صوتها وهو يدنو من غرفتها فاعتصر قلبه ألمًا عليها، وقف عند العتبة محاولاً ضبط انفعالاته قبل أن يلج إليها، هو مزعوج لتلك الحالة التي وصلت إليها، لا يعبأ بكون الثوب قد تمزق من عدمه، المهم عنده ألا تتألم أو تبكي مهما حدث، دق الباب الموارب بخفة مستئذناً بالدخول، لكنها لم تنتبه له، فتجراً وفتحته ليجدها على تلك الوضعية.

سحب نفسًا مطولاً حبسه لثوانٍ قليلة في صدره مانعًا نفسه من التهور والعودة للفتك بتلك التي جعلتها تعاني بقسوة، لفظه دفعة واحدة وهو يتحرك بخطوات شبه متعجلة نحو فراشها، بدا صوت بكائها واضحًا، لكن كلماتها المتقطعة كانت مبهمة بالنسبة له حينما قالت:

خضاع مني .. معرفتش أحافظ عليه ... هو .. كان ... ده ..

دار حول الفراش ليصبح في مواجهتها، جمد أنظاره المحتقنة على وجهها البالي، فرأى ذلك الحزن الكبير الذي يسيطر على كل قسامتها، كانت أعينها متورمة، وأنفها منتفخًا وملتهبًا من كثرة البكاء، زاد ألم قلبه من رؤيتها هكذا، تحركت عيناه نحو تلك الحقيبة القابضة عليه، ولمح أطراف الثوب تتدلى من فتحته، خمن سريعًا ماهيته.

لم يطرأ بباله مطلقاً أن تنهار هكذا مجرد تمزق الثوب، أدرك مدى أهميته عندها لكونه أوصاها فقط عليه، لم يكن في نيته حينما طلب منها ذلك الأمر سوى التلميح برغبته في التعجيل بزفافها ليقينه بأنها ستخجل منه وتتعلل بأي أعذار لتؤجل الأمر إن أعلن مقصده صراحةً.

وخزة عفيفة ضربت صدره بقوة لمشاركته بصورة غير مباشرة في إيلاهما، لو كان يعرف بنوايا نيرمين الدينئة لما فكر في ذلك، جثى على ركبته أمامها، ومد يده نحو كفها ليضعها عليه هامساً لها:

حقك عليا

توهمت أنها تسمع صوته، فردت معذرة:

-معرفةش أحياه منها، غصب عني....

قاطعها قائلاً بجدة:

محروق أبوه ده فستان اللي يعمل فيكي كده!

تأكدت من نبرته القوية، لم تكن تخيلات اختلقها عقلها من شدة إحباطها كوسيلة هروبية للاعتذار منه، فتحت عينيها ببطء لتحقق فيه، رأت نظراته قريبة للغاية منها، نظرات طمئنتها، وبثت في روحها المزعوجة الأمل من جديد، شعرت بلمسات أصابعه الحنونة على كفها، رمشت بعينيها مزيجاً تلك العبرات التي تغرق مقلتيها مرددة بصوت باك:

إنت هنا؟

مسح دمعاتها بيده الأخرى عن وجنتها قائلاً بصوت خفيض وهو يتنسم لها:

-ايوه يا أسيف، أنا جمبك!

ارتجفت يداها وهي تتابع بأنين:

-الفيستان...

وضع إصبعه على فمها مانعاً إياها من مواصلة الحديث هامساً بصرامة:

-انسيه، مش عاوزه خالص!

ارتعشت شفاتها أكثر وهي تبرر له بجزن:

-هي.. كانت...

أمرها بصلافة رغم خفوت صوته:

-خلاص، اللي حصل حصل!

اعتدل واقفاً في مكانه محققاً فيها بنظرات مطولة، جلس إلى جوارها على

طرف الفراش، وحرك يديه على ذراعيها ليجذبها منها نحوه، ضمها إلى صدره،

فاتكأت برأسها على كتفه دافئة وجهها فيه، لف ذراعيه حول جسدها لتشعر

بقوة ضمته لها، مسح بيده على شعرها المكشوف قائلاً بجدية:

-جهزي نفسك يا حبيبتي، أنا هاظبط الوضع عندي!

استكانت أفاسها المتهدجة معه، فتابع بثبات عاقداً العزم على إنهاء ما بدأه:

أنا عارف إن لسه قدامنا وقت عشان أخلص شقتي وحاجتي، بس كل ده  
 مش مهم، احنا خلال كام يوم هنتجوز عند أهلي، والشقة تجهز على مهلها!  
 ضاقت نظراته أكثر حتى باتت حادة للغاية وهو يكمل بصرامة:  
 بس استحالة تفضلي هنا معاها.....!!

.....

## الفصل الثامن والسبعون:

انهيارات متعاقبة شهدها معها ووقف فيها إلى جوارها حتى تستعيد ثباتها  
 وتعاود النهوض على قدميها من جديد، أصعبهم كان رحيل أمها، وأقسامهم كان  
 الطعن في سمعتها، وأكثرهم وجعًا تمزيق ثوب عرسها، كل تلك العلامات  
 الفارقة في حياتها أعطته هو مكانة خاصة في قلبها، تلك المكانة التي لم ولن  
 يطأها أحد من قبله ولا بعده، تمكن بمواقفه الرجولية المختلفة الاستحواذ على  
 كيانها، تغلغل في خلايا عقلها فتشبعت به حتى باتت مسكنها لأي أوجاع  
 محتمل أن تؤذيها، وباتت الشوكة بالنسبة له تشكل عقبة خطيرة عليه إزاحتها  
 قبل أن توخرها مصادفة فتتألم.

حب ولد بين صدمات جدلية وصراعات فكرية، بين عناد ملح وتحدٍ مستمر، حب اشتعلت جذوته في قلبها معًا حتى تحولت إلى شرارة أضاءت درب سعادتهما، فلم تكتمل فرحته إلا بها ومعها.

أبعد رأسها عن صدره ليحرق بعرق في عينيها الدامعتين قائلاً بثبات جاد:  
أنا عارف إن الوقت مش هيسعفنا نخلص فيه كل حاجة، بس كوضع مؤقت  
أنا هاطلب منك....

صمت متعمداً ليثير انتباهها أكثر، ثم أكمل بتأن:

-تجوز في بيت أهلي!

تعقدت ملامح وجهها من طلبه المفاجئ، وحدثت فيه بنظرات جامدة مشدوهة بما تفوه به، لاحظ التغيرات الطارئة عليها، فطمئنتها مضيئاً بهدوء:  
أنا مش عاوزك تخافي، وأوعدك خلال شهرين تلاتة بالكثير هايكون بيتك جاهز بكل حاجة نقصاه، ولو عاوزة ضمانات بده معنديش مانع!  
أخفضت أعينها بعيداً عن نظراته المتخللة لها مرددة بارتباك:

هاه، مش كده...

أحاط وجهها براحتيه ماسحاً ما تبقى من عبرات مبللة لوجنتها هائفاً بنبرة صادقة:

محدث هيضايقك ولا هيدوسلك على طرف، إتني هاتفضلي معززة مكرومة عندي، خديها مني كلمة!

ارتعش جسدها من لمساته الحنون على بشرتها، فأغمضت جفניה هامسة  
بمبحر كبير:  
بس أنا...

رد مقاطعاً بصوت رخم:

-واقفي اتني بس وأنا هاعمل كل حاجة عشان ماتحسبش بالفرق!  
تجمدت أنظارها على أطراف ثوبها الممزق المتدلّية من الحقيبة، فحدق فيما  
شردت فيه، أرخى يده عن صدغها ليمسك به قائلاً بنبرة مزعوجة:  
-والفستان ده ارميه

قبضت عليه أكثر، ثم رفعت عينيها في وجهه قائلة باعتراض:  
-أنا وعدتك أحافظ عليه، و...

جذبه بقوة من يدها موضحاً بجديّة:

-أنا مايمنيش الفستان على أد ما يهمني سعادتك، واللي يخليكي تنزلي دمعة  
واحدة من عينك مالوش لازمة عندي!

ظلت أنظارها مثبتة على وجهه، فابتسم لها مضيئاً بتنهيده تحمل الكثير من  
الأشواق والرغبة:

-أسيف أنا بأحبك ومش مستحمل حاجة عليكي!



داعب وجتها بإبهامه بحركة ثابتة ابتسمت بحياء على إثرها، عاد تورده بشرتها  
من جديد، ولعت عينها ببريق مشرق، تهد بجرارة مقاوماً مشاعره التي تحته  
على التودد أكثر معها، وقبل أن يعبث هوى نفسه بعقله انبته لصوت عواطف  
الصائح:

-ربنا يسعدك يا ابني!

أبعد يده برفق عن وجهها ملتفتاً نحوها وهي تتابع بامتنان:

مش عارفة أقولك ايه، الحمد لله إنها قامت واتكلمت معاك!

نهض واقفاً من على طرف الفراش موجهاً حديثه لها بجديّة:

ست عواطف أنا بأطلب منك رسمي وقصاد مراتي إننا نتجوز في أقرب  
وقت!

اتسعت عينها مرددة بصدمة:

تتجوزوا؟!!

هز رأسه بالإيجاب وهو يقول موضحاً:

ايوه، كوضع مؤقت عند أهلي لحد ما شقتنا تخلص، وأنا هاجيبها أوضة نوم

جديدة وهوضبها المكان، ومستعد أقدم ضمانات عشان تظمن!

استنكرت كلماته الأخيرة التي تشير إلى عدم ثقته به، فعاتبته قائلة:

ضمانات ايه، متقولش كده يا سي مندر، ده انت أبو الرجالة والشهامة كلها!

ثم ابتسمت متابعة بنبرة ذات مغزى وهي تشير نحو ابنة أخيها:  
بس القرار في الأول وفي الآخر راجع ليها، فلو وافقت يبقى على بركة الله!  
استدار برأسه نحو حبيبته التي كانت تطالعه بنظرات خجلة متسائلاً:  
ها يا أسيف؟ قولتي ايه؟

بقيت شفتها مطبقتين لا تنبس بأي كلمة، فظن أنها ربما تكون مترددة من  
القبول والمجازفة بالبقاء مع أهله في بيت مليء بالكثير من الأفراد، فلن تحظى  
بخصوصيتها كغيرها من الفتيات خاصة أنها عروس جديد ولم يسبق لها  
الزواج، جمد أنظاره عليها مؤكداً:

لو خايفة حد يتعرضك هناك، فصدقيني هما مش كده، أهلي بيحبوكي،  
وهيحاولوا يسعدوكي زي، واتي دخلتي عندنا أكثر من مرة وشوفتي الدنيا  
ماشية ازاي هناك

أكدت عواطف على حديثه قائلة:

دي الست جلية تتحط على الجرح يطيب، ولا الحاج طه حاجة كده....  
لم تلتفت أسيف نحو عمته، وبقيت عيناها عليه هو فقط وهي تسأله بهدوء  
مريب:

-انت هاتكون معايا؟

أخى نفسه قليلاً نحوها ليضع أنامله على طرف ذقنها قائلاً بثبات:

مش هاسيبك للحظة!

لم ترمش بعينيها، وشردت في نظراته المتأملة لخلجاتها، شعرت بصدقه، ييقينها  
بحفاظه على وعده الذي لن يحنثه أبدًا، فهمست بابتسامة باهتة:  
-أنا موافقة!

اضطربت أنفاسه مرددًا بعدم تصديق:

-موافقة؟!!!!

أومات برأسها إيجابًا ليزداد مع حركتها تلك خفقات قلبه المحب لها، لم يشعر  
بنفسه وهو يضم رأسها إليه، وحاوطها بذراعيه شاعرًا بتلك السعادة الغامرة  
التي تحررت أخيرًا من مرقدتها لتغلفها بسحرها الدائم، همس لها باشتياق  
راغب:

-بأحبك يا بنت رياض!

أطلقت عواطف زغرودة مدوية معبرة عن فرحتها بموافقة ابنة أخيها، فهي  
ستنعم أخيرًا بما حُرمت منه، ركضت بسمة نحو والدتها بعد سماعها لأصوات  
الزغاريد المتعاقبة لتقف إلى جوارها متأملة ذلك المشهد العاطفي بابتسامة  
خجلة، لفت ذراعها حول كتف والدتها ناظرة لها بأعين متوهجة فرحًا لابنة  
خالها، بينما ظلت نيرمين في الخارج تحترق كمدًا بنيرانها حتى غص صدرها  
بالبكاء المرير، لم تخف عبراتها المنهمرة بغزارة، فقلبا قد انفطر على حب  
مستحيل بقهر مؤلم.

.....

مر يومان فشل خلالهما في الوصول إليها، فلم تجب على اتصالاته المتكررة متعمدة تجاهله، فتأكد من انزعاجها منه بسبب سوء حظه مع أخيه الذي كشف خطته ببساطة، وما ذنبه إن كان يمتلك فراسة حادة؟ بدا شبه متعصب مع أغلب من يتعامل معه خاصة أن الساعات تمر ثقيلة عليه، أراد أن ينهك نفسه في العمل عله يلهي عقله عن التفكير فيها، لكن لا يستمر الأمر طويلاً، فما يلبث أن تفتح مخيلته بضراوة لتعذبه أكثر.

زفر دياب يارهاق مرجعاً رأسه للخلف وهو يجلس خلف مكتبه محدثاً نفسه بتبرم:

-امتي تخني عليا بس؟

ولج إليه أحد العمال قائلاً بتردد حرج:

-ريس دياب.. آآ.. في واحدة مصممة تقابلك برا

عقد ما بين حاجبيه متسائلاً باندهاش غريب:

-واحدة! مين دي؟

أجابه العامل وهو يشير بيده بتوتر ظاهر عليه:

-دي الست....

اعتقد دياب للحظة أنها ربما تكون حبيبته قد جاءت إليه لتعنفه وجهماً لوجه،  
لم يهمه الأمر على قدر رؤيته لها، المهم أنها متواجدة عنده، لم يدع فرصة  
للعامل لإتمام جملته فقطعه قائلاً بحماس:  
أنا طالع أشوفها بنفسني!

توجس العامل خيفة مما سيراه، فحتماً سيتلاشى ذلك الاهتمام ليحل الوجوم  
كبديل عنه إن عرف هوية المتواجدة بالخارج.

.....

قررت ألا تستسلم وتتودد إليه على طريقتها الخاصة رغم جفائه وغلظته معاها،  
أرادت أن تثير أعصابه نحوها وتحفزها للتفكير فيها حتى لو في الأمر مجازفة  
كبيرة، لذلك استقلت ولاء سيارتها وصفحتها أمام وكالته متأنقة بثيابها الفاضحة  
لتحرك فيه حمية الرجال حينما يراها هكذا، لا ترتدي سوى بنطالاً مثيراً  
لشهوات الرجال ومن فوقه كنزة قصيرة تكاد تصل إلى خصرها مكشوفة  
الصدر وبدون حمالات، بالطبع هي وسيلة رخيصة لكنها واثقة من نجاحها معه.  
وحدث ما توقعته اختفت بسمته المتسعة من على ثغره ليكسو تعابيره  
الأكفهار والنفور، احتدت نظراته وقست تعبيراته بشدة وهو يندفع نحوها  
بخطوات متعصبة، حافظت على ثباتها أمامه، وتمايلت بجسدها مستندة برفقها  
على جانب سيارتها هائفة بدلال:

هاي دياب!

قبض على ذراعها جاذبًا إياها بعنف لتعتدل في وقفها المائعة مجبرة، وهدر فيها  
بصوت متشنج وعيناها تطلقان شرًا نحوها:

-انتي اتجني؟ ازاي تجيلي هنا عند الوكالة، لأ وبالمنظر ده؟!!!!

مرر أنظاره المتقدة سريعًا على ثيابها الضيقة التي كانت تبرز منحنيات جسدها  
بطريقة فجّة مهلكة للأعصاب، وبتأويهة مصطنعة همست له بعتاب:

-آي، بالراحة يا دياب إنت بتوجعني كده!

هزها بعنف صارخًا بها بشراسة من بين أسنانه المضغوطة بقوة:

-تكلمي عدل، بلاش طريقة ال..... معايا!

ارتفع حاجباها للأعلى من سبابه الحاد لكنها لم تكترث به، فخطتها لابد أن  
تكتمل، لذا تجاهلت كلماته النابية المسيئة لها قائلة بنعومة:

-دياب، أنا محتاجة أتكلم معاك لوحدنا!

هدر بها بانفعال محتاج:

-مافيش كلام بينا نهائي، إتي مابتفهميش

أسبلت عينيها نحوه مبررة:

-ماهو كله عشان مصلحة يجي!

أرخی قبضته عن ذراعها مظهرًا تأفقا صريحًا منها، ابتسمت متابعة بعبث:

-أنا أمه ومحتاجاه معايا كام يوم، ولازم نتفاهم على ده ودي من غير ما نلجأ  
للأقسام، صح ولا أنا غلطانة؟

نظر لها باحتقار وهو يجيبها بازدرء مهين:

ده منظر أم، طب اتكسفي على دمك والبسي حاجة تسترك بدل ما اتتي  
معرية لحمك لكل الناس!

تهدت في وجهه بتنهيدة حارة متسائلة بصوت خفيض مثير:

لسه بتغير عليا؟

زادت نظراته نفورًا من أسلوبها المبتذل معه صائحًا باستنكار مزدري:

-بأغير! اتتي شكلك مبلعبة حاجة!

تجرات أكثر معه فمدت يدها لتضعها على صدره متحسسة إياه برفق وهي  
تضيف بعث:

-لا يا دياب، بس طريقتك بتقول كده، انت لسه بتغير، عينيك فضحاك!

في تلك الأثناء كانت بسمة قد ترجلت من سيارة الأجرة على مقربة من  
الوكالة، فرفعت عينيها عفويًا نحو مكانها، تجمدت أنظارها على ذلك المشهد  
الحميمي المتهب في وضوح النهار وأمام الجميع، رمشت بجفنيها غير مصدقة أنه  
يقف مع طليقته تداعبه وتلامسه بوقاحة وكأن شيئًا لم يكن بينهما، شعرت

بدمائها تغلي بداخلها، واستعادت في ذاكرتها مشاهدًا سريعة من حديثه المعسول معها، وغزله المتواري لها، وأخيرًا عرضه بالزواج منها. ورغم رفضها الصريح للارتباط به إلا أن وخزة قوية عصفت بقلبيها جعلتها تصل إلى ذروة غضبها في أقل من ثوانٍ، كونها قد رآته على تلك الوضعية مع غيرها أصابها بالجنون.

وقفت مكتوفة الأيدي، عاجزة عن تحريك قدميها حتى لتبتعد، أجبرتها عينها على متابعة المشهد للحظات حتى اكتفت مما رآته، رمقت الاثني بنظرات مشتتة، واستدارت بظهرها مبتعدة عن المكان برمته، فأني تصرف أهوج في تلك اللحظة سيحسب عليها وليس لها.

تفاجأ من حركتها المتهورة تلك على صدره، ونظراتها الماكرة التي تحاول استدراجه إلى فخها، فامتعض وجهه بشدة، وغرز أظافره في قبضتها نازعًا إيها عنه وهو يصيح بها بسباب قاس:

حاسبي ايدك ال..... عني!

شهقت مصدومة من إهاتته الجارحة لها، ومن أسلوبه العنيف في التعامل معها، تعمد إيلاها أكثر وهو يضيف باحتقار أشد:

إياكي تفكري تلمسيني بقذارتك دي!

ظلت على وضعها المشدوه لثوانٍ محاولة استيعاب ذلك الكم الهائل من الإهانات الموجهة لشخصها، بدا أكثر اشمزازًا منها، متفرزًا من أسلوبها الرخيص في جذله نحوها، أكمل بعبوس نافر:



أنا مايشرفنيش إن ابني أمه تكون بالمنظر ده!  
 دفعها بقبضته بعنف في كتفها مضيئاً بجدة:  
 ربنا ياخدك ونرتاح من فضايحك  
 ردت مستنكرة قسوته اللامحدودة محاولة استعطافه:  
 دياب!

فتح باب سيارتها ليجبرها على الدخول فيها قائلاً بشراسة:  
 امشي من هنا بدل ما أسيب عليك كلاب الحته، وصدقني مش هافرق  
 معايا اللي هاتعمل فيكي!  
 استشعرت قوة تهديده المصحوب بألم قبضته التي اعتصرت ذراعها، فتأهت  
 صارخة:

أه، طب ابني؟

أجابها بجمود وهو يصفق باب السيارة عليها:  
 هاتشوفيه بس مع أمي!  
 ترققت العبرات في مقلتيها، فأزاحتهم سريعاً بأناملها قائلة بصوت شبه مختنق:  
 أعمل اللي انت عاوزه فيا، احنا هنفضل مربوطين ببعض، وجايز في يوم  
 نكون سوا و...

قاطعها بسخرية متهمكة قاصداً شتمها:

عشم ابليس في الجنة يا.....!

اختنق صوتها أكثر مرددة بانكسار:

-انت بتشتمني؟

أشار لها بيده هاتقًا باحتقار:

-أقل واجب معاكي، طراينا من هنا!

ضرب على سقفة سيارتها بقوة بكفه لتدير محركها وتتحرك بها من أمامه بنظرات محبطة خاسرة ذرة أخيرة في كرامتها المهذرة، تابعها بأنظاره المحتقنة حتى وصلت إلى ناصية الطريق فوقعت عيناه مصادفة على طيفها الذي يخفق قلبه معه، هتف مندهشًا:

-بسة!

تحرك من مكانه بخطى سريعة مقلصًا المسافات ليتأكد من صدق ما رآته عيناه، ارتسم على ثغره ابتسامة عريضة تلاشى معها غضبه المبرر من تلك المعيبة التي أفسدت نهاره، أسرع في خطواته ليلحق بها صائحًا بلهفة مضاعفة:

-أنا حظي حلو إني شوفتك!

لم تنظر نحوه مطلقًا، فهي على وشك الانفجار فيه إن تركت لنفسها العنان لفعل ذلك ردًا لظنها الخاطيء في إساءته لشخصها، صاحت به متسائلة بوجوم صريح دون أن توقف سيرها:

-جاي ورايا ليه؟

استشعر من نبرتها وجود خطب ما بها، فسألها بجذر رغم معرفته إجابتها  
مسبقًا:

-انتي كنتي هنا؟

تألمت قدمها من كثرة الضغط عليها حتى أنهكها الألم وأوجعها بدرجة ملحوظة،  
فتوقفت عن السير مجبرة لتلتفت نحوه بوجهها العابس المتشنج، نظرت له  
باحترقان وهي تجيبه بتهمك يحمل السخرية والاستهزاء:

-اه وشوفتك مع المدام، ربنا يخليكم لبعض!

كور قبضته متفهمًا سبب عصبيتها، هو تعيس الحظ معها، دومًا تضعفه  
الظروف في مواقف لا تخدمه أبدًا، استشعر تعقد الأمور، فهتف موضحًا  
بقلق:

-انتي فاهمة غلط، الموضوع فيه سوء فهم و....

رفعت يدها أمام وجهه ليقطم عبارته مضطرًا وهي ترد بجمود:

-مش عاوزة أفهم حاجة، عن إذذك أنا متأخرة!

توسلها أن تبقى قليلًا ليزيل سوء الفهم الحادث، فهمس باسمها بنبرة مؤثرة  
بسمة

أشاحت بوجهها بعيدًا عنه هاتفة ببرود جامد:

-أستاذ دياب عيب كده!

التفتت التفاتة صغيرة لتنظر له بطرف عينها وهي تضيف بتساؤل ذو مغزى:

-ترضاه لأختك إن حد يقف يضايقها كده؟

نكس رأسه حرجًا منها، ووضع يده على شعره عابثًا به وهو يرد بضيق:

-لأ، بس ترضي انك تظلميني؟

تحرك قبالتها محددًا في عينها بقوة وهو يقول:

-انتي بنفسك عارفة أنا بأكرهها أد ايه! استحالة أفكر فيها ثاني!

أخفض نبرته متابعًا بتنهيده تحمل الكثير:

-مافيش إلا واحدة بس جوا قلبي ونفسي تحن عليا، وإنتي عارفة هي مين!

تأثرت لثانية بنبرته المتوسلة لها، أكد لها حدسها نظراته المستعطفة لقلبها لكي

ترفق به وتعطيه فرصة أخيرة، خشيت من افتضاح أمرها فعمدت إلى تجميد

ملاحظها، وردت ببرود متأهبة للتحرك:

-أنا متأخرة وتعبانة، فمن فضلك شوية!

يئس من إقناعها، فتنحى جانبًا لكي تمر من جواره زافرًا بصوت مختنق من

فساد يومه بالكامل، ركل الأرضية بقدمه قائلاً بحنق:

-ربنا يحرقك يا ولاء! جيتك بالخراب عليا!

تابعت سيرها المتعجل كاتمة كم المشاعر الغاضبة المشحونة بداخلها بصعوبة بالغة، ما أزعجها وجعل همومها تطبق على صدرها تسلله إلى حياتها ليصبح جزءاً من يومها رغماً عنها، لا تنكر أنها باتت تفكر فيه مؤخرًا، نعم ليس بالقدر الكبير في البداية، لكن مع الوقت نال قدرًا أكبر من اهتمامها وترسخ وجوده في وجدانها فمنحته ما لا يستحق.

أخرجت من صدرها تهيدة تحمل الكثير من الأثقال التي تكتم على روحها، ذهلت حينما رأت العبرات تخونها وتنساب برقة على وجنتيها، وضعت يدها على صدغها تتحسس بصدمة، تساءلت بعدم تصديق:  
هو في ايه؟ أنا بأعيط ليه؟

كفكفت دمعاتها سريعًا قبل أن تراها الأعين الفضولية المدققة بأوجه المارة، تنفست بعمق لتضبط مشاعرها الثائرة، خشيت أن يكون حدث ما لم ترغب فيه، وهو وجود نبتة للحب شقت طريقها في قلبها نحوه، وإلا لما تأثرت هكذا بما رأته وانفعلت أحاسيسها، أصبح غضبها مبررًا مفهومًا بصورة كبيرة رغم إنكارها، هي تكن له شيء ما، وسيظهر مع مرور الأيام.

.....

تجنبتها على قدر المستطاع بناءً على طلبه الخاص حتى يحين موعد زفافها، وانشغلت مع عمته في شراء ما ينقصها من احتياجات ولوازم العروس، سعدت الأخيرة بتجاوب ابنة أخيها مع مستجدات الأمور بصورة طيبة

مطمئنة أراحت قلبها كثيراً، وعمدت إلى تسخير جهدها بالكامل من أجلها هي فقط عليها تعويضها عن غياب أباها.

أفرغت أسيف على الفراش ما قامت بشرائه من ثياب جديدة لترتيبها في حقيبة سفرها، شردت في الحقيبة الأخرى الخاصة بوالدتها الراحلة متذكرة كيف بدأت رحلتها من بلدتها الريفية حتى انتهى بها المطاف عروساً تستعد ليلة زفافها، أطالت النظر نحوها فلم تشعر بعمتها وهي تلج إلى داخل الغرفة لتتفقدتها، رأت ما تنظر إليه، فتفهمت سبب هبوطها الحزين، وضعت يدها برفق على كتفها قائلة بحنو:

-ادعيها بالرحمة والمغفرة، هي زمانتها مرتاحة عشان اتني مبسوطه!

أدارت رأسها نحوها متسائلة بصوت مرهق:

-تفتكري يا عمتي؟

ردت مؤكدة بابتسامتها الصافية وهي تربت على ظهرها برفق:

حطباً، أي أم في الدنيا نفسها تشوف عيالها في أحسن حال، والحمد لله ربنا

كرمك بمنذر اللي يبجبك!

تورد وجهها من ذكر اسمه، فحضوره القوي بمواقفه الرجولية المختلفة يؤثر عليها

بشكل ملحوظ، ناهيك عن حبه الجارف لها، ضمته عواطف إلى صدرها

متابعة بود:

-انسي الماضي وركزي في اللي جاي يا بنتي!

هزت رأسها بتفهم، فلا حاجة بها للبقاء حبيسة أحزانها، عليها أن تمضي قدمًا  
في حياتها.

.....

لاحظت حالة التجاهل المسيطرة على من معها بالمنزل، وفهمت أسبابه  
بساطة، باتت كالمنبوذة وهي تعيش بينهم، عقدت حجابها كعصابة لفتها حول  
رأسها كمحاولة بدائية لوقف ذلك الصداغ المهلك الي يكاد يفتك بعقلها،  
أجلست ابنتها على حجرها تهزها بتوتر وهي تقول:  
تقولش بقيت جربة وسطهم!

حكك طرف ذقنها بخشونة وهي تضيف:

ده ولا واحدة عاوزة تعبرني ولا تقولي في ايه، وكل شوية ينزلوا مشاوير هنا  
ومشاوير هناك!

ضربت بيدها على فخذاها متابعة:

-ايوه، ما هو أنا بنت البطة السوداء المغضوب عليها!

رفعت كفها للسماء هاتفة بجنق:

إلهي ليلتك تبوظ عشان أفرح فيكي!

ولجت أختها إلى الداخل واجمة الملامح عابسة النظرات، لم تلق عليها التحية،  
واتجهت مباشرة نحو خزانة الملابس، أمعنت نيرمين النظر فيها متسائلة  
بفضول:

خير، مش فرحانة ليه زي الشملولة اللي برا؟!!

نظرت لها بجدة وهي تجيبها بانفعال:

ملكيش دعوة بيا يا نيرمين، أنا جاية أخذ هدومي وأطلع، مش ناقصة سين  
وجيم!

لوحث لها بيدها هاتفة بازدراء:

طلعي غلبك فيا اتى الثانية، ماهو كل هم في البلد يجي عندي ويتسند!  
نفخت بسمة صائحة بنفاذ صبر:

-يووه، أنا مش نقصاكي، أديني سيالك الأوضة وطالعة!

سحبت أول ما التقطه يدها من على الرف صافقة ضلقة الخزانة بعصبية، ثم  
اندفعت للخارج مبرطمة بكلمات مزعوجة، ردت عليها نيرمين بغل:

غوري ياختي، بلا هم!

وضعت يديها على رأسها ضاغطة عليه وهي تقول بتبرم:

آه يا نافوخي، إلهي يجيلك صداع ماتعرفي تقومي منه!

.....

تجول في أروقة مدرسته الجديدة بعد أن استقر بها متباهياً بماثره، فقد تمكن  
من ملامسة عدد لا بأس به من ضحاياها من صغار السن عديمي الخبرة في تلك



الأمر الشاذة المشينة التي يرتكبا في حقهم، لكنه كان أكثر حرصًا على عدم  
افتضاح أمره بانتقاء السذج منهم والأصغر عمرًا ليلطفهم ويداعبهم بعيدًا عن  
العين الكاشفة له.

وقع في يده ضحية أخرى؛ طفلة بريئة من الصف الأول الابتدائي، استدرجها  
ببراعة مخنكة إلى غرفته الخاصة، فلم تنجو من لمساته المخجلة على جسدها  
الهزيل، عجزت عن النطق معتقدة أن ما يفعله بها شيء عابر سيزول مع  
الوقت، كانت ترتعد بشدة وهي تطالعه بنظراتها الخائفة، انحنى ناصر ليحملها  
من خصرها بيديه، ثم أجلسها على مكتبه، وأمال رأسه على وجهها طابعًا قبلة  
صغيرة على وجتها هامسًا لها:

ده أنا زي بابا يا كتكوتة!

بدت ارتعاشها واضحة في نبرتها وهي ترد مستنكرة ببراءة:

بس بابي مش بيعمل كده

لامس خصلات شعرها بعثت موضحًا لها بدهاء ماكر:

عشان مش بيعحبك، لكن أنا بأحبك أوي!

أخرج من جيبه قطعة حلوة مغلفة، ثم ناولها لها متابعًا بلطف:

خذي البسكوتة دي عشان اتتي شاطرة وتسمعي الكلام

هزت رأسها نافية وهي تقول:

مش عاوزة

وضع يده على فخذاها الذي برزت من أسفل تنورتها القصيرة معمقا لمساته نحو  
الداخل وهو يسألها:

حطب نفسك في ايه؟ أجيبك كيس شيبسي؟

حركت رأسها بالنفي وهي ترد:

-لا!

وضعت قبضتها الصغيرة عفويا على يده لتبعدها عن مناطق جسدها المحظورة  
متابعة بنبرة مرتجفة:

-أنا عاوزة أروح الكلاس بتاعي

تقوس فمه للجانب مبرزا ابتسامة شيطانية مهلكة وهو يرد:

-ماشي يا كتكوتة! بس أنا هاساويلك هدومك زي ماما!

توهجت نظراته بوميض جعل الصغيرة ترتعش أكثر منه خاصة حينما تجاوز  
الأمر مخيلتها الضئيلة، هو بلغ ذروته ووصل إلى حالة من الانتشاء استصعب  
فيها السيطرة على نفسه.

في تلك الأثناء، أراد يحيى الدخول إلى المرحاض لكن تعذر على الصغار  
المتواجدين بطابق رياض الأطفال استخدامه لوجود صيانة حالية به نتيجة  
انسداد المواسير، فلجأت العاملات لاستخدام المراحيض المتواجدة بالطابق

الأرضي، والقريبة من غرفة تدريس مادة الصيانة والترميمات، توجه بصحبة  
إحدهن نحو المرحاض، هتفت العاملة متسائلة:

عاوزين التواليت

ردت عليها أخرى:

خليه يستنى، في ٣ جوا، وبتاع البنات مشغول

طيب

التفتت العاملة نحو يحيى قائلة بجدية:

معلش يا حبيبي امسك نفسك شوية لحد ما يفضى واحد

هز رأسه بالإيجاب قائلاً:

طيب

تلقت حوله متأملاً ذلك المكان الواسع بنظرات شمولية، انشغلت العاملة عنه  
بمعاونة طفلة أخرى في ارتداء ثيابها الداخلية، فدفعه فضوله لاكتشاف المكان  
من حوله ريثما يصبح المرحاض شاغراً، وبراءة الصغار تجول في المكان مشبعاً  
فضوله البسيط، ضل طريقه ولم يعرف كيف يعود، دار حول نفسه بحيرة،  
ودلف إلى رواق منزوي مقارب للحديقة معتقداً أنه طريق العودة، لمح تلك  
الغرفة البعيدة فاتجه نحوها راکضاً، كان الباب موصداً فلم ير شيئاً، لكنه  
استمع إلى أصوات مبهمة تأتي من الداخل، فألصق جسده بالنافذة الزجاجية

الداكنة، اشرب بعنقه للأعلى محاولاً رؤية ما يدور بالداخل من ذلك الشق الزجاجي الصغير.

ارتجفت أطرافه بقوة حينما رأى ما يحدث للصغيرة التي تقبل بطريقة مريبة من وجهها وشفثتها، تجمد في مكانه مذعوراً حينما رأى من ذلك الشرخ شبح الشخص يستدير نحوه، أخرج صرخة مفزوعة من فمه متراجعا للخلف، لكنه تعثر في خطواته المرتبكة فسقط على ظهره.

فتح ناصر الباب على مصراعيه ليجد ذلك الطفل محققاً به، اغتاظ من كونه قد أفسد متعته في نهاية المطاف، والأهم من هذا هو احتمالية تشكيكه خطراً عليه، فإن باح بما رآه لأي شخص لانتهى أمره فوراً، بالإضافة إلى كشف المستور عن كل ما قام به، صرف الطفلة بهدوء وهو يتنسم لها:  
يا لا يا حلوة على الكلاس!

ركضت الصغيرة مسرعة وهي ترتجف مما مرت به، نظرت إلى ما في كفها الصغير من حلوى بعبوس، ثم ألقتها على الأرضية لتدهسها بقدمها وهي تختفي من المكان برمته، دار في رأسه الشيطاني عشرات وعشرات من النهايات الخيفة له إن فضح ذلك الجرذ الفضولي أمره.

وبلا لحظة تأخير انحنى عليه ليمسك به من ياقة قميصه المدرسي رافعاً إياه نحوه، ركل يجبي بقدميه في الهواء مذعوراً، وفزع من نظراته المهددة بدرجة جعلته يبلل سرواله من شدة خوفه منه، صرخ به ناصر بحق من بين شفثيه المضغوطتين:

إنت بتعمل ايه هنا؟

بكي الصغير خائفاً:

مامي!

كظم غضبه بصعوبة كي لا يلفت الأنظار إليه، ثم أنزله على قدميه دون أن يحرره، تفحص ثيابه المختلفة نسيباً عن المعتاد واستشف سريعاً أنه من أطفال قسم الرياض الملحق بالمدرسة، تنفس الصعداء لتيقنه من نجاته من كارثة وشيكة، ولكن مازال عليه أن يكون أكثر صرامة كي يضمن صمته الإجمالي إن فكر في التفوه بأي حماقات لأحد أبويه كعادة الصغار حينما يسترسلون في حديثهم مع أفراد عائلتهم بالمنزل، قست ملامحه وباتت أكثر تهديداً عن ذي قبل، جثى على ركبتيه ليصبح وجهه في مواجهة يجي الذي كان على وشك الصراخ لكن يد ناصر كانت الأسرع في تكميه، هزه بعنف وهو يهدده بنبرة أقرب لفحيح الأفعى:

شوف يا وله، انت مش عارف أنا مين، بس أنا العوو اللي هايطلعلك في كل حته لو فكرت تفتح بؤك وتقول حاجة!

شعر بانتفاضة جسده بين ذراعيه المقيدين له، فتيقن من وصول رسالته إليه، تابع مضيقاً بهمس شرس:

حتى وانت نايم هاجيلك على سيريك أخذ روحك! فأحسنك تنساني!

هزه بعنف وهو يسأله:

فهمتني ولا تحب أكل رجلك و....

حرك يحيي رأسه بالإيجاب خوفًا منه، فقد نجح ببراءة في بث الرعب في نفسه  
حتى كاد يموت من فرط الهلع الذي عاشه خلال تلك الدقائق العصبية، أزاح  
يده عن فمه ليمسح على رأسه قائلاً بابتسامة مهددة:

-انت كده شاطر!

دقق ناصر النظر في بطاقة الهوية المعلقة حول عنقه مرددًا بهدوء:

-ممم.. اسمك يحيي دياب!

غمز له بعينه اليسرى متابعًا بتسليية:

-شوفت أنا عرفت اسمك لوحدي ازاي، يعني هاجيبك هاجيبك لو اتكلمت!

رد عليه يحيي بصوت مختنق من بين بكائه:

-أنا عاوز ماي!

قهقه ضاحكًا من براءته التي يستلذها في الصغار، ثم اعتدل في وقفته قابضًا

على رسغه ليسحبه خلفه وهو يقول:

-وأنا عاوز اللي زيك!

ظن الصغير أنه سيضربه أو ما شابه خاصة أن أصابعه كانت تعتصره معصمه

بشدة، فصرخ عاليًا مستنجدًا بأي أحد:

-ماي، أنا عاوز ماي! عاوز أروح، ماي!

جرجره خلفه بسهولة رغم تعمد يحيى إلقاء ثقل جسده للخلف عله يشكل  
عائقًا أمام قوته، لكن ما يفعله لا يشكل فارقًا معه، لمحتها العاملة من على بعد،  
فركضت ناحيتها مرددة بخوف:

-الحمد لله إنك لاقيته يا أستاذ ناصر، ده أنا دوخت عليه

جذب الصغير إلى حضنه بذراعه قائلاً بضجر زائف:

-أه ماهو تايه وعمال يعيط وأنا مش عارف أفهم منه حاجة!

أشارت بيدها للأعلى مبررة سبب تواجده هنا:

ده من الحضانة فوق

قطب جبينه مهتمًا، وتساءل بمكر ليبعد أي شبهات عنه:

-وايه اللي جابه تحت؟

أجابته العاملة بامتعاض مرهق:

-التواليات بايظة

هز رأسه متفهمًا وهو يضيف محذرًا:

-أها قولتلي، طب خدوا بالكم كويس، مش كل مرة هتعدني على خير، جايز

عيل يجري كده ولا كده وتحصل مشكلة!

لوت العاملة ثغرها مرددة بتوجس:

-ربنا يستر، كتر خيرك يا أستاذ ناصر!

مدت يدها لتمسك بالصغير، فرأت سرواله المبتل، زاد تجهم تعبيراتها وهي  
توبخه بلطف:

-كده بليت هدومك يا يحيى!

انفجر الصغير باكياً وهو يصرخ بخوف:

-أنا عاوز ماي!

ظنت العاملة أنه يبكي لإفساده ثيابه، ولم يأتِ في مخيلتها مطلقاً أنه لسبب  
آخر، أمسكت به من قبضة يده مرددة:

-استنى أما نشوف عند المس في غيار زيادة ليك ولا لا، مش هاتفضل كده  
مبلول!

تنحى ناصر جانباً مسلطاً أنظاره الشيطانية عليه، ثم لوح له بأصابعه قائلاً  
بثبات وقد برزت ابتسامته المخيفة على ثغره:

باي باي يا يحيى.....!!!

.....



## الفصل التاسع والسبعون:

رغم تبرمها من تعجله في تلك الخطوة تحديداً لكن فرحته الواضحة عليه جعلتها تتقبل الأمر بعاطفة أمومية صادقة من أجل سعادته هو فقط، راقبت باهتمام تصرفاته المليئة بالحيوية والنشاط لإنجاز ما هو مطلوب في أقل وقت ممكن، نعم مر وقت طويل منذ أن رأته متحمساً لأمر ما، أدركت عن ظهر قلب أن الحب يفعل المستحيل، تنهدت بعمق مبدية ندما في نفسها لسعيها الدؤوب على إجباره على زيجة لم تكن لتحقيق له الهناء والسرور مثلما تراه اليوم، واجتهدت هي الأخرى في تجهيز ما يلزم لتصبح غرفته جاهزة لاستقبال العروس.

أشرفت بنفسها على ترتيب الأثاث الجديد بالغرفة محذرة بجدية:

حاسبوا التسريحة مش عاوزين حاجة تتهدل!

استدار منذر ناحية والدته متسائلاً:

ها يا أمي ايه رأيك؟

أبدت إعجابها بالأثاث الحديث - ذو اللون البني الداكن - قائلة بابتسامة عريضة:

ماشاء الله، حاجة حلوة على الآخر!

ربتت على كتف ابنها مضيئة:

-تهنى فيها يا رب

أمسك بكفها بين راحتيه ليرت عليه برفق كنوع من الامتنان لدعمها له، ثم سألها بقلق طفيف:

-تفتكري ذوقى هايعجبها؟

حرر قبضتها من يديه مكملاً بامتعاض:

هي مرضتش تنزل معايا تختار، وده مضايقتي شوية و...!

قاطعته مبررة بهدوء:

-بكرة تفرشوا بيتكم براحتكم، وتناقوا كل حاجة على ذوقكم!

هز رأسه موافقاً رأيها، فأضافت بجدية:

المهم إن ربنا يبعد عنكم أي شر

يا رب أمين

تابعت جليلة وهي تشير بسباتها:

أول ما العمال ينزلوا أنا هابخرها لك وهاشغل قرآن في الأوضة عشان الحسد!

اتسعت ابتسامته الودودة قائلاً:

ماشى يا أمي، اللي يريحك!

ربتت على ظهره مجدداً وهي تدير رأسها في اتجاه العمال لتتابعهم عن كذب،

بينما شرد هو في أحلامه المستقبلية مع حبيته.

.....

استندت برأسها على مرفقها شاردة في ذلك المشهد الحميمي بينهما رغم نفيه  
لأكثر من مرة عدم وجود أي رابط يجمعهما سوى ابنه، أزجها تكراره في مخيلتها  
وكأنه عقاب خاص بها لتعذيبها، تهتت بمرارة زافرة عن صدرها هماً آخرًا يطبق  
على روحها، لم تشعر بأسيف التي كانت تحدثها للحظات حتى هتفت باسمها  
بنبرة شبه مرتفعة:

بسمة اتى مش معايا خالص!

انتبهت لصوتها فأفاقت من سرحانها المؤقت قائلة بصوت شبه متحشرج:

معلش!

حاولت أن تبتسم لتبدو أكثر إقناعًا وهي تتابع بتردد:

-... تلاقيني مصدعة شوية

اقتربت منها أسيف أكثر لتتفرس في ملامح وجهها الذابل، رأت عينيها  
الملتهبين بجمرة واضحة فحمنت على الفور سبب حرتهما، سألتها بنزق:

-انتي كنتي بتعيطي؟

انتفضت في مكانها خيفة من كشف أمرها، وهزت رأسها نافية بقوة هاتفة:

-لا أبدًا، ده بس..

بدت طريقتها غير منطقية بالمرّة ومتنافية مع تعبيراتها المنكسرة، فأصرت على  
رأيها قائلة بجدية:

-بسمة في ايه مضايقتك؟ اتكلمي بصراحة!

انزعجت من تضيق الحصار عليها، فهبت واقفة من مكانها قائلة بخفوت حزين:

-ولا حاجة!

أولتها ظهرها كي لا تفضحها عيناها علنًا، وبدأت في فرك أصابعها بتوتر كبير،

استشعرت أسيف وجود خطب ما بها، فلم تقنع بردها لذا تابعت مضيفة

بجذر عليها تعلم ما بها:

-بس أنا مش حاسة كده، إتني....

قطمت عبارتها مجبرة حينما هربت من أمامها فجأة، ارتفع حاجباها للأعلى  
باندعاش كبير، وركضت ورائها مرددة بصدمة:  
-استني رايحة فين!

لم تتحمل المزيد من الضغوطات والأسئلة المحاصرة لها، هي اكتفت من كتم كل  
ما تشعر به في صدرها حتى اختنق على الأخير، فرت من أمامها كي لا تتهار،  
لكن لم تتركها بمفردها، حدسها ينبؤها بسوء حالتها النفسية، وقسمات وجهها  
تؤكد لها الأمر، لذلك تساءلت بتلهف:

مالك يا بسمه؟ طمني؟

وضعت يدها على كتفها وأدارتها نحوها متابعة باهتمام قلق:

-في حاجة حصلت؟ حد ضايك؟

تشنجت نبرتها وهي تجيبها:

-أنا مخنوقة يا أسيف، مخنوقة ومش قادرة خلاص!

لاحظت عصبيتها الزائدة وحالتها الثائرة فجاهدت لامتصاصها هاتفة بتوجس:

طب اهدي، في ايه لكل ده؟

انهارت باكية وهي تجيبها بصوتها المختنق:

-أنا مش عارفة مالي!

تراجعت للخلف لتجلس على طرف الفراش دافئة وجهها بين راحتها وهي  
تكمل بصعوبة:

مضايقة جدًا، حاسة زي ما يكون في حاجة كاتمة على نفسي!  
جلست أسيف إلى جوارها محاطة إياها بذراعها، ظلت تمسح على ظهرها  
برفق ودود، ثم همست لها:

-حكيلي يا حبيبتى، أنا مستعدة أسمعك  
ظلت مخبئة لوجهها متحرجة من كشفه، ردت بلا وعي بنبرة متقطعة:  
-أنا.. خايفة أكون....

لم تسمع بوضوح ما الذي تردده، لكن قطعًا الأمر مزج بدرجة كبيرة معها،  
سألها بتلهف مهمت وهي مستمرة في المسح على ظهرها:  
-تكوني ايه؟

أجابتها من بين بكائها المكتوم:  
-اتعلقت بيه!

ضاقت عيني أسيف باهتمام كبير من جملتها المقتضبة المثيرة للفضول متسائلة:  
-مين ده؟!

راقبت حديثها العابر دون أن تدخل فيه علما تعرف ما الذي أصاب ابنتها  
لتبدو على تلك الحالة الشاردة الحزينة، هي أمها وتشعر بها وبجزنها الملموس،  
ومنذ عودتها من الخارج وهي تراها واجمة يعكس وجهها الكثير، لكنها لم ترغب  
في إجبارها على الحديث لتيقنها من رفضها الإفصاح لها عما يجيش في صدرها،  
فتركت تلك المهمة لابنة أخيها التي لم تتأخر عنها، واهتمت بها على الفور.

باحث بسمة بما تكنه في صدرها مزيجة تلك الأثقال عنها، فقد فاض بها  
الكيل، وامتلات روحها على الأخير حتى خبت قواها واستسلمت، علمت  
منها اعتراف دياب بحبه لها، برغبته في الزواج بها، برفضها لتلك الزيجة،  
وإحساسها بالاختناق والضيق لرؤيته مع غيرها، خشيت أن تعترف لنفسها  
بحقيقة مشاعرها، بوجود بذرة لشيء ما في قلبها نحوه، شيء أرادت ودأه منذ  
البداية كي لا يتحول إلى عبء كاسح لها.

أشفقت عليها أسيف كثيرا، وابتسمت لها محاولة إزالة ذلك التوتر المشحون  
مرددة بلطف:

طب ليه مافضفتيش معايا من الأول؟

تهدل كتفها بانكسار وهي تجيبها:

مش عارفة، جايز لأنني مش عاوزة الموضوع ده!

محدث هايجبرك على حاجة!

أنا عارفة، بس.. اللي بيحصلي ده و...

-وايه؟

سردت لها تلك المشادة الكلامية الحامية مع زوجة الجزار أثناء سفرهما للبلدة  
الريفية، وما تبعها من حضور دياب للمنزل وإصراره على الارتباط، خافت أن  
يكون إلحاحه نابعاً من كونه مجرد مساعدة منه لإيقاف تلك الألسن التي  
تطاوت عليها، انزعجت أسيف من تفكيرها المحدود مرددة بعتاب رقيق:  
غلطانة يا بسمة، دياب مش كده، وإتتي أكثر حد شوفتي مواقفه، ده نسخة  
من منذر!

هزت رأسها بأسف وهي ترد بنبرة محبطة:

بس للأسف في حاجة هتفضل بينا

قطبت جبينها متسائلة باهتمام:

-ايه هي؟!؟

سحبت نفساً مطولاً لفظته ببطء وهي تجيبها:

-ابنه يحيى وطليقته!

ردت عليها أسيف بحماس طفيف:

حطب والله ابنه يبحبك جداً، بالعكس أنا بأشوفه متعلق بيكي جداً، يمكن  
أكثر من أبوه وأمه!

ارتجفت نبرتها وزاد ترقرق العبرات في مقلتيها حتى بدت على وشك البكاء مرة  
أخرى وهي تقول:



أنا بأحبه أوي، بس خايفة من التجربة، خايفة يحصل معايا زي نيرمين!  
 امتعضت تعبيرات أسيف بانزعاج بائن لم تخفيه، فأختها تثير الأعصاب  
 بتصرفاتها المستفزة، وبالتالي تأثر بسمة بمواقفها لا مفر منه، هي نفسها عانت  
 من قسوتها وجود قلبها في أحلك الظروف، لذلك ردت بجدية:  
 ماتحطيش نفسك دائماً في مقارنة مع غيرك، وخصوصاً نيرمين!  
 شعرت عواطف برجفة قوية تضرب جسدها بعد سماعها لتلك الاعترافات  
 المثيرة، ابنتها تحت وطأة ضغوط مهلكة للأعصاب وتجاهد للبقاء قوية صلبة  
 وصلدة أمام الجميع، كذلك كانت الظروف والأوضاع مختلفة تماماً بين الأختين،  
 فكلتاها تعاصر وتعايش تجارب لا علاقة لها بالأخرى، لذلك من المحف  
 المقارنة بينهما وتوقع نفس النتائج.

.....  
 لم يتوقف عن البكاء رغم انتهاء اليوم الدراسي حتى أصبحت معلمته مزعوجة  
 من صمته المريب ورفضه الحديث عما أصابه ليبدو على تلك الحالة المقلقة، كان  
 كل شيء طبيعياً حتى عاد مجدداً إلى الفصل، ظنت في البداية أن للأمر  
 علاقة بثيابه المبتلة، فتحرج الصغير من الموقف بين أقرانه، لكن مع استمرار  
 نحبيه وبحكم خبرتها نشأ عندها اعتقاداً أن المسألة أعمق من هذا، حاولت  
 تهدئته والحنو عليه لكنه رفض الاستجابة لها، وظل ينوح قائلاً:

عاوز مامي، عاوز أمشي من هنا!

سئمت من عناده المستمر، فأرسلت في طلب المشرفة لتتولى متابعته حتى تتمكن من الانتباه لباقي الأطفال، اصطحبته الأخيرة معها إلى غرفتها محاولة فهم ما حدث له، لكن كانت كلماته مبهمه ومكررة، اضطرت في النهاية إلى الاتصال بوالده للحضور، وبالفعل لم يتأخر عن ابنه فأتى لمدرسته على عجلة، واتجه إلى غرفة الناظرة ليقابلها متسائلاً بانزعاج كبير:

ماله يحيي؟

أجابته بنبرة رزينة وهي مشبكة لكفيها معًا:

-الطفل مش عاوز يتكلم، ورافض يتجاوب مع أي حد حتى المس بتاعته!

رد دياب متعجبًا وهو يشير بيده:

ماهو كان كويس طول اليوم

تابعت مضيفة بهدوء:

جائز في مشكلة في البيت ماثرة عليه

هتف معترضًا بانفعال طفيف:

-مشكلة ايه؟ ما هو نازل معايا كويس!

أوضحت له الناظرة قائلة:

-ابنك ما بطلش ينادي على مامته!

عبس وجهه بصورة واضحة من جملته، فلاحظت تجهم تعبيراته وسألته بجدية  
شديدة:

هي فين أصلاً؟ احنا طلبناها معاك!  
ضغط على شفيتها قائلاً بزفير مزعوج:  
- احنا منفصلين!

-مممم

-بس برضوه مافهمتش ابني ماله؟

أخذت الناظرة شهيقاً عميقاً، ثم حررته بتمهل وهي ترد بتريث عقلائي:  
-أستاذ دياب، اعذرني إن كنت هتدخل في أمورك الشخصية، بس أنا  
كربية قبل ما أكون مديرة للمكان ده يهمني نفسية الأطفال جدًا  
سألها متعجبًا وقد رفع حاجبه للأعلى:  
-وده ايه علاقته بيا؟

أجابته بحذر:

-اللي فهمته من كلامك إن يحيى قاعد معاك انت، صح؟

-أيوه

طب هل بيشفوف والدته بانتظام؟

لوى ثغره للجانب وهو يجيبها بامتعاض:

مش دايمًا

تابعت مبررة تصرفه:

جائز يكون محتاجها وخايف يقولك ده لأحسن ترفض

رد معترضًا بعصبية على اتهامها الضمني بكونه يسبب نوع من الهلع لصغيره:

ماعمروش طلب مني إنه يشوفها وأنا قولتله لأ، بلاش الطريقة دي معايا!

لاحظت انفعاله الظاهر في نبرته وإيماءاته فردت بإصرار:

-ممكن لأنك مش بتديله فرصة يعبر عن اللي جواه!

زفر بصوت مسموع رافضًا تلميحاتها الصريحة فأكملت بجدية:

-أرجوك لازم تراعي نفسية ابنك، لأن أحيانًا تصرفات الكبار بتأثر على

الأطفال بدون ما ياخدوا بالهم

هب من مكانه واقفًا معلنًا عن انتهاء مقابله معها وهو يرد باقتضاب:

-ربنا يسهل

نهضت هي الأخرى من مقعدها متابعة:

-واحنا مع حضرتك في أي مساعدة، في النهاية يجي ابننا كلنا

إن شاء الله

كانت نظراتها الموجهة إليه تشير إلى اعتقادها بأنه السبب في حالة ابنه،  
واستنكر هو تلك الاتهامات لكونه لا ييخل عنه بشيء، أشارت له بكفها نحو  
باب غرفتها مكملة بنبرة رسمية:

-حضرتك تقدر تستلم الطفل من المشرفة برا

نظر لها بانزعاج وهو يرد بعبوس:

-متشكر!

للحظة طراً في باله اعتقاد ما، ظن أن طليقته تقف خلف ما حدث لابنه  
بصورة خفية، ربما جاءت من ورائه لمدرسته الخاصة وقامت بمقابلته وتلقيه  
تلك العبارات كجزء مكمل لخطتها الدنيئة في التودد إليه من جديد، اشتدت  
قساماته، واشتعلت نظراته من مجرد التفكير في ذلك الاعتقاد المثير  
للأعصاب، توقف مضطراً عن شحن غضبه داخله حينما رأى صغيره يدنو منه  
مع المشرفة، انحنى ليحمله مقبلاً وجنته بحنو وهو يسأله:

-مالك يا بطل؟

طوق يحيى عنقه بذراعيه محبباً وجهه فيه وهو يرد بصوت مبحوح:

-بابي!

أبعد دياب رأسه المختبيء عنه ليحدق في عينيه مردداً بجدية:

-بطل تعيط بقى، أنا هاخذك البيت!

تعلق يحيى أكثر به، وهمس بصوته المرتجف:

عاوز ماي!

رد بامتعاض:

حاضر هاخليك تشوفها!

تحرك به حاملاً إياه إلى خارج مبنى المدرسة كاظماً ضيقه في صدره ومداعباً له بود محجب كي يخفف من حدة بكائه.

.....

كاد يفتك بها ألم رأسها رغم تناولها العديد من الوصفات الطبية المسكنة للأوجاع، لكن لا نتيجة طيبة معها، فاضطرت أن ترتدي عباءتها لتذهب إلى أقرب مستوصف طبي وتصحب رضيعتها معها للخارج، سألتها عواطف باهتمام:

-لابسة ورايحة على فين كده؟

ردت بتذمر وهي تنظر لها بامتعاض:

-كويس إن في حد معبرني في البيت ده!

استنكرت أسلوبها التهمي قائلة:

-لا حول ولا قوة إلا بالله، مش لازم كل ما نسالك تردي علينا بالطريقة دي!

صاحت بجدة واضحة مشيرة بيدها:

-أنا كده ومش هاتغير، واللي مش عاجبه يشرب من البحر!

ده سؤال عادي يا نيرمين، لازمها ايه المندبة دي

-رايحة أطعم البت!

سألتها باهتمام:

هو ميعاد تطعيمها جه؟

أجابتها نيرمين يا يجاز:

أه!

أشارت لها بيدها متابعة:

طيب استني ألبس وأجي معاكى و...

قاطعها مرددة بوجوم:

لأ خليكى مرتاحة، كفاية عليكى الهانم اللي واكلتة الجو كله!

مطت عواطف شفيتها بضيق بائن على محياها، وتهدت قائلة:

روحي يا بنتي ربنا يسهلك طريقك!

اتجهت ناحية باب المنزل صافقة إياه بقوة خلفها، فخرجت بسمة من الغرفة

متسائلة بفضول:

هو مين نزل؟

أجابتها بضجر مشيرة بعينيها:

دي نيرمين هاتطعم رنا

هزت رأسها بعدم أكثرات وهي تضيف:

أها، طيب يا ماما في حاجات ناقصة لأسيف و....

لم تكمل جملتها بسبب إحاطة والدتها لها وضمها لصدرها بجنو زائد عن المعهود،  
تفاجأت مما فعلته متسائلة:

الله! بتحضيني ليه!؟!

رفعت عواطف يديها على وجه ابنتها، ومسحت عليه برفق وهي تجيها بعاطفة  
ظاهرة في نبرتها:

اوعي يا بنتي تخلي حاجة تفهرك ولا تجبرك تكوني زي أختك، اتني غيرها،  
وربنا ليه حكمة في اللي بيحصل لكل واحد!

صدمت مما تفوهت به، فرمشت بعينها باضطراب، وارتبكت لوهلة من كلماتها  
الموحية، سألتها بتوتر:

هاه.. ليه بتقولي كده؟

ابتسمت لها مبررة:

أنا سمعت كل حاجة، وعرفت بموضوع دياب واللي حصل في غيابنا!

نكست بسمة رأسها حرجًا من والدتها، وأخرجت تهيدة عميقة من صدرها  
رافضة الحديث، تابعت عواطف هاتفة بتهمل مطمئن:

أنا مش هعاتبك وأقولك ليه ماحكيتش معايا، بس هانصحك تختاري اللي  
قلبك يرتاحه!



رفعت عينها في وجهها محدقة فيها بارتباك، فواصلت أمها مؤكدة:

اختاري البني آدم اللي تحسي معاه إنه راجلك، سندك في الدنيا، يقدر  
يحميكي ويصونك، وأوعي تفكري إن كل الرجالة زي بعض، نيرمين نصيها كان  
كده، بس اتتي أعقل واشتغلتني وشوفتي ناس كثير، واللي شاركي يا بنتي  
عمره ما هيفرط فيكي!

لعبت عباراتها المنتقاة بحسن نية دورًا في التأثير على نفسها المضطربة، ربما  
ليس كبيرًا، لكنها كانت بحاجة إلى مثل ذلك الدعم الإيجابي المشجع لتفكر  
بذهن صافٍ في اختياراتها المستقبلية.

.....

لاحقًا، عاد به إلى المنزل قبل أن يذهب للوكالة، وحاول أن يستشف منه ما  
حدث له ليبدو عنيدًا بتلك الطريقة الغريبة لكنه رفض التجاوب معه، اعتقد  
أنه أسلوب جديد يلجأ إليه بإيعاز من والدته للضغط عليه، فعنفه بعصبية:

يا ابني انطق مالك!!

صرخ الصغير مفزوعًا منه مستعيدًا في مخيلته نظرات ناصر المهلكة، زادت  
رجفته من صياح أبيه المخيف، وركض ناحية جده ليحتمي به، أشفق طه على  
حفيده، وأحاطه بذراعه قائلاً بهدوء رزين:

بس يا يحيى، مافيش راجل بيعيط!

حاوط الصغير خصر جده بذراعيه مخبئًا رأسه فيه وهو يقول يبكاء مختنق:

أنا عاوز مامي!

مسح طه على رأسه وظهره برفق عله يهدأ قليلاً خاصة أنه استشعر تلك  
الرعشة المريبة المسيطرة عليه، وهتف قائلاً بصرامة:

هنجيبهالك، بس اسكت الأول!

اغتاظ دياب من دلالة الزائد مع والده، وكأنه يستعطفه ببيكائه ليرضخ له  
مستسلماً، لم يتحمل تماديه في الأمر أكثر من ذلك، لذا هدر به بانفعال واضح:

شايف طريقته، طبعاً بنت ال..... قلبت الواد عليا!

ارتجف يحيى من أسلوب والده الهجومي، فالتصق أكثر بجده صائحاً بفرع:

جدو أنا خايف!

حدج طه ابنه بنظرات نارية مستنكرة انفعاله الغير مبرر على طفله، ورد  
بصلابة ليطمئنه:

متخافش، محدش هايملك حاجة

أشار دياب بسبابته مهدداً:

قسماً بالله لو ما سكت لهاقوم أعجنه!

تدخلت جليلة في الحوار على إثر صراخه الهادر قائلة بتحذير:

بالراحة يا دياب مش كده!

لوح بذراعه في الهواء هاتفاً بنفاذ صبر وقد استشاطت نظراته:

أنا مش ناقص نكد وقرف!

بررت والدته سبب بكائه قائلة:

ما تصبر جازي في حاجة تعباه!

رفض تصديق اعتقادها قائلاً باحتجاج قوي:

-بيخيل عليك الكلام ده، يا أماه هي أكيد قابلته من ورايا، ماهو مش

هايتقلب كده من الباب للطاق!

زمت فها قليلاً، ثم تابعت:

-خلاص أنا هاكلم أمه أخليها تيجي تشوفه هنا

هنا خرج طه عن صمته الهاديء صائحاً بصلاية مهددة وهو يضرب بعكازه  
الأرضية:

-أنا قايل رجلها ماتعتبش هنا يا جليلة!

التفتت ناحيته قائلة بتوجس:

-حاضر يا حاج، هانشوف حته تقعد فيها برا!

زفر دياب بصوت مسموع، ثم تحرك صوب باب المنزل هادراً بزجرة:

-اصرفوا، بس أنا مش عاوز أشوف خلقة أمها! سيرتها بتحرق الدم!

ردت قائلة باستياء:

-ماشي، الواد معايا، اهدوا بس وهاتصرف!

جرجرت ساقها نحو المقعد الشاغر في الزاوية بعد أن حجزت موعدًا مع  
الطبيب المتواجد بالمستوصف الطبي، مررت أنظارها الحادة على أوجه  
الجالسين حولها مبدية نفورها من كل شيء، بكت رضيعتها فهدتها بعصبية  
مما جعل المرأة الجالسة بجوارها تهتف محذرة:

حاسبي البت، مش هاتسكت كده!

ردت نيرمين بضجر وهي ترفعها على كتفها:

قلبي انتهى معاها، ومش بتبطل عياط!

أضافت المرأة قائلة:

جايز بطنها منفوخة!

هزت رأسها مرددة باستياء:

-والله أنا اللي دماغي هتنفجر مني من أم الصداق اللي مش عاوز يسويه

-بيقولوا الضاكتور هنا شاطر، وكل اللي بيجي عنده بيطيب بفضل الله

-يسمع منك ربنا!

انتهت لصوت الممرضة الصائح بنبرة عالية:

-اتفضلي يا مدام نيرمين، ده دورك!

نهضت من مقعدها بتثاقل قائلة بفتور:

شكرًا!

ولجت إلى داخل غرفة الكشف بصحبة ممرضة أخرى، وألقت بثقل جسدها المتعب على المقعد متهدة يارهاق واضح، تفرس الطبيب في وجهها متسائلًا بجمود:

خير، إيه اللي تاعب حضرتك؟

وضعت يدها على رأسها موضحة:

صداع أديله فترة يروح ويجي، بس بقاله يومين مش سايب دماغني!

سألها الطبيب مستفهمًا:

هو إيتي عندك جيوب أنفية؟

قطبت جبينها مرددة بتساؤل حائر:

دي ايه دي؟

أجابها الطبيب مفسرًا:

نوع من أنواع الحساسية بتسبب التهابات و....

قاطعته متهدة بتذمر:

يا دكتور أنا مش عاوزة رغي كثير، أنا عاوزة دوا وعلاج، جبت أخري

خلاص وتعبت!

رد عليها معترضًا:

ماهو ماينفعش اكتبلك دوا من غير ما أشخص صح!

-وايه المطلوب؟

عاوز إشاعة مقطعية على المخ، في مركز في زهرنا متخصص في الأشعة،  
والأسعار معقولة فيه!

ماشى

أضاف مؤكداً بشدة:

-وقت ما تطلع يا ريت تجهيالي أطلع عليها

سألته بإلحاح وهي تربت على ظهر رضيعتها:

طيب والصداع؟

رد الطبيب بنبرة رسمية وهو يدون شيء ما في الورق الموضوع أمامه:

هاكتبلك على مسكن مؤقت، بس بأكد عليكى تجيلى وقت ما الأشعة تظهر

ماشى

شرفتيننا، وألف سلامة

-كتر خيرك!

خرجت بعدها من غرفة كشفه محدقة في الوصفة الطبية التي أعطها لها،

طوتها لتضعها في حافظة نقودها، وهتفت محدثة نفسها:

أما أشوف بالمرّة موضوع الأشعة ده! خليني أخلص!

.....

بدا متوتراً تلك المرة بشكل كبير رغم اعتياده على تنفيذ تلك المهام الغير قانونية، لكن تلك المرة مختلفة، فالمبلغ المعروض عليه نظير إتمامها مغري للغاية، تسلل بحذر نحو المنفذ الجمركي مترقباً بأعين كالصقر اللحظة المناسبة للتحرك والخروج منه، تنفس بصوت مسموع ماسحاً حبات العرق الغزيرة من على جبينه.

تأكد حاتم من هدوء الأجواء فاستعد للتحرك بحرص لكنه شعر بألم موجه على كتفه مصحوباً بصوت أجش خشن:

على فين؟

التفت برأسه للجانب متسائلاً بنبرة مدعورة:

انت مين؟

نظر له الضابط بقوة متسائلاً بجمود متهم:

معاك ايه بقي؟

خمن هويته سريعاً بعدما جاب بأنظاره ثيابه الرسمية، بالإضافة إلى هؤلاء الرجال المحيطين به، ارتجفت نبرته للغاية وهو يجيبه بتلعثم:

أنا.. مش معايا حاجة، ده أنا طالع أركب مكروباص و....

قاطع الضابط ساخراً:

علينا يا حاتم

صدم من معرفته لهويته، فسأله بنزق:

-انت عرفت اسمي منين؟

أجابه مبتسمًا ابتسامة انتصار وهو ينظر له بتفاخر:

ده انت متوصي عليك جامد!

انفرت شفتاه للأسفل بهلع كبير، فتابع الضابط متسائلًا:

-ورينا مهرب إيه المرادي يا نجم!

اهتز جسده من فرط الخوف، باتت نهايته وشيكة إن اكتشف ما معه،

جاهد ليخفي توتره الكبير لكنه فشل كليًا، أكل الضابط بتشف:

-ماهو كله اتكشف خلاص، واللي مشغلينك اتمسكوا معاك!

هنا أدرك الحقيقة المريرة، مصير مظلم خلف القضبان الموحشة في انتظاره،

فتمتم مع نفسه مصدومًا:

-روحت في داهية يا حاتم!

.....

رفض الخروج من الغرفة لرؤية والدته بعد ترتيب مقابلة معها في أحد المطاعم القريبة من المنزل، وظل يبكي بصورة هستيرية أصابت جدته بالاستياء، مال



تفكيرها نحو اعتقاد ابنها بأنها بالفعل طريقة مفتعلة من ولاء للضغط عليهم لكي تأتي إلى المنزل بنفسها، تهتت يائسة من إجباره على النهوض وتركته في فراشه بصحبة أروى التي كانت تضمه إليها وتلاعبه بلطف.

سألها دياب مغتاظًا وهي تلج من الغرفة:

لسه الواد ده بيعيط؟

أجابته بصوت حزين مستاء وهي تضم كفيها إلى صدرها:

قلبه انظر يا حبة عيني من العياط!

صاح بعصبية:

مش بأقولك أمه معيبة دماغه!

تساءلت بحيرة وهي تضع إصبعها على طرف ذقنها:

بس امتي عملت ده؟ أنا مراقبة يجي كويس و....

قاطعها قائلاً بحدة:

جائز قابلته في المدرسة من وراانا واتفقت معاه على كده

اندهشت من تفكيرها قائلة باستغراب كبير:

بس هو ده ينفع؟

رد بتجهم شرس:

مين هايمنعها، ماهي أمه ومن حقها تشوفه، وهاتلعب على الحتة دي!

-بنت الايه!

صاح دياب مهدداً بنبرة شرسة:

حطب يمين على يمين اللي خلفوها ماهتشوف ضافره ولا هتدخل هنا!  
توجست جليلة خيفة من تهور ابنها خلال عصبيته الزائدة، فاستعطفته بحذر:

-وطي صوتك، الواد مش مستحمل صريخ!

رد عليها باهتياج جامح ملوحاً بذراعه في الهواء:

-يتنيل على عينه وهو طالع لأمه كده

استنكرت إساءته للصغير الذي لا ذنب له في خلافات والديه، وعنفته بعتاب  
صريخ:

حرام عليك! ماتقولش كده عنه، ده حتت سكرة، ربنا يحميه ويحافظ عليه!

انزعج من نفسه لتجاوزه في انفعالاته مع ابنه، فانسحب من المكان قبل أن  
يتمادى ويفعل ما لا يحمد عقباه في لحظة غضب طائشة.

.....

علقت حقيبة يدها على كتفها وهي تهبط الدرج مشغولة البال في ترتيب  
أولويات ما تحتاج لشرائه، لم تنتبه لشخصه الذي كان يصعد في نفس الوقت  
الدرجات ليقابلها، فقد اشتاقت لها عيناه وأراد إشباع شغفه بها ولو بالقليل

حتى يحين موعد زفافهما، حدق فيها متعجبًا شرودها الذي جعلها لا تلاحظه  
معتقدة أنه شخص غريب، سد عليها الطريق متسائلًا بعتاب:

للدرجادي مش شيفاني!

انفضت في مكانها مصدومة من رؤيته أمامها، واصبطغ وجهها بحمرة كبيرة  
متحرجة من نظراته المعاتبة لها، ردت مدافعة بذهول:

منذر! أنا.. والله ماشوفتك

ارتفع حاجباه للأعلى هامسًا بابتسامة لطيفة:

قولتي ايه؟

خشيت أن تكون قد أخرجته بعدم انتباهها له، فتابعت معللة بتوتر:

أنا دماغي فيها حاجات كثير، وملبوخة و...

أمسك بيدها لتتوقف عن الكلام محدقة فيه بنجل، طالعها بنظرات عاشقة

متشوقة إليها، داعب أصابعها بأنامله وهو يهمس لها بتوسل متميم:

أمانة عليكى تقولي اسمي تاني، ده أنا ريقى نشف عقبال ما أخذ منك كلمة

حلوة!

حاولت سحب يدها منه هامسة بارتباك كبير:

أحنا على السلم!

سألها بتسلية:

-وده يمنع؟

ردت بنجل مشوق:

-الجيران يشوفونا و...

أمسك بيدها الأخرى لتصبح أسيرة كفيه، وسألها بهدوء:

-وده ايه علاقة بالاسم؟ أكسي فيا ثواب!

توترت من غزله المهلك لأعصابها فهمست بخوف وهي تتلفت حولها:

-منذر!

تهد بجرارة متابعًا باشتياق:

هو فاضل أد ايه عشان نتجوز؟

سحبت يديها منه لتضمها معًا وهي ترمش بعينيها، بينما حك هو رأسه ومؤخرة

عنقه مضيئًا بتساؤل:

-نازلة لوحدك؟

أجابته ببساطة:

-لأ عمتي جاية ورايا، أنا بس سبقتها!

طيب استني أوصلك

مالوش لزوم، احنا مش هنتأخر

تعجب من عدم انتباهها للأمر جيدًا، فقد أتى خصيصًا من أجلها، وهي تتركه هكذا دون أن يرتوي من حبها الذي يتوق إليه، فعاتبها بامتعاض قليل:  
حطب ده أنا جايلك على فكرة!

شبهت مصدومة من تصرفها اللفظ معترفة بمحدودية تفكيرها، لقد انشغلت بصورة كبيرة لدرجة جعلتها تغفل عن أبسط الأمور، شعرت بخطئها فاعتذرت بتلهف متوسلة السماح منه:

أسفة والله، مخدتش بالي خالص!

عضت على شفها السفلى مبدية ندمها الشديد، لكنه لم يتأدى أكثر في عتابه، هو أراد فقط لفت أنظارها لوجوده، لذلك ابتسم لها بود وهو يقول:  
خلاص محصلش حاجة يا حبيبتى، اهدي!

أرادت أن تعوضه عن غفلتها المؤقتة، فدار ببالها شيء متهور، لكنها واثقة من نتائج الفعالة التي ستمحو أثر أي شيء، وبلا تردد حسمت أمرها وتجرات أكثر، شعرت أسيف بدقات قلبها تتسابق حتى بات صوتها مسموعًا وهي تنحني برأسها على صدغه لتضع قبلة رقيقة عليه أصابته بالذهول التام، همست له بنعومة مغرية:

أسفة!

تجمد في مكانه مشدوهاً من حركتها تلك محققًا فيها بأعينه اللامعة ببريق الحب، بينما انسلت من أمامه سريعًا لتكمل هبوطها على الدرج هاربة منه، هي

تركه على أعتاب أبواب الاشتياق المتلهف لها مضاعفة رغبته أكثر فيها،  
 تعلق أنظاره بها وتدرجياً زادت ابتسامته المشوقة من تصرفاتها المحفزة  
 لمشاعره.....

.....

## الفصل الثمانون:

لا تعرف ما الذي أصابها لترتكب مثل ذلك التصرف الجامح معه وتعطيه لمحة  
 سريعة من سعادة مضاعفة سينغمس عما قريب في أنهرها، فهو يستحق ذلك  
 بعد مواقفه الرجولية معها، هبطت الدرج سريعاً لكنها تسمرت في مكانها حينما  
 رأت وجهها المتجهم أمامها وأعينها المحتقنة تطالعها بنظراتٍ محتدة للغاية،

ازدردت ريقها بتوتر، حتما هي رأتهما معًا، وبالطبع لن تفوت الفرصة لتثير  
مشكلة ما، وحدث ما كانت تخشاه، هدرت نيرمين بصوت مرتفع يحمل الغل:

-الله الله! ده القوالب نامت والإنصاص قامت!

ضيقت عينها أكثر لتصبح أكثر شراسة وهي تكمل:

حطب اعلمي اعتبار للناس اللي لموكي في بيتهم!

انكشيت أسيف على نفسها خوفًا من الفضاخ التي ستنال من سمعتها على يد  
تلك الحقودة، كانت كلماتها الموحية ونظراتها المظلمة تؤكد نيتها في إحداث كارثة  
بكافة المقاييس، ندمت على تهورها وتماديها في تصرفاتها في لحظة جنون جامحة  
فقدمت لها فرصة على طبق من ذهب لتنهش فيها، رغمًا عنها ارتجف جسدها  
مما سيصير لها، كما بدأت العبرات بالتجمع والتراقص في مقلتيها، وقبل أن  
تضيف بلسانها اللاذع اتهامات أخرى مسيئة ظهر أمامها منذر الذي هدر بها  
بقوة متصلبة:

عندك! كلمة زيادة وهاقص لسانك!

وضع قبضته على ذراع أسيف ليجذبها خلفه ليشكل بجسده المهيب درعًا  
يحميها من أي إساءة قد تطالها منها، حبست نيرمين كلماتها المغلولة في جوفها  
مرتعدة من تهديده الصريح ضامة لرضيعتها بذراعيها متخذة إياها وسيلة للذود  
عنها، استمر هو في الدفاع عن زوجته قائلاً:

مراقي وأنا حر معاها، وأي حد يفكر بس يجيب سيرتها بكلمة أدبجه!

رمقها بنظرات احتقارية وهو يتابع بازدياء:

-وخصوصًا لو كانت اتتي!

استشعرت الإهانة من جملته الأخيرة، فزاد حنقها منه، ردت عليه بغضب:

-بس مش كده، ولا انت نسيت الأصول يا ابن الحاج طه؟!

وقف قبالتها يطالعها بنظرات مشتعلة على الأخير وهو يرد بتشنج:

-أنا عارف حدودي كويس، وكلها كام يوم وأسيف هتبقى في بيتي!

ضغط على جرح قلبها الذي لم يندمل بعد بتكراره تلك الحقيقة المريرة، أنها زوجته، وأنه فضلها عليها، فحاولت أن تلمم كرامتها المبعثرة صائحة بتهمك مسيء:

-ولما ده يحصل يبقى نحفظ أدبنا يا ابن الأصول، بس اللوم مش عليك، ماهو التفاحة المعطوبة بتبوظ القفص كله!

كتمت أسيف شهقاتها الباكية عاجزة عن الرد عليها، هي أعطتها الوسيلة لتفعل بها ما تشاء، رفع مندر كفه عاليًا في الهواء مهددًا بصنعها وهو يقول بانفعال هائج:

-خرسي بدل ما.....

خشيت أسيف أن يضرها فيعقد الأمور أكثر، فانقبض قلبها بدقات عنيفة واندفعت بلا تردد نحوه ممسكة بكفه المرتفع في الهواء هاتفة بتوسلٍ بالك مقاطعة جملته:

-مندر!



تراجعت نيرمين خطوة للخلف مصدومة من ردة فعله، كانت تتخيل أي شيء  
إلا أن يهددها علناً بالصفع، أعادت تلك الحركة ذكريات مشاهد مؤلمة في  
حياتها الماضية، ذكرتها بطليقتها ووحشيتها معها، انتفضت في مكانها وهي تسأله  
بذهول:

هاتمد ايديك عليا يا سي منذر؟

تشبثت أسيف أكثر في ذراعه مانعة إياه من تحريكه بكل ما أوتيت بقوة قبل  
أن يتهور عليها، بينما حرك هو جسده نحو تلك المقيمة هادراً بشراسة قاسية:  
-واقطم رقبتك لو غلطي!

توسلته أسيف باستعطاف راج:

عشان خاطرني بلاش، الناس هتتفرح علينا و...!

قاطعها ساحباً يده بعنف من قبضتها صائحاً بصرامة آمرة:

-ماتكلميش يا أسيف، واطلعي فوق!

ظنت نيرمين أنه سينتاول باليد عليها، فزاد احتماؤها برضيعتها التي انفجرت في  
البكاء بفعل الصراخ الحاد، ورد إلى ذهنها تصورًا مرعبًا بأنه مثل طليقتها  
سيذيقها ألواناً من العنف والشراسة المهلكة، فتصرفاته كلها تشير إلى ذلك،  
نفس الانفعالات، والنظرات، والتهديدات، ارتفعت نسبة الأدرينالين المتدفق  
في عروقه أضعافاً مضاعفة حتى لم يعد عقلها قادراً على استيعاب تلك الكمية  
المندفعة في خلاياه، تأججت حدة صداعها، وتشوشت الرؤية في عينيها، ترنخ

جسدها من كم الضغط الزائد عليها، وجاهدت لتحافظ على ثباتها رغم حالة  
الوهن التي غلفت خلاياها بالكامل.

سألته أسيف بتوجس مذعور:

ناوي تعمل فيها ايه؟

استخدمت كلتا يديها لتدير وجهه ناحيتها لتصرف تركيزه عنها متوسلة بأنين:

عشان خاطري اهدى، هي ماتقصدهش!

رد عليها بعصبية:

أنا أقسمت بالله و...

لمحت من طرف عينها اختلال توازن نيرمين، وتراخي ذراعها عن رضيعتها،

فانقبض قلبها بقوة كبيرة حتى ظنت أنه سيقتلع من مكانه من شدة رجفتها،

صاحت بهلع:

حاسبي يا نيرمين!

تركت قبضتها عن منذر مسرعة نحوها كي تمسك بها قبل أن يتهوى جسدها

وتسقط عن الدرج مع الرضيعة، انتفض هو الآخر في مكانه متحرگا صوبها كي

يمد لها يد العون ممسكًا بالصغيرة وهو يردد:

البت هاتقع!

تثاقل جسدها وخارت قواها فمادت بالأرض رغم محاولات أسيف عدم تركها،

بينما حمل منذر الرضيعة قائلاً بامتعاض:

حركة مفقوسة منك، فيلم هابط مفضوح، بس مش هتفلت مني!  
 أحست بتلك البرودة التي كست بشرتها، وبالشحوب المريب الذي سيطر  
 على وجهها فصاحت بفرع:  
 -لالالا، ده ايديها متلجة خالص!

ضربت على وجتها برفق محاولة إفاقتها بعد أن غابت عن الوعي مرددة بخوف  
 كبير:

-ردي عليا يا نيرمين، سمعاني، نيرمين فوقي، محدش هايملك حاجة!  
 نظر لها شزراً غير مقتنع بكل ما تفعله، وتمسك بكونها تمثيلية مصطنعة  
 للهروب من عقابه المحذر لها، أولها ظهرها محاولاً تهدئة الرضيعة التي لم  
 تتوقف عن الصراخ مطلقاً مبرطماً بكلمات ساخطة من بين شفثيه، هتفت فيه  
 أسيف بذعر:

-الحقها يا مندر، مش بترد خالص!

في تلك الأثناء هبطت عواطف الدرح بتريث فتفاجأت بتمدد ابنتها على  
 الأرضية فاقدة للوعي، شخصت أبصارها وجزع فؤادها خوفاً عليها لمجرد رؤيتها  
 على تلك الوضعية، أكلت هبوطها هاتفة بنبرة مرتعدة:

-نيرمين بنتي! ايه اللي حصلك؟

أسرعت نحو ابنتها تضمها إلى أحضانها بعد أن جثت أمامها على الأرضية تحذتها  
 بقلب أمومي مذعور، زفر مندر بصوت مسموع، وجمد أنظاره المغتظة عليها،

تيقن أنها لا تدعي ذلك بالباطل، بل هناك خطب ما بها، وبامتعاض واضح  
عليه صاح بصيغة آمرة:

خذي البنت، حاسبي يا أسيف!  
رفعت رأسها نحوه متسائلة بتخوف:

هاتعمل ايه؟

أجابها بصلافة وهو يميل نحوها بالرضيعة الباكية:  
هاطلعيها لفوق!

نهضت من مكانها محتضنة الصغيرة بذراعيها محاولة تهدئتها برفق، بينما انحنى  
للأسفل حاملاً نيرمين بين ذراعيه ليتجه بها إلى الطابق العلوي حيث منزلها،  
تساءلت عواطف بخوف:

مالها؟ جرالها ايه؟

أجابتها أسيف بتردد:

وقعت... على السلم وكنا بنحاول نفوقها

ردت عليها عمتها بتلهف مذعور وهي تربت على صدرها بحركات متكررة:

استرها يارب، قومها بالسلامة عشان خاطر بنتها!

.....

خلاص! غلبت وجبت أخري معاه!

هتفت جليلة بتلك العبارة وهي تضرب فخذيها بانفعال طفيف بعد فشلها في  
إجبار الصغير على الذهاب معها لرؤية والدته كما كان يلح طوال اليوم، نظر  
لها زوجها بجمود قائلاً بحيرة:

-الواد ده مش طبيعي!

وضعت إصبعيها على طرف ذقنها متابعة بتوجس:

-أنا خايفة أقول لأبوه يتهبل عليه، ده ممكن يموته في ايده لو...

قاطعها طه هاتفاً بصوته الخشن:

-لا، مافيش داعي!

سألته بحيرة واضحة على محياها:

حطب والعمل؟ هانخلي المحروسة تجيله هنا؟!

زفر مستاءً من ذكر اسم تلك اللعينة التي أفسدت حياة ابنه، ثم رد بحدة  
صارمة:

-استغفر الله العظيم يا رب، أنا قولت ايه؟

أشارت بيدها قائلة بقلة حيلة:

حطب ماهو على يدك؟ أنا عمالة أتحايل عليه من صباحية ربنا وهو راكب  
دماغه وهاري نفسه من العياط لحد ما في الآخر تعب ونام!

أشفق على حاله البائس، ثم استند بكفيه على رأس عكازه متسائلاً باهتمام:

-والبت أروى لسه معاه؟

أجابته بتنهيده حزينة:

-مش عاوزة تسييه، وهو متشعبط في رقبتها، أهى تاخد بالها منه!

نهض طه من مكانه واقفاً ثم أوماً بعينه متابعاً بنبرة رزينة:

-عمومًا أنا هاشوف الموضوع ده مع دياب، أكيد هايكون ليه حل!

زادت نبرته صرامة وهو يكمل محذرًا:

-بس البت دي مش هاتعتب هنا يا جلييلة، سمعاني! مش هاتدخل هنا في غيايبي!

هزت رأسها ممتثلة لأمره وهي تقول:

-أوامرك يا حاج! هو أنا أقدر أعصيك كلمة؟!

مط فمه مكملًا بجمود:

-أما أشوف، أنا نازل الوكالة!

نهضت من مكانها بتثاقل لتتبعه بخطى متريثة وهي تردد:

-ربنا معاك ويعينك يا حاج طه!

.....

أسندها برفق على الفراش واضعاً رأسها على الوسادة، ورغم انزعاجها من أسلوبها الفظ والفج في الإساءة إليها إلا أنها أرادت الاطمئنان على حالها، خاصة أن إغماءتها كانت مقلقة نوعاً ما، تراجع منذر بجذر للخلف ليترك المجال لأختها لتدثرها بالغطاء كي لا ينكشف جسدها، أبعد عينيه عنها، ووقف بالخلف قائلاً بثبات واثق:

دلوقتي تفوق وتبقى كويسة!

هدهدت أسيف الرضيعة حتى سكنت تماماً وغفت في أحضانها، بينما تساءلت بسمة باستغراب كبير وهي توزع أنظارها بينهم:

هو حصلها ايه؟

أجابها منذر بهدوء حذر:

غميت على السلم

هتفت عواطف بامتنان وهي تمسح على جبين ابنتها الغافية:

الحمد لله إنكم كنتم موجودين ولحقتوها!

ثبتت أنظارها على ابنة أخيها متابعة بود حنون:

الله أعلم كان ممكن يحصل ايه لو محدش شافها، ولا بنتها رنا، مش قادرة أتخيل!

عجزت أسيف عن الرد عليها، شعرت أنها لا تستحق ذلك الشكر والعرفان بالجميل، بل على العكس هي كانت المتسببة في إيذائها بصورة غير مباشرة،

نكست رأسها نجلاً منها شاعرة بالخزي لكونها قد لجأت للكذب، وأخفت  
حقيقة الأمر عنها، حينما طال صمتها ردت بسمة بجدية:  
قدر ولطف يا ماما!

ناولت أسيف الرضيعة لابنة عمها برفق، ثم أسرعت هاربة من أمام عمها التي  
خذلتها شاعرة باختناق كبير في صدرها، استشعر منذر ما بها، فلحق بها  
بخطوات متمهلة، رآها تلقي بجسدها على أقرب أريكة مخبئة وجهها بين راحتها،  
وقف خلفها واضعاً كفه على كتفها متسائلاً بقلق:

مالك يا حبيتي؟

أجابته بصوت خفيض لكنه كان مختنقاً بشدة:

أنا وحشة أوي، أنا اللي عملت فيها كده، أنا لو...

وضع يده الأخرى على كتفها، ثم بدأ في تدليكها برفق كمحاولة منه لتهدئة  
أعصابها المشدودة، وقاطعها بهدوء:

ماتكمليش، هي اللي غلطت، ومش من حقها تكلم بالباطل عن حد

شعرت بأنامله القوية تفرقع فقراتها المتيبسة فاسترخى كتفها إلى حد ما، لكن  
بقيت أعصابها متوترة، ردت عليه بارتباك:

بس كان ممكن....

مال عليها برأسه ليهمس لها بجدية مجبراً إياها على قطم عبارتها:



خلاص، اللي حصل حصل!

شعرت بأنفاسه الساخنة تلفح أذنها، فاقشعر بدنها من تأثيره القوي عليها، خاصة أنه لم يتوقف عن تدليك كتفها، أكمل منذر بهدوء:

ارمي ورا ضهرك يا حبيبتى وما تفكريش فيها كثير!

أغمضت عينها مستسلمة لذلك الشعور الرهيب الذي اجتاح خلاياها ليصيبها بالسكينة، وزاد تأثيره مع كلماته المتغزلة بها حينما قال:

أسيف، إتي طيبة وحنية، ومش كل الناس تفكيرها زيك، ولا قلبهم حنين، فاهدي وفكري في نفسك شوية!

أخرجت تهيدة عميقة من صدرها أراحتها قليلاً، يكفيها حالياً ذلك الإحساس المخدر لتوترها المتشنج، ابتسم لتجاوبها معه ولنجاحه في إزالة حزنها تاركاً أثرًا مشوقًا بداخلها، همس لها بتسلية:

ما فيش تصبيرة كده، أنا تعبت جامد وطالع وشايل و...

فهمت مقصده على الفور فتورد وجهها كلياً بجمرة طاغية، هبت واقفة من مكانها مبتعدة عنه وهي تهز رأسها نافية:

تاني! لالا، أنا حرمت!

نظر لها عاقداً ما بين حاجبيه بعتاب وهو يقول:

-بقي كده؟

هزت رأسها مؤكدة رفضها تكرر ما حدث قائلة باقتضاب عابس:

-ايوه

وضع منذر يده على رأسه يحكه بضيق، ثم هتف ممتعضًا:

-يعني الحكاية وقفت عليا بخسارة!

ابتسمت بنجل وهي تطالعه بأعين لامعة بريق العشق، ثم أسرعت مبتعدة عنه قبل أن يتهور معها بأفعال أخرى قد تورطها من جديد.

.....

أفاقت من إغمائها لتجد والدتها جالسة إلى جوارها على الفراش تحاول إطعامها ذلك الحساء الساخن لكي تستعيد دمويتها من جديد، ملت نيرمين من ارتشافه، فأزاحت الصحن بعيدًا عنها وهي تقول بصوت شبه متحشرح:  
أنا بقيت كويسة! كفاية!

أصرت عواطف على إنهاء الحساء كي تنعم بفائدته الكلية هاتفة:

حطب كمي الشورية دي و...

ردت مقاطعة بتذمر:

يا أمي مش عاوزه خلاص، شبعت!

أسندت الصحن في الصينية جامعة بواقي الطعام فيه، تهتت بتعب وهي تضيف:

-الحمد لله إنها عدت على خير، ده أنا قلبي كان موجوع عليكى إتني وبنتك!

لوت نيرمين ثغرها مرددة على مضض:

-أنا بقيت زي الجن أهوو!

أراحت جسدها للجانب متسائلة باهتمام قليل:

-بس مين جابني هنا؟

أجابتها عواطف بحماس واضح وهي تشير بيدها موضحة:

-ربنا يباركه سي مندر، هو اللي شالك وجابك و...

انفجرت شفتها للأسفل في صدمة، كما اتسعت حدقتها مذهولة من تصرفه،

هي لم تتوقع أن يفعل هذا معها، ورددت بعدم تصديق:

-بتقولي مين!

أكدت على ما قالتها مضيئة بامتنان:

-ايوه، مخلصوش تترمطي على السلام قدام اللي طالع واللي نازل! طول عمره

شهم وابن أصول!

أكتست عينها بجزن كبير وهي تهمس باستياء محبط من بين شفتها

العابستين:

كان فين ده من زمان، بعد ايه بقي!

لم تفهم والديها كلماتها الخفيضة، فسألته مهتمة:

-بتقولي ايه يا نيرمين؟

ردت عليها بامتعاض مخرجة تهيدة ثقيلة من صدرها:

-ولا حاجة! خليني أريح شوية، عاوزة أنام!

-ماشى، وأختك أكلت رنا وغيرتلها وهي نائمة

طيب

سحبت عواطف الصينية من على الفراش قائلة:

-هاتنزل احنا نكمل حاجات أسيف، مش عاوزة حاجة من تحت؟

أجابتها باقتضاب وهي تغمض عينيها بيأس جلي:

-لا!

شردت في محاولة تخيل كيف كانت بين ذراعيه، كم تمت تلك اللحظة آلاف  
المرات وفي كل مرة كانت تتوهم موقفاً مختلفاً يقرب بينهما، لكن لا جدوى الآن  
من كل ذلك، هو كسر قلبها، وحطم حلمها، وأباد عن عمد ما تبقى من رفات  
أحلامها، انسابت من طرف عيناها عبرة خائنة تحمل الكثير من أحزانها.

.....

تجولت ثلاثهن بذلك السوق الشعبي المليء بالكثير من المنتجات محلية الصنع  
وأخرى مستوردة من بلدان عدة، لم تعرف أسيف عنه مطلقاً، تفاجأت بكم  
البضائع المنوعة المتواجدة به، وأبدت إعجابها بأغلب ما رآته، هتفت بسمة  
بحماس:

-السوق ده بيقلوا في حاجات حلوة وبالجملة كمان؟

زاد انبهارها وهي تسألها بفضول كبير:

-واتي عرفتيه منين؟

أجابتها بنبرة عادية وهي تهز كتفها:

-زمايلي في الشغل كانوا بيحكوا عنه!

حدقت أسيف في واجهات المحال التجارية المختلفة محاولة اكتشاف بضائعهم المعروضة، وأغرتها التصميمات الجميلة الموضوعة على "موديلات" العرض، أكملت بسمه باهتمام:

ده غير إن في محلات فيها بواقي التصدير، وماركات آخر موديل، وحاجات مقولكيش تهبل!

-كل ده!

طبعا!

ردت عواطف بابتسامة عريضة:

يا ماشاء الله! ده أنا أول مرة أجي هنا!

على مسافة قريبة منهن، سارت متتبعة أثرهن وهي تنتوي شرا، لقد عاهدت نفسها أن ترد الصاع صاعين لطليقة ابنها نظير ما اجترته من أفعال مع ابنتها، لم

تبرد نارها بعد، وتأججت أكثر بإلقاء القبض على ابنها، أنبأها حدسها أنها تقف وراء ذلك، فحان وقت الانتقام من عائلتها، لذلك استأجرت عدة نساء ممن عرف عنهن القيام بأعمال البلطجة والعنف للاعتداء عليهن، وأتت فرصتها الثمينة.

تساءلت امرأة ما بصوت خشن مقلق:

هما دول؟

كزت لبني على أسنانها بغيظ وهي ترد:

أيوه، شوفتهم!

هزت المرأة رأسها كعلامة تأكيدية على جوابها، فتابعت مضيفة بنبرة عدائية:

عاوزة عضمهم يتكسر، متقوملهومش قومة! خدوا بتارنا منهم!

ردت المرأة قائلة بابتسامة خبيثة:

عينينا يا أم حاتم، دي شغلتنا!

لوحث بإصبعها لمن معها لتتبعها وهي تقول بصيغة أمر:

ياللا يا ولية منك ليها

تحركن سريعًا خلفهن، وسبقتن إحداهن لترتطم بجسدها عن عمد ببسمة، مما أجبز الأخيرة على التوقف من شدة الألم الذي أصاب كتفها، وقبل أن تعنفها

على تصرفها الأهوج، تفاجأت بتلك المرأة تصيح بها بصوت متعصب يحمل الإهانة:

مش تفتحي واتي ماشية، ولا اتعميتي!

اندهشت أسيف من طريقها الهجومية المتطاولة عليها، في حين فغرت بسمة شفيتها هاتفة باستنكار مزعوج:

هو أنا جيت جمبك؟ ولا ده جر شكل؟!

لكزتها المرأة من كنفها قائلة بحدة وقد قست نظراتها على الأخير:

لا بقي إتني قاصدة تجري شكلي

تدخلت عواطف بتوجس محاولة تهدئة الأجواء بينهما قبل أن تشتعل بمشادة كلامية، فهي أدري الناس بابنتها حينما تنهور، لذلك ردت قائلة:

معلش يا بنتي، الدنيا زحمة، والناس ماشية تخبط في بعض!

نظرت المرأة شزرًا لها هاتفة بسخط:

-يبقى تاخدي بالك بدل ما نقل أدبنا عليك!

صدمت عواطف من وقاحتها وعدم مراعاتها لفارق السن العمري بينهما، اغتاظت بسمة من طريقة تعاملها مع والدتها فردت بهم:

شكلها تلايح جت!

لم تنتبه ثلاثتهن لتلك الدائرة التي تشكلت حولهن من هؤلاء النسوة ليتمكن  
من التناول باليد عليهن حينما يتلقين الإشارة المناسبة، هتفت المرأة بصياح  
جمهوري ملوحة بذراعيها في الهواء:

-كمان بتغلطي فيا، أنا مش سيباكي النهاردة!

أعطت إشارة الهجوم لتبدأ النساء في الاعتداء عليهن من كل الاتجاهات،  
تفاجئن بما يصير معهن، وحاولن الدفاع عن أنفسهن على قدر المستطاع، تأزم  
الوضع، وزاد الصراخ المصحوب بالضربات الموجعة، استنجدت عواطف بمن  
حولها على أحدهم يتدخل ويفض ذلك الاشتباك المفتعل، فصاحت بصوت  
متألم:

-يا الهوي، الحقونا يا ناس!

تلقت أسيف ضربة مؤلمة على رأسها وأخرى عنيفة على ظهرها فتأوهت بألم  
شديد، وحاولت حماية وجهها من الخدوش الناجمة عن أظافر إحداهن صارخة  
بفرع:

-ساعدونا، آه!

صرخت بسمة مستغيثة:

-يا ناس حوشوهم عنا

صاحت المرأة هادرة وهي تجذب حجاب بسمة عن رأسها محاولة كشف  
شعرها:



يا بنت ال.....، أنا هاريكي يا.....!

قاومتها الأخيرة قدر المستطاع كي لا تظفر بحجابها هاتفة بصوت متألم:

سيبي طرحتي يا.....!

انتهت إحداهن لصوت الصراخ الصادر على مقربة من محلها، فاشرأبت بعنقها لترى أطرافه، ارتفع حاجباها للأعلى باندهاش عجيب حينما وقعت أعينها على معلمة ابنها، هتفت مصدومة:

-الله! ست الأبله!

لم تتردد أم منصور في الركض نحوها لمساعدتها تّوا، هي قدمت لها خدمة من قبل وساعدت ابنها، وحن الوقت لرد الجميل أيّا كان سببه، اندفعت وسطهن مقتحمة بجسدها أجسادهن المتكالبة عليهن لتمكن من الولوح بينهن وهي تصيح بصوتها الرنان:

عندك يا مَرّة منك ليها، الستات دول تبعي!

رفعت بسمة عينيها للأعلى لتجد أم منصور، نجدتها التي أتت من السماء لترود عنها بطشهن الظالم، فتوسلتها بصوت مختنق للغاية:

-الحقيني الله يكرمك!

أحاطتها بذراعها مانعة تلك النساء من الاستمرار في اعتدائهن هادرة بثقة جلية:

ما تخافيش، إتي في منطقتي هنا!

نجحت في فض الاشتباك بينهن بصياحات قوية مهددة للجميع، وبالطبع امتثلت النساء لها، فهن يعرفن إياها حق المعرفة، هي ذات سطوة في ذلك السوق الشعبي الكبير، والأغلب يعرف قدرها وقوتها، ومن يتجرأ عليها ويتحداها ينل عقابه منها، وقفت في المنتصف مشمرة عن ساعديها ومسلطة أنظارها على هؤلاء النسوة، هتفت المرأة بنبرة حادة:

لينا عندهم حق يا أم منصور!

هدرت فيها بنبرة قوية لا تحمل إلا الصرامة:

ولا حق ولا دياوله، بأقولك يا ولية الأبله دي وجماعتها تبعي! فهمتي ولا مخك تخين؟

فهمت من طريقتها المهددة تلميحا صريحا بعد المساس بها، ومخالفة أمرها يعني مشكلة جادة معها، ضغطت المرأة على شفيتها متممة بامتعاظ:

ماشي يا أم منصور، مش هنردلك كلمة!

تأوهت عواطف بأنين موجوع متحسسة جسدها الذي تورم بفعل الضربات العنيفة قائلة بخفوت وهي تمر أنظارها على أوجه تلك النساء المخيفات:

اه يا عضي، منهم لله، ورموا جسمي

تحسست أسيف كتفيها الموجوع برفق وهي تتساءل بعدم فهم:

مين دول أصلاً؟

أجابتها بسمة بحيرة وهي تعيد ضبط حجابها على رأسها بعد أن كان شبه منتزعا:

أنا مش عارفة هما مين، دي أول مرة أشوفهم!

التفتت أم منصور نحوها، وردت عليها بجدية شديدة:

يا ست الأبله النسوان دول شلاء، ولبش وحاجة تيبيت، يعني شكلهم  
متساطين عليكم!

قطبت بسمة جبينها باستغراب كبير عقب عبارتها المريبة تلك، هي لم تفتعل  
أي عداوات مؤخرًا ليلم التدبير لتلك المشاجرة الحادة، حدقت أمامها في الفراغ  
بنظرات ضائقة متسائلة بحيرة كبيرة:

بس يا ترى مين وزهم علينا.....!؟

.....

## الفصل الحادي والثمانون:

ظل تفكيرها مشغولاً بمحاولة تخمين هوية من يقف وراء تدبير حادثة الاعتداء عليهن، ليس الأمر عابراً كما ظنت في البداية، لكن هناك شخص خفي أراد إلحاق الأذى الجسيم بهن، وهذا الشخص على معرفة وطيدة بهن، وترى بتأن وجودهن في السوق الشعبي لينفذ خطته الماكرة، هداها تفكيرها المتعمق إلى زوجة الجزار، فقد توعدتها بالانتقام الشرس قبل فترة، وربما هي من لجأت إلى هؤلاء النسوة لتلقنها درساً عنيفاً، لم يخطر ببالها مطلقاً أن تكون الجانية هي حمة أختها السابقة، انتهى مشوارهن التسويقي قبل أن يبدأ ليعاودن أدراجهن إلى المنزل منهكين على الأخير.

تعجبت نيرمين من عودتهن باكراً، فتساءلت باستخفاف ساخر:

خير إن شاء الله، السوق شطب بدري، ولا جبتة ضلفه!

تهدت عواطف بانهاك وهي تجيبها بضجر:

-لأ يا فالحة، ده احنا اترمطنا هناك!

لوت ثغرها متسائلة بعبوس قوي:

ليه؟

أجابتها يارهاق وهي تدلك عظام كتفها:

-احنا اتكتبلنا عمر جديد، شوية ستات منعرفش مين جوم هجوموا علينا!

بدا الفضول واضحًا عليها لمعرفة التفاصيل أكثر، فسألتها باهتمام:

-وبعدين؟ كمي!

التقطت والدتها أنفاسها متابعة:

-ولولا ستر ربنا والست معرفة أختك بسمه كان زمانا روحنا في دوكة!

أنا مش فاهمة حاجة!

قالتها نيرمين بامتعاض ظاهر عليها، ثم هتفت قائلة وهي تجذبها من ذراعها نحو

الأريكة لتجلسها إلى جوارها:

-اقعدي كده وفهميني بالراحة إيه اللي حصل!

سردت لها مستخدمة ذراعها كوسيلة للتوضيح ما دار بالسوق الشعبي،

واستطاعت هي سريعًا أن تربط بين ما سمعته من تهديدات سابقة متوقعة

بالاعتداء الشرس على عائلتها من حماها اللعينة وبين ما حدث اليوم، هبت  
واقفة من مكانها هاتفة بلا وعي:

- بنت اللذينة عملتها؟

نظرت لها عواطف بغرابة متعجبة من تبدل أحوالها للانزعاج ونظراتها للحدة،  
فسألتها مستفهمة:

قصدك مين؟

أجابتها بغموض وقد قست نظراتها على الأخير:

- مافيش غيرها، كانت ناوية على كده

ضجرت والدتها من الحصول على إجابة واضحة منها، فهتفت بنفاذ صبر وهي  
تربت على فخذيها بتعب:

يا بت قولي مين؟!

تقوس فمها للجانب، وقطبت جبينها مبدية اشمئزازها الصريح قبل أن تنطق  
بنفور:

- الحيزونة أم البأف اللي كنت متجوزاه!

لطمت أمها على صدرها هاتفة بصدمة:

يانصيتي!

- وربنا ما أنا سيباها

وقفت عواطف على قدميها لتمسك بابنتها من ذراعها، أدارتها نحوها قائلة  
بجدية وهي تحذرهما:

خلاص يا بنتي، اللي حصل حصل، مش هانفضل نعيد ونزيد معاها، هي  
ولية شر، الله يسهلها بعيد عننا، كفاية مشاكل بقي، احنا معدناش  
مستحملين!

يا أماه دي....

-كفاية يا نيرمين!

اضطرت أن تستسلم لإلحاح والدتها، فزفرت قائلة باستياء رغم شراسة  
نظراتها:

ماشى.. هي ليها يومها بردك!

لاحقًا اتفق جميع من في المنزل على تناسي تلك الحادثة وعدم ذكرها مطلقًا كي  
لا تتسبب في افتعال مشاجرات حامية من جديد.

.....

مرت عدة أيام انشغلت فيها أسيف بالتحضيرات النهائية لزفافها الوشيك،  
وعاوتها بسمة بكل حيوية ونشاط مستمتعة معها بدور وصيفة العروس،  
سعدت عمها للتقارب الودي القوي بين الاثنتين، وتمنت لو كانت ابنتها  
الكبرى تشاركهن الفرحة، لكنها انزلت عنهن و انخرطت - دون علمهن - في

دوامة التحاليل الطبية والأشعة المختلفة لمعرفة أسباب مرضها المجهول، ومع ذلك لم تحصل على جواب كافٍ من طبيبها الذي كان يشك في مسألة ما. تبقى لها وضع النواقص الشخصية في حقيبة سفرها لتصبح جاهزة، تهتت بتعب بعد أن أعدت كافة متعلقاتها الخاصة، وقعت عينها على أشياء والدتها الراحلة، فمدت يدها لتمسك بكل منهم على حدا، تحسست حافظة نقودها وقربتها إليها لتشم رائحتها الجلدية، حدقت في هاتفها القديم، كم اشتاقت لسماع صوتها الذي كان يبعث على الدفء والراحة، نظرت إلى ما تبقى من أدويتها المسكنة، لم تتخل عنهم، بل احتفظت بهم لتذكرها بها، تحرك بؤبؤها نحو مسبحة والدها، فتلمستها برفق وأغمضت عينها لتستعيد صورته في مخيلتها، باتت ذكراها بعيدة عنها رغم رحيلها القريب، تجمعت العبرات في مقلتيها متأثرة بتفكيرها المشتاق لهما.

ولجت إليها بسمه مستغربة حالتها الواجمة تلك، فمررت نظراتها سريعاً على ما معها، تفهمت الأمر دون الحاجة إلى سؤالها، جلست إلى جوارها على طرف الفراش قائلة بهدوء:

هما في مكان أحسن دلوقتي، ادعيلهم بالرحمة  
مسحت تلك العبرات التي علقت بأهدابها وهي ترد:

-ربنا يجمعني بيهم في الجنة

ابتسمت بسمه مازحة محاولة تلطيف الأجواء:

يارب، وبعدين في عروسة تعيط قبل فرحها، ده حتى فال وحش!



ردت عليها مبتسمة ابتسامة باهتة قائلة:

حبيبتي يا بسمة، أنا مكوتنش متخيلة إن احنا هنبقى قريين أوي كده بعد  
المشاكل والخلافات اللي كانت بينا

سبحان الله، ما محبة إلا بعد عداوة

-ربنا يبسرلك كل أمورك يا بسمة!

تبادلت الاثنتان أحضانًا ودودة للحظات، ثم تراجعت أسيف للخلف متسائلة  
باهتمام:

-المهم إمتي فكرتي في اللي عاوزاه؟

أجابتها ابنة عمها بتنهيذة مطولة:

لسه محتارة! مش قادرة أخذ قرار، خايفة أوافق وأرجع أندم إني اتسرعت

ردت عليها أسيف بهدوء:

-خدي وقتك يا حبيبتي، وكلنا معاك!

هي مدركة لحالة التخبط الشديد في أفكارها، لتلك الصراعات الدائرة بين  
عقلها وقلها، وأي قرار متعجل قد يأتي بنتائج عكسية، لذلك من الأسلم حاليًا  
التأني في التفكير حتى تصل إلى قرارها الأخير.

.....

حالة من الخوف المستمر سيطرت على إداركه الحسي بصورة مقلقة حتى  
انعكست على أحلامه والتي ضمت كوابيسًا مفرقة فأرقت ليله الطويل بصراخ

خائف، ناهيك عن نهاره الباكي المفعم بالهلع والرعب، لم يتجاوب مع والده وظل في حالة رهبة دائمة منه مما اضطره لتجنبه كي لا يثور عليه بعد أن فقد أعصابه لأكثر من مرة معه، ورفض الصغير الحديث مطلقاً عما يخيفه.

اعتقدت جدته أن للأمر علاقة بأعمال السحر، وساورتها الشكوك حول وجود ميس سفلي به، باحت بهواجسها لزوجها الذي نهرها بتعنيف صارم:

-بطلي تخاريف يا ولية، جن ايه ده اللي هيركب الواد؟!!

ردت موضحة بنبرة مرتعدة:

يا حاج ده السحر مذكور في القرآن، وناس كثير حصلهم كده!

عبست قسماته بشدة، وهدر بها بانفعال طفيف:

-باقولك ايه، بلاش جنان

أصرت على اعتقادها مضيئة بدلائل محسوسة:

طب ماهو على يدك احنا جنباله الضاكتور وقال زي الفل، إنت مش

شايف عامل إزاي، ده زي ما يكون اتلمس من اللهم احفظنا و...

قاطعها طه بصلاية:

جلية! مش عاوز كلام في الموضوع ده، الواد هيبقى كويس

مصمست شفيتها قائلة بيأس:

يا ريت، هو أنا أكره!

استمع إلى جدالهما بانزعاج ظاهر على تعبيراته، فرك فروة رأسه بجيرة وهو  
يتنهد بصوت مسموع، التفت برأسه للجانب قائلاً يا حباط:

استغفر الله العظيم، أنا احترت ومش عارف أعمل ايه معاه!

احتدت نظراته أكثر وهو يكمل بغضب بائن في نبرته:

-بنت ال..... زقتني مع ابني، الواد خايف يبص في وشي، وأنا خلاص  
زهقت وقرفت!

رد عليه منذر بجدية مشيراً إلى لحظات تهوره المعروفة:

ما انت اتجنيت عليه أكثر من مرة!

برر دياب موقفه المتعصب قائلاً باستياء:

من غلبي، هو مش مريخي

فرك منذر طرف ذقنه مضيقاً بريية أزعجته هو الآخر:

-الغريبة إن ابنك رافض يشوف أمه!

رد عليه دياب بجدة:

وده هيطير برج من نافوخي، منين هي وحته عليا ومنين هو مش عاوز حتى

يخرج من الأوضة؟!!

صمت الاثنان للحظات يفكران في حل لتلك المعضلة التي تجاوزت الحدود،  
طراً ببال منذر فكرة ما، ظن أنها مناسبة إلى حد كبير، لذلك اقترح بلا تردد:

حطب أنا عندي حل جايز ينفعك

-ايه هو؟

-ما تكلم الأبله بتاعته!

انقعد ما بين حاجبي دياب باندهاش وهو يتساءل:

-قصدك مين؟

غمز له منذر من طرف عينه مبتسماً بعث:

-بسة!

ارتفع حاجبي الأخير للأعلى مبدئياً اندهاشه من ذلك الاقتراح المثير، ربما  
لوجوده في وسط المشاكل لم يستطع التفكير بذهنٍ صافٍ، وحجب عن عقله  
الكثير من الحلول الميسرة التي تضمنتها بالطبع، غفل عنها غير متعمد، تابع  
منذر موضحاً بجديّة:

-ابنك بيحبها ومتعلق بيها، وهي شاطرة مع العيال جايز تفهم منه ماله وترتاح!

تشكلت ابتسامة راضية على محياه هاتفاً:

-تصدق فكرة حلوة!

أضاف منذر بهدوء وهو يشير بيده:

-أنا رايح عند أسيف دلوقتي أجيب شنطها من هناك لهناء، تعالى معايا وكلمها!  
 -ماشي، هاغير هدومي على طول!  
 -وأنا مستنيك تحت!

وكان الدنيا قد ابتسمت له من جديد بمجرد ترديد اسمها، شعر دياب ببريق  
 الأمل يلوح في الأفق لكونها ستساعده بطريقة أو بأخرى، بالإضافة لكونها  
 فرصة طيبة لتبادل الحديث معها بعد أن عزفت عنه لأيام عدة، فباتت ليليه  
 طويلة جافة.

.....

ألقت بهاتفها المحمول على الفراش بعد تلقيها موعدًا جديدًا من الطبيب المتابع  
 لحالتها المرضية المجهولة، استاءت من كثرة طلباته ومن عدم جدوى علاجه  
 المؤقت، لم يفارقها الصداع، بل على العكس كان يتزايد باستمرار حتى بات  
 يؤثر على إبصارها، استمعت والدتها إلى صراخها المحتد، فولجت إلى الغرفة  
 متسائلة بتوجس:

-مالك يا نيرمين

لم تجبها بل بدأت تنوح بصوت مسموع مما جعل قلق والدتها يزداد عليها،  
 اقتربت منها متفرسة ذلك التبدل المريب في أحوالها، لفت أنظارها تلك  
 التحاليل الطبية الموضوعة على الفراش، فسألته بعدم فهم وهي تطالعهم  
 بنظرات حائرة:

دول ايه يا بنتي؟

أجابتها بنبرة مختنقة وهي تدفن وجهها بين راحتها:

أنا تعبانة ومحدث دريان بيا، خلاص قرفت من كل حاجة!

انقبض قلبها بقوة من جملتها تلك، وسألتها بتلهف:

تعبانة، بتشتكي من ايه؟

أبعدت يديها لتكشف عن وجهها الباكي، ثم أجابتها بتذمر:

مش عارفة لسه، وخلاص زهقت

احتضنت عواطف وجنة ابنتها بكفها قائلة بعتاب:

طب مقولتيش ليه؟ هو أنا مش أمك؟!!

أشفقت على حالها كثيراً، وحاولت احتوائها لكن نبذت ابنتها عاطفتها هاتفة

بسخط:

هو في حد فاضيلي، ما كلكم ملبوخين مع الهانم اللي خدت كل حاجة مني

حتى انتو!

أغمضت عواطف جفنيها للحظة محبطة من قسوتها المستمرة، لم يرق قلبها بعد

نحو ابنة خالها الوحيدة رغم مرور الأيام، تهتدت مطولاً، ثم تابعت على

مضض:

لا حول ولا قوة إلا بالله، طب استهدي بالله وشوفي عاوزة ايه وأنا  
أعملهولك!

أجابتها بغضب:

عاوزة أخلص من المهم اللي وقعت فيه

سألتها والدتها باهتمام وهي تنظر نحوها:

طب انتي المفروض هتروحي للضاكتور امتي؟

أجابتها بفتور مكفكة عبراتها:

-كلموني من العيادة وقالولي النهاردة!

هزت عواطف رأسها هاتفة بجدية:

خلاص هاجي معاكي

لوت ثغرها مرددة بامتعاض:

-مالوش لازمة، شوفي المحروسة اللي برا

أصرت أمها على الذهاب معها قائلة:

-انتي بنتي، ومش هاسيبك!

لم تعلق عليها بل اكتفت بالتحديق فيها بنظرات غامضة تحمل الحنق  
والسخط، هي مؤمنة بكونها تعيسة الحظ لم تنل من الحياة إلا القليل.

.....

تعرفت من كثرة المجهود الذي بذلته فقررت أن تستحم لتنعش جسدها من جديد، لم يخطر ببال بسمة مجيئه في تلك اللحظة تحديداً، ولذا لم تتخذ حذرهما حينما ولجت للمرحاض حاملة معها فقط مناشفها القطنية، قرع جرس الباب فتوجهت أسيف لفتحه، ابتسمت بنجل حينما رأته أمامها يطالعها بنظراته المتلهفة لها، أردف قائلاً بصوت خفيض متعمداً مدحها:

-القمر بنفسه يفتحلي!

رمشت بعينها بجياء، وانتبهت لوجود أخيه خلفه فتجمدت الكلمات على شفيتها، شعرت بالحرج الشديد من غزله الصريح أمامه، وعضت على شفيتها السفلى متحاشية النظر إليه، سألتها منذر بهدوء دون أن يجيد بعينه عنها:

-أخبارك ايه؟

تورد وجهها بنجل أكبر وهي ترد:

-الحمد لله، أنا خلاص جهزت كل حاجة، بس هابلق عمتي إنك موجود

هز رأسه قائلاً:

-تمام!

استمر في التحديق بها بنظرات شغوفة متناسياً العالم من حوله حتى شعر بلكرة خفيفة في جانبه، فتذكر حضوره معه، تنحج بخشونة متسائلاً:

-بالمناسبة بسمة هنا؟ دياب كان عاوزها في خدمة!



استغربت من طلبه ذلك وهي ترد بإيجاز:

اه، اتفضلوا!

تنحت جانبًا لتسمح لهما بالمرور وهي تشير بيدها للداخل، أسرع منذر في خطواته نحو غرفة الضيوف ليجلس بالداخل، بينما تباطأ دياب في سيره محاولاً التطلع خلفه حوله على يلمح طيفها، لكن خاب أمله، كان المكان خاويًا منها، لم ينتبه لطرف السجادة فتعثر بها، وكاد يهيم على وجهه لولا تداركه الموقف، حلت عقدة رباط حذائه نتيجة تلك الحركة المبالغية، فانحنى للأسفل ليربطها.

في نفس التوقيت خرجت من المرحاض ملتفة بمناشفها لا يبرز منها إلا جزء من ساقها، تنهت حواسه لصوتها المنددن فرفع أبصاره في اتجاهها، خفق قلبه بدقات فرحة لرؤيتها، وزادت سعادته بانعكاس صورتها في عينيه، على عكسه تسمرت في مكانها مدهوشة حينما رآته محنيًا على الأرضية أمامها مبتسمًا لها ابتسامة عريضة.

اتسعت مقلتاها بصدمة، وشعرت بتلك السخونة المتدفقة إلى وجهها، هتفت بنزق:

انت؟!!

انتبه لكونها على أريحتها، فأخفض بصره متحرجًا، ثم اعتدل في وقفته ليوليا ظهره وهو يقول بارتباك مشيرًا بيده:

احم.. انتي شكلك كنتي مشغولة!

حدقت في نفسها فتفاجأت بخروجها على تلك الحالة المتجاوزة، خرج من جوفها شهقة مصدومة، ثم اختفت راكضة من أمامه شاعرة بحرج كبير للغاية، جاهد دياب ليخفي ضحكاته الغبطة بنجلها، فقد تصادف دوماً رؤيته لها في مواقف عجيبة تشعرها بالحياء والحرج، وهو مثلها يتحاشى قدر المستطاع التطلع إليها في تلك الظروف رغم رغبته فيها، أراد ألا يتجاوز معها حتى بالنظرات في أبسط الأمور محافظاً عليها، رغم كون الموقف غير مقصود إلا أنه أخرجه من حالة الضجر التي كان يعايشها، استمتع لثوانٍ بعفوية أنعشت روحه المنهكة، تنفس بعمق، ووجل إلى داخل غرفة الضيوف ليلحق بأخيه.

.....

ضربت جبينها بكفيها معاتبه نفسها على عدم اتخاذها حذرًا أثناء استحمامها، وإلا لما وضعت في ذلك الموقف المخجل أمامه ليتكرر مشهد جديد يضاف إلى ذلك الذي عاصرته من قبل، لامت نفسها مرددة بحنق:  
غبية! ازاي تخليه يشوفك كده!

أسرعت بارتداء ثيابها مكلمة عتابها القاسي لنفسها:  
دلوقتي يقول عني ايه؟ ولا يفكر فيا ازاي! متخلفة!  
كورت قبضتي يدها بجدة ضاغطة على أصابعها بقوة مستشعرة الحرج الشديد منه، التهب وجهها بحمرة صريحة مستعيدة نفس المشهد في عقلها، انتفضت في مكانها بخضة حينما أطلت أسيف برأسها من باب المواردب هامسة:

دياب عاوزك برا!

تضاعف ارتباكها وهي ترد بتجهم:

اه ما أنا شوفته

سألها أسيف باهتمام وهي تشير بعينها نحو الخارج:

طيب هاتطلي تكلميه

هزت رأسها بالإيجاب مرددة:

ايوه جاية!

ابتلعت ريقها مضيفة بجمود زائف:

اديني دقيقتين بس أظبط نفسي

ابتسمت لها ابنة خالها قائلة بركة:

براحتك!

استشعرت الأخيرة خجلها، واعتقدت أن ترددها الظاهر عليها يرجع لوجوده بالخارج، فأعطتها مساحة من الحرية لتختلي بنفسها وتستعد نفسيًا للحديث معه، فرمما قد جاء لمفاتها من جديد في مسألة الارتباط الرسمي، بدت بسمة في حيرة واضحة بعد انصرافها، دق قلبها بعنف كبير حتى توجست خيفة من أن يكون قد أصابها مكروه ما، توترت أكثر للقائها به رغم كونه عاديًا، لكن مؤخرًا تغيرت كثيرًا، وصارت أكثر تحسُّسًا من وجوده حولها، تساءلت مع نفسها بتوتر:

طب أطلع أقوله ايه؟ لالا، أرفض، طب ما أنا قولتها جاية!  
 زفرت بصوت مسموع قبل أن تكمل حديث نفسها المرتبك:  
 خدي نفس يا بسمة واهدي، محصلش حاجة، وماشفش حاجة منك، عادي  
 ياما بيحصل!  
 تنفست عدة مرات بعمق لتضبط انفعالاتها، لكن ما لم تستطع السيطرة عليه  
 هي تلك الحمرة التي تصبغ وجهها، يئست من إخفاؤها فاضطرت أسفة أن تخرج  
 من الغرفة على تلك الحالة.

.....

على قدر المستطاع تعمد أن يكون هادئًا جدًّا معها كي لا يشعرها بالحرج،  
 لكن عصفت بداخله حربًا هوجاء أرادتها بشدة، فرائحتها الزكية تثير أنفه  
 وحواسه مما شنت تركيزه لأكثر من مرة، بذل مجهودًا مضاعفًا ليبدو ثابتًا  
 أمامها، ابتسم قائلاً بجذر:

أنا محتاج منك خدمة لو مكانش ده يضايقك

ردت بسمة بارتباك طفيف وهي تتعمد التحديق في أي شيء إلا وجهه:

-تفضل، أنا سمعك!

قص لها باختصار ما ألم بابنه فاستغربت كثيرًا لكون يحيى طفلًا طبيعيًا  
 واجتماعيًا مع الآخرين، لذلك اعتبرت تبدل أحواله للنقيض أمرًا خطيرًا ومقلقًا

خاصة حينما علمت أنه مصحوبًا بالصراخ والبكاء المتواصل، هزت رأسها قائلة  
بجدية:

-أنا هاتكلم معاه، وهاحاول أعرف ماله، يا رب بس يقولي!  
تهند قائلاً بتلهف:

يا ريت!

استشعرت ذلك بقوة حينما التقت عيناها بعينيه وهو يضيف:  
-أنا بجد محتاجلك!

رمشت بعينها قائلة بتردد:

بس.. ده عشان خاطر يجي وبس

حافظ على ابتسامته رغم انزعاجه من جملتها تلك، وردد قائلاً:

تمام، وأنا هاكون شاكر جدًا لتعبك ده

ابتسمت مجاملة وهي تقول:

عادي

اخذى رأسه نحوها ليحطق مباشرة في حدقتها هامسًا بنبرة ذات مغزى:

بس مش عادي بالنسبالي!

ارتجف بدنها من كلماته الموحية والمصحوبة بتنهيداته المعبرة عن حبي نبي  
بداخله، ربما طبع أثره في نفسها وسيزداد وضوحًا إن أعطته الفرصة للبروز.

راقبها الاثنان من خارج الغرفة بعدما انسحبا منها ليتمكننا من الحديث على انفراد، ظلت أسيف صامته، مقتضبة في حديثها مما دفع منذر للاسترسال معها، لكنها أعطته إجابات مختصرة، لاحظ تحديقها المستمر ببسمة، فاستشف معرفتها بأمر أخيه، لذا هتف قائلاً بمكر:

-والله لا يقين على بعض، صح؟

التفت نحوه هامسة وهي تهز كتفها:

-يعني، ربنا يكتب لهم الخير!

تحرك خطوة للجانب ليجب عنها الرؤية قاصداً الحصول على انتباهها الكلي وهو يضيف بعث:

-بس مش زينا بردك

مد كفه ليتلمس يدها المسنودة إلى جانبها، فسحبها للخلف متجرحة من احتمالية رؤية عمتها لها، غمز لها عن قصد، فنظرت له محذرة، وقبل أن يتماذى معها سألته بجدية مصطنعة محاولة تشتيت انتباهه:

-منذر، ممكن أسالك في حاجة؟

وضع إصبعه على طرف أنفها ليداعب أرنبته قائلاً بهدوء وهو يرمقها بنظراته الخنونة:

-اتي تطلبي على طول

أرجعت رأسها للخلف قائلة بجدية:

-الدكان!

سحب يده إلى جواره متسائلاً بجمود مريب قد حل عليه من كلمتها المقتضبة  
تلك:

-ماله؟

تابعت موضحة باهتمام:

-هايفضل مقفول، أنا كان نفسي أوضبه وأعمل فيه مشروع صغير

ضغط على شفثيه بقوة بعد أن تنهد بصوت مسموع قائلاً:

-بعدين نتكلم في ده، دلوقتي احنا ورانا فرح وجواز وحاجات تانية أهم

ظنت أنه يتهرب من الإجابة عليها لرفضه العمل به من الأساس، فاحتجت  
على طريقته بجدة طفيفة:

-يعني إنت مش عاوزني....

قاطعها قائلاً بترث عقلائي:

-يا حبيبي قبل ما تظني السوء، نتجوز وبعد كده نتكلم في ده، مش وقته

خالص

رمقته بنظرات مزعوجه من مماطلته، وقبل أن تواصل استرسالها جاءت إليها

عمتها قائلة بجرح ظاهر في نبرتها:

-معلش يا ابني، ممكن نطلب منك خدمة!

استدار منذر ناحيتها هاتفاً بوجه خالي من التعبيرات:

-اتفضلي يا ست عواطف

بدت مترددة بدرجة ملحوظة وهي تسأله بلطف:

-تودينا في سكتك عند عيادة الضاكتور ((.....))

سألها مهتماً:

ليه؟ انتي تعبانة ولا حاجة؟ بتشتكي من..

قاطعته أسيف متسائلة بخوف:

-عمتي مالك؟

رأت الهلع في نظراتها فقالت بهدوء لتبعث الطمأنينة عليهما:

مش أنا، دي نيرمين بنتي، هي محروجة تطلب مساعدة من حد، وأنا مش

هاسيدها لوحدها، قلبي مش جايني أشوفها كده وأفضل أتفرج عليها

هتفت أسيف بلا تأخير:

مش لازم نستني، احنا نوديا على طول، ده شيء واجب

استجاب منذر هو الآخر لرجائها رغم امتعاضه من اصطحاب تلك السمجة

معه حينما رأى عدم وجود أي معارضة من زوجته لها، فأضاف قائلاً بفتور:

-مافيش مشكلة، أنا هانزل استناك تحت لحد ما تجهزوا



ردت عليه عواطف بامتنان كبير:

-كتر خيرك يا ابني، جميلك ده مش هننساه!

لوح لها يا صبعيه مكملاً بجمود:

-ولا يهملك! سلامو عليكم!

حدقت أسيف في عمته بعد انصرافه قائلة:

-رغم اللي بتعمله معايا، والغل اللي بأشوفه في عينها ليا بس أنا مش بأكرهها  
والله، دايماً بأدعيها، جازي تتغير معايا!

يومًا بعد يوم تثبت لها ابنة أخيها أنها ابنة بارة بأهلها وأقاربها، فربتت على  
ظهرها قائلة بود:

- تسلمي يا بنتي، ربنا يحن قلبك دايماً على عبده!

خرجت بسمة من غرفة الضيوف صائحة بنبرة شبه مرتفعة لتلفت الانتباه  
نحوها:

ماما، أنا هاروح مع دياب عند طنط جليلة!

نظرت لها الاثنتان بغرابة، فتابعت موضحة:

-ابنه في مشكلة ومحتاجين مساعدتي ضروري

سألته عواطف بتوجس:

خير ماله ؟

أجابها دياب قائلاً بابتسامة باهتة:

-اطمنوا مش حاجة خطيرة، بس هو عنده مشكلة في الكلام معنا، وجايز  
الأبلة تعرف تحلها

هزت عواطف رأسها بتفهم ومع ذلك ردت بمرح قليل:

بس احنا كنا رايجين مع نيرمين للضاكتور

أدارت بسمة رأسها في اتجاه دياب الذي كان يرمقها بنظرات تحمل الرجاء،  
أخرجت تهيدة قوية من صدرها مبدية حيرتها الطفيفة، لكن سريعاً ما لبث  
أن حسمت أمرها قائلة:

طيب خدوا وقتكم معاها وأنا هاسبقكم على هناك!

تنفس الصعداء لاستجابتها لرجائه، وشعر بتقديرها الكبير للموقف مما عمق من  
مكاتها في قلبه، حتماً هي تملك قلب أم حنون، تمنى لو قبلت بعرض زيجته  
لقدم لها الدنيا على طبق من ذهب فقط ليحظى بابتسامة صافية من على  
شفثها.....!!

.....

## الفصل الثاني والثمانون:

طرق بأنامل كفه على المقود بجرعة ثابتة، بينما استند بذراعه الأخرى على حافة النافذة متأملاً بفتور المكان من حوله، هي أبلغته برغبتها في الصعود مع سليطة اللسان هذه إلى الطبيب خاصة حينما رأت لافتة تخصصه التي أثارت قلقها، تفهم منذر موقفها رغم اعتراضه على بقائها معها، لكن الظرف تلك المرة مختلف، فنيرومين في وضع مرضي ربما يكون هاماً، ووجود زوجته إلى جوارها ربما يكون ضرورياً نوعاً ما.

أخرج تهيدة مطولة من صدره متابعاً تمرير أنظاره على المارة مترقباً عودتهن ببال طويل، التوى ثغره بابتسامة خفيفة حينما شرد في وجهها البشوش الذي يتورد خجلاً من أبسط الكلمات، اتسعت ابتسامته تدريجياً مستعيداً في مخيلته تصرفاتها المفاجئة له والتي ملأته شوقاً ورغبة فيها، حدث نفسه باشتياق:

هانت، معدتش فاضل كثير يا حبيبتى!

فرك رأسه بيده والتفت لليمين تارة ولليسار تارة أخرى وهو يدندن بصافرة خافتة.

.....

جلست ثلاثهن على المقاعد الشاغرة بداخل العيادة الطبية في انتظار دور  
نيرمين التالي، حملت والدتها الرضيعة تلاعبها بيدها حتى غفت بين ذراعيها،  
بينما لم تتوقف هي عن حدج ابنة خالها بنظراتها المزعوجة منها، لن تصفو نيتها  
نحوها أبدًا، هي تحملها اللوم في تأزم الأمور معها مؤخرًا حتى سوء صحتها،  
أفاقت من شرودها وانتبهت لصوت الممرضة الهاتف بنبرة عالية:

يا لا يا مدام نيرمين، ده دورك

طبيب

قالتها بامتعاض وهي تهض بثقل عن مقعدها ممددة ذراعيها نحو أمها لتأخذ منها  
رضيعتها، اعترضت عواطف قائلة:

خليها معايا، خشي اتني بس للضاكتور

أعادت يديها إلى جانبيها متجهة نحو غرفته، استقبلهن الطبيب بابتسامة  
ودودة، ثم استرسل في حديثه بجمل مرتبة بصورة علمية غير مفهومة لهن مما  
جعل صبر نيرمين ينفذ وهي تسأله بتجهم:

بردك مافهمتش حاجة! يعني ايه ده كله؟

سحب الطبيب نفسًا عميقًا، لفظه ببطء محافظًا على ثابته وهو يجيئها بتريث:

شوفي يا مدام نيرمين، للأسف لما عملنا التحاليل والعينات اللي طلبتها  
أكدت إن ...

صمت مجبرًا محاولاً إكمال الجزء الصعب من جملته، فسألته عواطف بخوف واضح على نبرتها وفي تعبيرات وجهها المشدودة:

-بنتي مالها؟ كل يا ضاكتور الله يكرمك

نظر لها بإشفاق، دومًا يوضع أمثاله في مواقف كهذه حينما يتم إبلاغ المريض بحالته الصحية خاصة إن كانت في مرحلة حرجة، تمرس بحكم الخبرة في انتقاء كلماته كي يكون وقعها أقل تأثيرًا على المريض، لذلك ابتلع ريقه مضيئًا بهدوء:

-في ورم في المخ، وللأسف متشعب بدرجة كبيرة يخلي استئصاله صعب!

شعرت عواطف بارتخاء ذراعها عن الرضيفة، بارتعاشة رهيبة أجفلت جسدها لمجرد سماع جملته المخيفة تلك، بذلت مجهودًا كبيرًا كي تحافظ على ثباتها رغم الدقات العنيفة التي عصفت بقلها، مازالت لم تستوعب الأمر كليًا بعد، كتمت أسيف شهقة مباغتة خرجت من جوفها بيدها لتستدير برأسها في اتجاه نيرمين مجمدة عينيها اللامعتين عليها، هتفت الأخيرة بعدم تصديق:

-وورم

بدا وجهه خاليًا من التعبيرات وهو يكمل بجدية:

-احنا لازم نبدأ العلاج فورًا، و....

ضربت نيرمين بيدها بعنف على سطح مكتبه، ثم هبت واقفة من مكانها وهي تصرخ فيه بانفعال مهتاج:

-يعني ايه ورم؟ وازاي موجود وأنا ما حستش فيه؟

تفهم عصبيتها الزائدة، تكرر معه الموقف لأكثر من مرة مع مرضى مختلفين،  
فرد عليها بنبرة عملية:

-أُكيد ماخديش بالك من أعراضه، لأنه في مرحلة متقدمة و...  
قاطعته صارخة باهتياج:

-انت بتقول ايه! أنا كويسة وزى الفل، معنديش الهباب اللي بتقوله ده، هما  
شوية صداع وبرشامتين يضيعوه!

ترقرقت العبرات سريعًا في مقلتي أسيف تأثرًا بحالها، من الصعب عليها تقبل  
مثل تلك الحقيقة المفجعة، أن تكون تحت رحمة ذلك المرض اللعين الذي  
ينهش في الأبدان حتى يهلكها، من حقها أن تثور، أن تغضب، أن تخرج عن  
المألوف بالصراخ والعيويل، فالخطب جلل بالتأكيد، لم يختلف حال عمته عنها  
كثيرًا، كانت في حالة صدمة وشرود، ابنتها تساق نحو المجهول بكل قوة وهي  
عاجزة عن مساعدتها، بكت رغماً عنها، وتتابع شهقاتها المتحسرة عليها.

انتبه لصوت الصراخ الأتي من الأعلى فارتفعت أبصاره نحو عيادة الطبيب،  
انقبض قلبه بقوة شاعرًا بوجود أمر مريب، أنبئه حدسه بالتحرك من مكانه  
والصعود إليها ليطمئن، فترجل من سيارته، وأسرع في خطاه نحو مدخل  
العيادة.

زاد جنونها ورفضت تصديق الواقع المؤلم، أنها باتت أحد المصابين بالأورام  
 الخبيثة، حاول الطبيب امتصاص انفعالات مريضته قائلاً بحذر:  
 أنا عارف إنه صعب عليكي تتقبلي الأمر، بس العلاج في الفترة دي مهم جداً  
 على الأقل عشان نمنع انتشاره ونقدر نتعامل....  
 هدرت فيه نيرمين بصراخ أشد دافعة ما على سطح مكتبه من أدوات مكتبية  
 وملفات:

أنا كويسة معنديش حاجة، إنت قاصد تقول كده عشان تحرق دي  
 وخلص!

نهض واقفاً من على مقعده مشيراً لها بيده وهو يتابع بنبرة عقلانية:  
 يا مدام نيرمين، تقبل وجود المرض هي أول خطوات الشفاء بأمر الله!  
 لوحت بذراعها هادرة بعصبية جامحة:

-واشمعني أنا ها؟ اشمعني أنا اللي يجيلي الزيت ده!

استشاطت نظراتها على الأخير، والتفتت برأسها نحو عدوتها لتحدهما بنظرات  
 نارية وقد اصطبغ وجهها بجمرة قوية، أشارت بسبابتها متابعة بحقد مغلول:  
 ليه مش هي؟

ارتجف جسد أسيف لمجرد رؤية نظراتها التي كادت تحرقها في مكانها، كذلك  
 هوى قلبها في قدمها بعد سماعها لعبارتها الناقمة تلك، هزت رأسها مستنكرة ما

ردده وبكت بلا توقف، لم ترغب في الرد عليها لأنها كانت في حالة لا وعي بسبب ألمها.

صاحت عواطف بصوتها المختنق رافضة سخطها على مُصابها الأليم قائلة:  
-استغفري ربنا ماتقوليش كده!

دنت نيرمين من غريمتها مهددة بالفتك بها وهي تواصل صراخها بجموح:

ليه هي تاخد كل حاجة وأنا في الآخر أموت؟ ليه؟!!!

خافت من اقترابها المهلك، فتراجعت للخلف منكمشة على نفسها ترمقها بنظرات شبه مذعورة، تحركت عواطف في اتجاهها لتشكّل بجسدها حائلاً وهي تتوسلها باستعطاف بالك:

-اهدي يا بنتي، مش كده!

امتزج صراخها ببيكائها المرير وهي تكمل بازدياء ناكر:

ليه أنا بختي قليل في الدنيا؟ ده أنا مطلبتش كثير!

تحرك الطبيب هو الآخر في اتجاهها محاولاً السيطرة على نوبة الهياج العصبي التي تملكّت منها قائلاً بترثّ عليه يقنعها:

-مدام نيرمين من فضلك، التحاليل بينت إن المرض عندك بقاله أكثر من سنة، وده مالوش علاقة بشخص معين، هو.....

دفعت الطبيب بيدها بقوة عنيفة محاولة تجاوزه لتصل إليها وهي تصرخ بصوت محتد:



إنتي السبب في اللي حصل، ايوه إنتي اللي خلتي كل ده يجرا لي!  
 تهدجت أنفاس أسيف بخوف مما تسمعه من اتهامات لا شأن لها بها، هي  
 وقفت مكبلة الأيدي عاجزة عن الدفاع عن نفسها أمامها مصدومة من حالتها  
 اللا عقلانية، هجمت عليها نيرمين بكل عنف وشراسة لتطبق على عنقها  
 محاولة خنقها متابعة بجنون مخيف:

إنتي اللي لازم تموتي مش أنا!

وضعت يديها على قبضتها المطبقتين عليها لتبعدهما عنها قبل أن تختنق لكنها  
 كانت تستمد قوتها من غضبها المشحون بداخلها نحوها، تابعت هادرة وهي  
 تكز على أسنانها بشراسة:

أنا ملحققتش أعيش حياتي، ماتجوزتش اللي بأحبه ولا لحقت أتهنى، طول  
 عمري في غلب وقرف، أنا....

تحشرجت أنفاس أسيف حتى أوشكت على الاختناق من قبضتها المحكمتين  
 بقوة حولها، ولم يستطع الطيب نزع يديها عنها بسبب هياجها المضاعف،  
 تدخلت أمها هي الأخرى بعد أن أسندت الرضيعة التي انفجرت في البكاء  
 بسبب الصراخ المهتاج على الأريكة لتبعد ابنتها عن أسيف هاتفة بتوسل  
 شديد:

سيديها يا نيرمين، هاتموت في ايدك، هي مالهاش ذنب!

ردت عليها بانفعال مرعب:

-وأنا ذنبي ايه؟ قولولي ذنبي ايه؟

تعذر عليها التنفس فشحب لون وجهها، وتشنجت تعبيراتها معلنة عن دخولها مرحلة الهلاك إن لم يتم إبعادها فورًا، تمكن الطبيب من نزع قبضة واحدة عنها، فأتاح الفرصة لها لتلتقط أنفاسها، وكبل يدها للخلف هاتفًا:

-بالراحة يا مدام! لو سمحتي اهدي، اللي بتعمله ده غلط!

نبشت نيرمين أظافرها في عنق ابنة خالها متعمدة خنقها وجرحها وهي ترد باهتياج:

-لازم هي تموت!

في تلك اللحظة اقتحم منذر الغرفة بعد سماعه للصراخات الآتية من الداخل، سلط أنظاره سريعًا على الزاوية المحاصر بها زوجته، واتسعت عيناه في هلع حينما رأى ما يحدث، اندفع كالأعمى في اتجاهها صارخًا بصلاية:

-بعدي عن مراتي!

استخدم قوته بالكامل في تحريرها من براثنها ودفعها للخلف بعنف ليشكل بجسده درعًا ليحميها من بطشها، ترنح جسدها من إثر الدفعة، وفقدت اتزانها لتفتش الأرض، دنت منها والدتها محاولة السيطرة على اهتياجها، بينما سعلت أسيف بقوة نتيجة اختناق أنفاسها، واختبأت في أحضان زوجها، ضمها منذر بذراعيه ليحتويها مستشعرًا تلك الرجفة التي تعترتها، بلغ ذروة غضبه المنفعل، فسلط أنظاره على نيرمين صائحًا بجدة:

-انتي اتجننتي ؟ هادفك تمن اللي عملتيه ده غالي!

لم تشعر نيرمين بوجوده، ولم تعبأ بكلماته بل ظلت أنظاره مثبتة على عدوتها الوحيدة محملة إياها اللوم في كل شيء، ردت صارخة بعنف:

-انتي خدتي كل حاجة مني!

لم يفهم منذر سبب ثروتها، لكن حتماً لن يمر ما فعلته مع حبيبته على خير، أحست أسيف من نظراته بذلك، فتوسلته بصوتها المتحشرح:

-سيبها يا منذر!

رغم رجفتها وذعرها إلا أنها تشبثت به لتمنعه من الاقتراب منها أو حتى المساس بها هاتفة برجاء:

-ماتجيش جمبها عشان خاطري، كفاية اللي هي فيه!

التفت ناحيتها مستغرباً ردها العجيب الذي أثار ريبته رغم تحفظه عليه، ومع ذلك استجاب بصعوبة بالغة لنظراتها المتوسلة له، ضمت نيرمين ركبتيها إلى صدرها ودفنت وجهها في كفيها صارخة باستنكار:

-اشمعي أنا ؟ ليه!

جثت والدتها على ركبتيها أمامها محتضنة إياها بذراعيها متممة بصوتها الباكي:

-لا حول ولا قوة إلا بالله، لطفك بينا يا رب!

تجمدت أنظار منذر عليها متسغرباً ما يدور، لكنه بدأ سريعاً يخمن أن هناك شيء خطير بالموضوع لتتأزم الأوضاع بتلك الصورة المميتة.

استقبلتها بترحاب ودود بعد قدومها إلى المنزل رغم اندهاشها من وجودها  
بصحبة ابنها تحديداً، أشارت ملامح وجهها ونظراتها إلى ذلك، هي توقعت  
مجيئها مع والنتها وأسيف لإكمال عملهن بالغرفة الجديدة، وقبل أن يدفعها  
فضولها للسؤال بطريقة قد تريبكها، هتف دياب موضحاً:

هي جاية النهاردة عشان خاطر يجي، جاز تساعدنا  
ردت قائلة بابتسامة لطيفة:

اه وماله!

وضعت يدها على ذراعها لتمسح عليه برفق وهي تضيف برجاء:  
يا ريت يا بسمة تقدري معاه، الواد حالته صعبة أوي و...  
قاطعها الأخيرة هاتفة بهدوء وابتسامة صغيرة متشكلة على محياها:  
اطمني، إن شاء الله خير!

رفعت أنظارها للأمام متابعة بتساؤل جاد:  
هو فينه؟

أجابتها جليلة وهي تشير بيدها:

قاعد في أوضته مع أروى  
طيب أنا هادخله

سألها دياب بجديّة:

تحبي أجي معاكي؟

التفتت برأسها للجانب لتجيبه بجمود جاد:

لا، خليك هنا، مافيش داعي دلوقتي!

نظر لها بتفهم وهو يحك مؤخرة عنقه قائلاً:

ماشبي

تحركت صوب غرفته لتبدأ في مهمتها مع صغيره، ظلت أنظاره معلقة بها حتى  
اختفت من أمامه فوضعت والدته يدها على كتفه هامسة:

ربنا يبسر الأمور والواد ينطق معاها

تهد هامسًا:

يا رب

هتفت والدته فجأة بجماس عجيب:

أما لو حصل، يبقى البت دي في ايدها الشفا!

استدار ناحيتها لينظر لها بغرابة مرددًا:

كله من عند ربنا

ربت على كتفه عدة مرات برفق متابعه بنبرة متضرعة:

ربنا يجعلها من نصيبك

زفر دياب بصوت مسموع وهو يرد بحزن طفيف:  
 -ركزي في الدعوة دي يامه لأحسن معدتش عندي أمل خالص!  
 ردت عليه مؤكدة بتفاؤل واثق:  
 -بتيجي على أهون سبب  
 التوى ثغره للجانب قائلاً باقتضاب:  
 على رأيك!

تهد مجدداً مخرجاً من صدره الكثير من الهموم مع زفيره المشحون، هو في انتظار تلك اللحظة التي يرق فيها قلبها ويلين نحوه حتى وإن طال وقت تحقيقها، لكن وجود بارقة الأمل سيحمسه على الانتظار.

.....

-ممكن أدخل يا حبيبي!

قالتها بسمة وهي تطل برأسها من خلف الباب راسمة على ثغرها ابتسامة لطيفة محببة، حدق يجي فيها بأعينه الحزينة المرتعدة وهو عابس الوجه، لم ينطق بحرف واحد، لكن نظراته كانت تحمل الكثير، لجأت إلى أسلوبها اللطيف في إزالة الحواجز مع الأطفال قائلة بمرح:

-ينفع كده مش تيجي عندي ولا تسأل على المس بسمة؟ أنا هازعل منك!  
 احتوته أروى بذراعها معللة:

هو تعبان أوي يا مس

عبست بوجهها قائلة بتبرم زائف:

مين قال كده، ده يحيي زي الفل وكويس!

ولجت إلى داخل الغرفة تاركة الباب مواربًا قليلاً، ثم هتفت متسائلة:

-صح يا حبيبي مش إنت راجل قوي وشجاع؟

لم يعلق عليها رغم أنظاره المثبتة عليها، جلست على طرف الفراش إلى جواره واضعة يدها على خصلات شعره لتعبث بها برفق، انحنت على جبينه تقبله بحنو وهي تهمس له:

مش عاوزاك تخاف من حاجة، أنا هنا معاك، ومش هاخلي حد يحيي جمبك حتى لو كان مين!

رفع عينيه المفروعة في وجهها باحثًا عن الأمان فيها، ورأه بالفعل من خلال ابتسامتها وضحكاتنا ونظراتها الموحية، ابتعد قليلاً عن أروى ليميل نحوها، فلم تتردد في ضمه إليها، أحاطته بذراعيها متابعة بتأكيد:

-أي حد بس يفكر يحيي جمبك أنا هاموته!

هز رأسه كاستجابة أولية لجملتها، تنفست الصعداء لظهور بوادر طيبة لتفاعله معها مما شجعها على الاستمرار في بث روح الطمأنينة والأمان له، تعجبت أروى من ثقته فيها، لكنها كانت فرحة بتجاوبه معها، نهضت من على الفراش متحمسة لإبلاغ أخيها ووالدتها بذلك الأمر، فركضت بتلهف للخارج.

مسحت بسمه برفق على ظهره متسائلة بجزر:

بابا ضربك فإنت زعلان منه؟ ده لو عمل كده أنا هاقوم أضربه و..

هز رأسه نافيًا وهو يجيبها بهمس شديد:

لأ!

تهدت بارتياح لكون الأمر بعيدًا عن الإيذاء البدني من قبل والده، لم تنتبه إلى تلك الأعين التي تراقبها في صمت منتظرة على أحر من الجمر نتائج بقائها معًا، حرص دياب على عدم إصدار أي صوت أو لفت الأنظار إليه متصنئًا عليها بخلسة، لكنه اطمئن إلى حد كبير بعد ما سمعه بأذنيه، تابعت بسمه متسائلة بجزن مصطنع:

حطب ليه يحيي مش عاوز يطلع من الأوضة، ماي زعلتك؟

أجابها وهو يهز كتفيه:

لأ!

طوق عنقها بيديه متعلقًا في كتفها قائلاً ببراءة:

أنا عاوز أروح معاك، أنا خايف

ضمته إليها مواصلة الربت على ظهره بجنو مطمئن وهي تسأله بهدوء جاد محافظة على ثبات نبرتها:

خايف من ايه؟



أجابها بغموض دافئاً وجهه في عنقها:

هايطلعي ياكلني!

ضاقت نظراتها وتأهبت حواسها من جملته المقتضبة تلك، وسألته بحذر:

مين ده؟

اختنق صوته أكثر وارتعدت فرائصه هامساً بهلع:

-العوو!

ابتسمت ابتسامة باهتة وهي تنفي مخاوفه الخيالية قائلة بثقة:

مافيش عوو يا يحيى!

رد عليها بإصرار ظهر بوضوح في نبرته العصبية:

لأ هو موجود

سألته باهتمام:

فين؟

لف ذراعيه أكثر حولها وتمسك بها قائلاً:

تحت السرير، أنا خايف أوي!

زادت من ضمها له، ثم طبعت قبلة أمومية قوية على رأسه قائلة بجدية:

متخافش، أنا موجودة معاك!

حاولت أن تحل وفاق ذراعيه القابضين عليها لتنظر في وجهه متابعة بقوة:

-أنا هانزل أشوفه تحت

ارتعدت نظراته وهو يصيح بنخوع:

-لأ، هايكلك!

نظرت له مطولاً دون أن تبدل تعابير وجهها، ثم همست قائلة بمكر:

حطب بص أنا هاجيب العصايا معايا، وانت هات المسدس اللعبة بتعاك

ونشوفه سوا، ولو لاقيناه هانزل فيه ضرب لحد ما يموت!

استغرب مما قالته، فأكدت له مستخدمة الخيال في محاولة إقناعه بحرفية

ماهرة، فتابعت بحماس:

عارف احنا زي المحاربين، هنموت الأشرار ومحدث هايقدر يجي جنبنا لأن

معانا كل القوة وهما ضعاف مش هيعرفوا يكسبوننا!

ظلت تستخدم تلك العبارات المحفزة لمخيلته حتى استجمع شجاعته معتقداً أنه

مقاتلاً يدافع عن مملكته ويساعد الضعفاء، استسلم لطريقتها المشجعة قائلاً

براءة:

ماشى

غمزت له بطرف عينها، ثم انحنى عليه هامسة:

-بشويش عشان ماينخدش باله

حاضر!

جاهد دياب ليخفي ضحكاته الممزجة بعبراته التي تجمعت رغباً عنه عند طرفي مقلتيه تأثراً بما رآه، هي تملك الكثير من الأمومة التي انعدمت في والدة صغيره الأصلية، لم تحتويه هكذا، لم يره منجذباً إليها مثلما رأى اليوم، نعم فحبيبته استطاعت ببراعة أن تسحب ابنه المذعور إلى دفء حنانها فباح لها بما عجز هو عن الحصول عليه منه لتقضي رويداً رويداً على مخاوفه.

.....

خيم الحزن على الجميع بعد اكتشاف خبر إصابتها بذلك المرض الخبيث، وبالطبع لم يجرؤ منذر على الانتقام منها مشفقاً على حالها، هي في وضع لا تُحسد عليه، وتحتاج للكثير من الدعم والتشجيع لتجاوز تلك الأزمة، المؤلم في الأمر إنها مهددة بالموت بين لحظة وأخرى نتيجة تطور وضع المرض بداخلها، حتى التدخل الجراحي بات غير مجدٍ معها، أوصلهن إلى المنزل مؤجلاً زيارتهن إلى منزله تفهماً لوضعها.

انهارت أسيف باكية عليها رغم ما فعلته بها، ظلت ترمقها بنظرات حزينة متعاطفة، ودت لو استطاعت مد يد العون لها لتخفف عنها ما هي فيه، لكن ليس باستطاعتها شيء، هي رافضة المساعدة من أي شخص، حبست نيرمين نفسها داخل غرفتها مجهشة ببكاء يقطع نياط القلوب، عكفت والدتها على الصلاة داعية المولى أن يهون عليها مصابها، اندمجت دمعاتها الغزيرة بصوتها

المتوسل المتضرع حتى بدا كالأنين، فما أصعب أن ترى فلذة كبذك يموت ولا  
تستطيع مساعدته، ارتفع نحيبها خلال سجودها حتى فرغت من أدائها، التفتت  
بأنظارها إلى الرضیعة النائمة على فراشها محدقة فيها بأسف كبير، غمغمت بنواح  
متألم:

يا رب اشفيها عشان بنتها!

تقطع صوتها واختنق على الأخير وهي تكمل بصعوبة:

هي مالهاش إلا هي، أبوها مش سائل فيها، طب مين هايراعها لو.. أمها  
جرالها حاجة؟!!

انخرطت في بكاء أشد حرقة عندما فكرت في مصير تلك الرضیعة المجهول.

نفخ مستاء من عدم مقدرته على تهديتها بعد أن اعتصرها الألم حزناً على ابنة  
عمتها، حاول التهوين عليها قائلاً:

خلاص يا حبيبتي مش كده

وضعت يدها الممسكة بالمنشفة الورقية على طرف أنفها قائلة بنشيج:

صعبانة عليا أوي؟ الموضوع مش سهل عليها!

رد بهدوء وهو يمسح على ذراعها بلطف:

دي مشيئة ربنا

نظرت نحوه متابعة بكاء:

-أنا عارفة، بس صعب إننا نشوفها كده و...

قاطعها قائلاً بجدية:

-المهم هي تاخذ خطوة في علاجها، جايز يجيب نتيجة معاها!

تهدجت أنفاسها قائلة برجاء كبير:

يا رب!

صمت للحظات متردداً في الحديث معها في حفل زفافها، بالطبع هو متفهم للظروف الطارئة التي جدت على العائلة، وإقامة الحفل في ذلك التوقيت ليس بالأمر المحمود، فالأفضل حالياً تأجيله حتى تهدأ الأوضاع، تنفس بعمق ثم جمد أنظاره نحوها قائلاً بترث:

-أسيف أنا عارف إنه مش وقته نتكلم في ده، بس لو حابة نأجل الفرح بتاعنا ف أنا مقدر ده و...

قاطعته قائلة بجزن وهي تكفكف عبراتها بظهر يدها:

سامحني يا مندر، إنت عارف كويس إني مش هاقدر أعمل حاجة ونيرمين في الوضع ده، ازاي هايجيلي قلب أعمل كده وهي....

عجزت عن إتمام جملتها لتبكي مجدداً متأثرة بها، وضع يده على كتفها قائلاً بهدوء:

يا حبيبتى أنا فاهم ده كويس!

نظرت له بأعينها الباكية هامسة:

-ربنا يخليك ليا

حافظ على ثبات نبرته وهو يقول:

-أنا معملتش حاجة، اهدي اتني بس عشان أرتاح، ماشي؟

حركت رأسها بإيماءة واضحة دون أن تجيبه، فابتسم لها بعذوبة ماسحًا بإبهامه

عبراتها المناسبة على وجتها.

.....

خرج من الغرفة ممسكًا بقبضتها وهو يبتسم لأول مرة بعد تلك الأيام العويصة،

نظرت بسمة إليه بسعادة متابعة سيرها معه، وما إن رأتها جليلة حتى أطلقت

زغرودة كتعبير رمزي عن فرحتها، هرولت إليه لتحتضنه قائلة بتلهف:

يا ضنايا، حمدلله على سلامتک

رد الصغير بخجل طفيف:

تلتة

انهالت عليه بالقبلات لتغرق وجنتيه بهما مشبعة اشتياقها له، خرج دياب من

غرفته مصدومًا حينما رأى ابنه يقف على قدميه، تسارعت دقات قلبه فرحًا،

وتحرك نحوه هاتقًا:

يحيي!

رفع الصغير أنظاره إليه مرددًا بتوجس:

مش تضربني بابي!

تتقطع ايدي قبل ما تتمد عليك يا حبيبي!

قالها وهو يجثو أمامه محققًا فيه بنظرات أبوية صادقة، جذبته إليه ليضمه في أحضانه، فأرخی ابنه قبضته عن بسمة ليحاوطه بذراعيه، حمله ناهضًا من مكانه لينظر في اتجاه محبوبته هامسًا لها بامتنان كبير:

مش عارف أقولك ايه

ابتسمت له بلطف وهي تقول بصوت خفيض:

ماتقولش حاجة! ربنا يباركك فيه

بلا وعي منه مد يده ليمسك بكفها بأنامله، فتفاجأت من حركته الجريئة تلك، خاصة أنها أمام والدته، رفعه يدها إلى فمه ليضع قبلة صغيرة على ظهر كفها متابعًا بتنهيده حارة:

ربنا يخليكي ليا، ويديمك في حياتي!

نجلت كثيرًا من تصرفه الذي وضعها في موقف حرج للغاية، واكتست تعابير وجهها بجمرة قوية، شعرت بتدفق الدماء في عروقها مظهرة ارتباكها من تأثير ذلك عليها، سحبت يدها من بين أصابعه بسرعة رامشة بعينها، استشعرت قوة نبضات قلبها التي كانت تتسابق داخل صدرها، عضت على شفتها

السفلى متحاشية النظر نحوه، لم تقف جليلة كالمتفرج كثيراً، فأحاطتها من  
كتفها مضيئة هي الأخرى بكلمات ذات مغزى:

-رنا يكرمك يا بنتي، كلنا بنحبك هنا، وعاوزينك تفضلي دائماً معنا!

تخرجت مما يحدث حولها ولم تستطع الرد، فاكثفت بتنكيس رأسها حياءً منها،  
لكن على الأرجح تأكدت من شيء ما قاومته حتى استنفذت كل طاقتها وهي  
ترفض تصديقه، عليها فقط أن تثق في قرارها وتفكر بترؤ قبل أن تسمح  
لنفسها بالمجازفة.....!!

.....



## الفصل الثالث والثمانون:

انهارت باكية حزناً على أختها بعد معرفتها بخبر مرضها الصادم، ولجت إليها لتحضنها رافضة تركها بمفردها فهي بحاجة إلى دعم قوي ومستمر من حولها خاصة في تلك المرحلة الحرجة لتجاوز الأزمة، لكنها لم ترغب في تلقي ذلك النوع من المشاركة الوجدانية، نبذت إحساسهم بالشفقة نحوها، فعمدت إلى استخدام أسلوب الشدة والقسوة مع الأقرب إليها، ورغم معاملتها الجافة معهم إلا أن الجميع تفهموا موقفها العدائي.

حرصت أسيف على المتابعة الهاتفية اليومية مع الطبيب المتابع لحالتها المرضية كي تتبع نصائحه خلال الرعاية المنزلية، وبسطت الأمور لعمتها ليسهل عليها الفهم، كانت أهم توصياته هي البدء الفوري في مرحلة "العلاج الكيماوي" كي يتم وقف انتشار المرض، خاصة أنه في مرحلة متقدمة تتطلب اهتماماً كبيراً، وأصرت نيرمين على عدم الإصغاء لأي منهم مدعية أنها بخير، ومرت الأيام على ذلك الوضع المتأزم دون حل جذري، الجميع مُتلف الأعصاب، وهي تزداد عناداً بمرور الوقت.

أعدت عواطف صينية مليئة بالأطعمة الصحية، وأسندتها على طرف الفراش حيث تتمدد ابنتها، ابتسمت لها بود، ثم قدمت صحن الحساء لها، فمدت يدها

نحوه لتمسك به، لكنه انزلق من بين أصابعها بسبب ارتجافتهم، أردفت  
عواطف قائلة بجزر:

حصل خير يا بنتي، ولا يهملك.....

صرخت نيرمين بعصبية زائدة مقاطعة إياها:

مش عاوزة حد يساعدني، أنا لسه بصحتي، مش عشان الطبق وقع مني  
أبقى خلاص بقيت عاجزة!

أشارت لها أمها قائلة بترث محاولة امتصاص ثورتها المنفصلة:

اهدي بس يا نيرمين، مالوش لازمة الزعيق!

وضعت كلتا قبضتيها على رأسها ضاغطة بقوة عليها في محاولة بائسة منها لمنع  
استمرار ذلك الصداع الذي يفتك بها، ثم صاحت بزجرة متشنجة:

سيبني لوحدي يا أمي

رأتها والدتها وهي تقاوم الألم الشديد، فزادت وخزات قلبها نحوها، أليست

ابنتها البكرية؟ أليست قطعة من روحها؟ هي تلقي بنفسها في التهلكة

مستخدمة سلاح العند، وهي لن تسمح لها بذلك، تحركت خلفها واضعة

يدها على كتفها وهي تتوسلها بصوت شبه مختنق:

يا بنتي، إتي ليه بتعملي في نفسك كده؟

أزاحت يدها عنها لتبتعد عدة خطوات وهي ترد بإحباط:

-وأنا من امتي بقيت أفرق مع حد، كلّم بتكرهوني وعاوزين تخلصوا مني،  
وأهي جتلكم الفرصة، ارتاحوا!

لمعت مقلتها بشدة تأثرا بكلماتها الموجهة، وردت بنبرة أقرب للبكاء:

-لا حول ولا قوة إلا بالله، والله إتي غلطانة، كلنا بنحبك وزعلانين عشانك،  
بلاش تقولي كده!

نظرت نيرمين لأمها بجمود رغم تأكدها من صدق كلماتها، لكن سريعًا ما زاد  
حنقها حينما تابعت:

-حتى أسيف أجلت فرحها عشانك و...

صرخت فيها مقاطعة وهي تسد أذنيها:

-مش عاوزة أسمع اسمها، أنا بأكرهها!

سألتها بصوت حزين متعجبة من كم الكراهية والعداء نحوها:

-ليه بس؟ دي بتحبك جدًا

صاحت بنفاذ صبر وقد قست نظراتها:

-بلاش الكلام ده، وققلي على سيرتها

خشيت والدتها أن تثور من لا شيء، فاختصرت في حديثها مضطربة وهي ترد:

-ماشى اللي يربحك!

.....

بذلت معها جهدًا كبيرًا محاولة التأثير عليها عل رأسها المتيبس يلين وتحكم عقلها  
وترضخ للعلاج الطبي، لكنها رفضت الاستجابة لها مكابرة ومعاودة بشراسة لم  
تتخيلها، جلست مستاءة على طرف الفراش مستندة برأسها على مرفقها،  
أخرجت تهيدة حزينة من صدرها وهي تقول:

-راكبة دماغها، أنا مش عارفة أقنعها، بتموت نفسها بإيدها

ردت عليها أسيف بإيماءة موافقة إياها الرأي:

عنيذة بشكل رهيب!

زفرت مجددًا بجزن أكبر وهي تضيف:

أنا احترت، وحاسة إني متكيفة ومش قادرة أعملها حاجة!

رفعت بصرها للسماء لتتابع بأعين تترقق فيها العبرات:

يا رب اهدئها وتوافق تبدأ العلاج، يا رب مش هانستحمل يجرالها حاجة!

لم تستطع الصمود أكثر من ذلك فتركت العنان لعبراتها بالانسياب، وأجهشت

ببكاء موجوع عليها، مسحت أسيف على ظهرها برفق متفهمة حالتها تلك، هي

لم تختلف عنها كثيرًا رغم العداوة الغير مبررة بينهما، لكن لا شماتة في المرض،

فهي لا تملك أمر نفسها، وما هي فيه ماهو إلا ابتلاء من المولى ليمتحنها، ساد

صمت ثقيل بين الاثنتين لبعض الوقت، فكلماتها تفكران في وسيلة تمكنها من

إقناعها بالتخلي عن عنادها المهلك والعدول عن رأيها الخاطيء والبدء فورًا في

خطة العلاج المكثفة خاصة أن الوقت بات حرجًا، وكل لحظة تمر دون علاج  
تشكل تهديدًا حقيقيًا عليها.

طراً ببال أسيف فكرة ما بها مجازفة قليلة، لكن ربما خلفها يكمن الحل، سمجت  
نفسًا عميقًا أخرجته من صدرها بتمهل وهي تقطع حاجر الصمت الإجماري :

-أنا عندي اقتراح، بس مش متأكدة إن كان ينفع ولا لأ-

بحث بسمة عن بارقة أمل من أجلها، فكففت عبارتها متسائلة بتلهف:

-ايه هو؟

ضغطت أسيف على شفيتها مرددة بتوجس ظاهر:

-بس يا رب هو يوافق!

قطبت الأخيرة جبينها متعجبة من تلك الجملة المريبة، والتي بدت غير مريحة  
إلى حد ما خاصة من طريقة نطقها لها، فسألتها باهتمام:

-مين ده؟!

حدقت أسيف في عيني ابنة عمتها مباشرة، بدا على وجهها الهدوء الذي  
يسبق العاصفة، انتظرت لثانيتين قبل أن تجيبها بجدية شديدة:

-منذر!

ارتفع حاجبي بسمة للأعلى غير مصدقة ما قالته تَوًا، ظنت أنها تتوهم اسمه،  
فرددت باندهاش عجيب:

-بتقولي منذر!

أومات برأسها مؤكدة وهي تشرح لها ببساطة ماهية فكرتها الغير عقلانية ليزداد معها استغرابها، رمشت بعينها عدة مرات، ولم تستطع التعقيب، هي على الأحرى لم تتوقع شيئاً كهذا منها هي تحديداً، نظرت لها ببلاهة لبعض الوقت، ثم ردت بصدمة:

مش ممكن اللي قولتیه ده!

.....

واجه صعوبة كبيرة في التأثير على صغيره لكي يمثل لطلبه ويعود لمدرسته بعد فترة غياب ليست بالقليلة، ومع ذلك اعترض ابنه على رغبته ورفض الإصغاء إليه، فاضطر دياب - رغمًا عنه - ألا يضغط عليه ويجبره على ذلك كي لا تسوء حالته كما كانت من قبل، جلس بشرفته محققًا في الفراغ أمامه يفكر بحيرة فيما سيفعله معه، شعر بصخب كبير في رأسه المزدحم بالأفكار نتيجة إنهاكه بالتفكير المتواصل، ولجت إليه والدته وهي تحمل صينية بها فنجان قهوة هاتفة بلطف:

-اتفضل يا حبيبي، عملهاك مضبوط

تناول منها فنجان قائلًا بامتنان:

تسلم ايديك يا أمي!

أسنده على حافة السور، وشرد مجدداً في الفراغ نافثاً ما تبقى من سيجارته  
بفتور، تفرست جليلة في ملامحه بضيق واضح عليها، هي تعلم ما يجيش في  
صدر ابنها من أماني وأحلام يتمنى حصولها على أرض الواقع، لكن شتان بين  
الحلم والحقيقة، تنهدت بعمق متسائلة باهتمام أمومي:

مالك؟ سرحان في ايه كده؟

أجابها بضجر وهو يطفيء عقاب سيجارته:

شايلى هم الواد ده، مش راضي يروح مدرسته، وأنا مش عاوز أشد معاه!  
أشارت له بيدها محذرة:

خده بالراحة يا ابني، على مهلك عليه، هو بردك غلبان  
أجابه بتشنج طفيف:

ما أنا مطول بالي على الآخر، هاعمل ايه تاني؟  
أومأت له بعينها متابعة برجاء:

معلش اصبر، وربنا هيدبرها من عنده

أخرج زفيراً قوياً من صدره متابعاً بتساؤل مزعوج:

نفسى أعرف جراه ايه؟!!

ردت عليه والدته:

الحمد لله إنه رجع زي الأول، هو احنا كنا طايلىن

صمت ليشعل سيجارة أخرى، وأخذ يستنشق دخانها لافظًا إياه بحركة واضحة عليه، فكرت في الاستعانة ببسمة لمساعدته، فالصغير يحبها كثيرًا وهي تجيد التعامل معه، لذلك هتفت بلا تأخير:

-بأقولك ايه، ما تقول لبسمة توديه المدرسة

التفت ناحيتها متوقفًا عن تدخين سيجارته لتتحول نظراته للحدة وهو يردد بعتاب:

-ده كلام، ما كفاية المصيبة اللي عندهم!

تابعت محاولة تدعيم رأيها:

-ربنا يشفي كل مريض، وأنا مقدره اللي عندهم، بس...

توقفت للحظة عن الكلام لتلتقط أنفاسها، ثم أضافت بعدها بجديّة:

-بس يا ابني انت بتقصدها في حاجة بسيطة، اسألها مش هاتخسر حاجة!

أشاح بوجهه بعيدًا وهو يرد باقتضاب:

-ربنا يسهل!

كان متخرجًا بدرجة كبيرة من طلب أي شيء خلال تلك الفترة العويصة، هو متفهم للظرف الطارئ بالعائلة، ولكن ما بيده حيلة، كل الطرق تؤدي دومًا إليها، وكأن مفتاح حل مشاكله معها هي فقط، احترمت والدته صمته، فتابعت بابتسامة لطيفة:

حطب يا حبيبي، اشرب قهوتك وأنا هاروح أعلق على الأكل



هز رأسه دون أن يستدير قائلاً:

براحتك!

لفظ مجددًا دخان سيجارته مرددًا لنفسه بامتعاض:

مش عاوزها تقول تماحك!

ارتشف ما تبقى من قهوته جرعة واحدة ليتابع تحديقه الشارد في الفراغ مفكرًا  
بتأنٍ في اقتراحها، ربما حقًا الحل معها، ابتسم لنفسه ابتسامة باهتة محدثًا نفسه:  
-وليه لأ؟

.....

صعب أعمل كده!

قالها منذر بصلافة متعصبة بعد أن أخبرته زوجته بخطتها في استدراج نيرمين  
بجذر نحو دائرة حبها المستحيل له، وبالتالي سيكون ما تفعله بغرض الحصول  
على رضائه الذي ستنااله إن رضخت للعلاج، هي تعلم بمشاعرها نحوه، ومتيقنة  
أن شيء كهذا سيكون له أكبر الأثر في إقناعها بالأمر.

تفاجأت برفضه الصارم للمسألة برمتها، فتوسلته قائلة:

عشان خاطري أنا، ماينفعش نسيبها تموت نفسها ونسكت!

بدا مزعوجًا من اقتراحها، فرد رافضًا بجديّة:

-ماينفعش، أنا مش كده!

ردت موضحة بنبرة مستعطفة:

-أنا عارفة، بس دي خدمة!

زم فمه قائلًا بإصرار معترض:

-أسيف، أنا...

وضعت يدها على كف يده الموضوع على مسند الأريكة لتحتضنه براحتها  
هامسة برجاء رقيق وهي مسبلة لعينيها:

-أرجوك يا مندر، هي محتاجة لينا، وكلامك معاها جاز يفرك ويخليها تبدأ  
العلاج

أخفض نظراته ليحدق في كفها المسك بيده، شعر بلمساتها الرقيقة التي  
تذيب جبال الثلج في داخله، بتلك الحماسة المتدفقة في عروقه النابضة،  
سيطر على مشاعره الطامعة في تذوق طعم الحب معها قائلًا بامتعاض:  
-استغفر الله العظيم، بلاش....

قاطعته متسائلة وهي تعمق نظراتها إليه محاولة التأثير عليه بسلاحها الأنثوي  
الذي تجيد استخدامه:

مش إنت بتحبني؟

أجابها بلا تردد:

-أيوه

سألته بعتاب لطيف:

حطب ترضى أزعل منك؟

التوى ثغره للجانب مرددًا بضيق:

-أنا ما يهونش عليا زعلك، بس مش كده يا أسيف!

سحب يده من كفها مديراً وجهه للناحية الأخرى، شعرت بالذنب لفشلها معه،

لمعت عينها بالعبرات، وبدأت تنوح لقلّة حيلتها، التفت ناحيتها متعجباً من

ذلك الحزن الجسيم الذي انعكس على تعبيراتها، وهتف محذراً بصلافة:

-بلاش تعيطي، أنا مش بأحب كده!

دفنت وجهها بين راحتيها لتنخرط في البكاء، فنفخ عاليًا وهو يقول على

مضض:

-خلاص، هاعمل اللي اتتي عاوزاه، ماتعيطش بقي!

رفعت وجهها لتنظر إليه وقد اعتلى ثغرها ابتسامة متفائلة، مسحت دموعها

العالقة في أهدابها بظهر كفها، ومدت كلتا يديها لتمسك بكفيه قائلة بامتنان

حقيقي:

-ربنا يخليك ليا!

أغمضت عينها للحظة قبل أن تفتحها وتضيف بتنهيدة عميقة:

-أنا بأحبك أوي

ضغط على يديها بأصابعه، وابتسم لها قائلاً بلطف:

-وأنا أكثر يا حبيبتى!

.....

بدأ الجزء الثاني والأهم من تنفيذ الخطة، وهو الاستعانة بسمة لكي تبلغ أختها بذلك الطلب الغريب، كان عليها أن تبدو أكثر جدية وهي تخبرها بهذا حتى لا تظن أن في الأمر ملعوبًا ما وتكشفه، استجمعت رباطة جأشها، ورسمت قناع الجدية على وجهها وهي تلج إلى غرفتها هاتفية بجمود:

-منذر عاوز يقابلك

اندهشت كثيرًا من جملتها، ورغمًا عنها نطق لسان حالها بتنهيده تحمل  
الأشواق والاشتياق:

سي منذر!

انتبهت نيرمين لما قالته، فلملمت سريعًا نفسها، وشدت من تعابير وجهها قائلة  
برود مصطنع:

ليه يعني؟

معرفش، بس هو قال عاوزك إتني بالذات

انعد ما بين حاجبها باستغراب مرددة:

أنا!!

حركت بسمه رأسها بالإيجاب مؤكدة بهدوء:

-ايوه، ومستنيكي برا، ومصمم يشوفك!

داعبت تلك الكلمات المنتقاة بعناية أوتار قلبها الحساسة، ولمست في روحها جزءاً كبيراً، هي تمنته حتى بات حلمها المستحيل، وبالرغم من قسوته ناحيتها ورفضه العنيد لحبها، إلا أن قلبها يحمل له الكثير من المشاعر التي تثور من أجله مع أقل تلميح، هتفت غير مصدقة:

-يشوفني أنا

قرأت في عيني أختها تأثيره عليها، وتيقنت أن ابنة خالها محقة، فالحب يفعل المستحيل، له مفعول كالسحر لا يمكن لبشر أن يتصوره، تساءلت نيرمين بسخط وهي تشير بسباتها:

-بس مش هو جاير للفقر مراته؟

أصاها بالضيق إهانتها لصاحبة القلب الحنون التي تبذل قصاري جهدها من أجلها، وفي المقابل تتلقى توبيخات مهينة لشخصها، ومع ذلك حافظت على جمود تعابيرها وردت موضحة:

-لا ليكي إتي مخصوص!

دق قلبها بعنف بعد تلك العبارة التي تضم كلمات موحية بالتفرد والاهتمام، تحمست كثيراً لمقابلته، وتهللت أساريرها المتشنجة وهي تقول بتلهف واضح:

حبيب أنا هاغير هدومي وطلعاله، قدميله إنتي حاجة ساقعة على ما أوضب  
نفسى

ردت عليها بسمة بنبرة جادة:

اطمني هاقوم بواجب الضيافة معاه، بس اتى متتأخر يش!  
نظرت نيرمين سريعًا لانعكاس وجهها في المرآة، تأملت شحوبها وذبولها الخيف  
بضيق، أرادت أن تخرج إليه في أبهى صورها، متأنقة فتخطف أنظاره وليس  
على تلك الحالة الواهنة التي تبعث على الشفقة والإحسان، زاد حماسها،  
وأسرعت نحو خزانة ملابسها لتختار أفضل ثيابها فترتديه، فمن بالخارج  
يستحق الأفضل فقط.

.....

تعثرت في خطواتها وهي تلج إلى غرفة الضيوف حيث ينتظرها، كاد صوت  
نبضاتها المتلاحق يصم أذنيها من شدة قوته، تورد وجهها لمجرد رؤيته، ولمعت  
عينها حينما رأت عينيه تستديران نحوها، هتفت بنعومة:

سي مندر!

لم يكن متفاجئًا من تصرفها لعلمه المسبق بمشاعرها التي نبذها، كان في حالة  
صراع كبير بين قلبه وعقله، أراد ألا يخدعها، لكنه وعدها أن ينفذ طلبها وإن  
كان منبوذًا، رسم بصعوبة ابتسامة باهتة على ثغره وهو يسألها باقتضاب:

أزيك

أخرجت تهيدة ثقيلة من صدرها وهي تجيبه بيأس:

-أهي ماشية!

أشار لها بيده متابعا بجدية:

-ممكن تقعدني، أنا عاوز أقولك كلمتين

جلست إلى جواره على الأريكة هاتفة بتلهف متحمس وهي تسبل عينيها نحوه:

-كلمتين بس، خليم عشرة يا سي مندر!

شعر بالنفور من طريقتها التي لا يستسيغها على الإطلاق، لكنه مضطر لتحملها حتى يدفعها نحو العلاج، للحظة تنفس بعمق، ثم رفع رأسه نحوها، وجمد أنظاره على وجهها قائلاً بثبات:

-شوفي يا نيرمين

شردت في عينيه البنيتين متأملة حدقته باشتهاء واضح، رأت انعكاس وجهها فيها، شعرت بدفء ينبع منها، همست لنفسها متوهمة:

-هاه، نيرمين، قالي اسمي كده عادي، للدرجادي أنا مهمة عنده!

كان مستشعرا نظراتها الهائمة نحوه، وقاوم قد الإمكان إظهار علامات النفور منها كي لا تفسد خطته، هو أوشك على إنهاء الجزء الأخير المتبقي، فلا داعي للتعجل، واصل استرساله مشدداً:

-وبنتك محتاجكي، واللي بتعمله ده مش كويس عشانها، ترضي هي تحسرك؟

أفاقت من خيالاتها الحاملة على صوته الذي أضاف بجديّة:  
 -أنا عاوزك تبداي تاخدي العلاج، لو فعلاً بتحبي بنتك و...  
 سألته بتنهيده حارة وهي تحدق فيه بنظرات والهة:  
 -و.. ايه يا سي مندر؟

جاء إلى تلك الجزئية التي كرهها كثيراً، لكن لا مفر منها، الخطة في الأساس  
 تعتمد عليها، وبالتالي هو مجبر على اللجوء إليها كي يضمن خنوعها، ابتسم لها  
 ابتسامة زائفة وهو يقول عن عمد:

-وبتحبيني، يبقى تخفي عشانا!

هتفت بنزق ودون تفكير:

-أيوه أنا بأحبك يا سي مندر وانت عارف ده كويس!

أغمض عينيه للحظات مسيطراً على ضيقه الذي تسلل إلى تعابير وجهه،  
 خاف من افتضاح أمره لأنه يرفض تلك المشاعر بكل قوة، فقلبه لم يخفق إلا  
 من أجل واحدة فقط، هي تلك التي عاهد نفسه ألا يحب سواها، عاود فتح  
 عينيه مضيئاً بهدوء:

-وهو ينفع اللي بيحب حد يموت نفسه؟

توترت من كلمته تلك، وزادت تخبّطاً حينما وضع يده على كفها مؤكداً:

عاوزك تتعالجي يا نيرمين!



أخفضت عينيها لتنظر بعدم تصديق في يده مرددة بصدمة:

-الكلام ده ليا سي مندر؟

هز رأسه بإيماءة خفيفة وهو يقول بجذر متعمداً اختيار كلماته:

-ايوه، خدي علاجك عشان نفسك الأول وعشان بنتك، وبعد كده عشان  
الناس اللي بتحبهم!

ارتسم على محياها ابتسامة متلهفة وهي ترد:

-أنا مستعدة أعمل أي حاجة انت تطلبها مني

سحب يده بجذر من على كفها قائلاً بجديّة:

ده طلبي الوحيد!

رمشت بجفنيها عدة مرات وهي تتأمل كفها الذي كان يلامس كفه قبل

لحظات، لم يكن وهماً أو حلماً عابراً، بل واقعاً ملموساً شعرت به وملاً روحها

وأنعشها من جديد، رأى تأثيره عليها فهب واقفاً ليقول باقتضاب جاد:

هاستأذن أنا بقي

وقفت هي الأخرى تسد عليه الطريق بجسدها مرددة بتهنيدة حارة:

ما لسه بدري، ده...

قاطعها بهدوء:

معلش، ورايا شغل في الوكالة!

أرادت أن تستفزه، أن تلعب على وتره الحساس كي ترى ردة فعله، لذا سألته  
بنزق:

-ومراتك؟!-

رغم انزعاجه مما يحدث إلا أنه حافظ على ثبات نبرته وهو يرد بجدية:  
-أنا جايلك اتني وبس!

برقت عيناها بوميض شديد غير مصدقة عبارته الأخيرة التي اخترقت قلبها  
بسهم نافذ لتلقى حتفها صريعة حبه، رددت بابتسامة عريضة قد تشكلت على  
ثغرها:

-أنا بس؟-

وقبل أن يترك لها الفرصة لتسرح في خيالات وردية لا يجذبها، جمد نبرته  
وهو يقول باقتضاب:

-سلامو عليكم

تنحت للجانب ليمرق من جوارها، فأغمضت عينيها لثانية مستنشقة عبيره  
الرجولي ليكتمل المشهد ويحفر بالكامل في ذاكرتها، فتحت عينيها لتتابعه فرأته  
يخرج من الغرفة، تهتت مرة أخرى بجملة، وتعلقت أنظارها به وهي تسير  
خلفه لتوصله إلى باب المنزل، شعرت بانتفاضة كبيرة في روحها بعد حديثها  
معه، رغبت في تنفيذ مطلبه على الفور، يكفيه أنه قد جاء خصيصًا اليوم من

أجلها، راقبتها الاثنتان من على بعد بدقة شديدة، مالت بسمة على ابنة خالها  
هامسة:

-الظاهر منذر أقنعها

اعتصر قلبها ألمًا لرؤيتها معه تبث إليه مشاعرها بأريحية تامة على مرأى ومسمع  
منها، لكن ذلك كان اختيارها، وتعهدت لنفسها أن تتحمل تبعاته حتى يأتي  
بثاره، ردت بنبرة مختنقة نسيًا:

-ماهو واضح عليها!

التفتت بسمة ناحيتها قائلة بإعجاب:

-أنا مصدقتش إنك انتي تفكري في حاجة زي كده!

ابتلعت غصة مريرة في حلقها وهي ترد:

-كان لازم أساعدها حتى لو على حساب نفسي

رغمًا عنها لفت بسمة ذراعها حولها لتحتضنها بقوة، هي خالفت كل توقعاتها،

تجربها يومًا بعد اليوم على إبداء ندمها لظنها السوء فيها ومعاملتها بفضاظة

وجفاء من قلب، كان الأكثر رقة، الأكثر رفقًا بغيرها، هي تملك من الرحمة

والحب ما لا يقارن بغيرها، قبلتها من وجنتها متابعة بامتنان صادق:

-انتي قلبك طيب يا أسيف، وربنا هيجازيكي خير عن اللي بتعمله في غيرك!

ردت بتضرع واثق في قدرة المولى على تدبير شئون خلقه:

-يا رب، هو اللي عالم باللي فينا، وقادر يزح عنها البلاء ويشفيها!

تحفرت حواسها بعد كلماته الباعثة للتفاؤل على الشروع في خطة علاجها،  
ولجت إلى داخل غرفتها لتلقي بجسدها على الفراش، حدقت في السقفية  
مستعيدة صورة وجهه الرجولي المحب لها في مخيلتها، تهتت نيرمين قائلة:

-أحبك يا سي منذر!

تقلبت على جانبها متابعة بنبرة متمنية:

آه لو تحس بيا وتفكري فيا شوية!

أغمضت عينيها مجبرة عقلها على تكرار مشهد حديثها سويا مضيفة عليه الكثير  
من مخيلتها لتنتفض مشاعرها من جديد وبقوة.

كان مدرگا لكونه سلاح ذو حدين، اللعب على مشاعر الآخرين، ورغم نبل  
غرضه إلا أنه كان ممتعضا من منحها فرصة للتعلق به من جديد بعد أن حطم  
آمالها، رأى منذر انعكاس ذلك على حالها خاصة حينما أبلغته أسيف  
بتحديدها موعدًا مع الطبيب، اكتفى بتمني الشفاء لها، واقتضب في زيارته  
لزوجه كي لا ينكشف أمره لكونه مزعوجًا من تلك المسألة.

لاحظ والده عبوسه المستمر فاستطرد قائلاً:

-هاتفصل مسهم كده كثير؟

رد عليه بتبرم:

غضب عني، مش عاجبي الوضع!

تفهم موقفه، ومع ذلك حاول تهوين الأمر عليه، فبرر له:

-انت قاصد خير، مالوش لازمة تحاسب نفسك كل شوية، اللي حصل حصل!

رد عليه متسائلاً بضيق:

-وبعدين يا حاج؟ أخرتها ايه؟!

هز رأسه هاتقاً:

-كل خير، قدم المشيئة وربنا عليه جبر الخواطر!

ولج إلى داخل مكتبها أحد العمال قائلاً بارتباك واضح عليه:

حاج طه، في.. برا...

قطع عبارته متردداً في إكمال الباقي، فصاح به طه بجدية:

ما تتكلم يا ابني، في ايه برا؟

اقتحم المكان آخر فرد يمكن توقعه، قدم قدماً وأخر الأخرى وهو يقول بجذر:

-أنا يا حاج طه!

ارتسمت علامات الصدمة الممزوجة بالاندهاش على وجهيهما، فقد كان الابن

الأصغر لغريمهما اللدود، سريعاً ما تحولت قسماً مندر للشدة، ونظراته

للعدائية والشراسة، فهب واقفاً من مكانه ليكز على أسنانه هاتقاً بحنق:

سازن.....!!!

.....



www.ayyub.org

الفصل الرابع والثمانون:

اندفعت دمائه الغاضبة في عروقه سريعًا حينما رأى وجهه المقيت أمامه، لم يتحمل وجوده في نفس المكان معه، ملامحه تذكره بوجه أخيه المقيت الذي تعرض له ولزوجته، تشنجت قسامته كليًا، ومنع نفسه بصعوبة من إطلاق السباب النابي احترامًا لوالده، ومع ذلك ثار فيه هادرًا:

-جاي ليه؟ انت مش اتحرم عليك انت وأهلك تعتبوا المكان هنا ولا....

قاطعته والده محذرًا:

-اهدى يا مندر، مش كده!

رد عليه معترضًا بشراسة وهو يحدج غريمه بنظرات مخيفة:

-أ يا حاج، هما الظاهر نسيوا اللي عملوه!

كز على أسنانه مضيئًا وهو يلوح بيده مهددًا:

-وأنا ناري لسه مابردتش!

ابتلع مازن مرارة الإهانة مجبرًا، فهو مضطر للقبول بأي شيء حتى يحقق مطلب أبيه الأخير، رد عليه مطأطأ الرأس مكسور النظرات:

-أنا محقوقك مها قولت، ولو عاوز تشتم براحتك!

وضع يده على مؤخرة عنقه متابعًا بانكسار بائن:

-أنا راضي ورقبتي تحت جزمتك، بس هاستسمحك في حاجة!

نظر إليه طه بإشفاق، هكذا تتداول الأيام بين الناس، فتارة تظن نفسك في أعلى عليين، وفي أخرى تجد نفسك تهوي في أسفل القاع، تتم بتعجب:  
- لا حول ولا قوة إلا بالله، سبحانه المعز المذل

بدا منذر أكثر جمودًا وصلابة عن أبيه، لم ينس اللحظة عنفهم وتجبرهم على الضعفاء، بطشهم الذي طال مداه عائلته - وخاصة أخته الصغرى - ناهيك عن مشكلاته مع أخيه، بالإضافة إلى أسيف والتي كان لها واضعًا خاصًا مع البلطجي مجد، زاد وجهه تعقيدًا وهدر متسائلًا بانفعال:  
عاوز ايه؟

ازدرد مازن ريقه قائلاً بتلعثم:

لو.. ينفع.. أفتح المطعم..و...

قاطعه صائحًا بعصبية وهو يكاد يهجم عليه:

إنت بتحم؟!!

استشف مازن احتمالية رفضه لطلبه، فتابع مستعطفًا:

مش عشاني والله، بس....

هدر فيه منذر بنفاذ صبر:

على جثتي إن ده حصل!



استشعر طه اندفاع ابنه الأهوج الذي ربما يؤدي به إلى مشكلة ما، خاصة أن طريقته الموحية تؤكد نيته في الاعتداء عليه، لذلك تدخل في الحوار قائلاً بنبرة عقلانية:

-إديله فرصة يتكلم يا ابني، ماتبقاش ظالم، وتجور عليه!

زفر ضاغظًا على أسنانه بعصبية:

-استغفر الله العظيم!

رد مازن بنبرة ذليلة:

-أبويا بيحاسب على آخر أيامه، وأنا مش عاوزه يموت بقهرته بسببي أنا وأخويا!

حذق فيه الاثنان بجمود جدي، فأضاف متوسلاً عل قلبيهما يرقان نحوه:

فإذا سمحت يعني تخليه يفتح المطعم، شقى عمره فيه!

رد عليه منذر بهكم ساخر وهو يحدجه بنظرات مهينة:

-ومافتكرتش ده ليه وانتو عاملين عصابجية علينا؟

لوح طه بذراعه قائلاً بجدية:

-اهدى شوية

سلط منذر أنظاره على عدوه ليرمقه بنظرات احتقارية دونية وهو يرد بتشنج:

-بلاش كلام مجانيين!

ابتلع مازن من جديد مرارة الإهانة والذل، هو من جنى على نفسه  
 بذلك، يستحق من التوبيخات والمهانة أضعافاً مضاعفة، فهو أضعاف نفسه  
 ووالده بغبائه المستحکم، فلا يلومن الآن إلا نفسه، طأطأ رأسه ذليلاً أمامها  
 متوقفاً الرفض، ها قد خسر آخر محاولة لإرضاء أبيه، لكن أعاد إليه الأمل  
 طه حينما هتف بهدوء:

سينبنا نفكر في الموضوع وروح لحالك دلوقتي  
 اشتعلت عيناى مندر أكثر عقب جملته المحفزة لانفعالاته المتعصبة، فاستدار  
 ناحية والده ليسأله بصوت محتد يحمل حنق صريح:

إنت بتديله فرصة يا حاج  
 رفع عكازه بيده هاتقاً بصرامة:  
 مندر!

اضطر أن يصمت قسراً احتراماً لشخصه المهيّب، فكظّم غضبه في نفسه لكن  
 نظراته عكست ما بداخله، تساءل مازن بجذر وقد برقت عيناه:

هاترد عليا طب امتى يا حاج طه؟

أشار له طه برأسه قائلاً بجمود:

قريب، اتوكل على الله!

رد عليه مازن بابتسامة باهتة وهو يتراجع للخلف:

-كثر خيرك، ومعروفك ده مش هنسأه أبدًا وهايفضل دين في رقبتي لحد ما أموت!

انتظر على أحر من الجمر اختفائه من أمامه ليصيح بعصبية في أبيه معاتبًا بغيظ:

-إنت بتديله فرصة يا حاج

عاود والده الجلوس على مقعده، ثم سحب نفسًا عميقًا زفره على مهل قبل أن يجيبه بحكمة اكتسبها من تجارب الزمن:

-ربنا مايحكم عليك ظالم، أبوهم مالوش ذنب في عمايل ولاده، وجيته هنا النهاردة أكبر دليل على ذلمهم وكسرتهم، ولما احنا نسمح بفتح المطعم الناس هتقدرنا بزيادة، وهيتكلموا عنا بالخير، وبعدين مين قالك إني هاسيده يفتحه من غير ضمانات وشروط!

كان غير مقتنع بما قاله، فجلس بعصبية خلف مكتبه هاتقًا بامتعاض:

-اتصرف إنت يا حاج طه، لأن أنا جايب جاز مع العالم ال..... دول!

.....

عاوتها في غسل الصحون المتسخة بالمطبخ لينتها سويًا في وقت قليل بعد ترتيب المنزل، واستغلت كلتاهما الوقت في الثثرة المعتادة لكن لم ينتها إلى المنتصه عليهما، عاودت عمها فتح الحديث في ذلك الموضوع الحرج الخاص

بزوجها وابنتها، ورغم إقتناعها بنبل نواياها إلا أنها كانت رافضة لتلك الوسيلة،  
جفت أسيف يديها في المنشفة القديمة متهدة بإرهاق وهي تقول:  
ماشي أنا موافقاكي يا عمتي، جايز أكون خاطرت بعلاقتي مع مندر، بس أنا  
واثقة فيه!

ردت عليها بغموض مبدية انزعاجها:

أنا عارفة ده، بس بصراحة مش عارفة أقولك ايه، ربنا يستر بقى  
توجست ابنة أخيها خيفة أن يكون وراء ما فعلته أمر خطير لم تحسب تبعاته  
جيّدًا، فسألته بقلق:

عمتي ايه اللي مخوفك بس؟

تهدت بعمق وهي تجيبها:

أسيف إتتي طيبة وكل حاجة، ومقدرة والله كل اللي عملتيه، ايوه نيتك خير  
مع نيرمين، بس أنا خايفة لما هي تعرف إنه كان ملعوب منكم عشان هي ترضى  
تتعالج تقلب الدنيا!

لم تعلق عليها وأصغت بانتباه تام لكل كلمة تقولها، فتابعت عواطف مضيئة  
بتساؤل مريب:

طب ايه الحل ساعتها لو مشاعرها اتطورت مع جوزك؟

تجمدت أنظار أسيف عليها حائرة في إيجاد الرد المناسب عليها، كانت محقة في  
تلك الجزئية الحساسة، أضافت عمته بجدية شديدة:

نيرمين... تقريبًا بتجبه!

لم تكن مندهشة من تصريحها، لكن خفق قلبها بتوتر رهيب من مجرد التفكير في ذلك الأمر من منظور عمتها، شعرت بجفاف حلقها، فمدت يدها لترشف الماء من الصنبور، وقفت عواطف خلفها مكملة حديثها العقلاني:  
-وكمان إنتي مش ملاحظة إنه اتغير من ساعة الموضوع ده، معدتش بيجي زي الأول ولا بيتكلم معاكي، فكرك هو راضي باللي حصل!؟

شحوب مخيف غطا تعبيرات وجه نيرمين بعد سماعها للحقيقة الصادمة مصحوب بانقباضة قوية اعتصرت قلبها بعد اكتشافها مصادفة أمر تلك الحقيقة المرة التي لم تطراً ببالها أبدًا، كانت هي بطلتها بجدارة، إشفاقًا على حالها أقدمت ابنة خالها على اختلاق كذبة المشاعر لتغرقها من جديد في أحلام لا أمل منها، كتمت بيدها شهقة كانت على وشك الخروج من جوفها لتفضح أمرها.

تابعت أسيف موضحة أسباب لجوئها لتلك الوسيلة:

يا عمتي محدش جرب زيي إنه يخسر حد عزيز عليه في لحظة!

اختنق صوتها وهي تضيف متأثرة:

إنه يختفي فجأة من حياته، وإنك تبقى لوحداك!

بدت على وشك البكاء وهي تكمل بصعوبة:

أنا جريت مرارة اليتم والوحدة، ومش عاوزة بنت نيرمين تجربها، ومش  
عاوزاكم انتو كمان تحسوه!

وضعت عواطف يدها على ذراعها لتمسح عليه برفق وهي تقول بحذر:

ربنا ما يجيب حاجة وحشة! احنا عشنا ده مع جوزي الله يرحمه والبنات  
جربوا إحساس الوحدة واليتم، ومش هاقولك إيه اللي حصلنا بعد كده، بس  
ربنا عوضنا، وأنا عملت اللي عليا عشان أعوضهم عن غيابه!

صمت للحظة لتلتقط أنفاسها ثم استأنفت محذرة بجديّة:

أنا خوفي كله من ردة فعل نيرمين، جايز متقدرش اللي عملتية عشانها، وانتو  
اللاتين بينكم مصانع الحداد، وهي مش بالساهل تسيب حاجة عاوزاها،  
وخصوصًا إن ده... منذر.. جوزك!

زادت مخاوفها من احتمالية خسارة زوجها بسبب حسن نيتها، فهتفت بقلق  
كبير:

أنا غرضي كان خير والله!

مش كل الناس بتفكر زيك!

تراجعت مسرعة قبل أن تكتشف إحداها أمرها، هرولت إلى غرفتها موصدة  
الباب خلفها، ومحدقة أمامها بأعين دامعة، وضعت يديها على رأسها ضاغطة  
عليه بقوة:

كانوا يضحكوا عليا، يستغفوني عشان أنا....!

قطمت عبارتها لتهدج أنفاسها باضطراب ملحوظ، شعرت بهبوط حاد في  
معنوياتها المرتفعة، وبتثبيط رهيب في مناعتها، بألم قاتل يجتاح رأسها حتى كاد  
يفتك به، استنزفت مشاعرها مجدداً، وخبث أحلامها تماماً، وانهار كل شيء  
في لحظة، زادت حدة الألم واشتدت قسوته، فعجزت عن الصمود، ترنخ  
جسدها، وسقطت على ركبتيها لتبكي متألمة:

طب ليه؟ اشمعني أنا؟

غلت الدماء في العروق المغذية لخلايا عقلها، فشعرت بنيران متأججة تحرقه،  
لم تتحمل المزيد من الضغوطات المميته، فصرخت بوجع حقيقي:

ليه أنا؟ لبيبيبييه؟

.....

امتثلت لرغبته الملحة في رؤيتها بسبب حاجته لمساعدتها في إقناع صغيره في  
مسألة عجز هو عن إقناعه بها، انتظرها بجوار مقر عملها ليحدثها على انفراد،  
فخرجت إليه متهادية في خطواتها، ابتسم لرؤيتها وهو يعتدل في وقفته بعد أن  
كان مستنداً على باب سيارته الجانبي، استطرد حديثه قائلاً بهدوء:  
أنا عارف إني بأثقل عليك بس محدش قدامي إلا اتني، ويحي بيحبك ويسمع  
كلامك

ردت عليه بابتسامة صغيرة:

-اتفضل، أنا تحت أمرك!

حك مؤخرة رأسه متابعا بجزر:

هل ينفع أطلب منك توصليه للمدرسة؟

قطبت ما بين حاجبيها مرددة باندهاش:

-المدرسة؟!!

أضاف موضحا بضيق ظاهر في نبرته:

هو مش عاوز يروح خالص

مطت بسمه شفتيها قائلة باستغراب:

غريبة، طب ليه كده؟

أجابها بامتعاض:

مش عارف، وأنا مش حابب أضغط عليه عشان مايكرهش المكان!

سألته باهتمام وهي ترمش بعينيها:

طيب مش سألته إيه اللي مضايقه؟

أجابها دياب بتهكم مزعوج:

-مايخدش منه عقاد نافع



حدقت فيه بنظرات فارغة تفكر ملياً فيما قاله، بينما طالعتها هو بنظرات عميقة  
محاولاً سبر أغوار عقلها، التوى ثغرها بابتسامة واثقة وهي تقطع حاجز  
الصمت المؤقت:

-او كي، سيب الموضوع ده عليا، وأنا هاتصرف  
شعر بالارتياح لتجاوبها معه، واستشف احتمالية وصولها إلى حل ما، فردد  
بتفاؤل ممتن:

-أنا مش عارف أقولك ايه!

أشارت بكفها قائلة بهدوء:

-ماتقولش حاجة!

لم يكن ليفوت الفرصة هكذا دون أن يضع لمسة خاصة به، فهمس مداعباً عن  
قصد:

-ربنا يخليكي ليا وتفضلي في حياتنا احنا الاتنين على طول!

تخرجت من غزله المتواري، فأخفضت رأسها متجنباً النظر إليه وقد شعرت  
بسخونة طفيفة في وجنتيها، اتسعت ابتسامته وهو يكمل:

تحبي نوديه دلوقتي؟ مش هأخرك، هي ساعة بالكثير

ردت باقتضاب وهي ترمش بعينيها:

ماشى!

.....  
 لاحقًا، توجهت معه إلى منزل عائلته حيث انتظرتها جليلة التي كعادتها رحبت  
 بها ترحيبًا ودودًا معبرة عن فرحتها بمجيئها، ولجت بسمة إلى غرفة الصغير  
 يحيى، فقفز من على فراشه ليحتضنها هاتفًا بمرح:

مس بسمة!

ضمته هي الأخرى إلى صدرها حاملة إياه على ذراعها، ثم دغدغته بلطف لتعلو  
 ضحكاته اللاهية معها كتمهيد حذر قبل أن تسأله بخفوت:

ايه رأيك أنا هاوصلك المدرسة!

عبس سريعًا، وحل الوجوم على تعبيرات وجهه البريئة قائلاً بتذمر:

مش عاوز

سألته مستفهمة محاولة تخمين أسباب ذلك التحول المريب في تصرفاته  
 للنقيض تمامًا:

-يعني مش عاوز تروح معايا يا يحيى؟

أجابها بصوت خفيض:

لأ عاوز أفضل معاكي، بس المدرسة لأ!

جلست على طرف الفراش ووضعتة في حجرها متسائلة بجدية ومحافضة في  
 ذات الآن على ابتسامتها الودودة:

طب ليه؟

هز كتفيه معترضًا بعبوس:

-كده!

تابعت قائلة بجدية وهي تعبت بخصلات شعره:

طيب أنا هاقعد معاك في الكلاس، ايه رأيك؟

صمت ولم يعقب عليها، فأكلت وهي تداعبه برقة:

-يعني مش هامشي ولا هاسيك، هافضل طول اليوم معاك!

شعر الصغير باطمئنان طفيف في كلماتها، وبأمان شديد ينبعث من نظراتها،

فردد بجدية:

بجد؟

أومات برأسها بالإيجاب وهي ترد:

-اه يا حبيبي، خلاص موافق؟

تعلق الصغير بعنقها متابعا ببراءة:

-ماشي، بس مش تمشي وتسييني!

مسحت على ظهره برفق قائلة:

-لا، أنا معاك، نقوم نلبس بقى!

.....

اتفق دياب مع ناظرة رياض الأطفال على استضافة صغيره مجدداً لبعض الوقت دون الالتزام بالجدول الدراسي ليعاود الاندماج مع زملائه تدريجياً بعد حالة النفور الغريبة والممزوجة بالخوف والتي سيطرت عليه من المكان، ووافقت هي بصدر رحب على ذلك الأمر لكونه يخدم مصلحة الصغير ويراعي نفسيته المهترئة ويؤدي في الأخير إلى تبيد خوفه الغير منطقي.

ظل يحيي جالساً في أحضان بسمة التي كانت جالسة بجوار والده متحرجة من الأمر برمته، لمحتها مصادفة طليقته السابقة وهي تتجه إلى محطة الوقود، فرأت ثلاثهم سوياً كأسرة واحدة، اشتعلت بها نيران الغيرة والغضب، تمتت بحنق واضح وقد اصطبغت أعينها بجمرة حارقة:

ده مكاني مش هي!

عمدت إلى ملاحظتهم لتفسد عليهم لحظاتهم الخاصة، فضغطت على دواسة البنزين لتتجاوزهم، ثم أوقفت السيارة فجأة أمامهم لتسد عليهم الطريق، مما أجبر دياب لاستخدام المكاف بصورة فجائية وحرفية لينع ارتطام حتمي، اندفعت أجسادهم للأمام كردة فعل طبيعي للتوقف المباغت.

سريعاً ما تحولت أنظاره للشراسة حينما رأى ولاء ترمقه بنظرات مغتاطة، ترجل من السيارة مندفعاً نحوها بعصبية وهو يصرخ:

-انتي اتهبلي يا.....!

ترجلت من سيارتها لتنظر لها بحدة وهي ترد بتشنج:

عاوزة ابني اللي راميه في حضن واحدة ثانية!

إهانة قوية تلقتهأ بسمة وكتمتها في نفسها، وتابعت بأعين نارية ذلك الصدام الحامي بينهما، دفعها دياب من كتفها هادراً فيها بصوت جمهوري غاضب:

-الواحدة دي جزمتهأ القديمة برقة ١٠٠ من أمثالك!

أحست بسمة بالفخر لكونه يدافع عنها بضراوة معيداً لها كرامتها قبل أن تتناول أكثر عليها وتسيء لها ببشاعة، فتشكل على ثغرها ابتسامة راضية، وعلى العكس تماماً كانت تحترق ولاء في مكانها من مدحه لأخرى، وخاصة هي، فضغطت على شفيتها مرددة بتشنج:

-أتكلم كويس ماتنساش أنا أبقى أم ابنك و....

قاطعها هادراً وهو يرمقها بنظرات احتقارية:

-أمه على الورق وبس، ده أخرك!

خافت بسمة من تطور الأمور بينها خاصة أن الصغير يراقب الوضع معها بنظرات متوترة، لذا بحرص شديد طلبت منه الجلوس في الخلف، وساعدته على الانتقال إلى المقعد الخلفي، ثم أعطته هاتفها المحمول وزودت به السماعات ليضعها في أذنيه، فاستمع الصغير للموسيقى المرححة مدندناً معها، وأدارت هي رأسها في اتجاه دياب لتتابعه عن كثب.

زادت نظراته المهينة لطليقته قوة حينما تأمل ثيابها الفاضحة التي تزداد عُرياً مع الأيام، لم تكن ترتدي سوى ثوباً قصيراً يبرز كتفها وساقها ويغطي فقط

عنقها، بالإضافة إلى كم مساحيق التجميل المبالغة التي تلتخ وجھها بها، تابع  
مكلاً باشمزاز صريح:

-بصي لمنظرک الأول قبل ما تكلمي معايا، إتي بقيتي شبه ال.....!  
فغرت ولاء شفتيها مغتظة من إساءته لشخصها، وما زاد من غضبها هو أنه  
أهانها أمامها، فهتفت بنزق:

-بقي عامل الشويتين دول عشان ترسم قصاد دي! خلاص فهت دور!  
رد عليها محذراً بعدائية مهدداً بصفعها بظھر كفھ:

-خرسي ما تجبيش سيرتها على لسانك!

تلك المرة لم تتحمل بسمة الإهانة، فترجلت من السيارة مندفة نحوها بتحفز  
رهيب، تأبطت سريعاً في ذراع دياب ليتفاجيء هو من فعلتها، سلطت  
أبصارها الحادة عليها لترمقها بنظرات دونية وهي تقول ببرود مستفز:

-بتكلمي مع خطيبي ليه؟

ارتسمت علامات الدهول على وجه دياب وتبدلت في لمح البصر إلى فرحة  
غامرة، لم يستطع التعبير عن مشاعره لكنه كان كمن بلغ عنان السماء بجملتها  
تلك، صفة قوية تلقتها ولاء في قلبها لتظل متسمة في مكانها مصدومة بما  
سمعت، أفاقت من صدمتها الكبيرة على صوت دياب القائل بجفاء:

-خدي بعضك وامشي من هنا، الأشكال اللي زيك مايشرفناش نتكلم معاها

احتقت الدماء بداخلها، شعرت بفوران محدد يشتعل بداخلها، فهدرت  
منفعلًا:

-وأنا مش هاسيب ابني لوحدة زي دي تربيه، هاخده منك وغصب عنك،  
وابقى وريني هاتعمل ايه!

نظر لها متحديًا وهو يرد بشراسة مهددة:

-أعلى ما في خيلك اركبيه، وأنا هاطلعلك القديم كله، وخلي يحيي يعرف أمه  
كانت ايه!

ابتلعت ريقها بخوف من كلماته المهددة، هي تعلم جيدًا أنه لا يعبث معها، وأنه  
لن يسمح لها بأخذ صغيرها رغمًا عنه حتى ولو بحكم القانون، نظرت له بغيظ  
مكتوم، ووضعت يدها على قبضة باب سيارتها لتركبها وهي تصيح بعصبية،  
لكن لم ينتبه دياب لها بل وضع يده على قبضة بسمة ليضغط عليها بأنامله وهو  
يتسم لها بإشراق، ورغم تخرجها منه إلا أنها حافظت على ثباتها حتى تنصرف  
تلك البغيضة من أمامها، وما إن ابتعدت حتى سمحت يدها مرددة بمرح:  
سوري إن كنت قولت....

قاطعها بتلهف وهو ينظر لها بنحو كبير:

يا ريته يكون بجد، أنا نفسي في كده والله، اديني بس فرصة وأنا...

قاطعته بسمة مجددًا متنحنة بخجل:

احم.. احنا اتأخرنا كده، يالا بينا

كان سعيدًا بظهور بوادر طيبة في علاقتها الغير معلومة المصير، وأثر عدم  
الضغط عليها كي لا يفسد تلك اللحظة الحميمة التي قلما تحدث، هز رأسه  
مرددًا:

ماشى، براحتك..!

.....

أوقف سيارته عند مدخل بوابة المدرسة الرئيسية، وترجل منها منتظرًا نزول  
ابنه وبسمة، ارتجف الصغير رغم إحاطتها له لتبت فيه إحساس الأمان، لكن  
زاد يقينها أن ما يمر به مرتبط بمكروه قد تعرض له داخل ذلك المكان، التفت  
يحبي ليدفن رأسه في حضنها هاتقًا بخوف:

عاوزة أروح البيت، مش عاوز هنا!

انحنت عليه لتقبله من رأسه هاتفة بجنو وهي تربت على ظهره بلطف:

ما تخفش يا حبيبي، أنا جاية معاك ومش هاسيبك، وبابي كمان معانا!

هز رأسه معترضًا:

مش عاوز، خلىنا نمشي!

كان دياب على وشك الصياح فيه لكنها أشارت له بعينها محذرة ليتراجع مجبرًا  
عن تعنيفه له، داعبت خصلات رأسه مرددة بلطف:

ماشى، هاندخل نجيب الهوم ورك ونمشي، اتفقنا



رد مصرًا:

لأ-

زفر دياب بانزعاج كبير شاعرًا بالضجر لعناد ابنه الذي يزيد من غضبه، لكن استمرت بسمة في استخدام أسلوب الرفق واللين معه، وبعد محاولات مضنية لإقناعه بشتى الطرق وافق بصعوبة على الدخول، كانت كمن يجره لحتفه رغم حدسها الذي يندرها بذلك، لكنها أرادت معرفة سبب خوفه الحقيقي.

صادف وقت وصولهم لثناء المدرسة وقت الفسحة الخاصة بطلاب المرحلة الابتدائية، وكان هو بشخصه المقزز ضمن معلمي الإشراف، تحرك بؤبؤي الصغير بعفوية نحو شيطانه المهلك حينما سمع صوته يصيح في الطلاب:

محدث يوقع زميله!

ارتعدت فرائصه وزادت رعشته، شعرت بسمة بيده ترتجف داخل قبضتها، فالتفت برأسها نحوه متسائلة بتوجس:

مالك يا يحيى؟

ترقرت العبرات في مقلتي الصغير، وتجمدت الكلمات على طرف لسانه فبدأ كمن فقد النطق، لكن بقيت أنظاره مثبتة عليه هو فقط، رفعت بسمة وجهها للأمام لتدير رأسها نحو الزاوية المحدق بها، فشخصت أبصارها هلعًا هي الأخرى حينما وقعت أنظارها عليه، لقد عرفته فورًا، لم تنساه للحظة، ولم يغب عن عقلها ذكرى ليست بالسارة على الإطلاق....

.....

عادت بذاكرتها لفترة مضت، ظنت أنها نسيته وطوتها مع ما يطوى من ذكريات مشينة، إنه ذلك الومع الءنيء الذي كان متواجداً في ليلة زفاف أختها، على ما تذكر كان رفيق طليقها الذي كان ملازماً له، رأء نظراته المسلطة عليها ولم ترخ لها أبداً، وتحاشرت على قدر الإمكان الاقتراب منه، واهتمت بمتابعة الضيوف الحاضرين.

تعمد في لحظة ما أثناء انشغالها بالحفل الالتصاق بها من الخلف لتشعر بشيء ما يلامس جسدها فانتفضت لأكثر من مرة مستنكرة ذلك الإحساس المرعب الذي جعل ساقها يتحولان كالهلالم، في البداية ظنت أنها تتوهم ما تشعر به، ولكن حينما استدارت للخلف رأته يرمقها بنظرات شهوانية مخيفة أجبفت جسدها، أخفض بصره ليشير إلى منطقة ما محظورة، فانسعت حدقتها برعب، وقبل أن تفتعل فضيحة كبيرة همس لها بلوم متمرس مهدداً إياها:

جربي تفتحي بؤك وهاقول إنك إءني اللي.....

غمز لها بثمة ليؤكد لها عدم اكترائه بما سءفعله، فاكنت بصفعه بقوة قبل أن تتوارى عن أنظاره لباقي الحفل حتى انقضى اليوم وانقضت معه تلك الذكرى التي عاهدت نفسها على عدم ذكرها، ولم تلتقي به بعدها بالإضافة إلى رفضها الذهاب إلى منزل عائلة طليقها كي تتجنب الالتقاء حتى به ولو مصادفة.

.....

تلك الانتفاضة المخيفة أنعشت ذاكرتها من جديد فشحب وجهها سريعًا،  
وتذكرت ابتسامته الوضيعة التي كانت تبرز بثقة من خلف أنيابه، انكشيت  
على نفسها، وضمت الصغير عفويًا إليها لتحميه، شعر دياب بوجود خطب ما  
بها، وتفرس في تعابيرها المتحولة للارتعاد والذعر متسائلًا:

في ايه؟

بقيت أنظارها عالقة على وجه ذلك الحيوان القذر، لم تحد عنه، فأدار دياب  
رأسه في اتجاهه ليرى بوضوح ما الذي تحديق فيه، تجهمت قسامته وهو يسألها  
بنفاذ صبر:

-بتبصي على مين كده

لا إراديا همست بصوت شبه مختنق:

هو.. هو!

لم يفهم مقصدها فسألها بضيق:

مين ده؟

تساءلت بلا وعي وهي تحاوط الصغير بذراعيها:

يحيي ده عمك حاجة؟

أجابها بصوت مرتجف وهو يتشبث بها أكثر:

ده العوو، أنا عاوز أمشي من هنا قبل ما ياكلني ويموتني!  
 لم يفهم دياب كلماتها الغامضة فوزع أنظاره عليها متسائلاً بعصبية:  
 - في ايه يا بسمة؟

أجابته بتلعثم وهي تتراجع للخلف:  
 دياب، أنا.. ده..

أمسك بها بقبضته من ذراعها ليجبرها على التوقف وهو يهتف بزجره:  
 -ركزي معايا، في ايه؟

استجمعت شجاعتها لترد بنبرة تحمل الكثير من الحنق والغضب وهي تشير  
 بسبابتها نحو ناصر؛ صاحب الوجه الذي لم تنساه أبداً:  
 الحيوان ابن ال..... شكله عمل حاجة في  
 ابنك.....!!

الفصل الخامس والثمانون:

توهجت أعينه المحتقنة بنيران مشتعلة عقب جملتها التي تقشعر لها الأبدان لمجرد تخيل ما يمكن أن يفعله ذئب كهذا في طفل بريء لا يفهم من الدنيا إلا القليل، جمد أنظاره عليها متسائلاً بشراسة مخيفة:

نعم؟ بتقولي ايه؟

ضمت الصغير إلى أحضانها لتحميه وهي تجيبه بغل واضح:

-الكلب ده أكيد اتعرض لابنك!

احتدت نظراتها وهي تضيف بتشنج مريب:

-أنا عمري ما أنسى الشكل الزبالة ده أبداً!

لم تعرف أنها بكلماتها المخيفة تلك تزيد من نيرانه المستعرة بداخله، خاصة أنها لم تكن تشير إلى فلذة كبده فقط، بل إليها هي الأخرى، فهم مقصدها سريعاً، وأدرك أنه ربما تطاول باليد عليه، إن لم يكن الأمر قد وصل إلى الاعتداء الجنسي، الآن فسر سبب رهبة صغيره وخوفه المستمر، كان على قدر من الغباء ليغفل عن وجود ذئب بشري وسط هؤلاء الصغار ليعثو معهم دون رقيب أو عتيد، بلغ قمة غضبه في أقل من ثوانٍ معدودة وهو يتخيل الأسوأ، هدر أمراً فيها من بين أسنانه المضغوطة بعصبية:

-ارجعي العربية حالاً

بدت شاردة وكأنها لم تنتبه لأمره الصريح، فقط نظراتها المشمئزة مسلطة على وجه ذلك الحيوان المريض، كانت تود الهجوم عليه ونبش أظافرها في عنقه

لتهش لحمه النتن حياً فتمزقه إرباً، اغتاض دياب أكثر من جمودها، فرفع كف يده ليضعه على فكها، وأدار وجهها ناحيته فحدقت في عينيه بتوتر كبير، رأت علامات تؤكد وجود رد قاس على ما سمعه منها، رد لن يقبل فيه بالسماح مطلقاً أو التهاون في حقها أو حق صغيره أو حق أي مظلوم كان من ضحاياها، ضغط بأنامله على فكها صائحاً:

-سمعتيني، استني في العربية!

هزت رأسها ممتثلة لأمره بخنوع كبير، أرخى أصابعه عنها لتتحرك بارتجاف طفيفة للخلف وهي ضامة للصغير يجي في أحضانها، تابعها بترقب حتى ابتعدت نسيئاً، فاستدار برأسه ناحية ذلك الوضع القدر ليرمقه بنظرات مهلكة، دس يده في جيب بنطاله ليخرج هاتفه المحمول، انتظر للحظة قبل أن يأتيه رد أخيه قائلاً:

-في ايه يا دياب؟

أجابه بنبرة تحمل الوعيد:

عاوزك تجيب رجالتنا يا مندر وتجيبي عند مدرسة يجي دلوقتي سألته مندر مستفهماً خاصة أن طلبه يشير إلى وجود أمر مريب وخطير في نفس الوقت:

حصل ايه؟ الواد ماله؟

أجابه بانفعال وهو يجاهد لإخفاء نبرة صوته:

عرفت مين اتعرضله!

سأله منذر بنبرة حادة:

-اتعرضله! قصدك ايه؟ أنا مش فاهمك! في ايه يا دياب؟

سحب نفسًا عميقًا ليضبط أعصابه قبل أن ينفجر من كثرة ما يكتمه في صدره،  
ثم هتف بشراسة وهو يضغط على شفتيه:

ابن..... لمس ابني، سامعني يا منذر، لمسه! وأنا هاخذ حقي منه!

رد عليه محذرًا:

-اهدى، وامسك أعصابك لحد ما أجيلك، واحنا هانفخ اللي جابوه،

وهانطلع.....!!!

لمح دياب مصادفة أخته الصغرى أروى بالفناء وهي تلهو مع رفيقاتها، فانتفض  
قلبه فزعًا عليها خاصة أن أنظار ذلك الوضع الغير بريئة كانت مسلطة على  
أغلب الفتيات، فقد أعصابه وهو يحدث أخيه:

-وجايز يكون جه جمب أختك واحنا نايمين على ودانا ومش عارفين!

سمع صوته الهادر يخرج من الهاتف قائلاً بوعيد:

مش هانسبيه، اصبر عليا لحد ما أجيلك!

صر على أسنانه هاتقًا:

-ماشي!

أنهى معه المكالمة ليتقدم نحو الفناء هاتفاً بنبرة عالية متعصبة:

أروى!

استمر في خطواته المتحركة نحوها متابعاً بصياح هادر:

أروى، بت يا أروى!

انتبهت لصوته فتهللت أساريرها قائلة:

أبيه دياب!

اقرب منه أحد المشرفين متسائلاً بجدية:

ايوه يا فندم، في حاجة؟

نظر له دياب بازدراء وهو يرد بتجهم:

جاي لأختي!

هز المشرف رأسه متابعاً بجدية وهو يشير بيده:

تمام، حضرتك لو عاوز تاخذها إذن تقدر تكلم الوكيل و....

قاطعته متسائلاً بصوت شبه متشنج:

هاخذها، بس قولي مين الأستاذ اللي هناك ده؟

نظر إلى حيث يشير فأجابه ببساطة:

إنت تقصد أستاذ ناصر، مدرس الصيانة؟!!



ضاقت نظراته حتى صارت أكثر حدة، وأردف متسائلاً بامتعاض:

-أيوه، هو بقاله كثير هنا؟

رد عليه المشرف موضحاً:

-لأ منقول قريب، بس في حاله، محدش يعرف عنه كثير!

التوى ثغره للجانب مردداً بسخط:

-ما هو باين!

أضاف المشرف بجدية:

-ممنوع حضرتك تتواجد في.....

قاطع دياب وهو ينظر له بحنق:

خلاص فهمتك!

أدار رأسه ناحية أخته الصغرى متابعاً بصرامة تفهمها جيداً:

-اطلعي فصلك يا أروى هاتي شنطتك وتعاليلي، أنا هستناكي هنا، وإياكي

تكلمي أي حد! سمعاني!

هزت رأسها بالإيجاب وهي ترد:

حاضر!

ظلت أنظاره مثبتة عليها حتى اطمئن لدخولها دون أن يمسه ذلك الوضع الحقير بنظراته، فتحرك نحو مكتب وكيل المدرسة ليحصل على إذن بالانصراف مبكرا قبل انتهاء اليوم الدراسي.

.....

على الجانب الآخر، جلست بسمة بالسيارة محتضنة الصغير تمسح على ظهره محاولة امتصاص حالة الخوف التي سيطرت عليه، منحته عشرات القبلات الأمومية الحانية التي ساعدت على التهدئة من روعه، تلفتت برأسها للجانب بين لحظة وأخرى لتحقق في بوابة المدرسة متوقعة خروج دياب، لكنه لم يأت، فدار في رأسها عشرات السيناريوهات لما يحدث، أغمضت عينيها بقوة لتنفذ صورة هذا الدنيء عن عقلها، لكن ابتسامته المقرزة كانت تبرز لها بوضوح لتغص عليها سكونها، اشتدت تعابير وجهها حدة، وتمتت بخفوت:

-رنا يولع فيك وفي اللي زيك!

حاولت بحرفية استدراج الصغير يحيى لمعرفة إلى أي مدى قد تطاول عليه وتلمس جسده، اقشعر بدنها وأصيبت بالنفور والتقرز لمجرد تصور ذلك الأمر يحدث معه أو مع غيره، تنفست بعمق لتضبط انفعالاتها، فقد شعرت بغلو دمائها، وبجراحة متأججة في صدرها تحثها على التزلج من السيارة والفتك به، هي خاضت ذلك الإحساس المرعب من قبل، فماذا عن صغار ضعفاء عاجزين عن الفهم أو التفسير؟

رسمت ابتسامة مصطنعة على ثغرها وهي تسأل يحيى بهدوء:

قولي يا حبيبي، العوو ده حط ايده على جسمك!

أجابها ببراءة وهو يدفن رأسه في صدرها:

ده عاوز يموتني!

مسحت على رأسه برفق، وأبعدته عنها لتنظر إلى وجهه ببشاشة مطمئنة إياه

وهي تتابع بحذر:

متخافش، مش هيقترب منك، بابي هايضربه زي ما احنا عملنا مع الأشرار،

مش هايقترب منك خالص، مش إنت بتصدق مس بسمة!

هز رأسه بإيماءات متكررة، فابتسمت لتجاوبه معها، تابعت متسائلة بجديّة

شديدة وهي تشير إلى جزء محدد من جسده:

ها حط ايده هنا؟

أجابها باقتضاب وهو عابس الوجه:

لا-

أخفضت يدها لتشير إلى الجزء السفلي من جسده دون أن تلمسه وهي

تسأله بهدوء رغم توترها:

حطب هنا؟

رد نافيًا:

لا-

تهدت بارتياح لعدم المساس به، إذا فأمر الاعتداء الجسدي الصريح بات  
مستبعدًا، تابعت متسائلة بتريث وهي محافظة على تلك الابتسامة الودودة:  
أومال عملك ايه؟

استخدم يحيى الصغير يديه وهو يجيئها ببراءة:

خافني كده، وكان بيبوس بنت كده، وهي بتعيط!

اتسعت حدقتهاها بهلع فقد استشفت من كلماته المقتضبة اعتدائه على طفلة  
أخرى وقعت كضحية في طريقه الشيطاني، ضمته إلى صدرها، ومسحت  
عليه برفق لتزيد من إحساسه بالعاطفة الأمومية المطمئنة، ثم طبعت على  
وجنته وجبينه قبلات صغيرة وهي تقول بخفوت:

حبيبي، احنا كلنا جمبك، متخافش

هتف يحيى بعبوس قليل:

يالانمشي، أنا عاوز أروح البيت

ردت عليه بصوت خفيض:

هنمشي، بس بابي يحيى من جوا!

مرت الدقائق طويلة عليها إلى أن رأت دياب يلج من البوابة ممسكًا بيد أخته  
الصغرى، نست أمرها تمامًا، وانقبض قلبها بقوة، خافت أن يكون قد نال منها  
بصورة أو بأخرى، شحب وجهها وهي تنظر إلى وجهها الضحوك، تحركت أعينها

نحو وجهه المكفهر، فشعرت بما يعتريه من مشاعر مشتعلة، أشار لها بيده  
قائلة:

-اركي ورا!

أزاحت بسمة الصغير عن قدميها، وأرجعته بحرص للخلف لتترجل من  
السيارة متسائلة بتوجس:

حصل ايه؟

رمقها بنظرات نارية وهو يرد بتشنج أمر:

-ماتنزلش من العربية

زاد قلقها من طريقته الهجومية فسألته بخوف:

-في ايه يا دياب؟ إنت كده قلقيني، هو قرب من أروى؟

رد بغموض أكبر وهو يجبرها على دخول السيارة:

-متسألش، اركبي!

اعترضت على أسلوبه الحاد معها قائلة:

بس...

هتف مقاطعًا بصلاية:

-بسمة، أنا فاضلي تكة وهاولع في أم المدرسة باللي فيها، اركبي واتي ساكنة

ردت باحتجاج متدمر وقد اكتسى وجهها بحمرة منفعة:

من حقي أعرف عملهم ايه ال..... ده! أنا عارفاه من أيام أختي و....  
 لم يكن بحاجة إلى تلميحتها الضمني لكونه قد أساء لها لتلهب ثورته وتشعل  
 بركان غضبه الذي يهدد بالانفجار تواء، زفر صائحًا بنفاذ صبر:  
 -بسة بلاش تستفزي أعصابي، اسكتي دلوقتي  
 استشعرت حالة العصبية المسيطرة عليه، فتراجعت عن عنادها مضطرة وهي  
 ترد بامتعاض:  
 -حاضر يا دياب!

اختنق صوتها وصار أكثر حدة وهي تكمل بصعوبة:  
 -بس الكلب ده ليه تار معايا، ومش هاهدى إلا لما أشوفه متعلق!  
 نظر لها بجمود رغم اشتعال نظراته، كان حديثها يعكس الكثير، لكنه كان كافيًا  
 لإعطاء إشارة لقتله، ركبت السيارة فصفق الباب خلفها متطلعًا أمامه بنظرات  
 حادة تحمل الكثير، لم يفارق الهاتف أذنيه فقد كان بين فنية وأخرى يهاتف  
 أحد ما، حاولت هي تخمين هوية المتصل، لكنها لم تعرف، وزال فضولها حينما  
 رأت منذر مستقلاً إحدى شاحنات النقل التابعة له وبصحبته عدد من عماله،  
 هنا أيقنت أن الأمر لن يمر على خير.

تعلقت أنظارها بدياب الذي أسرع ناحية أخيه، لم يختلف حاله عنه كثيرًا،  
 خرجت من تحديقها المتمعن بهما على صوت أروى المتسائل بفضول:

هو احنا مستنين ايه يا مس؟

استدارت برأسها نصف استدارة لتجيها بحذر:

مش عارفة!

عاودت التحديق في دياب وأخيه فرأتها يتبادلان إشارات غاضبة باليد، ونظراتها تحملان الوعيد بالرد القاسي، حاولت قدر الإمكان فهم ما يقولان ووصل إلى مسماعها تهديدات بالانتقام الشرس، التفت دياب ناحيتها ليجدها محدقة فيه فعاود النظر لأخيه ليضيف شيء ما، ثم لوح له بيده وهو يتحرك عائداً نحوها.

لم ينطق بكلمة واحدة وهو يفتح الباب ليجلس خلف المقود، فسألته بجدية:

حصل ايه؟

أجابها بغموض دون أن يلتفت نحوها:

هتعرفي دلوقتي!

ابتلعت ريقها متوقعة الأسوأ، هي تعرف تلك التعبيرات جيداً، وقرأتها من قبل حينما يوشك على رد الصاع صاعين لمن يتجرأ عليه، التزمت بالصمت تفكر ملياً فيما سيفعله بالوضع ناصر، هو يستحق الشنق لا محالة لتجرأه على الصغار ممن يغتال برايتهم، فلا يستطيعون البوح بما يتعرضون له سرّاً ورغماً عنهم.

ظل منذر واقفًا بجوار الشاحنة متطلعًا إلى بوابة المدرسة ومن حوله عماله،  
كانوا على أهبة الاستعداد، أدار بصره في اتجاه أخيه ليرسل له إشارة ضمنية  
ليبدأ بعدها في إدارة محرك السيارة، شعرت بسمة بالخوف فتساءلت:  
-انتو هتعملوا ايه؟

لم يجب عليها، بل وجه سؤاله لأخته الصغرى وهو يحدق بها عبر مرآته  
الأمامية:

أروى، مدرس الصيانة ده جه جمبك؟

سألته أخته باستغراب وهي قاطبة لجبينها:

مش فاهمة يا أبيه؟

التفتت برأسها للخلف لتحقق في وجه أروى الحائر، وقبل أن تتفوه بكلمة  
سألها دياب بحدة قليلة:

مد ايده عليكى؟

توترت بسمة من نوعية الأسئلة التي يطرحها عليها، بينما أجابته أروى ببساطة  
وهي تهز رأسها نافية:

لا-

تابع مضيئًا بحدة:

خضربك قبل كده أو...



تلك المرة قاطعته بسمة مرددة بقوة مستنكرة طريقته في استجواب أخته وكأنه  
متهمة ما:

دياب!

رد بانفعال وهو يقبض على مقود السيارة بأنامله:

نعم؟ مش أختي معاه في المدرسة ولا مش واخدة بالك؟

حاولت أن تمتص غضبه قائلة بجذر وهي توميء له بعينيها:

بس مش كده؟

سألها بنفاد صبر وقد اشتدت تعابيره:

أومال ازاي؟

أشارت له بقبضتها محذرة:

بالراحة شوية!

ضغط على شفثيه مرددًا باقتضاب:

ماشى!

تنفس بعمق ليخرج بعدها زفيرًا قويًا، ثم تابع متسائلًا بتريث:

أروى اللي اسمه ناصر ده هزر معاكى قبل كده ولا مع حد من أصحابك؟

ضايقكم يعني؟

هزت رأسها نافية وهي ترد:

لأ يا أيه، مستر ناصر مدخلناش إلا مرة، وأنا غبت عشان فرح أيه مندر  
و...

شعر بالارتياح لكونها كانت في منأى عن نجاسته، فرد باختصار:  
تمام!

اكتفى مما سمعه فضرب بيده على المقود متابعًا  
أنا نازل أجيب أمه!

انقبض قلبها بقوة خوفًا عليه، فسألته بتلهف:  
دياب إنت رايح فين؟

رمقها بنظرة أخيرة دون تعليق قبل أن يخطو نحو أخيه متسائلًا بحزم:  
جاهز يا مندر؟

هز رأسه بالإيجاب وهو يرد:

ايوه، هاته برا واحنا هنتصرف معاه!

كور دياب قبضته متابعًا بوعيد مهلك:

ابن ال..... مش هاسيه !!

.....

ولج مجددًا إلى داخل المدرسة مدعيًا وجود موعد مع معلم الصيانة، تجول في  
الفناء باحثًا عن هدفه، لم يجد صعوبة في إيجادها، فقد كان واقفًا بالقرب من  
صنابير المياه يأمر الطلبة بتنظيف الفناء مما به من أوراق متناثرة، احتدت  
نظراته نحوه وهو يتحرك صوبه مباشرة، هتف بصوت قاتم:

-إنت ناصر؟

التفت الأخير نحوه ينظر له شزرًا لكونه يناديه مجردًا دون أي ألقاب كوسيلة  
للتحقير من شأنه، رد بتجهم واضح عليه:

-اسمي مستر ناصر، أو أستاذ ناصر يا كابتن؟

لوح بيده متابعًا بازدياء:

-إنت مش داخل سويقة، دي مدرسة محترمة، فاتكلم كويس!

رمقه بنظرات مهينة وهو يرد بتهكم:

-وماله يا محترم!

زادت نظرات دياب حدة وهو يكمل بغموض مريب:

-حيس كده بقى أعرفك بنفسي يا أبو الماستر!

أطال ناصر النظر نحوه وهو يسأله باستخفاف:

-ها تكون مين يعني؟

دنا منه حتى تقلصت المسافة تمامًا، ثم لف قبضته حول عنقه ليطوقه منه وهو  
يجيب بنبرة عدائية:

قضاك يا ابن ال..... يا.....!!!

تفاجأ ناصر من كم الإهانات اللاذعة التي تلقاها دفعة واحدة بالإضافة إلى  
محاولة إعتداء باليد عليه، وقبل أن يفيق من صدمته أو حتى يقاومه ويرد  
عليه، جذبه دياب ناحيته مكلاً بشراسة:

مش هاتقلت باللي عملته يا ابن الحرام! إنت وقعت معايا أنا بالذات

وضع ناصر ذراعه محاولاً صدّه وهو يرد بحنق:

في ايه؟ ماسمحلکش، ده أنا...

قاطع دياب صائحاً بإهانة حادة:

أنا اللي هاطلع..... بذب ابني وابن كل واحد نجسته بقذارتك  
يا.....!

ارتجف ناصر للحظة مما صرح به، وخشي أن يكون أمره قد فُضح من قبل  
إحدى ضحاياه، فزرد ريقه الجاف متسائلاً بخوف كبير:

انت.. بتقول ايه؟

رد عليه دياب بصوته المحتد:

فكرك محدش كان هيعرف يا نجس؟!

ابتلع ريقه مجددًا وحاول أن يتملص منه لكنه عجز عن الإفلات من قبضتيه  
المحكمة عليه، هتف بصوت شبه مذعور:

-بعد ايدك عني، أنا مدرس محترم هنا!

رد دياب بعدوانية صارخة غير مكترث بتبعات تهوره:

-انت تخرس خالص بدل ما أدبجك في قلب الحوش!

استشعر خطورة تهديده فحرق فيه بهلع، لم يكن دياب بالشخص المازح أو  
الذي يردد عبارات عابثة، بل كلماته موحية بشر دفين، تابع دياب محذرًا وقد  
لوى عنقه أسفل ذراعه:

-من سكات معايا لبرا

حاول أن يحرر عنقه من أسفله مرددًا بتوتر كبير:

-انت فاهم غلط يا أستاذ أنا،.....

قاطعته بقوة وهو يضغط على فقرات عنقه:

-وماله، عاوزك تفهمني الصبح يا.....!!

توسه مستعطفًا:

يا أستاذ اسمعني بس

جرجره خلفه هاتفًا بحنق متوعد:

-هاسمعك بس مش هنا!

نظر بعض المتواجدين على مقربة من بوابة المدرسة باستغراب لهما، ولكن كان  
دياب الأسرع في الخروج قائلاً:

عندي كلمتين مع الأستاذ شوية وراجعين

لم يقوَ أحد على اعتراضه وإلا فضح أمره علناً وخسر كل شيء، فاضطر ناصر  
أن يهتف بخوف:

ده قريبي وهاكلمه برا، وراجع تاني!

كانت نبرته مهتزة رغم وضوحها لكنها أعطت المجال لحارس البوابة لكي يفسح لهما  
ليجرا، وما إن تأكد من عدم إتباع أي أحد له حتى هدر عاليًا وهو يلوح بذراعه  
المتحرر:

منذر

انتبهت بسمة لصوته المألوف ورأت بصحبته ذلك الدنيء النجس، رمقته  
بنظرات متقززة، وتابعت ما يحدث باهتمام، أشار منذر لعماله هاتفاً بصرامة:

-الديحة جت يا رجالة!

حدق ناصر في عدد الرجال المحاوط به ليقيدوا حركته تمامًا وهو يتساءل  
بتوجس مذعور:

-في ايه؟

حده مندر بنظرات مظلمة متأملاً وجهه المقيت، باغته برفع كفه عاليًا في  
الهواء ليهوى بظهره على صدغه بصفعة قوية مؤلمة، صرخ الأخير مصدرًا أنينًا  
موجعًا، شعر بخيوط الدماء تخرج من بين أسنانه فزاد هلعًا مما هو مقبل عليه،  
أمسك به من فكه يعتصره متابعًا بتهديد:

هاندمك على اللحظة اللي فكرت بس فيها تمس ابننا!  
قفز قلبه في قدميه من فرط الرعب وهمس مستجديًا بصوت متقطع:  
أنا، م....

لم يمهله الفرصة لطلب الرحمة بل صاح أمرًا في عماله:  
خدوه

قيده العمال وسحبوه جرًا نحو الشاحنة ليلقوه بداخلها، واندفعوا فوقه يكيلون له  
من اللكمات والضربات ما جعله يصرخ مستغيثًا، لم يعبأوا بصراخه فهم  
مكلفين بمهمة محددة وهي تلقيه درسًا قاسيًا طوال الطريق حتى يصلوا إلى  
المستودع حيث ينتظره جزائه.

عاد دياب إلى السيارة ليقودها، بدت أنفاسه مضطربة نتيجة انفعاله، راقبته  
بسمة عن كئيب متجنب الحديث معه، لكنه بادر قائلاً بصوت متعصب وشبه  
لاهث:

أنا طالعين على المخزن  
سألته باهتمام:

ليه؟

هاخذ حق ابني من الكلب ده!

التفت ناحيتها معمقًا نظراته وهو يتابع بجدية:

-وحقك إنتي كمان!

رمشت بعينها بتوتر مستشعرة تلك السخونة الطفيفة التي تنبعث من وجنتيها  
كدليل على توردهما بشدة، هو سيعيد لها حقها المسلوب، سيديق أمثاله من  
الحقراء ألوانًا قاسية من العذاب، تقوست شفتها بابتسامة باهتة لكنها راضية  
عما سيفعله، وضع دياب يده على كتفها مضيقًا:

-زي ما ابني يهمني والي يدوسله على طرف أشقه نصين، اتني كمان ليكي  
وضحك معايا!

أدارت رأسها بعيدًا عنه متحاشية النظر إليه بعد نجلها من جملته الأخيرة، كان  
مطمئنًا نوعًا ما لكونها لم تنبذ مشاعره مثلما تفعل، بل على العكس كانت تلين  
نحوه، وقلبا المتيسير يرق من معسول كلماته الصادقة المصحوبة بأفعاله  
الشهمة، لم يطل التحديق فيها طويلًا، والتفت أمامه ليدير محرك السيارة  
منطلقًا نحو المستودع التابع للوكالة.

.....

تعذر عليها الوصول إليه لتبلغه بتدهور حالة ابنة عمها واضطرابها لنقلها  
للمشفى بصحبة عمها التي انهارت كليًا حينما رأتها على تلك الوضعية الحرجة،



وضعت بالعناية المشددة، وتم حظر الزيارة لها نهائياً ريثما يصدر الطبيب المتابع  
لوضعها الصحي تقريره الأخير، جلست الاثنتان على أحد المقاعد المعدنية بالمر  
تدعوان الله أن يخفف عنها ألمها، احتضنت أسيف رضيعتها برفق وهي  
تهدهدها، فهي الأخرى لم تكف عن البكاء وكأنه تشعر بما في والدتها.  
هتفت عواطف قائلة بصوتٍ باكٍ:

أنا خائفة عليها أوي، يا رب اشفيها عشان خاطر بنتها!  
ضمت الرضيعة إلى حضنها بذراع وباليد الأخرى لفتها حول كتفي عمها قائلة:  
-ربنا موجود يا عمتي، هو قادر على كل شيء  
مالت برأسها نحوها وهي تبكي بقلب مروع:  
آه، يا ضنايا يا بنتي! يا رب خد يديها!  
مسحت على كتفها متابعة بصوت خفيض:  
-اهدي يا عمتي، إن شاء الله هتقوم بالسلامة، نيرمين جامدة ومش  
هاتستسلم للمرض!

كفكت عبراتها بظهر كفها لتدعو بتضرع:  
يا رب قويا على اللي هي فيه، يا رب اشفيها، إنت اللي عالم بحالنا، مالناش  
غيرك يا رب!

خرج الطبيب من غرفة العناية متوجهاً نحوها قائلاً بنبرة رسمية:

لحظة من فضلكم!

هبت الاثنتان تنتفضان من مكانهما لرؤيته، تساءلت أسيف بتلهف:

-ايوه، خير يا دكتور؟

ردت عواطف هي الأخرى بنبرة شبه مرتعدة:

طمنا يا ابني، بنتي جralها حاجة؟

استصعب التمهيد لها لكونه يرى الجو العام لحالتها النفسية، لكن لا مفر من الحقيقة، ففي كل الأحوال هو مضطر للتطرق إلى وضعها الصحي، تنفس بعمق مستجمعًا شجاعته ليستطرد حديثه بجذر، وضغط على شفثيه قائلاً بتهمل مدروس:

للأسف الحالة متأخرة جدًا، وحتى العلاج مش...

وضعت أسيف يدها على فمها لتكتم شهقتها قبل أن تخرج من جوفها، بينما صرخت فيه عواطف بفرع:

ماتكلمش الله يكرمك، قول انها هتفوق وتبقى كويسة!

لم يكن بيده حيلة، هي فقدت مناعتها وتفشى المرض اللعين في خلايا جسدها بضراوة ليفني جسدها، طأطأ رأسه قائلاً بهدوء مفتعل:

دعواتكم ليها، عن اذنكم!

تراخي جسد عمته إلى حد ما من أثر الصدمة، وخشيت أسيف أن تفقد  
وعيمها متأثرة فأسرعت بإسنادها بذراعها الحر، وتشبثت بالرضيعة جيداً كي لا  
تسقطها، هتفت بتلف مرتعد:

-عمتي!

كانت في حالة لا وعي حزناً على ابنتها البكرية، وهتفت بقلب مفطور:

-بنتي! نيرمين!

.....

رأتهم وهو يسحلوه أرضاً نحو المستودع فأثلج المشهد صدرها بقوة، هو  
يستحق الأبعث من ذلك، فقط لحظة واحدة اختبرتها معه أصابها بالتقرز  
والاشمئزاز، فماذا عمن اختبر أكثر من ذلك بكثير خاصة إن كان صغيراً  
عاجزاً؟ تمت لو اقتصت بيدها منه، وأشبعته ضرباً حتى تروي رغبتها في  
الفتك به حياً، استدار دياب ناحيتها متأملاً نظراتها الغريب نحوه، فشعر  
بالغيرة لكونها تنظر لغيره، لكنه يعلم جيداً أن نظراتها تلك تحمل الشراسة  
والكره له، لمح تلك التشنجات الطفيفة في بشرتها، ورأى ذلك الزفير  
المشحون الخارج من صدرها، هتف متسائلاً بجديّة:

-دلوقتي هاعرف عمل ايه في ابني، تحبي تحي معايا؟

هزت رأسها دون تردد وهي تجيبه بإيجاز:

-ايوه، بس يحبي و....

قاطعها قائلاً بهدوء:

-واحد من رجالتنا هيوصلهم البيت، ماتشليش هم!

ضغطت على شفيتها هاتفية:

طيب!

أشار لها بيده وهو يترجل من السيارة:

تعال!

أراد أن يصطحبها معه لتنتقم هي الأخرى منه عله يحو تلك الذكرى البغيضة  
من مخيلتها رغم كونه متأكدًا أنها لن تصمت عن حقها.

.....

امتعض من اتصالاتها المتكررة على فترات وهو مشغول في مسألة ذلك  
البغيض، فاضطر أن يتجاهل مكالماتها عمدًا ريثما يفرغ منه، تتم منذر مع نفسه  
بضجر:

مش وقتك يا أسيف!

التفت للأمام صائحًا في عماله بصوت آمر:

خدوا الكلب ده ورا!

رد عليه أحدهم بصلافة:

حاضر يا ريس منذر!

سحلوه بقسوة على الأرضية الصلبة ليجرح جسده ويتأذى بعنف، لكن ذلك لم يجعل نيرانه تهدأ، فجرد التفكير في تلمسه لأخته أو حتى لابن أخيه يجعل الدماء تحتقن في لحظة في عروقه وتؤجج غضبه وتزيد من حدته فيدفعه لقتله دون تردد، لحق بهم بخطوات متعجلة لكنه تهدأ في مشيته حينما رأى أخيه مع بسة، فهتف متسائلاً باستغراب:

جايها ليه معانا؟

أجابه بغموض وهويشير له بعينه:

ليها حق عند الكلب ده!

بدت نظرات منذر قاسية للغاية تنتوي كل شر له، فذلك الخبيث المنحرف تجرأ على الكثير دون أن يهاب ممن يمكن أن يردعه يوماً، وها قد حانت نهاية أمثاله.....!!!

.....

## الفصل السادس والثمانون:

اندفع كالثور الهائج دافعًا حارس بوابة ذلك الصرح التعليمي دون الاكتراث بمحاولاته الفاشلة لمنعه من الدخول، وكيف يمكنه أن يتصرف بعقلانية وقد أخبرته ابنته عن محاولة التحرش بها من قبل أحد المعلمين بمدرستها؟ أخبرت براءة والدتها عن تلك التجاوزات معها علها توضح لها سبب ذلك، ففزعت لمجرد سماعها للأمر وأبلغت زوجها فورًا الذي ترك ما بيده ليصل إلى ذلك المنحرف الشاذ الذي يعتدي على الصغار في غفلة من الجميع، وبالطبع لم يأت خالي الوفاض فقد حرر محضرًا بالمخفر ليسجل الواقعة المشينة ويقتص لابنته وغيرها من ضحاياها.

تفاجأ الحارس بولي الأمر وأفراد الشرطة من خلفه فلم يستطع صدهم بمفرده، وأرسل في طلب وكيل المدرسة الذي هرول راكضًا ناحيتهم وهو يتساءل بخوف:

خير يا حضرات؟ في ايه؟

رد عليه الأب بتشنج متعصب وقد برزت حدقاته بغضب مشتعل:

خين ناصر ابن ال..... اللي شغال هنا

ضاقت عين الوكيل مرددًا بغرابة بعد سماعه لتلك الكلمات المهينة:

نعم؟

سلط الضابط أنظاره عليه متسائلاً بنبرة رسمية:

-انت مين؟

حاول استيعاب ما يحدث من وجود للقوى الشرطية بمدرسته، وكذلك  
إدعاءات ولي الأمر الذي يحترق غضباً في مكانه، فارتجفت نبرته وهو يجيبه:

-أنا وكيل المدرسة حضرتك، ممكن بس أعرف في ايه؟ وازاي حضراتكم....

قاطع الضابط بلهجة رسمية:

-معانا أمر من النيابة بالقبض على مدرس الصيانة هنا، اسمه ناصر....

هتف وكيل المدرسة مدهوشاً وغير مصدق لما التقطته أذنيه:

-أستاذ ناصر؟ ليه؟ هو عمل حاجة؟

رد عليه الأب بشراسة وقد أوشك على ضربه:

-انت لسه هتسأله يا باشا؟ اللي زيه الكلاب دول لازم يتعدموا في ميدان

عام!

اقترب أكثر من وكيل المدرسة ليدفعه من كتفه بعنف وهو يضيف بهياج

جنوني:

-بقي ولادنا نسيبهم أمانة هنا عندهم تقوموا تشغلوا واحد زي ده هنا يغتصبهم

تفاجأ الوكيل بتلك الإدعاءات الصادمة، فرد بذهول كبير وقد شحبت لونه وجهه  
من هول ما سمعه:

-انت بتقول ايه؟

صاح الأخير بنفاذ صبر:

-الي سمعته، فينه ال..... هاموته يايدي!

تدخل الضابط بينهما قائلاً بصرامة:

-اهدى يا أستاذ، وسيننا احنا نتصرف بالقانون!

شعر الوكيل أنه على وشك فقدان وعيه بسبب صعوبة الموقف، ففي مدرسته  
يوجد ذئب بشري يفتال براءة الصغار، كيف يعقل ذلك؟ حاول تدارك  
الموقف مردداً:

-الأستاذ ناصر خذ اذن ومشي من شوية مع جماعة قرايه!

حذره الضابط بجدية وهو يشير بسبابته:

لو بتستروا عليه ده هايكون....

قاطع الوكيل بتلهف:

-الإذن موجود وأقدر أوريهولك!

بلغ الأب ذروة انفعاله فهدر بصراخ:



-تصرف يا حضرت الظابط وهاتلي حق بنتي بدل ما قسمًا عظمًا أخده  
يايدي!

حاول الضابط امتصاص ثروته المنفصلة بتعقل، فرد مؤكدًا:  
هانعمل اللازم، متقلقش!

.....

ولج ثلاثتهم إلى داخل المستودع التابع للوكالة باحثين عن ذلك المنحرف الشاذ  
الذي عاث في الأرض فسادًا، واستباح ما حُرّم عليه، اغتال براءة صغار لم  
يملكوها من خبرة الدنيا إلا القليل المعدود، وقعت أنظارهم عليه حيث كان مقيدًا  
بجبل قديم في أحد الأعمدة الخلفية، استشاطت أعين دياب فهتف بجنق من  
بين شفتيه المزمومتين:

هناك!

تحركت أنظار بسمة نحوه وتوهجت بشدة حينما رأت وجهه المقيت مرة أخرى،  
التقت عيناه المتورمتين بنظراتها المحتدة، فارتفعت نسبة الأدرينالين المحفز  
لخلاياها للهجوم عليه، تذكرت ابتسامته الوضيعة التي أحرقتها حية وهو يتباهي  
بكونه قد تلمس جسدها رغمًا عنها وكأنه انتصار لا يضاهيه شيء، فاندفعت  
بلا تفكير نحوه لتنبش أظافرها في وجهه، خدشته بشراسة وهي تصرخ فيه  
بجنون:

يا قدر!

توهمت ابتسامته تتسع لتستفزها أكثر، فارتفع صراخها المهتاج:

يا جبان، إنت حيوان، سامع، حيوان! الكل هيعرف بجرمتك يا.....!

لم تتالك أعصابها فهوت على صدغيه بصفعات متتالية عنيفة بقبضتي يدها، فتأوه متألماً من قوة الضربات وخرج صوته كالأنين متحشرجاً، لم يعد به من القوة ما يستخدمه حتى في الصراخ، فقد تكفل عمال الحاج طه بإشباعه ضرباً حتى قضوا على مقاومته تماماً فأصبح كالخرقة البالية.

كانت بسمه مغيبة نسبياً وهي تصفعه منتقمة لكل ضحاياه الأبرياء، اقتصت منه ونالت حقها وحق آخرين عجزوا عن الانتقام من أمثاله، أفرغت فيه شحنة غضبها حتى تخدل ذراعيها وشعرت بالوهن، أشفق على حالها دياب ولم يتدخل في البداية لكي تبرد نيرانها المحتقنة بداخلها، لكن أشار له منذر محذراً:

دياب! خدها من هنا!

أوما برأسه بالإيجاب، وهتف لها:

بسمه، كفاية!

تجاهلته متابعة ضربها وهي تصرخ بانفعال كبير:

-اللي زيك مش لازم يعيش، إنت تستاهل الموت!

تحرك خطوة للأمام ليجذبها من رسخها عنوة وهو يقول بجدية:

-اهدي، تعالي معايا

تلوت بمعصميا محاولة تحريرهما، بدت منزجة من إمساكه لها وجاهدت لتملص  
من قبضتيه وهي تصيح بعصية:

سييني يا دياب!

سحبها بعيدًا عن ذلك الدنيء قائلاً بهدوء ممتصًا لغضبها الثائر:

تعالى من هنا!

لم تستطع مقاومته أكثر من هذا، فقد أنهكت قواها بدرجة كبيرة، استسلمت  
لجره لها حتى خرج بها من المستودع، شعرت بالارتياح قليلاً لكونها قد  
نفست عن غضبها المدفون فيها، لم تتوقع أن تتأثر وهي تبرر تصرفها العدواني:

-اللي زيه لازم يموتوا مليون مرة

ترقرقت العبرات في عينيها بقوة وهي تضيف بصوت شبه متشنج لكنه  
مختنق:

-ده مش بني آدم، ده واحد قدر و....

انفعل لرؤيتها تبكي بسبب خوضها لتلك التجربة، فهتف مقاطعًا بحدة:

-احنا لسه هناخد حقنا منه!

مد يده عفويًا على وجتها ماسحًا ما بها من عبرات انسابت عليه متابعًا بوعيد  
رغم هدوء نبرته:

-اهدي اتى يا حبيبتى، مش هاسمح لـ..... زي ده يخليكي تعيطي!

حدقت فيه بعينها الباكتين مكتفية بالنحيب الخافت مستشعرة لمسته  
 الخشنة على بشرتها، هي عايشة معه الكثير من المواقف الصعبة، وفيها أثبت  
 أنه كأخيه؛ نسخة من الشهامة والرجولة والشجاعة، تأمل نظراتها المتطلعة إليه  
 بتلهف مشتاق، كم ود أن يتحول ما بينهما إلى ارتباط رسمي فعلي، فيعبر لها  
 بأريحية تامة عن مشاعره العميقة نحوها، لكنه خاف من المحاولة فيفسد الأمر  
 برمته، اكتفى بالابتسام العذب وهو يضيف بجدية:

-ارجعي البيت مع العيال

التفتت برأسها للخلف فوجدت الصغيران مازالا بالسيارة ويقف بجوارها اثنان  
 من عمال الوكالة، عاودت التحديق في وجهه فأومأت برأسها موافقة، لكنه تابع  
 بصرامة طفيفة:

-اركبي معاهم، وأنا هوصلكم

كفكت عبارتها قائلة بصوت مبحوح:

على فكرة يحيى بخير، الكلب ده معملش فيه حاجة، أنا سألته وعرفت  
 بنفسي

ارتسمت ابتسامة راضية رغم كونها باهتة على محياه مرددًا:

-الحمد لله

أشار لها بيده متابعًا:

-تعالى اركبي يالا!

هزت رأسها دون أن تعترض عليه لتجلس بالسيارة متنفسة بعمق حتى  
سكنت نسيئاً

.....

لم يتوقف عن صفعه بعنف مجبراً الدماء على الخروج من فتحات أنفه وفمه  
بغزارة، فلا وجود لكلمة الشفقة والعمو مع أمثاله من الخبثاء المنحرفين، توسله  
ناصر مستجدياً:

لملمستش ابنكم، ورب الكعبة ما جيت جمبه!

غرز منذر أظافره بشراسة في وجهه وهو يقبض على كفه مردداً بقسوة:

قالوا للحرامي احلف!

احتدت نظراته أكثر مكملاً بوعيد مهلك:

هو انت شوفت حاجة لسه!؟

استشعر ناصر من نظراته المظلمة هلاكه الحتمي، هو أجرم غير مكترث  
بتبعات جرائمه المشينة، وها قد جاء وقت القصاص العادل منه، صرخ مجدداً  
من صفة أعنف تلقاها في وجهه كسرت إحدى أسنانه وجرحت شفته  
السفلى بألم قوي.

تحرك منذر مبتعداً خطوة للخلف ليوقف اهتزاز هاتفه المحمول الذي كان  
يتحرك في جيبه، حدق في عدد المكالمات الفائتة من أسيف بتعجب، أحس

بوجود خطب ما لتكرار الاتصالات بلا توقف، فأجاب في النهاية قائلاً بانفعال ملحوظ:

-أسيف أنا.....

قاطعته بصوت مختنق وبالك:

-الحقنا يا منذر!

سألها بقلب منقبض:

-في ايه؟

أجابته بنبرة متقطعة:

-أنا في المستشفى، نيرمين بـ.. بموت وأنا لوحدي!

هتف مصدوماً وقد شخصت أبصاره:

-بتقولي ايه؟

.....

تغيرت الوجهة تمامًا نحو المشفى، فبعد أن علمت بسمة بسوء حال أختها وتدهور صحتها فجأة انخرطت في بكاء مستمر حزناً عليها، وحاول دياب تهدئتها بكافة الوسائل لكنه لم ينجح، ففي النهاية هي أختها وقطعة منها، أوصلها إلى هناك، ووقف إلى جوارها يدعمها، لحق به أخيه منذر بعد أن أوصى رجاله

بتسليم المنحرف الشاذ للشرطة ليم التعامل معه، فقد حرر محاميه محضراً ضده ريثما يلقنه هو درسه القاسي، كذلك انتشر خبر اعتدائه على التلاميذ الصغار بين الجميع، وبالطبع استقبله الأباء الغاضبين عند المخفر بوابل من السباب اللاذع والضربات العنيفة حتى كاد يموت ضرباً بينهم، وتمكن أفراد الشرطة من إبعادهم عنه بصعوبة ليم فتح تحقيقات دقيقة في قضيته المخجلة.

جلست بسمة إلى جوار والدتها المكلومة تضم ابنة أختها الرضيعة الصغيرة إلى صدرها تواسيها وتشاطرها حزنها الكبير، أحاطتها عواطف بذراعها باكية بقلب منفطر عليها، راقبها دياب بنظرات أسفة، ثم تركها وتحرك مبتعداً ليجري بعض المكالمات الهاتفية عله يصل إلى طبيب جيد يتابع حالتها، بالإضافة إلى متابعة آخر تطورات قضية ذلك الذئب الدنيء، وعلى مقربة منها وقفت أسيف تطالعها بنظرات دامعة، هي تشفق على ابنة عمها كثيراً، كانت قليلة الحظ، وعاشت حياة تعيسة في زيجتها السابقة، تحرك منذر نحوها هامساً:  
- اقعدي يا أسيف، مش هاتفضلي وقفة كده

ردت بصوت مرتجف وهي تمسح عبراتها العالقة بأهدابها:

خايفة أوي

تهد بعمق وهو يقول:

إن شاء الله خير، ربنا موجود!

مط فمه للأمام مضيئاً باستفسار:

-بس هي مش كانت كويسة وبدأت تتحسن، ايه اللي حصل؟

تهدل كتفها بانكسار كبير وهي تجيبه بنبرة مختنقة:

-مش عارفة، فجأة كده لاقينها واقعة ومش بترد علينا، والدكاترة هنا قالوا.....

وضع يده على كتفها يمسح عليه برفق مقاطعاً بهدوء رغم جدية نبرته:

-مافيش حاجة صعبة على ربنا! تفائلي خير

رفعت أعينها الدامعة للسماء لتردد بتضرع واثق:

يا رب اشفيها وخذ يا أيدها

على المقاعد المعدنية المقابلة، سحبت جليلة حقيبتها نحوها مفسحة المجال لزوجها ليجلس، وضربت كفها بالأخر محرمة رأسها للجانبين آسفة على حالها، مالت ناحيته هامسة له:

-لا حول ولا قوة إلا بالله، ده البت لسه صغيرة وفي عز شبابها

رد عليها بامتعاض:

-أمر الله يا جليلة

تابعت قائلة بنبرة حزينة ومواسية:

-ربنا يكون في عونهم!



مصصت شفيتها مكملة بتحسر:

-ولا بنتها كبدي عليها ما لحتش تنهني بحضن أمها، أه يا ضنايا، ربنا ما يجرب عليهم الخسارة!

نظر طه نحوها بضيق، فلا حاجة به لسماع مثل تلك العبارات المصحوبة بالنواح، فحذرها بصرامة:

-اذكري الله في نفسك يا جليلة، ماتقديش البلا قبل وقوعه

-حاضر يا حاج، بس أصلهم صعبانين عليا

-ربنا يلفظ بيهم وبيننا!

.....

لاحقًا، انتهى الطبيب من فحصها مجددًا بغرفة العناية المشددة، وأعطى تعليماته لطاقت التمريض بضرورة متابعة حالتها أولاً بأول وإبلاغه بالمستجدات، فقد استقر وضعها إلى حد ما، وبدأت تستعيد وعيها مما أعطاه مؤشرًا طيبًا، همست نيرمين بصوت واهن للغاية وهي تدير رأسها نحوه:

أنا هاموت، صح؟

حدق فيها بعبوس طفيف ظاهر على تعبيراته، وابتسم بزيف محاولاً بث الأمل فيها عل روحها المعنوية ترتفع وهو يجيئها:

-الأعمار بيد الله، ماتفكريش في حاجة يا مدام نيرمين!

أغمضت عينيها وعاودت فتحها بثقل وهي ترد:

أنا حاسة بده، أجلي قرب!

تنحج بصوت خفيض متابعًا بنبرة شبه متحمسة:

-أنا كنا فين وبقينا فين، المهم إن حالتك مستقرة دلوقتي، وده شيء كويس  
و....

قاطعته بياس وهي تحاول الإشارة بيدها المرتعشة:

محدثش بيقوم من المرض ده

وضع يده على كفها ليعيده إلى مكانه متأكدًا من ضبط الإبرة الطبية به وهو  
يقول:

خلي عندك أمل في ربنا

لم يستطع إقناعها فقد كانت متأكدة من دنو أجلها، ابتلعت ريقها المرير في  
حلقها الجاف متسائلة:

هما.. أهلي برا؟

أوما برأسه قائلًا:

-ايوه، كلهم مستنينك وهايفرحوا لما يشوفوكي

تشكل على ثغرها ابتسامة باهتة وهي ترد:

-كويس، أنا محتاجة أشوفهم

حذرها قائلاً بجدية:

-مافيش داعي للإجهاد، الراحة مطلوبة يا مدام نيرمين

هزت رأسها معترضة وهي تقول بإصرار مريب:

-لازم أتكلم معاهم، لو سمحت ناديلي أهلي

لم يجد بداً من الاعتراض على طلبها، فربما دعم أهلها يفيدها في تلك المرحلة

الحرجة، لذلك ردد مستسلماً:

-ماشي، بس مش هاينفع يدخلوا كلهم مرة واحدة، هيتقسموا

أغمضت جفنيها قائلة بضعف:

طيب، خليني أشوف الأول أسيف و.. ومنذر لو كان معاه!

رد عليها بهدوء جاد:

حاضر، بس نصيحتي بلاش تكلمي كثير

حركت رأسها بالإيجاب بإيماءة صغيرة كإشارة عن انصياعها لنصيحته، ابتسم لها

مطمئناً إياها، ثم أشار للممرضة بالبقاء معها ريثما يبلغ عائلتها برغبتها.

.....

تجمعوا حول الطبيب حينما رآه يتجه نحوهم وكل واحد منهم يعتري صدره

مشاعرًا مختلفة عن الأخر، كان خوفهم الأكبر والمشارك هو أن يبلغهم بما

يخشون سماعه، لكن تنفسوا جميعًا الصعداء حينما استطرد حديثه قائلاً  
بهدوء:

حالة مدام نيرمين مستقرة والحمد لله، وفاق كمان!

بكت عواطف فرحاً لأنها لم تفقد ابنتها بعد، وأنها لا تزال على قيد الحياة،  
شعرت براحة تجتاح قلبها الملتاع عليها وظلت تهمس بكلمات شاكرة للمولى  
على رحمته الواسعة بها، في حين ضمت بسمة رضيعتها الوحيدة إلى صدرها  
بذراعيها وهي تقبلها بحب صادق، ابتسمت أسيف بسعادة من بين عبارتها  
الساخنة ونظرت في اتجاه منذر الذي كان يطالعها بنظراته الحنونة، أخرجها  
الطبيب من تحديقها حينما تابع بجدية:

-وهي طالبة تشوفكم كلكم، بس في الأول أسيف ومنذر!

تبادل الاثنان نظرات غريبة عقب جملته تلك، وتحولت ملاحظتهما للتوتر  
والقلق، انقبض قلب عواطف بقوة وهي تسأله:

-خير يا ضاكتور؟

أجابها بجمود:

مش عارف والله، بس هي عاوزة الاتنين دول الأول

هتف منذر بجدية:

تعالى يا أسيف، احنا هندخلها وهنعرف في ايه؟

ارتعش جسدها وهي تتحرك معه نحو غرفتها، بدت واجمة للغاية محاولة تخمين  
سبب طلبها المريب، اضطربت أفكارها وتداخلت معًا فلم تستطع التفكير  
بذهن صافٍ أو حتى تخمين السر وراءه.

دقت الباب بخفية قبل أن تدخل الغرفة وتطالعها بنظراتها الحزينة، كانت  
مختلفة كليًا عن صورتها السابقة، ذبول رهيب اعتلى قسماها، بالإضافة إلى  
شحوب مزعج يشبه الموتى في انتشاره على بشرتها، حاولت أن تبتسم لتقاوم  
رغبتها في البكاء حسرة على حالها، فبدت ابتسامتها مهتزة باهتة، همست لها  
نيرمين بصوت خافت:

قربي مني

قاومت عبراتها التي تلالأت بكثافة في مقلتيها وهي ترد بصوت شبه مختنق:  
حمدلله على سلامتك، الدكتور طمنا وقال....

قاطعها مبتسمة بهمك:

هو في حد يصدق كلام الدكاترة؟!!

دق منذر الباب بقبضته منكسًا رأسه قليلاً ومخفضًا أنظاره وهو يقول بصوت  
خشن ليلفت الانتباه إلى وجوده:

احم.. سلامو عليكم!

همست نيرمين بتنهيدة تحمل الكثير وهي تحرك عينها نحوه:

سي منذر

ظل مطأطأ لرأسه وهو يسألها بجمود جاد:

-ازيك يا أم رنا؟

أجابته ساخرة من مرضها:

-زي ما انت شايف، بأموت!

اعتصر قلب أسيف بألم قوي من جملتها تلك، وتوسلتها بصوت مختنق:

-ما تقوليش كده الله يكرمك، إتي هاتعيشي

ردت عليها نيرمين يا حباط تام:

-معدتش فارقة!

انهمرت عبرات أسيف بغزارة وغص صدرها بالبكاء الحزين، كانت تراها في  
أضعف حالاتها، في أصعب المواقف وأقساها، لم تعد تلك القاسية الغليظة  
متحجرة القلب والمشاعر التي لا تعبأ بأحد سوى نفسها، تحولت كثيراً، وبدت  
أخرى، كتمت بصعوبة شهقاتها الموجوعة عليها، لكن زاد ألمها وكذلك حدة  
الوخزات التي أوجعت حلقها حينما قالت بهدوء:

-أنا عرفت الـ.. الحيلة اللي لعبتها عليا

تجمدت أنظار منذر على زوجته بعد اعترافها بكشف ملعوبها، وبدا وجهه  
مشدوداً على الأخير، هو توقع ذلك، وحدث ما كان يخشاه، هتفت أسيف  
ببكاء تسترجيها:

-أنا أسفة والله، سامحيني يا نيرمين، بس غرضي كان.....

قاطعتها الأخيرة بصلافة قليلة:

ماتبريش!

حاولت توضيح موقفها لها متوسلة:

صدقيني أنا كنت..

ردت عليها نيرمين بتنهيدة متعبة وهي تسعل:

-اسمعيني شوية!

صمتت أسيف مجبرة ولم تستطع أن تحيد بعينها الباكيتين عنها، ربما كانت نيتها حسنة معها لكنها أخطأت بالتلاعب بمشاعرها، ورغم ذلك تابعت قائلة بصوت منك:

-أنا عاوزة أشكرك على معروفك معايا، إتي أحسن مني مليون مرة!  
نظرت لها أسيف بصدمة، فأكلت بصعوبة وهي تحرك عينيها نحو حباها المستحيل:

-ايوه، دي الحقيقة، انتي تستاهلي واحد زي.. زي سي مندر!  
رفع الأخير عينيه نحوها حينما سمعها تنفوه باسمه ليحرق فيها بنظرات مطولة مستشعراً تلك المرارة والألم في تحديقها له، واصلت حديثها بابتسامة منكسرة:  
هو يبحبك ومقدرك وهيحافظ عليك!

كان الموقف عصيًّا للغاية، هي تعبر عن مشاعرها التي لم تجد من يغزيها في صورة أمنيات حملت بها، خانتها عينها فبكت وهي تضيف:

مانكرش إني كان نفسي في حد زيه يجبني، يخاف عليا من الهوا طائر، قلبه يدق عشاني بس.. نصيبي كده!

مسحت أسيف عبراتها بالمنشفة قائلة بصوت منتحب:

إن شاء الله هتقومي بالسلامة وه....

اكتفت من تحديقها في وجهه الذي عشقت تفاصيله بجوارحها، هو لم يكن لها منذ البداية، تلك هي الحقيقة التي حاربت لتثبت عكسها، وفي الأخير خسرت المعركة، ولم تظفر سوى بالمعاناة والألم، هو لم يشعر بخفقان قلبها ه ولا بجبها الذي حكم عليه بالنهاية قبل حتى يبدأ، انتهى الأمر بالنسبة لها، استدارت ببطء برأسها نحو ابنة خالها لتحدق فيها بعينين دامعتين وهتفت بجدية وهي تشير لها بسبابتها المرتعشة :

-بصي عشان مش قادرة أتكلم كثير، أنا عاوزكم تكملوا فرحكم  
وتتجوزا.....!!!!

.....



## الفصل السابع والثمانون:

أدركت في لحظة معينة من حياتها أنها وصلت إلى مفترق الطرق، إلى الختام حيث وجب عليها أن تصحح المسار، أن تضع لمسة أخيرة يذكرها الجميع فيها بالخير عليها تحصل على الرضا والسلام الداخلي، لم تعباً بتلك العبرات الساخنة المنهمرة من طرفي مقلتيها وهي تلح قائلة:

-لازم تتجاوزوا!

نظرت لها أسيف بصدمة محاولة استيعاب ما قالته توأ، أحقاً تطلب منها ذلك في خضم ماهي فيه من معاناة قاسية، اعترضت قائلة بنبرة شجيية:  
مش هاعمل حاجة واتي كده، أنا.....

قاطعتها نيرمين يالحاح:

-اسمعي الكلام، اتجوزي سي مندر واسعديه!

التفتت أعينها الباكية نحوه لتتابع من جديد بانكسار ملحوظ:

- هو يستاهلك، ويحبك!

بدت نبرتها أكثر اختناقاً وهي تتابع صعوبة:

-مافيش راجل زيه أبداً، هو واحد وبس!

كانت صادقة في ذلك، أصابت في رأيها وهي تمدح صفاته بلا توقف، فشعر  
منذر بالضيق والعجز لكونها تفصح باسترسال عن مشاعرها نحوه بصورة غير  
مباشرة في نفس الوقت الذي لا يستطيع هو فيه أن يمنحها شيء، قلبه خفق  
لواحدة فقط هي زوجته أسيف، فلا يحق له أن يعطي غيرها ما لا يملك.

تهدت بجرارة لتسحب بعدها نفسًا عميقًا قائلة بوهن:

معلش تعبتكم

اعترضت أسيف بعتاب محب وهي تمسح على جبينها برفق:

ماتقوليش كده، احنا...

أشارت لها بسبابتها المرتعشة لتقاطعها بهدوء:

هاطلب منك تنادي بسمه أكلمها!

هزت أسيف رأسها بالإيجاب فتابعت بتريث:

يا ريت أسمع خبر الفرخ قريب

ردت عليها بابتسامة باهتة:

إن شاء الله!

تحركت رأسها ببطء نحو منذر لتطلب منه برجاء:

ده طلبي الأخير منك يا سي منذر لو كان ليا عندك خاطر، اتجوزوا وافرحوا

ضغط على شفتيه مرددًا:

-ربنا يسهل، ويعينك على اللي اتتي فيه!

ابتسمت له هامسة:

يا رب!

أخضت أسيف كفها لتمسك بيدها وربت عليه بكفها الأخر قائلة:

-أحنا برا، وهابعتك بسمة على طول

أومات نيرمين برأسها إيماءة خفيفة مرددة باقتضاب:

متشكرة!

تحرك منذر أولاً وصدره مثقل بالهموم والأحزان، فليس من السهل أن ترى قريباً كنت تحدته وهو في كامل صحته وعنفوانه على شفا الموت، لا بد أن يكون في ذلك عظة، حكمة من المولى كي لا يتجبر الإنسان وينسى نفسه في لحظة، أخرج تهديدات مكتومة من صدره محملة بالكثير رافضاً الحديث مع أي شخص، توجست عواطف خيفة أن يكون أصاب ابنتها خطب شديد فسألته بتلهف وهي تتفرس في ملامحه المشدودة:

-بنتي كويسة؟ طمني يا ابني!

رفع بصره في وجهها ليتأمل تعبيراتها المكلومة، ورد عليه بهدوء:

-الحمد لله بخير

تبعته أسيف ماسحة أنفها بالمنشفة الورقية لكن لم تتوقف عيناها عن البكاء،

دنت منها عمتها متسائلة:

-اطمئني عليها يا أسيف؟

ردت عليها بجذر:

-ايوه، وهي عاوزة تشوف بسمة وتكلمها!

انتفض جسدها حينما سمعت اسمها يلفظ على شفتي ابنة خالها وانقبض قلبها بقوة، جفاف شديد اعترى حلقها فشعرت كأن به علقم مر يزيد من نغصتها، كانت ترتجف وهي تهض من مكانها حاملة للرضيعة الصغيرة، اقتربت من أسيف مرددة بصوت متقطع:

-نيرمين كويسة صح؟

حركت أسيف رأسها إيجاباً وهي تجيبها بآلم:

هي بخير، بس عاوزاكي شوية!

ضمت بسمة الرضيعة إلى صدرها أكثر، وتابعت قائلة:

-أنا هاخذ رنا معايا، هي بنتها ومحتاجة حضن أمها شوية!

ردت أسيف بإيجاز:

براحتك

ربت عواطف على ظهر ابنتها هامسة بتحذير رقيق:

حلي على أختك يا بسمة، هديها واسمعي منها، بس أمانة عليكي ماتضيقيهاش

في حاجة، هي مش ناقصة!

التفتت برأسها ناحيتها لترد بامتثال:

طيب!

ورغم الرجفة القوية التي سيطرت على بدنها إلا أنها جاهدت لتبدو قوية  
ومتماسكة أمامها، سارت بتمهل حذر نحو غرفتها تهدد رضيعتها برفق  
مستجمعة منها شجاعته، شعرت بذلك الألم العصيب الذي يفتك بحلقها لكنها  
قاومته، وتهدت بعمق كبير ضابطة انفعالاتها، استعدت للولوج إليها وهي  
ترسم ابتسامة زائفة على محياها، لكن انهار كل شيء في لحظة حينما رأتها في  
تلك الحالة الواهنة، رغمًا عنها بكت بحرقة متأثرة لها، ركضت نحوها هاتفة  
بشهقة مكتومة:

نيرمين

انحنت عليها باكية بمرارة وهي تضمها بيد، وباليد الأخرى تحمل الرضيعة، لم  
تستطع قول المزيد عبرت عنها دمعاتها وشهقاتها عن ألمها الموجه لرؤيتها على  
تلك الحالة، همست لها نيرمين بوهن:

مش كده، خلاص!

عجزت عن الرد عليها، مر أمام عينيها لحظات متداخلة من مشاهد كثيرة ضمت  
مشاحنات ومواقف كانت فيها أختها في قوتها، في شدتها، وحتى في قسوتها،  
وها هي الآن تراها في صورة أخرى، فُجع قلبها لرؤيتها في أضعف حالاتها،  
تابعت نيرمين قائلة بجمود مصطنع:

-كويس إنك جبتي رنا، كنت عاوزة أشوفها

خرج صوتها مكتومًا متقطعًا وهي تهمس لها بصعوبة:

ن... نيرمين!

ردت بتنهيدة تحمل في طياتها الكثير من الآلام:

ماتقوليش حاجة!

ابتلعت ريقها متابعة بتمهل:

عاوزاكي تسمعي لي للأخر يا بسمة!

هزت رأسها بالإيجاب، وأسندت الرضيفة على طرف الفراش لتلهو بعث

بذراعها مداعبة الهواء، سمحت نيرمين نفسًا عميقًا حبسته لثوانٍ في صدرها

قبل أن تحرره دفعة واحدة لتستطرد بعدها قائلة بتحذير:

بسمة اوعي تبقي أنانية وتضيعي حب حقيقي ظهر قدامك!

مسحت أختها الصغرى بظهر كفها عبراتها التي شكلت سحبًا ضبابية لتصغي لها

بانتباه شديد، فواصلت الأخيرة مضيضة وهي تبتمس ابتسامة باهتة:

دياب بيحبك، وباين أوي عليه!

لم تعلق عليها، واكتفت بتنكيس رأسها للأسفل، أشارت لها نيرمين بيدها

متابعة:

أنا معرفش ده حصل ازاي، لأ ومعاكي إتني بالذات، سبحان الله، مقدر

ومكتوب، بس ماتبقيش غبية وتركي دماغك وتخليه يروح منك!

تجمدت أنظار بسمة عليها منصتة بتركيز شديد في كل كلمة ترددها، هي تفتح لها بصيرتها، تدعمها في قرار مترددة بشأنه، تساعدتها على الاختيار. تهتت بتعب وهي تقول محذرة:

-اوعي تبقي زبي، امسكي بإيدك وسنانك في اللي يبجك، في اللي مستعد يعمل أي حاجة عشان يشوفك بس مبسولة!  
بدا صوتها إلى حد ما أكثر اختناقًا وهي تقول:

-تجوزيه وعيشوا سوا، هو لايق عليك!

مدت بسمة يدها لتضعها على كف أختها هامسة بصوت باك:

-مالوش لازمة الكلام في الموضوع ده دلوقتي، ارتاحي عشان خاطري ردت عليها نيرمين بسخرية مريرة:

-لأ ده وقته، يا عالم إن كنت هـ...

فهمت سريعًا إلى ماذا تلمح، فقاطعتها بلا تردد:

-ماتكليس الله يكرمك!

سلطت نيرمين أنظارها عليها لتطلب منها بجدية:

-اوعديني إنك هتتجوزيه يا بسمة!

صمتت ولم ترد، فاستعطفتها بنظراتها، تلك النظرات التي لم تكن رأتها فيها من قبل، نظرات لو كانت هي عنوانها لتغير الكثير معها، همست لها متسائلة:

ها.. هتوعديني؟

حركت رأسها باهتزازة خفيفة وهي ترد:

-أوعدك!

أخفضت نيرمين نظراتها لتحدق في رضيعتها، تلك الصغيرة التي حرمتها من الكثير، لم تعدها نعمة وهبها الله لها، بل كانت ناقمة على وجودها في أغلب الأوقات لأنها تذكرها بزوجها وبعائلته المقيمة، داعبت يدها الصغيرة بإصبعيها، وتلمست بشرتها بحنو، ثم همست بصوت متأثر:

-وبنتي رنا!

تحركت أنظار بسمة نحوها، فأكلت بنبرة خفيضة:

مش هوصيكي عليها!

بكت أختها بجرقة أشد مستشعرة وداعها في جملتها تلك، فهتفت بنحيب:

-إتي اللي هتريها!

وكأنها لم تصنع إليها، فتابعت معترفة بتقصيرها في حق رضيعتها:

-أنا معرفتش أكون أم حنينة ليها، كنت قاسية عليها غصب عني!

وضعت يدها على يد أختها مكلمة بتأكيد وهي محدقة في عينيها:

-إتي غيري يا بسمة، هاتحبيها وتعوضيها عني، مضبوط!



ارتجفت بسمة منفعلة لكلماتها التي تقطع القلوب، استأنفت نيرمين هامسة  
بصوتٍ بالكِ:

خلي بالك منها، وابقى احكي عني بالخير، قولها أمك مختارتش حياتها، بس  
عمرها مكرهتك، مش ذنبك يا بنتي إن أبوكي وحش وأمك قاسية!  
رغمًا عنها بكت بتأثر أكبر، هي جنت على رضيعتها بجمودها معها، لم تمنحها  
العاطفة والحب كما تستحق، أهملتها رغم تلك الغريزة التي منحها المولى لها،  
توسلتها بسمة باستعطاف:

عشان خاطري ماتقوليش الكلام ده

تجاهلت رجائها متابعة:

قريبها عشان أبوسها

نهضت بسمة من جوارها لتحمل الرضيعة، ثم قربتها من أختها التي جاهدت  
لتحني رأسها نحوها وقبلتها بحب تلك المرة، بللت عبراتها جبين ابنتها وهي  
تهمس لها:

-رنا يجعل نصيبك أحسن مني يا رنا!

التقطت أذنيها كلماتها الهامسة فاعتصر قلبها متألماً، وردت بتفاؤل محاولة إنكار  
ما تشعر به:

-هاتعيشي وتشوفيا لما تكبر!

أشارت لها لتبعد الرضيعة عنها وهي تقول:

ناديلي أمي أشوفها، وبعدين سبوني أرتاح!

بكت رنا بيبكاء كبير وكأنها تستشعر رحيل أمها عنها، فزاد صراخها لابتعادها عنها، وحاولت خالتها أن تهدهدها برفق علها تهدأ لكنها فشلت، فابتعد بها عن نيرمين كي لا يؤلمها صوت البكاء الصارخ.

أغمضت نيرمين عينيها تاركة العبرات عالقة بأهدابها مستسلمة لمصيرها المجهول.

.....

على عكس الجميع حاولت أن تبدو متفائلة وأكثر تماسكاً لتبث روح القوة والحماس في نفس ابنتها على روحها المعنوية المتداعية ترتفع من جديد، هي بحاجة لذلك الدعم عن ذي قبل، وإن كان الجميع في حالة حزن شديد عليها أن تكون على النقيض لأجلها، ولجت إليها بابتسامة مشرقة وهي تقول:

حمدلله على سلامتك يا بنتي، إن شاء الله غمة وهتنزاح

ردت نيرمين مبتسمة بسخرية:

-بتصدقني الكلام ده

صاحت بها عواطف بصرامة طفيفة:

-ولا كلمة يا نيرمين، الضاكتور قال ترتاحي، ولازم تسمعي الكلام

ردت عليها نيرمين بتنهيدة متعبة:

مش عاوزاكي تزعلي مني إن كنت.....

قاطعتها بلهجة شديدة وهي تدنو من فراشها:

قولت ايه؟

مسحت على ساقها المغطاة بالملاءة بيدها برفق، وتابعت بحماس:

-وشدي حيلك بقى عشان تطلعي من هنا، ولا عاجبك أعدة المستشفيات؟

نظرت لها نيرمين بأعين لامعة منهكة من كثرة البكاء، ورغم تلك النظرات التي

تفطر من يرى حقيقتها إلا أنها حافظت على ابتسامتها الودودة وهي تطالعها

بحنو لتقول بضجر قليل:

ده حتى لا أكل ولا نومة مريحة، اجمدي عشان نرجع بيتنا!

بدت غير مقتنعة بما تفعله، هي تشعر بمدى الحزن الذي تكتمه في قلبها،

حاولت أن تعبر لها عن إحساسها بألمها نحوها، فردت مستنكرة:

-اتي بتضحكي علي مين يا ماما؟

وضعت عواطف يدها على وجنة ابنتها، وظلت تمسح عليها برفق شديد،

وباليد الأخرى ربتت على كتفها قائلة بثقة:

خلي عندك إيمان في ربنا، هو صانع المعجزات وقادر على كل شيء!

حدقت نيرمين في عينيها هامسة:

-الحمد لله على كل حال، مالوش لازمة!

اكتفت عواطف بنظراتها الدافئة إليها وظلت مرافقة لها حتى غفت ابنتها في نومها، حينها فقط بكت متأثرة لحالها كاتمة في جوفها شهقاتها كي لا تخرج من حلقها وتفضحها، انحنى عليها لتقبلها في جبينها هامسة:  
-ربنا يقومك بالسلامة يا بنتي!

.....

انقضى اليوم والجميع مرابط بالمشفى متابعين باهتمام تطورات حالتها الصحية والتي ظلت على وضعها المستقر، ضجر دياب من بقائهم دون تقديم أي شيء، فاقترب من بسمة قائلاً:

-مالهاش لازمة القعدة هنا!

هزت رأسها معترضة وهي تقول بإصرار:

-أنا هافضل جمبها!

زم فمه قائلاً بضيق:

-هاتفديها بإيه وانتي شكلك هتتقي من طولك؟!!

عاد إليهم منذر هاتفاً بصوت مرهق:

-أنا سألت الدكتور هنا وقال مافيش مرافقين، بينا يا جماعة!

اعترضت عليه بعبوس:

-مش هانسديها لوحدها

في تلك المرة تدخلت عواطف لتتفع ابنتها بالعدول عن رأيها، فهتفت قائلة:  
هو بيتكلم صح، يالا يا بنات، نيرمين في سابع نومة، واحنا محتاجين نكون  
بصحتنا عشان نفضل جميعها

لم تجد مفراً من الرفض، فاضطرت أن تخضع لرغبة أمها وسارت معها تخرج  
ساقيا المتعبتين، لحقت بهما أسيف بخطوات متهادية لكن انضم إليها منذر  
هامساً بجديّة:

أسيف، عاوزك في كلمة

التفتت برأسها نحوه لترد باستغراب:

خير في حاجة؟

أشار لها بعينه لتتبعه فتحرت بهدوء معه متباطئة في خطواتها لتتمكن من  
الحديث معه بانفراد، أخرج من صدره زفيراً مسموعاً ليقول بعدها بجديّة:

-بيتهيا لي مالوش لازمة التأجيل بعد اللي اتقال!

فهمت مقصده، هو يعني إتمام الزيجة التي تأجلت بفعل الظروف الطارئة التي  
مرت بها العائلة، تخرجت منه قليلاً وهي تهمس باعتراف طفيف:

بس...

قاطعها بهدوء:

هي خلاص عرفت كل حاجة!

بدت نظراته أكثر صرامة وهو يكمل بجديّة:

-وطالما دي رغبتها يبقى أكيد هاتفرح لما تلاقينا مبسوطين، صح؟

تردد في إعطائه إجابة مباشرة، فتحجبت قائلة:

حطب أخذ رأي عمتي وبسمة

رد عليها بهدوء:

براحتك، وكمان في حاجة

عقدت ما بين حاجبها متسائلة بتوجس:

-ايه هي؟

أجابها بهدوء:

-دلوقتي أنا ظبطت الشقة بتاعتنا، ناقص كام حاجة فيها وتكون خلصت،

فايه رأيك لو اتجوزنا فيها؟

رمشت بعينها عدة مرات، كان الأمر محيرًا نوعًا ما، فقد رتبت أمورها على البقاء معه في البداية مع عائلته، لكنها تفاجأت بتجهيزه منزل الزوجية في وقت قصير،

استشعر منذر حالة التخبط المسيطرة عليها والتي انعكست بوضوح على

ملاحظتها، فأكل موضحًا:

أنا مديكي حرية الاختيار، ده موجود وجاهز، والأوضة جاهزة في بيتنا،  
 ممكن نيجي عند أهلي ونبات كام يوم، فكري وأنا معاكي في اللي تختاره!  
 ابتسمت له لكونه يمنحها مساحة من الحرية للتفكير فيما ترسد، فردت بإيجاز:  
 ماشي

لف ذراعه حول كتفها ليجبرها على السير معه في أحضانه، فتورد وجهها  
 نجلاً من حركته البسيطة تلك، مال عليها برأسه ليهمس لها باشتياق:  
 -وحشتيني، ووحشني حضنك!

أدارت رأسها في اتجاهه لتنظر له بأعين لامعة، فتناست مع نظراته تلك  
 الأحزان التي تعيشها، ففي عينيه الدفء والأمان.

.....

بعد مرور يومين، حدق الجميع باندهاش غريب غير متوقعين ما يحدث  
 بالمنطقة الشعبية، لو سرده أحدهم لم يكن ليصدقوه، لكن ما يروه الآن يحدث  
 على مرأى ومسمع من الأشهاد، فالحاج طه المعروف بالشدة والصرامة وهو  
 يسير بصحبة مهدي أبو النجا ليتجه به نحو مطعمه الذي حُكم عليه بالغلق  
 لتجاوزات ابنه مع عائلته وكان شيئاً لم يحدث، تجمع المارة متبادلين همهمات  
 خافتة متابعين بفضول ما يدور.

صاح طه عاليًا:

-اتفضل يا حاج مهدي، افتح محلك بنفسك!

التفت الأخير نحوه محققاً فيه بنظرات شاكرة، لقد تفاجأ به يطلب منه فتح  
مطعمه ليمارس عمله من جديد، تشكل على ثغره ابتسامة صغيرة قائلاً بامتنان:

-ولاد الأصول محدش يقدر يتكلم عنهم بكلمة، كتر خيرك يا حاج طه على  
اللي عملته معايا، أنا مش عارف أقولك ايه

ضرب طه بعكازه الأرضية الصلبة قائلاً بجدية:

-احنا مش بناخد حد بذنب حد، وأنا عارف إنك إنت اللي باني المطعم ده  
طوبة طوبة، فاقعد فيه وليك الأمان!

هز مهدي رأسه مردداً بانكسار:

-ربنا ما يحكم عليك ظالم!

أشار له بكفه متابعا:

-بيننا يا حاج مهدي نتكلم في مطعمك!

ثم استدار برأسه للجانب صائحا في أحد عماله:

شربات هنا يا وله حلاوة رجوع الحاج مهدي بالسلامة!

رد الأخير بامتثال وهو يبتسم:

-أوامرك يا حاج طه!

ظلت علامات الذهول والصدمة مرسومة على أوجه الجيران، ورغم ذلك أبدوا  
إعجابهم بتصرفه العقلاني خاصة في موقف القوة، حينما تكون منتصرا، هو



كسب المزيد من الاحترام والتقدير من قاطني المنطقة، وظل الحديث عن  
ذلك المشهد دائراً على ألسن الجميع.....!!

.....

الفصل الثامن والثمانون (الجزء الأول):

www.azk.com

تلقت حوله بتوتر كبير مترقبًا ولوجها إلى المطعم القريب بين لحظة وأخرى، لا يعرف سبب طلبها لرؤيته خارج المنزل، بدا له أن الأمر هامًا للغاية خاصة أنها خالفت مبادئها وأصرت على الالتقاء به منفردًا دون إبلاغ عائلتها، طرق بأصابعه على السطح الزجاجي للطاولة محاولاً تخفيف حدة القلق الذي يعتريه، لكن كيف له أن يتحكم في ذلك وقلبه بين ضلوعه يدق بعنف حتى كادت صوت نبضاته المتلاحقة تصم آذانه.

أحس بوجودها فحرك عينيه للجانب ليجدها تسير بتمهل محبب له، نهض من مكانه راسمًا على ثغره ابتسامة مشرقة، أشار لها بيده قائلاً بحماس:

-اتفضلي يا بسمة

هزت رأسها بإيماءة خفيفة كنوع من التعبير الرمزي عن تقبلها لترحيبه المتحمس لوجودها، وجلست على المقعد المقابل له، تابع متسائلًا باهتمام:

تحبي تشربي إيه

عبست بوجهها مرددة بجدية:

-لأ مش عاوزة

قطب جبينه هاتفًا باستنكار:

-وده كلام؟ لازم تاخدي حاجة الأول، ده أنا مش عاوز أطلب أكل ولا...

أشارت بكفها معترضة:

-لالالا، مالوش لازمة

ابتسم قائلاً بلطف وهو يشير بيده  
طيب مسافة ما يجي العصير، ترتاحي وتأخدي نفسك كده، عصير بس!  
استسلمت أمام إلحاحه المستمر مرددة:

طيب

تهد بجمارة محدثاً نفسه بنبرة حاملة:

-وأهي فرصة أملي عيني منك!

حضر النادل إلى الطاولة راسماً على ثغره ابتسامة مصطنعة وهو يرحب  
بالعميلين، فأعطاه دياب طلبه، دونه سريعاً وانصرف ليتابع الاثنان حديثهما،  
بدت بسمة في حالة ارتباك كبير ممزوجة بالتخبط، عضت على شفرتها السفلى  
بتوتر بائن، وحاولت تصفية ذهنها لكي ترتب أفكارها، زفرت بصوت مسموع  
وهي تقول بتردد:

-بص.. أنا مش عارفة أقول ايه!

نظر لها دياب اهتمام فواصلت بحيرة:

-أنا حاسة إن الكلام طائر من دماغي

ابتسم لرؤيتها على تلك الحالة المربكة، خاصة أن بشرتها تزداد تورداً وعيناها  
بريقاً، أشار لها بيده بهدوء:

-سمي بالله كده وأنا معاكي على الخط

تنحنحت بصوت خفيض لتتابع بعدها:

-انت عارف ظروف مرض نيرمين وحالتها

هز رأسه قائلاً بنبرة مواسية:

-رينا يشفيها، كلنا زعلانين عشانها، لعلمك أمي بتحبيها أوي و...

قاطعته قائلة بجدية:

يا رب أمين، المهم أنا....

وقبل أن تكمل جملتها انضم لها النادل محضرات العصائر الباردة، فتوقفت مجبرة

عن الحديث، لتنظر له بجدية، ابتسم قائلاً بنبرة عملية مرحبة:

-اتفضلوا يا فندم!

لوى دياب ثغره قائلاً بامتعاض:

متشكرين

انتظره للحظاتٍ حتى انصرف فسلط أنظاره عليها مكملاً بابتسامة متسعة:

-اشربي يا بسمة!

زاد توترها المصحوب بعبوس مقلق فحاول تخفيف حدة الاضطراب المسيطر

عليها، فتابع مازحاً:

-بلي ريقك، ده فريش والله

كورت قبضتها ضاغطة على أصابعها بقوة وهي تتنفس بعمق، هتفت فجأة دون  
أي مقدمات:

دياب!

تحفرت حواسه لنطقها اسمه مجردًا من بين شفيتها، أسبل عينيه نحوها مرددًا  
بسعادة:

عيون دياب!

انعد ما بين حاجبها بشدة وهي ترد:

نعم؟

أشار بسبابته مبتسمًا:

-بأقول اشربي قبل ما يبرد

ردت عليه مستنكرة جملته الغريبة:

على فكرة ده عصير، يعني بارد أصلاً!

حك مقدمة رأسه باستغراب، ثم ابتسم قائلاً بمزاح:

-والله، يبقى اشربه قبل ما يسخن!

استاءت من كونه يجعل الموقف هزلياً فصاحت بحدة طفيفة:

-ممكن تديني فرصة أقول الكلمتين اللي جاية عشانهم!

لاحظ التبدل السريع في ملامحها ما بين الاضطراب والتشنج، والتردد  
والصلابة، فرد عليها بجدري:

ماشى، بس أمانة عليكى يا شيخة، وحياة حبيبك النبي ما تكون حاجة  
تزعل!

أجابته بتجهم:

-والله على حسب

ابتلع ريقه قائلاً:

-استر يا رب، أنا خايف من الدخلة دي!

صمتت للحظات تستجمع فيها شجاعتها، أخفضت نظراتها متحاشية تحديقه  
المتعمد بها لتركز فقط في كأس المشروب الموضوع أمامها، تنحنحت هامسة  
بتردد:

-احم.. دلوقتي نيرمين كانت.. كلمتني بخصوص.. يعنى موضوعنا!

تأهب في جلسته، وأصغى بانتباه تام لكل كلمة تقولها، إذا فالمسألة متعلقة بهما  
وليس أمراً أخراً، سألها باهتمام:

ها وبعدين؟

تلعثت وهي تقول:

هي هاتكون فرحانة لو... قصدي هي هاتبقى مرتاحة لو...

صمت محاولة ترتيب أفكارها، فبدأ أكثر تلهفًا لمعرفة ما الذي تريد قوله، هتف  
ياصرار:

لو ايه؟

شعرت بصعوبة كبيرة في البوح باسترسال طبيعي لتخبره برغبة أختها في وجود  
رابط رسمي بينهما، حاولت التلميح عن ذلك الأمر قائلة بحذر:

-أنا مش عاوزة أكر بخاطرها

تمم معلقًا بصوت خفيض:

-ولا بخاطري أنا كمان!

مطت شفيتها لتضيف:

-ممم.. يعني إن... إنت وأنا.. قصدي إنك.. مش عارفة بقي!

مل من تلك الإطالة التي لا تسمن ولا تغني من جوع فهتف بنزق:

-بسمه قولي إنك وافقتي نرتبط، صح؟

أجابته بصوت أقرب للهمس وهي تتحاشى النظر كليًا له:

-ايوه

اتسعت ابتسامته بصورة عريضة حتى برزت نواجذه، وتلاحقت أنفاسه

مرددًا بعدم تصديق:

-احلني!

رفعت رأسها لتنظر نحوه باستغراب وهي تقول:

نعم

هب واقفاً من مكانه ليحدق بها بنظرات أكثر تفائلاً وحماساً عن ذي قبل،  
صاح بنبرة عالية غير مكترث بمن حوله:

إنتي وافقتي نتجوز؟

تلفتت حولها بمرح وهي تقول:

اقعد، كده هتفضحننا!!

وضع يديه على رأسه ضاغظاً عليها بقوة مردداً بفرحة جلية:

أخيراً، ده أبو الهول نطق وإنتي لأ!

حاولت أن تلفت أنظاره لكون ردة فعله تتجاوز حدود اللا معقول، لكنه كان  
في عالم آخر مرسوم فيه جميع أحلامه معها، تهد مطولاً وهو يردد بارتياح:

ياه، نشفتي ريتي عشان أسمع كلمة أه منك!

رمشت بعينها عدة مرات هاتفة بخجل من أسلوبه:

دياب مايصحش كده، الناس بتتفرح علينا

دنا منها ليمسك بكف يدها وطالعتها بنظرات شغوفة بها، هتف بلا مبالاة:

سيبك منهم!

ضغط على يدها بأصابعه مؤكداً:



-وأنا أوعدك عمرك ماهندي على القرار ده  
 حاولت سحب يدها من كفه ضاغطة على شفتيها وهي تقول:  
 -ممكن تعقل وتهدي!  
 اضطر أن يمثل لطلبها، وأرخی يده عن كفه مضطراً كي لا تثور، عاد إلى  
 مقعده مضيئاً بسعادة:  
 -ربنا يباركها أختك، عملت حاجة كويسة، هادعيها بضمير  
 سألته مستنكرة:  
 -ده على أساس إن قبل كده كنت لأ؟  
 فرك طرف ذقنه مردداً بجرح طفيف:  
 -لأ هاكلف الدعاء وأركز  
 -إن شاء الله  
 انتصب في جلسته متابعاً:  
 -شوفي إتني حابة أتقدم امتي رسمي ونشجوز، أنا جاهز على فكرة و...  
 قاطعته مسرعة قبل أن يفرط في حماسه وخيالاته:  
 -لأ هي خطوبة و...  
 رد رافضاً الماطلة:

هو احنا لسه هانعرف بعض ؟ جرى ايه بسمة، العملية كده باخت أوي،  
 طب ايه رأيك نكتب الكتاب زي منذر وأسيف؟  
 -مممم..

-احنا نخلي الفرخ فرحين ونعملهم سوا، ها قولتي ايه؟  
 ردت بهدوء حذر:  
 -بلاش استعجال

سألها بإلحاح وهو يعمق نظراته الرومانسية نحوها:  
 -خير البر عاجله، ها موافقة؟ قولي أه، طب أي حاجة؟  
 لم تعلق عليه واكتفت بالصمت، فصاح مهللاً وهو يرفع يديه في الهواء:  
 -بيقولوا السكوت علامة الرضا، وأنا شايف بعيني أحلى بسمة في الدنيا!  
 زادت سخونة وجهها من غزله الصريح لها، فنهضت واقفة من مكانها لتقول:  
 -هامشي أنا بقي

هب واقفاً هو الآخر مردداً بعبوس:  
 -بالسرعة دي، أنا كده بأتكروت على فكرة!  
 نظرت له بطرف عينها وهي تقول بجدية:  
 عن اذنك

ظل للحظة متسمراً في مكانه محاولاً استيعاب تلك المفاجأة، هي وافقت بعد  
عناء على الارتباط به، فرك وجهه بيده مخرجاً تهيدة عميقة من صدره، تنبه  
لكونه تركها تنصرف بمفردها، فأسرع بإخراج بعض المال من جيبه ليضعه على  
الطاولة ثم تحرك في إثرها ليلحق بها.

.....

على بركة الله، يبقى الدخلة بكرة!

قالها منذر مبتسماً وهو يطالع زوجته بأعين متوهجة من الحماس بعد أن  
حصلت على موافقة عمته للتبكير بميعاد حفل الزفاف إزعاناً لرغبة نيرمين  
خاصة أن منزل الزوجية بات معداً لاستقبال العروسين، كذلك لم تعترض  
بسمة هي الأخرى، فكل ما تطلبه أختها في تلك الفترة العصبية بمثابة أمنيات  
يسعى الجميع جاهداً لتحقيقها على أمل إعطائها دفعة إيجابية لتستمر في رفع  
روحها المعنوية، تورد وجه أسيف بالكامل لمجرد ذكر تلك العبارة، وأخفضت  
أنظارها لتحقق في أي شيء إلا وجهه مما اضطره لوضع إصبعيه على طرف  
ذقنها ليرفع وجهها إليه وهو يهمس لها بعشق:

-بأحبك!

ردت عليه بهمس وهي تعض على شفتها السفلى:

-وأنا كمان!

أمسك بكفها بأنامله، ثم رفعه إلى فمه ليطلع قبلة صغيرة عليه، ابتسمت له  
 بنجل كبير، وبادلته نظرات والهة أجمت من مشاعره نحوها، سيطر بصعوبة  
 على تلك الرغبات الجامحة التي تعتريه معللاً لنفسه أن كل شيء في وقته  
 أفضل، نهض من مكانه قائلاً بجمود مصطنع ليخفي رغبته فيها:  
 -أنا هاقوم أشوف الكهرا والزينة، وإن شاء الله على الصبح كل حاجة  
 هاتكون جاهزة!

هزت رأسها بتفهم، فأكل بثقة:

-مش عاوزك تشلي هم أي حاجة يا أسيف!  
 وقفت قبالة قائلة بجدية وكأنها قد تذكرت أمر ما:  
 -ماتنساش دياب هايكتب كتابه على بسمة و...  
 قاطعها بهدوء:

-هما مسئولين عن نفسهم، خلينا مع بعض  
 حركت رأسها بإيماءة صغيرة وهي تضيف:

-ماشي، بس أنا كنت عاوزة أطلب منك حاجة، ويا ريت ماتكسفنيش  
 طالعها بنظرات دافئة قائلاً:

-اتي بس تؤمري

أعطتها جملته الأخيرة الثقة لتقول بلا تردد ما تنوي فعله إن وافقها الرأي في ذلك.

.....

حركت رأسها على الوسادة لتحقق في الستائر الساكنة بأعين دامعة، هي الآن بمفردها في غرفة وحيدة، يصاحبها ألمها الذي يفتك بجسدها، وذكراياتها التعيسة التي أنهكت عقلها، بحثت عن السعادة بين ما مرت به، فلم تجد إلا القسوة والجفاء، فتحول قلبها للجحود وتجمدت مشاعرها تدريجيًا، انهمرت العبرات بغزارة من ازدياد حدة الوجع لتبلل وسادتها، أصدرت أنينًا مكتومًا وهي تقاتله بمقاومة أخيرة حتى أنهكت تمامًا، فخرجت شهقاتها الباكية معبرة عما تتحمله من أوجاع.

لم تسمع تلك الدقات الخافتة على باب غرفتها، فقد حان موعد المتابعة من قبل الطبيب المسئول عن حالتها، لكن لظروف ما تعذر عليه الحضور فأرسل من ينوب عنه، أطل الطبيب برأسه متنحنًا بخشونة ليلفت انتباهه لوجوده، لكنها لم تشعر به، نظر لها بإشفاق مستشعرًا ألمها، ودنا منها قائلاً بهدوء:

مدام نيرمين

أدارت رأسها في اتجاهه لتجد شخصًا غريبًا يطالعها بنظرات أكثر غرابة، توقفت عن البكاء رافعة يدها إلى وجهها لتمسح عبراتها بأنامل مرتعشة وهي تسأله:

إنت مين؟

أجابها مبتسماً دون تكلف:

حضرتك أنا د. نبيل، والمفروض هاتابع مع سيادتك الحالة لحد ما يرجع  
الدكتور بتاعك، هو عنده....

قاطعته بجدة:

امشي، مش عاوزة حاجة!

رد بجدية:

يا مدام، أنا مقدر الألم اللي فيكي، وده طبيعي أثناء العلاج، حضرتك...

قاطعته بيأس:

أنا عارفة إني هاموت، فمحدث يكذب عليا ويقول كلام غير ده

هتف معترضاً:

أنا مش معاكي، إتي متشائمة وده بيعمل نتيجة عكسية مع العلاج

تهدت مستاءة من كونه يضغط عليها، زاد ألمها، فتأوهت بصوت مكتوم، دنا  
منها يتفحصها بدقة قائلاً بهدوء:

اهدي يا مدام نيرمين، إن شاء الله فترة وهتعدي

اغرورقت مقلتها بالعبرات فبكت بإحباط:

معنتش قادرة، تعبت من كل حاجة، نفسي أرتاح بقي!

ربت على كف يدها برفق قائلاً بابتسامة ودودة:

هترتاحي إن شاء الله، وأنا موجود جمبك لحد ما الجرعة تخلص!

التفتت برأسها نحوه لتنظر له بامتنان، هي حقاً كانت بحاجة لوجود من يقف إلى جوارها وإن كان غريباً عنها ليخفف عنها ألمها المصحوب بالوحدة، هي اكتفت من معاناتها في صمت حتى غص صدرها ولم تعد تتحمل المزيد، فانفجرت بأكية تشكو كل شيء.

لم يقطعها الطبيب نبيل، تركها على حررتها لتطلق العنان لنفسها، و تقوم بما يسمى بالتداعي الحر، فربما تكمن راحتها في ذلك، ظل إلى جوارها حتى انتهت جلسة علاجها الكيماوي ثم تركها تستريح متمنياً لها الشفاء.

.....

ترقب على أحر من الجمر خروجها من مركز التجميل، مر الوقت بطيئاً عليه رغم انشغاله طوال اليوم في الترتيب لكل شيء، لكن ما أصعب اللحظات الأخيرة، لم يعد يفصله عنها سوى دقائق معدودة، فرك كفيه معاً، وتلفت حوله بشرود محاولاً إلهاء عقله عنها ولو للحظات، لكنه رفض الإنصات ليظل باله مشغولاً بها هي فقط، ربت دياب على كتفه بقوة وهو يقول:

مبروك يا عريس!

التفت منذر ناحيته ليرد بامتعاض:

-الله يبارك فيك، ما هي ليلتك إنت كمان  
 جذب دياب طرفي سترته الرمادية بيديه قائلاً بابتسامة مغترة:  
 -أرزاق يا ابن أبويا!  
 ابتسم لمزاحه الطريف فتابع قائلاً بتعجب وهو يهز رأسه:  
 حد كان يصدق إن أنا وإنت نتجوز في ليلة واحدة!  
 ثم لكره برفق في كتفه ليكمل بعث غامراً له بطرف عينه:  
 بس يا بختك إنت دخلة يا معلم، وأنا مع إيقاف التنفيذ!  
 رد عليه منذر محذراً:  
 -إحمد ربنا إنها جت كده معاك، مين عالم كان ممكن ولا حاجة من دي تحصل!  
 هز رأسه بالإيجاب هاتفاً:  
 -أه والله، ده أنا حامده وشاكره، كده رضا على الآخر!  
 وضع منذر يده على كتف أخيه ليضغط عليه قليلاً وهو يضيف:  
 -ربنا يتملك على خير يا دياب، والله فرحانلك!  
 احتضن الأخير أخيه بود كبير معبراً له عن حبه الغريزي له فهو نعم السند له،  
 ضممه منذر بذراعه وهو يربت على ظهره بقوة، تباعد الأخان عن بعضهما  
 البعض ليحدثا في باب المركز بعد سماعهما لأصوات الزغاريد تصدح بالداخل،  
 هتف دياب بهرح:



-سمعت، باين عليهم خلصوا

نفخ مندر مرددًا بنفاذ صبر:

أخيرًا، هما بيخترعوا الذرة جوا

رد عليه دياب مازحًا:

عقبال ما يدوها وش صنفرة على كام وش معجون والبوهية في الآخر!

لكزه مندر في جانبه محذرًا بغلظة:

-بطل بواخة، مراتي حلوة من غير أي حاجة!

غمز له أخاه مرددًا بعث ماكر:

-بياركه يا عمنا، إمسك البوكية بقى واجمز

سأله مندر باهتمام:

ها، البدلة مضبوطة؟

ضبط دياب لأخيه رابطة عنقه السوداء، وعدل له من ياقة حلتة التي تحمل  
نفس اللون ليبدو كل شيء منمقًا ولائقًا به، رفع إبهامه أمام وجهه هاتقًا بإعجاب:

-ميه ميه يا كبير!

سحب مندر نفسًا عميقًا يضبط به انفعالاته المتلهفة بشغف متحمس لرؤية  
عروسه التي ستخرج إليه بين لحظة وأخرى، مشاعر قوية انتابته في تلك  
اللحظة لتزيد من نبضات فؤاده، شعر بتدفق الدماء في عروقه، بنشاط عجيب

يجتاح كل ذرة في خلايا جسده، حرك قدميه بتوتر وهو يشدد من قبضته  
المسكة بباقة الورد البيضاء ليردد بارتباك:

يا مسهل يا رب.....!!

.....

## الفصل الثامن والثمانون (الجزء الثاني):

حُكم عليه بالإقصاء لتجاوزاته الغير أخلاقية ومخالفته المعاهدات الودية بين  
العائلتين، فاضطر أن يرضخ لقانونهم الجبري واتجه لتأسيس عمل جديد خاص

به بعيدًا عن منطقته الشعبية، نظر إليه والده مطولاً قبل أن يستطرد حديثه  
متسائلاً بهدوء:

مش ناوي تيجي معايا؟

التفت مازن ناحيته مردداً بتجهم وهو يعقد رباط حذائه:

لا، أنا رجلي اتقطعت من الحتة دي، ومش ناوي أعتبها تاني!

اعترض عليه مهدي قائلاً:

بس يا بني الحاج طه هيفرح لما تقوم بالواجب معاه، و..

قاطعته بجديّة:

يا أبا ده بييجر بخاطرك، لكن إن كان عليهم مافيش حد من عيلة حرب نسي  
اللي فات!

ربنا يهدي الحال

ده غير إن أنا عندي شغل كثير، توضيب المطعم ولوازمه!

سأله أباه مستفهماً:

استقرت على اسمه ولا لسه؟

أجابه بهدوء وهو يضبط ياقته:

أه "مشاوي حسب الطلب"

رد عليه مهدي بنبرة متمنية:

-ربنا يجعله فاتحة خير عليك

-أمين!

بدا وكأنه قد تذكر شيئاً ما فهتف بتلهف:

بالحق، المحامي اتصل وبلغني إنه جابلنا تصرّح بالزيارة، ماهو مجد اتجدد  
حبسه على ذمة التحقيقات

رد عليه مهدي بعبوس:

-أخوك ضيع نفسه بنفسه! ربنا يعينه على الله هو فيه!

لم يعلق مازن على جملة تلك، فقد اكتفى من كم المشكلات التي أرهقت  
كاهليه، وهو بحاجة للبدء من جديد، انتبه لسؤال والده المبالغت:

-مش ناوي ترجع لولاء؟

عبست قسماته بشدة ورد بتأفف ظاهر على محياه:

-قفل على السيرة الغم دي، هي خلاص انتهت من حياتي!

-اعترض مهدي على أسلوبه قائلاً:

-يا مازن دي مراتك و...

قاطعته بجدة:

-كانت.. مش الهانم رفعت قضية خلع؟

صمت والده ولم يرد، فاحتدت نظرات ابنه مضيئاً بحنق:

تشرب بقي، وبعدين خليها تكسبها عشان تبريني من كل حاجة، كفاية اللي لهفته هي وأمها

هز رأسه بإحباط، فحياة ابنه لم تعد كما كانت، فزيجته فسدت، وعمله تأخر، وهو الآن بصدد تحديات أكثر صعوبة، هتف قائلاً:

-لا حول ولا قوة إلا بالله

تابع قائلاً بانفعال:

هي كانت جوازة غلط من الأول، جابتلي الفقر ووجع القلب، وأديني خلصت منها! خليني أفوق للبلأوي اللي ورايا!

يئس من إقناعه بالعدول عن رأيه وإن كان صائباً في جزء كبير منه، لكن سبق السيف العذل، وحسم الأمر بينهما.

.....

أخذت تعبث بهاتفها المحمول بفتور وهي تحرك ساقها المتدلية من على مسند الأريكة غير مكترثة بنظرات والدتها المحتدة نحوها، كظمت الأخيرة غيظها في نفسها، فابنتها أضاعت من يدها كل شيء بعنادها الجامح، زفرت مستاءة من جلوسها بالمنزل، من أفعالها الطائشة، وخاصة محاولاتها الفاشلة للتودد لطليقها السابق دياب.

هي علمت مصادفة بأمر عقد قرانه لكنها لم تأتِ على ذكر المسألة أمامها كي لا  
تثور ثائرتها، وتفعل ما لا يُحمد عقباه، أخرجها من تفكيرها المتعمق صوت ولاء  
المتسائل:

-ماقولتيش ايه رأيك؟

سألها بحيرة وهي قاطبة لجبينها:

-في ايه؟

ردت عليها بتبرم:

-أومال أنا بأحكي في ايه من الصبح

زفرت شادية بصوت مسموع وهي تقول بامتعاض:

-مكونتش مركزة!!!

اعتدلت في جلستها موضحة بحماس قليل:

-بأقولك صاحبتى عاوزانى أشاركها في بيوتى صالون

نظرت لها والنتها بغرابة وهي تسألها:

ده عبارة عن ايه؟

أجابتها مشيرة بيدها:

حاجة زي كوافير كده بس على مستوى عالي! ستايلش وفيه سمعة

-واتي دورك ايه؟

لسه مش عارفة، بس بأفكر أكون معاها  
 بدت أمها غير مهتمة بالتفاصيل، فردت بفتور:  
 -اعملي اللي اتني عاوزاه

نهضت ولاء من على الأريكة متفرسة في وجهها بتعمق، كانت تعبيراتها تشير  
 إلى وجود خطب ما بها، شيء ما يزعجها لكنها ترفض الإفصاح عنه، سألتها  
 باهتمام:

-مالك يا ماما، شكلك مش مبسوطه؟  
 عادي

تابعت ولاء هاتفة بنبرة حاملة وهي تسير بخطوات متهادية في أرجاء الصالة:

-وأهي فرصة يعرف البيه دياب أنا هابقى ايه، وساعتها هايجي عندي  
 يتسرجاني أرجعله، ده غير إني واثقة إنه هيرمي المصدية اللي معاها!

نظرت لها شادية بقوة، ابنتها تبني أحلامًا في الهواء لن تتحقق يومًا، لذلك لم  
 تجد بداً من إخفاء الأمر عنها، فإن عاجلاً أم آجلاً ستعلم، لذلك حسمت  
 أمرها بإبلاغها الآن حتى لو انفعلت، فالأفضل أن تكون على دراية بمسألة  
 عقد قرانه، سمجت نفسًا عميقًا لفظته دفعة واحدة وهي تسألها بجزر:

-اتي عرفتي بموضوع دياب

التفتت ناحيتها برأسها لتبدو تعبيراتها أكثر حدة وهي تردد متسائلة:

-ماله؟

ابتلعت ريقها وهي تكمّل:

-يعني ما فيش خبر وصلك عنه

فقدت أعصابها في لحظات وهي تصيح بها:

في ايه يا ماما؟ ماتقولي على طول !!!

صمتت لثوانٍ تحاول إطلاعها على الخبر، لكن حصار ابنتها لم يمهلهما الفرصة

لانتقاء كلماتها، فخرج صوتها مترددًا وهي تقوا

أصله... هـ.. هيتجوز

ارتفع حاجباها للأعلى في ذهول عجيب، وتوترت أنفاسها وهي تهتف بعدم

تصديق:

-اييه؟

ضغطت شادية على شفيتها بقوة مترددة في المتابعة، ولكن إشارات وجهها،

وإيماءات عينيها كانت كفيّلة بتأكيد ما قالت، انتابتها نوبة من الهياج لمجرد تخيله

بصحبة أخرى يتأبط ذراعها ويهيم في حسنها عشقًا، صرخت بلا وعي:

-بتقولي ايه؟ يعني ايه هايتجوز؟

اضطربت أنفاسها بصورة ملحوظة، ونهج صدرها علواً وهبوطاً مرددة بصدمة

جلية:

-ايه الهبل ده؟ دياب مش بيحب حد، دياب مش هايتجوز، لآ! إتي بتقولي

كده عشان تحرقني دي!



أمسكت بها أمها من ذراعها تهزها بعنف وهي تقول:

فوقي من الأوهام اللي اتتي عايشة فيها، خلاص دياب هيكتب كتابه  
ويتجوز، كفاية عبط بقى، كله سابك وبعد عنك، وإتني لسه مصدقة نفسك

فضت ولاء قبضتي والدتها عنها بعصبية أشد لتصرخ بها باهتياج متشنج:

إتني السبب، استحالة أسمحله يتجوز!

ركضت كالمجنونة في اتجاه باب المنزل بثيابها المنزلية، حاولت والدتها اللحاق بها  
صائحة:

رايحة فين يا ولاء؟ استني يا مجنونة!

استدارت برأسها نصف استدارة لترد بنبرة تحمل الغضب:

هامنع الجوازة دي!

.....

لمعت عيناه بوميض العاشقين منتظرًا خروجها من الباب، ومع كل ثانية تمرق  
عليه يزداد لهفة ورغبة فيها، لمح تلك الأطياف التي تتحرك من خلف الزجاج  
الداكن، فتأهبت حواسه بالكامل واستعد لرؤيتها، فُتح الباب ببطء فتجمدت  
أنظاره على الخارجين منه، في البداية كانت أخته الصغرى ووالدته التي غطى  
صوتها المطلق للزغاريد أصوات الجميع، ارتسم على ثغره ابتسامة متشوقة،  
وشعر بدقات قلبه تزداد قوة وخفقانًا.

توهجت حدقتي منذر حينما رأى حبيبتته تطل عليه بثوبها الأبيض، خطفت قلبه، وسلبت لبه، اتسعت ابتسامته أكثر وهو يرى نجلها المثير يكسو تعبيراتها المتلاذاة، مر أنظاره سريعاً عليها، كان يشبه ثوب السنديلا في تصميمه، ضيقاً إلى حد ما من الخصر، وينساب بتموجات واسعة حتى الأسفل، ناهيك عن الذيل الطويل الذي يحتاج لعدة أشخاص لرفعه، وما زادها رونقاً وجمالاً هو حجابها الأبيض الذي برز بتاج يليق بها، تحرك نحوها ناظرًا لها بتعمق وهو يقول:

بسم الله ماشاء الله!

تحاشت النظر إليه وأخفضت عينيها بارتباك ملحوظ، سحبها من ذراعها ليتأبط بها قائلاً:

مبروك يا أحلى عروسة

ردت أسيف هامسة:

الله يبارك فيك

ناولها باقة الورد مضيئاً:

ده عشانك!

ابتسمت بنجل أكبر وهي تأخذه:

شكراً

هتف دياب بمرح وهو يشرأب بعنقه للأعلى محاولاً اختلاس النظرات:

-وأنا فين عروستي؟

وضع يده على رأسه متابعًا بمزاح رغم قلقه:

-وقعت منكم جوا ولا ايه؟ طب أخش أشوفها؟ ما حد يقولي؟!

ردت عليه جليلة بابتسامة أمومية:

-اصبر على رزقك، هي طالعة أهي!

بالفعل ما هي إلا لحظات حتى ظهرت بسمه أمامه وهي في مزدانة في ثوب "كشميري" اللون، خطفت أنظاره بجمالها الهادئ، وبابتسامتها المشرقة، هتف بحماس دون أن يعبا بلفت الانتباه:

-اللهم صلي على النبي، هو في كده!

خطى سريعًا نحوها مداعبًا:

-أنا قولت غيرتي رأيك ولا حاجة، ما إتي بمليون حالة!

احتدت نظراتها نحوه لتردد محذرة:

دياب

أمسك بها من ذراعها ليعلقه على ذراعه، ثم مال عليها برأسه ليتغزل بها هامسًا بابتسامه شبه بلهاء:

قلب دياب وكلاويه!

أشارت له بعينه متابعة بصرامة:

-بص قدامك

حرك رأسه بالإيجاب وهو يرد بجمود زائف:

-ماشي يا أبله!

لم يستطع إخفاء ابتسامته، فهي ببساطة تعبير صريح عن الفرحة الغامرة التي تعتره، لم يكن ليحلم بهذا، أن يجد الحب بعد أن فقد الإيمان به، أن يحصل على زوجة توافقه الرأي، تليق به وتستحقه، شعر بالرضا لكونه قد حاز في الأخير على حب حقيقي.

تحرك الجميع نحو السيارات المرابطة أمام مركز التجميل ليجلس العرائس في أماكنهم متجهين نحو المشفى حيث الاحتفال بالزيجة مع نيرمين.

.....

لم تكن لتدعها بمفردها في ليلة كهذه، ربما هي طريحة الفراش وعاجزة عن النهوض والتحرك بفعل جرعات الأدوية الكيماوية التي تحقن بها أوردها، لكن هي أمها التي تشعر بألمها وإن أنكرت، بحزنها وإن صمتت، أعدت لها عواطف ثوبًا فضفاضًا مريحًا اشتركت في اختياره مع ابنتها الصغرى ليليق بتلك المناسبة البهيجة التي سيتم الاحتفال بها هنا، لم تتخيل نيرمين أن تصر أسيف على وجودها رغم تعذر قدومها، لكن ما لم تضعه في الحسبان أن يتم الترتيب لحفل أسري صغير بالمشفى مقتصر فقط عليهم دون أن يسببوا الإزعاج لباقي المرضى، وتزينت الغرفة بباقات الورد ووضعت في الأركان، وبمقاعد مريحة لاستقبال الضيوف القادمين.

راقبت نيرمين ما يحدث بأعين لامعة، مقاومة بصعوبة رغبتها في البكاء، كل شيء يشير إلى قلب طيب، روح نقية لم ترد إلا الحب من عائلتها الجديدة، وهي بخلت عليها بذلك، في تلك اللحظة أدركت أنها أخطأت في معاملتها الجافة لها، لم تكن بالقريبة الجيدة والتي تستحق معاملة مثل تلك، فإن كانت في محلها لقست عليها وعاملتها بفضاظة ووضاعة، لكنها دوماً تثبت لها أن الأتقياء يسعون للخير، بكت متأثرة لقسوتها معها، لظلمها لها، ندمت على ما كانت تنتويه من شر مستطر لها، انتحب صوتها، ولاحظت أمها عبراتها المنهمرة فاقترب منها متسائلة بتخوف:

مالك يا نيرمين؟ في حاجة تعبكي؟

هزت رأسها نافية وهي ترد:

لا-

أمسكت عواطف بمنشفة ورقية لتمسح عن وجهها تلك الدمعات التي تبلله وهي تسألها:

أومال بتعيطي ليه؟

أجابتها بصوت متقطع:

مش مصدقة، أسيف تعمل كل ده!

ابتسمت لها عواطف وهي ترد:

مش قولتلك، بنت أخويا طيبة وبتحب الناس!

حركت رأسها بإيماءات تؤكد ما قالته، ثم همست بندم:

-ربنا يسامحي على اللي كنت بأعمله فيها!

رفعت أعينها الباكية نحوها متسائلة بحزن:

-تفتكري هي هتسامحي؟

ردت أمها بثقة:

-يعني لو مكانتش بتحبك كانت عملت ده عشانك؟

بكت نيرمين مجدداً، فحذرتها والدتها برفق وهي تلف حول رأسها حجابها الوردى:

ها بلاش تعيطي، هما زمانهم على وصول، خليني أعملك الطرحة!

اكتفت بالابتسام لها وعاونتها في ضبط حجابها بلفة بسيطة لا تسبب لها الاختناق أثناء تنفسها المضطرب، وزينتها والدتها بجلي جميلة لتعيد لها جزءاً من جمالها المفقود.

.....

اصطفت السيارات بجراج المشفى، وتفاجأ العاملون بالعروس التي تسير بصحبة زوجها في اتجاه الاستقبال، انتابهم الفضول لمعرفة الأسباب، فأبي عذر يدفع بعروسين في ليلة مميزة وخاصة كتلك للحضور إلى هنا، لا بد أن يكون السبب قهري، اعتلى وجوههم دهشة كبيرة حينما علموا أنهم قدموا للاحتفال

مع قريبتهم المريضة، لم يصدقوا الأمر في البداية، لكن حينما صدحت الزغاريد  
تأكدوا من صدق الادعاء.

دقت جليلة الباب بخفة مستأذنة بالولوج وهي تقول:

-ينفع ندخل-

هتفت عواطف مرحبة:

طبعا، ده احنا أعدين مستنينكم من بدري

أطلقت زغرودة صغيرة وهي تفسح المجال للعروسين بالمرور، دخلت أسيف  
أولاً وعلى ثغرها ابتسامة ناعمة، سلطت أنظارها على ابنة عمها التي كانت  
تطالعها بأعين دامعة، فتحت لها ذراعها لتستقبلها في أحضانها، رفعت  
أسيف ثوبها من الجانبين لتتحرك نحوها، احتضنت كلتاها الأخرى بحب  
كبير، وتبادلت الاثنتان قبلات ودية، خاتمتا العبرات فبكت وهي تقول:

-ماينفعلش نحتفل من غيرك

ردت عليها نيرمين بصوت متأثر:

مش هنسى اللي عملتيه معايا أبدا!

تبعها منذر متنحنًا بصوت خشن ليشير إلى وجوده، ثم أردف قائلاً:

سلامو عليكم

تراجعت أسيف للخلف لتتمكن نيرمين من رؤيته، طالعتة بنظرات حانية وهي

ترد:

-وعليكم السلام، مبروك يا سي منذر، ربنا يسعدك ويفرح قلبك

رد عليها بهدوء:

-الله يبارك فيكي

أبعدت عينيها عنه بصعوبة، فلا يحق لها الآن التطلع إليه، بينما تراجع للخلف منزويًا بأحد الأركان ليتجنب ذلك الموقف الحرج، ولجت أختها الصغرى بثوبها المتلألئ لداخل الغرفة لتضفي المزيد من الحماسة وهي تقول:

-أديني سمعت كلامك أهوو

ضحكت نيرمين من بين عبارتها مرددة:

-أخيرًا، كده أنا أرتاح!

اقتحم دياب الغرفة متسائلًا بنزق دون أي مقدمات تمهيدية:

-المأذون مستني برا، أقوله يدخل ولا أعمل ايه؟!

ردت عليه جليلة بضحكة عالية:

-اصبر يا ابني، ده العجلة من الشيطان!

نظر لها بغیظ وهو يرد بتجهم:

-ماشني، هاقوله يتركن برا!

اعترضت نيرمين هامسة:

خليه يدخل، مالهاش لازمة يستنوا



هتف دياب متحمسًا:

-أهوو، ست الكل قالت!

رد عليه منذر محذرًا:

-اهدى على نفسك شوية!

ظلت حالة الشد والجذب المرحة بين الجميع للحظات حتى انتهت بحضور الحاج طه ل يتم بعدها عقد القران بين دياب وبسمة بحضور أفراد العائلتين فقط في أجواء احتفالية هادئة، أطلقت جلية زغرودة فرحة، وانضمت إليها عواطف لتعبر عن سعادتها بزواج ابنتها وابنة أخيها، تمت أن تدوم تلك الفرحة للأبد، ألا يعكر صفوها أي شيء.

داعت نيرمين رضيعتها وهي جالسة في أحضانها مراقبة بنظرات صامتة ما يدور، حمدت الله في نفسها أنها شهدت على تلك اللحظة حتى لو كانت ستحفر ذكرى حزينة في نفسها، فراق الحبيب وزواجه من غيرها، المهم الآن أن يحظى بالسعادة التي حرمت هي منها.

انتهى الوقت المخصص للزيارة، فولجت الممرضة لداخل الغرفة لتشير إلى ذلك، امتثل الجميع لطلبها، وبدأوا في جمع متعلقاتهم استعدادًا للانصراف، هب الحاج طه واقفًا من مقعده ليتجه نحو فراشها، مد يده ليصافحها وهو يقول:

-ألف سلامة يا بنتي، شدة وتزول

نظرت له بامتنان وهي ترد:

-رنا يخليك!

أشار لها بسبابته متابعًا:

-شدي حيلك واحنا معاك في أي حاجة

ردت بهدوء:

تسلم يا حاج طه، مش جديد عليك!

ده انتي زي بنتي، وولادي أخواتك!

التوى ثغرها بابتسامه شبه متهمه، فقد نطقها منذر من قبل وأكد عليها قلبًا  
وقالبًا، فليست بحاجة إلى سماع ذلك، اعتبرت حديثه مجاملة وحافظت على  
ابتسامتها الباهتة التي تغطي تعابيرها المرهقة، لاحقًا انسحب الجميع واحدًا تلو  
الأخر من الغرفة لتبقى معها أسيف فقط ورضيعتها، رفضت الانصراف حتى  
تتحدث معها في أمر أخير.....

!! .....

## الفصل التاسع والثمانون:

استغلت لحظة انشغال الجميع عنها أثناء استعدادهم للانصراف لتطلب منها البقاء دون أن تلتفت الانتباه لكونها رغبته الخاصة، فاستجابت ابنة خالها لطلبها، واعتذرت بلباقة عن الذهاب مع زوجها لتبقى لعدة لحظات معها تؤنسها فيها وتشد من أزرها، توجس منذر خيفة أن تكون نيرمين تدبر لها أمر ما لتفسد عليها ليلتها المميزة، فتعمد البقاء بالخارج وملصقًا ظهره بالحائط ليتنصت عليهما، دفعه حدسه لفعل ذلك، وانتظر بترقب شديد ما دار بينهما.

ابتسمت لها بكل ود وهي تطالعها بنظراتها الحنونة الدافئة، رأت في صفو  
حدقتها راحة عجيبة غفلت عنها بسبب حقدتها الأسود الذي أعمى بصيرتها،  
تنفست بعمق وهي تستطرد حديثها قائلة:

أسيف، أنا.. عاوزاكي تسامحيني

وضعت يدها على كفها المرتعش لترد بابتسامة لطيفة:

صدقيني أنا نسيت اللي فات

هزت رأسها معترضة وهي تقول:

لا، اتتي مش عارفة أنا كنت ناوية أعمل فيكي ايه، ولا الجحيم اللي كنتي  
هرميكي فيه، أنا....

قاطعته ابنة خالها بجدية دون أن تخفي ابتسامتها الودودة عن محياها:

خلاص يا نيرمين، ارمي ورا ضهرك، احنا بقينا أخوات

تنفس منذر الصعداء لكون الموضوع لا يتخطى الاعتذار وإبداء الندم،

فتراجع متحرجًا من استراقه السمع دون إذن ليعطي لها مساحة من

الخصوصية، جلس على أقرب مقعد منتظرًا على أحر من الجمر، فأمامها ليلة  
حافلة.

ابتسمت لها بصفاء يذيب ما في القلوب من أحقاد قديمة، ويمحو ما في العقول

من ذكريات أليمة، فأدمعت عيني نيرمين بشدة، تعذر عليها المتابعة بنبرة ثابتة،

فخرج صوتها متقطعًا وهي تضيف:

أنا قلبي كان مليون غل ناحيتك  
 بررت لها أسيف موقفها العدائي نحوها مرددة ببساطة:  
 -مكونتيش تعرفيني  
 انسابت العبرات من طرفي عينيها متابعة بندم:  
 -أنا عملت زي جدتي عزيزة ما عملت مع أبوكي وأمه، أنا مفرقتش حاجة عنها،  
 لأ .. وكنت عاوزة...  
 منعته عن إتمام جملتها جبرًا هاتفة بتوسل:  
 -عشان خاطري أنا مش عاوزة أتكلم في اللي فات، المهم دلوقتي بقينا ازاى!  
 ثم مدت أناملها لتمسح برفق عبراتها عنها، فسألتها نيرمين بصوت خفيض بالك:  
 -يعني انتي من قلبك مساحاني؟  
 هزت رأسها بإيماءة واضحة وهي تجيبها:  
 -ايوه  
 تنفست بارتياح للحظات قبل أن تكمل بمرارة:  
 -كان نفسي أشوف بنتي زيك  
 احتجت على خبو مقاومتها سريعًا فهتفت بجديّة:  
 -ماتقوليش كده، الأعمار بيد الله، وإن شاء الله تشوفها وهي بتكبر قصادك  
 وتفرحي بيها و...

قاطعتها نيرمين بصوتٍ واهن:

-أنا حاسة بنفسي!

ابتلعت ريقها قبل أن تتابع بجدية:

-أسيف! مش هوصيكي عليها، علميا تكون زيك، تحب غيرها ماتكونش  
أنانية!

ردت عليها ابنة خالها بنبرة متأثرة:

-إتي اللي هاتعملي ده بنفسك

أحست أنها أزاحت ثقلاً كبيراً كان يجثو على صدرها، أنها رممت شرخاً عميقاً  
في علاقتها مع صلة الرحم الأقرب لها، أغمضت عينيها قائلةً بتهنيدة مرهقة:

-أنا أخرتك عن عريسك، معلش!

ابتسمت أسيف بخجلٍ طفيفٍ وهي تقول:

-ولا يهملك

ضحكت نيرمين من نفسها ساخرة:

سي مندر، زمامته بيدعي عليا!

متقوليش كده هو بيقدرك

اشارت لها بيدها مكلمة:

قومي شوفيه، بس خليني أبوس رنا

هزت رأسها بالإيجاب ثم نهضت من مكانها لتحمل الرضيعة وقربتها إلى فمها،  
فطبعت أمها قبلة أمومية على وجتها الناعمة، احتضنتها بيدها على قدر  
استطاعتها، وهمست لها بصوت شبه منتحب:

هتوحشيني يا ضنايا

عاودت تقبيلها بعمق مشبعة عينها من رؤيتها ثم أبعدتها عنها برفق، أضافت  
أسيف بنبرة رقيقة:

إن شاء الله هنعدي عليك في أقرب وقت

ردت عليها بهدوء:

براحتك، أنا كده ارتحت

أوصتها أسيف مرددة بتحذير:

خلي بالك من نفسك

في تلك اللحظة وج الطيب نبيل إلى داخل الغرفة ليتفقد حالة المريضة،  
فتفاجأ بوجود العروس بالداخل، تهللت أساريره مردداً بحماس:

ليه ده لسه العروسة هنا؟!!

تخرجت أسيف من وجوده، واكتست تعبيراتها سريعاً بجمرة كبيرة وهي ترد  
بجمل:

احم.. أهلا وسهلاً بحضرتك!

مد يده ليصافحها قائلاً بابتسامة مهذبة:

أنا د. نبيل

نظرت إلى يده الممدودة نحوها وترددت في مبادلتها المصافحة، فعمدت إلى الإشارة للرضيعة التي تحملها هاتفًا بجرح وهي ترمش بعينها:

أهلاً بيك يا دكتور!

تفهم موقفها، وأبعد يده متابعًا بسعادة:

ما شاء الله، النفسية تمام النهاردة، أكيد العروسة غالية عليك عشان وشك ينور بالشكل ده

تابع منذر الموقف من على بعد بنظرات نارية، ورغم تصرف زوجته الحذر إلا أن ذلك أصابه بالغيرة الشديدة، فكون غيره يجاملها حتى لو كان الأمر بحسن نية إلا أنه أشعل نيران الغيرة بداخله، لم يستطع ضبط نبرته المتشنجة وهو يصبح عاليًا:

مش يالا بينا يا أسيف!

انفض جسدها على صوته، والتفت برأسها نحوه لتنظر إلى قسما وجهه المشدود، تحرك نبيل نحوه هاتفًا بمرح وهو يمد يده نحوه:

مبروك

بادله منذر المصافحة بامتعاض جلي على وجهه قائلاً بعبوس:

الله يبارك فيك!



شعرت بنظراته التي تأكله، بالغيرة التي تعصف بروحه، هو أحبها حتى  
الجنون، عشقها حتى النخاع، فكيف لا يثور لرؤية غيره يمدحها؟ تمت لثانية  
لو عاشت مثل تلك المشاعر الفياضة لتغير الكثير في حياتها، ولتحولت  
لشخصية أخرى محبوبة، هتفت بصوت هادئ محاولة امتصاص الأجواء الحادة  
والمشحونة من حولها:

-لا مؤاخذة يا سي منذر، أخرتكم!

استدار برأسه نحوها قائلاً بجمود:

-ولا يهملك، وسلامتك

عاود التحديق في وجه الطبيب نبيل مردداً بتجهم:

فرصة سعيدة يا حضرت!

رد عليه نبيل بابتسامة محبة:

شكراً ليك، ومبروك مرة ثانية

أضافت أسيف بعفوية دون أن تنتبه لذلك المشتعل حنقاً خلفها:

مش هنوصيك عليها يا د. نبيل، أرجوك خلي...

قاطعها الطبيب بود وهو يوميء برأسه:

اطمني، أنا موجود!

قبض منذر على ذراعها بيده، فقد بلغ اللحم معه أدنى مراحل، وهتف من بين  
أسنانه المضغوطة:

ياللا يا بنت رياض، الجماعة قلقانين تحت

نظرت له بغرابة وهي عاقدة لجبينها متعجبة من ذلك العبوس الظاهر عليه،  
ردت بهدوء:

حاضر

رسمت ابتسامة زائفة على ثغرها وهي تود ابنة عمتها لتقول:

مع السلامة

لوحت لها الأخيرة بيدها وهي تنهد بتعب:

سلام

تابعت الاثنان بأنظار مطولة وهما ينصرفان من الغرفة بصحبة رضيعتها، وظلت  
أعينها مثبتة على الباب للحظات حتى أخرجها من تحديقها الشارد صوت نبيل  
المتسائل باهتمام:

ها ايه الأخبار معاكي؟

ردت باقتضاب وهي تدير رأسها نحوه:

الحمد لله

.....

كادت قدميها أن تلتف حول بعضها البعض وتتعثر في سيرها السريع وهو  
يسحبها بعصبية نحو الرواق، فحذرتة بجديّة:

-بالراحة هاتكعبل وأنا شايلة البنت!

أرخی قبضته عنها زافراً بصوت مسموع ليخرج من صدره غضباً مشحوناً بدا  
واضحاً للعيان، قست نظراته نحوها قائلاً بعتابٍ شبه حاد:

-مش واخدة بالك من اللي عملتيه؟

تعقدت تعبيراتها متسائلة بعدم فهم:

-في ايه لكل ده؟

رد عليها بغموض وهو متجهم الوجه:

-هنتكلم بعدين يا بنت رياض!

مطت فمها للأمام مرددة لنفسها باستغراب متوجس:

-بنت رياض، واضح إنك مضايق أوي!

التقطت أذناه جملتها رغم صوتها الخافت إلا أنه أجابها بجديّة:

-مش عاوز أتكلم دلوقتي، فالأحسن متسألش

هزت كتفها قائلة بجمود:

-براحتك

أراد التحكم في غضبه، فكم في نفسه بأقصى طاقته ما لديه من مشاعر محتقنة، ربما تصرفت بتلقائية مع الطبيب، لكنه لن يتحمل مثل تلك الأفعال البسيطة، هو يغار عليها بشدة، وعليها أن تعلم ذلك، لكن لا وقت للعتاب هنا، فالمكان والوقت لا يسمحان.

تابعا السير بصمت في أروقة المشفى حتى وصلا إلى الاستقبال حيث ينتظرهما باقي أفراد العائلتين، فاستقل الجميع السيارات متجهين نحو المنطقة الشعبية لتكتمل أجوائها الاحتفالية هناك.

.....

احتدت نظراتها المتقدة غيظًا على تلك الأضواء اللامعة التي تزين البناية وما حولها، هو اليوم سيزف إلى غيرها، سيقترن اسمه بأخرى يضمها إلى أحضانها، ستغدو حبيبته، وسيطارحها الغرام على فراش قد جمعها سوياً، تأججت مشاعر الكراهية والحقد بداخلها، بلغت الذروة في لحظات، وانتظرت كالواقف على الجمرات قدومه لتفتعل فضيحة لا تنسى، بقيت بسيارتها تشحن غضبها بداخلها حتى سمعت أبواق السيارات تزداد، انتهت حواسها بالكامل وتحفزت للهجوم.

اصطفت السيارات على الناصية حيث الزفة الشعبية التي أصر الأخوين على إحضارها، كانت مفاجأة سارة لأسيف وبسمة، لم يتوقعا ذلك منهما، فعائلة حرب دومًا تلتزم بالأعراف المتبعة في كل شيء، لا تخرج عن الأصول

والتقاليد حتى في أفراحهم، وإعلان خبر الزفاف ما لم يكن مصحوبًا بشيء مبهج ربما سيفسر بصورة خاطئة، لذا وجب على منذر التصرف بحنكة. استغربت أسيف من أسلوبه الرقيق في التعامل معها رغم تلك الحدة الطفيفة التي كانت ظاهرة عليه، ومع ذلك تجاوزت معه وارتسمت علامات السعادة على محياها، رأت في عينيه نظرات شغوفة بها، تشتاق لأحضانها، تتوق إلى تذوق طعم الحب معها، ولما لا فهي قد تربعت وبجدارة على عرش قلبه؟

ترجل دياب من السيارة أولاً مستقبلاً التهنئات من المحيطين به، وتبعه أخيه، ثم اصطحب كل منهما عروسه وتأبط في ذراعها، التف الجميع حول منذر وعروسه ليشكلوا دائرة حولها لتصدح بعدها أصوات التهليلات والزعاويد الفرحة، كما ارتفعت دقات الطبول والمزامير إعلانيًا ببدء الزفة الشعبية المتعارف عليها، وبدأ الجميع بالتمايل والرقص معبرين عن سعادتهم بتلك الزيجة. بقي دياب مع عروسه بالمؤخرة يتبادلان حديثًا هامسًا لكن ضحكاتها كانت واضح للعيان، أراد استغلال الفرصة والتغزل بها فسحبها بعيدًا عن الزحام لينفرد معها في حديث خاص، ولكن في تلك اللحظة تحديدًا ترجلت ولاء من سيارتها مندفعة نحوهما وهي تصرخ بهياج:

-عملتها يا دياب!

سلطت أنظارها النارية على وجه بسمة متابعة بهكم صارخ متعمدة إهاتها:

-لأ واتجوزت دي بالذات!؟

ساد صمت رهيب بين الحضور المتواجدين حولهم والذين راقبوا المشهد  
بفضول مثير، بينما تجمدت أنظار دياب على شخصها المسيء إليه، احتقن وجهه  
بشدة، ونظر لها باحتقار متأملاً ثيابها المنزلية التي لم تعبأ بكونها ضيقة فتشير  
الفتن والأطماع في نفوس الرجال، واصلت صراخها المهتاج ملوحة بذراعيها:

-بقي ترفض ترجع لأم ابنك الوحيد عشان الزبالة دي؟

لم يستطع كبح جماح غضبه فأوشك على التهور والاعتداء بالضرب عليها،  
لكن سبقتة بسمة بصفعها صفة قوية ومباغطة لترد إليها إساءتها وهي تقول  
بصلابة:

-الزبالة دي جابت أشكالك، وهتري ابنك أحسن منك!

وضعت ولاء يدها على صدغها متحسسة إياه، وقبل أن تفتح شفتيها لترد  
واصلت بسمة حديثها بقوة:

غلطة جوزي الوحيدة إنه عرفك، والحمد لله صلحها واتجوز اللي حبها وبتحبه!

صفعات أقوى تلقتها ولاء على مرأى ومسمع من المتابعين للمشهد في الخلف،

ورغم ذلك بدت أكثر صلابة وتماسكاً، هي لن تسمح لغريمتها بتذوق لذة

الانتصار والظفر به، ستفعل أي شيء لتعكر صوف فرحتها، احتقنت نظراتها

والتهب وجهها بدماء ساخنة، تدخل دياب مضيئاً بتهديد عدائي:

عشان خاطر ابني مكوتنش عاوز أقرب منك، بس اتني تستاهلي اللي

هايتعمل فيكي

ردت عليه بتحدٍ:

مش هاسيبكوا تفرحوا، أنا هافضل زي الشوكة في ضهركم، هانص عليكم  
حياتكم!

أشارت نحو قدمها متابعة بسخرية واثقة:

وهاخليك يا دياب تجيلي زاحف تبوس رجلي  
وكأنها وضعت النيران بجوار الوقود لتزيد من تأزم الوضع واشتعاله، هدر بها  
بصراخ عنيف:

هادفك وانتي واقفة!

كاد أن يهجم عليها ليضربها علنًا لكن حالت بسمة بينهما بجسدها مستخدمة  
كل قوتها لدفعه للخلف متوسلة له:

ماتستهلش يا دياب!

اغتاظت ولاء منها، فهتفت بنزق:

خلي الشرشوحة دي تنفحك!

شدد دياب من قبضتيه على بسمة محاولاً إزاحتها من طريقه هادرًا بانفعال:

حاسبي يا بسمة، قسمًا بالله مش سايبها!

رأى مهدي زوجة ابنه مازن على تلك الحالة الهائجة، فانقبض قلبه بشدة،  
أدرك أن خلافاً حاداً دائراً بينها وبين طليقها السابق، وما زاد من ضيقه هو

تلك الحالة الفاضحة الظاهرة بها، فاندفع وسط الحشد الملتف حولها لبيعدها  
قبل أن يزيد الموقف حدة وشراسة، لف ذراعه حول كتفها دافعاً إياها  
للخلف وهو يهتف بتخوف:

تعالى يا ولاء معايا!

قاومته قدر استطاعتها وهي ترد بعصبية:

حاسب يا حاج مهدي، أنا...

أجبرها على السير معه قائلاً:

سيبي الجماعة في حالهم، مالك بيهم

صرخت فيه بجنون:

-أبعد عني، أنا مش ماشية من هنا، لازم أحرق قلبه وأبوظ ليلته!

نظر لها بغرابة متعجباً ذلك الموقف الهجومي الغريب، فمن المفترض أنها لا تزال

زوجة ابنه، وعلى وفاق حذر مع طليقها من أجل مصلحة ابنها الوحيد، لكن

كونها على تلك الحالة المريرة أثار في نفسه الشكوك، نفذ عن عقله مؤقتاً تلك

الأفكار المتخبطة التي تعصف برأسه هاتفاً بصرامة:

-ياللا يا بنتي من هنا!

شعرت أن قبضتيه تعتصران ذراعيها ورغم ذلك تحملت الألم لتمنعه من تصرف

أهوج، توصلته باستعطاف كبير



عشان خاطري يا دياب! اسمعني بس!  
صاح بجدة وقد فقد السيطرة على أعصابه:  
هاموتها، هي قفلت معايا!

رأت في حدقيه نظرات لا تنتوي خيراً على الإطلاق، وأيقنت أنه لن يصغي  
لها مهما فعلت، لذا لجأت إلى وسيلة أخرى، ربما ستلهيه ولو بقدر بسيط عن  
التفكير بها، تعمدت الترنج بجسدها بصورة قوية لتلفت أنظاره هاتفة بصوت  
متقطع:

دياب.. آآ...

نظر لها بغرابة وهو قاطب جبينه مردداً:  
بسة!

أبعدت قبضتها عن صدره متراجعة للخلف، واهتزت بجسدها بطريقة مقلقة،  
ثم وضعت يدها على جبينها تتحسه وهي تقول بصوت خفيض:  
مش عارفة مالي!

عمدت إلى إخفاض نبرتها أكثر وتسريع أنفاسها وهي تكمل بصعوبة:  
أنا.. داينة خالص!

لف ذراعه حولها ليمسك بها من خصرها، وأحال دون سقوطها متسائلاً  
بتخوف كبير:

مالك في ايه؟

ادعت فقدانها للوعي لتشير فزعه، فحاول إفاقتها هاتفاً:

بسمه، مالك، ردي عليا، بسمه!

أجابته بهمس:

أنا.. مخنوقة، نفسي بيروح!

لم ينتظر أكثر من ذلك انحنى ليحملها بين ذراعيه، فأسندت رأسها على صدره مكملة تلك التمثيلية الزائفة للنهاية، استمع إلى تلك الهمهمات المستنكرة للموقف برمته فتجاهلها مضطراً، سار بها مبتعداً عن الجميع وكاظماً في نفسه غضبه حتى يطمئن عليها أولاً، توجه بها نحو مدخل بنايته والتي كانت قريبة منه، ثم صعد بها بخطوات مهرولة إلى الطوابق العليا حيث يتواجد منزله.

ولج للداخل مستخدماً مفتاحه، ثم أسندها برفق على الأريكة القريبة، أسرع راکضاً نحو غرفته ليحضر لها عطرًا من غرفته، تأكدت بسمه من اختفائه ففتحت عينيها، وابتسمت لنفسها بغرور، اعتدلت في جلستها متنفسة الصعداء، فقد نجحت خطتها ببساطة وأبعدته عن شر تلك البغيضة، ضبطت من حجابها الذي تأثر من المشادات اليدوية، تفاجأ بها دياب في كامل وعيها فخدق فيها بأعين شبه مغتاظة، هتف متسائلاً فجأة بنبرة أجفلتها:

-يعني كنتي بتشتغليني.....؟! .....

.....

## الفصل التسعون:

تواصل مع أحد أقربائها ذوي العلاقات الجيدة معه عليه يكون سببًا في التوفيق بينهما من جديد وإصلاح ذات البين قبل أن يتأدى الأمر، ولوضع حد لتلك الخلافات الناشئة ولم الشمل من جديد، ربما عنادها الزائد يدفعهما للتصرف بعدم عقلانية وبتهور كبير، لكن كما هو متبع عند رجال العائلات الكبار التدخل وحل الأزمات، لذلك اتفق معه على الالتقاء به لكنه لم يحدد الموعد، وترك للأخير حرية الاختيار، ما لم يضعه في الحسبان أن تكون زيارته موافقة لذلك اليوم العصيب.

ابتلع مهدي ريقه، ولف ذراعيه حول كتفها ليجرجرها قسراً معه إلى مطعمه،  
حاول أن يمتص عصبيتها لكنها لم تهدأ وواصلت تدميرها وصراخها، صاح بها  
بنفاذ صبر:

- اسمعي الكلام، ايه مالكيش كبير؟

تجهمت تعبيراتها بشدة وزفرت بصوت مسموع، فتابع بازدراء وهو يرمقها  
بنظرات دونية:

على الأقل كنتي استري نفسك بدل ما حد من كلاب السكك يطلع عليكي  
وينهش لحمك

نظرت ولاء إلى ثيابها فأدركت حجم حماقتها، هي اندفعت كالعمياء خارج منزلها  
دون أن تعبا بما ترتديه من ثياب تعتبر شبه فاضحة ومثيرة للشهوات ربما  
سيظن من يتطلع إليها أنها إحدى عاهرات الليل، عجزت عن ستر جسدها،  
فانكشت على نفسها حرجاً من نظراته الاحتقارية لها، أبعدها عن عينها مكملاً  
بجدة:

- ده اتني لسه على ذمة ابني، وإن كنتو هتطلقوا يبقى تصوني نفسك لحد ما  
تسيبوا بعض!

انتبه لجملة التهكمية قريتها "كامل" المشهود عنه بالصرامة والشدة، ناهيك عن  
سماعه لبعض الأقاويل التي نالت من شرفها أثناء ولوجه للداخل، فتشكل  
تفسير مبدئي في ذهنه عن الموضوع، وربطه سريعاً بها حينما توجهت أنظاره

تلقائيا نحوها، بالطبع اكتسى وجهه بحمرة رجولية منفعلة، وهدر بصوت  
جهوري جعلها ترتعد في مكانها:

-كاشفة لحمك يا بنت شادية؟

التفتت برأسها نحوه لتجده يطالعها بنظرات شرسة لا تبشر بأي خير، فشحب  
لون وجهها سريعًا، شعرت بحجم الخطر المحدق بها، هو لا يتفاهم مُطلقًا،  
أسلوبه حاد وعنيف، فتيقنت أنها وقعت بين براثن من لا يرحم، حاولت تبرير  
تصرفها قائلة بخوف بائن:

-أنا.. كنت...

أشار لها كامل بكفه ليمنعها عن الكلام صائحًا بقوة:  
-ولا كلمة!

سلط أنظاره على مهدي متابعًا بنبرته المحتدة:

ليه حق ابنك يا حاج ميرضاش يكمل معاها، معذور! ماهي ناقصة الأدب  
والتريبة، بس ملحوتة!

زادت كلماته الغاضبة من رعبها، فهو لن يتفاهم على الإطلاق معها، سيظن أنها  
عابثة، إن لم يكن قد تأكد لديه ذلك اليقين بعد أن رآها هكذا، حدق فيه  
مهدي بنظرات قلقة، وهتف بهدوء حذر:

-اهدى يا حاج كامل، احنا لسه كنا....

قاطعته بصلاية مخيفة:

-ماتقولش حاجة، أنا شوفت بعيني!

جمد أنظاره المخيفة على ولاء ليتابع بغموض مريب:

-ولحمي هاعرف ألمه!

استشعر التهديد العدواني في نبرته، فأكلت بهلع وهي توجه أبصارها نحو  
مهدي:

-أنا... عمي إلحقتي

لم يمهلهما الفرصة لطلب النجدة أو الاستغاثة بغيرها، فقبض على ذراعها صائحًا:  
-بيننا يا بنت شادية!

بدا مشمئزًا من هيئتها الفاضحة فنزع معطفه عنه ليضعها عليها قائلاً بوعيد:

-استري لحمك، ولينا حساب في البلد، ما احنا مش هاتقبل سمعتنا تتوسخ!  
ارتجفت أوصالها من تهديده العلني، وصرخت مستغيثة:

-ماتسبنيش يا عمي، أنا واقعة في عرضك!

لم يدع لها كامل أي فرصة للهرب منه، فأحكم قبضته عليها، ووجه حديثه إلى  
مهدي بجمود مخيف:

هي خرجت من ذمتك، وابنك حقه يعمل اللي عاوزه، واحنا أدري بحال  
بنتنا!

أدركت أنه لن يتركها تفلت منه فصاحت بكاء:

-كلم أمي بسرعة يا عمي مهدي، خليها تجيلي، هي عارفة مكاني!

جذبها بشراسة خلفه هاتفاً من بين أسنانه المضغوطة:

تعالى يا ..... ! مالكيش أهل يلموكي!

وقف عاجزاً في مكانه حتى عن تقديم أي مساعدة لها، بالطبع هي جنت على نفسها بتصرفاتها الهوجاء، ربما لو تريت قليلاً أو تناولت الأمور بصورة عقلانية لأختلف الوضع كثيراً لكنه ستحصد تبعات أعمالها، جذبها كامل بقسوة فعجزت عن إيقاف دفعه لها حتى وصل بها إلى سيارة خاصة كانت تعج برجال بلدتها الأشداء، حدقت في أوجهم العابسة بتخوف كبير، وقبل أن تفيق من صدمتها المذعورة وضعت بداخل السيارة حيث مصيرها الغامض الذي ينتظرها هناك.

.....

ارتفع حاجباه للأعلى باستنكار كبير حينما رآها تقف على قدميها وفي تمام صحتها لا تشكو من شيء، ضغط بغيظ على زجاجة العطر التي كانت في قبضته هادراً:

-بتعلمي عليا يا بسة؟

ارتجفت من صوته المفاجئ وحافظت على ثباتها الانفعالي هاتفة بتبرير:

مكانش ينفع أسيبك في الحالة دي وما اتصرفش!

قذف دياب بعصبية زجاجة العطر على الأرضية لتتحطم إلى أجزاء ويتناثر ما  
بها على الأرضية الصلبة، انتفضت في مكانها من أثر الصوت المدوي، بينما تابع  
صارخًا بجدة:

-اتي عارفة عملي فيا ايه؟

ازدردت ريقها بتخوف طفيف، واعترضت طريقه معللة:

-مكانش قدامي إلا كده

وقف قبالتها هاتفاً بحنق:

-بس مش بالشكل ده

كثفت ساعديها أمام صدرها، وهزت كتفيها في عدم مبالاة وهي تضيف ببرود:

-اللي جه في بالي بقي!

أغاظه نوعًا ما كونها غير متأثرة بحالة الخوف التي أصابته لظنه أن مكروهاً ما  
قد أصابها، وهي تقف أمامه متباهية بتصرفها، فكر للحظات في العبث معها  
لتلقيها درسًا ألا تثير أعصابه من جديد، التوى ثغره للجانب بابتسامة غير  
مريحة وهو يرد باقتضاب:

-بقي كده، ماشي!

شعرت بعدم الارتياح من طريقة لفظه للجملة السابقة بالإضافة إلى نظراته  
التي تحولت للغرابة وهو يطالعها، حلت ساعديها متسائلة بتوجس:

-مالك؟ بتبصلي كده ليه؟



جمد أنظاره عليها مرددًا بثبات مريب:

-ايه اتتي؟!-

تراجعت بجذر للخلف قائلة:

-انت فيك....-

لم تكمل جملتها للأخير حيث حاوطها من خصرها مقرّبًا إياها بقوة إلى صدره  
هامسًا بتسلية:

-هاه بقي؟-

نظرت له بتوتر شديد، واصطبغ وجهها بحمرة شديدة، ارتجفت أكثر من  
اقتربها المهلك منه في لحظة خاطفة، حاولت أن تنسل من أحضانه لكنه أحكم  
ذراعيه حولها كي لا تفلت منه، انتابها مشاعر متداخلة وهي تدفعه متسائلة  
بارتباك:

-إنت بتعمل ايه؟-

شدد من ضمته لها قائلاً بمكر وهو يغمز لها:

-مش احنا اتجوزنا، و.. وكده

اتسعت حدقتها بخوف كبير مرددة بصدمة:

جواز ايه، ده.. ده ورقة و...

مال عليها برأسه هامسًا بنبرة ذات مغزى:

محدث ها يكلمنا، وبعدين اتتي جيتي هنا بنفسك، وأنا بأحبك و...  
 استشعرت من طريقته المندفعة تهوّرًا أعمى، فتدفق الأدرينالين بقوة في دماغها  
 يحثها على الابتعاد من أحضانه، هتفت باضطراب كبير:  
 -ايه؟ لأ، ده....

عمق من نظراته نحوها متابعًا بهدوء مثير للأعصاب:  
 فرصة ناخذ راحتنا و...

استخدمت أقصى قوتها في دفعه من صدره عليها تتحرر منه، لكنها لم تستطع  
 إبعاده عنها، ظل محاوّطًا إياها يقربها أكثر إليه، زادت رجفتها وخوفها مما هي  
 مقبلة عليه، وهتفت بذعر:  
 -بعد عني...

عبس بوجهه مرددًا بحزن مصطنع:

ليه بس كده، مش كنا متفقين من الأول!؟

لكزته في صدره بكوعها صائحة بتشنج:

حاسب

أرخی ذراعه عنها ليمسك بها من معصمها، وطوق بالأخر خصرها ليتمكن من  
 رفعها عن الأرضية، وسار بها نحو غرفته قائلاً بلؤم:

تعالى يا أبله، ده أنا مصدقت نبقى سوى

فزعت أكثر من أسلوبه الذي لم تعهده من قبل، فركلت بقدميها في الهواء  
صارخة بتشنج:

لأ

لم يعبأ بمقاومتها الشرسة له فأكل سيره متابعًا:

-وفيها ايه لما نخلي الفرغ فرحين؟

صرخت بهلع:

-والله هاصوت وألم الناس، أنا مش عاوزة كده!

أدرك أنها بلغت ذروة خوفها منه، فتوقف عما يفعل قبل أن يتطور الأمر،  
أنزلها على قدميها مرددًا بجدية:

-اهدي خلاص، بأهزر معاك!

لمعت عيناها تأثرًا، ودفعته بعصية قائلة بصوت مختنق:

-أنا مش هاقعد هنا ثانية واحدة!

حررها من قبضتيه فانطلقت مسرعة نحو باب المنزل لتفر منه لكنه اعترض  
طريقها مجددًا ليرد بابتسامة لاهية:

-اسمعي بس، استني يا بسمة!

تحركت للجانبين لتجد ثغرة تمر منها دون أن يمسه، وتحاشت النظر إليه هاتفة  
بجنق:

اوعى

أشار لها بذراعيه معللاً:

عشان تعرفي لما بأضايق ممكن أتهور

تعقد ما بين حاجبها بشدة، وصاحت مزججة:

حاسب من وشي، عاوزة أمشي من هنا!

ضم كفيه معاً بجرمة متوسلة وهو يقول:

مش هاعملك حاجة صدقيني والله!

أسبل عينيه نحوها متابعا عن قصد عل رسالته تصل إلى مداركها:

الحاجات دي بالرضا يا بسمة، مش بالغصب!

سدت أذنيها صائحة بتذمر:

مش عاوزة أسمع حاجة

رد مازحاً:

بابور طايح في الناس، خلاص بقى يا حبيبتى!

باغتها بتطويقها من كتفها ليضمها إلى صدره، ورفض إبعادها عنه رغم تلويها

بجسدها للتخلص منه، همس لها مستعطفاً:

والله ما إتي زعلانة، عشان خاطري!

جاهدت لترجيح عنها لكنه فشلت، فصاحت باستياء:

حاسب بقى

ضحك من طريقته مرددًا:

طب هاتي دماغك أبوسها، حقك عليا!

انحنى على جبينها طابعًا قبلة نادمة عليه، لكنها رفضت العفو عنه هاتفة بعبوس شديد:

-ابعد عني!

رد معترضًا بشدة:

-مش هايحصل، مش قبل ما نبقى صافي يا لبن!

زفرت بصوت مسموع مستسلمة لقوته التي امتصت مقاومتها كليًا، فأكل مداعبًا:

-ولا بلاش، أنا عارفك هاتحميني زي المرة اللي فاتت، طب ما فكرة، ايه رأيك....

رفعت وجهها لتحقق في عينيه بنظرات محذرة وهي تقول:

-ايه؟

قلد وجهها العابس بطريقة مثيرة للضحك مرددًا بجمود زائف:

-خلاص يا شاويش عطية، مش هاعمل حاجة!

عمق نظراته العاشقة نحوها فتلاشى تدريجيًا غضبها منه، همست له من بين  
شفتيها بغيظ:

بايخ

رد عليها بصوت خفيض متغزلاً فيها:

بس قر!

قاومت تلك الابتسامة التي تحاول الظهور على محياها، فأضاف مازحًا:

مش هانجيب ليحيي أخ قريب؟

دفعته بسمة بقوة من قبضتها فتمكنت من تحرير نفسها منه، وردت بصرامة  
زائفة:

قليل الأدب، عيب كده!

رفع دياب كفه في الهواء قائلاً بتبرم:

لسانك اللهم صلي على النبي مشرط! بينا نازل بدل ما نطأش (تشاجر) في  
بعض ثاني

تنحى للجانب فمرت سريعًا من جواره لتسبقه في خطواتها، تابعها بأنظاره الواله  
ممنيا نفسه بليلة زفاف وشيكة يفعل معها ما يجيده العاشقين.

.....

لاحقًا، اختفى ضيقه منها مع استحواذ حماسه المتقد ليلتها المرتقبة على كامل تفكيره، انشغل عنها مؤقتًا بتلقي التهنئات من حوله حتى حانت اللحظة التي انتظرها مطولاً، انتهت الزفة وتأبطت ذراعه وهي ترتعش من داخلها، حتماً لم تكن تتخيل أجمل من ذلك، فرحتها كانت شبه كاملة رغم غياب أبويها ومرض نيرمين، سارت معه بتهمل نحو السيارة التي ستقلها إلى منزلها المستقل، فقد أبدى منذر رغبته في قضاء أول أيام حياتها سوياً دون إزعاج من حوله، فاستجابت له ولم تبدي اعتراضها، وقفت عند السيارة فأقبلت عليها عمها، ومالت عليها لتقبلها من وجتها قائلة بنبرة باكية:

-ربنا يسعد قلبك ويكرمك يا بنتي بالخير كله، والله اني تستاهلي ده

احتضنتها أسيف بذراعها قائلة بنبرة شبه مختنقة:

-ربنا يخليكي ليا يا عمتي!

طالعتها بنظرات ممتنة وهي تضيف:

-وجودك الفترة دي فرق معايا كتير

ردت عليها عواطف بنبرة منتحبة:

-ما تقوليش كده، ده احنا أهلك

التفتت برأسها للجانب موجهة حديثها إلى منذر الذي كان يصاحف أحدهم قائلة بجدية:

مش هاوصيك يا ابني، دي الغالية بنت الغالين

استدار ناحيتها قائلاً بعتاب لطيف:

-وده كلام يا ست عواطف!

سلط أنظاره على وجه حبيبته قائلاً بنبرة صادقة:

دي قلبي!

اشتعل وجهها بحمرة خجلة من غزله الصريح أمام عمته، فأطرقت رأسها حياءً

منها، أكملت عواطف بنبرة متفائلة:

إن شاء الله أعدي عليكم في الصباحية أطمئن عليكم

لم يكن بحاجة إلى تلك الزيارة، لكنه يعلم المقصد من ورائها، ورغم ذلك رد

عليها بهدوء:

-ما فيش داعي تتعي نفسك

أصرت على القدوم قائلة:

-ودي تيجي، ده الواجب يا سي مندر

ابتسم مجاملاً:

تنورينا

هتف دياب مهلاً من على بعد ليلفت الأنظار إليه:

-مبروك يا عريس، بالرفاء والبنين!

اقترب من أخيه ليحتضنه مهنئاً إياه، فسأله الأخير بفضول:



مختني فين من بدري؟

أجابه دياب بغموض:

-شوية عوا بس ظبطت الدنيا

-تعقدت تعبيرات وجه منذر إلى حد ما متسائلاً بجديّة:

-في حاجة حصلت؟

أجابه أخاه بعدم مبالاة:

-لا كله تمام!

وضعت عواطف يدها على كتف دياب لترت عليه قائلة بود:

مبروك يا ابني

استدار ناحيتها مردداً بهرح وهو يشير بيديه:

-الله يبارك فيكي يا حماي، عاوزين نعجل بالجواز

هزت رأسها قائلة بعدم اعتراض:

-شوفوا اللي يناسبكم

استمعت بسمة إلى جملته تلك، وأزعجها استباقه للأمر دون تمهل، فبدت

متجهمة من طريقته تلك، وقفت إلى جوار العروس لتقبلها وردت ببرود:

-أنا مش مستعجلة، لسه ورايا مدرسة وامتحانات ومراقبة وتصحيح و....

أغاظه جفائها المستفز له، فقاطعها مرددًا بتهكم:  
 خلينا على الملاحق جازٍ تفضي، يمشي معاكى؟  
 تغنجت بكتفها قائلة بدلال:  
 هافكر!

نظر لها بأعين لامعة مستمتعاً بحالة الشد والجذب بينهما، هي أعادت إحياء  
 روحه من جديد، أضافت طعمًا إلى حياته الجافة بعد أن ضنت عليه مسبقًا  
 بقسوتها، فلا ضرر من التريث حتى يصل إلى مبتغاه.

.....

تجددت الزغاريد والتهنئات المباركة عند مدخل البناية كتوديع أخير للعروسين،  
 وزاد حينها خوف أسيف مما هي مقبلة عليه رغم يقينها بأنه سيمنحها السعادة  
 والحب، حاولت بث الثقة لنفسها كي تهدأ، ومع ذلك بدت أكثر ارتباكًا، فلم  
 تستطع إخفاء خجلها، وبقيت في حالة إنطواء فاركة لأصابع كفيها المتشبثة بياقة  
 الورد.

لوح منذر لمن حوله قائلاً بجديّة:

نجاملكم يا رب في الأفراح!

ارتجف جسدها من صوته مستشعرة تلك اللحظات المميزة التي ستجمعها  
 معًا، فدنت من الدرج لتصعد عليه وتفر منه قبل أن يغازلها دون مقاومة،

أمسكت بالدرابزون، وبدأت بالصعود بتريث، لكنه لحق بها هاتفاً:

-استني يا أسيف!

تسمرت في مكانها مستديرة برأسها نحوه قائلة:

-سلم على الناس وأنا هاطلع

نظر لها مطولاً وهو يرد بابتسامة عريضة:

-ناس مين السعادي!

لف ذراعه حول خصرها مضيئاً بصوت آجش:

-وبعدين يصح تبقي عروسة وتطلعي كده وأنا موجود؟

تفاجأت به ينحني عليها ليحملها بين ذراعيه مكملاً صعوده بها، ففجلت من

تصرفه مرددة بهمس:

-برضوه؟

رد عليها بنبرة جادة وهو يرمقها بنظرات عاشقة:

-أنا جوزك دلوقتي

أبعدت عينيها عن مقلتيه التي تبثان لها حباً غير محدود، وظل على ثغرها

بسمة ناعمة تلهب المشاعر أكثر، لحظات ووصل بها إلى باب منزلها، فأنزلهما

على قدميها ليفتح الباب، وقبل أن تطأ بها للداخل قام بحملها مجدداً فشهقت

مصدومة:

تاني؟

رد موضحًا بنبرة غير قابلة للتفاوض:

لحد أوضتنا يا عروسة!

زادت حمرتها الخجلة من تلك الكلمات الموحية، شعرت باضطراب أنفاسها،  
وبتلاحق دقات قلبها من فرط الحماس الممزوج بالحياء والخجل، دار في  
خلدها الكثير من الأفكار المتخبطة حول طبيعة حياتها سويًا بعد أن أصبحت  
جزءًا من حياته، وكذلك هو، انتابها إحساس غريب بالخوف، حاولت تهدئة  
نفسها لكنها لم تقاوم رجفتها المتوترة، أخرجها من شرودها صوته الهامس:

أسيف

التفتت برأسها نحوه لتجد أعينه تقتحم عينيها بقوة، ظلت أنظاره مثبتة عليها  
وهو يميل برأسه نحوها، همس لها بتهنيدة حارة نابغة من أعماق قلبه الذي يهيم  
عشقًا بها:

-بأحبك!

تقوست شفيتها مبرزة ابتسامة صغيرة عليهما، فانحنى عليهما ليحصل على أول  
قبلة انتظرها على أحر من الجمر وهي في أحضانه، شعر بخوفها، باضطرابها،  
برهبتها من الموقف برمته، فلم يتعجل الأمر، أغمضت عينيها مستسلمة لذلك  
الشعور الدافئ الذي اخترقها رويدًا رويدًا لينتشر في لحظات في أنحاء خلايا  
جسدها ليسحبها إلى مناطق شعورية حاملة، زادت قبلته تعميقًا، وتلاشى  
معها خوفها نهائيًا.

ابتعد عنها ليصدق فيها بنظراته الشغوفة بها، رأى تأثير حبه المتأجج على  
تعايرها التي استسلمت لتيار عشقه، فأنزلها لتقف على قدميها دون أن يفلتها  
من أحضانها، بقي ذراعه محيطًا لخصرها، ضمها إليه قائلاً بهمس:  
يا، استنيت اللحظة دي كثير

رفعت عينيها نحوه لتنظر إليه بتأمل وقد أشرفت نظراتها بلمعان محبب،  
طوقت عنقه بذراعها قائلة بصوت خفيض:

مين كان يصدق إننا هانكون لبعض؟

ابتسم قائلاً:

حاجة ولا في الأفلام!

بادلته ابتسامة رقيقة أغرته للعودة مجددًا إلى تذوق مذاق الحب من على  
شفتيها، نعم طال انتظاره، وتحمل على عاتقه الكثير حتى وصل بها إلى تلك  
اللحظة الفارقة، هو يعيش مشاعرًا لم يختبرها من قبل مع زوجته الراحلة، بدا  
كالمرهقين وهو يتلهف لضمها، للتمتع معها بأسعد أوقاته، تخلى عن صبره،  
واحنى رأسه عليها رافضًا إضاعة ثانية أخرى دون أن يتنعم بحبه المشتعل  
معها، ارتوت بذرة عشقها مع كل قبلة حسية منحها لها، زادت تورداً  
وتجاوبًا، وفحسه ذلك للتعبير أكثر عن حبه لها، فغرقا سويًا في سعادة  
وردية، تلاحت فيها أجسادهما، وتلاقت فيها روحهما الهائمة فأصبحا كيانًا  
واحدًا.....

.....

## الفصل الحادي والتسعون:

مر أمام أنظارها الشاردة شريط حياتها العابث، ركضت وراء أهوائها متناسية يوماً كذلك، أرعبتها نظرات قريبها كامل حد الموت، ودعت الله في نفسها ألا يصل الأمر به إلى دفنها حية، كانت ترتعد في المقعد الخلفي، وهوى قلبها لأكثر من مرة في قدميها مع كل طريق مظلم تسلكه السيارة التي تقلها لبلدتها حتى توقفت عند منزله، هنا زاد شحوب وجهها وزاغت أبصارها، جذبها كامل من ذراعها بقبضته العنيفة أمراً بجمود:

-انزلي يا بت شادية

ارتجفت شفتها وهي تقول:

-أنا...

احتدت نظراته وبدت أكثر إظلامًا فارتعدت فرائصها، هتف من بين أسنانه  
بقسوة:

حريمنا هيوجبوا معاكي!

أفرعتها كلماته المريية تلك، فتهاتوت قدماها وهي تجر خلفه نحو المنزل،  
استعطفته باستجداء:

-اسمعي يا عمي، أنا هافهمك

هدر أمرًا بصرامة ترعب الأبدان:

-تكتمي!

صممت مجبرة متوقعة هلاكًا حتميًا بالداخل، كان في انتظارها حفنة من نساء  
العائلة، نظراتهن كانت مخيفة للغاية ناهيك عن أوجههن الواجمة، جف حلقها  
من الخوف، دفعها بعنف نحوهن فسقطت تحت أرجلهن منكبة على وجهها،  
أشار لهن بسبابته صائحًا بلهجة صارمة:

مش هاوصيكم!

ردت عليه إحداهن بنبرة قائمة وهي تنظر لها بازدياء:

اطمن يا حاج كامل، الضلع الأعوج لازم يتعدل!

رفعت ولاء رأسها لتنظر في وجه تلك المرأة، فرأت ما أخافها أكثر، مرتت  
أعينها الخائفة على حفنة النساء التي شكلت دائرة حولها لتضيق عليها الخناق،  
دق قلبها بعنف وهي تتلفت حولها بذعر مرددة بتوسل:

-اسمعوني، أنا معملتش حاجة!

وكانها تخاطب أصنامًا لا تنطق ولا تسمع، هن تلقوا أمرًا صارمًا بهتديب أخلاقها على طريقتهن، بردع تصرفاتها الهوجاء بأسلوب عنيف، كاد قلبها يخرج من بين ضلوعها وهي ترى النساء يواصلن التحرك نحوها ليقمن بواجب الضيافة الخاص معها، نزعن عنها المعطف الذي يستر ثيابها، فشعرت أنها عارية، لا يجب جسدها عن أعينهن الغاضبة شيء، انهن عليها بالضرب المبرح فصرخت متألمة، استغاثت بمن ينجدها لكن بدا صوتها لهن معزوفة أسرة حتى فقدت وعيها، حينها توقفن عن تعذيبها الجسدي، صاحت فيهن امرأة ما:

-كفاية عليها كده، ودوها الزرية زي ما الحاج كامل أمر!

أمسكت بها اثنتان منهن من معصمياها، وقامتتا بسحلها على الأرضية حتى وصلتا إلى حظيرة البهائم، فتركت حبيسة ذلك المكان حتى يتم النظر في أمرها.

.....

وأصبح للحب عنوانًا يخلد بداخله أسماء العاشقين، كانت حلمه الغريب، وأصبحت واقعه الجميل، لم يغمض له جفن، وظل مستيقظًا طوال الليل ليتأكد أنها باتت زوجته وتغفو في أحضانه، لم تغب البسمة عن محياه، سحبا معا نحو أنهر العشق التي يجيد فنونها ببراعة، واستجابت هي لتيار حبه الجارف مستسلمة لأمواجه المتدفقة فتنعمت معه بأحاسيس لم تختبرها من قبل، حلقت معه في عنان السماء مستنشقة أكسيد الغرام الذي حفز حواسها



بالكامل لتغدو تحت سيطرة العشق العميق، خشى أن تكون في مرحلة ما قد تأذت منه لكن للحب تأثير عجيب، لذة محبة تذيب الحواجز والمخاوف، فتخطت تلك اللحظات الحرجة والهامة بشاعرية مضاعفة لتصبح زوجته فعليًا.

نامت أسيف في أحضانه بعمق ربما لكونها تشعر بالسكينة معه، وربما لأن الإرهاق قد تملك منها، لكن الأكيد أنها لم تعد تهابه، ظل يداعب خصلات شعرها بأصابعه متهدًا بحرارة، احنى رأسه عليها ليطلع قبلة صغيرة على جبينه هامسًا لها:

-بأحبك يا أسيف!

تلملت متأثرة من صوته الهامس الحنون فابتسمت بشغف، بدت كالطفل الصغير الذي وجد راحته بعد مجهود مضني، ضمها إليه محاطًا إياها بذراعه رافضًا السماح لها بالابتعاد عنه، أعاد إسناد رأسه للخلف مغمضًا عينيه ليستسلم لخطر النوم الذي بدأ يتسلل إلى جفنيه.

.....

احترقت وهي تتقلب على جانبها متخيلة ما يفعله أي عروسين في ليلة عرسهما، تجسد في مخيلتها وجه منذر بلامحه الجادة ونظراته الصرامة، توهمته يتودد إليها، ينهال عليها بالقبلات الشغوفة، ويغدقها بأحضان دافئة تثير فيها الرغبات لتذوق المزيد معه، اجتاح رأسها ألم رهيب فجأة لتتبخر مع قوته

أحلامها الوردية وتفيق على واقعها المرير، إنسانة مريضة على وشك ملاقة الموت بين لحظة وأخرى.

أدمعت عيناها نيرمين بشدة وهي تحاول تجاوز تلك الساعات العصبية، لكنها كانت تمر ببطء بثقل يهلك القلوب قبل العقول، رغمًا عنها خرج أيتها من جوفها شاعرة بوخزات قاسية تعصر فؤادها، أجهشت بالبكاء سريعًا، كورت يدها ضاغطة على أصابعها بقوة وهي تحدث نفسها بأسى:

-كان نفسي في واحد يجيني وأحبه، كنت هاكلها معاه بدوقة، مكوتنش طالبة كثير، آه!

زادت حدة الآلام التي تعصف برأسها فصرخت بوجع شديد، ولجت الممرضة بصحبة الطبيب نبيل على إثر صرخاتها المتتالية إلى داخل غرفتها، دنا منها متسائلًا بتلهف:

مدام نيرمين، حصلك ايه؟

لم تكن تراه جيدًا، أثر ألمها المमित على مراكز الإبصار لديها، فبدت الرؤية مشوشة، واصلت صراخها المتألم صائحة ببكاء يدمي القلوب:

تعبت، كفاية بقي، يا ريت أموت وأرتاح، خدني يا رب، ارحمني من العذاب ده!

انهارت مجددًا عاجزة عن مقاومة كل أوجاعها التي هاجمتها بشراسة، هتف فيها بنبرة عالية:

مدام نيرمين، متقوليش كده، كلنا معاكى وجمبك!

أمسك بقبضة يدها يحتضن راحتها متابعا:

أنا جمبك ومش هاسيبك، سمعاني يا مدام نيرمين، أنا موجود معاكى

للحظة تسرب صوته الجاد إلى أذنيها فبدا كالترياق لذلك الذي يلتمها بضراوة، هدأت نسيئا وانخفضت حدة صرخاتها، ظل ييث في روحها المعذبة كلمات مهدئة حتى خف أئينها المصاحب لصراخها نوعا ما، فقام بفحصها وإعطائها جرعة جديدة من دوائها عل أوجاعها تسكن، رفض تركها بمفردها وأكمل مناوبته الليلة ماكثا في غرفتها حتى الساعات الأولى من الصباح مراقبا إياها في صمت، شغل تفكيره تلك الجمل الغامضة التي كانت تهذي بها وسط صرخاتها، تساءل في نفسه بفضول عن الذي يدفع شابة مثلها للوصول إلى الحضيض في مشاعرها، لتعاني بقسوة رافضة التمسك بأقل الآمال لتبقى على قيد الحياة.

.....

تشاءبت بإنهاك وهي تجاهد للنهوض من نومتها التي طالت معتقدة أنها في غرفتها بمنزل عمته وكانت منغمسة في أحلام ممتدة، شعرت بتيبس في عنقها، بألم طفيف في أجزاء متفرقة من جسدها، لكن صدمتها حينما رآته نائما إلى جوارها جعلها تشهق صارخة وكأنها رأت شبحا للتو، انتفض منذر فرعا على إثر صرختها محققا فيها بذهول، كم فمها بيده، وطوق بالأخرى عنقها ليمنعها عن الصراخ متسائلا باندهاش:

في ايه؟

جاهدت لتتحرر منه محاولة نزع يده عنها لكنها فشلت، امتص سريعاً صدمتها  
قائلاً بتريث عقلائي:

-احنا متجوزين، وفي بيتنا!

تجمدت أنظارها الجاحظة عليه، وتوقفت عن المقاومة والصراخ، بدأ عقلها  
يستوعب الأمر من جديد، هي بالفعل تزوجته، وكانت ليلة عرسها بالأمس،  
أزاح يده عن فمها قائلاً بابتسامة عذبة:

-افتكرتي، أنا منذر جوزك!

أخفضت أسيف عينيها حرجاً منه، وهزت رأسها باستنكار كبير لتصرفها  
الأحمق في أول صباح يجمعها معاً، دست يديها في خصلات شعرها المتبعثرة  
ضاغطة على شفيتها بقوة، ابتسم لخلجها الحرج منه متابعاً بمزاح:

حصل خير، بس يا ريت مايتكررش تاني، الناس تقول عنا ايه!

زاد خلجها وبدا واضحاً على وجنتها التي اصطبغت بحمرة كثيفة، خبأته براحتها  
متحاشية النظر إليه، وألقت بظهرها على الفراش زافرة بصوت مسموع،  
اعتدل منذر في نومته ليحدق فيها بنظرات والهة، لا يصدق أنها تشاطره  
الفراش، يشعر بدفء جسدها الملاصق لها، يراقب براءة روحها النقية التي  
أضاءت حياته الكئيبة، تحفزت خلاياه سريعاً للاستمتاع معها بحب جارف،  
فنهض من جوارها ليعتلي جسدها دون أن يلمسها، وهتف قائلاً بنبرة ذات

مغزى

صباحية مباركة يا عروسة

رفضت إبعاد يديها عن وجهها أو حتى النظر إليه بعد تصرفها الخجل مرددة  
بصوت شبه مكتوم:

صباحية إيه بقي، أنا وشي منك في الأرض!

مد يده نحو قبضتها ليزيجمها عن وجهها الذي شعر بسخونته من فرط حرجها،  
حدقت فيه بأعين لامعة، فتابع بتنهيدة حارة:

-وحشتيني من بالليل لدلوقي

عبست بوجهها مرددة بغرابة:

هو احنا لحقنا؟

التوى ثغره ببسمة عابثة وهو يقول:

طبعا، إتي مش عارفة أنا نفسي فيكي أد ايه

بس...

قاطعها بهدوء مغرٍ:

ده مش وقت كلام خالص، احنا.....

لم يكمل جملة له للنهاية فاستغربت من صمته، لكنه فسره لها حينما انحنى على  
رأسها ليطبق على شفيتها بشفتيه، قبلها بشغف أكبر، فذابت معه سريعا،  
وتفاعلت مع حبه الذي أغدق به عليها، وانغمسا مجدداً في عشق خاص بهما.

بصعوبة بالغة تمكن من النوم في فراشه، لم يغب عن باله صورتها التي انطبعت في مخيلته، ظل محددًا في خاتم الخطبة لفترة طويلة متمنيًا أن ينقله لليد اليسرى، زفر دياب باستياء لكونه لم يتزوج مثل أخيه، همس بصوت مزعوج:

يا بختك، زمانتك غرقان في العسل، وأخوك مفحوت هنا!

نهض عن فراشه ذارعًا الغرفة جيئة وذهابًا، بحث عن هاتفه ليحدثها، فقد تملكته رغبة كبيرة في سماع صوتها، تساءل مع نفسه بتوتر:

يا ترى هاتكون صاحبة ولا لأ؟

تردد في مهاقتها واضعًا يده على رأسه قائلاً لنفسه:

-استحالة تكون صاحبة

رن الهاتف فجأة في يده، فانتفض في مكانه مفزوعًا على إثر الرنة المباغته، أطلق سبة نائية وهو يحدق في الشاشة بنظرات حادة، تحولت تعبيراته للوجوم الشديد حينما قرأ اسم "شادية" عليها، ضغط على زر الرفض مرددًا بازدياء:

-ولية..... تجيب النحس، هو أنا ناقصها على الصبح!

تجاهل اتصالاتها المتكررة واضعًا هاتفه على الوضعية الصامتة، اعتقد أنها تحاول تهديده كعادتها لكونه قد تطاول على ابنتها بالأمس، وتوجه إلى المرحاض ليغتسل قبل أن يقوم بزيارة صباحية مباغتة لعروسه التي اشتاقها.

.....

ضاقت بها كل السبل للوصول إلى ابنتها، فقدم قريها الصارم "كامل" قطع عليها الطريق للتواصل معه أو حتى معها، هو لن يتهاون فيما يخص سمعة العائلة، خاصة وضعها الفاضح الذي رآها عليه، سيحكم عليها بالبقاء في داره ريثما تنتهي القضايا مع زوجها الحالي ليقرر هو مصيرها، خافت عليها من أن يحكم عليها بالموت، فإن كان على عهده متعصبًا شديدًا لن يتراجع عن ذلك، هداها تفكيرها المحدود للجوء إلى والد حفيدها دياب، فهو مشهود عنه بمواقفه الرجولية، ربما سير الموقف بصورة هينة يسهل تقبلها، فقريها يثق فيه، ستقنعه بطريقتها أن يخلق عذرًا ما، لكنها فقدت الأمل في الوصول إليه، عاتبت نفسها لتفكيرها المحدود معتقدة أنه سيلبي نداءها بعد كل الخلافات الدائرة بينهما، لم يعد أمامها بدًا من الذهاب إلى مازن، الأمل الأخير بالنسبة لها، توجهت إلى منزله لتقابله، استقبلها بفتور لم يبذل جهدًا في إخفائه، توسلت له بقلب مفطور أن يساعدها لكنه أبي قائلًا بتهكم:

مش هي اختارت تشرب بقى!

هددته شادية بصراخ:

هاضيعك يا ابن أبو النجا، التقارير الطبية معايا، هاقول اللي انت عملته فيها،  
اوعى مفكرني نسيت!!

نظر لها بجمود غير عايبء بتهديداتها، ورد ببرود:

-واتي قبضتي التمن

صاحت فيه بصوت غاضب مهددة بيدها:

-أخوك ضحك عليا، باعلي الهوا، مخدناش حاجة منكم!

رد بعدم مبالاة:

-ماليش فيه، وبعدين عاوزاني أرجع واحدة لامؤاخذة بتلوف على واحد ثاني  
وهي على ذمتي، قالوك عني قرني؟

اشتعلت حدقتها من أسلوبه المسيء لابنتها، فصاحت بعصبية:

-انت قدر وسافل

هتف باستفزاز:

ده العادي بتاعي، مش جديد يعني

بصقت في وجهه متعمدة التحقير من شأنه فاستشاط غضبًا، دفعها من ذراعها  
قائلًا بانفعال:

-ياللا يا ولية من هنا، أقولك على حاجة، بنتك طالق! خلصنا!

ضاقت نظراته أكثر وهو يتابع بشراسة:



-وهابت ورقة الطلاق على بلدكم، يالا من هنا!

شهقت شادية مصدومة من فعلته الغير متوقعة، وتلاحقت دقات قلبها بصورة كبيرة، لقد أنهت زيجة ابنتها دون قصد منها، وبات الأمر متأزماً بصورة أكبر، وقفت في مكانها عاجزة عن التفكير فيما ستفعله إن نفذ تهديده ذلك، دفعها بلا رحمة إلى خارج منزله ملقياً إياها كالشاردة على الدرج، لم يشفع له كبر سنها ولا صلة النسب بينهما، أدركت بعد تلك المهانة أنها أجمت في حق نفسها قبل ابنتها، أنها زجت بها في متاعب لا حصر لها بسبب أطماعها الغير منتهية، هبطت الدرج وهي تبكي بحسرة على مصائبها، تبقى لها أمراً واحداً هي المواجهة المباشرة مع عائلتها، عليها أن تعترف بأخطائها أولاً قبل أن يتم محاسبة ابنتها على أفعالها.

.....

توجهت نحو باب المنزل لتفتحه معتقدة أن محصل الكهرباء بالخارج، فاليوم هو الموعد الشهري لسداد الفاتورة، سارت عواطف يتمهل حتى بلغته، ثم قامت بفتحه لتتفاجأ بوجود زوج ابنتها دياب أمامها، تشكل على محياها ابتسامة ودودة وهي ترحب به:

-اتفضل يا ابني، نورتنا

رد عليها بابتسامة عريضة:

-ازيك يا حماتي، أنا جاي أصبح عليكم، وأشوف إن كنتو محتاجين حاجة

تسلم على تعبك!

تنحج مضيغاً بخشونة طفيفة:

هي بسمة موجودة

ردت عواطف ضاحكة:

-يعني هاتروح فين، ما هي أعدة في البيت

سألها بتلهف واضح عليه:

طيب ينفع أشوفها؟

هزت رأسها بالإيجاب مرددة بحماس:

-أه يا ابني، دي مراتك دلوقتي

رفع كفيه عاليًا وهو يقول:

-يسمع منك ربنا

أضافت عواطف بود:

ثواني هناديهالك، وأهوو بالمرّة تقعدوا شوية قبل ما نعدي على نيرمين

نشوفها، وبالمرّة نطلع على العرسان نطمّن عليهم

ماشى

تحركت نحو غرفة ابنتها بعد أن استقبلته في غرفة الضيوف لكنها لم تكن

بالداخل، رددت لنفسها:

## -تكونش في الحمام؟

توجهت إلى هناك، فوجدت الباب موصداً، وسمعت هدير الماء يأتي من الداخل فتأكدت من وجودها به، تحركت نحو المطبخ لتعد مشروباً لضيفها ريثما تخرج بسمة لتستقبله،

وكعادتها لم تهتم بمظهرها ففتحت باب المرحاض مرتدية قميصاً منزلياً ذو حملات رفيعة من اللون الوردى، يكاد يصل إلى ركبتيها، وشعرها المبتل ملتقاً بمنشفة قطنية، دندنت بأغنية شهيرة وهي تسير بلا أكثرات نحو الصالة لتلقي نظرة خاطفة على هاتفها الموصول بالشاحن،

مرت بغرفة الضيوف فلم تنتبه لوجوده بالداخل، لكنه لمحها وهي تسير بخيلاء مثير ودلال ناعم يلهب المشاعر ويؤجج العواطف، هب من مكانه واقفاً ليحرق فيها مدهوشاً، لمعت عيناه بوميض مشرق، وارتسم على محياه ابتسامة عريضة، لم يتسمر في مكانه مطولاً، أسرع بتحريك قدميه نحو عتبة باب الغرفة ليستند بذراعه على الحائط، مرر أنظاره على جسدها الملفوف بنظرات مطولة، لم يستطع إبعاد عينيه عنها، فجرد رؤيتها يعطيه إحساساً صافياً بالسعادة، فعلياً لم يكن يرى سواها، هتف بلا وعي بتنهيدة حارة:

هو في كده.....!؟

.....

## الفصل الثاني والتسعون:

أسرعت تستقل إحدى الحافلات المتجهة إلى بلدتها البعيدة، لم يبق أحد لمساعدتها سوى هي، وعليها التصرف حتماً قبل فوات الآوان، فأى دقيقة تمر ربما تشكل فارقاً في حياة ابنتها، فصرامة الحاج كامل وشدته معروفة للجميع، ولن يتهاون في التفريط في حق العائلة طالما أن الأمر يمس سمعتها المهيبة، لم تتوقف عن الدعاء طوال الطريق آملة أن يرفق بها وألا يؤذيها، وصلت مع ساعات الصباح الأولى، فاستأجرت سيارة خاصة لتوصلها إلى منزله المعروف، حبست أنفاسها متوقعة الأسوأ، وبدت في وضع لا تحسد عليه حينما رآته يخرج من باب منزله، ازدردت ريقها هاتفة بمرح:

حاج كامل!

التفت الأخير برأسه نحو صاحبة الصوت الأثوي المعروف، رمقها بنظرات مشمئزة وهو يقول بجمود متهم:

-البشائر هلت

دنت منه هاتفة بتلهف وهي تبتلع ريقها في حلقتها الجاف:

-بنتي يا حاج كامل، عملتوا فيها إيه؟

رد عليها بجفاء وهو يشير بإصبعه:

- رجعت عند عمها، احنا أولى بلحمنا!  
 انخت شادية على كفه تقبله وهي تستعطفه بتوسل شديد:  
 -أبوس ايدك ارحمها، دي أم وعندها ابن، حرام يتيم و...  
 قاطعها ساحبًا يده من بين راحتها:  
 -ساعتها لسه ماوجبتش!  
 تنفست الصعداء بعد جملته تلك، فتابت متسائلة:  
 -يعني هي لسه عايشة؟  
 أجابها قائلاً:  
 -أيوه، بس خلاص مالكيش حكم عليها  
 أومات برأسها خانعة لقراره الصارم وهي تتابع بقلب ملتاغ:  
 -أنا راضية بحكمك بس أشوفها وأطمئن عليك  
 نظر لها مطولاً بتأفف حتى ظنت أنه سيرفض رجائها لكنه تهدد قائلاً بعبوس  
 مقتضب:  
 -أخرج تكلمي مع الحاجة وهي تطمنك!  
 لم تجد بداً من الاعتراض على حكمه، فارتضت بمحادثة زوجته عليها تطمئنتها  
 عليها فيهدأ خوفها المبرر.

.....

مذلة ما بعدها مذلة، أن تتحول حياتك فجأة من الترف والبذخ إلى النقيض تمامًا، لم تتصور أن تصبح بين عشية وضحاها في وضع مترد كذلك، أفاقت من الأما على تلك الرائحة المنفرة التي تقتحم أنفها بقوة، أصدرت أنيبًا موجوعًا وهي تتقلب بألم على جانبها محاولة النهوض، اختنقت أكثر بتلك الرائحة المثيرة للغثيان.

فتحت ولاء عينيها ببطء محاولة رؤية ما حولها، تأملت المكان بنظرة شمولية رغم تورم عينيها وعرفت من الأصوات القريبة منها أين هي، استندت على مرفقيها محاولة النهوض من رقدتها المتعبة، وسحبت ساقها إلى صدرها لتزوي بعيدًا عن البهائم التي كانت تتحرك حولها، بكت بقهر متحسرة على ما آلت إليه الأمور معها، انتفضت في جلستها مذعورة حينما سمعت صوت إحداهن يصيح عاليًا:

فاقت يا حاجة!

ظنت أنهن سيتناولن بالضرب عليها، فصرخت بهلع:  
حرام والله اللي بتعملوه فيا!

ولجت إليها زوجة عمها كامل، فرمقتها بنظرات احتقارية أشعرتها بوضاعتها، ثم أردفت قائلة بجمود:

-اللي اتعمل فيكي قرصة ودين يا بت شادية، ولولا إن الحاج عمل خاطر ليا كان زمانته بيدفنك ولا من شاف ولا من دري  
سألها بصوت مختنق وهي ترتجف:

ليه كل ده؟

أجابتها بحدة وهي تنظر لها بازدراء:

-مفكرانا مش دارين في البلد بالي بتعمله في البندر!

اقتحم عقلها سيلاً متداخلاً من مشاهد مختلفة لمقتطفات متفرقة من حياتها؛ اتفاقات حقيرة مع سليل عائلة أبو النجا للإيقاع بغريمه بدياب، مشاحنات عنيفة معه بعد وقوعه في المحذور وجره لحبائلها الخبيثة، توريطة في مسألة الزيجة وما تبعه من حمل وإنجاب، ثم انكشاف المستور وطلاقها الحتمي، علاقات خفية مع مازن، وانصياع تام لأطماع وشهوات دونية، أفاقت من شرودها المشين قائلة بارتباك:

-أنا..

وكان زوجة عمها قد قرأت أفكارها، فقاطعت بنفور:

-اتطلقتي من ابن الأصول وقولنا نصيبها كده، عرفنا بعدها إنك فجرتي، وقلعتي، مفكرة بكده إنك مالكيش أهل شوهتي سمعتهم!

تجمدت الكلمات على طرف لسانها فلم تستطع الدفاع عن نفسها، تابعت الأخيرة مضيئة بقوة:

حاشنا عنك الحاج طه!

ارتفع حاجبي ولاء للأعلى في ذهول تام، بدت علامات الاندهاش جلية على قسمايتها المتورمة، لم يطرأ ببالها أن يقوم حماها السابق بزيارة سرية إلى عائلتها،

فقط لوأد الخلافات قبل أن تتطور وذلك حرصًا على مصلحة ابنها آنذاك،  
رأت زوجة عمها تعبيراتها المصدومة فأكدت حديثها موضحة:

-يوه، جه زمان عندنا ووصانا منتعرضش ليكي!

شعرت بخيبة الأمل لكونها فرطت في عائلة ذات أخلاق متأصلة فيها بروعوتها  
وتفكيرها الأحق، أضاعت كنزًا ثمينًا من بين أصابعها بسبب غيابها الشديد،  
واصلت زوجة عمها مكملة بتعنيف قاس:

-ابن أصول! خرجتي عن طوعنا وعن سلو بلدنا وقولنا أهو كله لنفسها، طالما  
مش بتعمل العيبة، خبيتي عنا خبر جوازك وعرفناه بالصدفة، وعديناه، ما  
اتتي بقيتي في عصمة راجل تاني يلمك، بس طالما رماكي واتطلقتي تاني يبقى  
مالكيش عندنا إلا البلغة!

توالت صدماتها بعد كشف الستار عن كل ما يخصها، فتسائلت بخوف:

-انتو عرفتوا ده منين؟

رمقتها زوجة عمها بنظرات قاسية وهي ترد:

-مافيش حاجة بتستخبي!

تملكها إحساس الندم والحزي، أدركت أنها ارتكبت من الأفعال المشينة ما  
يجعلها تخجل لما تبقى من حياتها، إن كان الأقرباء يعرفون عنها كل ذلك  
وتنكروا لها، فماذا عن صغيرها إن شب وكبر وعرف ماضيها المسيء؟ تخبطت



في أفكارها التي أنهكت عقلها إلى أن سمعت صوتها يضيف بغموض أصاب  
جسدها بالقشعريرة:

-وعرضنا هنلمه، وبالأصول!!!

سألها بتوجس كبير:

قصدكم ايه؟

إنتي ونصيبك بقى

قالتها باقتضاب لتثير هلعها قبل أن تتركها في حظيرة البهائم لتعاود أدراجها  
للدخل، حاولت ولاء النهوض من رقدتها المتألمة لتلحق بها، لكن كانت  
عظامها تنن بشراسة، فتعذر عليها الوصول إليها، توقفت عن الزحف وأجمشت  
ببكاء مرير، نكست رأسها بحسرة كبيرة متوجسة مما سيحدث لها لاحقًا.

.....

قابلتها بفتور رغم الألفة المعهودة بينها، هي تلقت تعليقات صارمة من زوجها -  
والذي يعد كبير العائلة- بعدم الاسترسال في الحديث الودي معها، لذلك  
حرصت على أن يكون أسلوبها جافًا ورسميًا، نظرت لها شادية قائمة بعتاب:

-بعد كل ده؟

ردت قائمة بقسوة:

ده أخري، ويبقى بجميلة كمان!

هتفت فيها بحدة:

دي بنتي؟ يهون عليكم تعملوا فيها كده؟

ردت بجفاء دون أن يرتد لها طرف:

ده ذنب ويخلص، احمدي ربنا إنه مدفنهاش حية في قبر أبوها!

فغرت فمها مدهوشة وهي ترد باستنكار:

للدرجادي

قست نظراتها موضحة:

ريحتها فاحت يا شادية، وهي مش عاملة اعتبار لحد، خليها عندنا تتربي

وتعرف إن الله حق

كانت محقة في ذلك، فابنتها تخطت حدود المقبول في تصرفاتها المتجاوزة،

طأطأت رأسها مرددة بخزي:

ماشى، بس ماتوتهاش، وأستسمحك تخليني أشوفها!

صمتت للحظات قبل أن تقول بقوة جامدة:

لا، الحاج كامل رافض!

انقلع قلبها في صدرها لمجرد منعها من رؤيتها وهي على بعد خطوات منها،

هتفت بنبرة مختنقة وقد أوشكت على البكاء أمامها لتستجديها:

يرضيكي أتحرم من طلتي على بنتي؟!

ردت بقسوة متعمدة الإشارة إلى صمتها عن أفعالها المسيئة:

شوفي إتي عملي ايه ووصلتها لده!

مغطلش معاها بس...

اللي أقدر أخدمك فيه إني أقولك الحاج كامل هيسترها وتتجوز الكلاف  
بتاعنا

اتسعت مقلتها في صدمة، وهتفت مرددة:

ايه؟

تابعت موضحة بجمود وكأن أمرها لا يعنياها:

مايخلفش ومش بيدور على خلفه ولا عيال، عاوز واحدة تخدمه وتقوم على  
طلباته، وده اللي يليق بتك  
ليه كده بس؟ حرام والله

هبت الأخيرة واقفة من مكانها لتضيف بجمود جاف:

شرفتي يا شادية، مانجلكيش في حاجة وحشة!

أولتها ظهرها متابعة بصياح جمهوري:

واد يا مسعود وصل الست شادية للمحطة قبل ما يفوتها القطر!

حركت شادية رأسها للجانبين وهي تبكي بحرقة على فراق ابنتها الإجباري  
ومصيرها المجهول مع زوج مستقبلي لن تعرف عنه شيئاً، لم يعد بمقدورها  
التصرف، انفلتت زمام الأمور منها، فوقفت مكتوفة الأيدي عاجزة حتى عن

رؤيتها، وضعت كفيها على رأسها تضغ عليها بحسرة، آه لو تم تحذيرها من قبل  
لردعت ابنتها قبل أن تخرج المسائل عن السيطرة، خشيت أن تعاند  
فتسبب في تبعات جمة تعرضها للخطر، لذلك استسلمت بيأس كبير لقرار  
العائلة الغير قابل للنقاش بتزويجها بعد انتهاء العدة الشرعية، وجررت ساقيها  
للخارج ملقية نظرة وداع أخيرة على المنزل، همست لنفسها بانكسار:  
-ربنا يسترها عليك يا بنتي وينجيك من المستخبي!

تابعت سيرها المتخاذل متجهة نحو الطريق الرئيسي باحثة عن وسيلة  
مواصلات تقلها لمحطة القطارات لتعود إلى المدينة وحيدة، ظلت شاردة أغلب  
الوقت تفكر فيما ستفعله في المستقبل، لا يمكنها أن تتخلى عنها في ذلك  
الوقت الحرج وتبقى في معزل جاهلة بما يحل بها، بقي أمامها خيارًا واحدًا، ألا  
وهو العودة إلى البلدة لتكون إلى جوارها، لم تفكر كثيرًا وحسمت أمرها  
بتنفيذ ذلك والانتقال إلى هنا، فقط عليها أن ترتب لذلك لتعود سريعًا إليها.

.....

ارتعش جسدها لمجرد سماع صوته يأتي من خلفها، وانتفض قلبها بقوة من كلماته  
المادحة، لم تتوقع وجوده مطلقًا في تلك الساعة المبكرة، والأهم من ذلك هي  
خروجها أمامه مرتدية ثيابًا كاشفة لأجزاء من جسدها، مجذبت عينها بصدمة  
جلية عندما أدركت ذلك الموقف الحرج الذي وضعت فيه، التفتت عفويًا  
برأسها للخلف لتجده يطالعها بأعين لامعة وتلك الابتسامة المغرية مرتسمة

على ثغره، شهقت بسمة مفزوعة ووضعت يدها على مفاتها تخبئها صائحة  
بتوتر رهيب:

-إنت بتعمل إيه هنا؟

رد مبتسمًا بثقة وهو يشير بحاجبيه:

-والله أنا محظوظ، مكتوبلي أشوفك! شوفتي القدر؟

رغم كونها المرة الأولى التي ينظر لها بجرأة بعد عقد قرانها إلا أنها انزعجت من  
نظراته التي تخجلها، شعرت بأنها عارية أمامه، بأنه يخترقها بسهولة، بلا تردد  
نزعت سريعًا منشفتها القطنية عن شعرها المبتل لتغطي به كتفها وهي ترمقه  
بنظرات حادة، لم تعطه المزيد من الوقت ليتأملها، فتحركت مبتعدة من أمامه  
وهي تزفر بصوت مسموع، اعترض دياب طريقها مرددًا بضيق:

-استني بس، رايحة فين؟

عبست أكثر بوجهها قائلة بتجهم أمر وهي تتحاشى الاقتراب منه:

-وسع من سكتي!

أشار لها بكفه محتجًا:

ليه بس؟!

نفخت دون أن تجيبه، فتحرك صوبها متعمدًا تقليص المسافات بينهما، أضاف  
بخفوت لكن بكلمات موحية:

ده حتى كل حاجة حلوة النهاردة، و.....

فهمت مقصده الضمني الذي يتغزل فيه بجمالها الطبيعي ، قاطعته مستنكرة  
وهي قاطبة لجبينها:

إنت قليل الأدب، عيب كده!

عقد ما بين حاجبيه مزعوجًا من أسلوبها الحاد معه مرددًا بعتاب لطيف:  
-ينفع الغلط طيب؟

تحركت بسمة للجانب قائلة بجدية تحمل التهديد:

حاسب، ماما لو شافتنا كده مش هايحصل طيب!!

اتسعت ابتسامته العابثة أكثر وهو يرد بتسلية:

يا ريت! حتى أقولها عاوز أكمل نص ديني عملي، وأنا متأكد إنها مش هتانع!

كان محققًا في ذلك، فوالدها ستفرح كثيرًا إن أسرعته هي في إتمام الزيجة، بدت  
أكثر اضطرابًا من طريقة نظراته التي تثير أعصابها، شعرت بتورد وجهها،  
وبارتباك أنفاسها، فهتفت محذرة ومحاولة إخفاء توترها:

-بلاش تستفز أعصابي

نظر لها متحديًا وهو يواصل اقترابه منها قائلاً بصوت هادئ لكنه واثق:

هتعملي ايه يعني؟

تراجعت بتعجل للخلف وتلفتت حولها باحثة عن شيء تقذفه به، وقعت  
 عيناها على مزهرية قريبة -صغيرة الحجم- فالتقطتها بيدها ثم ألقتهما في وجهها،  
 انحنى دياب ليتفادى ارتطامها به قائلاً بذهول:  
 يا بنت المجانين!

نظرت له بأعين محتقنة وهي ترد بغیظ:  
 أحسن

استغل فرصة التهائه عنها لثوانٍ لتتمكن من الفرار من أمامه متجهة إلى غرفتها،  
 أوصلت الباب خلفها كي لا يلحق بها، فتجمدت أنظاره عليه، وضع إصبعيه  
 على طرف ذقنه يفركه قليلاً، أخرج تهيدة حارة من صدره هامساً بتشوق:  
 ليكي يوم!

حرك يده لمؤخرة عنقه متابعًا بإعجاب:  
 بس وربنا بردك قمر!

استدار بجسده عائداً نحو غرفة الضيوف ليجلس بها، فالتقى بعواطف في  
 طريقه وهي تحمل صينية بها القهوة الساخنة وبعض الحلوى مرددة بابتسامة  
 أمومية:

-تأخرت عليك يا ابني!  
 تنحنح بخشونة قائلاً بجرح طفيف:  
 -احم، منورة يا حمائي!

أشارت بيدها متابعة:

هاروح أشوفك بسمه

هز رأسه مبتسمًا بهدوء:

خدي راحتك

لاحظت نظراته الدافئة وطريقته المتحمسة التي كانت واضحة للعيان، فابتسم  
متممة مع نفسها بخفوت:

يا قرب البعيد بينكم!

.....

مسحت بأناملها المرتجفة التجمعات البخارية التي تحجب رؤية انعكاس وجهها  
في المرآة، حدقت في بشرتها المتوردة بجيوية نضرة بنظرات راضية، هي تحيا  
سعادة غامرة لم تظن أنها ستحظى بها بعد كل ما مرت به من أحداث  
عصيبة، تخلت عن ذلك الحزن القابع في حياتها ليحل محله مفهومًا جديدًا  
وعميقيًا في حياتها، تهتت مطولاً وهي تتمط بكتفها محاولة تخفيف ذلك الألم  
الطفيف الذي يعتريها، بالطبع كل ما تمر به طبيعياً فهي عروس جديد تخوض  
تجارب مثيرة لأول مرة تسحبها إلى عوالم خاصة بها أعمق المشاعر وأقواها.

أكملت ارتداء ثيابها الجديدة ذات اللون الأحمر - متأملة هيئة جسدها المثير  
الذي بدا مغريًا من أسفل القماش الشفاف، تخرجت للغاية من كونها ستظهر  
هكذا أمام زوجها، هي لم تعتد على تلك الأمور بعد، أغمضت عينيها للحظات



مستجمعة جأشها، ثم فتحت جفניה وهي تتنفس بتمهل، سارت بخيلاء خارج  
المرحاض فوجدت منذر في انتظارها ينظر لها بضيق زائف وهو يقول:  
كل ده يا حبيبتى؟

رمشت بعينها بخجل بائن أغراه للتودد إليها، تعمدت سحب أطراف ثوبها  
الحريري للأسفل بيدها لتغطي فخذها المكشوف أمامه لكنه لم يستر إلا عدة  
سنتمرات، راقه ما تفعله ببراءة فتأملها بنظرات حنونة مطولة جابت جسدها  
وفحصته بدقة، شعرت بسخونة قوية تلبعث من بشرتها فتأكدت من كون  
وجها قد تحول لثمره البنادورة، اقترب منها منذر ممدداً يده نحو كفها ليلتقطها،  
أسبل عينيه نحوها هامساً:

لسه بتتكسفي مني؟

عضت على شفها السفلى وهي تحرك رأسها بالإيجاب بإيماءة خفيفة خجلة،  
سحبها إلى أحضانه محاوطة إياها من خصرها بذراعيه، استندت بقبضتها على  
صدره، وتلاأت عينها بوميض الحب وهي تتأمل عينيه، تابع بصوت خفيض  
وهو يرمقها بنظرات والهة:

إيتي أحلى حاجة حصلت في حياتي!

ردت نبرة ناعمة وهي تتحسس صدره برقة:

وانت كمان!

تقوس فمه للجانب قائلاً:

طب يالا على المطبخ عاملك مفاجأة حلوة

رفعت حاجبها للأعلى متسائلة بفضول:

بجد؟ طب ايه هي؟

ظل محاوطة إياها بذراع واحد وهو يتجه بها نحو المطبخ قائلاً بغموض:

هاتعرفي دلوقتي!

ولج الاثنان إلى داخله فتأملت بنظرات جادة ما أعده لها من إفطار بسيط،

حدقت في صحن مليء بالجبنه، وآخر بالمرجب وبعض الخبز، التفتت برأسها

نحوه متسائلة بابتسامة ناعمة:

انت مجهز الفطار؟

أجابها عفويًا:

ده اللي قدرت عليه، مش عارف بصراحة مكان الحاجة، فقولت أخدم

ضحكت برقة مغرية واضعة يدها على صدغه تمسح عليه، رمقته بنظرات

عاشقة وهي تقول:

-ولا يهملك يا حبيبي، كفاية تعبك!

وضع قبضته على كفها ليقربه من فمه فقبله قائلاً:

-بأحبك!

سحبت يدها من راحته متجهة نحو البراد لتبحث فيه عما يمكن استخدامه في إعداد طعام الإفطار، انحنت دون أن تنتبه لأعينه المسلطة عليها وتصرفت بتلقائية أهلكت أعصابه فوراً، شعرت بيد تحاوطها من الخلف فانتفضت في مكانها وهي تعتدل في وقفتها، عاتبته بدلال:

منذر، ماينفعش كده!

حاولت إبعاد ذراعه عنها مرددة بالحاح:

مش هاعرف أجهز الفطار!

زادت ضمته لها وهو ينحني برأسه على أذنها ليهمس لها بتنهيذة ساخنة أصابت جسدها بالقشعريرة لكنها استمتعت بها:

سيبك من الأكل دلوقتي، وتعالى أقولك حاجة!

قاومته بدلال مثير بعد أن فهمت مقصده، وجاهدت لتحرر نفسها منه هامسة بنقل:

مش وقته! فطر و...

قاطعها مبتسماً بإصرار:

خلاص أنا نفسي اتفتحت على حاجات تانية أهم!

أدارها نحوه ببطء دون أن يفلتها لينال من على شفيتها قبلة شغوفة، استسلمت لحرارة مشاعره الفياضة وتجاوبت معه أكثر، فانحنى بجذعه قليلاً ليحملها بين ذراعيه ليكملا سوياً معزوفة حبها الخاص.

إيه اللي حصل؟

تساءلت بها نيرمين بصوت واهن وهي تعاود فتح وغلق جفنيها لتعتاد على الإضاءة بغرفتها، ابتسم لها الطبيب نبيل الذي ظل مرابطًا بجوار فراشها وهو يجيئها:

حمدلله على سلامتك، كده تخضينا عليكي!

تجمدت أعينها عليه بغرابة شديدة فتابع موضحًا بهدوء:

الحمدلله عدت على خير!

تذكرت ما مرت به بالأمس من آلام مهلكة كانت تؤدي بحياتها بسبب ذلك المرض اللعين الذي ينهش في خلايا جسدها، لمعت عيناها بقوة، وأخرجت تهيدة متعبة من صدرها تحمل الكثير، لن تنتهي معاناتها أبدًا، لن يشعر بأوجاعها أحد، تهتت مرة أخرى لترد بعدها باستياء:

-يعني أنا لسه عايشة؟!

تجهمت قسماً وجهه مزعوجًا من أسلوبها التشاؤمي الذي يؤثر بالسلب على صحتها ويؤتي بنتائج عكسية مع علاجها المكثف، هتف معنفاً بلطف:

ليه بتقولي كده؟ والله أزعل منك!

ضاقَت نظراتها أكثر متعجبة طريقتة معها، همست بصوت مرهق:

تعبت من كل حاجة، وزهقت، عاوزة أموت خليني أرتاح من ده كله!

باغتها بالإمساك بكفها وضمه براحتيه لتشعر بسخونة دمائه على بشرتها  
الباردة، انفرجت شفتاها مشدوهة من حركته تلك، وحدقت فيه بنظرات  
أكثر حدة، لم يهتم برده فعلها، وتابع قائلاً بجدية وهو يضغط على كفها برفق:  
حتى لو فاض بس ساعة واحدة في عمرك، اوعي تفقدي الأمل وتستسلمي،  
في ناس يهتمها أمرك يا مدام نيرمين!

شعرت بجفاف شديد في حلقها، لأول مرة تجد من يهتم بها خارج نطاق  
الأسرة، من يشعرها بأهمية وجودها في الحياة، من ييث في نفسها روحاً إيجابية  
تعيد بعث التفاؤل في روحها المستهلكة، رأت ابتسامة عذبة تتشكل على ثغره  
وهو يكمل بصوته الرخيم:

سعيد إني اطمنت عليك، وإنك فوقتي واتكلمي معايا!  
هزت رأسها بإيماء خفيفة كتعبير عن امتنانها له، أسند كفها إلى جوارها متابعاً  
بنفس الابتسامة اللطيفة:

هاستأذنيك هامشي، مطبق من بالليل، والشيفت بتاعي خلص من بدري،  
مهانس عليا أسيبك لوحدي!

استغربت كلماته كثيراً، هي لم تعهد مثل ذلك الاهتمام المكثف من قبل،  
ناهيك عن المعاملة الرقيقة التي يستخدمها معها، ارتسم على وجهها الذابل  
ابتسامة باهتة مرددة:

-كتر خيرك

لمعت عيناه وهو يقول بتأكيد:

هاشوفك تاني، وعشان خاطري بلاش تشاؤم، اتفقنا؟

ردت بجزر:

ماشى

تابع محذراً بجدية وهو يشير بعينه:

خلي بالك من نفسك

طيب

-وأنا موصي الممرضة، هتابع معاكى وأنا هاكلمها أول بأول عشان أطمن

لم تصدق أذنيها، هو يعبأ لأمرها حقاً، ليست أوهاماً بفعل تأثير العلاج القوي

الذي تحقن به أوردتها، وليست خيالات وردية اختلقها عقلها لها، أفاقت من

شرودها هامسة بامتنان:

تسلم على تعبك

رد بمرح:

تعب ايه بس، كل حاجة تهون عشانك!

عمق نظراته نحوها قائلاً بنبرة جادة وهو يلوح بإصبعيه:

عن إذنك!

صمت نيرمين ولم تعقب عليه، لم يكن لديها من الكلمات ما ترد عليه به بألفة وتهذيب، بدت في حالة غريبة لبعض الوقت محاولة استيعاب الموقف وتفسيره، هو مازال يحاصرها بعباراته التي تترك حواسها، بالإضافة إلى نظراته المتطلعة لها باهتمام، حافظت على ابتسامتها الباهتة حتى خرج من الغرفة، فتلاشت من على ثغرها وهي تتسائل باندهاش:

مش معقول، هو فعلاً يقول أنا الكلام ده.....؟! .....

الفصل الثالث والتسعون:

انقضى الأسبوع الأول سريعًا لتجتمع بعدها العائلة في زيارة ودية لتهنئة العروسين وتقديم الهدايا لهما في منزلها الخاص، وبالطبع لم تدخر أسيف وسعها في الترحيب بالجميع بما يليق بهم، عاونتها بسمة على قدر الإمكان في إعداد الصحون المليئة بالكعك والبسكويت منزلي الصنع -وكذلك المشروب المنعش- كتقليد متبع في تلك المناسبات المعروفة، تسلل دياب إلى المطبخ ليحظى بمحادثة خاطفة مع عروسه التي تتجنبه عمدًا لتزيد من شوقه لها، وقف خلفها دون أن يصدر أي صوت، لمحته أسيف فأشار لها بإصبعه لكي لا تلفت الانتباه له، أومأت بعينها متفهمة، ثم أردفت قائلة بابتسامة لطيفة:

-كلي يا بسمة رص الأطباق عقبال ما أرجعلك

ردت عليها الأخيرة بتركيز شديد:

ماشبي

كانت تظهر مهاراتها في ترتيب الكعك بصورة جذابة للأنظار، وبالتالي لم تشعر بوجود دياب معها، راقبها باستمتاع كبير حتى قرر أن يفاجئها، وضع يده على كتفها ضاغطًا عليه برفق، فظنت أنها أسيف، لذلك لم تستدير للجانب وتابعت بجدية:

قربت أخلص أهوو، ثواني بس أرص البتي فور!

وضع دياب قبضته الأخرى على كتفها الآخر، ثم قرب يديه من عنقها وبدأ في فركه بحركة تدليكية خفيفة، تأوهت بصوت خفيض قائلة:

-كثر خيرك يا أسيف، بجد محتاجة مساج لظهري، عضلاتي قافشة و....



قاطعها بعث:

-أنا موجود شوفي إتني محتاجة ايه وأنا....

شهقت مصدومة من وجوده وتسمرت في مكانها مذهولة، استدارت فجأة للخلف لتجده على مقربة شديدة منها، رددت من بين شفتيها بنبرة مدهوشة:  
-إنت!

حرك رأسه بالإيجاب وهو يرمقها بنظراته المتيمة بها، اغتاظت من حصاره لها، فصاحت به بغلظة:

-اوعى!

سد عليها الطريق ليزيد من حصاره عابثًا معها بتسلية، حاولت التحرك للجانب لكنه كان يتحرك معها، تكرر الأمر لعدة مرات، فانزعجت من تصرفاته المستفزة لها، سألته بحدة:

-جاي هنا ليه؟ مش قاعد مع الناس اللي برا و...

قاطعها بهدوء رغم تشنج تعبيراته:

-بالراحة يا أبله عليا، احنا مش مكتوب كتابنا بردك ولا أنا غلطان؟

ضاقت نظراتها نحوه فبدت أكثر حدة عن ذي قبل، تابع مضيقًا بلووم:

-يعني المفروض ناخذ وندي بشكل ودي شوية، حتى...

ارتبكت من تلميحاته الخفية، وشعرت بتأثير حضوره عليها، ارتدت سريعاً  
قناع الجدية الزائف قائلة بصلافة:

لو سمحت

استاء من تلك الروتينية الجافة التي تعامله بها، فعاتبها بلطف:

ليه الرسمية دي بس؟ وربنا أنا بأحبك ودايب فيكي!

هي واثقة من إحساسه الصادق نحوها، لكنها تتخذ حذرهما على الأخير حتى  
تهياً كلياً لذلك، ابتلعت ريقها قائلة بجمود:

-بعد اذنك إنت مش شايف أنا مشغولة ازاي؟! -

رد بهدوء واثق:

-وده يمنع نقول كلمتين حلوين لبعض؟! -

لم تستطع أسيف المماطلة أكثر من ذلك وإلا أثارت الشكوك بالخارج، لذلك  
عادت إلى المطبخ هاتفة بمرح:

-تتعلمكم يوم فرحكم إن شاء الله

رفع دياب كفه في الهواء قائلاً برجاء:

يا رب إن شاء الله

ردت عليها بسمة بعبوس:

-كويس إنك جيتي، شيلي البيه الصينية!

نظر لها بضيق وهو يقول:

ايه المعاملة الناشفة دي؟ شايفة؟!

ابتسمت من حالة الشد والجذب الدائرة بينهما، وهتفت معللة:

معلش، بكرة تتجمعوا سوا وتاخدوا راحتكم

رد عليها بتنهيدة مستاءة:

يا مهون، الحجر لان ودماعها لأ! وربنا أنا زهقت، كل حاجة جاهزة، لازمتها

ايه العطلة دي؟

بررت له رغبتها في التأجيل:

معلش، خليها على راحتها وإن شاء الله خير!

زفر بملل وهو يرد:

يا رب يسر!

ولجت جليلة إلى داخل المطبخ لتتمكن من الحديث مع زوجة ابنها في أمر هام،

وجدت أن الفرصة سانحة لمفاتحتها في ذلك الموضوع دون حرج خاصة أن ابنها

مشغول بالحديث مع المتواجدين، لمحت دياب واقفاً معها فهتفت بحماس:

شوف الجماعة برا وسيلي عروسة ابني شوية

ماشى يا حاجة

قالها دياب وهو ينسحب من المكان لتصبح الاثنتان بمفردهما، تساءلت  
أسيف باهتمام:

عاززة حاجة يا طنط؟ أجييلك....

قاطعتها بصوت خافت لكنه يحمل الجدية:

-لا يا بنتي تسلمي، أنا بس عاوزاكي في كلمتين!

دنت منها للتابع بنبرة ذات مغزى:

عاوزاكي تشدي حيلك كده وتفرحينا قريب

عقدت أسيف ما بين حاجبها باستغراب وهي تسألها:

مش فاهمة

أوضحت مقصدها بجدية أشد:

-نفسي أشوف حتت عيل من مندر، اتجدعني بقى يا بنتي وخلينا نفرح بيكم!

تعجبت من تعجلها لتلك المسألة الغيبية التي لا دخل لها بها، وهتفت معترضة

بنبرة شبه مرتفعة:

بس لسه بدري، احنا ملحقناش، ويقالنا كام يوم متجوزين!

التقطت آذان مندر جملة زوجته وهو في طريقه إليهما فتوقف عن السير

ليسترق السمع لحديثهما بانزعاج كبير، ردت جليلة بإصرار واضح:

-وماله، أديني بوعيكي عشان تحطي الموضوع في بالك!

ثم شددت من لهجتها قائلة:

-وابني نفسه في عيل يشيل اسمه ويكبر في حضنه!

تجهم وجهه تمامًا من أسلوبها الضاغط على زوجته، لم يتحمل المزيد ووج إلى المطبخ صائحًا:

-أبويا بيسأل عليكي برا يا ست الكل!

التفت الاثنتان نحوه فبدت المفاجأة واضحة عليهما، تفرس هو وجه أسيف بنظرات قوية دون أن ينطق بكلمة، لكنه كان مستشعرًا ذلك التغيير الذي طرأ عليها، أراد أن يخلصها من حصار أمه فتابع بهدوء:

-معلش يا أسيف هاتي مياه لعمتك برا!

هزت رأسها إيجابًا وهي ترد:

طيب

انتظرها حتى انصرفت من المطبخ فعاتب والدته بضيق:

-ايه الكلام اللي سمعته ده؟

لم تكن أسيف قد ابتعدت تمامًا فوصل إلى مسامعها صوته الحاد والمزعوج، تخوفت أن يحدث صدامًا بينهما، فانزوت في الجانب لتتنصت عليها خلسة، بدت متوترة للغاية لمعرفة ردة فعله إن كان حقًا قد سمع حديثهما، فهمت والدته مقصده فورًا وردت عليه ببرود:

-الله يا ابني مش نفسي أفرح بعوضك!

عنفا مندر بانفعال طفيف ملوحًا بيده في الهواء:

مش كده بردك، هانعيده تاني يا حاجة؟

ردت ياالحاح:

وتالت ورابع كمان، هو أنا غلطت؟ مش أمك وعاوزة مصلحتك

اجتاح خلاياه غضبًا جمًا من نفس الأسلوب القديم الذي كانت تتخذه معه من

قبل لإقناعه بالزواج من نيرمين لأنها تصلح للإنجاب متناسية أنه وجد الحب

والسكنى مع زوجته الحالية، رد عليها بقوة رغم هدوء نبرته:

-وبعدين مين قالك إن أنا ملهوف على العيال؟ أنا مبسوط كده

بررت إصرارها بنبرة حزينة:

يا ابني اللي زيك عنده أورطة عيال، ونفسنا أنا وأبوك نشوف عيالك

بيتنططوا حوالينا!

رد بجمود وقد ضاقت نظراته:

-ربنا هيكرم في وقته، فبلاش الله يكرمك تفتحي السيرة دي تاني مع أسيف

ضغطت على شفيتها قائلة بامتعاض رغم عدم اقتناعها:

طيب!

انسحبت سريعاً قبل أن يكتشف أحدهما وجودها فيتسبب ذلك في إحراجها، شعرت بعبء ثقيل يُلقى على كاهلها، وبهمٍ كبيرٍ يجثو على صدرها فقلل من فرحتها، جلست بجسدها وسط الحاضرين، جاهدت لتبدو تعبيراتها طبيعية باقي السهرة، لكن عقلها كان شاردًا يحلل عبارات جليلة بتفكير عميق، فماذا سيحدث إن لم تحمل ذلك الشهر؟ أو حتى في الشهر الذي يليه؟ ما الذي سيصيبها إن كان بها عطب ما أو مشكلة تحول دون حدوثه؟ تلبك جسدها وشعرت بالرهبة من تخيل الأسوأ، لاحظ منذر الوجوم الذي حل على قسماتها، ورأى ذلك الحزن البائن في نظراتها، توقع أن يكون حديث والدته أزعجها، قطب جبينه مهممًا، وانتظر بترقب انصراف ضيوفه ليحدثها، التفت في ترتيب الصلاة فأجبرها منذر على التوقف قائلاً بجدّة:

-أسيف

استدارت نحوه مبتلعة ريقها وهي ترد بابتسامة زائفة:

-ايوه يا حبيبي!

وقف قبالتها مسلطًا أنظاره عليها وهو يسألها باقتضاب:

-مالك؟

ردت بهدوء:

-مافيش

بدا غير مقتنع بما تقوله، فكل ما فيها يشير إلى العكس، وهو متأكد من أن  
حديثه والدته قد أثر عليها بشكل ما، سألتها مجددًا بجديّة:  
- في ايه؟ شكك متغير؟

تعمدت الحفاظ على ابتسامتها اللطيفة وهي تكافح لمنع أفكارها من الظهور علنًا  
لتكشف ضيقها المكتوم بداخلها، رفعت يدها لتداعب طرف ذقنه قائلة:  
صدقني عادي!

قبض على أصابعها بيده، وحدجها بنظرات حادة وترتها، هتف قائلاً بصلافة:  
-أسيف أنا مش بأحب المناهدة ولا اللف والدوران، وشك مقلوب ومش  
مريحني

ارتعشت من أسلوبه الجاف، وتوترت أنظارها نحوه، حاولت أن تختلق عذرًا  
ما لتبرر سبب حزنها، فكذبت قائلة:  
-تلاقيني بس تعبانة و...

قاطعها بجدة:

-متحوريش يا بنت رياض!

بدت لهجته متشنجة إلى حد ما، فهمست عفوياً:

-بنت رياض!

تقوس فمها للجانب مضيئة بابتسامة صغيرة:



-بقيت تقريبًا فهاك، لما تكون مضايق من حاجة تقولي بنت رياض

رد عليها بجمود:

-كويس إنك عارفة ده، فيا ريت نكون صُرحه مع بعض!

هزت رأسها متفهمة طلبه، امتص غضبه قبل أن يسيطر عليه مكملاً بجديّة:

-أسيف! أنا مش عاوزك تخبي عني حاجة، أقل حاجة بتزعلك ممكن تعصبي

وتضايقتني

ردت برقة ناعمة:

حاضر

لف ذراعه حول خصرها ليضمها إلى صدره هامسًا:

سيبك من ده وتعالى ارتاحي

اعترضت بدلال وهي تداعب صدره:

مش هاينفع لازم أروق الصلاة و..

رمقها بنظرات قوية هاتفاً بصلاية:

أنا قولت ايه؟

ابتسمت بنجل مثير وهي ترد ممتثلة:

حاضر يا حبيبي

حاوطها أكثر بذراعيه معمقًا نظراته نحوها، همس لها بتهيدة متقدة بأشواق  
العشق:

-بأحبك! وعمري ما هاسييك!

لفت هي الأخرى ذراعيها حوله ليلتصق رأسها بصدره، أغمضت عينيها مرددة  
بصوت خافت:

-ربنا يخليك ليا ومايبعدنيش عنك!

اختبأت في أحضانه الدافئة مستشعرة الأمان بقربها الملتصق به، خشيت أن  
تكون سعادتها لحظية، أن تتلاشى مع مرور الوقت وتعذرها في الحمل  
والإنجاب، أخرجت تهيدة مطولة من صدرها نافضة عن عقلها مؤقتًا تلك  
الأفكار التي باتت هاجسها الحالي.

.....

تحسنت أحوالها الصحية تحسنًا طفيفًا بعد ارتفاع معنوياتها النفسية، ورغم  
التغيرات الطارئة على هيئتها العامة من تساقط كثيف لخصلات شعرها،  
وسواد أسفل جفنيها، إلا أن ذلك لم يؤثر عليها بفضله، نعم هو كان له الدور  
الأكبر في ذلك بحماسة الدائم، فأزاح عنها الكثير من الهموم والأحزان بتفائله  
الدائم، وبثقته في شفائها، صدقت إدعاءاته رغم حدسها الذي يؤكد العكس،  
لكنها تمسكت بذلك الأمل الجديد الذي أوجده في روحها الفانية وتشبثت به.

كذلك تعلقت أكثر برضيعتها، وأفضت عليها بعاطفة حرمتها منها بجفائها  
وقسوتها قبل أن تعتل صحتها، متعة لا تضاهيها أي متعة وهي تتنعم ببراءة  
قطعة منها معها، شكرت والدتها لأنها واطبت على إحضارها لها لتمتع عينيها  
برؤيتها، ههدت نيرمين صغيرتها قائلة بجنو:

حبيبة قلب أمك

هتفت أمها بحماس:

ماشاء الله عليها، ربنا يحفظها لك!

ردت بتنهيدة متعبة وهي تجمد أنظارها على الرضيعة:

يا رب، ويكون نصيبها أحسن مني!

أضافت عواطف بامتنان:

الحمد لله على كل حال، احنا كنا فين وبقينا فين

ايوه

انتبهت ككتاهما إلى صوت الدقات الخافتة على باب الغرفة، فتحررت أنظارهما  
نحوه ليجدا الطبيب نبيل بوجهه البشوش يطل عليهما وهو يقول:

صباح الخير

ردت عليه عواطف بابتسامة متسعة:

صباح النور يا ضاكتور، تعينك معانا!

احتج عليها قائلاً:

متقوليش كده يا حاجة، ده واجبي!

تحركت عيناه نحو نيرمين ليطالعها بنظرات مهتمة مضيئاً بهدوء:

وبعدين هو في أعلى من مدام نيرمين عندنا؟!!

تخرجت منه قائلة بخفوت:

متشكرة

رأى رضيعتها التي تداعب الهواء بكفيها ببراءة، فدنا منها يلعب أناملها الصغيرة متسائلاً باهتمام:

ماشاء الله، الكتكوتة دي بنتك؟

هزت رأسها بإيماءة خفيفة وهي تجيبه:

-ايوه، اسمها رنا

رد مبتسماً:

عاشت الأسامي، رنا يخلي، المهم أنا عندي ليكي أخبار حلوة

سألته بجدية وهي قاطبة لجبينها:

-أخبار ايه؟

تساءلت عواطف هي الأخرى بقلق:

خير يا ضاكتور؟

أجابها بتمهل:

إن شاء الله كل خير!

ظلت أنظاره مثبتة على وجه نيرمين وهو يضيف بهدوء:

-بصي يا ستي، مبدئيًا كده الحالة مستقرة، وده شيء كويس الحمدلله!

أصغت له بانتباه تام فتابع مشددًا:

بس طبعا هانستمر في جرعات العلاج

تساءلت عواطف بتلهف:

-يعني بنتي هاتخف؟

كان يعلم جيدًا أن العلاج لن يحرز تقدمًا إيجابيًا كبيرًا في وضعها الحرج، لكنه على الأرجح سيخفف من آلامها ويؤجل مصيرًا حزينًا تترقبه بيأس، لن تحدث بالطبع معجزة تشفيها تمامًا، لكن الأهم هو الحفاظ على ارتفاع روحها المعنوية، وإشعارها بأهمية وجودها في الحياة، استمر نبيل في رسم ابتسامة لطيفة شيقة على ثغره وهو يقول:

-كل حاجة من عند ربنا خير، المهم إنها تبقى معاكو وفي وسطكم!

هزت عواطف رأسها قائلة:

الحمدلله

تابع بجزن مصطنع:

-وتقدري ترجعي بيتك بالسلامة مع إن ده هيزعني أوي!  
استقبلت كلماته بابتسامة صغيرة، فأكل بجدية وهو يناولها بطاقة صغيرة تحمل  
رقم هاتفه الخاص:

-عمومًا ده رقي كلميني في أي وقت!

-تناولتها منه قائلة باقتضاب:

متشكرة

صاحت عواطف بامتنان كبير وهي تبتسم له:

-ربنا يكثر من أمثالك يا ضاكتور

نظر لها بأعين لامعة ثم عاود التحديق تارة في وجه نيرمين وتارة أخرى في وجه  
رضيعتها البريء، استأذن بعدها للخروج لتقترب أمها منها هامسة بمكر:

طيب وجدع الضاكتور ده، صح؟!

نظرت لها نيرمين بغرابة وهي تقول:

-ايوه

ابتسمت أمها مضيئة بتريث قاصدة الضغط على كل كلمة فيها:

-ربنا يصلح حاله، وحالك!

فهمت ما ترمي إليه والدتها، فهزت رأسها مستنكرة محدودية تفكيرها، لا وجود  
في قاموس حياتها التعيس لعلاقة مثل التي تتمناها والدتها، هو ظهر في حياتها

فقط ليعيد لها روحها المفقودة، ليكسبها ثقتها بنفسها، هو أنعشها بث الحماسة  
 والسعادة المختبئة في أبسط الأشياء، وقتل فيها الرهبة من المصائر المجهولة،  
 أغمضت عينيها متتهدة بتعب، فقد أرهق التفكير عقلها وأتعبها، ومع ذلك كانت  
 سعيدة في داخلها لأنها ستعود إلى المنزل من جديد، كم اشتاقت لفراشها  
 ولأشياءها الخاصة، تقوس فمها بابتسامة راضية، هي حصلت على سلام  
 داخلي وتصلحت أخيراً مع نفسها، لم يعد بداخلها ذلك السخط الدائم الذي  
 أظلم قلبها، وحجب بصيرتها عن رؤية النعم الموجودة في حياتها، اكتسبت  
 شخصيتها خلال تجربتها القاسية سماتاً جديدة غيرتها للأفضل وحسنت علاقاتها  
 بالجميع، فباتت محبوبة، وحظت على الاهتمام الذي كانت  
 تنشده.....!!

.....

## الفصل الرابع والتسعون:

ألف عجيبة تخللت مشاعرها الجافة واشتياق لا يوصف تملكها حينما عادت  
 بعد فترة غياب إجبارية إلى منزلها، استقبلها والدتها وأختها بالابتسامات  
 والعبرات الفرحة، تأثرت لإحاطتها بذلك الكم الفياض من المشاعر الطيبة،  
 خاصة حينما أصرت أسيف على الحضور معاها وإيصالها للمنزل، كذلك لم  
 يتركها منذر وسدد كامل المستحقات المادية للمشفى، أدركت أنها كانت تحمل  
 بذور الغل والحقد والكراهية في صدرها، وحينما تخلصت من آثارهم السيئة  
 بدت كمن وُلد من جديد رغم فظاعة المرض الذي يوشك أن يفتك بها إن  
 استسلمت له.

دثرتها عواطف في الفراش هاتفة بحماس رهيب:

نورتي بيتك يا بنتي، ألف حمد لله على السلامة

اعتدلت نيرمين في نومتها واضعة الوسادة خلف ظهرها لتستند عليها، ثم ردت  
 بتهيدة متعبة:

الحمد لله

أخفضت أنظارها لتحقق في رضيعتها التي وضعت إلى جوارها لتبدأ في

مداعبتها بلطف وحب، هتفت بسمه بمرح:

أخيراً هنرجع ناقر ونقير مع بعض



اكتفت نيرمين بالابتسام الودود لها، بينا أضافت أمها قائلة بهدوء:

-ارتاحي شوية يا حبيبتي وأنا هاجمرك الأكل و...

قاطعتها بصوت خافت:

-مش عاوزة حاجة!

أمسكت بيد رضيعتها الصغيرة تلاعب أصابعها وهي تتابع:

-كفاية إني أقعد مع بنتي شوية وأملي عيني منها

ردت عليها بسمة بأعين متأثرة:

-رنا يخليكي ليها

هزت رأسها بإيماءات خفيفة مرددة:

يا رب

وضعت عواطف يدها على ظهر بسمة قائلة:

-خليها مع رنا شوية وبيننا احنا نشوف اللي ورانا

ماشى

قالتها وهي تستدير للخلف تاركة أختها مع رضيعتها لتتضي معها بعض الأوقات

الطيبة، فقد افتقدتها مؤخرًا واشتقت لوجودها في أحضانها.

.....

خلال الشهرين التاليين، استمرت الأجواء الهادئة سائدة في العائلتين دون وجود ما يعكر الصفو العام، وتوطدت العلاقات العاطفية مع كل من منذر وأسيف وباتا كيانًا واحدًا، كذلك تقربت نيرمين من رضيعتها وأغدقت عليها بالكثير من الحب الأمومي الذي حرمتها منه منذ لحظة ميلادها، وظل الوضع متأرجحًا بين بسمة ودياب، بدا عابسًا نوعًا ما وهو يصغي إلى حديث أخيه بفتور واضح عليه، عبث بالقلم الحبري المسنود على مكتبه محدقًا فيه بشرود، زفر قائلاً بملل:

-كويس!

تفرس منذر في وجهه محلاً تعبيراته المتجهمة وهو يسأله:

-مالك؟

أجابه دياب بامتعاض:

-ماليش يا سيدي

ازداد انعقاد ما بين حاجبيه خاصة أنه لم يكن مقتنعًا برده، تابع متسائلًا

باهتمام:

عليا بردك! في ايه؟

انفجر دياب منفعلًا وموضحًا يديه:

-هاطق من جنابي، الهانم اللي منشفاها عليه ومطلعة عين أهل، غلبت معاها

ومش نافع حاجة، خلاص زهقت!

هز مندر رأسه بتفهم وهو يسأله متعجبًا من التأجيل الذي لا داعي له:

-صحيح ايه اللي مآخركم؟

أجابه بعصبية ظاهرة عليه:

-كل ما أفاتها في سيرة الجواز تطلعلي بليون حجة!

حرك مندر يده قائلاً:

حطب ما تقول لأمها

رد عليه بضيق:

-والله الست مش ممانعة!

احتقن وجهه بصورة بائنة وهو يتابع بغیظ:

-الدور والباقي عليها، لو ينفع كنت كسرت دماغها الحجر دي!

حاول مندر أن يخفي ابتساماته المتسلية قدر المستطاع، فقد بدا أخيه مضحكًا وهو يشكو له عناد بسمة ورفضها تبكیر موعد الزفاف، أكمل بهدوء

زائف:

تحب أقول لمراتي تكلمها؟

لوی ثغره مرددًا بضجر:

-ولا هتأثر فيها! يا بني دي دماغها حجر صوان!

ساد صمت متوتر بينهما حاولا خلاله الوصول لحل ما مرضي لجميع الأطراف،  
 اقترح عليه منذر بعد لحظات من التفكير الصامت:  
 طب عندي فكرة، مش هي بتسمع كلام أختها؟  
 هز رأسه الإيجاب قائلاً:

-ايوه

قولها وهي تأثر عليها بكلمتين ولا حاجة  
 فرك دياب موخرة رأسه متسائلاً:  
 تفتكر؟!

أشار منذر بيده موضحاً:

جرب مش هاتخسر حاجة  
 مط فمه ليقول:

أما أشوف، وربنا عليه التساهيل!

تهند دياب مطولاً مشبكاً كفيه خلف رأسه وهو يرد:

يا ميسر!

حدق أمامه بنظرات أكثر شروداً مديراً في رأسه فكرة أخيه، فرمى بطريقة ما  
 أو بأخرى تتمكن هي من فعل ما عجز عنه.

.....

رتب موعدًا معها دون أن يبلغ زوجته بذلك، فقد كان بحاجة ماسة إلى أي عون ليحرز خطوة في علاقتها، لذلك لجأ إليها متعشماً أن تساعد في مشكلته، ومستغلاً فرصة تواجدها بالمدرسة ليحظى بحديث ودي جاد في منزل العائلة، تحركت نيرمين بتأنٍ وهي تتجه نحوه لتقبله في غرفة الضيوف، كانت أكثر حيوية رغم ظهور الإرهاق والتعب على وجهها، لكن أضاف الحب والاهتمام لها الكثير، صاحبها دياب قائلاً بهدوء:

-معلش يا أم رنا جيتك من غير ميعاد

أشارت له بالجلوس على الأريكة وهي ترد بابتسامة لطيفة:

ده بيتك يا سي دياب، احنا أهل ونسايب، ولا ناسي ده؟

جلس دون استرخاء هاتفاً بجدية:

لأ طبعًا

مال بجسده للأمام قليلاً ليتابع حديثه الجاد قائلاً

دلوقتي يا أم رنا أنا دايم السبع دخات مع أختك، وهي مطلعة عين أهلي

ومش عاوزانا نجوز خالص اليومين دول!

نظرت له باهتمام فأكمل بامتعاض مزعوج مستخدماً يده في التوضيح:

فإن مكانش يضايقك كلمتين منك ومن حماي تلينوا دماغها

ردت عليه مبتسمة:

إنت بس تؤمر، غالي والطلب رخيص!

شعر بالارتياح لقبولها مساعدته، فهتف ممتنًا:

-كتر خيرك

أكدت له بثقة وهي تومئ بعينها:

-سبب الموضوع ده عليا

-سألها بحماس:

-يعني أعتمد على الله ثم عليكي؟

-أجابته بهدوء واثق:

-ايوه

-هلل متحمسًا بانفعال:

-ربنا يكرمك يا رب!

ضحكت من طريقته الظريفة في التعبير عن مشاعره، تهد بصوت مسموع مضيئًا:

-هاستأذن أنا بقي عشان أشوف المصالح اللي ورايا

-نهضت من مكانه قائلة:

-مالسه بدري؟

-رد مازحًا:

-معلش، أتجوز وأفضالكم

اتسعت ابتسامتها مرددة:

إن شاء الله

لوح بيده قائلاً:

سلامو عليكم

اصطحبته حتى باب المنزل لتودعه، ثم أوصدت الباب بعد انصرافه لتسير بخطوات متمهلة في الصلاة، استندت بيدها على أحد المقاعد متطلعة أمامها بنظرات فارغة، زمت فمها قليلاً متعجبة رفض أختها إتمام الزيجة بعد تجهيز كل شيء، زفرت بيأس قائلة:

لسه زي ما إنتي يا بسمه، ربنا يقدرني وأقنعك!

.....

عضت على أناملها بترقب شديد وهي محدقة في جهاز اختبار الحمل المنزلي الذي اشتريته خلسة لتتابع بترقب ظهور النتائج على شاشته الصغيرة، أجرت بحثاً مكثفاً عن علامات الحمل المبكرة وكذلك الوسائل والطرق التي تؤدي للحمل السريع آملة أن تتمكن من تحقيق أمنية منذر ووالدته، جف حلقها والثواني تمر عليها كأنها ساعات، تحولت تعبيراتها من الشدة للعبوس والحزن بعد أن قرأت بوضوح وجود علامة شرطية واحدة تفيد عدم وجود ما يشير

للحمل، انسابت عبراتها قهراً على ذلك، فقد عولت على الأمر الكثير، كما  
انهارت معنوياتها وبكت بحزن كبير.  
لم تستطع التوقف عن البكاء أو النحيب، عاتبت نفسها مرددة بصوت مختنق:  
ليه كده بس؟

دفنت أسيف وجهها في راحة يدها متابعة بحسرة:

-يعني مافيش أمل، ده أنا عملت كل حاجة!

زاد بكائها بداخل المرحاض وانهارت جاثية على ركبتيها بأرضيته، لم تشعر  
بعودته المبكرة للمنزل، فلم يكن لديه من الأعمال الكثير ليقضي نهاره بالكامل  
في الوكالة، ولج إلى داخل المنزل باحثاً عنها فلم يجدها، انزعج من كونها قد  
خرجت دون أن تبلغه، وقبل أن تثور ثائرتة التقطت أذناه صوت أئينها الأتي  
من الداخل، انقبض قلبه بقوة، وتوجس خيفة أن يكون قد أصابها مكروه ما،  
ركض ناحيته هاتفاً بتلهف:

أسيف! حصل حاجة؟ ردي عليا

انفض جسدها بقوة من قوة ندائه، وحدقت في الباب الموصود بنظرات  
مذهولة، تداركت الموقف بسرعة، وكفكت عبراتها بظهر كفيها، صدمها  
حضوره الغير متوقع خاصة في ذلك التوقيت الذي حرصت فيه كل الحرص  
على القيام بالفحص، تلفتت حولها بخوف، وحاولت للممة الأشياء المبعثرة قبل  
أن يعرف ما الذي تفعله، أريكها صوته الأمر:



-أسيف! افتحي الباب!

دق الباب بعنف حتى كاد يخلعه، فردت بصوت مبجوح:

-ايوه، خارجة أهوو، ثواني بس!

أقلقته نبرة صوتها وأثارت هواجسه، انتظر فتحها للباب على أحر من الجمر وعقله مشتت بين أفكار سوداء، غسلت أسيف وجهها بالماء لتخبئ آثار البكاء لكن لم تستطع إخفاء تلك الحمرة التي تصبغ حدقتها، رسمت ابتسامة زائفة على ثغرها، التفتت للخلف لتضع العلبه الخاصة باختبار الحمل بداخل المنشفة كي لا يراها، وضمتها أسفل ذراعها، تنفست بعمق ثم فتحت بالباب قائلة بصوت شبه متحشرج:

-ازيك يا حبيبي

رد عليها بجمود وهو يتفرس وجهها:

-في ايه يا أسيف؟

تنحنت قائلة بتردد وهي تتحاشى النظر في عينيه كي لا يكشف أمر بكائها:

-م..مافيش

حاولت أن تتحرك من أمامه لكنه سد عليها الطريق بذراعه صائحًا بقوة:

-أسيف!

ارتجف بدنها من قوة صوته وورغماً عنها سقطت المنشفة فتبعثر ما بداخلها، شحبت لون وجهها من هول الموقف، ووزعت أنظارها المرتبكة بين وجه زوجها

وعلة الاختبار، شعرت بجفاف أشد في حلقها وهي تحاول تبرير الوضع  
واختلاق الأعذار والأكاذيب، تجمدت أنظاره على تلك العلة الغريبة،  
وتسارعت دقات قلبها بخوف كبير من فضح أمرها، انحنى ليلتقطها بيده  
متسائلاً بغرابة:

ايه دي؟

اعتدل في وقفته فزاد هلعها، لم ترغب في معرفته بتلك المسألة كي لا يوبخها من  
جديد، توترت أكثر وحاولت أن تجذبها من يده عنوة وهي تقول بنبرة مهتزة:  
هاتها لو سمحت!

استغرب من تصرفاتها المتجاوزة معه وإصراره على خطف العلة منه، فبدا  
الأمر بالنسبة له مريباً بدرجة مقلقة، رفعها عاليًا بيده وهو يسألها بحدة:

دي ايه يا بنت رياض؟

جاهدت لتأخذها منه متوسلة برجاء:

عشان خاطري هاتها

فشلت في الوصول إليها، وشكل بجسده حائلاً أمامها ليمنعها من الاقتراب  
منها، دقق النظر في العبارات المدونة على ظهر العلة الكرتونية، قرأ المكتوب  
وعرف طبيعة المحتوى فتحوّلت تعايره للصرامة والضيق، التفت بأعينه  
المزعوجة نحوها ليحدق فيها بنظرات حادة، تراجعت أسيف للخلف لتبكي  
بخوف محاولة تفسير الموقف:

-أنا.. كنت

صاح بها بصوت غاضب:

-اختبار حمل!!

ابتلعت ريقها وتلاأت العبرات في مقلتيها وهي ترد:

-معرفتش...آآ....

تابع معنفاً بضيق وهو يلقي بعصية بالعلبة الفارغة على الأرضية:

-احنا قولنا ايه يا أسيف؟

ضمت يديها إلى صدرها محدقة فيه بنظرات نادمة وهي تبرر تصرفها:

غضب عني والله، كنت عاوزة أفرحك

وضع يده على رأسه ضاغظاً عليها بقوة وهو يتابع توبيخه لها:

-أنا قولتلك ايه؟

لم تستطع حبس عبراتها أكثر من ذلك، فبكت أمامه بشهقات متتالية، ضرب

كفه بالأخر مردداً باستياء:

-لا حول ولا قوة إلا بالله، مش عارف أقولك ايه؟

نكست رأسها بإحباط كبير، لقد أرادت إسعاده بتحقيق أمنيته وتبشيره

بوجود نواة في رحمها ستنمو في أحشائها، وبعد أشهر سيحصل على رضيع

صغير يحمل اسمه، لكن لم يأذن المولى بعد، نظر لها بعتاب أكبر، لقد تحدث

معها مرارًا وتكرارًا في تلك المسألة كي لا تصبح شاغلها الأكبر، ووعده بعدم التفكير فيها والامتنال لطلبه، لكنها خالفته وانشغلت بذلك الأمر دونًا عن غيره، شعرت بالأسف لكونها لم تطع رجائه، وما زاد من ضيقها اكتشافه لما فعلته حتى لو كان بحسن نية، وقف قبالتها متابعًا وهو يشير بسبابته:

يا ستي ده نصيب وأمر الله، هانعترض على حكمه؟

بدا صوتها مبحوحًا وهي ترد:

كان نفسي أبشرك

نظر لها مستنكرًا تفكيرها السطحي، وأكمل تعنيفه بضيق:

-استغفر الله العظيم، حرام عليك الخضة اللي عملتها فيا!

دنا منها مضيئًا بجدة وهو يلوح بذراعيه:

-أنا قولت حصلك حاجة، وقعتي من طولك ولا في بلوى سودة حلت في

البيت وأنا مش موجود!

تحول وجهها لحرمة ملتهبة من كثرة البكاء، حدقت فيه بأعينها المنتفضة مرددة

بصوت هامس:

منذرا!

اقتربت منه لتضع يدها على كتفه لتبدي ندمها له، لكنه أبعدا عنه قائلًا

بصلابة:

حاسبي يا بنت رياض

أولاها ظهره مندفعًا نحو باب المنزل، فمسحت بيدها عبراتها عن وجتها هاتفة:

استنى يا مندر

هتف بتبرم ساخط:

لله الأمر، أمي عبت دماغك وإني مشيتي وراها!

حاولت اللحاق به لكنه كان منفعلًا بدرجة كبيرة، لم يدعها تلمسه مبدئيًا نفوره منها، خرج من المنزل متعصبًا وصافقًا الباب خلفه بقوة، توقفت أسيف في مكانها محدقة في أثره بحسرة، زاد بكائها النادم وارتفعت أصوات شهقاتها، هي خذلت وأحزنته وربما أوغرت قلبه من ناحيتها، ومن المحتمل ألا يسامحها بسهولة. للحظة توقفت في مكانه عاجزًا عن التقدم خطوة نحو الدرج، كور قبضته ضاربًا الدرايزون بعنف ومفرغًا فيه شحنة مكبوتة، نفخ بضيق أكبر هاتفًا لنفسه:

ليه كده يا أسيف؟

استدار عائداً إليها، لم يكن ليتركها على تلك الحالة تبكي بمفردها وهو يعلم جيدًا أنها في أشد حالاتها ضعفًا، فتح الباب ليجدها تقف في الصلاة فنظر لها بنحو، رفعت وجهها نحوه غير مصدقة أنه عاد إليها، أشار لها برأسه بإيماءة خفيفة قائلاً بهدوء جاد:

تعال!

فتح لها ذراعه كإشارة موحية لتأتي إليه، لم تتردد كثيراً، كانت بحاجة إلى ضمته التي تحتويها فتعيد لها الثقة والأمان، ارتمت في أحضانه متابعة بكائها، فلف ذراعيه حول ظهرها ماسحاً عليه برفق وهو يقول:

-انسي يا حبيبتى ومافتكريش في الموضوع ده تاني، ماشي  
أجابته بصوتها المختنق:

حاضر

أرعى أحد ذراعيه عنها ليضع يده على طرف ذقنها، رفع وجهها إليه قائلاً  
بابتسامة طفيفة:

-كفاية عياط لحد كده، عينيكى بقوا كاسات الدم

هزت رأسها بإيماءة موافقة دون أن تنطق، زادت ابتسامته العذبة متلمساً بشرة وجهها برفق، وعاود ضمها إليه ولفت هي ذراعيها حول خصره لتزيد من تشبثها به، تهد مطولاً مخرجاً عن صدره ثقلاً كاد أن يجثو عليه ويصيبه بالهموم، خشى أن يهمل حباها في لحظة غضب بالسماح للخلافات بالدخول بينهما، وتعامله مع الأمر بحنكة أكد لها قوة علاقتهما القائمة على الود والحب، أغمضت عينيها مستسلمة لدفع أحضانه التي انتزعت عنها حزناً مؤقتاً لتشعر بعدها بالرضا والارتياح.....!!

.....

الفصل الخامس والتسعون (الأخير - الجزء الأول):

أصرت على حضورها جلسة العلاج بالمشفى حتى تتمكن من الحديث معها على انفراد، ولم تتأخر أختها عنها، فقد توطدت العلاقات بينها كثيرًا في الفترة الأخيرة وخاصة حينما ظهر التغيير الجذري في تصرفات نيرمين وتحولت معاملتها للأفضل وقل ما بينها من مشاحنات، جلست على المقعد المجاور لفراسها تطالعها بنظرات حانية قبل أن تستطرد أختها الكبرى حديثها قائلة بجدية واضحة:

محتاجة أتكلم معاك

تعقدت تعبيرات وجه بسمة وهي تسألها باهتمام:

خير يا نيرمين؟ في حاجة تعبكي، المفروض يكون في دكتور هنا ولا ممرضة تساعدك و...

قاطعتها مرددة بهدوء:

اطمني، أنا كويسة والحمد لله

نظرت لها بأعين قلقة وهي تسألها:

أومال في.....

لم تكمل بسمة جملتها للأخير حيث وُجِّع إلى الغرفة الطبيب نبيل الذي كانت قسامت وجهه متحمسة للغاية لمقابلة مريضته، هتف بمرح رغم هدوئه:

أنا بجد محظوظ إنني شوفتك النهاردة



تخرجت نيرمين منه رغم عدم قوله ما يسيء لكن لوجود أختها بصحبته،  
فخشيت أن تفسر الأمر بطريقة خاطئة، رسمت على تعبيراتها علامات الجدية  
وهي ترد بنبرة رسمية:

-ازي حضرتك يا د. نبيل

قطب جبينه مردداً بضيق مصطنع:

-حضرتك؟! واضح إنك زعلانة مني عشان مكوتتش موجود!

رسم على ثغره ابتسامة محبة وهو يضيف:

-حقك عليا، الجلسة اللي فاتت كنت في مؤتمر طبي ومعرفتش أجي فعلاً!

ضاقت نظرات بسمة نحوه متفرسة وجهه وملامحه بدقة شديدة، ثم وزعت  
أنظارها على أختها التي بدت مرتبكة رغم جمودها الواضح، ابتلعت نيرمين ريقها  
قائلة وهي تضغط على شفيتها:

-ولا يهملك

استدار نبيل برأسه ناحية بسمة ليقوم بتحيتها مردداً بنفس الابتسامة  
المتسعة:

-أهلاً وسهلاً بيكي يا أستاذة

ردت الأخيرة بجدية وهي تدقق النظر فيه:

-أهلاً يا دكتور، أنا بسمة أختها!

زادت حماسته بعد معرفته لهويتها، وهتف قائلاً:

-والله، سعيد إني اتعرف عليك

التفتت بسمة برأسها نحو أختها لترمقها بنظرات ذات مغزى وهي تقول:

-الظاهر إنك تعرف أختي من زمان

أجابها بفخر:

طبعًا، أحسن معرفة!

تعلقت أعينه بوجه نيرمين متسائلًا:

-وازي البنوتة رنا؟

مطت بسمة شفيتها لتجيبه بجدية صريحة:

-ممم.. رنا، تمام!

هز رأسه متابعًا بابتسامة مهذبة:

يا رب دايمًا، طيب أنا هاسيكم مع بعض شوية، وهارجع ثاني عشان نبدأ

نجهز نفسنا للجلسة!

ردت عليه نيرمين بجمود:

-ماشي يا دكتور

أمسكت بسمة لسانها بصعوبة حتى ينصرف ذلك الطبيب الغريب من الغرفة

لتسأل أختها بفضول وقد برقت عينها:

-ايه حكاية المزده؟

رغم ارتباكها الملحوظ من نبرة أختها المتسائلة إلا أنها بذلت مجهودًا كبيرًا لتبدو طبيعية وهي تجيبها بفتور:

-ولا حكاية ولا رواية!

غمزت لها الأخيرة مبدية عدم اقتناعها بحالة الإنكار التي تدعيها مرددة بلووم:

ده واضح إن الموضوع كبير أوي!

تنحنحت نيرمين لتتابع بصوت خفيض وجاد:

-سيبك دلوقتي منه وقوليلي بقى!

-ايه؟

سألها مهتمة وهي تحدق فيها بنظرات قوية:

-ناوية تتجوزي امتي؟

لوت بسمة ثغرها للجانب مرددة بانزعاج:

-يووه يا نيرمين، برضوه السؤال ده!

تابعت نيرمين موضحة بنبرة شديدة اللهجة:

-دياب جاب أخره، حرام اللي بتعمله فيه!

تهدل كتفي بسمة بشكل ملحوظ، وأخفضت رأسها قائلة بتذمر:

-أنا مش عارفة هو مستعجل على ايه، الدنيا مش هاتطير!

مدت نيرمين يدها نحوها ببطء لتمسك بكف أختها، نظرت لها الأخيرة بغرابة،  
فتابعت برجاء لطيف:

لو بتحبيني صحيح اتجوزي دياب وفرحينا كلنا، هو أنا ضامنة أعيش لبكرة،  
مستخسرة في أختك.....

شعرت بسمة بالانزعاج من حديثها المثير للأعصاب فقاطعتها بجدة:

ماتقوليش كده، بعد الشر عنك

تحاشت النظر نحوها متجنبه نظراتها التي تتفرسها، هي لا تعرف سبب تلك  
الحيرة التي تجبرها على التردد في إتمام الزيجة، قرأت نيرمين ذلك بوضوح في  
أعين أختها، فتابعت بجدية دون أن يهتز لها جفن:

أنا عاوزة أحضر فرحك، حددي بقي ميعاد

نكست بسمة رأسها قائلة بامتعاض:

-رينا يسهل

سألتهما بإلحاح أكبر:

-يعني امتي؟

ضغطت على شفيتها مرددة باستسلام بعد توسلها اللطيف لها سواء بنظراتها  
أو باللعب على مشاعرها:

هاشوف!

أشارت لها نيرمين بسبابتها محذرة:

بسمة، أنا هانصحك تاني وأقولك أوعي تضيعي فرصة الحب من إيديكي  
وتركي دماغك، دياب بيحبك وبيتمالك الرضا ترضي!

أخرجت تهيدة تحمل الكثير من صدرها وهي ترد:

أنا عارفة ده

تعجبت نيرمين من ذلك التخبط المسيطر على حالها فسألتها معاتبه:

طب ليه مدوخاه معاكي؟

هزت كتفيها قائلة:

جايز مرتبكة، خايفة، قلقانة مش عارفة بصراحة!

تابعت نيرمين مضيفة بهدوء وهي تبتمس لها ابتسامة مطمئنة:

شيلي الحكايات دي من دماغك، وركزي معاه، إديله فرصة يعبرلك عن  
مشاعره!

للحظة تذكرت بسمة مواقفها الجادة مع دياب، وكيف تصد كل محاولاته  
البائسة للتودد إليها أو حتى التقرب منها، لم تخف ضحكتها وهي تقول بعث:

-بيني وبينك أنا منشفاه معاه على الآخر

ضحكت نيرمين عاليًا، فلم تكن شكواه لها من فراغ، هو بلغ أقصى طاقاته على  
التحمل، لذلك ردت مؤكدة:

ما هو باين، ربنا يصلح الحال بينكم يا رب!  
 ربنت بسمة على فخذ أختها برفق وظلت تطالعها بنظرات حانية تحمل في  
 طياتها الكثير..

.....

حاوطتها أحضانه الدافئة فاحتوت ضعفها الذي أنهك عقلها، وعضها عن  
 لحظات الحزن التي عانتها بالتعبير عن حبه الشغوف -والذي لا ينضب- لها،  
 شبك أصابعه في أصابع يدها تاركاً رأسها مسنودة على صدره وهو معتدل  
 على الفراش، داعب بيده الأخرى خصلات شعرها متسائلاً:

عاملة ايه دلوقتي؟

مررت يدها على صدره برفق هامسة بامتنان:

أحسن الحمد لله يا حبيبي

تابع محذراً بجدية:

-زي ما اتفقنا ماتفكريش في الموضوع ده تاني

حاضر

ده رزق بتاع ربنا، ولما يجي وقته هتلاقيه متيسر

رفعت رأسها قليلاً لتنظر في وجهه وهي تبتمس لترد بنعومة:

-ربنا يخليك ليا

عمق نظراته المتيمة بها وهو يقول بغموض:

-وبعدين يا ستي إتني كده مش هاتكوني فاضية للمفاجأة اللي كنت عملهاك

اعتدلت في نومتها محدقة فيه بأعين لامعة، سألته بتلهف:

-مفاجأة، ايه هي؟

رد بهدوء:

-بصي أنا فكرت في حاجة كده تشغلي بيها وقتك بدل أداة البيت لوحك!

زاد وميض عينيها وهي تسأله بتلهف أكبر:

-ايه؟

أجابها بهدوء متمرس ليجذب انتباهها بالكامل:

مش اتني كان نفسك تشغلي الدكان بتاعك، صح ولا أنا غلطان؟

ردت بحماس كبير:

-ايوه

ابتسم متابعا بهدوء رغم جدية نبرته:

-أنا يا ستي بقالي فترة شغال توضيب في دكانك، والحمدلله الحاج زقزوق قفل

الرفوف والمكاتب بعد توضيبها وبقت كل حاجة جاهزة على التشغيل!

جلست القرفصاء إلى جواره دون أن تفلت أصابعها من يده، وحدقت مباشرة

في عينيه بنظرات لامعة، هتفت متسائلة بتنهيذة متلهفة:

إنت بتكلم جد يا منذر؟  
 رسم على ملامحه الجدية وهو يرد بثقة:  
 طبعا، هو في هزار في الحاجات دي!  
 تهلت أساريرها هاتفة بتشوق:  
 -يعني الدكان بتاعي بقي جاهز؟  
 هز رأسه بإيماءة خفيفة مؤكدا لها:  
 -ايوه، شوفي بقي إنتي عاوزة عملي فيه ايه!  
 صفقت بيديها فرحا، ثم هلت بجماس وقد برزت نواجذها من اتساع بسمتها  
 المتحمسة:  
 -الله، أنا مش مصدقة، أنا دكاني هيشغل!  
 هبت من جلستها لتميل على زوجها محتضنة إياه بامتنان وهي تقول:  
 -ربنا يخليك ليا يا حبيبي ومايحرمنيش منك أبدا  
 دق قلبه طربا لرؤيتها على تلك الحالة الغبطة، سعادته تكمن في فرحتها، في  
 إزاحة الهموم عنها، لف منذر يده حول خصرها قائلا بهدوء:  
 -أنا عاوز أشوفك دائما بتضحكي كده وفرحانة!  
 اعتلته أسيف لتمكن من تطويق عنقه، وحدقت فيه بنظرات عاشقة وهي  
 تقول:



-بأحبك أوي!

رد بغموض عابث:

-ناشف كده؟

فهمت مقصده فتورد وجهها مرددة بنجل طفيف:

-لأ طبعًا

انحنت برأسها عليه لتعطيه قبلة بثت فيها أشواقها نحوه، أطبق بشفتيه عليها،  
وبادلها فيها مشاعرًا أكثر حسية وعمقًا عنها واضعًا يده خلف رأسها، سحبها  
للحظات إلى عالم آخر مليء بالأحاسيس الفياضة، وحفزها لطلب المزيد،  
استجابت لنداءاته الغرامية، وسبحا سويًا في أنهر الغرام...

مرت الدقائق وهما يتبادلان العشق بشغف لم ينقص من قدره شيء، أراحت  
أسيف رأسها على ذراعه متطلعة إليه بنظراتها المتقدة حبًا، لامس وجنتها  
الساخنة بأنامله برفق، ثم أردف قائلاً بهدوء:

-المهم فكري في حاجة تكون مناسبة لعملها فيه

ردت بحيرة وهي ترمش بعينها:

-ممم.. عندي أفكار كثير، بس محتارة!

أضاف موضحة:

-أهم حاجة تكون ماشية مع المنطقة هنا

سألته بنبرة حائرة وهي تعض على شفثها السفلى:  
 ايه رأيك لو عملت مثلاً مشتل للزرع أو محل ورد؟  
 أجاها بهدوء جاد:  
 هو صعب في الحتة هنا، بس فكري أكثر في حاجة مناسبة تمشي مع الناس  
 اللي عايشين هنا!  
 غاصت أكثر في أحضانه شاعرة بذلك الدفء المغربي الذي يقدمه لها، ثم ردت  
 عليه بتردد:  
 مش عارفة  
 ضمها أكثر إلى أحضانه مستمتعا بقربها الذي يذيب أوجاعه ويدخله إلى عوالم  
 الإثارة والإغراء ليختبر كل مرة مشاعراً أقوى وأعمق، رد عليها بتمهل:  
 لو إتتي عاوزة عملي مشتل ممكن نخليه محل ورد مثلاً بس يكون صناعي،  
 عملي بوكيات الورد للعرايس، هدايا، حاجة من اللي بتاكل مع الشباب  
 رمشت بعينها مرددة بإعجاب قليل:  
 هي فكرة مش وحشة  
 استأنف حديثه بصوت جاد:  
 احنا ندرسها سوا ونشوف المناسب ونعمله، المهم في النهاية دكانك يتفتح!  
 تهدت هامسة:

مضبوط

ربت على ذراعها الذي يحاوط صدره برفق قائلاً:

-ويالا بقى أنا جعان، هاتعمليلنا ايه؟

ابتسمت بثقة وهي تجيبه:

-احلى أكل لحبيب قلبي

أشار لها بحاجبيه مردداً:

-ماشي أما أشوف

تسللت من أحضانه ساحبة معها الغطاء لتتوجه إلى المرحاض أولاً قبل أن تعد له الطعام الشهى الذي يهوى تناوله من يديها، تابعتها بأنظاره حتى اختفت من أمامه فمط ذراعيه وشبكهما خلف رأسه محدثاً نفسه بسعادة:

-ربنا يباركلي فيكي!

.....

لم يتوقع أن يتم إيداعه بالسجن لينفذ عقوبة جديدة استحقها بسبب أفعاله الغير قانونية وتجاوزاته الغير شرعية خاصة مع الصيدلانية فاطمة، تمسك بالقضبان الحديدية محدثاً بنظرات مصدومة في وجه القاضي الذي نطق الحكم عليه تواء، هي لجأت إلى أروع المحامين للإدعاء بالحق عليه، فنال ما يستحقه بعد أن ثبت تورطه في الأمر، تحركت أعينه نحو والده الذي طالعه بنظرات

أسفة، هو الجاني على نفسه قبل أي شيء، صاح مجد من خلف القضبان  
الحديدية بنبرة عالية:

ساحني يا أبا

رد عليه مهدي بجزن كبير:

-ربنا اللي يسامح

تابع صائحًا بتوسل:

حقك عليا، إن شاء الله هستأنف وهاخرج قريب من هنا!

رد بفتور:

-ربنا موجود

أشار بيده لأخيه متابعًا بصرامة:

-مازن خلي بالك من أبويا، حطه في عينيك، مش هاوصيك

هتف أخيه الأصغر بضيق:

-اطمن، أنا معاه

جذبه الحارس من ذراعه ليبعده عن القضبان ليتجه به نحو مجلسه مع باقي  
المحتجزين بالقفص الحديدي، فلوح له مازن بيده مودعًا إياه، ثم أسند والده  
المتهاذي في خطواته قائلًا:

-أنا مش هاسكت، هاخلي المحامي.....

قاطعه مهدي بهدوء:

مالوش لزوم، أخوك غلطان، وافترى كثير على الغلابة، أنا راضي بحكم ربنا،  
المهم هو يعقل

رد عليه بعدم اقتناع:

هو كان أول واحد، مافي غيره كثير

هز مهدي رأسه رافضاً طريقة تفكيره المتهور والتي تدفعه إلى المهالك موضحاً:

-بس مش كده! وأنا حذرتة!

-ماشي يا أبا، نتكلم بعيد عن هنا

رد عليه بجدية:

-ماتتعبش نفسك، اللي ربنا عاوزه هايكون، المهم أخوك يعقل زي ما قولتلك

.....

كان محقاً حينما اقترح عليها العمل وإلهاء نفسها في شيء يستحوذ على كامل  
تفكيرها بدلاً من الفراغ الممل الذي كانت قابعة فيه، انشغلت أسيف بإعداد  
الدكان الخاص بها ليصبح محلاً لبيع الورود الصناعية بالإضافة إلى الهدايا المميزة  
للصغار والكبار، واستخدمت أفكارها في تنسيق الباقات بطريقة جذابة  
ولافتة للأنظار بعد عملها بنصيحة زوجها منذر.

وصل إلى مسامعها أبناء حبس مجد فسعدت بتلك الأخبار السارة كثيرًا، وكانت من أوائل المهنيين لصديقتها فاطمة التي تخلت عن خوفها، وأثبتت شجاعتها في مواجهته، واستمرت في معركتها معه حتى حصلت على حقها القانوني في نهاية المطاف.

عاوتها بسمة في تجهيز كل شيء ليتم افتتاح الدكان في حلته الجديدة في أقرب وقت بالتزامن مع افتتاح الفرع الجديد الخاص بالوكالة، فقد عمِد منذر إلى تغيير نشاط المحال بعد فض الشراكة مع عائلة أبو النجا ليتحول إلى معرض حديث مزود بالتصميمات الجديدة للأدوات الصحية، الجميل في الأمر أن زوجها سينتقل لذلك الفرع للعمل إلى جوارها ليظلا على مقربة من بعضها البعض. قامت أسيف برص الباقات المعدة سلفًا على أحد الرفوف متسائلة باهتمام:

-يعني اتفتتوا؟

أجابتها بسمة بتهيدة مطولة:

-ايوه

لكزتها أسيف في كتفها معاتبة:

-بذمتك في عروسة تكون قالبه وشها كده؟!!

ردت عليها بتجهم:

-أنا مكوئتش حابة أستعجل

نظرت لها بغرابة رافعة حاجبها للأعلى وهي تقول:

ده انتو بقالكم فترة كاتبين كتابكم

ردت بعدم أكثرات:

-في ناس بتفضل بالسنين

صححت لها أسيف تفكيرها قائلة:

ده لما يكونوا مش جاهزين!

زفرت بسمة بصوت مسموع وهي ترد:

خلاص ارتاحوا كلكم من الزن، أسبوعين وأتنيّل أتجوز

انفرجت شفتي أسيف بصدمة واضحة، لم تتوقع منها تلك العبارة، فردت

مدهوشة:

-وساكنة

قوست فمها للجانب متسائلة بفتور:

هايحصل ايه يعني؟

تفاجأت بابنة خالها تجذبيها من يدها بغتة لتتحرك معها نحو باب الدكان هاتفة

بتلهف:

ده احنا كده معندناش وقت خالص

استغربت من تصرفاتها المريبة والمبالغ فيها وهي تسألها:

-في ايه يا بنتي؟

ردت عليها بجدية:

سيبي اللي في ايدك دلوقتي وخلينا نشوف هانعمل معاكي ايه يا عروسة  
أشارت لها بكفها متابعة باندهاش:  
يا أسيف الدكان....

تأملتها بنظرات عميقة وذات مغزى قبل أن تقاطعها بحزم:

مش وقته خالص، ده احنا عندنا عروسة!

سحبت بسمة يدها من كف أسيف الممسك بها مرددة بقلق:

-بلاش توتريني، خلي الأيام دي تعدي على خير!

لم تستدر بجسدها نحو الباب وهي تتحرك نحوه بان دفاع طفيف، وبالتالي لم تر  
دياب وهو يلج إليه، لذا دون قصد منها ارتطم ظهرها بصدرة، فسقطت في  
أحضانها، تلقفها من ذراعها مانعًا إياها من السقوط، شعرت بقبضتيه عليها  
فالتفت نحوه برأسها لتحقق فيه بصدمة، رمقها بنظرات عاشقة قريبة مليئة  
بالكثير من المشاعر المتأججة، تلون وجهها بحمرة قوية وسريعة، لم يفلتها منه،  
وهمس لها بعث مستغلاً تلك الفرصة التي لا تتكرر كثيرًا:

-وربنا أنا محظوظ.....!!!

.....



الفصل الخامس والتسعون (الأخير - الجزء الثاني):

تخشب جسدها من ذلك الموقف الحرج الذي يتكرر دومًا معه، وكأن الأقدار  
 تلعب معها وتخدمه مهيئة له الظروف لتجمع بينها رغمًا عن إرادتها، حدثت  
 فيه بنظرات مدهوشة، وحاولت التحرر من قبضتيه المحكمتين حول ذراعيها  
 لكنه رفض إفلاتها مستغلًا كل لحظة متاحة له للتقرب منها، بدا الانزعاج  
 واضحًا على محياها وهي تصيح بتشنج:  
 لو سمحت ما ينفعش كده!

لم يضغط عليها كثيرًا، فالمكان والزمان غير ملائمين تمامًا للجدال أو حتى لإظهار  
 المشاعر والأحاسيس، أرخى قبضتيه عنها قائلاً بابتسامة متسلية:  
 -وماله!

وما إن نالت حريرتها حتى تراجعت مبتعدة للخلف محدقة فيه بنظرات تحمل  
 الضيق، ظل دياب يطالعها بنظراته العاشقة بجرأة أكبر غير متحرج من وجود  
 أسيف معها، أخرجته الأخيرة من تحديق المطول متسائلة:  
 -ازيك يا دياب؟ إيه الأخبار؟

رد قائلاً بهدوء وهو يعبث بمؤخرة رأسه:

-الحمد لله يا مرات أخويا!

عاود دياب التحديق في بسمة التي كانت في حالة نجل واضحة، لم تختف بعد  
 الحمرة المغربية الظاهرة على صدغيها، ولم تسكن رجفة جسدها المتوتر إلا  
 قليلاً، ابتلعت ريقها مرددة بارتباك:

-أسيف أنا هارجع البيت!

سد عليها دياب الطريق بجسده ليمنعها من المرور أو التقدم خطوة للأمام قائلاً  
باستنكار:

-ايه ده! انتي ماشية؟

فركت أصابع كفها بتوتر وهي ترد بتجهم زائف:

-ورايا حاجات في البيت، مش فاضية للهزار البايخ ده!

دنا منها فتوترت أكثر من اقترابه الغير حذر، تلفتت حولها مبدية حرجها من  
تصرفاتها المتجاوزة لكنه لم يكثرث بما يفعله، همس لها بتنهيده حارة:

-بس أنا ملحقتش أشبع منك!

تنحنت بسمة بصوت خفيض، ثم دفعته بيدها من كتفه لتتمكن من المرور  
قبل أن يحاصرها أكثر من ذلك، اندفعت مسرعة نحو الباب قائلة بجدية  
شديدة:

-سلام يا أسيف!

لم تستطع ابنة خالها الرد عليها بسبب فرارها الغير مبرر من الدكان، واكتفت  
بالابتسام المتعجب، صاح دياب بامتعاض مستنكراً جفائها معه:

-شايفة المعاملة؟

حافظت على ابتسامتها الرقيقة وهي ترد بهدوء:

معلش بتدلع عليك

احتدت نظراته قائلاً بوعيد:

بكرة يطلع عليها إن شاء الله، أنا ماسك أعصابي لحد النهاية!  
وضعت يدها على أنفها مانعة نفسها من الضحك على طريقته المضحكة، ثم  
قالت:

اصبر على رزقك، ده حتى يقولوا الصبر مفتاح الفرج!

رد ساخرًا بعبوس:

ده لو فضل فرج عايش!

.....

انحنت بجسدها للأمام لتجمع بقايا روث البهائم من الحظيرة بعد أن أمرها عمها  
كامل بتولي مهمة تنظيفها يومًا بعد يوم، لم تتصور مطلقًا أن تتحول حياتها من  
الترف والرفاهية للشقاء والذل، لو أخبرها أحدهم أنها بعد أشهر ستكون في  
تلك الحالة وعلى هذه الوضعية لظنت أنه مجنون، لكنها الحقيقة المرة، نعم هي  
حصلت على وثيقة طلاقها من زوجها مازن، وباتت حريتها مشروطة حتى  
انتهاء عدتها لتزف إلى ذلك العامل الذي حُكم عليها بأن تكون زوجته، هو لا  
يبحث عن يبادلها مشاعر الحب أو الحميمة، بل عن تلبية له رغباته المنزلية  
وتؤدي واجباتها بإخلاص، هو يعاني من مشاكل في الإنجاب، ولم يسبق له

الزواج، لكن لرغبة عمها في تأديها وفي ستر فضائحها عرضها عليه، وارتضى الأخير بها ممتعضًا وكأن بها ما يُشين، ولما تنكر ذلك وهي من أَلقت بنفسها في التهلكة؟

بكت ولاء قهْرًا على حالها البائس، انتحبت بصوت خفيض محدثة نفسها:  
أنا اللي جبت ده كله اللي نفسي، أنا افتريت وطمعت، وضاع مني كل حاجة!

لم تستطع التركيز في أداء عملها، فانهارت باكية بجرقة أشد، لطمت على رأسها بكفها متابعة بانكسار:

-كنت غبية! غبية!

أخفضت كفها لتلطم على صدغها حينما تذكرت ابنها، ذلك الصغير الذي تناسته في خضم معاركها الشهوانية الطامعة، لم ينل من أمومتها ولا أحضانها إلا القليل، لم تكن أمًا بالمعنى الحقيقي، شعرت بوخزة عنيفة تضرب قلبها الذي انفطر على بعده، صاحت بنواح:

حبيبي يا يحيى! وحشتني أوي، يا ترى هاعرف أشوفك ولا لأ؟!!

اشتعلت رأسها بنيران الغيرة حينما اقتحم عقلها صورة بسمة بابتسامتها التي تستفزها وهي متأبطة لذراع دياب، احتفت أعينها الباكية، وامتلاً وجهها بحمرة ملتهبة، بالتأكد تربعت على عرش قلبه، واحتلت مكانها الطبيعي، ما أصابها بخيبة الأمل هو إحساسها بأنه متم بها ويعشقها بجنون، كورت أصابع يدها بقوة ضاغطة عليهم وهي تردد لنفسها:

-بقيت نهايتي هنا، وهي خدت كل حاجة!

أخرجها من شرودها الغاضب صوت زوجة عمها الصائح بحدة:

-إتي يا بت لسه مخلصتيش؟

كفكفت عبارتها بظهر كفها هاتفة:

-أهوو على طول

أشارت بيدها متابعة بلهجة آمرة:

حطب يالا أوام، لسه عندنا خبيز وموال أد كده!

.....

أسرعت في خطواتها متجهة نحو منزلها هاربة من حصار مشاعره الصادقة والتي تضعف بقوة جمودها الزائف معه، هو استحوذ على كامل تفكيرها رغم إنكارها لذلك أمامه، لكن انفعالاتها تعكس حقيقتها دون أن تضطر للبوح به، توقفت في مدخل البناية لتلتقط أنفاسها قبل أن تصعد إلى منزلها فتظهر عليها علامات التوتر والاضطراب عليها مما يجعلها فريسة لأسئلة أختها التي لا تنتهي عنه، أرادت الحفاظ على بقايا عقلها من كثرة إلحاح الجميع عليه، نعم هي تفكر فيه وبكثرة، لكنها تقاوم إحساس الرهبة الذي يعتريها من آن لآخر ليوترها من مستقبل مجهول معه، أحيانًا يلوح في الأفق توترات علاقته السابقة مع طليقته، ناهيك عن وجود ابنه الذي ربما لن يتقبل وجودها في حياته لاحقًا

إن اعتقد يوماً أنها سلبت مكان والدته واحتلته، تصارعت أفكارها المتخبطة  
بداخل رأسها فأتعبتها، تنفست بعمق هامسة لنفسها بتوجس:

ربنا يستر، إن شاء الله ها يحصل كل خير

أكملت صعودها على الدرج بخطوات سريعة، ولجت إلى داخل منزلها متلفتة  
حولها بهدوء، حمدت الله في نفسها أن الصلاة كانت خاوية من والدتها،  
فأسرعت في خطواتها مخبئة داخل غرفتها، وقفت أمام المرأة متأمة وجهها  
الذي كان يحتفظ بجمرة الملتببة، تحسسته بظهري كفها فشعرت بسخونته  
المتقدة، شردت سريعاً في تقاربها الشديد، نظرات الوله التي يطالعها بها، هي  
تزداد عمقاً يوماً بعد يوم، وجدت نفسها تبتسم عفويًا وهي تتخيل أفكارًا  
جامحة معه، فنظراته لها توحى بذلك، وجرأته المباغته تؤكد نواياه، زادت  
ابتسامتها العابثة، ثم تجهمت بشدة محركة رأسها مستنكرة شرودها الطائش،  
همست معاتبه نفسها:

مجنونة، بلاش الحاجات دي!

ألقت بجسدها على الفراش لتكمل تحديقها الفارغ في سقفيه الغرفة مستسلمة  
للذكريات الشيقة التي تجمعها سويًا والتي لا تخلو من اللهو والنظرات الحالمة،  
تحركت أعينها نحو خزانة الثياب حيث يوجد داخلها ثوب عرسها الذي اشتراه  
لها دياب، كانت رافضة لتلك الفكرة في البداية، أرادت استئجار ما يليق بها،  
لكنه عارضها وأهداها إياه، تهدت بعمق وهي تهض من على الفراش لتتجه  
نحوها، فتحت الضلفة لتطالعه بأعين لامعة، مدت يدها ببطء تتحسس

ملمسه من فوق الحافظة البلاستيكية التي تغطيه، عضت على شفرتها السفلى  
بجمل، ثم سمحت يدها لتغلق الضلفة من جديد، استندت بظهرها على  
الخزانة لتشرذ من جديد في أحلام وردية.

.....

أشرف بنفسه على وضع اللمسات الأخيرة لافتتاح فرعه الجديد بالتزامن مع  
دكان زوجته، ونقل إدارته إلى هناك ليكون إلى جوارها أغلب الأوقات بينما  
سيتولى أخيه متابعة الأعمال بالوكالة مع والده، لم ينزع منذر من رغبة أسيف  
في تأجيل الإعلان عن ميعاد الافتتاح النهائي لانشغالها مع ابنة عمته، بل على  
العكس رحب بذلك كثيراً، فالطرف الآخر في الموضوع هو أخيه الأصغر،  
والذي سيحظى أخيراً بالحب والاستقرار بعد فترة ليست بالقليلة من مشاكل  
متواصلة انعكست عليه، لكنه في الأخير خرج منتصراً وطاقراً بحب جديد  
أنعش روحه، كذلك رتب منذر لسفرة قصيرة يقضيها مع حبيبته وبصحبة  
العائلة بعد الانتهاء من تجهيزات العرس، فالجميع بحاجة لوقت مثل ذلك  
لتجديد النشاط والترويح عن النفس.

وعلى مدار الأيام التالية، خصصت أسيف أغلب وقتها لتظل إلى جوارها،  
فالوقت المتبقي محدود للغاية، وتجهيز العروس يتطلب فترة كافية للتأكد من  
تجهيز كل شيء، كانت أسعد أوقاتها هي مشاطرتها تلك الفرحة خاصة أن  
نيرمين كانت على قدر المستطاع تعاونهما، خفف ذلك من وطأة الضغوط



النفسية التي كانت تعانيها بسمة، وشعرت بدفء العائلة الذي حمسها كثيراً،  
وبدد خوفها تدريجياً، هي تخشى من تبعات الإقدام على تلك الخطوة الفارقة في  
حياتها، وجاهدت لصرف أي أفكار متوترة عن ذهنها.

انتهت عواطف من إعداد الكعك والبسكويت الخاص بتلك المناسبة السارة  
وبدأت في وضعه في علب نظيفة لتوزعه على الأبناء، ورغم تعجب نيرمين  
من مبادرة والدتها في عمل ذلك إلا أنها أوضحت غرضها قائلة بود:

سخلي الناس تفرح، وبعدين فرصة يا بنتي، إتي معايا وإيدك بإيدي! هو أنا في  
ديك الساعة لما تكوني وسطنا وبتجهزي حاجة أختك ويايا، ده الفرحة مش  
سيعاني يا بنتي، ربنا يديمها علينا ويكمل شفاكي على خير!

تلاّأت عينها بعبرات طفيفة تأثراً بجديث والدتها، ربما هي سعت لإسعادها  
بطريقة غير مباشرة، أرادت أن تشعرها بأهمية وجودها، بأن الفرحة لن تكتمل  
إلا بحضورها معهم، تملكها إحساس سعادة صافٍ، دون تردد احتضنها قائلة  
بنبرة شبه مختنقة:

يا رب يا أمي!

ربنت عواطف على ظهرها بجنو ثم تابعت هاتفة:

ياللا يا بنتي، تعالي نشوف ناقصنا ايه!

.....

بدا المنزل بمن فيه كخلية النحل خاصة حينما حانت ليلة الزفاف، فلم تتوقف التهنئات ولا المباركات من الجيران والمعارف الذين تسابقوا في ذلك، ولم تهدأ صديقات العروس من الاحتفاء بها على طريقتهن، أصرت بسمة على إقامة زفة حتى لو كانت متواضعة عند منزلها قبل الانتقال للقاعة للاحتفال، فعلى عكس أخيه أراد دياب ألا يحرم عروسه من كل أحلام الفتيات من زفاف مميز، وزينات براقة، وصورًا تذكارية مختلفة، ورغم كون اليوم مشحونًا منذ بدايته إلا أنه كان سعيدًا بكل ما يفعله، فالمهم أنها ستصبح بعد ذلك زوجته.

شغلت نيرمين طرحة أختها بيدها بحب أخوي صادق، فحينما ارتدتها بدت أكثر إشراقًا وجمالاً، تأملت بسمة نفسها في المرآة غير مصدقة أنها عروس بالفعل، ارتسمت تعابير السعادة والفرحة على محياها، رفعت أبصارها نحوها لتقول بامتنان:

-ربنا يخليكي ليا يا نيرمين، حلوة أوي

ردت عليها بابتسامة لطيفة:

-إتي اللي حلوة من يومك!

صدحت أصوات الدفوف والمزامير لتعلن عن قدوم الزفة أسفل البناية، أعقبها إطلاق الزغاريد العالية، فارتبكت في غرفتها وانقبض قلبها بقوة، شعرت بدقات قلبها تخرق أذنيها من فرط الاضطراب الممزوج بالتوتر، وضعت نيرمين يدها على كتفها هامسة لها بعث:

-اهدي يا عروسة، علقه تفوت ولا حد يموت!

ضاقت نظراتها وهي ترد بخوف:

-بلاش توتريني بزيادة، أنا أعصابي تعبانة

-والله ما في أحلى منك عروسة

قاتلها أسيف بنبرة رقيقة وهي تدنو منها حاملة في يدها عطرًا أثويًا لتغرق به

ثوبها، حركت بسمه رأسها نحوها مرددة:

-إنتي شايفة كده؟

أكدت لها بثقة:

طبعا!

أطلت نيرمين برأسها من النافذة مرددة بحماس:

-العريس جه تحت والزفة جاهزة، يالا بينا

هتفت بسمه بخوف:

-لالالا، استنوا شوية!

غمزت لها نيرمين بعبث:

-خدي راحتك يا بسوم!

تصلب جسدها من فرط التوتر، فتابعت بتهور غير مدركة سداجة تفكيرها:

-أقولكم على حاجة، احنا نأجل الجوازة دي كام يوم، أنا مش مستعجلة!

حدقت فيها أسيف بغرابة وهي تسألها:

إنتي شايفة كده؟

أومات برأسها مرددة:

أيوه

اقتحم الغرفة دون استئذان الصغيران يحيي وأروى هاتفين بجماس مرج:

مس بسمة

ركضا نحوها ففتحت ذراعها لتستقبلها في أحضانها مرددة:

حبايبي

هتفت أروى بابتسامة متسعة:

مبروك يا مس

أضاف يحيي ببراءة وهو يشير بيده:

باي طالع ورايا، بس أنا سبقته!

ارتبكت من مجرد ذكر اسمه، وحاولت الحفاظ على ثباتها مرددة بحذر:

أوكي يا حبيبي

تابع الصغير قائلاً ببراءته المحببة:

باي قالي إنك هتنامي معانا بعد كده، صح يا مس؟

تورد وجهها كلياً من تلك العبارة الصريحة، وردت بنجل:

احم... ايوه

وضعت أسيف يديها على كتفي الصغيرين قائلة بهدوء:

يا لا يا حلوين نطلع برا عشان....

لم تكمل جملتها للأخير حيث انتبه الجميع لدقات دياب الخافتة المصحوبة بصوته المتسائل:

-ينفع أدخل؟

انفض جسد بسمة في مكانه من مجرد سماع صوته، وانكششت على نفسها رهبة من الموقف برمته، رمشت بعينها في ارتباك، وبدأت في الضغط على أصابعها محاولة تخفيف حدة التوتر التي تعترها، ردت نيرمين بترحاب:

طبعا

بتمهل متشوق ورج إلى داخل الغرفة باحثًا بعينه عنها، تجمدت أنظاره على شخصها الذي سلب عقله، فغر فمه للأسفل مبدئًا انبهاره بجمالها الذي زاد توهجًا بارتدائها لثوب الزفاف، هتف غير مصدق:

-اللهم صلي على النبي، هو في كده، أخيرًا هنتجوز!

أخجلها غزله الصريح، وتوترت أكثر، جاهدت أسيف ونيرمين لإخفاء ضحكاتهما المتسلية، اقترب دياب أكثر، فزاد ارتباك بسمة، أمسكت بكف ابنة خالها هامسة برجاء:

خليكي يا أسيف!

ردت عليها بصوت خفيض وهي تشير بعينيها:

خليني ايه بس، ده العريس مستني!

سحبت يدها منها ببطء تاركة إياها بمفردها مع عريستها الذي يحترق تلهفًا في مكانه، نظرت بسمة إلى نيرمين هامسة لها بتوسل:

نيرمين ماتمشيش! أنا...

قاطعها بجمود زائف:

باين ماما بتنادي برا، هاروح أشوفها!

نظرت لها باستنكار معاتب لتخليها هي الأخرى عنها وتركها بصحبته، ظل يتابع باستمتاع تصرفاتها الخجلة دون أن يعلق عليها، وانتظر بشوق انصراف الجميع من الغرفة ليصبها سويًا، سلط أنظاره اللامعة عليها مرددًا بعث:

-ايه بقي؟

تراجعت للخلف مبتلعة ريقها بتوتر كبير، ثم ردت بحدة وهي تشير بسبابتها محذرة:

-في ايه؟ لو سمحت مش هاسمح بأي تجاوز

مازحها مرددًا:

هو أنا في القسم ولا حاجة يا أبله؟

تابعت محذرة بلهجة شديدة:

خليك مكانك!

رد ببلاهة:

ده أنا جاي أدكي الورد، خايقة ليه؟

أخفضت أنظارها لتحقق في باقة الورد التي كانت بجوزته، عاودت النظر إليه

مرددة بعبوس:

طيب، هاته!

استغرب تجهمها المبالغ فيه، ولكنه برر ذلك لنفسه بكونها في حالة ارتباك، تلك الحالة التي تسيطر على أغلب العرائس في ليلة زفافهن، لم يتعجل أي شيء منها، حتى وإن كان الانتظار يقتله شوقًا إلا أنه لم يرد إرغامها على شيء، على الأقل حاليًا، نظر لها بوجه خالٍ من التعبيرات قائلاً:

مش يالا بينا، الناس مستنية تحت، لسه ورانا حاجات كثير!

ردت باقتضاب:

ماشى

تابع أمرًا وهو يشير بعينه:

هاتي إيدك

قطبت بسمة جبينها متسائلة بحدة طفيفة:

ليه؟

رد ساخرًا من تساؤلاتها العجيبة:

محتاجها خمساية، مش هنأجش (نرتبط) بعض واحنا خارجين!

ردت بامتعاض:

طيب

تحركت بتمهل جاذبة ثوبها للأعلى لتتمكن من السير دون أن تتعثر فيه، وقفت  
قبالته متحاشية النظر فيه، لكنه بالطبع لم يضيع الفرصة هباءً، جاب بأنظاره  
ببطء على ثوبها المميز محققًا فيها إعجاب شديد، حينما رآه لأول مرة في محل  
ثياب الأفراح لم يتردد لثانية في شرائه، اقتناه فورًا، هو صمم من أجلها هي  
فقط، تأبطت في ذراعه باستحياء، شعر برجفتها وهي تتناول منه باقة الورد،  
فابتسم لها بسعادة، همس بأنفاس حارة لفحت وجنتها:

بس والله قر!

ردت عليه بإيجاز وهي تتجنب التطلع إلى وجهه رغم يقينها بنظراته التي  
تخترقها:

شكرًا

مال عليها متسائلًا باستجداء محبب:

مافيش كلمة حلوة ليا؟

ردت بعبوس:

لا



مط فمه هامسًا:

ببراحتك، ادلعي زي ما إتي عاوزة!  
أدارت رأسها في اتجاهه متسائلة بجدة:  
-بتقول ايه؟

ابتسم لها ببلاهة وهو يجيبها:

-ياللا عشان الزفة يا حبيبي، بيزمروا تحت وبيضربوا كلاكسات، يبب يبب،  
سمعاهم!

لم تتمكن من إخفاء ضحكتها التي تشكلت على شفيتها لتزيدها إغراءً وأنوثة من  
دعابته الطريفة، طالعها بنظرات أكثر شغفًا ورغبة طامعًا في تذوق رحيق  
الحب من على شفيتها، هي بالفعل أسرته بعفويتها، بعنادها، بجدته، بعصبيتها،  
وبطريقتها الغير متكلفة فبات معشوقها، وباتت حبه الأول والأخير بعد  
سنوات عجاف من المعاناة والبكاء على أطلال الماضي المشين، فقط ساعات  
معدودة ويصبح الحلم حقيقة.....!!

.....

الفصل الخامس والتسعون (الأخير - الجزء الثالث):

جلست باستحياء على المقعد الخاص بالعروسين في منتصف القاعة تراقب بنظرات شمولية ومتوترة أوجه المتطلعين إليها من المدعوين، رسمت تلك الابتسامة المصطنعة على ثغرها لتخفي ارتباكها الكبير، انتفض جسدها قليلاً حينما شعرت بتلك اليد توضع على كتفها، أدارت رأسها للجانب لتجد والديها محدة فيها بنظرات حانية وهي تربت عليه برفق، مالت عليها هامسة:

-زي القمر يا بنتي، ربنا يحميكي ويكفيكي شر العين

اكتفت بسمة بالابتسام المجامل لها وهي تهز رأسها بإيماءة خفيفة، ثم عاودت التحديق أمامها، جاهدت لتخفي حالة التوتر والصراع التي تعترضها، هي خائفة مما هي مقبلة عليه، فتنظرها حياة جديدة مليئة بالكثير من التحديات والقرارات، عليها أن تكون فيها عقلانية تفكر بترث وتتجنب حالة الاندفاع الأعمى التي تسوقها في بعض التصرفات، تنفست بعمق لتحافظ على جمودها الزائف، توجهت أنظارها نحو عريسها الذي كان يرقص طرباً مع محبيه، بالطبع لم يدخر وسعه في دعوة معارفه وأقربائه وأصدقائه ناهيك عن كل من له صلة به، امتلأت القاعة عن بكرة أبيها، وتسابق الجميع في تقديم التهنئات والمباركات له كل على طريقته الخاصة، تهتت مطولاً حامدة الله في نفسها أنها أثرت الجلوس على التمايل والرقص أمام تلك العين الذكورية التي تعجب القاعة بها. سعادة لا توصف تملكته حينما رفضت النهوض من مقعدها، وتضاعفت أكثر ببقائها في مكانها كالمملكة شامخة لا تطالها الأيدي، دق قلبه بقوة معلناً عن حبه

اللا محدود لها، لم تفارقها عيناه، وبين الحين والأخر كان يلتفت نحوها ليرمقها  
بنظراته العاشقة بالرغم من إحاطة الشباب له ممن يماثلونه عمراً أو أصغر بقليل  
ليقوموا بواجبهم معه، تسابق دياب معهم في إظهار فرحته بلبلة العمر، وزادت  
الأجواء حماسة مع انفعالهم المندمج بالأغاني الشعبية الملهمة.

كان يترقب على جمر متقد مرور الساعات لينفرد بها فيتمكن من التعبير لها  
عن مشاعره العميقة، ألهى عقله بما يحدث حوله مؤقتاً كي لا يهلك من كثرة  
الانتظار والتفكير.

على الجانب الآخر جلست نيرمين على الطاولة القريبة من مقعد العروسين  
واضعة على حجرها رضيعتها، لم تفارق البسمة شفيتها، وتمايلت برفق مع  
النغمات المحفزة للحواس مداعبة ابنتها التي كانت تضحك ببراءة، انحنى على  
جبينها تقبلها، ضمها إليها وأكملت دندنتها مع الأغاني، أبعدت أسيف أعينها  
المتطلعة إليها لتستدير برأسها نحو والدة زوجها، كانت بحاجة للعون، فتحررت  
صوبها، سألتها بنعومة وهي تقف إلى جوارها:

عاوزة مساعدة مني يا طنط؟

أجابتها جليلة بقلق:

-أتأكدي يا بنتي إن كل حاجة موجودة في البوفيه ده، مش عاوزين الناس  
تاكل وشنا

حاضر

أشرفت معها على إعداد الطاولة المعدة بالطعام الشهى وساعدهم الطهارة في  
 رص الصحون بطريقة منمقة تمكن المدعوين من تناول ما يشتهون، دنا منها  
 منذر متأملاً زوجته المنهمكة فيما تفعل بهيام، مرر أنظاره ببطء على ثوبها  
 الكريه بنظرات لامعة، هو ملائم لها، ويزيدها رونقاً وتميزاً، أخرج من صدره  
 تهيدة حارة تحمل الكثير، وصرف عن ذهنه التفكير في أمور لا تصلح إلا في  
 منزلها، التوى ثغره ببسمة عذبة وهو يتساءل باهتمام:

-إيه الأخبار؟

ردت جليلة بابتسامة عريضة:

-اطمن يا منذر، كل حاجة تمام

هز رأسه بإيماءة خفيفة، ثم وضع يده على ظهر زوجته متسائلاً:

-عاملة إيه يا حبيبتى؟

-أجابته بهدوء رقيق:

-كويسة يا حبيبي!

-دس منذر يديه في جيبي بنطاله متابعًا بمرح:

-الواد دياب أصحابه مولعين الفرحة على الآخر

-التفتت برأسها حيث ينظر، وردت ضاحكة:

-إيوه، ما هو باين!

أضاف بجدية مشيراً بجابيه:

-كويس إن بسمة مقامتش ترقص مع أصحابها!

ردت عليه أسيف موضحة:

هي من الأول قيلولاني إنها مش حابة تعمل كده

أحسن

ارتفع حاجبي أسيف للأعلى مبدية تفاجئها بظهور ذلك الشخص عند مدخل

القاعة، هتفت فجأة باندھاش:

إيه ده؟

نظر لها منذر بغرابة متعجباً تبدل حالها، وقبل أن يحرك شفتيه ليسألها تابعت

هاتفة:

-بص هناك، شايف من جه؟

نظر إلى حيث أشارت متسائلاً باقتضاب:

مين؟

ارتسم على ثغرها ابتسامة متحمسة وهي تجيبه:

دكتور نبيل!

حل الوجوم على وجهه وتبدلت تعابيرها للانزعاج، نظر لها مردداً بتجهم:

-والله، ومالك مهتمة أوي كده؟!

ردت بحماس وابتسامتها لم تفارق شفيتها:

-أنا مش مصدقة، ده جاي الفرح، أكيد نيرمين هتفرح أوي، ده إنسان كله ذوق و...

اشتعلت نيران الغيرة بصدرة لمجرد مدحها لغيره، لم يتحمل المزيد من الترهات عنه، فقاطعها صائحًا بجدة:  
-أسيف!

زادت تعجبها من صلابته الحادة، وردت متسائلة بحذر:  
في ايه؟

تابع بجمود لا يبشر بأي خير:  
-مش واخدة بالك إنك زودتها؟  
قطبت جبينها مبررة حديثها:

-ليه بس؟ بالعكس والله د. نبيل محترم وأخلاقه عالية، المفروض نرحب بيه!  
كانت على وشك التحرك نحوه لتستقبله لكنه أوقفها جبرًا قابضًا على ذراعها،  
تأوهت من قوة ضغطته، وهتف أمرًا بلهجة صارمة:

-إياكي تتحركي من هنا!

استنكرت هجومه الغير مفهوم عليه، بالإضافة إلى طريقة إمساكه بها، حاولت نزع ذراعها من قبضته، لكنه لم يفلتها، ظلت أنظاره المحتقنة مسلطة على وجهها، ضغطت على شفيتها قائلة بامتعاض:

-مايصحش يا مندر، ده ضيفنا، ومايعرفش حد إلا احنا

هتف محذراً بتهديد ضمنى:

هي كلمة يا بنت رياض، ولو خالفتها هايقلنا كلام تاني مع بعض!

فغرت ثغرها مصدومة من نبرته العدائية، ردت متسائلة بعدم تصديق:

قصدك ايه؟ إنت عاوز تمد إيدك عليا؟

أرخی أصابعه عنها قائلاً بصلافة:

-افهمي اتى بقى!

احتدت نظراتها نحوه مستنكرة ما يفعله، ردت بغيظ:

-بقى كده يا مندر!

انتبهت جليلة للشجار الدائر بينهما، فتدخلت على الفور قبل أن يتفام ويتطور

للأسوأ، هتفت متسائلة:

-فى ايه يا ولاد، مالكم؟ إنتو اتحسدتوا ولا إيه؟

رد مندر بتشنج:

-أسألها

اغتاظت من تحميله اللوم دون سبب مقنع وكأنها ارتكبت جريمة ما، وجلّ ما  
قالته هو الترحيب بالضيف، صاحت بنبرة متعصبة:

-شايفة يا طنط؟!!

نظر لها مطولاً بحنق، استشعرت من نظراته عصبية جمة رغم عفوية تصرفها،  
أطلق سبة خافتة قبل أن يتركها وينصرف مبتعداً عن الاثنتين، تابعته أسيف  
بأعين متوهجة للغاية ومتعجبة مما حل به من عصبية غير مبررة، لم يكن على  
تلك الحال قبل لحظات، وفجأة تحول للنقيض، وبات يهددها بالضرب إن  
خالفت أوامره، كانت تلك هي المرة الأولى منذ زواجهما التي يفعل فيها عليها  
بتلك الطريقة الهوجاء، خفق قلبها بقوة، بدت العبرات محبوسة في مقلتيها من  
صدمتها، أخرجتها جليلة من شرودها العابس متسائلة:

-ايه اللي حصل؟ فهميني يا بنتي!

كزت أسيف على أسنانها بغضب كاتمة في صدرها ضيقها منه، لكن عكست  
تعبيرات وجهها حالة الاستنكار والغضب التي تتقد بداخلها، استشفت جليلة  
نشوب خلاف حاد بينهما، واستمعت إلى تفاصيله منها، حاولت للممة الأمور  
بينهما، فأردفت قائلة بهدوء:

-متزعليش نفسك، هما الرجالة كده طبعهم حامي!

صاحت مستنكرة وهي تلوح بذراعها:

-بس مش للدرجادي يا طنط! بقي أنا يقولي كده



رنت جليلة على ظهرها متابعة بلطف:

معلش، مايقصدش، وإتي بردك استحملي شوية، هي الست عليها  
الاستحمال، وصدقيني شوية وهتلاقيه هدى ورجع زي الأول  
زفرت أسيف بغضب دون أن تعجب، لا جدوى من الجدل معها، فهي  
ستدافع عن ابنها وستبرر له تصرفه المبالغ فيه معها، كتمت بصعوبة ضيقها،  
وحاولت جليلة توضيح الأمور لها من منظورها الشخصي، أصغت لها دون  
مقاطعة حتى قالت بجديّة:

-المهم تتصالحوا مع بعض، اوعوا تباتوا متخافين!  
ردت بعد اقتناع وهي تكتف ساعديها أمام صدرها:  
إن شاء الله

ابتسمت لها جليلة قائلة بود:

-ربنا يصلح حالك يا بنتي! ويهدي سرّكم مع بعض

.....

نظر لها بتأمل قبل أن يتقدم بخطوات ثابتة نحو الطاولة التي تجلس عليها، لم  
يتأخر في تلبية دعوتها والحضور إلى حفل زفاف أختها، تشكل على تعابير  
وجهه ابتسامة متشوقة وهو يردد:

مدام نيرمين!

استدارت برأسها نحوه على إثر صوته المميز، تفاعت بوجوده بالقاعة، لم تستطع إخفاء علامات الاندهاش من على وجهها، تداركت الموقف سريعاً، وحاولت النهوض من مقعدها لترحب به قائلة:

دكتور نبيل

أشار لها بيده لتجلس وهو يرد:

خليكي مرتاحة، أنا قولت أجي أبارك بنفسي للعrsan

جلست نيرمين باسترخاء على المقعد معيدة وضع رضيعتها على حجرها، وردت بلطف:

الله يبارك فيك

تابع بهدوء دون أن يخفي ابتسامته عن ثغره:

-وعقبالك إن شاء الله!

تورد وجهها من جملته تلك، ورغم يقينها أنها عبارة مجاملة لكنها لمست قلبها، سريعاً اقتحم عقلها ذكريات متنوعة من ماضيها المومع حتى لحظة اكتشافها لمرضها، تهتت قائلة بضجر:

متشكرة، أنا خلاص خدت حظي، ومستنية...

قاطعها مشيراً بكفه:

-احنا اتفقنا على ايه!

ابتسمت لصرامته المحببة معها، وهزت رأسها بتفهم، تابع مضيئاً بصوته  
المتحمس:

-وبعدين ينفع نزل في يوم زي ده؟!  
ردت مبتسمة:

عندك حق

لمحته عواطف من أعلى "الكوشة" فهلت أساريرها، مالت على ابنتها لتهمس  
لها بشيء ما في أذنها، ثم تحركت بتمهل نحو طاولة نيرمين، هتفت مهللة بسعادة  
وهي تمد يدها لمصافحة نبيل:

-ازيك يا ضاكتور

بادلها التحية قائلاً:

-أهلاً يا حاجة

-شرفتنا يا ابني

-الله يخليكي يا رب، وألف مبروك للعروسة، ربنا يسعدها  
ردت بامتنان:

-يا رب يا ابني، وعقبال ما نفرح بيك!

انعقد ما بين حاجبيها وهي تتابع:

مش إنت لسه ماتجوزتش؟

أجابها نبيل بابتسامة مصطنعة رغم خبوها قليلاً:

-لأ أنا اتجوزت وانفصلت!

تفاجأت نيرمين بذلك، فلم يسبق لها أن سألته عن أي شيء يخصه، واليوم هي اكتشفت عنه القليل، ردت والبتها بود:

-أها، ربنا يعوضك خير بالأحسن

وجه أنظاره نحو نيرمين مردداً:

-إن شاء الله

تابعت عواطف قائلة:

-اتفضل ارتاح يا ضاكتور

هز رأسه وهو يقول:

شكراً

تركبتها عواطف بمفردهما متجهة نحو ضيوفها لترحب بهم، ساد صمت حذر بينهما لم تحاول فيه نيرمين كسره، واكتفت بالتحديق في أي شيء إلا هو، استشعرت نظراته المسلطة عليها، وعمدت قدر المستطاع على عدم الالتفات نحوه، استغل نبيل الفرصة ليتأملها على راحته، كانت أكثر حيوية عن وجودها بالمشفى، أحدث ظهوره في حياتها فارقاً ملحوظاً معها، وهي لا تستطيع إنكار ذلك، حاول التودد إلى مريضته التي شغلت باله مؤخرًا، فاستطرد حديثه هاتفاً:

ماشاء الله بنوتك شيهك

التفتت نصف التفاتة نحوه وهي تجيبه باقتضاب:

تسلم

لاحظ صمتها الطويل واكتفائها بالرد بالكلمات الموجزة، فأكل متسائلاً باهتمام:

-ممكن سؤال إن مكانش ده يزجك؟

استدارت نحوه مبدية تحفزها لسؤاله الغامض وهي ترد:

-أفضل

أوما بعينيه قائلاً بحذر:

هو أبوها فين؟

تشنجت تعبيرات وجهها، فتابع موضحاً بمرح:

-أحم.. قصدي يعني بيحي يشوفها ويسأل عليها و...

انزعجت من ذكره لشبيهه الرجال، من أذاقها العذاب والذل، هي تجرعت على يده ألواناً مختلفة من المهانة والإذلال حتى قسى قلبها وأصابه الحقد والغل، لم يعبأ يوماً بمشاعرها ولا برغباتها، فقتل فيها كل شيء طيب وتحولت إلى ما هي عليه، وما عزز من ذلك جحود عائلته وشراستهم معها، أفاقت من شرودها المؤقت مرددة بامتعاض عابس:

-لا، ومش هايشوفها لأنه في السجن!

صدم مما قالته واكتفى بالاياء برأسه متفهمًا، تابعت مضيفة بتسبج:

-أنا مش بأحب أتكلم عنه، سيرته بتضايقي!

خاف أن تكون قد استاءت من حديثه وتسبب في إيلاها بصورة غير  
مباشرة، فاعتذر فورًا قائلاً:

-أنا أسف، مكونتش آآ....

قاطعته بفتور:

عادي

أخفضت أنظارها لتداعب رضيعتها بحنان أموي مغدقة عليها بقبلات صغيرة،  
ابتسم للطفها معها، وسألها بهدوء:

تسمحيلي أشيلها شوية؟!!

استغربت من طلبه المريب، ولم تتمكن من رفضه، فابتسمت قائلة:

-اتفضل

تناول الرضيعة منها ليهددها بود، ظلت ابتسامته الساحرة مرسومة على  
ثغره، ربت على ظهر رنا برفق قائلاً بنبرة ذات مغزى:

ماشاء الله على الجمال، إتي زي ماما حلوة وضحكتك جميلة!

نجلت نيرمين من غزله المتواري عنها، وأشاحت بوجهها بعيدًا عنه رغم تلك  
الحماسة الرهيبة التي تملكها، انتابتها مشاعرًا مختلفة عن ذي قبل، أحاسيسًا لم

تخوضها أبدأ، هي ظهرت لها في وقت حرج لتكون كالضوء في النفق المظلم  
لترشدها في دربها المرير، لم تشعر بشفتيها وهما تبتسمان بنعومة، لكن التقطتها  
عيناه فزادتا إشراقاً.

تعمد الجلوس إلى جوارها ليقلص المسافات بينهما، ناولها الرضيعة قائلاً:

-ربنا يباركك فيها

ردت مجاملة:

يا رب!

تهدت بعمق للتابع بحزن واضح:

-نفسي بختها يكون أحسن مني وتعيش حياتها و....

قاطعها نبيل بجدية:

-إن شاء الله، وبعدين أنا عاوز أقولك على حاجة كنت مأجلها لحد ما أخذ  
رأيك فيها

قطبت جبينها متسائلة باهتمام وهي تعدل من وضعية رضيعتها على حجرها:

حاجة ايه دي؟

رد بلا تردد:

-دلوقتي في علاج جديد، هو تجربي بس هايفيد حالتك كثير

لوت ثغرها للجانب قائلة بتهمك يأس:

آخره يعمل ايه؟ هاياجل موتي كام يوم والسلام!

عاتبها مرددًا برفق:

-بلاش روح التشاؤم دي، كل حاجة بإرادة ربنا!

مد يده ببطء ليضعها على كفها المسنود على الطاولة بعد أن أسندته متابعًا:

-وأنا متعشم خير

نظرت مصدومة إلى يده التي تحتضن راحتها، ثم عاودت التحديق في وجهه بأعين متسعة، لاحظ اندهاشها فسحب كفه ببطء قائلاً بابتسامة مهدبة:

أسف

هزت رأسها بإيماءة خفيفة وظلت ترمش بعينيها بتوتر ملحوظ متحرجة من فعلته تلك، ومع ذلك لم يندم على تصرفه المتجاوز، وبقت ابتسامته المشرقة تزين وجهه بالإضافة إلى نظراته المتأملة لها برغبة واضحة.

.....

التهت بمتابعة المدعويين متجنبه الحديث معه كاتمة في نفسها ضيقها من تصرفه المبالغ فيه، ومع ذلك بدا وجهها عابسًا للغاية، حاولت أن تبتسم لكن كانت بسمتها باهتة، اختلست النظرات نحوه فوجدته مشغولاً بالحديث مع والده، ضجرت أكثر من تجاهله المقصود لها خاصة حينما التقت أعينها معًا، فرمقها بحدة قبل أن يشيح بوجهه بعيدًا عنها، نغزة قوية ضربت قلبها فألمتها من جفائه القاسي، أولته ظهرًا، وأخفت قدر المستطاع ضيقها، سلطت أنظارها على



العروس التي كانت تمرر أنظارها على الجميع، لوحت بيدها لها كتعبير عن  
اهتمامها بها، ثم أسرع بالذهاب للمرحاض لتختفي بداخله قبل أن تنهمر  
عبراتها تأثراً، لا تعرف ما الذي أصابها لتصبح على تلك الحالة الضائقة ويختنق  
صدرها على الأخير.

زفر دياب بصوت مسموع وهو يلقي بثقل جسده المنهك من كثرة الرقص  
ومجاراته الشباب في حركاتهم الحماسية، التفت نحو عروسه هاتفاً بهرح:  
هدوا حيلوا الله يحرقهم، مش ملاحق  
نظرت له بأعين قلقة وهي ترد:  
فرحانين عشانك!

وقبل أن يضيف كلمة أخرى اندفع الصغير يحيي نحوها صائحا ببراءة:  
تعالى تقرص يا مس بسمة!

عقد دياب ما بين حاجبيه متعجباً من جملة تلك، وسأله بغرابة:

مين دي اللي تقرص يا يحيي؟

ردت بسمة موضحة بابتسامة سعيدة:

قصده نرقص، الأطفال بينطقوها غلط

حك دياب مؤخرة رأسه متفهماً، ونظر لصغيره مطولاً دون أن يعلق عليه،

تابع يحيي قائلاً بإصرار:

يا لا يا مس

اعترض والده عليه مبدئاً انزاعاه:

هو أنا مش مالي عينك ياله!

عبس يحيي بوجهه مردداً:

باي

ربت بسمة على ظهر الصغير بجنو، ثم انحنت قليلاً على جبينه طابعة قبلة

صغيرة عليه وهي تقول:

-معلش يا حبيبي، ماينفعش هنا

احتج الصغير على رفضها قائلاً بتجهم:

ما باي بيقرص من الصبح!!

رد عليه دياب مازحاً:

هو أنا شغال ناموسة ولا ايه؟

بدا الصغير مُصرّاً على اصطحابها له، ولن يقبل بالرفض مطلقاً، لذلك عمدت

إلى استخدام أسلوب الرفق معه، وضعت كفها على طرف ذقنه لتمسح عليه

بجنو وهي تقول:

-شوية وهارقص معاك

حرك رأسه وهو يقفز مرحًا في مكانه، ثم اندفع عائداً ليلهو مع الصغار بالقاعة،  
أمسك دياب بكف يدها ضاغظًا عليه بأصابعه، فنظرت له بجدية، قرب كفها  
منه وهو يمازحها قائلاً:

-زي العسل، طالع لأبوه

أكتفت بتحريك رأسها بالإيجاب وهي تستعيد يدها منه، سألتها بغموض غامزًا  
بطرف عينه:

-ايه بقي؟

ردت بجدة طفيفة:

نعم

تابع بابتسامة متسعة:

مش هاتقولي حاجة؟

قوست بسمة فمها قائلة باقتضاب:

-لا!

أشار لها بكفه مكملًا:

-بشوقك، المهم خمساية والبوفيه يفتح

حذرته بسمة بسبابتها بصرامة واضحة:

-بأقولك ايه، أنا مش بتاعة حركات التورته، خد بالك!!

فهم مقصدها فيما يتعلق بتبادل القبلات العابثة أثناء تقطيع قالب الحلوى،  
 بالطبع لم يكن ليقتبل بذلك أمام مرأى رفاقه من الشباب، فمازالت حميته  
 مسيطرة عليه، ورغم جدية ملامحه إلا أنه رد بلطف وهو يوميء بحاجبيه:  
 -وأنا مقبلهاش أصلاً

التفتت لتنظر أمامها قائلة بتنهيدة:

-كويس اتفقنا على حاجة

رد عليها بغموض وهو يطالعها بنظراته الواهية:

-أنا متفقين من زمان، بس انتي اللي مش واخدة بالك!

التقطت أذناها كلماته الصادقة ومع ذلك ظلت متباعدة في مكانها دون أن  
 يظهر أي تغيير ملحوظ على تعابيرها، فقط ضغطت على أصابعها بقوة محاولة  
 تخفيف حدة التوتر المستحوذة عليها.

رغم ضيقه منها إلا أن أعينه كانت تعرف الطريق إليها بين الجميع، انقبض قلبه  
 بقوة حينما لم يجدها حوله، لم يستطع منذر التحكم في عينيه التي بحثت عنها  
 بتلهف، حبس أنفاسه مترقباً وهو يجول بين جموع الشباب الذين يملأون  
 القاعة، تنفس الصعداء حينما رآها تحدث والدته، همس لنفسه بضيق:

-تعبتي أعصابي!

التفتت أسيف فجأة لتجده محققاً به، حاولت أن تبتسم له لتزيل ما بينهما من  
 مشاحنات عملاً بنصائح والدته، لكن عبوسه الصارم صدمها، نظر لها بجدة

قبل أن يوليها ظهره ويتحرك مبتعدًا موجهاً لها صفعه قوية في قلبها، رأتها جليلة على تلك الحالة الواجمة فمسحت على ظهرها هامسة لها:

معلش، تلاقيه لسه مضايق، بس شوفتي جه يدور عليكى لما ملاكيش هزت رأسها بإيماءات خفيفة رغم عدم اقتناعها بمعظم ما قالته، ومع ذلك كانت محقة في أمر واحد أنه أتى من أجلها وإن كان لا يزال غاضبًا، تنفست بعمق مخرجة زفيرًا يحمل الكثير من الهموم وتابعت بفتور باقي الحفل.

.....

أوشك الحفل على الانتهاء، وبدأ المدعويين في الانصراف واحدًا تلو الآخر، ولم يتبق إلا أفراد العائلتين وقليل من الحضور يتبادلون الأحاديث العابرة، لاحقًا توجه العروسان نحو السيارة مصحوبان بالزغاريد والدعوات بالذرية الصالحة، ساعدت أسيف بسمة على وضع ثوبها إلى جوارها لتجلس بارتياح وهي تحدثها قائلة:

-ربنا يسعدك يا بسومة، تستاهلي كل خير والله

ردت عليها ابنة عمتها بتوتر:

أنا مرعوبة جدًا

طمأنتها قائلة بتأكيد:

-متخافيش، دياب يبحبك أوي

ردت بسمة بتخوف بائن:

عارفة ده، بس قلقانة!

ضحكت مرددة بعث:

ده طبيعي، مش عروسة بقي، أومال العريس يعمل ايه؟

صاح دياب مهلاً وهو يستقل السيارة ليجلس إلى جوار عروسه:

هاترغوا كثير، أنا تعبت، عاوزين نروح!

ثم أدار رأسه تجاه النافذة ملوحًا للواقفين:

متشكرين يا جدعان، عملتوا الواجب وزيادة

رد عليه منذر بجدية:

-اتجدعن يا عريس وارفع راسنا

كور دياب قبضة يده قائلاً بتفاخر:

-اطمن يا ابن أبويا، انتو معاكو غضنفر (أسد) في البيت!

ضحك منذر من دعابته الطريفة، وتابع باهتمام ركوب الجميع في السيارات لكنه

لم يجلس إلى جوار زوجته التي تيقنت من استمرار ضيقه منها، فكرت ملياً في

إزالة رواسب تلك المشاحنة الطفيفة بينهما على طريقتهما الخاصة بالمنزل، ربما

كبرياؤه يمنعه من المبادرة بالتصالح لكنها ستسعى لكسر أي حواجز بينهما.

.....

أعد لها المنزل الخاوي بالطابق الأخير بالبناية التي تقطن بها عائلته لتكون عش  
الزوجية، وأسسها بكل ما تحتاج إليه من أثاث جديد وأجهزة حديثة، شعرت  
بسمة بالارتياح لأنها لن تضطر للانتقال بعيدًا عن أمها وأختها، فهي تبعد فقط  
عنها عدة دقائق سيرًا، تراجلت من السيارة بمفردها ناثرة ذيل ثوبها خلفها،  
ودع دياب عائلته قائلاً بمرح:

-أنا عارفين السكة من هنا

ردت عواطف بود:

مش هاوصيك يا ابني على بنتي، دي نور عيني

أمال رأسه مؤكدًا بجدية دون أن تختفي ابتسامته:

-اطمني يا حماي، دي الحطة اللي في اليمين والشمال!

حمل منذر الصغير يجبي على كتفه بعد أن غفا في نهاية الحفل، اتجه به لمدخل  
البناية بخطوات متهادية، رأى والدته تصعد على الدرج بتريث، تنحت للجانب  
لتفسح له المجال للمرور متسائلة:

هو نام؟

أجابها بجدية مشيرًا بعينه:

-يوه، هاطلعه ونازل تاني

اقتربت عليه جليلة بنبرة دافئة:

ما تبات يا ابني معانا

رد باقتضاب:

لا-

عبست قليلاً بوجهها وهي ترد:

ده مراتك مش هاتمانع يعني، وهي....

قاطعها بهدوء:

أنا عارف، بس سبيني على راحتي يا أمي

هزت رأسها متفهمة وهي تقول:

ماشني يا منذر، وبالراحة عليها سامعني؟

مط فمه قائلاً بتجهم:

إن شاء الله

تهدت مضيضة بتناول:

ربنا يهدي سرم! العين بردك عليكم!

لم يعقب عليها وواصل صعوده المتأني للطوابق العليا، تبعته والدته بترث متممة

بكلمات خفيضة تدعو له بصلاح الحال.

ولج دياب مع حبيبته بسمة التي تأبطت ذراعه إلى مدخل البناية، وقبل أن

يقدم على شيء مخجل أو متهور حذرت بصرامة:



مش عاوزاك تشيلي، ماشي!

قطب جبينه متعجبًا وهو يرد عليها ساخرًا:

هو أنا قادر أشيل نفسي، كمي لسه السلم طويل، احنا آخر دور يا أبله!

تابعت بصلافة وقد تحولت تعبيراتها للجدية:

على مهلي، مش تسرعني

هز رأسه مداعبًا:

حاضر هاشيلك الطرحة بس، ده أخري!

أكمل صعودها على الدرجات التي لا تنتهي ببطءٍ شديد، لم ترغب في صعود والدتها معها واكتفت بتوديعها في المدخل بعد أن رأت الإرهاق متمكّنًا منها، كذلك لم تكن بحاجة إلى وجودها، فكل شيء معد سلفًا في المنزل، وبالتالي عدم صعودها لن يؤثر في شيء، الأمر المقلق بالنسبة لها هو اختلاؤها معه، هي متأكدة أنه لن يفوت الأمر دون أن يتودد بشتى الطرق لها، وهي في حالة تعب لا تحسد عليها، عصرت عقلها بشدة لتصل إلى فكرة مقنعة أو حجة ما تمكنها من تأجيل تلاحمها الجسدي والوجداني معًا، لكن لتصارع الأفكار في ذهنها لم تصل لشيء، نفخت مغمغمة مع نفسها بكلمات متبرمة، في حين تغمد دياب سعادة لا توصف لرحيل الجميع بعد ذلك اليوم المشحون، مضي الكثير ولم يبق له فقط إلا لحظات معدودة لينفرد بها أخيرًا، نعم إنها ليلته المنشودة والتي طال انتظاره لها.....!!

## الفصل الخامس والتسعون (الأخير - الجزء الرابع والأخير):

عادت لتجلس بالسيارة مع عمته وابنتها الكبرى ورضيعتها النائمة، احتلت المقعد الأمامي وبقيت أنظارها مثبتة على المدخل، لم تتوقف الاثنان من خلفها عن الثثرة الخاصة بأجواء الحفل، وظلت هي صامته أغلب الوقت ترد بكلمات مقتضبة إن وجه إليها أي سؤال، لمحت منذر وهو يخرج منه بوجهه الخالي من

التعبيرات، تأهبت في جلستها وتسارعت دقات قلبها، وعمدت إلى التطلع إلى  
وجهه بأعين متلألأة وكأنها تناديه بنداؤه خفي، لكن خيب أملها بعدم النظر  
نحوها، استطرده هو حديثه قائلاً بصوت رخيم:

-معلش أخرتكم

ردت عليه عواطف بود وهي تهز رأسها:

-ولا يهملك يا ابني

نظرت له أسيف مجدداً برجاء لكنه تجاهلها وتطلع أمامه بنظرات جامدة،  
شعرت بوخزة أخرى في قلبها من ذلك الجفاء القاسي الذي يمارسه معها،  
ابتلعت غصة مريرة عالقة في حلقها مقاومة رغبتها في البكاء، أخرجها من تأملها  
الشارد فيه صوته الجاد حينما تابع:

-هاوصلكم ونروح على طول!

ردت عليه عواطف بابتسامة محببة:

-بأمر الله، ربنا يسلم طريقك، هانتعبك معانا

ابتسم مجاملاً:

على ايه بس، ده واجبي!

أضافت مادحة بعفوية:

-ابن حلال الضاكتور نبيل!

تحفرت حواس منذر بضيق ملحوظ لمجرد ذكرها اسمه، لم يستطع إخفاء  
انزعاجه من الحديث عنه، فقد تسبب ذلك في حدوث جدال حاد مع زوجته  
والتي رأت بوضوح تلك التغييرات البائنة على قسامته المشدودة بعد تطرقها  
لشخصه، ضغط بأصابعه على المقود مانعاً نفسه من التفوه بجماقات أو حتى  
إظهار ضيقه، تابعت عواطف مسترسلة:

ده فضل قاعد لأخر الفرح، كان مبسوط لبسمة ودياب و...

أغمض عينيه ليضبط انفعالاته ويحافظ على هدوئه الزائف طوال حديثها المزعج  
عنه، لكن وجهه تشنج أكثر عندما هتفت:

ده حتى سأل عليكم

التفت عقب تلك الجملة إلى وجه أسيف التي كانت تطالعه بأعين لامعة، ورد  
بجمود مريب:

اه واضح!

استشعرت تهديد خفي من كلماته المقتضبة، عمدت إلى تغيير مسار الحوار إلى  
شيء آخر كي لا يثير هذا الموضوع حنقه أكثر من ذلك، تنحنحت قائلة بنبرة  
شبه مهترزة:

احم.. عمتي، حاولي تاخدي الدوا المسكن بتاعك عشان ضهرك، اتتي تعبتي  
جامد النهاردة

ردت عليها عواطف مبتسمة:

كله يهون يا بنتي عشانكم

استدارت أسيف برأسها نحوها لتقول بابتسامة باهتة:

-ربنا يخليكي لينا

أمالت عواطف رأسها للأمام قليلاً لتحقق عاليًا في الشرفات العلوية، ثم  
أخرجت تهيدة مطولة من صدرها وهي تتابع برجاء:

إن شاء الله تكون ليلة هنا على العرسان، أنا وضبتلهم الأكل و...

قاطعها منذر بجديّة:

-اطمني يا ست عواطف، مافيش حاجة ناقصة عندهم

ربنت على كتفه قائلة بامتنان:

-ربنا يسعدهم ويسعدك!

يارب

قالها وهو يدير المحرك لينطلق بالسيارة في اتجاه البناية التي تقطن بها عمّة  
زوجته، ظل ملازمًا للصمت لم ينبس بكلمة رغم محاولة الجميع اجترار الحديث  
معه، تفهمت أسيف سبب صمته المزعج، وتعهدت لنفسها ألا تجعل الجفاء  
يستمر طويلًا، هي تعشقه ولن تقبل مُطلقًا بتلك المعاملة الجافة منه، فحيل  
النساء لا تنضب أبدًا، وحتما ستجد وسيلة لإذابة الجمود المؤقت بينهما.

.....

أخيراً

قالها دياب بتنهيدة تحمل الكثير وهو يوصد الباب خلفه ليتمكن من الاختلاء  
بزوجته التي أذاقته الكثير كي يصل لهذه اللحظة، راقبها وهي تلج للداخل  
متأملة المكان من حولها بنظرات شمولية، اعتلى ثغره ابتسامة عابثة لم يبذل  
مجهوداً في إخفائها، أدارت بسمة رأسها في اتجاهه قائلة بأنين وهي تجاهد لنزع  
حذاءها عن قدميها:

-رجلي ورمت من الجزمة، يا ساتر يارب  
رد قائلاً بابتسامة متسعة:

-معلش، اليوم كان طويل، احنا نصلي ركعتين كده عشان ربنا يبعد عنا  
الشیطان وتتوكل على الله في اللي جاي!

وافقته الرأي، فالأمر مستحب لكل من هم مقبلين على الزواج لكي يرزقهم  
الله المودة والرحمة ويجنبهم الشيطان، استعد الاثنان لأداء الركعتين، وما إن  
فرغا منها حتى فرك دياب كفي يده معاً هاتفاً بحماس:

-ايه يا عروسة!؟

طالعته بنظرات قلقة، هي تعلم نواياه نحوها خاصة أنها الليلة المنشودة، شعرت  
بجفاف كبير في حلقها، بدقات قلبها تتصارع داخلها، تهدجت أنفاسها نوعاً ما  
وهي تحذره برجاء غريب:

-بأقولك ايه، بلاش البصات دي

اتسعت ابتسامته حتى برزت نواجذه، ورد عليها بتسلية:  
 -يعني مش أمتع عيني بالجمال؟  
 تعمدت الظهور بمظهر خشن أمامه، فصاحت بنبرة متصلبة:  
 -بص أنا دماغي وجعاني ومصدعة جامد، وجسمي مكسر ومش قادرة و...  
 قاطعها مازحًا وهو يشير بذراعيه في الهواء:  
 فيكي ايه سليم يا أبله عشان أفهم بس؟!  
 ردت عليه بإباء وهي ترفع رأسها للأعلى في شموخ:  
 -أنا بأفهمك من الأول عشان تكون على نور، مش قادرة تعمل حاجة النهاردة  
 خالص  
 فغر فمه مدهوشًا من تصریحها المستتر وفهم سريعًا المقصد من ورائه، ردد  
 مستنكرًا:  
 -نعم، هو أنا بأقولك أكسي واغسلي! ده احنا هاقول كلمتين على الهادي  
 كده  
 كتفت ساعديها أمام صدرها قائلة بجمود:  
 -وحتى الكلام تعبانة منه  
 ضاق ذرعًا من طريقتها المتنافرة معه، ومع ذلك كانت نظراته نحوها تعكس  
 غيظه، زفر بصوت مسموعًا مزيجًا عن صدره أي انزعاج، وحافظ على هدوء

انفعالاته معها، لاحظ حالة الارتباك التي تظهر في نظراتها المترددة نحوه، كذلك تلك الارتعاشة الخفيفة في ثوبها، فحمن أنها تهز ساقتها بعصبية، ربما هي متحرجة منه، متخوفة من بقائها معه، فالأمر جديد عليها، كما أنها لا تزال عديمة الخبرة فيما يتعلق بالزواج، بالإضافة إلى تمرسه عنها بحكم زيجته السابقة، أظهر ابتسامة مشرقة وهو يدنو منها قائلاً يا عجب:

بس ايه الحلاوة دي، الفستان جامد عليكي

ردت بجزر وهي ترخي ساعديها:

ميرسي

تابع مازحاً كطريقة لجذبها للحديث معه وتخفيف حدة التوتر الظاهرة عليها:

بس كده، مافيش كلمتين زيادة

هتفت ضاغطة على شفيتها:

-ايوه!

قام دياب بنزع سترته عنه فأتسعت مقلتاها إلى حد ما وهي تهتف بصوت

شبه مصدوم:

-إنت بتعمل ايه؟

رد باستغراب:

هاغير هدومي



غطت سريعًا عينيها بكفي يدها وهي تقول باستنكار:

مش قداي عيب كده!

أخفض دياب عينيه لينظر إلى قميصه مرددًا باستغراب:

ده أنا لسه لابس! بتداري وشك ليه؟

اعتلى ثغره ابتسامة عريضة وهو يضيف ساخراً:

أومال لو شوفتيني بالفانلة هاتعملي ايه؟!

رفعت كفها أمام وجهه محذرة بصرامة:

إياك

حرك كفيه في الهواء قائلاً بإحباط:

خلاص هافضل بهدومي!

أخرجت بسمة تهيدة قوية من جوفها، ثم وضعت يديها أعلى رأسها محاولة نزع

الطرحة التي تزينها، استصعبت الأمر في البداية، وضجرت سريعًا من نجاحها

في إزالتها بمفردها، صاحت مزجرة:

أعوذو بالله من دي تهمة على دماغني!

تحرك صوبها ليقف قبالتها، تساءل بجذر:

تحبي أساعدك؟!

ردت مستسلمة:

يا ريت! بس خد بالك!

حاضر

مرر دياب أنظاره على الطرحة باحثًا عن بدايتها لكي ينزعها عنها دون أن يتسبب في إيلاهما، لكنها كانت كاللغز بالنسبة له، حدق مدهوشًا في عدد المشابك المعدنية المثبتة بها مرددًا بتعجب:

ايه كمية الدبابيس دي؟

أجابته بسمة مبررة ببساطة:

عشان الطرحة ماتقعش!

رد عليها بسخرية:

ده لو بيثبتوها مش هاتكون كده!

بعد محاولات حذرة نجح الاثنان في إزاحتها عن رأسها، تنفست بسمة الصعداء لكونها قد ارتاحت من ذلك الثقل الذي أصابها بصداع مستمر طوال الحفل وتسبب في إيذاء أذنيها، نزع المشبك الذي يربط شعرها لتحرره في الهواء وهي ترد:

متشكرة

تجمدت أنظار دياب عليها بعد حركتها تلك، حدق فيها كالصنم لبضعة لحظات، لم تعرف أنها قد ألهمت مشاعره دون قصد وحفزت أعصابه للتودد إليها، باغتها

بلف ذراعيه حول خصرها، فانتفضت مصعوقة من حركته تلك، دفعته بيدها  
صائحة باضطراب:

-أنا قولت ايه

رفض إفلاتها قائلاً بتنهيده حارة بعد أن ضمها إليه أكثر:

-ده أنا جوزك!

استجمعت كل قوتها لتدفعه بقبضتها من صدره، ونجحت في الانسياب من  
أحضانها، نظرت له بحدة وهي تصيح بانفعال:

-ده مش يدك الحق تقرب مني بدون رضايا

نظر لها مستنكراً ردها الفظ، ثم هتف بضيق:

-يعني المفروض أخذ إذن الأول؟

أومأت برأسها قائلة:

-أيوه!

تراجعت مبتعدة عنه عدة خطوات تاركة مسافة فاصلة بينهما، وتابعت  
بامتعاض:

-أنا يدوب أغير الفستان وأناام، ولوحدي!

لوى ثغره هاتفاً باستهجان صريح:

-لا والله! كمان!

لوحث بذراعها من بعيد وهي تصيح بحدة:

قولتك تعبانة، قدرني شوية!

تفاجأ من حالة العصبية التي سيطرت عليها دون سابق إنذار، تنهد مستاءً وهو يفرك مؤخرة رأسه في حيرة، تتم مع نفسه بإحباط:

-شكلها ليلة طويلة!

هزت بسمة جسدها بعصبية، لا تعرف ما الذي أصابها، لكن فاق التوتر لديها حد المسموح به، لذلك اندفعت بخطوات شبه متعثرة وهي تجر جر ثوبها نحو غرفة النوم، وقبل أن تلج للداخل أوقفها صوت دياب المهلل بمجدية:

-لالالا، أنا ماينفعلش معايا كده، أنا هانزل أقضي السهرة مع أمي تحت!

فغرت فمها مشدوهة من جملته، ارتفع حاجبها للأعلى وهي تطالعه بنظرات حادة، فأكمل ببرود:

-ولا أقولك أنا هاتصل بأم يحيى أرغي معاها و...

مجرد الحديث عن طليقته السابقة أصابها بحالة من الفوران السريع، احتقنت دماؤها بالأدرينالين الغاضب، واهتاجت خلاياها، اتجهت بتهمل مقلق ناحيته ووجهها مصطبغ بحمرة جلوية، استشعر دياب غضبها المتأجج بها، هتفت متسائلة بغيظ:

-تكلم مين؟

ابتسم لنجاح كلماته في إثارة حفيظتها، ارتدى قناع الجمود على وجهه، ورد  
بعدم مبالاة ليستفزها أكثر:

أم يحيى، وهي ما هتصدق، صحيح هاتستغرب إني بأكلمها السعادي وكمان  
في يوم زي ده و....

لم يكمل عبارته للنهاية فقد تحركت بسمة صوبه تنتوي لكزه بعنف في صدره  
للحديث عنها هكذا غير مكترث لمشاعرها، صرخت بلا وعي:

مين دي اللي هاتكلمها؟

تراجع متحاشياً هجومها الوشيك عليه ومحاولاً إخفاء ضحكاته المتسلية، لحقت  
به متابعة بصوت متشنج:

-رد عليا!

كركر ضاحكاً من عصبيتها الواضحة، فتوقف في مكانه ينظر لها بأعين لامعة،  
تمكنت من الوصول إليه، وبدأت في ضربه بعصبية بقبضتها في صدره وكتفيه،  
تفادى ضرباتها المتلاحقة قدر المستطاع وهو يهدئها قائلاً:

-بأهزر والله!

كزت على أسنانها صائحة بصوت محتد:

-ماتجلبش سيرتها، سامع!

أمسك بها دياب من معصمها قابضاً عليها بقوته فمنعها من الاستمرار في  
التطاول باليد عليه، عجزت عن تحرير رسغها فصرخت به:

سيب ايدي

رد قائلاً بتريث:

-اهدي بس!

لم تنجح في إفلات رسغها المقيدين بيديه، نظرت له بأعين مشتعلة وهي تأمره:

دياب، أنا قلت ايه

غمز لها قائلاً بابتسامة مأكرة:

-مش المرادي يا أبله!

استشعرت من نبرته وجود خطب ما، خاصة أن نظراته كانت موحية للغاية، ازدردت ريقها بتوتر، ارتجفت نبرتها قليلاً وهي تسأله بتوجس:

قصدك ايه؟

رد بغموض أجفل جسدها:

هو دخول الحمام زي خروجه!؟

تصلبت عروقها من طريقته تلك، فهمت على الفور مقصده، واستخدمت قوتها لتحرر منه، شدد من قبضتيه عليها وهو يفصل بين رسغها ليتمكن من إدارتها خلف ظهرها، قربها أكثر إليه فألصق جسدها بصدرة، شهقت مصدومة، وتوترت أنفاسها، نظرت إليه بأعين قلقة للغاية، حاولت أن تظهر له رفضها لما ينتوي فعله، فصاحت بتشنج:

-انت بتعمل ايه؟

نظر لها بأعين لامعة محافظًا على ابتسامته الهادئة، زادت رهبتها من صمته المريب، وتوترت نظراتها نحوه، تلوت بسمة أكثر برسغيا -وكذلك بجسدها- مجاهدة للتحرر منه، لكن زاده هذا إصرارًا على التشبث بها وعدم تركها، همس لها بجرارة لفحت وجهها:

-نشفتي ريتي ودوختيني وراكي عشان أتجوزك!

تحاشت النظر إليه مركزة تفكيرها على تخلص معصمها منه وإبقاء مسافة آمنة لها، تعمد الضغط بأصابعه عليها لتنتبه له، رفعت رأسها في وجهه هاتفة بصوت متألم:

-انت بتوجعني!

لم يعطها فرصة للشكوى أو حتى الأنين، أحنى رأسه عليها ليطبق على شفيتها بشفتيه مقبلاً إياها بشوق قوي، فحبت أنفاسها رغماً عنها، تخشب جسدها من فعلته المباغثة وتحفزت حواسها، اتسعت حدقتها مصدومة وعاجزة عن رده، أبعده رأسه لمسافة محدودة ليتمكن من الهمس لها:

-بأحبك!

التقطت بسمة أنفاسها لثوانٍ معدودة قبل أن يعاود هو تكرار القبلة ولكن بعمق أكبر، بث لها فيها كامل أشواقه ومشاعره الفياضة، شعرت بخدر قوي يسري في جسدها، بارتخاء تدريجي يصيب عضلاتها المتشنجة، للحظة بدأت

تراجع عن مقاومتها وتستسلم لتأثير أحاسيسه التي تخترقها بلا أي مقدمات،  
فأغمضت عينيها واندجت مع تأثير قبلاته الحارة التي نقلتها إلى عالم آخر.

أرخی قبضتيه عنها ليحاوط خصرها ويلصقها أكثر به، ظل محنياً عليها  
يضاعف لها من قبلاته الرومانسية حتى انهارت مقاومتها له، تراجعت برأسها  
للخلف وصدرها يعلو ويهبط متأثراً من فرط الحماس، واستندت يديها على  
كتفيه محاولة التقاط أنفاسها، نظر لها متأملاً حمرة وجنتيها المغرية، وضع يده  
على طرف ذقنها متحسساً إياه بأنامله ورافعاً وجهها إلى عينيه:

ياه، كنت مستني اللحظة دي من زمان!

مال برأسه نحوها ليقبلها مرة أخرى، لكنها وضعت إصبعها على فمه، وهمست  
بصوت خفيض يحمل الخجل:

-استني لوسمحت!

لهث صوته وهو يسألها:

-ياه؟

ردت هامسة:

-ه.. هاغير فستاني

التوى ثغره بابتسامة عابثة وهو يقول لها:

-أساعدك!

هزت رأسها نافية:



لأ، استنى هنا

حذرها بلطف وهو يمرر يده على ذراعها:

ماتطوليش عليا

أومات بالإيجاب قائلة:

حاضر

انسلت من أحضانه متجهة نحو غرفة النوم لتبدل ثوبها، اختلج قلبها مشاعرًا قوية حفزتها بدرجة عجيبة لم تتخيلها وهيأتها لما هي مقبلة عليه معها، أغلقت الباب خلفها بهدوء، واستدارت باحثة بعينها عن رداها الأبيض لترتديه في تلك الليلة، كانت ترتجف وهي تبدل ثوب الزفاف، لا تعرف إن كانت تلك الرجفة بسبب الخوف أم الحب.

.....

صعدت خلفه على الدرج محدقة في ظهره بأعين تجسس العبرات بداخلها، فتح باب المنزل متوجهًا نحو الصلاة متجنبًا حتى النظر إليها، أحزنها ذلك كثيرًا ومع ذلك قاومت رغبته بالبكاء أمامه، هتف بجمود:

أنا هاقعد هنا شوية!

لم ترد عليه، واكتفت بالإيماء الخفيف برأسها، ظلت متمسرة في مكانها عدة ثوان آملة أن يرمقها بأي نظرة لكنه لم يستدر نحوها، تحركت بتهمل نحو غرفة النوم وهي تكتم شهقة تحاول الخروج من جوفها مصحوبة ببكاء حزين، أغلقت

الباب خلفها، ونكست رأسها بأكية، وضعت يديها على عينيها تاركة لعبراتها  
الحرية للانسياب بغزارة على وجنتيها، تذكرت كلمات والدته المشجعة لها  
بالمبادرة بالمصالحة حتى وإن كان هو المخطيء، رفعت وجهها للأعلى ماسحة  
بظهر كفها الدمعات الساخنة عنها، حدثت نفسها قائلة بصوت شبه مختنق:  
ماشى يا مندر!

اتجهت نحو خزانة الملابس لتنتقي منها ما سترتيه، لفت انتباهها ذلك القميص  
الحريري القصير المنزوي على الشماعة الأخيرة، حدقت فيه مطولاً متأملة لونه  
الزهري، تحسسته بأناملها شاعرة بلمسه الناعم، ابتسمت لنفسها معتقدة أنها  
ستجذب أنظاره بلونه المغري على جسدها، لم تتردد في اختياره، وبدأت في  
ضبط مظهرها، وعدلت من وضعية مساحيق التجميل بعد أن تلطخت بفعل  
بكائها، نفضت شعرها خلف ظهرها، ووضعت شريطاً من الستان على  
مقدمته تاركة بعض الخصلات تغطي جبينها، نثرت من عطرها على عنقها  
وكتفيها، استعدت للخروج إليه بعد أن ألقت نظرة أخيرة على مفاتها التي  
تسلب العقول، ابتسمت لنفسها برضا وسارت نحو الخارج متشوقة لاستعادته  
في أحضانها.

تغنجت بجسدها بدلال مثير وهي تتجه نحوه، استنشقت أنفه عبيرها الذي  
غزاه بكل قوة فتصلبت حواسه من اقترابها، تحركت عيناه تلقائياً نحوها فرأها  
على تلك الوضعية المغرية، جمد أعصابه قبل أن تفلت منه وتتهار حصونه أمام  
جمالها المهلك، دارت حوله لتطوق كتفيه بذراعيها، ثم أسندت رأسها على  
كتفه هامسة له بتنهيده تذيب القلوب:

احضرك العشا يا حبيبي؟!

طبت على صدغه قبله مطولة متوقعة أن يتجاوب معها لكنه بدا أكثر صلابة  
مما ظنت، حلق منذر أمامه مرددًا بجمود:

مش عاوز!

أصرت على عرضها قائلة بدلال:

إنت مكالتش حاجة في الفرح، مش معقول هتنام جعان، ثواني ويكون العشا  
عندك

قبلته في نفس المكان مجددًا قبل أن تعتدل في وقفها لتسير بخيلاء أمامه عليها  
تحدث في نفسه تأثير ما، فضلت ألا تنظر خلفها تاركة لخيالها تخيل أعينه  
وهي تتفحص جسدها بدقة متناهية.

اتجهت أسيف نحو المطبخ لتعد له عشاءً خفيفًا، قامت برص الصحون  
واضعة بها قطعًا من الجبن واللانشون والمربي وغيرها مما يصلح لتناوله في  
صينية معدنية كبيرة، سارت بتمهل نحوه راسمة على شفيتها ابتسامة ناعمة،  
اقتربت منه قائلة برقة:

أنا جهزتلك العشا يا حبيبي!

صاح بقوة أرعبتها وجعلت يديها ترتعشان بقوة:

قولتلك مش عاوز!

شحوب مريب حل على بشرتها حينما رأت تلك القسوة تنبعث من نظراته،  
سألته بقلب منقبض:

ليه بس؟ دي حاجات خفيفة و...  
زفر مهدداً بعصبية:

-يووه، يعني أسيب البيت وأمشي عشان ترتاحي!  
خفق قلبها أكثر من تهديده المخيف، وتلألأت عيناها بعبرات قوية، سألته  
بصوت مختنق:

للدرجادي زعلان مني؟

أشاح بوجهه للجانب مبرطماً بكلمات متشنجة لم تفهمها بوضوح، ظلت تلك  
الرجفة القوية تعتربها، خشيت أن تسقط الصينية من يديها فتحدث فوضى  
بالمكان، حاولت أن تتوقف عن الاهتزاز، وردت بحذر وهي تبتلع ريقها:

طب.. حقك عليا، أنا مقصدش!

أشار لها بكفه أمراً:

قفلي على السيرة دي خالص، سامعة

هزت رأسها قائلة:

حاضر!

ساد صمت ثقيل بينهما للحظات عجزت فيها عن إيجاد الكلمات المناسبة لإخراجه من حالة الضيق المتمكنة منه، سألته بتردد:

-يعني مش هتاكل معايا و...-

قاطعها بجدة أجمتها وهو يرمقها بنظراته القوية:

-ابعدي عني السعادي يا بنت رياض!

أخافها صوته المتشنج ونظراته المحترقة نحوها، لا يحتاج الأمر لكل هذه العصبية والانفعال الغير مقبول، مجرد عناد ميؤوس منه مسيطر عليه جعله رافضاً حتى للاستماع إليها، انسابت عبارتها أمامه بعد صده لها، هي حزنت كثيراً لطريقته الجافة معها، وأصابها جفاؤه المؤلم بإحباط قوي، أولته ظهرها لتتحرك بخطوات متخاذلة عائدة نحو المطبخ، شعر منذر بالضيق لحدته معها رغم اجتهاده لضبط أعصابه، لكنه بحاجة لبعض الوقت ليتجاوز فقط المسألة، ربما في الصباح سيصفو قلبه لها، اعتصر قلبه ألماً لرؤيتها تبكي، وما زاد من تأنيب ضميره أنه المتسبب في ذلك، زفر لاعتنا عناده الأحمق الذي يهلكه قبلها.

لم تستطع إيقاف تلك الرجفة التي حلت بساقها وهي تسير نحو المطبخ، شعرت بالبرودة تجتاح جسدها وتزيد من رعشتها، ظلت يداها تهتز بقوة مهددة بإيقاع الصينية بين لحظة وأخرى، غلف عيناها عبارات كثيفة فلم تعد ترى بوضوح، لكن الأمر المقلق حقاً هو ذلك الدوار الذي أصاب رأسها بقوة، أصبحت غير قادرة على التحكم في خطواتها أو حتى في اتزانها، ترنح جسدها

بصورة مقلقة، شعرت أن الأرض تميد بها، فقدت السيطرة على كل شيء من حولها، وفجأة ظلام دامس سيطر على أعينها لتسقط بعدها فاقدة للوعي.

هب من مكانه مذعورًا حينما سمع صوت الارتطام القوي للصحون الذي بدا كأنه انفجار كبير، ركض بلا تردد نحو المطبخ ليجد زوجته تفتش الأرضية الصلبة بجسدها، والزجاج المهشم متناثر من حولها، جثى على ركبتيه أمامها هاتفًا:

أسيف، حصل ايه؟

ظن في البداية أنها تعمدت فعل ذلك لتسترعي انتباهه وترقق قلبه نحوها، لكنه أدرك أنها مغشية عليها، هوى قلبه في قدميه حينما لم تستجب لأي محاولات لإفافتها، مرر ذراعيه خلف ظهرها وأسفل ركبتيها ليحملها، نهض بها متجهًا نحو غرفة نومهما، أسندها بجذر على الفراش ثم مسح بكفه على وجنتها صائحًا بخوف كبير:

أسيف، ردي عليا، سمعاني، أسيف

ظل يضرب على وجنتها برفق عليها تفيق لكن دون جدوى، كانت مغيبة تمامًا عما حولها، استدار نحو التسريحة باحثًا عن زجاجة العطر، انتزع غطاءها بقوة ووضع بعضه على كفه ثم قربه من أنفها لتشمه، لم يظهر أي مؤشر حيوي على تأثرها به، زاد هلعها حينما رأى تلك الجروح في ساقها وذراعها، لقد تسبب قطع الزجاج الحادة في جرحها، ركض نحو المرحاض ليحضر عدة الإسعافات الأولية وبدأ في وقف معالجة جروحها قبل أن تزداد سوءًا، عاتب نفسه

وبقسوة شديدة لكونه لم يرفق بها أو حتى يلين لتوسلاتها البريئة، سب نفسه  
بشراسة وهو يضمدها.

انحنى على جبينها ليقبلها معتذراً:

حقك عليا! أنا مسامحك، فوقي بس وكلميني، أسيف سمعاني، أنا معاكي!

.....

انتظرها مترقباً خروجها في أي لحظة بعد أن طال بقاؤها بالداخل، أنهى ثلاثة  
سجائر واضعاً بقاياهم في المنفضة الزجاجية وهو يذرع الصالة جيئة وذهاباً،  
حدث دياب نفسه بتبرم:

هي بتعمل ايه كل ده؟

تحرك بخطوات متوترة نحو باب الغرفة، ثم طرق عليه برفق وهو يتساءل بنبرة  
عالية:

ها يا حبيبتى خلصتي؟

خشى أن تكون قد غافلته ونامت كما ادعت من قبل، تبدلت تعبيراته للشدة  
وزادت دقاته على الباب هاتفاً بنبرة عالية:

بسمة! اوعي تكوني نمتي؟

أتاه صوتها قائلاً:

ثواني

تنفس الصعداء لأنها مازالت مستيقظة، واتسعت ابتسامته اللاهية وهو يرد:

ماشى يا حبيبتى، بس ماتطوليش الله يكرمك!

ردت عليه:

-أنا طالعة!

وكان كلماتها تلك قد أوقدت نيران الحب بداخله، فاستعد جسدياً ونفسياً لرؤيتها، فتحت الباب لتطل عليه بشكلها المثير، حدق فيها متأملاً رداًها الأبيض الذي تحاول جاهدة أن تخفي ما يبرزه من مفاتن جسدها من خلف قماشه الشفاف، عضت على شفها السفلى قائلة بنجل:

-أنا ه....

لم يعطها الفرصة لإكمال جملتها، طوق خصرها بذراعيه وهو ينحني عليها ليقبلها بشغف، لم تبد أي مقاومة معه، بل تجاوزت مع كل ما يقدمه لها من أحاسيس فياضة جعلت جسدها يندمج أكثر مع حبه الجارف، لم تفارقها شفثيه، جرفها سريعاً إلى عواصف عشقه اللا محدود، شعر بتأثيره القوي عليها، باستجابة خلاياها لفيض المشاعر المشتعلة، تراجع برأسه عنها ليتمكن من حملها، سار بها بتهمل نحو الداخل، ثم أنامها على الفراش نازعاً قميصه عنه، طالعت بنظرات شقية ألهمت حواسه بقوة، همس بها برغبة:

-الليلة ما فيش نوم يا مزة!



ضحكت بدلال وهي تعبت بخصلات شعرها، أومأت له بحاجبها قائلة بتحدٍ

مثير:

بجد؟

طقطق دياب فقرات عنقه وهو يحركه للجانبين، ثم تمط بذراعيه أمامها ليظهر لها قوته الجسمانية وعضلاته المشدودة، نظرت له بإعجاب وهي تعض على شفتها السفلى، رد عليها بعث:

طبعا، ده مش هزار، في ضرب نار!

كررت ضاحكة بميوعة بعد استعائته بكلمات لأغنية شعبية دارجة فأثارت رغبته فيها، وبالطبع لم تمر الثانية التالية إلا وكان في أحضانها يدفعها بخبرة محنكة نحو سعادة لا توصف.

.....

انتصبت بجسدها واقفة أمام المرأة مغمضة لعينيها ومكورة لأصابع قبضة يدها اليمنى، كانت بحاجة إلى شجاعة عظيمة لتحقق في وجهها من جديد، فقد تجنبت في الأونة الأخيرة التحديق في هيئتها بعد تأثيرات جرعات الكياوي عليها، واليوم هي أرادت وبشدة التحديق في قسما وجهها الذائبة، وضعت يدها المرتعشة أعلى رأسها لتنزع حجابها الذي بات رفيقها الذي لا يفارقها أبداً، ابتلعت ريقها وهي تتطلع بأعين حزينة إلى بقايا شعرها بعد أن قصته ونال منه المرض، تجمعت العبرات سريعاً في مقلتيها، لم تمنع في سقوطهم على وجهها،

هزت رأسها مستنكرة تفكيره فيها، كيف لشخص مثله أن يتودد لمريضة مثلها  
لا تملك أي شيء لتقدمه له؟

أغمضت جفניה مكملة بكائها المرير في صمت، ومع ذلك ظل صدى صوته  
العذب يرن في أذنيها كالطين، انتهت حواسها فجأة لرنين هاتفها، فتحت  
نيرمين عينيها وهي تدير رأسها تجاه الكومود، تحركت أعينها الباكية نحو رضيعتها  
النائمة، وفي أقل من لحظات كانت ممسكة به محاولة إيقاف صوته المزعج قبل  
أن يوقظ ابنتها، فغرت شفيتها مصدومة حينما قرأت اسمه على الشاشة،  
للحظة ظنت أنها تتخيل ذلك لكن حينما تكرر الرنين انتفضت في مكانها  
مفروعة، نقلت الهاتف على وضعية الصامت، ثم ردت عليه بصوت هامس:

ألو

أناها صوته الرخيم متسائلاً بهدوء عذب:

-صحتك؟

أجابته بصوت خفيض:

-لا، أنا لسه مانمتش

أضاف متحمساً:

-ده من حظي

تعجبت من اتصاله المتأخر، فسألته دون تفكير:

-في حاجة؟

صمت للحظات قبل أن يجيها بحذر:

-كنت محتاج أسمع صوتك قبل ما أنام

شعرت بدقات قلبها تتسابق بقوة من جملته تلك رغم بساطتها، لم ترد  
الانخراط في أحلام لن تتحقق مطلقًا لذلك سألته بجدة رغم خفوت صوتها:

-دكتور نبيل إنت بتعمل كل ده ليه معايا؟ اشمعنى أنا؟ أفكر إن حالتي....

قاطعها بهدوء أصابها بالارتباك:

صدقيني معنديش تفسير لده

توهمت أنه نوع من التعاطف معها، إحسانًا خفيًا يتبعه مع مرضاه، لذلك ردت  
بكرامة:

لو كنت بتعمل ده شفقة فمافيش داعي منه، أنا متقبلة مصيري وعارفة نهايتي

هتف موضحًا سوء الفهم لديها:

-أبدًا والله، مش كده خالص يا مدام نيرمين! إتي كده بتظلميني!

تركت صوته ينساب إلى داخل خلايا عقلها وهو يتابع بتهمل:

بس اللي أقدر أقوله وأنا واثق فيه إنك بقيتي حد مهم عندي

ارتجف بدنها من قوة كلماته العذبة، كان يروي عطش قلبها بعباراته، توترت

أنفاسها فبدا صوتها واضحًا إليه، تابع برجاء غريب:

-وأتمنى ميكونش ده بيزعجك!

لم تعلق عليه واكتفت بالصمت الذي أصابه بالقلق، سألتها بتلهف:

مدام نيرمين، إتي معايا؟

أجابته بخفوت:

أيوه

همس لها برجاء أكبر:

أنا.. حاب تكون قريين أكثر من بعض

أريكها تصرّحه فعجزت عن الرد عليه، شعرت كما لو كانت مراهقة صغيرة تعيش مشاعرًا غريبة عليها، هربت من تأثيره الذي يُحيي بداخلها أحاسيسها المفقودة قائلة بخجل:

تصبح على خير

سألها متعجبًا:

بتهربي مني؟

أجابته بصوت متردد:

أنا.. تعبانة!

سمعت صوت ضحكته الخافتة يرن في أذنها وهو يقول:

تمام، وإتي من أهله!

ضغطت على زر إنهاء المكالمة سريعًا لتجلس على طرف الفراش وهي لا تصدق نفسها، وضعت يدها على وجتها تتحسس بشرتها التي زادت سخونة بعد مكالمته تلك، شعرت بالحوية، بالطاقة، بالقوة والنشاط، نجلت من نفسها لتفكيرها كالفتيات الصغار في أمور لم تعد تصلح لها، وقبل أن تفيق من حلمها الوردى انتهت لرنين الهاتف الذي أعلن عن وصول رسالة نصية، قرأت ما دون فيها بصوت هامس:

على فكرة كنتي حلوة أوي النهاردة، تتخطفي!

اشتعل وجهها كليًا، وكتمت بكف يدها صوت ضحكها التي كادت تفضح أمرها، رددت مع نفسها بسعادة:

ده دكتور مجاني!

.....

تلقت حولها بنظرات قلقة محاولة اكتشاف ذلك المكان الذي ظهرت فيه فجأة، اتضح لها الرؤية تدريجيًا، إنها في منزلها القديم ببلدتها الريفية، رائحة الخبوزات تخرق أنفها، تلاحقت دقائق قلبها بقوة وهي ترى والدها أمامها، هتفت بصوتٍ بالك:

بابا!

فتح لها ذراعيه راغبًا في احتضانها فركضت بلا تفكير نحوه لترتمي بجسدها داخل أحضانه التي تشتاقها، بكت بفرحة أكبر وهي تقول:

-وحشتني أوي يا بابا، كل الغيبة دي!

رد عليها بصوته الحنون:

-المهم إنك بخير يا أسيف! شوفتي مين جه معايا

التفتت حيث أشار بيده، لم تكذ تفيق من صدمتها السعيدة حتى رأت والدتها تقرب منها بمقعدها المتحرك، اتسعت ابتسامتها رغم بكائها وهي تقول:

-إنتي هنا كمان يا ماما

ردت عليها حنان بصوتها الدافئ:

-ايوه

هتف رياض قائلاً بهدوء:

-شايقة مامتك معاها ايه!

دقت النظر فيما تحمله والدتها بيديها، لم تتبينه بوضوح، كان ملفوفاً بغطاء ماء، تحركت نحوها متسائلة:

-ايه ده؟

رفعت والدتها اللفة للأعلى قائلة بابتسامة صافية:

-زين! زيدي

أمعنت أسيف النظر في تلك الهدية التي أعطتها لها والدتها، كان رضيعًا صغيرًا  
يتأوه بصوت أسر وهو غافٍ، أمسكت به بعناية فائقة متأملة وجهه البشوش،  
تشكل على ثغرها ابتسامة عذبة وهي تقول:

-الله! ده حلو أوي!

رفعت رأسها لتحقق في والديها متابعة بسعادة:

-هو...

قطمت عبارتها مجبرة حينما لم تجدهما حولها، اختفيا كما ظهرا من العدم، شعرت  
بالخوف وهتفت بهلع وهي تدور حول نفسها:

-ماما، بابا! إنتو رحتموا فين؟ بابا، ماما!

تمسكت بالرضيع الذي بجوزتها أكثر وظلت تنادي على أبويها ببيكاء كبير،  
اشتاقت لأحضانها التي احتوت أحزانها وفرحتها كثيرًا، عاودت النظر إلى  
الرضيع مرددة بنحيب:

-ملحقتش أشبع منكم!

.....

لمح تلك العبرات وهي تسقط من طرفي جفنيها المغمضين، فانقبض قلبه  
بخوف أكبر، لقد رآها على تلك الحالة مسبقًا؛ تبكي وهي غائبة عن الوعي،  
ألمه ذلك كثيرًا، شعر بتأنيب الضمير لتعنيفه لها بقسوة، والأمر لم يكن بحاجة

إلى كل ذلك التعصب والانفعال، رفعها إلى صدره، وضمها إليه، ثم مد يده  
على بشرتها ماسحاً دمعاتها برفق، همس لها وهو ينحني على جبينها:

-أنا أسف يا حبيبتي، حقك عليا!

ضمها أكثر وهو يضيف:

-ردي عليا يا أسيف، أنا جمبك!

أخرجت تأوهات خافتة مصحوبة بأنين مكتوم لكنها كانت مؤشرات قوية على  
قرب استعادتها للوعي، هزها برفق وهو يقول:

-أسيف، سمعاني

ردت وهي في حالة ما بين الغفلة واليقظة:

-ملحقتش أقعد معاكو، استنوا شوية!

ضرب منذر على وجنتها برفق كي تفيق هاتفاً:

-أسيف، اصحي!

تنهت حواسها بدرجة كبيرة إلى صوته الذي وصل إلى مسامعها بقوة، فتحت  
عينها ببطء محدقة في وجهه بأعينها الدامعة، همست له بأنين:

-أنا مش عاوزاك تزعل مني

ضمها إليه قائلاً بتنهيدة حارة:



-وهو أنا أقدر، يا ستي غيراني عليكي لازم تفهمي ده كويس، مرضاش أبدًا  
أشوفك بتحكي عن غيري كده واسكت!

أرجع رأسها للخلف ليحرق في وجهها بنظراته العاشقة، طبع قبلات متتالية  
على وجنتيها فابتسمت له، لمحت بطرف عينها تلك الضمادات التي تغطي  
ذراعها وساقها، انعقد ما بين حاجبيها باستغراب وهي تسأله:

هو حصل ايه؟

أجابها مبتسمًا:

-باين عليكي هفأ واترحلقتي، حته صينية مش عارفة تشيلها؟

نظرت له بعبوس وهي تعاتبه:

على فكرة أنا....

قاطعها قائلاً بود وهو يضع إصبعيه على طرف ذقنها:

-انسي، المرادي أنا اللي هاحضر العشاء، مش انتي لسه جعانة؟

أومأت برأسها دون أن تجيبه، فطبع قبلة عميقة على جبينها متابعًا بمرح أذاب  
أي حواجز بينهما:

خلاص نطلب دليفري بقي!

زادت ابتسامتها إشراقًا ولمعت عينها بوميض الحب الصادق الذي دومًا  
يخترق القلوب.

.....

مضت عدة أيام حتى أتى يوم الافتتاح الكبير لدكانها وفرع الأدوات الصحية الجديد، افترشت الطرقات بباقات الورد الكبيرة وكذلك بالرمال الملونة، زينت البنايات ومدخل المنطقة الشعبية بشرائط الإنارة الكهربائية الحديثة، وصدحت أصوات الموسيقى طوال اليوم، وقفت أسيف بين عائلتها تنظر إلى دكانها الذي ازدان بما فيه من ورود صناعية وهدايا شبابية بسعادة غامرة، تحقق حلمها، وباتت لافتة دكان والدها الراحل مضيئة بكلمة "خورشيد"، رقص قلبها طرباً وهي تقص شريط الافتتاح لتعلو الزغاريد من خلفها، انهالت عليها التهنئات من أهالي المنطقة وكذلك من المحيطين بها، دنا منها زوجها قائلاً:

-وفيت بوعدى معاكى، صح؟

ردت وهي تهز رأسها بالإيجاب:

-ايوه

مدت يدها لتمسك بكفه متابعة بامتنان:

-ربنا يخليك ليا يا حبيبي، بأحبك

ضغط بأصابعه على راحتها هامساً:

مش قصاد الناس!

ابتسمت له بنجل وتابعت التلفت حولها بنظرات متحمسة، لمحت بسمة وهي  
تتجادل مع دياب بجوار أحد الرفوف فسحبت كفها من راحة زوجها لتتجه  
نحوها، تساءلت باهتمام:

خير

ردت بسمة بعصية طفيفة:

مش عاوز يجييلي دبدوب أحمر

رد دياب مبررًا بامتعاض وهو يشير بيديه إلى نفسه:

طب أنا راضي ذمتك، ده شكل واحد بتاع دباذيب؟ ده حتى وحش في  
حقي، هيبتي قصاد أهل الحمة تروح!

أشارت بسمة بسبابتها نحوه قائلة بغیظ:

شايفة!

تقوس ثغر أسيف بابتسامة لطيفة وهي تقول:

خلاص أنا هاديهولك هدية

تهللت أساير بسمة بشدة، وأقبلت عليها تحتضنها بود كبير ماسحة على ظهرها  
بكفيها، هتفت بامتنان:

حبييتي يا أسيف، اتعلم الذوق منها

حك دياب مؤخرة رأسه مرددًا بمرح:

-الله يكرمك، دايمًا كده تشكري فيا قصاد الناس!

ابتعدت عنها بسمة لتضيف بتذمر:

-اهوو، احنا على الحال ده مع بعض!

ضحكت أسيف قائلة:

-ربنا يخليكم لبعض دايمًا

استمرت ثلاثتهم في الحديث الودي حتى انضم إليها منذر قائلاً بلهجة شبه صارمة:

-عاوز المدام شوية

التفتت برأسها نحوه مرددة:

-ايوه يا منذر

أشار لها بعينيه لتتبعه في زاوية الدكان حيث الأجواء أهدأ قليلاً، سحب نفسًا عميقًا لفظه دفعة واحدة ليقول بعدها بجدية:

-بصي يا ستي أنا كان عندي شغل في راس البر، هانشطب أرضيات كام

فيلا هناك عشان المصايف، فعاوز أخذك معايا تغيري جو

ارتفع حاجباها للأعلى وهي تهتف بعدم تصديق:

بجد؟!!

أوما برأسه مؤكدًا بهدوء:

-ايوه، جهزي نفسك!

استدارت برأسها للجانب قائلة باعتراض صغير:

-بس الدكان، أنا ملحقتش آ...

قاطعها هاتقًا بهدوء جاد:

-خلي بسمة تتابعه لحد ما نرجع، ولو مانفعلش اقليه!

ضغطت على شفيتها مرددة:

-خلاص هارتب أنا معاها ونسافر سوا يا حبيبي

-ماشي، أسيبك لزباينك وأروح أشوف شغلي

-اوكي يا حبيبي

ودعها بلطف قبل أن يتجه عائداً نحو أخيه ليصيح فيه بلهجة آمرة:

-ياللا يا باشا، وراانا مصالح

لوح له دياب قائلاً:

-حاضر، جاي في ديلك يا مندر!

انتظر ابتعاد أخيه عن الدكان ليقترب من أسيف، توسلها برجاء مرح:

-أمانة عليكي يا مرات أخويا متعصيش الأبله عليا، لأحسن بيردم عليا في

الأخر، وأنا مش ناقص!

ضحكت على أسلوبه التهكمي في استجدائها، ثم ردت قائلة:

طيب، إنت بس تؤمر

هلل متحمسًا:

حبيبة قلب أخويا وأم عياله إن شاء الله!

أخفت ابتسامتها بكف يدها وهي ترد بخجل:

يا رب!

.....

رغم انشغاله بالأعمال في مدينة رأس البر الساحلية إلا أنه خصص لها وقتًا ليمضيه معها ومع عائلتها التي أصرت على قدومهم معها ليحظى الجميع بأوقات طيبة، استأجر لهم منزلاً واسعاً بالقرب من الشاطئ، ومكثت كل أسرة في غرفة خاصة بهم، كانوا يتجمعون في أوقات الطعام وبعد الظهيرة ليتسامروا ويستعيدوا ذكرياتهم، غف لحظاتهم السعادة والهناء، أوشكت العطلة القصيرة على الانتهاء، فقرر منذر اصطحاب زوجته للسباحة سويًا في وقت مبكر من الصباح كي يتجنبنا الزحام والأعين المتلصصة، كانت في قمة سعادتها معه، ظل الاثنان يلهوان وسط الأمواج ويتقاذفان المياه على بعضهما البعض بمرح واضح، شعرت أسيف بدوار شديد يصيب رأسها، يأنهاك غير مبرر يخدر خلايا جسدها، ضعفت قدرتها على الوقوف في المياه، فانهارت فجأة وسط الأمواج، نظر لها منذر بهلع، أسرع ناحيتها محاولاً الإمساك بها قبل أن تغرق صائحًا بفرع:

أسيف! في ايه؟

أجابته بنبرة واهنة:

مش عارفة مالي، تعبانة أوي

حاوطها من خصرها قائلاً:

تعالى احنا هنرجع

ردت بصوت خفيض وهي تحاول التثبيت به:

ماشى!

ساعدها على السير حتى بلغا الشاطئ، بدا صوتها لاهتًا وهي تقول بصعوبة:

مش قادرة، دماغى بتلف جامد!

لم ينتظر أكثر من ذلك، انحنى قليلاً بجذعه وحملها مكلاً سيره نحو منزل الشاطئ، هبت جليئة واقفة في مكانها حينما رأتهما على تلك الحالة، سارت

بخطى سريعة نحوهما وهي تهتف بتوجس:

ايه اللي حصل يا ابني؟

أجابها منذر بحيرة:

مش عارف يا أمي، داخت جامد مني!

تنحت للجانب لتسمح له بالمرور والصعود على الدرجات التي تؤدي للشرفة  
الواسعة بذلك المنزل، التقى بعواطف في طريقه نحو الداخل، لطمت على  
صدرها وهي تشهق مفزوعة:

-أسيف، يالهوي، مالها؟

رد بضجر:

-معرفش، تعبانة

لحقت به مرددة بقلق:

-نشوفلها ضاكتور بسرعة، بس قابلة تغير هدومها لأحسن تاخذ برد

ماشى

قالها منذر وهو يلج إلى الغرفة الخاصة به وبزوجته، اقترب من الفراش  
ليسندها برفق عليه، ثم اعتدل في وقفته ممرًا أنظاره عليها، زفر بضيق مبدئيًا  
انزعاجه مما يحدث معها من حالات دوار وإغماء متعاقب.

.....

لم تتوقف جليلة - ولا عواطف - عن إطلاق الزغاريد فور تأكيد الطبيب الذي  
فحص زوجة ابنها البكري لخبر حملها، كانت ما تتر به هي العوارض الأولية  
للحمل، ولكونها كانت مشغولة بالكثير من الأحداث التي دارت مؤخرًا، لم  
تنبه للتغيرات التي طرأت عليها، لم يصدق منذر أذنيه، سيرزقه الله بعد فترة



انتظار طويلة بنعمة عظيمة من نعمه، بكى متأثراً لسماعه ذلك الخبر المفرح،  
احتضنه أخاه قائلاً:

مبروك يا منذر، إنت بتعيط يا جدع، وده كلام؟!!

كفكف منذر عبراته بظهر كفه هاتفاً بتضرع شاكر:

-اللهم لك الحمد والشكر، يا ما انت كريم يا رب!

رد عليه دياب وهو يهز رأسه:

-ربنا يراضيك دائماً، أيوه بقى عاوزين الواد يجيي يلعب مع ولاد عمه!

-ربنا معاها ويكملها على خير

إن شاء الله

وضع طه يده على كتف ابنه قائلاً بصوته الخشن:

-رزق ربنا مالوش ميعاد ولا حدود يا منذر

رد عليه ابنه مؤكداً بثقة:

-فعلاً، يرزق من يشاء بغير حساب!

تابع طه مضيقاً وهو يعيد ضم يديه معاً على رأس عكازه:

-ربنا يكرمك ويقوم مراتك بالسلامة، المهم تطلع حاجة لله عشان ربنا يفتحها

أكثر في وشك

ده لازم

.....  
 ولج إليها راسمًا على ثغره ابتسامة لا توصف، تأملها بأعين ممتنة وكأنها قد أهدته  
 كنزًا لا يقدر بثمن، رأت في عمق نظراته حبًا أكبر وأصدق، حبًا انتشلها من  
 حزن قاسٍ وأتى بها إلى أرض الأحلام، تلون وجهها بجمرة لطيفة وهي تطالعه  
 بنظراتها الوالهة، همست له بخجل:

-أنا طلعت حامل!

دنا مندر من فراشها ليجلس إلى جوارها، ثم مد يده ليلتقط كفها، احتضنه  
 بين راحتيه ماسحًا عليه بقوة، رفعه إلى فمه ليقبله قائلاً:

-بأحبك أكثر من الأول، والحمد لله إن ربنا هيرزقي منك بعيل  
 رمشت أسيف بعينها قائلة بصوت خفيض شبه متردد :

-مندر لو ربنا كرمنا بولد، أنا عاوزة أسميه زين  
 قطب جيبه متسائلًا باستغراب:

-اشمعنى؟

سحبت نفسًا كبيرًا أخرجته على تمهل من صدرها وهي تسرد له ذلك الحلم  
 الغريب الذي رآته من قبل، نعم كان يحمل لها البشارة بمولود سيملاً حياتها  
 سعادة لكنها لم تفهم الرسالة، ابتسم لها مندر بعذوبة، ثم رفع يده ليضعها على  
 وجتها، داعب بشرتها بلطف وهو يقول:

-بأمر الله، ولو بنت تبقى زينة!

زاد لمعان حدقتها وهي تنظر إليه، وتشكل على محياها ابتسامة صافية وهو يضمها إليه لتشعر بدفء أحضانه التي أدمتها.

.....

مرت الشهور ورزقها الله بمولود أسماه زوجها بـ "زين" تيمناً برؤياها السابقة، أقيم له حفل "سبوع" شعبي في دكان خورشيد، ذلك المكان الذي شهد على الكثير وكان السبب الرئيسي في قدومها إلى هنا لتلتقي بنصفها الآخر، جمعها التحدي والقوة، الجرأة والعناد، الحب والتضحية، الصدق والمشاعر العميقة، هنا ولدت بذرة حبها، وهنا حصدا ثمار عشقها.

أعد منذر لرضيعه مهداً وضعه في زاوية الدكان أسفل الصورة الفوتغرافية الخاصة بعائلة أسيف ليكون إلى جوار والدته وهي متواجدة به، كذلك كي يتمكن من رؤيته حينما يعرج عليها من فرع وكالته الجديد.

ألقي نظرة أخيرة عليه قبل أن يسير نحو الخارج مطفئاً الأنوار، أوصد الدكان خلفه واضعاً مفاتيحه في جيب بنطاله، ثم توجه بعدها إلى منزل أبيه حيث اللقاء الأسبوعي لتجمع أفراد العائلة معاً، وجد ابن أخيه يلهو مع الصغار عند مدخل البناية، فاقترب منه عابثاً بخصلات شعره وهو يقول بصيغة امرأة:

اطلع يا يحيى، الغدا تحط

رد عليه الصغير ببراءة:

مس بسمه عملتلي الأكل، أنا هالع شوية مع ثحاي (أصحابي)

ابتسم له منذر قائلاً بهدوء:

ماشى يا سيدي، الأبله اللي مدلعك على حسنا

أكل صعوده على الدرج حتى بلغ باب المنزل ففس المفتاح في قفله، ولج إلى الداخل مستنشقا رائحة الطعام الشهية التي تعبق الأجواء، تحرك معدته متأثرة بالراحة، بالطبع لم يخلو المنزل من الأصوات المتداخلة للحديث النسائي، هز رأسه متعجبا من قدرتهم العجيبة على الثثرة وأداء العديد من الأعمال في آن واحد، هتف بنبرة عالية ليلفت الأنظار إلى وجوده:

سلامو عليكم يا أهل الدار

ردت عليه جليلة بنبرتها الحانية:

-و عليكم السلام يا ابني، ٥ دقائق والأكل هايكون جاهز، الشوربة بتغلي على النار و....

قاطعها مشيرا بكفه:

براحتكم، أومال فين زين؟

ردت عليه تلك المرة عواطف وهي تحمل الصحون الفارغة بيديها:

مع عمته والبت رنا يا سي منذر!

رد عليها مازحا:

من دلوقتي قاعد وسط البنات، أنا عاوز عضمه ينشف، ومايقاش عيل  
طري!

اعترضت عليه جليلة قائلة بجدية:

ده راجل ابن راجل ومن ظهر راجل

هتفت أسيف بمرح وهي تدنو من زوجها:

ده أبو الرجالة كلهم!

حدق مندر في وجه زوجته البشوش غامزًا لها:

مين يشهد ليه زيكم؟

ابتسمت له بنعومة محبة لقلبه، طوق كتفها بذراعه متبادلاً معها غزلاً متوارياً  
جعل وجهها يلتهب بسخونة واضحة، عضت على شفتها السفلى بجياء جلي،  
فاستمر في مداعبة أذنها بكلماته الساحرة، لكن أخرجتها جليلة من لحظتها  
الخاصة صائحة بجدية:

ياللا أوام زمانت خطيب نيرمين جاي!

عبس وجهه نوعًا ما من ذكر اسمه، شعرت أسيف بتبدل تعابيره، وحاولت ألا  
تظهر تأثرها بذلك، أضافت عواطف بابتسامة متسعة:

أول مرة يشرفنا الضاكتور نبيل

ضاقت نظرات مندر نحو زوجته وهو يسألها بتجهم:

-انتو عزمتوا السمج ده هنا؟

ردت عليه بصوت خفيض وهي تشير بحاجبيها مستنكرة نفوره الغير مبرر منه:

-مش هايبقى جوزها، وبعدين هو.....

قاطعها محذراً بصرامة:

-ها، هانعيدوه ثاني

ردت بدلال وهي تطالعه بنظراتها العاشقة:

-لا توبة من دي النوبة!

ضمها أكثر إلى صدره مبدئياً إعجابه بطاعتها له، ثم سار معها نحو طاولة الطعام، في حين دست بسمة الطعام في فمها وتناولته بشراهة عجيبة، هتفت من بين أسنانها وهي تلوك الطعام في جوفها:

-مش قادرة! طعمه يجنن

تبعها دياب حاملاً صينية البطاطس الساخنة ناظراً لها بتأفف وهي تتلذذ باستمتاع بقطع الطعام الشهية، أخفض نظراته نحو بطنها المنتفخ قائلاً بسخرية:

-ارحمي كرشك شوية، هاتبلعينا بعد كده!

نظرت بسمة إلى حيث يشير فتعقدت تعبيراتها بضيق، تلاشت ابتسامتها ليحل التبرم على ثغرها، صاحت فيه بحدة طفيفة:

-الله، مش عيالك هما اللي جعائين جوا بطني، ده أنا بأكل بتلات أرواح!

لكزها برفق من كتفها قائلاً:

-ده زي ٣ دقات كده!

نظرت له شزرًا وهي ترد:

-ماتبقاش رخم

أضافت جليلة بنبرة ودودة وهي تربت على ظهر زوجة ابنها الأصغر:

-حقها تاكل وتتبسط، دي حبلى وفيها روحين بتكبر، ماشاء الله ربنا معاها

ويعينها

رد عليها دياب بعبوس زائف:

-ادعيلي أنا يامه، أنا مش ملاحق!

كركرت ضاحكة وهي تقول:

-العيال بيجوا برزقهم، وانت ماشاء الله عليك، ربنا فتحها في وشك وبزيادة

رد بصوت خفيض وهو يفرك مؤخرة عنقه:

-ماهو واضح، جوز من أول مرة، أومال لو طولت شوية، هاجيب كام؟!!

انتبه الجميع لوقع دقات عكاز الحاج طه على الأرضية الصلبة والمصحوبة بصوته

الخشن وهو يقول:

-احم... يالا يا جماعة

ردت عليه جليلة:

حاضر يا حاج

هتفت عواطف بنبرة متحمسة:

نيرمين طالعة مع خطيبها على السلم، هاروح أفتحلهم

وما هي إلا لحظات وتجمع حول مائدة الطعام جميع أفراد العائلتين، ترأس الطاولة الحاج طه، وجلست على يمينه زوجته جليلة التي ظلت واقفة على قدميها تقدم ما أعدته من مأكولات شهية للجميع، وعاونتها عواطف التي جلست إلى جوارها، في حين جلس منذر في الجهة المقابلة لأبيه وإلى يساره زوجته أسيف التي كانت تختلس النظرات إليه بين حين وآخر حينما يداعب ساقها بقدمه فتبتسم له بجياء محذرة إياه من كشف أمرها، لكنه كان مستمتعاً بغزلها الصبياني، جلس دياب على يسار والده وإلى جواره نبيل وخطيبته، وبالطبع لم تكف عواطف عن تحفيز زوج ابنتها المستقبلي لتناول ما لذ وطاب من الأطعمة المنزلية المعدة بالسمن البلدي، في حين فضلت بسمة الجلوس على الأريكة لتشعر بالاسترخاء وتمد ساقها المتورمتين دون حرج، مرت أسيف أنظارها ببطء على أوجه المحيطين بها شاعرة بفرحة لا توصف، لقد منحها الله عائلة كبيرة تفخر بها، وعضها بزوج محب ومخلص بذل ما في وسعه ليحو آثار ما عانته من مآسٍ موجعة، ورزقها طفلاً زين حياتها ببراءته



وضحكاته التي تُنسي أي هموم وأحزان، تهتد بارتياح متمنية في نفسها أن  
تدوم تلك السعادة للأبد.

- تمت بحمد الله -

الأعمال السابقة للكاتبة منال سالم :

الأعمال الالكترونية:

- دعني أحطم غرورك
- رهان ربحه الأسد
- الفريسة والصيد - الجزء الأول
- خطأ لا يمكن إصلاحه ( رفقا بالقوارير )
- فريسة غلبت الصيد - الجزء الثاني

- فراشة أعلى الفرقاطة - الجزء الأول
- دمية لعنها الحب ( نوفيلا قصيرة )
- كتاب الحب ( نوفيلا قصيرة )
- سيدرا ( نوفيلا )
- وجه لا يصدأ أبداً ( نوفيلا قصيرة )
- اليوميات الرمضانية ( نعمل إيه في أماني، حتى مطلع الفجر، في بيتنا بطة، خير يعودك شر يرجعك )
- أربعة شكلوا حياتها ( رواية شرقية )
- شهد الأفاعي ( رواية شرقية )
- كبرياء رجل شرقي ( نوفيلا قصيرة )
- راسين في الحلال
- ذئاب لا تعرف الحب ( الجزء الأول )
- ذئاب لا تغفر ( الجزء الثاني )
- وانحنت لأجلها الذئاب ( الجزء الثالث )
- فتاة الكومبو ( نوفيلا قصيرة )
- ميري يتحدى ملكي ( يوميات رمضان مشتركة )
- وبقي منها حطام أنثى ( عمل روائي مشترك )
- دواعي أمنية .. مشددة
- ذو الوشم ( قصة قصيرة )

- أطيف عابثة (قصة قصيرة)
- قبضة من أثرها (قصة قصيرة)
- المكتوب الأخير (قصة قصيرة)

### الروايات الورقية:

- كلارا (عمل مشترك مع حنين الحسيني) عن دار إبداع
- ذئاب لا تعرف الحب (الجزء الأول)